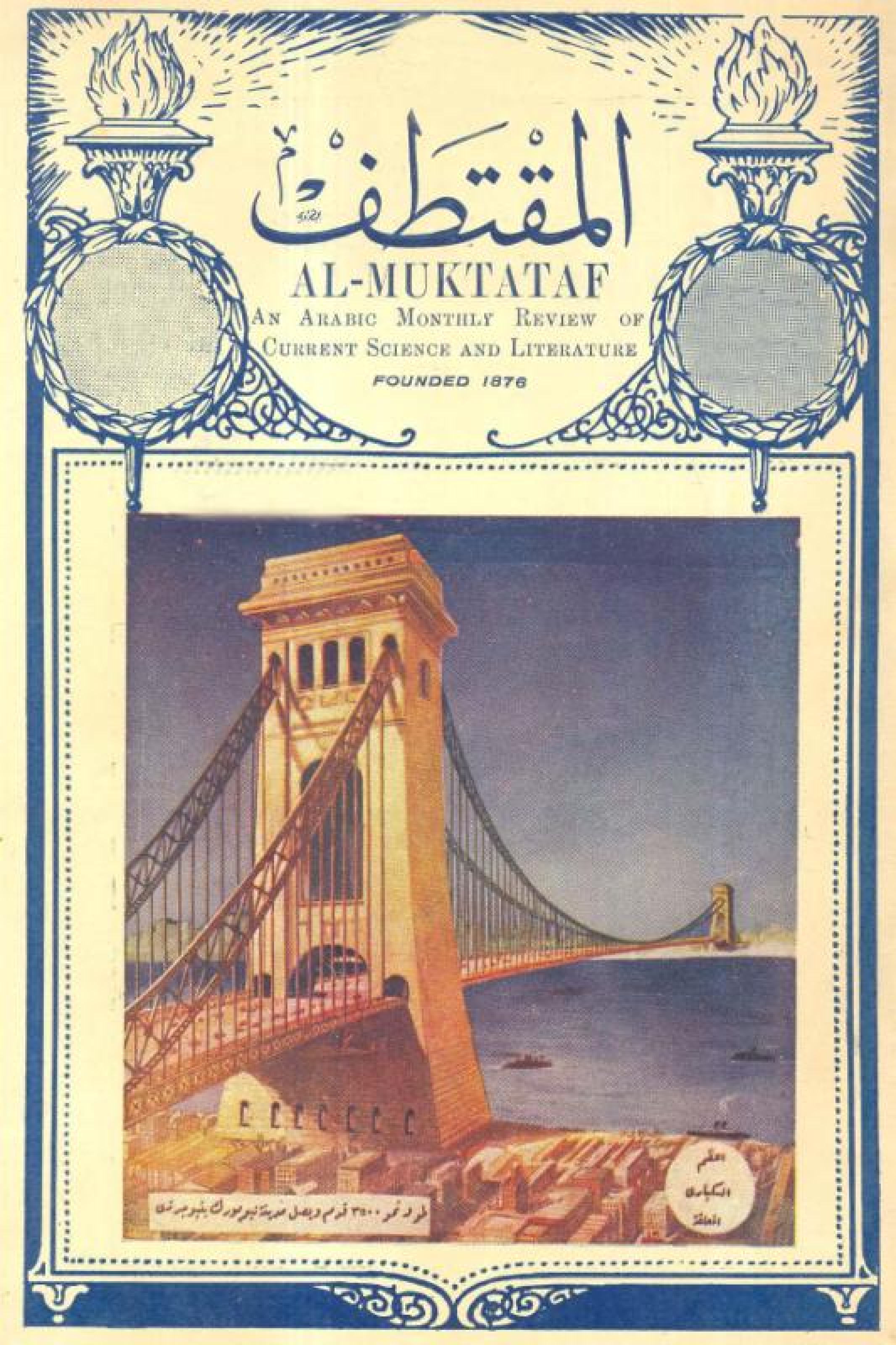

المقتطف
AL-MUKTATAF
An Arabic Monthly Review of
Current Science and Literature
FOUNDED 1876
طوله نحو ٣٥٠٠ قدم ويصل مدينة نيويورك بنيوجرسي

المقتطف

الجزء الاول من السنة الرابعة والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شعبان سنة ١٣١٧

اعظم الآلات الفلكية

او تلسكوب معرض باريس

يذهب جماعة من العلماء الى ان عين الانسان على ما فيها من بديع الصنعة وصحة التحكيم للقرب والبعد وتمام الملاءمة للنور والظلمة انما وجدت في بدء امرها بسيطة الشكل قليلة التركيب لا تقضي الا يسيرًا مما تفعلهُ الآن ثم ما زالت ترتقي حتى بلغت من الكمال الدرجة التي نراها فيها . فاذا صحَّ مذهبهم واستمرَّت العين على هذا الارتقاء فلا يبعد ان تبلغ مبلغًا لا يخطر الآن ببال فترى ما لا نراهُ الا بالمقرِّبات والمكبرات غير ان الانسان قد بلغ بقوة عقلهِ هذا المبلغ منذ زمان فاطال للعين امد البصر بالتلسكوب ووسع لها صور المرئيات الدقيقة بالميكرسكوب فصارت ترى ما لم تكن تراهُ من كواكب السماء وصغار الاحياء

والتلسكوب نظارة فلكية تجمع اشعة النور الآتية من جرم سموي بواسطة مرآة مقعرة او بلورة محدَّبة ثم تكبّر الصورة الحادثة منها بعدسيَّات محدَّبة فتظهر كبيرة منيرة

والنظارات ذات المرآة المقعَّرة بلغت اعظمها في نظَّارة اللورد رُص الارلندي فان طول انبوبها ٥٥ قدمًا وقطر مرآتها ست اقدام انكليزية ووزنها نحو تسعين قنطارًا مصريًا ووزن النظارة كلها نحو ٢٤٠ قنطارًا ولا يخفى ان آلة عظيمة مثل هذه لا يحملها الا البناء الفخيم ولا تدار مع الافلاك الا بعناء شديد

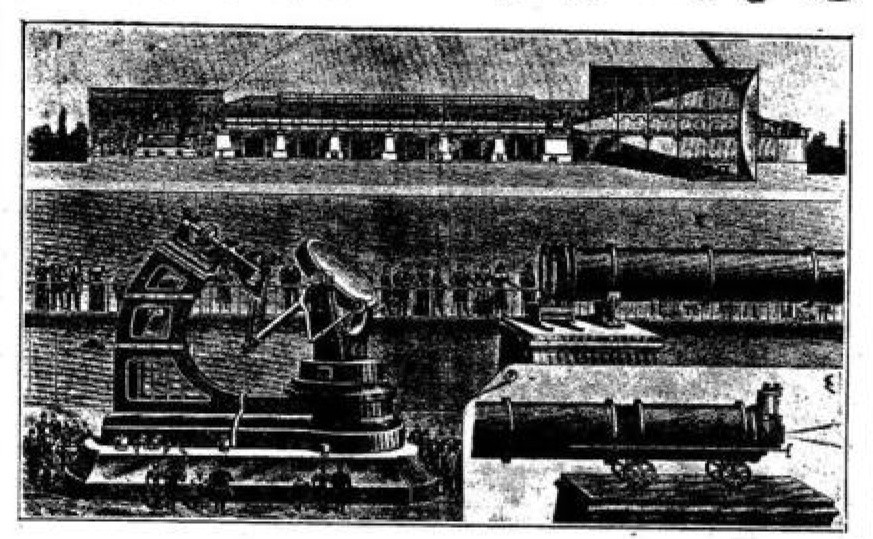
والنظارات ذات البلورات المحدبة كانت في اول امرها صغيرة لما في عمل بلوراتها من الصعوبة فكانت نظارة مرصد وشنطون باميركا من اعظمها وقطر بلورتها ٦٦ سنتمترًا ثم تمكن صانعو النظارات في اوربا واميركا من عمل البلورات الكبيرة فعملوا نظارة مرصد بلكوفا بروسيا

وقطر بلورتها ٧٥ سنتمترًا ونظارة مرصد لك باميركا وقطر بلورتها ٩٠ سنتمترًا ونظارة مرصد باركس باميركا ايضاً وقطر بلورتها متر وثمنها مئتا الف ريال . لكن هذه النظارة كادت تهدم المرصد الذي وضعت فيهِ لثقلها . وقد ذكرنا في الصفحة ٧٩٦ من المجلد الثاني والعشرين ان الفرنسويين "ابوا الاَّ ان يكون عندهم اعظم تلسكوب في الدنيا فهم يصنعون الآن تلسكوبًا لمعرض باريس التالي قطر بلورتهِ متر وربع وبُعد محترقها عنها ستون مترًا وتبلغ نفقات عملها مليونًا واربع مئة الف فرنك . ويستحيل تحريك تلسكوب كبير مثل هذا حتى يتبع الكواكب في سيرها ولذلك سيوضع وضعاً افقياً ثابتاً ويُعكَس النور الى بلورتهِ عكساً عن مرآة كبيرة قطرها متران وسمكها ثلث متر وثقلها ٣٦٠٠ كيلوغرامًا وقد سبك اثنا عشر لوحاً من الزجاج لهذه المرآة فوجد اللوح الاول اصلحها كلها ولهم في نحتهِ وصقلهِ سبعة اشهر ولم يتم حتى الآن. واكبر تلسكوب موجود الآن لا تزيد قوة تكبيرهِ على اربعة آلاف ضعف اما هذا التلسكوب فسيكون فيهِ بلورتان الواحدة تكبر ستة آلاف ضعف والثانية عشرة آلاف". هذا ما ذكرناهُ عن هذه النظارة منذ سنة وثلاثة اشهر ولا بدَّ من ان يكون كثيرون من القراء متشوقين الى معرفة ما تمَّ من امر هذه النظارة حتى الآن فنقول ان المعامل لا تزال مشغولة بعمل اجزائها فمعمل غوتيه المشهور بعمل الآلات الهندسية الدقيقة يعمل الآلة التي تحمل المرآة (السيدروستات) وهي المرسومة تحت الرقم ٢ في الشكل التالي وطولها ٢٦ قدماً وربع قدم وعلوها كذلك ويتصل بها آلات ساعة تدير المرآة مع الافلاك حتى تبقى مواجهة للجرم السموي الذي يراد رصدهُ بها وتحت ادوات المرآة حوض فيهِ زيبق فتزول بهِ تسعة اعشار ثقلها على مبدإ الفيلسوف ارخميدس وهو خفة الاجسام اذا غاصت في السوائل فتخف كثيرًا ويسهل على آلة الساعة ان تديرها

وقطر المرآة متران وثقلها ثمانون قنطارًا مصريا . وقد بني اتون خاص لسبكها في معامل جمون بفرنسا تسع بوتقته نحو ٥٠٠ قنطار من الزجاج فاذيب الزجاج فيها وأُتي بالقالب اليها وأُفرغ فيهِ وتُرك في الاتون وسدَّ بابهُ وترك شهرًا حتى برد وكُرر ذلك مرارًا فكانت الزجاجة الاولى اصلح من غيرها كما تقدَّم . وكان نقلها الى باريس من الصعاب فأُعدَّ لها قطار خاص سار بها ليلاً من غير ان يقف في الطريق وصُنعت لها آلة مخصوصة لنحتها وصقلها قضوا على تركيبها وتحكيمها ثلاثة اشهر ونحتت بالماء والسنباذج (السنفرة) وكان الصانع يقف بعيدًا عنها لكي لا تؤثر حرارة جسمهِ بجانب منها دون آخر اذا دنا منها. وكان يوصل الماء والسنباذج اليها بمضخة وانبوب طويل متصل بها . ولم يكن يُعمل في نحتها الاَّ من الساعة ٢ الى ٥ بعد

الظهر اي حينما تكون حرارة الهواء قليلة التغيُّر . وبقفي الصباح من كل يوم في تنظيف آلة النحت وتحكيمها وفيها اربع مساهل تدل على الخلل ولو كان جزءًا من الف جزء من المليمتر . ودام النحت ثمانية اشهر وتبعهُ الصقل فاقتضى شهرين واستُعمل فيهِ انعم انواع التراب المعروف بالتربولي وكانت حرارة الصقل تمدّد المرآة ودفعاً لذلك كانوا يديرون المصقلة دقيقةً ويوقفونها ربع ساعة

وامام المرآة انبوب النظارة وهو افقي كما ترى في هذا الشكل تحت الرقم ١ و٣ وقد صنع من صفائح الفولاذ (الصاب) وفيهِ ٢٤ قطعة متصلة بعضها ببعض وتحتها سند من الحديد



تلسكوب معرض باريس

قائم على دعائم متينة من الحجر. وقد صنع هذا الانبوب لكي يطول و يقصر حسب الاقتضاء ولهُ بلورتان الواحدة للرؤية والثانية للتصوير وتحتها عجل تسيران عليهِ كما ترى تحت الرقم ٣ وثقل كلٍ منهما مع اطارها ١٢٩٥ رطلاً . وعملها اصعب ما في هذا التلسكوب فقد سبك زجاجهما بعد عناء شديد وتجارب كثيرة لكي يكون على انقاءهُ وترك في البوائق وسُدّ الاتون عليها وترك ستة اسابيع حتى برد ثم فتح فاذا بالزجاج قد تكسّر كسرًا في البوائق فاختاروا منها قطعاً وزن كل قطعة منها ١٣٠٠ رطل ونشروا صفائح رقيقة من جانبيها لكي تظهر مائيتها وهل هي خالية من الشوائب والفقاقيع فاذا وجدت فيها قطعة صالحة لعمل العدسية وضعت في قالب من

الطين الذي لا تذيبهُ النار ووضع القالب في الاتون لكي يلين الزجاج فيهِ و يصير شكلهُ عدسياً مثل فراغ القالب فاذا خرج على حسب المرام فيهِ والاَّ اختيرت قطعة زجاج أُخرى وعُمِل بها ما عمِل بالاولى ثم نحتت هذه العدسيات وصقلت على ما تقدَّم في صقل المرآة

وقد وصف السر نورمن لكير محرر جريدة ناتشر هذه النظارة فقال . " زرت باريس ونيس منذ عدة سنوات ولقيت فيها كثيرين من علماء الفلك الفرنسويين وكنا نتذاكر في ما يكون من مستقبل التلسكوب والحد الذي يمكن ان يبلغ اليهِ وكنا نقول انهُ لا يمكن للزجاجين حتى الآن ان يصنعوا مرآة قطرها من ثماني اقدام الى عشر ثم اني خطبت خطبتين سنة ١٨٨٤ في جمعيَّة الفنون ابنت فيها انهُ اذا صُنعت مرآة قطرها ثماني اقدام وجب ان تستعمل مع بلورة قطرها ثلاثون عقدة على اسلوب السيدروستات اي تكون المرآة لعكس النور على البلورة (مثل تلسكوب معرض باريس) اقتصادًا في النفقات

وقد بعثت اليَّ لجنة جمعية البصريات الفرنسوية منذ عهد قريب وصف النظارة التي صنعت لمعرض باريس على اسلوب السيدروستات (اي على الاسلوب الذي اشار بهِ سنة ١٨٨٤)ويقال فيهِ انهُ ينتظر ان يكبَّر جرم القمر بهذه النظارة حتى يظهر كانهُ على ٦٧ كيلومترًا منا فيظهر فيهِ كل جسم مساحتهُ مترعلى الاقل . غير ان بعض الذين قرأُوا هذه العبارة لم يفهموا معناها فظنوا ان القمر يرى بهذه النظارة كانهُ على متر من الناظر اليهِ بها "

والظاهر انَّ لمسيو دلنكل المعروف في هذا القطر يدًا في عمل هذه النظارة فصُنعت المرآة على ما تقدَّم وبلغ ثقلها مع الاطار المحيط بها ٦٧٠٠ كيلوغرام وصنعت البلورتان . وستوضع النظارة في قصر البصريات بقرب برج ايفل وهناك غرفة تسع اربعة آلاف نفس فيوضع فيها ستار طولهُ عشرون مترًا وعرضهُ كذلك وتلقى عليهِ صور الاجرام السموية من هذه النظارة كما ترى على يمين الشكل في اعلى الصورة فترتسم عليهِ صورة للقمر قطرها ١٦ مترًا وصورة للمريخ قطرها نحو اربعة امتار . قال السر نورمن لكير ولا بدَّ من يكون لهذا التلسكوب شأن كبير في علم الفلك و يجني الفلكيون الفرنسويون منهُ فوائد جمة بما يعهد فيهم من الذكاء والمهارة

و يظهر لنا انهُ قد أُزيل بهذا التلسكوب عائق كبير وهو تكبير البلورة حتى يصير قطرها مترين او اكثر فاستُغني عنها بمرآة السيدروستات اي بمرآة متحركة ينعكس النور عنها الى بلورة كبيرة . وعائق آخر وهو ثقل النظارة الكبيرة وطولها العظيم فان هذا الوضع الافقي لا يخشى معهُ من ثقل النظارة ولا من طولها . ولكن يبقى عائق كبير وهو تموُّج الهواء الذي يحول دون جلاء المرئيات

انقضاء المهدوية

يقول علماء الجيولوجيا ان الفواعل التي غيرت وجه الارض رفعت جبالها وخفضت وهادها اكثرها ضعيف الفعل بطيء السير وانما تعظم نتائجهُ باستمرارهِ ادهاراً كثيرة . ولكن بعضها يثور ثوراناً تميد بهِ كرة الارض فيفعل في ساعة ما لا يفعل غيرهُ في عام . وحوادث الكون تجري هذا المجرى فإمَّا ان تكون خفيفة بطيئة تستمرُّ قروناً كثيرة واما ان تكون قوية سريعة تفاجيء الخلائق مفاجأةً و يشتد فعلها و يعظم شأنها ثم تذهب سريعاً كما جاءت ويعفى اثرها . ومن هذا القبيل قيام دولة المهدوية في اواخر القرن التاسع عشر واضمحلالها في السنة التاسعة عشرة من قيامها

فقد ابنَّا في ما نقلناهُ عن كتاب سلاتين باشا (النار والسيف في السودان) ونشرناهُ في المجلد العشرين من المقتطف ان رجلاً من بلاد دنقلة اسمهُ محمد احمد قام سنة ١٨٨٠ وادَّعى انهُ المهدي المنتظر فذاعت دعوتهُ في بلاد السودان والتفَّ عليهِ كثيرون من اهلها إما تخلصاً من جور الحكام اوكرهاً لما أُجبروا عليهِ من إبطال الرق والنخاسة او اعتقاداً بصدق دعوتهِ فكتب الى جميع الاقطار السودانية يدعو الناس الى الجهاد وسمى اتباعهُ انصاراً وكانوا من الصعاليك المستضعفين واكثرهم عراة الابدان فاستخفَّت بهم جنود الحكومة المصرية ولم ترَ ما يرغبها في محاربتهم اذ لا غنيمة من ورائهم اما هم فكانوا على الضد من ذلك جياعاً عراة فكل جندي يقتلونهُ يجدون معهُ ما يسدُّ الرمق و يستر العري . وقد فصَّلنا في الجزء الخامس والسادس من المجلد العشرين كيفية انتصارهِ على رجال الحكومة المصرية في مواقع كثيرة الى ان خرجت بلاد السودان من يدها وخضعت لهُ

وقبل ان جاهر بدعوتهِ جاءهُ رجل اسمهُ عبد الله بن محمد التعايشي (من التعايشة قبيلة من قبائل البقارة) وانتظم في طريقتهِ وساعدهُ على نشر دعوتهِ . وكانت قبيلة عبد الله هذا من القبائل التي حاربت الزبير باشا حينما دخل دارفور فاخذهُ الزبير اسيراً وامر بقتلهِ ولكن تشفع اليهِ فيهِ بعض العلماء فاطلقهُ . و يقال انهُ جاء الزبير بعد إذٍ وقال لهُ حلمت انك المهدي المنتظر واني ساكون من اول انصارك فانكر عليهِ الزبير ذلك . ولا يبعد ان يكون هو الذي سوَّل الى محمد احمد الادعاء بالمهدوية . ومهما يكن من ذلك فان محمد احمد نجح في دعوتهِ وجعل عبد الله التعايشي خليفتهُ الاول وتوفي في اواسط سنة ١٨٨٥ وخلفهُ عبدالله هذا وكان داهية طاغية حريصاً على نفسهِ وملكهِ فاتم فتح السودان والتنكيل بالحاميات المصرية ففتح سنار وكسلا

ودنقلة وتمهّد لهُ ملك واسع لو عرف ان يسوسهُ بالعدل والحكمة لانشأ في السودان دولة قوية مثل اعظم الدول العربية ولكن جورهُ في سياستهِ الداخلية وجهلهُ في سياستهِ الخارجية اضعفاهُ واضعفا البلاد حتى كادا يخربانها ويقرضان اهلها فاقرَّت الحكومة المصرية والحكومة الانكليزية على استرجاع السودان منهُ وذلك سنة ١٨٩٦ ومن ثمَّ اخذ النصر يتبع النصر الى ان فتحت جنودها ام درمان عاصمتهُ في الثاني والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٩٨ واجهزت عليهِ في الرابع والعشرين من شهر نوفمبر الماضي

وكان حضرة وطسن بك ياور اللورد كتشنر سردار الجيش المصري اول من شاهدهُ قتيلاً في ساحة الوغى وقد شهد المعركتين الاخيرتين اللتين انقضت بهما المهدوية ووصفها وصفاً حسناً في كتاب كتبهُ الى والدهِ ظفرنا بصورة منهُ فاقتطفنا منهُ ما يلي قال

"وصلت مع ونجت باشا الى فشثوبة على ١٨٠ ميلاً من ام درمان جنوباً فوجدنا جنودنا مجتمعة هناك فسرنا بها في الحادي والعشرين من نوفمبر الساعة الرابعة بعد الظهر بعد ما حملنا الجمال ماء يكفينا ٣ ايام وزاداً يكفينا ٨ ايام وبعد مسيرة ساعة ونصف خرجنا من الادغال والحراج التي على ضفة النيل وحططنا الرحال وبتنا تلك الليلة حتى طلع القمر ثم سرنا وقوتنا مرتبة في شكل مربع وكنا نعلم ان احمد فضيل فرغ من غزواتهِ على النيل وانهُ عائد بالذرة التي نهبها من الاهالي قاصداً جديداً حيث الخليفة عبد الله التعايشي نازل برجالهِ . فجددنا في اثرهِ الى ان التقينا بهِ فوجدناهُ نازلاً في وسط اجمة ملتفة الاشجار متربصاً لقتالنا فرآنا رجالهُ واطلقوا علينا الرصاص فاصابوا ضابطاً من ضباط الهجانة برصاصة في راسهِ واصابوا عسكرياً برصاصة في رجلهِ ولكن اكثر رصاصهم مرَّ فوق رؤُوسنا وكانت الاشجار تحجبهم عنا فجعلنا نطلق مدافعنا وبنادقنا على معسكرهم فخرج مئتان منهم من بين الاشجار وحملوا علينا حملة منكرة وهجموا على مدافعنا حتى صاروا على ٩٠ متراً منها فالتقيناهم بنار حامية اكلتهم اكلاً ثم حملنا على المعسكر كالسيل الجارف فلم نبقِ ولم نذر وغنمنا الذرة الكثيرة التي كان احمد فضيل قد نهبها من الاهالي لكي يقتات بها الخليفة ورجالهُ في مسيرهم لشن الغارة على ام درمان. وقتل من الدراويش في هذه المعركة نحو ٣٠٠ نفس وجرح كثيرون منهم وقتل منا ثلثة وجرح سبعة وانهزم احمد فضيل فلم نظفر بهِ. واسترحنا الى ما قبل نصف الليل ثم سرنا الى الصباح قاصدين محلة جديد فصرنا على سبعة اميال منها واشتدَّ بنا الظمأ وطلبت الجنود الماء فوقفنا عن السير الساعة السابعة من صباح الثالث والعشرين من الشهر حتى شربت الجنود واستراحت نصف ساعة ثم استأنفنا السير وبعد قليل عادت الفرسان واخبرتنا ان الخليفة اخلى جديداً.

وارسلت شمس الضحى اشعتها على ظهورنا وكان الجو ساكناً لا تهبُّ فيهِ نسمة تبرّد غليلنا فانهك السير الرجال لكنهم صبروا صبر الابطال حتى وصلوا الى جديد نحو الساعة العاشرة صباحاً وقضوا بقية نهارهم في الراحة وتناول الطعام واستقاء الماء ثم باتوا مصطفين للقتال

وخرج اليوزباشي محمود افندي حسين في جماعة من فرسان العرب للاستطلاع ثم عاد الينا عصارى النهار قائلاً انهم وجدوا معسكر الخليفة في ام دبركي على ٧ اميال منا فاعتمد ونجت باشا على مهاجمتهِ سحر اليوم التالي

وبعد انتصاف الليل بنصف ساعة سرينا من مبيتنا وكانت الفرسان تسير امامنا والهجانة على جانبينا حسب العادة وبعد ما سرينا ميلاً دخلنا ارضاً كثيرة الاشجار ولكن لم يكن تحت اشجارها انجم فسرنا تحتها الهوينا وكان حاملو البلط يقطعونها كما سدّت سبيلنا . وبعد سرى ساعتين ونصف قربنا من معسكر العدو ولم يبقَ بينهُ وبيننا غير ميل ونصف وكانت طلائعنا قد وصلت اليهِ تقريباً وكنا نسمع طبولهُ تقرع . ولما ازفت الساعة الرابعة وقفنا واضطجعنا ننتظر الفجر وراء ارض ترتفع شيئاً فشيئاً وتكسوها الاعشاب والانجم واستبدلنا طلائع الفرسان بخفراء من المشاة وقضينا ساعة كذلك . ولما لاح ذنب السرحان رأينا الخفراء راجعين ثم أُمرنا بتقلد السلاح لان العدو مقبل علينا فالتفتنا واذا اشباح تلوح وراء الانجم امامنا ففتحنا عليها افواه المكسيم ولما اصبح الصبح جعلت المشاة تطلق البنادق وكان اكثر العدو لا يزال متوارياً وراء الارض المرتفعة وهو يجاوب المشاة بنار حامية الا ان رصاصهُ كان عالياً فعبر فوق رؤوسنا من غير ان يضرنا . وكانت الاجمة قريبة من ميسرتنا فرأينا رجالهُ يخرجون منها ليدوروا حول ميسرتنا ولكن دار بلوكان من الاورطة التاسعة للقائهم ونزل بلوك من الهجانة عن هجنهم ووقف عن يسارها فكان جناحنا الايسر كالبنيان المرصوص وعلى زاوية المربع هناك مدفعا مكسيم . وظل العدو يقاوي ميسرتنا عشر دقائق ولكن نيراننا الآكلة افنتهُ . ثم خطونا خطوات قليلة الى الامام فاشرفنا عليهِ واذا رجالهُ موسدو الثرى صفوفاً وراء صفوف على بعد ١٥٠ ذراعاً منا حيث قُتل حرس الخليفة ولم يسلم احد منهُ ووراءهُ اربعون او خمسون قتيلاً او جريحاً بعضهم حول بعض والخليفة عبد الله مكب على وجههِ بينهم. وكان بين القتلى غلام حي عمرهُ نحو ١٤ سنة فركض اليَّ وامسك بيدي ودلني على الخليفة قائلاً هذا هو الخليفة . هذا ابي . فامرت بنقل جثتهِ الى جانب وأقمت الحراس عليها وارسلت ساعياً الى ونجت باشا اخبرهُ باني وجدت الخليفة مقتولاً . وكان المقتولون حولهُ من اكابر امرائهِ مثل احمد فضيل ويونس الدكين وكثيرين غيرهما ووراءهم خيلهم واكثرها مقتول ايضاً. وكان مشهدهم رهيباً اثر فيَّ تأثيراً شديداً لا انساهُ

طول عمري . فانهُ مهما كان الخليفة وامراؤُه قد طغوا وبغوا وظلموا العباد في حياتهم لا يسع الانسان الاَّ الاعجاب بالشجاعة الفائقة التي لاقوا بها منيتهم .

على اني لم استطع الوقوف طويلاً امام ذلك المشهد لانهُ كان لا بدَّ لنا من الاسراع الى معسكر الخليفة على بعد ميلين منا فجددنا اليهِ المسير فوجدناهُ مملوءًا "بالجهادية" الذين قاتلونا في الواقعة ثم رجعوا القهقرى لما تقدمنا اليهم فلما رأَونا سلموا الينا كلهم . وكان هناك الوف من النساء والاطفال فحمدنا الله على بعدهم عنا وعدم وصول نيراننا اليهم . ووجدنا ايضاً اسلحة كثيرة من بنادق وغيرها . ولم تأزف الساعة السابعة من صباح ٢٤ نوفمبر حتى انتهى القتال ولم يفرَّ من امامنا احد لنطاردهُ الاَّ عثمان دقنه الذي ولَّى الادبار حالما ابتدأ نا باطلاق النار

وامرنا رجال الخليفة ان يدفنوهُ فدفنوهُ بمرأَى منا في المكان الذي قتل فيهِ . ثم علمنا ان احمد فضيل لما نجا من معركة ابي عادل عاد الى معسكر الخليفة في الساعة السادسة مساء ٢٢ نوفمبر واخبرهُ بانكسارهِ وبفقدهِ كل ما كان معهُ من الذرة والزاد فضاقت الارض بهِ واسودَّ الضياء في عينيهِ لانهُ بات بلا زادٍ ووراءهُ بلاد خربة او مفاوز لا ماء فيها وامامهُ جنودنا زاحفة عليهِ فبات حائرًا في امرهِ ثم جاءهُ فرسانهُ عصر اليوم التالي يخبرونهُ بوصولنا الى جديد فقال انا نقاتلهم حتى نقتلهم او يقتلونا فصبر وقاتلنا حتى ادركتهُ منيتهُ . وكانت خسارتنا طفيفة وهي ٦ قتلى ونحو ٣٠ جريحًا" انتهى باختصار

وجيء بالامراء من أسرى الدراويش وهم شيخ الدين ابنهُ ومحمد احمد ابن الخليفة علي ولدحلو ومحمود صاحب واقعة الاتبرة ومحمد الزين الذي أُخذ اسيرًا في ابي حمد وخاطر حميدان وفضل الحسنه وكلاهما من امراء احمد فضيل ويونس دكيم والي دنقلة وبربر . والختيم موسى امير الابيض جيء بهم مع نساء المهدي والخليفة واولادهما (وجملتهم ١٤٩ نفسًا) الى القاهرة مساء السابع والعشرين من دسمبر وسير بهم الى رشيد ووضعوا في التكنة العسكرية التي هناك وعينت لهم الحكومة ما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب وكساء مما اعتادوهُ في بلادهم

هذه خاتمة مُلك نشأَ بالمكر وشيد بالبغي والاستبداد وليس الغرابة في زوالهِ على هذه الصورة بل في بقائهِ الى الآن مع فساد اساسهِ وضعف بنيانهِ لكنَّ الذل اذا تمادى امات النفوس والجور اذا توالى ازهق الارواح ولله در المتنبي حيث قال

مَن يهُن يسهل الهوان عليهِ ما لجرح بميت ايلامُ

ولو لم تبادر الحكومة المصرية الى انقاذ بلاد السودان من مخالب المهدوية لاضمحلَّ مَن فيها او اضيفت الى مستعمرات الدول الاوربية

الاسكندر ذو القرنين

حصار صيداء وغزّة

لما انتهى الاسكندر من واقعة اسوس وغنم ما في دمشق من الاموال والنفائس سار في سواحل الشام قاصدًا القطر المصري فمرّ على جُبيل وصيداء فاستأمنتا اليهِ لاجئاً بهِ بل كرها للفرس فاقرّ ملكيهما عليها على جاري عادتهِ . وجاء صور سيدة مدائن المشرق ومالكة زمام بحر الروم فرضيت بالتسليم ثم علمت انهُ يريد ان يدخلها دخول الظافر ويعبد في هيكل معبودها ملكرت مدّعياً انهُ من سلالتهِ فانكرت عليهِ ذلك وقالت لهُ انها مستعدة ان تلبي كل طلب يطلبهُ منها غير هذا الطلب لان جنود الغرباء لم تدخلها قط

وكان الاشوريون قد حاصروها مرتين بين سنة ٧٠١ و٦٩٧ قبل المسيح وبين سنة ٦٧١ و٦٦٢ فعجزوا عن فتحها . وحاصرها نبوخذنصر ملك بابل ثلاث عشرة سنة من سنة ٥٨٥ الى سنة ٥٧٣ قبل المسيح ولم يستطع فتحها . وكانت مبنية على جزيرة صخرية محيطها نحو ميلين تبعد عن البر نحو نصف ميل وكان لاهلها السيادة على تجارة بحر الروم ومنهم تعلَّم اليونان الملاحة وبناء السفن وعنهم اخذوا حروف الهجاء ثم ناظروهم في بحر اجيا واضطروهم الى الابعاد بمتاجرهم فقصدوا صقلية واسبانيا وشمالي افريقية و بنوا فيها اوتيكا ولبتس وقرطاجنة . وبقيت صور عاصمة لهم كل مدة ازدهائهم بالقوة والغنى من سنة ١٢٠٠ الى سنة ٧٠٠ قبل المسيح كانها مدينة لندن في هذه الايام . وانحطَّ شأنها بعد ذلك قليلاً بما توالى عليها من الحروب وتفرق الكثيرين من ابنائها في سواحل اوربا وافريقية لكن بقي فيها من العظمة ما وصفهُ نبي اليهود حزقيال بقولهِ

" ايتها الساكنة عند مدخل البحر تاجرة الشعوب الى جزائر كثيرة هكذا قال السيد الرب يا صور انتِ قلتِ انا كاملة الجمال تخومكِ في قلب البحر بنآؤوك تمموا جمالكِ عملوا كل الواحكِ من سرو سنير اخذوا ارزًا من لبنان ليصنعوهُ لكِ سواري صنعوا من بلوط باشان مجاذيفكِ . صنعوا مقاعدكِ من عاج مطعَّم في البقس من جزائر كتيم (قبرص) . كتَّان مطرَّز من مصر شراعكِ ليكون لكِ راية . الاسمانجوني والارجوان من جزائر اليشة كانا غطاءكِ . اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيكِ حكماؤكِ الذين كانوا فيكِ هم ربابينك شيوخ جُبيل وحكماؤها كانوا فيكِ قلافوكِ ترشيش تاجرتك بكثرة كل غنى بالفضَّة والحديد والقصدير والرصاص اقاموا اسواقكِ . ياوان وتوبال وماشك هم تجاركِ بنفوس الناس وبآنية النحاس اقاموا تجارتك .

ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك بنو ددان تجارك ادُّوا هديتك من العاج والابنوس . آرام تاجرتك بالبهرمان والارجوان والمطرَّز والبوص والمرجان والياقوت"
و بعد ان عدَّد ممالك المشرق والمغرب التي كانت تتجر مع صور وذكر انواع متاجرها وانبأ بما سيحل بصور من الخراب والدمار قال ان هؤلاء الامم يبكون عليك بحرارة نفس نحيباً مرّاً ويرثونك ويقولون اية مدينة كصور كالمسكتة في قلب البحر

وقد كتب حزقيال ذلك في عهد نبوخذنصَّر ملك بابل لما كان محاصرًا لصور فتمت نبوَّتهُ في عهد الاسكندر لانهُ فتحها عنوةً ثم تمَّ خرابها بانشائهِ مدينة الاسكندرية وتحويل التجارة اليها . الأَّ ان نبوخذنصَّر لم يرتد عنها حتى صالح اهلها على ان يعترفوا بسيادتهِ العامَّة ثم لما خلفت مملكةُ فارس مملكةَ بابل انتقلت السيادة على صور للفرس وكانت سفنها تعاون الفرس في ابقاء سيادتهم على بحر الروم وقد استفادت صور من ذلك لانها صارت حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب فصارت القوافل ترد من بابل واشور على سواحل الشام فتنقل سفن صور بضائعها الى ممالك اوربا وافريقية

ورأى الاسكندر ان امامهُ واحدًا من امرين اما ان يحاصر صور ويفتحها عنوةً وهذا امر عجز عنهُ الملوك قبلهُ وقد لا يفلح هو فيهِ او ان يتركها وراءهُ فيبقى لاساطيل الفرس مرفأ تقيم فيهِ وملجأ تلجأُ اليهِ . ولكنهُ اذا فتحها قضى على اساطيل الفرس وصارت قبرص في يدهِ وسهل عليهِ فتح مصر واصبح بحر الروم للمكدونيين وثبطت عزائم خصومهِ في بلاد اليونان ويستطيع حينئذٍ ان يضرب في قلب اسيا حتى مدينة بابل . فرأى من الحزم مواقعة صور مهما كلَّفهُ فتحها من العناء

وكانت صور مبنية على جزيرة تبعد عن البر نحو نصف ميل كما تقدم والبحر بينها وبين البر عميق مما يليها يبلغ عمقهُ ثلاث قامات او اكثر ولم يكن عند الاسكندر سفن ليحاربها بها فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يصلها بالبر لكي يستطيع الوصول اليها . ويقال انهُ ملأَ فقة بالتراب ورماها في البحر فاقتدى بهِ رجالهُ وجعلوا يقطعون الاشجار من لبنان ويغرسونها اوتادًا في البحر ويرمون بينها التراب والحجارة وهدموا المدينة التي على البر والقوا انقاضها في البحر وظلوا على ذلك يوماً بعد يوم الى ان اقتربوا من اسوار المدينة وصاروا بحيث تصل اليهم المقذوفات منها ومن السفن الراسية حولها فجعل الصوريون يرمونهم بالسهام والحجارة ويمنعونهم عن العمل . ورأى الاسكندر ان لا بدَّ لهُ من وقاية رجالهِ فبنى ابراجاً من الخشب جعلها طبقات وملأَها بالمقاتلة وغطاها بجلود الثيران ووضع فيها المناجيق والجلاهق ودفعها الى طرف الرصيف لكي تشغل من في

السفن فجاء الصوريون بسفينة كبيرة ملأُوها قضبانًا وعيدانًا خلطوها بالزفت والكبريت ونصبوا عليها ساريتين طويلتين كقائمتي الميزان علقوا بهما مرجلين كبيرين ملأُوهما زيتًا وزفتًا ودفعوا السفينة الى قرب الرصيف ووضعوا الاثقال في موَّخرها فارتفع مقدمها واضرموا فيها النار وادارو السارتين المعترضتين وصبوا ما في المرجلين على الابراج فاحرقوها وكل ما حولها واتلفوا في ساعة عمل اشهر وخرَّبوا الرصيف فعبثت بهِ الامواج وفرَّقت اخشابهُ وحجارتهُ

ولم يكن الاسكندر ليوهن الفشل همتهُ ولكنهُ كان اذا حبطت مساعيهِ في امرجاءهُ بعزم امضى وهمة اقوى فامر ان يوسَّع الرصيف لكي يسع جمهورًا كبيرًا من العمال والمقاتلة وترك المهندسين يفعلون ذلك وركب هو الى صيداء لكي يأتي منها بالسفن حاسبًا انهُ لا يستطيع فتح صور ما لم ينازلها في البرّ والبحر معًا

وكان الربيع قد استهل واخذت سفن الفينيقيين تعود الى مواطنها فاقبلت عليهِ سفن ارواد وجبيل وصيداء وهي المدن الثلاث التي حالفتهُ حال دخولهِ الشام وتبعتها عشر سفن من رودس وثلاث من صقلية وعشر من ليسيا وجاء على اثرها مئة وعشرون سفينة من قبرص وكان ملك قبرص قد بلغهُ ما نالهُ الاسكندر من الفوز العظيم فانحاز اليهِ والناس مع الغالب. فرأى الاسكندر حولهُ نحو مئتين وخمسين سفينة تنتظر كلمة منهُ فامرها ان تستعد لمحاصرة سيدة البحار ومناجزتها . واوغل هو في جبال لبنان فاطاعهُ اهلها وملاَّوهُ ولما عاد الى صيداء وجد ان كليندر احد قوَّادهِ قد عاد باربعة آلاف من المسترزقة وكان قد انفذهُ الى بلاد اليونان لهذهِ الغاية . فقام من صيداء باسطول كبير وبلغ صور بعد ساعات قليلة ورأى اهالي صور هذه السفن من رؤُوس ابراجهم فارتاعوا لانهُ لم يخطر لهم قط ان ملك قبرص يمالئ الاسكندر عليهم لكنهم اظهروا الجلد واخفوا الكمد وصفُّوا القوارب في مدخل المرفإِ الذي امام مدينتهم فصار دخولهُ ضربًا من المحال ولذلك اضطرت السفن القادمة مع الاسكندر ان تنقسم قسمين وتتفرق على جانبي المدينة شمالاً وجنوبًا وترسو بقرب الرصيف

ودعا الاسكندر المهندسين من كل فينيقية وقبرص ليساعدوهُ في عمل آلات الحصار ووسَّع الرصيف وسهَّل على العمَّال الجري فيهِ لان السفن كانت تحميهم حتى كادوا يبلغون اسوار المدينة وكان ارتفاع هذه الاسوار خمسين مترًا وفوقها ابراج فخيمة تناطح السحاب وكلها مبنية بحجارة منحوتة بنيانًا وثيقًا جدًّا وعليها الوف المقاتلة والآت الحرب لقذف الحجارة الكبيرة والكرات النارية والسهام المحدَّدة. ونصب رجالهُ الكباش الكبيرة على طرف الرصيف مما يلي الاسوار وجعلوا يضربونها بها ووضعوا الدبابات والدراجات في السفن وحاولوا دفعها الى اصل الاسوار

لينقبوها بها لكن الصوريين رموا حجارة كبيرة بجانبها منعت السفن من الدنو منها فصنع رجال الاسكندر مناشل كبيرة لينتشلوا الحجارة بها و يسهلوا على السفن الدنو من الاسوار فنزل الصوريون في سفن مغشاة بالجلود الصفيقة ودنوا من سفن الاسكندر وقطعوا حبالها فعبثت بها الرياح والامواج فاقتدى بهم المكدونيون وغشوا بعض السفن بالجلود ووضعوها امام المناشل وعادوا ينتشلون بها الحجارة فغاص الصوريون في البحر وقطعوا حبالها . فصنع المكدونيون لها سلاسل من الحديد ربطوها بها وظلوا ينتشلون الحجارة من قرب الاسوار حتى صاروا يستطيعون الدنو منها واعمال آلاتهم في نقبها . وكان اهل المدينة يبذلون الجهد في دفعهم عنها وهم ينتظرون المدد من قرطاجنة و يرقبون البحر يوماً بعد يوم واخيراً بان لهم شراع سفينة فيها



جزيرة صور والرصيف الذي صار براً

ثلاثون رجلاً من وفد القرطاجنيين جاؤوا لتقديم الضحايا في هيكل ملكرت على جاري عادتهم. فتقلص ظل الرجاء من نفوس الصوريين وايقنوا ان لا نصير لهم الا ذراعهم وما يمكن ان يستنبطوهُ من الحيل والتدابير

وكان لصور مرفآن كما ترى في هذه الصورة المرفأ الصيدوني الى جهة الشمال والمرفأ المصري الى جهة الجنوب وكانت سفنها مقسومة في المرفأين ولا تستطيع ان تغادرهما وتجتمع معاً الا تحت الخطر الشديد فانتظرت حتى نزل القبارصة من سفنهم ذات يوم وصعدوا الى البر في طلب الماء فخرجت ثلاث عشرة سفينة من المرفإ الشمالي وسارت الهوينا وهي مشحونة بالمقاتلة من نخبة الصوريين الى ان بلغت سفن القبارصة وكان اكثرها فارغاً من البحارة كما تقدم فجعلت تقطع

مراسيها وتغرقها او تدفعها في عرض البحر وكان بعض البحارة في السفن وعاد الذين نزلوا الى البرّ وانتشب القتال بينهم وبين الصوريين وبلغ الاسكندر ذلك فبادر الى السفن التي في الجهة الجنوبية وسار بها حول المدينة لكي يأخذ الصوريين من ورائهم والتفت الصوريون ورأوه مقبلاً عليهم فاسرعوا الى مرفإهم فرارًا منهُ اما هو فادركهم قبل ان يدخلوا المرفأ ونشب القتال بينهُ وبينهم فكان الفوز لهُ فاسر سفينتين من سفنهم وغرّق سفناً أخرى وجرى ذلك كلهُ في ساعة من الزمان . وهذه هي المعركة البحرية الوحيدة التي حارب فيها

ولما رأى رجالهُ ان اسطول صور صار يخشى صولتهم زادوا جرأةً لكن اسوار المدينة كانت منيعة وثيقة البنيان من الجهة الشرقية فلم تفعل بها الكباش وكذلك من الجهة الشمالية الشرقية غير انهم وجدوا في الجهة الجنوبية بقرب المرفإ المصري جانباً ضعيفاً من السور فجمعوا قوتهم عليهِ ورموهُ بالكباش نهارًا وليلاً الى ان ثغروهُ ودخلوا منهُ فدرى بهم الصوريون وقتلوا بعض الداخلين وردوا البعض الآخر على اعقابهم وسدّوا الثغرة حالاً ولما علم الاسكندر ان تلك البقعة اوهن من غيرها انتظر الى ان سكن هياج البحر واستعد بالهجوم على المدينة من كل جهاتها لكي يشغل اهاليها وركّب الكباش على تلك البقعة التي ثغرها اولاً ووضع امامها سفينتين كبيرتين مشحونتين بالمقاتلة وكان هو بينهم فثغرت الكباش السور ثانيةً وللحال هجم الرجال الذين في السفينتين ودخلوا المدينة والسيوف في ايديهم ونزلوا على اهلها كالقضاء المبرم فقابلهم الصوريون بقلوب من جلمد وعزائم من حديد واشتبك القتال بين الفريقين وقتل اول قائد دخل المدينة من رجال الاسكندر فاستقتل رجالهُ للاخذ بثارهِ ولما رأوا الاسكندر بينهم قويت عزائمهم وخارت عزائم الصوريين لان هيبتهُ كانت قد تمكنت من قلوب الامم . وكانت سفن الاسكندر قد هاجمت المدينة من كل جهاتها في ذلك الوقت عينهِ لكي تشغل المحاصرين وبادرتهم برشق السهام والحجارة والنفط واقتحمت المرفأين ودخلت الشمالي منهما ونزل الجنود منها الى المدينة والتقوا بالجنود الذين دخلوا ثغرة السور واعملوا السيف في السكان فهربوا من وجوههم ولجأوا الى هيكل معبودهم اجنور

قال اريانوس المؤرخ يصف ما حدث حينئذٍ "لما رأى الصوريون عدوهم قد استولى على اسوار مدينتهم لجأوا الى حرم اجنور وصدوا المكدونيين فهجم عليهم الاسكندر بجنودهِ وقتل الذين وقفوا في طريقهِ وتبع الذين هربوا منهُ وفعل الذين دخلوا من المرفإ فعلهُ ولم يعفُ المكدونيون عن احد لانهم كانوا مغتاظين من طول مدة الحصار ولانّ الصوريين امسكوا رجالاً منهم وهم آتون من صيداء وصعدوا بهم الى اعلى اسوارهم وذبحوهم على مرأًى من اخوتهم ورموا

اشلاءهم في البحر. فقتل من الصوريين نحو ثمانية آلاف ولم يقتل من المكدونيين سوى عشرين رجلاً والقائد ادميتوس الذي قتل اولاً وقتل منهم في كل مدة الحصار نحو اربع مئة" وروى فلوطرطس ان الاسكندر لم يكن يحسب انهُ يفتح المدينة في اليوم الذي فتحها فيهِ ولا ان فتحها يكون سهلاً كما كان ولكن ارستندر الكاهن ضحى ضحيَّة في ذلك اليوم ونظر في احشائها وقال ان المدينة تفتح في ذلك الشهر فضحك الجنود من قولهِ لانهم كانوا في اليوم الاخير من الشهر وكان الاسكندر قد امر بالهجوم على المدينة في ذلك اليوم فلما سمع قول الكاهن امر ان يزاد الشهر يوماً وان يكون الهجوم عاماً على المدينة لكي يحقق نبوَّة الكاهن ففتحها على ما تقدم

والظاهر ان كثيرين من اهالي صور هجروها لما قنطوا من نجاتها فقد روى ديودورس المؤرخ ان اكثر من نصفهم هاجر الى قرطاجنة ومع ذلك اسر رجال الاسكندر من الشيوخ والنساء والاولاد ثلاثة عشر الفاً وقال اريانوس انهم اسروا ثلاثين الفاً وباعوهم عبيداً وقتلوا الفين من الجنود. وكان السكان قبل الحصار نحو مئة الف نفس وكانت مدة الحصار سبعة اشهر

ولجأ ملك صور وقضاتها ووفد قرطاجنة الى هيكل ملكرت فعفا الاسكندر عنهم ودخل الهيكل وضحى فيهِ الضحايا وكرَّس لهُ الكبش الذي ثغر بهِ السور وقال ان هذا المعبود هو هرقل نفسهُ صديق اليونانيين والمكدونيين. وهذا كان شأنهُ كلما دخل بلاداً عبد معبوداتها مع اهلها لكي يتسلط عليهم ديناً ودنيا

ولما كان الاسكندر يحاصر صور بعث اليهِ داريوس ملك فارس يعرض عليهِ ان يتخلى لهُ عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليهِ عشرة آلاف وزنة ويزوجهُ بابنتهِ ويكون حليفاً لهُ ولا يطلب منهُ بدل ذلك كلهِ الاَّ ان يرد اليهِ امهُ وزوجتهُ واولادهُ. وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قوادهِ فقال لهُ بارمنيون كبير قوادهِ لو كنت انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلب فقال لهُ الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لفعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر فجوابي الآن هو جوابي الاول. ولما وصل هذا الجواب الى داريوس رأى ان لاسبيل الى مصالحة الاسكندر فاخذ يتأهب لقتالهِ

وظلَّ الاسكندر سائراً في طريق الساحل فسلمت لهُ المدن كلها ما عدا غزَّة وهي على مئة وخمسين ميلاً من صور وتبعد عن شاطىء البحر ميلين وكان فيها حامية من مسترزقة العرب وكثير من الزاد استعداداً للحصار. وقد بنيت على عدوة من الارض يحيط بها سور ارتفاعهُ عشرون متراً فيتعذر وصول آلات الحصار اليها ولذلك قال المهندسون والقواد للاسكندر ان فتحها عنوةً ضرب من المحال. اما هو فلم يكن يحسب شيئاً مستحيلاً ولذلك اخذ من ساعتهِ في اقامة

تل كبير ازاء الجانب الجنوبي من المدينة حيث بانت اسوارها على اضعفها وجعل عرض التل من اسفله اربع مئة متر وعلوه اكثر من ثمانين مترًا لكي يضع عليهِ آلات الحصار ويهدم بها الاسوار. واصيب بسهم في حصار هذه المدينة خرق ترسهُ ودرعهُ وكتفهُ ولكن أجلهُ لم يكن قد حان فشفي منهُ حالاً . ودام الحصار شهرين وقتل المحاصرون كلهم في الدفاع عن مدينتهم وبيع نساؤهم واولادهم عبيدًا

وذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان الاسكندر صعد الى اورشليم بعد ما فتح غزة فخاف يدوس الحبر الاعظم لما بلغهُ ذلك لان الاسكندر كان قد كتب اليهِ يستنجدهُ وهو يحاصر صور فردَّ اليهِ الجواب انهُ في طاعة داريوس ولا يستطيع ان يخونهُ ما دامت البلاد لهُ. فامر الشعب ان يتضرعوا الى الله لينقذهم من المكدونيين فقال لهُ الله في حلم ان يتشجع ويزيّن المدينة ويفتح ابوابها ويأمر سكانها بلبس الثياب البيضاء ويخرج هو والكهنة بلباس الكهنوت فلا ينالهم شر. فلما استيقظ من نومهِ قصَّ على الشعب ما حلم بهِ وفعل حسبما امرهُ الله . ولما دنا الاسكندر من اورشليم خرج للقائهِ هو والكهنة وجمهور غفير من السكان حتى بلغوا المكان المسمى الصفا فلما رآهم الاسكندر عن بعد وهم بالثياب البيضاء والكهنة بلباس الكهنوت ورئيسهم بحلة من الارجوان والذهب وتاجهُ على راسهِ وعليهِ صفيحة من الذهب فيها اسم الله دنا منهُ بنفسهِ وحيّا اسم الجلالة ورئيس الكهنة واجتمع اليهود حولهُ يحيونهُ. وصعد ملوك سورية مع الاسكندر فلما رأوا منهُ ذلك حسبوا انهُ اصيب بدخل في عقلهِ ودنا منهُ القائد بارمنيون وسألهُ قائلاً ما حدث حتى تسجد لرئيس كهنة اليهود مع ان الناس كلهم يسجدون لك فقال اني لم اسجد لهُ بل للاله الذي جعلهُ رئيساً لكهنتهِ لانني رأيت هذا الرجل في حلم لابساً هذه الاثواب عينها لما كنت في مكدونية وكنت افكر كيف استولي على اسيا فحضني على الاسراع اليها وقال انهُ يقود جنودي و يملكني ممالك الفرس ولم ارَ احدًا قبل الآن لابساً مثل هذه الثياب والآن رأيت هذا الرجل لابساً اياها فانا واثق بصدق الرؤيا التي رأيتها و بان جنودي تسير بالارشاد الالهي واني سأغلب داريوس واستأصل مملكتهُ ويتم كل شيء على حسب ما هو راسخ في ذهني. ولما قال ذلك اعطى يمينهُ لرئيس الكهنة ودخل معهُ المدينة وصعد الى الهيكل وقرَّب الذبائح لله حسب ارشاد رئيس الكهنة . واروهُ سفر دانيال حيث قيل ان واحدًا من اليونان يخرب مملكة الفرس فسرَّ بذلك حاسباً انهُ الشخص المعني . وصرف الجمع ذلك اليوم ثم دعاهم في اليوم التالي وسألهم عما يطلبون منهُ فطلب منهُ رئيس الكهنة ان يسمح لهم بالجري على سنن آبائهم وان يعفيهم من دفع الجزية كل سنة سابعة . فاجابهُ الى ما

طلب . وطلبوا منهُ ايضاً ان يسمح لليهود الذين في بابل ومادي ليسيروا حسب سننهم فوعدهم بذلك . ثم عرض عليهم ان يتجندوا في جيشهِ ويكونوا احراراً في السير على سننهم فانتظم كثيرون منهم في خدمتهِ

وذكر يوسيفوس ايضاً قدوم السامريين على الاسكندر وطلبهم منهُ ما طلبهُ اليهود ووعد الاسكندر لهم بالنظر في طلبهم بعد عودتهِ من غزوة بلاد فارس

ولم يذكر احد من كاتبي سيرة الاسكندر ومؤرخي اعمالهِ هذه القصة ولا ذكروا اليهود بكلمة . ومن راي الاستاذ هوبلر ان القصة موضوعة وضعها اليهود الاحناف (هلني) اي الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون ولم يذكر ابن الاثير كلمة عن ذلك كلهِ واورد ابن خلدون ذلك في بضعة اسطر قال "وزحف الاسكندر على بلاد الشام واستولى عليها وفتح بيت المقدس وقرَّب فيهِ القربان وامتعض اهل فارس لانتزاعهِ اياها من ملكهم فزحف اليهِ دارا في ستين الفاً من الفرس ولقيهُ الاسكندر في ستمائة الف من قومهِ فغلبهم وفتح كثيراً من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيهُ عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس ومضى وبنى الاسكندرية" وذكر في مكان آخر من تاريخهِ ان الاسكندر "فتح سواحل الشام وسار الى بيت المقدس لانها من طاعة دارا وخاف الكهنة من وصولهِ اليهم ورأى في بعض تمثال رجلاً وقال انا رجل أُرسلت لمعونتك ونهاهُ عن اذية اليهود واوصاهُ بامتثال اشارتهم فلما وصل الى البيت لقيهُ الكوهن فبالغ في تعظيمهِ ودخل معهُ الى الهيكل وبارك عليهِ ورغب اليهِ الاسكندر ان يضع هناك تمثالهُ من الذهب ليذكر بهِ فقال هذا حرام ولكن تصرف همتك في مصالح الكهنة والمصلين ويُجعل لك من الذكر دعاؤهم لك وان يسمّى كل مولود لبني اسرائيل في هذه السنة بالاسكندر فرضي الاسكندر وحمل لهم المال واجزل عطية الكوهن وسألهُ ان يستخير الله في حرب دارا فقال لهُ امضِ والله مظفرك وقصَّ عليهِ الاسكندر رؤيا رآها فاولها لهُ بانهُ يظفر بدارا ثم انصرف الاسكندر وسار في نواحي بيت المقدس ومرَّ بنابلس ولقيهُ سنبلاط السامري وكان اهل المقدس اخرجوهُ عنهم فاضافهُ واهدى لهُ اموالاً وامتعة واستأذنهُ في بناء هيكل في طول بريد فاذن لهُ"

واطال صاحب الكتاب العربي المنسوب الى يوسف بن كريون في وصف الاسكندر

وصعوده الى بيت المقدس وقال انهُ لما صار في بعض الطريق رأى رجلاً لابساً ثياباً بيضاً وبيده سيف يلمع مثل البرق الخاطف نخاف الاسكندر وعلم انهُ ملاك مرسل من الله عزَّ وجلَّ فسقط على سريره وسجد وقال يا سيدي لماذا تقتل عبدك فقال لهُ لانك تريد ان تمضي الى المقدس لتهلك كهنة الله وامتهُ . فقال لهُ الاسكندر يا سيدي اغفر لعبدك فقد اخطأت وان كنتَ لا تشاء ان اسير في طريقي هذه فانا اعود الى بلادي. فقال لهُ الملاك اذ قد اعترفتَ وتنصلتَ من جريمتك فقد صفحتُ عنك فامضِ في طريقك واذا وصلت الى بيت المقدس ورأيت رجلاً لابساً ثياباً بيضاً كمنظري وصورتي فانزل عن دابتك وخرَّ لهُ ساجداً وافعل جميع ما يأمرك بهِ ولا تخالفهُ فان انت خالفتهُ هلكت ". واتمَّ الكاتب القصَّة على نحو ما ذكرها ابن خلدون. والظاهر ان ابن خلدون نقل عن هذا المؤلف لا عن يوسيفوس نفسهِ. و بمثل هذا الخبط والايجاز كتب مؤرخو العرب تاريخ اعظم ملك من ملوك الارض

ادراك الحيوان الاعجم

كتب القس اغرتن ينغ مقالة في هذا الموضوع في مجلة العلم العام الاميركية ذكر فيها من نوادر الكلاب ما يقضي بالعجب العجاب ويدلُّ على ان بعضها يفوق البعض الآخر في قوة الادراك والاستدلال حتى يقارب الانسان . قال انهُ اقام في البلاد التي على خليج هدصن شمالي اميركا الشماليَّة حيث يشتدُّ البرد والزمهرير وتجلد المياه اكثر شهور السنة واضطرَّ ان يقتني كثيرًا من الكلاب لان الناس يستخدمونها هناك لجر مركباتهم وحمل امتعتهم ولا دابة غيرها تقوم مقامها او تعيش في تلك الاصقاع الباردة . وكان اذا ادركهُ الليل وهو مسافر يحفر وجرًا في الثلج وينام فيهِ ملتفًّا بالفراء وتنام الكلاب معهُ فيولان الثلج يكون ادفأ من الهواء كثيرًا اذ تكون حرارة الهواء بين الدرجة الثلاثين والستين تحت الصفر واما الثلج فحرارتهُ عند الصفر . واذا ضلَّ دليلهُ فالكلاب لا تضلُّ بل تسير الى المكان المطلوب كانها تعرف كل مداخل البلاد ومخارجها

والكلاب التي ذكر نوادرها ليست من الكلاب العادية بل هي منتقاة وموصلة فان بين الكلاب فرقاً شاسعاً كما بين طوائف الناس فمنها النبيه ومنها الخامل ومنها الذكي ومنها البليد وكان عندهُ كلب وكلبة من اذكاها وكان الكلب من كلاب سنت برنارد المشهورة وهو اسود اللون كبير الجسم يبلغ ثقلهُ مئتي ليبرة (نحو قنطارين) والكلبة من كلاب الارض الجديدة

وهي سوداء الشعر ايضاً جعدته . واقتنى كلاباً اخرى من نوعها بدل الكلاب التي يستخدمها الاسكيمو وغيرهم من سكان تلك البلاد فلم يقلَّ عددها كلها كباراً وصغاراً عن عشرين الى ثلاثين كلباً لانهُ كان مضطرًا ان يكثر الجولان وكانت الكلاب تجرُّ المركبات التي يجول فيها . ولم يكن ينفق شيئاً على طعامها لان البحيرات والانهار مملوءة بالسمك فتصيده وتأكله وهوطعامها الوحيد . وكان الكلبان اللذان اشرنا اليهما آنفاً مطلقين يدخلان غرف البيت كأنهما من سكانهِ . قال وكانت الابواب تقفل بمزالج مما يفتح بضغط الابهام فارشدناهما الى كيفية فتحها فصارا يفتحانها كما نفتحها نحن لكنهما كانا يختلفان اذا كان الباب يفتح نحو الداخل فان الكلب كان يفتحه كيفما كانت جهة فتحهِ واما الكلبة فلم تكن تستطيع فتحهُ اذا كان يفتح الى جهتها فاذا كانت في غرفة وارادت الخروج منها حاولت فتحهُ اولاً فاذا انفتح بسهولة خرجت منهُ واذا لم ينفتح بل كان مقفلاً بالمزلاج عادت الى الكلب وجرتهُ باذنهِ فيفهم مرادها ويقوم الى الباب يفتحهُ لها

وكان هذان الكلبان يحبان الاغتسال بالماء فاذا دخل الصيف وذاب الجليد عن الماء جعلا ينزلان الى بحيرة بجانب البيت ويغتسلان فيها وكان الكلب يغتسل و يصعد من الماء حالاً واما الكلبة فتقيم فيهِ مدة طويلة لانها من كلاب الارض الجديدة المعتادة الاقامة في الماء. وكان على جانب من البحيرة صخور مرتفعة وعلى جانب آخر رمال منبسطة فكان الكلب يصعد على الرمال اولاً وينتفض ثم يصعد على صخر يشرف على البحيرة ويأخذ ينبح رفيقتهُ فتدنو من الصخر وتحاول الصعود عليهِ ولكنها تعجز عن ذلك فيمدُّ رأسهُ ويمسكها بعنقها و يساعدها على الصعود واذا لم يستطع ذلك ذهب الى مكان فيهِ عيدان ومجاذيف قديمة واختار منها خشبة طويلة وامسكها بفيهِ واتى بها اليها ومدَّها لها حتى تمسك بها بفيها فيجرُّها جرًّا و يصعدها من الماء ولو كان الصخر قائماً كالجدار واذا دعوناهُ الينا قبل ان يصعدها مضت الى الشاطىء الرملي وصعدت منهُ

وكان هذا الكلب يكره الهنود سكان تلك البلاد ويمنعهم من ان يمسكوا شيئاً من امتعتنا ويفعل كل ما يغيظهم الى ان نأمرهُ بالكف عنهُ فيكف

واستخدمنا فتاة من هؤلاء الهنود مرةً فحاول اغاظتها على جاري عادتهِ لكنها لم تكترث لهُ ولا كانت تخاف منهُ كما يخاف غيرها بل كانت تزجرهُ كما تزجر اصغر الكلاب فاغتاظ منها ولكنهُ لم يستطع ان يلحق بها ضررًا . وكانت حينما دخلت في خدمتنا لا تعبأ بنظافة المطبخ فوعدتها زوجتي بزيادة راتبها اذا هي اهتمت بنظافتهِ فجعلت تغسلهُ وتنظفهُ بكل جهدها ورأى

الكلب ذلك فقال هي فرصة للاخذ بالثار منها وجعل يدوس في الوحل ويأتي ويمشي في المطبخ بعد غسلهِ او يغتسل في البحيرة ويسرع الى المطبخ وينتفض فيهِ . واذا رآها تستعد لغسلهِ ربض فيهِ وتظاهر انهُ نائم ولم ينهض مهما بذلت من الجهد. وخطر لها مرةً ان تنهضهُ بالحيلة فخرجت من المطبخ وتظاهرت بانها تطرح الطعام لسائر الكلاب فنهض وخرج فدخلت هي حالاً واوصدت الباب وراءها بالقفل فحاول فتحهُ بالمزلاج ولما لم يستطع مضى الى مكان الحطب واتى منهُ بعود كبير وجعل يضرب بهِ الباب حتى خافت ان يكسرهُ ففتحتهُ لهُ فدخل والعود في فيهِ فوضعهُ في صندوق الوقود كأَنهُ اتى بهِ لهذه الغاية لا لفتح الباب ولم يعد يلتفت الى اغرائها لهُ بالخروج. ولما رأَت ذلك ضاقت بها الحيل فاتت اليَّ والدموع ملء عينيها واخبرتني بصنعهِ فقلت لابني الصغير وعمرهُ اربع سنوات اذهب واخبر هذا الكلب الخبيث ان مكانهُ ليس في المطبخ وانهُ يجب ان لا يدخلهُ بعد الآن . وكان قد سمع قصة الخادمة وكان الكلب اطوع لهُ من بنانهِ فمضى اليهِ مع الخادمة وسرنا وراءها لنرى ماذا يفعل بالكلب فرأيناهُ دخل اليهِ وامسك باذنهِ وخاطبهُ كما يخاطب رجلاً عاقلاً وامرهُ ان يخرج من المطبخ ولا يدخلهُ بعد ذلك فاطاعهُ وخرج معهُ فقادهُ الى المكتبة واعاد توبيخهُ لهُ هناك ايضاً

ولم يكن هذا الكلب يأتي بالحطب الى المطبخ بل كان الخدم المنود ياتون بهِ فجلبهُ لهُ اول مرة وقرعهُ الباب بهِ ثم وضعهُ في صندوق الوقود كانهُ اتى بهِ لهذه الغاية مع انهُ اتى بهِ ليقرع الباب كل ذلك يدل على ذكاءٍ شديد ومهارة في الاحتيال

وذكر الكاتب قصصاً اخرى من هذا القبيل وقال ان الكلاب كلها كانت اذا اشتدَّ البرد وتقرَّحت ارجلها من المشي على الجليد تدخل البيت وتنام على ظهورها وترفع خفافها لمن يضع لها احذية الفراء التي كنا نحذوها بها. وكانت اذا قمنا عند الفجر لنربطها بالمركبات يذهب الابيض منها و يربض بين كوم الثلج ويذهب الاسود الى ظلال الانجم و يربض فيها حتى لا نرى هذا ولا ذاك. واذا تعبت وهي تجرُّ الاثقال صاعدةً في مكان مرتفع تظاهرت كأَن حملها ثقيل جدًّا ولو لم يكن ثقيلاً . وقال انهُ وجدها تختلف كثيرًا في قابليتها للتعلُّم فبعضها كان يتعلم من غير ضرب ولا زجر وبعضها لا يتعلم ما لم يزجر او يضرب وكلها يسهل قيادها اذا عوملت بالحسنى

وقد اورد الكاتب ما اورد ردًّا على عالم اميركي جرَّب بعض التجارب في العجماوات فرأى انها لا تدرك شيئًا ولا تستعمل حيلة فكان رد الكاتب ان ليس كل العجماوات على حدٍّ سوى من هذا القبيل ولو كانت من نوع واحد واورد النوادر التي مرَّ ذكرها دليلاً على قولهِ

الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود

رأى العلماء والفضلاء منذ قرون كثيرة ان الناس كلهم من نوع واحد ولو اختلفت ألوانهم وتنوّعت اشكالهم . وحاول البعض نزع الوهم القديم الراسخ في النفوس وهو ان السود ليسوا من جبلة البيض وحرّموا استعبادهم واهتموا بتعليمهم وتهذيبهم فتعلم بعضهم وتهذّب وقد شاهدنا منهم الخطباء والوعّاظ ورأينا البيض يصغون اليهم غير ملتفتين الى سواد بشرتهم. لكنّ هذا الاهتمام لم يرقِّ السود جملةً كما رقّى افرادًا منهم فلا يزال جمهورهم دون البيض بمراحل كثيرة حتى في البلاد التي اطلقت لهم الحرية التامة وساوت بينهم وبين البيض في الحقوق . ولن يرتقوا الاّ اذا سعوا هم في سبيل الارتقاء فان السعي نفسهُ يقوّي الهمم و يشحذ الاذهان و يهذب الاخلاق واما الاعتماد على الغير فلا ينتج عنهُ غير ضعف العزيمة والرضى بخفض العيش

والظاهر ان السود القاطنين في اميركا الشمالية ادرك بعضهم هذه الحقيقة وهم يسعون الآن في ما يرفع شأنهم وقد استتبّ لواحد منهم اسمهُ بوكر وشنتون ان انشأ مدرسة كبيرة للعلوم والصنائع يتعلم فيها الآن الف تلميذ من السود وكل اساتذتها منهم وهو رئيس لها. ولد عبدًا قبلما نشبت حرب الحرية في اميركا وسئل عن تاريخ ميلادهِ فقال لا اعلم ولكنني اتذكر ان المرحومة والدتي كانت تنحني فوق الخرق التي كانت تلفني بها وتضرّع الى الله لكي ينصر الرئيس لنكان حتى تتحرَّر . وقال ايضًا انهُ كان مرّةً في الغيط مع سائر العبيد فقيل لهم ان يأتوا الى البيت فاتوا واجتمع خلق كثير منهم رجالاً ونساء واولادًا ووقف واحد في شرفة وقرأ ورقة ثم صرخوا جميعهم قائلين الحمد لله الحمد لله . قال وكنت صغيرًا جدًّا فلم افهم ما قرىء ولكن امي انحنت اليّ وقالت في اذني قد حرّرونا

ولما ترعرع مضى الى مناجم الفحم الحجري مع اخوتهِ وكان يعمل معهم ثم رأى واحدًا من رفاقهِ يقرأ في جريدة وقد اجتمع حولهُ جمهور من السود يصغون اليهِ فاعجب بهِ وتحسر على من يعلمهُ القراءة مثلهُ

ودخل في خدمة امرأة فاضلة ورأت رغبتهُ في تعلم القراءة فجعلت تعلمهُ في دقائق الفراغ من الخدمة . وسمع يومًا ان الجنرال ارمسترنغ انشأ مدرسة في مدينة اسمها همتون يتعلم فيها اولاد السود ويعملون فيكتسبون ما يقوم بنفقات تعليمهم . قال ولما سمعت ذلك عزمت على الذهاب الى هذه المدرسة ولم يكن معي شيء من النقود ولا كنت اعرف الطريق اليها

فقمت من ساعتي وجعلت استدل على الطريق واستعطي او اعمل لكي اكتسب ما اسدّ بهِ الرمق فاذا اكتسبت فوق ذلك دفعت اجرة سكة الحديد والاَّ مضيت ماشيًا وبلغت مدينة رتشمند ليلاً ولم يكن معي شيء من النقود ورأيت الواحًا مبسوطة في شارع وتحتها حفرة فانتظرت حتى انقطعت رجل السابلة من ذلك المكان ودخلتُ تحت الالواح ونمت تلك الليلة والحسن بختي وجدت عملاً في اليوم التالي في تفريغ شحن سفينة ودام هذا العمل عدة ايام وكنت آتي كل ليلة وانام تحت تلك الالواح فوفّرت من اجرتي ما دفعت منهُ اجرة سفري الى همتن وبقي معي نصف ريال "

ولما وصل الى المدرسة ورأى اساتذتها حالتهُ الزرية اعطوهُ مكنسة وبعثوهُ الى غرفةٍ وامروهُ ان يكنسها فكنسها اربع مرات متوالية ولما رأوا منهُ ذلك قبلوهُ في مدرستهم . قال وهذا كان الامتحان العلمي الذي امتحنوني بهِ فدخلت المدرسة ورأيت فيها وفي مدينة همتن من اسباب التعليم والتهذيب ووسائل النجاح والفلاح ما ايقظ كل قوى نفسي وجعلني اشعر باني مولود لاكون انسانًا لا لاكون من بعض المقتنيات وعزمتُ ان امضي الى الولايات الجنوبية التي يقيم فيها السود حالما تتمّ دروسي وابذل جهدي في انشاء شيء لقومي يستفيدون منهُ كما استفدتُ انا من مدرسة همتن . ولما اتيح لي ذلك مضيت الى بلد تسكجي في ولاية الاباما وجمعت ثلاثين ولدًا كنت اعلمهم في كوخ صغير ولم يكن لهذه المدرسة ما قيمتهُ ريال واحد من العقار لكن الرغبة في السعي والسعي في الكسب خوّلاني انشاء مدرسة كبيرة للعلوم والصنائع فيها الآن ثمانٍ وثلاثون دارًا والف تلميذ

وكثيرًا ما يسألني البعض عن الغرض من جمع المال لهذه المدرسة فاجيب ان في الولايات الجنوبية الاميركية عشرة ملايين من السود ابناء جنسي وهم يحتاجون الى المأكل والمشرب والمأوى ويحتاجون ايضًا الى التعليم والتهذيب والى تربية الاخلاق التي تتخلّق بها الشعوب المرتقية ولا يسهل الوصول الى هؤلاء الملايين الاَّ بان نرسل اليهم اناسًا من نخبة الرجال والنساء المتعلمين المتهذبين الذين تدرَّبت عقولهم على الشغل وايديهم على العمل وقلوبهم على الشفقة فيسكنوا بينهم ويعلموهم ويهذبوهم . والغرض من المدرسة التي انشأتها انما هو اعداد هؤلاء الرجال والنساء لهذا العمل العظيم

قال المستر ترشر الذي نقلنا عنهُ هذه الحقائق لما اتيت تسكجي اول مرة مررت في ولاية جيورجيا وكان معي في القطار رجل يستدلّ من كلامهِ على انهُ كان قائدًا في جيش الولايات المتحدة وقت حرب الحرية فسألني عن الجهة التي انا ذاهب اليها فقلت لهُ اني ذاهب الى تسكجي

لاحضر موتمر السود فقال " اظنك تقابل بوكر وشنطون هناك . لقد اهتدى هذا الرجل الى السبيل الذي يفيد بهِ ابناء جلدته فانهُ يعلّم السود العمل ويا حبذا لوكان في الولايات الجنوبية الف رجل مثلهُ " ثم علمت بعد ذلك ان الرجل الذي كان يكلمني من اكبر اصحاب الثروة في تلك البلاد

وفي اليوم التالي بعد المؤتمر قابلني رجل من السود وقال لي أَلستَ انت فلانًا اوَ لم تكن في معرض شيكاغو فقلت نعم ومن انت فقال ألا تذكر انك رأيتني في المعرض اعمل في المكان الفلاني فقلت نعم اني اتذكرك الآن وما اتى بك الى هنا فقال ذهبت في السنة التالية الى معرض اتلنتا وسمعت المستر وشنتون هناك يتكلم عن مدرستهِ التي يتعلّم فيها اولاد السود





المستر بوكر وشنطون وزوجتهُ

الصنائع وانا في صناعتي نجار ولكنني لا اعرف حرفة النجارة فاتيت الى هنا لكي اتعلمها وقد كدت اتقنها الآن ومتى اتقنتها سهل عليَّ الكسب

قال الكاتب ولما اردت العودة من تسكجي دخلت مركبة البريد لاضع كتابًا فيها وكان على غلافهِ اسم مدرسة تسكجي فلما رآهُ كاتب البريد قال لي " ان بوكر وشنطون رئيس هذه المدرسة رجل عجيب فاني لم ارهُ قط ولكني اعلم انهُ يُعلِّم الناس العمل " وكنت كيفما التفتُّ ارى الشهادات تتكرَّر على نفع العمل الذي قام بهِ هذا الرجل . واي عمل انفع من ان تعلّم الرجال والنساء مبادئ العلوم والفنون وتجعلهم يقرنون العلم بالعمل ولا تضطرهم الى دفع درهم بل تكسبهم من عملهم ما يقوم بنفقاتهم ونفقات تعليمهم

قلنا ان في مدرسة تسكجي ثمانيًا وثلاثين دارًا الثلاث الاولى منها وهي اصغرها بُنيت قبلما دخلها التلامذة والخمس والثلاثون الباقية بناها التلامذة انفسهم فهم كانوا يصنعون الاجرّ (الطوب المشوي) ويشوونهُ بارشاد معلمين ماهرين في هذه الصناعة ولم يكتفوا بعمل الاجر اللازم لهذه المباني بل عملوا كثيرًا منهُ وباعوهُ للغير . وقد وصف المستر وشنطون هذا كيفية اقدامهِ على قرن العلم بالعمل في محفل حافل قال

" بعد ان مضى عليَّ مدة في تسكجي رأيتُ كأنَّ تعبي ضائع سدًى لانني كنتُ اقتصر على تعليم الطلبة ما في الكتب من غير ان اعلمهم كيف يعتنون بانفسهم وبمن لهم . ثم وقعت عيني على ارض قرب تسكجي ووددت ان اشتريها ولم يكن معي ثمنها فقرضني واحد مئة ريال اشتريتها بها ونقلت المدرسة اليها وكنت اعلّم التلامذة جانبًا من النهار واخرج معهم في الجانب الآخر منهُ نقطع الاشجار من تلك الارض ونمهدها ولما عملنا الاجر لم اكن اعلم كيف يُشوَى ولم يكن معي ما ادفعهُ اجرة لصانع ماهر في شيءٍ فأخذت ساعتي ورهنتها على نقود استأجرت بها الصانع فعلّمنا كيفية شيهِ ولم استفكّ هذه الساعة حتى الآن مع اننا بنينا ثمانية وثلاثين بناء كبيرًا بما تعلمناهُ منها "

والتلامذة في هذه المدرسة او المدارس يتعلمون عمل الاجر والبناء والنجارة على اختلاف فروعها. وفيها الآن معامل كبيرة مجهزة بكل ما يلزم لها من الآلات والادوات واكثر ما فيها من مكاتب وكراسي واسرّة صنعهُ التلامذة انفسهم في هذه المعامل وصنعوا ايضًا مركبات النقل على انواعها . والبناء دائم هناك حتى يكون للتلامذة عمل يعملونهُ وقد بنوا كنيسة كبيرة في العام الماضي تسع الف نفس رسمها واحد من الاساتذة وهو مدرّس المباني الهندسية ورسم اطنافها واحد من التلامذة ومقاعدها تلميذ آخر. والتلامذة هم الذين وضعوا الحديد على سقفها ووضعوا فيها آلة بخارية لتدفئتها وآلة كهربائية لانارتها

وتعلم التلامذة تصليح الآلات على انواعها ولا سيما الآلات الزراعية وفي المدرسة معمل كبير لذلك وهم يصلحون فيهِ آلات كثيرة لاهالي البلاد المجاورة. ويتعلمون ايضًا الحدادة والطباعة والخياطة والتصوير. ويتعلم البنات الاعمال الخاصَّة بالنساء كالطبخ والغسل والخياطة وعمل البرانيط ويتعلَّم بعضهن تمريض المرضى . ومن اهم ما يتعلمهُ التلامذة ويمارسونهُ علم الفلاحة وكل الاساليب العلمية المتبعة الآن حيث صارت الزراعة على ارقاها . واساتذتهم من امهر الاساتذة في هذا الفن وعندهم كثير من البقر الحلوبة وهم يستخرجون الزبدة من لبنها ويصنعون منهُ الجبن

ذكر المستر وشنطون حادثة جرت لاحد تلامذتهِ قال اعلن اصحاب معمل من معامل

الزبدة انهم يحتاجون الى مدير لعملهم وكان في مدرستنا شاب اتقن استخراج الزبدة واتمَّ دروسه في المدرسة فمضى الى هذا المعمل وعرض نفسه على اصحابهِ فلما نظروا اليهِ قالوا لهُ لا يمكننا ان نستخدم رجلاً اسود فقال لهم انني لم آتكم لتستخدموا لوني بل معارفي فجربوني واحكموا . فنظروا في الامر قليلاً ثم قالوا لهُ ابقَ عندنا اسبوعين ولكن يجب ان تعلم من الآن اننا لا نريد ان نستخدم رجلاً اسود . فاقام عندهم الاسبوع الاول ولما عُرضت زبدتهم في السوق دُفع في الرطل منها ثمن يزيد نصف غرش على ما كان يُدفَع عادة فاستغربوا ذلك وقالوا لنرَ ما يكون في الاسبوع الثاني فلما عرضوا زبدتهُ للبيع دُفع في الرطل منها ربع غرش زيادة عمَّا دُفع في زبدة الاسبوع الاول فسروا بهذا الربح واقروا الرجل في منصبهِ ولو كان اسود فاحماً

والمؤتمر المشار اليهِ آنفاً أُنشئَ في تسكجي منذ عشر سنوات انشأهُ المستر وشنطون للسود لكي يتذاكروا فيهِ بما يعود عليهم بالنفع وحضرهُ اوَّل سنة نحو عشرين رجلاً لكنهم رأوا من فائدتهِ ما ضاعف رغبتهم فيهِ فصار عدد الحضور الآن الفين رجالاً ونساء وهم ليسوا من العلماء ولا كلهم من الذين يعرفون القراءة والكتابة لأن اكثرهم كانوا عبيداً وقت حرب الحرية حتى ان واحداً منهم وقف مرةً وقال ان ذلك اليوم (يوم اجتماع المؤتمر) هو اليوم الوحيد الذي دخل فيهِ المدرسة

اما المواضيع التي يبحثون فيها فمَّا يتعلَّق بهم خاصةً ويتوقف عليهِ نجاحهم او فشلهم مثل الاقتصار على زرع القطن ورهن الغلة قبل جنيها والاكتفاء باستئجار الاطيان وقلة الاهتمام بابتياعها وما في ذلك كلهِ من الخسارة عليهم ومثل الضرر الناتج عن الاسراف والزينة الباطلة وابتياع ما ليس بهم حاجة اليهِ ونحو ذلك من المواضيع . ويرئس المستر وشنطون اجتماعاتهم ويديرها بحكمة ومهارة حتى لا تضيع دقيقة من الوقت سدًى ولا يبقى هذا المؤتمر الأ يوماً واحداً

قال الكاتب وقد رأيت في احد هذه الاجتماعات امراً يستحق ان يكتب بالتبر في صفحات الايام رأيت امرأةً خلاسيَّةً وقفت في الجمع واستأذنت في الكلام وقالت " اخبرنا الاخ وشنطون في العام الماضي ان الانسان الواحد يستطيع ان يقوت عائلة من ثلاثة افدنة من الارض وشرح لنا كيفية ذلك وقال انهُ ميسور للمرأة كما هو ميسور للرجل فعزمت ان امتحن قولهُ واستأجرت ثلاثة افدنة واستأجرت ايضاً من حرثها لي ووقفت على يدهِ حتى رأيت الارض حُرثت حرثاً عميقاً جداً كما يجب ان تحرث وسمدتها وزرعتها " . ثم وصفت طريقة الاعتناء بزرعها وذكرت النفقات التي انفقتها ومقدار الغلة التي استغلتها منها وقالت " ان الغلة كفتني وكفت عائلتي سنة كما قال فثبت قولهُ بالامتحان " . فصفق لها الحضور طويلاً وهي واقفة لا تبدي

علامةً من علامات الشكر لهم ثم رفعت يدها واشارت يمنة و يسرة فصمتوا كلهم فقالت " اني لاعجب منكم كيف تضيعون دقيقة من هذا اليوم الوحيد في ما لا طائل تحتهُ وانتم تعلمون ان شعباً كبيرًا على شفا جرف هار "

و بمثل ذلك تنقضي هذه المؤتمرات و يرجع الحضور وقد استفادوا منها فوائد جمَّة . و يرى القارئ لاول وهلة ان ليس غرضنا من كتابة هذه السطور مدح رجل من زنوج اميركا بل ذكر مثال من الامثلة العديدة التي يبين منها ما يستطيعهُ المرء اذا كان من رجال الهمَّة والاقدام ولو كان صفر اليدين . والاستدلال على ان رجلاً واحدًا قد يأخذ على نفسهِ ترقية امة كبيرة فيفلح في غرضهِ اذا كان من ابناء تلك الامة اكثر مما يفلح مئات مثلهُ اذا لم يكونوا منها. فان الوفًا من الاميركيين البيض بذلوا اقصى الجهد في تعليم سكانها السود وتهذيبهم فلم يفلحوا عشر ما افلح هذا الرجل . وامثال ذلك كثيرة في الهند واليابان وكل البلدان التي سعى فضلاء الاوربيين والاميركيين في نشر العلوم والفنون فيها فانهم حيث استطاعوا ان ينهضوا همم الوطنيين ليصلحوا شؤُونهم بانفسهم كان فوزهم عظيماً وحيث بقي الوطنيون يعتمدون عليهم لم ينتج عن سعيهم غير فوائد قليلة محصورة في بعض الذين تعلموا منهم. ولا يفيد الامم الأسعي ابنائها كما لا يفيد المرء الأسعيهُ لنفسهِ " ومن كان اسعى كان بالمجد اجدرا "



التلغراف الاثيري

يعلم القرَّاء الكرام ان ارسال الاشارات التلغرافية من مكان الى آخر ليس بينهما اسلاك معدنية صار الآن ممكناً وكثر استعمالهُ اذا كانت المسافة بين المكانين ثلاثين ميلاً او اربعين بل قد صار ممكناً ولو كانت المسافة مئة ميل . وقد ذكرنا تاريخ هذا الاستنباط البديع وتدرُّجهُ في مراقي الكمال من باب خبري ومرادنا الآن ان نشرحهُ شرحاً علمياً بسيطاً مبينين الحقائق التي بُني عليها

ومن الغريب انا وقفنا ساعة زمانية نبحث عن كلمة عربيَّة او معرَّبة نجعلها عنوانًا لهذه المقالة فان المعاني التي نريد التعبير عنها مرسومة كلها امامنا ولكننا لم نجد اسماً متصرفاً نسمي بهِ هذا الاسلوب الجديد من التلغراف . وقد سمَّيناهُ في ما مضى تلغرافاً من غير سلك وتلغراف مركوني والتلغراف الاثيري حسبما سمَّاهُ الافرنج ولكن هذه الاسماء الثلاثة لا يسهل تصريفها

في العربيَّة كما يسهل في الانكليزية والفرنسوية واخيرًا اخترنا لهُ كلمة التلغراف الاثيري لانها ادلُّ على المعنى المراد اذ ان الامواج الكهربائية تنتقل فيهِ بالاثير من مكان الى آخر وهي اصلح من كلمة تلغراف مركوني لان مركوني ليس المستنبط الوحيد لهذا التلغراف بل هو لم يستنبط الا جزءا صغيرًا منهُ . واصلح ايضًا من كلمة التلغراف من غير سلك لان في آلتهِ اسلاكًا كثيرة ولو لم تكن متصلة بين المكانين اللذين يكون التخاطب بينهما . ثم ان الاثير الذي يملأُ الفضاء هو الموصل للامواج الكهربائية فتكون دلالة اللفظ على المعنى حقيقيةً

وقد علم القراء مما اوردناهُ في المقتطف مرارًا ان كثيرين من علماء الطبيعة حاولوا نقل الاشارات الكهربائية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنيَّة منذ نيف وعشر سنوات ولكن لم يفلح احد منهم في نقلها مسافة تزيد على عشرة اميال حتى قال السر وليم بريس الكهربائي الشهير انهُ يتعذَّر نقلها اكثر من ذلك او يستحيل. على ان الاستاذ مركوني الايطالي نقلها الآن مسافة مئة وعشرة اميال برًّا ومسافة ثمانين ميلاً بحرًا لا لانهُ اكتشف حقائق جديدة لم تكن معروفة قبلاً بل لانهُ استخدم الحقائق المعروفة على اسلوب جديد واضاف اليها حيلة ميكانيكيَّة بديعة كما سيجيء . فان كل احد من الذين يستعملون التلفون الكهربائي يعلم انهُ قد يخاطب زيدًا فيسمع مع كلامهِ كلام عمرو وهو يخاطب غيرهُ لا لان تلفونهُ يكون متصلاً بتلفون عمرو بل لان الكهربائية الجارية على السلك المتصل بتلفون عمرو تؤَثر بالسلك المتصل بتلفونهِ فيسمع كلام عمرو ايضًا مع كلام زيد الذي يخاطبهُ . اي انهُ اذا جرت الكهربائية على سلك معدني اثرت في ما يجاورهُ من الاسلاك المعدنية

وغنيٌّ عن البيان ان هذا التأثير قليل محدود ولولا ذلك لوجب ان نسمع بالتلفون الواحد كلام كل الناس الذين يتخاطبون بتلفونات اخرى وليس الحال كذلك لان الكهربائية تموُّجات في الاثير مثل كل القوى الطبيعية فيضعف فعلها بالبعد عن مصدرها كما يضعف فعل الحرارة بالبعد عن مصدرها وفعل النور بالبعد عن مصدرهِ فاذا كانت الكهربائية الجارية على السلك ب تؤَثر في السلك د تأثيرًا معلومًا لم تؤَثر الا عشرهُ في السلك ج او لم تؤَثر فيهِ ابدًا لبعدهِ عن السلك ب.

واول من انتبه الى تأثير الاسلاك المكهربة في غيرها فراداي الكهربائي وذلك سنة ١٨٣٢

ثم ان القوة الكهربائية تجمع وتتكاثف بواسطة لف الاسلاك المعدنية بعضها على بعض كما تجمع اشعة النور والحرارة بواسطة المرايا المقعَّرة. غير ان الكهربائية تختلف عن النور والحرارة في ان فعلها لا يكون الا حال الوصل والفصل فاذا كان المجرى الكهربائي مارًّا متصلاً

على سلك لم تؤثر كهربائيتهُ في سلك آخر. وعلى هذا المبدإ صُنعت لفائف الحدَّة التي تتكاثف فيها الكهربائية حتى يصير الشرر يتطاير منها كوميض البرق. فانها جامعة لتكاثف الكهربائية وتقطّع مجراها

وقد بيَّن هرتس الكهربائي الشهير منذ عهد قريب انهُ اذا اتَّصلت اللفة الداخلية من لفائف الحدَّة بمفتاح مثل مفتاح التلغراف المعروف وكان في طرفي اللفَّة الخارجية كرتان من المعدن فكلما ضُرِب على المفتاح حتى اتصل المجرى الكهربائي المار على اللفة الداخلية ظهر بين تينك الكرتين شرارة كهربائية قوية تموّج الاثير الذي حولها كانها الحجر يُرمى به في راكد الماء فتصاغ فيهِ دوائر تنتشر الى كل جهاتهِ. وقد سُميت هذه التموّجات تموجات هرتس نسبةً اليهِ لانهُ اكتشفها وقاسها واثبت انها سريعة جدًّا

بقي ان تُستنبَط آلة تتأثر بهذه التموّجات وهي منتشرة في الفضاء حتى يستدلُّ بها على حركات المفتاح الكهربائي المتقدم ذكرهُ. لانهُ اذا ضُرِب على المفتاح كما يضرب عليهِ عادة في تلغراف مورس ضربات قصيرة وطويلة تدلُّ على حروف الهجاء فالآلة التي تتأثر بهذه التموجات تدلُّ على ضربات هذا المفتاح فتدل على حروف الهجاء ايضًا ويتم بها التخاطب بينها وبين من يضرب بالمفتاح على اسهل سبيل. وقد استنبط الاستاذ كلزكي اونستي الايطالي هذه الآلة وحسَّنها برانلي ولودج وغيرهما واتمَّها مركوني. واجزاؤُها الجوهرية انبوب صغير من الزجاج يسمَّى الجامع طولهُ نحو اربعة سنتمترات وفيهِ قطعتان من الفضة البعد بينهما نحو نصف مليمتر وهذه الفسحة مملوءة ببرادة النكل والفضة وقليل من الزئبق والقطعتان متصلتان من طرفيهما الآخرين بسلكي بطرية محلية. وبرادة النكل والفضة تفصل المجرى الكهربائي الجاري من هذه البطرية ولكن اذا فعلت بها تموجات هرتس المشار اليها آنفًا اجتمعت دقائقها بعضها مع بعض وصارت موصلاً للكهربائية فتتمُّ دائرة البطرية المحلية وتبقى البرادة مجتمعة بعضها مع بعض الى ان تهزَّ فتنفصل وتعود الى مقاومتها الاولى للمجرى الكهربائي كما كانت وينقطع المجرى. فاذا كان في القاهرة مثلاً لفَّة كبيرة من لفائف الحدَّة وفي طنطا لفة اخرى وآلة من آلات مركوني وكان في اللفة التي في القاهرة مفتاح كهربائي كمفتاح التلغراف يتصل بهِ المجرى الكهربائي وينفصل وضربنا عليهِ حتى اتَّصل المجرى الكهربائي وظهرت الشرارة الكهربائية بين الكرتين تموَّج بها الاثير المنتشر في الفضاء وبلغ تموجهُ مدينة طنطا واثَّر ببرادة الفضة والنكل التي في جامع آلة مركوني فجمعها معًا وجعلها موصلاً للكهربائية وهناك بطرية محلية يمرُّ مجراها الكهربائي على هذا الجامع فيتصل ويؤثر بمغنطيس كهربائي لهُ حافظة كمفتاح التلغراف فيها راقم وتحتها ورقة فيضرب المفتاح على الورقة ويؤثر فيها اثرًا قصيرًا او طويلاً حسب ضرب المفتاح في القاهرة وفي الوقت نفسهِ

يمرُّ المجرى الكهربائي من هذه البطرية على مغنطيس آخر كهربائي فيحرّك مطرقة صغيرة تضرب الجامع فتفرق دقائق البرادة التي فيهِ فينقطع المجرى الكهربائي الذي كان مارًّا فيهِ ثم تأتيهِ تموجات هرتس ثانية فتجمع دقائق البرادة وتعيدها الى ايصال الكهربائية المحلية. وبجانب البطرية المحلية مدد يمدها بقوة بطرية أُخرى لكي تقوى على تحريك المفتاح الراقم والمطرقة من استنباط مركوني ولولاها ما امكن استعمال هذه الآلة وهو الذي نصب السلك العمودي وحسب النسبة بين علوهِ والبعد الذي يراد ايصال تموجات هرتس اليهِ

ومزية هذا التلغراف انهُ يستعمل حيث يتعذَّر مد الاسلاك المعدنية كما بين السفن البحرية وبين مكانين يفصل بينهما عدو محارب

عاقبة البغي

بقلم كنن دويل الكاتب الانكليزي

[رأينا من اقبال القراء الكرام على مطالعة القصة التي ترجمناها عن المستر رديرد كبلنغ الكاتب الشهير ما حملنا على ترجمة قصص مثلها عن مشاهير الكتّاب. ولا ينتظر ان يكون في هذه القصص فوائد علمية كما في مقالات المقتطف ونبذهِ لانهُ قد يكون في المقالة او في النبذة الواحدة من الاخبار العلمية او الزراعية ما تزيد فائدتهُ على فائدة قصة تملأ مئة صفحة ولو كانت مكتوبة بقلم امهر كتّاب العصر. ولكن لهذه القصص فوائد أُخرى ادبية وفكاهية ولاسيما اذا شُرحت فيها اخلاق الناس واطوارهم فيستفيد منها المطالع خبرةً فوق ما يجدهُ فيها من الفكاهة والارتياح ولذلك يقبل عليها القراء في كل مكان ويكتسب كتّابها اضعاف ما يكتسبهُ كتّاب المقالات العلمية

وقد اخترنا لهذا الجزء رواية من موضوعات كُنَن دويل الكاتب الانكليزي المعدود في الطبقة الاولى بين الكتّاب لحسن اسلوبهِ في الاختراع وهو من الذين يُدفَع لهم في المقالة الواحدة مئات من الجنيهات . قال راوياً عن لسان رجل اسمهُ مرشل كنغ]

من نكد الدنيا على الحرّ ان يكون من قوم ذوي وجاهة وهو صفر اليدين لا مال لهُ ولا هو يعرف صناعة يكتسب منها . فان ابي وهو من اهل التوكّل كان يعتمد على اخيهِ الاكبر اللورد سذرتُن لانهُ كان عزباً وافر الثروة فظنَّ انهُ يعتني بي ولا يدعني احتاج الى الاكتساب بيدي لاسيما واني كنت وحيداً . وكان واثقاً ان عمي هذا يوليني منصباً من مناصب الحكومة التي لم يزل الوجهاء مثلنا محتكرين لها. لكن ابي توفي كهلاً قبلما رأى فساد ظنهِ

فان عمي لم يكترث لي ورجال الدولة لم يلتفتوا اليَّ ولم يكن شيءٌ يذكرني باني وارث لبيت كبير واملاك واسعة الأ ما كان يصلني احياناً من هدايا الاحجال والارانب . ولم يكن لي عمل اعمل فيهِ سوى صيد القماري واللعب بالكرة والصولجان (بولو) . ومرَّت الايام وانا استدين من هذا ومن ذاك الى ان رأيت المرابين قد ملُّوا لاسيما وانهم رأوا ان املاك عائلتنا غير موصى بها لي فأُسقط في يدي وضاقت الدنيا في وجهي . ومما كان يزيد كربي ان كل ذوي قرباي كانوا على ثروة طائلة واقربهم اليَّ ابن عمي وابوهُ اصغر من ابي فانهُ اقام في بلاد برازيل مدة جمع فيها غنًى وافرًا وعاد الآن الى بلادهِ من اهل اليسار ولا نعلم كيف جمع هذه الثروة وغاية ما علمناهُ انها طائلة لانهُ اشترى ابعدية كبيرة فيها قصر فاخر . ومضت السنة الاولى بعد رجوعهِ الى انكلترا وهو لا يلتفت اليَّ ثم جاءني منهُ كتاب في الصيف الماضي يدعوني بهِ الى زيارتهِ في ابعديتهِ ففُرّج عني لانني كنت انتظر ان يقوم المرابون عليَّ ويشهروا افلاسي فقلت في نفسي اذا استطعتُ ان استرضي ابن عمي هذا واستلف منهُ ما استعين بهِ على امري سهل عليَّ الانتظار الى ان يموت عمي او يقضي الله امرًا . وكنت احسب انهُ يفعل ذلك عن طيب نفس اقتداءً لاسم العائلة فامرت خادمي ان يضع ثيابي في صندوق السفر ولما بلغت محطة سكة الحديد التي بقرب ابعديتهِ لم اجد فيها مركبةً في انتظاري كما كنت اتوقع فاستأجرت مركبة وجدتها هناك وقلتُ للسائق ان يمضي بي الى ابعدية افررد كنغ (وهو اسم ابن عمي) فسار بي واخذ يحدثني في الطريق عن فضائل هذا الرجل ومساعدتهِ للجمعيات الخيرية وسماحهِ للناس بالتنزه في حديقتهِ وايلامهِ الولائم لتلامذة المدرسة وعلَّل ذلك بقولهِ انهُ يفعل ما يفعلهُ كل مَن يرشح نفسهُ لمجلس النواب

والتفتُّ الى عمود التلغراف وانا سائر فرأيت عليهِ طائرًا غريب المنظر بديع البرقشة لم ارَ مثلهُ قبلاً فقال لي السائق انهُ من طيور الرجل الذي انت ذاهب اليهِ فانهُ مغرَم بتربية الحيوانات البرية يأتي بها من البلدان الشاسعة فتدجن عندهُ وقد جلب معهُ من برازيل كثيرًا من الطيور والوحوش واطلقها في حديقتهِ . ولما دخلنا الحديقة رأيت فيها ما يؤيد قول السائق رأيت غزلانًا مرقطة وخنازير برية وانواعًا من الصفارية والشقراق . ولما دنونا من البيت رأيت ابن عمي واقفًا امام بابهِ كأنهُ رآني مقبلاً فعرف من انا . وهو كهل بدين قصير القامة لوَّحتهُ الشمس وغضَّنت وجههُ وكان لابسًا لباسًا ابيض ساذجًا وعلى رأسهِ برنيطة كبيرة من الخوص كأنهُ احد الفلاحين فكان منظرهُ غريبًا امام ذلك القصر الفخيم

ولما دنوتُ منهُ التفتَ الى زوجتهِ وقال لها هوذا ضيفنا يا عزيزتي ثم قال اهلاً وسهلاً بابن

عمي لقد اوليتنا الفخر بتشريفك . فرأيت من انسهِ ومجاملتهِ فوق ما كنت انتظر لكن زوجته قابلتني بوجه عبوس وهي طويلة القامة نحيفة القد ولم تخرج لمقابلتي الأ بعد ان دعاها زوجها . واظنها اسبانية الاصل لكنها تحسن الانكليزية فعذرتها لانني حسبتها تجهل عاداتنا . ولم تخفَ عليَّ حينئذٍ ولا بعد حين انها استاءت من مجيئي اليهم ولم يظهر ذلك من كلامها بل من منظر وجهها وعينيها لكنَّ ديوني كانت قد اثقلت عاتقي وكنت عازماً ان استعين بزوجها رضيت اولم ترضَ ولذلك اغضيتُ عمَّا بدا لي من نفورها والتفتُّ الى ترحيب زوجها واكرامهِ فانهُ بذل كل ما في وسعهِ لارضائي فاعدَّ لي غرفةً من اجمل غرف القصر وطلب مني ان اخبره عن كل ما يزيد في راحتي ومسرَّتي وكدتُ ابوح لهُ بما في ضميري لكنني لم ارَ من اللياقة ان افعل ذلك حينئذٍ فارجأتهُ الى فرصة أُخرى. ثم جلسنا على المائدة وكان الطعام من افخر ما اكلتُ في حياتي واتونا بالتبغ بعد الطعام وهو من تبغ هافانا المشهور ثم بالقهوة وبنُّها من املاكهِ في برازيل فحقق لي الخُبرُ ما سمعتهُ عن كرمهِ بالخبر

وقمنا في الصباح وجلسنا على مائدة الفطور فقابلتني زوجتهُ بما قابلتني بهِ بالامس من الاشمئزاز ثم خرج زوجها من الغرفة لامر ما فقالت لي ان القطار الذي يقوم من هنا الظهر هو احسن القطرات فقلت لها اني غير عازم على الذهاب اليوم . فقالت على خاطرك . ونظرت اليَّ نظر الغيظ . فقلت لها "لو اراد المستر كنغ ان امضي من هنا لما اخفى عليَّ ذلك". وكأنهُ سمع بعض ما دار بيننا من الكلام فقال ما هذا ودخل الغرفة مغضباً وقال لي هلمَّ معي فلما خرجت من الغرفة اغلق الباب ورائي وسمعتهُ يكلم زوجتهُ بصوت منخفض . وكنت اكرهُ التنصُّت فسرت في طريقي ثم سمعتُ وقع الخطى ورائي فالتفتُّ واذا زوجتهُ تبعتني والدموع ملء عينيها وهي شاحبة الوجه فقالت لي قد طلب مني زوجي ان اعتذر اليك واطرقت بنظرها الى الارض فقلت . هذا حسبي فلا تزيدي . فرفعت عينيها اليَّ وقالت ما احنك . ثم دارت ومضت . فوقفتُ مبهوتاً لاني لم اعتد مثل هذه الاهانة وهذا الجفاء ولكنَّ زوجها ادركني حالاً وبشَّ في وجهي وقال لي عسى ان تكون قد اعتذرتْ اليك عما فرط منها فقلت نعم فوضع يدهُ تحت ابطي وقال انك اذا قصرت زيارتك ساعة واحدة تسوءني جداً . ولماذا اخفي عليك ولا خفي بين الاقارب انها لا تطيق ان ترى احدًا عندي وهو نوع من الجنون والجنون فنون فعدني بانك تطرح ذلك من بالك ولا تلتفت اليهِ فقلت اني افعل . فقال اذًا اشعل هذا السيكار وتعال معي لاريك اقفاص الحيوانات

وقضينا ذلك الصباح وهو يأخذني من مكان الى آخر ويريني ما عندهُ من الضواري والكواسر

والزحافات حتى الحشرات ثم مضى بي في سرداب طويل الى ان وصلنا الى باب من قضبان الحديد الغليظة . وقال لي ستري هنا جوهرتي واثمن ما عندي من الحيوانات وهو فهد اسود من برازيل لا مثيل لهُ في كل اوروبا . فنظرت واذا امامي غرفة واسعة لها كوَّة كبيرة في الناحية المقابلة وفي وسطها حيوان اسود كبير رابض على الارض وقد وقعت اشعة الشمس عليهِ من بين قضبان الحديد التي في سقف الغرفة فزادت منظرهُ جمالاً ومهابةً . فقال لي ما رأيك فيهِ فقلت انهُ من اجمل الحيوانات التي رأيتها فقال صدقت وقد كان منذ اربع سنوات جروًا صغيرًا اشتريتهُ من الذين قتلوا امهُ بعد ان قتلت عشرة منهم

فقلتُ اذًا هو من الضواري قال نعم ومن اشرسها واذا ذُكر اسمهُ امام هنود برازيل اقشعرَّت ابدانهم وهو يفضل لحم الناس على لحم المواشي لكن هذا لم يذق الدم الحيَّ حتى الآن ولو ذاقهُ لصار وحشًا ضاريًا . ومع ذلك لا يدع احدًا يدنو منهُ غيري لاني ربيتهُ كأني ابوهُ وامهُ. ولما قال ذلك فتح الباب ودخل واغلقهُ وراءهُ حالاً وسمع الفهد وقع خطاهُ فنهض وتثاءب ودنا منهُ وجعل يتحكك بهِ وهو يربتهُ بيدهِ ثم قال لهُ "القفص القفص" فمضى الى الكوة التي في الطرف الآخر ودخل منها

وكان لهذه الكوة باب من قضبان الحديد داخل في الحائط ولهُ من الخارج دولاب يدار باليد فيخرجهُ من الحائط ويسد بهِ الكوة. فخرج ابن عمي من الغرفة واقفل بابها وراءهُ وجعل يدير هذا الدولاب فخرج الباب من الحائط وسدَّ الكوة فاصبح الفهد في قفص محكم وبينهُ وبين الغرفة الخارجية التي كان فيها باب مقفل من قضبان الحديد الغليظة. ثم فتح باب الغرفة ودعاني اليها فدخلت معهُ واذا هي مملوءة بالرائحة الخاصة بالضواري وقال لي انهُ يطلقهُ في تلك الغرفة نهارًا لكي يروض بدنهُ فيها ثم يدخلهُ القفص الداخلي ليلاً ليبيت فيهِ . ووضعت يدي بين قضبان الحديد لاربت الفهد فاجتذبها ابن عمي حالاً وقال ماذا تفعل يا ابني فلا تحسبنهُ سليمًا اذا كان يتودد اليَّ . ثم سمعت وقع الخطى في السرداب ورائي فجعل الفهد يثب ويتردد في قفصهِ كأنهُ يحاول الخروج منهُ فالتفتُّ واذا خادم آتٍ ومعهُ قطعة كبيرة من اللحم فلم يكد يرميها اليهِ حتى قبض عليها وجعل يمزقها ويلتهمها وهو ينظر الينا شزرًا من وقت الى آخر

فقال لي ونحن خارجان لا اظنك تستغرب بعد الآن اعجابي بهِ لاني انا ربيتهُ وقد اتيتُ بهِ من قلب اميركا الجنوبية و بذل الناس جهدهم في بستان الحيوانات لابيعهم اياهُ فلم افعل . والآن قد اريتك ما يكفي من تعلقي بما لا طائل تحتهُ وخير ما نفعل ان نمضي الى الطعام اقتداء بهذا الحيوان

ومضت ستة ايام وانا في ضيافة ابن عمي ولا ارى لهُ عملاً غير الاهتمام بالحيوانات التي في حديقتهِ والنظر في التلغرافات التي ترد اليهِ في اكثر ساعات النهار وكان يفتحها بلهفة وينظر فيها فتبدو عليهِ امارات الاهتمام واشتغال البال واظنها تأتيهِ من السماسرة او العملاء لان اشغالهُ المالية كثيرة . وكنت اسهر معهُ كل ليلة نلعب بالبلياردو او يقصُّ عليَّ القصص الغريبة عمّا وقع لهُ في اميركا الجنوبية . وقصصت عليهِ انا ايضاً بعض النوادر التي مرَّت بي واطلعتهُ على ضيقتي المالية فاصغى اليَّ ثم قال ولكنك وريث لعمنا لورد سذرتن فقلت نعم غير انهُ لم يقطع لي شيئاً من المال حتى الآن

فقال كلاَّ لانهُ بخيل منتن على ما بلغني. ولكن هل بلغك انهُ مريض. فقلت انهُ مريض من طفوليتهِ فقال اصبت والذي مثلهُ يعلُّ كثيرًا فما اتعس حالتك بهِ . فقلتُ اني قد اطلعتك على عجزي وبجري وانا واثق بكرمك و بانك تساعدني بما في طاقتك. فقال اني افعل ذلك عن طيب نفس وسنتكلم الليلة في هذا الموضوع واعدك انني اساعدك بكل طاقتي

فسررت ولاسيما لانني كنت اود ان تنقضي زيارتي واخرج من ذلك البيت لما كنت اراهُ من زوجتهِ من الكراهة والاشمئزاز من وجودي فيهِ . نعم انها لم تعد تظهر لي ذلك بالكلام لانها صارت تخاف من زوجها ولكنها فعلت ما هو اشد ايلاماً في نفس الحر من ذلك وهو انها لم تعد تلتفت اليَّ مطلقاً كاني غير موجود وصارت تبذل جهدها لتجعلني اكرهُ الاقامة هناك وزاد نفورها مني ذلك اليوم حتى كدت اخرج صفر اليدين كرهاً لها. وكثر ورود التلغرافات عليهِ يومئذٍ فدخل غرفتهُ ولم يعد يخرج منها الى المساء وبعد العشاء اقفل الابواب على جاري عادتهِ ومضى بي الى غرفة البلياردو وجلس على كرسي كبير وشرب كأساً كبيرة من المسكر وقال اسمع ما هذه الليلة . وكانت الرياح تعصف عصفاً شديدًا فيسمع لها صفير من خروق الكوى . ثم قال ها نحن وحدنا الآن فتعال اخبرني عن احوالك بالتفصيل التام . فجعلت اشرحها لهُ وهو يقاطعني من وقت الى آخر مستفهماً او معترضاً فيأتي كلامهُ غير مرتبط بالموضوع وثبت لي من ذلك انهُ غير مصغٍ اليَّ او غير فاهم ما اقولهُ لهُ. واخيرًا نهض وطرح طرف السيكار من يدهِ وقال اكتب كل المبالغ التي عليك في ورقة وارني اياها لانني لا افهم من الكلام مثل ما افهم لو رأيت الارقام مكتوبة امامي

فاستحسنتُ هذا الراي ووعدتهُ ان اعمل بهِ ثم قال والآن قد حان وقت النوم والتفت الى الساعة فوجدها واحدةً بعد نصف الليل فصرخ وقال الساعة واحدة قم قم ولكن لا بدَّ لي من ان ارى فهدي اولاً لانَّ هذه العواصف قد اقلقتهُ فهل تاتي معي . فقلت نعم آتي .

فقال اذاً خفف وطأك لان كل احد نائم . فسرنا كلانا ومررنا في بهو الدار وهو مفروش بالبسط الفارسية الى ان بلغنا السرداب وهناك فانوس صغير فيهِ شمعة موقدة فاخذهُ وسار امامي الى ان بلغنا قفص الفهد

وكان الفهد في القفص الداخلي ففتح الباب الخارجي ودخل وقال تعال وانظر ثم رفع الفانوس بيدهِ فلما وقع نورهُ على الفهد نهض وازبأرّ وظهر عليهِ الاضطراب الشديد فقال لي انظر ما ارهب هذا المنظر ثم لا بدَّ من ان آتيهُ بشيء من الطعام لكي يسكن روعهُ فامسك لي هذا الفانوس. فمسكت الفانوس من يدهِ فخرج وهو يقول طعامهُ قريب ثم اقفل الباب وراءهُ فلما سمعت صوت القفل خفق فؤادي فناديتهُ قائلاً لماذا اقفلت الباب افتح ودعني اخرج. فقال لا لا تخف فان الفانوس معك. فقلت نعم ولكني لا اريد ان يقفل عليَّ وحدي هنا. فقال حسن ولكنك لا تبقى وحدك طويلاً. فناديتهُ قائلاً ما هذا المزاح البارد افتح الباب حالاً. فضحك ثم سمعتهُ يدير الدولاب (او العجل) ليفتح الباب الذي بيني وبين الفهد فطار عقلي وشاهدت الباب يدخل في الحائط رويداً رويداً فوضعت الفانوس من يدي وامسكت قضبان الباب وحاولت منعهُ عن فتحهِ ولكنهُ كان مربوطاً بسلاسل من الحديد ملفوفة على الدولاب والدولاب يدار بساعدة طويلة فلم تكن قوتي مهما كانت عظيمة لتوقفهُ لكنني بقيت متشبثاً بهِ بيديَّ وانا اصرخ واستغيث ولا سامع ولا مجيب والرياح تعصف وذلك الوحش الضاري اعني بهِ ابن عمي لا يشفق ولا يرحم وذكَّرتهُ بالقرابة والصداقة وباني ضيف عليهِ ولم اسئ اليهِ قط فكان جوابهُ لي زيادة اجتهادهِ في ادارة الدولاب الى ان قطر الدم من اصابعي ودخل الباب كلهُ في الحائط وسمعت خفق نعلهِ في السرداب فانقطع حبل رجائي وايقنت انني ذاهب فريسة

اما الفهد فبقي في مكانهِ وكأَنهُ انذهل من رؤيتي ومن قبضي على حديد الباب وصراخي وكان شاخصاً اليَّ بعينين كأَنهما سراجان متقدان فالتفت لامسك الفانوس بيدي حاسباً ان النور يخيفهُ فلم اكد التفت حتى زمجر واحتفز فوقفت في مكاني وقد ارتخت مفاصلي . وكان على نحو خمس خطوات مني وعيناهُ شاخصتان اليَّ فشخصت اليهِ انا ايضاً ولم اعد استطيع ان احوّل نظري عنهُ. ثم جعلت عيناهُ تطرفان فتضيقان تارةً حتى تصيرا كشرارتين كهربائيتين وتتسعان اخرى حتى تصيرا ككرتين من نور او تغمضان حتى لا اعود اراهما. ولم اعلم هل ذهل بنظري اليهِ كما تنذهل الحيوانات احياناً من نظر الانسان اليها في ما يقال او غلب عليهِ النعاس فنام لكني وقفت ساكناً كالصنم مخافةً ان اتحرَّك فاوقظهُ . وجعلت افكِّر في امري وما آل

اليهِ وتذكَّرت قول ذلك الخبيث الذي اوقعني في هذا الشرك وهو ان هذا الحيوان من اشرس الضواري وقد سُدَّت في وجهي ابواب النجاة لاسيما والمكان بعيد عن البيت ولا يسمع احد صراخي منهُ لو ناديت واستغثتُ وزد على ذلك ان الرياح كانت تعصف شديدًا فلا يكون لصوتي اثر مع صوتها

والتفتُّ الى الفانوس فرأيت الشمعة التي فيهِ كادت تحترق كلها ولم يبقَ من عمرها الاَّ عشر دقائق او اقل وحينئذٍ أُمسي في ظلام دامس مع وحش مفترس فاقشعر جسمي وارتخت مفاصلي وكاد يغمى عليَّ والتفتُّ يمنة و يسرة لعلي اجد بابًا للنجاة فرأيتُ قضبان الحديد التي في اعلى القفص بينها و بين السقف قدمان فقلت في نفسي اني اذا استطعت ان اصعد الى ما فوقها واقيم بينها و بين السقف لم يبقَ مني معرَّضًا للفهد الاَّ جانب واحد وكان بين القضبان شبكة من الحديد ضيقة الحروب وللحال امسكت بعتب الباب ووثبت وثبة منكرة اوصلتني الى ما فوق القضبان التي في السقف فاستلقيت على جنبي لان المكان لا يسعني لاقف ولا لاقعد. وكأَنَّ الفهد استغرب فعلي اكثر مما اغاظ منهُ فنهض وتمطى ووقف على قدميهِ واستند باحدى يديهِ الى الحائط وجعل يضرب الشبكة بكفهِ الاخرى فبلغ مخلب من مخالبهِ ساقي فشق ثيابي وغار في لحمي ولما صرخت من الالم تركني لكنهُ هاج وجعل يعدو في قفصهِ عدوًا سريعًا ويدور حولهُ ويمر تحتي كأَنهُ خيال . وذابت الشمعة كلها حينئذٍ وانطفأَت فامسيت في الظلام انا والفهد

اذا وقع الانسان في ورطة ورأَى انهُ فعل كل ما في وسعهِ للنجاة منها هان عليهِ امرها وتعلق بحبال الرجاء ولو كانت اوهن من خيوط العنكبوت. وقد رأيت انا ان لا منجاة لي الاَّ بالبقاء حيث انا والسكون التام حتى ينسى الفهد اني في قفصهِ وحسبت انهُ لم يبقَ الى الفجر الاَّ ساعتان . وكانت العاصفة لم تزل تعصف واخذت الامطار تهطل ايضًا وكانت رائحة القفص مما لا يطاق فحاولت ان اصرف ذهني عن الحالة التي كنتُ فيها وافكر في امور اخرى فلم استطع فجعلت اتأَمل في هذا الرجل وما انطوى عليهِ من الخبث واللؤم والرياء مما لم أرَ لهُ مثيلاً ورأيت حينئذٍ انهُ يجد لنفسهِ عذرًا عند كل من يبلغهُ خبري بانهُ تركني في غرفة البلياردو وذهب ونام فمضيت انا من نفسي ودخلت مكان الفهد وانا لا اعلم ان باب القفص مفتوح فهجم عليَّ وافترسني . ومهما ارتاب الناس في صدقهِ فما منهم من يستطيع ان يثبت كذبهُ

ومرَّت تانك الساعتان وانا احسبهما سنتين والفهد ينظر اليَّ مرةً بعد اخرى فارى بريق عينيهِ الى ان بدت اول تباشير الصباح فوضح منظرهُ لي رويدًا رويدًا الى ان ظهر جليًا فاذا هو مضطرب جدًّا كأَن البرد والجوع اقلقاهُ وكان يرفع ذنبهُ و يجلد بهِ الارض او يسير مسرعًا في

جوانب الغرفة والقفص وهو شائل بذنبهِ كالعقرب وكان كلما دار مرة يخرخر ويلتفت اليَّ مغضباً ولم استطع مع كل ما بي من الخوف والجزع ان اغضي عن جمال منظرهِ وما يبدو على اعضائهِ من دلائل القوة والبأس

واشتدَّ البرد في الصباح فجعلت انتفض على قضبان الحديد التي كنت منطرحاً عليها . ثم عدت افكّر في طريق للنجاة فخطر لي انهُ لو امكنني ان اعيد باب القفص الى مكانهِ الاول



وامسكت باب الحديد وجذبتهُ

فافصل بينهُ وبين الغرفة الخارجية لوجدت سبيلاً الى النجاة فمددت يدي رويداً رويداً وامسكت بالقضيب البارز من الحائط وجذبتهُ فانجذب على غير ما كنت انتظر فجذبتهُ ايضاً فخرج من الحائط رويداً رويداً كأنهُ كان يسير على عجل صغير في اسفلهِ . فجذبتهُ اكثر مما جذبتهُ اولاً وللحال وثب الفهد عليَّ كأنهُ البرق الخاطف حتى لم أرَ الاَّ عينيهِ ولسانهُ وانيابهُ وضرب القضبان التي تحتي ضربةً منكرة فظننت انهُ نزعها من مكانها وطرحها على الارض ولكنهُ اخطأ في تقدير وثبتهِ فلم تصل مخالبهُ اليَّ فوقع على الارض مغضباً وجعل يهرُّ ثم ابعد

الى الغرفة واقعى وفزَّ ليثب عليَّ وثبة ثانية. وعلمت انهُ يسدّد وثبتهُ هذه المرَّة حتى لا يخطئني تخلعت سترتي باسرع من لمح البصر ووثبت الى الغرفة وطرحت السترة على راسهِ لكي اشغلهُ بها وامسكت باب الحديد وجذبتهُ ولم اكد اخرجهُ كلهُ من الحائط وادخل القفص لاجعل هذا الباب بيني وبين الفهد حتى رأيتهُ تخلص من السترة ووثب عليَّ وضربني بكفهِ على ساقي فنزع باطنتها (١) وبراها بري القلم لكن الباب أُغلق ورائي وانطرحتُ في القفص والدم ينزف من ساقي وبيني وبين الفهد قضبان من الحديد تقيني منهُ وهو يثب عليها ويلغ في دمي. ثم جعل يمد يدهُ بين القضبان فيبلغ ثيابي ويمزقها. وقد سمعت عن اناس وقعوا في قبضة الوحوش الضارية فلم يعودوا يشعرون بالالم فاصابني ما اصابهم وصرت انظر اليهِ كانهُ يحاول افتراس انسان آخر غيري وانا اراقب ما يتم لهُ من النجاح او الفشل. ثم تولاني الذهول فصرت اشعر كانني في حلم والفهد امامي بوجههِ الاسود ولسانهِ الاحمر ثم غبت عن الصواب ولم افق الاَّ وانا اسمع صوت القفل فالتفت واذا بذلك اللئيم ابن عمي قد فتح الباب الخارجي ولابدَّ من انهُ رأى الفهد رابضاً في الغرفة يلحس شفتيهِ بلسانهِ وانا مطروح في القفص مضرَّج بالدماء وثيابي ممزقة وحولي بركة من الدم فالتفتَ اليَّ اولاً وثانياً ليتبين ما اصابني ثم اغلق الباب وراءهُ ودنا من القفص ليرى هل متُّ او لم ازل في قيد الحياة. ولا اعلم ما جرى حينئذٍ ولكنني رأيتهُ ادار وجههُ عني ونظر الى الفهد وناداهُ باسمهِ "تمي تمي" مناداة التحبب ثم مناداة الزجر وقال لهُ أبعدْ أبعدْ الا تعرف معلمك. وكان ذلك اللعين قد قال لي قبلاً ان طعم الدم يحول الهر اسدًا فتذكرتُ قولهُ على ما كان بي حينئذٍ من ضعف الذاكرة. ثم سمعتهُ يصرخ ويقول لهُ ابعد عني ثم جعل ينادي خادمهُ بولدوين ثم وقع وقام واخذ يتخبط مع الفهد وكأني كنتُ اسمع صوت تمزيق كمن يمزق عدلاً ثم رأيت شبحاً مضرَّجاً بالدماء يطوف في الغرفة واغمي عليَّ فلم اعد اسمع شيئاً

ومرَّت عليَّ بضعة اشهر وانا طريح الفراش وحتى الآن لم اشفَ ولن اشفى تماماً ما دمت حيًّا. وقد علمتُ بعد حين ان الخدام سمعوا صراخ سيدهم فاسرعوا اليهِ لكنهم وجدوا الفهد قد افترسهُ ولم يبقِ الاَّ على قليل منهُ فابعدوهُ عنهُ بقضبان محماة من الحديد واطلقوا عليهِ الرصاص فقتلوهُ لكي ينقذوني من مخالبهِ ثم حملوني الى البيت واستدعوا لي جرَّاحاً وممرّضة فبقيت بضعة ايام بين حي وميت. ولا اتذكَّر مما مرَّ عليَّ في تلك الايام الاَّ ان امرأة طويلة القامة موشَّحة بثياب الحداد دخلت غرفتي مرة ودنت من سريري ففتحت عينيَّ ونظرت اليها

(١) الباطنة بطة الرجل ذكرها الجاحظ في كتاب الحيوان

واذا هي الامرأة الاسبانية زوجة ذلك اللئيم فنظرت الي نظر الحب والشفقة وقالت لي هل انت صاح فقلت نعم فقالت اثبت لاقول لك كلمة وهي انك انت الجاني على نفسك فانني بذلت جهدي لادعك تمضي من بيتنا بل كنت كأنني اطردك طرداً لكي انجيك من مخالب زوجي لاني كنت عالمة انه لم يستدعك الى بيته الا لمكيدة كادها لك وما من احد ادرى به مني ولم استطع ان اخبرك بذلك صريحاً لانني لو فعلت لقتلني اما الآن وقد نجوت من يده فانت اكبر متفضل علي لانني نجوت منه على يدك وما كنت احسب انني انجو الا بالموت . ويسوءني ما اصابك ولكن اللوم ليس علي وقد قلت لك انك مجنون ففعلت فعل المجانين لانك لم تفهم قولي . قالت ذلك وخرجت من الغرفة ولم اعد اراها فانها اخذت نصيبها من تركة زوجها وعادت الى بلادها ودخلت احد الديورة راهبة

وبعد ان نُقلت الى لندن وقال الاطباء انني صرت قادراً على معاطاة اشغالي ساءني هذا الخبر لانني انتظرت من ورائه تقاطر المداينين علي وكان اول من جاء لزيارتي المحامي الذي كنت اوكله في اشغالي واول كلمة قالها "انني مسرور بتقدم سيادتكم نحو الصحة . وقد مضى علي ايام وانا انتظر هذه الفرصة لاقدم فروض التهانيء لسيادتكم"

فقلت له ما معناك بهذا الكلام وانت تعلم انه ليس الوقت وقت مزاح

"فقال ان معناي ظاهر فانك قد صرت لورد سذرتن منذ ستة اسابيع ولكننا خفنا ان نخبرك قبلاً لئلا تنزعج فيتأخر شفاؤك"

لورد سذرتن من اغنى امراء الانكليز فلم اكد اصدق الخبر ورأيت ان عمي توفي في الوقت الذي أُصبت به فقلت للمحامي يظهر ان لورد سذرتن توفي وقتما اصابني ما اصابني فقال "نعم وفي اليوم نفسه" وصمت كانه عرف ما في ضميري ولم يشأ ان يكون البادئ في كشف المغطى . ثم قال نعم وذلك من غرائب الاتفاق ألا تعلم ان ابن عمك كان الوريث التالي بعدك للورد سذرتن فلو ان الفهد افترسك بدلاً منه لكان هو الآن لورد سذرتن . فقلت "بلا ريب" فقال وقد كان ابن عمك مهتماً بالامر جداً وقد رشا خادم لورد سذرتن حتى يخبره بالتلغراف عن صحته فكان يرسل اليه التلغراف بعد التلغراف . افلا تستغرب انه كان يهتم بصحته وانت الوريث لا هو. فقلت نعم والآن اكتب لي قائمة بما علي من الديون وانني بدفتر جديد للسفائح لكي نصلح الماضي ونرى ما نفعل في المستقبل . انتهى

[تنبيه. يرث عقار الرجل عند الانكليز ابنه الاكبر او اخوه الاكبر او اكبر ورثته]

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل

رأيت في جريدة المقتطف الصادرة في الشهر الماضي مقالة تحت عنوان (مثال في الانشاء) مترجمة عن منشآت رديرد كبلنغ الكاتب الشاعر الانكليزي فدعاني ما رأيت فيها ان اكتب هذه المقالة في بلاغة العرب والافرنج والموازنة بينهما بقدر ما تسع هذه العجالة

يتركَّب الكلام البليغ من ثلاثة اجزاء اللفظ والمعنى والموضوع فان كان اللفظ شريفاً غير متنافر ولا خارج عن القياس ولا مبتذل وكان المعنى عجيباً في بابهِ مخترعاً بديعاً وكان الموضوع حسن التصوُّر والتصوير فهناك الكلام البليغ والمنطق الحر الذي تتفاضل الادباء في صوغ آياتهِ وتتنازع الشعراء والكتَّاب في الوصول الى معالي رُقيَّاتهِ

ثم ان ارتباط المعنى باللفظ هو ارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفهِ ويقوى بقوتهِ فان ضعف اللفظ عن المعنى الجيد كان كالاشلّ الذي يقعدهُ حالهُ عن النهوض بما تدعوهُ اليهِ روحهُ من العزائم . وان خلا اللفظ من المعنى بقي كالجسد الموات الذي نقص منهُ روحهُ اي نقص كلهُ . وايضاً فالمرجع في المعنى وانتاجهُ الى الفكر والمرجع في تصوير الموضوع الى المخيلة فكلما كان الفكر عالياً والمخيلة واسعة الرحاب فثمَّ عالم الابداع واي التصوير والاختراع

وقد رأينا فيما وصل الينا من كلام المتقدمين والمتأخرين من فصحاء العرب كلاماً كثيراً استوفى شروط البلاغة هذه في النظم والنثر وكذلك رأينا فيما ترجم الينا من كلام الفرس بلاغات عالية وناهيك بالسعدي والفردوسي وجلال الدين الرومي صاحب المثنوي والخيام المدعو خلاَّق المعاني وغيرهم

اما الافرنج فلم يصل الينا شيء من كلامهم يصح ان يوصف بالبلاغة البالغة والفصاحة الفائقة ولو قيس ما وصل الينا من ذلك على ما عند العرب والفرس لوُجد بينهما فرق عظيم وبون جسيم فاما ان يكون للقوم حظ من البلاغة العالية او لا فان كان الاول فاخلق بادبائنا العالمين بلغاتهم ان يترجموا لنا الكثير من اشعارهم ومنشآتهم الفصيحة ومعانيهم المخترعة وتشبيهاتهم فيخدمون هذا اللسان بنقل علومهم الادبية كما خدموهُ بنقل علومهم الطبيعية والرياضية . وان كان الثاني فيجب ان تعلم هذه الحقيقة وهي ان الافرنج مع علو كعبهم في العلوم والصنائع لم يبلغوا مبلغ العرب والفرس في البلاغة

وقد اردت ان ابين هنا بعض الامثلة ايضاحاً لما قدمتهُ من ان ما وصلنا من كلامهم

ومختار اشعارهم ليس من البلاغة في شيء واقارنها بما في معناها من كلام فصحاء العرب حتى يتبين الفرق بالموازنة بينهما .

١ — نشرت جريدة المقتطف في شهر مايو سنة ١٨٩٩ قصيدة مختارة لشاعر اسمهُ (رديرد كبلنغ) وصفتهُ بانهُ (رب المنظوم والمنثور عند الامة الانكليزية) وقد ترجمت هذه القصيدة ترجمة حسنة مع حفظ جميع معانيها وها هي بنصها

احملوا حمل الحضاره   واضرموا حرب السلام
اشبعوا جوف المجاعه   وامنعوا داء السقام
واغمدوا سيف القناعه   وانتضوا سيف الخصام
كل جهل وتأثّر   ليس فيهِ من قوام
احملوا حمل الحضاره   وانبذوا ما دونهُ
لا تملّوا فتقولوا   عنقهم تبغونهُ
كل قول عندهم بل   كل ما تأتونهُ
هو محسوب عليكم   ولمن ترجونهُ

ولست ادري اي شيء في هذا الشعر مما يستحسن او يستملح واي معنى فيهِ يدل على فكر سامٍ واي تصور يبدي عن خيالٍ فسيح فيرفع صاحبهُ الى مرتبة البلغاء المجيدين . وقد نشرت الجريدة ايضاً ردّاً عليهِ من شاعر آخر اسمهُ جورج لنتش يذم بهِ تغرير الانسان بقتل الانسان واحداث المفاسد والشرور منها قولهُ

احملوا حمل الحضاره   واملكوا املاكنا
وانشرونا في الفيافي   واخضدوا اشواكنا
جئتمونا بسمومٍ   وخمورٍ تنهكُ
وجحيم يحشر الله   بهِ ويهلكُ

ولعمري ان الشعر الاول لا ينبغي ان يرد عليهِ باحسن من الشعر الثاني وهما كما قيل

وكلا النوعين لا يصلح الا للحريق

ولو رد عليهِ عربي على لسان ابي الطيب المتنبي لقال

صحبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا   وعناهم في شأنهِ ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منهُ وا   ن سرَّ بعضَهم احيانا
ربما تحسن الصنيعَ لياليهِ   ولكن تكدّرُ الإحسانا

وكأنَّا لم يرضَ فينا بريب الدهر حتى اعانهُ من أعانا
كلما انبت الزمانُ قناة ركّب المرء في القناة سنانا
ومُراد النفوس اصغر من أن نتعادى فيهِ وانْ نتفانى
غير ان الفتى يُلاقي المنايا كالحاتِ ولا يلاقي الهوانا
ولو انَّ الحياة تبقى لحيٍ لعددنا اضلَّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا
كل ما لم يكن من الصعب في الأنفس سهلٌ فيها اذا هو كانا[1]

٢ — وقد نشرت جريدة المقتطف ايضاً في الشهر الماضي رسالة لكبلنغ يصف بها اخلاق الانجليز والامريكان وقد قرأتها اكثر من مرة فلم اجد فيها الا حديث جماعة نُقل كما لفظهُ كل واحد بعبارتهِ واسلوبهِ . وليس في هذا الشيء من البلاغة التي بينا اركانها ولو وضعت آلة الفونوغراف في مكان فيهِ جماعة يتذاكرون لفاقت على ذلك الكاتب واربت عليهِ في نقل تعبيراتهم كما هي. وما اشبه هذا بما كان يفعلهُ ابو الرقعمق في بغداد اذ كان يخرج اصيل كل يوم الى الجسر فينظر ما يدور بين العامة في مشاجراتهم ومبايعاتهم ومحادثاتهم فينقلهُ في الصحف كما هو و يتلوهُ على الامراء للسمر . وهكذا نرى الافرنج يرمون باغراضهم في الادب الى هذا الاسلوب القصصي ويجعلون عظم عنايتهم في اجادة قص الواقعات لا الى مرامي البلاغة من حيث هي وقد كان هذا الاسلوب القصصي معروفاً عند العرب ولهم فيهِ المؤلفات المعتبرة عند الافرنج انفسهم ككتاب الف ليلة وليلة ومسامرات ابن بنان وغيرها ولكنهم لم يصفوا مؤلفي هذه الكتب بالبلاغة ولا عدوهم في مصاف الفصحاء

٣ — ومن هذا الباب ايضاً ما نشرتهُ جريدة لسان العرب من تعريب قصيدة لفكتور هيجو اشعر شعراء الفرنسيس يرثي بها فتاة ماتت عقيب حفلة رقص وهي بنصها

"كم قد رأينا فتاة حسناء تموت في شرخ صباها وكم قد رأيت قدم الاقدار تدوس زهرات تلك المحاسن والجمال كما يدوس الراقص على ما يتناثر حولهُ من الرياحين والورود تلك سنة الله في خلقه ينضب الماء بكثرة جريهِ و يختفي البرق بعدوميضهِ وتسقط الزهرة بعد ذبولها و يقبل الليل بعد نهارهِ والدنيا وليمة حافلة يجلس حولها الناس افواجاً واكثرهم يقوم و ينصرف قبل انتهاء طعامهِ

واني اذكر منهنَّ واحدة كأنها ملاك كريم بجمال محياها وطهارة قلبها وسواد عينيها و بهجة

---

(١) يقول الامر الشديد انما يصعب على النفس قبل وقوعهِ فاذا وقع سهل

محاسنها ولطف قوامها تظللها وردة الشباب الزاهرة ولا تتجاوز سنو عمرها ايام البدر عند اكتماله قصفتها ايدي المنية في ذلك الشباب الناضر فلم يكن موتها من الحب لانها لم تكن تعرف بعد ما شقاء الغرام بل لم تكن تسمع الأقوال الناس ما اجملها ولكنها كانت تحب الرقص كثيرًا وهو الذي قتلها و به انطفأ مصباح ذاك الجمال بل كانت تحب الرقص حتى لو مرت اليوم سحابة على قبرها وهي ترقص حول القمر (ما اسخف هذه الخيالات) لرقصت لها عظامها في ذلك القبر

حتى اذا جاءت ليلة الرقص اقبلت تلك الشهيدة الحسناء بين اترابها كأنها البدر بين نجومه ودخلت في غمار الراقصين يلاعب الهواء ثيابها كما يلعب النسيم بجناح الفراشة وقد هاجت عواطفها رائحة الزهر وحركت فؤادها نغمات العازفين فلم تعد تبصر مما لديها شيئًا ولم تعد تعلم هل ترقص على الارض ام هي طائرة في السماء

ولما انشق جفن الليل عن مقلة الفجر وسكن عزف الموسيقى وخرجت تلك الصبية الحسناء يلتهب خدها التهابًا و يندى جبينها عرقًا كأنه لؤلؤ مرصوف على صفحة هلال قابلتها نسمة الصباح الباردة ومسح صدرها النادي كف الهواء الرطب فامسك خيط تلك الحياة الزاهية واخذ يسلهُ من ذلك الجسم النضير فلم تصل الفتاة الى منزلها حتى تناوبها السعال الشديد ثم تلتهُ الحمى القتالة المحرقة تذيب ذلك الجسد كما يذوب الثلج على النار ثم اخذ الموت وديعتهُ الثمينة وقطفت يد المنية تلك الوردة الحمراء فراحت في عنفوان شبابها شهيدة الرقص المضر"

هذه هي تلك القصيدة التي انتجتها فكرة ذلك الشاعر الكبير ولعمري لو تحادث اثنان من وسط الناس بموت تلك الفتاة لما قالا اقل مما في هذه القصيدة . اذ ليس ثمَّ معنى غريب ولا اسلوب عجيب مما تمتاز بابداعه الفكر الخارقة والخواطر الشريفة

واين هذا الشعر من قصيدة علي بن العباس بن الرومي وقد قالها في فتاة اسمها (بستان) ماتت كهذه الفتاة عقيب حفلة غناء وهي قصيدة مطوّلة نأتي منها بقوله

يا غضة السن يا صغيرتها ... امسيت احدى المصائب الكبرِ
أنَّى اختصرت الطريق يا سكني ... الى لقاء الاكفان والحفرِ
أبعد ما كنت باب مبتهج ... للنفس اصبحت باب معتبرِ
كل ذنوب الزمان مغتفر ... وذنبهُ فيك غير مغتفرِ
يا بشرًا صاغهُ المصور من ... نور على سنة من الفطرِ
بل من شعاع العقول حين ترى الـ ... ـغيب بعين الذكاء والعبرِ

ابكيك بالدمع والدماء بل با اسهاد بل بالمشيب في الشعرِ
بل بنحول العظام محتقر ذاك وان كان غير محتقرِ
تبتل العود عند فقدكمُ وازدجر اللهو اي مزدجر
فان سمعنا لمزهر وترًا حنَّ فهاتيك عولة الوترِ
لله ما ضُمّنت حفيرتها من حسن مرأى وطيب مختبر
اضحت من الساكني حفائرهم سكنى الغوالي مداهن السُرر
لو علم القبر من أُتيح له لانخفر القبرُ غير مختفر

٤ — ومن هذا الباب ايضاً ما عرَّبهُ بعض الادباء من قصيدة لفكتور هوجو المتقدم ذكرهُ اسمها (واترلو) يصف بها موقعة واترلو الشهيرة التي وقعت بين نابوليون الاول وملوك اوربا و يصف فيها نابوليون واقدامهُ وهي

لقد وقع في هذا السهل موقعة كبرى خلط الموت فيها الجيوش فماجت بهِ كما يموج الماء في حوض مفعم وكانت فرنسا في ناحية واوربا تقاتلها في ناحية فخاب ثمة امل الشجعان وحقت عليهِ الواقعة. ابكي على هذه الموقعة وحق لي البكاء اذ هؤلاء الشجعان كانوا خيرة الرجال وقد فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكًا وجازوا جبال الالب ونهر الرين. وقد كانو الى المساء هاجمين ومنتصرين ومضايقين لولنجتون القائد الانجليزي اذ حازوهُ الى الغابة وكان نابوليون والنظارة في يدهِ يقلب نظرهُ تارة في وسط الجيش اذ يراهُ كانهُ حصيد وتارة يتأمل الافق كانهُ البحر في ظلامهِ وبينما كان يؤمل مقدم الجنرال جروش لنجدتهِ اذ رأى قدوم الجنرال بلوخر عدوهِ فانقطع الرجاء وتغير الامر في الحرب واخذت المدافع الانجليزية تحصد مربعات الفرنسيس واصبح السهل بما فيهِ من الدماء والقتل المستحر كفوهة متقدة تسقط فيها الفيالق كأنها قطع من حائط فلما رأى ذلك نابوليون وادرك الخطر بحذقهِ العجيب وحسن نظرهِ امر جيش الحرس وهو اعظم فيالق الجيش الفرنسوي وعلى رؤُوسهم الخوذ اللامعة بالتقدم فحيوا مليكهم وتقدموا للموت باسمين على انغام الموسيقى فلم يلبث نابوليون حتى نظر الى هؤلاء الابطال وقد اقتحموا في الموقعة وصاروا يتساقطون في تلك الفوهة المحرقة صابرين فريقًا بعد فريق حتى لم يبقَ منهم احد وعندها انقطع الرجاء وامر جنودهُ بالتقهقر فانهزم هذا الجند الذي طالما هزم العالم بامرهِ قبلُ (انتهى)

ولعمري ليس في هذه القصيدة من وصف هذه الحرب اكثر مما نراهُ في الجرائد كل يوم من وصف المواقع والمعارك والقواد

ولقد وقفت على رسالة كتبها اثناء رحلته امام الادب وشاعر العرب صاحب السماحة والسيادة السيد محمد توفيق البكري وفيها شيء من الغرض الذي تكلم عنهُ فكتور هوجو في قصيدته المتقدم ذكرها فاردت ذكر ذلك هنا تبياناً لآيات الفصاحة العربية والموازنة بين الشاعرين وقد اتفقا في غرض واحد تقريباً وها هو الذي اقتطفتهُ من تلك الرسالة

"وقد وقفت اليوم سويعات على جدث نبوليون انظر الى الاستكانة بعد الصولة. وقبر في جوفه دولة. وصولجان كانت كرتهُ الارض امسى مخراق لاعب. ومقاصير زُينت للسرور دهراً فأمست ملتقى ناعٍ وناعب

أضحت قبورهمُ من بعد عزهم تسفي عليها الصبا والحرجف الشمل
لا يدفعون هواماً عن وجوههم كانهم خشب بالقاع منجدلُ

سبحانك اللهمَّ وسعدانك. ما أعز شأنك. هذا غلاّب القياصرة وقهار الجبابرة. يدفع عنهُ سلطانهُ الاقيال والابطال. ولا يدفع عنهُ الارض (٢) والنمال. ذلكم هو الموت الذي لولاهُ لما كان للشجاعة. فضل على الجبن والضراعة. اذ لو أمن المفؤود الحمام. امسى كفارس خصاف او كبسطام (٣)

وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ
فلا قضى حاجتهُ طالب فؤادهُ يخفق من رعبهِ

نابوليون وما نابليون اسم ترك دوياً في كل قطر. كانما تداول سمع المرء انملهُ العشر. (٤) وجسم شخت نحيف. سرعرع قضيف وفتى من الجند أحدث ملكاً اين منهُ ملك قيصر وكسرى هو كرة الارض قامر بها الرجل فكسبها في ساعة وخسرها في اخرى. ملك جحجاح. قلس طرماح. شهاد اندية. عقاد الوية. فتاح اسداد. طلاح انجاد. تعلق بهِ اشناق الديات. ولا ينام على ترات. اخو عنجهيةٍ يمحو الشر بالشر. كما يتداوى شارب الخمر بالخمر. اسد بترج وخفان. لا يقعقع لهُ بالشنان. كريم الظفر. وكذاك ذو المنة اذا قدر. انما الضعيف الذي ان راى ازمة وهل وان اصاب فرصة قتل. آفق همام. كانهُ من نفسهِ في جيش لهام. فكم حصن ثغر. يحوم منهُ نسر السماء على وكر. تدلى عليهِ مع الظلام كما تدلت عقاب من شماريخ

---

(٢) الارض هوام صغيرة والنمال جمع نملة

(٣) المفؤود الجبان يعني لو امن الجبان الموت اصبح شجاعاً مقداماً ولم يبق للشجاعة فضل على الجبن. وفارس خصاف وبسطام بن قيس من شجعان العرب

(٤) يعني ان الدوي الذي تركهُ كالدوي الذي يسمعهُ الانسان اذا سد اذنيهِ باصابعهِ

الاعلام . وكم دولة قلبها . وراية نصبها . وعقبة اقتحمها • وكتيبة اقتحمها . وصعبة راضها . ولجة خاضها . وكم لهُ في الوقائع من ايام . لا تمحو ذكراها الليالي والايام . أجدك ما يوم يانا وما رنج باحقر من يوم رَحرَحان • ويوم جبلة بين عبس وذبيان • وكأني انظر اليهِ يوم الزحف وهو على فرس اشق.نهد امق . كأنهُ قبة رفعت على رماح • او ان قوائمهُ الاربع اربع الرياح وتحت ابطهِ سيفهُ الذي تقلدتهُ الرقاب مكان الاطواق وحال حتى بين القلوب والاشواق • تخالهُ الحارس على النعامة. وعمرًا في يدهِ الصمصامة وقد انبسط امامهُ السهل والصحصحان • وارتفعت القنن الخضراء والرعان . وقد تراءى الصفان . وتلاقى الكتيبتان . وهو في صف . والامم جمعاء امامهُ في صف . وقد ماج بهم كل نجد وقاع . كما يموج الغيل بالسباع • يبرق على اكتافهم الوشيج والمران . والاسل والخرصان كأنهم ليوث وهي انياب . او انهم عقارب شائلات الاذناب . وعلى صدورهم دروع كما تجمد الماء . وتقلبت الحية العرماء . وثم المجانيق جثى كالابل بركت على ثفناتها • والقدور تلظى على اثفياتها • ثم حمَّ القتال . فزلزلت الاقدام • وطارت فراش الهام . ووقعت الاسنة على المغافر . وبلغت القلوب الحناجر . فلا ترى الا المنجنيق يحكي زئير الاسد في البيداء • ويرسم اقواس قزح في السماء . وعجاجا خلا لهُ القواضب والخرصان . كالنجوم في الليل والشرر في الدخان . وجنودًا تبدو وتخفى في الدماء. كأنها صور الفوارس في كؤوس الصهباء . وطعنًا وحيًا يُعدِم. قبل ان يؤلم. كل طعنة نجلاء . كما تنهز في جمة الطوي الدلاء. وسيوفًا تهاوى كأنها ورق الشجر هزه سقوط المطر . تنثر الرؤوس نثر الجمان كأنما تنفر طيرًا كن وقوعًا على الابدان. ولا شيء الا اشلاء ممزقة . وجآجيء مخرقة . وجماجم على الرماح كأنها همزات على الفات . ودماء احمرَّ بها كل سهل وجبل . كان في خد الارض منها خجل . هذا وهو يخطر بين الصفين . ويهرول بين العدوتين . ويصول كالليث عاديًا . والقوم دونهُ كالكروان ابصرن بازيًا . يرعف حولهُ الحديد الاخضر . بالنجيع الاحمر . ويلتقي في الوقدة الرمح بالرمح . كما يلتقي في الرقدة الهدب . بالهدب . ويدنو ويبعد حولهُ الصفان . وهو ثبت كانهُ خنذيذة من كتفي ثهلان . حتى يتجلى لهُ النصر من وراء ذاك القتام . كما تتجلى الشمس من خلل الغمام . وما برح هكذا في فتوح يتبعها فتوح. وغبوق من الظفر يتلوهُ صبوح . وسير. لا يزال معقودًا بناصيتهِ الخير . حتى اراد الله خذلانهُ فسار لقتال الروس. في يوم قمطرير عبوس . فقهرهم وفقد جندهُ فأمسى هو المقهور . كآنية الزجاج تقابلت والكل كاسر مكسور . ويا سرعان ما تألبت عليهِ الاعداء . حتى ازالت دولتهُ الشماء . فغابت مغيب الشمس في كفن من الدماء . ثم استرجعها حفيدهُ بعد الذهاب . وحفظ

من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ القمر نور الشمس بعد الغياب . على انهُ قلما يقبل الأمر بعد ادباره . فانها ما نشبت ان ذهبت على آثاره

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم أحلام

اما نابليون فاضحى بعد الهزيمة ولا جنود ولا أعلام . كصنم الجاهلية في زمن الاسلام . كان بالامس ربًّا . فاصبح حجرًا صلبا . واعتقل في جزيرة قاصية . وصخرة في جوف البحر نائية . فقضى فيها آخر عمره . ولا رفيق لهُ غير فكره . وكأني بهِ وقد وقف بقامتهِ القصيرة . على قنة من قنن الجزيرة . ينزه الفكر . في امواج البحر . فرأى خيالهُ وقد طال على لججهِ . وامتد بعيدًا على ثبجهِ . فشبهَ قامتهُ وهذا الخيال . بحالتهِ اليوم وما كان فيهِ من الدولة والاقبال . ثم انهُ قضى هناك . فدفن في حفرة بين الغضا والاراك

ومن ضاقت الارض عن نفسهِ حرى ان يضيق بها جسمهُ

وبقي ثمة الى ان نقلهُ القوم . الى ضريحهِ الذي رأيتهُ مذ اليوم . فسبحان الذي بيدهِ ملكوت كل شيء واليهِ ترجعون

٥ — وقد نشر نجيب افندي الحداد تعريب قصيدة اخرى لفكتور هوكو الشاعر الشهير (نظمها بعنوان نابوليون الثاني ووصف بها ميلاد هذا الطفل) وما كان يرجى لهُ من سعد الطالع ثم ما صار اليهِ حالهُ وهي " في العام الحادي عشر من بداية هذا القرن كانت شعوب لا تحصى وامم لا عدد لها تحدق بقصر اللوفر الكبير احداق الغمام وهي تنظر اليهِ بعين التأمل وتتطلع نحوهُ بقلب المؤمل والقصر في وسطها كأنهُ طور التجلي تلمع من خلالهِ بروق الاقبال وتظلل اعالي شرفاتهِ سحائب الآمال والناس تموج من حولهِ افواجًا ويقول بعضهم لبعض سيولد لنا اليوم مولود عظيم واليوم تنتظر الدولة العظمى ميلاد وارثها فماذا عسى يرزق الله نابوليون الكبير ومن سيكون ولي عهد لهذا الرجل العظيم الذي هو اكبر من قيصر واعظم من روما وقد جمع في يديهِ مستقبل الشعوب وازمة الممالك وعنان الدنيا يصرفهُ كما يشاء ويقلب كرة الارض على بنانهِ كما يريد . وبينما هم يتساءلون عن ذلك النبإِ العظيم انفتحت شرفة القصر كما ينفرج الغمام وظهر على الشعب ذلك الرجل العظيم كأنهُ يطل على الدنيا باسرها ويشارف العالم بافكارهِ من رفعتهِ وجلال قدرهِ فخفقت عند ذلك الاصوات وعنت الوجوه وسكتت الالسنة ثم ارتفعت الابصار لتنظر ما يحمل لها ذلك الجبار بين يديهِ من بشرى ولاية عهدهِ واذا بها قد اطرقت هيبة واجلالاً لطفل صغير كان يحملهُ الامبراطور على ذراعيهِ كانهُ يبشر بهِ الارض باسرها ولم يكد ذلك الطفل يظهر للوجود حتى خفقت

لانفاسهِ الضعيفة رايات البلاد كانها تخفق تحت ريح عاصفة وحتى دوت لاهلالهِ وصوت بكائهِ افواه المدافع الهائلة وهو بين يدي ابيهِ كانهُ كوكب دري تحملهُ شمس منيرة من المجد والفخر . ولما اظهر الوالد مولودهُ لكل تلك الشعوب ورآهُ تعنو لهُ عوالي الرؤُوس والتيجان اخذتهُ عزة الملك وتولاهُ زهو الرئاسة والمجد ونظر الى الدنيا وهو في ابهة نصرهِ وجلالهِ كما ينظر النسر الى ما تحت معقلهِ من الهضاب وصاح بصوت المنتصر الظافر . المستقبل لي

فاجابهُ صوت الشاعر من وحي الغيب لا يا مولاي ليس المستقبل لاحد ان المستقبل لله فلا يغرنك ما ترى من عظمة الدنيا ومجد الملك وعزة الانتصار وبهاء التيجان ونيل المطامع والآمال فان كل ذلك وهم باطل وظل زائل لا يخيم على فؤَاد صاحبهِ الاَّ كما تخيم السحابة السارية في كبد السماء وانت ايها المستقبل الذي ندعوك بالغد وتسير وايانا جنباً الى جنب مهما كان الانسان عظيماً ومهما كان التماسهُ منك شديدًا لا يقدر ان يعرف منك شيئًا قبل حينهِ ولا يمكن ان تنفرج شفتاك عن الخبر اليقين الا متى آن اوانه والعلم لله انما الغد شيءٌ عظيم لان الغد شيءٌ خفي مستتر لا يعرف كنههٔ احد ولا تقدر ان تدركه مقلة انسان بل هو الارض الواسعة يلقي فيها المرء بذار آمالهِ والله ادرى متى يكون نباتها ومتى تجنى منها الثمار . انت تقدر يا مولاي ان تفتح المدائن وتدوسها بحوافر جوادك ولكنك لا تقدر ان تأخذ الغد من الله

ان في تصاريف الدهر لعبرة لقد ولد ذلك الطفل فكان اول تيجانهِ وهو في المهد تاج رومة واول القابهِ ملك الرومانيين ولقد جمع لهُ ابوهُ آثار المفاخر ومجد المعارك وصنع لهُ وجه الدنيا على ما يريد كما يصنع الصانع قوام التمثال ووضع امامهُ فرنسا كأساً ملؤُها الرجاء والآمال ولكنهُ قبل ان يمس تلك الكأس اقبل فارس الدهر بجوادهِ فخطفهُ من مهد جلالهِ واردفهُ في مؤَخر سرجهِ"

هذه هي قصيدة الشاعر الفرنساوي وقد رايت في كتاب صهاريج اللؤْلوء وهو مشتمل على رسائل سماحة السيد البكري رسالة في هذا المعنى نصها

"كتابي الى المولى الهمام من قاهرة المعز وانا في شوق اليهِ كشوق عكرمة [٥] غاب عنها الفها فاستقبلت سهيل . وقطعت بالانين جواشن الليل . بكاء ولا دمع . كدجن ولاهمع . واصوات لا نعرف معناها . ولا نجهل شجاها . وجوى كالقبس يتقد مع كل ظلام . فيهتاج لهُ ساكن الحمام . وبعد فقد جاء في كتاب السيد فبرقت الاسرة بشرًا بالمولود . الذي سلهُ الله من الغيب سل المهند المغمود . فيا لهُ من قسور غاب في شبل . وباقعة نقاب [٦] في طفل .

(٥) العكرمة الحمامة (٦) أي ذو معرفة مجرب

كالنخلة العيدانة (٧) في النواة . والكتاب المؤلف في الدواة . قد كمن فيهِ العرف والتكر كمين الرحيق في العنقود . والحريق في العود . درة من الشرف . تفلق عنها الصدف . وكوكب من دراري معدّ تفتق عنهُ الغمام . وزهرة من دوحة لؤي تفتح عنها الكمام . عالم كبير . في شخص صغير . كالشمس في الماوية (٨) والارض في مصوّر الجغرافية . ومعنى حصير . في لفظ قصير . كعنوان الكتاب وفذلكة الحساب . تنقل في الاصلاب من آبائهِ الاوائل . كأنهُ القمر تنقل في المنازل . الى ان خرج للوجود خروج المزن . من الدجن . خير عام . للأنام . فياله من أمير . سريرهُ سرير . كالنجم صغير كبير . ان قلنا لهُ يا ابن خير ام واب . فقد سميناه للعجم والعرب . صغير وهو الأول قدرا . كما يُبتدى في العد بالاصبع الصغرى . وكأني بهِ وقد شدا ان شاء الله تعالى يلعب بالكرة . كما يلعب الصبي بالكرة . ان نطق فامرؤ القيس او اقدم فبسطام ابن قيس . وكأني انظر لهُ وقد شهد الاندية . وعقد الالوية وحمي العشير . وجبر الكسير

وافتنّ فيهِ الناظرون فإصبع يومى اليهِ بها وعين تنظرُ

وكيف لا يكون كذلك وهو سليل بيت مجيد . ابدع فيهِ معنى العلى حتى حسبناهُ بيت قصيد . شجرة خضراء . اصلها ثابت وفرعها في السماء وكذاكم ان طاب الشجر . طاب الثمر . وقد نجلهُ والد جليل . في رتبة بين الغفر والاكليل . عذيق مرجَّب . لو رآهُ النابغة ما قال اي الرجال المهذَّب . طبنٌ لو ناظرهُ العربي صار اعجميًا . ولو ناظرهُ الاعجمي صار عربيًا . اهدي الى طرقات الفضل . من دُعَيميص الرمل (٩) . سميذع شراب بانقاع . جليسه جليس قعقاع (١٠)

وادعٌ يلعب بالدهر اذا جدّ في اكرومة قلت هزل

هذا وقد اشار عليّ السيد حفظهُ الله في كتابهِ بترك العمل برهة . والفراغ للنقلة والنزهة . ترويحًا للنفس من كلف القراطيس والمحابر . الى بلهنية الرياض والازاهر . ولعمري قديمًا قلت لهذا الفكر الى كم تحيي الظلام . وتحرق نفسك ليل التمام . اما آن للنضو الطليح . ان يستريح . فقال اليك عني انما انا نبراس . احترق لكي يستضيء الناس " انتهى

اللهم ان هذه هي الموهبة العظمى التي يهبها الله لمن شاء من عباده والبلاغة العالية التي تزل دونها الاقدام وتتقاصر عندها الاقلام ومن تأمل في جميع ما اوردنا هنا من فصاحات العرب وقاسهُ على ما ذكرناهُ لبلغاء الافرنج وجد الفرق واضحًا والتناسب بعيدًا وهذا ما اردنا بيانهُ والله اعلم

(٧) العيدانة العظيمة (٨) المرآة

(٩) دعيميص الرمل دليل مشهور بمعرفة الطرق عند العرب

(١٠) قعقاع هو قعقاع بن شور ويضرب بجليسه المثل وفي الشعر (ولا يشقى لقعقاع جليس)

مستقبل النيل

بينما ارباب الزراعة في هذا القطر يضربون اخماساً لاسداس لا يعلمون ما يكون من امر النيل هذا العام ومقدار ما يتركونهُ من الارض للزراعة الصيفية ومهندسو الري اشد حيرةً منهم لا هم يجسرون ان يحددوا مقدار ما يمكن ان يزرع زراعة صيفية ولا هم يستحلون ترك الفلاحين وشأنهم يزرعون زرعاً لا يمكن ريهُ كلهُ فييبس بعضهُ عطشاً بعد ان يكون قد ضاع فيهِ جانب من ماء الري ويتلف البعض الآخر لقلة الماء . وهؤُلاء وأُولئك يودون لو شرعت الحكومة في انشاء الخزان منذ بضعة اعوام واتمتهُ الآن حتى تخزن فيهِ من ماء الفيضان ما يفي بحاجة الزراعة ايام التحاريق والمضاربون يخوفون التجار والحاكة من قلة الموسم المقبل ويرفعون ثمن القطن حتى اوصلوهُ الى ثلاثة عشر ريالاً نهض المهندس ولكوكس وقال ان جانباً كبيراً من الماء الذي يصبُّ في النيل منع الآن عن الجري اليهِ بواسطة سدود من الآتي والاعشاب تجمعت في مجاري النيل البعيدة بين الدرجة السابعة والتاسعة من العرض الشمالي فجعلت مياههُ تفيض على ما حولها من البطائح وان هذه السدود حادثة لم تكن قبل سنة ١٨٦٣ فاذا ازيلت الآن غزر الماء زمن التحاريق المقبل وبكَّر الفيضان عن ميعادهِ

وقد رأينا ان نترجم اكثر ما قالهُ في هذا الصدد لان الحكومة المصرية احلَّتهُ محل الاعتبار وسمحت بعشرة آلاف جنيه لامتحانهِ وارسل اللورد كتشنر حاكم السودان اربع بوارج حربية وسفناً نيلية عليها نحو الفي رجل ومعهم ما يلزم من الادوات لفتح المجرى الذي اقرَّت الحكومة على فتحهِ في السد تسهيلاً لمرور المياه الى البحر الابيض

وقد بدأَ المستر ولكوكس رسالتهُ بالكلام على وطوء الفيضان هذا العام فقال "لقد كان فيضان النيل هذا العام واطئاً جدًّا وجرى على اسلوب غير عاديّ . ومن المحتمل ان يكون ذلك ناتجاً عن تعاظم السدود (في اعالي النيل) وقد قيس ارتفاع النيل في الخرطوم في الفيضانين الواطئين فيضان سنة ١٨٧٧ وفيضان سنة ١٨٩٩ ففي سنة ١٨٧٨ لمَّا لم يكن السد موجوداً كانت فائدة البحر الابيض في تعديل الفيضان واضحة جدًّا اما في سنة ١٨٩٩ فكان الفيضان في الخرطوم سريعاً قصير المدَّة . وقد اصاب السر وليم غارستن في ما قالهُ من ان السد لا يؤَثر في الارتفاع الذي يبلغ اليهِ الفيضان في مصر لان هذا الارتفاع موقوف على البحر الازرق ونهر الانبرة . ولكن السد قد يؤَثر في طول الزمن الذي يبقاهُ الفيضان الواطئ ويكون تأثيرهُ اعظم اذا فعل بماء النيل الصيفي لان نيل فكتوريا (الذي يمدُّ البحر الابيض)

يجري في مستنقعات مسافة ٢٥٠ كيلومترًا وعمقهُ نحو خمسة امتار ويبقى ضمن ضفتيهِ وقلما يكون الماء على اقلهِ ولكن اذا كان في مجراهُ سدٌّ سمكهُ متر ونصف متر فاض على ما حولهُ وخسرهُ النيل واذا كانت الحال كذلك في بحر الجبل فوق بحيرة نو حيث عمق الماء خمسة امتار فما تكون الحال تحت تلك البحيرة حيث عمق النهر متران فقط وحيث ينبسط الماء فيكثر التبخر منهُ

وتكون ضفاف فروع النيل في البطائح والمستنقعات التي هناك مغطاةً بنبات البردي وغيرهِ من النباتات المائية التي تعلق بها الاعشاب الجارية مع الماء . ففي زمن الفيضان العالي تكون الاعشاب الآتية مع الماء من اوغندا وجهات بحيرة البرت كثيرة جدًّا فاذا فاضت مياه النهر على ضفتيهِ ضعف مجراهُ عن السير بها فتعلق هذه الاعشاب بالبردي وغيرهِ من النباتات النابتة فتتراكم وتتلبَّد ويصير منها السد . وكل نبات يتألف منهُ السد يساعد غيرهُ على تصفية الماء وهو لا يعيش الاَّ في الماء الصافي فاذا استعملت واسطة لجلب الماء العكر الى هناك ماتت النباتات الطافية واذا زرع شجر الصفاف تغلب على تلك النباتات ايضاً . ولم يذكر قطُّ ان السدَّ كان موجودًا في البحر الابيض قبل سنة ١٨٦٣ ولم يذكر ايضاً ان الفيضان كان واطئًا في سنة من السنين كما كان واطئًا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٩٩ "

وفي كلام المستر ولكوكس الاخير نظر لان مقاييس النيل قديمة من عهد المصريين القدماء وقد ذكر مؤرخو العرب ارتفاع الفيضان في اكثر من الف سنة منذ نزولهم هذا القطر ويُرى في ما ذكروهُ ان الفيضان قصَّر مرارًا كثيرة كما قصَّر هذه السنة وسنة ١٨٧٧ ففي سنة ١٨٣٣ بلغ الفيضان ١٨ ذراعاً و ٢٣ قيراطاً وتأخر في الزيادة واسرع في التناقص وروى ربع اراضي الاقاليم الوسطى والخُمس من اراضي اسيوط وجرجا وروى الشراقي فقط بمديريتي قنا واسنا . وسنة ١٧٨٣ بلغ الفيضان ١٨ ذراعاً وقيراطين وهبط سريعاً وشرقت الاراضي القبلية والبحرية وغلا سعر القمح حتى بلغ ثمن الاردب عشرة ريالات . وبلغ في السنة التالية ١٨ ذراعاً و ١٢ قيراطاً فقط واشتد الغلاء . وسنة ١٧١٥ و ١٧١٦ بلغ الفيضان ١٦ ذراعاً فقط نقل ذلك علي باشا مبارك عمَّا ذكرهُ قوله في سياحتهِ . وسنة ١٦٥٠ بلغ الفيضان ١٦ ذراعاً ايضاً فشرق ثلثا ارض الصعيد وسنة ١٦٤١ بلغ ١٥ ذراعاً فقط وفتح السد بدون وفاء ووقع القحط والغلاء وكذلك سنة ١٤٤٩ وقف الفيضان على ١٥ ذراعاً و ٧ قراريط فوقع الغلاء وعمَّ البلاء وبيع اردب القمح بسبعة دنانير . وسنة ١٢٩٦ وقف على ١٥ ذراعاً و ١٨ قيراطاً وعمَّ القحط واكل الناس الخيل والقطط والكلاب . وسنة ١٢٠١ بلغ الفيضان ١٥ ذراعاً و ١٦ قيراطاً فوقع الغلاء والوباء واكل الناس بعضهم بعضاً ومات ثلاثة ارباع اهالي الاقاليم الخ

ولعلَّ المقاييس الاخيرة من سنة ١٧١٥ فما قبلها لم يكن حسابها مثل الحساب الجاري الآن

فان كان الاسلوب الذي جرى فيهِ فيضان هذا العام ناتجاً عن وجود السدود في اعالي النيل فلا يبعد ان تكون السدود قديمة جدًّا لان النيل جرى على هذا الاسلوب مرارًا كثيرة في السنين الغابرة

ثم قال المستر ولكوكس " ان اول من وصف النيل بين فشودا وكندكرو هو ورن الذي رافق حملة دارنو التي ارسلها محمد علي باشا سنة ١٨٤٠ وقد وجدت هذه الحملة ان الملاحة ممكنة في البحر الابيض وبحر الجبل بين دسمبر ومارس (انظر الشكل الثاني) وكان عرض بحر الجبل بين الدرجة السابعة والتاسعة اربع مئة متر وعمقهُ خمسة امتار وسرعتهُ نحو نصف متر في الثانية من الزمان . ومن اغرب ما في هذا الوصف انهُ لم يذكر فيهِ بحر الزراف مع انهُ ذُكر فيهِ نهر السُّبَت وبحر الغزال وانهر اخرى صغيرة لان المياه كانت محصورة في مجرى واحد وكان قطع النهر بين الدرجة السابعة والتاسعة كما ترى في هذه الصورة (فترى قطع النهر في وسطها



الشكل الاول

والمستنقعات على جانبيهِ) . وفي الشتاء ينحط منسوب الماء ٦٠ سنتمترًا عن متوسط ارتفاعهِ ويعلو وقت الفيضان ٦٠ سنتمترًا . ويكون في المستنقعات مياه آسنة تمتزج بمياه الفيضان في اولهِ . وكان بين مجرى النهر والمستنقعات مخارج كثيرة بعضها طبيعي وبعضها صناعي حفرها السكان لاجل الصيد فاذا جرى الماء من النهر الى هذه المستنقعات على جانبيهِ رسب ما فيهِ من الطمي . وقد جاء في الصفحة ١٠٠ من المجلد الثاني من تقرير تلك الحملة ان لا صحة لما قيل من ان الاهالي سدُّوا النهر (بين الدرجة ٦ و ٩) ليمنعوها من الرجوع " . ويظهر من ذلك ان الاهالي كانوا سنة ١٨٤٠ قادرين على سد النهر كما كانوا يتحكمون بالمجاري الجانبية بواسطة اوتاد كبيرة يغرسونها في الارض لكي يحجزوا بها الماء و يصيدوا السمك منهُ

ثم زادت الحملات في النيل بين سنة ١٨٤١ و١٨٦٣ وجار النخاسون على الاهالي فلا يبعد ان يكون الاهالي انتبهوا حينئذٍ الى توسيع المجاري الجانبية وتعميقها لكي يزيد جريان الماء فيها ويقل ماء النهر فينجوا من الصاعدين فيهِ . ثم لما ارسلت الحكومة المصرية سفنها لمنع

النخاسة جعل النخاسون يسيرون في هذه المجاري الجانبية وصارت تصل كلها ببحر الزراف وصارت الملاحة في هذا البحر ممكنة وقد سار بثك في القسم الاسفل منهُ بين سنة ١٨٥٣ و١٨٦٢ وكان يوصف بوجود السدود فيهِ خلاف بحر الجبل الذي لم يكن فيهِ سد وبقي الماء يتبدد منهُ الى سنة ١٨٦٣ وحينئذٍ كان الفيضان عظيماً وكانت المواد التي حملها الماء من الانحاء الجنوبية كثيرة جداً فساحت المياه من كل ناحية وعلقت المواد التي كانت تحملها بما على جانبي النهر من النبات فسدَّتهُ تحت بحيرة نو (انظر الشكل الثاني في آخر هذه المقالة)

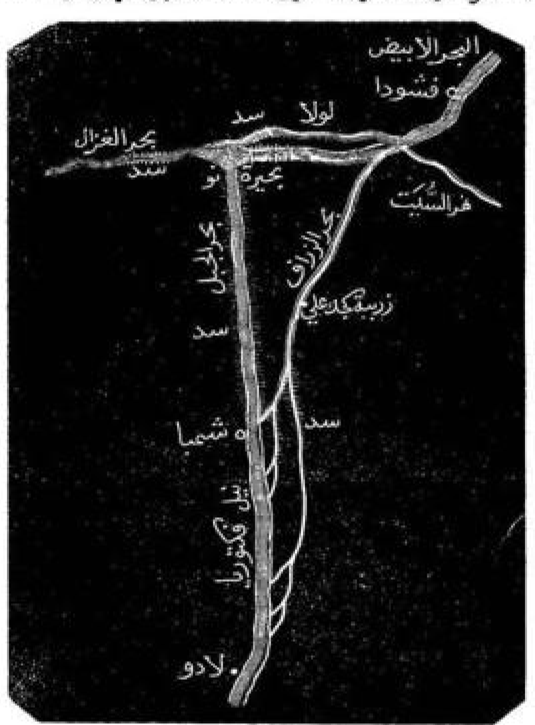
ولما صعد السر صموئيل باكر في البحر الابيض وبحر الجبل في شهر يناير سنة ١٨٦٢ وجد الطريق مفتوحاً الى الجنوب لا سدَّ فيهِ ولما عاد في شهر ابريل سنة ١٨٦٥ وجد السد الذي نتج عن فيضان سنة ١٨٦٣ لم يزل في البحر الابيض تحت بحيرة نو وكان طولهُ الف متر وفيهِ ثغرة على طولهِ عرضها ٣ امتار يجري فيها الماء

وفي شهر فبراير من شهور سنة ١٨٦٩ سار الدكتور شوينفورث ورفاقهُ الى بحر الغزال فلزم لهم ستة ايام حتى قطعوا هذا السد مع ان القسم المنيع منهُ لم يكن طولهُ سوى ٢٠٠ متر وفي الثاني من شهر يوليو كان الدكتور شوينفورث راجعاً فوجد السد تحت بحيرة نو ووصف الثغرة التي فيهِ وقال "ان الماء يجري فيها جرياً سريعاً وعرضها من مترين الى ثلاثة وهي عميقة لم تبلغ السفينة قاعها"

وسنة ١٨٧٠ وجد السر صموئيل باكر ان سفينتهُ لا تستطيع ان تقطع السد في البحر الابيض ووجد بحر الزراف مسدوداً ايضاً مسافة مئة كيلو متر من اولهِ ولم يستطع السير فيهِ مع ان النخاسين كانوا يسيرون . وعاد السر صموئيل باكر في يناير سنة ١٨٧١ الى زريبة نجك علي على بحر الزراف فوجد امامهُ مئة كيلومتر من السد ففتح فيهِ طريقاً بمعونة ١٢٠٠ رجل واتمهُ في الثالث عشر من شهر مارس . وكان الانحدار من بحر الجبل الى بحر الزراف عظيماً فاضطرَّ ان يقيم سداً طولهُ ١٢٠ متراً قطع بهِ بحر الزراف حتى تيسر لسفنهِ السير الى نيل فكتوريا . ولما عاد وجد ان الماء قد وسع الخرق الذي فتحهُ فسهل السير فيهِ . وسنة ١٨٧٤ كان الماء واطئاً فازال اسمعيل باشا ايوب السد من بحر الجبل . ومن سنة ١٨٧٩ الى سنة ١٨٧٨ كان بحر الجبل خالياً من السد ولكن المجرى الذي كان واسعاً سنة ١٨٤٠ صار ضيقاً جداً لا يزيد عرضهُ على ستة امتار لان المياه كانت تجري منهُ الى بحر الزراف فلم يعد الماء الجاري فيهِ (في بحر الجبل) كافياً لحفظ مجراه ثم لما جاء الفيضان العظيم سنة ١٨٧٨ انسدَّ ثانية وسنة ١٨٨٠ كان بحر الغزال مسدوداً فقطع مرنو السد منهُ ومن بحر الجبل وقال ان

قطعةٌ سهل . وقال امين باشا ان بحر الجبل والبحر الابيض كانا خاليين من السد ولكن السفن لم تصعد من الخرطوم الى لادو سنة ١٨٨٤ بسبب الثورة

وسنة ١٨٩٨ وجد اللورد كتشنر بحر الجبل مسدودًا وفي شهر مارس سنة ١٨٩٩ سار مباركس بك في بحر الزراف فوجد طول السد ثلاثين كيلو مترًا فقط . ووجد السر وليم



الشكل الثاني

غارستن ان المجرى اقوى في بحر الزراف منهُ في بحر الجبل وبحر الغزال . ونزل الكولونل مارتر الى نيل فكتوريا من اوغندا فوجد بحر الجبل مسدودًا مسافة ٤٠ كيلو مترًا شمالي شمبا . ولذلك يبلغ طول السد في بحر الجبل الآن ٢٥٠ كيلو مترًا وفي بحر الزراف ٣٠ كيلو مترًا

ووصف سبراكس بك بحر الزراف في شهر مارس الماضي بان عرضهُ ٤٠٠ متر وعمقهُ من مترين ونصف الى ٣ وسرعتهُ نحو متر في الثانية في بعض انحائهِ

وخلاصة ما تقدَّم ان بحر الجبل الذي كانت مياه نيل فكتوريا تجري فيهِ كلها الى البحر

الايض سنة ١٨٤٠ وكان عرضهُ ٤٠٠ متر وعمقهُ خمسة امتار قد ضاق جدًّا الآن مسافة ٢٥٠ كيلومترًا وصار جانب كبير من مياه نيل فكتوريا يجري في بحر الزراف الى البحر الابيض فقام مقام بحر الجبل ونتج عن ذلك ان ضاقت بحيرة نو بعد ان كانت واسعة جدًّا سنة ١٨٤٠ واضحت مستنقعاً . والفرع الذي يصل بحيرة نو بالبحر الابيض كاد يزول . وصار بحر الغزال يجري بحر لولا الى البحر الابيض

وقد ارتأى المستر ولكوكس ان يزال السد من بحر الزراف في هذا الشهر (يناير) والذي يليهِ وازالتهُ في هذا العام اسهل منها في غيرهِ لا سيما وان طولهُ ثلاثون كيلومترًا فقط فيفتح الطريق لماء نيل فكتوريا حتى يجري الى البحر الابيض . ثم يسهل سد بحر الجبل بسد قوي وسد المخارج الجانبية بين لادو وشمبا وحينئذٍ يصير الماء يجري توًّا من نيل فكتوريا الى البحر الابيض ببحر الزراف فيزيد بهِ الماء الصيفي ويبكّر الفيضان. قال وقد تمكَّن السر صموئيل باكر بمساعدة ١٢٠٠ رجل ان يفتح السد من بحر الزراف مسافة ١٠٠ كيلومتر حينما كان قليل الماء فاحرِ بالحكومة المصرية الآن ان تزيل منهُ سدًّا طولهُ ٣٠ كيلومترًا فقط وهو كثير الماء يساعدها بجريان مائهِ على ازالة هذا السد

ثم قدَّر نفقات ١٢٠٠ جندي يعملون ثلاثة اشهر في ازالة السد ٦٠٠٠ جنيه ونفقات ٢٠ سفينة صغيرة ٦٠٠ جنيه ونفقات ثلاث بواخر ٩٠٠ جنيه ومواد العمل ٢٠٠ جنيه وجملة ذلك ٩٥٠٠ جنيه وقدَّر نفقات اقامة السد في بحر الجبل خمسة آلاف جنيه اخرى والنفقات التي قد تمسُّ الحاجة اليها ٥٠٠٠ جنيه والجملة ٢٠٠٠٠ جنيه . والظاهر ان الحكومة المصرية اقرَّت الآن على ازالة السد من بحر الزراف وسمحت بعشرة آلاف جنيه لذلك . واشار المستر ولكوكس باعمال عظيمة لمنع السد في المستقبل ورفع ضفتي نيل فكتوريا وبحر الزراف الى مصب نهر السُّبَت فيزيد الماء الوارد الى اصوان ٢٠٠ متر مكعب في الثانية مدة الصيف اي قدر ثلاثة اخماس المياه التي ترد من خزان اصوان وتصير الملاحة ممكنة في النيل حتى الدرجة الخامسة من العرض الشمالي ويتنقَّى النيل من الماء الاخضر في شهر مايو ويونيو واذا لزم الامر امكن انشاء سدود في مخارج البحيرات الاستوائية يتضاعف بها الماء الصيفي او يصير ثلاثة اضعاف الى ان قال . وخليق بالحكومة المصرية ان تعمل ذلك ولو بلغت نفقات عملهِ ستة ملايين من الجنيهات واذا لم تستفد مصر من مياه نيل فكتوريا فلا فائدة مما انفقتهُ على فتح السودان من المال والرجال . ولا فائدة للسودان بغير مياه نيل فكتوريا ولكنهُ يكون بها كنزًا لا يثمَّن



تعليم الزراعة

من الاقوال المأثورة ان الفلاح اجهل الناس وهو كذلك في اكثر البلدان. وقد رسخ في الاذهان ان الفلاحة لا تقتضي علماً ولا معرفة وغاية ما تقتضيهِ ان يكون الرجل قادراً على شد الثيران الى المحراث وسوقها وقت حرث الارض وبذر البذار فيها وريها ونحو ذلك من الاعمال التي يعملها الفلاحون عادةً ويتعلمها الواحد منهم من ابيهِ. وكانوا يكتفون بهذه الاعمال وهذه المعرفة لما كان الفلاح لا يقصد من الفلاحة الاَّ استغلال ما يقوم بطعامهِ وكسائهِ وقد رأينا الفلاحين في اماكن كثيرة لا همَّ لهم الاَّ ان يستغلوا من القمح والذرة ما يمونهم ومن القطن والصوف ما ينسجون منهُ ثيابهم فان انتجت الارض اكثر من حاجتهم ومما يلزم لدفع الضرائب تركوهُ للفقير والبائس وان انتجت اقل مما يحتاجون اليهِ قتّروا في ما عندهم الى العام المقبل. لكن التجارة وطلب الكماليات وتقاضي الحكومة اموالها نقوداً كل ذلك دعا الفلاح الى زيادة الاعتناء ليستغلَّ من الارض اكثر مما يلزم لمعيشتهِ وقد نتج من ذلك ان بُذلت العناية من قديم الزمان في جمع المعارف الزراعيَّة في كتب ارشاداً للذين يتعاطونها. لكنها لم تكن منسَّقة تنسيقاً علميًّا ودام الحال على هذا المنوال نحو الفي سنة اي من عهد النبط واليونان والرومان الى اوائل هذا القرن. فرأى اهالي فرنسا والمانيا وسويسرا منذ خمسين عاماً انهُ لابدَّ من قرن علم الزراعة باحدث العلوم الطبيعيَّة ودرسها كلها معاً في المدارس فانشأوا المدارس الزراعية واستخدموا اكبر العلماء لالقاء الدروس والخطب في المواضيع الزراعية وجعلوا بعض العلوم الزراعية الزامياً على الطلبة وارسلوا علماء الزراعة في طول البلاد وعرضها ليلقوا الخطب ويرشدوا الزارعين في كل ما يسألونهم عنهُ. وشاع التعليم الزراعي في اوربا كلها حتى في روسيا. وقد رسخ في اذهان الاوربيين الآن ان الانسان لا يفلح في الاعمال الزراعية ما لم تكن مؤَسسة على المبادىء العلمية حتى روسيا التي يقال انها دون غيرها من الممالك الاوربية في العلوم والفنون فيها الآن ٦٨ مدرسة زراعية يبلغ عدد الطلبة فيها ٣١٥٧ وتبلغ نفقاتها السنوية نحو ٨١ الف جنيه تدفع الحكومة ثلثيها ومؤسسو المدارس ثلثها الباقي

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للعالم ده ربير قال فيها ان اوَّل من اشار

بانشاء مدرسة زراعية في فرنسا العلاّمة لافوازيه في اواخر القرن الماضي ولكن لم يعمل بقوله الأسنة ١٨٢٢ حينما انشئت اوَّل مدرسة زراعية حقيقية بقرب نانسي ثم انشئت مدرسة غرينيون سنة ١٨٢٩ ومدرسة غران جوان سنة ١٨٣٠ · وقد صار التعليم الزراعي في فرنسا الآن اتمّ مما هو في سائر البلدان فان نظارة الزراعة فيها ونظارة المعارف العمومية تبذلان الجهد في نشر المعارف الزراعية من اصغر المدارس الى اعلاها

قال المسيو تسران المدير العام للزراعة " ان غرض فرنسا لا يقتصر على تعليم الشبان مبادىء الزراعة بل يتناول استخدام الوسائل لجعل الكبار من اهل الزراعة يهتمون بالمعارف الزراعية. وفي هذا العصر عصر المناظرة لا يفلح زارع ما لم يستعمل الاساليب العلمية في زراعته والاساليب القديمة لم تعد كافية في الزراعة كما انها لم تعد كافية في الصناعة"

وقد كان في فرنسا سنة ١٨٩٣ ثلاثة آلاف وستمئة معلم يتعلمون العلوم الزراعية ليعلموها لغيرهم وكان فيها ثلاثون معملاً زراعيًّا لتحليل التراب والسماد وارشاد ارباب الزراعة في كل ما يطلبون ان يُرشَدوا فيهِ و ٣٣٦٢ حقلاً من حقول الامتحان الزراعي و ١٦ مدرسة للزراعة في الحقول و ٣٩مدرسة زراعية عملية و ٦مدارس للزراعة العمومية وزراعة الجنائن و ٣مدارس لطب المواشي ومدرسة لعلم الرعاية و تربية المواشي ومدرسة لعلم عمل الجبن ومدرسة لعلم تربية دود الحرير . وكان في مدارسها الجامعة ١٦٠ استاذًا يعلمون العلوم الزراعية ويبحثون في ادق غوامضها والحكومة الفرنسوية تنفق على ذلك ٤٥٠٤٠٥٠ فرنكاً كل سنة

ثم قال ان اهتمام بروسيا بتعليم الزراعة لا يقل عن اهتمام فرنسا وهي تدخل التعليم الزراعي في كل مدارسها حتى الكتاتيب التي يتعلم فيها الاطفال وتتدرَّج فيهِ حسب درجات المدارس الى ان تبلغ اعلاها . وتقسم مدارسها الزراعية الآن الى ثلاثة اقسام عليا ووسطى وصغرى تنفق الحكومة عليها نحو مئتي الف ريال سنويًّا ويشمل التعليم الزراعي كل اعمال الزراعة كزرع الحراج والاشجار المثمرة والكروم والازهار وعمل الخمر والبيرة واصلاح الآلات الزراعية وتربية الطيور والنحل ودود الحرير ومساحة الارض . وعندها اساتذة في علم الزراعة يطوفون في البلاد ويرشدون الزارعين في الاعمال الزراعية ويخبرونهم بنتائج المكتشفات العلمية المتعلقة بالزراعة لكي تنتج لهم اعظم النتائج باقل ما يكون من التعب والنفقة

وفي بلاد النمسا مدارس زراعية على ثلاث درجات عليا ووسطى وسفلى واقدم مدارسها الزراعية العليا انشئت سنة ١٧٩٩ . واقدم مدرسة زراعية في بلاد سويسرا انشئت سنة ١٨٠٦ فتعلم فيها ثلاثة آلاف تلميذ على الاقل العلوم الزراعية. ومدرستها الشهيرة في زورك التي

يحق لها ان تفاخر بها مدارس اوربا فيها الف تلميذ وستة فروع واحد منها لزرع الحراج وواحد للزراعة بنوع عام وفيها عدا هذه المدرسة خمس مدارس جامعة اخرى وكلها تساعد في تعليم العلوم الزراعية

ومملكة هولندا الصغيرة تنفق حكومتها اكثر من سبعين الف جنيه في السنة على العلوم الزراعية

وقد حذت ايطاليا حذو فرنسا والمانيا في انشاء المدارس الزراعية والانفاق على التعليم الزراعي وفيها الآن ٣٥ مدرسة لتعليم الزراعة وفي اسبانيا سبع مدارس كلية لتعليم الزراعة وقد انفقت عليها سنة ١٨٩٦ نحو ستين الف جنيه . وفي بلاد البرتغال سبع مدارس زراعية

وبلغ التعليم الزراعي أوجه في اسوج ونروج وبلاد الدنمارك وفنلاندا . وقد انفقت بلاد نروج الصغيرة على التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية فقط اكثر من ٣١ الف جنيه سنة ١٨٩٥ وانفقت فنلاندا اكثر من مضاعف ذلك

والتعليم الزراعي يكاد يكون الزاميًّا في ارلندا فلا تخلو مدرسة فيها من تعليم مبادئ الزراعة ومن العمل بها . واسكتلندا سبقت ممالك اوروبا كلها الى تعليم الزراعة فانشأت فرعاً في مدرسة ادنبرج سنة ١٧٩٠ وكان فيها جمعية زراعية سنة ١٧٤٣ و بلغت النفقات على تعليم الزراعة فيها سنة ١٨٩٥ نحو ٤٣ الف جنيه . و بلغت اعانة الحكومة للمدارس الزراعية في انكلترا وويلس سنة ١٨٩٦ نحو ١٤٠ الف جنيه

وقد اهتمَّ الانكليز بانشاء المدارس الزراعية في كل مستعمراتهم في الهند واستراليا وراس الرجاء الصالح وكندا ومن قبيل ذلك اهتمامهم بانشاء المدرسة الزراعية في هذا القطر لكنَّ مدرسة واحدةً لا تقوم بكل حاجتهِ ولا بدَّ من توسيع نطاقها كثيرًا وانشاء مدارس اخرى فيهِ من نوعها حتى تصير الزراعة كلها علمية ولا يضيع شيءٌ من خيرات البلاد التي يمكن الانتفاع بها

الطعام في الحاضر والمستقبل

للمستر وود دافس

(وعدنا في الجزء الماضي في كلام على مسألة القمح والكتاب الذي وضعهُ السر وليم كروكس فيها ان نلخص الفصلين اللذين ختم بهما ذلك الكتاب . ونحن نلخص الآن الفصل الاول منهما)

ان الامم التي تأكل الخبز وهي سكان اوربا وغربي اسيا وشمالي افريقية وسكان كندا والولايات المتحدة الاميركية واستراليا وارجنتينا وشيلي واوروغواي و برازيل وجنوبي افريقية

كان عددها ٣٧١ مليون نفس سنة ١٨٧٠ فبلغ عددها الآن ٥٢٠ مليون نفس . ونمو هذه الامم يتزايد عاماً بعد عام فقد كانت زيادتها السنوية ٤ ملايين نفس سنة ١٨٧٠ وهي الآن اكثر من ٦ ملايين نفس ولذلك يجب ان تزاد الارض التي تزرع حنطة ونحوها من الحبوب التي يصنع منها الخبز ويجب ان تكون الزيادة السنوية الآن في مساحتها اكثر مما كانت سنة ١٨٧٠ باكثر من خمسين في المئة لكن الارض التي تزرع من هذه الحبوب لم تزد الآن عما كانت عليه منذ خمس عشرة سنة سوى مليونين و ٤٠٠ الف فدان فزاد الآكلون عشرين في المئة ولم تزد الارض التي تزرع لهم واحداً في المئة

ومن سنة ١٨٧١ الى ١٨٨٤ زادت مساحة الارض التي تزرع حنطة ونحوها في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢١ مليون فدان وزادت في سائر البلدان اقل من تسعة ملايين فدان . ثم لم تعد الولايات المتحدة تزيد الاراضي التي تزرع حبوباً الاَّ قليلاً فقد بلغت مساحة هذه الاراضي ٣٩ مليوناً و ٥٠٠ الف فدان سنة ١٨٨٤ ولم تبلغ سوى ٤٤ مليوناً ومئتي الف فدان سنة ١٨٩٨ فبلغت الزيادة في اربع عشرة سنة اربعة ملايين وسبع مئة الف فدان

وتزرع الحنطة في نحو ٤٠ مليون فدان في البلدان التي لا يعتمد اهلها على اكل الحنطة كما في جنوبي اسيا وشمالي افريقية ويبلغ الصادر منها سنوياً نحو عشرين مليون بشل

ويظهر بالاحصاء ان آكلي الخبز زادوا من سنة ١٨٧٠ الى الآن نحو اربعين في المئة واما مساحة الاراضي التي تزرع فيها حبوب الخبز فلم تزد في هذه السنوات كلها سوى عشرة في المئة فبلغت زيادتها ٢٧ مليون فدان وكان يجب ان تبلغ ٩٧ مليون فدان . ولكن اذا اضفنا الى هذه الحبوب الذرة على انواعها والبطاطس والشعير رأينا ان الزيادة في الارض التي تزرع فيها هذه المزروعات كلها قد بلغت ٢٥ في المئة فكانت مساحتها ٤٦٣ مليون فدان سنة ١٨٧٠ فبلغت الآن ٥٧٩ مليون فدان لكن هذه الزيادة على عظمها تبقى دون زيادة الآكلين لان الآكلين زادوا نحو اربعين في المئة . وزد على ذلك ان زيادة هذه الزراعة كان اكثرها في الذرة والبطاطس. اما الذرة فيستعمل جانب كبير منها علفاً للمواشي او يستعمل لاستخراج السكر والنشا والسبيرتو . والبطاطس ليس من مواد الطعام التي تبقى من سنة الى سنة فاذا زاد في احدى السنين عن المقطوعية فليس من زيادته فائدة لانهُ لا يمكن حفظهُ الى السنة التالية

ومع ان الاراضي التي تزرع حبوباً لم تزد الزيادة المطلوبة منذ خمس عشرة سنة الى الآن الاَّ ان الغلال لم تنقص عن احتياج الناس ولم ترتفع الاسعار ارتفاعاً فاحشاً وذلك لأن المواسم جادت في احدى عشرة سنة من هذه السنوات جودة غير عادية فاذا اتت بضع سنون

لم تجد فيها المواسم ظهرت حاجة الناس الى الطعام واشتدَّت كثيرًا

والمظنون انهُ اذا قلَّت الحنطة من الدنيا اعتاض الناس عنها بحبوب اخرى وهذا الظن فاسد لان الحبوب الاخرى تقتضي ارضًا لزرعها فيها فالارض التي تزرع من هذه الحبوب يمكن ان تزرع حنطةً لانهُ يسهل زرع الحنطة في اكثر الاراضي كما يسهل زرع غيرها من الحبوب. ولا يصلح ان يبطل زرع الذرة والشعير مثلاً و يزرع القمح بدلاً منها لانها لازمان للناس والمواشي ولا بدَّ من ان تزاد زراعتها بازدياد السكان لان غلتها الآن لا تزيد عن الحاجة وعليهِ فاذا جرى الحال على هذا المنوال بضع سنوات فلا بدَّ من ان تقل غلة الحنطة وغيرها من الحبوب عن حاجة السكان

وقد اتسع نطاق الزراعة في اميركا الشمالية منذ ثلاثين سنة الى الآن اتساعًا عظيمًا جدًّا فزرعت سهولها وحقولها الخصبة بعد ان كانت قفارًا وحراجًا ونتج منها طعام كفى لزيادة السكان في اوربا واميركا اي لمئة وتسعة واربعين مليونًا من النفوس. ولم يبقَ الآن في المنطقة المعتدلة اراضٍ غير مزروعة تقابل بالاراضي التي كانت في اميركا في خصبها واتساعها ولكن لا بدَّ من مثل هذه الاراضي لزرع الحبوب ما دام الناس آخذين في الازدياد. فان الزيادة في اراضي الحنطة منذ سنة ١٨٧١ الى الآن بلغت ١١٦ مليون فدان ونحو ٨٩ مليون فدان منها في اميركا وما بقي وهو ٢٨ مليون فدان في سائر ممالك الارض فلولا اميركا بل لولا وادي المسسبي لان اكثر هذه الزيادة فيهِ لكانت المجاعة قد عمَّت كل آكلي الخبز الآن ولكن ليس في الدنيا وادٍ آخر مثل ذلك الوادي لان فيهِ نحو ٣٠٠ الف فدان من الاراضي التي تصلح للزراعة

فاذا زاد عدد السكان في الثلاثين سنة التالية على معدَّل ثلاثة ارباع الزيادة التي زادها في الثلاثين سنة الماضية بلغت الزيادة ١٦٠ مليونًا من النفوس و يلزم لهم سبعون مليون فدان من اراضي الحنطة فاين توجد وما هو السبيل لاشباع الناس من الآن الى ثلاثين سنة اذا بقي متوسط غلة الفدان كما كان منذ ٢٨ سنة الى الآن

ولم يجب الكاتب عن هذا السؤَال ولكنهُ اراد ان الحل الوحيد لهذا المشكل يكون بعمل نترات الصودا بواسطة الكهربائية وتسميد الارض بهِ فتتضاعف غلتها

التحاريق والفيضان

عرَّبنا في هذا الجزء الرسالة التي وضعها المستر ولكوكس وابان فيها ان مياه البحيرات الاستوائية التي تجري الى البحر الابيض احد فرعي النيل يضيع جانب كبير منها الآن بما

يعترضها من السدود في بحر الجبل و بانصبابها في المستنقعات التي في تلك البلاد وانهُ اذا ازيل السد من بحر الزراف المتصل بنيل فكتوريا صارت المياه تجري منهُ الى البحر الابيض مباشرة فزادت في زمن التحاريق المقبل وبكَّر الفيضان عن ميعادهِ . وان ازالة هذا السد لا تقتضي الاَّ نحو عشرة آلاف جنيه فسمحت الحكومة بهذا المال وارسلت اناساً لازالة السد . فاذا ازيل في شهر يناير المقبل ظهرت نتيجة ازالتهِ في شهر مارس عند الشروع في زرع القطن فيعلم حينئذٍ ما اذا كانت حالة النيل تؤْذن بتوسيع نطاق الزراعة كما كان في العام الماضي او توجب تضييقهُ حتى لا يزيد على ثلث الاطيان الصالحة لزراعة القطن . ومهما يكن من ذلك فالتقتير في استعمال ماء النيل واجب هذا العام لئلا يضيع جانب منهُ في ري مزروعات لا يمكن اتمام ريها

طعم اللبن والزبدة

مما لا ريب فيهِ ان طعم العلف يؤثر احياناً كثيرة في طعم اللبن والزبدة فاذا اكلت البقر لفتاً او حلبة او ما اشبه مما لهُ طعم قوي ظهر طعمهُ في لبنها وزبدتها فافسدهما كما ان البقر التي ترعى الشيح ونحوهُ من النباتات العطرية يصير طعم لبنها عطرياً . وقد اشار ارباب الزراعة بامور مختلفة لازالة طعم العلف الكريه الطعم من اللبن والزبدة فلم يفِ شيءٌ مما ذكروهُ بالغرض. وآخر ما قرأناهُ من هذا القبيل رأْي لبعضهم في الغازت الزراعية الانكليزية قال اذا اكلت البقر الحلوب لفتاً او نحوهُ فاطعمها بعدهُ علفاً يابساً كالتبن والدريس وما اشبه فيختلط العلف اليابس بالعلف الكريه الطعم حتى يسهل فعل العصارة المعدية بهِ فتفعل بهِ فعلاً كيماويًّا وتغير تركيبهُ قبلما تمتصهُ الاوعية التي في جدران المعدة و يسير منها الى الدم واللبن . وسواءٌ كان هذا التعليل صحيحاً او لم يكن فاذا كانت النتيجة كما قال هذا الكاتب حقَّ لهُ الشكر على نشرهِ هذه الفائدة لان طعم العلف كثيراً ما يفسد طعم اللبن والجبن والزبدة حتى تعافها النفس ولاسيما في هذا القطر

فائدة الكسب والدريس

يراد بالكسب ما يبقى من بزر القطن بعد استخراج الزيت منهُ وبالدريس البرسيم اليابس . وقد حُلِّل الاثنان تحليلاً كيماويًّا فوجدت عناصرهما متقاربة كما ترى في هذا الجدول

	الكسب	الدريس
ماء	٥,١١ في المئة	٥,١٦ في المئة
رماد	٣,٠٦ " "	٠,٠٧ " "
شبيهة بالزلال	٦,٢٤ " "	٣,١٥ " "
الياف	٨,٢٠ " "	٢,٢٢ " "
مواد ذوابة غير نيتروجينية	٦,٣٠ " "	٨,٣٥ " "
دهن	٢,٠٦ " "	٢,٠٣ " "

وقدّر بعضهم ان الغذاء في الطن من الكسب يساوي في البلاد الانكليزية خمسة جنيهات وتسعة شلنات وفي الطن من الدريس يساوي اربعة جنيهات وستة شلنات وذلك ينطبق على تحليلهما الكياوي فاذا كان ثمن القنطار من الدريس عشرين غرشاً وجب ان يكون ثمن القنطار من الكسب ٢٥ غرشاً

طعام الامم

بحث بعضهم عما يأكلهُ النفس الواحد من الانكليز والفرنسويين والالمانيين كل سنة وذلك من القمح والراي واللحم والبطاطس وما يشربهُ من اللبن فكان كما في هذا الجدول والمواد كلها ارطال

	قمح	راي	لحم	بطاطس	لبن
الانكليزي	٣٥٤	٠٠٦	١٢٧	٢٩١	٥٢٠
الفرنسوي	٤٦٣	٠٦٦	٠٨	٥٦٨	٣٢٨
الالماني	١٧٤	٢٧٦	٠٩٩	١٠١٨	٤٧٢

ويظهر من ذلك ان الانكليز اكثرهم اكلاً للحم وشرباً للبن والفرنسويين اقلهم في ذلك والالمانيين بين بين

زرع الكرنب (الملفوف)

الارض الصالحة لهُ — هي الجيدة الكثيرة الخصب القليلة الرمل والقليلة الطفال. ولابد من حرثها وتنعيمها جيدًا في فصل الخريف . واذا لم تكن شديدة الخصب تسمد بالسباخ البلدي او بدقيق العظام. ثم تحرث ثانية في الربيع وتسمد ايضاً بنحو مئة وعشرين حملاً من السباخ البلدي

للفدان الواحد او بطن من دقيق العظام او نصف طن من الجوانو وقد يكتفى بنصف ذلك ويترك النصف الآخر ليسمد به النبات بعد زرعه. ثم تخطط الارض خطوطاً بين الخط والآخر ٧٥ سنتمترًا ويزرع الكرنب فيها ويكون بين النبات الواحد والذي يليه اربعون سنتيمترًا فيزرع في الفدان ثلاثة عشر الف كرنبة هذا اذا اريد ان يكون الكرنب قريباً بعضهُ من بعضهِ ورؤوسهُ صغيرة واما اذا اردت ان يكون بعيدًا ورؤوسهُ كبيرة فاجعل البعد بين الخط والآخر ثلاث اقدام وخطط الارض طولاً وعرضاً وامزج ملتقى الخطوط بالسماد فيزرع في الفدان الواحد خمسة آلاف كرنبة ولا بد من حرث الارض وتمهيدها جيدًا قبل تخطيطها كيفما كان زرعها

زرع البزر — بزر الكرنب ينبت بسهولة وهو يزرع في المنابت في اوائل الربيع ويغطَّى بقليل من التراب ويسقى ليلاً ماء فاترًا وينبت من الاوقية نحو ثلاثة آلاف نبتة ولا بد من سقي الارض قبل قلع النبات منها لكي يبقى التراب لاصقاً بالجذور ثم يقلع ويزرع حيث يراد زرعهُ كما تقدم

الزرع — تقدم انهُ يجعل البعد بين النبات الواحد والآخر اربعين سنتمترًا او تسعين ويحسن ان تكون الابعاد بين هذين الحدَّين ولكن لا بدَّ من ان تكون متساوية . ولا بدَّ ايضاً من خدمة الارض بعد ذلك بالركس ولكن يجب الحذر من اتلاف جذور الكرنب فيركس بين الخطوط ويحذر من مس الجذور

القطاف — يقطف الكرنب في الصباح باكرًا قبلما تشرق عليهِ الشمس وتترك الاوراق الخارجية في ما يقطف منهُ باكرًا فيزيد جرمهُ بها

وقد اطلعنا على فصل في زرع الكرنب في كتاب الفلاحة الرومية المترجم الى العربية منذ عهد طويل وهذا نصهُ " الكرنب من يقول الشتوة لان فيهِ حرارة ولو ان زراعتهُ في ايلول (سبتمبر) بعد تصرُّم شدة الحر واوفق المواضع وافضلها لزرعهِ ما كان منها يضارع السباخ فاذا طلع واشتدَّ عمد الى تراب ارض سبخة وخُلط بمثل خمسهِ من البورق ودقًّا دقًّا ناعماً ونخلا ثم يعود الى الكرنب بان ينثر على ورقهِ من ذلك البورق والتراب خمس مرات بين المرة والمرَّة عشرة ايام فان ذلك مما يغلظهُ ويطيب طعمهُ ويجعلهُ سريع النضج اذا طبخ . ورب من يجعل بدل البورق في ذلك رمادًا منخولاً فان الرماد يذهب عن الكرنب كثيرًا من الآفات العارضة لهُ" ويلي ذلك كلام طويل اكثرهُ من قبيل الاوهام



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحدٍ فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

سؤالان

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

الاول يقدر بعضهم عدد المسلمين في الدنيا بما يقارب ثلثمائة مليون تقسيمها كما يأتي في السلطنة العثمانية ٢٢ مليونًا وجزيرة العرب ١٢ مليونًا وايران ٨ ملايين والروسية ٧ ملايين وبخارى وخيوه وبقية تركستان الروسية ٧ ملايين وتركستان الصينية ٤ ملايين والصين ٢٣ مليونًا والافغان ٦ ملايين والبلوج مليونان والهند ٥٨ مليونًا ومصر مع سودانها ١٨ مليونًا وتونس مليونان والجزائر ٤ ملايين ومراكش ٨ ملايين والصحراء واواسط السودان ١٢ مليونًا والكونغو ٢٠ مليونًا والصومالي والحبشة وزنجبار وسائر قطع افريقية ٣٣ مليونًا وجزائر البحر المحيط ٣٥ مليونًا الى ٤٠ مليونًا فاذا قدَّرنا في احصاء بعض هذه الاقسام شيئًا من المبالغة لعدم وقوفنا على شيءٍ وثيق لم ننكر ان احصاء الاكثر مطابق تمامًا للواقع . كقولنا ان عدد مسلمي الهند ٥٨ مليونًا والعجم ٨ ملايين وجزيرة العرب ١٢ مليونًا وافغانستان ستة مما يدل على ان المسلمين ان لم يكونوا هذا العدد فانهم يناهزونهُ وعليهِ فلماذا لا تزال بعض كتب الجغرافية والاحصائيات حتى من احدث المطبوعات تجعل المسلمين ١٧٦ مليونًا فقط فان قلنا ان اصحابها يطرحون الاعداد بدون تحقيق ولا اعتماد على شيءٍ صعب علينا تأييد ذلك ونحن نعتقد انهم لا يكتبون الاَّ بعد البحث والاستقصاء وانهم يستمدون معارفهم من الجمعيات الجغرافية التي تجوب عالمًا مناكب الارض وتحفيها فحصًا وان صوَّبنا رأيهم هذا وجدناهُ مخالفًا للمحسوس وادَّى ذلك الى الحكم بخلو بلاد كثيرة من الاسلام كالصين مثلاً حال كونهُ من المؤكد انهُ فيها ذو تبع كثير فما راي قراء المقتطف في هذه القضية

الثاني قرأت في الجزء الاخير من مقتطفكم انتقاداً لطيفاً بامضاء "صيرفي" لرواية "الاميرة المصرية" بلغ فيهِ صاحبهُ حدَّ الاجادة ودلَّ فيهِ على فضل وافر وادب غض وكان من جملة ما انتقدهُ بعض الفاظ وتراكيب قال ان الكاتب لم يتثبت في وجه استعمالها فجاءت في غير محلها عدَّ منها قولهُ "توثب على مملكة" قال والصواب في مملكة وقولهُ "امتقع لونها" والصواب امتقعت بدون ذكر اللون والوجه وقولهُ "اشكرك على هذه الثقة" والصواب اشكر لك هذه الثقة وغير ذلك فلم افهم لماذا لا يجوز استعمال الجمل المذكورة واين وجه الغلط فيها وجئت اسأل هذا الجهبذ من طريقكم علهُ يتفضل علينا ببيان ذلك

شكيب ارسلان

مدرسة ليلند استنفرد

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف

قرأت جوابكم على سؤال حضرة الاديب رزق الله افندي جاب الله في مقتطف شهر نوفمبر الماضي وبما اني كاتب المقالة المدرجة في مقتطف شهر اغسطس سنة ٩٣ عن مدرسة ليلند استنفرد الجامعة كما ذكرتم جئت مؤيداً ما قلتهُ من ان التعليم فيها مجاني بدليل انهُ وارد في الصحيفة ٤٠ من الكتاب الذي اصدرتهُ المدرسة المذكورة في عام ١٨٩٤ (وهو يحتوي على قوانينها واسماء عمدتها ومعلميها وغير ذلك و يطبع في كل عام) ما نصهُ بالحرف الواحد "Tuition in all departments is free" اي "ان التعليم في كل الفروع مجاني". على انهُ وان كان التعليم مجانياً الاَّ انهُ يطلب من كل تلميذ دفع رسم قدرهُ عشرة ريالات اميركانية عن كل ستة اشهر (Registration fee) اذا كان من تلامذة القسم الادبي واما اذا كان من تلامذة قسم علمي فيطلب منهُ ١٥ ريالاً عن كل ستة اشهر. ويزاد على ذلك ان يطالب التلميذ بدفع كل ما استعملهُ من المواد الكيماوية وغيرها اثناء تعلّم العلوم التي تحتاج الى شرح عملي وهي من ريالين الى عشرين ريالاً كل ستة اشهر. أما نفقة التلميذ في تلك البلاد من حيث المعيشة فلا تقل عن ٣٠٠ ريال في السنة حسب تقدير المدرسة نفسها في الكتاب المشار اليهِ ما عدا ما يلزم للبس والتدفئة ايام البرد والكتب واجور السكك الحديدية والتراموَاي لان المدرسة بعيدة عن المدن واقربها اليها بالو الطو (Palo Alto) ومايفيلد (Mayfield) ولا يتسنَّى للتلميذ التوجه منها الى المدرسة ماشياً. فما تقدم يظهر جلياً ان نفقة التلميذ لا يمكن ان تقل عن ٥٠٠ ريال في العام وهو مطابق لتقديركم اذا كان

التلميذ مقتصداً كل الاقتصاد . أما نفقات السفر الى كاليفورنيا فلا تقل عن الخمسين جنيهاً انكليزيًا في الدرجة الثانية على ما اعلم

وقد فهمت من الكتاب المذكور ان المخابرة في امر الدخول الى المدرسة تكون مع

The Registrar
Room No. 412
Leland Stanford Junior University
Palo Alto
Clifornia
U. S. A.

واقبلوا مزيد احتراماتي سقراط

الاسكندرية ٦ دبسمبر سنة ١٨٩٩ اسبيرو

انتقاد الاميرة المصرية

حضرة منشئي المقتطف الكريمين

لقد أُتيح لي ان طالعت كل اجزاء المقتطف منذ انشائهِ الى الآن فرأيتكم تجرون على خطة الاوربيين والاميركيين في انتقاد الكتب فتوجزون احياناً كثيرة اذا كانت الكتب مما لا يستحق الانتقاد او مما لا ترغبون في انتقادهِ اما لانكم لم تطالعوهُ او لانكم تعدون اصحابهُ ممن يسوءهم الانتقاد فيناظرونكم ويجادلونكم لمجرَّد المماحكة وتسهبون احياناً اخرى اذا رأيتم من الانتقاد فائدة للجمهور او للمؤلف ولكنكم في هذه الحال قلما تشيرون الى لغة الكتب التي تنتقدونها بل تكتفون بذكر حسناتها وعيوبها العلمية والادبية

وقد رأيت كاتباً فاضلاً انتقد رواية الاميرة المصرية في الجزء الماضي وذكر لها بعض العيوب فاحسن في مؤاخذة كاتبها لانهُ استعمل بعض الكلمات العويصة التي يتعذر فهمها على عامة القراء الاَّ بعد شدَّة التروي واطالة الامعان . وكل ما كتبهُ في هذا المعنى حقائق راهنة وقواعد اصلية في فن الانشاء يشكر عليها جزيل الشكر لكنهُ ما عتم ان آخذ المترجم باستعمالهِ الفاظاً قال انهُ لم يتثبت في معناها ووجه استعمالها فجاءَت في غير موضعها. ثم ذكر ست عشرة كلمة قال انها استعملت في غير ما وضعت لهُ وهي

(١) "وسادة" قال انها استعملت للمتكإِ وهي ليست كذلك . اقول ان الوسادة في اللغة المخدَّة وفي لسان العرب الوساد والوسادة المخدَّة وقال ابن سيده وغيرهُ الوساد المتكأُ وظاهر من ذلك ان الوساد والوسادة يراد بهما المخدة والمتكأ . ومن شاهد السفن النيلية الصغيرة

رأى فيها وسائد يتكئ المرء عليها او يضعها تحت راسهِ اذا نام فلا غبار على استعمال المترجم لها بمعنى المتكإ

(٢) آلهة مكان الاهة . ولا ادري ما هو وجه الخطإ في قول فانيس " اني احمد الآلهة " لان اليونان كانوا يعبدون آلهة كثيرة فيحمدونها كما يحمد الموحدون الاله الواحد . وهب انها وردت مكان الالهة فالخطأ مطبعي

(٣) " يزرعون مكان يغرسون " . وفي تاج العروس " الزرع نبات كل شيء يحرث وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد انهُ يقال زرعت الشجر كما يقال زرعت البر والشعير " وهو نص صريح على استعمال زرع للشجر مثل غرس . وهب اننا لم نجد نصًّا صريحًا مثل هذا فان الافعال الكثيرة الاستعمال لا تقيد بما وضعت لهُ بل يخرجها المجاز الى غيرهِ الا ترى ان كلمة زرع تستعمل للنسل فيقال زرع الرجل لولدهِ فاخرِ بها ان تستعمل بمعنى غرس واسس وعمل الخير وما اشبه

(٤) " وقام على تربيتها مكان قام بتربيتها " ولم يذكر اين وردت هذه اللفظة ولكنني لا ارى عليها غبارًا فان قام تعدَّى بعلى قال في الاساس " وقام الامير على الرعية وليها قال الشماخ

يظل بصحراء البسيطة قائمًا عليها قيام الفارسي المتوّج

(٥) " توثب على مملكة والصواب في مملكة " وفي لسان العرب في حديث هذيل " أيتوثب ابو بكر على وصي رسول الله " . وفي الاساس " ومن توثب على منزلتهِ وتوثب على اخيهِ في ارضهِ استولى عليها ظلمًا " فكأن معنى توثب اعتدى وكأنها تاخذ مفعولين تعدَّى الى الاول منهما بعلى والى الثاني بفي فمعنى توثب على اخيهِ في ارضهِ اعتدى على اخيهِ وأخذ ارضهُ . والمعنى الوارد في القصة يقتضي التعدية بعلى لا بفي لانهُ يقال ان اماسس توثب على مملكة مصر واستنجد بالجيش فلو كان المعنى انهُ توثب على ملكها فيها اي امتلكها ما بقيت بهِ حاجة الى الاستنجاد بالجيش

(٦) "امتقع لونها والصواب امتقعت بدون ذكر اللون او الوجه " اقول قال في لسان العرب " ويقال امتقع لونهُ اذا تغير من حزن او فزع " وهو نص صريح بان اللون يكون نائب فاعل . ومثل ذلك انتقع لونهُ تغير من همّ او فزع . ولا يخفى انهُ يجوز ان يقال امتقع وجههُ على تقدير لون وجههِ باقامة المضاف اليهِ مقام المضاف

(٧) " الحوائج بمعنى الامتعة " واراهُ صحيحًا فقد جاء في الاساس خرج فلان يتحوّج اي يطلب ما يحتاج اليهِ وهذه حاجتي اي ما احتاج اليهِ وجاء في التاج " ان الحاجة تطلق

على نفس الافتقار وعلى الشيء الذي يفتقر اليهِ. وتجمع الحاجة على حاجات وحوج وحوائج وهو راي الاكثر" فاذا اريد بالحوائج ما يحتاج اليهِ فاحرِ بها ان تستعمل لما يحتاج اليهِ من متاع الدنيا

(٨) " واشكرك على هذه الثقة والصواب واشكر لك هذه الثقة " اقول قال في التاج في تفسير قولهِ

شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل ما اوليتهُ نعمة يقضي

ليس كل من اوليتهُ نعمة يشكرك عليها " فعدَّى الشكر الى المنعم مباشرة والى النعمة بعلى

(٩) " تعيساً صوابهُ سيئاً " ولا ادري ما هو وجه الخطإ في تعيس فانهُ يقال رجل تاعس وتعيس على ما في الاساس والقاموس. ومعنى التعس الشر والنحس والعثار والسقوط فعلامَ لا يكون الحظ تعيساً كما يكون الرجل تعيساً

(١٠) " الغبار والصواب التراب " . مع ان الغبار اصح هنا ففي اللسان والقاموس والتاج الغبر التراب والغبرة الغبار والغبرة والغبار الرهج وقيل الغبرة تردد الرهج فاذا ثار سمي غباراً . والرهج الغبار او ما اثير منهُ . واكثر ما بقي من هذا القبيل او هو من قبيل السهو. فان كان هذا كل الخطإ الذي في الاميرة المصرية فهي اصح رواية عرَّبها المعربون وقد رغَّبني انتقادها في مطالعتها ثانية

احد القراء

اقتراح

حضرتي صاحبي المقتطف الاغر

اقترح على حضرتكم واخال ان تحلوا اقتراحي احسن محل أن تنشروا في المقتطف رواية تاريخية او ادبية من منشآتكم او مترجمة عن لغة من اللغات وافضل أن يطبع في كل جزء ملزمة منها لتجمع بعد انتهائها كتاباً مستقلاً ليصبح المقتطف ملائماً لكل الاذواق ويصبح جلهُ ممزوجاً بما يروح النفس ويريح الفكر . ولا اقول انهُ سيتخللهُ شيء من الهزل فما هو الا الجد غير انهُ مستعذبٌ والعلم غير ان مطالعهُ ملجأ الى تعلمهِ . وأرجو ان لا يصدر اول جزء من سنة المقتطف الجديدة الا وفيهِ اول الرواية فكثير من القراء يرجون ذلك وما انا الا لسان حالهم واقبلوا فائق احترامي

مصطفى لطفي

منفلوط في ٢١ دسمبر المنفلوطي

[المقتطف] سنفعل ذلك او ما يماثلهُ مبتدئين من الجزء التالي ونزيد المقتطف ملزمتين بدل الملزمة الواحدة التي طلبتموها

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر يناير ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرهُ شرقاً من برج العقرب في الرامي و يمر بعقدته النازلة في التاسع من الشهر الساعة ٩ صباحاً ويقترن بزحل في الثامن من الشهر الساعة ٣ صباحاً فيكون على ٥١ً من زحل ولكنهما يكونان قريبين جداً من الشمس فلا يريان

الزهرة

تكون الزهرة نجم المساء وهي اشد الكواكب اشراقاً الاَّ حينما يكسفها نور القمر و يزيد اشراقها مدة الشهور الخمسة التالية بازدياد قربها من والارض وتباينها عن الشمس . وسيرها الى الشرق في برج الحمل والدلو ويبلغ عرضها الشمسي الاعظم جنوباً في الثاني من الشهر الساعة ٦ مساء

المريخ

يكون المريخ نجم المساء حتى السادس عشر من الشهر الساعة ٧ صباحاً و يمر حينئذٍ باقترانهِ ثم يصير غربي الشمس و يكون نجم الصباح ولكنهُ يكون قريباً جداً منها فلا يرى وسيرهُ شرقاً من برج الرامي الى الجدي

المشتري

المشتري نجم الصباح و يظهر باشراقهِ قبل طلوع الشمس وهو في برج العقرب الى الشمال الغربي من صاحب المعز وسيرهُ الى الشرق

زُحل

يكون زحل نجم الصباح ولكنهُ لا يرى لقربهِ من الشمس وسيرهُ الى الشرق وهو في برج الرامي

واورانوس في العقرب ونبتون في الثور

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة				
١	١١	صباحاً	يقترن	بالمريخ فيقع	٣°٥َ جنوباً
٣	٦	مساء	«	بالزهرة فتقع	٦°٠َ جنوباً
٢٦	٣	«	«	بالمشتري فيقع	٢°٣َ شمالاً
٢٨	١٠	صباحاً	«	بزحل «	٠ ٢َ جنوباً
٣٠	٥	مساء	«	بعطارد «	٥°٤٤َ جنوباً
٣٠ — ٣١	نصف الليل		«	بالمريخ «	٥°٦َ «

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٠١	٠٣	٥٢	مساء	الهلال
٠٨	٠٧	٤٥	صباحاً	الربع الاول
١٥	٠٩	١٣	مساء	البدر
٢٤	٠١	٥٨	مساء	الربع الاخير
٣١	٠٣	٢٨	صباحاً	الهلال
٠٣	٠٧		مساء	في الاوج
١٩	٠٧		«	« الحضيض

باب التقريظ والانتقاد

المرسلون الاميركيون في القطر المصري

اهدى الينا حضرات المرسلين الاميركيين في هذا القطر تقريراً عن اعمالهم التبشيرية والتعليمية سنة ١٨٩٨ فوجدنا فيهِ ان عدد مدارسهم بلغ في العام الماضي ١٨٠ وكان في العام الذي قبلهُ ١٦٥ وعدد التلامذة في هذه المدارس بلغ ١٢٨٧٢ وكان في العام الذي قبلهُ ١١٥٥٢ فالزيادة في عام واحد ١٣٢٠ وجانب كبير من هؤلاء التلامذة بنات فان عدد

الذكور منهم ٩١٣٢ وعدد الاناث ٣٧٤٠ . واكثر نفقات هذه المدارس من آباء التلامذة فانهم دفعوا في العام الماضي ٥٣٥٠ جنيهاً اجرة تعليم اولادهم فهم يتعلمون مبادئ العلوم والفنون ويتعلم آباؤهم ان الانفاق عليهم خير لهم من توريثهم الاموال. وما احسن ما قالهُ سسل رودس الغني الشهير في هذا المعنى وهو اني على غناي الوافر لا اريد ان اورث اولادي شيئاً منهُ وانما انفق على تعليمهم وتهذيبهم واطلقهم في العالم ليسعوا لانفسهم . فلحضرات المرسلين الاميركيين الشكر الجزيل على اعتنائهم بتعليم ابناء هذا القطر وتهذيبهم

تذكار الصبا

هو ديوان الشاعر المطبوع المرحوم نجيب الحداد جمع بعض قصائده وشرع في طبعهِ ثم عاجلتهُ المنية فاتمت جمعهُ وطبعهُ حضرة الفاضلة السيدة الكسندرة ملتيادي صاحبة مجلة انيس الجليس وكان الناظم قد اهدى الديوان اليها والحقت بهِ ترجمة حياتهِ بقلم اثنين من اخصائهِ. والقصائد والمنظومات التي في هذا الديوان تدل على قريحة متوقدة وذوق سليم ومقدرة على التعبير عن المعاني الجديدة باعذب الالفاظ العربية مثال ذلك قولهُ في وصف الشرق

يا بني الشرق اين ذاك الضياء اين تلك النفوس والآلاء
اين ذاك المقام تحسدهُ الشمس بهاء واين ذاك العلاء
اين من طاولوا النجوم فودَّت شرفاً انها لهم حصباء
اين ارض قد خصها الله بالوحي وجاءت من قومها الانبياء
قد عهدنا في الشرق مطلع انوار فما بالهُ عراهُ المساء
اي شيء جرى على الكون حتى انقلبت عن نظامها الاشياء
فرأينا غرب البلاد منيراً وغدونا وشرقنا الظلماء
لست اعني بالنور شمس سماء بل شموساً ما اطلعتها سماء
ابرزتها ايدي الرجال با فاق ذكاء تغار منهُ ذُكاء
هي شمس العلى تمثلها الشمس كما مثَّل النجوم المساء
كتبت احرف المساواة فيها فتلتها حرية واخاء
كلٌّ كلها محبة اوطان وراس الايمان ذاك الولاء
عظمتهُ ممالك الغرب حتى بلغت منهُ في العلى ما تشاء

فارقت دماءها وبنته بجسوم لما ونعم البناء
واطَّرحناه نحن في الشرق حتى صد عنا وطال منه الجفاء
لا لعمري بل طال منا جفاء عنه واستحكمت بنا الاهواء
من تخلى عن حبه لم يكن للحب ذنب فالحب منه براء
ليس حب الاوطان في لبس خز واختيال تغار منه النساء
واقتداء باهله كيف جاءوا في الذي لا يفيد فيه اقتداء
وانصراف عن كل علم وتفريق قلوب بها يقوم النماء
واشتغال عن البلاد باهواء نفوس قد صد عنها الحياء
واطراح الملا أُولي الفضل ميلاً لغوان تميلها الصهباء
واتخاذ المناصب الغر اسباب عداء يرى بها الابرياء
ان حب الاوطان عدل وحلم وثبات وعزة ووفاء
واصطبار على الزمان وتأليف قلوب وغيرة واباء
وجهاد في كل فضل وحرية قول وانفس شماء
وقلوب لا تنثني في الذي تبغي ولو حال فيه نار وماء
واكف تعاقدت تكتب المجد لو ان الحروف فيه دماء
ذاك حب الاوطان يا ايها الناس وهذي صفاته الغراء
كم ننادي يا قومنا ثم لا نسمع غير الصدى وكم ذا النداء
او لسنا القوم الاولى ملكوا المدن ودانت لديهم الغبراء
والاولى سطروا المعارف واستجلوا خفايا الورى فزال الخفاء
ليس نيل العلى بصعب اذا ثارت اليه حمية قعساء
نحن ابناؤها ومن نصر الاباء تنصر بفضله الابناء
كلنا واحد لنا وطن فرد وان عددت بنا الاسماء
انما نحن هيكل واختلاف الاسم وهم فكلنا اعضاء
وسبيل العلى قريب هو الالفة فيها المنى وفيها الرجاء
وعلى الله نجحنا في ختام ان ثبتنا وصح منا ابتداء

لكن الناظم رحمه الله جرى في خطة كثيرين من ارباب الادب فاغفل قوام الإفادة ومحور السعي فقد قال احد مترجميه "انه كان قليل الرفق بنفسه خشن الجانب على حواسه وجوارحه

لا يراعي لجسمهِ صحةً ولا يطلب لنفسهِ راحةً ... فكان جسمهُ هو الصاحب الوحيد الذي يشكو صحبتهُ و يئن من عشرتهِ ولذلك لم تطل بينهما مدة هذا الاصطحاب وكان كثير الزهد في المال لا يهتم للغد ولا ينقل قدماً لدرهم". فلو رفق بنفسهِ وراعى صحة جسمهِ وسعى جهدهُ الى الدرهم من الطرق المحمودة ولو كانت قليلة لتضاعفت فائدتهُ بنفسهِ وبقدوتهِ. واذا بحثت عن الذين رقُّوا الغرب فصار كما وصفهُ الناظم رأيت اكثرهم من اهل السعي والكد الذين يراعون صحة اجسامهم و يطرقون كل طرق الكسب الحلال

والديوان مطبوع طبعاً متقناً جدًّا في مطبعة جريدة البصير في الاسكندرية

كتاب المعين

الانشاء ملكة في النفس كالشعر والغناء والتصوير لا يبرع فيهِ من لم يولد متهيئاً لهُ . والناس على درجات شتى من هذا القبيل من العيّ الذي لا يستطيع ان يفصح عن معنى يريدهُ الى الذكي الفؤاد الذي ينظم الشعر البليغ طفلاً . ولا مشاحة في ان التعليم والتدريب والتمرين تشحذ ذهن الخامل وتذكي فؤاد الذكي ولذلك وضعت الكتب لتعليم طرق الانشاء واساليب البلاغة . ومن خيرة الكتب التي رأيناها في هذا المطلب كتاب المعين الذي وضعهُ حضرة العالم العامل والمنشىء البليغ سعيد افندي الشرتوني صاحب كتاب اقرب الموارد. قال في مقدمتهِ " طالما سألني جماعة من اخواننا معلمي المدارس الكرام المشهورين بسلامة الذوق بين الانام ان اضع لهم كتاباً اودعهُ فنوناً من المواضيع وضروباً من المباحث وشعاباً من المطالب مقتصرًا من بيان ذلك على قدر ما يكفي التلميذ ليحسن تصوُّر ما يكلف بسطهُ ويفتح لهُ الطرق للاتيان على اطرافهِ ويغني المعلم ان يشغل ذهنهُ في تخير الموضوع المناسب والمطلب الملائم مما قد لا يتسع لهُ الوقت للظفر بهِ او تحول كثرة اشغالهِ بينهُ وبين المستجاد منهُ . فارتاحت نفسي الى اسعافهم بما رغبوا فيهِ سدًّا لهذه الثلمة في تخريج طلبة العربية في الكتابة " فوضع هذا الكتاب معيناً للطلبة على مزاولة الانشاء وتعلم قواعدهِ بالعمل واردفهُ بكتاب آخر للمعلم جمع فيهِ ما اقترحهُ على الطلبة في الكتاب الاول. و يسرُّنا ان ارباب المدارس اقبلوا على الكتابين اقبالاً عظيماً ولا بدَّ من ان يجنوا منهما فوائد جمة. وحبذا لو اقتصر المؤلف على المواضيع الادبية واغضى عن المواضيع التاريخية السياسية التي قلما يؤمن فيها العثار ولا سيما في مدينة مثل بيروت قلما تجسر جرائدها على ذكر الحقائق وان ذكرتها اعتمدت على روايات الجرائد الفرنسوية المشهورة بالميل مع الاهواء. فاذا قرأ التلميذ تلخيص خبر الحرب بين اسبانيا

والولايات المتحدة المذكور في هذا الكتاب رسخ في ذهنهِ ان اهالي الولايات المتحدة شر الناس اجمع فقد قال "انهم سوَّلوا للكوبيين التخلُّص من السلطة الاسبانيولية وزينوا لهم الانتقاض عليها وامدوهم بالمال والعدد" ثم وصف السفن الاسبانية التي خرجت من خليج سنتياغو بانها " قديمة الطرز قليلة العدد " والتهمة الاولى فظيعة لا يستطيع احد اثباتها على امة عظيمة شريفة مثل الامة الاميركية . والوصف الذي وصف بهِ سفن الاسبانيين تحقيرًا لغلبة الاميركيين عليهم غير صحيح فان البوارج الاسبانية مصنوعة على احدث طرز وهي من اقوى ما صنع الناس من نوعها ولما ابتدأت الحرب انشأت جريدة المهندس الانكليزية الفصول الطوال في تفضيلها على البوارج الاميركية وحتمت ان النصر يكون للاسبانيين فردَّت عليها جريدة السينتفك اميركان وبذلت اقصى جهدها لتثبت لقومها الاميركيين ان بوارجهم ليست دون البوارج الاسبانية وانها ان لم تقهر البوارج الاسبانية لم تدع هذه تقهرها. وصوَّرت كل بارجة وذكرت عدد من فيها وعددهم وانفقت على ذلك اموالاً طائلة فلما تمَّ النصر للاميركيين قالت هي وغيرها من الجرائد العلمية التي لا تذهب مع الاهواء ان الفوز كان للاميركيين برجالهم وحسن استعدادهم وان سوس الفساد الذين نخر ادارة الاسبانيين هو الذي اعجزهم عن مقاومة الاميركيين فان ملتزمي تقديم الخرطوش مثلاً كانوا يضعون فيهِ كرات من الخشب بدل كرات الرصاص و يقاسمون رجال الحكومة المكاسب .فعسى ان لا يتعرض حضرة المؤلف الفاضل في الاجزاء الباقية من هذا الكتاب الى ما تعسر معرفة حقيقتهِ في الاقطار الشامية

والكتاب الاوَّل مطبوع في المطبعة العثمانية بلبنان والثاني في المطبعة الادبية ببيروت وحبذا لو اعتمدت المدارس عليها في القطر المصري كما اعتمدت عليهما في القطر الشامي

السمر في قضاء اوقات السهر

في جبل لبنان رجل مشهور بنظم الشعر العامي المعروف بالمعنى ينظم القصيدة الطويلة ارتجالاً على نغم الدف او الدبكة فيأتي بابدع المعاني ويصوغها بلغة لا ينقصها الاَّ الاعراب وهو الخواجه الياس الفران المشهور في سواحل الشام · وقد اطلعنا على ديوان صغير له جمع فيهِ بعض منظوماتهِ . من ذلك قولهُ في رثاء صديقنا المرحوم الياس صالح

كنتُ مستنظرْ فرَحْ ظبي الحمى   وبلاهُ من عرسٍ تحوَّلْ مأتما

يا ايها الناعي رويدكْ رعتني   صحّت ماقي مقلتيَّ عندما

والديوان كلهُ على هذا النمط لا ينقصهُ الاَّ الاعراب ليكون من الشعر الحسن

باب المسائل

(١) منديل ثمين

مصر . حسن افندي حسني يوسف مهندس رسام . " قرات في مجلة التوفيق ان ملكة ايطاليا تمتلك انفس اللآلىء وقد ضاع منها حديثاً منديل تبلغ قيمته ستة آلاف جنيه اشتغله الصناع في عشرين سنة وهو خفيف حتى ان الانسان لا يشعر بهِ اذا وضع في يدهِ وصغير حتى يوضع في علبة من ذهب مثل حجم الفولة " فاستغربت هذا الخبر وبعثت اسأل حضرتكم عن تركيب هذا المنديل وعن صحة ما قيل من ان ثمنهُ ستة الاف جنيه

ج نعلم عن ثقة ان ملكة ايطاليا مغرمة بجمع تحف المحبوكات Lace وعندها منها ما ليس عند غيرها وهذه المحبوكات تكون غالية الثمن جدًّا لكثرة ما يقتضي عملها واتقانها من الوقت والمهارة ولكننا لم نقرأ في ما يصلنا من الكتب والصحف الادبيَّة ان ملكة ايطاليا اضاعت منديلاً هذه قيمته او ان عندها او عند غيرها منديلاً يثمن بالوف الجنيهات غير اننا لا نستطيع نفي ذلك بل نكاد نصدقهُ قياساً على ما نعلمهُ من مغالاة الاوربيين ببدائع الصناعة فاذا كانوا يبتاعون الصورة بستين الف جنيه فلا عجب اذا ابتاعوا منديلاً عمل الصناع فيهِ عشرين سنة بستة آلاف جنيه . وخيوط هذه المحبوكات من الكتان الدقيق غالباً

---

(٢) عناصر الشعر

نجع حمادي . منسى افندي تكلا . زعم بعض الاقدمين ان الحجر الكريم هو ابو الذهب واليواقيت وقال بعضهم ان هذا الحجر هو شعر الانسان البالغ فاذا تدبر كان منهُ الغنى العظيم . ولا ندري لهذا القول معنىً ولعلهم رأوا ما فيهِ من الكبريت بواسطة التحليل فظنوهُ شيئاً كبيرًا فبالغوا في المقال. ونودُّ الوقوف على معرفة المواد التي يتركب منها الشعر ونسبة بعضها الى بعض وهل يمكن ان يذاب حتى يصير كالماء بواسطة بعض المحاليل من غير ان يحصل تغير في موادهِ

ج ان العناصر المتركب منها الشعر هي الكربون والهيدروجين والنيتروجين والاكسجين والكبريت وهو من هذا القبيل مثل البشرة والقرون تقريباً كما ترون في هذا الجدول

	الشعر	البشرة	القرن
كربون	٥٠٦٥	٥٠٢٨	٥١٥٣
هيدروجين	٠٦٣٦	٠٦٧٦	٠٦٨٠
نيتروجين	١٧١٤	١٧٢١	١٦٢٤
اكسجين	٢٠٨٥	٢٥٠١	٢٢٥١
كبريت	٠٥٠٠	٠٥٧٤	٠٣٤٢

فالكربون خمسون في المئة منهُ والهيدوجين نحو ستة في المئة والنيتروجين نحو ١٧ في المئة والكبريت خمسة في المئة . ويذوب الشعر في المواد القلوية الكاوية وقلّما يتغير تركيبهُ . وكل ماقيل عن الحجر الكريم اوهام وخرافات لا طائل تحتها

(٣) تناسل البغال

طنطا . الخواجه عزرا لقي لماذا لا تتناسل البغال بعضها من بعض

ج يرث كلُّ مولود صفات والديهِ المقومة لنوعهما وفي جملتها اعضاء التناسل ومعلوم ان هذه الاعضاء مختلفة في الحمير عمّا هي في الخيل فالمولود منهما لا يرث الصفات المقومة لنوع ابيهِ ولا الصفات المقومة لنوع امهِ بل صفات ممتزجة منهما كما ترون في شكل البغل وخلقتهِ وتكون اعضاء التناسل فيهِ كذلك وهذا شأن البغلة ايضاً فلا تكون فيها قوة التناسل كما تكون في ابائها ولهذا لا تُلقح بيوض البغلة من البغل ولكنها قد تُلقح من فرس او حمار فتلد . وقد شاهدنا بغلة ولدت حيواناً شبيهاً بها منذ بضع سنوات وكانت عند المرحوم عمر باشا لطفي . وذكر كثيرون انهم رأوا بغالاً ولدت ومن ذلك ما ذكرهُ الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء في حوادث سنة ٣٠٠ للهجرة . وعقم البغال هذا دعا الى ما يرى من الفواصل بين انواع الحيوان والنبات والاَّ لامتزجت بعضها ببعض

(٤) سم الافاعي

هاي باستراليا . وديع افندي ابو رزق . هل يوجد السم في الحيَّة منذ ولادتها او يتكوَّن فيها بعد ذلك ولمَ يوجد السم فيها

ج الظاهر انهُ يكون فيها منذ ولادتها ولو كان ضعيفاً لان دمها سامٌّ ايضاً اذا حُقن بهِ حيوان تحت جلدهِ فعل بهِ فعل السم ولكنهُ لا يتجمع في جراب السم الاَّ بعد نموها . وقد تكوَّن السم في الحيَّة السامة اولاً عرضاً ثم قوي فيها لانهُ وُجد سلاحاً نافعاً لها كما وجد الشوك في النبات

(٥) انتشار العدل

ومنهُ اذا كانت الحاكم وُجدت لتقيم العدل وتنصف المظلوم فلماذا تحجم كل دولة عن منع غيرها من الاخلال بالعدل كما احجمت دول اوربا الواثقة ببراءة دريفوس عن نصرتهِ وهل يصل العالم الى درجة يقوم فيها العدل ويجد لهُ في كل الممالك انصاراً

ج ان ارتباط الدول بقانون يمنع كل دولة من التعرُّض لشؤُون غيرها لا يخلو من المضار ولكنَّ منافعهُ اكثر من مضارهِ كثيراً في الاحوال الحاضرة والاَّ جار القوي على الضعيف . ومن المحتمل ان تتغير الحال فتصير الامم كلها مملكة واحدة او تقيم مجلس تحكيم تتقاضى اليهِ فيحكم في كل الامور العمومية لكن زمن ذلك بعيد جدًّا لا نراهُ نحن ولا اولادنا



البصر للعمي

شاع منذ ثلاثة اشهر او اربعة ان بعضهم اكتشف طريقة كهربائية يستطيع بها الاعمى ان يبصر او ان يشعر بالمرئيات شعور من يراها بعينيهِ وذلك بآلة كهربائية صنعها المستر ستينس تفعل افعال العين وتقوم مقامها. وقد اثبتت جريدة ذا نشر حديثًا ان لا صحة لهذا الخبر وان المستر ستينس نفسهُ ينكر صحتهُ. لكننا رأينا في مكان آخر ان بعضهم صنع آلة كهربائية يضعها الاعمى على صدغهِ فيصير يشعر بالنور والظلمة والابيض والاسود وهذا غاية ما يشعر بهِ . ولا نرى شيئًا مستحيلاً في ذلك لأن المراكز البصرية قد تتأثر على غير طريق العين فلا يبعد ان توجد آلة تكيّف امواج النور حتى تجعلها تؤثر في الصدغين تأثيرًا ينتقل الى المراكز العصبية ويؤثر فيها مثل النور

التلغراف الاثيري

بسطنا الكلام في هذا الجزء على التلغراف الاثيري ثم عثرنا على تقرير عنهُ من ديوان الادارة البحرية في الولايات المتحدة فاذا فيهِ ان هذا التلغراف سهل الاستعمال بين السفن في الصحو والمطر والنهار والليل على حدٍّ سوى . والريح والمطر والضباب لا تؤثر فيهِ ولكن الرطوبة تقصر المسافة التي تبلغها الامواج الاثيرية . والمباني المعترضة بين المكانين اللذين يكون التخاطب بينهما اذا كانت اطرافها من الحديد اعترضت هذه الامواج ايضًا ولا تزيد سرعتهُ على اثنتي عشرة كلمة في الدقيقة

هبات علمية

ذكرت جريدة العلم الاميركية ان مسز جان ستنفرد باعت ٢٨٥ الف سهم من اسهم بعض الشركات باحد عشر مليونًا واربع مئة الف ريال اي بنحو مليونين وثلثمئة الف جنيه وقد وهبت ذلك كلهُ لمدرسة ستنفرد الجامعة . وان المستر جمس مكب وهب مدرسة كلارك سفل الجامعة سبعين الف ريال فصار مجموع هباتهِ لها مئة الف ريال . وان بعضهم وهب مدرسة فسار التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية مئتين وخمسين الف ريال . وان مس اليصابات ميد وهبت المدرسة الوسلية الجامعة ٣٨ الف ريال . و بمثل هذا الكرم تنشأ المدارس وتنتشر العلوم

تمثال لافوزيه

قال المسيو برتلو في اكادمية العلوم بباريس ان المال المجموع بالاكتتاب لاقامة

تمثال للافوازية بلغ ٩٨ الف فرنك وسينصب هذا التمثال وراء كنيسة المجدلية ويكشف الستار عنهُ في شهر يوليو المقبل

لورد لبك

بشَّرتنا الانباء البرقية والمقتطف تحت الطبع ان جلالة ملكة الانكليز انعمت على العلاَّمة المفضال السر جون لبك برتبة الاعيان ولقب لورد فصار من علماء الطبيعة الآن لورد كلفن ولورد ربلي ولورد لستر ولورد لبك . ولو لم تكن قوانين الانكليز تمنع اعطاء هذه الرتب لغير اهل الثروة الطائلة لرأينا مئات من علمائهم في مصاف الاعيان

الترام الكهربائي في باكين

سيدخل الترام الكهربائي مدينة باكين عاصمة الصين فتفتح ابواب تلك المدينة للاوربيين وللآلات الاوربية

الباخرة سسل رودس

صنع الانكليز باخرة مدرَّعة سموها سسل رودس باسم المستر سسل رودس الشهير لكي تمخر في بحيرة طنجنيكا في افريقية وتمد سلك التلغراف الذي يراد ايصالهُ من راس الرجاء الى القاهرة . وستفكك هذه الباخرة وترسل الى جنوبي افريقية ثم تنقل الى بحيرة طنجنيكا بمركب ثانية وتنزل الى البحيرة

قوة شلال نياغرا

تقدَّر قوة شلال نياغرا بسبعة ملايين ونصف مليون حصان وقد استُخدم منها حتى الآن قوة خمسة وثلاثين الف حصان حُوّلت الى كهربائية واستعمل اكثرها في المعامل المقامة بجانب الشلال ولكن ارسل بعضها الى مكان بعده عنها ٨٣ ميلاً . والمرجح الآن ان جانباً كبيرًا من قوة هذا الشلال يحوَّل الى كهربائية ويوزع في البلاد المجاورة الى ما بعدهُ عنهُ مئة ميل لا الى ما هو ابعد من ذلك

ترياق سم الافعى

ثبت الآن ان الترياق الذي اكتشفهُ الدكتور كلمت لسم الافعى يشفي منهُ سواء استعمل حالاً او استعمل بعد مدة وجيزة . وتبقى فيهِ قوة الشفاء ولو مضت عليهِ سنون كثيرة

الشهب الاسدية

اتفقت الانباء من كل الاقطار على ان شهب نوفمبر المعروفة بالشهب الاسدية لم تكثر هذه النوبة حسب المنتظر نعم ان البعض شاهدوا منها خمسين شهاباً او ستين في الساعة ولكن هذا قليل جدًّا في جنب ما شوهد منها سنة ١٨٦٦ وسنة ١٨٣٣ . وقد ادعى البعض انهم شاهدوا شهباً كثيرة تسقط بعيد الظهر في الخامس عشر من نوفمبر وقال الذين شاهدوها انهم كانوا يرون كأن كرات من الفضة تتساقط من السماء وتذهب فيها كل

مذهب لكن ذلك كلهُ من قبيل الاوهام لان برج الاسد كان حينئذٍ تحت الافق فيستحيل ان ترى الشهب منهُ

الحرير الصناعي

أُنشئ معمل في بلاد الانكليز لعمل الحرير الصناعي . ويقال انهُ يمكن ان يصنع فيهِ سبعة آلاف رطل من هذا الحرير كل اسبوع وذلك بان يذاب القطن في الحامض النيتريك فيتكون منهُ البيروكسلين ويضاف اليهِ الكحول والايثير ويوضع في اسطوانة تدار على محورها اثنتي عشرة ساعة فيذوب البيروكسلين و يصير منهُ الكلوديون فيصفى و يضغط ثم يدفع من انابيب دقيقة من الزجاج فيخرج منها خيوطاً دقيقة و يجمد حالما يقابل الهواء و يصير حريرًا . والغالب انهُ يلف اثنا عشر خيطاً او اكثر معاً لدقتها فيكون منها الخيط المطلوب لكنهُ يكون سريع الاشتعال كما هو معلوم في الكلوديون فيعالج بطريقة تحولهُ الى سلولوس فيصير مثل الحرير تماماً . ويقال ان معامل بزانسون في فرنسا تصنع ٧٠٠٠ رطل من هذا الحرير في الاسبوع ولكن كثرة الطلب على حريرها جعل اصحابها يوسعونها حتى تصنع الفي رطل كل يوم

سمع النمل

اجمع علماء الطبيعة على ان النمل لا يسمع الاصوات التي يسمعها الانسان لانهم لم يروها تؤثر فيهِ مهما كانت شديدة غيران العالم وب الاميركي بحث في هذا الموضوع الآن بحثاً مدققاً فوجد ان النمل الاميركي يشعر بالاصوات شعورًا واضحاً فكان يضعهُ في انابيب من الزجاج ويدنيها من آلة ذات صوت فيظهر عليهِ الاضطراب كما صاتت الآلة فاستنتج من ذلك انهُ يشعر بتموجات الاصوات ولو لم يكن شعورهُ هذا على سبيل السمع كأَن تموجات الهواء تؤثر في انبوب الزجاج الذي يكون فيهِ فتحرك دقائقهُ تحريكاً يشعر النمل بهِ باللمس

المسلَّة المصريَّة في اميركا

عادت المسلَّة المصرية التي نقلت الى اميركا تتفتَّت بعد ان دهنت بدهان ظُنَّ انهُ يقيها من التفتت . وقد اسفت جريدة السينتفك اميركان لان هذه المسلَّة نصبت معرَّضة للحر والبرد والرياح ولم تنصب في دار المتحف الداخلية فعسى ان يعود الاميركيون وينقلوها الى حيث توقى من التلف حتى لا يقال انهم اخذوا كنزًا من كنوز مصر فاتلفوهُ

الحساب الغربي في روسيا

كانت الحكومة الروسية قد عزمت على ابدال الحساب الشرقي بالحساب الغربي لكنها وجدت انهُ يستحيل عليها تقديم الاعياد على ما يقتضيهِ الحساب الغربي فتركت الامر وسيبقى الحساب الشرقي فيها الى ما شاء الله

الاوتوموبيل

جاء في السينتفك اميركان ان الاتوموبيل سيستعمل في جنوبي افريقية لحرث الارض. وان طبيباً انكليزياً ركب الاوتوموبيل مسافة خمسة آلاف ميل فكانت النفقات ٢٦ جنيهاً فقط. وان المستر مكنلي رئيس الولايات المتحدة يركب اوتوموبيلاً يسوقهُ البخار

سور الصين

عزمت حكومة الصين على هدم سورها المشهور الذي بني قبل المسيح بمئتي سنة وقد تقاطرت الشركات الاوربية والاميركية عليها تغريها بذلك وتسهلهُ عليها بانها لاتطلب منها مالاً بدل عملها بل امتيازات في بلادها

قصر ولي العهد في يابان

كنا التفتنا الى سراي عابدين ورأينا الصنّاع ينزعون الطين عن جدرانها و يشيدونها بطين غيرهُ اسفنا لان خديوي مصر الاسبق لم يبنها بالرخام والمرمر لكي ترتفع رسوخ مباني المصريين الاقدمين وقد كان ذلك قليلاً عليهِ معا انفقهُ من الاموال الطائلة وابقاهُ على عاتق القطر حملاً ثقيلاً. قابل ذلك بما تفعلهُ مملكة أُخرى شرقية نهضت بالامس من دياجير الدجى وهي بلاد يابان فقد عزم ولي عهدها ان يبني لنفسهِ قصراً فخيماً من الرخام والمرمر وتكون عمدهُ كلها من الفولاذ (الصلب) وسيكون طولهُ ٤٠٠ قدم وعرضهُ ٢٧٠ قدماً وعلوهُ ٦٠ قدماً و يبنى على النسق الفرنسوي المعروف بالرنسنس وتوضع فيهِ آلة تدفئهُ شتاء وآلة أُخرى تبردهُ صيفاً. ويكون فيهِ اربعمئة عمود من الفولاذ ونيّار بالكهربائية

ملاط الاقدمين

نُزع الملاط من قنوات الماء في افسس وازمير وهي قديمة انشئت منذ نحو الفي سنة وحُلل تحليلاً كيماوياً فوجد فيهِ جبر (كلس) ومادة زيتية والارجح انها زيت الزيتون فقد ظهر بالامتحان انهُ اذا صنع ملاط ثلثاهُ من الجبر وثلثهُ من زيت الزيتون كان مثل ملاط الاقدمين

الضمان من الزلازل

طلب الدكتور براتا من مجلس النواب الايطالي ان يجبر الايطاليين على الاشتراك في الشركات التي تضمن للانسان ما يخسرهُ بسبب الزلازل فتتخلص الحكومة من النفقات التي تنفقها لمساعدة المنكوبين بها وتتوزع الخسائر على البلاد كلها

تعمير افريقية

اكثر مشاهير الكتّاب من البحث في هذا الموضوع واتفق اكثرهم على ان اكبر عائق يعيق الاوربيين من السكن في الاقاليم الحارّة وتعميرها ليس حرارتها بل الامراض الميكروبية التي تميتهم فيها. ولكن العلم قد مهّد السبيل الآن لمقاومة هذه الميكروبات ودفع غائلتها

ولذلك لم يبقَ ما يمنع الاوربيين من سكن افريقية وتعميرها . وقد كان معدَّل الوفيات من الجنود الاوربية في الاقاليم الاستوائية من ١٠ الى ١٢ في المئة في السنة فصار الآن نحو واحد وربع في المئة فقط

انتحار العقرب

ادَّعى كثيرون انهُ اذا احيطت العقرب بدائرة من النار شالت بذنبها ولسعت نفسها حتى تموت انتحارًا وقد امتحنا ذلك غير مرة فلم نرهُ صحيحاً وثبت الآن بالتجارب ان العقرب لا تحتمل الحرارة الشديدة فتموت اذا بلغت الحرارة الدرجة ٥٠ بميزان سنتغراد وان سمها لا يفعل بها فلا تموت ولو لسعت نفسها بحمتها ولكن اذا أُلقي عليها نور الشمس ببلورة محدَّبة حتى اجتمع على ظهرها ولدغها بحرارتهِ شالت بذنبها وحاولت نزعهُ بحمتها فيظهر كانها تحاول الانتحار

انف صناعي

ذكرت جريدة السينتفك اميركان ان ولدًا اصيب بحادثة نزع بها انفهُ فعالجهُ الجراحون في مستشفى نيو يورك حتى شفي ثم وضعوا لهُ انفاً من الكاوتشوك ومطوا جلد وجههِ على جانبيهِ وغطوهُ بهِ فكان من ذلك انف مثل الانف الطبيعي

امراض الارض

يعلم ارباب الزراعة انهُ اذا تكرَّر زرع نوع واحد من النبات في ارض واحدة لم يعد يجود فيها مهما بذل في حرثها وخدمتها من العناية . وقد بحث علماء الزراعة في اميركا عن سبب ذلك فوجدوا انهُ يتولد في الارض انواع من الفطر السام تميت ذلك النبات ولم يجدوا لهُ علاجاً حتى الآن لكنهم يظنون انهُ اذا تعاقبت انواع مختلفة من المزروعات على الارض لم تكون فيها هذه المواد الفطرية

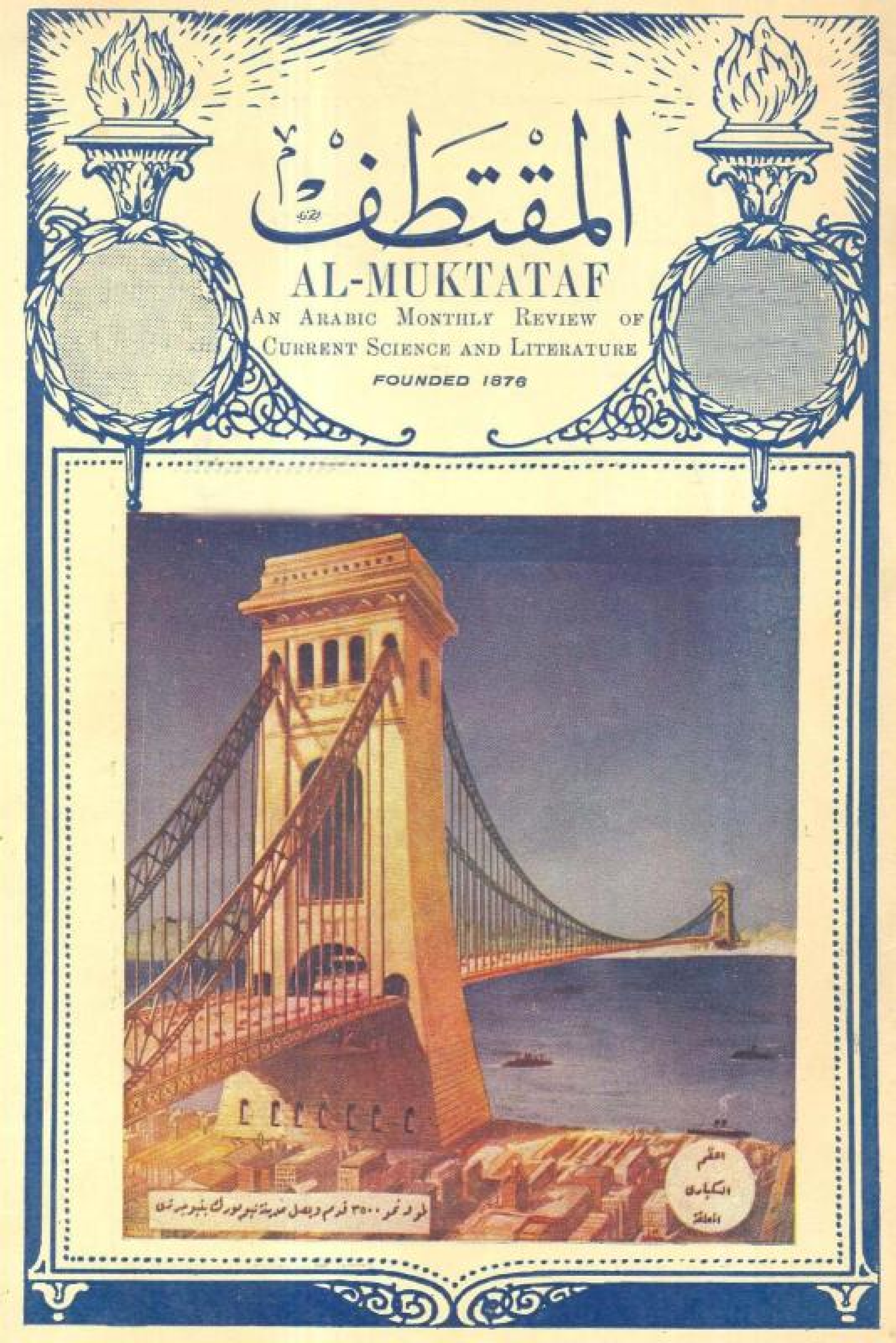
الاعدام بالكهربائية

تنظر الحكومة الفرنسوية في ابدال طريقة الاعدام المعروفة فيها بالاعدام بالكهربائية وذلك بان تلبس المحكوم عليهِ خوذة من المعدن مثل الخوذة التي يلبسها الغواصون فاذا اتصل المجرى الكهربائي برزت ابرتان من الخوذة ودخلتا صدغي المحكوم عليهِ فتصل الكهربائية الى دماغهِ وتميتهُ في الحال

الاجانب في يابان

لما اهتمَّ اليابانيون بانشاء المدارس في بلادهم اهتموا ايضاً باستخدام الاساتذة من الاوربيين والاميركيين وكان غرضهم الاول ان يتعلموا منهم و يستغنوا عنهم وهم الآن يبدلون كل الاساتذة الاجانب باساتذة من اليابانيين لان ابناء يابان جاروا الاوربيين في الهمة والاجتهاد والبراعة في العلوم والفنون

فهرس الجزء الاول من المجلد الرابع والعشرين ·


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٠ — الموافق ١ شوال سنة ١٣١٧

اندرو كارنجي



يعرف قراء المقتطف اسم كارنجي لا لانهُ من رجال العلم ولا لانهُ من رجال السياسة بل لانهُ غنيٌّ كبير يستخدم غناهُ للنفع العام ويحث غيرهُ من الاغنياء على الاقتداء بهِ ولهُ في ذلك المقالات البليغة التي لخصنا بعضها في بعض الاجزاء الماضية. وقد قرأنا الآن كلاماً عنهُ للمستر

ستد منشيء مجلة المجلات الانكليزية حريًّا بان ينشر في كل لغة من لغات الارض فلخّصناه في السطور التالية قال

نقدّر ثروة المستر كارنجي الآن بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات ويبلغ دخلهُ السنوي منها مليونين اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهًا. وهذا الغنى الوافر نادر المثال حتى في آخر القرن التاسع عشر ولكن الرجل نفسهُ اندر مثالاً من غناه فانهُ هو الذي جمع هذه الثروة كلها وقد جمعها بجدهِ واجتهادهِ لا بالمضاربة ولا بطرق الغش والخداع . وهذا امر نادر جدًّا قلما يماثلهُ فيهِ احد . ويليهِ امرٌ آخر اندر منهُ بل ليس لهُ مثيل في تواريخ البشر وهو ان المستر كارنجي عازم على ان يتصدَّق باموالهِ كلها . وهو الآن في الثانية والستين فقضى السنوات الماضية من عمرهِ في جمع الثروة وسيقضي السنوات الباقية منهُ في تفريق هذه الثروة. وهو صاحب القول المأثور "مَن يمُت غنيًا يمت حقيرًا"

وانفاق المال في سبل النفع كما هو شأن كارنجي ليس بالامر السهل بل قد يكون اصعب من كسبهِ . وقد تقدَّم ان دخلهُ السنوي لا يقلُّ عن مليونين من الجنيهات فاذا قضى السنة كلها في انفاق هذين المليونين على الاعمال النافعة كانشاء المدارس واقامة المستشفيات وجمع المكاتب وبناء البيوت الصحيَّة للفقراء مات "حقيرًا" كما قال لانهُ يموت ومالهُ على حالهِ نحو اربعين مليونًا من الجنيهات ولذلك يكون عليهِ ان ينفق دخلهُ وينفق ايضًا جانبًا من مالهِ كل سنة . فلو عاش حتى بلغ السنة التسعين من العمر للزمهُ ان ينفق في ما بقي من عمرهِ ثمانين او تسعين مليونًا من الجنيهات ينفقها كلها في ما يعود بالنفع على نوع الانسان عمومًا وابناء وطنهِ خصوصًا . وقد عاد الآن بهذه الاموال الى اسكتلندا مسقط راسهِ لهذه الغاية

ولد في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧ من عائلة اسكتلندية قديمة وكان ابوهُ حائكًا عندهُ اربعة انوال ولذلك كان يُعدُّ من اهل اليسار بالنسبة الى غيرهِ من الحاكة . وتعلم القراءة من امهِ وخالهِ وبقيت امهُ خمسين سنة اكبر مرشد لهُ في سبل الحياة. وهي من النساء الاسكتلنديات المشهورات بالذكاء والحزم وشدَّة الاعتناء ببيوتهنَّ وتربية اولادهن وقد ورث طباعهُ منها وتخلَّق باخلاقها وهو عازم الآن ان ينفق ثروتهُ على الاسلوب الذي خطتهُ لهُ في طفوليتهِ

قلنا ان اباهُ كان حائكًا فلما شاعت معامل الحياكة ورخصت المنسوجات كسد عملهُ وعضهُ الفقر فباع انوالهُ وهاجر بزوجتهِ وابنيهِ الى اميركا ذهبوا اليها في سفينة شراعية فقضوا سبعة اسابيع حتى بلغوها وكان ذلك سنة ١٨٤٨ . قال كارنجي ان اباهُ دخل البيت ذات

يوم قبل ان هاجر من اسكتلندا وقال لزوجتهِ قد كسدت الاعمال ولم يبقَ لنا سبيل للعيشة في هذه البلاد ثم اخذا يتذاكران في هذا الامر . ولما قرَّ قرارهما على بيع الانوال والمهاجرة شعرت اننا افقر خلق الله. والظاهر انهما هاجرا لاجل ولديهما لانهما كانا يستطيعان المعيشة في بلادهما ولو بالتقتير ولكن مصلحة ولديهما حملتهما على ترك وطنهما والمهاجرة بهما الى اميركا

ولما بلغ صاحب الترجمة السنة الثانية عشرة من عمرهِ دخل معملاً لغزل القطن كان ابوهُ قد وجد عملاً فيهِ . وجعل يلف الخيوط على الوشائع وبلغت اجرتهُ ثلاثين غرشاً في الاسبوع وكان يشرع في العمل قبلما تشرق الشمس و يظل عاملاً الى ما بعد غيابها . ثم انتقل الى معمل آخر وكان يلف الخيوط فيهِ ويوقد في آلة بخارية صغيرة وهو في الثالثة عشرة من عمرهِ . ولما رأى نفسهُ مؤتمناً على آلة بخارية شعر انهُ صار رجلاً . وكان العمل شاقاً جدًّا ولكنهُ قام بهِ مسرورًا لانهُ كان يجد ما يسرهُ في بيت ابيهِ . والراحة البيتية تقوي العزيمة وتذكي الفؤاد. وفي السنة التالية انتقل الى بيت التلغراف فشعر كمن انتقل من الظلمة الى النور ومن القفر الى الفردوس وقال انهُ حسب نفسهُ اسعد خلق الله لما رأى حولهُ الكتب والجرائد والاقلام والدفاتر . وكان اولاً يرسل التلغرافات الى اصحابها ثم صار يعمل على آلة التلغراف وتمرَّنت يدهُ واذنهُ حالاً فصار يفهم الكلام من سماعهِ صوت مفتاح الآلة فجُعل راتبهُ خمسة جنيهات في الشهر وهو بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة

وكانت تلوح على وجههِ امارات الذكاء وتبدو من حركاتهِ الهمَّة والنشاط ورآهُ مدير سكة بنسلفانيا الحديدية مرارًا فعجب من اجتهادهِ وذكائهِ ودعاهُ الى خدمتهِ وجعلهُ كاتباً عندهُ ومديرًا للتلغراف فارتقى من منصب الى آخر مدة ثلاث عشرة سنة حتى صار مديرًا لقسمٍ من تلك السكة . وتعرَّف بمخترع مركبات النوم فشاركهُ وربح من ذلك ربحاً اعانهُ على الشروع في اعمالهِ الاخرى التي كانت سبب ثروتهِ . واشترك مع بعض الاصدقاء وابتاعوا ارضاً بثمانية آلاف جنيه وحفروا فيها آبارًا لزيت البترول فربحوا بذلك مئتي الف جنيه . ولكنهُ بلغ الثلاثين من عمرهِ قبلما عثر على الصناعة التي جمع منها ثروتهُ الوافرة

ذلك انهُ لما عُيّن مديرًا لسكة الحديد وجد ان شركة تلك السكة كانت تجرب عمل كبري (جسر) من الحديد وكانت الكباري كلها الى ذلك الحين من الخشب فقال في نفسهِ لا بدَّ من ان تبدل بكباري الحديد و يصير الاعتماد على الحديد وحدهُ في المستقبل لانشاء الكباري فانشأ معملاً صغيرًا لعمل كباري الحديد واتسع عملهُ هذا اتساعاً عظيماً وزادت مكاسبهُ بازدياد السكك الحديدية . ثم رأى ان الصلب (الفولاذ) افضل من

الحديد لخطوط السكك وانهُ لابدَّ من الاعتماد عليهِ فانشأ المعامل لسبكهِ وعمل هذه الخطوط منهُ وابتاع كل مناجم الحديد والفحم في البلاد المجاورة لهُ ثم في البلاد المجاورة لبحيرات اميركا وانشأ سكة طولها ١٨٦ ميلاً لجلب تجارة الحديد من المناجم الى المعامل. وكان يختار اغنى المناجم ويستخدم اقل الطرق نفقات في استخراج الحديد منها فزادت ثروتهُ سريعاً الى ان بلغت ما بلغتهُ من الملايين الكثيرة

وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيا انيس المحضر كأنهُ شاب في السادسة عشرة ليس في جيبهِ درهم . لم يورثهُ والداهُ شيئاً من المال ولكنهما اورثاهُ صحة جيدة واخلاقاً رضية وآداباً رائعة فتراهُ ممتلئاً صحة ونشاطاً لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تملُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء. وسنذكر الاساليب التي عزم على انفاق ثروتهِ فيها في بعض الاجزاء التالية

العلم في العام الماضي

الفلك

من بعد ظهور الكلف على وجه الشمس في شهري سبتمبر واكتوبر سنة ٩٨ سكن اضطرابها وصفا وجهها الى شهر يونيو سنة ٩٩ فظهرت حينئذٍ كلفة كبيرة على الطرف الشرقي واتحدت بكلف أُخرى حتى صار منها مجموع امتد في ٢٩ يونيو على مسافة ٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل مربع. وظهور هذه الكلف الكبيرة نادر في سنة يجب ان تكون الكلف فيها على اقلها . وخلا وجه الشمس من كل اضطراب في يوليو واغسطس وسبتمبر

ووجد الاستاذ نيوكوم ان النظام الشمسي يسير في الفضاء ٣٣٤,٠٠٠,٠٠٠ ميل في السنة وانهُ سائر الى نقطة صعودها المستقيم ١٨ ساعة و٣٠ دقيقة وميلها الشمالي ٣٥ درجة

ووجد الاستاذ فرنن بويز ان متوسط كثافة الارض (اي ثقلها النوعي) ٥,٥٢٧٠ اي ان ثقل الارض ٥,٨٨٢,٠٦٤,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ طناً . ومن الغريب ان الاب برون العالم البوهيمي بحث عن كثافة الارض ايضاً بطريقة اخرى فوصل الى نتيجة قريبة جداً من نتيجة الاستاذ فرنن بويز لانهُ وجد كثافتها ٥,٥٢٧٣ وهذه الموافقة تثبت صحة ما وجداهُ

وقد سمي السيار الصغير الذي اكتشف في شهر اغسطس سنة ٩٨ "ايروس" وتمكن

الدكتور شندلر من معرفة فلكهِ بفحصهِ مواقع النجوم المحيطة بهِ وتغيراتها منذ سنة ٩٣ وقيست مدَّة دوران القمر الخامس من اقمار المشتري فاذا هي ١١ ساعة و ٥٧ دقيقة و ٢٢ ثانية و ٦٥ في المئة من الثانية

واكتشف الاستاذ بكرنج قمرًا جديدًا لزحل ولكن ذلك لم يثبت لانهُ قد يكون سيارًا وراء نبتون

وشوهدت ثلاثة من ذوات الاذناب الدورية التي كان رجوعها منتظرًا هذه السنة وقد انتظرنا تساقط الشهب الاسدية في اواسط نوفمبر الماضي وهي تتساقط بكثرة مرة كل نحو ٣٣ سنة فكان سقوطها قليلاً جدًّا هذه النوبة لم يرَ منها إلاَّ نحو ستين شهابًا في الساعة

الكيمياء

من اهم ما اكتشف في الكيمياء طريقة تجميد الهيدروجين اكتشفها الاستاذ دوَر اتفاقًا بينما كان يجرب تجارب اخرى وقد اعلن اكتشافهُ هذا في مجمع العلوم البريطاني بمدينة دوفر

واكتشف السروليم كروكس عنصرًا جديدًا سماهُ "فكتوريوم" اكرامًا للملكة فكتوريا فوجد انهُ اذا وضعت بعض الحجارة مثل الياقوت والفيروز والالومينا والاتريوم في اناء زجاجي خالٍ من الهواء وتعرض لمجرى كهربائي آتٍ من القطب السلبي من لفائف الحدَّة ظهر من هذه الحجارة نور فصفوري وقد بحث منذ سنة ٧٩ في هذا النور فوجد انهُ ناتج عن عنصر جديد ثقلهُ الجوهري ١١٧

ونشر ايضًا كتابًا في تايد رأْيهِ الذي ابداهُ في خطبتهِ لما كان رئيسًا للمجمع العلمي وهو ان الاراضي التي تصلح لزرع الحنطة لا تكفي غلتها الناس الذين يأكلون الحنطة ولا بدَّ من تسميدها بنيترات الصودا وعمل هذه النيترات بالطريقة الكهربائية التي اشار بها

وقرأَ السر نورمَن لكير (الفلكي الشهير ومحرر جريدة ناتشر) رسالة امام دار العلم الملكية موضوعها "تقسيم الكواكب الكيماوي" ابان فيها كيفية تكوُّن الكواكب ونشوئها وارتقائها

البيولوجيا

خطب المستر ادم سدجدك احد علماء البيولوجيا في المجمع البريطاني في "التغير وبعض الظواهر المتعلقة بالتناسل والجنس" ذكر فيها امورًا كثيرة توضح حقيقة الارتقاء الطبيعي وقال ان التغير كان عظيمًا جدًّا في الاجسام الحيَّة عند بدء ظهورها ولذلك كانت الوراثة اقل فعلاً حينئذٍ منها الآن

وتكلم الاستاذ بوشنغ في القسم الرياضي والفلسفي على طلب البيولوجيين معاضدة الطبيعيين لهم في تفسير مسائل الحياة والحركة فقال ان تفسير الظواهر الحيوية والتغيرات الارادية وغير الارادية بتفاسير طبيعية محضة أمر مردود لا يقبلهُ العقل وان لكل حيّ من الاحياء شيئاً يميزهُ عن غيره ولذلك لا يمكن تقدير ما سيحصل لهُ بما قد حصل قبلاً لغيره من نوعهِ فيجب على البيولوجي ان يقتصر على الاساليب السيكولوجية

ولم يزل الاستاذ كارل بيرسُن يوالي الاحصاء في علم البيولوجيا وهو الدائرة التي تلي الانتخاب الطبيعي وفيها حقائقهُ الرياضية . وقد بحث في آخر مقالة نشرها عن طول عمر الرجل وتأثير الارث فيهِ وهو الآن يشتغل بالبحث عن طول عمر المرأة

ونشر الاستاذ كوسار ايورت مقالة في تجنُّس الحيوانات وتأهيلها وهذه مسألة تهمُّ مَن يدرس علم الوراثة بل كل مَن يشتغل في تربية الحيوانات وتجنيسها وتأهيلها

ودُرِست اسماك النيل درساً مدققاً بمساعدة كثيرين من علماء الحيوان وكرم الحكومة المصرية . وقد اخذ المستر بولنجر العالم الطبيعي في تأليف كتاب كبير في هذا الموضوع فيهِ اكثر من مئة صورة وعزمت نظارة المعارف المصرية ان تطبعهُ على نفقتها. وذهبت رسالة يرأسها المستر مور لفحص اسماك بحيرة تانجانيكا في اواسط افريقية ورسالة اخرى الى جزيرة سقطرى لدرس حيواناتها ونباتاتها وجمع الامثلة منها فجمعت شيئاً كثيراً من ذلك عادت بهِ الى البلاد الانكليزية

الكهربائية

كان تقدُّم الكهربائية عظيماً في السنة الماضية وخصوصاً في التلغراف الاثيري وقد تكلمنا عن هذا الاختراع ووصفناهُ وصفاً مسهباً مدققاً في الجزء الماضي . وحسبنا ان نقول الآن ان آلات هذا التلغراف تزيد اتقاناً يوماً فيوماً و يزيد الناس لها استعمالاً والآن يستعملونها في الحرب الحاضرة

ومن المكتشفات الحديثة الطريقة الجديدة للاسراع في ارسال التلغرافات العادية فقد ارسل في ساعة واحدة من ٧٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ كلمة بين فينا وبودابست وأُرسل حديثاً ١٢٢٠٠٠ كلمة في الساعة بين شيكاغو و بفلو في الولايات المتحدة الاميركية

وادخلت اشعة رنتجن في الطب والجراحة واستعملت في الحرب السودانية وحرب الترنسفال

واخترع الدكتور وهنلت آلة تمكن بواسطتها ان يقطع ويوصل المجرى الكهربائي الف مرة في الثانية

عيوب الاسنان

للدكتور نسيم عريبلي

من اصدق ما يظهر فيهِ قول الكتاب " الآباء اكلوا الحصرم واسنان البنين ضرست " ظهور الادواء في اولاد المصابين بالمرض القبيح المفسد للبنية بعد فساد الاخلاق اعني بهِ السفلس او الداء الزهري فانهم قلما يعيشون واذا عاشوا فقلما ينجون من آثار ذلك الداء الخبيث في بنيتهم وهيئتهم ولاسيما في شكل اسنانهم . ولو علم الشبان الذين يلقون بانفسهم في التهلكة وهم يسعون وراء لذة وقتية ما يحلُّ بهم من فساد البنية وتشوُّه الاعضاء اذا اصابهم ذلك الداء الخبيث لفضَّلوا كل حرمان على تلك اللذة . ولو ادرك آباء البنات ما يحلُّ ببناتهنَّ ونسلهنَّ اذا زوَّجوهنَّ رجالاً اصيبوا بهذا الداء لامتنعوا عن تزويجهنَّ بهم ولو بقين ايام العمر كلهُ . ولا ندري كيف تخفى نتائج هذا الداء على احد من الناس وهم يرونها جليًّا في كل من اصيب بهِ وفي نسلهِ من بعدهِ اذا عاش لهُ نسل



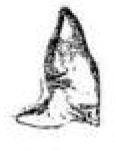
الشكل الاول

الشكل الثاني

واول من انتبه الى عيوب اسنان المولودين من آباء مصابين بهذا الداء الدكتور هتشنصن فانهُ بحث في هذا الموضوع وبيَّن انهُ يكون الاسنان حينئذٍ شكل خاص بها كما ترى في الاشكال التالية ولاسيما الثنايا العليا فان هذه الاسنان تظهر في اللثة اولاً دقيقة محدَّدة ثم ينكسر راسها وتبقى في اللثة كقرمة مقعرة ثم تزول تماماً بين السنة العشرين والثلاثين من العمر . وقد تنفصل الثنيتان فتكون احداهما بعيدة عن الاخرى وقد لا يظهر فيهما التقعير المشار اليهِ ولكن يكون لهما لون خاص بهما تمتازان بهِ

وأيَّد الدكتور وليمس قول هتشنصن وقال ان الثنيتين العليين تظهران في التسنين الثاني وفي كلٍّ منهما حفرة عند اسفلها والاسنان التي حولها على الجانبين تكون صغيرة وعليها نتوات . ترى في الشكل الاول والثاني صورة اسنان ولد عمرهُ ١٢ سنة وابنتين عمر الواحدة

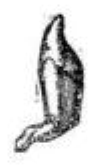
منهما ١٤ سنة وعمر الثانية ١٧ سنة وقد وصفها المستر طمس بانها رمادية اللون صغيرة بالنسبة الى الفك لينة القوام تتكسر بسهولة ولا تقاوم العوارض


الشكل الثالث

وقد يتغير شكل الاسنان الطبيعي فينحرف تاجها الى اليمين او الى اليسار كما ترى في الشكل الثالث وهو صورة اثنتين من الثنايا وسن من ذوات الحدبتين وقد يصعد جذرها الى اعلى تاجها ويتجوَّف كالكاس

وقد ينحرف جذر السن الى اليمين او الى اليسار لغير سبب ظاهر ولا يكتفي بالانحراف بل ينعطف على نفسهِ كما ترى في الشكل الرابع


الشكل الرابع



الشكل الخامس

ومن عيوب الاسنان ايضاً الحفر او تأكُّل ظاهرها كما ترى في الشكل الخامس وهو يصيب الثنايا اولاً ثم يمتدُّ الى الرباعيات والانياب والاضراس التي وراءها والغالب ان يكون في خط واحد فتظهر الاسنان كأنها مبرودة بمبرد حزَّ فيها خطاً افقياً على عرضها ولكن قد يحفر المينا في نقط صغيرة ثم تتسع هذه النقط رويداً رويداً حتى تصير كالخروق الكبيرة كما ترى في الشكل . وقد يكون هذا الفعل سريعاً فيتم في سنتين او ثلاث وقد يكون بطيئاً فلا يتم الاَّ في ست سنوات او اكثر واول مَن وصف هذا الداء الدكتور هنتر وقال انهُ وراثي في الاسنان لانهُ يصيب بعضها ولا يصيب البعض الآخر ولا علاقة لهُ بالصحة العامَّة . ونسبهُ البعض الى استعمال الفرشاة ولكن الارجح ان سببهُ ضعف طبيعي في مينا السن حدث حين تكونها فصارت تنفعل بالفواعل الخارجية ولولا ذلك لكانت تقاومها بسهولة . وعلاجهُ تسوية الحفر وملؤها بالذهب

روبرتس وكتشنر

بطل قندهار وبطل الخرطوم

لهذه الحرب المتأججة نيرانها الآن في جنوبي افريقية بين امة يخضع لها اربع مئة مليون من النفوس وتعدُّ الاولى بين امم الارض غنًى وعزة وبين جمهوريتين صغيرتين لا يزيد سكانهما الذين يحق لهم حمل السلاح على سبعين الف نفس اوزارٌ لا تحصى ومضار لا تستقصي يودُّ الذين اوقدوا نارها واذكوا اوارها لو قطعت ايديهم والسنتهم ولم يخطُّوا حرفًا يثير الاحقاد ولا فاهوا بكلمة تدمي الكلوم

ومن غرائب الاتفاق ان الامة الهولندية التي اختيرت عاصمتها لعقد مؤتمر السلم ابناؤها نادوا بهذه الحرب وعليهم وقعت اوزارها فان البوير سكان الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة من الهولنديين الذين هاجروا الى افريقية الجنوبية واستوطنوها . والامة التي يُنتظر منها توطيد اركان السلم في الدنيا اكثر مما ينتظر من غيرها وقد اشتهرت بحذرها واتقائها اسباب الحروب اشتبكت في هذه الحرب على غير اهبة لها واستخفّت بخصمها فلقيت منهُ الامرّين

ولم تزل الحرب سجالاً بين الفريقين حتى كتابة هذه السطور وهي على شدتها لا تعدُّ شيئًا في عدد قتلاها وجرحاها بالنسبة الى غيرها من الحروب فلم يزد عدد القتلى والجرحى حتى الآن من الفريقين على عشرة آلاف نفس مع ان المعركة الواحدة من الحروب الحديثة يقتل فيها اكثر من عشرة آلاف وكان يقتل في المعركة من الحروب القديمة مئة الف نفس او اكثر كما ترى في وصف واقعة اسوس في الجزء الثاني عشر من المجلد السابق فانهُ قتل فيها من جنود داريوس وحدهُ مئة الف على الاقل

وقد ادركت الامة الانكليزية سوء العقبى عليها اذا عادت من هذه الحرب بالفشل فبعثت اليها اشهر قوادها بطل قندهار وبطل الخرطوم اولها شيخ عرك الدهر وخبر الرجال ودانت لهُ عصاة الهند والافغان والثاني شاب خبر هذا القطر مقدرتهُ في الادارة والقيادة فوجد منهُ التدبير والدهاء والهمَّة والعزيمة

ويمتاز لورد روبرتس على غيره من القوَّاد بحبهِ لجنودهِ وحب جنودهِ لهُ وقد اشتهر بذلك من اول ما تولَّى قيادة الجنود . قال في وصف حصار دهلي المشهور "واني غير قادر ان اختم وصف هذا الحصار من غير ان اقوم بالشكر الواجب للجنود الذين ساروا من اول الحصار الى آخرهِ سيرًا يفوق كل مدح فانهم لم يملوا قط ولا بدا منهم اقل ضعف في بسالتهم

وقد نازلوا العدو في اثنتين وثلاثين معركة وكان لهم الفوز فيها كلها رغماً عن كل المصاعب. وكثيرًا ما كان عدد العدو عشرة اضعاف عددهم ومواقعهُ احسن من مواقعهم ومدافعهُ اجود من مدافعهم ولكن كل واحد منهم كان يحارب كأنَّ نتيجة الحرب كلها متوقفة عليهِ وتجشموا المشاق كلها عن رضى وطيب نفس وهي مما لم يعرّض له جيش آخر منذ سنين كثيرة . وظلوا مرةً ثلاثة ايام نهارًا وليلاً وهم بأسلحتهم يحاربون العدو وشمس الهند تكويهم وهي اشد بلاءً من نارهِ .ورأوا الكوليرا والزحار والدوسنطاريا تحصد رفاقهم حصدًا وهي افتك بهم من رصاص الاعداء وشاهدوا النجدات ترد على عدوهم وهم يقلون عددًا يوماً بعد يوم . ولكن شجاعتهم لم تخنهم قط واخيرًا لما قطعوا الرجاء من قدوم المدد ورأوا انهُ اذا كان لا بدَّ من اخذ دهلي وجب عليهم ان ياخذوها حالاً هجموا عليها ببسالة وثقة كأنهم لم يزالوا في بداءة الحرب لا كأنهم حملوا اوزارها ثلاثة اشهر متوالية وخانهم فيها الرجاء وقنطوا من النجدة. هجموا عليها وهم حفنة صغيرة من الرجال وهي حصن منيع فيهِ ثلاثون الفاً من الابطال المستبسلين وعندهم كل ما يلزم من وسائل الدفاع ففتحوها عنوةً وبهم يحق لانكلترا ان تفتخر مدى الادهار"

وقد وقفنا مرارًا كثيرة ونحن نترجم هذه السطور كأن صوتًا يرنُّ في آذاننا ويقول علىمَ لا تفعل الجنود البريطانية هذا الفعل الآن في جنوبي افرقية فتنقذ المدن المحصورة وتعيد الراية الانكليزية الى مجدها الاول هل البوير الذين يحاربهم الانكليز ابسل من الهنود وامهر منهم في الضرب والرماية او هي تصاريف الزمن ترفع اقواماً وتخفض آخرين

واصيب روبرتس برصاصة في ذلك الحصار اصابةً في ظهرهِ ولكنها لم تمتهُ لانها اصابت جراب الكبسول اولاً فبقي طريح الفراش شهرًا من الزمان

وعند الانكليز وسام رفيع الشان يهبهُ الملكة لمن يستقتل لكي ينجي غيرهُ من القتل وهو صليب فكتوريا وقد وُهب اللورد روبرتس وساماً منهُ وهو في بلاد الهند فانهُ هاجم العصاة مرةً وفلَّ جموعهم وجدَّ في اثر الهاربين منهم ثم صدر الامر بالرجوع عنهم وبينما هو راجع برجالهِ لقيتهم شرذمة من العصاة فوقفت امامهم واطلقت عليهم الرصاص واصابت واحدًا من رفاقهِ فالتفت واذا واحدًا من العصاة هجم على رجل آخر وكاد يطعنهُ بسنكتهِ فهجم عليهِ وضربهُ ضربة اودت بهِ قبل ان تمكن من طعن رفيقهِ ثم التفت واذا اثنان من العصاة خطفا علماً وفرَّا بهِ فجدَّ وراءها وضرب احدها فقتلهُ ومدَّ يدهُ لياخذ العلم منهُ فهجم عليهِ رفيقهُ واطلق عليهِ الرصاص فاخطأهُ فعاد بالعلم ظافرًا وجوزي بصليب فكتوريا لانهُ استقتل لكي ينجي واحدًا من رفاقهِ و يسترد علَم انكلترا وهو غير مندوب

وربَّ قائل يقول كيف يجازَى الناس بوسامات الشرف على قتل غيرهم فيجيبهُ رجال الحرب ان الناس في المجتمع الانساني كالاعضاء في جسم الانسان فاذا فسد عضو وخيف ان يفسد غيرهُ و يضرَّ الجسم كلهُ بادر الجرَّاح الماهر الى بترهِ وجوزي على ذلك احسن جزاء

وعاد من تبديد شمل العصاة واخماد الثورة وقد ذاع اسمهُ وتحدث بهِ الناس ورأى فتاة بيت ابيها في جوار بيت ابيهِ فاحبها واقترن بها سنة ١٨٥٩ فشاركتهُ في السرَّاء والضرَّاء واحلها المحل الثالث لما ألَّف كتابهُ المشهور الذي وصف فيهِ اعمالهُ بالاسهاب مدة احدى واربعين سنة اقامها في بلاد الهند واهداهُ الى الذين يحبهم ويكرمهم فقال في صورة اهدائهِ

اني اهدي هذا الكتاب

الى البلاد التي افتخر بالانتماء اليها

والى الجيش الذي انا مديون لهُ ديناً عظيماً

والى زوجتي

التي لولا مساعدتها ما كان للاحدى والاربعين سنةً ذكرى سعيدة كما لها الآن

واشهر اعمال لورد روبرتس اشتراكهُ في اخماد ثورة الهند وفوزهُ في شراسيا ودخولهُ كابول وذهابهُ الى قندهار . والمعارك التي شهدها وكانت لهُ القيادة فيها تشهد لهُ كلها بعلو الهمة ومضاء العزيمة واصالة الرأي والاستبسال في حب وطنهِ. فلما هاجم افغانستان كان الافغان على مرتفع من الارض يتعذَّر البلوغ اليهِ وهم بالعدد الكبير والعدَّة الكاملة يفوقونهُ عدداً وعُدَدًا فلما رأى انهم امنع من عقاب الجو ابقى فريقاً من جيشهِ امامهم لاغرائهم وذهب بالفريق الآخر ودار من ورائهم في شعب اكتشفهُ بين الجبال وبيتهم فاثخن فيهم ومهد لهُ سبيل النصر . ورأى امير افغانستان من ذلك الحين ان عدوهُ قرم عنيد لا يصطلى لهُ بنار ففرَّ من وجههِ الى بلاد الروس في تركستان واقام فيها الى ان ادركتهُ الوفاة

ولما انتقض الافغان وذبحوا حامية كابول انتُدب اللورد روبرتس للاقتصاص منهم فجمع من تيسر لهُ جمعهُ من الجنود وشنَّ الغارة بهم ولقي الافغان امام كابول ففرَّق شملهم ودخل المدينة ظافراً

ثم ثارت عليهِ القبائل بقيادة محمد جان وكادت تفتك بهِ فالتفت ورأى مئة الف من الابطال وكلٌّ منهم ظمآن الى شرب دمهِ لكنهُ فرَّق شملهم وبدَّد جموعهم وسار لانقاذ قندهار بثمانية عشر الفاً فانقذها من ايوب خان ولم يقتل من رجالهِ الانكليز والهنود سوى ٢٥٠ نفساً وغنم كل ما كان مع ايوب خان وبذلك انتهت حروب الافغان

واللورد كتشنر كهل ولد سنة ١٨٥٠ ودرس الفنون الحربية ولحق بالمهندسين الملكيين وجاء قبرص وفلسطين لمساحة الاراضي وتطوَّع في الجيش المصري سنة ١٨٨٢ وسار في حملة النيل سنة ١٨٨٤ ونازل عثمان دقنه في واقعة هندوب سنة ١٨٨٨ فابلى بلاء حسناً وجُعل ياوراً لجلالة الملكة واجوتانت جنرال في الجيش المصري ثم نقل الى نظارة الداخلية فاقام فيها مدة وخلف الجنرال غرانفل باشا سرداراً للجيش المصري . واعمالهُ الاخيرة لا تخفى على احد من القراء فانهُ فتح السودان ومحق جيوش الدراويش بالحزم والتدبير ولم يُقتل من رجالهِ الاَّ ما يقتل عادةً في معركة صغيرة وهذا هو الفوز المبين

وهذان البطلان بطل قندهار وبطل الخرطوم يديران الآن رحى الحرب في جنوبي افريقية الاول قائد عام والثاني رئيس اركان حربهِ وتحتهما قوَّاد كثيرون من الذين اشتهروا في معارك القتال مثل بلر وهوبت وهنتر ومكدونلد ولكنهم لم يفعلوا في هذه الحرب حتى الآن فعلاً يذكر لهم بالثناء الجميل فهل ضاعت بسالتهم او وقعوا مع عدو ابسل من الجنود والدراويش

وبينما نحن نفكر في حل هذا المشكل لقينا استاذاً كبيراً من اساتذة مدرسة كمبردج الجامعة زار القطر المصري وتكرَّم بزيارتنا فدار الحديث على حرب الترنسفال وبسالة البوير فعلمنا منهُ ان القوم فوق ما يصفهم الواصفون قال "انهُ منذ اربع عشرة سنة الى الآن تعلَّم منهم في مدارسنا الجامعة اكثر من مئة شاب وهم اذكياء العقول شديدو الغيرة والحميَّة كانوا يقفون في النوادي والولائم و يعربون عن حبهم لوطنهم و يجاهرون بان جنوبي افريقية للبوير لا لغيرهم وان النزلاء فيهِ يجب ان ينضموا اليهم و يمتزجوا بهم ليكون البوير بمثابة الشجرة الاصلية وهؤلاء الدخلاء اغصاناً مطعمة فيها . وقد عاد هؤلاء الشبان الى بلادهم وصدورهم مملوءة بالعلوم الاوربيَّة والمعارف العصرية وهم يديرون شؤونها الآن ووزير الداخلية منهم . هذا عدا من جاءهم من القوَّاد الاوربيين . والحرب قيادة وتدبير . ولقد ضاق الاميركيون ذرعاً بحفنة من الرجال في فيلبين والهولنديون بقبيلة صغيرة في جاوي فلا عجب اذا ضقنا ذرعا بالبوير وهم على اتم الاستعداد لهذه الحرب وفي بلادهم من الحصون الطبيعيَّة ما لا مثيل لهُ في بلاد اخرى . ولقد كانوا يحسبون انهم يفتحون لادي سميث حالاً و يصلون الى مدن الساحل فتخضع بلاد الراس لهم في شهر من الزمان قبل ان يصل المدد الى حاميتها فاحبطنا مسعاهم وارسلنا من المدد مالا يستطيع غيرنا ارسالهُ في هذه المدة الوجيزة من الزمن وسنضمُّ كل بلاد البوير الى بلادنا ولكننا نتركها تحكم نفسها بنفسها مثل استراليا وكندا فلا يندم البوير اخيراً بل يرون ان الغاية التي يقصدونها نالوها ولو على اسلوب آخر" ولا يبعد ان تحقق هذه الاماني في المستقبل القريب

الهليوغراف

سألنا كثيرون ان نشرح لهم الهليوغراف الذي يتخاطب بهِ الانكليز الآن في جنوبي افريقية . فنقول انهُ واسطة للتخاطب بين مكانين بعيدين بواسطة اشعة الشمس كما هو مدلول اسمهِ لانهُ مركب من كلمتين معناهما تصوير الشمس او كتابة الشمس وهو مرآة ينعكس عنها نور الشمس من مكان الى آخر فيدلُّ وميضهُ على حروف الهجاء كما تدلُّ الخطوط والنقط على حروف الهجاء في التلغراف الكهربائي. ولهُ مزية على كل وسائط التخاطب اذا كانت الشمس مشرقة لخفة آلتهِ وسهولة نقلها واستعمالها و بعد المسافة التي يمكن رؤية النور منها . وامتناع رؤيتهِ على من ليس في الخط الذي يعكس النور فيهِ فلهُ مزية على الاعلام التي يتخاطب بها احيانًا و يماثل التلغراف الاثيري المكتشف حديثًا في صحة دلالتهِ وسهولة قراءتهِ

ولا بدَّ من وضع المرآة بحيث يقع النور المنعكس عنها على المكان الذي يراد ارسال الاشارات اليهِ وحينئذٍ إما ان يغطَّى وجهها ثم يكشف ويترك مكشوفًا مدة وجيزة او طويلة وإما ان لا يغطى بل يترك مكشوفًا ثم يغطى مدة قصيرة او طويلة والمدة القصيرة في الحالين تدلُّ على النقطة في التلغراف الكهربائي والطويلة على الخط وتتركب حروف الهجاء من الخطوط والنقط كما لا يخفى . والطريقة الاولى اسهل تعلمًا من الثانية والثانية لا تتعب العين كالاولى و يسهل على مستعملها ان يغيّر وضع المرآة مع سير الشمس . والمرايا المستعملة في الهليوغراف مستوية ولذلك تعكس بها الاشعة الى مسافة طويلة ولاسيما اذا كانت المرآة كبيرة واشعة الشمس غير كثيرة الانحراف على سطحها والهواء نقيًا قليل البخار. فقد قرئت اشعتها في جبال حمالايا معكوسة عن مرآة قطرها اثنا عشر سنتمترًا فقط على مسافة ستين ميلًا او اكثر . وقرئت في كليفورنيا باميركا على مسافة ١٩٠ ميلًا واستعملها المهندسون الفرنسويون في الجزائر على مسافة ١٧٠ ميلًا

وارسال الاشارات بالنور المنعكس عن المرايا قديم جدًا فقد قيل ان العرب كانوا يستعملونهُ في بلاد الجزائر منذ ثمانية قرون او تسعة. والغالب ان يتفق المتخاطبان على ساعة يتخاطبان فيها وتكون آلة الهيلوغراف متصلة بالآلات ساعة تدور معها حتى اذا جاء الوقت المعين وصل النور المنعكس عنها الى المكان الذي يراد ارسال الاشارات اليهِ. واذا لم تكن اشعة الشمس قريبة من الخط العمودي عكست بمرآة اخرى على مرآة الهيلوغراف حتى تصير قريبة من العمودية

وتستعمل المصابيح للتخاطب ليلًا كما تستعمل اشعة الشمس للتخاطب نهارًا ولكن التلغراف الاثيري سيقوم مقام الهيلوغراف على انواعهِ

اليهود في فرنسا

كتب الينا شاب سوري من نزلاء استراليا يسألنا عن سبب ما يلقاهُ اليهود احياناً في بلاد فرنسا من الكراهة واتفق اننا قرأنا مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية بقلم رجل يدل اسمهُ على انهُ من كتّاب اليهود فلخصنا منها السطور التالية . قال الكاتب ان من يزر فرنسا الآن يرَ فيها لاول وهلة امرين يصعب التوفيق بينهما الاول الكراهة لليهود التي يجاهَر بها على المنابر وفي نحو نصف الجرائد والثاني قلة عدد اليهود الذين يلتقي بهم حتى لا يكاد يجد احداً منهم في غير باريس و بعض المدن الصناعية الكبيرة . وعدد اليهود الذين في فرنسا قليل جدًّا بالنسبة الى عدد اخوانهم في انكلترا واميركا فلا يزيد في كل بلاد فرنسا على ثمانين الفاً مع انها اول مملكة ساوت اليهود ببقية شعبها في الحقوق المدنية فيصعب على المرء ان يعرف اسباب هذه الكراهة ومقدار انتشارها وقد حاولت ايضاح ذلك في السطور التالية

ثم بيَّن الكاتب ان نبوليون الاول كان يهتم بامر اليهود شديد الاهتمام و يحاول مزجهم ببقية الشعب الفرنسوي وجعلت الحكومة الفرنسوية تدفع الرواتب الى حاخاميهم كما تدفع الى قسوس المسيحيين واباحت لهم الانتظام في سلك الجندية والارتقاء في مناصبها. ولما قام ما كولي في انكلترا يطلب من الحكومة الانكليزية ان تبيح لليهود ما تحظرهُ عليهم كان اليهود في فرنسا ضباطاً في الجيش الفرنسوي وقضاةً في محاكم فرنسا ونواباً في مجلس النواب . وكانوا قد امتزجوا بالفرنسويين حتى نسي كثيرون منهم انهم من اليهود وصاروا يحسبون انفسهم فرنسويين مثل غيرهم من سكان فرنسا ولم يخطر على بال احد ان الحال تنقلب كما انقلبت الآن

وسنة ١٨٨٦ الَّف المسيو ادوار دريمون كتاباً سماهُ فرنسا اليهودية (لا فرانس جويف) طعن فيهِ على كثيرين من اصحاب المقامات فاقبل الجمهور على مطالعتهِ وتبعتهُ كتب اخرى على شاكلتهِ . وسنة ١٨٩١ انشئت جريدة القول الحر (ليبر بارول) بقصد الوقيعة في اليهود وكان المسيو دريمون في رئاسة تحريرها ومن ثمَّ جعل النواب المعادون لهم يدخلون مجلس النواب و يجاهرون بعداتهم واسباب ذلك دينية وسياسية واجتماعية

اما الاسباب الدينية فنشأت من قيام اناس مثل غمتا وجول فري و بول بر ومقاومتهم خدمَة الدين الكاثوليكي ومن مقاومة الحكومة لبعض الطغمات الدينية ولا سيما طغمة الجزويت

التي نفيت من فرنسا بمساعي بعض الجرائد الجمهورية التي يحررها اليهود . فلا يستغرب اجتهاد الجزويت الاخذ بالثار منهم وسعي غيرهم من خدمة الدين في تحويل كراهة الشعب عنهم الى غيرهم

واما الاسباب السياسية فمدارها على انضمام اكثر اليهود الى حزب الابورتنسب فلما ضعف شأن هذا الحزب ضعف شأنهم معهُ وزد على ذلك ان كثيرين منهم كانوا من انصار الجنرال بولانجه ثم صاروا اول من خذلهُ فاشتدَّ حنق الجمهور عليهم ولاسيما حنق رشفور الذي كان صديقاً حمياً لبولانجه

والاسباب الاجتماعية اقوى من الدينية والسياسية وهي انفراد اليهود بلغتهم واساليب معيشتهم وهي غير ضائرة ما دام الناس في رخاء واما اذا وقعت بهم الشدَّة ورأوا ان من يخالفهم في طرق المعيشة لم يشاركهم في الضرَّاء عادوا عليهِ باللائمة وحوّلوا سهام انتقامهم اليهِ ولذلك نسوا كل ما فعلهُ الشركاء المسيحيون في مسألة بناما وصبوا جامات غضبهم على ريناخ وهرتز وارتون لا سيما وان الجرائد الاكليريكية والبولنجية كانت تساعدهم على ذلك

ثم قال وبديهي ان امَّة مثل الامة الفرنسوية أُعدَّت لان تصدّق كل ما يقال ضدَّ اليهود لا تكذّب مَن يقول لها مثلاً ان دريفوس خائن ولاسيما لان الفرنسويين يكرمون جيشهم اكراماً عظيماً لانهُ حامي حمى الوطن والوطنية ديانة فرنسا الحقيقية ولا جريمة عندهم اقبح من جريمة من يخون وطنهُ. ولا يستطيع فرنسوي مخلص ان يرتاب في قول قواد الجيش الذي يرقي شان الوطن. فالجريمة التي نسبت الى دريفوس تكفي لان تحمل الفرنسويين كلهم على الارتياب في اخلاص اليهود . ثم لما جاءت المرافعة في دعوى دريفوس اغتنمها الحزب المضاد لهم فرصة يشتدُّ بها وتقوى عزيمتهُ

هذا اصل الحزب الفرنسوي المضاد لليهود . ومن رأي الكاتب ان جمهور الفرنسويين الذين من الطبقة الوسطى والعليا صار الآن يرتاب فيهم او يكرههم واما المتعلمون المتهذبون فلا يزالون يكرمونهم ويجلونهم . والحزب المضاد لهم لا يعرف في المدارس الجامعة وليس لهُ شأن يذكر في الجيش ولا بين عامة الشعب الذين هم الجمهور الاكبر ولا شيء يمنعهم الآن من الدخول في مناصب الحكومة ولو كان ارتقاؤهم فيها ليس بالامر السهل كما كان اولاً. ولما كانت هذه المضادَّة لهم غير مبنية على اسس راسخة فستزول رويداً رويداً لا سيما وان الامة الفرنسوية امة عظيمة حكيمة عُرف من امرها انها لا تصرُّ على خطاء اذا عرفتهُ

الحجارة الطافية

قد تطفو الحجارة البركانية على وجه الماء اذا كانت خفيفة كثيرة المسام يتجمع الهواء في مسامها فيزيدها خفة حتى يصير ثقلها النوعي مثل ثقل الماء او اخف . وتطفو ايضاً اذا دقت دقيقاً ناعماً ولم يكن بينها وبين الماء جاذبية التصاق فيندفع الماء عنها قليلاً ولا يعود ثقلها كافياً لمقاومة جاذبية الالتصاق التي بين دقائقهِ فلا تستطيع الغرق فيهِ ولكن لم يُسمع قبل الآن ان الحجارة التي يبلغ ثقل الحجر منها اكثر من نصف غرام وثقلهُ النوعي اثنان وسبعة اعشار تطفو على وجه الماء . غير ان الرحالة الدكتور ارلند نوردنسكيولد كتب الآن الى جريدة ناتشر يقول انهُ شاهد قطعاً من الحجر الاسود الذي يكتب عليهِ التلامذة في المدارس طافية على وجه ماء البحر ومجتمعة بعضها مع بعض مجاميع كبيرة او صغيرة وهي كثيرة جداً القى الشبكة مرةً فانتشل منها سبع مئة حجر . وقد جرفها البحر من الشاطىء لان الشاطئ حيث وجدها مؤلف منها . واذا كانت على سطح الماء بان وجهها الاعلى جافًا فاذا بُلل او حركت حتى ابتلَّ غرقت حالاً

وثقل هذه الحجارة النوعي ٢٫٧١ وثقل الماء هناك ١٫٠٠٤٩ قال وكان حجر من الحجارة التي استخرجناها بالشبكة ثقلهُ ثمانية اعشار الغرام وليس فيها تجاويف وتخاريب مما يرى بالعين فهي ليست مثل الحجارة البركانية التي ترى طافية على وجه الماء

اما سبب طفوها على وجه الماء فيظهر من انهُ يكون عند سطحها الاسفل المباشر للماء فقاقيع صغيرة من الغاز لاصقة بها وتظهر هذه الحجارة على الشاطىء وقد وصلها الماء واخذت الفقاقيع تكون تحتها وتحملها لتطفو على وجه الماء و كنت مشغولاً بالبحث عن امور اخرى فلم اتمكن من زيادة البحث والتنقيب عن كيفية تكوُّن هذا الغاز ولا كان معي اناءٌ لا جمعهُ فيهِ وابحث عن حقيقتهِ . ومن المرجح عندي انهُ يحيط بها ايضاً طبقة رقيقة من الغاز وقشرة رقيقة من مادة غروية اما الغاز فلا يرى بالعين واما المادة الغروية فترى آثارها عليها بعد ان تجف . ثم ان الحجارة نفسها ملمسها صابوني او دهني يمنع الماء من الالتصاق بها ولذلك يندفع عنها و يظهر كانها قائمة في سطح مقعَّر من الماء ولعل هذا السبب الاخير هو السبب الاكبر لطفوها على الماء

ومن راي الكاتب ان حجارة كثيرة مثل هذه تطفو على وجه الماء للاسباب المتقدم ذكرها فتنتقل من مكان الى آخر ويكون لها شأن كبير في بعض التغيرات الجيولوجية لانها تغرق في مكان بعيد عن مصدرها وتمتزج بحجارة ليست من نوعها ثم تتحجر معها

الطباعة والصحافة

يقاس ارتقاء الامم ونسبتها بعضها الى بعض في سلم العمران الحاضر بامور شتى بعضها من مقومات هذا العمران وبعضها من لوازمهِ التي لا يستغني عنها كاستعمال الحديد والبخار والكهربائية وكثرة المعامل والمتاجر والمدارس. ومن ذلك المطابع والصحائف او الطباعة والصحافة فانهما من اول الادلة على درجة الارتقاء التي بلغتها البلدان في سلم العمران لان ارتقاءهما كان علة للتقدم في العلوم والفنون الى حدٍّ لا مثيل لهُ في تاريخ الامم الغابرة ولا نظير لهُ في فرع آخر من اعمال الانسان. وهو معلول لهذا التقدم كما انهُ علة لهُ

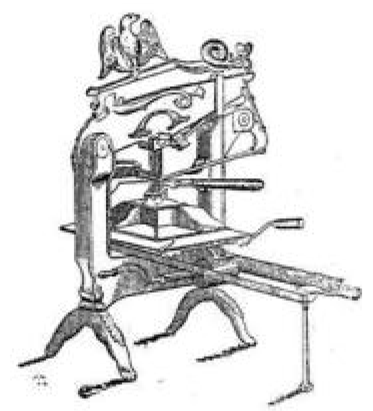
منذ مئة سنة كانت الصحافة في اوربا واسطة للتسلية كما كانت عندنا منذ عشر سنوات او كما لا تزال الآن على الغالب ولم تكن حرفة قائمة بنفسها بل كان المرء يتعاطاها مع غيرها. اما الآن فقد اضحت صحف الاخبار تاريخاً للعالم تكتب فيها حوادثهُ يوماً فيوماً وصارت من اكبر الوسائل لتنوير العامة وتهذيبهم وميداناً يتبارى فيهِ الكتبة البلغاء واكابر العلماء

وقد صدرت الصحيفة الاولى من صحف الاخبار الاوربية في المانيا منذ اربعة قرون وكانت في اول صدورها اعلانات تنشر في الاماكن العمومية كابواب الكنائس والمحافل. واقتدت حكومة البندقية بالمانيا سنة ١٥٦٦ فكانت تعلق الاخبار في بعض الاماكن وتتقاضى رسماً على قراءتها وكان الرسم قطعةً من النقود تسمى غازتة فاطلق هذا الاسم على الصحيفة نفسها وهو اسم صحف الاخبار حتى الآن في اكثر اللغات الاوربية

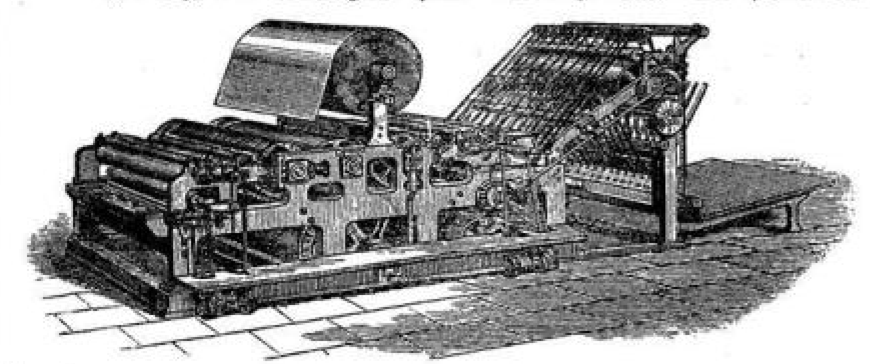
وجرت مدن اوربا هذا المجرى فصارت تنشر اخبارها في اوراق تعلقها في الاماكن العمومية. ثم لما اتقنت الطباعة وسهل طبع نسخ كثيرة في وقت قصير صارت هذه المنشورات تطبع طبعاً. وحينئذٍ قام البعض وجعلوا يجمعون الاخبار و يطبعونها و يرسلون نسخاً مما يطبعونهُ الى اصدقائهم بدل تعليقها في الاماكن العمومية فاقبل الناس عليها اقبالاً عظيماً

وكانت الطباعة تسير في سلم الاتقان سيرها بطيئاً لما لقيتهُ من مقاومة الذين حسبوها واسطة لامتداد الفساد ونشر الشرور واماتة النساخ جوعاً لكن المقاومة لا تمنع انتشار شيء تدعو الحاجة الى انتشارهِ فانتشرت الطباعة في المانيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا وذلك في اواسط القرن السادس عشر وكانت تجد اعداءها في المرصاد حيثما انتشرت فلم يقوَ الصناع على اتقانها كما اتقنوا غيرها من المخترعات في ذلك الوقت وبقيت آلة الطباعة على شكل واحد حتى اواسط القرن

السابع عشر اي بقيت آلةً بسيطة توضع فيها الحروف وتحبَّر باليد و يوضع الورق عليها و يضغط عليه ضغطاً كما ترى في مطبعة كولمبيا المرسومة في الشكل الاول وكان استنباطها سنة ١٨١٧ وهي اول المخترعات الاميركية في فن الطباعة . ولو بقيت على هذه الحال لعجزت عن الوفاء بحاجة الناس في هذه الايام

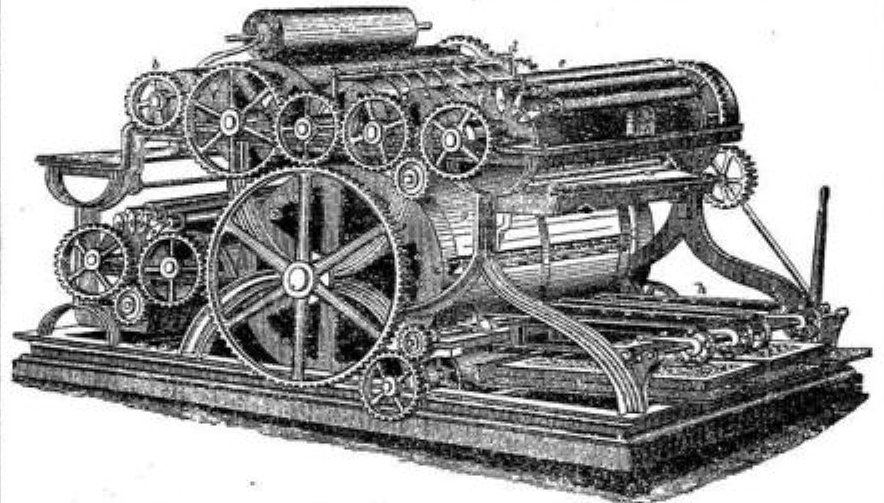


ولكن الاختراع ابن الحاجة فلما ذاعت العلوم وكثر طلب الناس للكتب والصحف وجد المخترعون الى تكثيرها سبيلاً باتقانهم آلة الطباعة فبعد ان كانت تطبع مئة نسخة صغيرة في الساعة صارت تطبع الوفاً من النسخ طبعاً متقناً جداً ثم زادت سرعتها كثيراً حينما استُخدم البخار لادارتها ذلك الجبّار الذي دانت لهُ صعاب الامور وذلت عندهُ قوى الطبيعة



واول ما استخدم البخار في الطباعة كان في طبع جريدة التيمس سنة ١٨١٤ ومن ثمَّ وجَّه الناس عنايتهم الى اصلاح آلات الطباعة فوصلوا الى حدٍ لا يصدقهُ شرقي لانهُ لم يرَ مثلهُ في

السرعة ولا رأى شيئاً يدانيه فان مطابعنا الشائعة في القطر المصري والقطر الشامي تطبع الآلة منها في الساعة الف نسخة او الفين او ثلاثة آلاف او اربعة على الاكثر لكن الاوربيين والاميركيين صنعوا آلات يطبع بها ستة وتسعون الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ثماني صفحات . او يطبع بها ثمانية واربعون الف نسخة من جريدة فيها اربع وعشرون صفحة تطبعها بثلاثة الوان من الحبر وتخرج كل نسخة منها مطوية وملفوفة ومرقومة . وهي اشبه شيء بجبار عظيم مركب من اعضاء عديدة تتحرك وتدور بسرعة تفوق الوصف واحكام يدهش العقول كأن لها عقلاً يديرها بل لو كان لها عقل ما ذلت اعمالها اكثر اتقاناً منها الآن



ويوضع الورق في هذه الآلات لفات اسطوانية كبيرة كما ترى في الشكل الثاني والثالث في كل لفة ورقة طولها لو بسطت ميلان الى اربعة اميال وكلما نفد الورق من لفة وضعت مكانها لفة أُخرى وأُلصق طرف ورقها بطرف الورق من اللفة السابقة كأنها وشيعة الحائك التي يلف عليها خيوط اللحمة . وليس الغرابة في ذلك بل في ان هذا الورق يسير من نفسه تحت حروف الطباعة ويطبع بها بسرعة تفوق الوصف يطبع منه الف وستمئة نسخة في الدقيقة الواحدة او نحو ٢٧ نسخة كل ثانية من الزمان فتنهال نسخ الجريدة منها كانها الماء من الشلال . وهذه غاية ما بلغته الطباعة من السرعة والاتقان

وقد ارتقت الصحافة بارتقاء الطباعة وصار لها شأن عظيم في كل البلدان الدستورية وكلمة نافذة في سياستها . وهذا القول يصدق بنوع خاص على البلاد الانكليزية والاميركية

لان للجرائد الكبيرة فيها مذاهب حرّة وهي تعتمد على ما اصبح حاكماً مطلقاً في بلاد الحرية والدستور وهو الرأْي العام المستنير الذي يعرف ما ينفع البلاد وما يضرُّها فاذا اتجه الى جهة جرت الحكومة معهُ كأَنها آلة في يدهِ لقضاء مآربهِ

ولقد بعثتُ الى المقطم برسالة عن الصحافة في البلاد الانكليزية وصفت فيها ما رأَيتهُ في تلك البلاد من المطابع والجرائد ولاسيما مطبعة الدابلي ميل أكثر الجرائد الانكليزية انتشاراً وادارتها من اشهر ادارات الجرائد وفيها احدث الآلات والمخترعات واكثرها اتقاناً واسرعها حركةً . وطبع الدابلي مايل لا يبتدئ قبل الساعة العاشرة مساءً فتطبع كلها ليلاً و يصدر منها في الصباح اكثر من مليون نسخة . ومعلوم ان آلة الطبع الواحدة لا تطبع هذا العدد العديد في بضع ساعات ولذلك ترتب الحروف بآلات خاصة بذلك و يصب عليها مادة تجمد حالاً وتصير كالقالب ثم يصب معدن الحروف على هذه المادة فتكون منهُ صور مثل الصور الاصلية المؤَلفة من الحروف فتوضع كل صورة منها في مطبعة خاصة وتدار هذه المطابع معاً في وقت واحد حتى تستطيع كلها ان تطبع العدد المطلوب في بضع ساعات

وكان يباع من جريدة الدابلي مايل لما كنتُ في البلاد الانكليزية في الصيف الماضي ستمئة الف نسخة كل يوم ثم زاد عدد ما يباع منها زيادة بالغة بسبب مسأَلة دريفوس وحرب الترنسفال وهو الآن اكثر من مليون نسخة . ولا يبعد ان تكون زيادة المبيع بسبب هذه الحرب مئتين واربعين الف نسخة في اليوم تباع بخمس مئة جنيه فاذا فرضنا ثمن ورقها وطبعها مئتي جنيه ونفقات مكاتبي الحرب وتلغرافاتها مئة جنيه في اليوم بقي لصاحب الجريدة مئتا جنيه كل يوم من زيادة المبيع وقت الحرب

وللجرائد الانكليزية مكاتبون منتشرون في اقطار المسكونة يذهبون الى ميادين القتال ويضربون في الصحارى والقفار لكي يجمعوا الاخبار والنوادر ويبعثوا بها اليها وكثيراً ما يكون لها اسلاك خاصة من التلغراف تأْتيها بالاخبار من اقاصي البلدان وخطوط خاصة من التلفون تنقل اليها كلام مجالس النواب

ولمحرري الجرائد ومكاتبيها مقام رفيع في البلدان الاوربية لا يعلو عليه مقام فترى الامراء والكبراء ينتظمون في سلك المكاتبين ولا يحسبون في ذلك حطة لهم بل رفعة شان كما حدث بالامس في مجيء السرجون سكوت الذي كان مستشاراً قضائياً في القطر مكاتباً لجريدة التيمس وقت الاحتفال بتمثال ده لسبس . ومقابلة الوزير في البلدان الاوربية قد تكون اسهل من مقابلة محرر الجريدة . ولكل جريدة من الجرائد الكبيرة لجنة من المحررين هذا للاخبار

الداخلية وذاك للخارجية وذلك للحربية و بعضهم لانتقاد التمثيل او لانتقاد الكتب. وفي اداراتها ادارات شتى بعضها الاعلانات و بعضها للطبع و بعضها للتوزيع وهلمَّ جرًّا. وسرّ نجاحها وعماد قوتها كثرة القراء وهي آتية من كثرة المتعلمين ففي مدينة لندن وحدها نحو ستة ملايين من النفوس وكل بالغ منهم يعرف القراءة والكتابة وكلهم يقرأون الجرائد رجالاً ونساء. وقد لا يقلُّ عددهم عن ثلاثة ملايين من النفوس. ففيها من قراء الجرائد اكثر مما في قارتي اسيا وافريقية واضعاف قرّاء الجرائد باللغة العربية في كل اقطار المسكونة. وقس ذلك مدينة باريس ونيويورك وشيكاغو فلا عجب اذا صارت الجرائد من اقوى القوى السياسية والاجتماعية. وقد حدث ذلك كلهُ في الربع الاخير من القرن التاسع عشر نجيب صروف

التعليم المفيد

لما كنا نكتب المقالة التي موضوعها « الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود » المدرجة في الجزء الماضي من المقتطف عن المستر بوكر وشنطون الذي ولد عبدًا وطالب العلم وهو لا يملك شروى نقير ثم انشأ مدرسة جامعة للعلوم والفنون يتعلم فيها الف طالب من اولاد الزنوج فيخرجون منها قادرين على الاكتساب ومجاراة البيض في وسط بلاد الجد والاجتهاد والعلم والعرفان في الولايات المتحدة الاميركية — لما كنا نخط سطور تلك المقالة كان بوكر وشنطون هذا يخطُّ مقالة اخرى في موضوعها تماماً. فقد ورد علينا جزء يناير من مجلة السنتشري الاميركية الشهيرة التي يكتب فيها مشاهير الكتاب الاميركيين فرأينا فيه مقالة مسهبة من قلمهِ موضوعها « دلائل النجاح بين السود » فاستغربنا هذا الاتفاق وزدنا اكراماً للرجل واعترافاً بفضلهِ واحمدنا الخاطر الذي خطر لنا لما عنونّا مقالتنا عنهُ « الفاضل فاضل ولو عبدًا اسود ». وها نحن نلخص بعض ما اوردهُ في مقالتهِ عسى ان يكون مثالاً للذين يتوخون منا السعي في نفع غيرهم ولا يعلمون السبيل المؤدّي الى ذلك. قال في التمهيد الذي مهدهُ لمقالتهِ

« ان من المسائل الكبيرة عندنا مسألة تعليم ثمانية ملايين من السود سكان الولايات الجنوبية من اميركا وتهذيبهم وجعلهم مثل غيرهم من السكان. وقد اتسع نطاق هذه المسألة الآن لانهُ صار علينا ان نعلّم نحو ثمانمئة الف نفس من السود سكان كوبا وبورتو ريكو فضلاً عما يجب من تعليم البيض سكان تينك الجزيرتين لان كثيرين منهم في حالة يرثى لها مثل

السود الساكنين معهم . فاذا ابنت للقراء ما نتج من السعي في تعليم السود في هذه البلاد مدة الثلاثين سنة الاخيرة مع ما لقيناه في ذلك من المصاعب الجمة اكون كأني انبأتهم بما سينتج من السعي في نشر التعليم والتهذيب في كوبا وبورتوريكو وايضاحاً لذلك اقص عليهم القصة التالية

كان في البلاد المعروفة ببلاد السود اي التي يزيد فيها السود على البيض رجل من البيض له املاك وسيعة وعنده مئتا عبد يحرثون ارضه ويزرعونها فيكتسب بتعبهم مكاسب وافرة . فلما انتهت الحرب الاهلية بتحرير العبيد اضطر ان يحررهم كلهم لكن الفريق الاكبر منهم بقي في خدمته او صاروا يستأجرون الارض منه يزرعونها . وحدث بعد ذلك انه كان ماراً في ارضه ذات يوم فرأى ولداً صغيراً من اولاد هؤلاء السود في حالة يرثى لها من الجوع والعري فرمى اليه قطعة من النقود ورآه بعد ذلك مراراً فكان يرق له ويرمي اليه غرشاً او نصف غرش . واتفق ان هذا الولد واسمه وليم سمع ان في تسكجي مدرسة يتعلم فيها اولاد السود مبادئ العلوم والفنون بتعبهم اي انهم يعملون ويتعلمون فتوسل الى رفاقه ان يساعدوه على الذهاب اليها فجمعوا له قليلاً من الثياب والنقود بعد العناء الشديد لكن النقود لم تكن كافية لدفع اجرة السفر الى المدرسة فعزم ان يمضي اليها ماشياً وهي على مئة وخمسين ميلاً من المكان الذي كان فيه فحمل ثيابه وسار اليها وبلغت نفقاته في الطريق اربعة غروش لا غير لانه كان يقص قصته على الذين يمرّ بهم فيطعمونه مجاناً . وبلغ تسكجي مقرّح القدمين واتى اليّ فارسلته الى حيث اغتسل ونظف بدنه ثم وضعته مع الذين يحرثون الارض ويزرعونها لانه كان قد صار لمدرستنا الف واربع مئة فدان اصلحنا نصفها وكان التلامذة يزرعونه وحدهم ويستغلونه ويستخدمون في زرعه وخدمته احدث الطرق العلمية المعروفة . فصار يعمل في النهار معهم ويتعلم ساعتين في الليل . وكان في اول الامر يتعب من الدرس وينام وهو امام المدرّس ولكنه تنبه رويداً رويداً وصار يفهم ما يسمع ويزيد رغبة واخذ يسأل معلميه مسائل تدلّ على تعطشه الى المعرفة مثل سؤاله عن سبب اعتمادنا على البقر المعروفة ببقر جرزي وبقر هلستين بدل البقر العادية وعن سبب كثرة لبنها وسمنها

ولم تمضِ السنة الاولى عليه حتى تعلم مبادئ القراءة وجمع بعض النقود من اجرته فدخل الفرق القانونية في السنة الثانية وبقي يعمل جانباً من الوقت في الحقل فلما انتهت السنة وجد نفسه في حاجة الى النقود فكتب الى الرجل الذي ولد بين عبيده يخبره عن دخوله في مدرسة تسكجي وطلب منه ان يقرضه خمسة عشر ريالاً ووعده بايفائها حالما يتم دروسه . فطرح الرجل الكتاب ولم يلتفت اليه فكتب اليه ثانية فلم يجبه فكتب اليه ثالثة وحينئذٍ

شعر الرجل بدافع في نفسه يدفعهُ الى مساعدته فكتب اليَّ يخبرني بذلك وبعث اليهِ بالخمسة عشر الريال التي طلبها

وبعد ثلاث سنوات وقف هذا الولد وكان قد صار شاباً امام سيدهِ الذي بعث اليهِ بالخمسة عشر ريالاً وقال لهُ انا الولد وليم الذي كنت ترمي اليهِ بقطع النقود ثم تكرمت عليهِ بخمسة عشر ريالاً وقد اتيت لاشكر فضلك واوفيك دينك ثم دفع اليهِ المال مع رباهُ لانهُ كان قد اتمَّ دروسهُ وعلَّم سنة في احدى المدارس واخذ اجرتها. فنظر الرجل اليهِ نظر الدهشة والاعتبار ثم التفت الى السود الذين يعملون في ارضهِ وهم مئات لانهُ كان على ثروة طائلة واملاك واسعة فرأى انهُ غير قائم بما يجب عليهِ لهم فقال لوليم تعالَ وافتح مدرسة عندي لاخوانك وكان ذلك منذ ست سنوات . وقد اتسعت هذه المدرسة الآن وصار فيها مئتا تلميذ وخمسة معلمين من الذين تخرَّجوا في مدرسة تسكجي وثلاثة مباني ولها اربعون فداناً يمارس فيها التلامذة اعمال الزراعة على انواعها ويتعلمون ايضاً التجارة بفروعها وفيها قسم لتعليم البنات مبادئ العلوم والخياطة وتدبير المنزل . وهي آخذة في انشاء معمل للحدادة وعمل المركبات . والرجل المشار اليهِ هو الذي بنى المدرسة ووقف عليها الاربعين فداناً وهو يدفع رواتب معلميها ايضاً

ولا يقتصر هؤلاء المعلمون على التعليم في المدرسة بل تراهم يجمعون الفلاحين من البلاد المجاورة ويتذاكرون معهم في المواضيع الزراعية ويعلمونهم الاساليب الجديدة لحرث الارض وزرعها وخدمتها وطرق الاقتصاد المختلفة ويحضر معهم الرجل الكريم المشار اليهِ آنفاً وهو مسرور بما يراهُ فيهم من دلائل الاجتهاد والارتقاء

ولما غادر وليم قومهُ واتى الينا كانوا على غاية الفقر والذل لا يملكون شيئاً ولا ينظرون الى البيض الأ نظر الخصم الى خصمهِ وهم مثقلون بالديون فاوفوا ديونهم الآن ولم يعودوا يرهنون غلة الارض التي يزرعونها كما كانوا يفعلون قبلاً وابتنوا بيوتاً رحبة يسكنون فيها وصلحت احوالهم بعد فسادها. وبمثل هذه المدرسة تُحَلُّ مسألة السود في هذه البلاد وفي بلاد كوبا وبورتو ريكو »

ومما ذكرهُ الكاتب في هذا الصدد ولا نكاد نصدقهُ لغرابتهِ انهُ كان في ولاية الاباما احدى ولايات اميركا قانون يمنع البيض من تعليم السود مبادئ القراءة « وكل من يحاول تعليم اسود مبادئ القراءة او الكتابة يعاقب بغرامة لا تقلُّ عن مئتين وخمسين ريالاً ولا تزيد على خمس مئة ريال » فأُبطل هذا القانون الآن وجاهر احد فضلاء الاميركيين ان على الحكومة الاميركية ان تعلم اولاد السود كما عليها ان تعلم اولاد البيض

والظاهر ان الذين تعلموا من السود تساووا بالبيض في كل الامور وصار البيض يعاشرونهم

ويمازجونهم و يعاملونهم كما يعامل بعضهم بعضاً . وقد اثرى كثيرون منهم وامتلكوا الاراضي الواسعة وبنوا المعامل الكبيرة واشتركوا مع البيض في انتخاب رؤسائهم . قال « وما من شيء ازال كراهة البيض لهم واشمئزازهم منهم مثل اصلاح معيشتهم مثال ذلك ان فتاةً من الفتيات اللواتي تعلمن في مدرسة تسكجي مضت الى جنوبي البلاد وعزمت ان تفتح فيها مدرسة لتعليم اولاد السود فنظر اليها البيض الذين هناك شزراً ولم يرضَ نساؤهم ان يلتفتن اليها فصبرت على الضيم حاسبة انهنَّ انما يفعلنَ ذلك لما رسخ في نفوسهنَّ من احتقار السود . وانشأت المدرسة واهتمت بها ثم تزوجت بشاب من السود وبنيا بيتاً صغيراً على اسلوب حسن جداً وانشأا امامهُ حديقة غناء زرعت فيها ابدع انواع الازهار والرياحين . ومرّت بها امرأة من عظماء البيض ذات يوم ورأتها في الحديقة تسقي رياحينها فنظرت اليها متعجبة ثم دخلت الحديقة وطارحتها السلام فاخذت السوداء تتكلم معها عما في حديقتها من انواع النبات كلام امرأة متعلمة متهذبة فعجبت البيضاء منها ودخلت بيتها ولما رأت غرفهُ واثاثهُ ورياشهُ وما فيه من الكتب والجرائد وحسن الترتيب والتنظيم ارتفع مقام السود في عينيها واخبرت صديقاتها بما رأت فصار لتلك المرأة السوداء المقام الاول في ذلك البلد . ولو بقي الكتّاب والخطباء اعواماً يحثون البيض على اعتبار السود اخواناً لهم ما افلحوا في ذلك قدر ما افلحت فيه هذه المرأة السوداء بتنظيم بيتها وزرع حديقتها واقناعها نساء البيض بهذا الدليل الحسي انها ليست دونهنَّ عقلاً وذوقاً

ومنذ بضعة اشهر اقيم معرض زراعي في بلد اسمهُ كلهون في ولاية الاباما وفي هذا البلد مدرسة كبيرة للسود وعرض تلامذتها والذين تعلموا فيها معروضاتهم الزراعية من القطن والاثمار فلما رآها البيض بالغة حد النمو اعجبوا بها والتفتوا منها الى اصحابها فارتفعت منزلة السود في عيونهم ورأوا فضل التعليم والتهذيب . فللمدارس التي تعلم اولاد السود وتهذبهم الفضل الاول في ترقية شأنهم وربط البيض بهم برباط الالفة والصداقة »

ثم افاض الكاتب في وصف مدرسة تسكجي وذكر تاريخ انشائها واتساعها على نحو ما ذكرناهُ في الجزء الماضي من المقتطف ووصف كيفية انشاء مبانيها المختلفة فقال

حينما نصمم على بناء دار جديدة يخبر استاذ فن الرسم تلامذتهُ عن اوصاف الدار التي نريد بناءها و يطلب منهم ان يرسموا رسماً صالحاً لها و يعدهم بجائزة تعطى لصاحب الرسم الذي يختار منها فيتبارى التلامذة في الرسم و يختار رسم من رسومهم ويقام البناء بمساعدتهم ومساعدة غيرهم من التلامذة حسب الفروع التي يتعلمونها فيعمل بعضهم في تهيئة الاجر و بعضهم في نشر

الخشب وبعضهم في عمل الابواب والشبابيك وبعضهم في تشييد البناء ودهنهِ وهلمَّ جرًّا واساتذتهم يشرحون لهم اسرار صناعاتهم حتى يتعلموها علماً وعملاً فيتعلم التلامذة الصناعة وتكسب المدرسة البناء . وهذه القاعدة متبعة في اماكن غسل الثياب واماكن خياطتها لان البنات اللواتي يتعلمن في المدرسة يتعلمن ايضاً كل الاعمال البيتية ويمارسنها وهنَّ يغسلن كل ثياب التلامذة ويخطن اكثرها . انتهى

ويظهر مما اوردهُ الكاتب من الامثلة انهُ اذا اتمَّ التلميذ دروسهُ في هذه المدرسة وخرج منها لمعاطاة الاعمال لم يحتج ان يبحث عن عمل يعمل فيهِ بل ترى اصحاب الاعمال يبحثون عنهُ فما ابعد الشبه بينها وبين مدارس القطر المصري التي يخرج التلميذ منها وابواب الاعمال والوظائف مسدودة في وجههِ وليس اللوم عليهِ ولا على البلاد بل على المدارس التي لا تعلم الطلبة الاَّ قواعد كتابية لا تصلح للعمل فلو علمتهم علماً مقروناً بعمل لوجدوا الاعمال في انتظارهم ولو عُدُّوا بالالوف ولا يبقى لوظائف الحكومة الاَّ من يرضى بالخمول او يكون من قوم لهم جاه عريض فيرشح للمناصب العالية

هذه خلاصة ما ذكرهُ الكاتب وقد عنينا بترجمتهِ ونشرهِ لاننا نرى فيهِ اقرب حلّ لمسألة نشر العلوم والفنون في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار الشرقية اي ان يغيَّر نظام المدارس العمومية حتى تصير تعلّم العلوم والاعمال في وقت واحد فيتعلم فيها التلميذ مبادىء العلوم الطبيعية والادبية والرياضية ويتعلم ايضاً الفلاحة او التجارة او الحدادة او السكافة او الخياطة او البناء او ما اشبه من الاعمال المعاشية حتى اذا اتمَّ دروسهُ في المدرسة خرج منها وهو يعرف حرفةً ما معرفةً تامة فيستطيع ان يعتمد على نفسهِ ويعيش مثل المفلحين من ابناء وطنهِ . وتتعلم فيها التلميذة مع مبادىء العلوم الطبيعية والادبية كيفية تدبير المنزل والقيام باعمالهِ المختلفة مثل الطبخ والغسل والخياطة وما اشبه وبذلك تصلح المساكن وتحسن تربية الاولاد وترتقي آداب العائلة ويسود الاجتهاد والاقتصاد على البلاد كلها وبغير ذلك لا نرى سبيلاً للنجاح المطلوب

ومما هو حريٌّ بالذكر ان المدارس المشار اليها لا تقتصر على تعليم الصبيان بل يتعلم فيها الصبيان والبنات ولا يظهر انهم يتعلمون في فرق واحدة ولا في بناء واحد بل يتعلم الصبيان في بناء والبنات بناء آخر بعيد عنهُ ولكن لا تنشأ مدرسة للصبيان حتى تنشأ مدرسة للبنات فيسير تعليم الصبيان والبنات سيرًا واحدًا ويستعد الفريقان للمعيشة على حدٍّ سوى وهذا اساس الارتقاء الصحيح الثابت

البعوض والحمى

مَن ابتُلي بالبرداء فانتابته يوماً بعد يوم واسبوعاً بعد آخر لا يكاد يصدق ان البعوض تلك الحشرات الضامرة الاجسام الحادة الحراب الظمآنة الى شرب الدماء التي تطن في اذنيهِ نهاراً وتحرمهُ الرقاد ليلاً هي التي تبتلي الناس بالبرداء بنقلها العدوى من المرضى الى الاصحاء . وقد صدق فيها قول الشاعر « ان البعوضة تدمي مقلة الاسد » . والبعوض انواع مختلفة . ولو فعل كلهُ فعلاً واحداً وابتلى الناس بالبرداء على حدٍ سوى ما سلم منها احد ولا سيما في مثل هذه العاصمة حيث لا يخلو منهُ بيت

ولقد ظن كثيرون ان الحميات الاجمية[1] تنشأ عن لسع البعوض واشار واحد منهم على صفحات المقتطف بوضع الكلات (الناموسيات) حول الاسرَّة وقاية منها وذلك منذ بضع عشرة سنة ولكن بقي الناس في ريب من ان البعوض يسبب الحمى لانهم رأوا انهُ قد يكون كثيراً في بعض الاماكن ولا حميات فيها وقد يكون قليلاً في غيرها وتكون الحميات منتشرة في سكانها . واخيراً قام الدكتور رونلد روص الانكليزي واثبت ان ليس كل البعوض يفعل هذا الفعل بل نوع واحد منهُ وهو البعوض المرقط المرسوم في آخر هذه المقالة . وبعث بخلاصة بحثه الى السكرتير في رئاسة القسم الطبي ببلاد الهند وقال فيها

"ان جراثيم الحمى الملارية تقضي دوراً من ادوار عمرها في بعض انواع البعوض ثم تنتقل منهُ الى اجسام الناس والطيور الذين يلسعهم هذا البعوض . والمرجح ان ذلك هو الاسلوب الوحيد لانتقال العدوى في الحمى الملارية . ولا صحة لما قيل من ان هذه الحمى تكثر حيث لا وجود للبعوض فقد اثبت لي البحث فساد هذا القول . ولا عبرة بما يتناقلهُ الناس بعد ان ثبتت علاقة الملاريا بالبعوض ثبوتاً علمياً . ولذلك لا تستأصل الحمى الملارية ما لم يستأصل البعوض الذي ينقل عدواها من المرضى الى الاصحاء واذا استؤصل زالت الحمى الملارية تماماً

واستئصال البعوض امر بسيط لانهُ يتولد من العوم[2] التي تعيش في المياه الراكدة وقلما تبقى في الانهر والغدران والبرك الكبيرة حيث يوجد السمك الصغير لان السمك يأكلها . ولا صحة لما قيل من ان البعوض يتولد من النبات واوراق الاشجار البالية وما اشبه . فاذا اردت استئصالهُ من مكان ما فلا تبقِ فيهِ ماء راكداً بل صبهُ او انزحهُ منهُ او عالجهُ بمادة كيماوية تميت عوم البعوض منهُ"

---

(١) الحميات الاجمية او الملارية اسم عام يشمل الحميات التي منها البرداء وحمى الربع وما اشبه

(٢) العوم الدود الصغير الذي يرى في المياه الراكدة ويسبح فيها ملتوياً

وانواع البعوض لا تتولد كلها في اماكن واحدة بل يختار كلٌّ منها اماكن خصوصية ليبيض فيها وتتولد صغاره منها فالبعوض المخطط العادي يتولد في آنية الماء الصغيرة . والبعوض الرمادي يتولد في الآبار والصهاريج والترع والمصارف . والبعوض المرقط وهو اندر انواع البعوض يتولد من البرك المتجمعة من ماء المطر التي ماؤها اكثر من ان يجف في اسبوع واقل او افسد من ان يعيش فيهِ السمك الصغير

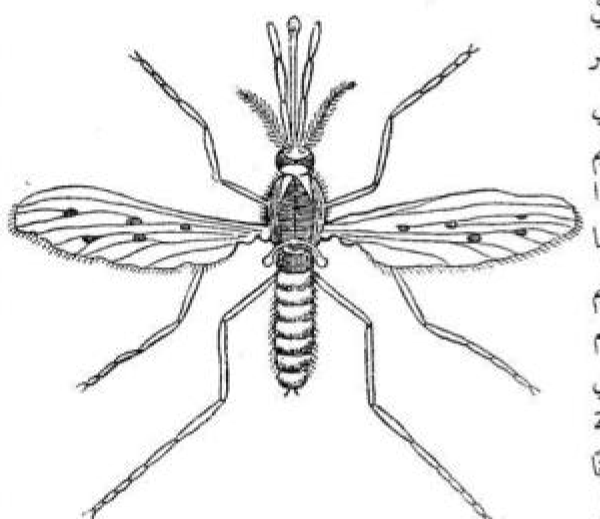
ولذلك فعوَم النوعين الاولين تكثر بقرب مساكن الناس في بلاد الهند ويتعذَّر استئصالها لكثرة الاماكن التي تتولد فيها ولا ضرر منها على ما ظهر حتى الآن ولكن النوع الثالث وهو البعوض المرقط الجناحين قليل جدًّا بالنسبة الى النوعين الاولين وهو لا يتولد في الصهاريج والآبار وآنية الماء ولذلك لا يكون مقرهُ بقرب مساكن الناس و يصعب الحصول على عوَمهِ . والبرك التي يتولد فيها تندر في بلاد الهند الَّا في فصل الشتاء . ويكثر فيها السمك الصغير حينئذٍ فيأكل عوَم البعوض . فيسهل استئصال بعوض الملاريا لقلة الاماكن التي يتولد فيها وصغرها

وقد وُجدتْ جراثيم الملاريا حتى الآن في نوعين من البعوض المرقط في بلاد الهند ونوع واحد منهُ في ايطاليا اما البعوض المخطط والبعوض الرمادي فلم توجد فيهما جراثيم الملاريا حتى الآن . ولا يخفى اننا لم نستوفِ البحث في هذا الموضوع ولكن البحث الذي بحثناهُ انتج هذه النتيجة وهي ان جراثيم الملاريا تكون في البعوض المرقط دون سواهُ وان هذا البعوض يتولد في البرك التي ماؤها اكثر من ان يجف في اسبوع من الزمان واقل او اقذر من ان يعيش فيهِ السمك

فاذا كانت هذه البرك قليلة وكان في البلاد ادارة صحية تهتم بصحة الاهلين فلا يتعذَّر عليها نزح الماء من البرك واستئصال جراثيم الملاريا مثال ذلك ان الحمى الملارية كثيرة في اكثر مدن الهند والبعوض يتولد في جوار اكثر بيوتها فيتعذَّر استئصالهُ منها ولكن البرك الصالحة لتولد البعوض المرقط قليلة جدًّا لا توجد الَّا في الاماكن المقفرة او البساتين المهملة وبركة صغيرة مثل هذه قد يتولد فيها من بعوض الملاريا ما يكفي سكان مدينة قبلما يعرف مكانها وهي لو عرف مكانها امكن نزح الماء منها بدراهم قليلة واستئصال الملاريا من تلك المدينة . وقس على ذلك ثكنات الجنود فانهُ قد يكون على مقربة منها بركة صغيرة يتولد فيها بعوض الملاريا فيصاب بها مئات من الجنود دوامًا كما في اسكندر اباد المشهورة بتسلط الحميات على الجنود المقيمين فيها فانني وجدت بعد البحث الدقيق والتفتيش الطويل بركة صغيرة فيها عوَم البعوض المرقط وهي لو طرح فيها ملءُ بضع عربات من التراب لامتلأَت ونجت تلك البلاد من شرها

غير اننا لا نعرف حتى الآن كل انواع البعوض الضارَّة ولا عرفنا كل الاماكن التي يمكن ان يتولد فيها ولا درسنا كل طبائعهِ فلا اريد ان يبني الناس على اقوالي آمالاً يثبت المستقبل فسادها. وغاية ما اقولهُ ان ما رأيتهُ حتى الآن يدلُّ على ان الملاريا من الآفات التي يمكن استئصالها بسهولة وانهُ لا صحة لما قيل قبلاً من انها تتولد من الارض وزد على ذلك ان امتياز بعوض الملاريا بالرقط على جناحيهِ يكفي للدلالة عليهِ فاذا اضطرَّ احد ان يسكن في بلاد ملارية او ان يسافر فيها ورأى هذا البعوض فيها سهل عليهِ ان يقي نفسهُ منهُ"

هذه خلاصة ما كتبهُ الدكتور روص في هذا الشان وقد أُرسل بعد كتابة ما تقدَّم الى غربي افريقية حيث انتشرت الحمى الملارية فوجد فيها البعوض المرقط المشار اليهِ آنفاً



ونشر السجل الطبي الاميركي في الثالث والعشرين من دسمبر الماضي مقالة للدكتور بركلي وصف فيها كيفية دخول جراثيم الملاريا في البعوض المرقط اذا امتصَّ دم انسان مصاب بها وقال انهُ تتولد من هذه الجراثيم اجسام دقيقة تنتشر في دم البعوض وتجتمع في الغدد التي يكون فيها السم عند اسفل الحمة التي يلسع بها فاذا لسع انساناً آخر ليمتص دمهُ افرز السائل السام ليمتزج الدم بهِ فتخرج هذه الاجسام مع السائل وتمتزج بدم الانسان فيعدى بجراثيم الملاريا. وان البعوض المرقط يمتاز بانهُ اذا وقف على حائط انتصب عليهِ حتى يكاد جسمهُ يكون قائماً على الحائط. وعوم البعوض العادي تتنفس في الماء من انبوب في ذنبها وهي تسبح عمودية في الماء واما عوم هذا البعوض فتتنفس من بطنها وهي تسبح افقية. وعلى كل جناح من جناحي الانثى منهُ خمس رقط مستديرة كما ترى في هذا الشكل وهو مكبَّر كثيراً كما لا يخفى. وخير الوسائط لاستئصالهِ ردم البرك والمستنقعات التي يتولد فيها او تربية السمك فيها ولا بدَّ من منع البعوض المرقط من لسع المحمومين لانهُ اذا لسع الاصحاء بعد ذلك نقل اليهم عدوى الحمى

الاسكندر ذو القرنين

فتح مصر وبناء الاسكندرية

لما فرغ الاسكندر من امر اسيا الصغرى وبلاد الشام على ما في الاجزاء الماضية سار في طريق الساحل قاصداً القطر المصري وكان ذلك في شهر نوفمبر من سنة ٣٣٢ قبل المسيح لكي يقطع كل اتصال للفرس بالبحر المتوسط ويجعله بحراً يونانياً و يستولي على طرق التجارة فيه . فقضى في الاستيلاء على اسيا الصغرى وبلاد الشام سنتين ونصف سنة اي قضى ثلث ايام ملكه ولم يستولِ الا على عشر البلاد التي شملها ملكه بعدئذٍ ولكنه استولى على ثلاثة اقاليم وثلاث طوائف من الناس الاقليم الاول الطرف الغربي من اسيا الصغرى حيث السكان اكثرهم من اليونان ولغتهم اليونانية وقد استولى عليه من شهر مايو الى شهر نوفمبر سنة ٣٣٤ قبل المسيح . والثاني القسم المتوسط والجنوبي من اسيا الصغرى حيث تختلف الامم والشعوب وقد استولى عليه من نوفمبر سنة ٣٣٤ الى نوفمبر سنة ٣٣٣ قبل المسيح . والثالث بلاد الشام كلها او سورية وفلسطين حيث كانت العزة والصولة للفينيقيين وللسان الفينيقي وقد استولى عليه من نوفمبر سنة ٣٣٣ الى نوفمبر سنة ٣٣٢ قبل المسيح

فاستولى على بحر الروم باستيلائهِ على هذه الاقاليم وظفر اعظم ظفر بحري في معارك برية ولم يبقَ عليهِ الا ان يختم هذا الظفر بانشاء مدينة بحرية تكون واسطة عقد التجار بين المشرق والمغرب ولا يكون للفرس سبيل اليها وتصير مقرّاً لما بلغته الحضارة ووصل اليهِ العمران في ذلك العهد

ولقد كان الاسكندر عالماً ان مصر مهد العمران وان فيها نشأت العلوم والفنون وانها على صغرها تجمع خلقاً كثيراً يعيشون فيها بالرخاء وسط الصحاري القاحلة وان اهلها ناقمون على الفرس ومن عاداتهم ان يستشفوا من داء بداء فلا يبعد ان يرحّبوا بهِ لكي ينجوا من متسلط اشد منه وطأة . فقام من غزة وسار في طريق القوافل التي سار فيها غيره من الفاتحين قبله وبعده فبلغ الطينة (بلوز يوم) في سبعة ايام وكانت مدينة حصينة بقرب مصب الفرع الشرقي من فروع النيل (شرقي بورت سعيد) ففتحت له ابوابها ومن ثم رحّب بهِ سكان مصر كلهم لانهم كانوا قد ملّوا من الخضوع للفرس بعد ان حملوا نيرهم نحو مئتي سنة ولم يجد واليها الفارسي سبيلاً للمقاومة لانه لم يكن عنده جيش ولا اساطيل فبادر الى التسليم فتضاعف ملك الاسكندر

في يوم واحد من غير ان يرمي سهماً او يحرك يداً . وهنا خُتم تاريخ مصر القديم وابتدأ لها تاريخ جديد تقلبت فيه على اطوار شتى

وسار من الطينة على الضفة الشرقية من فرع النيل الشرقي الى ان بلغ مدينة الشمس (المطرية) مقر المدارس التي امست بعد حين آثاراً دوارس والمسلاَّت الشاهقة التي تبعت الشمس في سيرها غرباً فبلغت مدينة لندن في بلاد الانكليز ومدينة نيويورك في اميركا . وسار منها فمرَّ بسفح المقطم ورأى الاهرام واقفةً امامه الواحد بعد الآخر كانها حراس تحرس النيل من رمال الصحراء ورقباء ترقب الدهر لترى تصاريفه بابناء هذا القطر . وعبر النيل وبلغ مدينة منف عاصمة الديار المصرية واكبر مدائن الاحياء فيها وهي متربعة بين الصحراء والنيل وفي وسطها هيكل المعبود فتاح الذي كان يعبد في صورة ثور يختاره الكهنة رمزاً له ويقومون على حراسته وخدمته الى ان ينقضي اجله فيضعونه في ناووس من المرمر ويدفنونه بالتبجيل والتكريم في مدينة الاموات التي عاشت بعد مدينة الاحياء . ولم تزل آثار هاتين المدينتين الى يومنا هذا آثار مدينة الاموات من اهرام ومصاطب ومدافن عظيمة فخيمة من اعظم ما بناه الناس وصنعه اهل الصناعة وفاخر به الملوك والعظماء وآثار مدينة الاحياء قليلة على عظمتها لم يبقَ منها الى الآن سوى تمثالين عظيمين وحجارة متفرقة لكنها كانت كثيرة جداً منذ بضع مئات من السنين وقد وصفها عبد اللطيف البغدادي وصفاً بديعاً حيث قال

« ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فويق الفسطاط وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقرَّ مملكة ملوك مصر فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم اياها من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنيتها وتشويه صورها مضافاً الى ما فعلته فيها اربعة آلاف سنة فصاعداً تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم الفطن المتأمل ويحصر دون وصفه البليغ اللسن وكلما زدته تأملاً زادك عجباً وكلما زدته نظراً زادك طرباً ومهما استنبطت منه معنىً انباك بما هو اغرب ومهما استثرت منه علماً دلك على ان وراءه ما هو اعظم

فمن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر وهو حجر واحد تسع اذرع ارتفاعاً في ثمانٍ طولاً في سبع عرضاً قد حُفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وارضه ذراعين ذراعين والباقي فضاء البيت وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش ومصوَّر ومكتوب بالقلم القديم وعلى ظاهره صورة الشمس مما يلي مطلعها وصوَر كثير من الكواكب والافلاك وصوَر الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات بين قائم وماشٍ ومادٍ رجليه وصافهما ومشمر للخدمة وحامل

الآلات والمشير بها · ينبئ ظاهر الامر انهُ قصد بذلك محاكاة امور جليلة واعمال شريفة وهيئات فاضلة واشارات الى اسرار غامضة وانها لم تتخذ عبثاً ولم يستفرغ في صنعتها الوسع لمجرد الزينة والحسن · وقد كان هذا البيت ممكناً على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة فحفر تحتها الجهلة والحمق طمعاً في المطالب فتغير وضعهُ وفسد هندامهُ واختلف مركز ثقلهِ وثقل بعض على بعض فتصدع صدوعاً لطيفة يسيرة · وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مبني بحجارة عاتية جافية على اتقن هندام واحكم صنعة وفيها قواعد على عمُد عظيمة وحجارة الهدم متواصلة في جميع اقطار هذا الخراب · وقد بقي في بعضها حيطان ماثلة بتلك الحجارة الجافية · وفي بعضها اساس وفي بعضها اطلال ورأيت عقد باب شاهقاً ركناهُ حجران فقط وأزجهُ حجر واحد قد سقط بين يديهِ · وتجد هذه الحجارة مع الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع اصبعين وفيهِ صدأ النحاس وزنجرتهُ فعلمت ان ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات بينها بأن تجعل بين الحجرين ثم يصب عليهِ الرصاص وقد تتبعها الانذال والمحدودون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لاجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا اليها ولعمر الله لقد بذلوا الجهد في استخلاصها وابانوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الخساسة

واما الاصنام وكثرة عددها وعظم صورها فامر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير · واما اتقان اشكالها واحكام هيئاتها والمحاكاة بها الامور الطبيعية فموضع التعجب بالحقيقة · فمن ذلك صنم ذرعناهُ سوى قاعدتهِ فكان نيفاً وثلثين ذراعاً وكان مداهُ من جهة اليمين الى اليسار نحو عشر اذرع · ومن جهة الخلف الى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الاحمر وعليهِ من الدهان الاحمر كأنهُ لم يزدهُ تقادم الايام الا جدةً · والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظمهِ النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي وانت تعلم ان كل واحد من الاعضاء الآلية المتشابهة لهُ في نفسهِ مقدار ما ولهُ الى سائر الاعضاء نسبة ما وبذلك المقدار وبتلك النسبة يحصل حسن الهيئة وملاحة الصورة فان اختل شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل · وقد أحكم في هذه الاصنام هذا النظام احكاماً اي احكام فمن ذلك مقادير الاعضاء في نفسها ثم نسب بعضها الى بعض » انتهى

هذا بعض ما ذكرهُ عبد اللطيف البغدادي الذي كان في الديار المصرية وشاهد آثارها منذ نحو سبع مئة سنة اي بعد ان استولى عليها الخراب نحو الف سنة فماذا كان شأنها وكيف كانت حالها لما دخلها الاسكندر وهي في اوج مجدها · وكم كان وقعها في نفسهِ عظيماً ولذلك لا يستغرب اعجابهُ بالمصريين واقرارهم على حالهم ويقال انهُ لما دخل عاصمتهم ذهب تواً الى هيكل

ابيس الثور المقدس ليقرّب لهُ القرابين . وحريٌّ بمن ولد للسياسة والرئاسة ان يخاطب الناس على قدر افهامهم ولكنهُ لا يعذر اذا عبد العجل ولو عبدهُ الناس قاطبةً غير اننا لا نعدل في الحكم الاَّ اذا وضعنا انفسنا في موضعهِ ونظرنا الى الامور كما كان ينظر اليها فان كان قد رسخ في ذهنهِ ان الاله الواحد يُعبَد بتقريب القرابين الى ما يتفق القوم على اتخاذهِ رمزًا لهُ فالعبادة صحيحة حسب اعتقادهِ ولو كانت لثور . وبديهي ان المصريين ابتهجوا بفعل الاسكندر لانهم قابلوهُ بما فعلهُ قمبيس الفارسي حينما دخل مصر وطعن الثور المقدس بيدهِ وداريوس اوخس الذي امر ان يذبح ثور من الثيران المقدسة فزادوا اكرامًا للاسكندر وترحيبًا بهِ . وقد اثبت ذلك ديودورس في تاريخهِ

ومن رأي الاستاذ هوبلر ان الاسكندر فعل ما فعل في هيكل الثور ابيس عن تدينٍ وورع لانهُ ورث التديُّن من امهِ وانهُ كان يقف في حضرة القوة الالهية المتسلطة على الكون كلهِ كما يقف الوالي الصغير امام الملك الكبير وكانت عواطفهُ حيّة شديدة تمنعهُ من الوقوف موقف البحث والتشكيك ومطامعهُ كبيرة واسعة تردعهُ عن التعصُّب لقومهِ والتحيُّز لاهل مذهب دون آخر . وبلاد مصر بلاد كهنة وهياكل واصنام وتماثيل وعبادة وورع فتسلطت عليهِ بعبادتها كما تسلَّط عليها بسيادتهِ واقام فيها اربعة اشهر كانهُ في هيكل عظيم تعبد فيهِ صنوف الالهة

وكان معهُ نحو عشرين الفًا من الجنود فتركهم ليشتوا في منف واخذ نحو اربعة آلاف من الفرسان والرماة وحملة التروس وسار في النيل الى طرف فرعهِ القنوبي عند ابي قير وقطع الى بحيرة مريوط وكانت حينئذٍ وسيعة عميقة الماء تصب فيها ترع كثيرة والارض حولها مزروعة كرومًا واشجارًا مختلفة فبلغ مكانًا يبعد عن ابي قير نحو ١٣ ميلاً في حيدٍ يفصل بحيرة مريوط عن بحر الروم فاعجبهُ ذلك الموقع وعزم ان يبني فيهِ مدينة حاسبًا انها تكون صلةً بين بحر النيل وبحر الروم او بين بلاد مصر وافريقية كلها من ورائها وبين البلدان المتاخمة لبحر الروم والمتصلة بهِ فان السفن النيلية كانت تصل الى بحيرة مريوط من الجهة الواحدة من هذا الحيد والسفن البحرية تصل اليهِ من الجهة الاخرى وتستطيع الاقامة في مرفأين طبيعيين فيهِ ولا مرفأ غيرها مسافة ستمئة ميل من ساحل بحر الروم

ولا دليل على ان الاسكندر كان يبحث حينئذٍ عن مكان يبني فيهِ مدينة ولكن يرجَّح من قرائن الاحوال ومما رسخ في نفسهِ بعد خراب صور واستيلائهِ على مصر انهُ كان معتمًا بناء مدينة تقوم مقام المدينة التي خربها فلما وصل الى هذا الموقع رأى فيهِ مما يفي بحاجتهِ .

وسواء كان ضالة منشودةً او لقطة عثر عليها عثوراً فان المدينة التي بناها فيه صارت اعظم المدن التجارية

هذه هي الاسكندرية التي كانت ولا تزال واسطة للاتصال بين افريقية واسيا واوربا وسوقًا لتجارة المسكونة وعاصمة للعمران اليوناني الذي ساد المعمورة ثلاثة قرون ولم تزل آثاره حتى الآن . وقد نمت نموًّا سريعًا فصارت الثالثة في الممالك الغربية بعد موت الاسكندر بسبعين سنة فقط وكانت الاولى قرطاجنة والثانية انطاكية . وبلغ عدد سكانها في السنة الستين قبل المسيح ثلثمئة الف من الاحرار وزاد على ذلك في القرن الاول المسيحي فبلغ نحو اربع مئة الف حرٍّ ولم يفقها في عدد السكان حينئذٍ الا مدينة رومية

وقد ذكر الكتّاب الذين نشأوا في القرن الاول قبل التاريخ المسيحي ما يؤخذ منه ان تجارتها كانت شاملة لاكثر ما يتجر به في المسكونة فكانت القوافل والسفن تاتيها ببضائع افريقية وبلاد العرب وبلاد الهند بالطيوب من بلاد العرب والتبر والحجارة الكريمة من بلاد الهند واللآلئ من بحر فارس والحرير من بلاد الصين والذهب والذبل (ظهر السلاحف) من شواطئ البحر الاحمر والعاج من افريقية والحبوب من مصر . وكان يسافر منها كل سنة ١٢٠ سفينة قاصدةً الهند فتصعد في النيل وتسير فيه الى البحر الاحمر ومن ثمَّ الى بلاد الهند . وكان صناعها يتسابقون في المصنوعات التي يبدل بها ما ياتيها من البضائع والتحف كما تتسابق معامل اوربا الآن في المصنوعات فكانت منسوجاتها تبلغ اقاصي المسكونة حتى البلاد الانكليزية ولاسيما البوص المشهور بدقة نسجه وهو من الكتان الذي كان يزرع في القطر المصري . والبسط المصنوعة من افخر انواع الصوف مصبوغة بابدع الالوان والورق المصنوع من البردي والزجاج الذي كانت اكوابه تباع كاكواب الذهب والزيوت والعطور التي كان الناس يباهون بها حينئذ كما يباهون الآن بالطيوب الفارسية . قال هدريانوس الذي كتب سنة ١٣٤ للمسيح انهُ لم يكن احد في الاسكندرية من غير صناعة حتى العميان والمقعدين وكان الدينار معبود الناس يعبدهُ اليهود والنصارى على حدٍّ سوى

ولا تُذكر الاسكندرية القديمة الا ويقرنها الذهن باسباب عظمتها وشهرتها وهي مكاتبها ومدارسها وهياكلها ومنارتها فان بطليموس الاول الذي تولاها بعد الاسكندر انشأ فيها مكتبة كبيرة (كتب خانة) جمع فيها خمسين الف مجلد ودرج وزاد اعتناء البطالسة بهذه المكتبة حتى بلغ عدد كتبها ٤٩٠ الف مجلد في رواية و ٧٠٠ الف مجلد في رواية اخرى . وكانت مقسومة قسمين احدها في الميوزيوم وهو مدرسة كبيرة لتعليم فنون الادب والآخر

في السرابيوم وهو هيكل زفس سرابيس . اما القسم الاول فاحترق لما حاصر يوليوس قيصر الاسكندرية . واما الثاني فبقي في السرابيوم الى ايام الملك ثيودوسيوس الكبير ثم احترق اكثره لما امر هذا الملك بتخريب جميع الهياكل الوثنية وذلك سنة ٣٩١ للمسيح . ولما احترق القسم الاول من هذه المكتبة عوّض منه بمكتبة برغامس التي اهداها مرقس انطونيوس الى الملكة كليوبترة فدخلت في السرابيوم

ويقال ان ارسطوطاليس معلّم الاسكندر هو اول من جمع مكتبة وان مكتبته هي اصل مكتبة الاسكندرية هذه وان كتبه كلها كانت فيها وان البطالسة اكثروا من جمع الكتب اقتداء به واكراماً له لانه هو الذي هذّب الاسكندر قائدهم الاعظم . وبلغ من غرامهم في جمع الكتب انهم كانوا يستعيرون المؤلفات من اصحابها و ينسخونها و يحفظون الاصل عندهم و يردون النسخة الى صاحب المؤلف . ويفتشون عن الكتب في امتعة السياح والتجار الذين يدخلون الاسكندرية ويأخذون ما يجدونه منها

وقد اتصلت بنا اسماء كثيرين من مديري تلك المكتبة مثل كاليماكس الذي ألّف كتاباً كبيراً في تاريخ العلوم اليونانية وايراتُستنس الذي انشأ مرصداً في الاسكندرية لرصد الافلاك واكتشف ميل دائرة البروج وقاس محيط الارض وكان بطليموس سوتر منشئ هذه المكتبة محباً للعلم مقرّباً للعلماء وألّف تاريخاً الاسكندر فُقد مع ما فقد من الكتب . ومن العلماء الذين قرّبهم اقليدس صاحب كتاب الاصول الهندسية . وكان يمشي معه ذات يوم في الطريق السلطانية المؤدية الى القصر ولم يكن يمشي فيها غير الملوك والذين من بيت الملك واما الشعب فكان يصل الى القصر من طريق اخرى ذات درج صعبة المرتقى فسأله بطليموس أما من سبيل اسهل لمعرفة التعاليم فقال «كلاّ اذ ليس لها سكة سلطانية» مشيراً الى السكة التي كان يمشي فيها

ومنهم هيروفيلُس الذي شرّح جسد الانسان وسمّى اجزاءه المختلفة باسمائها التشريحية المعروفة بها الى الآن ويقال انه شرّح ستمئة جثة وشرّح بعض الاسرى وهم في قيد الحياة وهي قساوة بربرية نودّ ان يكون بريئاً منها

اما مدارسها فأشهرها الميوزيوم المشار اليه آنفاً ولم يكن داراً للتحف كما يفهم من مدلول هذه الكلمة الآن بل داراً للعلم والتعليم وكان مبنياً حيث بورصة الاسكندرية الآن . اي ان الاقدمين من سكان الاسكندرية كانوا يطلبون الغنى العقلي حيث يطلب المحدثون الغنى المالي . ولهذه المدرسة الفضل الاول في حفظ علوم اليونان وبثها في المشرق والمغرب وبقيت علومها يانعة الى المئة السابعة للميلاد

وتعاقب على مصر عشرة من البطالسة اعتنوا كلهم بهذه المدرسة ووسعوا نطاق التعليم والبحث فيها وكان لاساتذتها الباع الطولى في التعاليم والهندسة والفلك والجغرافية والتاريخ الطبيعي والتشريح والطب . وكان يتصل بها بستان للنبات تزرع فيه النباتات المختلفة الاقاليم وتتخذ العقاقير الطبية منها وبستان للحيوان تربى فيه الحيوانات الكثيرة البرية والاهلية وتدرس طبائعها

وخُططت الاسكندرية فجعل فيها شارعان كبيران يقطع احدهما الآخر على زاوية قائمة وعرض كلٍّ منهما مئة قدم وعلى جانبيهِ رواقان وصفان من الاعمدة ثم خططت بقية الشوارع لتكون موازية لهذين الشارعين فصارت المدينة بها قطعاً مربعة الشكل كرقعة الشطرنج وهي مستطيلة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميل . وقد اجلى النقب الذي شرع فيه محمود باشا الفلكي وتمَّ سنة ١٨٦٧ عن اكتشاف الشارعين الكبيرين وآثار الاعمدة التي كانت على جانبيهما وصفاح المرمر التي كانت ارضها مرصوفة بها وظهر ان محيط المدينة القديمة كان اقل من عشرة اميال .

وقد ذكر فلوطرخس انهُ لما خططت المدينة ذروا على رسم شوارعها دقيق الحنطة بدل دقيق الطباشير فلم يكادوا يتمّون رسمها حتى وقعت الطيور على الدقيق والتهمتهُ فتشاءم الاسكندر من ذلك لكن اهل الفأل فسَّروا لهُ وقوع الطيور بانهُ يدل على غنى المدينة وعلى انها ستكون مغذية للامم

وكان في مكدونية مهندس شهير اسمهُ دينوكراتس وهو الذي بنى هيكل ارطاميس في افسس بعد ان حرقهُ هروستراتس الاحمق لكي يشتهر اسمهُ . فلما طبقت شهرة الاسكندر الاقطار رأى ان يصنع لهُ تمثالاً لم يُصنع مثلهُ لملك من ملوك الزمان فلما مثل بين يديهِ قال لهُ اني عزمت ان انحت جبل اثوس واصنعهُ لك تمثالاً وابني في يسارهِ مدينة تسع عشرة آلاف من السكان واحوّل جميع الانهار التي تنبع منهُ الى يمينهِ فتجري منها الى البحر سيلاً متدفقاً . فسرَّ الاسكندر بهِ وصرفهُ ولعلهُ قال في نفسهِ ان هذا الرجل قد فاقني في حب الشهرة فطلبها من حيث تُعتذر . ولكنهُ تذكرهُ لما اراد بناء الاسكندرية فاستدعاهُ لهذه الغاية ووكل اليهِ بناءها . ثم اتجه غرباً سائراً على شاطئ بحر الروم الى ان بلغ حدود قيرين او القيروان فقابلهُ وفد من اهلها يحمل اليهِ الهدايا و يطلب محالفتهُ فاجاب الوفد الى ما طلب وحوّل ركابهُ الى الجنوب وسار في الصحراء قاصداً هيكل امون في واحة سيوى والطريق اليهِ في مفازة قاحلة لا معالم فيها ولا شيء يهتدى بهِ وقد استعظم المتقدمون والمتأخرون ما فعلهُ ونسبوا اهتداءهُ الى خوارق لم يألفها الناس فقال بعضهم ان حيتين انسابتا في طريقهِ تهديانهِ في تلك المفاوز

وقال آخر ان غرابين طارا امامهُ في حلهِ وارتحالهِ واذا ضلَّ احد من رجالهِ طلباهُ وظلا ينعقان الى ان يهتدي اليها

وواحة سيوى درة في قفر فيها النخيل والزيتون وماء معين حول هيكل امون فلما بلغها الاسكندر بادر الى الهيكل ويقال انهُ سأَل اولاً عما اذا كان احد من قتلة ابيهِ قد نجا من العقاب فوبخهُ كاهن الهيكل قائلاً ان اباك ليس من الاموات حتى يقتل فسأَل الاسكندر عن قتلة فيلبس فقيل لهُ انهم عوقبوا كلهم

لكن فلوطرخس انكر هذه الرواية وقال ان الاسكندر كتب الى امهِ يخبرها بذهابهِ الى هيكل امون وان هذا المعبود اطلعهُ على امور سرية سيقصها عليها بنفسهِ متى عاد اليها. وقال فلوطرخس ايضاً ان البعض يقولون ان كاهن امون خاطب الاسكندر باليونانية وهو لا يحسنها واراد ان يقول لهُ يا ابني (بايذيوس) فقال يا ابن زفس (بايي ذيوس) واضعاً النبرة على واو ذيوس ففرح الاسكندر بهذا الخطاء ولم يصلحهُ وشاع على الالسنة انهُ دعي ابن زفس اب الآلهة. وانكر بعض المؤرخين هذه الرواية او لم يشيروا اليها وقال غيرهم ان الكاهن لقبهُ ابن رع (الشمس) او ابن امن وهو اسلوب المصريين في تلقيب ملوكهم لا اشارة فيهِ الى انهم مولودون من الالهة او من غيرهم. و يظهر من بعض القرائن والادلة ان الاسكندر مال الى الاعتقاد بانهُ من جبلة فوق جبلة الناس وان الالهة تعتني بهِ بنوع خاص. ولا يستغرب ممن كان مولعاً باشعار هوميروس منذ نعومة اظفارهِ ومعجباً بالابطال الاقدمين الذين يقال انهم من نسل الآلهة ان يتوخى الاقتداء بهم وجعل نفسهِ في مصافهم ولو سياسةً ليسهل عليهِ التسلط على الشعوب الكثيرة التي خضعت لهُ ولاسيما شعوب المشرق التي كانت تؤله ملوكها ولكن لا دليل على انهُ فعل ذلك او انتدب اليونان الى عبادتهِ كما زعم البعض غير ان اليونان اكرموهُ بعد موتهِ او عبدوهُ ورسموهُ على نقودهم في شكل الالهة وشاعت عبادتهُ في الاسكندرية في عهد بطليموس الثاني بعد موتهِ بخمسين سنة وبقيت الى عهد الرومان. واكثر الذين أُلهوا وعُبدوا لم يدَّعوا التأَله ولم يطلبوا العبادة وانما فعل ذلك خلفاؤهم لكي يستعزوا بهم ويتسلطوا على عقول البسطاء

وعاد الاسكندر من واحة سيوى بعد ان اهدى الى هيكلها الهدايا النفيسة فوجد الوفود في انتظارهِ من مدن اليونان وجزائرها وكل وفد يطلب امراً فارضى الجميع وصرفهم واقام في القطر المصري شهراً من الزمان ينظم امورهُ ففصل الادارة عن الحربية والمالية وجعل للغرباء حكومة مستقلة عن حكومة الوطنيين ووضع الحامية في منف والطينة وقام في اوائل الربيع

سنة ٣٣١ قبل المسيح وعاد الى فينيقية وجاء صور ونظم امورها ثم ودّع سواحل بحر الروم وغاص في قلب اسيا كما سيجيء

هذه خلاصة ما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون من اليونان والرومان ونقلهُ عنهم كتّاب الافرنج اما مؤرخو العرب فابن الاثير اجتزى عن ذلك كلهِ بقولهِ ان الاسكندر بنى الاسكندرية بمصر. واكتفى ابن خلدون بقولهِ وفتح (الاسكندر) كثيرًا من مدن الشام ورجع الى طرسوس فزحف اليهِ دارا ولقيه عليها فهزمهُ الاسكندر وافتتح طرسوس وبنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ. ولم نرَ لغيرهما كلامًا سببًا عن مجيء الاسكندر الى القطر المصري

شهيد التجارة

للتجارة شهداء كما للديانة والذين يستشهدون في سبيل المال يفوقون الاحصاء وما الفرسان طلاّب المعالي الذين تسيل على حد الظباة نفوسهم بابسل من طلاّب المكاسب الذين يخوضون البحار و يجوبون القفار لاجل مال يكتسبونهُ و بضاعة يبتاعونها. وقد اطلعنا بالامس على رسالة لرجل من سكان بطرس برج وصف فيها ما لقيهُ من الشدّة في قلب افريقية وهو يطلب فيها ريش النعام فترجمناها تفكهة للقراء وذكرى للذين يتقاعدون عن السعي منا ويحسبون اننا نستطيع ان نجاري الاوربيين من غير ان نأخذ اخذهم. قال الكاتب:

انتظمت سنة ١٨٨٨ في خدمة بيت تجاري من اكبر البيوت التجارية في بطرس برج لهُ معاملات واسعة في البلدان الشرقية ولم اكد انتظم في خدمتهِ حتى دعاني احد الشركاء فيهِ الى مكتبهِ وقال لي استعدّ للذهاب الى مدينة بيروت وقابل فلانًا وامضِ معهُ الامر الفلاني. فسافرت حالاً وبلغت بيروت في عشرة ايام وقضيت العمل الذي اتيت لاجلهِ وقبل ان اسافر منها جاءتني رسالة برقية لارجع الى ازمير وانتظر الاوامر فيها فعدت الى ازمير ورابت مع البريد كتابًا أُمرت بهِ ان ابتاع كل ما اجدهُ من ريش النعام في تلك المدينة فصدعت بالامر ولم يكن الاّ قليل حتى جاءني احد المديرين في ذلك البيت واسمهُ ليلنغوف وقال لي ان استعد للسفر معهُ الى مصر وهناك نبتاع كل ما تصل يدنا اليهِ من ريش النعام قبلما يسبقنا احد

ولم اكن قد استرحت من وعثاء السفر فكدت ارفض طلبهُ وليتني رفضتهُ ولكن مطالب الاعمال قضت عليَّ بالقبول فاتينا الاسكندرية ولم نجد فيها ريشًا فصعدنا الى القاهرة ولم نقم

فيها الأ يومين ثم سرنا جنوبًا حتى بلغنا اطراف بلاد النوبة فاشترينا كل ما وجدناهُ فيها من الريش وعدنا الى القاهرة و بعثنا بهِ الى روسيا واقمنا ننتظر الاوامر فوصل الريش وبيع بثمن غالٍ جدًّا وكنا ننتظر ان نُشكر على ما فعلنا و يباح لنا ان نعود الى بيوتنا واذا نحن برسالة يقال لنا فيها ان نصعد الى قلب افريقية الى ولاية الكنغو حيث يكثر النعام وان ننتظر بضاعة أُرسلت الينا لناخذها معنا ونقايض بها وجاءتنا هذه البضائع وهي من الاساور والدمالج والخواتم والخرز وما اشبه مما يُتجر بهِ في قلب افريقية

فاسقط في يدي لانني كنت قد تعبت كثيرًا في سفري برًّا و بحرًا واشتقت الى اهلي وكانت الثورة ضاربة اطنابها في بلاد السودان والدراويش لا يبقون على تاجر وقد اسروا نوفلد ونكّلوا بهِ وهب اننا نجونا من يدهم فالبلاد التي أُمرنا بالذهاب اليها وبيئة كثيرة الحميات لا نسلم منها اذا سلمنا من اهلها. وظن ليانغوف ان في الرسالة البرقية خطأً واشار عليَّ بالرجوع معهُ فلم اعمل بمشورتهِ بل قلت لهُ قد لا يكون في الامر شيء من الخطر لان التجار يصعدون الى قلب افريقية دوامًا . و بعد اللتيا والتي قرَّ رأْينا على الصعود الى قلب افريقية فاستاجرنا ستة من السودانيين ليمضوا بنا الى لادو عند حدود ولاية الكنغو وحملنا بضائعنا على الجمال وقمنا في الخامس والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٨٨ وسرنا جنوبًا حتى بلغنا الدامر في بلاد النوبة وكنا في خطر دائم من الدراويش لكننا نجونا منهم واقمنا في الدامر يومين وغادرناها وجعلنا نطوي صدور الارض على الاعجاز الى ان بلغنا لادو بطريق البحر الابيض بعد سير ثلاثين يومًا وهناك تركنا السودانيون الذين رافقونا من القاهرة فبقينا وحدنا انا وليانغوف في بلاد لم تطأْها اقدامنا قبلاً ولا نعرف شيئًا عنها ومع ذلك عزمنا ان نبذل جهدنا في مصلحة البيت الذي نحن في خدمتهِ شأْن مكاتبي الجرائد الذين يخوضون معارك القتال ليجمعوا الاخبار لجرائدهم . وكنا نتوسل الى اولئك الزنوج ليبقوا معنا و يرافقونا في سفرنا فلم نرَ منهم غير الاعراض فقلنا ان كان هؤُلاء لا يأْمنون على انفسهم في بلادهم فكيف نسافر فيها نحن وحدنا ومَن يقينا من اهلها البرابرة . ولذلك قال رفيقي لا بدَّ لنا من العودة ولو بخفي حنين. ولو صمم على رايهِ لاضطررت ان اعود معهُ ولنجونا مما لقيناهُ من المخاطر لكنهُ كان مترددًا فقلت لهُ انني عازم على قطع بلاد الكنغو الى مدينة اكواتورفيل في طرفها الغربي حيث كنت واثقًا اني اجد كثيرًا من ريش النعام فلم يرضَ ان يتركني وحدي بل قال انهُ يرافقني اليها وكان معنا دليل اسمهُ ابو كمال فقال انهُ يمضي معنا فسررنا بذلك ووعدناهُ بعطية سنية حال رجوعنا وللحال مضى واستأْجر لنا نفرًا من الحمالين فاتونا بحرابهم وتروسهم وهم من الزنوج

القاحمي الالوان ومن اشدهم شراسة وكان من رأي ابي كال ان نذهب الى ملك البلاد ونسترضيه بالهدايا فاستحسنا ذلك في اول الامر ثم خطر لنا انه قد يكون من اكلة لحوم الناس فيستسمننا ويوقع بنا فعدلنا عن الذهاب اليه واخترنا عشرة من الحمالين وسرنا بهم في طريق الكنغو ولم نكن نعرف كلمة من لغتهم لكن ابا كال ادّعى انه يفهم كل اللغات الافريقية وكان يتوخى كل ما يرضينا ولو بالكذب فكلمهم كلاماً لم نفهمه فاخذوا يفجون برطانتهم واخذنا معنا حميرًا من لادو ركبناها وسرنا ووجهتنا مدينة اكواتورفيل فمررنا في حراج غيباء وآجام وبيئة وعبرنا انهارًا كبيرة وتجشمنا من المشاق ما يعجز عن وصفه القلم الى ان قربنا من تلك المدينة وذلك في التاسع عشر من نوفمبر سنة ١٨٨٨ واذا نحن باكمة في سفحها قرية كبيرة فلم نشأ ان ندخلها قبل ان نعرف شيئًا من احوال اهلها فصعدنا على الاكمة ودعوت الحمالين وقلت لهم ان يمضوا الى القرية ويسألوا عن ريش النعام فيها واعطيتهم كثيرًا من الخرز والاساور والدمالج ونحو ذلك من البضائع التي تستعمل بدل النقود ولم نكن قد فتحنا صناديقنا امامهم قبلاً فدهشوا مما فيها واخذوا يصيحون ويقولون ما معناه انهم يرجعون محملين بريش النعام وطلب ابو كال ان يمضي معهم الى القرية فاذنّا له في ذلك فساروا الساعة الثالثة بعد الظهر وجلست انا وليلنغوف تحت شجرة في انتظارهم وكان معنا بنادق ومسدسات . ومرّت اربع ساعات ولم يرجع احد منهم فداخلتنا الظنون وخفنا ان يعود علينا اولئك الرجال مع نفر من اهل القرية ويفتكوا بنا ويغنموا كل ما معنا. واطللنا على القرية فرأينا الناس فيها كالنمل يجيئون ويذهبون وغابت الشمس وخيم الظلام وانتصف الليل ولم يرجع احد فيئسنا من عودتهم وعزمنا ان نرجع ادراجنا

وكان البعوض قد اهتدى الينا وهجم بجيوشه الجرارة علينا فتضرَّجت وجوهنا وايدينا بالدماء وقمنا لنعود من حيث اتينا واذا نحن بصيحة عظيمة في القرية فالتفتنا اليها واذا مئات من الزنوج والمشاعل في ايديهم وبعضهم يرقصون وبعضهم يضربون الطبول فقلت في نفسي انهم قبضوا على رجالنا وذبحوهم واكلوهم وهم يظهرون بهجتهم بذلك . وبينا انا افكر في هذا الامر ونفسي تجيش من التفكر فيه اذ سمعت اصواتًا خفية فالتفت واذا انا باشباح سوداء تدنو منا فصمتُّ حاسبًا ان الساعة قد جاءت ثم امعنت نظري ووثبت قائمًا وقلت لليلنغوف هؤلاء رجالنا وابو كال معهم وكان كما قلت فان الرجال عادوا ومعهم احمال من ريش النعام فسألناهم عن سبب عاقتهم وعن الضجة في القرية فقالوا ان الزنوج كانوا يزجرون الغيم عن القمر بطبولهم وهذه عادة لهم

وبعد يومين اشار علينا الرجال ان نمضي الى مكان اسمه بنجي في وسط بلاد الكنغو

فانه بلغهم ان فيهِ كثيرًا من ريش النعام لكن سكانهُ من اكلة لحوم الناس ومن اشرسهم.
ولم يكن ليلنغوف قد نسي هول تلك الليلة فاشار ان نكتفي بما معنا ونعود بهِ اما انا فكنت اطمع بالكثير وعزمت ان امضي وحدي فاضطرَّ ان يمضي معي فبلغنا نهرًا اسمهُ شوبا واستأجرنا قوارب مصنوعة من اشجار مجوفة وسرنا فيها الى ان بلغنا مصبهُ فقال الحمالون ان الناس الساكنين حول مصبهِ عندهم كثير من الريش فسرنا حولهُ فرأيناهُ مكتنفًا بالآجام ولم يكن الأَ قليل حتى سمعنا صراخًا يصمُّ الآذان فقال لنا رجالنا ان هذه اصوات الهجاة في ولیمة من لحوم الناس فلم نعبأ بقولهم بل بقينا سائرين في قواربنا الى ان دنونا من قريتهم فلما رأونا نهضوا واجتمعوا على اكمة واخذوا يصرخون صراخ الحرب فوقفنا لا ندري ما نفعل فزاد صراخهم واخذوا يرقصون ويهزون الرماح فجعل رجالنا يغنون غناء يفهم منهُ انهم ليسوا اعداء بل اصدقاء لكن غناءهم لم يجدِ نفعًا لان خصومنا ظلوا يصرخون ويضجون والتفتُّ الى ليلنغوف فرأيتهُ كئيبًا كأَنهُ يئس من النجاة فامرت الرجال ان يجدّفوا لكي نبعد عن تلك القرية فلم يفعلوا وافهمونا ان كل الناس الذين نمر بهم مثل هؤلاء او اشرس منهم فقلت لهم اذن انزلوا الى البر وكلموهم ليكفوا عنا فنزلوا وكلموهم وحاجوهم فادَّى الحجاج الى الشجاج وللحال اشتبك القتال بين الفريقين ولما رأَيت ذلك اعطيت ابا كامل مسدسًا من مسدساتي واخذنا نطلق عليهم الرصاص فهجموا علينا وخاضوا الماء واتوا القارب الذي كنا فيهِ وبذلنا جهدنا في دفعهم عنا وكنا ندفع واحدًا فيأْتي عشرة بدلًا منهُ واخيرًا قلبوا القارب فغرقت كل امتعتنا وبضائعنا وسبحت انا الى الشاطئ ولم اكد اصل اليهِ حتى وجدت الزنوج حولي فقبضوا عليَّ وربطوني وحملوني الى كوخ من اكواخهم ووضعوا يديَّ ورجليَّ في مقطرة محكمة وجعلوا يرقصون حولي

ويا لها من ساعة بل من ساعات ذقت فيها الموت صنوفًا وفضلتهُ على الحياة وقلت في نفسي ترى ما اصاب ليلنغوف وابا كامل ووددتُّ ان يكونا قُتلا لينجوا من هذا العذاب. ثم جرَّني اولئك البرابرة الى ساحة قريتهم ولمحت هناك ليلنغوف وكان يبكي ويستغيث ولا مغيث فاغمضت عينيَّ لكي لا اراهُ ووددتُّ ان اسدَّ اذني لكي لا اسمع صوتهُ ثم فتحت عيني واذا انا بمنظر تقشعرُّ منهُ الابدان وترتجف الفرائص شجرة كبيرة علِّقت عليها جماجم الناس وبذرت تحتها حتى غطَّت ارضها فاوصلوني اليها واوقفوني بجانب جذعها وربطوني اليهِ بحبال مفتولة من النبات ربطًا وثيقًا جدًّا ولما اتموا ربطي سمعت صرخة شديدة ورائي صرخة رجل ضُرب ضربة قضت عليهِ فعلمت انهم قتلوا رفيقي ليلنغوف. وعلا صياحهم حينئذٍ واخذوا يرقصون ويطبلون واضرموا نارًا واظنهم شووهُ عليها واكلوهُ لانني كنت اشمُّ رائحة الشواء. ويقال ان حبل الرجاء

لا ينقطع ما دام الانسان في قيد الحياة اما انا فانقطع حبل رجائي حينئذٍ واقمت انتظر دوري لحظة بعد لحظة لكن البرابرة ابعدوا عني وظلوا يصيحون ويطبلون ويرقصون الى ان غابت الشمس وخيم الظلام وكان رباطي شديداً فخدرت اطرافي كلها ولم اعد اشعر بها بعد ان المتني الماً مبرحاً. وحينئذٍ خطر ببالي ان احاول تقطيع الحبال باسناني فاخذت اقرضها قرضاً وبعد عناء شديد تمكنت من قطع الحبال القريبة من عنقي ثم قرضت ما على عن يديَّ منها وقضيت في ذلك الليل كله وكانت الحبال على رجلي متينة وكاد الفجر يبزغ وكنت لابساً جزمةً طويلة وهي عليها فحاولت نزع رجليَّ من الجزمة وبعد عناء شديد انخلعت به قدماي تمكنت من نزع رجليَّ واخذت ادبُّ على يديَّ وركبتيَّ الى ان وصلت الى مصب النهر فرأيت بجانبهِ خشبة كبيرة فجررتها الى الماء وركبت عليها وسلمت نفسي للتيار ولما مسَّ الماء جراحي اعاد آلامي الى شدتها لكنني صبرت عليها . وحملني التيار واوصلني الى مدينة اكواتورفيل وهناك وجدت من اعتنى بي وعالج جراحي وسافرت منها الى البلاد التي لالمانيا في شرقي افريقية ومنها الى زنجبار . وحتى الآن اسأل نفسي قائلاً ما منع البرابرة من اكلي قبل رفيقي

الشركات الماليَّة

كانت مدينة لندن تستقي ماءها في عهد الملك جمس الاول (١٦٠٣ — ١٦٢٥) من ثلاث قنوات تمرُّ في شوارعها اما يجر الماء من هذه القنوات الى المنازل بانابيب من الرصاص او بحملهِ في القرب اليها مثل اكثر المدن في هذا القطر. وكانت هذه القنوات متفرعة من نهر التمس على قذارتهِ فخطر لجوهري اسمهُ مدلتن ان يجرَّ الماء النقي الى المدينة من مكان بعيد وانفق كل امواله في هذا السبيل ولما رأى انهُ يعوزهُ المال ايضاً لاتمام عملهِ الف شركة رأس مالها ٧٢٠٠ جنيه قسمهُ ٧٢ سهماً كل سهم منها بمئة جنيه ولجأ الى الملك جمس الاول فابتاع منهُ نصف هذه السهام وفرغ من جر الماء الى المدينة سنة ١٦١٣

ومضت عشرون سنة واهالي لندن لايعبأُون بهذا الماء واسهم الشركة لا يربح السهم منها سوى ستين غرشاً في السنة او نحو نصف في المئة . ثم اقلع الناس عن جهلهم وجعلوا يستقون من هذا الماء ويجرونهُ الى منازلهم فزاد ربح الشركة وبلغت قيمة السهم من سهامها ١١٥ جنيهاً و ١٠ شلنات سنة ١٧٣٦ اي بعد انشائها بمئة وعشرين سنة . ثم زاد استعمال الناس لهذا الماء وزاد ربح الشركة فبلغ ثمن السهم منها ٤٣١ جنيهاً سنة ١٨٠٠ و ١١٥٠٠ جنيه سنة

١٨٢٠ و٩١٠٠٠ جنيه سنة ١٨٧٨ و١٢٢٨٠٠ جنيه سنة ١٨٨٩ وهذه المغالاة في الثمن ناتجة عن الزيادة في الربح فان ربح السهم كان ستين غرشاً سنة ١٦٣٣ فبلغ ٢٦١٠ جنيهات سنة ١٨٨٨ اي زاد اكثر من اربعة آلاف ضعف

هذا مثال واحد من امثلة كثيرة على نجاح الشركات المالية اذا انفقت اموالها في اعمال قابلة للاتساع كجلب المياه الى المدن ومد سكك الحديد وانشاء الاسواق وفتح الترع ونحو ذلك مما يزيد استعمال الناس له بزيادة عددهم واتساع نطاق الحضارة. ولم نرَ حتى الآن شركة من الشركات تضاعفت قيمة اسهمها الوفاً من المرات كالشركة المشار اليها آنفاً ولكن الشركات التي تضاعفت قيمة اسهمها كثيرة ولا سيما في البلاد الاميركية حيث اثرى كثيرون في وقت قصير بهذه الاسهم

وقد قيل ان الاتحاد قوة. واوضح ما يظهر ذلك فيه الشركات المالية الصناعية والتجارية التي تعمل الاعمال العظيمة لاشتراك جماعات فيها ولولا اشتراكهم لبقيت تلك الاعمال في حيز الخفاء. واذا نظرنا الى ما تمتاز به البلدان الاوربية من الاعمال العمومية العظيمة كالمعامل الكبيرة وسكك الحديد وخطوط البواخر رأيناها قائمة كلها بشركات تجمع الاموال من افراد الامة وتعمل بها العمل الذي لا يستطيعه احد منهم لو توخاه وحده ثم توزع عليهم المكاسب. وقد تكون هذه المكاسب كثيرة تزيد على ما يكتسبه المرء بماله لو ابتاع به عقاراً وقد تكون قليلة لا تبلغ ربحه منه لو وضعه في تجارة. لكنَّ تدبير العقار والقيام على التجارة يقتضيان اهتمام المرء بهما وهذا الاهتمام قوة ذات قيمة فاذا طرحنا ما يساويه من المال المكتسب لم يبقَ منه ما يبلغ الربح الذي توزعه الشركات الصناعية والتجارية. ويصدق ذلك بنوع خاص على اصحاب الحرف التي لا يستخدم فيها المال كالطبيب والمصور والمؤلف فان الاموال التي تزيد من دخلهم على نفقاتهم قوة لا يحسن بهم ان يقفلوا عليها في خزائنهم ويحرموا انفسهم وغيرهم الانتفاع بها ولا هم قادرون ان يهملوا اعمالهم ويهتموا بها نخير ما يفعلونه ان يبتاعوا بها اسهماً من شركة رابحة اي ان يعطوا هذه الاموال لمن يعمل بها عملاً نافعاً يعطيهم جانباً من ربحه

والشركات انواع مختلفة بعضها يدار بالحكمة والامانة ويكون موضوعه مما يقبل النمو طبعاً كالشركات المرتبطة بزيادة السكان وارتقائهم مثل الشركة المشار اليها في صدر هذه المقالة فتزيد مكاسبها عاماً بعد عام بزيادة السكان حتى تتضاعف قيمة اسهمها اضعافاً كثيرة. وبعضها يدار بالطيش والاختلاس فيفلس عاجلاً او آجلاً كشركة بناما التي ضاع فيها من مال

المساهمين نحو ثلاثين مليونًا من الجنيهات . وبعضها يدار بالحكمة والامانة ولكن لا يكون موضوعهُ مما يقبل النمو فلا تفلح ابدًا او تفلح قليلاً .

والشركات كثيرة في البلدان التي كثرت ثروة اهلها كالبلاد الانكليزية وهي تزيد فيها عامًا بعد عام زيادة بالغة فقد كان فيها سنة ١٨٩٦ نحو ٢٤ الف شركة رأس مالها نحو ١٢٨٥ مليون جنيه وثروة البلاد الانكليزية ١٢ الف مليون جنيه فاكثر من عشر ثروتها في اسهم الشركات الصناعية والتجارية . وشركاتها تزيد بالالوف الآن فقد كان عددها سنة ١٨٨٧ احد عشر الفًا ورأس مالها نحو ٦١١ مليون جنيه فبلغ عددها في السنة التالية ١١٩٦٨ شركة رأس مالها نحو ٦٧٢ مليون جنيه اي زاد عددها ٩٦٨ شركة وزاد رأس مالها ٦١ مليون جنيه . وبلغت زيادة عددها سنة ١٨٩٦ نحو ٤٦٦٠ شركة رأس مالها نحو ٣١٠ ملايين من الجنيهات اي زاد عدد الشركات الجديدة في السنة خمسة اضعاف وزاد رأس مالها سبعة اضعاف

وتكثر الشركات في البلاد الانكليزية بنوع خاص لان اصحاب المتاجر والاعمال الكبيرة يشتغلون في شبيبتهم وكهولتهم بهمَّة لا تعرف الملل حتى يتسع نطاق عملهم وتتوفر مكاسبهُ وحينئذٍ يطلبون الراحة او الانتظام في سلك رجال السياسة فيأتيهم مؤسسو الشركات ويؤلفون لهم شركة تبتاع منهم متجرهم او عملهم بمال طائل ينفقون منهُ ومن ريعهِ بقية عمرهم من غير تعب . مثال ذلك رجل انشأ معملاً لاستخراج الزبدة ووسعهُ واتقنهُ رويدًا رويدًا حتى صار صافي ربحهِ منهُ ستة آلاف جنيه في السنة حينما بلغ الستين من عمرهِ وودَّ حينئذٍ ان يترك العمل ويستريح او ينتظم في سلك رجال السياسة فاذا لقي من يبتاع منهُ هذا المعمل بار بعين الف جنيه باعهُ اياهُ عن طيب نفس لانهُ نشأ من لا شيءٍ تقريبًا . وظاهر الامر ان ربحهُ يعادل خمسة عشر في المئة من هذا الثمن وهو ربح وافر جدًا لا يرغب احد ان يتنازل عنهُ ولكنهُ لم ينتج من نفسهِ بل من ادارة ذلك الرجل للعمل فهو ريع مالهِ واجرة عملهِ فاذا تخلى عن العمل قلَّ ربحهُ فيأتيهِ مؤلف الشركات ويقول لهُ بعني معملك بخمسين الف جنيه على شرط ان تبقى في ادارتهِ سنتين اخريين ثم يقول لاصحاب الاموال ان المعمل الفلاني يربح في السنة ستة الاف جنيه فاذا اشتراهُ المساهمون بستين الف جنيه بلغ ربحهم منهُ عشرة في المئة من غير تعب ولا نصب . فيصدر اسهمًا قيمتها ستون الف جنيه يبيعها للمساهمين ويدفع منها خمسين الف جنيه الى صاحب المعمل ويأخذ عشرة آلاف جنيه لنفسهِ صفقة واحدة . وعلى هذا الاسلوب تؤلف اكثر الشركات الانكليزية فينجح بعضها لان اسباب النجاح ميسورة لهُ ولو كان نصيب المؤسسين كبيرًا ولا ينجح البعض الآخر لان اسباب نجاحهِ غير ميسورة

ونصيب المؤسسين كبير يقلّ به ربح المساهمين

والاكثار من هذه الشركات ليس مما تحمد عقباه فان الخير وسط بين شرين الافراط والتفريط فترك الشركات ومباشرة الاعمال بيد واحدة مثبط للهمم مقلل للمنافع لان الاعمال الكبيرة لا تعمل الا بالتعاون والتناصر ولكنّ الاكثار منها حتى تصير الاعمال كلها مرتبطة بشركات يحصر جانباً كبيراً من المكاسب في مؤسسي تلك الشركات لان الشركة لا تؤلف الا ويأخذ المؤسسون لها جانباً كبيراً من مكاسبها فاذا كان رأس مالها مئة الف جنيه اصدروا اسهماً بمئة وثلاثين او اكثر واخذوا الزيادة مقابل التعب القليل الذي تعبوه في تأليفها وهذا هو الغبن الكبير

هذا ومن يلتفت الى المقطم او غيره من الجرائد اليومية يجد حقلاً طويلاً للاسهم المحلية اي لاسهم الشركات التي انشئت في هذا القطر او انشئت في غيره لاعمال جارية فيه كالبنك المصري والبنك العقاري المصري والبنك الاهلي المصري والبنك الانجليزي المصري . وشركة الدائرة السنية الجديدة وشركة ري البحيرة وشركة الاراضي والرهنيات وشركة اللوكندات وسكة حديد الشرقية وسكة حديد الدلتا وسكة حديد الفيوم وشركة الملح والصودا وهلمّ جرًّا

وقد كانت سوق هذه الشركات رائجة جدًّا في الشتاء الماضي واسهمها غالية الثمن لرخص النقود في انكلترا حتى اذا نشبت حرب الترنسفال وغلت النقود رخصت الاسهم . فلما كان بنك انكلترا يحسب ربا (فائدة) المئة ثلاثة في السنة كان السهم الذي ثمنهُ الاساسي مئة غرش وربحهُ ستة او سبعة في السنة يباع بمئة وخمسين غرشاً او اكثر فلما صار بنك انكلترا يحسب ربا المئة خمسة او ستة في السنة وجب ان يهبط ثمن ذلك السهم الى مئة غرش او اقل ولكنهُ لم يهبط الى هذا الحد لثقة الناس بان الضيقة المالية الحاضرة لا تدوم وبان بنك انكلترا لا بدَّ من ان يخفض الربا (او معدل القطع) حتى يعود ثلاثة او اربعة في المئة . هذا هو السبب الاكبر لما يُرى الآن من الهبوط في ثمن الاسهم المحلية . وقد رأينا اتماماً للفائدة ان نبين تاريخ بعض هذه الاسهم التي تذكر في المقطم وثمنهُ الاصلي ومتوسط ربحهِ

(١) شركة مياه الاسكندرية انشئت سنة ١٨٧٩ تدفع ربحاً من ٧ الى ٨ في المئة والسهم التي ثمنهُ الاصلي ٢٠ جنيهاً يبلغ ثمنهُ الآن نحو ٣٨ جنيهاً

(٢) شركة مياه طنطا انشئت سنة ١٨٩٧ وجعلت ٣٠٠٠ سهم السهم منها بعشرين جنيهاً دفع منها ١٥ جنيهاً وقد ابتدأت في عملها في اوائل العام الماضي فلم توزع ربحاً حتى الآن ولذلك يباع السهم منها بنحو ١ جنيهاً ونصف جنيه

(٣) سكة حديد حلوان . انشئت سنة ١٨٩١ وجعلت ٦٠٠٠ سهم السهم منها

بعشرين جنيهاً وثمن السهم منها الآن ٢١ جنيهاً وهي تدفع ربحاً خمسة في المئة او اكثر قليلاً

(٤) سكة الحديد الشرقية انشئت سنة ١٨٩٧ وجعلت ٥٠٠٠٠ سهم السهم منها باربعة جنيهات و يساوي السهم منها الان اربعة جنيهات وثلاثة ارباع الجنيه ولم توزع ربحاً حتى الآن

(٥) سكة حديد الدلتا الضيقة . انشئت سنة ١٨٩٧ وفيها اسهم مقدمة تأخذ ربحاً ٥ ٪ في المئة ومتى زاد الربح على ذلك يقسم بينها وبين اسهم اخرى مؤخرة مناصفة وثمن السهم من الاسهم المقدمة عشرة جنيهات وهو يساوي الآن اربعة عشر جنيهاً وثلاثة ارباع الجنيه

(٦) سكة حديد الفيوم انشئت سنة ١٨٩٨ في ٤٥٠٠ سهم ثمن السهم منها ٢٠ جنيهاً وثمن السهم منها الآن نحو ٢٤ جنيهاً

(٧) البنك المصري . انشئ سنة ١٨٨٧ اسهمه ٢٠٠٠٠ سهم دفع من ثمن السهم منها ١٢ جنيهاً ونصف وقد دفع ربحاً ١١ في المئة ولذلك يبلغ ثمن سهمه الآن ٢٤ جنيهاً و ٣/١ جنيه

(٨) البنك الاهلي المصري انشئ سنة ١٨٩٨ واصدر اولاً مئة الف سهم ثمن السهم منها ١٠ جنيهات ثم اصدر خمسين الف سهم ثمن السهم منها ١٤ جنيهاً وثمن السهم من اسهمه الآن نحو ١٥ جنيهاً وكان في الربيع الماضي نحو ١٨ جنيهاً

(٩) بنك الانجلواجبسيان انشئ سنة ١٨٦٤ في ٨٠٠٠٠ سهم دفع عن كل سهم منها ٥ جنيهات وقد بلغ الربح الذي وزعه سنة ١٨٩٨ ثمانية في المئة و يساوي السهم منه الآن ٧ جنيهات و ٤/١

(١٠) شركة مياه القاهرة انشئت سنة ١٨٦٥ براس مال ٢٢٧٨٨٧ جنيهاً في ٦٨٠٠٠ سهم قيمة كل سهم منها ١٢٥ فرنكاً وقد وزعت في العام الماضي ربحاً قدره ٢٥ فرنكاً للسهم الواحد و يبلغ ثمن السهم منها الآن نحو ٧٣٠ فرنكاً اي انه تضاعف خمسة اضعاف

وقس على ذلك سائر الشركات المحلية فان بعضها نجح نجاحاً تاماً و بعضها نجح قليلاً او لم ينجح حتى الآن . ومن اوضح ما فيها كلها قلة العنصر الوطني بالنسبة الى العنصر الاجنبي فان ليس فيها كلها شركة وطنية بحتة الأ شركة سكة حديد الفيوم الضيقة وهذه اضطرت ان تعتمد على مهندس انكليزي حتى الآن . وقد لا يلام الوطنيون على تقصيرهم الماضي ولكنهم يلامون حتماً على تقصيرهم في الحاضر والمستقبل

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

آيات الفصاحة العربية

لحضرة صاحب السماحة السيد توفيق البكري شيخ مشايخ الطرق

(استحسن جمهور العالمين باسرار العربية وضروب الفصاحة ما نشرناهُ في المقتطف الماضي من رسائل صاحب السماحة السيد البكري فرغبنا الى سماحته ان يتحفنا بنبذ أُخرى منها ننشرها تباعاً فبعث الينا بالنبذة التالية وهي كتاب ارسلهُ من الاستانة الى بعض الفضلاء في مصر : قال)

كتابي الى السيد الاجل وانا احمد الله اليهِ . وادعوهُ ان يديم النعمة والسلامة عليهِ . وبعدُ فلما اعتزمت على الرحلة هذا العام . الى قبة السلام . ودار خلافة الاسلام . وفارقت مصر وساكنها . وارباضها ومواطنها . ركبتُ سفينة عَدَوْليَّة[١] . الى الثغور الفرنجية . فسرت في خضم عجاج . ملتطم الامواج . له دويّ . من جرجرة الآذيّ[٢] . أخضر الجلد . كانهُ إفرند . تصطخب فيهِ النينان[٣] وتجري في جوفهِ الدعاميص والحيتان . اذا مازجهُ الاصيل بالعشي . خلتهُ كُسِرتْ عليهِ الحُلي . او مُزِج بالرحيق القطربُلي . وان لاحت بهِ نجوم السماء . خلتهُ صفائح من فضة بيضاء . سمرت بمسامير صغار . من نضار . وأَخذت السفينة تشق عُبابه . وتفلق حَبَابه . بين ريح رُخاء . او زعزع هوجاء . فهي تارة في طريق معبَّد . وميث مسرَّد . وطوراً فوق حزن وقردد . او على صَرح ممرَّد[٤] . وكان معنا في الفلك . رهط من العرب والترك . فكنا نتوارد معهم في جوائب[٥] الاخبار . وطرف الاحاديث والاسمار . ما يزري بالمنهل العذب . واللؤلؤ الرطب . الى ان يميل ميزان النهار . وتغرق ذكاء[٦] في البحار . ويمسي الكون من السواد . في لبوس[٧] حديد او لباس حداد . وتبرق نجوم السماء . في اكناف الظلماء . كانها سكاك دلاص . او فِلق رصاص . او عيون جراد . او جمر في خلال رماد . او درّ في بحر او ثقوب في قبة الديجور . يلوح منها النور . ويبدو الهلال كانهُ خنجر من ضياء . يشق طيالس الظلماء . او قِلاده . او دُملج غاده . او سِنان لواءُ الضراب . او الليل فيلٌ وهو ناب . فنأخذ مجلساً نسيمهُ الكافور . وارضهُ عنبر مذرور . رقمت فيهِ زرابيّ مبثوثات . ومنابذ وحُسبانات[٨] . وأَنماط مفروشة . وبُسط منقوشة

بسطٌ أجاد الرسمَ صانعها وزها عليها النقش والشكلُ

---

(١) نسبة الى قرية عدولى بالبحرين وقد وردت في شعر طرفة

(٢) الموج (٣) جمع نون الحوت (٤) مرَّد البناء ملسهُ (٥) الاخبار الطارئة (٦) علم للشمس

(٧) اللبوس الدرع (٨) السهام الصغار

فيكاد يُقطف من أزاهرها ويكاد يسقط فوقها النخلُ

وحولهُ شموع تزهر . وأضواء تبهر . وقد دارت عليه سقاة كنجاعِ الثريا . بأقداح الحُميا وأكواب القانيذ المُروّق . وقوارير الجلاّب المُصفّق . ثم تجيء قينة في يدها ناي كانهُ صور اسرافيل يحيي الرُفات . وينشر الاموات . حتى اذا بدا الضياء . كابتسام الشفة اللمياء . دخلنا المضجع . لنهجع . وهلمّ جرًّا . في أيامنا الأخرى . الى أن وطئنا ارض القوم . بعد ثلاثة أيام وبعض يوم . فلما اضحت مرأى عين . كبرنا تكبير ابن الحسين

كبّرتُ حولَ ديارهم لما بدَت منها الشموس وليس فيها المشرقُ

وراقنا ما رأينا من عمران وحضارة . ورفهنية وشارة . وزراعة وصناعة وتجارة . وضخامة سلطان . وعظم بنيان. وجوادٌ . كالأودية بين الأطواد . وكأنما الناس في المدينة . احتفلوا ليوم الزينة. أوهم لكثرة الحركة . منهزمو معركة . فهم غادون . ورائحون . زرافات ووحدانا اناثا وذكرانا . وقد لبثنا في تيك البلدان . هنيهة من الزمان . نتقلب في جنباتها . ونتنقل في انحائها وجهاتها . الى ان قدمنا القسطنطينية . ايوان الخلافة الاسلامية . وعش الدعوة المحمدية . فاذا النعيم والملك الكبير . والجنة والحرير . واذا بقعة . أطيب الارضين رقعة . وامرعها نجعة . وقد اعتلت منائرها في الفضاء .وحلقت قصورها بالسماء . فلبست اردية الغيوم. وتقلدت عقود النجوم . ولاحت مقاصيرها البيضاء . في أكنافها الخضراء . وجرى بينها خليج الماء . فكأنها النجوم والمجرة والسماء . واكتظّت نواحيها بالآثار . وحشدت بالجوامع الكبار . وناهيك بأيا صوفيه . وما ادراك ما ايا صوفيه . هو بنيّة . تعلوها شرفات عليّة . وقبة ضخمة جوفاء . كأنها قبة السماء . وأرض تلك البنية كالماوية . من مرمر الأق .ذي بصيص براق . وفيها دعائم كل دعامه . كالحق استقامة . وبها محاريب وحنايا . واقبية وزوايا . ومنبر كأنه أريكة سلطان . في الخورنق أو غمدان . هذا وقد نزلت من كنف امير المؤمنين . وخليفة رب العالمين . في دار السعادة . ومشرع الفضل والجادة . ومطلع الجود . وفلك السعود . وحظيرة النعم . ومشعر الهمم . واقمت ضيفاً عند السيد السند . الهبرزي النضد. تاج آل محمد السيد فلان . في عصابة. من الصوّاية لا عيب فيهم غير انهم يُنسون الغريب وطنه . وحامتهُ وسكنه . لهم اعراق عربية . واخلاق هاشمية . وحماس وسماح . كالماء والراح . ولم اكد ألقي العصا وتستقر بي النوى . حتى جاء في سلام من امير المؤمنين . خلتهُ السلام الذي ذكرهُ الله في قولهِ ادخلوها بسلام آمنين. وقد لقيت ثمة خلانًا فرأيت حكمة يونان .ودهاء هامان . في جبة وقباء . وعمامة عجراء . وما زلت القلب في تلك الميطان . بين قصر و بستان . ومسجد

وميدان . وأتأمل المُشرق من غرائب المشرق والمُغرب من عجائب المغرب . الى ان عنَّ لي الخروج . الى مرج من المروج . يقال له (البَندلَو) قد أينع بالزهر . والظل والشجر . فقدم لي جواد اشقر . كانه قطعة ذهب . أو جذوة لهب . وكانما يجني من عطفه الورس . او كُسفت في أديمه الشمس . أو ضُرِّج بالملاب . أو دُهن بالزرياب . يطير بلا جناح . كأن قوائمهُ أربع الرياح . اذا أُطلق في الليل وظُلمته . فقد اشعلت الجمرة في فحمته . صريحي سميم . أجش هزيم . سليم الشظى . عبل الشوى . محدَّد الآذان . مستضلع الزفيان . كأنهُ في الميدان . قازفة الشؤبوب ذي الهطلان . فسرت عليه الى ذياك المكان . فاذا فردوس العالم . و بستان بني آدم . والروضة المخضلة الربا . المعتلة الصبا . المشرقة الارجاء والربى . وقد كُسيت سرَق الفرند وقزّه . وخزّه و بزه . وزهت بالورد والاقحوان . والعبهر والريحان . وجرى الماء . بين تلك الاوداء . كأنهُ في صفو الدمعة . لسان الشمعة . أو هو بلور مذاب . أو نصل قرضاب . او سلاسل فضة بيضاء . أو حية عرماء . في وسواس خفي . كجرس الحلي . وهو يتحدر من أنجاد . الى قيعان ووهاد . بين خمائل وغياض . وجداول وحياض . ويتكسر . فوق حصباء كالجوهر . و يلتوي كالسوار . بمعاصم الاشجار . وقد سجعت غريدة البان . بين الاماليد والخيطان . باشجى من اسجاع البلغاء . وقوافي الشعراء

والطير في أرجائها عصائب وزمرٌ قد عَلقت غصونها كأنهنَّ ثمرُ

وهمى الدجن بالرذاذ . من سماء كالملاذ . وتلاه مطر . كحبات الدرر

ورقَّ الجوُّ حتى قيل هذا عتاب بين جحظة والزمانِ

ونسيم يُبشر الارض بالقطرِ كذيل الغلالة المبلولِ

ووجوه الرياض تنتظر الغيثَ انتظار المحب رجع الرسولِ

وكأن بين الخضراء والزرقاء . معركة شعواء . فالوبل نبل . والقنا اسل . والبروق ظبًا وأسنة . وفي كل غدير جُنة . وقد خطرت في تلك البطاح . تحت الشجر الدوَّاح . بين الشقيق والاقاح . اسراب الغزلان . والرعابيب الحسان . من كل غرَّاء فلجاء . خدلجة دعجاء . فينانة لفاء . بضة جيداء . في وجه كالوذيلة . وخدٍ كالجليلة . وقوس حاجب . كأنهُ قوس حاجب . وشعر كالليل . او اذناب الخيل . وثغر اشنب . كانما ذرَّ عليه الزرنب . وثنايا غرّ . ذات اشر . ومبتسم برد . وشفاه كأنها ورق الورد . وعينين . كسيفين في جفنين . أو سهمين في قوسين . وأنامل صغار . كانها صف مدار . وقد كالرمح . وفرق كالصبح

حسن نراه ولم يكن من قبل الا في مخيلة شاعر أو كاتب

فقضينا هناك يوماً من الأيام · خيراً من الف عام · ثم عدنا · الى حيث كنا · وبعد ذلك بأوقات · حظيت بمعرفة سيد السادات · وسميذع آل عبد مناة · السيد الامجد التقي النقي العربي الابي السيد فلان · فاذا سيد همام · وهزبر ضرغام · وجحجاح قمقام · رفيع العماد · كثير الرماد · رحب الصدر رحب الفؤاد · كريم الضريبة والخليقة · طيب النحيزة والسليقة · كأن بني آدم عتبوا فاعتبهم به الدهر · أو أنهم ذنب وهو لهم عذر · قد صرفت اليه وجوه الامل · وضربت عليه قبة أطنابها السبل · عريق المنبت والبيت · ليس فيه لو ولا ليت · معطاء شريف · يرى ان شقاً في باطن البرة قسم بينه وبين الضعيف · ربط الاجماع على فضله وعقد · ولو طلب درهم لم يخرج منه في عطاء ما وجد · أياد قتلن دفراً والدهم بالفواصل · فأم دفر وأم الدهم ثاكل · فصيح اللسان · كأن مقوله عضب يمان · بليغ الكلام · بليغ النظام · قريض كاللآل · كل بيت شعر له خير من بيت مال · وكل مصراعي بيت في البيان · مصراعا باب قصر في الجنان · كلم ما نطقته قراضية نجد في اكلائها · ولا شعراء هذيل في أودائها · ولامقاول حمير وقحطان ولا أقيال ثقيف وغسان · عليم بأسرار السياسات · خبير بتصريف الدول والامارات · يسير الى الغرض الاقصى · بسير لا يرى · كما جازت ذكاء من المشرقين الى المغربين · بسير لاتدركه العين · سيد لايشبه بالكاف وكأن · اذ لم يشبهه احد في الزمن · فمن أويس · ومن الأحنف ابن قيس · ومن سحبان · ومن خالد بن صفوان · ومن الاصمعي · ومن الاكثم بن صيفي · ومن كعب في الكرم وابن عادياء في الذمم · ومن ابن ماء السماء · ماء ولا كصداء

محاسن من مجد متى تقرنوا بها محاسن اقوام تكن كالمعايب

سليل نسب ضخم · وحسب فخم · وعرق هاشمي · ومنصب عاري · وآباء جحاجح · زهر مصابيح · هم سراة البيت والحرم · حماة الإل والذمم · أباة الضيم والحيف · قراة النزيل والضيف · هذا وقد كان فاتحة الالطاف بعد هذا المطاف · رؤية امير المؤمنين سلطان سلاطين الاسلام · وبرهان الاساطين العظام · والمثول في حضرته · بين تخته وسدته · فشملني من احسان الوفادة · واجزل الرفادة · والأيادي البيضاء · والمراتب القعساء · ما لا يفي به ثناء ودعاء · فأي در انثر واي شكر اذكر · ولو أعطيت لسن الأخطل في بني مروان · وزهير في هرم بن سنان والنابغة في النعمان · وحسان في آل جفنة وغسان · لما وفيت حق التمداح والشكران

فهذه ايدك الله لقطة عجلان · وانموذج لما قد كان · حتى اذا يسر الله بالاوبة · من الغربة · قصصت على السيد الرئيس من مغربة الاخبار ما لم يروه جوابة الاقطار · ومن عجائب هذه الاسفار ما ينسيه عجائب الاسفار · والسلام عليه ورحمة الله

رواية تنكرد

تمهيد للمترجم

اقترح علينا غير واحد من قرّاء المقتطف ان ننشر فيهِ رواية فكاهية تهذيبية يستفيد منها الخاصة والعامة ويرتاحون الى مطالعتها. فرأينا ان نجيب هذا الطلب من غير اختصار في المقالات والنبذ الفلسفية والعلمية ونحوها مما ينشر في المقتطف وذلك بان نزيده ست عشرة صفحة كل شهر لهذه الغاية. وغنيٌّ عن البيان ان تأليف الروايات كنظم الشعر ورسم الصور متوخوه كثار جدًّا ولكن النابغين فيهِ قلال. واذا كان المرء مختارًا فخليق بهِ ان يختار الافضل من كل شيءٍ. ونحن اذا ترجمنا المقالات العلمية والفلسفية عن الاوربيين والاميركيين اخترنا مقالات اشهر علمائهم واكبر فلاسفتهم واقتصرنا منها على ما لهُ الوقع الاعظم عند اهلهِ. وهذا يجب ان يكون شأننا في الروايات ولذلك اخترنا لهذا الجزء والاجزاء التالية رواية من ابلغ ما كتبهُ نابغة الكتَّاب دزرائلي لورد بيكنسفيلد الذي فتن العقول ببلاغة انشائه كما اختلب الالباب بسياستهِ ودهائهِ. وهي رواية تنكرد Tancred المشهورة في اوربا واميركا. وسيرى القراء عند مطالعة فصولها انهم في حضرة وزير خطير بل حكيم كبير يتلو عليهم آيات الحكمة ويرشدهم الى مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب. وسنبذل الجهد في التعبير عن معاني المؤلف بالفاظ معروفة وتراكيب مألوفة لكي لا تضيع الفائدة على احد ولو كان من عامة القراء. ولا نهمل منها الاَّ بعض فصول هزلية او انتقادية ادمجها المؤلف في روايتهِ لتفكيه القراء وانتقاد بعض خصومهِ في السياسة ويتعذر فهمها لو نقلت الى العربية لارتباطها باحوال غير مألوفة عندنا واناس قلما يعلم شيءٌ من امرهم. وسننشر من فصول الرواية في كل جزءٍ ما تتم بهِ الفائدة ويحسن السكوت عليهِ الى ان يصدر الجزء التالي ونعلق عليها من الحواشي ما تمسُّ الحاجة اليهِ. وقد فضلنا الترجمة على التأليف الى ان يتيسَّر لنا وضع رواية تفي بما نتوخاهُ

الفصل الاول

كان دوق بلامُنت في الطبقة الاولى بين امراء الانكليز من حيث مقامهُ وثروتهُ ونسبهُ ولم يكن جدُّهُ من الامراء ولكن وريثة بيت منتكيوت دوق بلامُنت احبتهُ واقترنت بهِ فاقتبس

اسمها ولقبها[1] وكان مقداماً عالي الهمة ولما آلت اليهِ اموال زوجتهِ وثروتها الوافرة زاد همةً واقداماً فعزم ان ينال القاب آل زوجتهِ كما نال ما لهم من الاموال والاملاك. وكان الزمان مساعداً لهُ لانهُ تزوَّج وقت الحرب الاميركية وكان نائباً عن بلدهِ في مجلس النواب ولهُ فيهِ خمسة اصوات تحت امرهِ عدا صوتهِ فعضد بها الملك ووزراءهُ ولولاهُ ولولا هذه الاصوات لانقضت الحرب بين انكلترا ومستعمراتها حالاً. فانعم عليهِ الملك بلقب ارل بلامنت وفسكونت منتكيوت (وهما من الالقاب التي كانت لآل زوجتهِ)

والغالب ان الارتقاء في رتب المعالي لا يتيسَّر كلهُ للرجل الواحد بل يبلغ منهُ زيد نصيباً ويأتي ابنهُ فيزيد عليهِ لكن ارل بلامونت هذا ولد ونجمهُ في سعد السعود فلم يكن الا قليل حتى نشبت الثورة الفرنسوية على اثر الحرب الاميركية وكانت نتيجة عنها فمهدت لهُ السُبل لزيادة الارتقاء لان الوزير بت[2] اضطرَّ الى معونتهِ فجاد لهُ بها مشترطاً ان يُمنح كل ما كان لآل زوجتهِ من الرتب والالقاب. وشقَّ على الملك ان يجود عليهِ بها حاسباً انها حقٌّ شرعي لآل البيت انفسهم فيعطيها لابنهِ لا لهُ بحق الارث من امهِ ثم اضطرَّ ان ينقاد الى رأي وزيرهِ ومنحهُ كل تلك الالقاب فصار دوق بلامنت ومركيز منتكيوت وارل بلامنت وداكر وفلوري الا انهُ منع عنهُ وسام ربطة الساق[3]

وكان هذا الدوق وزوجتهُ من اجمل الناس خلقاً واكثر الازواج تحاباً وولد لهما ولد واحد فتزوجاهُ حالما بلغ سن الرشد لكي يولد لهُ اولاد يرثون تلك الرتب والالقاب. والمرجح انهما لو لم يتسرَّعا في تزويجهِ لكان ذلك ادنى الى نيل ما تمنياهُ. فولد لهُ ولد واحد وهو دوق بلامونت الحالي وقد ورث الذكاء عن جدهِ والدعة عن امهِ ولكن كانت تعوزهُ الهمة واصالة الراي وكان ابوهُ يكرههُ ويغار منهُ فيشدد النكير عليهِ لاقل سبب او لغير سبب وهو يقف امامهُ متلجلجاً لا يحير جواباً ولا يبدي عذراً ولو لم يكن ملوماً في شيء. ثم اذا خرج من حضرتهِ لعن الساعة التي ولد فيها ضعيف الحجة قليل الكلام يُهضَم حقهُ وحق امه فلا يجادلة الدفاع ولو لا ذلك لدافع عنها وعن نفسهِ. والغالب ان من كانت هذه حالهُ تشكس

(١) الشائع عند الانكليز ان المرأة تترك اسم عائلة ابيها وتسمى باسم عائلة زوجها فاذا كان اسم عائلة ابيها سمث واسم عائلة زوجها هوَرد سميت مسز هورد او لادي هورد او كونتة هورد او دوقة هورد حسب مقام زوجها ولكن اذا كانت هي الوريثة الوحيدة لبيت ابيها فلا يبعد ان يترك زوجها اسم عائلتهِ ويسمى باسم عائلتها اذا اشترطت عليهِ ذلك

(٢) هو الوزير وليم بت من اعظم وزراء الانكليز ولي الوزارة في اواخر القرن الماضي

(٣) هو من اسمى وسامات الشرف في البلاد الانكليزية

اخلاقهُ وتفسد آدابهُ اماهو فبقي على دعتهِ وعفتهِ .وتوفيت امهُ قبلما بلغ اشدَّهُ فوقع موتها عليهِ اعظم وقع ولم يشاركهُ ابوهُ في حزنهِ ولا حاول تعزيتهُ بل اخذ يبذل جهدهُ في اهانتهِ وتحقيرهِ ومنعهُ من الظهور بين الناس ومنع عنهُ المال اللازم لنفقاتهِ وكان قصدهُ ان يتزوج امرأة اخرى وينقل الارث الى نسلها . ولو فعل ابنهُ مثل غيرهِ من اولاد الامراء لاستدان من المرابين واحالهم عليهِ فابتزَّ منهُ الاموال غصباً ولاهانهُ باتخاذ الخطايا وخدعهُ في سباق الخيل وختلهُ في الانتخابات العمومية لمجلس النواب . هذا ما يفعلهُ كل عقوق من اولاد الامراء لكن هذا الشاب لم يكن منهم ولا اراد الجري في خطتهم لدعتهِ وانفتهِ فانهُ كان يحسب ان ابن منتكيوت يجب ان يترفع عن الدنايا وقد نسي ان جدهُ لم يكن من هؤلاء القوم بل هو دخيل فيهم لكن الناس نسوا ذلك على ما يظهر فنسيهُ هو ايضاً وباهى بالشرف الذي نالهُ جدهُ كأنهُ من بيت منتكيوت الذين ورثوا المعالي كابراً عن كابر مدة سبعة قرون . وصبر على الضيم صبر الكرام ولسان حالهِ يقول

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنا ركوب الجنازه

نعم الموت خير من الوقوع في ايدي المرابين وشراك الغواني والختل والمخادعة . ولما رأى ان لا منجاة لهُ من كره ابيهِ ولا معزي عن حزنهِ على امهِ لجأ الى تعزية الحب فاحبَّ ابنة خالهِ وهو من امراء الانكليز ايضاً دارهُ في شمالي ارلندا حيث لا سبيل الى الملاهي لكن طبيعة البلاد تفرج الكروب .وكانت هذه الفتاة واسمها كاترين على جانب عظيم من الجمال فاحبتهُ واحبها وعطف عليهِ خالهُ وزوجتهُ لما رأيا اقصاء ابيهِ لهُ

وطلب من ابيهِ ان يأذن لهُ في تزوج ابنة خالهِ فانكر عليهِ ذلك لانهُ كان يكره عائلة زوجتهِ ويود ان يبقى ابنهُ عزباً لكي يتزوج هو و ينتقل اسمهُ والقابهُ الى نسل زوجتهِ الثانية . الأ ان الحب يقوي الهمم الضعيفة و يذكي الفؤاد الخامل فعزم هذا الولد ان يقترن بابنة خالهِ رغماً عن ابيهِ وبينما هو يدبر التدابير لذلك جاءهُ نعيُ ابيهِ وكان يحسب انهُ يعمَّر عمر نوح لصحة جسمهِ وجودة بنيتهِ فصار دوق بلامنت ومركيز منتكيوت الى غير ذلك من الالقاب في ساعة واحدة وكان غض الشباب كما تقدم قليل الخبرة الأ انهُ كان كبير النفس دقيق النظر حسن الخيال وكان يحسب امهُ مثالاً للطهارة والكمال ويحب ابنة خالهِ لانها تشبهها فقال في نفسهِ ان رزقني الله مولوداً كفرت عن سيئات ابي اليَّ بعطفي على ولدي

واقتنع مما رآهُ في احوال اهل زمانهِ ان معيشة اهل السيادة والجاه مشحونة بالطيش والختل والشر والجهل فعزم ان يجتنبها بكل جهدهِ وساعدهُ على ذلك ما رُبي عليهِ من الزهد

والابتعاد عن الناس . وكان شديد الشعور بما يجب عليهِ لملكهِ وبلادهِ لكن الزمان كان زمان سلم وسكينة فلم تدعهُ الحال الى اظهار ما يكنهُ فؤادهُ من الشعائر الوطنية ولذلك قصر همهُ على الاهتمام باملاكهِ الواسعة ووجد في ذلك راحة وسلوى فتدمثت اخلاقهُ وجلي صدأ الهموم عن نفسهِ فصار بشوشاً انيس المحضر كانهُ كان يقتدي بالطبيعة في بهجتها. واحبهُ رجال ايالتهِ (٤) واقاموا على ولائهِ . وكانت هذه الايالة كبيرة غنية مثل مملكة من الممالك الاوربية الصغيرة فيها القصور الباذخة والقلاع الحصينة والناس فيها قيام على خدمتهِ لا يطلب شيئاً الاَّ جاءوه بهِ . لكنهُ لم يكن من اهل العُجْب والطيش فلم يستخفهُ منصب ابيهِ ولا ابطرتهُ هذه النعمة بعد ان كاد يُحرم منها كانهُ لم يذق الفاقة ولا خبر الاقصاء . وجرت زوجتهُ مجراهُ في ذلك بعد ان رضيت بهِ زوجاً لها وهي تحسب ان اباهُ سيحرمهُ من ميراثهِ . وكانت من اجمل نساء عصرها نحيفة القد بشوشة الوجه تلوح على محياها امارات الذكاء المفرط وعلى فمها دلائل الحزم وسداد الراي . وكانت من قوم لا تأخذهم الاهواء خبروا الامور واقرّوا على راي فيها لا يحولون عنهُ ووضعوا لاعمالهم واحكامهم قواعد لا يتعدونها. فجعلت همها مطالعة الكتب التي تؤلف في نصرة مذهبها تزيد به تمسكاً عن اخلاص لا عن تعصُّب وعن عقل لا عن هوى وهذا كان شأنها في كلّ الامور تصلُّب في الراي وعدل في الحكم اعتزاز بالمناصب وتحمُّل للمتاعب وبغيتها كل ما يأول الى مجد الله وخير القريب

وواضح مما تقدَّم ان دوق بلامنت وجد في زوجتهِ كل ما كان يتمناهُ من الزواج . وكانت هي فوق ذلك تشمئز من اهل القصوف الذين كانوا يتوددون اليها لتنتظم في سلكهم فكانت تقيم هي وزوجها في قصر منتكيوت اكثر السنة يهتمان بشؤون ايالتهما هو في تنظيم الاحكام وادارة الاملاك والصيد والقنص وهي في انشاء المدارس وتوزيع الصدقات ومقابلة الزوار ومطالعة الكتب وزرع الازهار والرياحين ثم اذا اجتمع مجلس الاعيان اضطرَّا ان ينزلا الى مدينة لندن ولهما فيها قصر بلامنت وهو من افخر القصور واوسعها داراً فيفتحانهِ للولائم الفاخرة يدعوان اليها امراء الانكليز من ذوي قرباهم واعيان البلاد الذين لهم منازل في المدينة . ويولمان وليمة فاخرة كل سنة لبعض امراء الاسرة المالكة ويُدعوان للطعام في قصر الملك ولا يخرجان ليلاً الاَّ لدعوة فيهِ واذا دعيا الى مكان آخر اعتذرا عن الذهاب اليهِ ولذلك لم يكن اهل لندن واعني بهم جمهور الامراء والكبراء واهل الرفاهة والترف يعرفون من امر دوق بلامنت وزوجتهِ سوى انهما ينزلان الى قصرهما في المدينة وقت اجتماع

(٤) الايالة (كونتي) بلاد مستقلة في احكامها الداخلية يحكمها الدوق او الكونت

البارلمنت ويقيمان فيهِ نحو ثلاثة اشهر وان لهما قصراً في ايالتهما من اعظم القصور التي تباهي بها البلاد الانكليزية ولكنهم لم يجتمعوا بهما في وليمة ولا رأوهما في مرقص

وولد لهذا الدوق ولد واحد كما ولد لابيهِ وجدهِ كأَنَّ في ذلك البيت ناموساً طبيعياً يقضي عليهِ بان يكون اولادهُ فرادى . ومن حين وُلد هذا الولد انصرف همُّ والديهِ اليهِ كأَنهُ غرضهما الوحيد من الدنيا . فلم يُعتنَ بمخلوق كما أُعتني بهِ من حين ولادتهِ الى ان بلغ سن الرشد . وارسلاهُ والداهُ الى مدرسة إِتُن في حداثتهِ وأَرسلا معهُ معلماً خاصا ليعتني بهِ لكن فشت لحمى القرمزية في تلك المدرسة فأَخرجاهُ منها حالاً . ولما بلغ الثامنة عشرة أَرسلاهُ الى مدرسة كسفرد وكانت امهُ تكاتبهُ كل يوم ثم رأَت ان ذلك لا يكفي فمضت الى اكسفرد هي وابوه واستاجروا داراً اقاما فيها

الفصل الثاني

قال المستر كسل رأيت اسكدايل ذاهباً الى قصر دوق بلامُنت لان الاستعداد عظيم هناك احتفالاً ببلوغ ولدهِ سن الرشد . فهل يعلم احد شيئاً من امر هذا الولد

وقال المستر ارمسبي كم دخل(٥) ابيهِ في السنة

فقال اللورد فتزهرن يقال انهُ غير مديون

وقال اللورد ملفورد لا شبهة في ذلك وعندهُ كثير من النقود ايضاً لانهُ لا يفعل شيئاً

فقال لورد فالنتين انهُ يفعل كثيراً في ايالتهِ

فقال لهُ لورد ملفورد اني لا احسب ذلك شيئاً وانما غرضي انهُ لا يلعب فلا يراهن ولا يقامر ولم يعمل شيئاً يذكرهُ الناس

فقال لورد فالنتين هو ذو قرابة لي ونحن ذاهبون لنحضر الاحتفال ببلوغ ابنهِ سن الرشد لاننا من جملة المدعوين

فقال لهُ احد الحضور اذاً اخبرنا شيئاً عن هذا الولد . فاجابهُ اني لم ارهُ قط ولكن امهُ اخبرت امي انها لم ترَ منهُ في عمرهِ كلهِ ما اغاظها . فضحك الحضور كلهم لما قال ذلك وقال المستر ارمسبي انهُ سيعوَّض عمَّا فات . وقال لورد ملفورد لا احد يتورَّط في الورطات الكبيرة مثل الولد المدلَّل . تعال بهِ الى هنا يا فالنتين لكي يتعلم ما ينقصهُ علمهُ

---

(٥) الدخل ما دخل عليك من ضيعتك وهذا هو المعنى المراد هنا

فقال ان مضيت الى هناك عرضت عليهِ طلبكم

فقال كسل لماذا تقول "ان مضيت" فان ما يشاهد هناك في مثل هذه الحال يستحق الذهاب لانهم يشوون الثيران وهي حية ويلبسون الاسلحة القديمة ويخرج بنات القرى ويتسابقن كأنهنَّ في ملعب

فقال لورد فتزهرن أحدثَ مثل ذلك وقت بلوغك

فقال نعم وقد احتفلت بهِ في بريطن وكان الملك حاضرًا وكان لم يزل نائبًا فشرب نخبي وخطب خطبة لها اول وليس لها آخر وكان ابوك هناك فاسألهُ عما جرى ولكن النكتة ان ابي كتب اليَّ بعد ايام يقول انهم احتفلوا ببلوغي في البيت ويلومني لانني لم احضر ثم وجدت انني انا احتفلت ببلوغي سن الرشد في غير يوم ميلادي

فهل اخبرتهم بذلك

كلاَّ خوفًا من ان يحتفلوا بهِ مرة ثالثة

فقال لورد ملفورد اظن دوق بلامنت صارمًا وهذا شان كل اب لم يعوزهُ المال

فقال لورد فالنتين كلاَّ بل هو رجل ظريف على ما يقول اهلي اما انا فلا اعرف شيئًا من امرهِ لانهُ لا يخرج من قصرهِ

وقال لورد ملفورد وانا ايضًا لم ارهُ ولا رأيت اهلهُ فهل عندهم بنات

فاجابهُ واحد كلا

فقال هذه مصيبة فانهُ لو كان عندهم ابنة لاعطوها شيئًا من الميراث كما هي العادة غالبًا

فقال لورد فتزهرن نعم مثل لادي بلانشي بكرستان فان اباها اعطاها مئة الف جنيه

فقال لورد فالنتين أهذا المقدار وهي من الجميلات ايضًا

وقال لورد ملفورد اخطأت في تقدير المبلغ لانني بحثت عن ذلك بالتدقيق فوجدت انهُ لم يعطها سوى خمسين الف جنيه

وقال ارمسبي يجب ان تنصفوا المبلغ دائمًا في مثل هذه الحال

فقال لهُ لورد ملفورد اذًا دخلك عشرون الف جنيه في السنة يا ارمسبي لان الناس يقدرونك باربعين الف جنيه

فقال ارمسبي لا بدَّ لنا من ان نكثر مكاسبنا في هذا الزمان لانهُ ما دام مثل دوق بلامنت امامنا فنحن الصغار لا نبين الاَّ بدراهمنا

فقال لهُ لورد ملفورد تعال اخبرنا كم تدفع للحكومة كل سنة على دخلك فانهُ يقال ان

السر روبرت(٦) خجل لما اطلع على ما تدفعهُ وقال انه نهب

فقال ارمسبي اراكم ايها الشبان لا تتكلمون الاَّ عن المال . يجب ان تهتموا بامور اسمى من ذلك

فقال لورد فتزهرن ترى بمَ يهتم لورد منتكيوت(٧) في مثل هذا الوقت

فقال كسل لا يهتم باحد لان كثيرات يهتممن بهِ فيجب عليكم ان تتيقظوا والاَّ غلبكم

فقال لورد ملفورد انا افتش عن واحدة غنيَّة فلا خوف من ان يناظرني لانكم تقولون انهُ لا يهتم بالمال

وقال لورد فالنتين وانا لا اتزوج الاَّ بواحدة تحبني واحبها فلا اخاف من مناظرتهِ

فقال ارمسبي اذا كان هذا الشاب لا يطلب ابنةً غنية فالابنة الغنية تطلبهُ ولا تزال تجدُّ وراءهُ حتى تجدهُ وهي مثل البرطيل يرفضهُ الانسان اول مرة بانفة ولا يمضي الاَّ القليل حتى يقبلهُ و يصير يطلبهُ

فقال لورد فالنتين ليس اقبح من ان يتزوج الانسان لاجل دراهم زوجتهِ وهو في غنىً عنها

الفصل الثالث

حراج مُنتكيوت اسم يطلق على بلاد واسعة الارجاء سابغة النعماء كانت حراجاً فقُطعت اشجارها وردمت اغوارها . وزرعت بقولاً وحبوباً . ومرعًى خصيباً . فترى فيها الرياض الاريضة . والزروع الغضيضة . بينها القرى والدساكر كانها اللآلئ نثرت على بساط من الديباج . ووراءها آكام تنطاح السحاب تغطيها الاشجار الغبياء من بقايا الحراج . وقد صالحت يدُ الصناعة يد الطبيعة فيها فمهدت شجونها وسهلت حزونها . وابقت على معاهد الظبي ومسارح الغزلان . وجعلتها منتجعاً لابن آدم ومنتزهاً لطالب السلوان . تراك جاززها فترمقك بمقلة كحلاء وتشرف عليك ايائلها كانها ملوك رابها امر الدخلاء

وفي وسط هذه الرياض بلد يموج بالسكان وهم دئبون على العمل فمن رجل يسوق مركبتهُ ومن امرأة تحمل سلتها والبيوت كبيرة من الحجر النحيت والشوارع رحبة مرصوفة بالبلاط الصقيل وبينها كنيستان فخيمتان احسن البناؤن رسمهما واعلوا منارهما احداهما قديمة العهد والاخرى بناها

---

(٦) هو السر روبرت بيل الوزير الانكليزي الذي فرض على كل انسان ان يدفع للحكومة مبلغاً معيناً من دخله السنوي

(٧) هو ابن دوق منتكيوت لان بكر الدوق يلقب لورداً الى ان يرث اباهُ

الدوق الحالي وبنى ايضاً منتدًى لاجتماع السكان وانشأَت زوجتهُ دارًا للخطب العلمية والادبية وساحة كبيرة جرّت اليها ينبوعاً غزير الماء . وترتفع الأرض رويدًا رويدًا عند طرف هذا البلد الى ان تصل الى اكمة عالية عليها قصر منتكيوت بابراجهِ الشاهقة ودورهِ الفسيحة وهو مبانٍ فخيمة بنيت في قرون كثيرة من ايام الملوك القدماء تكتنفها الحراج والرياض وتطوف بها الغزلان والاراوي الى ان تجيء الى الحدود الفاصلة بين هذه الايالة وغيرها من ايالات بريطانيا

وحدث ذات يوم والشمس في الحمل ان الدوق كان جالساً في غرفتهِ والقلم في يدهِ وزوجتهُ واقفة اما مهُ وهو ينظر اليها بوجه ملؤهُ بهجة وحبور وهي تضع يمينها تارةً على كتفتهِ وطورًا على ظهر كرسيهِ وفي يسارها منديل تمسح بهِ دموع الفرح من عينيها

ثم قالت "هذا اكثر مما كنت انتظر"

فقال الدوق " نعم وقد فعل ذلك على احسن اسلوب "

فقالت " الاجدر بنا ان لا نخبر ولدنا الآن لئلاَّ يغلب عليهِ الفرح "

فقال "احسنتِ يا عزيزتي بل نبقيهِ الى ما بعد الاحتفال "

فقالت " ارى يا حبيبي اننا اوتينا من السعادة اكثر مما نستحق "

فنظر اليها وقال وهو يتبسم اما من حيث الاستحقاق فانت تستحقين اضعاف هذه السعادة . ثم عاد الى كتابة الكتاب الذي كان يكتبهُ جوابًا لخطاب ورد عليهِ من المستر هنجرفرد وقد قال فيهِ " ان لورد منتكيوت قد بلغ سن الرشد الآن فصار يمكنهُ دخول البارلمت ولذلك فانا اترك لهُ منصبي فيهِ عن طيب نفس وقد قبلت هذا المنصب قبلاً اكراماً لسموكم اما وقد بلغ نجلكم سن الرشد وصار يمكنهُ ان ينوب عن ايالتهِ في مجلس النواب فانا وكل اهل الايالة نعتقد انهُ الرجل الجدير بان ينوب عنا . هذا فضلاً عن اننا نود دخول الشبان ليقوى بهم مجلس النواب "

ثم قال الدوق ما احسن اسلوب هذا الرجل في عرضهِ هذا المنصب على ابننا

فقالت زوجتهُ نعم وهذا صدى ما فعلتهُ انت معهُ فانك عاملتهُ احسن معاملة كما يعترف من فيهِ شأنك في كل معاملاتك مع الناس

فقال نعم وما كنت اريد ان يتنحى عن منصبهِ الأ عن طيب نفس لانهُ هو وعائلتهُ من افاضل الناس . ويسوءُني جدًّا ان اراهم يسلمون هذا المنصب لابني وهم غير راضين بذلك تمام الرضى

فقالت يظهر انهم كلهم راضون بذلك أَلا ترى ما يقولهُ لك في كتابهِ . وانا اوافق

هذا الرجل على قولهِ ان ابن منتكيوت هو الرجل الجدير بان ينوب عن هذه الايالة في مجلس النواب ولو لم يتنحَّ لهُ عن هذه النيابة لرأى من نفسهِ انهُ بخس ابننا حقهُ

فقال الدوق ان من كان مثل هنجرفرد ومن كانت عائلتهُ مثل عائلتهِ قديمة في البلاد لا يرضى من الغنيمة بالاياب ولذلك فقد فعل ما فعل عن كرم اخلاق وطيب اعراق

فقالت زوجتهُ وسنريهِ اننا نقدره قدرهُ فمتى اتى هو وعائلتهُ يوم الخميس القادم نعاملهم مثل اعز اصدقائنا

ثم التفت اليها وقال هاكِ كتاباً آخر من اخيكِ وهو يقول فيهِ انهم آتون كلهم غداً

فقالت زه زه هذا الذي اودّهُ فانني اريد ان يرى ابنا كاترين قبلما يكثر علينا الزوار وانا واثقة انهُ يحبها من اول نظرة وكونها ابنة خالهِ لا يمنع اقترانهما كما لم يمنع اقتراننا

فنظر اليها الدوق وقال هذا اذا كانت تشبهكِ كما تشبهين انتِ خالتكِ امي. فقالت هي مثلي تماماً في الوجه والطبع والقامة

فقال اذاً قد تحققت السعادة لابننا

قالت نعم يبلغ سن الرشد ويدخل البارلمت ويقترن بابنة خالهِ وذلك كلهُ في سنة واحدة. ما اسعد هذه السنة

فقال ولكن لم يتم شيءٌ من ذلك حتى الآن

فقالت الله كريم وسيتم كلهُ ان شاء الله

فقال لا احب ان تتعجل في تزويجهِ

فقالت وانا لا اريد ان يتزوج قبل فصل الخريف في الوقت الذي تزوجنا فيهِ نحن

الفصل الرابع

بزغت اشعَّة الشمس على اقواس النصر وهي موتورة فوق كل طريق واكاليل الظفر وهي معقودة على كل بيت واعلام المجد وهي تخفق فوق كل برج ومنار . وتواصل قرع الاجراس حتى لم يعد المرء يسمع كلامهُ ثم أُطلقت المدافع وعزفت آلات الطرب وتقاطر الناس افواجاً افواجاً فرساناً ومشاة وفي طليعة كل فوج امير على صهوة جوادهِ ووراءهُ كوكبة من الفرسان يموج ريش النعام فوق خوذهم وتتألق سيوفهم على جوانبهم

وكان بعض المدعوين قد وفدوا الى قصر منتكيوت قبل ذلك بايام وفي مقدمتهم اخو الدوقة وزوجتهُ وابنتها لادي كاترين التي خطبتها خالتها لابنها على غير علم منها ومن والديها لتكون

الدوقة الثالثة في قصر بلامنت من بيت ابيها . وهي حريَّة بذلك فان طلعتها كانت تدل على انها مولودة لتتبوأ اعلى مناصب الشرف والسيادة. ثم جاء لورد اسكديل من ايالتهِ المجاورة لايالة منتكيوت وهو ابن خالة دوق منتكيوت وكان الدوق وزوجته يستشيرانهِ في كل امورهما ولا يقطعان خيطاً بغير رأيهِ وهو الذي اشار عليهما بارسال ابنهما الى مدرسة اتن ثم الى مدرسة اكسفرد. وكان الدوق يثق بهِ ثقة تامة ويُعجب بعلمهِ وخبرتهِ وكذلك الدوقة زوجته كانت تثق بهِ لكنها كانت تخالفهُ في بعض الآراء فلا يلجأُ الى الجدال معها بل يجاريها على آرائها او يغضي عن اثبات حجتهِ حاسباً ذلك اقرب الى المسالمة في معاشرة النساء لانهُ كان من ابرع الناس في معاشرتهنَّ مهما كانت طبقتهنَّ. ولم يكن يمضي اسبوع الاَّ ويأتيهِ كتاب من دوق بلامنت يستشيرهُ فيهِ ويطلب رأيهُ في امور اشكلت عليهِ وكان هو يكره كتابة المكاتيب فيجيب الكتاب بنفسهِ اي يأتي الى قصر منتكيوت ويشير على الدوق والدوقة بما يرى فيهِ مصلحتهما . فتراهُ واقفاً امامهما ويداهُ في جيبي بنطلونهِ وهو يصغي الى ما يسردهُ عليهِ الدوق من وصف الامر المشكل وما تقولهُ الدوقة في تأكيد الوصف او تقوية ما رأت ضعفاً فيهِ الى ان يفرغا فيحكم لهما حكماً باتاً بكلمتين او ثلاث يحل بها المشكل ويزيل الريب. وكان يعترف للدوق والدوقة بسلامة الطبع وحسن الطوية والتضلع من المعارف النظرية ولكنهُ كان يحسبهما ولدين في تدبير الامور ويعاملهما مثل ولدين عن حب راسخ في نفسهِ لهما لا عن هوًى وتأَمُّر

وجاء ايضاً لورد فالنتين ووالداهُ واختهُ لادي فلورنتينا وكانت من الماهرات في ركوب الخيل . وكانت امهُ من الجميلات في عصرها اما وقد اذهبت الايام نضارتها فصارت تكتفي بان يقال لها انها سيدة الملاح وربة الازياء ولذلك كانت تتبسم لكل احد ثم اذا انفردت مع زوجها تهكمت على الجميع وشكرت الله لان اللورد اسكديل هناك والاَّ ما وجدت احداً تستطيع ان تتكلم معهُ كلمة. ثم جعلت تشكو من لورد منتجوى وزوجتهِ لانهما على غناهما المفرط لا يعرفان مقامهما فيدعوان الى قصرهما كل احد ولو كان من عامة الناس وزد على ذلك ان لورد منتجوى غير مهذَّب واذا ضحك سمعت قهقهتهُ من اقصى الغرفة وامرأتهُ تقول " يا حبيبي " لكل مَن تكلم معهُ وتظهر اسنانها وهي تتكلم

ثم انتقلت الى دوق كلانرونلد وزوجتهِ فقالت انهما لا يتكلمان الاَّ اللغة الاسكتلندية فلا تستطيع ان تحادثهما وتتبادل الافكار معهما. وانتقدت على المطران انهُ ادرد ومسالم لكل الطوائف فلا يهمهُ مذهب احد. وكان هناك مطران ثانٍ مشهور بعلمهِ وتقواهُ وقد دُعي ليضع يديهِ على لورد منتكيوت ويعلن بلوغهُ سن الرشد وهذا ايضاً انفت منهُ وقالت ان محلَّهُ ليس هناك

وكذلك مركيز همشير لم يعجبها لانهُ يقضي عمرهُ في رئاسة المجامع العلمية والادبية وزوجتهُ مريضة وقد جرَّبت كل انواع الادوية وكلما ظهر دواء جديد جربته واطنبت في مدحهِ الى ان يكتشف غيرهُ فتتركهُ وتستعمل هذا واخيرًا اقرَّت على فائدة العلاج بالماء

وقالت ان لورد هَل لم يزل عزبًا مع انهُ اشيب ويبلغ دخلهُ عشرين الف جنيه في السنة وهو من ابناء الجبال ولو تعلَّم الكياسة واللباقة لكان يصلح زوجًا لابنتها فلورنتينا . وما هي خمس واربعون سنة او ثمان واربعون اذا كان الرجل لا ينام باكرًا ولا يقوم باكرًا وكان يلبس اللباس الفاخر ويعرف كيف يعاشر السيدات ويسرُّهنَّ ولكن لورد هَل جبلي الطبع شائب الشعر يلبس مثل السيَّاس ويجلس على المائدة من غير ان يكلم السيدة التي بجانبهِ فلو نزل الى لندن ستة شهور في السنة وقضى ايام المرافع في باريس وزار حمامات المانيا لتدمثت اخلاقهُ اما الشيب فدواؤهُ سهل ولا يبقى مانع من اقترانهِ بفلورنتينا

ثم التفتت الى بقية الجمع وقالت لزوجها انظر لا يوجد شاب فيهم من الامراء غير ابننا كأن دوق بلامنت لا يعرف احدًا من الشبَّان ولا غرابة في ذلك لانهُ لم يدخل ناديًا في حياتهِ وزوجتهُ لا تعرف احدًا منهم لانها لا تحيي الليالي الحافلة في قصرها ولا تذهب الى ليلة حافلة اذا دعيت اليها . اما بقية الشبان الذين هنا فرفاق الحاشية لا يزيد دخل الواحد منهم على ثمانية آلاف في السنة وهذا ليس مما نراهُ لفلورنتينا . وكانت تراقب الضيوف وهم جلوس على المائدة وامامهم الصفاح والاكواب وكلها من الذهب الابريز فلا ترى احدًا الا عينيها

الفصل الخامس

سرادق نخيم في حديقة القصر فيهِ اكثر من الفي نفس من اهالي منتكيوت وقد مُدَّت لهم مائدة فاخرة وعلى جوانبهِ سرادقات اصغر منهُ مختلفة الالوان كل سرادق منها لقسم من اقسام تلك الايالة وقد ازدحم فيها خلق كثير رجالاً ونساء واولادًا والحجَّاب على الابواب يدعون كل احد ليدخل ويأكل ويشرب من غير حساب ثم يعينون لهُ موضعًا في الوليمة العمومية التالية . وكان اهالي كل قرية يدخلون الحديقة وحدهم وامامهم علَم خاص بهم . وانتظمت الالعاب عند الظهر واشتدَّ طرب الطبول والعزف بآلات الطرب

قال واحد من الخدَم لابيهِ وامهِ واخوتهِ واخواتهِ وكانوا قد اتوا من مكان بعيد لمشاهدة هذا الاحتفال ووقفوا امامهُ مدهشوين من القصب على ثيابهِ ومسرورين بعلو مقامهِ عند سيدهِ "ان الذي ترونهُ الآن ليس شيئًا بالنسبة الى ما يرى في المساء فانكم سترون تاجًا وثلاثة انجم

واربعة بيارق واكليلين وكلها من المصابيح الملونة وترون كتابة على القصر كل حرف منها ست اقدام وهي بالمصابيح ايضاً. وتضرم مئة نار مسافة خمسين ميلاً في لحظة واحدة . اما "السهام والالعاب النارية فمما لم تروا مثلهُ . وقد سمعت انهم . . . ولكن الاحسن ان لا اقول " ثم صمت. فقال لهُ ابوهُ لا احد منا يفتح فاهُ . وقالت امهُ الاحسن ان لا تقول لانني اخاف ان لا تكتم سرًّا . فو بختها بناتها على ذلك وطلبن من اخيهنَّ ان يخبرهنَّ . فقال بصوت منخفض لقد سمعتُ انهُ لم يصر للملكة نفسها احتفال مثل هذا الاحتفال فانهم عازمون ان يشعلوا من الانوار ما تظهر بهِ الارض كالسماء و يظهرون ابن مولانا على سحابة ويدهُ على قلبهِ

فقالت امهُ انا اعرف ابن مولاك قبلما فُطمِ فان امهُ ارضعتهُ من لبنها وهذا يدل على طيب قلبها لان التي لا ترضع ابنها ليس ابنها لها . وقال ابوهُ لبن الام يربي الرجال. وقالت احدى اخواتهِ بالله عليك دعنا نرى ابن مولاك . وقالت اختها اظنهُ اجمل الناس ولا سيما بحلتهِ الجديدة . فقالت لها امها لا تضحكوا عليَّ فانا لا اظن انهُ يوجد اجمل من ابني وهو بهذهِ الثياب المقصبة ولم يعد يهمني ان ارى غيره. فقالت لها بناتها لا تقولي ذلك ولا بدَّ لنا من ان نقف في مكان نرى الزينة منهُ . فقال اخوهنَّ قد اعددت لكم كل شيء فاننا عينا مكاناً يقف فيهِ اقاربنا . فقالت امهُ ومتى يأتون بهِ ويمر من امام الجمع فقال هم الآن في نادي البلد و بعد قليل يطلق مدفع فيخرج بهِ ابوهُ وامهُ ومحافظ المدينة ووجوهها من النادي ويمرون من هنا والآن لا بدَّ لي من ان امضي

ثم أُطلق المدفع فخرج الموكب من نادي المدينة وسار الهوينا الى ان بلغ ابواب القصر والجموع تموج على جانبيهِ كامواج البحر فتقدَّم الى البهو الكبير وهو اقدم مباني القصر ومن منهُ الى غرفة كبيرة تليها غرف اخرى تسمى حسب الوان ما فيها من ستائر المخمل هذهِ الغرفة الخضراء وتلك الغرفة الحمراء وفيها كلها الصور الثمينة التي صوَّرها كبار المصورين ثم سار في الغرفة التي تجلس فيها دوقة بلامنت وهي من افخر غرف القصر باثاثها ورياشها وفيها صور الدوقات اللواتي كنَّ قبلها ومن الآنية والتحف ما يقصر القلم عن وصفهِ. ومنها الى غرفة منتكيوت وفيها من ابدع الصور التي صورها لورنس الشهير صورة الدوق نفسهِ بُعَيد زواجهِ وهو طويل القامة صبوح الوجه عالي الجبين تلوح عليهِ لوائح الدعة والمهابة. ثم الى غرفة الرقص وهي واسعة جدًّا جدرانها بيضاء محلاَّت بالذهب وعليها المرايا الكبيرة وفي سقفها ثريا من ثريات البندقية متألقة الانوار . وبعدها غرفة في وسطها تمثال من تماثيل كنوفا وفيها الغلمان بالحلل المقصبة ولها باب واسع فتح للموكب واذا امامهُ رواق طولهُ مئة قدم وجدرانهُ مغطاة

بصور تمثل الحروب الصليبية لان دوق منتكيوت كان من اشهر الابطال في تلك الحروب وهو الذي انقذ ريكاردس قلب الاسد ملك انكلترا في حصار عسقلان ولذلك يسمى رواق الصليبيين

وكان في آخر هذا الرواق قبة عالية وقف تحتها الدوق وزوجتهُ وابنهما ووقف حولهم ذوو قرباهم ونخبة الاعيان والاشراف فتقدم محافظ البلد واعيانها ورفعوا لهم خطاب التهانيء بالنيابة عن المدينة التي بناها اسلافهم وحموا حماها ودافعوا عنها وهم يملكون كل بيت من بيوتها ولهم الفضل على كل نفس من اهلها

وكان الدوق واقفاً في الوسط وزوجتهُ عن يسارهِ وابنهُ عن يمينهِ وهو ربعة معتدل القوام غزير الشعر اصفر الوجه عالي الجبين يدلُّ منظرهُ على الحزم وعلو الهمة. ولم يبدُ عليهِ شيءٌ من علامات الاضطراب ولا من الاستخفاف والاعجاب كأنهُ عارف بخطارة الموقف الذي هو فيهِ ولكنهُ ليس من الذين يستخفهم الطرب وتأخذهم الخيلاء ستأتي البقية

باب الزراعة

زرع القطن وتسميده

نشر المستر فودن سكرتير الشركة الزراعية المصرية مقالة مسهبة في مجلة تلك الشركة عن زرع القطن وتسميدهِ وهي مثل كل ما يكتبهُ في المواضيع الزراعية طافحة بالفوائد العملية ولذلك رأينا ان نلخصها هنا افادةً لقرّاء المقتطف

بدأ الكلام بالاشارة الى اهتمام الاميركيين بالبحث عن تسميد القطن وقال أن من يعلم ذلك ويرى التقارير المطوَّلة فيهِ يعجب من قلة الاهتمام بالبحث عن تسميد القطن في القطر المصري. ولكن الاسلوب المتبع في هذا القطر وهو زرع القطن بعد البرسيم في الارض هو احسن ما تعدُّ بهِ لزرع القطن على شرط ان لا يكرَّر زرعهُ فيها مرارًا وان تجاد خدمتها. فانها تكون حينئذٍ ممزوجة بمواد نباتية تنحلُّ فيها سريعاً وتصير غذاء لنبات القطن. فلذلك ولكون الارض التي يزرع فيها القطن شديدة الخصب طبعاً كما هي غالباً لا يبقى داعٍ لتسميدها

الآ ان الاحوال قد تغيرت حديثاً فقد كان ماء النيل يغمر الاطيان كلها في الوجه البحري وقت فيضانهِ فيرسب عليها منهُ طبقة من الطمي يزيد بها خصبها ولا يبقى بها حاجة

للتسميد . لكن قد تغيرت هذه الحال الآن بتغيير نظام الري وزاد زرع المزروعات الصيفية وكثرت الغلات التي تستغل من الارض فوجب ان يردّ اليها بدل ما يؤخذ منها ولاسيما بعد ان قلّ السماد الطبيعي اي طمي النيل والاّ قلّ خصبها رويداً رويداً كما حدث في اماكن كثيرة من الوجه البحري

ثم التفت الى اسلوب الحراثة المتبع في هذا القطر فقال ان المحراث المصري لا يغور في الارض الاّ قليلاً جداً ولذلك اذا كشفت الطبقة التي تحرث بانت تحتها طبقة صلبة جداً لا تمتدُّ فيها جذور النبات وكذلك اذا حرثت الارض بعد البرسيم لا تطمر جذوره لكي تنحل في الارض فتزيد خصبها بل يعرّض اكثرها للهواء فتجف والماء الذي يصل اليها بعد ذلك وقت الري لا يحلها كما تحلها مائيتها التي كانت فيها وطارت منها بالجفاف . والبحث في الحرث هو من قبيل البحث في السماد لان الحرث سماد للارض . ولا خوف من استعمال المحاريث المتقنة التي تغور في الارض كثيراً اذا كان الري فيها وافياً وفائدة هذه المحاريث كبيرة جداً في بعض المزروعات كالقطن ولو كانت غير كبيرة في غيره كالشعير . و يشترط في المحراث ان يشق الارض ويقلبها لكي تتعرّض للشمس اما المحراث المصري فيشقها فقط ولا يقلبها

و يعترض على المحراث الاوربي اولاً انهُ غالي الثمن بالنسبة الى المحراث المصري فان المحراث المصري يساوي اربعين او خمسين غرشاً فقط ولا يمكن ان يباع محراث اوربي بمثل هذا الثمن البخس . والمحراث الاوربي اثقل من المحراث المصري كثيراً فلا تجرهُ الثيران والجواميس البلدية وهو كثير التراكيب فاذا اختلّ تركيبهُ لم يسهل على الفلاح اصلاحهُ

ثم ان المحراث المصري اصلح من غيره حيث يستعمل ري الحياض كما في الوجه القبلي لانهُ يشق الارض ولا يعرّضها للجفاف مثل المحراث الاوربي اما اذا كان ماء الري كافياً كما في الوجه البحري وصنع محراث جيد رخيص الثمن سهل الجر يغور في الارض اكثر من المحراث المصري و يقلبها قلباً فلا شبهة في انهُ يفيدها اكثر من المحراث المصري

هذا من حيث الحرث اما من حيث السماد فقال ان في القطر المصري السباخ البلدي (زبل المواشي)ولكن مقدارهُ قليل جداً لسببين كبيرين الاول قلة المواشي بالنسبة الى مساحة الارض والثاني عمل الجلة من الزبل وحرقها وقوداً ولذلك لا ينتظر ان يكثر السباخ البلدي في هذا القطر بعد زمن قصير . وفي البلاد ايضاً السباخ الكفري وكان مقدارهُ كثيراً جداً اما الآن فقد قلّ كثيراً ولا يزال آخذاً في القلة وصار الفلاح مضطرًا ان يذهب الى اماكن بعيدة لجلبهِ منها ولذلك لا يمكن الاعتماد على هذا السباخ في المستقبل

ثم انهُ يسهل تسبيخ بعض المزروعات اكثر مما يسهل تسبيخ غيرها . وبعضها يفيدهُ السباخ الكفري كثيرًا كالذرة وبعضها يضرهُ كالقطن ولاسيما اذا كان هذا السباخ كثيرًا . والقطن يمتاز على غيره بانهُ يفتقر الى اعتناء خصوصي لكي يجود

والآن لنفرض ان عندنا ارضًا واسعة نريد ان نزرعها قطنًا وهي محتاجة الى السماد فاي نوع من السماد يصلح لها . ولا يخفى ان نوع السماد المطلوب يختلف كثيرًا باختلاف الارض فما يكون نافعًا جدًّا في بعض الاراضي قد يكون قليل النفع في غيرها ولا يعلم ما هو انفع سماد للارض الاَّ بعد التجارب الدقيقة

والظاهر ان السباخ البلدي صالح لتسبيخ القطن ولكن لا يصلح ان يستعمل وهو جديد بل يجب ان يترك مكوَّمًا بعضهُ على بعضهُ مدة سنة من الزمان على الاقل لان السباخ الجديد يدفع نبات القطن الى النمو بسرعة فتقل فروعهُ السفلى وتزيد مادتهُ الخشبية وتصرف قوة النبات في النمو لا في عمل الجوز فتكون النتيجة كثرة الورق وكبر السوق والاغصان حتى لا يعود النبات قادرًا ان يحمل نفسهُ فينحني بعضهُ على بعضهُ و يتأخر انضاج جوزه لكثرة الرطوبة والظل

وقد جُرب ذلك في العام الماضي في اراضي الشركة الزراعية في الجيزة فزرعت اربعة افدنة قطنًا من تقاوي ينوفتش سمد اثنان منها بار بعين حملاً من السباخ البلدي الجديد وترك الفدانان الآخران من غير سباخ فكانت غلة الفدانين المسبخين ١٥ قنطارًا وغلة الفدانين اللذين لم يسبخا ١٤ قنطارًا اي زادت غلة الفدان بالسباخ نصف قنطار فقط وهذه الزيادة لا تكاد تفوق ثمن السباخ واجرة وضعه في الارض وزد على ذلك ان النبات المسبخ كان غليظًا كثير الخشب وتأخر انضاجهُ كما يتضح من هذا الجدول

	المسبخ	غير المسبخ
الجنية الاولى	٤٣ في المئة	٥٦ في المئة
الجنية الثانية	٤٠ في المئة	٣٤ في المئة
الجنية الثالثة	١٧ في المئة	١٠ في المئة

فالقطن غير المسبخ كان ابكر من القطن المسبخ ولا نعلم حتى الآن كم كان صافي القنطار من القطن المسبخ وغير المسبخ . ولذلك فالاطيان الجيدة لا يناسبها السباخ البلدي الجديد. والسباخ الشديد الفعل لا يناسب القطن بل يناسبهُ السباخ البطيء الفعل من حين ظهوره فوق الارض الى آخر مدة نموه فالسباخ البلدي الجديد لا يفي بذلك . والواقع ان الفلاحين

لا يستعملونهُ لتسبيخ القطن لقلتهِ ولانهم يحتاجونهُ للذرة والخضر

ويستعمل السباخ الكفري كثيرًا في زراعة القطن وتتوقف فائدتهُ على ما فيهِ من النيتروجين وهو نحو ثلاثة اعشار في المئة . واكثرهُ في حالة تقبل الذوبان لكن هذا السباخ قليل النفع ولم يعد استعمالهُ ميسورًا الى مدة طويلة لانهُ آخذ في القلة عامًا بعد عام كما تقدم ولا يبقى في القطر سباخ آخر الاَّ ما يصنع من المواد البرازية و يضاف اليهِ الدم وغيرهُ من فضلات المسالخ فقد صنع حديثًا دقيق من هذه المواد البرازية بعد ان جففت وبعضهُ ناعم جدًّا وهو جيد كثير الغذاء وبعضهُ خشن وهو غير جيد

وقد جرب هذا الدقيق في ثلاث قطع من اراضي الشركة كلٌّ منها فدانان مزروعان بتقاوي القطن الميت عفيفي واضيف الى واحدة طن ونصف طن منهُ والى الثانية ثلاثة اطنان والى الثالثة ستة اطنان فكانت الغلة كما ترى في هذا الجدول

غلة الفدان من الارض التي لم تسبخ	٠٨٨٠	رطلاً
" " " " سبخت بطن ونصف	١٠١٠	ارطال
" " " " بثلاثة اطنان	٠٩٥٠	رطلاً
" " " " بستة اطنان	٠٩٦٠	رطلاً

و يظهر من ذلك ان تسبيخ الفدان بطن ونصف من دقيق هذا السباخ زاد غلتهُ قنطارًا وثلاثين رطلاً . وتسبيخهُ بثلاثة اطنان من الدقيق زاد الغلة سبعين رطلاً فقط وتسبيخهُ بستة اطنان زاد الغلة ثمانين رطلاً . اي ان المقدار القليل من السماد افاد اكثر من المقدار الكبير وعليهِ فالمقدار الكبير يضرُّ فضلاً عن خسارة ثمنهِ وزد على ذلك ان زيادة السماد تضرُّ بنوع القطن لانها تجفف شعرتهُ وتجعلها مثل الصوف ولكنها تسرع الانضاج ولا تؤخرهُ كالسباخ البلدي الجديد كما ترى من الجدول التالي

	الجنية الاولى	الثانية	الثالثة
القطن الذي لم يسبخ	٤١ في المئة	٤١ في المئة	١٨ في المئة
المسبخ بطن ونصف	٤٧ " "	٤١ " "	١٢ " "
" بثلاثة اطنان	٤٢ " "	٤٢ " "	١٦ " "
" بستة اطنان	٤٣ " "	٤٣ " "	١٤ " "

و يظهر من ذلك ان هذا السباخ يفيد في تبكير القطن فيزيد الجنية الاولى ولذلك يجب ان يدرس فعلهُ جيدًا ليعلم كيف يمكن ان يستعمل والاحوال التي يحسن استعمالهُ فيها

وثمن الطن من المسحوق الذي استعماله ثمانون غرشاً ولذلك فمن استعمال طن ونصف للفدان ربح اكيد . وهذا شأن غيره من السماد في تسميد القطن اي ان المقدار القليل انفع من المقدار الكبير . وتباع انواع اخرى من السماد في مصر وهي اقل نفعاً من هذا ويمكن ان تصلح باضافته اليها وباضافة الدم الجاف او مواد اخرى سمادية كثيرة الغذاء

وسننشر تفصيل ما وُجد من فائدة هذا السماد بعد حلج القطن ونبين حينئذٍ نفقات السماد بالنسبة الى الفائدة الحاصلة منهُ بالتدقيق

وقد جرت التجارب بسماد الجوانو وهو زرق طيور البحر المتراكم في بعض الجزائر التي لا يهطل عليها مطر في بلاد بيرو وهو سماد قوي اقوى من زبل الحمام وفي الجيد منهُ من ٨ الى ١١ في المئة من النيتروجين وليس في زبل الحمام سوى ٥ في المئة وفيهِ ايضاً ٣٠ الى ٥٠ في المئة من الفصفات ومن مزاياهُ انهُ يحل سريعاً في الارض فيعدّ لتغذية الزرع

وثمن القنطار من هذا السماد خمسون غرشاً وقد سمد فدان مزروع قطناً عباسياً بقنطار ونصف منهُ بعد تخفيف القطن فكانت النتيجة كما يلي

غلة فدان غير مسمد	٨٣٠ رطلاً
" الفدان المسمد	٩٠٠ رطل

فزادت غلة الفدان سبعين رطلاً من تسميده بقنطار ونصف من الجوانو . وفائدة الجوانو مثل فائدة المسحوق المتقدم الذكر في تبكير الانضاج كما ترى من هذا الجدول

	الجنية الاولى	الثانية	الثالثة
القطن الذي لم يسمد	٤٢ في المئة	٤٢ في المئة	١٦ في المئة
القطن المسمد	٤٨ " "	٣٧ " "	١٥ " "

و ينتج من ذلك كله النتائج التالية وهي

اولاً — القطن يستفيد من السماد

ثانياً — السباخ البلدي الجديد لا يصلح للقطن

ثالثاً — المسحوق (البودرت) الجيد جداً يفيد القطن اذا اضيف منهُ طن ونصف الى الفدان

رابعاً — اذا كان السماد كثيراً جداً لم تكن فائدتهُ بنسبة مقداره اي انهُ يوجد حد للسماد اذا تعدَّاهُ لم تعد منهُ فائدة

خامساً — نتج من الجوانو فائدة كبيرة فهو سماد جيد للقطن

سادساً — اذا استعملت الحكمة في التسميد نضج القطن باكرًا فزادت الجنية الاولى وهي اثمن من غيرها

ولا بد من اعداد الارض جيدًا قبل زرع القطن وتنقية الاعشاب منها مدة نموهِ فيها وريها بالحكمة

هذه خلاصة ما نشرهُ المستر فودن وعسى ان يجرب مثل هذه التجارب في كل المزروعات التي تزرع في القطر المصري لان الزراعة علم مبنيٌّ على العمل ولا يكون من العمل نتيجة علمية يعتمد عليها الأَّ اذا تكرَّرت تجاربهُ واعتُمد فيها على الوزن والقياس والمراقبة الدقيقة سنة بعد سنة وجاءت نتائجهُ موافقة للحقائق العلمية المقرَّرة . بمثل ذلك ارتقت الزراعة في كل الاقطار وزادت خيرات الارض من غير زيادة في التعب والنفقات

حالة النيل

لجناب السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال العمومية

يخال من انحطاط مياه النيل في هذه الايام انحطاطاً شاذاً غير اعتيادي ان ايرادها الصيفي سوف يقصر عن حاجات الري . ولعل في تبيين حال النيل الراهنة والحالة هذه تبييناً موجزاً فائدة للمستفيدين يستخلصون منها لانفسهم خلاصة لمستقبلهم الآتي . ومن اجل ذلك يقتضي مقارنة مناسيب النيل في هذا العام بمثلها في الاعوام السالفة التي جاء ايراد المياه فيها ضعيفاً ايضاً . ولكننا نأسف لتعذر اقامة هذه المقارنة راجعين فيها الى السنين القصية الغابرة وذلك لان مرصودات مناسيبها مفقودة فاننا لا نرى للسنين التي سبقت عام ١٨٧١ سجلات مضبوطة تعلم منها مناسيب النيل عند اصوان . نعم ان المناسيب في الروضة كانت تدوَّن وترقم ولكننا لا نجد اليوم منها الأَّ اعلاها وادناها فقط ومن السنين التي كرَّت بين عام ١٨٧١ وعام ١٩٠٠ كانت سنتا ١٨٧٨ و ١٨٨٩ اشدها تحرقاً وفي عامي ١٨٧٤و١٨٩٢ كانت مناسيب المياه ايضاً منحطة جدًا غير ان الشحايح في ايهما لم تستدم اياماً طوالاً كما استدامت في ذينك العامين . وزد على ذلك ان ايراد الشتاء فيهما قد بلغ حد الدرجة المتوسطة ولذلك لا نستند عليهما في اثبات المقارنة المتقدم ذكرها كاستنادنا على عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ . وهاك جدولاً تتضح منهُ مناسيب المياه بمقياس اصوان في النصف الاول من شهر يناير في سني ١٨٧٨ و ١٨٨٩ و ١٩٠٠

سنة ١٩٠٠			سنة ١٨٨٩			سنة ١٨٧٨			التاريخ
التصرف	المقياس		التصرف	المقياس		التصرف	المقياس		
امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	امتار مكعبة في الثانية	قيراط	ذراع	
									يناير
٧٧٥	٥	٣	١١٣٤	١٢	٤	١٣٦٩	٥	٥	١
٧٥٠	٣	٣	١١١٦	١١	٤	١٣٤١	٣	٥	٢
٧٣٠	١	٣	١١٠٤	١٠	٤	١٣٢٠	٢	٥	٣
٧١٠	٢٣	٢	١٠٩٢	٩	٤	١٣٢٠	٢	٥	٤
٧٠٢	٢٢	٢	١٠٦٥	٧	٤	١٣٠٨	١	٥	٥
٧٠٢	٢٢	٢	١٠٥٥	٦	٤	١٢٨٤	٢٣	٤	٦
٦٨٦	٢٠	٢	١٠٥٥	٦	٤	١٢٥٤	٢١	٤	٧
٦٦٦	١٨	٢	١٠٤٥	٥	٤	١٢٤٢	٢٠	٤	٨
٦٥٨	١٧	٢	١٠٣٥	٤	٤	١٢٤٢	٢٠	٤	٩
٦٥٠	١٦	٢	١٠٢٠	٣	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١٠
٦٥٠	١٦	٢	١٠١٠	٢	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١١
٦٣٨	١٥	٢	٩٩٠	٠٠	٤	١٢٣٠	١٩	٤	١٢
٦٠٢	١١	٢	٩٧٥	٢٣	٣	١٢٠٠	١٧	٤	١٣
٥٨٦	١٠	٢	٩٦٥	٢٢	٣	١١٥٨	١٤	٤	١٤
٥٧٨	٩	٢	٩٥٥	٢١	٣	١١٤٦	١٣	٤	١٥

فيتبين من هذا الجدول ان مناسيب النيل باصوان في النصف الاول من شهر يناير سنة ١٩٠٠ كانت احط جداً مما في اي العامين الآخرين المقارن بهما ففي الخامس عشر من الشهر الجاري صار المنسوب في تلك الجهة احط منهُ في مثل هذا اليوم من عام ١٨٧٨ بقدر ذراعين واربعة قراريط اعني متراً واحداً وسبعة عشر سنتمتراً وبقدر ذراع واحد واثني عشر قيراطاً (اي ٨١ سنتمترًا) عنهُ في عام ١٨٨٩

اما مقدار ما انصرف من المياه امتاراً مكعبة في الثانية الواحدة في اليوم من عام ١٩٠٠

فيكاد يقرب من نصف ما انصرف في مثلهِ من عام ١٨٧٨ ويقل عن ثلثي ما انصرف في اليوم عينهِ من عام ١٨٨٩

المياه الصيفية في هذا العام

اذا تصفحنا كتب المقاييس باصوان في التسع والعشرين سنة الخالية اي منذ عام ١٨٧١ نرى ان مياه النيل تصير عادة الى ذراعين وتسعة قراريط في مارس او ابريل (و يغلب ذلك في شهر ابريل) فان استدامت مياه النيل هبوطاً على هذا المعدل فذلك دليل واضح على ان مقدار المياه الصيفية سيكون في هذا العام اقل جداً مما كان في عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ وهما اسوأ الاعوام المعروفة شحتها. واحط ما وصلت اليهِ المياه باصوان في عام ١٨٧٨ ثمانية قراريط اي منسوب ٨٤,٢٩ المتر وقد دون ذلك في السابع والثامن من يونيو وهو عبارة عن تصرف قدره ٢٠٨ امتار مكعبة في الثانية الواحدة. واحط ما بلغتهُ المياه هناك في عام ١٨٨٩ احد عشر قيراطاً اي منسوب ٨٤,٧٠ وذلك في الرابع من يونيو وهو يعادل تصرفاً قدره ٢٣٠ متراً مكعباً بالثانية الواحدة. هذا و بما ان مياه النيل هي الآن احط مما كانت عليهِ في عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٩ فاذا استدامت هبوطاً على المعدل المشاهد اليوم فعند بلوغ النيل اقصى التحاريق يكون التصرف اقل جداً من مائتي متر مكعب في الثانية الواحدة غير انهُ قد يحتمل ان تخف سرعة الهبوط وتأتي الامطار عاجلة في الاصقاع القبلية من اقاليم السودان فتفيض مياه البحر الابيض و ينشأ عن ذلك اما زيادة في مياه النيل واما وقوف الهبوط في ايام الشدة والضيق اعني في شهري يونيو ويوليو

الامور المضعفة للامل

على ان ما يجب تقريرهُ في الذهن ان الانباء الاخيرة التي جاءت من اصقاع البحيرات والبحر الابيض لا تجعلنا ان نعلق كبير امل على تناقص الهبوط فقد كتب جناب مندوب الاوغندا في ١٦ اكتوبر سنة ١٨٩٩ يقول ان منسوب المياه في بحيرة فيكتوريا نيانزا كان في ذلك الحين احط من المعتاد بقدمين ومياه النيل الاعلى عند وادلاي احط من متوسط السنين السالفة بقدر اربعة اقدام ونصف قدم . ثم قال ان جميع تلك الانحاء في القارة الافريقية وخصوصاً انحاء بحيرة البرت نيانزا لم تمطرها السماء الا ما دون الطفيف حتى يخشى عليها من القحط والمجاعة . ويؤخذ من التلغرافات الاخيرة التي وردت علينا من انحاء البحر الابيض ان شحة المياه في ذلك البحر لم يسبق قط لها نظير. ثم ان المياه عند النقطة المعروفة بمخاضة ابي زيد على مسافة مائة وتسعين ميلاً من الخرطوم جنوباً كانت في نهاية شهر دیسمبر قليلة الغور جداً حتى

لا تسير المراكب فيها الأ بصعوبة كلية . وفي اوائل يناير جاءت الانباء بامتناع الملاحة ايضاً عند الجبلين على مسافة اربعين ميلاً فوق ذلك شمالاً . وعلى ذلك فلا يبعد ان الحملة التي خرجت من الخرطوم في اوائل دسمبر لقطع السدود في البحر الابيض تلتزم ان تعدل عن هذا المشروع في هذا العام وذلك لتعذر ايصال المؤونة في النيل الى العمال . هذا ومما يجب ذكره ان معلوماتنا في الحالة الراهنة بالعلاقة التي بين مناسيب المياه في اصقاع البحيرات الاستوائية والبحر الابيض هي معلومات غير كافية لا تمكننا من ان نقرر بالضبط ما يكون لمنسوب ما من مناسيب المياه في تلك الجهات من التأثير في مياه النيل عند اصوان

ومن المعلوم الذي لا شبهة فيهِ ان مياه النيل باصوان هي اليوم احط من اشد انحطاط عرف لها من قبل في شهر يناير وان الانباء الواردة للآن من الانحاء القبلية تضعف الآمال. وايضاً فان الجفاف المستمر في بلاد الهند دليل على ان الجو في هذا العام في حالة شاذة غير اعتيادية في كثير من البلاد الواسعة الاطراف

فاذا امعنا النظر والحالة هذه في جميع ما تقدم ايرادهُ من الشواهد والبيانات واخذناهُ بعين الاعتبار ربما كان المزارعون مصيبين في قلقهم فيما يختص بمستقبل مزروعاتهم . ومن الواضح البين انهُ يجب اتخاذ تحوطات خصوصية محضة اذا كان في الامكان انقاذ تلك المزروعات بأية وسيلة من الوسائل . فاذا جاءت مياه الفيضان عاجلة خفت جداً وطأة هذه الحال الخطيرة واذا كان الامر على خلاف ذلك وجاءت المياه آجلة فتزيد هذه الحال خطارة

زراعة الارز

نورد هنا الخطة التي في نية مصلحة الري اتباعها في ايام الشحايح وهي ان المصلحة المذكورة ستوجه جل اهتمامها بادئ بدء الى وقاية زراعة القطن التي هي اهم الزراعات المصرية واثمنها لكن من المؤكد ان مياه النيل في مصر ستكون ولا ريب شحيحة فوق المعتاد في ابريل ومايو ويونيو ويوليو ولو هطلت الامطار في بلاد الحبش والسودان قبل الاوان في هذا العام وجاءت مياه الفيضان عاجلة . ففي خلال الاشهر المذكورة تكاد تلك المياه في كل حال لا تكفي لوقاية زراعة القطن ولا تفي قطعاً بحاجات زراعة الارز ايضاً . فان بلاد الارز اكثرها في الانحاء البحرية من اقاليم الدلتا على نهايات ترع طويلة ولذلك لا يتيسر ايصال المياه الينا لارورائها . وزد على ذلك فان الارز يستدعي ريّاً مستديماً فهو بخلاف القطن لا يتحمل زرعهُ اثقال المناوبات الصارمة التي لا بد منها في هذا العام ويخشى على مزارعي تلك البلاد بوار زراعتهم

باجمعها ولا يستثنى من هؤلاء الاَّ من كانت اراضيهِ بجوار النيل ويروي زراعة الارز فيها بآلات رافعة مقامة على جسوره

الآلات الرافعة على البحر الاعظم

ولتسهيل تشغيل تلك الآلات سيقام في كل من فرعي النيل سد من تراب يمتنع بهِ دخول المياه الملحة من البحر المتوسط وتبقى مياه النيل عذبة يستقى بها و يروى ومن المحتمل ان يكون مقدار مياه الرشح في مجرى النيل كافياً لهذه الآلات فاذا كان غير كافٍ او ان مياه النيل خالطتها ملوحة فليعلم المزارعون انهُ لا يرخص لهم قط بنقل آلاتهم او طلمباتهم من جسور النيل وتركيبها على الترع لان تلك الترع لا يكون في وسعها قطعاً ان تقوم باكفاء تلك الآلات فوق المطلوب منها

المناوبة وتراتيبها

ولكي توزع المياه بالقسط والمساواة في اقاليم الوجه البحري ستوازن المياه في افمام الترع الرئيسية الآخذة من النيل فوق القناطر الخيرية فلا ياخذ الاقليم الاَّ بقدر ما يلزمهُ منها على نسبة مساحة اراضيهِ المزروعة . وتوضع المناوبة بحسب مقتضيات الحال الغير الاعتيادية في هذا الفصل وجداول تلك المناوبات يباشر الآن تجهيزها وعما قليل تنشر للعموم في ترتيبين او ثلاثة اذا اقتضت الحال ويكون الترتيب الثاني مشروع مناوبة اشد من الاول ويكون الثالث اذا دعت الضرورة اليهِ اشد من الثاني ويقرر العمل باي من هذه التراتيب بحسب ما تقتضيهِ درجة هبوط المياه في النيل بمعنى انهُ لو تبين من مقياس اصوان وما يقابلهُ من المنسوب امام القناطر الخيرية ضرورة تشديد المناوبة عما في الترتيب الاول فيتخذ الترتيب الثاني وهكذا فيما يختص بالترتيب الثالث وفي كل من هذه الاحوال يبلغ التاريخ الذي يراد ابدال ترتيب المناوبة فيهِ الى جميع ارباب الشان على يد المديريات . وبما ان هذه التراتيب ستنشر معاً في آن واحد عاجلاً فيكون المزارعون بذلك على بينة من الامر في الوقت المناسب ويقفون على ما تكنهُ لهم الاقدار فلا يكون لهم وجه للشكوى فيما بعد من ان ترتيب المناوبات المنشورة قد بدّل على غير علم منهم . وفضلاً عن كل التحوطات المتقدم ذكرها فان في حيز الاحتمال ايضاً ان تدعو الحال بعد ذلك الى وضع مناوبة خصوصيَّة محضة غير المناوبات الواردة في التراتيب المذكورة مما لا يمكن تقريرهُ وتدبر امرهِ الآن . فاذا حصل ذلك فسنبذل الجهد المستطاع في المبادرة الى تنبيه العموم الى هذا الامر باعجل ما يمكن

منع اطفاء ري الشرقي لزراعة الذرة

ثم ان اهم الوسائل (بعد المناوبة) لسلامة زراعة القطن او جزء منها انما هو منع ري الشراقي لزراعة الذرة الى ان يأتي الفيضان بالمياه الكافية لري تلك الاراضي بلا ضرر على مزروعات القطن . ولا ريب في ان هذا المنع واجب حتماً في عام قلت مياههُ مثل هذا العام فتاجيل زراعة الذرة ليس من المصائب على البلاد وجل ما فيهِ ان يعود المزارعون الى الطريقة التي كانت متبعة قبل كمال الاصلاح في القناطر الخيرية والتحسين الذي تأتى عنهُ في توزيع المياه . ففي السنين السالفة لم تزرع الذرة قط قبل مجيء مياه الفيضان وذلك في شهر اغسطس في الغالب لان درجة المياه من الشحة قبل هذا الشهر لم تكن لتسمح بتعميم الري ولكن لما زاد الايراد اعتاد المزارعون بالتدريج على تقديم فصل زراعتها فصارت الاراضي المخصصة لها تروى الآن في شهر يونيو على الغالب وفي بعض الانحاء في شهر مايو . نعم ان الذرة اذا كان زرعها بدرياً يكون محصولها اوفر واثمانهُ اكثر مما لو كان معوقاً وخرياً لكن الضرر الذي يتأتى للبلاد بوجه عام من نقص محصولها نقصاً طفيفاً هو ضرر لا يذكر في جنب الطامة الكبرى التي تتأتى عن خيبة زراعة القطن وبوارها . ولا ريب في ان مياه النيل في شهر يونيو الآتي سوف لا تكفي للزراعتين معاً وبما ان الغرض الذي نتوخاهُ بأية وسيلة كانت هو ان تنجو زراعة القطن من الشرق اذا امكن فالواجب اذًا تأجيل ري اراضي الذرة الى ان يأتي الفيضان وتأذن درجة مياههِ بارواثها . وها نحن اليوم نجهز مشروع لائحة تقضي بمنع ري الشراقي البدري وتفرض عقوبة صارمة على من يخالف احكامها وعما قليل ستعرض تلك اللائحة على الحكومة للمصادقة عليها

التعجيل بزرع القطن

هذا و يستصوب ان يعجل المزارعون في عام مثل عامنا هذا بزراعة القطن بقدر امكانهم بحسب هواء الاقليم ومن المهم ان تبلغ زراعة القطن درجة وافية من النماء قبل دخول ايام الشحايح لانهُ كلما كانت شجيراتهُ قوية نامية كانت اقدر على احتمال الجفاف في ايام الشح الذي لا بدَّ منهُ في هذا العام وفضلاً عن ذلك فمن الموافق ان يزرع القطن في الزمن الذي يكون ايراد المياه فيهِ متوفراً . ولا باس لو تكلف المزارع تجديد زرعهِ (ترقيعه) لكي يستوثق من ان الشجيرات ستكون عند اقبال ايام الشدَّة نامية نماء حسناً . ونحن في هذا الصدد ننبه المزارعين الى ان ما من امر اسوأ وقعاً بشجيرات القطن التي تمضي عليها الايام الطوال وهي في جفاف مستمر من ان تغمر بالماء حالما ترد مياه الفيضان اليها فان ذلك اشبه برجل مضت عليهِ

مدة مستطيلة وهو يقاسي الم الظماء فسقيناهُ ماء كثيراً دفعة واحدة فعلى ذلك يقتضي الاحتراس الكلي في السقية الاولى عند ازدياد الايراد في النيل

تقدير محصول القطن الجديد

ولقد طلب الناس مراراً الى مصلحة الري ان تبدي لهم رايها فيما عسى ان يكون مقدار الحاصلات القطنيَّة في هذا العام ولا مشاحة في ان مثل هذا الراي غير ميسور لتلك المصلحة وقد لا يكون منهُ الا الارتباك والتضليل لانهُ لا يعلم اليوم ما قد تصل اليهِ مياه النيل من الهبوط في الغد. ولكي يطلع الذين يريدون ان يقدروا تلك الحاصلات هم لانفسهم يليق بنا ان نورد لهم مقدار الحاصلات القطنية في عامين كانا اسوأ الاعوام المعروفة في شحة مياههما وهما عام ١٨٧٨ وعام ١٨٨٩ فقد بلغت الحاصلات المذكورة في اولهما ١٦٨٠٥٩٥ قنطاراً وفي الثاني ثلاثة ملايين ومائتي الف قنطار ولكن لم تكن القناطر الخيرية حينئذٍ قد ظهر فعلها التام فان اعمال الاصلاح فيها لم تكمل الاَّ في عام ١٨٩٠

لا يأْس من الفرج

وفي الختام نقول انهُ وان يكن من البين الواضح ان مزروعات القطر المصري سيصيبها ضنك شديد في خلال الاشهر الآتية لا يمكن مع ذلك ان نجزم الآن بان الحال داعية الى اليأس والقنوط لانهُ اذا انكفت مياه النيل عن الهبوط السريع وجاء الفيضان معجلاً فذلك يؤدي الى تخفيف مشاق الري وصعوباتهِ تخفيفاً عظيماً واحد هذين الامرين او كلاهما جائز محتمل الحدوث . هذا وان يكن من الضروري الاستعداد لاتقاء جميع العوارض المحتملة الوقوع فلا موجب الى توقع الشر وتقدير السوء وتصوير المستقبل بلون اشد سواداً مما تدل عليهِ الظواهر. وليعلم جميع من يهمهم امر الري من موظفي المديريات والمشايخ والعمد وخصوصاً كبار المزارعين ان افضل امر يتخذ لانقاذ زراعتهم هو ان يعاضدوا مصلحة الري باخلاص في جميع التحوطات التي هي تتخذها مما يكفل توزيع المياه توزيعاً نصيفاً عادلاً انتهى

المعرض الزراعي

لا ابهج للعين من رؤْية مباني المعرض الزراعي المصري التي تقام في رحاب الجزيرة بين النيل وفرعهِ الصغير امام العاصمة فقد تمَّ بناؤُهُ وشيد بالشيد واخذ العمال يمهدون الاراضي التي امامهُ واصحاب الآلات الزراعية يأْتون بها لتعرض فيهِ . وستجني البلاد من هذا المعرض فوائد كبيرة وتزيد زراعتها اتقاناً عاماً بعد عام بما ينتج عنهُ من المناظرة والاقتداء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

السكر

"الصحة تاج على رأس الاصحاء لايراهُ الا المرضى" وهي اصل والمرض عرَض طارئ غير ان الناس يطرحون هذا التاج عن جهل او عن هوًى ويتحملون المرض . فقد قيل ان تسعة اعشار المصابين بامراض الكليتين سبب مرضهم المسكرات ومع ذلك ترى الناس يعتادون شرب المسكر ويدمنونهُ وهم يعلمون انهُ لا ينالهم منهُ نفع على الاطلاق وما منهم مَن يجهل انهُ يذهب المال ويضر الجسم ولو لم يعلم مقدار ضررهِ بهِ ولا يقتصر ضرر السكر على ذلك بل يسبب امراض الدماغ والقلب والحبل الشوكي والرئتين والكبد والعضلات والاوعية الدموية ويضعف الدورة الدموية ويسرع الهرم والانحلال ولا عبرة باناس ادمنوا المسكر ولم يظهر ضررهُ فيهم فانهم نادرون جدًّا والنادر لايبنى عليهِ حكم . وما قلناهُ عن ضرر المسكرات هو الغالب الذي يتعرَّض لهُ كل من يشرب مسكرًا ولا يردع نفسهُ عن هواها

ومن الغريب الذي يذكر مع الاسف الشديد اننا نحن الشرقيين نحرّم السكر ونستعيبهُ وليس في هيئتنا الاجتماعية ما يرغّب فيهِ لا من حيث الاخلاق ولا من حيث العادات ومع ذلك كلهِ فشت عادة السكر الخبيثة في بلادنا وانتشرت بين ظهرانينا وصار شباننا يباهون بقدرتهم على شرب الكثير من اقوى انواع المسكرات . وكثيرًا ما نرى شيوخًا يدل لبسهم على انهم من العلماء جلوسًا في الحانات من غير خجل كانهُ لم يبقَ للشرع سلطان عليهم ولا رأوا في العادات ما يردعهم عن خلَّة ذميمة تودي بالصحة والمال

وقد حاول الاوربيون منع الناس عن المسكرات باساليب مختلفة قلما افادت شيئًا لانهم يبيحون الشرب القليل في بيوتهم فيألفهُ اولادهم ويعتادونهُ صغارًا ولولا ذلك لوفت هذه الاساليب بالغرض المقصود . فاذا اردنا نحن الشرقيين ان نبقى بعيدين عن آفة السكر وجب ان لا نبيح استعمال المسكرات على الطعام في بيوتنا ولو اشار بها الاطباء لان نفعها يستغنى عنهُ واما ضررها فلا دافع لهُ . وعلى ربة البيت ان لا تبيح دخول المسكرات الى بيتها الا اذا امر بها الطبيب دواء في احوال خاصة

التدخين

تدخين التبغ ياتي بعد شرب المسكرات وهو اقل ضررًا من السكر ولكنهُ اكثر شيوعاً منهُ ويزيد ضررهُ بان شرائعنا وعاداتنا لا تمنعهُ فيفرط الناس فيهِ ما شاؤُوا ويحسبهُ الشبان مزية لهم فاذا بلغ الشاب اشدَّهُ فاول شيءٍ يفعلهُ ان يضع السيكارة في فيهِ ويشعلها من سيكارة ابيهِ

وقد شهد غير واحد من كبار العلماء ان التبغ والسعوط يضعفان الذاكرة قال واحد منهم وكان من البارعين في معرفة لغات كثيرة انهُ زاد مقدار السعوط الذي كان يستعملهُ رويدًا رويدًا فضعفت ذاكرتهُ بزيادتهِ ولما لم يرَ سبباً لذلك لانهُ لم يغير شيئًا من احوال معيشتهِ ظن ان زيادة السعوط هي السبب فقللهُ رويدًا رويدًا الى ان قطعهُ فعادت ذاكرتهُ الى قوتها وعاد يذكر كلمات اللغات التي نسيها . وقال بعد ذلك ان ابطالهُ للسعوط كان منعشاً لهُ جسدًا وعقلاً فعادت ذاكرتهُ الى قوتها وذهنهُ الى مضائهِ ولا شبهة عندي ان التبغ ولا سيما السعوط عدو الدّ للذاكرة يضعفها رويدًا رويدًا وقد يضعفها سريعاً . هذا وغنيٌّ عن البيان ان المرأة تقدر ان تمنع الرجال عن التدخين والتسعيط او تضعف ميلهم اليهما ورغبتهم فيهما ولو باظهارها الكراهة والاشمئزاز منهما

الهواء الفاسد

من يرى السكان في الاقاليم الباردة ولا سيما الاصقاع القطبية يشتون في بيوت مسدودة من كل ناحية يدخل اليها من باب صغير في سقفها يحسب ان الهواء النقي غير ضروري للحياة ولكن بيوت اولئك السكان وكل اكواخ الفقراء في سائر البلدان لا احكام في بنائها ولا في ابوابها وكواها فيدخلها الهواء دواماً من الخارج ويجدد هواءها الداخل . ومع ذلك لا تكون صحة سكانها على اجودها . واذا اريد السكن في بيوت محكمة فلا بدَّ من تجديد هوائها وتنقيتهِ دواماً

حسب بعضهم انهُ يدخل الرئتين ٢٧٤ قدماً مكعبة من الهواء كل اربع وعشرين ساعة ويخرج منها نحو ١١ قدماً مكعبة من غاز الحامض الكربونيك الذي لا يصلح للتنفس ولذلك يفسد هواء الغرف التي يكثر سكانها او يزدحم فيها الناس ويعتريهم صداع شديد وقد يموت بعضهم من فساد الهواء كما ترى

ففي الهواء الذي نتنفسهُ نحو عشرين في المئة من الاكسجين واما الهواء الذي ننفثهُ اي

تخرجهُ من الرئتين ففيهِ ١٦ في المئة فقط من الاكسجين فيبقى منهُ خمس اكسجينهِ في الجسم ولذلك يقلُّ الاكسجين من هواء الغرف المقفلة رويداً رويداً اذا كان فيها جمهور كبير يتنفسونهُ حتى لا يعود صالحاً للتنفس فانهُ اذا كان هذا الغاز واحداً في المئة من الهواء فتنفس الهواء كثير الضرر على اكثر الحيوانات واذا كان عشرة في المئة من الهواء صار تنفسهُ كثير الخطر. ومن قبيل ذلك ما أصاب ١٤٦ نفساً أُغلق عليهم ببلاد الهند في مكان ضيق لا يتجدَّد هواؤهُ فلم يمضِ عليهم ست ساعات حتى مات منهم ٩٦ نفساً وبعد اربع ساعات أُخرى مات منهم ٢٧ نفساً. وأُغلق على ٣٠٠ نفس في قبو بعد واقعة استرالبز فمات منهم ٢٦٠ نفساً في بضع ساعات من كثرة الحامض الكربونيك المتولد بالتنفس

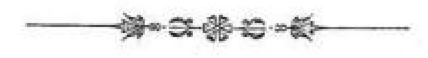
ويتنفس الانسان البالغ نحو ٢٢ لتراً من هذا الغاز كل ساعة فاذا اقام اربعاً وعشرين ساعةً في غرفة طولها ثلاثة امتار وعرضها متران وعلوها متران صار هواؤُها بتنفسهِ مثل الهواء الخارج من رئتيهِ فلم يعد صالحاً للحياة. وكل قنديل من قناديل الغاز يولّد في الساعة ٢٨ لتراً من غاز الحامض الكربونيك. وكل عشرة غرامات من الشمع الابيض تولد باحتراقها ١٤ لتراً من هذا الغاز فلا عجب اذا فسد الهواء حيث يزدحم الناس وتكثر انوار الشمع والغاز

ولا بدَّ من ان ترى ربة البيت بعد هذه الحقائق المقررة ان لا بد من فتح كوى البيت وتجديد هوائهِ ولو في فصل الشتاء والبرد والاَّ ساءت صحة سكانهِ وضاقت اخلاقهم ولا سيما اذا كانوا يكثرون الاقامة فيهِ

الماء النقي

الماء النقي ضروري للصحة كالهواء النقي. ومن اغرب ما رأيناهُ في هذا القطر ان كثيرين من سكانهِ يفضلون ماء النيل العكر على الماء المصفى. فهم اذا بقيت معدهم على قوتها وصحتها وكانت ميكروبات الامراض التي تستطرق الى الماء قليلة او ضعيفة لم تؤثر فيهم ولكن اذا ضعفت معدهم او انحرفت صحتها واذا كثرت جراثيم الامراض في الماء لم يستطيعوا ان ينجوا من شرها ولذلك مات منهم الالوف بالكوليرا لما انتشرت في هذا القطر. ومعلوم ان ميكروب الكوليرا يدخل الماء من مبرزات المصابين بها التي تتصل بهِ حتى اذا شرب احد ذلك الماء وكانت معدتهُ غير قادرة على اماتة ميكروبات الكوليرا تكاثرت في امعائهِ وقتلتهُ. ولو رشّح ذلك الماء او أُغلي حتى زالت الميكروبات او ماتت منهُ لما بقي فيهِ شيء من الضرر. وخيرٌ من ذلك ان لا يشرب المرء ماء اتصلت بهِ ميكروبات الكوليرا ولكنهُ اذا كان لا يعلم حالة الماء

الذي يشربهُ واوجس خيفةً من اتصال ميكروبات مرضية بهِ وجب عليهِ ان لايشربهُ الاَّ بعد ان يرشحهُ او يغليهُ ولاسيما اذا كان الماءُ راكدًا او قليل الجري . اما الماءُ الغزير الجاري فقلما يكون منهُ ضرر





السيارات وحركاتها في شهر فبراير ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصباح الى التاسع من الشهر الساعة الحادية عشرة مساءً حين يمر باقترانهِ الاعلى و بعد ذلك يصير الى شرقي الشمس فيصير نجم المساء ولا يرى بالعين المجرَّدة الاَّ يومين او ثلاثة في آخر الشهر و يقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في التاسع من الشهر عند نصف الليل وعقدتهُ الصاعدة في السابع والعشرين الساعة الحادية عشرة مساءً . ويقترن بالمريخ في الثالث من الشهر الساعة الرابعة مساءً فيكون على درجة و٤دقائق منهُ جنوبًا . وسيرهُ شرقًا في برج الجدي والدلو الى الحوت

الزهرة

الزهرة نجم المساء وتزيد اشراقًا وسيرها شرقًا في برج الحوت وتقطع عقدتها الصاعدة في السابع والعشرين من الشهر الساعة ١ صباحًا

المريخ

المريخ نجم الصباح ولكنهُ لايرى لقربهِ من الشمس وسيرهُ شرقًا في برج الجدي والدلو ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في الثاني والعشرين من الشهر الساعة ١١ صباحًا ويقترن بالمريخ في الثالث من الشهر الساعة ٤ مساءً

المشتري

المشتري نجم الصباح يشرق عند نصف الليل في آخر الشهر ويمرُّ بالتربيع في الثامن والعشرين منهُ الساعة ٨ مساءً وسيرهُ في برج العقرب

زحل

يسير زحل الى الشرق سيرًا بطيئًا في برج الرامي و يزيد اقترابًا من الرؤية بازدياد عرضهِ

اقترانات القمر والسيارات

يوم	ساعة	دقيقة		
٢	٤	٠	مساء	يقترن بالزهرة فتقع ٦°٥٢َ جنوبًا
٢٣	٦	٠	صباحًا	" بالمشتري فيقع ١°٣١َ شمالاً
٢٤و٢٥		نصف الليل		" بزحل " ٠°٢٦َ جنوبًا

اوجه القمر

٦	٦	٢٨	مساء	الربع الاول
١٤	٣	٥٥	"	البدر
٢٢	٦	٤٩	"	الربع الاخير
١	٢	١٧	صباحًا	في الاوج
١٦	٣		"	" الحضيض



العلاج بالماء البارد

سُئلنا مرَّة عن القس سبستيان كنيب مشيع طريقة العلاج بالماء البارد فاجبنا اننا لا نعرف شيئًا من امرهِ ولم يكد الجزء الذي نشرنا الجواب فيهِ ينتشر حتى وردت علينا جريدة اميركية موضوعها الصحة فيها كلام كثير عن الاب كنيب وعلاجه ثم جاءتنا كتب واوراق كثيرة عنهُ فلم نستغرب جهلنا امرهُ لان الكتب والجرائد التي بين ايدينا ليس فيها شيءٌ من مزاعيم اهل الاوهام والخرافات . ولكن الظاهر ان بعض اخواننا السوريين لا يذهبون مذهبنا فقد عرَّب حضرة الفاضل الخوري يوحنا الحائك كتابًا كبيرًا للخوري سبستيان كنيب في "علاجهِ بالماء البارد لشفاء الامراض وحفظ الصحة" وقال في مقدمة وضعها لهُ ان هذا

الكتاب نشر اولاً سنة ١٨٨٧ وتعدد طبعهُ في اثناء اسابيع قليلة فبلغ ما بيع منهُ في عشر سنوات مئة الف نسخة . وكل ما اودعهُ فيهِ قد امتحنهُ واختبرهُ ومارسهُ مئة والف مرة مدة ثلاثين او اربعين سنة . واذ ادهش الاطباء ازدحام الناس وتوارد القوم الى القرية التي يعالج فيها امُّوها ليتفحصوا هذا الطب ويقفوا على كنه حقيقتهِ فاسفرت نتيجة مطالعتهم عن انشاء مستوصفات للتداوي لهذا الطب الناجع في المانيا والنمسا على الطريقة المذكورة "

وكأنَّ المترجم رأى الاوهام قليلة في بلادنا الشرقية وبضاعة الاطباء القانونيين رائجة رواجاً لا تستحقهُ فلم يشأ ان يبقى هذا الكتاب النفيس محجوبًا عنها طيَّ العجمة فعرَّبهُ بعبارة سهلة المأخذ قريبة التناول لكي لا يفوت نفعهُ ابناء الوطن

واتفق قبلما قرانا مقدمة هذا الكتاب اننا سمعنا قصة لا يندر امثالها وهي ان رجلاً أُتي بهِ الى امام القاضي في مدينة باريس بدعوى انهُ دجَّال يطابب الناس بالعزائم والطلاسم والادوية الوهمية. ولا يجوز لاحد ان يطابب ما لم يكن معهُ شهادة طبية قانونية . فقال ان الشهادة التي تطالبونها موجودة معي واسمي في سجل مدرستكم الطبية ثم احضر شهادتهُ واثبت انهُ هو الرجل المذكور فيها . فقيل لهُ ولماذا تستعمل التدجيل وانت طبيب قانوني فقال اني لما خرجت من المدرسة استأجرت بيتاً في احسن احياء المدينة وبقيت فيهِ سنتين وانا ابذل كل الوسائل لكي ادعى لمعالجة احد فلم يفتح الله عليَّ واخيرًا بلغني ان الدجالين يكسبون الاموال الطائلة فاضطرَّتني الفاقة الى اقتفاء آثارهم ومن يوم انتقلت الى الحي الحقير الذي انا فيهِ الآن واعلنت انني اطبّب بالطلاسم والمغنطيس اقبلَ المرضى عليَّ ايَّ اقبال ولن اعود الى التطبيب القانوني ما دامت شهادتي تحميني من المحاكم وارباحي وافرة من التدجيل

ومغزى هذه القصَّة واضح جدًا وهو ان جمهور الناس لم يزل يصدّق الاوهام والخرافات في كل البلدان فاقبالهم على علاج كنيب ليس دليلاً على صحتهِ . والشهادة المعوَّل عليها في هذا الموضوع هي شهادة كبار الاطباء الذين قرنوا العلم بالعمل ولم نرَ لاحد منهم كلاماً تثبت منهُ صحة هذا العلاج

وطرق العلاج المذكورة في هذا الكتاب بعضها نافع وبعضها لا ضرر منهُ اذا لم يكن نافعاً ولكن بعضها ضارٌّ جدًّا وذلك في الادواء الحادَّة السريعة الفتك كالدفثيريا وضررهُ ليس بنفسهِ لان غسل الظهر والصدر بالماء البارد قد لا يكون منهُ اقل ضرر ولكن الاعتماد عليهِ يؤخر ذوي المريض عن استدعاء الطبيب والمداواة بالمصل الشافي من الدفثيريا واذا تأخر هذا العلاج يوماً واحدًا فقد لا يبقى باب للشفاء

وحبذا لو اطّلع على هذا الكتاب طبيب قبل ترجمتهِ وطبعهِ لحذف منهُ ما يجب حذفهُ واثبت ما يجوز اثباتهُ لكي يكون خالياً من الضرر

الرئيس

الرئيس مجلَّة جراحيَّة علميَّة تاريخيَّة لصاحب امتيازها ومحرر مقالاتها الطبية الدكتور لويس الخازن وقد انتدب لرئاسة تحبير علمياتها وتحرير ادبياتها وتقويم عباراتها وانتقاء كلماتها حضرة العالم العامل والشاعر المجيد الاستاذ ابرهيم افندي الحوراني . وهي تصدر الآن مرة في الشهر من مطبعة الارز بجونية من اعمال لبنان . وفي الجزء الاول الذي صدر منها ديباجة يبين فيها غرض المجلة ويليها ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا ملخصة من كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء ثم كلام وجيز عن تقدُّم الطب وعن تاريخهِ قبل ابقراط وعن التسمم بالكحول وعن الضحك ومدلولهِ في الصحة والمرض وعلم الفلك والمرض والجوهر وحياة الاطفال ونحو ذلك من المواضيع العلمية . وعبارة المجلة مكينة سهلة المأخذ مألوفة الالفاظ فنثني على حضرة صاحبها ومحررها الثناء العاطر ونتمنى لها النجاح التام

قصب السكر

اهدى الينا حضرة الاديب احمد افندي جرانه من متخرجي مدرسة الزراعة الخديوية رسالة ألفها في قصب السكر ذكر فيها تاريخهُ وانواعهُ وطرق زراعتهِ والاعتناء بهِ وتنقلات الزراعة والسماد الذي يستعمل لهُ والامراض التي تصيبهُ ويلي ذلك كلام علمي مسهب عن كيمياء القصب وانواع السكر . وقد قال في تاريخهِ انهُ كان قديماً في القطر المصري ولكن لم يعتنَ بزراعتهِ الأ سنة ١٨٧٧ . وظاهر عبارتهِ ان العرب نقلوهُ الى اسبانيا والى البرازيل والمكسيك ايضاً وغيرهما من البلدان الاميركية التي كشفت حديثاً . اما كون العرب نقلوهُ الى اسبانيا فصحيح ولكنهم لم ينقلوهُ الى البلدان الاميركية كما هو ظاهر عبارتهِ

وقال في الكلام على القصب المصري انهُ "يوجد منهُ نوعان البلدي والرومي فالبلدي نقلتهُ العرب من جزائر باتافيا اكثر زراعة في الوجه البحري حيث دلت التجارب على انهُ لا يحسن بهِ غيرهُ ويستعمل غالباً للمص وهو اقل غلظاً وطولاً وحلاوة من الرومي . والرومي نقلتهُ العرب من هولاندة والمكسيك والبرازيل وهو اكبر من الاول وقد يمتد طولهُ الى خمسة امتار" .

وحبذا لو قال مَن من العرب نقل هذا القصب من هولانده والمكسيك والبرازيل ومتى كان ذلك . والكلام على الزراعة والتسميد مسهب كثير الفوائد فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تفاوت العقول

مصر . حسين افندي فهمي . ما هو سبب تفاوت الناس في قواهم العقلية مع ان العقل جوهر مجرَّد وهو واحد في الجميع

ج ان ما تراهُ من القوى العقلية وتصفهُ بالتفاوت او بالقوة والضعف انما هو افعال الدماغ وهذه الافعال تختلف باختلاف الادمغة وباختلاف الدماغ الواحد في احوال مختلفة وهي مثل قوة اليد فيد زيد قد تكون اقوى من يد عمرو بالفطرة او بالتمرين وتكون قوية ايضاً اذا كانت مستريحة وضعيفة اذا تعبت حتى اذا اشتدَّ التعب عليها لم تعد تستطيع مسك قلم الكتابة . وتظهر قوية اذا كان الجسم في صحتهِ وتضعف اذا اعتراهُ المرض واضعفهُ. وكذلك الادمغة متفاوتة في الناس طبعاً ودماغ الانسان الواحد يقوى بالتمرين ويضعف بالاهمال ويقوى بالصحة ويضعف بالمرض ويقوى بالراحة ويضعف بالتعب ويقوى بورود الدم الكثير اليهِ ويضعف بورود الدم القليل ويختلف في مضائهِ حسب الراحة والتعب وكثرة الطعام في المعدة وقلتهِ

(٢) سبب تفاوتها

ومنهُ. اذا قلتم ان اسباب هذا التفاوت في القوى العقلية هو مثل اسباب التفاوت في القوى البدنية كما اخبرتمونا شفاهاً لم تحلوا لنا المشكل بل نقلتمونا الى نظرية أُخرى اشبه بالنظرية الاولى فما هو السبب الجوهري لهذا الاختلاف في القوى كلها بدنية كانت او عقلية

ج ان جسم الانسان كلهُ عضلاً كان او دماغاً مركب من دقائق صغيرة جدًّا تسمى خلايا او حويصلات لها افعال خاصة بها وهي تتكون من غيرها بالانقسام وتغتذي وتعيش وتموت ولا بدَّ لها من الغذاء لتكونها ومعيشتها وعملها وهذا الغذاء تأخذهُ من الدم ونسبتهُ اليها نسبة الوقود الى الآلة البخارية اي ان قوتها منهُ فاذا كثر ورودهُ عليها ذخرت فيها قوة الى حين العمل. وتأتي القوة الى الدم مع دقائق الغذاء التي تدخل في تركيبهِ وهي حركة في دقائق الغذاء وفي دقائق كل المواد مصدرها الاصلي الشمس على ما يظهر او القوة الاصلية المودعة في النظام الشمسي. فكما تسير مركبات الترام الكهربائي

بالقوة الكهربائية الحاصلة من دوران الحديد والمغنطيس بواسطة قوة الآلة البخارية وتحصل قوة الآلة البخارية من حركة دقائق الماء بواسطة الحرارة الناتجة من الفحم وهي آتية الى الفحم اصلاً من حرارة الشمس التي تجمعت بواسطتها دقائق الكربون في اشجار العصور الغابرة كذلك في دقائق الغذاء قوة او حركة تنتقل الى الدم ومنهُ الى خلايا الدماغ والاعضاء وتظهر بمظاهر مختلفة عملاً وادراكاً ويكون ظهورها كثيرًا او قليلاً حسب كثرتها وقلتها والخلايا نفسها تأخذ كثيرًا او قليلاً من هذه القوة حسبما تُعَدُّ للاخذ منها بالتمرُّن والوراثة

(٣) اصل كلمة جرامر

مصر. محمد افندي عمر. بلغني ان كلمة جرامر grammar الافرنجية ماخوذة من كلمة اجرومية العربية فهل ذلك صحيح

ج كلاَّ بل هي يونانية الاصل من غراما اي حرف وغرافيون يكتف اي علم كتابة الحروف فان اليونانيين هم اول من وضع كتب الصرف والنحو وكان ذلك في الاسكندرية قبل الاسلام بنحو تسعمئة سنة

(٤) فائدة الخلد

بيروت. احد المشتركين. شكا اليَّ احد الاصدقاء ما تقاسيهِ غرَّاس جنينتهِ من فتك الخلد بها وانهُ افرغ الجهد لاتلافهِ ولم يفلح ومن جملة ما اتخذهُ الصديق من الوسائط انهُ وضع في الثوم جانبًا من سم الستركنين ومع رغبة هذه الآفة في الثوم لم تقع في ما نصب لها ولا قربتهُ فارجو ان تفيدوني في اول عدد من مجلتكم الجليلة عن الواسطة الفعالة المجربة في اتلاف الخلد مع البيان الكافي في استعمالها

ج الخلد صديق للزارع لا عدوٌّ لهُ فلا تفتشوا عن واسطة لقتلهِ وهو لا يأكل جذور النبات كما يتوهم الجمهور بل طعامهُ الوحيد الديدان والحشرات اي انهُ يحارب مع الزارع ويأكل اعداء الزراعة وقد ينشأ عنهُ ضرر قليل من حفر اسرابهِ تحت جذور المزروعات ولكن هذا الضرر لا يقاس بنفعهِ الكثير. اما انهُ لم يأكل السم الذي دُسَّ لهُ في الثوم فسببهُ انهُ لا يأكل الثوم ولا غيرهُ من المواد النباتية لانهُ من آكلات اللحوم وطعامهُ الوحيد الديدان والحشرات كما تقدَّم وهو نهم جدًّا يأكل منها الالوف والملايين فليحرص صديقكم عليهِ وليدافع عنهُ كما يدافع عن صديق

(٥) الهليوغراف

المنصورة. رمضان افندي احمد. ثبت انهم يتخاطبون في اماكن القتال بالاشعة الشمسية فما كيفية ذلك وهل يمكن التخاطب ولو كانت اشعة الشمس محجوبة بالسحب

ج لا يخفى انهُ اذا وقعت اشعة الشمس على مرآةٍ مستوية انعكست عنها حتى اذا كانت الاشعة مائلة على سطح المرآة انعكست

عنها الى جهة اخرى غير الجهة التي وقعت فيها الاشعة عليها . وانهُ يسهل إمالة المرآة حتى تُعكَس اشعة الشمس بها وترسل الى المكان الذي يراد ارسالها اليهِ . ويكون وقوع النور على ذلك المكان طويل المدة او قصيرها حسب ابقاء المرآة مدة طويلة او قصيرة في عكسها النور اليهِ . ويُتفق على قانون لحروف الهجاء مثل قانون تلغراف مورس الذي يُدَلُّ فيهِ على كل حرف بخط او نقطة او خطوط ونقط مختلفة . فاذا قصرت مدة عكس النور فذلك بمثابة النقطة واذا طالت فذلك بمثابة الخط . وقد اوضحنا ذلك كلهُ في مقالة خاصة في هذا الجزء

وواضح مما تقدم انهُ اذا كانت اشعة الشمس محجوبة بالسحب فلا يمكن التخاطب بهذه الآلة حينئذٍ

(٦) التلغراف الاثيري

ومنهُ قلتم ان انتقال الكلام في التلغراف الاثيري يحصل بتموّجات في الاثير المنتشر في الفضاء كانتقال الصوت بتموجات الهواء . ولكن اذا كان بين المرسل والقابل (الآلة المسماة بالجامع) آلة أُخرى في وسط المسافة خاصتها قبول الكهربائية ايضاً فهل مع انتقال الكلام الى الآلة المتوسطة ينتقل ايضاً الى الآلة التي يراد انتقالهُ اليها وهل من طريقة لمنع ذلك

ج اذا كان امام العمود الذي ترسل منهُ الامواج الكهربائية في الفضاء عمودان او اكثر على بعد واحد او ابعاد مختلفة وكل منها متصل بآلة مركوني التي تتأثر بهذه الكهربائية تأثرت كلها معاً . ويجتهد مركوني ان يمنع ذلك بجعل آلاتهِ على درجة معلومة من قابلية التأثر كالوتر الذي يدوزن لصوت دو او ري او مي فلا يتولد منهُ الا الصوت الذي دوزن لهُ ولا يجاوب غيرهُ فاذا كان عند زيد في مصر آلة من هذه الآلات وعند عمرو في حلوان آلة اخرى وارادا ان لا يسرق احد كلامهما الذي يتخاطبان بهِ دوزنا آلتيهما على درجة معلومة فتصير امواجهما الاثيرية تؤثر فيهما فقط او في ما دوزن مثلها

---

(٧) الترنسفال وسكانها

مصر . محمد افندي امين . كم مساحة بلاد الترنسفال بالتحقيق وكم هو عدد سكانها وما هي اجناسهم

ج تقدر مساحتها الآن ١١٩١٣٩ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ١٠٩٤١٥٦ نفساً البيض منهم نحو ٣٤٥٠٠٠ والباقون من السود سكان البلاد الاصليين وذلك حسب احصاء حكومة الترنسفال الذي اصدرتهُ سنة ١٨٩٨

(٨) ولاية اورنج الحرة

ومنهُ . وكم مساحة ولاية اورنج الحرة وكم عدد سكانها

ج مساحتها ٤٨٣٣٦ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٢٠٧٥٠٣ حسب احصاء حكومتها سنة ١٨٩٠ البيض منهم ٧٧٧١٦ والباقون من السود واكثر البيض من الجنس الهولندي

(٩) القطار المدرع

ومنهُ مَن اول من استعمل القطارات المدرَّعة التي يستعملها الانكليز الآن في حرب الترنسفال

ج يقال ان الفرنسويين اول من استعمل القطارات المدرعة وذلك انهُ لما حاصر الالمانيون مدينة باريس كانت الجنود الفرنسوية تخرج منها وتهجم على الالمانيين وتخرج معها مركبات من مركبات سكك الحديد فيها مدافع صغيرة لتحميها في سيرها . ولما حاصر الكومون في باريس وهاجمتهم الجنود من فرساليا وضع الكمون مدافع في قطار اسكتوا بها مدافع الجنود. ثم لما جاءت الجنود الانكليزية الى القطر المصري لاخماد الثورة العرابية بنى القبطان فشر قطاراً مدرَّعاً في الاسكندرية وهو آلة بخارية ومركبات من مركبات النقل حماها بصفائح الحديد واكياس الرمل وجعل الآلة البخارية في وسط القطار ووضع على المركبة المقدمة منهُ مدفعاً متعدد الطلقات ومدفعاً آخر في المركبة التي وراءها وسيَّر مركبتين امام هذا القطر لنسف ما ربما يكون في طريقهِ من الالغام ووضع فرقة من الجند في المركبات التي وراء الآلة البخارية . ومن ثم جعلت فرنسا والمانيا تبنيان القطارات المدرعة. وعند الانكليز الآن كثير من هذه القطارات وقد وقيت مركباتها من مدافع العدو بصفائح من الحديد ووضعت فيها المدافع القوية . واذا اريد اطلاق مدفع منها مُكّنت عجلاتها بالقضبان التي تحتها بلوالب متينة لكي لاتنقلب برد الفعل ولاسيما اذا أُطلق المدفع عمودياً علي خط السكة. وقد افسد البوير عمل الانكليز واتلفوا كثيراً من قطاراتهم المدرعة بنسفهم سكك الحديد بالديناميت من امامها . ومهما كانت الدروع متينة فهي لا تقي القطارات من قنابل المدافع فاذا اطلقت المدافع علي قطار مدرَّع اتلفتهُ

(١٠) القرن التاسع عشر

ومنهُ . ومن كثيرين غيرهُ هل انتهى القرن التاسع عشر وابتدأ القرن العشرين بابتداء هذا العام او لم نزل في السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر

ج قد طُرح سؤالكم هذا علينا مراراً في بداءة هذا العام كما طُرح على غيرنا ايضاً وكنا نجيب عليهِ ان السنة الحالية هي السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر ولكن كثيرين اخطأُوا فحسبوها بداءة القرن العشرين او انهم خافوا ان لا يعيشوا الى بداءة القرن العشرين فتسرَّعوا في حسبان هذا العام منهُ . والظاهر ان هذا الخطأ قديم فانهُ لما استعمل الملك شارلمان الحساب المسيحي الذي يبتدىء

بميلاد المسيح عدَّ سنة ٨٠٠ بداءة قرن جديد وكذلك لما ادخل بطرس الاكبر امبراطور الروس الحساب المسيحي الى بلادهِ عدَّ سنة ١٧٠٠ بداءة قرن جديد وجرى امبراطور الالمان الآن في خطتهِ لانهُ حسب سنة ١٩٠٠ بداءة القرن العشرين وجدُّهُ ابو امهِ وهو زوج ملكة الانكليز كان يعتقد كذلك. وهؤلاء الملوك يعذرون اذا اخطأوا في مسألة حسابية ولكن من الغريب ان لورد كلفن وهو اكبر علماء الرياضيات في الدنيا يعتقد ان السنة الحاضرة هي بداءة القرن العشرين. ولو حسبنا هذه السنة بداءة القرن العشرين لوجب ان يكون عدد السنة الاولى من التاريخ المسيحي صفرًا وعدد السنة الثانية واحدًا وعدد الثالثة اثنين وهذا ليس الواقع لانهُ لم توجد سنة عددها صفر. والحقيقة اننا الآن في الشهر الاول من السنة الاخيرة من المئة التاسعة عشرة من مئات التاريخ المسيحي

---

(١١) نفقات فرنسا ودينها

الاسكندرية. احد المشتركين بلغني ان نفقات الحكومة الفرنسوية اكثر من نفقات اية دولة اخرى غيرها ودينها اعظم من دين اية دولة اخرى فهل ذلك صحيح وكم هي نفقاتها السنوية وكم يبلغ دينها الآن

ج قدرت نفقاتها في ميزانيتها لهذا العام ١٤١٤٨٠٠٠٠ جنيه اي اكثر مما كانت عليهِ سنة ١٨٧٠ بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات لانها لم تكن حينئذٍ سوى ١٠١٧٦٠٠٠٠ جنيه. ودينها الوطني يبلغ الآن ١٢٠٠ مليون من الجنيهات اي انهُ مضاعف دين انكلترا. اما من حيث النفقات فنفقات روسيا اكثر قليلًا من نفقات فرنسا حسب الظاهر لانها نحو ١٦٠ مليونًا من الجنيهات غير ان قيمة هذا المبلغ في اوروبا اقل من قيمتهِ في روسيا. ولكن دين فرنسا يكاد يكون مضاعف دين روسيا وستدفع ربى دينها هذا العام اكثر من ٤٦ مليون جنيه

(١٢) التنويم المغنطيسي

ومنهُ قيل ان الذي يمارس التنويم المغنطيسي يستطيع ان يؤثر في عقل من ينومهُ ويجعلهُ يعمل في حال اليقظة اعمالًا لا يعملها لولا هذا التأثير فهل ذلك صحيح

ج نعم وقد ذكر الثقات حوادث كثيرة من هذا القبيل وآخر شيء قرأناهُ عنهُ ان طبيبًا يمارس التنويم المغنطيسي كان ينوّم رجلًا ويقنعهُ ليساعد بعض الاعمال المتعلقة بالتنويم ثم توفي هذا الرجل بغتة وفتحت وصيتهُ فاذا هو قد اوصى لذلك الطبيب بخمسة آلاف جنيه ولم يوصِ بمثل ذلك لاحد من ذوي قرباه وثبت من البحث ان الطبيب اثَّر في ذهنهِ واقنعهُ وهو نائم ليوصي لهُ بهذا المال فاوصى لهُ بهِ وهو مستيقظ عملًا بالتاثير الذي في ذهنهِ

باب الاخبار العلمية

السر جمس باجت
Sir James Paget, Bart.

مات المداوي والمداوى والذي
صنع الدواء وباعهُ ومن اشترى

نعي الى الاطباء وجمهور الباحثين في العلوم الطبيعيَّة الطبيب الجرَّاح السر وليم باجت توفي شيخاً شبعاناً من الايام في السادسة والثمانين من عمرهِ . فقد ولد في الحادي عشر من يناير سنة ١٨١٤ ودرس الطب واشتهر بالجراحة علماً وعملاً حتى فاق الاقران وعُدَّ اول جرَّاح في البلاد الانكليزية ودرَّس علم الجراحة سنين كثيرة ووسَّع نطاقهُ وهو الذي اكتشف التريخينا ووصف مرض حلمات الثدي المنسوب اليهِ وكان يتعلم من كل شيء و يعلم من كل شيء ويلبس كل المواضيع لباس العلم والفلسفة و يستخدم كل المكتشفات العلمية الحديثة لفائدة علم الجراحة والباثولوجيا الجراحيَّة . وشهرتهُ في التعليم اعظم من شهرتهِ في البحث والتأليف وقدقاد تلامذتهُ الى رياض العلم وارشدهم في سبلها فساروا فيها وجنوا خير الثمار . ولهُ من الكتب كتاب في فوائد الميكرسكوب نشر سنة ١٨٤٢ وخطب في الباثولوجيا الجراحيَّة نشر سنة ١٨٥٣ و ١٨٦٣ و ١٨٦٨ ومقالات كثيرة في اعمال الجمعيَّة الملكيَّة . عين جراحاً لبرنس اوف ويلس منذ سنة ١٨٦٣ وللملكة فكتوريا منذ سنة ١٨٧٨ ورئيساً لمدرسة الجراحين الملكية سنة ١٨٧٥ وهو عضوٌ في كثير من المجامع العلمية

الدكتور مارتنو
Dr. J. Martineau.

ومن العلماء الذين فارقوا الحياة الدنيا في هذا الشهر الدكتور جمس مارتنو الفيلسوف اللاهوتي الشهير الذي قال فيهِ غلادستون "انهُ اعظم الفلاسفة الاحياء من غير جدال" ولد في اوائل سنة ١٨٠٥ فتوفي ولهُ من العمر خمس وتسعون سنة وكان قساً في كنيسة الموحدين بدبلن ولفربول وعين استاذاً للفلسفة الادبية في مدرسة منشستر الكلية سنة ١٨٤١ وانتقل الى مدينة لندن لما انتقلت تلك المدرسة اليها وجُعل رئيساً لها وبقي في رئاستها الى سنة ١٨٨٥ وظلَّ خمسين سنة متبوِّئاً المقام الاعلى في الفلسفة والانشاء بين رجال عصرهِ ولهُ كتب كثيرة جداً دينية وفلسفية ومقالات شتى في الجرائد العلمية والادبية ولا سيما في المجلة الوطنية (ناشينال رفيو) التي كان من منشئيها . وعلى مخالفتهِ في المعتقد لكثيرين

من المسيحيين يعترف لهُ الجميع بصدق النية واخلاص الطوية والتقوى الصحيحة ولا يذكر الاَّ بالمدح والتبجيل

مصدر التيفويد

تكثر الحمَّى التيفويدية في جنوبي افريقية ولا سيما حينما تنتشب الحروب فيها كما فشت وقت حرب الزولو وكما هي فاشية الآن في لادي سمث . والمشهور ان عدواها تصل من مبرزات المصاب بها الى ماء الشرب ومنهُ الى الذين يشربونهُ فيعدون بها . الاَّ ان الدكتور جمس الن من اطباء بترمارتزبرج في جنوبي افريقية استدلَّ من امور كثيرة على ان التيفويد تصيب اولاً العجول وتخرج جراثيمها مع البراز فاذا اتصل باللبن او بالماء انتقلت العدوى بهِ الى من يشربهما

الكينا في الهند

شجر الكينا اميركي الاصل لكنَّ الانكليز زرعوهُ في بلاد الهند لما خافوا ان يستاصل من اميركا فنجحت زراعتهُ وفيها الآن اكثر من مليوني شجرة استخرج منها في العام الماضي ١٠٣٣٥ رطلاً من سلفات الكينا و٣٩٢١ من السنكونا . و يستعمل ذلك كلهُ في بلاد الهند فلا يصدر منهُ شيء الى الخارج

السرطان واكل اللحم

لا شبهة ان الانسان من آكلات اللحوم لكنهُ لم يكن يستطيع الاكثار من اكل اللحم لما في الحصول عليهِ من المشقة فصار اكثر طعامهِ من المواد النباتية غير ان البعض تتوفر لديهم اسباب الكسب ويسهل عليهم الاكثار من اكل اللحم فيصير اكثر طعامهم منهُ ويقال ان داء السرطان الخبيث يكثر ظهورهُ في هؤلاء الناس و يقلُّ في غيرهم من الذين يعتمدون في طعامهم على المواد النباتية ولا ياكلون اللحوم الاَّ قليلاً . وقال بعضهم انهُ بحث في احوال المجنونين في اماكن كثيرة فلم يرَ لداء السرطان اثرًا فيهم ونسب ذلك الى منعهم من اكل اللحم . ونحن نعرف اثنين اصيبا بسرطان المعدة وهما من الذين يصدق عليهم الحكم المتقدم اي انهم ولدوا ونشأوا في بيوت يقل اكل اللحم فيها ثم تغيرت عاداتهم فصاروا يكثرون منهُ ولا اثر لداء السرطان في آبائهم واسلافهم

ولم تزل حقيقة السرطان مخفية الاَّ ان احدى السيدات الاميركيات وهبت مدرسة هارفرد الجامعة مئة الف ريال لكي تنفقها في البحث عن حقيقتهِ وكانت في حياتها تنفق النفقات الطائلة على المصابين بهِ

قصاص التدجيل

كان الدكتور شنك استاذًا لعلم الهستولوجيا ومديرًا لقسم الاجنَّة في مدرسة فينَّا الجامعة منذ ٢٦ سنة فنشر منذ مدة وجيزة ما نشرهُ في الجرائد السيارة عن كيفية

تولّد الذكر والانثى فعدَّ اخوانهُ الاطباء ذلك ضربًا من التدجيل شبيهًا بهِ وطلبوا اعفاءهُ من منصبهِ فأُعفي منهُ اجابة لطلبهم

رعَّاد النيل

الرعاد سمك كهربائي يكثر في نيل مصر عرفهُ المصريون القدماء وصوَّروهُ في قبورهم منذ سبعة آلاف سنة كما ترى في قبر تي في سقارة واشار اليهِ الكتَّاب الاقدمون من اليونان والعرب . وقد بحث المستر غوتش في تركيبهِ وتكلم عنهُ في خطبة تلاها في دار العلم الملكية ببلاد الانكليز فقال ان اعضاءهُ التي تتولد منها الكهربائية موجودة في جلدهِ وهي تحيط ببدنهِ كلهِ ومنظرها جميل جدًّا اذا نُظر اليها بالميكرسكوب وكل عضو منها مؤلف من صفوف من الخلايا وفي كل خلية منها صفيحة كالورقة لها زنيدة مثل زنيدة الورقة ويدخلها فرع عصبي وينتهي في زنيدة الصفيحة فاذا لُمست السمكة تأثرت اطراف هذه الاعصاب فحدث فعل في الخلايا تولدت منهُ الكهربائية كانها حلقات بطرية كهربائية ويجري المجرى الكهربائي في السمكة كلها من راسها الى ذنبها و يسير في ما حولها فيصرع السمك الصغير و يشعر بهِ الانسان

السل من طوابع البوسطة

جاء في النشرة الطبية الفرنسوية بتاريخ ١٦ دسمبر الماضي ان جنديًّا اصيب بالسل وكان من المغرمين بجمع طوابع البوسطة والصاقها في كتاب خاصٍ بها وكان معتادًا ان يبلها بلسانهِ حينما يريد الصاقها فامتحن الاطباء الغراء اللاصق بها فوجدوا فيهِ ميكروب السل كأنهُ لصق بهِ من افواه اناس مسلولين كانوا يبلونها بلعابهم حينما يلصقونها فاتضح لهم من ذلك ان هذا الجندي أُصيب بالسل من هذه الطوابع

رسكن

J. Ruskin.

هو شيخ آخر من مشاهير كتَّاب الانكليز ولد سنة ١٨١٩ ودرس في مدرسة اكسفرد والَّف كتبًا كثيرة تعدُّ من الطبقة الاولى في بلاغة انشائها وحسن بيانها مثل كتابهِ عن مصابيح البناء السبعة وحجارة البندقية والسمسم والزنبق وآداب الغبار وتاج الزيتون وملكة الهواء ونحو ذلك من الكتب المشهورة عند قومهِ . وكانت وفاتهُ في العشرين من يناير

دود الحرير والنور

قال المسيو فلامر يون انهُ ثبت لهُ بالامتحان ان النور يؤثر في دود الحرير تأثيرًا شديدًا و يظهر تأثيرهُ في حريرهِ وبزرهِ ومقدار الذكور والاناث في ما يولد منهُ

الذهب في الدنيا

اوقفت حرب الترنسفال اخراج الذهب من مناجمها ومع ذلك بلغ المستخرج من الذهب في الدنيا كلها اكثر مما بلغ في كل عام من

الاعوام السالفة كما ترى في هذا الجدول

سنة	١٨٩٠	٢٣٨٠٠٠٠٠	جنيه
«	١٨٩١	٢٦١٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٢	٢٩٢٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٣	٣١٥٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٤	٣٦٢٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٥	٣٩٩٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٦	٤٠٦٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٧	٤٧٧٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٨	٥٧٥٠٠٠٠٠	«
«	١٨٩٩	٦٢٧٠٠٠٠٠	«

فزاد ما استخرج منذ سنة ١٨٩٩ عما استخرج سنة ١٨٩٨ اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات ومن هذه الزيادة مليون ونصف من الولايات المتحدة الاميركية و ٨٧٠ الفاً من كندا وثلاثة ملايين وربع من استراليا ولكن قلّ المستخرج من جنوبي افريقية بسبب الحرب نحو مليون ونصف

وقد احصت جريدة الايكونومست مقدار الذهب في بنوك الدنيا في العام الماضي والعام الذي قبله فوجدت انهُ في بنك انكلترا على حاله تقريباً اي نحو ٢٩ مليون جنيه وقد زاد مليونين في بنك فرنسا فكان نحو ٧٣ مليوناً فبلغ ٧٥ مليوناً ونقص في بنك روسيا ١٤ مليوناً فكان ٩٩ مليوناً فاصبح ٨٥ مليوناً ونقص في بنك المانيا مليونين ونصف كان ٣٧ مليوناً ونصف مليون فاضحى ٣٥ مليوناً وزاد في بنك النمسا نحو ثلاثة ملايين كان نحو ثلاثين مليوناً فاضحى نحو ٣٣ مليوناً وزاد في بنك اسبانيا نحو مليونين ونصف كان ١١ مليوناً فاضحى ١٣ مليوناً ونصف مليون وزاد في خزينة الولايات المتحدة الاميركية ٢٣ مليوناً كان ٥٦ مليوناً فاضحى ٦٩ مليوناً ولكنهُ نقص في بنوكها نحو خمسة ملايين

موقع اوفير

جاء في التوراة ان الملك سليمان عمل سفناً في عصيون جابر بجانب ايلة على شاطىء بحر سوف (البحر الاحمر) في ارض ادوم فارسل حيرام (ملك صور) في السفن عبيده النواتي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان فاتوا الى اوفير واخذوا من هناك ذهباً اربع مئة وعشرين وزنة واتوا بها الى الملك سليمان . وقيل بعد ذلك ان سفن حيرام التي حملت ذهباً من اوفير اتت من اوفير بخشب الصندل كثيراً جداً وبحجارة كريمة . وقيل قُبيل ذلك ان سفن ترشيش كانت تأتي مرة كل ثلاث سنوات حاملة ذهباً وفضةً وعاجاً وقروداً وطواويس

وقد اختلف الباحثون في موقع اوفير هذه فذهب البعض الى انها في بلاد الهند لذكر خشب الصندل مع الذهب وهو لا يوجد الا هناك وذهب آخرون الى انها في شرقي افريقية الجنوبية . وقد اثبت الدكتور

كارل بيترس الرحالة الالماني ان موقع اوفير على نهر زمبيسي ذاهباً في ذلك مذهب المستر بنت كما اوضحناهُ غير مرة . ولا شبهة في ان الذهب كان يستخرج من هناك بكثرة ولم تزل آثار مناجمهِ ومسابكهِ حتى الآن وهذه الآثار قديمة جدًّا . ولكن لا دليل على انها سامية الاصل . قالت جريدة ناتشر في هذا الصدد "ولم يذكر الدكتور بيترس حتى الآن كل الادلة التي وجدها على ان اوفير في افريقية اما الادلة على ان اوفير في الهند فوجود خشب الصندل مع الذهب الذي كانت تأتي بهِ سفن حيرام وهو خاص ببلاد الهند ولكن القرود والطواويس التي كانت السفن تاتي بها من قرب اوفير تدلُّ على ان ذلك المكان كان اقرب من الهند الى فلسطين لان الطواويس لا تحتمل سفر البحر اشهرًا في سفن مكشوفة

هبة فلكيَّة

وهب المسيو روفائيل بشوفشيم مدرسة باريس الجامعة مرصدهُ في مدينة نيس وهو يساوي مليونين وسبع مئة الف فرنك ووهبها ايضاً مليونين وخمس مئة الف فرنك لكي تنفق عليهِ من ريعها ومجموع هذه الهبة اكثر من مئتي الف جنيه

التلغراف الاثيري في افريقية

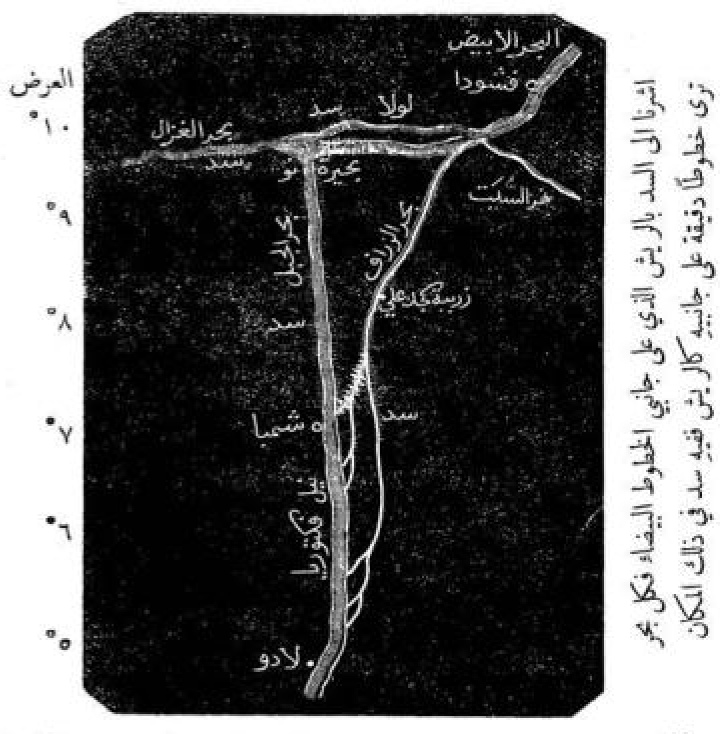
استعمل الانكليز التلغراف الاثيري في جنوبي افريقية فبعثوا بهِ الرسائل البرقية مسافة سبعين ميلاً من غير اسلاك . واستحضر البوير ست آلات من آلات مركوني فعلم بها الانكليز قبل وصولها وقبضوا عليها في مدينة الراس

النيل والسد

نشرنا في هذا الجزء تقرير السر وليم جارستن عن النيل وشحهِ هذا العام وما ينتظر من زيادة الشح الى ان يرد ماء الفيضان وقد ذكرنا قبلاً ان حكومة السودان بعثت اناساً يزيلون السد من بحر الزراف حتى يصل ماء نيل فكتوريا الى البحر الابيض بهِ ولا يجري في بحر الجبل و يضيع اكثرهُ في المستنقعات التي على جانبيهِ (انظر الرسم التالي) وقد ارسل القائمقام بيك بك تلغرافاً من نقطة الجبلين على النيل الابيض في اواخر يناير قال فيهِ "شرعت في ٣١ الماضي في ازالة السد على عرض ٩ درجات و ٢٩ دقيقة عن المكان الذي ابتدأ منهُ الحاجز في العام الماضي فازلت ١١٠٠ يرد من السد الى ٤ يناير الحالي . ثم ازلت الحاجز الثاني واتممت عملي فيهِ يوم ١٨ الجاري وكان ممتدًّا مسافة ١٢٥٠ يردًا ولم اقس الحاجز الثالث بعدُ ولكنني ازلت منهُ ١٠٠٠ يرد تقريباً . و يسير بحر الجبل بين جسرين جافين وعمقهُ يختلف بين ١٨ قدماً و ٢٨ وعرضهُ بين ٦٠ قدماً و ١٠٠ قدم

والماء الذي ينصرف منهُ يبلغ ٤٠٠ قدم مكعبة في الثانية الواحدة من الزمان"

هذا ما اخبرت بهِ الحكومة الجرائد اليومية وظاهرهُ ان الذين ذهبوا لازالة السد اخذوا يزيلونهُ من بحر الجبل لا من بحر الزراف مع ان المستر ولكوكس اقترح ان يزال من طرف بحر الزراف عند التقائهِ ببحر فكتوريا كما ترى في هذا الرسم. ثم قال بيك بك في آخر تلغرافهِ الى الكبتن كاج قال لهُ انهُ يمكنهُ ان يفتح بحر الجبل من الآن الى آخر



اشرنا الى السد بالريش الذي على جانبي الخطوط البيضاء فكل بحر ترى خطوطاً دقيقة على جانبيه كالريش ففيه سد في ذلك المكان

ابريل الآتي

وقد كان لهذا التلغراف شأن كبير في هبوط ثمن القطن بعد ان غلا غلوًّا فاحشاً لان القلوب اطمأنت بقرب ازالة السد وغزارة المياه ولكن الذين فهموا ذلك من التلغراف بادىء بدء وجدوا بعد امعان النظر ان الامر ليس على حسب ما فهموا وان اربع مئة قدم مكعبة في الثانية ليست شيئاً يذكر لانها اقل من ١٢ متراً مكعباً فهي مثل ما يصرف من ترعة غير كبيرة فعاد الناس الى قلقهم لقلة الماء وعادت الاسعار الى الارتفاع

الاستاذ مكاستر

اننا بلقاء العلاَّمة المفضال الاستاذ مكاستر استاذ التشريح في مدرسة كمبردج الجامعة وصاحب التصانيف الكثيرة في علم التشريح وعلم الحيوان والفسيولوجيا. جاء القطر المصري مع عائلتهِ الكريمة لترويح النفس ومشاهدة الآثار المصرية وهو من العالمين بها

حرق الموتى

لا يزال العلماء يشيرون بحرق اجسام الموتى حاسبين حرقها خير الاساليب للتخلص منها . قال السرهنري طمسن "ان جسد الميت يتحلل الى حامض كربونيك وماء وامونيا وبعض المواد الترابية فما هو الاسلوب لحلهِ بسرعة وسلامة ومن غير كراهة" وبديهي ان حلهُ موضوعاً في لحد او مدفوناً تحت التراب لا يفي بالمراد لانهُ لا يتحلل سريعاً ولا انحلالهُ كذلك خالٍ من الضرر والروائح الكريهة . لكن المرء يكره حرق عزيزهِ ولو علم ان جسدهُ يفسد سريعاً اذا لم يحرق ويصير جيفة لا تطاق . وقد تمضي سنون كثيرة قبلما تزول هذه الكراهة من النفس ويألف الناس حرق موتاهم كما الفهُ الهنود

تاريخ الامير حيدر

يعلم ابناء الشام بنوع عام وابناء لبنان بنوع خاص ان الامير حيدر الشهابي ألَّف تاريخاً مسهباً منذ ستين او سبعين عاماً جمع فيهِ اخبار الامويين والعباسيين والفاطميين والترك والمغول والشراكسة والصليبيين والتنوخيين والمعنيين والشهابيين الى حكم الامير بشير الشهابي الكبير . وساعدهُ في جمعهِ وتنقيحهِ العلامة اللغوي احمد فارس الشدياق . وقد اعتمد فيهِ على اشهر التواريخ المتداولة وغير المتداولة كتاريخ الطبري وابي الفرج والمسعودي وتاريخ الروم وتاريخ صاحب صور وتاريخ ابن سباط الفقيه العاليهي وتاريخ البيعة وجعلهُ ثلاثة اجزاء كبيرة. وهذا التاريخ نادر جدًّا فقضى حضرة صديقنا الاستاذ نعوم مغبغب عشر سنوات في التفتيش عنهُ وبذل النفس والنفيس حتى ظفر بنسخة كاملة منهُ وقد اطلعنا عليها فاذا هي كتاب كبير اذا طُبع جاء قدر مجلد من مجلدات المقتطف وقد عزم على طبعهِ بحرف مثل حرف المقتطف وقطع مثل قطعهِ وفتح باباً للاشتراك فيهِ وجعل ثمنهُ للمشتركين اربعين غرشاً اميرياً او ١١ فرنكاً تدفع سلفاً ويقفل باب الاشتراك في اواخر ابريل. فعسى ان يقبل ابناء العربية على اقتناء هذا الكتاب النفيس

مستوصفات باستور

صار في فرنسا الآن ثمانية من مستوصفات باستور لمعالجة الكَلَب الاول في باريس والثاني في الجزائر والثالث في تونس والرابع في منبليه والخامس في مرسيليا والسادس في

بوردو والسابع في ليل والثامن في ليون وقد فتح الاخير في غرة يناير . ويوجد الآن ست مستوصفات في روسيا في بطرسبرج وموسكو وسمارا وخاركوف وورسو واودسا . وخمسة في ايطاليا في بولونا وميلان ونابلي وبالرمو وتورين واثنان في النمسا والمجر في فينا وبودابست . ويوجد مستوصفات اخرى في سرقوسة ومالطة وبخارست والقسطنطينية وحلب وتفليس والقاهرة. وثلاثة في اميركا الشمالية في نيويورك وشيكاغو وهافانا واثنان في اميركا الجنوبية في ريوجنارو وبونس ايرس

بدء القرن العشرين

تكلمنا في باب المسائل في هذا الجزء على بداءة القرن العشرين وابنا هناك ان العلماء متفقون الآن على ان هذه السنة هي السنة الاخيرة من القرن التاسع عشر لا السنة الاولى من القرن العشرين كما حكم امبراطور المانيا . والظاهر انهُ كثر الخلاف في هذه المسألة سنة ١٨٠٠ فحكم لالند الفلكي الشهير وكان استاذ الفلك في مدرسة باريس الجامعة ان القرن التاسع عشر يبتدئ في غرة يناير سنة ١٨٠١ وعليهِ فالقرن العشرون يبتدئ في غرة يناير المقبل سنة ١٩٠١

الكسوف المقبل

تكسف الشمس في الثامن والعشرين من شهر مايو المقبل ويرى هذا الكسوف كليًا في بلاد الجزائر واواسط اسبانيا والبرتغال وشمالي اميركا وقد اخذ علماء الفلك في كل الاقطار يستعدون للرحلة الى الاماكن التي يرى فيها ليراقبوهُ منها

الجوائز العلمية الفرنسوية

تعطى الجوائز كل سنة في فرنسا للعلماء الذين يؤلفون كتبًا مفيدة او يكتشفون اكتشافات نافعة ومن الجوائز التي تعطى هذا العام جائزة مئة الف فرنك لمن يكتشف ترياقًا للكوليرا الاسيوية او يكتشف اسبابًا يمكن ازالتها فتزول هي معها . ومنها جائزة قدرها ٩٧٥ فرنكًا لمن يبحث احسن بحث في الحيوانات غير النقرية الموجودة في مصر وسورية . اي ان الفرنسويين يجيزون من يبحث عن علل امراضنا وطبائع حيواناتنا ونحن متقاعدون عن ذلك ونلوم الحكومة اذا انفقت غرشًا في هذا السبيل

مؤتمر مصوري الشمس

يهتم مصورو الشمس بعقد مؤتمر عام في معرض باريس هذا العام وقد تألفت لجنة للبحث في ذلك برئاسة المسيو جانسن الفلكي وسيكون بحث المؤتمر في خمسة مواضيع مهمة وهي (١) المسائل الطبيعيَّة المتعلقة بالفوتوغرافيا (٢) المواد المستعملة فيها (٣) الكيميا الفوتوغرافية (٤) الكتب الموضوعة في هذا الفن (٥) المسائل الشرعية والصناعية المتعلقة بهِ .

والدخول في هذا المؤتمر مباح لكل المصورين ورسم الدخول عشرة فرنكات لا غير

علاج الكلب

عولج في العام الماضي ١٤٦٥ نفساً في مستوصف باستور في باريس من داء الكلب فتوفي منهم ثلاثة لا غير وشفي الباقون وقد عولج في العام الذي قبلهُ ١٥٢١ فمات منهم ٦ وفي الذي قبلهُ ١٣٠٨ فمات منهم ٤

اتوموبيل جديد

صنع اتوموبيل جديد في فرنسا فيهِ آلة بخارية صغيرة يوقد فيها البترول وفيهِ آلة كهربائية تخزن فيها القوَّة فاذا زادت قوة الآلة البخارية على حاجة الاتوموبيل تحوَّلت القوَّة الزائدة الى كهربائية وذخرت في الآلة الكهربائية لتستعمل حين الحاجة اليها

مركز ذاكرة الاسماء

استدلَّ احد العلماء النمسويين ان في الدماغ مركزًا خاصًّا بحفظ الاسماء فيحفظها ويتذكرها وقد ثبت ذلك حديثاً فان رجلاً اصيب برصاصة في رأسهِ فنسي اسماء الاشياء وبقي يعرف اوصافها ثم ان الجرَّاح بحث عن الرصاصة فوجدها مستقرة على المركز الذي قال عنهُ العالم النمسوي فلما استخرجها وزال ضغطها عن ذلك المركز عاد الرجل الى تذكُّر الاسماء

الخزف الصيني المصري

بحث العلماء طويلاً في هل كان المصريون يعرفون كيفية عمل الخزف الصيني فقال المسيو برونيار في كتابهِ المشهور في عمل الخزف ان كل قطع الخزف الصيني التي وجدت في القطر المصري هي من اصل صيني . وقد بحث المسيو شاتليه في هذا الموضوع الآن ثانياً بحثهُ على تماثيل صغيرة وجدت في سقارة فقال ان خزفها صيني وهي مصنوعة في القطر المصري من غير ريب وتختلف في تركيب خزفها عن الخزف الصيني الذي يصنع في الصين . ثم صنع خزفاً مثلهُ من ٥٥ جزءا من الرمل و٥ من الطين الابيض واربعين من الزجاج الازرق وشواهُ على درجة ١٢٠٠ من الحرارة

شركات السكورته

كان في بلاد يابان سنة ١٨٩٠ اربع شركات فقط من شركات السكورته (الضمان) راس مالها مليون و٦٠٠ الف ريال فصار فيها سنة ١٨٩٨ ثلاث وسبعون شركة راس مالها نحو خمسة وثلاثين مليوناً من الريالات وهذه الشركات كلها يابانية

ما يشرب من البيرة

يشرب الالمانيون في سنتهم نحو ١٤٠٠ مليون جالون من البيرة والانكليز ١٢٠٠ مليون والفرنسويون ٢٠٠ مليون والروسيون ١٠٠ مليون . ويشرب البلجي ٣٦ جالوناً في

السنة والانكليزي ٣٠ جالونًا والالماني ٢٥ والدنمركي ٢١ والسويسري ١٢ والاميركي ١٠ والهولندي ٩ والفرنسوي ٥ والاسوجي ٢ والروسي ١

تجارة القطن في العام الماضي

قالت جريدة الايكونومست الشهيرة ان عام ١٨٩٩ كان من أكثر الاعوام ربحًا للمشتغلين بالقطن منذ عشرين سنة الى الآن فربح الغزالون الذين يغزلون القطن الاميركي والذين يغزلون القطن المصري ربحًا لم يعتادوهُ وكذلك ربح النساجون سواءٌ كانوا ينسجون مما يغزلونهُ او يبتاعون الغزل وينسجونهُ مع ان ثمن القطن كان غاليًا. وقد قدَّر المستر هنري نيل موسم اميركا احد عشر مليون بالة ولكن بريس ومكرماك وشركاؤُهم قدَّروهُ بتسعة ملايين بالة . (وقد ترجح التقدير الاخير او ما يقاربهُ) فارتفعت الاسعار رويدًا رويدًا وفي ظن الغزالين ان الموسم لا يزيد على عشرة ملايين بالة . وقد ارتفع سعر القطن المصري في آخر السنة لكثرة ما ابتاعهُ الغزالون منهُ ولانهُ يظن ان الموسم المقبل يكون قليلاً

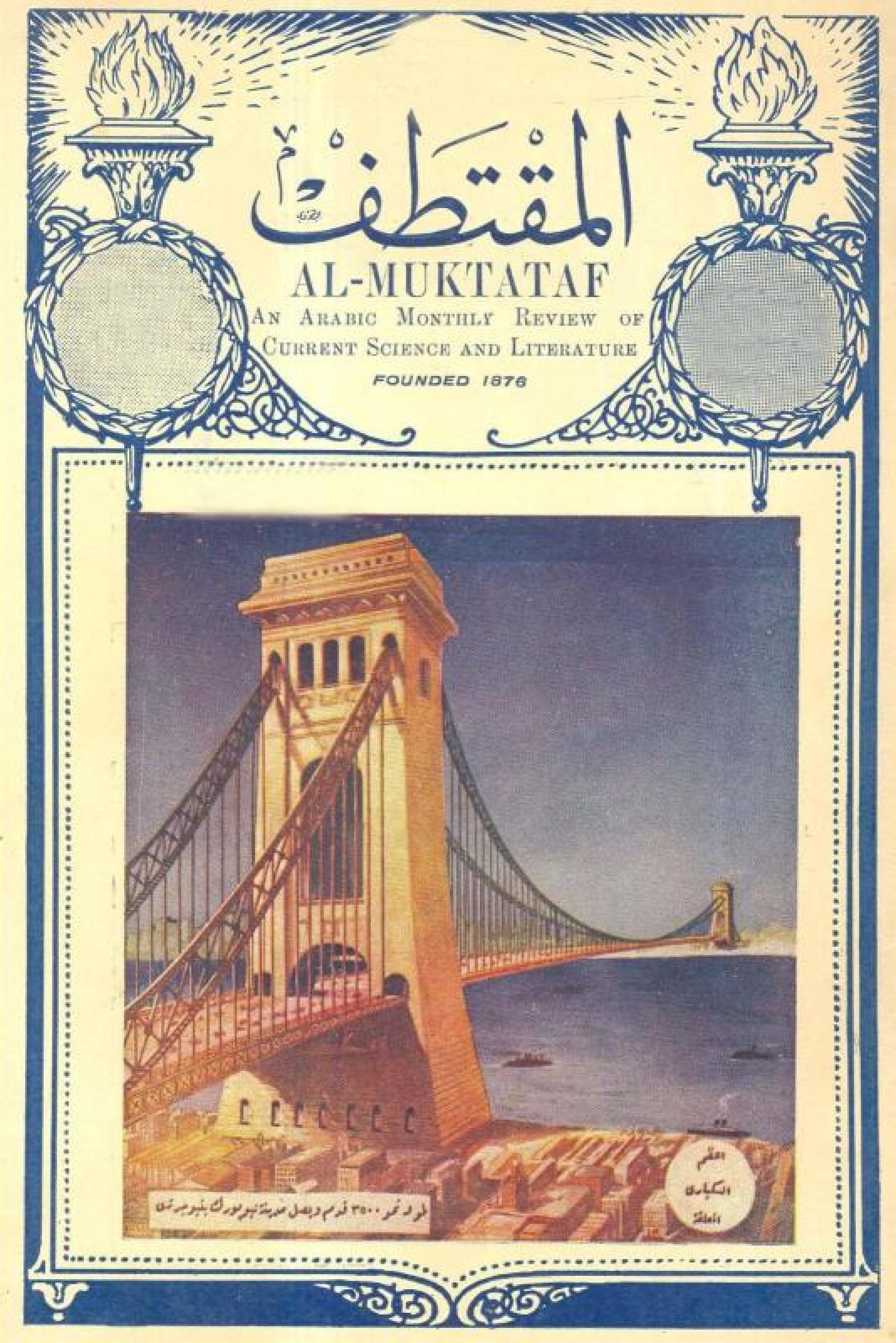
وقد اشترى تجار الهند كثيرًا من المنسوجات حتى بلغ ما اخذوهُ ٤٣ في المئة مما صدر من انكلترا فنسجت الانوال كل ما غزلتهُ المغازل. وقد بلغ ما اخذتهُ الهند نحو ٢٣٢٠ مليون يرد وكان ما اخذتهُ في العام الماضي نحو ٢٢٤٦ مليون يرد

القطبة الجنوبيَّة

من ابدع ما نشر في غرة هذا العام مقالة بقلم الدكتور فردرك كوك الاميركي وصف فيها سفر البعثة البلجية الى انجاه القطبة الجنوبية ونشرها في جريدة السنتشري الاميركية واودعها من اخبار النوادر التي وقعت لهم والمخاطر التي وقعوا فيها ما يقرب من رحلة الدكتور نتسن الى القطبة الشمالية وقد اكتشفوا كثيرًا من الجزائر والجبال التي لم تعرف من قبل ورأَوا جبال الثلج سائرة في البحر وكادت تغرق سفينهم مرارًا ورأَوا طيور البحر المعروفة بالبنغوين وهي قصيرة الجناح تقف على اقدامها منتصبة كأنها الانسان في انتصاب قامتها او قناني الشراب في شكلها . وقد سموا الاماكن التي اكتشفوها باسماء بعض المشاهير مثل جزيرة نتسن وجزيرة فانوك وجزيرة اندره وخليج نومير ورأَوا الشفق القطبي مرارًا واستطاع الكاتب مرة ان يصور تلك الاصقاع صورة فوتوغرافية في وسط الليل وكانت الشمس تحت الافق ولكن نورها كان يصبغ وجه السماء بلون ذهبي بديع

وسيكون لما اكتشفتهُ هذه البعثة وجمعتهُ من الحجارة والمعادن ونحوها شأن كبير في ما يختص بتلك البلاد جغرافيا وجيولوجيا

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876
طوله نحو ٣٥٠٠ قدم ويصل مدينة نيويورك بنيوجرسي

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣١٧

البعوض وطبائعه

لا يستخفن الفتى بعداوة ابدًا وان كان العدوُّ ضئيلا
ان القذى يؤذي العيونَ قليلُهُ ولربما جرح البعوضُ الفيلا

ولو بُعث ابو الفتح البستي ناظم هذين البيتين ورأى علماء الطب والميكروبات يضربون في ايطاليا والهند وغربي افريقية يبحثون عن البعوض وكيفية تولده ونشره الحميات الاجمية التي تفتك بالالوف بعد ان تصيب الملايين لوجد الى التمثيل سبيلاً اوسع ولزاد على ما قاله بعضهم

لا تحقرنَّ صغيرًا في عداوتهِ ان البعوضة تدمي مقلةَ الاسدِ

ان البعوضة تنغص كأس الحياة وتورد الناس موارد الهلاك ولكن ليس كل البعوض في ذلك شرعًا ولو كان كله مؤلمًا مؤذيًا

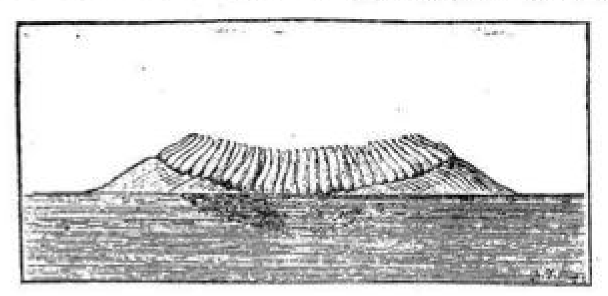
والذين تكلموا عن البعوض من علماء العرب وصفوه وصفاً حسناً. قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى انهُ علي خلقة الفيل الاَّ انهُ اكثر اعضاء من الفيل فان للفيل اربع ارجل وخرطوماً وذنباً وللبعوض مع هذه الاعضاء رجلان زائدتان واربعة اجنحة . وخرطوم الفيل مصمت وخرطومهُ مجوَّف ولذلك اشتدَّ عضهُ وقوي على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز

مثل السفاة دائمًا طنينُها رُكّب في خرطومها سكينُها

ومما الهمهُ الله تعالى انهُ اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان لا يزال يتوخى بخرطومهِ المسام التي يخرج منها العرق لانها ارق بشرةً من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومهُ فيها وفيهِ من الشره ان يمصَّ الدم الى ان ينشقَّ ويموت او الى ان يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكهِ

ومن عجيب امره انهُ ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيبقى طريحاً في الصحراء فتجتمع السباع حولهُ والطير التي تأكل الجيف فمن اكل منها شيئاً مات لوقتهِ . وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذّب بالبعوض فيأخذ من يريد قتلهُ فيخرجه مجرَّداً الى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركهُ فيها مكتوفاً فيقتل في اسرع وقت واقرب زمان " انتهى قول الدميري

وزعم الجاحظ في كتاب الحيوان ان الذباب يأكل البعوض ونقل عن محمد بن الجهم ان الذبابة تأكل البعوض تصيده وتلقطهُ وتفنيهِ . وذكر ابن الجهم كيف اكتشف ذلك قال "اني كنت اريد القايلة فامرت باخراج الذبان وطرح الستر باغلاق الباب قبل ذلك بساعة فاذا أُخرجن حصل في البيت البعوض وقوي سلطانهُ وقوتهُ فكنت ادخل الى القايلة فيأكلني

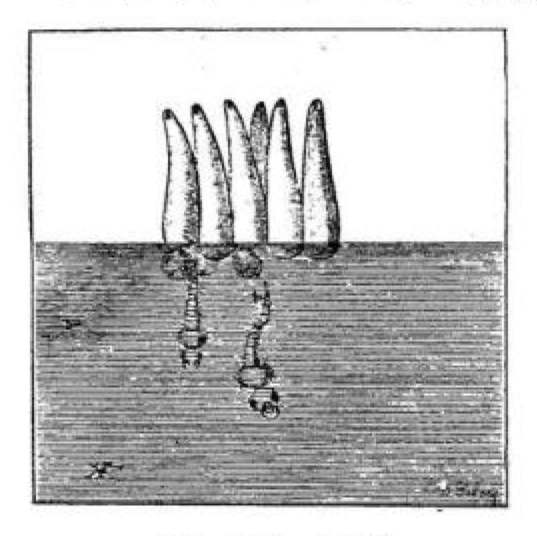


(١) بيوض البعوض

البعوض اكلاً شديداً فاتيت ذات يوم المنزل في وقت القايلة فاذا ذلك البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان الغلمان اغفلوا ذلك في يومهم فلما اضطجعت للقايلة لم اجد من البعوض شيئاً فنمت في عافية فلما كان من الغد عادوا الى اغلاق الباب واخراج الذبان فدخلت التمس القايلة فاذا البعوض كثير . ثم اغفلوا اغلاق الباب يوماً آخر فلما رأيته مفتوحاً شتمتهم فلما صرت الى القايلة لم اجد بعوضةً فقلت في نفسي قد اراني نمت في يومَي التضييع وامتنع مني النوم في ايام التحفظ والاحتراس فلم لا اجرب ترك اغلاق الباب في يومي هذا فان نمت ثلاثة ايام لا القى من البعوض اذًى مع فتح الباب علمت ان الصواب في الجمع بين الذبان والبعوض فان الذبان تفنيهِ وان صلاح امرنا في تقريب ما كنا نباعدهُ ففعلت ذلك فاذا الامر قد تمَّ فصرنا اذا اردنا اخراج الذبان اخرجناها بايسر حيلة واذا اردنا افناء البعوض افنيناهُ بايسر حيلة " . انتهى ما نقلهُ الجاحظ عن ابن الجهم وفيهِ استدلال حسن لو كان كاملاً

والمعروف الآن ان البعوض انواع كثيرة منتشرة في كل البلدان والاقاليم من سيبيريا والاسكا شمالاً الى خط الاستواء والى اقصى البلدان الجنوبية . وقد عرف العلماء مئة وخمسين نوعاً منها على الاقل وهي من الحشرات التي تعيش في الماء والهواء فتولد في الماء وتقيم فيهِ ما طابت لها الاقامة ثم تغير شكلها وتركب اجنحة الرياح

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تنتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماء كثير لا يجف وقليل لا يعيش فيهِ السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير



(٢) العوم خارجة من البيض

كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة التعجب في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبَّرة اضعافاً كثيرة والماء مرتفع معها من جانبيهِ . ويبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئتي بيضة الى ثلثمئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج العوم او الدعاميص منها كما ترى في الشكل الثاني. والبيوض والعوم التي فيهِ مكبَّرة اربعين قطراً. وما من احد الاَّ ورأى هذه العوم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها اربعة ايام او خمسة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيراً من العوم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى

وتكبر يوماً بعد يوم . واذا اراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار . لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماء صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديراً وعينين سوداوين وصدراً ضخماً وبدناً كثير المفاصل تنتأ منهُ اهلاب كالشعر

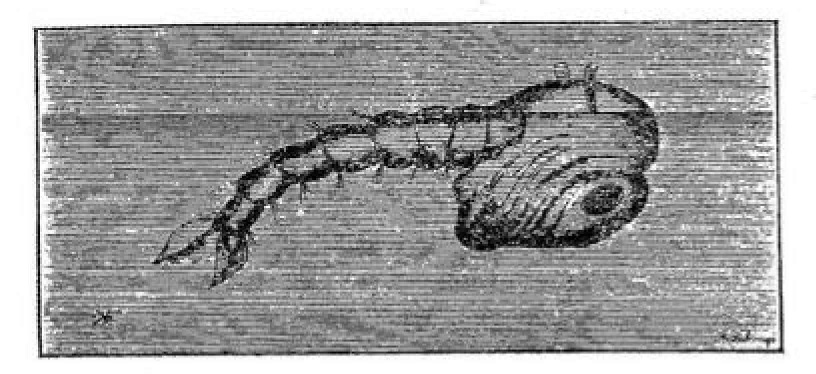
ترى في الشكل الثالث صورة عومة من هذه العوم وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة هنا مكبرة كثيراً. ولها في طرف رأسها مما يلي فاها اشناب تتحرك دواماً فتحرك الماء وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوم البعوض شرهة مثلهُ تأكل كثيراً ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

(٣) عومة مكبرة كثيراً

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الاكسجين من الهواء وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء قبل ذلك. وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقياً واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء

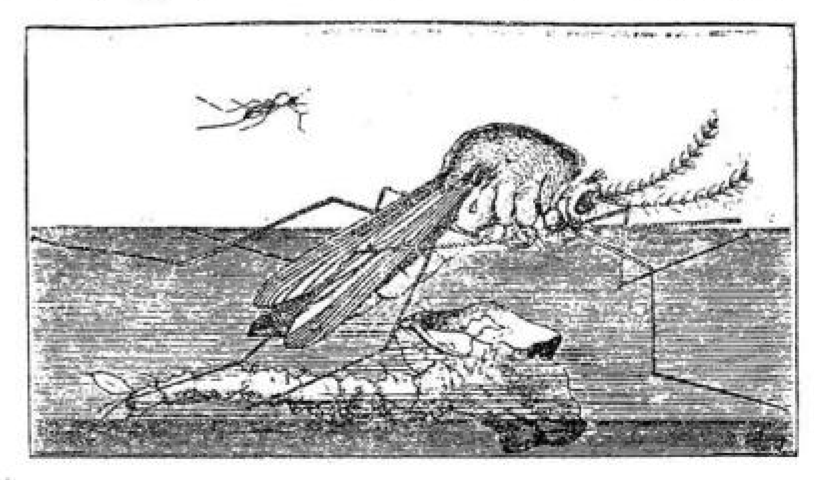
وتحت هذا الذنب او الانف عضو آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي

بمثابة المجاذيف والدفة تسير بها في الماء وتنتقل من جهة الى أُخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالمجاذيف . ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء



(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

ويمضي على العومة عشرة ايام الى عشرين يوماً وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقُّل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى، في الشكل الرابع وهو مكبَّر كثيراً



(٥) البعوضة حال خروجها من الماء

وتصور حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح وينسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود

تتنفس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل الرابع. ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم او يومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس. وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق ذلك صغيرة حسب قدها الطبيعي . ويكون جسمها رطباً حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأري الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا نراها في البيوت الاَّ نادراً وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها . اما الاناث فتكثر في البيوت وتمتص الدم من الانسان والحيوان وسنبين كيفية ذلك في الجزء التالي ونبين فيهِ ايضاً كيف تدخل جراثيم الحميات بدنها وتنتقل بها من المريض الى السليم

التلغراف الاثيري

خطب السنيور مركوني خطبة انيقة في هذا الموضوع في الثاني من شهر فبراير جاء فيها على تاريخ التلغراف الاثيري من اول ما عُرفت مبادئهُ الى الآن فقال ان اول مبدإٍ من مبادئهِ هو ما اشار اليهِ امبر العالم الكهربائي من وجود الاثير في الكون وان الظواهر الكهربائية حركات فيهِ . وقد جاء العلاَّمة مكسول بعدهُ فاثبت هذا الرأي بالدليل الرياضي وتبعهُ العلاَّمة هرتس واثبتهُ بالامتحان . ثم تدرَّج التلغراف الاثيري في سلّم الارتقاء النظري حتى صار حقيقة عملية واستولينا بواسطتهِ على قوة عظيمة من قوى الطبيعة

ومهما اطنبنا في مدح العلاَّمة هرتس واعجبنا بقواهُ العقلية لم نوفهِ حقهُ فانهُ اكتشف اعظم اكتشاف في علم الكهربائية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

والعالِم الكهربائي الذي ضُمَّ الى آبائهِ في الاسبوع الماضي وهو الاستاذ هيوز كاد يكتشف التلغراف الاثيري ولو واظب على التجارب العلمية في ذلك السبيل لقُرِن اسمهُ الآن بالتلغراف الاثيري كما هو مقرون بكثير من المكتشفات الكهربائية

ولما اثبت هرتس بالامتحان منذ ثلاث عشرة سنة ان النور والكهربائية شيء واحد وابان كيف نكتشف الامواج الاثيرية وكيف نحدثها صار التلغراف الاثيري شيئاً ممكناً . ولكن

بقي اكتشاف هرتس غامضاً عن كثيرين بضع سنوات ولذلك تأخر انتاج التلغراف الاثيري منهُ

ونجاح هذا التلغراف الآن اعظم مما كنا ننتظر منذ خمس سنوات وهو دليل كاف على ان ما ينتظر منهُ هو في حيز الامكان ولو كنا لم نزل في البداية ولا نعلم مقدار ما نصل اليهِ في المستقبل . وكلكم يعلم ان الناس حاولوا من قديم الزمان ارسال الاخبار من مكان الى آخر من غير واسطة ظاهرة ولكن ارسالها بواسطة امواج الكهربائية المعروفة بكهربائية هرتس حديث جدا . ولا يسعني الوقت لاذكر تاريخ هذا الاكتشاف ودرجات ارتقائهِ . واذا تركت هذا التاريخ وما يتعلق بهِ من ذكر الاولية في الاكتشاف فلا يكون ذلك لان مجال البحث ضيق ولا كلام لي لاقولهُ فيهِ بل لانني افضل ان اجتزي عنهُ بذكر الدرجات الاخيرة من ارتقائهِ التي تخطاها في الشهور الاخيرة

ثم اسهب في وصف الآلة التي سميناها بالجامع وهي التي اصلحها حتى صارت تفي بالغرض ولولا ذلك لبقي التلغراف الاثيري في حيز النظر . وقال بعد ذلك اني ابنت في العام الماضي ان المسافة التي ترسل فيها الانباء البرقية من غير اسلاك تختلف كمربع ارتفاع السلك العمودي وان هذه القاعدة تقريبية فقط ثم ثبت ذلك بالامتحان فقد كنا نرسل هذه الانباء البرقية مسافة ١٨ ميلاً على ارتفاع ٧٥ قدماً ثم ارسلناها مسافة ٨٥ ميلاً على ارتفاع ١٥٠ قدماً . فلو كانت القاعدة المتقدمة صحيحة تماماً لوجب ان تكون المسافة ٧٢ ميلاً فقط لا ٨٥ ميلاً ولكنها تقريبية كما قلت وخللها في جهة الكسب لا في جهة الخسارة اي ان المسافة تزيد بازدياد الارتفاع اكثر مما تدلُّ عليهِ القاعدة المذكورة . والمكانان اللذان بينهما مسافة ٨٥ ميلاً الفاصل بينهما بحر وهو مرتفع في وسطهِ اكثر من الف قدم بتحدُّب سطح الارض فلو كانت الامواج الكهربائية تسير في خط مستقيم فقط لما امكننا ان نرسلها من مكان الى آخر بعد عنهُ ٨٥ ميلاً ما لم يكن ارتفاع المكانين الف قدم عن سطح البحر

ثم ذكر الخطيب ان لفائف الحدَّة العادية لا تصلح للتلغراف الاثيري ولذلك اضطرَّ ان يغيرها حتى وفت بالغرض وان اللفافة التي استنبطها تزيد المسافة عشرة اضعاف عما تكون بدونها . وافاض في وصف الفوائد التي نتجت من استعمال هذا التلغراف في السفن المشرفة على الغرق وقال ان باخرة فرنسوية كانت تغرق بالامس فنجا من فيها بواسطة رسالة تلغرافية بالتلغراف الاثيري ونجا ما فيها من الشحن وثمنهُ ٥٢٥٨٨ جنيهاً كما ثبت في مجلس القضاء وهذا وحدهُ يكفي لوضع آلات التلغراف الاثيري في كل المنائر البحرية . واشار الى اهتمام الحكومة الفرنسوية بامتحان التلغراف الاثيري في بوارجها والى امتحانهِ وقت استعراض البوارج الانكليزية وقال انهُ

أرسلت الرسائل البرقية بين تلك البوارج مسافة ستين ميلاً بين البارجة المسماة اوربا والبارجة المسماة جونو . وهذه ليست اطول مسافة يمكن التخاطب فيها لانهُ امكن التخاطب بين البوارج على مسافة ٧٤ ميلاً بحرياً اي ٨٥ ميلاً اعتيادياً . وتحدُّب الارض لا يمنع ارسال الاشارات البرقية فيسهل على سفينتين ان تتخاطبا بالتلغراف الاثيري ولو لم ترَ احداهما الاخرى لبعد المسافة بينهما وكون كل واحدة منهما تحت افق الاخرى

ولما التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في دوفر في شهر سبتمبر الماضي ومجمع ترقية العلوم الفرنسوي في بولون تخاطبا بالتلغراف الاثيري والمسافة بينهما ثلاثون ميلاً وفيها صخور شاهقة فلم تمنع انتقال الامواج الكهربائية

ووصف استعمال التلغراف الاثيري في اميركا وقت السباق البحري الذي جرى بين اليخوت على الكاس الاميركية وقال انهُ نجح فيها ولكن نجاحهُ لم يكن تاماً لانهُ لم يستطع ان يستعمل في اميركا كل الاصلاحات الحديثة التي اتصل اليها في اوربا قبل ان يأخذ امتيازاً بها من الحكومة الاميركية

ثم وصف استعمال التلغراف الاثيري في حرب الترنسفال وقال ان العمال صنعوا طيارات اطاروها وجعلوا يرسلون الامواج الكهربائية بها فخبط عملهم اولاً لان الطيارات لم تفِ بالغرض ولاسيما لانها كانت غيرمتقنةواذا طارت واحدة منهافي هذا المكان فقدلا تطير الاخرى في المكان الاخر الذي يراد التخاطب معهُ ولكنهم واظبوا في اصلاح الطيارات حتى استطاعوا ان يرسلوا الاخبار بها مسافة سبعين ميلاً من ده آر الى نهر اورنج ثم تمكنوا من نصب الاعمدة فصار ارسال الاخبار اسهل من ذي قبل . وانكر ما يقال من ان عند البوير آلات للتلغراف الاثيري وقال ان الآلات التي قبضت عليها الحكومة الانكليزية في الطريق صنعت في المانيا وقد امتحنت فلم تفِ بالغرض وهو لم يبع البوير شيئاً من آلاتهِ ولا يظن ان احداً باعهم شيئاً منها

و بعد ان وصف نجاح التلغراف الاثيري في كل التجارب التي جرت في الشهور الماضية في اوربا واميركا قال لقد تكلمت عما تمَّ حتى الآن ولا اريد ان اقول شيئاً عما يمكن ان يتم في المستقبل القريب او البعيد. ولكنَّ هناك امراً انا واثق بهِ وهو ان النجاح الذي سيتمُّ لنا هذا العام يفوق النجاح الذي تمَّ لنا في العام الماضي. وانا واثق ايضاً ان ارسال التلغرافات الاثيرية سيشيع في البحر شيوع التلغراف البر

رواية تنكرد

القسم الثاني

الفصل الاول

مضى اسبوع الاحتفال وانفرط عقد المدعوين ولم يبقَ منهم الَّا الاقارب الادنون الوافدون من اماكن بعيدة . وكان قلب الدوقة طافحاً سروراً وهي تترقب الفرص لكي تتكلم مع ابنها وتخبره عمَّن اختارتها زوجةً لهُ . فارسلت تدعوهُ اليها فقيل لها انهُ في مكتبة ابيهِ فتبسَّمت وهي تحسب ان اباهُ كان يخبرهُ حينئذٍ بما دار بينهما من الحديث

وكان الدوق في مكتبتهِ واكثر ما فيها تقارير سياسيَّة وكتب شرعية وادبيَّة وخرائط وتماثيل وهو جالس على كرسيهِ وقد ابعدهُ عن مكتبهِ بغتةً وبدت على وجههِ دلائل الحيرة وابنهُ واقف امامهُ متكئ بيدهِ اليسرى على طنف الموقد وهو ممتقع الوجه يظهر عليهِ الاهتمام بامر ذي بال

قال الدوق لابنهِ " لقد ادهشتني فاني كنتُ احسب انك تسرُّ بذلك غاية السرور (١) " فحنى رأسهُ قليلاً ولم يفه بكلمة وبقي ابوهُ يتكلم فقال

" لماذا لا تحب ان تدخل مجلس النواب الآن . ولا يخفى عليك ان الامر ليس في يدنا فاذا لم تدخلهُ اليوم فما ادرانا انك تستطيع دخولهُ غداً . ولو كان دخولهُ سهلاً مثل استئجار قطار مخصوص لابقيناهُ الى الوقت الذي تختارهُ . وكنت احسب انك تبغض الكسل وتحبُّ العمل ولا سيما الاعمال العموميَّة التي تخدم بها بلادك . فاذا لم تدخلهُ الآن اضطررتَ ان تبقى ثلاث سنوات الى ان ينفضَّ ويعاد انتخاب النواب — ثلاث سنوات تقضيها في الكسل والعطلة عن العمل . ليس هذا شأن من يحبُّ بلادهُ ويتوخى خدمتها كما اتوسَّم فيك . واذا كان لك مطامع أُخرى فهذه هي الفرصة المناسبة فان الدوق (٢) يفضّل اعطاء المناصب للاعيان حاسباً اياهم سياج الدولة وعماد البلاد كما قال لي. ولا انكر انهُ يمكننا ان نفيد دولتنا ولو لم نكن من وزرائها ولكن الدوق مطلق اليدين يفعل ما يشاء فاذا دخلتَ مجلس النواب الآن واعربتَ عن رغبتك في المناصب العالية فكن واثقاً انهُ يقلدك منصباً منها سريعاً. وعندنا اللورد

---

(١) مشيراً الى عرضهِ عليهِ الانتظام في مجلس النواب على ما قيل في الفصل السابق

(٢) اي دوق ولنتون الذي كان الوزير الاوَّل

اسكدايل وهو يدبّر لنا الامر على ما نحب . وانا اكره ان اطلب شيئاً من وزير ولكنني لا استنكف ان اطلب ذلك بنفسي من الدوق في الاحوال الحاضرة". ثم خفض صوتهُ وقال " واظن انهُ اذا طلب دوق بلامُنت امراً مثل هذا لا يُرَدُّ طلبهُ " . وصمتَ قليلاً وهو يحسب ان صمتَ ابنهِ دليل على اقتناعهِ ثم قال "هب ان هنغرفرد لا يرضى ان يتخلى عن العضوية بعد ثلاث سنوات وذلك محتمل ولو لم يكن مرجحاً فماذا تفعل لانهُ ما من احد يرضى منك بالازدراء وهو يضرُّ نفسهُ لينفعك وما عهدنا هذا الرجل يرضى ان يكون صورة في منصبهِ وهبْ انهُ كان كذلك فقيامهُ في مجلس النواب هذا الزمن الطويل قد رفَّع نفسهُ حتى لا يرضى بالذل . ولا يسهل عليَّ ان اخذلهُ بعد ثلاث سنوات واحمل المنتخبين على الاقتراع لك "

فقال لورد منتكيوت " لاداعي لذلك يا ابتاهُ " — قال هذا بصوت منخفض خارج من رأسهِ وفؤادهِ يدلُّ على ان كلامهُ صادر عن عقل راجح وعواطف حيَّة . ولا ادلَّ على المرء من صوتهِ . فمن الاصوات السريع الرنَّان الذي يدلُّ على سرعة الخاطر وتنبُّه العواطف ومنها العميق البطيء الذي يدل على عقل ثاقب ورأي صائب . واندر الاصوات واحسنها وقعاً صوت يجمع بين السكينة والصراحة فتفعل نغمتهُ بالنفوس اكثر مما يفعل بها سحر العيون " لاداعي لذلك يا ابتاهُ ولا اخفي عليك اني لا اكون بعد ثلاث سنوات ارغب مني الآن في دخول مجلس النوَّاب "

فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة وقال "ان المستر فوكس[٣] دخل المجلس قبلما بلغ سن الرشد وتربَّع في دست الوزارة وهو في ريعان الشباب وكذلك السر روبرت بيل انتظم بين رجال الدولة وهو حدَث . وكثيراً ما سمعتُ الثقات مثل لورد اسكدايل يقولون ان الانسان قد يتكلم في مجلس النوَّاب قبلما يحق لهُ الكلام فيهِ ولكنهُ لا يبكّر في دخولهِ مهما كان صغير السن "

فقال ابنهُ " نعم اذا شاء ان يفلح في مجلس النواب . والتبكير في كل شيء مدعاة للنجاح فيهِ اما انا فلا رغبة لي في ذلك "

فقال الدوق " ولكنني لا استحسن دخولك مجلس الاعيان من غير ان تدخل مجلس النواب اولاً لان من دخل مجلس الاعيان وهو لم يدخل مجلس النواب يكون كالطائر بلا ريش "

فقال ابنهُ "عسى ان لا ادخل مجلس الاعيان يا ابتاهُ الاَّ بعد زمن طويل جداً[٤] ان دخلتهُ"

---

(٣) وزير انكليزي مشهور دخل مجلس النواب وعمرهُ ١٩ سنة وصار وزيراً وعمرهُ ٣٢ سنة
(٤) كناية عن طلب طول العمر لابيهِ لانهُ لا يدخلهُ الاَّ بعد موت ابيهِ خلفاً عنهُ

فقال الدوق " ان دخولك مجلس الاعيان يوماً ما امرٌ محتوم لا مردَّ له "

فقال ابنهُ " ولكن هبْ ان الدوق (اي دوق ولنتون) لم يفلح في حفظ السيادة للاعيان فماذا يكون شاننا "

فهزَّ الدوق كتفيهِ وقال " ليس من شاننا ان نفرض هذه الفروض وعسى ان لا يحاول احد تغيير النظام الحاضر لان عظمة هذه البلاد باعيانها "

فقال ابنهُ " اذاً ملوكنا لم يفعلوا شيئاً لعظمتنا "

الدوق — " بلى فعلوا ما يُطلب منهم "

ابنهُ — " وقد زالت سطوتهم الآن ولا يبعد ان تزول سطوتنا نحن ايضاً بعد ان نفعل ما يُطلب منا "

الدوق — " اراك تتكلم بلسان الاحرار فماذا ذلك "(٥)

ابنهُ — " ليس هذا يا ابي فاني لم ابدِ رأياً حتى الآن "

الدوق — " اودُّ ان اعرف ما هو رأيك ياولدي او ما تتمناه "

ابنهُ — " أن افعل ما يجب عليَّ فعلهُ "

الدوق — " احسنتَ وانت عمود في هذه الدولة فاسندها جهدك "

ابنهُ — " يا حبذا لو انبأني احد ما هي الدولة فان الاعمدة التي تشير اليها لا تسند شيئاً وهي متداعية الى السقوط وجوهر فلسفتها ان تُترك الامور على حالها "

الدوق — "ولكننا سنجو باعتمادنا على حكمة الامة"

ابنهُ — " ممَّ ننجو "

الدوق — "من الاضمحلال الذي يقع باعيان البلاد وهي تنتقل من حالة الى اخرى"

ابنهُ — " وما هي الحالة التي تحسب البلاد منتقلة اليها "

الدوق — "هذه مسألة يعجز احكمنا عن الاجابة عنها "

ابنهُ — " ولكن يحق لمن كان جاهلاً مثلي ان يبحث فيها "

الدوق — " نعم ولا شيء يعينك في هذا البحث مثل اتصالك برجال السياسة "

ابنهُ — " لكي اشاركهم في الخطاء والاعتساف اما انا فلم أغوَ حتى الآن واودُّ ان ابقى بعيداً عن الغواية "

(٥) يظهر من كلام دوق بلامنت انهُ كان من حزب المحافظين مثل أكثر اعيان الانكليز ولهذا استغرب كلام ابنهِ

الدوق — " وتبقى عطلاً عاجزًا عن العمل "

ابنهُ — " أيكون المرء عاجزًا عن العمل اذا ابى ان يخبط خبط عشواء في ظلام دامس "

الدوق — " فماذا تريد ان تفعل اذًا وهل لك خطةٌ تودُّ السير فيها "

ابنهُ — " نعم "

الدوق — " احسنتَ ومهما كانت هذه الخطةُ فثق اني ابذل جهدي في انالتك ما ترغب فيهِ لاني واثق انك لا تطلب الاَّ اشرف المطالب وانبلها "

ابنهُ — " يا حبذا ولكن اين الشرف واين النُّبل "

الدوق — "ولكنك طالبٌ امرًا ما فقل لي ما هي مطالبك اخبرني بها من غير كتمان كما يخبر الصديق صديقهُ "

فادنى لورد منتكيوت كرسيًّا من ابيهِ وجلس اليهِ وهو يقول " كيف اكتم عنك امرًا يا ابتاه وانت عين الحب والإخلاص وكان الواجب عليَّ ان لا ارتاب في وجود الشرف والنبل وانت امامي "

فقال الدوق " ان الاولاد الذين مثلك يشرّفون آباءهم "

ابنهُ — "ليس ذلك مضطردًا واما انت يا ابي فقد كنت لي اكثر من اب واني لأحبُّك واحب امي حبًّا اظنهُ اندر في هذا العصر منهُ في العصور الغابرة ويزيد شعوري بهذا الحب الآن لاني عازم ان اطلب الابتعاد عنكما الى حين "

فاصفرَّ وجه الدوق واتكأَ على كرسيهِ ولم يفه بكلمة وحمت ابنهُ قليلاً ثم قال " لقد اشرتَ عليَّ اليوم ان انتظم في سلك رجال السياسة وما انا لأنوء تحت الحمل الثقيل ومقامي وطبعي يدفعانني الى حمل الاحمال الثقيلة والقيام باعبائها . وهذا الامر ليس جديدًا عندي بل قد فكَّرتُ فيهِ طويلاً فلم اجد اني استطيع ان احافظ على السياسة الحاضرة ولا رأي لي ببقائها على حالها ولا اظنها تبقى طويلاً لانها ليست قائمة على قواعد وطيدة بل لا قاعدة لها . فما هو الحق السياسي وما هي آداب الاجتماع هل هي امور حقيقية او مصطلحات وهمية . وان كانت اموراً حقيقية فاين مقرُّها ولمن الحقُّ في الولاية ولماذا حرمنا ملوكنا من حقوقٍ كانت لهم . ونحن الاعيان موجودون في مناصبنا لان الامة راضية بوجودنا فيها . والامة تعدُّ نفسها كلا شيءٍ والحقوق التي تعطاها وقت انتخاب الاعضاء لمجلس النواب تنازَع فيها دوامًا وتُغيَّر على اساليب شتى فما هو هذا الحق السياسي المتغير . وكذلك آداب الاجتماع تختلف باختلاف البلدان والمدن والشوارع فما نعدُّهُ فضيلة هنا يُعدُّ رذيلة في مكان آخر "

الدوق — " يجب ان ننظر الى الامور بوجه عام فان حالة انكلترا العامة اصلح من حالة اية مملكة كانت وما من احد ينكر ان الحرية السياسية عندنا اكثر مما هي عند غيرنا والآداب الاجتماعية ارق والنجاح المادي اعظم "

ابنهُ — " قد يمكنني ان انازع في ذلك كلهِ ولكنهُ لو ثبت ما نقض شيئاً مما قلتهُ لانهُ اذا كانت البلدان الاخرى افسد من بلادنا لم تصطلح حالنا بل قد تزيد فساداً لاننا لا نرى امامنا بلاداً صالحة نقتدي بها "

الدوق — " لا شبهة في ان انكلترا مفلحة الآن اكثر من كل البلدان انظر سكك الحديد وانظر كم فعلنا لاصلاح شأن المساكين وقد كثرت الاعمال وزادت الاجور "

ابنهُ — " من المحتمل ان سكك الحديد افادت جمهور الفقراء كما افادت اعضاء مجلس النواب . ولكني لا ارى في زيادة الاجور ضامناً لراحة الجمهور وما ادرانا ان زيادة السعة ترقي الآداب وتزيد الفضائل فان المال قد افسد الكبراء واليهِ تنسب شرور الخاصة فكيف يكون فعلهُ في العامة على الضد من فعلهِ بالخاصة ولماذا لا نقول ان زيادة السعة تفسد العامة كما افسدت الخاصة وكيف يحق لنا ان نخلط بين سعادة الامة وثروتها "

الدوق — " لا تنسَ اننا عائشون عيشة صناعية لا طبيعية "

ابنهُ — " طالما سمعت ذلك يا مولاي ولكنني لا ارى شيئاً من مزايا الصناعة في احوالنا فان الصناعة تستلزم النظام والترتيب وانطباق النتائج الحميدة على المبادىء الفاضلة اما نحن فقد فقدنا كل انتظام ولم نعُد امة محكمة العرى ولكن صرنا شعباً تجمعهُ آثار التقاليد القديمة التي نحاول نزعها يوماً فيوماً "

الدوق — " ولكن ماذا يمكنك ان تفعل يا ولدي ايمكنك ان تغير الاحوال التي وُجدنا فيها "

ابنهُ — " كلاَّ يا ابي ولا انا طامع في ذلك وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تضطرَّني الى مشاركة غيري في تكثير الفساد المحيط بنا "

الدوق — " انت وليُّ امرك وانا اشور عليك شوراً ولا آمرك امراً والله الهادي الى سواء السبيل "

ابنهُ — " اواه لو ان ملاكاً ينزل من السماء ويزور بيتنا "

الدوق — " ما بنا حاجة اليهِ وعندنا ارشاد من هو اسمى من الملائكة "

ابنهُ — " لو كان ارشادهُ كافياً ما وعد تلامذتهُ بمرشد آخر يأتي بعدهُ . فلا بدَّ من

مرشد . نعم يا ابتاه هذا الذي اطلبه واسعى اليهِ ولا بدَّ من الفراق . لا بد من ان اتركك واترك والدتي العزيزة اترك هذين الوالدين الحنونين اللذين بهما تتعلق كل عواطفي وآمالي . ولكني ارى نفسي مضطرًّا ان البّي نداء صوتٍ سمويّ . فلا تغضب عليَّ ايها الوالد الحنون بل سامحني وساعدني ". قال ذلك وطرح نفسهُ بين ذراعي ابيهِ

فضمهُ ابوهُ الى صدرهِ ولم يستطع الكلام لشدة انفعالهِ لكنهُ كان يقول في نفسهِ انهُ سيفارقنا وقد سئم الاقامة في البيت سئم الوحدة بعد ان قرأ كثيرًا وافتكر كثيرًا . ولقد اصاب اسكدايل لما اشار عليَّ منذ سنتين ان ارسلهُ الى باريس لكنَّ امهُ لم ترضَ وحقها ان لا ترضى لان ارسالهُ الى باريس يعرضهُ لمخاطر كثيرة . ولا شيء اصلح لهُ من مجلس النواب فانهُ يجد فيهِ عملاً وسلوى . ولا بدَّ من ان نتلافى الامر الآن بالتي هي احسن . يريد السفر ولا بأس بالسفر ولكن ماذا يحلُّ بنا وهو ولدنا الوحيد . كيف تصبر كاترين على فراقهِ انها تموت كمدًا اما انا فلا بدَّ لي من الصبر وسأرسل معهُ اناسًا يعتنون بهِ ويدرأون عنهُ المخاطر ارسل معهُ براس فانهُ عارف بممالك اوربا وكان في حرب اسبانيا وارسل معهُ طبيبًا ماهرًا ولا بدَّ من اخبار امهِ ولكن لا بد من استعمال الحكمة في ذلك لئلا يفاجئها الخبر مفاجأةً

هذه الخواطر خطرت كلها على بال الدوق في اللحظات القليلة التي كان فيها ضامًّا ابنهُ الى صدرهِ ثم لما عاد ابنهُ الى كرسيهِ قال له "اذًا انت تريد السفر ياولدي" فاشار بالايجاب

الدوق — "ذلك يثقل على امك كثيرًا حتى لا اقول شيئًا عن نفسي فانك تعلم عواطفنا ولكن لا حق لنا ان نجعل ما نشعر بهِ عقبة في سبيلك وان فعلنا فنكون قد فضلنا نفسنا عليك اما من حيث مجلس النواب فساقابل هنغرفرد هذا الصباح واقنعهُ ليؤجل استعفاءه الى الخريف حتى تعود من سفرك وذلك خير لك لانك تكون قد شاهدت العالم فتدخل المجلس في العام المقبل"

ولما اتمَّ الدوق كلامهُ بدت على وجه ابنهِ علامات الحيرة فاحنى رأسهُ وبقي صامتًا. وقام الدوق ونظر الى ساعتهِ وقال انهُ يود ان يأتي براس ويتعشى معهم لانهُ عارف بالبلدان الاوربية ويعرف لغات كثيرة حتى الاسبانية ثم قال "اما اسبانيا فليس فيها ما يشوق السياح اليها ولكن لا بدَّ من الذهاب الى فرنسا وفرنسا هي باريس ولا بدَّ من ان تذهب الى هناك اولاً وان كان ابن عمك هري هوَرْد هناك فهو يريك كل شيء فاذا ذهبت الى السفارة وكان براس معك هانت عليك باريس . ثم تذهب الى ايطاليا واظنك قاصدًا اليها دون سواها لكن امك لا تسرّ بذهابك الى رومية . ويقال ان لا بدَّ للمرء من ان يرى رومية

قبل موتهِ اما انا فلم ارها ولم اعبر البحر الاَّ الى ارلندا لان جدك منعني من السفر غير ان منعهُ لي لم يكن للاسباب التي لاجلها ابقيناك في البيت حتى الآن · وهب انك شتوت برومية فيمكنك ان تعود الينا في الربيع التالي ولكن لا بدَّ من اقناع امك اولاً لترضى ببقائك في رومية ولا بدَّ ايضاً من ارسال برنارد معك فيذهب معك براس و برنارد وطبيب وحينئذٍ يسهل علينا اقناعها فاذا ارسلنا معك براس و برنارد وطبيباً ماهراً وكان هري هورَّد في باريس وزوَّدناك باحسن مكاتيب التوصية زالت اكثر مخاطر السفر"

فقال لورد منتكيوت[٦] "لا رغبة لي في زيارة باريس يا ابي"

الدوق — "الحمد لله الحمد لله لقد افرجتَ بعض كربتي"

ابنهُ — "ولا رومية"

الدوق — "احسنت احسنت يا ولدي وازلت حملاً ثقيلاً عني ولم اخبرك بذلك قبلاً لانني لم اشأ ان انغص عيشك ولكن لو علمت امك انك ذاهب الى رومية لتنغَّص عيشها لا لبعد المسافة ولا لفساد الهواء هناك بل لان آراءها كما تعلم" ولم يتم كلامهُ فقال لهُ ابنهُ "ولا انا عازم على السفر حسب مفهوم الكلمة وانما قصدي السياحة قصدي الذهاب الى الارض المقدسة الى بيت المقدس"

فاضطرب الدوق وجعل يقول "الى الارض المقدسة الى بيت المقدس" وهو محدق بنظرهِ اليهِ

ثم عاد لورد منتكيوت الى الكلام وجعل يتكلم بتأنيهِ المعتاد فقال "نعم يا مولاي الى الارض المقدسة الى بيت المقدس فان الخالق عزَّ جلالهُ اعلن نفسهُ لمخلوقاتهِ في تلك البلاد فهي مقدَّسة وفيها مزايا ليست في غيرها وهي التي جعلت ممالك اوربا تحاول الاستيلاء عليها مراراً كثيرة في العصور الوسطى . وقصر منتكيوت هذا ارسل اميراً من امرائهِ اليها فوصل الى القبر المقدَّس وجثا على ركبتيهِ امامهُ ثلاثة ايام بلياليها . وقد مرَّ على ذلك ستة قرون فلا عجب اذا مضى واحد آخر منا الآن لزيارة ذلك القبر فاني اودُّ ان اجثو على ركبتيَّ هناك وارى التلال المقدسة وارفع صوتي الى السماء وأسأل الله عمَّا يجب ان افعلهُ وعمَّا يجب ان اومن بهِ"

فنهض دوق بلامنت وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو غائص في بحار الافكار ثم وقف واستند الى خزانة الكتب وقال "ان هذا الطلب الذي تطلبهُ مني غريب جداً لم اتوقعهُ منك قط فسافكِّر فيهِ ملياً واحاول ادراك ما تطلبهُ وابذل جهدي لافعل ما هو خير

(٦) هو لقب الابن كما تقدم في الجزء السابق

لك وابقى مفضلاً مسرَّتك على مسرَّتنا . اما الآن فلا يمكنني ان اجيبك لا سلباً ولا ايجاباً بل لا بدَّ لي من امعان النظر . ثم ان امك تريد ان تكلمك في امور اخرى فلا تطلعها على هذا الامر حتى اطلعها عليهِ انا . والآن لا بدَّ لي من ان اركب وامضي الى بلامنت وسافكر في هذا الامر وانا سائر في الطريق واذا جاء براس فادعهُ ليتعشَّى معنا وليكن الله معك "

وخرج الدوق من المكتبة وبقي ابنهُ فيها غائصاً في بحار الافكار وكان قد املى على ابيهِ في دقائق قليلة خلاصة ما شغل بالهُ ثلاث سنوات متوالية . ثم التفت واذا امهُ واقفة بجانبهِ فانهُ بلغها ان زوجها خرج من القصر وهذه اول مرة خرج فيها من غير ان يراها قبل خروجهِ فقامت تفتش عن ابنها لكي تهنئهُ بدخولهِ مجلس النواب وتخبرهُ انها اختارت لهُ ابنة خالهِ زوجةً وكان قلبها طافحاً سروراً وكيف لا تسرُّ المرأة بوحيدها وهي تراهُ محفوفاً بالسعادة والهناء وقد عزم على الانتظام في سلك رجال السياسة الذين يخدمون بلادهم ويرفعون شانها والاقتران بفتاة تثق انها تملأ بيتهُ بهجةً وسروراً . ففتحت باب المكتبة وقد صبغت حمرة الطرب وجنتيها وقالت أانت هنا فقد كنت افتش عنك يا تنكرد

الفصل الثاني

عاد الدوق مساء من قصر بلامنت ودخل غرفة لبسهِ لكي يلبس فيها ثياب المساء ثم جاءت زوجتهُ وقرعت الباب ودخلت وعاتبتهُ على خروجهِ من البيت من غير ان يخبرها وقالت ان هذه اول مرة فعل ذلك . وكان قد حسب انها اتت لتكلمهُ في امر ابنهِ فلما رآها اتت لتعاتبهُ فرِّج عنهُ وابرقت اسرَّتهُ وقال لها بلغني ان براس آتٍ ليتعشَّى معنا وانا مسرور بذلك لانني اريد ان اراهُ في امر ما

فلم تجبهُ على كلامهِ بل بقيت واقفة كأن بالها مشغول بامر آخر ولما رأت انهُ بقي يتكلم عن براس قالت لهُ ما لنا ولبراس الآن هات اخبرني ما منع تنكرد من دخول البارلمنت (مجلس النواب)

فاضطرب في امرهِ لانهُ لم يكن يعلم كم عرفت مما دار بينهُ وبين ابنهِ غير انها جلت لهُ الامر بقولها " انني كنت امشي مع تنكرد واشرتُ من طرفٍ خفي الى كل ما دبرناهُ لهُ وسألتهُ عما يراهُ في ابنة خالهِ فقال انهُ يوافقنا على انها احسن البنات اللواتي عرفهنَّ واكثرهنَّ تهذيباً فحاولت ان اقنعهُ بمناسبتها لهُ ولكنني لم احثهُ على الشروع في ذلك لانني لا اريد ان يقترنا قبل الخريف واشرت عليهِ ان يعاشرها كثيراً مدة اقامتهِ في لندن وقت اجتماع مجلس النواب

ثم يزورها حيناً تعود الى ارلندا كما كنت تزورني. وبينما انا اشرح لهُ كيف يجب ان يتحفظ من البرد وقت خروجهِ من المجلس نصف الليل وماذا يجب ان يأكل حينئذٍ قال لي انهُ غير عازم على دخول المجلس الآن وانهُ غير آسفٍ على ذلك لانهُ يريد ان يسافر قليلاً . فما معنى ذلك كلهِ قُلْ لي لان تنكرد لم يخبرني شيئاً ولما الححت عليهِ ليخبرني قال اننا سنبحث كلنا معاً في هذا الموضوع"

فقال الدوق "نعم سنفعل ذلك ولكن ليس الآن لانهُ قد حان وقت العشاء ولكنني اقول لكِ بالاختصار انهُ بدت امور قد تمنع هنغرفرد من الاستعفاء الآن . وبما ان تنكرد يميل الى السفر فنحن عازمون ان نتبصر في الامر لعلَّ السفر يكون اصلح لهُ من الاقامة هنا الى ان يتيسر دخولهُ مجلس النواب"

"اصلح لهُ" — لا يمكنني ان افهم اي صلاح في الذهاب الى باريس ورومية حيث يذهب الشبان الذين يسافرون من هذه البلاد . فان الذهاب اليهما هو نفس الشيء الذي بذلت جهدي من حين ولادتهِ الى الآن لامنعهُ عنهُ لانهُ اذا ذهب اليهما تعرَّض للهلاك جسداً ونفساً فان باريس تتلف صحتهُ ورومية تغير معتقدهُ"

فتبسم الدوق وقال لها اني اشدُّ منكِ ثقةً بتنكرد ولكن كوني مطمئنة البال فانهُ قد قال لي هذا الصباح انهُ لا ينوي الذهاب الى رومية ولا الى باريس

فتنفست الصعداء وقالت "اذاً اذا اراد ان يسيح سياحة قصيرة في هولندا فلا بأس عليهِ لان البلاد بروتستنتية وليس فيها من المفاسد ما في غيرها"

فقال "سننظر في هذا الامر ملياً الليلة" ثم مدَّ لها ذراعهُ ونزلا الى غرفة الضيوف

وكان الكولونل براس هناك وهو من القوَّاد الذين كانوا في حروب اسبانيا فابلى بلاء حسناً ودخل باريس ظافراً وهو بدين طويل القامة مجدول العضل وجههُ مشرَّب حمرةً وشعرهُ غزير وخطهُ الشيب . وهو من رجال منتكيوت ولد هناك وورث بيتاً كبيراً في المدينة واملاكاً في جوارها ولما اتمَّ خدمتهُ في الجيش باع معاشهُ وعاد الى مسقط رأسهِ فجعلهُ الدوق قائداً لفرسانهِ فاصلح شأنهم حتى صاروا من افضل فرسان البلاد الانكليزية . وكان من امهر الناس في الرماية والفراسة ومن اكثرهم ظرفاً والينهم عريكةً واقواهم بداهةً وكان يعجب بالدوق والدوقة الى حد العبادة ويحسبهما افضل خلق الله عن اعتقاد واخلاص لا عن هوًى وطمع في النفع. وكأنهُ كان ذراع الدوق اليمنى فكان الدوق يستشيرهُ في كل امور الايالة وقد سلَّم اليهِ قيادة الفرسان وجعلهُ رئيساً لاركان حرب الجيش المستحفظ (المليشيا) ولم يكن يرقي ضابطاً

الأ برأيهِ . وكان لهُ شأن رفيع في الايالة كلها وقد اختير تلك السنة محافظاً لمدينة منتكيوت ورئيساً للجنة الاحتفال ببلوغ لورد منتكيوت سن الرشد وهو الذي اهتمَّ بالالعاب النارية ويقال انهُ هو الذي رسم اشكالها

وكان هناك ايضاً المستر برنارد معلم تنكرد وهو قسٌّ عالم كبير في المسائل الدينية يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر وكان ساكناً في قصر منتكيوت يقوم بالخدمة الدينية فيهِ ويعتني بالمكتبة ويستخدمهُ الدوق احياناً في كتابة مكاتيبهِ

وكانت فيهِ عائلة منتجوى ودُعي ابن هنغرفرد فجلسوا كلهم على المائدة جلسوا سكوتاً على خلاف المعتاد فان الدوقة كانت تنكر في ما رأتهُ من ابنها والدوق في ما اطلعهُ عليهِ وبنات منتجوى كن قليلات الكلام طبعاً وامهنَّ كانت جالسة بجانب الدوق فلم تستحسن ان تكلم احداً غيرهُ وزوجها نهم ينسى غيرهُ وهو يأكل . وتكلم لورد منتكيوت مع ابن هنغرفرد وكان جالساً امامهُ على المائدة لكن هذا كان يتكلم مع ابنة منتجوى فاجاب لورد منتكيوت على كلامهِ اجوبة مختصرة ولم يزد فانقطع الكلام بينهما

ولما قُدِم اللون الثاني من الطعام ورأى الدوق ضيوفهُ صامتين كأنهم في مأتم اراد ان يصرفهم عن تلك الحال فالتفت الى الكولونل براس وكلَّمهُ في موضوع يلذُّ لهُ وينبه فيهِ قوة الجدل وكان جالساً عن يسار الدوقة فتلقى الموضوع بسرور وجاول الدوق في الحديث بمهارة فارس مجرب فعلت اصوات الجماعة وكثر لغطهم واخذوا يتنادمون و يتعاطون كؤوس الراح ولما رأى لورد منتكيوت ان اباهُ يريد ان يحدّث ضيوفهُ و يسرّهم قاد ابنة منتجوى الى حديث يسرّها فجعلت تحدثهُ عمّا جرى لها في الصباح وهي خارجة الى النزهة راكبة وهو يظهر الاستغراب مرة والارتياب اخرى وهي تحاول اقناعهُ واثبات قولها الى ان اشتغل الكل بالحديث وطابت نفوسهم . ودار الحديث بين الدوق والكولونل على السر رسل ملباس وانكسار رجلهِ واستدعائهِ الدكتور روبي . قال الكولونل "وقد استدعاهُ السر رسل دون غيرهِ من مشاهير الجراحين لانهُ يعرف مزاجهُ ولا يحسن باحد ان يسلم نفسهُ الا الى طبيب يعرف مزاجهُ فانني انا كنت فقدت رجلي مرةً في حرب اسبانيا لولا شدة حذري فقد جُرحت جرحاً طفيفاً في واقعة الميدا وانا اطارد العدو ولكن لا يحسن بنا ان نتكلم عن هذه الامور امام السيدات"

فقال لهُ لورد منتكيوت "ان الامر على ضد ذلك فانهُ لا شيء احب الى السيدات من وصف الحروب وقد قالت لي مس منتجوى امس انهُ لا شيء اصعب عليها من ان تتصوَّر كيفية القتال"

فقال الكولونل "ذلك لان اكثر الذين وصفوا المعارك ليسوا من قوّاد الحرب . ولكن المعارك التي وصفها نبيير جليّة كلها و يمكنني ان اصور كل معركة منها على هذه المائدة وهي تاريخ عظيم غير ان هذا التاريخ لا يخلو من النقص مثال ذلك ان واقعة الميدا التي اشرت اليها وكدت اخسر رجلي فيها لم تذكر فيهِ" —

الدوق — "ولكن رجلك لم تصب بمكروه"

الكولونل — "نعم بقيت سليمة ودخلت بها باريس وتلك حادثة تستحق الذكر واؤكد لعموكم انني خلّصتُ رجلي من القطع لاني اعرف مزاجي . ولذلك ارجوان تسلم رجل السر رسل ملباس لان الدكتور روبي يعرف مزاجهُ وانا لو كنت في جبل طارق ومرضت هناك لكنت ارسل استدعي هذا الدكتور لانهُ يعرف مزاجي ومعرفة المزاج نصف العلاج"

ولما كان الكولونل يتكلم عن الدكتور روبي كان الدوق يفكر في امرهِ ويقول هذا طبيب يعالجنا كلنا و يعرف مزاج ابني فلا بدَّ من ارسالهِ معهُ مهما كلفني ذلك من النفقات . وجعل يحسب دخل الدكتور روبي في بالهِ فقال ان دخلهُ لا يزيد على خمس مئة جنيه في السنة فادفع لهُ الف جنيه ونفقات السفر كلها ولا اظن انهُ يغيب اكثر من سنة فلا يتركهُ زبائنهُ في هذه المدة القصيرة لان اكثر اعتمادهِ على قصرنا واذا تركوهُ عوّضناهُ من الخسارة ولا بدَّ من ان يكون طبيب تنكرد عارفًا بمزاجهِ لان معرفة المزاج نصف العلاج

الفصل الثالث

الدوقة وهي تفرك يديها اسىً — "واتعساه واحرَّ قلباه"

الدوق — "خففي عنكِ يا عزيزتي"

الدوقة — "كان يجب عليك ان تمنع ذلك ولا تدعهُ يصل الى هذا الحد"

الدوق — "ولكنهُ فاجأني مفاجأةً وكنت خالي الذهن منهُ كما كنتِ انتِ خالية الذهن منهُ وكيف كنتُ استطيع ان اعرف ما يدور في بالهِ"

الدوقة — "فما النفع اذًا من سلطتك عليهِ التي تقول لي دائمًا انك تعتمد عليها فلو كنت انا اباهُ لكنتُ عرفتُ مخبآت نفسهِ"

الدوق — "قد تكونين مُصيبة ولكن انت امهُ وهو يحبك كما يحبني وانتِ دائمًا معهُ ويجب ان تعرفي اميالهُ من حيث هذا الموضوع اكثر مما اعرفها انا ومع ذلك بقي مقصدهُ مخفيًا عنكِ"

الدوقة — " ظننت مرةً انهُ يميل الى بدعة البيوزيين فكلمتهُ في هذا الامر فوجدت انني غلطانة . وانا واثقة انني لم آلُ جهدًا ولا اذخرتُ وسعًا في غرس المبادىء الدينية في نفسهِ . وفي العام الماضي اعطيتهُ مجموعًا كبيرًا من الكتب الدينية والتفاسير فكانت النتيجة انهُ يريد ان يتركنا ويمضي الى الارض المقدسة الى بلاد هواؤها يقتل سكانها بلاد حلّت عليها لعنة الله منذ اكثر من ثمانية عشر قرنًا وهي تزيد محلاً وخرابًا سنة بعد سنة. كيف يمضي ابننا اليها قد خسرناهُ قد خسرناه واحسرتاهُ واحسرتاهُ "

الدوق — " هلمَّ نتبصَّر في الامر قليلاً يا عزيزتي "

الدوقة — " كيف نتبصر وانت قد سلّمت لهُ بالسفر وقضيت الامر ولم تأتِ الآن لتستشيرني بل لتخبرني بما قرَّ عليهِ القرار لتخبر هذه الام المسكينة بما يصدع فؤادها ويمزق احشاءها. ما اتعس الامهات وما اشقاهنَّ "

الدوق — " لا تتكلمي كذلك يا كاترين "

الدوقة — " كيف اتكلم اذًا وماذا اقول "

الدوق — " قولي كل شيء غير هذا فانهُ لا يُقطع خيط في هذا القصر بغير رضاكِ "

الدوقة — " كن واثقًا اذًا انني لا اسمح لتنكرد بهذه السياحة "

الدوق — " اذًا لا يمضي ابدًا لا يمضي برضايَ فساعديني يا عزيزتي فيتم كل شيء حسب مبتغاكِ ولكنني اكره ان نعامل ابننا بالجفاء والقسوة ولا اريد ان نستعمل سلطتنا الوالدية الاَّ بعد ان تنفد كل الحيل فنلجأ اولاً الى عقلهِ وقلبهِ ثم الى ادلتكِ وحبهِ لنا عسى ذلك ان يكفي لاقناعهِ "

الدوقة — " لقد قلتَ لي انك جادلتهُ فلم يقنع "

الدوق — " نعم ولكنكِ اعرف مني بهذه المواضيع بل اعرف مني بكل المواضيع وانا واثق بمهارتكِ ولذلك لم اقطع الرجاء من اقناعهِ بالعدول عن عزمهِ "

الدوقة — " اذًا ساقول لهُ اننا لا نسلم لهُ بهذه السياحة مطلقًا "

ولما قالت ذلك نظر اليها الدوق نظر الحيرة وقال بعد ان فكر في الامر " ان كان هذا هو رأيك فهلمَّ ننظر فيهِ قبل ان نعمل بموجبهِ لانهُ قاطع لكل جدال . وزد على ذلك اني ارى تنكرد مدفوعًا بدافع قوي جدًا يتعذَّر التغلُّب عليهِ وقواهُ النفسيَّة متنبهة كلها تنبهًا شديدًا جدًا لا تعرفين مقدارهُ ولا تعرفين مما رأيتِ منهُ مقدار انفعالهِ . وقد كنت احسبهُ رقيق القلب لين العريكة فوجدتهُ في هذه المسألة صعب المراس جدًا فاذا جزمنا الآن بمنعهِ عن السفر فلا

عجب اذا سافر بغير اذننا "

الدوقة " هذا ضرب من المحال فانهُ لم يعصِ امرنا مرةً في عمرهِ " قالت ذلك وهي تنتفض في كرسيها وعلى وجهها امارات الحزم والثقة

الدوق — " وهذا سبب آخر يمنعنا من اخذ الامور بالشدة ولماذا لا نغضي عن محاولتهِ تفضيل ارادتهِ على ارادتنا هذه المرَّة الوحيدة في العمر "

الدوقة — " انهُ لم يعاشرنا كثيرًا في هذه السنوات الثلاث الاخيرة وفيها تتكيَّف اخلاق الانسان . ولكن كان يجب على المستر برنارد ان يرى فيهِ هذا الميل وينزعهُ منهُ او ينبهنا اليهِ فلنذاكرهُ في هذا . دق الجرس وقل للخادم ليدعوهُ الينا "

وكان المستر برنارد في المكتبة فحضر حالاً ولما وقعت عينهُ عليهما رأى في وجهيهما ما يدل على امرٍ ذي بال فاخبرهُ الدوق بخلاصة ما جرى وكانت الدوقة تذكر الامور التي يفوتهُ ذكرها على اسلوب اوقعَ الخبر في نفسهِ اعظم وقع

فدهش مما سمع وجلس امامهما جاحظ العينين مفتوح الفم وجعل يردد قولها " الارض المقدسة الارض المقدسة " واكدَّ لهما انهُ لم يسمع من لورد منتكيوت لا صريحًا ولا تلميحًا ما يشير الى رغبتهِ في الذهاب الى تلك البلاد ولا انهُ يرى الآراء الذي ذكرها ابوهُ

الدوقة — " ولكنك كنت رفيقهُ ومعلمهُ عدة سنوات ولا سيما في السنوات الثلاث الاخيرة السنوات التي تتكيف فيها اخلاق الانسان وتتخذ صورة واضحة وكنت تراهُ اكثر مما نراهُ نحن ولا بدَّ من انك كنت تعلم ما يدور في عقلهِ ويختلج فؤادهُ وكان يجب ان تعلم ذلك وتحذرنا منهُ "

ولما قالت ذلك رأى ان لا بدَّ لهُ من الدفاع عن نفسهِ فقال لها " يا مولاتي ان ابنك الكريم قد نال اسمى الجوائز المدرسية وانا اعلمهُ وكانت آدابهُ خالية من كل عيب ومعتقداتهُ الدينية كذلك وهذه الفكرة التي بدت منهُ الآن تدلُّ على شدَّة تدينهِ "

فصرخت الدوقة والدموع ملءُ عينيها " كيف نصبر على فراق ولد مثل هذا ". فامسك الدوق بيدها وقال للمستر برنادر " نحن شاكرون لك كثيرًا انا والدوقة ولا نأسف الاَّ لاننا لم نعرف من طباع ابننا اكثر مما عرفنا "

المستر برنارد — " مولاي الدوق المحترم لو طلبتم سموكم او سمو الدوقة قبل الآن ان اخبركما ما اعرفهُ عن ابنكما لقلت لكما ما اقولهُ الآن وهو ان لورد منتكيوت عميق جدًّا لا يسبرغورهُ ولا يستطيع احد ان يكتشف بواطنهُ سواءٌ كان من الذين دونهُ او من المساوين لهُ ولم يكن

لهُ عشير قط اما انا في كل السنوات العشر التي تشرَّفت فيها بتعليمهِ لا اذكر انهُ قال كلمة واحدة تغض من كرامتي وهو كولد خجِلٌ سكوت وكرجل — لاني كنت اعتبره رجلاً في العقل مدة السنوات الخمس الاخيرة ولو كان ولداً في السن — كان يستعملني كآلة لتحصيل العلم والمعرفة . والاقرار بذلك لا يعود عليَّ بالفخر ولكنهُ اتصل بكثيرين من كبار العلماء في اكسفرد وقد عرفت منهم انهُ كان يعاملهم كما كان يعاملني فيجلهم و يستفيد منهم كأنهم آلات في يدهِ . وهو كثير الدرس شديد الاجتهاد لا يكلُّ ولا يملُّ لكنهُ لا يسأل احداً عن رأيهِ ولا يعرض رأيهُ على احد . والمذاكرة مع سموكم امس هي اول مذاكرة سمعتُ بها عنهُ وهي تريكم شيئاً من طبعهِ "

فكسف بال الدوق وغاصت الدوقة في بحار الافكار وصمت الثلاثة بضع دقائق ثم رفعت الدوقة نظرها وقالت بتأنٍ " يظهر لي الآن اننا لم نكن نعرف طبع ابننا واننا نشكرك يا مستر برنارد لانك بادرت الينا حالاً في ساعة ضيقتنا وانت متفضل علينا " . ففهم مرادها ونهض وحنى لها رأسهُ وخرج . وحينئذ نظر الدوق والدوقة كلٌّ منهما الى الآخر وهما صامتان ووددت الدوقة ان يبدأ زوجها بالكلام اما هو فبقي صامتاً فقالت بعينين مغرورقتين بالدموع " والآن ماذا نفعل يا جورج "

وكان الدوق قد صمم الرأي على ان يرسل تنكرد الى القدس الشريف و يرسل معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ليعتنوا بهِ ولكنهُ لم يستنسب اطلاعها على ذلك حينئذٍ فاشار عليها ان تتكلم مع تنكرد في هذا الموضوع

فقالت " كلاً وخير لي ان ابقى ساكتة الآن ولكن لا بدَّ من بذل ما في الوسع والمبادرة الى تخليصهِ من هذه الورطة باسرع ما يمكن . ومن رأيي ان نخبر صديقنا المطران بذلك وهو يتكلم مع تنكرد ولا شبهة عندي في انهُ يقنعهُ حالاً بالعدول عن هذا السفر لان المسألة سياسية ودينية معاً ومَن اقدر منهُ على حل المشاكل السياسية والدينية لانهُ من كبار رجال السياسة ومن اعلم علماء اللاهوت . هذا هو السبيل الرشيد وسيحلُّ هذا المشكل طبق المرام ان شاء الله . نعم اننا نثقل على المطران بهذا الطلب لكثرة اشغالهِ ولكن الخطب جلل ويجب ان لا نستخفَّ بهِ ونحمل مثل هذه الثقلة عن رجل كريم مثلهُ لاسيما وهو الذي ثبَّت تنكرد وصداقتنا معهُ قديمة . وسأكتب لهُ الآن واخبرهُ بخلاصة الامر ثم نقابلهُ غداً ونبسطهُ لهُ بسطاً تاماً فما رأيك في ذلك "

فقال لها " احسنتِ ولا احسن من هذا الرأي " قال ذلك وهو مسرور بانها وجدت شيئاً تتسلى بهِ ولو اياماً قليلة

الفصل الرابع

كان المطران الذي استعانت بهِ دوقة بلامنت على ابنها كبير الهمة كثير التقلب شديد الطمع ينظر الى جزئيات الامور ويحب التعرُّض لمشاكل السياسية لا يترك مسألة الاَّ وضع اصبعهُ فيها. وكان قليل العلم ضعيف الاستدلال تختلط عليهِ المسائل فيرتبك فيها ويزيد خطاؤُهُ على صوابهِ . وكان مقامهُ رفيعاً بين قومهِ ولكنهُ لم يقدم بعلمهِ ولا باختبارهِ بل زاد مشاكلهم اشكالاً . اذا عثر على رأْي وجد فيهِ لمحة من الصواب تمسك بهِ وادَّعاهُ كانهُ هو ابتكرهُ ثم اذا وجد ان العمل بهِ يثير عليهِ خصومهُ انكرهُ وابعد عنهُ . فكان امرءًا من غير رأْي يلبس لكل حالة لبوسها يظهر لك في مظهر اصحاب المبادىء السامية ثم لا يلبث ان يجاري احوال الزمان والمكان

قابل هذا المطران تنكرد مقابلة طويلة وحادثهُ بالاسهاب وكان تنكرد يصغي اليهِ بالوقار التام لكنهُ كان يعترض عليهِ من وقت الى آخر ويحاجهُ ويجادلهُ غير محاذر حتى وصل الى مسألة الولاية وبين هي قائمة فصار المطران يسرد العبارات الفخيمة من غير ارتباط ولا انسجام بل من غير معنى واخيرًا قال تنكرد

"لا شبهة في ان نظام الاجتماع الانساني وضعهُ الله وكان يدار بحسب شريعتهِ وهو يدار الآن بحسب الشرائع المدنية التي وضعها الانسان اما انا فافضل الشرائع الالهية على القوانين البشرية واودُّ ان اعرف كيف نعود الى استعمال الشرائع الالهية"

المطران — "ذلك سهل لان الكنيسة تنوب عن الله على الارض"

تنكرد — "ولكن لم يبقَ سلطة للكنيسة على احد"

المطران — "اصبتَ غير ان دوام الحال من المحال وقد اخذت السلطة تعود الى الكنيسة رويدًا رويدًا وحالها الآن على غير ما كانت عليهِ منذ مئة سنة ولا يبعد ان ننجح قريبًا في اقامة مطران لمدينة منشستر"

تنكرد — "وما الفائدة من اقامة المطران ونحن في حاجة الى ملاك سموي يرشدنا الى الحق"

المطران — "عندنا مرشد اعظم من الملائكة ولذلك لم يعد الملائكة يظهرون للناس"

وطال الحديث على هذا النمط ولم يدرك المطران مقصد تنكرد فقال انهُ من اهل الوهم والخيال . ولما رأَت الدوقة ان مقابلة المطران لم تجدِ نفعاً أُسقط في يدها وضعفت عزائمها ولكنها لم تستسلم للفشل وقالت في نفسها ان المطران لم يدرك غرض ابني ولذلك لم يستطع اقناعهُ . واخبرت زوجها بما قالهُ وهو ان ابنهما من اهل الوهم والخيال وقالت "اننا ارسلناهُ اليهِ لهذه

الغاية لكي يزيل الاوهام من رأسهِ فما معنى تركهُ على هذا الدورة ومهما كانت اوهامهُ فهي ليست اشد من اوهام البيوزيين(٧) فلماذا نرى غبطتهُ يقاومهم و يجادلهم . وهذا من انكى ما أُصبنا بهِ. واذ قد فشلنا مع المطران فبماذا تشير الآن يا جورج اذ لا بدَّ من اقناع تنكرد بالعدول عن السفر"

فقال لها "يسوءني ان المطران لم يفلح في اقناعهِ" ثم قال بعد ان صمت قليلاً وهو ينظر من كوَّة الغرفة الى ميدان القصر حيث كان جوادهُ مسرجاً في انتظارهِ "و يظهر لي ان هذه الاوهام لا يزيلها من رأسهِ الاَّ رجل خبير بالعالم"

الدوقة — "رجل خبير بالعالم ماذا يعرف من هذه المسائل الدينية"

الدوق — "يعرف قليلاً منها ولذلك لا يلجأ الى الجدال والجدال لا يقنع احداً بل يزيد المرء تمسكاً برأيهِ . والذي نجادلهُ قد نفحمهُ ولكننا لا نقنعهُ . اما الرجل الخبير بالعالم فيعرف كيف يقنع غيرهُ من غير جدال . وكثيرًا ما شاهدت اسكدايل يفعل ذلك فاننا قد نتجادل في امرٍ اشهرًا ولا نرى دليلاً يقنعنا فيأتي اسكدايل ويقنعنا بكلمتين لا لان الخبرة تحل المشاكل بل لان المشاكل تزول من امامها كما يزول الضباب من حر الشمس"

الدوقة — "أتستطيع ان تراهُ اليوم"

الدوق — "لا بد من ان يكون اليوم في مجلس الاعيان وسيذهب تنكرد الى مجلس النواب يسمع الجدال في مسألة مينوث فنطلب من اسكدايل ان يأتي ويتعشى معنا وهو خير من نستشيرهُ في حل هذا المشكل"

الدوقة — "اصبت اصبت ادعهُ للعشاء وقل لهُ ان الخطب جلل ولا بدَّ من حضوره حالاً واخالهُ يلبي دعوتنا ولو كان مدعوًّا الى مكان آخر"

وعاد دوق بلامنت ولورد اسكدايل تلك الليلة متأخرين لانهُ حدث في مجلس الاعيان امر نادر المثال وهو ان الاعيان انقسموا وذلك نادر جدًّا وقد سرُّوا بهذا الانقسام لانهُ دليل الحياة واكثروا اللغط فيهِ كما تنقُّ الدجاجة اذا باضت . ولم يكن انقسامهم على مسألة خطيرة من المسائل التي لها مساس بسياسة البلاد ولكنهُ كان انقساماً مهماً لان الاقلية كانت مع حزب الوزارة والاكثرية ضدها . وقد حدث ذلك عن خطاءٍ فان رئيس المجلس كان نائماً والظاهر ان التخمة اشتدَّت عليهِ فاستيقظ بغتة واخذ يخطب ذاهباً مذهب الحزب المضاد واجتهد الذين بجانبهِ لكي ينبهوهُ الى خطائهِ بجذب طرف سترتهِ فاغتاظ واصرَّ على خطائهِ ولما

(٧) نسبة الى الدكتور بيوزي الذي قام في مدرسة اكسفرد الجامعة وحاول ادخال بعض العقائد الكاثوليكية الى الكنيسة الانكليزية

طلب رأي الاعضاء انقسم حزبهُ فوافقهُ بعضهم على الخطاء واقترعوا مع الحزب المضاد وخالفهُ البعض الآخر وخرج الموظفون لكي لا يقترعوا ضد الوزارة

وجلس الدوق والدوقة ولورد اسكدايل لتناول العشاء في غرفة المكتبة ودار الحديث على ما جرى في مجلس الاعيان وجعل الدوق ينتقد فعل العضو الذي شدَّ بطرف سترة الرئيس فاكَّد لهُ لورد اسكدايل ان ذلك كثير الحدوث في مجلس النواب وانهُ قد يشدُّ اثنان بسترة المتكلم حتى يضطراهُ الى الصمت والجلوس . وانقضى وقت الطعام ولم يذكر احد اسم تنكرد ولا سأل احد عنهُ . ثم لما فرغوا وخرج الخدم دفع الدوق المائدة من امامهِ وادار كرسيهُ الى نحو الموقد وفعلت الدوقة مثلهُ وقام لورد اسكدايل وحرَّك النار وادار ظهرهُ الى الموقد ووقف ويداهُ في جيبي بنطلونهِ وقال مخاطباً الدوقة " اذاً تنكرد عازم على السفر الى اورشليم "

الدوقة — " هل اخبرك جورج بالقصة كلها "

اسكدايل — " قال لي هاتين الكلمتين وترك تفصيل الخبر لكِ "

فجعلت الدوقة تسرد عليهِ واقعة الحال بالتفصيل والاسهاب وهي تشرح ما حدث وتنتقد آراء ابنها الدينية وذكرت ما دار بينهُ وبين المطران . واخيراً قالت " ويظهر لي ان تنكرد زاد تصميماً على السياحة وانهُ لا شيء يثنيهِ عن هذا العزم "

فقال لورد اسكدايل " ذلك خير من ذهابهِ الى اليهود واستغراقهِ في الدّين كما يفعل غيره "

" الدوقة — " انا اخالفك في ذلك لان الاستغراق في الدين خير من الموت فانهُ ما ذهب احد الى الارض المقدسة ورجع سالماً لتسلط الحميات عليها "

لورد اسكدايل — " ليأخذ معهُ صندوقاً من الكينا "

الدوقة " اراك تمزح مع انك تراني اكاد اموت كمداً "

فنظر الى السقف وقال لها " لست امزح ولكنني افكر في حيلة نصرف بها تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين له "

فنظر الدوق الى زوجتهِ وقال لها " اسمعي هذا الذي نطلبهُ ان نصرف تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين له " ثم قال لورد اسكدايل " انهُ لا يسهل على المرء الذهاب الى اورشليم كما يسهل عليهِ الذهاب الى برمنغام . ولا بدَّ لابنكما من ان يذهب اليها بحاشيتهِ وفي يختهِ ووجود اليخت ليس بالامر السهل ولا سيما اليخت الذي يصلح للسفر من هنا الى هناك لان بحر الروم لا يستخف بهِ وبامواجهِ ولذلك يحق لكما ان تطلبا منهُ ان لا يسافر الاَّ في يخت كبير لا يخشى عليهِ في ذلك البحر فلا يجد يختاً كبيراً يبتاعهُ واذا اراد ان يبني يختاً فاما ان يجد في بنائهِ

من المشقة ما يثنيهِ عنهُ او ان يغوى ببنائهِ فيستمرّ عليهِ سنة من الزمان و ينسى السفر الى اورشليم و يمضي الى كوس[٨] بدلاً من المضي اليها "

فقال الدوق هذا هو رأيي ايضاً

وقالت الدوقة لم يخطر هذا الرأي ببالي قبلاً

وجلس لورد اسكدايل وشرب كأساً من الشراب وقال الدوق هذا رأي حسن فما قولكِ يا كاترين . فالتفتت الى لورد اسكدايل وقالت لهُ " ماذا تشير علينا ان نفعل اولاً . فقال دعوهُ يدخل الهيئة الاجتماعية انزلوا بهِ الى لندن . فقالت ولكن كيف افعل ذلك وانا نفسي لا اذهب الى مكان ولا احد يعرفهُ وهو لا يريد ان يعرف احداً . فقال اذا سمحتما لي فانا افعل ذلك فانني غداً ادع الدعوات تنهال عليهِ ولا يبقى عليكما الاَّ ان تحثاهُ على قبولها . فقالت وهذا ليس بالامر السهل عليَّ . فقال اجعلي ذهابهُ الى حفلات الانس مدة بنائهِ اليخت شرطاً لقبولك بسفرهِ الى الارض المقدسة . وما من شابّ الاَّ و يشعر بشيء من الحياء في اول الامر ولكنهُ متى عاشر الناس ودخل حفلاتهم يصير يصعب صرفهُ عنها . وقال الدوق اني لا امانع في ذلك الاَّ اذا رأيتهُ مائلاً الى اللعب (القمار) . فنظرت الدوقة الى زوجها وقالت كيف تقول ذلك ونحن كنا عازمين ان نزوجهُ اولاً حتى نأمن عليهِ من الاشراك . يا ولدي اني اتصورهُ الآن والفخاخ منصوبة حولهُ

الفصل الخامس

قرّ القرار اخيراً على ان تنكرد يمضي الى بلاد الشام و يزور الارض المقدسة في يخت خاص يُصنَع لهذهِ الغاية تعطى ادارتهُ لربان من ربّاني الاساطيل الانكليزية و يمضي معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ورجل آخر عارف ببلاد المشرق يكون الخدم كلهم تحت امرهِ و يختارهُ اللورد اسكدايل لهذه الغاية . وقبل تنكرد بما فرضهُ عليهِ ابواهُ وهو ان يمتزج بالهيئة الاجتماعية الى ان يُعَدَّ اليخت لهُ وحسبت امهُ انهُ لا بدَّ من ان يشغف بحب ابنة خالهِ في غضون هذه المدة فيعدل عن السفر و يصير يستعمل اليخت لزيارتها في ارلندا

ودخل تنكرد الهيئة الاجتماعيَّة اي مجتمعات الامراء والوجهاء في عاصمة البلاد الانكليزية فرحّب بهِ الجميع وصاروا يتسابقون الى دعوتهِ لانهُ من اكثر الناس ثروةً واعرضهم جاهاً .

---

(٨) فرضة للنزهة في شمالي جزيرة ويط ببلاد الانكليز

فشغل بالدعوات الكثيرة . واشراف الانكليز يعلنون انهم مدعوون في اليوم الفلاني الى هذا المكان وفي اليوم التالي الى آخر فيحسب العامة ذلك تنازلاً منهم ولا تتم هذه الغاية الا في بلاد جرائدها حرة وعامتها متعبدة لخاصتها . والذين تشوقهم الدعوات الى بيوت الكبراء لا يعبأون بالدعوة من حيث ما يجدونهُ من المسرَّة في البيوت التي يُدعَوْن اليها بل يعبأون بها ليكتب اسمهم في لائحة المدعوين حتى يقال انهم من الذين يدعون الى بيت هذا الوزير وذلك العظيم

واتفق ان لورد منتكيوت فتح جريدة ذات يوم فرأى اسمهُ فيها رأى انهُ "دعي الى وليمة ارل سنت جوليان والقونتة زوجتهِ وكانت الوليمة فاخرة ثم شوهد بعد ذلك في الاوبرة". فلما قرأ ذلك احتدم غيظاً ولكنهُ وجد ان دخولهُ الهيئة الاجتماعية صار امراً مقضياً ولو المهُ كثيراً لانهُ كان يكره شهرةً نالها بولادتهِ من دوق كبير لا باعمال نبيلة عملها ولذلك كان يمضي في كل ساعات الفراغ الى المرافىء يفتش فيها عن يخت ليسرع في سفرهِ على قدر الامكان واعلن عن ذلك في كل الجرائد وخافت امهُ ان يجد يختاً يرضيهِ فيسافر فيهِ حالاً واطلعت لورد اسكدايل على ذلك فطمَّن بالها وقال لها انهُ لا يجد ما يرضيهِ

وحدث ذات يوم ان دعي الى ليلة راقصة في بيت احد الوجهاء فلما ذكر الخدام اسمهُ احدقت كل عين بهِ ونظرت اليهِ احدى السيدات بنظارتها وقالت هذا لورد منتكيوت . واسرَّ المستر ارمسبي في اذن لورد فالنتين قائلاً "كونوا على حذر ايها الشبان فانهُ ليس لكم خبز مع لورد منتكيوت". فقال لورد فالنتين ولكنهُ ذاهب الى القدس. فالتفت اليهِ لورد ملفورد وقال "كان اخي هناك بعد ضرب عكاء سنة ٣٩ وقال انهُ لا يوجد فيها شيء للصيد" فقال ارمسبي "كان فيها جمال في ايام ارميا النبي على ما قيل لنا يوم الاحد الماضي" وقال لورد فالنتين ان منتكيوت لا يهمهُ الصيد فسألهُ لورد ملفرد وماذا يهمهُ اذاً . فقال بلغني انهُ يفتش عن يخت يشتريهِ ليذهب بهِ الى الارض المقدسة . فدنا لورد بترك من لورد منتكيوت وقال لهُ متى تذهب الى اريحا فنظر اليهِ لورد منتكيوت وقال لهُ مَن هذه قال ذلك مشيراً الى غادة غيداء تبدو على وجهها ملامح الذكاء ويظهر في قدها الجمال والدلال. فاجابهُ هذه لادي كونستانس رولي تعال اعرّفها بك وهي من بنات عمي

وكان الازدحام كثيراً في مدخل الرواق بين الداخلين الى غرفة الرقص والخارجين منها وهم يتطارحون موجز الحديث مثل قولهم . بلغني انكِ مضيتِ الى باريس . نعم وقد رجعت امس . ما اجمل هذه الرقصة . جميلة جداً . اتعلمين متى يعود بيت مدلترب الى المدينة .

لا اعلم لان ابنتهم مريضة جدًّا . كذا بلغني مساكين ولمن تبقى اموالهم كلها . هل اتى مستر كنسباي معك — كلاَّ بل هو في المجلس — بلغني انهُ شديد المواظبة على حضور الجلسات . نعم لانهُ يحبها . مبروك مبروك لا انسب منهُ لها ولا انسب منها لهُ . كذا يقال

وتحدَّث لورد منتكيوت مع لادي كونستانس ثم رقص معها وكان يراقب حركاتها وسكناتها على ما رأتهُ الامهات الخبيرات . وكانت هذه السيدة من الشهيرات بجمالهنَّ ويقال انها رفضت كثيرين من العظماء الذين اتوها خاطبين ولكن بعضهم لم يقطع الرجاء من رضاها ولذلك قيل انها لم تظهر لهم انها رفضتهم رفضًا باتًّا . ويقال ايضًا انها تعرف كيف ترضي وكيف تغضب وكيف تحسن وكيف تسيء . ورافقها تنكرد الى غرفة الاردية حيث لبست الرداء الذي تخرج بهِ وتعود الى بيتها وعرَّفت امها بهِ هناك ولما ارادت وداعهُ قال لها يسوءني هذا الفراق . فتبسمت وقالت وانا كذلك ولكن لا اسهل من لقاء الاصدقاء كل يوم . فقال لها لا اعلم اين التقي بكِ غدًا الاَّ اذا كنت عازمة ان تتعشي عند رئيس اساقفة يورك فقالت لهُ انني ذاهبة الى بيت مسز فلونسي وسيذهب كل احد الى هناك فعلى مَ لا تذهب انت ايضًا . فقال لانني لم أُدْعَ اليهِ وزد على ذلك فاني مضطر ان افتش عن بخت . فقالت فتش عنهُ يوم الاثنين وتعال معنا غدًا الى بيت مسز فلونسي وهناك ترى اخي وتسألهُ عن بخت وهو ادرى الناس بذلك . فقال سأفعل ثم مدَّ لها يدهُ وساعدها على ركوب مركبتها

ستأتي البقية

تقدم الجراحة هذا القرن

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

يهمُّ القراء عمومًا والاطباء خصوصًا بعد ان رأَوا تقدُّم الجراحة وتمتعوا بفوائد الاكتشافات الحديثة فيها ان يعرفوا الحالة التي كانت عليها في بداءة هذا القرن . فالجراحة من اهم فروع الطب وتقدُّمها ونتائجها حسيَّة اكثر من التقدم في علاج الامراض الباطنة وبها تخفيف الآلام ولاسيما في زمن الحروب حيث يقع الجرحى بالالوف ويتألمون آلامًا يرقُّ لها الجماد ولا تخففها الاَّ الوسائل الجراحيَّة . نعم ان العقل يقف حائرًا عندما يراجع حالة هذا العلم في بداءة القرن التاسع عشر ويقابلها بحالتهِ في آخر سنةٍ منهُ فيشعر بفضل المكتشفين الذين خدموا نوع الانسان خير خدمة فاستحقوا الشكر الجزيل وقد أُتيح لبعضهم مثل اللورد لستر ان يبقى في قيد

الحياة الى الآن ويرى العالم اجمع يتمتع بفوائد مكتشفاته والملايين تقرّ بفضله وتخفف آلامها بعلمه ونال اكبر مكافأة من امته وحكومته مع اشرف الالقاب ولو كان ذلك قليلاً تجاه فضله الجزيل ونفعه العميم. وقد ذكر الدكتور هيث (Heath) طرفاً من تاريخ الجراحة في القرن الماضي مفعماً بالفوائد فرأيت الاّ يحرم قراء العربية من الاطلاع عليه فلخصته في السطور التالية

كانت اوروبا في بداية القرن التاسع عشر مشتغلة بحروب دائمة حتى انتصرت على نبوليون الاول سنة ١٨١٥ ولذلك كانت افكار الاطباء متجهة بنوع خاص الى الجراحة العسكرية والاصابات التي تنتج عن المقذوفات النارية وكانت الجراحة في ذلك الحين في طفوليتها تحتاج الى ما يخفف الالم و يساعد على سرعة اتمام العمليات الجراحية ويؤكد نجاحها من الوسائط العلاجية والواقية وكان هم الجراحين الاول ايقاف النزف حينما يبترون العضو المصاب لتخليص الجريح إما في ساحة القتال او في احد البيوت المجاورة ولم يكن لديهم من المغيبات ما يساعدهم على التأني في عملهم وتخفيف الم المصاب ولا من المضادات للفساد ما يؤكد لهم حسن النتيجة فكان متوسط الوفيات اكثر مما هو الآن كثيراً وكانت الحروب خير مدرسة للجراحة امتاز فيها الجراحون واشتهرت اسماؤهم بعدها. ومن الذين امتازوا على غيرهم الجراح لاري Larry الذي كان وجوده في الجيش بمثابة جيش آخر مساعد له لان وجوده كان يبث الشجاعة في قلوب العساكر المحاربة لثقتهم بانهم اذا جرحوا وجدوا من يخفف آلامهم و يعتني بهم الاعتناء اللازم لتخليص حياتهم فكانوا يحاربون مستقتلين ومعتمدين على جراحهم هذا . ومن هذه المدرسة الترتيبية انتخب اساتذة الجراحة للتعليم في المدارس الكلية . ومن اهم المواضيع التي اشتغلوا بها حينئذٍ عملية البتر اي قطع احد الاطراف . وكانوا يعتمدون على البتر المستدير او الحلقي حتى ظهر الجراح لستن Liston واوجد بعض التحسين بايجاده عملية البتر ذات الشرائح التي يتوفر بها الغطاء اللازم لتغطية الجرح مع السرعة في العمل فانتدب سنة ١٨٣٦ ليكون جراح احدى المستشفيات الشهيرة في لندن وادخل اليها عمليته هذه وكان كبير الجسم قوي البنية طويل القامة لا يقل طوله عن ست اقدام فكان يقبض على الفخذ و يقطع الشريحة العليا ثم السفلى و يرجعها الى الوراء بيده اليمنى وينشر العظم بسرعة فائقة و يفتخر بانهُ يتم العملية في اقل من دقيقة واتمامها في هذا الوقت القصير كان يعد مهارة فائقة لانهُ لا يعرض المصاب لالم طويل وعذاب أليم ولم تكن المغيبات معروفة حتى ذلك الوقت بل كانوا اذا ارادوا عمل عملية جراحية اعطوا المصاب كاساً كبيرة من الكونياك (برندي) والماء ثم يؤخذ في العملية من قطع ونشر وخياطة الخ والمصاب يتحمل اشد عذاب الالم

اما الآن وقد اكتشفت المغيبات ولم يبقَ ما يدعو الطبيب الى الاسراع في العمل فقد ابطلت هاتان العمليتان تقريباً واوجدت طرق اخرى اسهل منهما وافضل فاذا اراد الجراح بتر عضو وضع المصاب تحت الكلوروفورم وعقَّم يديهِ والآلات الجراحية ومحل العملية ثم يضغط على الاوعية الدموية برباط اسمرك ويبتر العضو بتمهلٍ وتأنٍ مختاراً الطريقة التي تناسب الحالة . والمصاب لا يشعر بشيءٍ ولا يفقد من دمهِ ما يضعف قوتهُ وبوجود مضادات الفساد صارت الارجحية في جانب الشفاء

واهم ما يذكر من المكتشفات الجراحية في القرن التاسع عشر

اولاً المغيبات . وهي اعظم نعمة يذكرها الانسان لانها تخفف آلامهُ واكبر مزية للقرن التاسع عشر يذكرها المرضى على مر الايام فلا عجب اذا جُعل يوم ٧ اكتوبر عيداً عظيما تذكاراً لذلك اليوم من سنة ١٨٤٦ يوم جُرِبت المغيبات اول مرة فوفت بالمراد وتحسنت بعد ذلك طريقة استعمالها وتعدَّدت انواعها وشاع استعمالها حتى عمَّت الدنيا

والفضل الاول في اكتشافها لمورتن Morton طبيب الاسنان من بوستن في اميركا الذي عمل بعض تجارب بالغاز الضحَّاك المعروف من ايام همفري دافي بانهُ بنبه مستنشقهُ فزاد مورتن كميتهُ فنتج عنهُ التخدير الوقتي الامر الذي لم يعرف عن هذا الغاز قبلاً واستعملهُ في قلع الاسنان واستأنف البحث عساهُ ان يجد ما يكون اوفى منهُ بالغرض واسهل في الاستعمال فوصل الى الايثر الكبريتيك فنجح مراراً في استعمالهِ لقلع الاسنان فاخبر الطبيب وارين Warren وكان مقيماً معهُ في بوستن وطلب منهُ ان يجربهُ في العمليات الجراحية الكبرى وهو يباشر اعطاءهُ بنفسهِ

وعليهِ صار الاتفاق بينهما على ان يجتمعا يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٦ لمباشرة اول عملية تحت فعل المغيبات ويكون عامل العملية وارن والمعطي للايثر مورتن وفي اليوم المعين عملت العملية والمريض لم يشعر بالم البتة ولم يتحرك اثناء العملية ولما افاق لم يصدق ان العملية عملت فقال ورن اذ ذاك "لا خداع في الامر" ولم تمض مدة طويلة حتى بلغ هذا الاكتشاف انكلترا واستعملهُ الجراح لستن في عمليتين في مستشفاه ثم شاع استعمالهُ حتى عم اوربا . ووجدوا ان في استعمال الايثر بعض الصعوبة فواصل احد المولدين المشهورين البحث حتى اتصل الى معرفة الكلوروفورم المستعمل الآن ومن مزاياه اولاً اطلاق الحرية للجراح ليتأنى في العمل ويستوفي طرق العملية القانونية في عملهِ وثانياً اراحة المريض من الالم حتى لا يحجم احد عن عمل اكبر عملية خوفاً من الالم

ثانياً . مضادات الفساد . وهي تفوق ما سواها باهميتها العلمية لانها اساس نجاح الجراحة فان كانت المغيبات تشجع المصاب على تسليم نفسهِ للجراح غير خائف من الالم فمضادات الفساد تجعلهُ على يقين من نجاح العملية لان عمليةً بلا الم عاقبتها الموت تضيع فضل الجراح ودقة العمل. وقبل اكتشاف هذه الطريقة اي قبل سنة ١٨٧٣ لم يكن يجسر طبيب على فتح تجويف البطن وطالما كانت ابسط الجروح والعمليات سبباً لضياع الحياة بالحمى العفنة . والفضل في اكتشاف مضادات الفساد للعلامة اللورد لستر Lister الجرّاح الشهير . اكتشفها صدفة بلا تعب ولا اجهاد فكرة فانهُ جرب استعمال الحامض الكربوليك وكان البعض يستعملهُ في المجاري لمنع تصاعد الروائح الكريهة فجرَّبهُ اولاً في حادثة كسر مضاعف واول ما كشف عن الجرح بعد غيارهِ بهذا الحامض وقف متعجباً من النجاح الذي صادفهُ لانهُ عوضاً عن ان يرى جرحاً متقيحاً كما اعتاد ان يرى قبلاً وجد جرحاً فيهِ جلطة دم عوضاً عن الصديد بلا اعراض التهابية حولهُ وهذه بداية اكتشاف مضادات الفساد التي تحسنت من وقت الى آخر واضيف اليها مواد اخرى مثل السليماني والكربوليد. واللورد لستر هو واضع الاساس وهو صاحب الطريقة المشهورة المعروفة بالغيار على الجرح ولو كانت قد تحسنت كثيراً وأبدل جزء منها باحسن منهُ .وقد اصبح الجرّاح قادراً على حفظ الجرح عقيماً بانتباههِ الى نظافة يديهِ والمريض والممرضة وما يحيط بهِ من الاثاث وهو امرٌ لم يحلم بهِ الاطباء قديماً وصار قادراً ان يعمل اية عملية كانت غير راهب ذلك العدو القديم الذي كان يفسد اكثر العمليات الجراحية وهو الامتصاص العفن والحمى الصديدية

الحصوات المثانية — لم يعرف الاطباء قديماً لاستخراج الحصاة المثانية غير عملية الشق العجاني (الجانبي) مع كونها لا تفي بالمقصود وينتج منها اضرار عديدة حتى انها أُبطلت الآن ثم ان ويس Weiss صاحب معمل الآلات الجراحية المشهور وسيفيال Civiale الباريسي اشتغلا بجدٍ لإيجاد طريقة افضل حتى توفقا الى اكتشاف آلة لتكسير الحصاة في المثانة في جلسات متعددة وتترك قطعها الناعمة لتخرج مع البول من نفسها واضاف كلوفر Clover الانكليزي اليها الطلمبة المفرغة . وبالتحسين والاضافة وباهتمام بجلو Bigelow الاميركاني صار يمكن للجراح ان يكسر الحصاة ويستخرجها بالطلمبة المذكورة بلا شق ولا خطر يذكر وذلك في جلسة واحدة . ثم ان عملية الشق العاني أُرجعت حديثاً ورغب فيها الاطباء بعد ان تبين انهُ يمكن رفع غشاء البريتون بواسطة تمديد المثانة بالماء والمستقيم بكيس من الصمغ المرن حتى يضغط على المثانة فيرتفع غشاء البريتون في البطن الى علوٍ لا يخشى عليهِ بعدهُ من ان يمس اثناء

العملية . وتعد هذه العملية الآن احسن عمليات الشق وتفضل في الاولاد لاسباب تشريحية لا تخفى على الطبيب

فتح البطن — اعتقد الاطباء قديماً ان عمل العمليات الجراحية في احشاء البطن فوق مقدرة الجراح وان العلم قاصر عن اتمامها ولكن بفضل مضادات الفساد وتقدم الجراحة زالت كل العقبات واصبح فتح البطن كغيره من العمليات الجراحية فحصاة المرارة والكلية تستخرج في كل يوم والكلية تستأصل برمتها واورام الامعاء تفصل وتستخرج وتقطع اجزاء من الامعاء عند اللزوم. واكتشف حديثاً زر مورفي لهذه الغاية. ولا يبرح عن البال انه من مدة وجيزة استؤصلت المعدة برمتها . وكذلك الاورام المبيضية نزعت اول مرة في سنة ١٨٠٩ لكن عملية نزعها لم تكن سوى مخاطرة شفاؤُها من قبيل الصدف فاصبحت بعد سنة ١٨٧٣ كباقي العمليات حتى ان Spencer Wells سبنسر ولس الذي توفي سنة ١٨٩٦ استخرج الفي كيس مبيضي مدة تعاطيهِ الجراحة بعد سنة ١٨٧٣

وتجويف الراس يفتح الآن وتستأصل منهُ الاورام وتفتح خراجاتهُ

ومن اهم الآلات التي اكتشفت في هذا القرن فكانت اكبر مساعد على تقدم فن الجراحة والتشخيص اولاً الميكروسكوب الذي بواسطتهِ تعرف انواع الاورام والانسجة المختلفة ويستعمل في امراض مجرى البول لمعرفة مصدر العلة ولاكتشاف الجراثيم المختلفة. ثانياً الابثلمسكوب الذي اكتشف في اواسط القرن التاسع عشر فكان اكبر دليل لتشخيص امراض العين ومداواتها وللمساعدة على تشخيص بعض الامراض الباطنية مثل مرض بريط. ثالثاً اللارنجسكوب للبحث عن امراض الحلق والانف . والاندوسكوب الكهربائي الذي بواسطتهِ يرى داخل المثانة والتجاويف الداخلية . واخيراً اشعة رنتجن الحديثة الاكتشاف وقد صار امرها مشهوراً

هذه بعض الفوائد ذكرتها باختصار . ومما ذكر يرى ان اساس تقدم الجراحة المغيبات ومضادات الفساد والفضل في نجاح العمليات الجراحية وانتفاء الخطر منها لمضادات الفساد كما لا يخفى . ولو بُعث الجرَّاحون الاقدمون ورأوا كيف تعمل العمليات الجراحية الكبيرة فتقطع الاطراف ويبقر البطن وتفتح الجمجمة وتقطع الامعاء وتوصل ويتم ذلك كلهُ بالسهولة التامة وتلتئم الجروح كلها بالمقصد الاول لما صدقوا عيونهم ولحسبوا اننا اكتشفنا اكسير الحياة ومنعنا عوادي الادواء . لاحرمت الانسانية رجالاً يوقفون انفسهم لخدمتها وترقية العلوم والفنون وتقليل الآفات والآلام . وعسى ان يكون القرن المقبل قرن اكتشاف وتقدم

تولُّد الاقمار

من رسالة للعالم الفلكي جورج داروِن

اول مَن برهن على ان المد والجزر حادثان من جذب القمر والشمس هو الفيلسوف اسحق نيوتن . فان جذب القمر للجانب القريب منهُ من الارض اشد من جذبهِ للجانب البعيد حسب ناموس الجاذبية العام ولذلك يجذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ للارض التي تحتهُ فيميل الماء الى الارتفاع و يتحدَّب سطحهُ بحسب سير القمر فوقهُ. هذا في الجهة المواجهة للقمر اما الجهة الاخرى من الارض المقابلة لهذه الجهة فالقمر يجذب قاع بحرها اكثر مما يجذب الماء الذي فوقهُ لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ . فيجذب الماء عن الارض في الجانب المواجه لهُ ويجذب الارض عن الماء في الجانب المقابل وتكون النتيجة ان سطح الماء يعلو ويتحدَّب على الجانبين معاً الجانب المواجه للقمر والجانب المقابل لهُ. هذا اذا كان الماء خالياً من المقاومة الاَّ انهُ يقاوم جذب القمر لهُ بثقلهِ واحتكاكهِ فلا يكون المدُّ مواجهاً للقمر تماماً بل متأخرًا عنهُ . وفعل الشمس اقل من فعل القمر في المد والجزر لبعدها الشاسع ولو كان جرمها اكبر من جرم القمر كثيرًا

ثم ان الارض والقمر والسيارات شكلها كلها كروي وهذا يدلُّ على انها كانت مصهورة في سالف عهدها فاستدارت بفعل الجاذبيَّة (كما تستدير نقط الماء الصغيرة) . وحينما يبلغ سيَّار من السيَّارات حالة متوسطة بين السيولة والجمودة بفعل الحرارة فاقمار ذلك السيَّار او الشمس نفسها تفعل بهِ كما يفعل القمر ببحار الارض وتحدث مدًّا وجزرًا في مادتهِ نفسها

واذا كانت الصخور والمعادن مصهورة فتكون لزجة القوام ولذلك فكل قوة تحركها تعرضها للاحتكاك الشديد ولا بدَّ من الاحتكاك ولو كانت المادة ماء . والاجسام المتحركة التي يعارض الاحتكاك حركتها تعود الى السكون رويدًا رويدًا فاذا قطعتَ البخار عن قطار سائر بقي سائرًا مدةً ثم قلَّت سرعتهُ رويدًا رويدًا الى ان تزول ويقف و كذلك اذا اوقفت القوَّة المحركة عن دولاب دائر بقي دائرًا مدةً ثم قلت سرعتهُ الى ان يقف . وبموجب هذه القاعدة العامة تقل حركة السيَّارات في دورانها على محورها بواسطة الاحتكاك الناجم عن المد في مياهها او اجزائها المصهورة

اما الدولاب الدائر فيوقفهُ احتكاكهُ بمحورهِ واما الارض فليس لها محور تحتك بهِ في دورانها فقد لا يظهر جلياً كيف يقل دورانها بالاحتكاك لكنهُ امر واقعي . ولا يحدث فعل

ما لم يحدث انفعال مقابل لهُ ولذلك فما يقل في سرعة دوران الارض يجب ان يزيد في بعد القمر واتساع دائرتهِ

ومعلوم ان اليوم هو مدة دوران الارض على محورها والشهر القمري مدة دوران القمر حول الارض فاذا كان احتكاك المد يبطئ دوران الارض ويزيد دائرة القمر زاد بهِ طول اليوم وطول الشهر القمري وزاد ايضاً بعد القمر عن الارض وهذه النتائج الثلاث اي ازدياد طول اليوم وطول الشهر القمري وبعد القمر من الارض امور حقيقيَّة واقعيَّة . الاَّ ان مقدار هذا الازدياد قليل جدًّا الآن حتى يتعذَّر تقديرهُ بالتدقيق لقلتهِ . و يعلم من حساب الكسوفات والخسوفات من ايام الاشوريين واليونانيين الى الآن انهُ لم يحدث اختلاف كبير في طول اليوم والشهر من ذلك العهد الى الآن اي مدة ثلاثة آلاف سنة والاختلاف الذي حدث طفيف جدًّا . الاَّ انهُ لا يستنتج من ذلك ان هذا الاختلاف كان قليلاً جدًّا في العصور المتوغلة في القدم لانهُ يعلم بالحساب ان الاحتكاك كان عظيماً جدًّا لما كان القمر قريباً من الارض لان احتكاك المد يختلف كمكفوء القوَّة السادسة من البعد فاذا كان بعد القمر عن الارض نصف بعدهِ الحالي فعلهُ في تقليل حركة الارض يساوي اربع وستين مرة من فعلهُ الآن اي اذا قلل دوران الارض على محورها الآن دقيقةً واحدة كل يوم وجب ان يقللهُ حينئذٍ ٦٤ دقيقة في اليوم

والآن يطول اليوم و يطول الشهر القمري دواماً ولو شيئاً يسيرًا جدًّا في القرن الاَّ ان زيادة طول اليوم اسرع من زيادة طول الشهر ويبقى ذلك كذلك في المستقبل فيزيد طول الايام ولكن لا يزيد عددها في كل شهر على نسبة زيادة طولها فحينما يصير اليوم قدر يومين من ايامنا لا يكون طول الشهر قدر ٥٨ يوماً من ايامنا بل قدر ٣٧ يوماً اي يصير الشهر القمري نحو ١٨ يوماً من تلك الايام الطويلة

وهذا الازدياد البطيء في طول اليوم والشهر يستمرُّ عاماً بعد عام ودهرًا بعد دهر الى ان يصير طول اليوم مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا الحاضرة و يصير طول الشهر القمري حينئذٍ مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً . فيصير طول الشهر القمري مثل طول اليوم ويبقى القمر مواجهاً لنقطة واحدة من الارض و يصير يدور مع الارض كانهُ جزء منها متصل بها ولذلك فنتيجة الاحتكاك الحادث من المد المسبب عن جذب القمر ان يبعد القمر عن الارض ويؤخر دورانها فتطول الايام والاشهر حتى اذا صار طول اليوم ٥٥ يوماً من ايامنا صار الشهر القمري ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً

واذا عدنا الى العصور الغابرة وجدنا ان الايام كانت اقصر مما هي الآن وكذلك الشهور. وكان في الشهر القمري ٢٩ يوماً من تلك الايام القصيرة على الاكثر وقبل ذلك كان عدد الايام اقل فاقل الى ان نصل الى زمن كان فيهِ الشهر القمري يوماً واحداً فتدور الارض والقمر في وقت واحد كأنهما مرتبطان معاً بقيود من حديد

والبداية الاولى تشبه النهاية الاخيرة في دوران الارض والقمر في وقت واحد لكن هذا الوقت يكون في النهاية قدر ٥٥ يوماً من ايامنا وقد كان في البداية نحو اربع ساعات من ساعاتنا او بين ثلاث ساعات وخمس ساعات . وقد كان القمر حينئذٍ قريباً من الارض جداً حتى يكاد يمسها . ويستحيل ان تكون حركتهُ اسرع من حركة الارض لانها لو كانت اسرع للزم ان تجذبهُ الارض اليها وتلصقهُ بها فيصير جزءا منها . ولو كان ذلك كذلك ما وجدناهُ بعيداً عن الارض وعليهِ فقد كانت حركتهُ حينئذٍ ابطأ من حركة الارض ولو قليلاً جداً فحدث الاحتكاك من المد وبهِ قلَّت سرعة دوران الارض وزاد بعد القمر عنها بردّ الفعل وابطأت حركتهُ حولها وصار اليوم يطول والشهر يطول ايضاً لكن الشهر كان يطول اكثر مما يطول اليوم فزاد عدد الايام في الشهر القمري حتى بلغ اعظمهُ وهو ٢٩ يوماً وسيعود عدد الايام في الشهر الى القلة الى ان تتساوى مدة دوران الارض على محورها بمدة دوران القمر حولها وتصير في الحالين مثل ٥٥ يوماً من ايامنا ويكون القمر قد بعُد عن الارض بعداً شاسعاً

وهاتان الحالتان غير متشابهتين ايضاً فان الاولى غير ثابتة واما الثانية فثابتة لان اقل تغير في القمر كان يجب ان يميلهُ اما الى الوقوع على الارض او الى الابتعاد عنها كما اذا اوقفتَ بيضة على رأسها فان ذرة الهباء تميل بها الى هذه الجهة او تلك فلا تبقى واقفةً واما الحالة الاخيرة فحالة ثابتة اذا تغير القمر عنها بفاعل ما عاد اليها من نفسهِ كالبيضة المستقرَّة على جنبها فانها اذا اميلت عنهُ قليلاً عادت اليهِ من نفسها

وقد وصل العلماء الى معرفة حالة القمر الاولى بالبرهان الحسابي ثم وقفوا عند ذلك الحد ولا يمكنهم ان يعرفوا بالحساب كيف كانت حالتهُ قبل ذلك ولكن يمكنهم ان يصلوا الى معرفتها بشيء من الاستدلال العلمي لانهُ اذا كانت كرة الارض تدور دورة كاملة كل ثلاث ساعات او اربع فسرعتها هذه كافية لجعل اجزائها الاستوائية تنفصل عنها وتتطاير كما تنفصل اجزاء دولاب من الحديد وتتطاير اذا ادير بسرعة فائقة. والفرق بين الارض والدولاب ان الارض تبقى ماسكة لاجزائها بقوة الجذب واما الدولاب فلا

وينتج من ذلك ان القمر مكوَّن من قطع كانت من الارض وافترقت عنها بقوة التباعد

عن المركز لما اسرعت الارض في دورانها ثم اجتمعت تلك الاجزاء والتحمت وجمدت وصارت كرة القمر. ولا نستطيع ان نثبت ذلك بالحساب الرياضي ونبين الدرجات التي مرَّ عليها ولكن قلما يشك احد في انهُ مرَّت على القمر ادوار كان فيها على غاية الاضطراب قبلما عاد اليهِ الانتظام

قلت ان سرعة دوران الارض على محورها هي السبب لانفصال القمر عنها ولكنني لا احتم بذلك بل ارجحهُ لان هذه السرعة قد لا تكفي لانفصال القمر عن الارض ولذلك يحتمل انهُ وجد سبب آخر ساعد دوران الارض على فصل القمر عنها وما دمنا في معرض الظن فلا بأس بذكر هذا السبب

ذلك انهُ لما كانت الارض تدور على محورها دورة تامة كل نحو ثلاث ساعات قبل ان تولد القمر منها كان المدُّ والجزر شديدين فيها بجذب الشمس لها كما يعلم بالحساب لسرعة دورانها على محورها ولو لم يكن بعد الشمس عنها حينئذٍ اكثر من بعدها عنها الآن فلا يبعد ان تكون قد انفصلت منها اجزاءٌ كبيرة بقوَّة التباعد عن المركز الحادثة من سرعة دورانها على محورها وبقوة جذب الشمس لها ثم اجتمعت هذه الاجزاء وتكوَّن منها القمر. وهو رأْي غريب جدًّا ولا يمكن اثباتهُ بالدليل الرياضي وسواءٌ صحَّ او لم يصح يبقى امر الاحتكاك وازدياد طول النهار والشهر على حالهِ لانهما مبنيان على قواعد حسابية مقرَّرة

ولم اشر في ما تقدَّم الى مقدار الزمن الذي حدث فيهِ ذلك اي الزمن الكافي لانفصال القمر عن الارض وصيرورتهِ كرةً تدور حولها مع ان معرفة هذا الزمن كبيرة الفائدة العلمية وهي مما يتوق العلماء اليهِ. فاذا وجب ان يكون هذا الزمن ملايين الملايين من السنين فالتعليل باطل لانهُ يعلم من امور اخرى ان تاريخ الارض محدود لا يصل الى ملايين الملايين من السنين وكذلك تاريخ النظام الشمسي كلهِ محدود مهما كان متوغلاً في القدم. غير انهُ يعلم بالحساب انهُ اذا كان الاحتكاك المتقدم ذكرهُ قد فعل في العصور الغابرة كما يفعل الآن وكانت الاحوال كلها صالحة لتعلهِ فكل ما حدث يمكن ان يحدث في نحو خمسين او ستين مليون سنة على الاقل. ولا بدَّ من ان تكون اكثر من ذلك لاننا استعملنا اقل مدة يمكن ان يحدث فيها ما حدث من انفصال القمر عن الارض ودورانهِ حولها. وقد يكتشف العلماء عللاً اخرى لتكوُّن القمر ودورانهِ ولكن لا يحتمل انهم يجدون علة اقوى من علة المد الشمسي المشار اليهِ آنفًا

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

عثرت في مقتطف يناير على رسالة لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل قابل فيها بين بلاغة الافرنج وبلاغة العرب مستندًا الى امثلة وشواهد منها في الافرنجية معرب قصائد ومنثورات لكبلنغ وهيكو وفي العربية مقتطفات من منثور سماحة السيد البكري وابيات لبعض شعراء العرب

وقد آنست من حضرة الكاتب تحاملاً على الافرنج رددتهُ الى غيرة حضرته على آداب اللغة العربية غيرة تحمد منهُ والى قلة علم باللغات الافرنجية وآدابها فهل يأذن لي حضرة الاديب ان انقد كلامهُ مع اعترافي بالعجز والقصور

اللغة العربية في عرف علماء الفيلولوجيا احدى اللغات السامية ولغات اهل اوروبا فروع اللغة الآرية . وان من لهُ المامًا باصول الفيلولوجيا يعلم ما بين هذين الاصلين اعني الساميّ والآريّ من التباين والبعد بحيث يصعب ردهما الى اصل واحد الامر الذي يسعى اليهِ المشتغلون بتوحيد اصول اللغات

وزد على ذلك ان طرق التعبير عند الفرنجة غيرها عند العرب وابسط ما يستشهد بهِ في هذا المقام اننا نحن المشارقة نقيس الابعاد بالساعات والايام ويقيسها الغربيون بالاميال والامتار وان كاتبًا اميركيًا بعيد الشهرة والصيت (مارك تواين) جاء بلاد الشرق منذ عهد ليس ببعيد فلما وقف على كيفية قياس الابعاد هذا اغرب في الضحك وسأل مستغربًا ما اذا كان المشارقة يقيسون طول قاماتهم وثيابهم بالوقت كأنْ يقولوا طول فلان اربع ثوانٍ وثخنهُ ثانية ونصف ثانية او ان طول ثوبهِ كذا ثوانٍ وعرضهُ كذا اجزاء من الثانية

وهذا شاهد بسيط على ان هنالك من التعابير في اللغات السامية والآرية ما لا يستطاع نقلهُ من الواحدة الى الاخرى لما تقدم من تباين اوضاع هذه اللغات واختلاف تصاريف الافعال فيها فالعرب صيغة واحدة للماضي مثلاً وللفرنسيين خمس صيغ وللانكليز اربع صيغ وقس عليهِ

وقد الف العرب عادات ومناظر ووُجدوا في احوال تختلف عن احوال الفرنجة فكانت النتيجة اختلافًا في الاذواق والآراء احدث هذا الفرق في اشعار الفريقين وكتاباتهم فما يعدُّ بليغًا عند العرب قد لا يحسب كذلك عند الافرنج ولو نقلنا الى الانكليزية هذا البيت

خطرات النسيم تجرح خديه ولمس الحرير يدمي بنانه

لوضع الانكليز اصابعهم في آذانهم حذر سماعهم اياه ثانية مع ان في البيت من المحاسن ما يطرب له كل عربي . ولو نقلنا الى اللغات الافرنجية

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لضحك الاوربيون منهُ ولم يستطيعوا تفهم معزاه مع ان البيت مطلع اشهر قصيدة لاشهر شاعر عربي وقد استغرق وصف محاسنهِ صفحات كثيرة من كتب الشراح واهل الادب

ولا يستطاع تبديل هذ الذوق الا بتربيته وتهذيبهِ فترى المستشرقين من كتبة الاوربيين وشعرائهم يلذون لما يجدونهُ في اشعارنا وكتاباتنا من البلاغة والفصاحة وكذلك يطرب متأدبونا والمتخرجون منا في مدارس الفرنجة لدى مطالعتهم كتب القوم ووقوفهم على استعاراتهم وتشابيههم وما ذلك الا لان كلاًّ من الفريقين نال ما نالهُ بالدرس وطول المزاولة حتى الف ما عند الفريق الآخر من الخيالات وطرق التعبير

ومما يزيدني ثقة بصحة هذا القول اعتبار الانكليز التوراة كابلغ ما خطهُ البشر مع ان لغة التوراة الاصلية العبرانية وهي من اللغات السامية وانما هم ألفوا قراءتها وتمثلوا الجبال والوهاد وحاسيات الحزن والفرح المدرجة فيها والوصف الذي وصفهُ كتبتها الى آخر ما يلقاه المرء في اسفار التوراة من شعر ونثر

ولما كان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ نقصت بهجة الاشعار الافرنجية لدى تعريبها وذبلت نضرة الاشعار العربية لدى نقلها الى لغات الافرنج .هذا ديوان البهاء زهير وهو آية في الرقة واللطف نقل الى الانكليزية والناقل شاعر انكليزي يعرف العربية وقد اسعفهُ شاعر عربي بليغ يعرف الانكليزية فجاءت الترجمة باردة ثقيلة مع التزام الناقلين ضبط المعنى وكون الترجمة الانكليزية شعراً

ويتمشى عين القول على شكسبير وهو امام الشعراء فقد بلغ من ميل الفرنجة الى كتابات هذا الشاعر ان الفرنسي او الالماني قد يجهد نفسهُ ويتعلم الانكليزية على ما في ذلك من وعورة المسالك لكي يقف على اشعار شكسبير في لغتها الاصلية مع ان اشعار الرجل مترجمة الى سائر لغات اوربا لكن العارفين يعلمون ان الترجمة تفسد كثيراً من جمال الشعر ورونقهِ هذا اذا ترجم الى لغة نسيبة الاخرى فما قولك لو نقلت اشعار شكسبير الى العربية وهي تبعد عن لغات اوربا بعداً شاسعاً

وقد ابى مترجم رواية التعساء (لفكتور هيكو) الى الانكليزية ان ينقل فصلين منها

الى تلك اللغة معترفاً بعجزهِ فمن لنا بمن ينقل هذين الفصلين الى العربية وهو يعلم ان طرق التعبير في الافرنسية تماثل طرقهُ في الانكليزية مماثلة كبيرة

ولا يراد بقولي هذا ان تعريب المقتطف لاشعار كبلنغ وتعريب لسان العرب لاشعار هيكو ناقصان وانما جلّ ما اقولهُ في هذا الشأن انني قرأت الاصلين في لغتيهما وقرأت التعريب واراني ألذّ بالاصل اضعاف لذتي بمعربهِ واللوم في ذلك غير عائد الى المعربين وانما ما تقدم من الاسباب هو مرجع الفرق بين الاصل ومعربهِ

وقد الف الافرنج من المناظر والخيالات والتشابيه ما لم نألفهُ نحن والعكس بالعكس فلو وقفت في ساحات لندن وباريس ورفعت عقيرتك وتغنيت بازرقتين وخد الابل وريح الصبا والمسك والعنبر وعقرب الصدغ وانشدتهم

وما اخضرَّ ذاك الخال نبتاً وانما لكثرة ما شقت عليهِ المرائرُ

لاصاب السامعين ما اصاب حضرة الاديب من انكارهِ على الشاعر الفرنسي رقص السحابة حول القمر . لكن الشرقي يرتاح الى جميع هذه فهو الذوق لا جدال فيهِ والعادة ليس من ينكر تأثيرها

ويستحيل على العربي معرفة الاسباب التي تحبب اشعار كبلنغ ومن شا كلهُ الى قومهم ما لم يكن عارفاً بلغة القوم وتاريخهم وتقاليدهم فقد نظم الرجل قصيدة اكراماً للجنرال السر اڤلن وود بعد حربهِ مع السودانيين عنوانها (فزي وزي) (Fuzzy Wuzzy) وصف فيها شجاعة السودانيين وما فعلوهُ بالجيش البريطاني ونظر بين افعالهم وافعال غيرهم من اهل الهند والترنسفال ممن حارب البريطانيين كل ذلك بالكلام العادي الذي يتداولهُ عامة الناس والطبقة الدنيا منهم فجاءت قصيدة مطربة بليغة في بابها وصنع لها احد الموسيقيين صوتاً فتغنى بها الانكليز والاميركان في نواديهم واعجبوا بمحاسنها شديداً ورددوا صداها في محافلهم ولو عربت القصيدة (مع استحالة الامر) بنغمتها لنفر منها الشرقيون وحكموا بان واضعها ذو جنّة ولو كلف شاعر عربي لوضع مثلها في الباب نفسهِ لاتى الموطن عن سبيل آخر وانما كلا الشاعرين يضرب الى غاية واحدة هي وصف شجاعة القوم بما يحدث تأثيراً في نفوس السامعين بتشابيه جديدة او مأنوسة كأن يذكر العربي منهما مواقع عبس وذي قار ويعدد الانكليزي حروب قومهِ مع الهنود والافريقيين كما فعل كبلنغ وتكون النتيجة ان العرب يستقبحون ما نظمهُ الانكليزي ويستخف الافرنج بما نظمهُ العربي اللهمَّ الاَّ الراسخين من الفريقين في اللغتين

ثم ان هنالك عيباً في انشاء المحدثين من الكتاب لا اراهم يحبون التملص منهُ وهو ذلك

السجع يلتزمونهُ في كتاباتهم وهو من مضعفات التركيب بما يلتزمهُ الكاتب من تقييد نفسهِ بلفظ قد يقيد المعنى المطلوب وقد لا يفيده. ثمَّ ان الرسالة اذا جاءَت كلها مسجعة باتت على وتيرة واحدة مما يدفع القارىء الى الملل. ويستحب من السجع ما يأتي عفو القريحة متين الرصف او ان يكون هنالك نكتة كقول سماحة السيد "انظر الى الاستكانة بعد الصولة وقبر في جوفهِ دولة" وقوله "نابوليون وما نابوليون اسم ترك دويّاً في كل قطر. كانما تداول سمع المرء انمله العشر" والاَّ جاء بارداً ثقيلاً كما هو الواقع في كثير من السجع حتى في مقامات الحريري ومن اشبههُ من فحول الكتاب

وفي رسالة حضرة الاديب شاهدان هما معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني ورسالة سماحة السيد البكري في وصف مولود. ولسماحة السيد المقدرة في صناعة الانشاء ولهُ آيات في البلاغة احلتهُ محلاً رفيعاً بين كتاب العصر حتى بات وهو المشهود لهُ بانهُ راعي تلعات الفضل وانما يفضل معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني رسالتهُ لا من حيث رصف الكلام فهو لا ينازعهُ في ذلك منازع ولكنها التخيلات افضلها في الاولى عليها في الثانية اذ يتمثل لي صورة في الواحدة منهما واعدم تلك الصورة في الاخرى فلا يخرج وصف سماحة السيد عن تشبيه المولود بالقمر والاسد والزهرة والدرة الى آخر ما ورد في الرسالة مما لا يؤلف صورة يرتاح اليها الخيال

ولا اخال العارف باللغتين الفرنسية والعربية يفضل رسالة السيد من حيث رصف الفاظها وتخيلها على قصيدة فكتور هيكو في الاصل الفرنسي اذ لا تخلو رسالة السيد من الفاظ ينفر منها السمع كالعكرمة والقعقاع والعذيق مما لا اثر لهُ في قصيدة هيكو

وفي قصيدة هيكو من سموّ التخيل ما لم يبقِ بعدهُ مجالاً لشاعر فهي تصف تماماً عظمة نابوليون ومكانهُ من اوروبا ومن الامة الفرنسية لدن خضعت لهيبتهِ امم الارض ثم يستطرد الى وصف حاسياتهِ بعد الذي اوتيهِ من رفعة الشان وضخامة الملك ويتلو ذلك مقابلة ووصف لما تصير اليهِ حالة المرء مهما ارتفع شأنهُ وعظم امرهُ وفيها من دقة التعبير وسموّ المدارك ما هو ظاهر بحيث لا يستطاع ردهُ. كل ذلك بالعبارات التي تحدث في النفس الاثر المراد فان من يقرأ القصيدة يتمثل لعينيهِ مجمع الامم الحافل وذلك السلطان محفوفاً بالعظمة والمجد. وما ابدع انتقال الشاعر الى قولهِ ثم كلمهُ صوت الشاعر من وحي الغيب. فقد يستطيع الكاتب الاتيان بمثلهِ لا يزيد عليهِ حسناً وكم من كاتب تزل قدماه دون بلوغهِ هذه الدرجة من البلاغة

واما قول حضرة الاديب ان رسالة السيد في معنى قصيدة هيكو فدليل على انهُ لم يحسن

تبهم كلام هذا الاخير اذ لا مماثلة بين الرسالتين فالاولى منهما موضوعها نابليون وساعتان احداهما في معظم السؤدد والاخرى في مقام الهوان والثانية منهما تقتصر على ما يسرّ والداً ولد له مولود فكتب اليه كاتب بليغ يعظم قدره وقدر المولود ويتمنى للاخير منهما عيشاً هنيئاً ورفعة لما يعهده في آبائه واجداده من طيب الخلال والنزوع الى تطلاب المجد الخ

ولنعد الى ما خرجنا عنه من البحث. خذ مثلاً بيت المتنبي المشهور في الجزء الذي اختاره حضرة الاديب مثالاً والبيت

واذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز ان تموت جبانا

وانثر هذا البيت او انقله الى احدى اللغات الاوربية فانك تستطيع الافصاح عن معناه تماماً وانما ينقصك شيء تشعر به في الحالين وذلك النقص مرجعه انتقاء الالفاظ العربية في البيت ورصفها معاً على نمط يستشعر معه المرء بالموسيقى الشعرية (اذا صحّت هذه التسمية) الامر الذي لا يستطاع في النثر او في احدى اللغات الافرنجية في هذا الشاهد وفي كثير من نحوه. وقد فطن كتاب الانكليز لهذا الامر بعينه فافردوا له فصولاً في كتب البيان وسموه (harmony) اي المناسبة بين اللفظ والمعنى سواء كان ذلك في اللفظ الواحد او في ما تركب من غير لفظ واحد. ولم يفسح له العرب مجالاً في كتبهم الا في ما نصّ عليه متأدبوهم من شروط الفصاحة في اللفظ الواحد او الالفاظ الكثيرة مما تراه في الفصل الاول من كل كتاب بيان

وشبيه بالفرق بين بلاغة العرب والفرنجة ما بين موسيقاهما من التباين فلا يطرب الافرنجي سوى موسيقى الافرنج ولا يرتاح المصري الا الى سماع صوت عربي ومن العبث البحث عن ايهما افضل هذا الغناء او ذاك ما زالت الافضلية مرجعها في ذوق السامع لا في الموسيقى نفسها والا فاذا حكّمنا العارفين من الشرقيين بالموسيقى العربية والافرنجية وبلاغة العرب والافرنج فضلوا موسيقى الافرنج وبلاغتهم بالاجماع الا في مواطن يشارك فيها العرب الافرنج او يفوقونهم ببلاغة وطيب موسيقى

ولنا نحن العرب من كنوز البلاغة ما يعترف بفضله الافرنج انفسهم وانما ابى بعض شباننا والمتأدبين منا الآن يرذلوا هذه اللغة وينقطعوا الى اللغات الاجنبية زعماً منهم ان اللغة العربية خلوٌ من المحاسن الشعرية وليس فيها من المعاني ما يصح الوقوف عليه وهو تفريح فيه كثير من الافراط وخير الامور ان يجمع المرء بين ما لذّ وطاب من مقول الفريقين لا ينقطع لواحد منهما

واني استميح حضرة الاديب عذراً وعفواً فقد نظرت في المسألة كمن هو عارف ميل مناظره الى حرية القول والبحث ويشهد الله انني لا اقصد الغضّ من شأن هذه اللغة التي اخاف ان

يكون قد قضي عليها بالفناء فانا اعلق الناس بها حبًّا على ضعفٍ في القريحة وانما تنشط اللغة من عقال الضعف والسقم بهمة ادباء نظيرهِ وتنشيط بلغاءِ لهم القدح المعلى كسماحة السيد البكري وابحاث يتبين معها ما تحتويهِ هذه اللغة من المحاسن وما يجب على ادبائها من العمل لحفظها سالمة من الفساد ولنموها وتقدمها

ولعل هذا البحث يدفع بعض ادبائنا الى تعريب شيء من بليغ ما كتب الافرنج كاسيًا حلة عربية فيتضح لنا ما عند اخواننا الفرنجة من معجزات البلاغة والانشاء

ذات الاجراس وملك الحيات

للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لالند ستانفرد الجامعة

من ضعةٍ وجرأة وخُيَلا وكرَب من غير احصاء ولا
ولعنة من سالف الدهر على كل الافاعي تركتها مثلا
تسعى على الارض وتأكل التراب

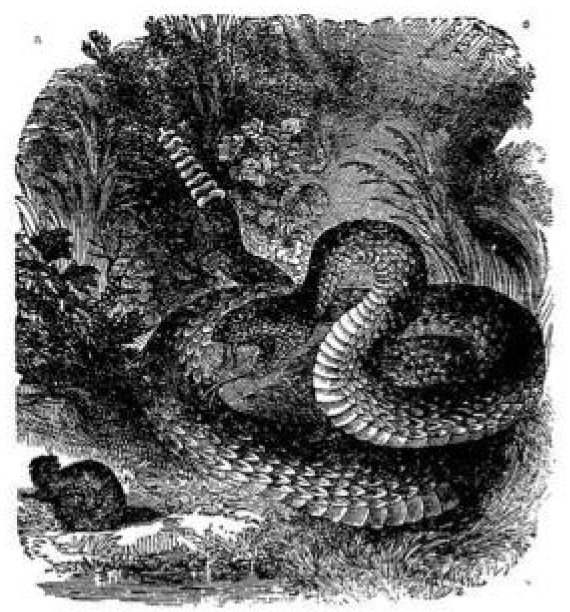
ومن لسان يحرق العشب ومن تمعُّج يخشى لقاهُ المستسنّ
صفاتكَ اللاتي بها انت قمِن يا افعوان الشرّ مَن منكَ أمِن
فقد نجا من ميتة فيها العذاب

ترجمة من ابيات لبرت هرت

ذات الاجراس حيَّة رقشاء نضناضة حرشاء . وطنها كليفورنيا جبالها ووهادها وسهولها ونجادها . اوت الى جحر تحت صخر صلد ادهم فنامت فيهِ فصل الشتاء كانهُ ليلة ليلاء . حتى اذا نزلت الشمس برج الحمل . وحلَّت عقد الصقيع عن السهل والجبل . خرجت من خباها وقد اضناها البرد والجوع تطلب الدفء في عين الشمس وتترصَّد فريسة تسدُّ بها الرمق. وكان الماء يترقرق عن يمينها وشلالاتهُ تنصبُّ في الوهاد والرياح تعبث بابر الصنوبر فتنقلقل كازلام ياسر . والطيور تسجع بنغم الحب غير خائفة سطوة كاسر . كل ذلك وذات الاجراس عنهُ غافلة لا تهتم الاَّ بما بها من البرد والعناء ولا تحسب ان احدًا ينظر اليها نظر الحب والولاء. لا سيما وانها كانت من اخبث الافاعي واقبحهن منظرًا برأس مصفح كتابوت الميت وذنب معقَّد كذنب الضب. حتى اذا فغرت فاها وابرزت نابيها واغمضت عينيها لتعلم ما بقي فيها القوة على الشر والمقدرة على الفتك زادت قبحًا على قبح وهولاً على هول

ولما خرجت من جحرها كان جسمها مشبَّكاً لا يكاد يستطيع حراكاً لكن اشعة الشمس فكّت قيودها ولينت عضلاتها وللحال طابت نفسها وشعرت بالجوع

وكان في اشجار الصنوبر القائمة امامها وحواليها سنجاب مخطَّط يثب من شجرة الى اخرى ومن غصن الى آخر ثم نزل الى الارض وجعل يزم شفتيهِ ويزبئر ويعجب بنفسهِ كأنهُ محور الكون ونقطة دوران العالم وكانت ذات الاجراس تنظر اليهِ شزراً وترمقهُ من طرف خفي كانها تتحين الفرص للقبض عليهِ ثم حركت ذنبها وهو ابرد اعضاء جسمها لتعلم ما اذا كانت



حرارة الحياة قد دبت فيهِ فخشخش شديداً ثماني عقد او ثمانية اجراس وزر في طرفها خشخشت كلها معاً كخشخشة السلاح فسُرَّت بصوتها واعادت الخشخشة تيهاً وعُجباً وللحال ماجت الارض حولها بما فيها من الدواب والهوام بل من كبار الحيوان لانها سمعت صوت اجراسها فاركنت الى الفرار . ومَن لا يفرُّ من وجه ثعبان اذا لسع الجمل القاهُ صريعاً . فرّت كلها الاّ ملك الحيات فانهُ رفع رأسهُ وفتح عينيهِ وتأهب للنزال تأهُّب مَن يثق بالفوز القريب

ملك الحيات حيَّة دقيقة تماثل ذات الاجراس طولاً ونقلٌ عنها ثخناً جلدها املس برّاق ليس خشناً مغضناً مثل جلد ذات الاجراس ورأسها صغير جميل ولو في حيَّة . وهي اجمل

الافاعي منظرًا راسها اسود كالزفت وعنقها ابيض كالثلج وجسمها كلهُ الى طرف ذنبها مغطى بالحقات بيضاء وسوداء وحمراء وهي ملساء براقة كانها خرجت من يد الصيقل

لما سمع ملك الحيات خشخشة ذات الاجراس انساب من بين اعشاب كانت تحجبهُ عن الانظار ودنا منها فنجحت عينيها ورفعت رأسها وحرَّكت اجراسها لكن ملك الحيّات لم يخش بأسها . ولكل حيّة مقتل ولولا ذلك لعاشت الى ما شاء الله وقتلت كل ما حولها من انواع الحيوان ثم ماتت جوعًا وانقرض نسلها

لما رفع ملك الحيات رأسهُ وتهيأ للوثوب انحلت عزائم ذات الاجراس واطرقت اطراق الشجاع واطبقت فاها وانسابت نحو جحرها فقال ملك الحيات في نفسهِ قد حانت الفرصة فقرَّ ووثب عليها باسرع من البرق وقبض على عنقها وهو عزل من السلاح لاناب ولا حمة ولا مخلب وما كذاك يكون الشجاع لكنهُ شديد البأس رابط الجاش قوي العضل ولهُ اسنان صغيرة دقيقة يقبض بها على فريستهِ فلا يدعها تفلت منهُ . ولما لم ترَ ذات الاجراس سبيلاً لما اليهِ اطبقت فاها وادخلت مخالبها في اغمادها والتفَّ ملك الحيات على عنقها التفافًا وادخل بعضهُ في بعض كالانشوطة وجذب نفسهُ فوقص عنقها وتركها جثة لا يتحرك منها الاَّ ذنبها وذنب الافاعي يتحرَّك طويلاً . ثم انفك عنها وجعل يلحسها بشفتيهِ من رأسها الى ذنبها حتى غطَّى بدنها بلعاب لزج يسهّل عليهِ ابتلاعها وفغر فاهُ وشرع في ذلك فابتدأ برأسها وهو كبير يصعب عليهِ ازدرادهُ لكنهُ ظلَّ يضغطهُ حتى تمكن من ابتلاعهِ وكان السم يقطر في حلقهِ وهو يحسبهُ ماء الحياة حتى ابتلع عنقها وبدنها كلهُ الى ان وصل الى اجراسها وكانت لا تزال تخشخش فابتعها الراس واستلقى على الصعيد تلك الليلة وجسمهُ ضعفا ما كان بالامس

ونهض السنجاب في الصباح ونظر الى مكان ذات الاجراس فرآهُ خاليًا فزم شفتيهِ ونفش شعر رأسهِ وتمايل عجبًا ولسان حالهِ يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

هذا ما كتبهُ العلاَّمة الاستاذ جوردان وافرغهُ في قالب قصة فكاهية وهو مثل كتابات كثيرة لهُ تلبس الحقيقة ثوب المجاز وتوضح غرائب الطبيعة في صور كسيت من البلاغة حلة الاعجاز . وسنحلي جيد المقتطف بمقالات اخرى من هذا القبيل

الاسكندر ذو القرنين

اعظم معارك الاسكندر

ختمنا الكلام في الجزء الماضي برجوع الاسكندر من مصر الى الشام وتدبيرهِ امور صور وايغالهِ في قلب اسيا . وها نحن موردون بقية تاريخهِ في هذا الجزء والذي يليهِ معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ هويلر الاميركي في هذا الموضوع

لم يذكر كاتبو اخبار الاسكندر تاريخ قيامهِ من صور وايغالهِ في اسيا ولكن يظهر من بعض القرائن انهُ قام منها في شهر يونيو (حزيران) سنة ٣٣١ قبل المسيح فبلغ الفرات في اواخر يوليو وبعث امامهُ بالمهندسين لكي يقيموا لهُ الجسور على الفرات فلما بلغهُ وجد انهم اقاموا لهُ جسرين ولكنهم لم يوصلوهما الى الضفة المقابلة لانهُ كان فيها خمسة آلاف من جنود الفرس تمنع ايصال الجسور اليها. فلما علموا بوصولهِ خافوا منهُ واركنوا الى الفرار لان هيبتهُ كانت تتقدمهُ حيثما سار. فاتمَّ المهندسون الجسرين وعبر الاسكندر وجنودهُ . واسم المكان الذي عبروا منهُ تبساكوس وهو قرب المكان المعروف الآن بالرقة . والقوافل الذاهبة الى حلب الآن لا تقطعهُ من هناك بل من مكان الى غربيهِ يبعد عنهُ نحو مئة ميل

وكان الفصل صيفاً والحرُّ شديداً ورأى الاسكندر انهُ اذا نزل بجنودهِ في سهول الجزيرة اهلكتهم الحميات فعرَّج بهم نحو الشمال حتى بلغ جبال ارمينية وعلم من الفرس الذين اسرهم هناك ان داريوس ترك بابل وعسكر بجنودهِ على الجانب الشرقي من دجلة . وهناك مخاضة ظن ان الاسكندر يصل اليها ليقطع دجلة منها فعسكر امامها لكي يمنعهُ من عبورها وكان هناك طريق القوافل السائرة بين المشرق والمغرب ومخازن البضائع ومستودع الاموال . وقد تغيرت طرق التجارة من ذلك العهد الى الآن وحيثما انتقلت انتقلت معها الثروة والعزَّة الى ان ركبت اجنحة البخار برًّا وبحرًا فلم تعد البلدان التي تمرُّ فيها تكتسب منها شيئًا يذكر

لما علم الاسكندر ان داريوس قائم في انتظارهِ اسرع اليهِ وقطع دجلة من مخاضة غفل داريوس عن حراستها . ولما اتمَّ جنودهُ عبورها خُسف القمر فاوجسوا من ذلك شرًّا لكن ارستندر الكاهن عبَّر الخسوف بشرٍّ يصيب الفرس زاعماً ان الضحايا التي ضحَّاها حينئذٍ تشير الى بلادهم . ويظهر بالحساب الفلكي ان هذا الخسوف حدث في العشرين من سبتمبر (ايلول) سنة ٣٣١ قبل المسيح ولذلك فقد قضى الاسكندر نحو شهرين في بلاد الجزيرة مع ان المسافة التي قطعها لا تزيد على ٢٥٠ ميلاً

وكان داريوس قد جمع جيشاً ضخماً من كل اطراف مملكته من السكيثيين والبلخيين والصغديانيين والاراخوسيين والعرب والارمن وقام قواده سنة كاملة يدربونهم في فنون الحرب واساليب الكر والفر حتى حسب انهم فاقوا الجنود الذين كانوا معه في واقعة اسوس. وقد ذكر اريانوس انهم كانوا مليوناً من المشاة واربعين الفاً من الفرسان وهو من اكثر المؤرخين تدقيقاً واقلهم مبالغة . وكان في هذا الجيش مئتا مركبة يتصل بمحاور عجلها سيوف ماضية تحصد ما امامها حصداً وهي مما لم يستعمله الفرس في واقعة اسوس . واختار داريوس سهلاً فسيحاً لجنوده لكي لا يصيبهم ما اصابهم في اسوس حيث كان المجال ضيقاً عليهم ومهد الارض حيث رأى فيها اغواراً وانجاداً لكي يسهل على مركباته الجري فيها

وتقدَّم الاسكندر وهو على اشد الحذر لانه كان في قلب بلاد العدو ووراءه نهر كبير وجبال شامخة وامامه جيش جرار كبير العَدد كثير العِدد مدرَّب على اساليب القتال. وقام في اليوم الحادي والعشرين من سبتمبر وسار الهوينا ودجلة عن يمينهِ والجبال عن يسارهِ حتى اذا سار اربعة ايام عادت طلائعه اليهِ تقول انها رأت طلائع الفرس امامها فجدَّ فرسانه في اثرها فوجدوها الف فارس لا غير فناوشوها واسروا بعض رجالها ونزل الاسكندر هناك اربعة ايام لكي يستريح جنوده و يستعدوا لمنازلة الفرس وقام بهم ليل التاسع والعشرين من الشهر وسرى بقية الليل الى ان وقعت عينهُ على معسكر الفرس فجمع قواده واستشارهم في الهجوم فاشار كثيرون منهم بهِ لكن بارمنيون وغيره من القوَّاد المحنكين فضلوا ان ينزلوا هناك و يرسلوا فرساناً تستطلع احوال السهل لئلاَّ يكون فيهِ خنادق وترع واشراك اخرى يصادون بها. فغلب رأيهم ووقف الجيش في مكانهِ واختار الاسكندر كوكبة من نخبة فرسانهِ وسار بها ليستطلع ساحة القتال بنفسهِ ثم عاد وجمع قواده واخبرهم بما رأى ونظم طريقة الزحف ثم امرهم ان يأكلوا ويناموا و يستعدوا للهجوم في الصباح التالي . وقد وصف فلوطرخس تلك الليلة وصفاً بديعاً قال ما ترجمته

" في الليلة الحادية عشرة بعد الخسوف الذي حدث في شهر بويدروميون اقام الجيشان بحيث يرى احدهما الآخر داريوس وجنوده قيام باسلحتهم وهو يمرُّ بين صفوفهم يستعرضهم على نور المشاعل . والاسكندر وجنوده نيام وهو واقف امام خيمتهِ يضحي الضحايا لاله الخوف مع ارستندر الكاهن. ولما رأى بارمنيون وغيره من القواد السهل يموج بالمشاعل والنيران وسمعوا لغط اصوات العدو تحمله الرياح اليهم كأنهُ صوت امواج بحر خضم اعترتهم الدهشة وقالوا في نفوسهم ان مناجزة جيش عظيم مثل هذا في نور النهار هي الهلاك بعينهِ فدنوا من الاسكندر وطلبوا منهُ ان يأمرهم بتبييت العدو لكي يحجب الليل عنهم المخاطر . فاجابهم جوابهُ المشهور

"اني لا اسرق الظفر سرقة"

ولما اتمَّ تقريب الضحايا نام بقية ليلتهِ ولم يستيقظ باكرًا على جاري عادتهِ حتى اضطرَّ قوادهُ ان يأمروا الجنود بالافطار ودخل بارمنيون خيمتهُ وناداهُ ثلاثًا حتى استيقظ وقال لهُ اراك نمت نوم ظافر لا نوم مَن يرى امامهُ اعظم الجيوش واشد المعارك . فضحك الاسكندر وقال لهُ ألا ترى اننا ظفرنا بداريوس حينما خلصنا من مشقة التفتيش عنهُ في بلاد قاحلة"

(١) امتعة جيوش الاسكندر	(٨) مركبات الفرس
(٢) حامية ميمنة الاسكندر	(٩) افيال الفرس
(٣) فرسان الميمنة	(١٠) فرسان السكيثيين والبلخيين
(٤) فيالق المشاة	(١١) فرسان الارمن والكبدوكيين
(٥) فرسان الميسرة	(١٢) الحرس الملكي
(٦) حامية الميسرة	(١٣) داريوس
(٧) الرماة	(١٤) مسترزقة اليونان

ونام جنود الاسكندر تلك الليلة واستراحوا ونهضوا في الصباح منتعشي القوى واما جنود داريوس فباتوا مستيقظين مستعدين للقتال خائفين من ان تبيتهم جنود الاسكندر فلم تشرق الشمس عليهم الاَّ وقد خارت قواهم من السهر وانتظار الردى

وفي غرة اكتوبر (ت ١) سنة ٣٣١ قبل المسيح وقف الجيشان للقتال جيش الاسكندر وفيهِ اربعون الفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان وجيش داريوس وفيهِ اكثر من الف الف محارب فوقف جيش الاسكندر امام قلب جيش داريوس كما ترى في الرسم السابق ولم يستطع ان يمتد الى جناحيهِ وخاف الاسكندر ان يطابق عليهِ جناحا الفرس فيحيطا برجالهِ من كل ناحية فابقى فرقتين منهم وراء جناحيهِ حتى تنجداهما اذا دعت الحال الى ذلك ووقف هنيهة يرقب حركات العدو بعين القائد الخبير الى ان لاحت الفرصة فامر رجالهُ ان يتقدموا من جهة الميمنة لكي يقعوا على ميسرة الفرس فماجت صفوف الفرس لكي تقابلهم من تلك الجهة ورأَى داريوس ان ذلك يبعد المركبات عن الارض الممهَّدة لها فارسل فرسان السكيثيين والبلخيين لتناوش ميمنة المكدونيين فقابلتها كوكبة من فرسان المكدونيين وناوشتها قليلاً ثم اضطرت ان تعود القهقرى ونجدتها كوكبة اخرى ولم تكد تصد فرسان الفرس حتى كانت المركبات قد اقبلت على فيالق المكدونيين بمناجلها فخاف الاسكندر ان يرتاعوا منها ويختل نظامهم لكنها لم تفِ بالغرض لان المكدونيين قابلوها بسيوفهم وخناجرهم فبقروا بطون خيلها وقتلوا الرجال الذين فيها بحد السيف

ولما مالت صفوف الفرس الى جهة الميسرة لتقابل ميمنة المكدونيين انفرج قلبها ورأَى ذلك الاسكندر فقال قد حانت الفرصة ودار بفريق من فرسانهِ اصحاب الرماح الطويلة نحو الشمال وقصد الى قلب جنود الفرس حيث كان داريوس فانقضَّ عليهِ بغتة كصاعقة من السماء وما زال هو وفرسانهُ يطعنون يمنةً ويسرة يوردون الابطال ويخطفون مهج الاقيال الى ان وصل فارس الى مركبة داريوس وطعن سائقها برمحهِ فالقاهُ صريعاً ورأَى داريوس ذلك فاركن الى الفرار وارتدَّت الصفوف الامامية فاختلطت بالتي وراءها واستولى عليها الاضطراب والجزع

وكان البرثيون والهنود قد خرجوا من ميمنة صفوف الفرس وهجموا على صفوف المكدونيين في المكان الذي خرج منهُ الاسكندر وهجمت فرسان الارمن والكبدوكيين بقيادة مازيوس على ميسرة المكدونيين وكادت تفنيها فبعث بارمنيون الى الاسكندر يستنجدهُ ودار الفرسان الذين كانوا يحمون ميمنة المكدونيين وقابلوا البلخيين والهنود وردوهم على اعقابهم والتقى بهم الاسكندر وهو عائد لنجدة بارمنيون فصدَّهم عن الرجوع واثخن فيهم فلم ينجُ منهم الاَّ كل طويل العمر . وثبتت فرسان تساليا في ميسرة جيش الاسكندر امام فرسان مازيوس ثم ردَّتهم على اعقابهم قبل ما وصل الاسكندر لنجدتها فاركنوا الى الفرار مع بقية تلك الجحافل . وجد الاسكندر ورجالهُ في اثرهم حتى كلَّت اذرعهم من الطعن والضرب وتعثرت خيلهم بالقتلى

والجرحى وسدَّ القسطل عنان السماء وخيم الليل على الغبراء

وكان الاسكندر قد عبر نهر ليكوس فأمر رجاله ان يناموا ويستريحوا الى منتصف الليل هم وخيولهم ثم قام واقتفى خطوات الفارين الى اربل[1] لكي يقبض على داريوس لكن داريوس وصل السير بالسرى ولم يقرَّ له قرار حتى ابعد عن الاسكندر وامن وصوله اليهِ ووقعت مركبتهُ وقوسهُ ورمحهُ في يد الاسكندر كما وقعت في واقعة اسوس وبقي معهُ كوكبة من الفرسان البخاريين فقطع بها بلاد مادي واما سائر جنودهِ فتفرقوا ايدي سبا واسر المكدونيون منهم الوفاً كثيرة ولم يحصِ احد عدد القتلى

هذه اعظم معركة من معارك القدم واكبر حادثة حوَّلت مجاري الامور وغيرت مصير الامم

ورأى الاسكندر ان اقتفاء خطوات داريوس يتعذر عليهِ حينئذٍ فعاد عنهُ وقطع دجلة ثانية وسار جنوباً الى بابل فرحّب بهِ اهاليها عن طيب نفس كما رحّب بهِ اهالي مصر لانهُ رفع عنهم نير الفرس . واكرمهم هو وامر ان يجدَّد بناء هيكل بعل وعبد فيهِ واصغى الى حكم كهنتهم ومشوراتهم . وكانت صور ومصر قد نبّهتا في نفسهِ شعوراً جديداً ورغبةً في توحيد ممالك العالم فلما رأى بابل سيدة المدائن قوي فيهِ هذا الشعور وزادت فيهِ تلك الرغبة وكأنَّ تصاريف الزمن وضعتهُ في ذلك المنصب فأقام فيهِ مضطرًّا غير مختار

وسار من بابل الى السوس[2] عاصمة بلاد الفرس فوجد فيها خمسين الف وزنة وهي تساوي ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات واوغل في بلاد الفرس وحارب المرزبان اريوبارزانس وقهره واحتلَّ برسيبولس[3] وبسارغادي[4] وغيرها من العواصم. واذا صدق كرتيوس روفس وديودورس المؤرخان فقد وجد الاسكندر في المدينة الاولى مئة وعشرين الف وزنة وفي الثانية ستين الف وزنة ومجموع ذلك ١٨٠ الف وزنة وهي تساوي ٤٧ مليوناً من الجنيهات ووجد فيها ايضاً من الجواهر والحلى والرياش والآنية الذهبية والفضية حمل عشرين الف بغل وخمسة آلاف جمل على ما قاله فلوطرخس وجد ذلك كلهُ في قصر الملك

(١) مدينة صغيرة شرقي الموصل اشتهرت اولاً بانها مكان هذه المعركة والصحيح ان المعركة حدثت بقرب المكان المعروف الآن ببيت الجمل

(٢) السوس او شوشن عاصمة بلاد خوزستان المعروفة في التوراة باسم عيلام وهي من اعظم عواصم الفرس القديمة واكثرها غرائب

(٣) اي مدينة الفرس وهي عاصمة بلاد الفرس القديمة الى الشمال الشرقي من شيراز على ٣٥ ميلاً منها في الطريق الى اصبهان وقد سميت في كتب العرب اصطخر

(٤) مدينة من اقدم مدن الفرس تعرف خرائبها الآن باسم مرغب وهي الى الشمال الشرقي من اصطخر وعلى ٧٠ ميلاً من شيراز

واقام في برسيبولس فصل الشتاء واحرق قصرها قبلما خرج منها . وقد ذكر المؤرخون فلوطرخس وديودورس وكرتيوس روفس خبر حرقهِ قال فلوطرخس " انهُ لما عزم الاسكندر على الخروج من المدينة واقتفاء آثار داريوس شارك ندماءهُ في الشراب وكان جواريهم معهم وبينهن قينة من اثاكيا اسمها تايس وهي جارية القائد بطليموس الذي صار ملكاً على مصر بعد اذٍ فلما اكثروا في الشراب وطابت نفوسهم قالت انها نالت جزاء مالقتهُ من المشاق بتعاطيها كؤوس الراح في قصر ملوك الفرس ولكن تزيد بهجتها اذا ابيح لها ان تحرق قصر زركسيس الذي حرق اثينا وتركها رماداً ولا سيما اذا كانت تضرم فيهِ النار بيديها امام الاسكندر حتى يقال في طول البلاد وعرضها ان جارية من الجواري اللواتي كنَّ مع الاسكندر انتقمت من الفرس واخذت منهم بثار اليونان اكثر مما انتقم منهم القواد العظام برًّا وبحرًا . فصفق لها الحضور طربًا وشاركوها في ما طلبت وكانت الخمرة قد لعبت برأس الاسكندر فنهض وعلى رأسهِ اكليل من الزهر وفي يدهِ مشعال مضطرم وسار في اروقة القصر وتبعهُ ندماؤُهُ وهم طافحون سكرًا وذاع الامر بين المكدونيين فتبعوهُ بمشاعلهم وهم يكادون يطيرون فرحًا لانهم حسبوا ان حرقهُ للقصر دليل على انهُ عزم على العودة بهم الى بلادهم "

ولم يذكر اريانوس هذه القصة ولكنهُ ذكر ان الاسكندر اراد ان يحرق قصر ملوك الفرس انتقاماً منهم واعلاناً بانقراض دولتهم واستشار بارمنيون في ذلك فلم يشر عليهِ بهِ لكنهُ حرقهُ ثم ندم على فرط منهُ

وكان داريوس قد لجأَ الى اكباتانا[٥] وهي شمالي برسيبولس على خمس مئة ميل منها واقام فيها منتظرًا تصاريف الزمن حتى اذا عاد الاسكندر من بلادهِ او حلَّت بهِ نائبة من نوائب الدهر عاد ولمَّ شعثهُ والا سار شرقاً الى هركانيا[٦] وبرثيا[٧] في الشمال الشرقي من بلاد الفرس. وبعث بنسائهِ وجواهرهِ ومركباتهِ التي يسافر فيها الى شعب في الجبال يسمى ابواب قزبين وهو في حدود مملكتهِ ولم يكن ينوي ان يعبرهُ الاَّ اذا فرغت جعبة حيلهِ وايقن انهُ اضاع بلادهُ كلها لان البلاد التي عبر ذلك الشعب لم تكن من مملكة الفرس ولو كانت تعترف بسيادتها

ولما دخل فصل الربيع قام الاسكندر وسار نحو اكباتانا لانهُ ما دام داريوس حيًّا فلهُ منازع في الملك وهو يطمع ان يكون الملك الوحيد في مشارق الارض ومغاربها. وبلغهُ اولاً ان

---

(٥) مدينة قديمة كانت عاصمة بلاد مادي وعلى خرائبها قامت مدينة همذان في عصر الاسلام

(٦) عمالة على بحر الخزر تسمى الآن مزندران واستراباد

(٧) عمالة اخرى بين مادي وبلخ تتصل هركانيا بينها وبين بحر الخزر

داريوس جمع جيشاً آخر وفي نيته ان ينازله فسار على حذر ثم علم انه لم يتهيأ لداريوس جمع ذلك الجيش ففرَّ من وجهه ومعه تسعة آلاف مقاتل وسبعة آلاف وزنة وذلك لاختلاف قواده رأياً فان نبار زانس قائد الفرسان وبسوس مرزبان بلخ ارتأيا ان تعطى القيادة العامة لبسوس ويلجأ داريوس الى بلخ فاضطرَّ ان ينقاد اليهما وصار كأنهُ اسير في ايدي مرازبته . وبلغ الاسكندر ذلك فصار همهُ كيف يخلصه من ايديهم . ولما رأى انه قد اتمَّ العمل الذي جاء اسيا لاجله وهو الاخذ بثار اليونان والاستيلاء على مملكة الفرس عزم ان يصرف من شاء الانصراف من جنوده فصرف فرسان تساليا وغيرهم من الحلفاء اليونان ودفع اليهم اجورهم كلها الى حين وصولهم الى بيوتهم وفرَّق عليهم الفي وزنة فوقها ورضي ان يبقى معهُ من اراد البقاء منهم فيقاسمهُ السراء والضراء . والظاهر انهُ كان قليل الثقة باليونان فسهَّل لهم سبيل الرجوع الى وطنهم . وكان قد مرَّ عليه اربع سنوات من حين خرج من اوربا فضعف ارتباطهُ بها ولاسيما بعد ان اوغل في اسيا وزالت تلك الصورة الوهمية من نفسه التي صوَّرتها لهُ حدَّة الشباب وقام بدلاً منها صورة اخرى اكبر واعظم فلم يعد قصدهُ ان يتغلب الغربُ على الشرق كما كان اولاً بل ان تنضمَّ ممالك المشرق والمغرب تحت راية واحدة

وابقى ستة آلاف من رجاله في اكباتانا لحراسة ما فيها من الاموال واخذ بقية جنوده المجربين وضرب بهم شرقاً فوصل الري بعد سير احد عشر يوماً وبلغهُ هناك ان داريوس عبر ابواب قزبين فامر جنودهُ ان يستريحوا خمسة ايام ثم قام بهم وجدَّ في اثره فالتقى في طريقه برجل من امراء الفرس اسمهُ بجستانس اخبرهُ ان داريوس وقع اسيراً لان رجالهُ تركوهُ الواحد بعد الآخر ولم يبقَ معهُ الاَّ البلخيون والفان من مسترزقة اليونان ثم ابعد بسوس اليونان عنهُ واحاط بمركبته هو ورجالهُ البلخيون فاوجس اليونان من ذلك وتقدم قائدهم الى المركبة وكلمهُ باليونانية وكان داريوس يفهمها واخبرهُ بما ظهر لهُ من مقاصد بسوس ففهم بسوس مراد القائد ولو لم يفهم كلامهُ فجاء داريوس في دجى الليل وكبلهُ بالقيود وحملهُ الى بلخ ولجأت مسترزقة اليونان الى الجبال المجاورة خوفاً من البلخيين وذهب معهم ارتابا زوس واولادهُ وكانوا قد اقاموا على ولاء داريوس

وكان من قصد بسوس ان يفتدي نفسهُ ورجالهُ بداريوس اذا ادركهم الاسكندر واذا لم يدركهم قتل داريوس واستولى على البلاد . فلما بلغ الاسكندر ان داريوس اسير في قبضته اخذ نخبة فرسانه وجدَّ في اثره نهاراً وليلاً الى ان ادركهُ بعد عناء شديد وسير حثيث هلك فيه كثير من الخيل والفرسان . ورأى بسوس فرسان الاسكندر جادَّة في اثره

طلب من داريوس ان يركب جوادًا ويفر معهُ فابى فطعنهُ بخنجر اوردهُ حتفهُ

وجدَّ فرسان الاسكندر في اثر الفارين فرأوا سبائك الذهب والفضة تغطي الطريق ومركبات النساء ذاهبة فيها بكل مذهب لا مَن يسوقها ولا من يقودها فلم يلتفتوا الى شيء لان غرضهم داريوس وداريوس في مقدمة الفارين على ما قيل لهم واخيرًا ضلَّ واحد منهم الطريق فرأى مركبة بعيدة عنهُ اعتسفت بها البغال التي كانت تجرها فمضى اليها فرأى فيها داريوس في حالة النزع رآهُ وقد طلب كاس ماء من احد خواصهِ بولستراتس الامين فلما جاءهُ بها وشرب قال له "لقد زدت كربة نفسي بانك مننت عليَّ بمنة لا استطيع ان اوفيك اياها ولكن الاسكندر يوفيكها جازتهُ الآلهة عما عامل بهِ امي وزوجتي واولادي من المعروف واني اصافحهُ بواسطتك مصافحة الولاء" قال ذلك ومدَّ يدهُ وقبض بها على يد بولستراتس واسلم الروح . ولما وصل الاسكندر اليهِ وقف كئيبًا كاسف البال ونزع رداءهُ عن كتفيهِ وغطاهُ بهِ

هكذا انقضت حياة هذا الملك العظيم وهو في الخمسين من عمرهِ وكان كريمًا جوادًا برا برعيتهِ لو لم يولد الاسكندر في عهدهِ لبقي اسمهُ في التاريخ مثل اعظم الملوك ولو لم يكن من اشدهم بأسًا واكثرهم اقدامًا لكن الاسكندر قام حينئذٍ وسار في حروبهِ سيرًا يعجز داريوس وغير داريوس عن مجاراتهِ فيهِ

وقف الاسكندر امام مَن كان منذ اربع سنوات مالكًا على اسيا كلها من بوغاز القسطنطينية الى نهر الهند ولهُ الكلمة النافذة في كل ممالكها والسلطة المطلقة على كل ملوكها وقدمات وحيدًا شريدًا اغتالتهُ يد خائن من خواصهِ بعد ان ضاع منهُ ملكهُ . وكأن الاسكندر اتعظ بذلك ونظر الى خصمهِ نظر الكرام فامر ان يدفن في مدفن ابائهِ بما يليق بهِ من الابهة والاكرام

وتفاخرت مكدونيا باميرها ملكٍ بجاوِ الملك يدفن خصمهُ

على ما قالهُ اوفيد الشاعر الروماني

هذه خلاصة ما ذكرهُ مؤرخو اليونان والرومان في هذا الباب اما مؤرخو العرب فقال ابن خلدون منهم ان " الاسكندر بنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ وتخطى الى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى اهلها "

وقال ابن الاثير "ان الاسكندر خاف من حرب دارا فطلب الصلح فاستشار دارا اصحابهُ فاشاروا عليهِ بالحرب لفساد قلوبهم عليهِ فعند ذلك ناجزهُ دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمهما على الفتك بدارا فاحتكما شيئًا ولم يشترطا انفسهما فلما التقيا للحرب طعن

دارا حاجباه في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم اصحاب دارا ولحقهُ الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك بهِ رجلان من حرسهِ من اهل همذان حبًّا للراحة من ظلمهِ وكان فتكهما بهِ لما رأيا عسكره قد انهزم عنهُ ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان الاسكندر قد امر منادياً ينادي عند هزيمة عسكر دارا ان يؤْسر دارا ولا يقتل فأُخبر بقتلهِ فنزل اليهِ ومسح التراب عن وجههِ وجعل رأْسهُ في حجرهِ وقال لهُ انما قتلك اصحابك واني لم اهمم بقتلك قط ولقد كنتُ ارغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك ويا حر الاحرار من هذا المصرع فاوصني بما احببتَ فاوصاهُ دارا ان يتزوَّج ابنتهُ روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي احرار فارس ويأخذ لهُ بثارهِ ممن قتلهُ ففعل الاسكندر ذلك اجمع وقتل صاحبي دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد ان وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغي ان يستبقى قاتل الملوك الاَّ بذمة لا تخفر. وكان التقاؤُهما بناحية خراسان مما يلي الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا"

ولقد سررنا برواية ابن الاثير ولو كانت قليلة الصحة لانها تدلُّ انهُ اهتمَّ بالنقل عن احد المؤرخين اما ابن خلدون الذي جاء بعدهُ فلا ندري ما اقعدهُ عن البحث والتنقيب وذكر شيء من تاريخ الاسكندر وهو يملأُ الصفحات الكثيرة من تاريخهِ بالخرافات والاوهام

مدينة الملح

يظن من يقرأُ عنوان هذه المقالة ان المدينة المشار اليها فيهِ مشهورة بتجارة الملح ولا يخطر بالهِ انها مدينة غريبة وحيدة في بابها منحوتة في قلب الارض في صخور من الملح الصلد وقد بذل العمال ما في وسعهم مدة الف سنة حتى حوَّلوا الظلمات الدامسة الى قصور زاهية يعجز عن وصفها القلم ونحتوا فيها مراقص واسعة وكنائس فخيمة وعروشاً كبيرة وتماثيل بديعة وثريَّات تحاكي الثريا في تألق نجومها وكلها منحوت في صخور عظيمة من الملح الابيض البرَّاق كما ترى في الصورة التالية. وهذه المدينة الغريبة في ادارة بلدية وبليكزا على ستة اميال من كراكو في بلاد النمسا وهي اعظم مناجم الملح في اوربا كلها

ابتدأ النحت في هذه المناجم سنة ١٠٤٤ وتزيد مساحتها الآن على ميلين وثلاثة ارباع الميل طولاً وفوقها بناية كبيرة فيها ادارة المركز وتحف كثيرة من آثار الرجال العظام الذين زاروا ذلك المكان. وكان الناس ينزلون الى المدينة برافعة تجرها الخيل فصاروا ينزلون

الآن برافعة مائية تصعد وتنزل بالضغط المائي على ان بعضاً يفضلون النزول على سلّم عريضة مَنحوتة في صخور الملح .

ويكاد الزائر ولا يرى شيئاً عند نزوله الى المنجم حيث يكتنفهُ الظلام الدامس ويرعبهُ السكوت التام حتى يسمع وقع اقدامهِ فيظنهُ رعداً قاصفاً . فيدخل اولاً غرفة رحبة منحوتة في صخر من الملح يكاد يضيع فيها لسعتها وقد نُحتت سنة ١٧٥٠ وجُعلت مرقصاً وسميت غرفة "ليتوسكي" باسم رئيس المناجم في تلك الايام . وفي جانب منها صورة نسر عظيم من الملح



يمثل قوة النمسا وسلطتها وفي جانب آخر منها عرش اخضر براق جميل الوضع بديع الصنع وهو من الملح ايضاً يجلس عليهِ الامبراطور عندما يزور المنجم . وعمق هذه الغرفة ٢١٦ قدماً تحت سطح الارض وهي في الطبقة الاولى من سبع طبقات متوالية الواحدة تحت الاخرى يفتح منها الطبقات الثلاث الاولى فقط للزائرين . ويخرج الزائر من هذه الغرفة مشهد البهجة والسرور ويدخل معبد القديس انطونيوس مزار الوف من المتعبدين والمتدينين منذ نحت سنة ١٦٩٨ . ترى مدخلهُ مرسوماً في الصورة وفي داخلهِ مذبح بديع الصنع عليهِ صورة

السيد المسيح مصلوبًا وامام المذبح تمثال راهبين راكعين كل واحد الى جهة وفي المعبد مذابح أخرى ايضًا وتماثيل كثيرة من القديسين نحتها كلها رجل واحد قضى عمره في نحتها وتقام الصلوات عن نفس هذا الرجل مرّة في السنة في يوم معين فيدخل المنجم الرهبان والمرتلون وجمع غفير من الناس في موكب حافل وهو منار بانوار كثيرة ومزدان بابهى زينة فيقضون النهار كله فيهِ آكلين شاربين بعد ان يقيموا الصلوات

والى جانب هذا المعبد معبد آخر يسمى "معبد الملكة" نحت على جدار من جدرانهِ منظر بيت لحم وعلقت فيهِ ثريًا من الملح تتلألأ كالبلور

وينزل الزائر من هذه الغرفة الى الطبقة الثانية من المنجم على سلّم منحوتة في صخور الملح فيدخل غرفة فسيحة يبلغ طولها ٩٢ قدمًا وعرضها ٥٩ قدمًا وعلوّها ١١٨ قدمًا تمّ نحتها سنة ١٧٦١ بعد عناء اربعين سنة . وهي تنار الآن بثلاث مئة نور كهربائي وتعزف الموسيقى احيانًا فيها فيطرق الصوت جدرانها الضخمة ويدوي متصاعدًا في قبتها الشاهقة كالرعد القاصف .

وفي الطبقة غرف أخرى مختلفة الشكل تسمى كلٌّ منها باسم عظيم او كبير او ملك او امير وفي احدى جهاتها هرمان كبيران من الملح جُعلا تذكارًا للامبراطور فرنسيس الاول وقرينتهِ الامبراطورة كارولين

وفي الطبقة الثالثة من هذا المنجم محطة السكة الحديدية داخلها مطعم يأكل فيهِ الزوار فاخر الطعام ويشربون معتق المدام ويدور القطار في كل انحاء المنجم على خطٍ طوله نحو خمسة عشر ميلاً وبهِ ينقل ما يستخرج من الملح من كل انحاء المنجم الى المحطة حيث يرفع الى وجه الارض ويرسل في اقطار المسكونة . وتنار هذه المحطة بانوار لا يحصى عددها فتظهر كأنها منارة بشمس النهار والمنجم منار كله بانوار كهربائية عديدة جدًا تنار كلها او بعضها حسب رغبة الزوار وما يدفعونهُ من المال حتى اذا انيرت الانوار كلها ظهر المنجم في حلة من البهاء لا يتصوّرها الاّ من يراها وليس السمع كالعيان

ومن اعجب ما يراهُ الزائر في هذه المدينة بحيرات كبيرة على عمق ٧٠٠ قدم من سطح الارض ماؤها أجاجٌ اسودُ ثقيلٌ تسير فيها قوارب ضخمة البناء تجرّ بحبال مربوطة في جوانب البحيرة فينزل الزائر قاربًا ويدور في كل انحاء البحيرة وهو مبهوتٌ من هول المنظر يرى الامواج تنبسط حتى تلطم جوانب المغارة فيسمع لها دويٌّ يخالهُ صراخ الاموات متصاعدًا من اعماق الجحيم والبحيرات كثيرة في كل انحاء المنجم

ويعمل في المنجم ما يزيد على الف عامل فيستخرجون ٦٥ الف طنّ من الملح في السنة

ومنهم من يولد ويعيش ويموت في تلك الاعماق وصحتهم جيدة لا يشكون مرضاً ولا ضعفاً وعندهم خيول عديدة لم ترَ وجه الشمس قط وهي لم يؤثر فيها ذلك الظلام الحالك بل تراها كسائر الخيل شكلاً ولوناً وطباعاً

نجيب صروف

مستقبل افريقية الجنوبية

تكاد الحرب تلقي اوزارها في جنوبي افريقية ويتحقق الفوز فيها للجنود البريطانية . ولا بدَّ من ان تفوز اخيراً لان الكثرة تغلب الشجاعة فكيف وهي من اشجع جنود الامم . ويليق بالباحث عن طبائع البلدان وما يُرجى لمستوطنيها من الخير فيها ان يبحث في طبائع تلك البلاد التي ستطلق فيها الحرية بعد هذه الحرب للاتجار والاستيطان وقد عثرنا على مقالة في هذا الموضوع لمحرر جريدة يوهنسبرج اليومية نشرتها جريدة السينتفك اميركان فلخصنا منها السطور التالية قال

جنوبي افريقية بلاد بركانية كما يظهر من وجود مناجم الماس فيها وهي افواهُ براكين قديمة . والارض من ساحل البحر الى مئة ميل وراءهُ جيدة التربة نوعاً فيها كثير من الآكام الصالحة لزرع الكروم. ووراء هذه الارض سهول منبسطة تنبت فيها الاعشاب والانجم فترعاها الغنم والبقر . ووراء السهول نجود مرتفعة تعلو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهناك مناجم الذهب واصلها بركاني ايضاً مثل مناجم الماس . ووراءها نجود اخرى فيها كثير من المعادن وتغطيها المراعي الخصيبة

والبلاد كلها غنية بالمعادن بل هي اغنى بلدان العالم وفيها من كل المعادن المعروفة فالماس موجود بكثرة في كمبرلي وجاجرس فونتين وفي نهر الفال على سبعين ميلاً من كمبرلي وفي الترانسفال وبلاد زبدلي شمالي بريتوريا ورودسيا

والذهب وجد في جنوبي افريقية من قديم الزمن حتى ظن البعض ان شونالند هي اوفير المذكورة في التوراة وكان يؤتى بالذهب منها الى سليمان الحكيم . ووجد العرب الذهب فيها حديثاً سنة ١٥٠٠ للمسيح اي منذ اربع مئة سنة وهو يوجد الآن بكثرة في يوهنسبرج وكلركسدرب وباربرتون وكروجرسدرب وبلاد السوازي وبلاد الزولو وبلاد مارا وغاكو ورودسيا واماكن اخرى كثيرة

والفحم الحجري يوجد في مستعمرة الراس واماكن كثيرة وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٩٨ نحو مليوني طن

والفضة توجد في كل جنوبي افريقية وتستخرج من مناجم بقرب بريتوريا وفي الطن من الحجر ما يساوي ١٣ ريالاً من الفضة

والنحاس كثير ايضاً وقد أُرسل منهُ ثلاثون الف طن الى بلاد الانكليز سنة ١٨٩٨ . وفيها ايضاً الرصاص والزنك والانتيمون والقصدير والحديد والزيبق والاسبستس والميكا والملح والكبريت والكاولين وكثير من الحجارة الكريمة عدا الماس مثل الياقوت الاصفر والازرق والزبرجد والبجادي والفيروز والعقيق

اما ما يستخرج الآن من هذه المعادن والجواهر فتقدَّر قيمتهُ بالملايين الكثيرة فمناجم الماس في كمبرلي قدر ثمنها خمسة ملايين من الجنيهات وقد بلغ ربح اصحابها في السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات بعد طرح كل النفقات . وبلغ الربح من مناجم الذهب سنة ١٨٩٨ خمسة ملايين من الجنيهات وكان الربح من بعضها ٦٧٥ في المئة اي ان السهم الذي اصل ثمنهِ مئة جنيه ربح في سنة واحدة ٦٧٥ جنيهاً

وخيرات الارض الزراعية اكثر من ان تنفد وتنبت فيها الحبوب والاثمار على انواعها وتبلغ قيمة الصادر منها والوارد اليها كل سنة نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات على قلة سكانها فلا عجب اذا رغب اهل الجد والسعي في المهاجرة اليها بعد ان يستتبَّ الأمن فيها

كاهن تشن كنج

وطرف من اسرار البوذيين

تشن كنج مدينة في قلب بلاد الصين على نهر ينغتسي وهي من المدن الثلاث والعشرين المفتوحة للتجارة الاجنبية سكانها نحو ثلثمئة الف نفس وفيها مقام رئيس الكهنة المسمى تشن تسو. اصلهُ من بلاد التبت ولقومهِ فيها سدانة الديانة البوذية وهم كهنتها ومقيمو شعائرها وكاشفو غوامضها. وقد اشتهر بعلمهِ وتقواهُ منذ كان في مدينة لاسا عاصمة بلاد التبت وكعبة الديانة البوذية فلما جاء بلاد الصين ذاعت شهرتهُ في اقطارها حتى اذا نزل مدينة تشن كنج اتجهت عيون الصينيين اليها وحسبوا ان الخيرات ستتدفق عليها لانهُ جعل اقامتهُ فيها. واعتقد بعضهم انهُ يناجي الالهة ويذاكرهم في امور العباد . فتقاطر الزوار الى هيكل تشن كنج من كل بلاد

الصين جاءوهُ بالالوف وهم لا يطمعون برؤية هذا الحبر العظيم لانهُ محتجب عن الانظار بل يقصدون ان يعبدوا الههم في حرمهِ حيث يحل شخصهُ المعظم عندهم

واحتجاب هذا الرجل عن الانظار جعل القوم يشيعون عنهُ اشاعات كثيرة في حد الغرابة على حسب معتقدهم فيهِ فقال بعضهم ان وجههُ لا يشبه وجوه الناس بل وجه الاله وقال غيرهم انهُ موسوم بسمة الهيّة خاصة وقال آخرون انهُ في شكل بوذه تماماً وسيظهر نفسهُ للناس في اجلٍ معين فيرونهُ ويندهشون ثم يصعد الى السماء امام عيونهم تحملهُ الارواح القدوسة التي تحدق بهِ الآن قائمة على خدمتهِ . واذا غلبت الاوهام الدينية على النفوس لم تقف خيالاتها عند حد محدود . وكان اسمهُ يذكر دائماً بالوقار والاحترام حتى بين رجال الحكومة في باكين ولو كانوا من المتهتكين الذين طرحوا شعائر الديانة البوذية ظهريًا . واشاع البعض ان بوذه نفسهُ نزل من السماء وملأ قلب هذا الكاهن بالحكمة السموية

وفي بلاد الصين رجل اوربي او اميركي اسمهُ كارلتون دو ربي فيها وتعلم لغة اهلها ولبس لباسهم وتخلق باخلاقهم وهو مثل اكثر الاوربيين مغرم بالبحث والتنقيب فحدثتهُ نفسهُ ان يحاول رؤية هذا الكاهن ويكتشف الحيل التي خدع بها اهل بلادهِ لان سلطتهُ الدينية كانت قد تعدَّت حدودها وصار رجال الدولة يخشون بأسهُ ويوجسون منهُ شرًّا . وعرضت لهُ مهام منذ بضعة اشهر دعتهُ الى الايغال في بلاد الصين فقصد تشن كنج وقبل ان وصل اليها ادَّعى انهُ راجع الى شنغاي وودَّع معارفهُ ثم خرج من السفينة قبل ان سافرت بهِ واستأجر سفينة اخرى وصعد بها في نهر ينغتسي ذاهباً الى تشن كنج فعل ذلك ليوهم الناس انهُ غير ذاهب اليها وكان يخاف ان يبلغ خبرهُ هذا الكاهن فيوقع بهِ لان كهنة الصين يحسبونهُ جاسوساً في بلاط الامبراطور . قال ولما وصلت الى تشن كنج استأجرت نزلاً في حي حقير من احياء المدينة لكي لا يلتفت احد اليَّ وادَّعيت اني اتيت زائرًا وقصدي العبادة في الهيكل الكبير وخدمة الكاهن الاعظم . وكان صاحب النزل على جانب كبير من التقوى والورع فاخذ يطنب بفضائل هذا الكاهن وكراماتهِ واخبرني من امورهِ في ساعة اكثر مما يمكن ان اعلم عنهُ في سنة وانا في باكين لكن القصص التي قصها عليَّ مشحونة بالاوهام والخرافات فلا تستحق ان اذكر شيئاً منها وظهر لي ان سبب عظمة هذا الكاهن احتجابهُ عن الناس

فلبست لباس الكهنة الصغار وجعلت اتردَّد على الهيكل واصلي فيهِ مثلهم وانا اترقَّب الفرص عسى ان اجد سبيلاً لمشاهدة ذلك الكاهن العظيم . ورأيت الحراس منتشرين في كل مكان وحاولت ان ارشوهم بالمال فلم افلح والرشوة تفتح ابواب قصر الملك في باكين واما هنا فلا

يلتفت اليها احد لان الجميع يحسبون كاهنهم الاعظم فوق مصاف البشر

وتحت هذا الكاهن ثلاثة كهنة لهم المقام الاول بعده ويلي كل واحد منهم كثيرون من الكهنة الصغار يسجدون لهُ ويأتمرون باوامره . وأحد هؤلاء الكهنة الثلاثة شيخ شائب اللحية محدودب الظهر مهيب الطلعة يجلس غالباً على دكة عالية في الهيكل ويبارك الجمع ويجلس الكاهنان الآخران على جانبيهِ احدهما يجلس عن يمينهِ وهو شاب تلوح على وجههِ امارات الذكاء وسرعة الخاطر والآخر يجلس عن يسارهِ وهو شيخ قبيح المنظر وجههُ مشوَّهٌ بندوب الجدري وقد كنت اخشى النظر اليهِ لسبب لا اعلمهُ وكنت احسبهُ اعظم الثلاثة واشدَّهم دهاء ولو جلس في اوضع مجلس . وبقيت رهبتهُ في نفسي الى ان شاهدت الكاهن الاعظم

وذات يوم كنا نصلي على جاري عادتنا واذا بالكهنة الثلاثة انتصبوا قياماً وبسطوا ايديهم في الهواء ثم انطرحوا على الارض وهم يقولون بصوت خاشع اسجدوا اسجدوا فقد جاء

وللحال خرَّ الجمع كلهُ على الارض وخررت معهم ولكني وضعتُ يدي على وجهي وجعلت انظر من بين اصابعي فرأيت الاستار انفتحت من وراء الكهنة الثلاثة وظهر من بينها رجل ملتف بثوب ابيض من رأسهِ الى قدميهِ وفي الثوب ثقبان امام عينيهِ تظهران منهما وعليهِ نقوش حمراء وقلادة من ذهب حول عنقهِ . ولما ظهر صرخ الكاهن القبيح المنظر "هو ذا الواحد الخفيُّ" فاخذت الجرأة بعض الحضور حتى رفعوا رؤوسهم ولحوه لمحة اما سائر الجمع فبقي خارًّا على الارض خاشعاً . ورفع هذا الكاهن العظيم يدهُ وبارك الجمع فزادوا تضرعاً وابتهالاً بصوت منخفض كأنهُ حفيف الرياح . ثم مدَّ يدهُ وباركهم ثانية وعاد من حيث اتى ونزلت الاستار وللحال رفع الجمع رؤوسهم وظلوا جاثين على ركبهم وهم يصلون ويتضرَّعون .

وحاولتُ ان ارى شيئاً وراء تلك الاستار فلم ارَ ولا كنت ارى سبيلاً لرؤية ذلك الرجل المحتجب لكنني تدرَّعت بالصبر وعزمت ان اواظب على العبادة في ذلك المعبد عسى ان تُتيح لي فرصة اخرى لرؤيتهِ

وبقيت اتردَّد على الهيكل وانا ازيد جرأةً يوماً بعد يوم وازيد اقتراباً من المحراب حتى انتبهَ لي الكهنة الثلاثة والتفتَ اليَّ الكبير منهم مرةً وبشَّ في وجهي وكأنهُ مدحني على ورعي وتعبدي فزادت جرأتي وواظبتُ على العبادة يومياً وكان هذا الكاهن يبشُّ لي ويهشُّ كلما وقعت عينهُ عليَّ

وحدث ذات يوم انهُ لما انتهت الصلاة ونهض الكهنة عن كراسيهم ليدخلوا الى ما وراء الاستار وقع الكاهن الشيخ كأنهُ اصيب بفالج فامسك بكرسيهِ وقبل ان يصل الى الارض

اسرعت اليهِ وانهضتهُ وبادر الكهنة من انحاء الهيكل وتألبوا علينا فطلبت منهم ان يبعدوا لكي لا يحجبوا عنهُ الهواء ثم حملتهُ ودخلت بهِ داخل الاستار وانا اقول في نفسي قد حانت الفرصة لرؤية ما وراءها . وفتح الكاهن عينيهِ حينئذٍ ونظر الى الجمع المزدحم نظر المسرَّة والشكر ونظر اليَّ كذلك فحنيت لهُ رأسي وقلت اني اود ان ابقى في خدمتهِ بقية عمري فتبسم وسمح لي ان امضي معهُ الى غرفتهِ فشكرتهُ على هذه المنة وسرت ومعي الكاهنان الآخران فجزنا غرفة كبيرة وراء الهيكل ودخلنا سرداباً طويلاً وصلنا في آخرهِ الى درج صعدنا عليهِ واذا امامنا رواق كبير في وسطهِ فسقية يتدفق منها الماء وحول الرواق غرف كثيرة فوصلنا بالكاهن الى باب غرفة منها في طرف الرواق الشرقي واقبل كاهنان لمساعدتي على حمل ذلك الكاهن لما وصلنا الى الدرج فلما وصلنا الى باب الغرفة طأطأا رأسيهما وابعدا عنا وهما يسجدان في رجوعهما فالتفتُّ الى الكاهن ولما وقعت عيني على عينهِ تبسم وقال لي ساعدني يا ابني على دخول الغرفة فقلتُ هذا فخر كبير لي يا ابي . فقال لقد سرَّني ما رأيتهُ في ابني من الخشوع والتقوى فقلتُ ان تنازل ابي هذا منةٌ كبيرة منهُ على عبدهِ الخاضع الامين

فتبسم ثانية ودار نحو باب الغرفة وفتحهُ فنظرت واذا غرفة خاوية خالية ليس فيها شيءٌ من الاثاث والرياش سوى حصير ملفوف قائم في احدى زواياها ووسادة من الخشب علامة الزهد الشديد . فقلت لهُ لا يصلح ان ينام ابي على وسادة مثل هذه . فلم يجبني بكلمة بل اخذ يتجسس الحائط الى ان وصل الى باب خفي ففتحهُ واذا وراءهُ غرفة أُخرى فدخل اليها وادخلني معهُ واغلق الباب واقفلهُ فنظرت واذا الغرفة رحبة فاخرة الرياش في وسطها مائدة عليها طعام واثمار شهية فعجبت من ريائهِ وكيف يتظاهر بالزهد والتقشف وهو عائش في نعيم مقيم

فقلت الى اين بعد هذا يا ابي فقال الى ذلك السرير حيث انتظر مشيئة الله . قال ذلك مشيراً الى سرير في طرف الغرفة. فقلت ومَن من الكهنة الثلاثة يطلب ذلك ولا يجاب طلبهُ . فقال يا حبذا . فقلت ان فضائل ابي كثيرة ولكل فضيلة منها الف جزاء في السماء . فقال وانا ارى لك حسن الجزاء ايضاً . فقلت حسبي جزاء ان ابي راضٍ عني. فقال ان ابني يتكلم كلام حكمة وتعقل

ووضعتهُ على سريرهِ وادنيت منهُ المائدة وصحف الاثمار لكنهُ لم يمد اليها يدهُ بل بقي ناظراً الى سقف الغرفة وهو يتمتم وانا حائر في امري لا ادري كيف ينقضي ذلك اليوم ولا اين ارى رئيس الاحبار

وبينما انا افكر في ذلك التفت اليَّ وقال لي لقد حان الاجل وبلغتُ ظلمة الابدية وانا

ضعيف اليدين والرجلين امضِ واخبر اخوتي لكي يعدّوني لهـذا السفر الطويل . ثم تنهّد واغمض عينيهِ حتى حسبتُ ان ملاك الموت واقف فوق سريرهِ . فقلت لهُ لا تقل ذلك يا ابي فان طريق السماء ليس صعباً على من كان مثل ابي . فقال اني لم اقل انهُ صعب بل هو هين وقد مرّت عليَّ سنون كثيرة وانا في انتظارهِ

فقلت ان الواحد العظيم الخفي الذي يخرق حجب الغيب صديق بوذه اذا طلب من معطي الحياة شيئاً لم يُرد طلبهُ

ففتح عينيهِ ونظر اليَّ نظر الدهشة والاستطلاع ثم قال هل يتكلم الناس كثيرًا عن الواحد العظيم الخفي . فقلتُ نعم ويحقّ لهم ان يتكلموا وهو على ما اشتهر عنهُ من الفضل والتقوى. فقال اني لا استغرب ذلك . فقلت ولماذا يحتجب عن الانظار فان احتجابهُ عن اولادهِ المؤمنين مثل احتجاب الشمس عن الخلائق

فقال لايحسن بالمخلوقات ان ترى ما وراء الحجاب . اذهب الآن الى ذلك الباب وافتحهُ وسر في السرداب الذي يؤدي اليهِ ثم انزل في السلم الذي في آخرهِ واقرع اول باب عن يمينك

فقلت هل اتركك وحدك يا ابي . فقال اتركني ولا تخف . فقمت وسرت كما قال لي وانا مسرور بما حدث حاسب ان نجحت اكثر مما كنت انتظر وان حيلتي جازت على اولئك الكهنة . وقويت آمالي برؤية رئيس الاحبار ولو كان دونهُ الف ستار وستار

وسرت في السرداب وكان الوقت مساء فكنت أتلمس تلمساً ان بلغت طرفهُ فوجدت فيهِ مصباحاً معلقاً بجانب الحائط فأخذتهُ بيدي ونزلت في السلّم الى ان بلغت مكاناً عميقاً تحت الارض فدرت الى اليمين وقرعت اول باب وجدتهُ فانفتح وللحال هجم عليَّ اثنان نزعا المصباح من يدي وقبضا عليَّ واسرَّ واحد في اذني قائلاً اصمت فانك في حضرة الواحد الخفي العظيم . ودفعني الرجلان الى الامام ووقفا بي قليلاً ثم صرخ واحد واذا باثني عشر مصباحاً اضيئت معاً فالتفتُّ واذا انا في غرفة كبيرة جداً مملوءة بالحرس من الكهنة وفيها دكة عالية عليها رئيس الكهنة الخفي العظيم جالس على عرشهِ وعن يمينهِ واحد من الكهنة الثلاثة وعن يسارهِ الكاهن الشيخ الذي كنت في غرفتهِ . فنظرتُ اليهِ مدهوشاً ونظر اليَّ وقال اراك مدهوشاً يا ابني فقلت نعم يا ابي اني مدهوش ومسرور بشفائك السريع ولكن لماذا عاملتموني هذه المعاملة . فقال لاننا نخاف منك انظر ما وجدناهُ معك واي حاجة بالمتعبّد الى مثل هذه الاسلحة قال ذلك وهو ماسك خنجري ومسدسي وكان اتباعهُ قد اخذوهما مني وانا في الظلام . فقلت ان غرضي الدفاع عنك يا ابي . فقال رئيس الكهنة اخسأ يا كلب انك كاذب ونحن نعلم انك جاسوس خائن

فاضطربت مفاصلي كلها وقد مرَّت بي مخاطر كثيرة قبل ذلك ولكنني لا اتذكر انني شعرت قط كما شعرت حينئذٍ . وادركت حالاً انني امام رجل داهية وعرفت لماذا وقعت هيبتهُ في النفوس . ولما رأيت اني مقتول لا محالة عزمت ان ادافع عن نفسي في الدقائق الباقية من عمري فقلت مَن قال ذلك ليأتِ ويجهر بالقول امامي فابين كذبهُ وغشهُ

فقال الكاهن الشيخ انا الذي قلت انا الذي شكاك

فاجبتهُ بصوت منخفض منكسرٍ أأنت ترتاب في اخلاصي يا ابي

فقال اعلم يا ابني ان سلطة رئيس احبار تشن كنج تشمل هذه البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فلا تخفى عليهِ خافية فما هو غرضك من مجيئك الى هيكل تشن كنج

فقلت غرضي هو ما ارجو ان انالهُ . فقال ولكنك ستنال غير ما ترجوهُ . فقلت ان ابي يتكلم بالغاز فليوضح لي مرادهُ . فقال اسمع ما اقول لك فتعلم قوة رئيس الاحبار وعظمتهُ . ان بين رجال الحكومة في باكين رجلاً اجنبياً يتزيا بازياء الصينيين ونحن نعرفهُ باسم جاسوس الامبراطور . هذا الرجل جاء هنكو في بعض المهام فبثثنا عليهِ العيون والارصاد فادَّعى انهُ ذاهب الى شنغاي ثم ترك السفينة التي كان ذاهباً فيها واستأجر اخرى جاءت بهِ الى تشن كنج واسم ربانها معروف عندنا وهو من انصارنا . وقد رأيناك وسرَّنا ما رأيناهُ فيك من العبادة والتقوى . وابنت انك رجل همَّة واقدام لما بادرت اليَّ وقتما اصابتني نوبة الاغماء . فلماذا خاطرت بنفسك وما هو غرضك

فأُسقط في يدي وكدت اذوب خجلاً لكنني شددت ما بقي فيَّ من العزيمة وقلت ان غرضي زيادة المعرفة

فقال واي معرفة . فقلت ان ارى وجه رئيس احباركم . فقال ألا تعلم ان مَن يرى وجههُ يموت موتاً . فقلتُ ان مجد تلك الرؤية يزيل تخاوف الموت

فنظر الى الكهنة الذين حولي وقال لهم ما هو نصيب من ينتهك حرمة هيكلنا . فقالوا كلهم بصوت واحد الموت الموت

فنظر اليَّ وهو يتبسم وقال وانت ماذا تقول . فقلت لا اقول شيئاً ولكن الامبراطور يعرف اين انا وياخذ بثاري ممن يقتلني . فتبسم ثانيةً وقال ان غضب الامبراطور يقصر عن ان يصل الى هيكلنا والظاهر انك نسيت سلطة تشن سو رئيس الاحبار . ثم اشار بيدهِ الى الكهنة الذين حولي فاوثقوا يديَّ بالحبال وربطوني الى الحائط وخرج الكهنة كلهم من الغرفة ولم يبقَ فيها غير الرؤساء الثلاثة ثم نزل الكاهن الشيخ ونظر الى الباب الذي خرجوا

منهُ فرآهُ مقفلاً وحينئذٍ نزل رئيس الاحبار عن عرشهِ ودنا مني وقال لي ألم يزل من غرضك ان ترى رئيس الاحبار فقلت نعم فقال وما انتفاعك من رؤيتهِ وقد دنا اجلك وانت اول رجل ملحد دخل هذا الهيكل وآخر من يدخلهُ من الملاحدة ولكني اود ان يكون موتك جزاء رؤيتك رئيس الاحبار الواحد الخفي العظيم فانظر اليهِ قبل موتك. قال ذلك ونزع طوق الذهب من عنقهِ وازاح البرقع عن وجههِ فنظرت واذا هو الكاهن القبيح المنظر الذي في وجههِ ندوب الجدري. فقلت أأنت رئيس احبار تشن كنج . فقال كلاً فان ذاك مات منذ خمس عشرة سنة ولكن روحهُ عائشة فينا نحن خلفاؤهُ الاربعة فنتناوب الخلافة وهذا سر غامض لا يعلمهُ احد سوانا

ولم اكن اجلُّ اولئك الكهنة عن شيء من انواع الخداع ولكن لم يخطر ببالي قط انهم يقدمون على مثل ذلك يخفون موت رئيسهم خمس عشرة سنة ويسيرون باسمهِ وجاههِ

ثم فارقني الكهنة الثلاثة لينظروا في كيف يميتونني واخذوا مشاعلهم معهم وتركوني في ظلام دامس. ولا اطيل في وصف ما اعتراني حينئذٍ لان الكلام يقصر من الوصف . ومرت بي ساعة حسبتها شهراً واخيراً فتح الباب ودخل رجل معهُ كانون فيهِ جمر نار فوضعهُ على مقربة مني وكان في الكانون ملقط طويل محمىً الى الحمرة فاشار اليهِ ولسان حالهِ يقول سنعذبك عذاباً اليماً قبل موتك . ثم خرج واغلق الباب وللحال اعتراني شيء من الجنون فاخذت احاول قطع الحبال من يديَّ حتى تفككت مفاصلي وتمزقت اوصالي وانا لا ابالي بالالم وما زلت اجذب الحبال حتى قلعت الوتد من الحائط فاكببت على وجهي وكانت يداي لا تزالان مربوطتين ونهضت بعد عناء شديد ودنوت من الكانون ونزعت الملقط باسناني وادنيت طرفهُ المحمى من الحبل الذي على احدى يديَّ فحرقتهُ بهِ وحرقت اللحم تحتهُ ولكن الحياة عزيزة تفتدى بكل عزيز . ثم امسكتهُ بها وحرقت الحبل عن اليد الاخرى وجعلت افرك يديَّ حتى اعدت الدم اليهما واخذت افتش عن منفذ اخرج منهُ فلم اجد . وبعد قليل سمعت قلقلة القفل فوقفت في مكاني الاول وفتح الباب ودخل الكاهن الذي اتى بالكانون ومعهُ سلة فيها فحم فالتفت اليَّ ثم انحنى فوق الكانون وجعل يضع الفحم فيهِ فهجمت عليهِ باسرع من لمح البصر وعاجلتهُ بضربة على ام رأسهِ القتهُ صريعاً وخطفت الكانون وخرجت واقفلت الباب ورائي وجعلت اجري على السلَّم التي نزلت عليها وسرت في السرداب الى غرفة الكاهن الشيخ وقرعت الباب ووقفت على جانب ففتحهُ وهو يقول هل اعددت كل شيء يا اخي فقلت نعم ودخلت مسرعاً واقفلت الباب ورائي وقلت لهُ انك شيخ عاجز ولا اريد ان الحق بك ضرراً ولكنك اذا فتحت فاك قتلتك حالاً

فدهش حتى كاد يغمى عليهِ والتفتُّ واذا مسدسي وخنجري على مائدتهِ فوثبت اليهما واشرعت الفرد في يدي وامرتهُ ان يسير امامي من غير ان يفوه بكلمة والاَّ قتلتهُ وكنت لابساً لبس الكهنة كما تقدم فلم ينتبه احد لي وبقينا سائرين الى ان خرجنا من الهيكل ووصلنا الى دار رئيس الشرطة. وسرَّ رجال الحكومة بما فعلت لانهم تخلصوا من كاهن تشن كنج واستبدادهِ

باب الزراعة

المعرض الزراعي

للزراعة دعائم كثيرة تعتمد عليها والمعارض الزراعية من اقوى هذه الدعائم لانها ميدان للمنافسة والمسابقة ومدرسة للاختبار والاعتبار . ولقد حيينا المعرض الزراعي المصري في نشأتهِ بعد ان مرَّ على المقتطف سنون كثيرة وهو ينادي بانشاء مدرسة زراعية ومعرض زراعي . ووطننا النفس على ان نرى لذلك المعرض بناء فخماً تعرض فيهِ آلات الزراعة كما تعرض غلاتها فتمَّ ذلك وبُني المعرض من كرم الحكومة بين ميدانَيِ الجزيرة وفُتح في التاسع من شهر فبراير (شباط) بحضور الجناب العالي وامراء البيت الخديوي الكريم ونظار الحكومة المصرية وقناصل الدول الجنرالية والمحافظين والمديرين وجمهور غفير من كبار المستخدمين ووجهاء القطر وكانت ساحتهُ مزدانة بالاعلام الكثيرة تحيط بها خيام المعروضات المختلفة من مثل الآلات الرافعة وادوات الحراثة والدرس والغربلة وانواع الاسمدة واصناف المواشي الاهلية والمجنسة . وداخل البناء معروضات الحاصلات الزراعية على انواعها كالقطن والقمح والشعير والذرة والفول . وهي كثيرة الاصناف والتنوُّعات

والمعروضات التي تستوقف النظر كثيرة نذكر بعضها اجمالاً فمنها الآلات الرافعة على انواعها بين وابورات ثابتة ومتحركة كبيرة وصغيرة يتدفق الماء من طلمباتها وبين سواقٍ مصنوعة على اسلوب قليل النفقة . وآلات للحرث والتخطيط والتزحيف والتمهيد والضم والدرس و بعضها كآلات الحرث مصنوع لهذا القطر خاصة

ومنها المصنوعات الزراعية مثل السكر والزبدة والحرير والرامي . ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان معمل الشيخ فضل اهتم بزرع البنجر (الشمندور) السكري فوجد انهُ يجود في

هذا القطر . وهو يزرع من ابريل الى ١٥ نوفمبر ومحصول الفدان من ٤٠٠ قنطار الى ٦٠٠ والسكر فيهِ من ١٧ الى ١٨ في المئة مع ان السكر في القصب من ١٣ الى ١٤ في المئة فقط وسكر البنجر مثل سكر القصب ثمناً . والظاهر ان بنجر السكر يجود في هذا القطر اكثر مما يجود في اوربا فان متوسط وزن الراس في اوربا ٤٠٠ جرام واما متوسط وزنهِ هنا فنحو ٦٨٠ جراماً

ومنها مصنوعات السجون المصرية وهي من ابدع ما عُرض في المعرض ولو كانت علاقتها بالزراعة قليلة . ويستدل منها على ان سجون القطر المصري اصبحت مدارس صناعية يتعلَّم فيها المسجونون انفع الصنائع كالنجارة والحياكة وعمل الاحذية والسروج والبرشات والماسح وما اشبه . ومصنوعات النجارة والتطعيم بالغة حد الاتقان فترى الكراسيَّ والمقاعد والموائد والخزائن والرفوف والبراويز من شغل المشربية المطعَّم بالابنوس والعاج والعظم وعرق اللؤلوء وكلها مرسومة بالاشكال العربية الدقيقة . وترى هناك مصنوعات اخرى فضية ونحاسية بديعة النقش والزخرفة واقمشة واسفاطاً ومراوح وما اشبه وكلها غاية في الجودة والاتقان . ولا عجب بعد هذا اذا دخل الرجل السجن شقياً كثير الضرر وخرج منهُ عارفاً بصناعة يعيش منها ويغنيهِ دخلها عن اختلاس مال غيرهِ

ومنها معروضات التنظيم وهي مصنوعة في ورش الحكومة وبالغة حد الاتقان

ومنها معمل صغير لحل الحرير ترى فيهِ الشرانق توضع في الماء الغالي فتنحل خيوطها وتلف على دولاب يدور امامها . واذا نجحت زراعة شجر التوت في هذا القطر ونجحت تربية دود الحرير ايضاً كان لهذه الصناعة شأن كبير فيهِ

ومنها سكة حديدية صغيرة تسير بالكهربائية كما يسير الترام الكهربائي عرضها المستر كوبل . وسكة اخرى من محل اورنستين وكوبل تسير مركباتها بآلة بخارية حول ساحة المعرض يركب فيها جمهور غفير فتدور بهم حول ساحة المعرض ثم تردهم وهي من السكك التي في احد تفاتيش دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقد تنزه فيها اكثر الذين حضروا المعرض

ومنها معروضات السماد الصناعي وهي كثيرة مختلفة وقد قال بعضهم انهُ سمد ١٥٠٠ فدان مزروعة قطناً بسمادها فبلغ متوسط غلة الفدان ١١ قنطاراً

وكانت الثيران المعروضة كثيرة بعضها ضخم جداً وهو اوربي وبعضها معتدل الجسم مجدول العضل وهو مجنس اي من اب اوربي وام اهلية . وكذلك الخرفان وبعضها كبير غزير الصوف طويلهُ والبغال قوية مجدولة العضل

وجملة القول ان هذا المعرض يزيد عاماً بعد عام وفاءً بالغاية التي انشئ لاجلها ويعود

بالشكر الجزيل لدولة الامير الخطير البرنس حسين باشا كامل رئيس الشركة الزراعية لاهتمامهِ الشديد بكل ما يرقي شأن الزراعة في هذا القطر ولحضرة المستر كاري والمستر فودن العالم الزراعي اللذين بذلا الجهد في انشاء المعرض وادارتهِ ولكل الذين عاونوهما في ذلك من اعضاء الشركة وغيرها وللحكومة الخديوية التي تنفق بسخاء على هذه الاعمال النافعة . لا زالت مصر راقية مراقي الفلاح وسائرة في سبيل النجاح في ظل اميرها المعظم و باهتمام هذه الوزارة الحكيمة

جوائز البقر

واعطيت جوائز كثيرة للعارضين حسب انواع المعروضات ودرجتها فاعطيت جائزة الثيران الاهلية الاولى لثور اهلي عرضهُ مصطفى باشا وهبي مدير الدقهلية والجائزة الثانية والثالثة لثورين عرضتهما الدائرة الخاصة

واعطيت الجائزة الاولى والثانية والثالثة لثلاث من البقر الاهلية الحلوبة عرضتها الدائرة الخاصة . وهي جوائز البقر الاهلية الحلوبة

والجائزة الاولى لثور من المواشي البحيرية عمرهُ ثلاث سنوات عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الثانية لثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار . والجائزة الاولى لثور خصي عمرهُ ثلاث سنوات عرضهُ شواربي باشا والثانية لثور عرضهُ عبد المجيد بك ابو جازية

والجائزة الاولى والثانية لعجلتين بحيريتين عرضتهما الدائرة الخاصة . والجائزة الاولى والثانية لعجلين صغيرين عرضتهما الدائرة الخاصة ايضاً . ولم تعرض البقر الصعيدية في المعرض

والوسام الذهبي لثور اوربي عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الفضية لثور اوربي عرضتهُ دائرة درانت باشا . والوسام الذهبي لبقرة اوربية عرضتها الدائرة الخاصة والفضية لبقرة اوربية عرضتها دائرة درانت باشا

واعطيت الجائزة الاول لثورين مجنسين عرضتها دائرة القصر العالي والدائرة الخاصة والجائزة الثانية لثورين عرضتها دائرة البرنس حسين باشا ودائرة درانت باشا . والوسام الاول والثاني لبقرتين مجنستين حلوبتين عرضتها مدرسة الزراعة. والوسام الاول لعجل مجنس عمرهُ اقل من سنة عرضتهُ الدائرة الخاصة والثاني لعجل مجنس عرضتهُ مدرسة الزراعة . والجائزة الاولى والثانية لعجلتين مجنستين عرضتها الدائرة الخاصة

والوسام الذهبي والفضي لعجلين مسمنين عرضها المسيو ستنا حيوفني. والجائزة الثانية لجاموس عمرهُ اكثر من ثلاث سنوات عرضتهُ شركة اراضي ابي قير . والجائزة الاولى لجاموسة حلوبة عرضتها الدائرة الخاصة والثانية لجاموسة عرضها شواربي باشا

الغنم

المريسي — اعطيت جوائزه للدائرة الخاصة والبرنس حسين باشا واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وستنا جيوفني وبدربدر

البلدي — اعطيت جوائزه لشواربي باشا ومصطفى باشا وهبي واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وخليل باشا فوزي

والمجنس — اعطيت جوائزه لدائرة درانت باشا وهي من الدرجة الثانية ولم يعط شيء من الدرجة الاولى لاحد لان المعروضات لم تستحق ذلك

المعزى

البلدي ليوسف بك احمد . والزرابي للدائرة الخاصة . والاجنبي للدائرة الخاصة ايضاً

البغال

اعطيت جوائزها لبغلين عرضتهما مصلحة التنظيم وبغل عرضه مصطفى باشا وهبي

الحمير

اعطيت جوائزها لحمير عرضتها الدائرة الخاصة

الجمال

اعطي الوسام الاول لجمل عرضه الشواربي باشا والثاني لجمل عرضه محمد بك ابو جازية

الدجاج

كانت المعروضات كثيرة والجوائز كثيرة ايضاً واكثرها لبوغوص باشا نوبار والبرنس عمر طوسن ومستر الن جوزف وبونيتو بك

الحبوب

جائزة القمح الصعيدي الاحمر لخليل باشا فوزي . والابيض الاولى لعلي بك شعراوي والثانية للبرنس عمر طوسن . والشعير البلدي الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لعلي بك شعراوي . والاوربي المزروع في مصر الاولى لمدرسة الزراعة

والفول البحيري الاولى لاسكندر بك شديد والثانية لرياض باشا . والصعيدي الاولى لعلي بك شعراوي والثانية لاحمد بك دله

والذرة البلدية الجائزة الاولى للخواجه اصلان زجدون والثانية لمهدي بك احمد

والذرة الاجنبية المزروعة في مصر الجائزة الاولى والثانية لبوغوص باشا نوبار

الذرة البيضاء الاولى لابي زيد افندي طنطاوي والثانية لعلي بك شعراوي

الارز اللباني الاولى لاحمد بك دله والثانية لاحمد بك حبشي . والارز الصبريني الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لحسن بك شمسي ولبقية انواع الارز الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية للخواجه انطون صباغ سيأتي البقية

النجاح في العام الماضي

لم ترد الينا تقارير دوائر الحكومة المختلفة حتى الآن التي يستدل منها على تقدم القطر المصري في العام الماضي ولكن وصلنا تقرير الجمارك عن شهر دسمبر وفيهِ ان قيمة الواردات في العام الماضي بلغت ١١٢١٦٤٠٥ جنيهات وكانت في العام الذي قبلهُ ١٠٨١١١٥٤ جنيهاً وقيمة الصادرات في العام الماضي بلغت ١٥٣٤٢٤٩٤ جنيهاً وكانت في العام الذي قبلهُ ١١٧٩٦٢٥٨ . فبلغت الزيادة في الوارد ٤٠٥٢٥١ جنيهاً وفي الصادر ٣٥٤٦٢٣٦ جنيهاً اي بلغت الزيادة في الصادر والوارد نحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي دليل على نجاح لا مثيل لهُ في سنة من السنين الماضية ولا سيما لأن اكثرها في الصادر . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر هذه الزيادة نتج من ارتفاع ثمن القطن . ولا يبعد ان تبلغ الزيادة في ثمن موسم القطن وحدهُ ستة ملايين من الجنيهات او اكثر ولو لم يبع الجانب الاكبر منهُ قبل ارتفاع الاسعار لبلغت الزيادة عشرة ملايين من الجنيهات او اكثر

النيل وزراعة القطن

بلغ انخفاض النيل هذا العام مبلغاً لم يبلغهُ في سنة من السنين التي سجل قياسهُ فيها وهذا الانخفاض عام من مصادر النيل في البحيرات الاستوائية الى مصباتهِ في البحر المتوسط ويخشى ان ينقطع الماء من عند اصوان في شهر ابريل المقبل فلا يبقى لري القطر المصري الاَّ المجموع في النيل من اصوان الى البحر المتوسط . لكن مصلحة الري استعدت لذلك باعتمادها على منع زرع الارز والماء الذي يقتضيهِ يكفي ري نحو اربع مئة الف فدان من القطن فاذا فعلت ذلك واخرت اطفاء الشراقي او منعت اطفاءها تماماً فلا يبعد ان يكفي الماء الباقي في النيل لري القطن الذي يزرع عادة في هذا القطر او لري ثلثيهِ على الاقل . وهي تحاول منع اهل الزراعة من زرع كل القطن الذي كانوا يزرعونهُ ولا سبيل لها الاَّ فرض المناوبة في الري وقد فرضتها من نصف شهر مارس واباحت للآلات الرافعة ان تدور من خمسة ايام الى سبعة

على حسب اختلاف المديريات ثم تنقطع عن الادارة المدة التي يحتملها نبات القطن من غير ماء وهي محدودة ايضاً. ويقال ان الآلات الرافعة لا تروي في ايام الادارة الأ نحو ثلثي الاطيان التي تزرع قطناً عادةً فاذا تمَّ ريُّها الى ان يرد ماء الفيضان وورد في ميعادهِ او قبل ميعادهِ بلغ الموسم المقبل اربعة ملايين من القناطير او حواليها وهو في الاسعار الحاضرة اصلح للقطر من سبعة ملايين قنطار تباع باسعار بخسة ولاسيما لانهُ لا يشغل غير ثلثي الارض التي يشغلها موسم القطن عادة

ثم اذا ثبت هذا العام ان الموسم القليل الذي لا يزيد على اربعة ملايين قنطار يباع بثمن الموسم الكبير الذي يزيد على ستة ملايين قنطار كان من الحكمة ان تجد الحكومة المصرية اسلوباً لحصر زراعة القطن في ثمانمئة فدان من الارض كأن لا تبيح لاحد ان يزرع القطن في اكثر من ربع اطيانهِ فتتضاعف فائدة القطر من ذلك لان القطن يباع حينئذٍ بمثل الثمن الذي يباع بهِ الآن. وتتخلص اربع مئة الف فدان من زرع القطن وتزرع مزروعات اخرى ولا تعود الارض تزرع قطناً الاَّ مرة كل اربع سنوات فلا تضعف قوتها

زراعة قصب السكر

وضع الهر ولتر تيان الكيماوي في معمل الشيخ فضل رسالة في قصب السكر ابان فيها ان العقد السفلى من قضبان القصب الكثيرة السكر لا تصلح للزرع (للتقاوي) مثل العقد العليا وهذه العقد العليا فيها سكر اقل قابليَّة للتبلور من سكر العقد السفلى واقل منهُ ثمناً فيكون من اتخاذ التقاوي منها فائدة مضاعفة

واصلح الاراضي لزرع قصب السكر الممزوجة من الطين والرمل وفيها نحو واحد في المئة من الجير ولا بدَّ من اجتناب الاراضي الحامضة واما الاراضي المالحة فيمكن غسل الملح منها بالماء والمصارف

واذا كانت الارض خفيفة فتستفيد زراعة السنة الاولى منها بالسماد الفصفوري والنيتروجيني ولا بدَّ من السماد النيتروجيني لزراعة السنة الثانية. واذا استعملت الحكمة في اختيار التقاوي وخدمة الارض فمن ذلك فائدة اكثر ممَّا لو استعملت الاسمدة الغالية الثمن

واشار بان لا تقرَّب عيدان القصب بعضها من بعض وقت زرعها لكي يبقى بينها مجال للهواء ونور الشمس لانها اذا قربت بعضها من بعض نبتت طويلة ضعيفة وقلَّ السكر منها. واذا كانت الارض خفيفة فلا بأس بتقريب العيدان بعضها من بعض واما اذا كانت ثقيلة وجب ابعادها بعضها عن بعض

والقصب ليس من النباتات المائية فلا يصلح ان يركد الماء في ارضهِ ويحسن ان يمنع ريهُ مطلقاً قبل قطعهِ بشهر او شهرين . وحالما يقطع القصب ينقل الى المعمل والاَّ خسر من وزنهِ واحداً الى واحد ونصف في المئة كل يوم يبقاهُ في ارضهِ مقطوعاً وينقص سكرهُ ايضاً

والسكَّر في القطر المصري نحو ١٤ في المئة من القصب وزناً اي مثل ما هو في اشهر البلدان في زراعة القصب ككوبا وجاوى فانهُ فيهما من ١٤ في المئة الى ١٥ في المئة

وذكر ان غلة السكَّر في كل البلدان ٦٧٣٩٠٠٠ طن واكثرها من البلدان التالية

الهند الشرقية	٣٥٠٠٠٠٠	طن
جاوى	٠٥٥٦٠٠٠	"
برازيل	٠٣٠٠٠٠٠	"
الولايات المتحدة	٠٢٣٠٠٠٠	"
كوبا	٠٢٢٠٠٠٠	"
جزائر فيلبين	٠٢٢٨٠٠٠	"
جزائر صندويج	٠٢٠٣٠٠٠	"
الصين	٠٢٠٠٠٠٠	"
موريتوس	٠١١٥٠٠٠	"
دمرار	٠١١٠٠٠٠	"
مصر	٠١٠١٠٠٠	"
كوينسلند	٠٠٩٦٠٠٠	"
ارجنتينا	٠٠٨٥٠٠٠	"
بيرو	٠٠٧٥٠٠٠	"
مكسيكو	٠٠٧٠٠٠٠	"
بورتوريكو	٠٠٦٦٠٠٠	"
وجملة المستخرج من اسيا	٤٥٥٩٠٠٠	"
ومن اميركا	١٥٠٩٠٠٠	"
ومن استراليا	٠٣٥٧٠٠٠	"
ومن افريقية	٠٢٩٢٠٠٠	"
ومن اوربا	٠٠١٥٠٠٠	"

فاسيا اكثر البلدان استخراجاً للسكر وتتلوها اميركا فاستراليا . اما اوربا فيزرع القصب فيها في اسبانيا لا غير . ولا يبعد ان تتسع زراعتهُ في افريقية بعد ان رسخت فيها قدم الاوربيين

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي تدرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البيض في الطعام

امتحان البيض

فرخ الطائر يولد من بيضة فيتكوَّن منها لحمهُ وعظمهُ ودماغهُ واعصابهُ وريشهُ . ففي البيض كل العناصر اللازمة لتكوين جسم الحيوان لحماً وعظماً وجلداً وشعراً ودماغاً واعصاباً

ومن طبيعة البيض انهُ يفسد سريعاً ولاسيما في البلدان الحارَّة فلا يؤكل الاَّ اذا كان جديداً او خالياً من الفساد ويعلم ذلك بان تضع البيضة بين عينك ونور الشمس الساطع فاذا بان محها (صفارها) مستديراً والزلال حولهُ صافياً نقياً فهي جديدة او خالية من الفساد . وكذلك اذا وضعت البيض في اناء وصببتَ فيهِ ماء فالجيد يبقى في الماء واما غير الجيد فيطفو عليهِ

سلق البيض

يسلق البيض متى كان جديداً والاَّ عسر سلقهُ ولم يستطب طعمهُ . ويغلى الماء اولاً وتوضع كل بيضة فيهِ على حدتها بملعقة تصل بها الى اسفل الاناء لئلاَّ تقع فيهِ وتتكسر . والمدَّة اللازمة لسلقهِ في الماء الغالي من ٣ دقائق الى ١٥ دقيقة فاذا ترك في الماء ٣ دقائق فقط بقي كانهُ غير مسلوق واذا وضع ٦ دقائق بقي ليناً كالزبدة واذا سلق من ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة اشتدَّ كثيراً وهو الصالح لعمل السلطة ونحوها

وخير من ذلك ان يوضع البيض في اناء فيهِ ماء بارد ثم يوضع الاناء على النار عشر دقائق . او ان تأخذ لسلق ست بيضات اناء يسع اربعة ارطال مصرية من الماء وتغلي الماء فيهِ ثم تضعهُ في مكان دافيء وتضع البيضات فيهِ وتتركها عشر دقائق فتسلق جيداً واذا اردتها اشد قواماً فاتركها في هذا الماء عشرين دقيقة فتطبخ طبخاً

البيض بالزبدة

خذ ملعقتين من الزبدة وملعقتين من الدقيق ورطلاً من اللبن واربع بيضات وملعقة صغيرة من الملح وربع ملعقة صغيرة من الفلفل ونصف بصلة صغيرة وقليلاً من الخبز المحمَّص . واسلق البيضات ٢٠ دقيقة وضعها في الماء البارد ومتى بردت انزع قشرها واقطع كل بيضة ست قطع وافرم البصل فرماً دقيقاً وضع الزبدة في مقلاة صغيرة واحمها على النار وحمّر البصل فيها حتى يصفرّ ثم انزع البصل من الزبدة وضع فيها الدقيق وسخنهُ قليلاً واحترس لئلاَّ يحترق ثم ابعد المقلاة عن النار وصبَّ اللبن فيها فوق الدقيق وردها الى النار حتى تغلي ثم ضع الملح والفلفل والبيض وقدم ذلك علي قطع من الخبز المحمَّص مدهونة بالزبدة . ويمكن ان يعوَّض عن البصل المفروم بزوم البصل

البيض بالمقانق

خذ ملعقة صغيرة من مفروم البصل واربع ملاعق كبيرة من لحم المقانق ونصف ملعقة صغيرة من الملح وثمن ملعقة صغيرة من الفلفل وحمر البصل في اللحم فوق نار شديدة خمس دقائق واكسر ثماني بيضات واخبطها جيداً واضف اليها الملح والفلفل وضع اللحم والبصل في المقلاة على مكان بارد نوعاً من الفرن وصبَّ البيض فيها وحركهُ حتى يجمد وضعهُ في صحفة سخنة وقدمهُ مع خبز محمَّص عليهِ زبدة

صحة الحوامل

نشرت مجلة المنار الغراء في اجزائها الماضية نبذاً متوالية من رسائل معرَّبة اسمها اميل القرن التاسع عشر تظهر منها مزية التربية الانكليزية ويليق بكل ربات البيوت ان يطالعنها بالامعان من ذلك رسالة في الجزء ٤٥ الصادر في ٢٠ يناير تقول كاتبتها فيها

" جاء الدكتور وارنجتون وامرأتهُ الى هنا وامضوا يومين فسن لي شبه قانون اجري عليهِ في معيشتي بل هو الذي يتبعهُ معظم الانكليزيات الحوامل اللاتي يوصفن عادة بانهنَّ في حالة شاغلة . نصح لي بادامة الرياضة البدنية والتنزه ثم قال ما نصه اياكِ والاقتراب مما تضر مطالعتهُ من القصص التي تتولد من قراءتها الانفعالات السيئة الشديدة . كان اليونان أعقل منا لانهم كانوا يحيطون نساءهم في مدة الحمل بالتماثيل والصور الجميلة المنسوبة لمشاهير الاساتذة في فن التصوير واني لست أجزم بان هذا كان سبباً في اتيان اولادهم حسان الخلقة ولكني على كل حال اقول اذا كان مثل هذه التماثيل والصور وغيرها من الاشياء البديعة الصنع يحدث في نفوس

ذوي الفطر السليمة من الناس شعور الارتياح والانبساط ويكون فيها مدعاة اعتدال الامزجة وتوافق الطبائع فلم لا يكون من موجبات حفظ الصحة . كثير من السيدات عندنا يغلب عليهنَّ في طور الحمل الخمود وفتور القوى بسبب البطالة التي هي منشأ الامراض العصبية فانهنَّ لاشغل لهنَّ فيهِ سوى مساورة الاوهام ومطاردة الخيالات . اما انتِ فلما اعهده فيك من الشغف بالمناظر الخلوية اوصيك بالسعي وراء اجتلاء ما في الخليقة من رائع الجمال ورائق الحسن وبان تتخذي لنفسك اعمالاً مرتبة تشتغل بها يدك وعقلك

ولقد رأيت ان هذه النصائح كلها حكمة وعلم فاخذت نفسي بها وخرجت للتنزه من اليوم التالي لتلقيها بعد تدبير بعض الشؤون البيتية فلما رأتني نساء القرية مبكرة على الطريق بعثهنَّ كرم اخلاقهنَّ على ان يبتدرنني بالتحية قائلات " صباح بهي وبكرة سنية " ولم يكن الصباح كما قلن ولكنها عادة الناس هنا اذا تبادلوا التحية بالوقت فهم دائماً يميلون الى امتداحهِ قليلاً فشكرت لهنَّ حسن قصدهنَّ

لم أسر في تنزهي على الخليج بل اعتسفت الطريق في ريف يتسع فيهِ الفضاء للماشي كلما جدَّ بهِ السير ومما لاحظتهُ ان نساء كورنواي يضعن على رؤوسهنَّ برانيط من القش وقد اخترت ان احذو مثالهنَّ في ذلك فوضعت واحدة منها اتقاء لحر الشمس وحبّاً لما فيها من البساطة الكلية واخالني أروق في نظرك لو رأيتني بها . كنت أتقدم في هذا الريف على جهل من قراهُ ولكني كنت آمنة من الضلال لاني ما كنت قاصدة جهة معينة وكان ذلك اليوم من الايام التي كثيراً ما ترى في غرب انكلترا فكانت سماؤهُ محتجبة بالغيم وكانت تأتي من البحر ريح بليل فتجري بين اشجار العليق فتولد فيها رعدة طويلة وكانت الطيور تغرد حول عشاشها . قد أتى عليَّ حين من الدهر كنت فيهِ اجد على الخليقة اذا بدت عليها سمات الاغتباط والسرور وانا حزينة الفؤاد متبلبلة الافكار فما زلتَ بي حتى أثبت لي ان هذا الوجد والانفعال باطلان بعيدان من الانصاف وناشئان من الاثرة وحب الاختصاص فاصبحت الآن بفضل نصحك لي اسرُّ بما اجدهُ في سائر المخلوقات من آثار الفرح والابتهاج وقد تبين لي في ذلك اليوم بما انبعث في قلبي من وجدان الحنان والرحمة و بما عاينتهُ في المخلوقات من شواهد الفضل والنعمة ان الله سبحانهُ لم يلعن الارض ولم يغضب عليها

كانت بكرتي هذه من البكر التي انت تعرفها يدور في هوائها على سكونهِ مادة غزيرة مختلفة العناصر للتوليد والخصب فكان ينبعث من أشجار العوسج وحقول القمح والمسالك الموطأة نسمات فاترة مقوية كانت تسري بسببها الحرارة في جسمي فتصل الى وجهي فكأن الارض كانت

مصابة بحمى الربيع . ولقد ذكرتك في تسياري بين هذه المزارع وفكرت فيما سأناله عما قليل من شرف الامومة ان لم يحدث من الطوارىء ما يقطع موصول آمالنا . وفي هذا الوقت أحس قلبي بما انطوى عليهِ مكتوبك فتسابقت الى ذهني منذ هذه الكلمات وهي "فاني قد استودعتك اياه"

عند ذلك صحت قائلة لماذا لا اكون أنا في الحقيقة معلمة ولدي ؟ أليس من المعروف عن نساء الولايات المتحدة ان معظم تعليم الاطفال ذكوراً كانوا او اناثاً موكول اليهن ؟ بل ان مما يؤكده العارفون انهن يفضلن الرجال في القيام بهذه الوظيفة الصعبة واني سأجرب نفسي في الاقتداء بهن على ان هذا هو ما يراه زوجي فمن حيث انهُ قد عول على ترك المزايا التي لمدارسنا وغيرها من معاهد التعليم لاعتبارات أقدرها حق قدرها فلا بد ان احل محلهُ ولو حيناً من الزمن في القيام على تلميذنا الآتي وتربيتهِ وسيكون هذا آكد فرض عليَّ واخص ما افتخر بهِ وازهو . اشهد الله سبحانهُ على ما اقول واشهد عليهِ ايضاً امومة الفطرة الكبرى التي تدعوني بما فيها من القدوة الى العمل وانماء جميع قواي

ربما اضحكتك مني هذه المزاعم واني لعلى علم بكل ما يعوزني لاداء هذا الواجب الصعب المعضل لاني ينقصني كثير من المعارف وان كان والداي لم يغفلا تربيتي الاولى ولكن ما الذي يمنعني من الاستمرار على التعلم بنفسي اذا كنت لا ازال في السن الملائم لهُ فسأعلم ولدنا في الزمن الذي يشب فيهِ وينمو واتعلم انا ايضاً بتعليمهِ ولن اعتقد اني امهُ حقاً الاَّ اذا نفثت في روعهِ افكارك وزرعت في نفسهِ اصولك

ستعاون بقلبينا على هذا الامر الخطير فعليك الارشاد وعليَّ العمل وقد وعدتك بان اكون قوية وهذا هو قصدي وسأبلغهُ ملتمسة من الرياضة البدنية والمطالعة ما يلزمني من الصحة والعافية في جسمي وعقلي لاداء هذا الفرض العظيم . ومعاذ الله ان يكون من قصدي ان اصير الى احسن مما انا عليهِ الآن . نعم اني لست من الوليات ولا من النساك فقد اتى عليَّ زمن كانت تجذبني فيهِ جواذب اللذات الدنيوية وليس هذا الزمن عني ببعيد فاني لم اتجاوز الثالثة والعشرين من عمري ولم يكن تركي معاهد التمثيل وملاهي الغناء واندية الظرفاء التي كنت افتخر فيها بمصاحبتك مبنياً على رغبتي عنها وميلي الى غيرها وانما كان ذلك لما اصابنا من صروف الدهر ونوائبهِ التي سيظل ما جرتهُ لي من الكآبة والحزن مخيماً عليَّ طول حياتي . على اني لست آسى على شيء مما فات فارجو ان لا تظن بي ذلك واعتقد اني لو كنت مطلقة من قيود هذه المصائب لما انفككت عن اختيارك لي خلاً وقريناً واعلم ان الفراق لم يزدني فيك الاَّ حباً وانما انا أشكو من الم في نفسي . . . ولكن كما توجد طرق مادية لحفظ صحة البدن توجد ايضاً طريقة معنوية

لحفظ النفس وسلامتها من الامراض وهي رفعها الى معالي الامور وسأجربها فان ذلك على ما يقال يسكن من آلامها واذا صح هذا فاي غاية تسمو اليها افكاري وتعلو بها نفسي أشرف من رعاية ولد أربيه على اصولك واخلاقك . ان هذا لهو أكمل قصد وقفت نفسي على ادراكه

أنا مع انتظاري لهذا العمل الجليل أشتغل الآن بشؤون بيتية محضة . أما قوبيدون فانهُ قد صمم على ان يعمل عمل المزارعين فانهُ قد جلب الى مسرح الدواجن في بيتنا دجاجاً وبطاً وماعزاً وغيرها وكان في البيت برج عتيق مهجور فعمره ُ بالحمام. واني مهتمة غاية الاهتمام بكل هذا العالم الصغير وكنت قبلاً اعتقد في نفسي اني على شيء من علم الحيوانات لما قرأتهُ من الكتب المختلفة في التاريخ الطبيعي اما الآن فقد تبين لي مقدار خطائي في هذا الاعتقادفاني كل يوم أشاهد من عجائب الحيوانات ما لم يقل عنهُ العلماء شيئاً . وأنا وجورجية نوزع الحبوب على جميع هذه الدواجن التي يظهر من حالها انها تدرك محبتنا اياها لانها تأنس بنا وتفرح لرؤيتنا . انتهى

(المقتطف) هذه اقوال يحقُّ ان تكتب بالتبر امام كل زوجة. وبمثل هذه المعاني الراسخة في نفوس النساء الانكليزيات والاميركيات ارتقت هاتان الامتان وامتازتا على امم الارض كما يشهد مناظروهما من الفرنسويين والالمانيين والايطاليين . لكنهما لم تبلغا ما بلغتاه عفواً ولا احتفظتا بهِ من غير عناء بل ان كل ذوي الاقلام فيهما وكل مَن قويت في نفسهِ الغيرة الوطنية وكل خدَمة الدين ومعلمي المدارس والمحسنين والمتصدقين رجالاً ونساء كل هؤلاء يسعون دوامًا في التعليم والتهذيب ونشر المعارف العلمية والادبية





السيارات وحركاتها في شهر مارس ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء في اول الشهر ويبلغ تباينهُ الاعظم شرقًا اي ١٨° ١٦ً دقيقة عن الشمس في ٨ الشهر الساعة الاولى بعد الظهر . وتسهل رؤيتهُ قبل ذلك وبعدهُ بايام في

الشفق بعيد الغروب وهو يسير في هذا الشهر سيرًا مستقيمًا في برج الحوت ثم يظهر ثابتًا في ١٥ منهُ الساعة ٦ صباحًا و يسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا الى آخر الشهر . ويبلغ نقطة الراس في ٤ الساعة ١ بعد الظهر ويبلغ عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في ١٤ الساعة ٨ بعد الظهر و يمر بالاقتران السفلي في ٢٥ الساعة ٥ صباحًا ثم يصير نجم الصبح فيشرق قبل الشمس

الزهرة

تكون الزهرة نجم الغروب وتزداد لمعانًا يومًا فيومًا وتسير شرقًا بين الكواكب في برج الحوت وبرج الحمل

المريخ

يكون المريخ نجم الصبح ولا يرى بالعين لقربهِ من الشمس و يسير شرقًا في برج الدلو وبرج الحوت ويمرُّ بنقطة الراس في ١٨ الشهر الساعة ٩ مساء

المشتري

يكون المشتري نجم الصبح ولكنهُ يشرق قبل نصف الليلة و يسير شرقًا الى ٢٨ الساعة ١ صباحًا ثم يظهر ثابتًا و يسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا فيتجه غربًا بين الكواكب

زحل

يكون زحل نجم الصبح ويبلغ تربيعهُ الغربي في ٢٥ الساعة ١٠ مساء ويشرق نصف الليل ويكون في برج الرامي ويتجه شرقًا بين الكواكب

اورانوس ونبتون

يتجاوز اورانوس التربيع الغربي في ٣ الشهر الظهر و يظهر ثابتًا في ١٧ الساعة ١٠ صباحًا ثم يسير بين الكواكب سيرًا متقهقرًا

ويتم نبتون سيرهُ المتقهقر فيظهر ثابتًا في ٥ الظهر الساعة ٩ مساء ثم يسير سيرهُ المستقيم ويتجاوز التربيع الشرقي في ١٥ الساعة ٨ صباحًا

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة			
٠١	٠١ صباحًا	يقترن بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢١َ	جنوبيهُ
٠٢	٠٨ مساء	« بعطارد فيقع عطارد	٤° ٣٧َ	جنوبيهُ
٠٤	١٠ صباحًا	« بالزهرة فتقع الزهرة	٣° ٥٨َ	جنوبيهُ
٢٢	٠٣ مساء	« بالمشتري فيقع المشتري	١° ٠٨َ	شماليهُ

اليوم	الساعة			
٢٤	١٠ صباحاً	يقترن بزحل فيقع زحل	٠° ٤٩َ	جنوبيهُ
٢٩ — ٣٠	نصف الليل	« بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢٩َ	جنوبيهُ
٣٠	٠٩ صباحاً	« بعطارد فيقع عطارد	٢° ٥٩َ	جنوبيهُ

اوجه القمر

اليوم	الساعة	الدقيقة		
٠١	٠١	٣٠	صباحاً	الهلال
٠٨	٠٧	٣٩	«	الربع الاول
١٦	١٠	١٧	«	البدر
٢٤	٠٧	٤١		الربع الاخير
٣٠	١٠	٣٥	مساء	الهلال
٠١	١٢	١١	مساء	الاوج
١٥	٠٣	١٧	صباحاً	الحضيض
٣٠	٠١	٢٣	صباحاً	الاوج

باب التقريظ والانتقاد

اصلاح المحاكم الشرعية

الشكوى من المحاكم الشرعية في هذا القطر قديمة عامّة بعضها جارٍ على حدّ قولهم

ان نصف الناس اعداء لمن وُلّي الاحكام هذا ان عَدَل

وبعضها ناتج عن خلل في نظام المحاكم وبعضها عن نقص في علم القضاة وبعضها عن انحطاط مقام العدل في نفوسهم. اما الشكوى الاولى فلا علاج لها ولا هي دليل على وجود علة حقيقية تصح الشكوى منها واما بقية الشكاوى فلها مساس كبير بشؤون الناس وفيها وفي تلافيها وُضع هذا التقرير وواضعهُ الاستاذ العلاّمة المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فان نظارة الحقانية سألتهُ ان يتعهد المحاكم الشرعية مدة الصيف الماضي وينظر في اعمالها ويقدم لها نتيجة ما يتيسر

لهُ من البحث في احوالها فطاف على كثير من محاكم الوجه البحري واطّلع على ما امكن الاطلاع عليهِ من سجلاَّت ومضابط ومرافعات وسير في الاعمال وعرض ذلك على ما تقرَّر من احكام الشريعة الغراء وما وضع من اللوائح للمحاكم الشرعية . واستخلص من ذلك آراء بسطها لنظارة الحقانية في تقرير مسهب تكلم فيهِ اولاً عن الحاجة الى المحاكم الشرعية وقال انها " اذا ظهرت في مظهرها الديني الجليل وسارت سيرتها الشرعية القويمة ادخلت اصول النظام في اصغر البيوت فضلاً عن اعلاها واعادت بالعدالة الابوية ما فقدهُ الناس من نظام الالفة . وقد رأينا ان الرجل يدخل المحاكم الاهلية مخاصماً فيخرج منها محامياً فاجراً بن يقوم بين يدي قاضٍ ينطق بالعدل الالهي ان ينقلب وفي نفسهِ اثر من خشية الله " . وقال قُبيل هذا ان القاضي لا يكون كذلك "حتى يأخذ الشرع عن اهلهِ وتكون تربيتهُ على السنَّة الدينية الصحيحة ثم لا يكون القاضي حافظاً لنظام الاسر والبيوت بعد الاحاطة باحكام الشرع حتى يكون للشرع واحكامهِ سلطان اي سلطان على نفسهِ "

ولا يخفى ان كل خلل يقع في المحاكم مرجعهُ الاكبر قلَّة العلم وقلَّة العدل اما العلم فما يتيسر اكتسابهُ بالدرس والمزاولة واما العدل فخلق راسخ في النفس تصل اليهِ الامَّة بعد المزاولة الطويلة وتربي بزورهُ في الطفل والشاب في البيت والمدرسة والحقل والشارع حتى يملك النفس فلا تسير الاَّ بهِ . وعند صاحب التقرير ان التربية الدينية الاسلامية كافلة بذلك فقد قال " ان روح الشرع انما هو الحق والعدل والتزام الصدق في القول والاخلاص في العمل فلا يباح في ديننا لاحد ان يكذب كذبةً واحدة لتقوية حجتهِ والدين كافل للكل بالوصول الى حقهِ من اقوم الطرق واهداها "

وبعد ان ذكر الحاجة الى المحاكم الشرعية بالاسهاب عدَّد مواقع الخلل في ابنيتها وكتبتها واعمالها الكتابية والحسابية وما يجري فيها من المرافعات وطرق التنفيذ ونحو ذلك واشار بالعلاج الشافي من هذه الادواء اشارة حكيم ماهر محب لوطنهِ وامتهِ . ولا بدَّ من ان تقع آراؤهُ احسن وقع لدى نظارة الحقانية وتعمل بكل ما ترى لها سبيلاً الى العمل بهِ منها

وقد اعتنى حضرة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار بطبع هذا التقرير بعد ان قدَّم لهُ مقدمة بليغة بيَّن فيها سبب انشائهِ ولخص ما تضمَّنهُ من القواعد والمقاصد واسهب في بعض المطالب التي اختصر فيها صاحب التقرير كعدم حصر منصب القضاء الشرعي في الحنفية . والتقرير مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جدًّا وهو يباع باربعة غروش . فلحضرة واضعهِ وناشرهِ الشكر الجزيل على ما توخَّياهُ فيهِ من النفع العام

نوادر الكرام

ديوان العرب جامع لما لا يحصى من القصص والنوادر كما ترى في الكشكول والغرر ومحاضرات الادباء ومجاني الادب ونحو ذلك من الكتب القديمة والحديثة وقد اعتنى حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان بجمع نوادر السخاء التي جرت في ايام البرامكة ومن جاراهم من الكرام وطبعها في كتاب واحد جعل ثمنهُ خمسة غروش صاغ فاجاد وافاد

تقارير دار العلم السمثسونية

Reports of the Smithsonian Institution.

للكرماء سُبل كثيرة لاظهار كرمهم بعضها تنحصر فائدتهُ في انسان واحد او نفر من الناس كما ترى في النوادر المذكورة في الكتاب المشار اليهِ آنفاً وبعضها تعمُّ فائدتهُ اناساً كثيرين واممًا كبيرة وتدوم الى ما شاء الله ومن قبيل ذلك الهبة التي وهبها الرجل المحسن الشهير المسمى جمس سمثسن للحكومة الاميركية لكي تنفق من ريعها على تقدم العلوم والمعارف فان هذه الهبة كانت اولاً مئة الف جنيه ثم تضاعفت بما اضيف اليها من ريعها ومن هبات المحسنين وقد وسّع بها نطاق العلوم والمعارف توسيعاً لا مثيل لهُ وحسبنا شاهدًا على ذلك ما يرد الينا كل سنة من الكتب المطبوعة بريع هذه الهبة وما تدلُّ عليهِ هذه الكتب من البحث والتنقيب اللذين تدفع نفقاتهما من ريعها ايضاً فالتقرير السنوي عن دار التحف يبلغ اكثر من الف صفحة يتخللها مئات من صور التحف التي جمعت او وصفت تلك السنة . والتقرير السنوي عن لجان العلم والبحث فيهِ سبع مئة صفحة او اكثر ومقالات كثيرة علمية وفلسفية باقلام اشهر كتاب العصر مثل كلفن ولنغلي وكروكس ورامسي وفوستر وداروِن ومري وبتري ودوَر وميَر ومسبرو وكورني وغيرهم من كبار العلماء ومشاهير الكتاب ونحن نعتمد عليها في شرح بعض الحقائق كما ترى في الكلام على الاقمار في هذا الجزء

مجلتان جديدتان

الاولى مجلة علمية ادبية تاريخية اسمها القدس لحضرة صاحبها ومحررها طه المحتسب بالله خادم مقام خليل الرحمن وفيها مقالات دينية وادبية وتاريخية مثل "حاجة الانسان الى الدين". "واحكام الصيام وحكمه". وكيف تكون التربية الصحيحة ونبذة من تاريخ القدس الشريف .

والثانية مجلة علمية ادبية دينية تهذيبية اسمها مكارم الاخلاق الاسلامية امامنا العدد الثالث منها وفيهِ مقالة مسهبة عن العيد ونبذ كثيرة دينية وادبية . فنتمنى لهاتين المجلتين النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاطفال وتغيير الهواء

الاسكندرية . كامل افندي عياد . لي ابنة تبلغ من العمر شهرين وارغب في زيارة القدس الشريف وجبل لبنان في شهر ابريل المقبل فهل انتقالها بغتةً من قطر الى قطر يؤثر في صحتها وهل سفر البحر يضرها وهل الازدحام الشديد الذي يحصل عادةً في كنيسة القيامة بالقدس الشريف يؤذيها

ج لا ضرر من سفر البحر ولا من الذهاب الى جبل لبنان لا سيما وان عمر ابنتكم يكون حينئذٍ نحو اربعة اشهر . ولكن لا بدَّ من وقايتها من البرد الشديد في السفر برًّا وبحرًا . اما الازدحام فاذا طال فمنهُ ضرر كثير واذا لم يطل فضررهُ قليل

(٢) اصل الخماسين

ومنهُ سألني بعض الانكليز عن معنى كلمة " خماسين " ومن اي كلمة اشتقت فكان جوابي ان الاقباط اعتادوا ان يمكثوا خمسين يوماً بعد عيد الفصح بلا صوم ثم يصوموا فسميت المدة بين الفصح وبين الصيام خماسين ولما كان حرُّ الهواء يشتد عادةً في هذه المدة سميت الرياح الحارة خماسين . فما يقنع بهذا الجواب وقال لي انهُ طالع احد الكتب الانكليزية وفيها ان كلمة خماسين مركبة خما وسين ومعناها الهواء الحار فما هو الاصح

ج ان عيد الخمسين وهو المسمَّى بالعبرانية بالعنصرة وباليونانية بالبنديكستي او الخمسين يقع بعد الفصح بخمسين يوماً وهو عند اليهود تذكار لاستلامهم الشريعة وعند النصارى تذكار لحلول الروح القدس وكان نصارى هذا القطر يعيدونهُ من قديم الزمان

كما يعيدونهُ الآن . ويظهر لنا ان تعليلكم صحيح اي ان الرياح الحارَّة التي تهبُّ في مصر في فصل الربيع سميت خماسين لهبوبها غالبًا في هذه الايام بين الفصح وعيد الخمسين ويحتمل ان تكون قد سميت بالخماسين او بالخمسين لانها تهبُّ نحو خمسين يومًا من غير التفات الى عيد الخمسين. اما تركيبها من كلمتين معناهما الريح الحارَّة فلم نقف على ما يؤيدهُ. وقد وردت هذه اللفظة في احدث قاموس للغة الانكليزية وهو قاموس تشمبرس المطبوع سنة ١٨٩٨ وفيهِ ان كلمة خماسين من خمسين العربيَّة لانها تهب خمسين يومًا من منتصف مارس فما بعدهُ

(٣) الحرارة والجاذبية

الاسكندرية . نصر الله افندي ميخائيل. هل ان جاذبية الملاصقة تضعف بالحرارة كما يقال او ان الحرارة تقوي قوة الدفع في دقائق المادة حتى تصبح جاذبية الملاصقة ضعيفة بالنسبة اليها لا ضعيفة حقيقة او هي تضعف الاولى وتقوي الثانية معًا . اما اضعافها للاولى فيستدل عليهِ بامكان تحويل كل الاجسام الجامدة الى سائلة او غازية بحسب درجة الحرارة واما تقويتها للثانية فبمَ يستدلُّ عليهِ افيدونا ولكم الفضل

ج ان حقيقة هذه الجاذبية لم تعلم حتى الآن ولا علمت حقيقة المادة وقد فُرض ان دقائق المادة متحركة دوامًا وبينها ابعاد شاسعة بالنسبة اليها وان الحرارة قوة تزيد بها حركة هذه الدقائق سرعة فتتسع الفسحات التي تتحرك فيها وتتدافع فيزيد ابتعادها بعضها عن بعض فتنقص القوة الجاذبة التي كانت تبقيها على ابعادها الاولى لان حركتها هذه المبعدة للدقائق تقاوم فعل الجذب المقرّب لها حتى اذا زادت قوة الحرارة تفرقت دقائق المادة غازًا وزالت كل رابطة بينها او كادت. فاذا كانت حركة الدقائق الاصلية من مقتضاها مقاومة الجذب فتكون الحرارة مقوية للدفع ومضعفة للجذب معًا لان تقوية الواحد هي اضعاف الآخر . وهذا الفرض يعدُّ الآن بين الحقائق العلمية

(٤) التلعثم

الاسكندرية . احد القراء . لما كنت اقرأُ رواية " تنكرد " التي عربتم منها خمسة فصول في الجزء الاخير ووصلت الى وصف اخلاق "دوق بلامنت ومركيز منتكيوت" الذي نال هذه الالقاب بعد وفاة ابيهِ الذي كان يغار منهُ ويهينهُ فيقف امامهُ متلجلجًا لا يبدي عذرًا . رأيت ان هذا الوصف ينطبق على عواطفي واخلاقي لاني اعجب من ان حججي تكون قوية في ذهني وبرهاني ساطعًا في مخيلتي حتى اذا اضطررت الى الاحتجاج واحتجت الى البرهان اعتقل لساني وتلجلج فلا البث ان تضعف حججي ويوهن برهاني

فجئت اسأل حضرتكم هذا السؤال هل طلاقة اللسان (والفصاحة) عاطفة غريزية او مكتسبة وكيف تكتسب فافيدونا ولكم الشكر. وحبذا لو هديتمونا الي دواء نعالج بهِ هذا الاعتقال فتكونوا قد خدمتم انساناً واذقتموهُ لذة التعبير عن "سوانح افكارهِ"

ج يظهر لنا انكم مصابون بشيءٍ من اللعثمة وهي خلل وراثي او مكتسب قلما يظهر قبل السنة الرابعة او الخامسة ولكنهُ قد يظهر بعد ذلك على اثر الحمى او غيرها من الآفات وسببهُ القريب في الحنجرة وقد تشترك الرئتان معها فيهِ . وهذه الآفة تقبل الشفاء وقد تشفى من نفسها من غير علاج وتقلُّ بالتقدُّم في السن غالباً. واذا عقدتم النية على اصلاح نطقكم وتمهلتم في الكلام وعودتم نفسكم على التنفُّس المنتظم واخراج الصوت من الصدر فالمرجح عندنا انكم تتغلبون على هذا الخلل وتنجون منهُ ولكن لا بدَّ من المزاولة في ذلك كما لا بدَّ منها للنجاح في كل امرٍ. اما طلاقة اللسان فامرطبيعي ولكن المزاولة تزيد اللسان طلاقة ونعرف شباناً كانوا لا يحسنون الافصاح عمَّا في فؤادهم بعشر كلمات فزاولوا التكلم والخطابة فصاروا من الخطباء

---

(٥) اختلاف الاذواق

بغداد . الشيخ يعقوب ميخا . ما السبب في اختلاف الناس في المآكل والمشارب فاننا نرى منهم من تولَّع باكل الحموضات دون الحلويات. وبعضهم يرغب في اكل المطبوخات الثخينة دون الحموضات وهلمَّ جرًّا

ج ان اختلاف الاقاليم والبقاع وسائر ملابسات الناس يؤثر في امزجتهم فتختلف كثيراً ويتبعها اختلاف العادات . ولولا ميل الناس الى الاقتداء بعضهم ببعض وتسلُّط ناموس الوراثة عليهم لبَعُد ان نرى اثنين متماثلين تماماً في الاذواق والاميال . ولكن مشابهة تأثير الاقليم الواحد والميل الى الاقتداء يجعلان عادات الشعب الواحد متماثلة فترى اهالي الاقاليم الباردة يكثرون من اكل الاطعمة الدهنية لانَّ اقليمهم البارد يجعل ابدانهم في حاجة الى المواد التي تتولَّد منها الحرارة في ابدانهم فرأوا بالاختبار ان اكل المواد الدهنية يدفئهم فاعتادوهُ . والظاهر ان الذين يأكلون المواد الحامضة رأوا من اكلها فائدةً لهم لاحتياج ابدانهم اليها فاعتادوها وهلمَّ جرًّا . فاختلاف الناس ناتج عن اختلاف اقاليمهم وسائر ملابساتهم

(٦) عبد الله بن المقفع

ومنهُ . هل كان عبد الله بن المقفَّع الكاتب البليغ المشهور مسلماً او نصرانيًّا فان الامير شكيب ارسلان طابع الدرة اليتيمة يعدهُ مسلماً وفي الجزء الرابع من مجاني الادب يحسب من جملة شعراء النصرانية وخطبائها

ج لم نجد الدرة اليتيمة الآن لنرى

ما قالهُ الامير شكيب ارسلان فيها ولكننا رأينا ما ذكر في مجاني الادب فما ورد في الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ في الحاشية يشير الى ان عبدالله بن المقفع نصراني ولو لم يكن قاطعاً في ذلك واما ما ورد في شرح المجاني فلا يستدلُّ منهُ على انهُ كان نصرانياً او غير نصراني . ولم نجد في ما لدينا من الكتب ما يؤيد هذا القول او ذاك ولكن اذا اختلف طابع الدرة اليتيمة وطابعو مجاني الادب في مسالة تاريخية فنحن اميل الى تصديق ما يقولهُ طابعو المجاني لان عندهم مكتبة واسعة يستطيعون ان يجدوا فيها حقائق المسائل المختلف فيها

(٧) اصل كليلة ودمنة

ومنهُ . من اية لغة عرّب كتاب كليلة ودمنة لانني اذكر انكم ذكرتم في احد اجزاء المقتطف الماضية انهُ عرّبهُ من اللغة السريانية وفي مقدمة الكتاب يذكر انهُ عربهُ من اللغة الفارسية فما رأيكم في ذلك

ج ان كنّا قد ذكرنا في المقتطف ان كتاب كليلة ودمنة عرّب من السريانية فيكون ذلك رأياً لاحد العلماء لا لنا . ولكن جمهور الباحثين على ان النسخة العربية معرّبة من البهلولية الفارسية كما قيل في مقدّمة الكتاب . ويقال عند التدقيق ان اثني عشر فصلاً من فصول الكتاب هندية الاصل وثلاثة فارسية الاصل وستة عربية الاصل اما ابن المقفع فلم يترجم عن الهندية بل عن الفارسية كما قال . وفي السريانية ترجمة اخرى لهذا الكتاب ترجمت نحو سنة ٥٧٠ للميلاد اي قبل الترجمة العربية بنحو ١٨٠ سنة . وقيل في انسكلوبيذيا تشمبرس ان اول نسخة اكتشفت حديثاً من هذه الترجمة كان اكتشافها في المكتبة الاسقفية بماردين سنة ١٨٧٦ . وقال الدكتور رَيْط في الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ اكتشف نسخة اخرى سريانية في مدرسة اللاهوت بمدينة دبلن وهي مترجمة عن العربية لا عن الفارسية في نحو القرن العاشر او الحادي عشر و يظهر منها ان النسخة العربية التي اعتمد عليها المترجم اوسع من النسخة العربية التي نشرها ده ساسي لان فيها فقرات لا توجد في نسخة ده ساسي . فالنسخة العربية مترجمة عن الفارسية (البهلوية الفارسية) والنسخة السريانية الاولى مترجمة عن الفارسية ايضاً واما السريانية الثانية فترجمة عن العربية

---

(٨) اصل ماء البحر

مصر . الشيخ صالح خروبي الازهري . يقال ان هذه اليابسة كانت مصهورة ثم اخذت بالجمود رويداً رويداً ولم يزل مركزها وما حولهُ ذائبين . فعليهِ اين كانت البحار حينئذٍ أكانت موجودة حال ذوبانها او بعد ان جمدت قشرة الارض و كيف كان وجود مياه البحار

ج لما كانت الارض مصهورة من شدة الحر كان ماء البحار بخاراً ممزوجاً بالهواء المحيط بالارض او كان محلولاً الى عنصريهِ الاكسجين والهيدروجين وهما غازان فيكونان منتشرين في الهواء ولم ترسب المياه في بحار الارض الاَّ بعد ان برد سطحها وجمدت

(٩) زيادة البحر ونقصانهُ

ومنهُ . هل وجدت البحار على حالها الحاضرة او هي آخذة في الزيادة او في النقصان أوَ لا تفني الحرارة جزءا من الماء ولو كان قليلاً ثم يصير كثيراً بكرور الايام فاذا كان الامر كذلك لزم عنهُ نقصان مياه البحار نقصاناً بيناً مع ان المشاهد خلاف ذلك

ج لما بردت الابخرة ورسبت ماءً كانت البحار اوسع مما هي الآن وماؤها اغزر ثم ضاقت البحار وقلت المياه لا لان الحرارة تفنيها كما قلتم لان الحرارة لا تفني شيئاً والعلم الطبيعي لا يسلّم بوجود الفناء في شيء ولكن لان الماء يدخل في تركيب صخور الارض وهو المسمى عند الكيماويين بماء البتلور فكلما برد جانب من الارض وجمد وتبلّور انحبس فيهِ جانب من الماء . ولا يبعد ان تنضب مياهُ البحار كلها على كرور الايام فتمسي الارض جافة خاوية مثل القمر فان بحارهُ قد نضبت كلها منذ ادهار طويلة . ولا عبرة بعدم مشاهدتنا نقص مياه الارض لان عمرنا فيها قصير جداً بالنسبة الى العصور الطويلة التي مرّت عليها . وما هو عمر نوع الانسان كلهِ بالنسبة الى الملايين الكثيرة من السنين التي مرّت على الارض

(١٠) سبب المد والجزر

ومنهُ . ما سبب المد والجزر واين يذهب الماء في حالة الجزر وما علاقة القمر بالمد حتى نراهُ يرتفع بارتفاع القمر

ج ترون ذلك موضحاً في مقالة عن الاقمار في هذا الجزء من المقتطف وخلاصتها ان القمر يجذب الارض كلها السائل منها والجامد لكن جذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ لقاع البحر في الجهة المقابلة لهُ لان الماء اقرب اليهِ من القاع وجذبهُ لقاع البحر اشد من جذبهِ لمائهِ في الجهة الاخرى من الارض لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ فتكون النتيجة ان الماء يرتفع في الجهة المقابلة للقمر وفي الجهة الاخرى من الارض ايضاً . ولا يقع الجزر الاَّ اذا اوقع المد فالماء الذي يجزر من مكان يمدُّ بهِ ماء مكان آخر

(١١) الفتور بعد النوم

ومنهُ . ما علة الخبل والفتور اللذين ينشآن عن النوم بعد العصر

ج اذا نام الانسان قلّ توارد الدم الى دماغهِ واجتمع كثير منهُ في احشائهِ فاذا لم تكن مدة النوم كافية لزوال الفضول من الدماغ استيقظ والدم قليل في دماغهِ والفضول لم تنزع كلها منهُ فيشعر بالفتور

المذكور لان النشاط لايكون الاَّ اذا تغذى الدماغ جيداً وكثرت الدقائق الجديدة فيهِ وقلّت الدقائق الهالكة منهُ وهو يتغذَّى وتكثر فيهِ الدقائق الجديدة بكثرة الدم النقي وتزول منهُ الدقائق الهالكة بواسطة توارد الدم الجديد مع الراحة الطويلة

(١٣) احماء مواقد البترول

ومنهُ . لماذا لا يشتغل الطبَّاخ ذو الظلنبة الاَّ اذا احمي اعلاهُ بشيءٍ من السبيرتو يوضع في مستدير تحت اعلاهُ واذا أُشعل بلا احماء خرج منهُ الدخان والرائحة المعهودان في زيت البترول

ج لا يزول الدخان والرائحة من زيت البترول الاَّ اذا اشتعل اشتعالاً تامًّا وهذا الاشتعال التام يقتضي درجة عالية من الحرارة حتى تتمكن بها غازاتهُ من الاتحاد باكسجين الهواء ويقتضي وجود كمية كافية من الاكسجين فباحماء الهنة المستديرة التي تشيرون اليها توجد الحرارة اللازمة لجعل غازات البترول تتحد باكسجين الهواء ثم ان احماءها يحرك الهواء فيأتي من تحتها ومن حولها ويصعد مع المجرى الصاعد منها كانها مدخنة القنديل وفي هذا الهواء اكسجين كافٍ لاحراق غازات البترول

(١٣) الفول والبراغيث

ومنهُ . ما العلاقة بين ظهور الفول وهيجان البراغيث وكثرتها

ج لا علاقة بينهما ولكن يتفق في هذا القطر ان يزهر الفول في فصل الربيع وتكثر البراغيث في فصل الربيع ايضاً

---

(١٤) فصل المعادن بعضها عن بعض

حمص . عطا الله افندي مبيض . اذا اختلطت معادن بعضها ببعض من فضة وذهب ونحاس وحديد وبلاتين وزيبق وصوديوم وروديوم ورصاص وقصدير وغير ذلك فهل من واسطة لتخليصها بعضها من بعض كلٌ على حدة افيدونا مفصلاً

ج اذا اردنا ان نتكلم مفصلاً عن طرق استخلاص المعادن كلها وجب علينا ان نترجم لكم كتاباً في علم المعادن واصغر كتاب رأيناهُ في هذا الموضوع كتاب دانا وهو لو ترجم الى العربية لملأ مجلدين كبيرين كلاًّ منهما اكبر من مجلد من المقتطف. والايجاز ايضاً اطول من ان يحتملهُ باب المسائل ولكننا نشير الى شيءٍ منهُ اشارة مثال ذلك اذا كان معدن النحاس مخلوطاً بالفضة كما يكون عادة وكانت الفضة تزيد على نفقات استخراجها من النحاس يضاف الى النحاس نحو ثلاثة امثالهِ من الرصاص ويصهر المعدنان معاً وتسبك منهما اقراص صغيرة ثم توضع هذه الاقراص في فرن خاص ويكون تحتها ميزاب عميق فيذوب الرصاص من الاقراص ويجري في الميزاب ويأخذ معهُ الفضة ويبقى

النحاس في الاقراص فقط . ثم يستخرج الرصاص من الفضة بطريقة يطول شرحها وبواتق واتاتين خاصة بذلك

هذا اذا كان مقدار المعادن كبيرًا واريد استخلاصها بالتعدين واما اذا كان مقدارها قليلاً واريد استخلاصها للامتحان الكيماوي فالعمل في ذلك ان يذاب المعدن بالحوامض التي تذوبه ويضاف اليهِ الحامض الهيدروكلوريك فيرسب منهُ كلوريد الرصاص والفضة والزيبق ويجمع الراسب ويغسل ويفرق بين هذه المعادن الثلاثة بان الماء الغالي يذيب كلوريد الرصاص ولا يذيب كلوريد الفضة والزيبق هذا . وماء النشادر يذيب كلوريد الفضة

ثم يجرى في السائل الذي رسب منهُ الرصاص والفضة والزيبق هيدروجين مكبرت فيرسب منهُ البزموث والكدميوم والنحاس والزرنيخ والانتيمون والقصدير والذهب والبلاتين . ويغلى الراسب في الحامض الكبريتيك فيذوب البزموث والكدميوم والنحاس بعد اضافة حامض كبريتيك مخفف الى السائل . ثم يضاف ماء النشادر بزيادة فيرسب البزموث والكدميوم والنحاس ثم يذوب كل من الكدميوم والنحاس عند زيادتهِ فيفرقان عن البزموث ثم يفرق الكدميوم عن النحاس بان الحامض الكبريتيك المخفف الغالي يذيب كبريتيد الكدميوم ويبقى كبريتيد النحاس غير ذائب. وعلى هذا النحو تفرق بقية المعادن بعضها عن بعض كما ترون في كل كتاب للتحليل الكيماوي

---

(١٥) عصير الطماطم

المطاعنة .عطا الله افندي تناغو . كيف يحفظ عصير الطماطم من غير ان يعتريهُ الفساد

ج يضاف اليهِ ملحٌ كافٍ ويغلى على النار حتى يشتد قوامهُ ويصير مثل الزبدة فيوضع في قناني وتسدّ جيدًا فيحفظ كذلك

(١٦) المساهل للحوامل

ومنهُ . هل تمنع الحامل من اخذ المساهل كزيت الخروع والملح الانكليزي وما شاكل خوفًا على الجنين من الاسقاط كما يقول العامة

ج نعم تمنع من اخذ المساهل القوية ولا سيما بعد الشهر الرابع

---

(١٧) النوم الطويل

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . قرأت في احد التقاويم ان امرأة نامت ٥٥٠٠ يوم بلياليها من غير ان تستيقظ ساعةً في خلال تلك المدة الطويلة فهل ذلك صحيح

ج شاهدنا شابًا نام نحو شهر من الزمان ثم اصيب بدخل في عقلهِ ومات وقرأنا عن اناس ناموا اسبوعًا او اسبوعين او ثلاثة او اربعة او خمسة وترى نوادرهم مذكورة في الصفحة ٢٨٥ من المجلد الثالث من المقتطف.

وعن رجل نام واحدًا وسبعين يومًا متواليًا وقد ذكرت قصتهُ في الصفحة ٤٤٠ من المجلد السادس من المقتطف. وعن رجل آخر نام اربعة اشهر ونصف شهر نومًا متواصلاً وقصتهُ مذكورة في الصفحة ٤٣٠ من المجلد السادس عشر لكننا لم نسمع ولم نقرأ ولا نكاد نصدق ان احدًا ينام ٥٥٠٠ يوم اي اكثر من خمس عشرة سنة نومًا متواليًا





النور والغرف

اذا انيرت غرفة بعدد محدود من المصابيح واختلف لون جدرانها اختلف ظهور النور واشراقهُ فيها فاذا كانت جدرانها مغطاة بالمرايا كان اشراق النور فيها على اتمهِ واذا كانت مغطاة بالمخمل الاسود كان اشراق النور فيها على اقلهِ. ويختلف اشراق النور فيها بين هذين الحدين باختلاف لون جدرانها كما ترى في هذا الجدول

اذا كانت مغطاة بالمرايا	٩٢
« مدهونة دهانًا ابيض	٧٠
« « « برتقاليًا فاتحًا	٥٤،٨
« « « اخضر «	٤٦،٥
« « « اصفر «	٤٠
« « « ازرق «	٣٠
« « « اصفر قاتمًا	١٦،٢
« « « اخضر «	١٠،١
« « « ازرق «	٠٦،٥
اذا كانت مغطاة بالورق الاسود	٠٤،٥
« « بالجوخ «	٠١،٢
« « بالمخمل «	٠٠،٤

والدهان اللامع يعكس النور اكثر مما يعكسهُ الدهان غير اللامع

الكهربائية في الحرب

ابنا غير مرة ان التلغراف الاثيري يستعمل الآن في الحرب بين انكلترا والترنسفال والظاهر من كلام ماركوني ان الانكليز وحدهم يستعملونهُ لان اهالي الترنسفال ليس عندهم آلات صالحة من آلاتهِ. لكن استعمال التلغراف الاثيري لا يعد شيئًا امام التلغراف العادي فانهُ لما كانت رحى الحرب دائرة على نهر مدر ارسل الانكليز بهِ مئة الف كلمة في يوم واحد اي ما يملأُ مئتين وخمسين صفحة من صفحات المقتطف

النور الكهربائي في معرض باريس

سينار معرض باريس المقبل باثني عشر

الفاً و ٥٥٤ مصباحاً كهربائياً بين كبير ساطع كالشمس وصغير عادي هذا عدا المصابيح التي ينير بها العارضون معروضاتهم . و ينار الشان اليزه بمئة واربعة وسبعين مصباحاً من ذوات النور القوسي الساطعة النور

الشعور باللون

نشر العلماء الذين ارسلوا منذ مدة لدرس طبائع اهل غينيا الجديدة بعض ما وقفوا عليهِ من امور تلك الشعوب المتوحشة . من ذلك ان شعورهم بالالوان ضعيف جدًّا فاهالي جزيرة ليفو لا يشعرون بها ابدًا أما من بقي من تلك الشعوب فليس في لغتهم اسم الاَّ للون الاحمر وهم يشعرون قليلاً بالاصفر أما الازرق فلا يشعرون بهِ

و يظهر ان الشعور باللون الازرق خاص بالشعوب البالغة درجة سامية من التمدُّن حتى ان اليونان القدماء سموا الازرق اسود والاسود ازرق في اقدم كتاباتهم ووصف فرجيل الشاعر الغيوم بالزرقة والبنفسج بالسواد وادخل الانكليز اسم اللون الازرق الى جزائر مري فصار سكانها يعبرون عن هذا اللون باللفظة الانكليزية فيقولون " بلو بلو " لكن هذه الحاسة ليست واضحة عندهم وضوحها عندنا

طعام جديد

جاء في احدى الجرائد الفرنسوية ان احد علماء الكيمياء في اميركا اكتشف طريقة لتجفيف الاطعمة من غير ان تخسر شيئاً من عناصرها الغذائية وذلك انهُ وضع قطعة من اللحم في مجرى كهربائي قوي يصحبهُ مجرى من الهواء الحار فجفَّ اللحم وخسر ٧٠ في المئة من حجمهِ الاصلي وتحوَّل الى مسحوق دقيق الملعقة الصغيرة منهُ تقوم مقام قطعة كبيرة من اللحم فيستطيع الانسان ان يحمل في جيبهِ ما يقيتهُ بضعة ايام

المؤتمرات العلمية في المعرض

عينت الاوقات لاشهر المؤتمرات العلمية التي يراد اجتماعها في مؤتمر باريس المقبل وهي

العلوم المحضة وعلم الطيور	من ٢٦ — ٣٠ يونيو
المتيورولوجيا	٢٣ — ٢٨ يوليو
الطبيعيات والرياضيات	٦ — ١١ اغسطس
الجيولوجيا	١٦ — ٢٨ «
الكهربائية	١٨ — ٢٥ «
الانثروبولوجيا والاركيولوجيا	٢٠ — ٢٥ «
السيكولوجيا	٢٢ — ٢٥ «
الاثنوغرافيا	٢٦ — ١٠ سبتمبر
الكيمياء	٢٠ — ٢٩ «
النبات	١٠ — ١٦ اكتوبر
زراعة الجنائن	٢٥ — ٢٧ مايو
« الحراج	٠٤ — ٠٧ يونيو
المعادن والتعدين	١٨ — ٢٣ «
زراعة الكرم	٢٠ — ٢٣ «

الزراعة عموماً	٠١ — ٠٧ يوليو
الفوتوغرافيا	٢٣ — ٢٨ يوليو
الكيميا الصناعية	٢٣ ٣١ «
الملاحة	٣٠ يوليو — ٤ اغسطس
الصيدلة	٠٨ اغسطس
الجغرافية التجارية	٢٣ — ٣١ اغسطس
زراعة الاثمار	١٣ — ١٤ سبتمبر
سكك الحديد	٢٠ — ٢٩ «
الطب الهوموباثي	٣٨ — ٢١ يوليو
« القانوني	٠٢ — ٠٩ اغسطس
طب الاسنان	٠٨ — ١٤ «
حفظ الصحة	١٠ — ١٧ «
الهبنوتزم	١٢ — ١٥ «

حل مسألة الطيران

كتب الدكتور دنيلوسكي الروسي الى جريدة السينتفك اميركان يصف البالون الذي استنبطهُ وطار بهِ وارتفع في الجو حتى غاب عن الانظار ثم عاد الى المكان الذي صعد منهُ ومع الرسالة صور فوتوغرافية لهذا البالون وهو بلوطي الشكل يصعد بخفَّة ثقلهِ ويدار من جهة الى اخرى باجنحة يديرها الصاعدون فيهِ . ومن رأي الروسيين الذين شاهدوا الدكتور دنيلوسكي طائراً فيهِ انهُ قد حلَّ مسألة الطيران

فرنسيس غلتن

من العلماء الذين زاروا القطر المصري هذا الشتاء العلاَّمة المشهور فرنسيس غلتن . وقد دعي للخطابة في الجمعية الجغرافية المصرية في ٢٤ فبراير فتكلم اولاً عن زيارتهِ لهذا القطر سنة ١٨٤٦ وذهابهِ الى الخرطوم ثم استطرد الى الكلام عما اكتشفهُ من ان اثر انامل الانسان ادلُّ دليل عليهِ لان اثر انامل كل انسان خاص بهِ وهو لا يتغير بتغير سنهِ تغيراً يمنع الاستدلال عليهِ كما ابنا ذلك مراراً في صفحات المقتطف . وقد سُرَّ لان هذه الطريقة مستعملة في محافظة مصر للاستدلال على المجرمين كما هي مستعملة في اوربا . ويعلم قراء المقتطف ان المستر غلتون اكتشف قانون الوراثة الذي نشرناهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف ولهُ مباحث جليلة فيها

المعرض الزراعي

وصفنا المعرض الزراعي في باب الزراعة في هذا الجزء ونزيد على ذلك ان عدد الذين دخلوهُ ودفعوا ثمن تذاكر الدخول بلغ ١٤٠٠ نفس في اليوم الاول والف نفس في اليوم الثاني و٦٢٧٨ نفساً في اليوم الثالث وهؤلاء عدا اعضاء الجمعية وعدا المدعوين الذين دخلوا بلا دفع في الايام الثلثة . فيقدر عدد الذين زاروهُ هذه السنة باحد عشر الف نفس . وهو يبلغ اضعاف اضعاف ما بلغ في السنة الماضية

ويقدر المطلعون على ما جرى في هذا

المعرض ان ما بيع من الآلات والادوات على اثر العرض فيهِ بلغت قيمتهُ من ٤٠ الى ٥٠ الف جنيه

ولهذا تهتم الجمعية الزراعية منذ الآن بزيادة تسهيل العرض فيهِ في السنة الآتية فيفكر بعضهم في بناء سقائف دائمة للآلات واسطبلات دائمة للمواشي ونحو ذلك من وسائط التسهيل

تعمير العلماء

نشر الاستاذ فترولا المكسيكي مقالة في اعمار المشتغلين اشغالاً عقلية ابان فيها ان متوسط عمرهم ٦٨ سنة ومتوسط عمر العلماء منهم والمحامين والمؤرخين اكثر من سبعين سنة

النجاح العام

ذكرنا في باب الزراعة في هذا الجزء ان قيمة الصادرات من القطر المصري زادت عنها في العام الماضي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة في قيمة الصادرات عمومية في اكثر الممالك فقد بلغت الزيادة في ثمن الصادرات من بلاد الانكليز نحو ٢٢ مليونًا من من الجنيهات . ومن بلاد فرنسا نحو ١٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات ومن بلاد المانيا نحو سبعة ملايين من الجنيهات ومن الولايات المتحدة الاميركية نحو اربعة ملايين من الجنيهات . ولم تبلغ الزيادة مبلغًا عظيمًا في الولايات المتحدة الاميركية لان الصادرات الزراعية منها بلغت اعظم مبلغ سنة ١٨٩٨ فزادت اربعة عشر مليونًا من الجنيهات عما كانت عليهِ في العام الماضي اما سائر المواد فزاد الصادر منها في العام الماضي زيادة بالغة فقد كان ثمن المصنوعات الصادرة منها سنة ١٨٩٨ نحو ٦١ مليون جنيه فبلغ في العام الماضي ٧٦ مليون مليون جنيه اي زاد ١٥ مليون جنيه في سنة واحدة

ويستدلُّ من ذلك على امرين مهمين الاول ان مناظرة الامم الاوربية للامة الانكليزية في التجارة الخارجية لم تضعف التجارة الانكليزية والثاني ان ابواب التجارة تزيد اتساعًا عامًا فعامًا وان الذهب قد كثر في ايدي الناس فسهل عليهم ابتياع الحاجيات والكماليات ايضًا

الانفاق على الكماليات

ذكرت جريدة الايكونومست مقدار ما استعملهُ الانكليز في العام الماضي مما ليس من الحاجيات كالشاي والتبغ والخمر والبيرة فقالت انهم استعملوا ٢٤٢ ٥٦١ ٠٠٠ رطل (ليبرة) من الشاي و٧٨ ٦٤١ ٠٠٠ رطل من التبغ و٣٩ ٥٤٠ ٠٠٠ رطل من الكوكو و٣٥ ٧٧٠ ٠٠٠ برميل من البيرة و١٦٦٦٢٠٠٠ جالون من الخمر و٢٦٨٠٠٠٠٠ رطل من البن . فيشرب كل نفس منهم في

سنته ستة ارطال من الشاي ورطلين من التبغ ورطلاً من الكوكو ونحو برميل من البيرة ونصف جالون من الخمر ونحو ثلثي رطل من البن . واذا حسبت الذين يشربون ذلك هم البالغون فقط وانهم نصف السكان تضاعف مقدار ما يشربهُ كل منهم

عيد بنك فرنسا

عيَّد بنك فرنسا عيد مرور مئة سنة عليهِ فقد انشيء في ١٣ فبراير سنة ١٨٠٠ وكان رأس مالهِ عند انشائهِ ٣٠ مليون فرنك (١٢٠٠٠٠٠ جنيه) مقسومة ٣٠٠٠٠ سهم كل سهم منها الف فرنك وقد اكتتب نبوليون وبعض اعضاء عائلتهِ ببعضها ولم يُكتتب بسوى ٧٥٠٠ سهم في اول الامر ولم يتم الاكتتاب بها كلها الاَّ بعد سنتين . وبلغ المال الذي اشتغل بهِ البنك في السنة الاولى من انشائهِ ٢١ مليون فرنك فقط . ثم زيد راس مالهِ رويداً رويداً وهو الآن ١٨٢٥٠٠٠٠٠ فرنك او ٧٣٠٠٠٠٠ جنيه وقيمة هذه الاسهم بحسب سعرها الحالي ٧٦٠ مليون فرنك اي اكثر من اربعة اضعاف قيمتها الاصلية

تجارة الحرير في ليون

بلغ الحرير الداخل مدينة ليون في العام الماضي ٧٥٥٨٧٢٠ كيلو غراماً وذلك يزيد عما كان في العام الذي قبلهُ نحو ١٧ في المئة وعن متوسط الاعوام العشرة الماضية نحو ٢٧ ½ في المئة . وتجارة الحرير في ميلان اتسعت اخيراً اكثر من اتساعها في ليون فقد كان مقدار الحرير الوارد اليها ٢٧٨١١٨٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٧ فبلغ ٨٧٢٣٧١٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٨

لورد لبك لورد افبري

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ان ملكة الانكليز انعمت على السرجون لبك بلقب لورد وجاء في جريدة ناتشر الآن انهُ اختار ان يلقب لورد افبري Avebury نسبة الى مكان لهُ فيهِ املاك . فسيكون اسمهُ من الآن فصاعداً لورد افبري . وهو اسلوب غريب للانكليز في تغيير اسمائهم حينما يمنحون القاب الشرف

العلم في جنوبي افريقية

ابتدأ العمران في شمالي افريقية في مصر وساحل بحر الروم الى بلاد المغرب فعمرت هذه البلدان قبلما عمرت غيرها من ممالك الارض ودخلها العرب وامتلكوها منذ الف وثلثمئة سنة وليس فيهم الآن من يجود بعشرة آلاف جنيه على انشاء مدرسة كبيرة. وابتدأ العمران في جنوبي افريقية في القرن الماضي وامتلكهُ الانكليز في اوائل هذا القرن وهو الآن يفاخر بالمدارس الجامعة وبالامس وهب واحد من سكانهِ مدرسة الراس الجامعة

ثلاثين الف جنيه . ووهب مدرستهُ الكلية عشرة آلاف جنيه

الاستاذ هيوز

يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذا المخترع من اختراعهِ للميكروفون وللاسلوب الذي تكتب بهِ الانباء التلغرافية كتابة . ولد ببلاد الانكليز سنة ١٨٣١ وهاجر بهِ ابواهُ الى اميركا فاستنبط فيها التلغراف الكاتب وهو في الرابعة والعشرين من عمرهِ فشاع استعمالهُ رويدًا رويدًا في المسكونة كلها وربح منهُ اموالاً طائلة انفق الكثير منها على المدارس والمستشفيات. واستنبط الميكروفون الذي تقوى بهِ الاصوات الضعيفة وذلك سنة ١٨٧٨ .ولهُ مستنبطات اخرى في الكهربائية. توفي ببلاد الانكليز في ٢٢ يناير عن ٦٨ سنة ودفن باحتفال عظيم في السابع والعشرين منهُ وحضر الاحتفال بدفنهِ كثيرون من كبار العلماء مثل لورد لستر ولورد كلفن والسر وليم كروكس والسر فردرك برمول والاساتذة طمسن ودوَر وبري وملدولا وغيرهم

هبة علمية فرنسوية

وهب المسيو دانيال اوزيرس انستتو فرنسا مالاً يبلغ ريعهُ مئة الف فرنك كل ثلاث سنوات ليعطي جائزة لمن يكتشف اعظم اكتشاف علمي او يؤلف افضل كتاب في العلوم والفنون والاداب

ترعة نيكارغوى

تمَّ الاتفاق بين الولايات المتحدة الاميركية والحكومة الانكليزية على فتح ترعة نيكارغوى بدل ترعة بناما فتفتحها الولايات المتحدة وتديرها ولكنها تبيح السير فيها لكل الامم مثل ترعة السويس

التطعيم الواقي من التيفويد

قرَّر الاستاذ ريط انهُ راقب صحة ١١٢٩٥ من الجنود في بلاد الهند بعد ان طعّم ٢٨٣٥ منهم بالطعم الواقي من التيفويد فوجد انهُ اصيب بالتيفويد بعد ذلك ٢٥ في الالف من الذين لم يطعموا و ٩ في الالف من الذين طُعّموا ولذلك فالطعم نافع حتماً ولو كان لا يقي كل احد من الذين يطعَّمون بهِ

اكبر المصارف

قُدّرت النفقات اللازمة لمصارف القاهرة بنحو سبع مئة الف جنيه فجعلت الحكومة المصرية تقدّم رجلاً وتؤخر اخرى وهي تجد المال اللازم لذلك غير ميسور لها . وفي اول هذا العام فتحت مدينة شيكاغو باميركا مصرفاً كبيرًا صنعتهُ لتنزح فيهِ الاقذار منها بدلاً من صبها في بحيرة مشيغان التي تشرب من مائها. وقد انفقت على عمل هذا المصرف ستة ملايين من الجنيهات . هذا ما فعلتهُ مدينة اميركية لم يكن لها اثر في الوجود لما جاء محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الى هذا القطر

وقد عجزت عن عشرة اكبر مدينة في هذا القطر بل في افريقية كلها

نفقات المسكرات

قابل المستر مكفرلين في مجلة الاحد بين ماينفقهُ الانكليز على التبشير وعلى المسكرات فوجد انهم ينفقون في السنة مليونًا وثلث مليون من الجنيهات على التبشير و١٥٤ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات على المسكرات

التبغ والنساء

عُرضت مسألة تدخين النساء للتبغ على خمس من المكاتبات الشهيرات في جريدة النساء المسماة "لادس رلم" فكتب اربع منهنَّ في جواز التدخين وكتبت الخامسة في منعهِ. قالت الاولى " ان المرأة حرَّة ان تدخن اذا ارادت اما انا فاكره التدخين ولا يمكن ان اعتادهُ. ولا يليق بامرأة ان تدخن ما لم تجد لذة في التدخين تقابل ما فيهِ من الكراهة" وقال الثانية يتوقف جواز التدخين على احوال الزمان والمكان فاذا رأت المرأة ان تدخينها التبغ لا يزعج احداً جاز لها تدخينهُ لكن الفرص التي تمكنها من ذلك قليلة جدًّا . وقالت الثالثة ان ما يجوز للرجل يجوز للمرأة . ولكن لا يليق بامرأة ان تدخن التبغ حيثما تدخينهُ يؤذي احداً . وقالت الرابعة ان كل امرأة تجلس مثلي على مكتبها ثماني ساعات متوالية تجد في السيكارة دماغًا جديداً . وقالت الخامسة ان المرأة التي تدخن تصير مترجلة مكروهة وحبذا لو تجنبها الرجال فانهُ لا شيء يردها الى صوابها مثل ابتعادهم عنها

جريدة النساء اليومية

في فرنسا جريدة يومية ينشئها النساء ويديرها النساء ويطبعها النساء ولا يشاركهن فيها رجل وهي ابلغ الجرائد الفرنسوية انشاء واصحها اخباراً واوسعها نطاقاً حتى لُقبت بالتيمس اللابس لبس النساء. وقد طبع من العدد الاول منها نحو مئتي الف نسخة . وفيها نحو ١٢ محررة وثلاثين كاتبة

خرائب السوس

يرى القارىء في ما نشرناهُ في هذا الجزء من تاريخ الاسكندر المكدوني ان السوس او سوسة كانت عاصمة بلاد الفرس في ايام الاسكندر. وقد وجَّه علماء العاديات عنايتهم اليها ووجدوا فيها كثيرًا من الآثار القديمة . ولما استعفى المسيو ده مورجان من ادارة دار التحف المصرية مضى اليها وبحث في اطلالها فوجد فيها تحفًا كثيرة وفي جملتها نصب اقيم للملك نارام سن تذكاراً لواقعة عظيمة تغلَّب فيها سنة ٣٧٥٠ قبل المسيح . ومسلة من الغرانيت علوها ست اقدام جوانبها مملوءة بالكتابات وعليها ١٢٠٠ سطر منها وشقف كثيرة من الخزف المدهون المنقوش نقوشًا بديعة

غلات اميركا

نشر ديوان الزراعة في اميركا الاحصاء الآتي لغلاتها سنة ١٨٩٩

الحنطة	٠٥٤٧ ٣٠٣ ٨٤٦	بشلاً
الذرة	٢٠٧٨ ١٤٣ ٩٣٣	«
الشعير	٠٠٧٢ ٣٨١ ٥٦٨	«
البطاطس	٠٢٢٨ ٧٨٣ ٨٣٢	«

وقد بلغ ثمن الحنطة نحو ٣٢٠ مليون ريال وثمن الذرة نحو ٦٩٢ مليون ريال وبلغت غلة الفدان من الحنطة ١٢ بشلاً وثلاثة اعشار. وغلة الفدان من الذرة ٢٥ بشلاً وثلاثة اعشار

الزيوت في اوربا

محل الزيتون في فرنسا وايطاليا واسبانيا هذا العام فلم ينتج ثلث الموسم العادي وسبب هذا المحل نوع من الحشرات يبيض في حبوب الزيتون ويفسدها

بعض المعارك الشهيرة

قتل وجُرح من الفرنسويين لما ارتدوا من موسكو ثلاثون الفاً. وقتل وجرح منهم في معركة لبسك سنة ١٨١٣ خمسة وستون الفاً في ثلاثة ايام وقتل وجرح منهم في واقعة استرليز نحو تسعة وعشرين الفاً. وقتل وجرح من الروسيين في بلاڤنا ١٨ الفاً. ولما نشبت حرب القرم اطلق الروسيون فيها ٤٥ مليون رصاصة فلم يقتلوا بها سوى ٤٨ الف نفس

نجاح سريع

تألف سنديكات في استراليا سنة ١٨٩٣ من عشرة اشخاص دفع كلٌّ منهم خمسة عشر جنيهاً وفتح مناجم كولغاردي في غربي استراليا. وقد باع هذه المناجم الآن فاخذ ثمنها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات واسهماً تساوي تسعة ملايين ونجاح مثل هذا نادر جدًّا لا يقاس عليهِ

قياس حرارة النجوم

صنع المستر نيكولس من مدرسة دارتموث الكلية باميركا مقياساً تقاس بهِ حرارة النجوم فيهِ صفيحتان صغيرتان من الميكا قطر الصفيحة منهما ماليمتران متصلتان بقضيب من الزجاج معلق بخيط دقيق جدًّا من زجاج الكوارتز فيجمع النور على صفيحتي الميكا بمرآة قطرها قدمان فتحركهما حرارتهُ مهما كانت قليلة فانهما تتأثران بحرارة الشمعة ولو كانت بعيدة عنهما خمسة عشر ميلاً اذا جمع نورها بالمرآة عليهما وقد ثبت بهذه الآلة ان للنجوم حرارة يمكن قياسها بها

تحريك القوارب عن بُعد

لم تبقَ شبهة في ان امواج هرتس الكهربائية تفعل على مسافة ثمانين ميلاً او اكثر من غير موصل ورغماً عن كل حاجز. اي ان الانسان الذي عندهُ آلة من آلات مركوني هنا يستطيع ان يولّد منها امواجاً

كهربائية تؤثر في آلة مثلها فتديرها ولو كانت على ثمانين ميلاً منها . وقد استخدم بعضهم ذلك لتسيير قوارب التربيد في قلب البحر ولتسيير السفن التي تجري تحت سطح الماء وجربتهُ الحكومة الانكليزية فرأت مبدأهُ صحيحاً ولا يبعد ان يفي بالغرض تماماً اذا أُتقن فتتغير بهِ اساليب الحروب البحرية

التلغراف الاثيري في السفن

استأجرت الحكومة الاميركية عشرين آلة من آلات مركوني لتضعها في عشرين سفينة حربية وستدفع اليهِ عن كل آلة مئة ريال كل سنة . ويقال ان الحكومة الانكليزية عازمة ان تضع آلات مركوني في كل بوارجها

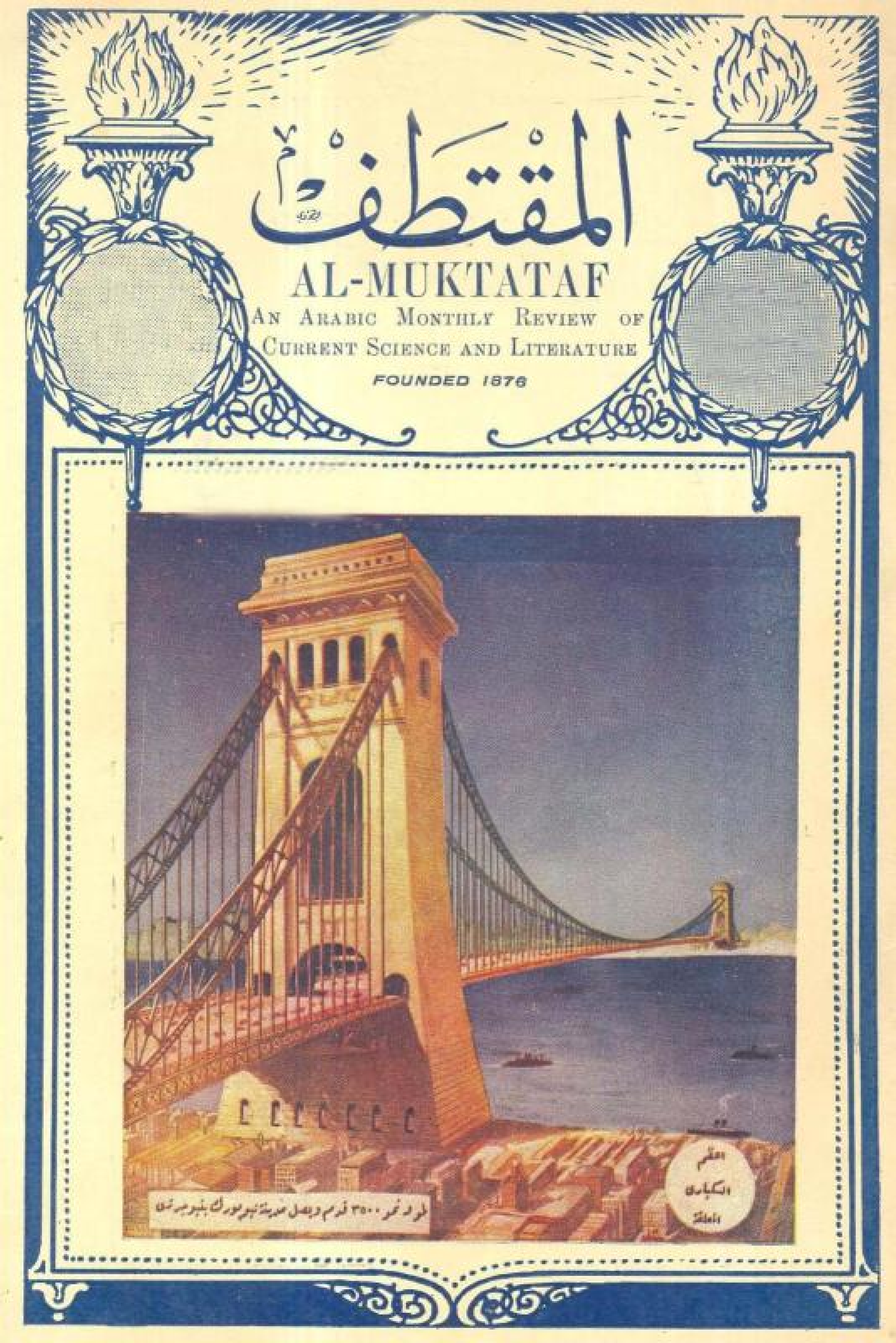
الاشتاء في روسيا

اعتادت الحيوانات التي لا تجد طعاماً في الشتاء ان تنام فصل الشتاء كلهُ لكي لا يزول شيء من قوتها وهي غير قادرة ان تستعيض عنهُ بالطعام . ومن اغرب ما ذكر عن احوال الانسان في هذا العصر ان فقراء الفلاحين في بلاد الروس اقتدوا بالحيوانات الشاتية فاذا اقبل الشتاء ورأوا ان ما عندهم من الطعام لا يكفيهم الى الربيع اذا اكلوا منهُ كفافهم اوقدوا النار في افران خاصة في بيوتهم وجعلوا ينامون على سطوح تلك الافران ولا يقومون الاَّ لاصلاح النار واكل كسرة من الخبز مبلولة بالماء . و يمر فصل الشتاء وهم كذلك حتى لا تضطر ابدانهم ان تنفق شيئاً من قوتها لا في الحركة ولا في توليد الحرارة

آثار قرطاجنة

لا تذكر قرطاجنة الاَّ اعترت السوريين هزة وتحسروا على مجد اسلافهم الذي امسى اثراً بعد عين . وقد نقب المسيو غوكله مدير العاديات في تونس بعض اطلال قرطاجنة في العام الماضي فوجد فيها كثيراً من آثار مجدها السالف من ذلك صفيحة من المرمر مقدَّمة للمشتري وعليها ختم اثني عشر كاهناً . واربعة تماثيل من الرخام الابيض واحد منها يمثل الالهة سرس التي قامت مقام الالهة تنت الفينيقية . ووجد في مدفن قديم كثيراً من الوجوه الخزفية المصنوعة على هيئات مفزعة لكي تزجر بها الارواح الشريرة عن الموتى . ووجد في قبور اخرى حلَى من الفضة وعقوداً من الحجارة الكريمة وخواتم من الذهب . وفي قبر منها هيكل امرأة في اصابعها خواتم من الذهب وفي عنقها عقد كبير من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة وبجانبها اناء من الخزف المدهون بالمينا وآنية من بيض النعام ومصباح . ووجد في قبر آخر قوالب من الخزف لسبك الاسماك والطيور . ومن اغرب ما وجدهُ اسطوانة من العقيق على صورة الاله مردخ يخنق نعامة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876
طوله نحو ٣٥٠٠ قدم ويصل مدينة نيويورك بنيوجرسي

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠ — الموافق ١ ذي الحجة سنة ١٣١٧

السيَّارات واقدارها



تلك الدراري زُحَل فالمشتري وبعده مريخها في الاثرِ
شمس فزهرة عطارد قمرْ وكلها سائرة على قَدَرْ

هذا ما قالهُ شاعر من ابناء هذا العصر بعد ان ثبت للمتأخرين ولفريق كبير من المتقدمين ان الشمس والقمر ليسا من السيَّارات مثل زحل والمشتري بل ان الشمس ام هذه السيَّارات

وكعبة تطوافها والارض سيارة من اصغرها والقمر تابع لها . ولا يُعلم من تغلَّب عقلهُ على وهمهِ اولاً فاستنتج ان الشمس اكبر من الارض وابعد من القمر عنها ولو كانت تُرى مثلهُ قرصاً صغيراً قطرهُ نحو شبر ولا اوّل من فرق بين السيّارات وسائر النجوم وسماها باسماء خاصة . ولا يبعد ان يكون الكلدانيون والمصريون اول من سبق الى ذلك فان عمرانهم اقدم من عمران غيرهم وقد رصدوا الافلاك منذ الوف من السنين وعرفوا كثيراً من الحقائق التي لا يزال بعض العلماء من ابناء هذا القطر وغيرهِ من الاقطار الشرقية يجهلها حتى الآن . ويثبت سبق الكلدانيين والمصريين الى معرفة هذه الحقائق الفلكيّة اذا ثبت ان فيثاغورس الحكيم اخذ عنهم كما قال بعض الكتّاب الاقدمين . وقد نقل بلينيوس عن فيثاغورس ان الشمس تبعد عن الارض ٢٩٨٣٧ ميلاً والقمر يبعد عن الارض ١٤٩٢ ميلاً

وذكر ارسترخس طريقة هندسية لمعرفة بعد الشمس والقمر او نسبة احدها الى الآخر مفادها انهُ اذا كان القمر في التربيع اي اذا استنار نصف وجههِ المتجه الينا في الدقيقة التي يحدث فيها ذلك تكون الشمس مواجهة لهُ فيقع النور منها عليهِ و ينعكس الينا على زاوية قائمة كما ترى في هذا الشكل اي تكون الشمس عند الحرف ش والقمر عند الحرف ق والارض عند الحرف ر فاذا قيست الزاوية

التي عند ر عُرفت الزاوية التي عند ش وتعرف نسبة ش ر الى ق ر اي نسبة بعد الشمس عن الارض الى بعد القمر عن الارض . لكن الدقيقة التي يحدث فيها التربيع اي يستنير فيها نصف وجه القمر المتجه الينا لا تسهل معرفتها ولا قياس الزاوية التي عند ر وقد قال ارسترخس انهُ قاس هذه الزاوية فوجدها ٨٧ درجة واستنتج من ذلك ان الشمس ابعد عنا من القمر تسعة عشر ضعفاً

ثم قام هبرخس في نحو سنة ١٥٠ قبل المسيح وحسب بعد الشمس من تناقص قطر ظل الارض الواقع على القمر وقت خسوفهِ فكانت النتيجة التي وصل اليها مثل النتيجة التي وصل اليها ارسترخس تقريباً ولذلك بقي العلماء على القول بها نحو الفي سنة الى ان قام العلماء الاوربيون وحسبوا الابعاد الحقيقية للشمس والقمر والسيارات كما سيجيء

وانتقل العلم الى العرب في ايام الخلفاء العباسيين فاخذوا العلوم الفلكية عن اليونان والرومان وزادوا فيها قليلاً وكان جمهور كتّابهم يذكرها بالحذر الشديد كانها علوم كفرية

يجب ان تحوَّط بكل ادوات الشك والريب . قال المسعودي في مروج الذهب زعم بطليموس صاحب كتاب المجسطي ان استدارة الارض كلها اربعة وعشرون الف ميل وان قطرها سبعة آلاف وستماية وستة وثلاثون ميلاً . ثم ذكر نسبة الارض والكواكب بعضها الى بعض فقال ذكر الاكثرون ان الارض اعظم من القمر بتسع وثلاثين مرة واعظم من عطارد بثلاث وعشرين الف مرة واعظم من الزهرة باربع وعشرين الف مرة . والشمس اعظم من الارض بمئة وسبعين مرة وربع وثمن واعظم من القمر بالف وستمئة واربع واربعين مرة . والارض كلها نصف عشر ثمن من الشمس. والمريخ مثل الارض وزيادة ثلاث وستين مرة والمشتري مثل الارض احدى وثمانين مرة ونصف وربع وقطره ثلاثة وثلاثون الف ميل وستة عشر ميلاً . وزحل اعظم من الارض تسعاً وتسعين مرة ونصفاً وقطره اثنان وثلاثون الف ميل وسبعمائة وثلاثون ميلاً

ثم ذكر ابعاد هذه الكواكب عن الارض فقال ان بعد القمر الابعد ١٢٨٠٠٠ ميل وبعد عطارد ٧٠٣٣٠٠٠ ميل وبعد الزهرة ٤١١٩٦٠٠ ميل وهلمَّ جرًّا وجعل بعد الشمس عن الارض ٢/١ ٤٠٠٠ ٨٠٢٠٠٠ ميل . ولا ندري عمَّن نقل هذه الابعاد ولا كيف استخرجت على هذا النحو

والمعروف الآن ان السيارات الكبيرة ثمانية وهي عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وزحل واورانوس ونبتون واقربها من الشمس عطارد وابعدها عنها نبتون . وبين المريخ والمشتري سيارات صغيرة تسمى النجيمات اكتشفوا منها الى الآن اكثر من ٣٤٠ نجيمة . واكبر السيارات المشتري واصغرها عطارد اما النجيمات فاصغر من ذلك كثيرًا . وقد رسمنا الشمس والسيارات في صدر هذه المقالة حسب نسبة اتساعها بعضها الى بعض فالدائرة البيضاء الكبيرة قرص الشمس والدوائر السوداء التي في وسطها اقراص السيارات . وتظهر نسبتها بعضها الى بعض ايضاً من هذا الجدول

	القطر اميالاً	البعد عن الشمس		مدة دورانهِ حول الشمس	
عطارد	٠٣٠٠٨	٠٠٣٦	مليون ميل	٠٠٠٨٨	يوماً
الزهرة	٠٧٤٨٠	٠٠٦٦	" "	٠٠٢٢٥	"
الارض	٠٧٩٢٦	٠٠٩٢	" "	٠٠٣٦٥ ٤/١	"
المريخ	٠٤٩٩٩	٠١٤١	" "	٠٠٦٨٧	"
المشتري	٨٨٤٨٩	٠٤٨٣	" "	٠٤٣٣٢	"
زحل	٧٥٠٣٦	٠٨٨٦	" "	١٠٧٥٩	"

	القطر اميالاً	البعد عن الشمس	مدة دورانهِ حول الشمس
اورانوس	٣٠٨٧٥	١٧٨٣ مليون ميل	٣٠٦٨٧ يوماً
نبتون	٣٧٢٠٥	٢٧٩٤ « «	٦٠١٢٧ «
الشمس	٨٦٦٢٠٠		
القمر	٢١٦٠		

ومادة الشمس مثل خمسة ملايين من مادة عطارد ومثل ثلاثة ملايين من مادة المريخ و٤٢٥ الفاً من مادة الزهرة و٣٣٢ الفاً من مادة الارض و١٠٤٨ من مادة المشتري و٣٥٠٠ من مادة زحل و٣٢٦٠٠ من مادة اورانوس و١٩٤٠٠ من مادة نبتون و٢٤٤٩٠٠٠٠ من مادة القمر وذلك كلهُ بوجه التقريب

وهذه السيارات تقرب من الارض وتبعد عنها حسب دورانها حول الشمس ودوران الارض ولكنها تبقى على بعد شاسع منها فاقرب بعد المريخ عن الارض ٣٣٨٧٤٠٠٠ ميل واقرب بعد الزهرة ٢٣٦٥٤٠٠٠ ميل واقرب بعد عطارد ٤٧٩٣٥٠٠٠ ميل واقرب بعد الشمس ٩١٢٣٩٠٠٠ ميل

هذا ولا ندري ما يقول المرء لنفسهِ حينما يمعن نظرهُ في الصورة التي في صدر هذه المقالة ويرى الشمس فيها كرةً كبيرة والارض نقطة صغيرة بالنسبة اليها واربعاً من السيارات كلاًّ منها اكبر من الارض كثيراً وكل هذه الكواكب والشمس معها لا تُحسَب شيئاً مذكوراً في جنب النجوم المنتشرة في الفضاء . الارض بجورها وبرورها وسهولها ونجودها وجبالها ووهادها وكل ما عليها من طوائف الحيوان وانواع النبات وكل ما فيها من المعادن والفلزات لا تحسب شيئاً مذكوراً بازاء اصغر شمس من الوف الشموس المنتشرة في هذا الفضاء. والانسان ونسبتهُ اليها نسبة القطرة الى البحر يعدُّ نفسهُ سيد المخلوقات . ولو لم يصنع غير التلسكوب آلة للنظر لسُفّهَ رأيهُ وعدَّ فعلهُ من الخيلاء لكنهُ صنع آلة أُخرى ترفع قدرهُ وتعلي مقامهُ وهي الميكرسكوب الذي يريهِ عوالم كثيرة من الاحياء لو جُمع الالف منها ما ساوى حبة الرمل حجماً فيعود الى حسبان نفسهِ فوق مخلوقات لا تحصى ويرى الاحياء كلها سلسلة كثيرة الحلق وقد يكون اقرب الى اعلاها منهُ الى ادناها. ثم تريهِ مباحثهُ الجيولوجية والبلينتولوجية ان هذه الحلقات آخذة في الارتقاء بعضها في اثر بعض فيفترُّ ثغرهُ بعد عبوسهِ لان مصلحة البعض تضيع في مصلحة النوع والنوع قد ارتقى كثيراً ولا يزال سائراً في سبيل الارتقاء

مصارعة الثيران

لكل بلاد العاب وطنية يرتاح اليها اهلها وهي إمَّا اصيلة في البلاد نشأَت فيها او دخيلة أُدخلت اليها من بلاد أُخرى. ومن الالعاب الوطنية التي اشتهرت شهرة عظيمة مصارعة الثيران في اسبانيا وهي من الالعاب البربرية الوحشية التي الغيت من اكثر البلدان لما فيها من الفظاعة وسفك الدماء. وقد ورثها الاسبان عن آبائهم واجدادهم ادخلها الى بلادهم الرومان مع غيرها من الالعاب الوحشية التي كانوا يلعبونها في مشهد رومية

وشاعت مصارعة الثيران في كثيرمن البلدان الاوربية في القرون الوسطى ايام الفروسة وسفك الدماء حتى انك ترى آثار الملاعب في كثير من مدن فرنسا والمانيا وغيرهما شواهد على ما كان يجري فيها من الفظائع التي يستهجنها ابناء هذا الزمان. والبلاد الوحيدة التي تبيحها الآن هي البلاد الاسبانية ففيها ملعب كبير في مدينة مدريد عاصمتها يسع ١٥٠٠٠ نفس وآخر في بلنسة يسع ما يزيد على عشرين الف نفس. ويبتدئ اوان المصارعة في مدريد في شهر ابريل وينتهي في شهر نوفمبر فينتظره الاهلون ولا تكاد الاعلانات المبشرة باوَّل مصارعة تصدر وتنتشر حتى تراهم يتراكضون الى ابتياع اوراق الدخول قبل ان تنفد لكثرة الراغبين فيها. وهم يهتمون كثيراً بما اذا كان المصارعون يمتازون على غيرهم في ما يظهرونهُ من الخفة في اغواء الثور الى حتفهِ او في اخماد انفاسهِ بحدِ سيوفهم فيقضون اوقات الفراغ يتباحثون و يتناقشون في هذه المواضيع

والملعب الذي يجري فيهِ الصراع ساحة فسيحة مستديرة على دائرها مقاعد الواحد منها فوق الآخر مثل سلم مستدير وفي أعلى هذا السلم غرف لاكابر المشاهدين واعاظمهم ويحيط بالساحة حاجز من الخشب متين غير مرتفع يفصل بينها و بين المقاعد و يجلس على هذه المقاعد اناس من كل الطبقات رجالاً ونساء وصبياناً وبنات يهتفون فرحاً وطرباً كلما خرَّ احد تلك الثيران يتخبط بدمائهِ كأَنهم فقدوا كل عواطف الشفقة والحنان لكثرة ما شاهدوهُ من هذه المناظر. وحينما يأزف الوقت المعين للصراع يعطي الرئيس مفتاح القفص الذي فيهِ الثيران الى احد الفرسان المنوط بهم حفظ النظام وهم لابسون ملابس فرسان القرون الوسطى من المخمل والحرير المقصب وعلى راس كل منهم ريشة تتمايل في الهواء. وتبتدئ الالعاب بدخول جميع اللاعبين في موكب فيدخل اولاً الفرسان على خيولهم ثم يتبعهم المصارعون المشاة بملابس ملوَّنة مزخرفة وعلى ذراع كل منهم قباء احمر للتحرش بالثور واتقاء شره. ثم يدخل اصحاب البنود وهم يطعنون الثور بحراب مزدانة باعلام صغيرة يتدلى منها بنود ملوَّنة و يدفعون فيها

احياناً باروداً ينفجر عند ما تمس الثور فيغتاظ ويهيج . ثم يدخل مصارعون آخرون راكبين خيولاً عجفاء طاعنة في السن لكي تهجم الثيران عليها وتنفذ غيظها فيها ويسير هؤلاء كلهم في موكب مهيب الى امام رئيس الحفلة ويحنون له رؤوسهم ثم يطلق الثور من قفصهِ فيتقدم منهُ اول المصارعين وفي احدى يديهِ سيف وفي الأُخرى علم صغير وعلى هذا الرجل قتل الثور لكن يجب ان يقتلهُ باتقان اي يطعنهُ طعنة واحدة تكون القاضية عليهِ

قال عزتلو ادوار بك الياس في كتاب وضعهُ حديثاً عن رحلتهِ في اوربا وقد شاهد الصراع ما نصهُ "وقصدت مرسح الثيران في مدريد يوم الاحد فما قدرت على ابتياع التذكرة لدخوله



الأ بعد عناء كثير تكبدهُ صاحب الفندق لان الاقبال على تلك الفرجة كان فوق ما تتصورهُ العقول . ومرسح مدريد اعظم مراسح الثيران في اسبانيا كلها وفي صدرهِ اماكن للاسرة المالكة ومع انهُ يضم خمسة عشر الفاً فما بقي فيهِ موضع واحد خالياً وفي اسفلهِ ساحة كبيرة للمصارعة يحيط بها حاجز من الخشب غير مرتفع ولكنهُ متين وهو يفصل الساحة عن مقاعد المتفرجين وفي احدى الجهات من تلك الساحة ابواب من الخشب تفتح وتقفل من الوراء ليدخل منها المبارزون والوحوش وكان الناس ينتظرون بدء القتال بذاهب الصبر حتى اذا فتح احد الابواب وبدأ الفصل الاول صفقوا كلهم طربين معجبين ودخل ثور كبير جعل يركض في عرض الساحة كانما هو يقول هل من مبارز هل من مناجز فعندئذٍ دخل الساحة رجلان يلبسان الجوخ

الاحمر المقصب ومع كلّ منهما شال احمر يحرش بهِ الثور ويهيجهُ فجعلا يغضبانهِ بابراز الشال حتى هاج وغضب ونجوا منهُ الى ما وراء الحاجز الخشبي الذي ذكرناهُ

ثم دخل رجلان آخران على شاكلة من ذكرنا ومعهما باليد اليسرى شال احمر وباليمنى حراب طول الواحدة نحو متر ونصف ملبسة بالقماش الاحمر ويتدلى منها شرائط حمراء فجعلا يقاتلان الثور بهذه الحراب وهما كلما تقدم عليهما عرضا لهُ الشال الاحمر فينطحهُ تشفيًا منهُ وغيظًا . وبعض هذه الحراب المذكورة تغرز في رقبة الثور وبعضها لا يعلق بها بل يسقط الى الارض ويوجب سقوطها ازدراء الحاضرين كما انهم يصفقون استحسانًا اذا غرزت الحربة في رقبة الثور . فلما سال دم هذا الثور واشتدَّ هياجهُ دخل ثلاثة فرسان على الخيل معهم حراب طويلة جعلوا يطعنونهُ بها كلٌّ في دورهِ فعند ذلك هجم على الحصان الاول ووضع رأسهُ تحت بطنهِ فبقرهُ والقاهُ شطرين ثم هجم على الحصانين الآخرين وفعل بهما كالاول حتى وقعت الافراس الثلثة تختبط بدمائها واما الفرسان فانهم سقطوا الى الارض لما قتلت خيلهم وفي الحال فروا من وراء الحاجز ما عدا احدهم اغمي عليهِ فبادروا الى اعانتهِ وانتشالهِ حينما كان الثور يدوس جثث الخيل وينظر الى الحاضرين نظر الفائز المنتصر

وبعد هذا دخل محارب يسمونهُ ثوريرو اي الرجل الثوري ومعهُ الشال الاحمر والحربة فجدَّ في محاربة الثور الى حد ان وقف الاثنان ينظران احدهما الى الآخر غيظًا فحينئذٍ طعن الرجل الثور بحربة في رقبتهِ فاخرجها من الجانب الآخر فلما وقع هذا الثور المسكين قتيلاً هاج المتفرجون طربًا وصفقوا استحسانًا وصدحت الموسيقى فرحًا بتلك المذبحة ثم دخلت عربات ورجال جرَّت الجثث الى الخارج " انتهى

وقد تفنَّن الاسبانيون حديثًا في مصارعة الثيران واغروا بناتهم بمجاراة الرجال في هذا المضمار . قال احد الكتَّاب في مجلة العالم ما ترجمتهُ

اذا فرغ الاسبانيون من مصارعة الثيران ادخلوا الى مشهد الصراع ثورًا واسدًا او ثورًا وفيلاً ورأوا كيف يفتك احدهما بالآخر . او اعطوا ازمَّة المصارعة لبنات تدرَّبن على ذلك وحينئذٍ تغصُّ المشاهد بالحضور . وقد شاهدت هؤلاء البنات اول مرة في برشلونة وكان الفصل شتاء وكنَّ يتمرنَّ تمرُّنًا ومعلمهنَّ رجل بدين اسمهُ ثني رحَّب بي واخبرني انهُ اول مَن علَّم البنات مصارعة الثيران وقد طاف بهنَّ في اسبانيا وفرنسا واميركا الجنوبية فاظهرنَ من المهارة ما اختلب الالباب وغار منهنَّ الرجال الماهرون في مصارعة الثيران وقد رسمت صورتهُ معهنَّ في الشكل التالي

ثم وصف الكاتب كيف يتمرَّن هؤلاء البنات على طعن ثيران خشبية تجري امامهنَّ على

عجل كالدرّاجات وقال انهُ سأل معلمهنَّ عما اذا كانت مصارعتهنَّ للثيران سليمة العاقبة دائماً فقال لهُ نعم الاَّ مرةً واحدةً . ثم اراهُ فتاة نطحها الثور فشق وجهها من فمها الى اذنها لكن الثور قُتل حالاً والشق خيط فلم يبقَ منهُ الاَّ اثر طفيف. وقالت الفتاة لهُ انها هي الملومة لانها طرحت قباءها من يدها حينما كانت في اشد الحاجة اليهِ . فقال لها الكاتب أَوَ لا تخافين من الثور فقالت عسى ان لا اخاف ابداً لانني اذا خفت قضي عليَّ . فقال لها على مَ اخترتِ هذه الحرفة وقد كانت خاصة بالاقوياء من الرجال فقالت ألا ترى ان النساء صرنَ يحاولن مجاراة الرجال في امور كثيرة ولم يبقَ قيادهنَّ في ايديهم كما كان قبلاً . واظن ان اكثرنا اختار



هذه الحرفة لاننا حسبنا الناس يحبون الجديد ويسرون بهِ فكان كما ظننا وربحنا اكثر مما تربح الممثلات واشتهرنا ايضاً ونحن نرغب في الشهرة كما يرغب فيها الرجال

ثم وصف مشاهدتهُ صراع البنات للثيران في برشلونة. قال وكان المشهد غاصاً بالمشاهدين المظلَّل منهُ والمكشوف. ولا اطيل في وصف دخول المصارعات الى المشهد لانهُ لا يفرق عن دخول المصارعين والغرض الذي تتوخاهُ المصارعة ان يقف الثور امامها مواجهة حتى تطعنهُ بحربتها بين رفشيهِ وهي الطعنة القاتلة فدنت من الثور وجعلت تحرشهُ بحربتها وكلما دنا منها الاحت بالقباء في وجههِ الى ان لاحت لها الفرصة المناسبة فطعنتهُ بين رفشيهِ والقتهُ صريعاً نجيب صروف

الاسكندر ذو القرنين

في حلمهِ وغضبهِ

يظهر من اسماء الاماكن التي مرَّ بها الاسكندر وهو جادٌّ في اثر داريوس انهُ سار على حدود الصحراء الملحية في بلاد خراسان بطريق القوافل الذاهبة الآن من طهران الى تركستان. والسائر في هذه الطريق يرى عن يمينهِ الصحراء الملحية وعن يسارهِ الجبال الفاصلة بين بلاد الفرس وبلاد الروس ووراءها سكة الحديد الروسية التي أُنشئت حديثًا تخرقت اسيا من الغرب الى الشرق وفتحت للروس سبيلاً للتجارة عجز عن مثلهِ القياصرة والاكاسرة

ولما رأى انهُ قضي على داريوس بيد بسوس مرزبان بلخ على ما تقدم وان بسوس فرَّ من وجههِ ولاذ بمعاقل بلادهِ اقام مع رجالهِ حتى استراحوا من وعثاء السفر ثم سار بهم شمالاً وعبر الجبال التي عن يسارهِ ووصل الى بحر الخزر واخضع القبائل النازلة حولهُ. وجاءهُ رؤساء القبائل البعيدة طائعين وبينهم القائد ارتبازُس وكان قد عصى على داريوس ولجأ الى مكدونية ولاذ بفيلبس واقام في بلاطهِ سبع سنوات فضمهُ الاسكندر الى حاشيتهِ. واتاهُ ايضاً الف وخمس مئة من مسترزقة اليونان وهم بقية الجنود اليونانية التي كانت عند الفرس فميز بين الذين انتظموا في جيش الفرس قبلما عُقد مؤتمر كورنثس واشهر الحرب على الفرس وبين الذين انتظموا فيهِ بعدهُ فاباح للاولين العودة الى بلادهم واضطرَّ الآخرين الى الانتظام في جيشهِ. ثم عاد الى بلاد الفرس وسار شرقًا قاصدًا بلخ ليقتصَّ من بسوس قاتل داريوس وقبل ان وصل اليها بلغهُ ان احد المرازبة انتقض عليهِ وكان قد امنهُ فدار الى الجنوب حتى بلغ المكان الذي اقيمت فيهِ مدينة هرات وكان اسمهُ ارتكوانا. ومن هناك سار السلطان محمود بن سبكتكين لغزوة الهند وسار ايضاً جنكيز خان وتيمور لنك ونادر شاه وقد اقتفوا كلهم خطوات الاسكندر في دخولهم بلاد الهند

وحدث للاسكندر وهو هناك حادث كبير غيَّر مجرى اموره وذلك ان بارمنيون القائد الاكبر في جيشهِ كان قد صار في السبعين من عمرهِ وهو اول من جاهر بنصرتهِ واخذ لهُ البيعة من الجنود المكدونية في اسيا بعد موت ابيهِ وصوَّب رأيهُ في غزوة اسيا وقاسمهُ مشاق الحروب فيها. وكان اصدق مشيريهِ واعظم من يعتمد عليهِ من قوادهِ ولم يبدُ منهُ اقل توانٍ في حروبهِ الاَّ في الواقعة الاخيرة فنسب الاسكندر ذلك الى الشيخوخة ولكنهُ لم يبرئهُ من

الاهمال وكان لهُ ثلاثة اولاد في الجيش قُتل اثنان منهم وكان فيهِ ايضاً صهرهُ واخوهُ وكثيرون من ذوي قرباه

ولما اوغل الاسكندر في اسيا وراقت لهُ عادات الاسيويين ومال الى ترفهم وابهتهم رأى قوَّادهُ المكدونيون انهُ آخذٌ في الابتعاد عنهم فتألبوا حول القائد بارمنيون وجعلوا ينتقدون الاسكندر ولا سيما لمَّا ذاع عنهُ انهُ ادَّعى الالوهيَّة . ولم يرُق لهم معاملتهُ امراء المشرق على حسب العوائد الشرقية وارتضاؤهُ بسجودهم لهُ كأنهم ساجدون لدى معبود لانهم خافوا ان يتدرَّج في ذلك اليهم . ثم زاد قلقهم لمَّا رأوهُ قرَّب امراء الفرس منهُ وجعلهم من مشيريهِ وابقى المرازبة عمالاً على العمالات الكبيرة الكثيرة الخير والميرةِ وقالوا انهُ سلب الغنيمة منا واعطاها لهؤلاء الناس ونحن احق بها منهم

وكان قد لبس بعض ملابس الفرس ولاسيما في الحفلات الكبيرة . قال فلوطرخس في هذا الشأن " انهُ سار من هركانيا الى برثيا وليس لديهِ عمل يعملهُ فلبس لباس الماديين ولعلهُ فعل ذلك جريًا على مقتضى الحال حاسبًا ان من يلبس لباس قوم يسهل عليهِ قيادهم . او فعلهُ لكي يسهِّل على رجالهِ المكدونيين السجود لهُ كما كان الفرس يسجدون لملوكهم ولكنهُ لم يلبس اللباس الفارسي كلهُ بما فيهِ من الشطط في سراويلهِ واردانهِ بل لباساً متوسطاً بينهُ وبين لباس المكدونيين اقل فخفخةً من الاول واكثر من الثاني. وكان اولاً يقتصر على لبسهِ حينما يقابل البرابرة او يقيم في دارهِ ثم صار يلبسهُ ويخرج بهِ غير محاذر فاستاء المكدونيون من ذلك كثيراً "

وكان بارمنيون واتباعهُ من الناقمين عليهِ بسبب هذا التغيير وجاهر ابنهُ فيلوتاس بملامة الاسكندر وكان عندهُ جارية من سبي اسوس نقلت عن لسانهِ انهُ سكر مرةً وجعل يفتخر بان الاعمال العظيمة عملها هو وابوهُ لكنَّ ثمارها جناها الاسكندر . فجعل الاسكندر يرقبهُ من ذلك الحين بعين الحذر

وتآمر جماعة في تلك الاثناء على الاسكندر وافشى واحد سرَّهم الى فيلوتاس بن بارمنيوس فلم يطلع الاسكندر عليهِ . ثم بلغ الاسكندر امر هذه المكيدة من شخص آخر فزاد اشتباهاً في فيلوتاس وامر بالقبض عليهِ ومحاكمتهِ . وكان فيلوتاس كثير الاعداء لاعجابهِ بنفسهِ فحكموا عليهِ انهُ من المتواطئين على قتل مولاهُ . اما هو فاصرَّ على انهُ بريء وقال انهُ لم يُبلغ الاسكندر خبر المكيدة لانهُ لم يصدقهُ . فامر الاسكندر بتعذيبهِ لكي يلجئهُ الى الاعتراف بذنبهِ واناط ذلك بثلاثة من خواصهِ وجلس مختبئًا بحيث يَرى ولا يُرى لكي يشاهد فعل التعذيب بهِ ويقال انهُ لما تألم فيلوتاس من شدَّة العذاب ناداهُ الاسكندر وقال لهُ مستخفًا بهِ

ما هذا شأن من يقوم على قتل الملوك. ثم امر بقتلهِ وانفذ اناساً من اخصائهِ الى اكباتانا حيث كان بارمنيون فقتلوهُ ايضاً وكأن لسان حالهِ يقول

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى   حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

وما قتلُ الاسكندر لهذين القائدين العظيمين اللذين افتدياه بحياتهما مراراً الاَّ دليل على خوفهِ منهما واعتقادهِ انهما قادران على الضر كما هما قادران على النفع . وكم من دماء زكية اراقها الملوك في تأييد عروشهم. هذه هي سنَّة الكون مغزاها واحد ولو تغيرت صورها . تزرع البزور في الارض فتعيش واحدة وتميت مئةً وتولد الاسماك في البحر فتنمو واحدة وتأكل الفاً . والناس يأكل قويهم الخير من امام ضعيفهم اذا لم يستطع اكلهُ ويسدُّ عليهِ موارد الرزق اذا لم يستطع قتلهُ

والظلم من شيم النفوس فان تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلمُ

لكن الاسكندر تلميذ ارسطوطا ليس كنا نتوقع منهُ ان يكون اقرب الى العدل من الطغاة الجبارين ولا يأخذ رجلاً شيخاً مثل بارمنيون بجريرة ابنهِ اذا صحَّ ان ابنهُ كان مخطئاً بل يعفو عن ابنهِ لاجلهِ ويمحي هذه السيئة بما تقدمها من الحسنات. ولعلهُ لو حُشِر الآن وسئل عمَّا فعل لاجاب اني افتديت ملكي بدم اثنين من رجالي

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى   مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

ولما امن شر المنتقضين عليهِ من قومهِ عاد يواصل السير الى بلخ لينتقم من بسوس قاتل داريوس ورافع راية الفرس في تلك الانحاء فلم يكد يبلغ كابول الاَّ في منتصف الشتاء فتربص مدَّة ثم قام في اوائل الربيع وقطع جبال هند كوش في مكان يعلو ثلاثة عشر الف قدم عن سطح البحر ونزل الى بلخ وكان بسوس قد فرَّ من وجههِ وعبر نهر السوس الى بخارا . ووصل الاسكندر الى هذا النهر فرآهُ طاغياً بما جرى اليهِ من ذوب الثلج فصنع اطوافاً من الجلد حشاها بالقش واستعان بها رجالهُ على قطعهِ وادرك بسوس وقبض عليهِ ووضع عنقهُ في مقطرة واوقفهُ عارياً امام جنودهِ ولما مرَّ بهِ سألهُ قائلاً ما حملك على خيانة مولاك فقال اني لم اخنهُ وحدي بل اتفقت انا وسائر رجالهِ على قتلهِ ارضاء لك. فامر الاسكندر ان يجلد ويرسل الى عاصمتهِ بلخ ثم حاكمهُ في مجلس حربي في الشتاء التالي وجدع انفهُ وصلم اذنيهِ وبعث بهِ الى همذان ليقتل فيها

ولما ذكر اريانوس ذلك قال " اني استقبح تعذيب بسوس ولا احسب ان الاسكندر اقدم عليهِ الاَّ اقتداء بالفرس وملوكهم في معاملتهم للذين دونهم " . اما الاسكندر فبرأ

نفسهُ بهذه الفعلة الشنعاء من قتلهِ داريوس واثبت للمشارقة انهُ عازم على الاحتفاظ بشرائع بلادهم .

وكان لا بدَّ لهُ من اخضاع بلخ وبخارا وتركستان لكي يستتبَّ الامن في تلك الانحاء لانها كانت مركز ديانة زروستر واهاليها على جانب كبير من القوة والمنعة بل هم امنع الامم الذين لقيهم منذ دخوله اسيا لانهم من الجنس الآري ولم يضعفهم ترف الحضارة كما اضعف اخوانهم في بابل واشور . فاقام سنتين كاملتين حتى تمكن من اخضاع بلاد طولها ثلثمئة وخمسون ميلاً في مثلها عرضاً مع انهُ في سنة واحدة دوَّخ الشام واشور وفارس ومادي اي اخضع بلداناً طولها الف ميل

ولما قبض على بسوس استراح اولاً في سهول الاكسوس الخصيبة ثم سار الى الشمال الشرقي ونزل في سمرقند (مرقندا) ولم يكد يبعد عنها مئة ميل حتى بلغهُ ان البلاد التي وراءهُ عصت عليهِ فارتدَّ اليها وباغت العصاة واثخن فيهم وبنى هناك مدينة سماها اسكندرية اشاتا حيث مدينة خوجند الآن واسكن فيها المكدونيين الذين لم يعودوا صالحين للسير معهُ وبعض مسترزقة اليونان . وبنى غيرها من المدن واسكن فيها جماعة من اليونان تعزيزاً لصولتهِ في تلك الاقطار . ولم تزل آثار صولتهِ فيها حتى الآن لان القبائل النازلة في الجبال التي حول فرغانة تدَّعي انها من نسلهِ وتنسب اليهِ كل امر عظيم . ويقال انهُ لم يتمكن من تعزيز صولتهِ في تلك الاقطار الاَّ بعد ان قتل من اهلها مئة الف نفس

وحدث في تلك الاثناء حادث مهمٌ اكثر من قتل كل مَن قُتل من السكان وذلك انهُ كان في سمرقند سنة ٣٢٨ قبل الميلاد وكان كليتوس صديقهُ الحميم قد صار قائداً لنصف الفرسان الذين كان يقودهم فيلوتاس بن بارمنيون . وجلس جماعة من الندمان للشراب في احد الايام ولما لعبت سورة الخمر في رؤوسهم جرى ذكر ابطال اليونان الذين احلَّتهم فعالهم محل الالهة فذكر بعضهم الاسكندر وفضلهُ على هرقل فاغتاظ المكدونيون من ذلك ولكنهم لم يفوهوا بكلمة اما كليتوس فلم يصبر على اهانة معبوداتهِ فاعترض على مَن فضَّل الاسكندر عليها . ثم جعل الحضور يقابلون بين فعال الاسكندر وفعال ابيهِ وتغنى بعضهم بابيات نظمها الشاعر برانيخوس تهكماً على المكدونيين لانخذالهم في احدى المعارك فاعترض كليتوس عليهِ لاهانتهِ ابطال مكدونية . وكان الاسكندر يسمع ولا يتكلم فلما شدَّد كليتوس النكير قال الاسكندر مازحاً "ان كليتوس يدافع عن نفسهِ" . فاغتاظ كليتوس من هذا الكلام والتفت الى الاسكندر وقال لهُ "يجب ان تكون آخر مَن ينسب الجبن اليَّ انت الذي في واقعة غرانيكوس نجوتَ بيدي من سيف

سبثريداتس(١) . واولئك المكدونيون الذين يتهكم عليهم رجالك الآن قد اشتروا لك المجد بدمائهم" . فكظم الاسكندر غيظهُ ووبخ كليتوس ونهاهُ عن التكلم بكلام يثير الاحقاد لكن الخمرة كانت قد تمكنت من رأسهِ وحلّت قيد لسانهِ فقال الاسكندر "لماذا تدعو الاحرار الذين مثالنا لمنادمتك اذا كنت تحظر عليهم الافصاح عما في ضمائرهم . فأَخلَقُ بك ان تنادم الفرس الذين يلحسون بصاقك ويجثون امامك على ركبهم ولا يتكلمون الاَّ كما تشاءُ" . فلما سمع الاسكندر هذا الكلام اسودَّت الدنيا في عينيهِ ومسك اول شيءٍ وقعت يدهُ عليهِ ورماهُ بهِ وفتش عن سيفهِ ليضربهُ بهِ لكن احد الحراس اخفاهُ عنهُ واجتمع رجالهُ حولهُ ليمنعوهُ عن كليتوس اما هو فخاطبهم بلسان المكدونيين مغضباً وامر المبوّق ان يبوق . واسرع اصدقاءُ كليتوس وابعدوهُ عنهُ لكنهُ تخلص منهم وعاد الى مجلس الشراب ووقف امام الاسكندر وهو يتغنى بقول يوريبدس الشاعر حيث قال ما ترجمتهُ

اسفي على هضم الحقوق فكم ترى رجلاً ينال المجدَ وهو لغيرهِ
فالفوز تحرزهُ الجنودُ وانما يُعزى الى قوّادهم من فورهِ

ولم تكد عين الاسكندر تقع عليهِ حتى اختطف رمحاً من يد واحد من الحراس ورماهُ بهِ فالقاهُ صريعاً يتخبط بدمائهِ . طعنة نجلاء خطفت روح عشير صباهُ ومنقذ حياتهِ ولكنهُ لم يكد الرمح يخرج من يدهِ حتى ندم على ما فعل واسرع الى كليتوس ونزع السنان من صدرهِ وكاد يطعن نفسهُ بهِ لو لم يتداركهُ رجالهُ وينزعوا الرمح من يدهِ . ثم مضوا بهِ الى غرفتهِ فانطرح فيها وهو يصرخ ويتألم وينادي كليتوس باسمهِ كأنهُ يحاول ايقاظهُ من سكرة الموت ويتوسل اليهِ ان يصفح عنهُ ثم يعود على نفسهِ باللائمة ويوبخها على قتل اصدقائهِ . ثم ينادي باسم مرضعتهِ اخت كليتوس ويقول لها ما اقبح ما جازيتك بهِ يا امي الحنون فقد اعطيتني اولادك ليقتلوا في خدمتي فجازيتك بان قتلتُ اخاكِ بيدي . ولما انتهى من التعديد والنحيب اقام ثلاثة ايام لا يأكل ولا يشرب ولا يتكلم حتى ظُنَّ انهُ اصابهُ دخَل في عقلهِ . وظلَّ خواصهُ يتوسلون اليهِ ان ينفي الغم عن نفسهِ و يعتصم بالصبر وقال لهُ بعضهم ان الملوك غير مسؤولين عمَّا يفعلون وما زالوا بهِ الى ان انقاد اليهم مكرهاً لكن بقي من هذه الحادثة اثر في نفسهِ الى الممات لاسيما وانهُ رأى انهُ ضعيف تغلبهُ الاهواءُ وهو يحسب انهُ غلب الدنيا

وحدثت هذه الحادثة في سمرقند سنة ٣٢٨ قبل المسيح . وفي السنة التالية حدثت حادثة مثلها وذلك انهُ من حين دخل اسيا رافقهُ كالسثنس العالم الفيلسوف نسيب ارسطوطاليس

(١) انظر صفحة ٨٤٧ من المجلد ٢٢

وتلميذهُ وكان غرضهُ ان يكتب تاريخ الاسكندر ويصف اعمالهُ وصفاً بديعاً بما امتاز بهِ من بلاغة الانشاء وهو ايضاً نقم على الاسكندر تخلقهُ باخلاق الفرس وصار يرفض الحضور في مجالس الانس فانتهرهُ الاسكندر من طرف خفي بذكرهِ بيتاً ليوربيدس الشاعر يقول فيهِ "اني اكره كل حكيم غير حكيم ايها الطبيب طبب نفسك". واولم الاسكندر وليمة عظيمة لما احتفل بزواجهِ بابنة اكسيرتس على ما سيجيء وحضر كالستنس الوليمة وطُلب منهُ ان يمدح المكدونيين فمدحهم مدحاً بليغاً اطرب الحضور حتى نزعوا اكاليلهم عن رؤُوسهم وطرحوها عليهِ فقال لهُ الاسكندر ان مدح المكدونيين سهل ومجال القول فيهِ واسع ولكنك اذا اردت ان تحسن حقيقةً فاذكر عيوبهم كما تذكر فضائلهم لكي يستفيدوا من ذكرها. فوقف وجعل يندد بعيوبهم ولم يتحامَ ذكر فيلبس بل قال انهُ استفاد من انقسام اليونان بعضهم على بعض ومتى وقع الانقسام في بلاد فقد ينال الفوز احقر الصعاليك. فاغتاظ الحضور منهُ وقال لهُ الاسكندر انك ابنت لؤمك اكثر مما ابنت بلاغتك

هذا ما رواهُ الاستاذ هوبلروروى السرجورج كوكس ان انكسرخس خطب في الوليمة ودعا الناس الى عبادة الاسكندر في حياتهِ لانهم سيعبدونهُ حتماً بعد مماتهِ. فصمت قوَّاد المكدونيين عند سماع هذا الخطاب ولم يفوهوا ببنت شفة ثم قام كالستنس وانتقد عدم التفريق بين الآلهة والبشر وقال ان الاسكندر اعظم الابطال والقواد والملوك ولكن لا يجوز ان يعد بين الآلهة ووبخ انكسرخس على ما فاهَ بهِ. فصفق لهُ المكدونيون. ورأَى الاسكندر حينئذٍ ان المقاومة لا تجدي نفعاً فاسرَّها في قلبهِ الى ان حدثت حادثة الحجاب فاخذهُ فيها غدراً

وذلك ان كالستنس جاهر بانتقاد الاساليب الشرقية التي جرى عليها الاسكندر حتى اذا قاصَّ الاسكندر احد حجابهِ قصاصاً صارماً ذات يوم اعتصب بقية الحجاب وقصدوا الايقاع بهِ وادَّعي بعضهم ان المغري لهم على الاعتصاب هو كالستنس هذا فوضعهُ الاسكندر في القيود ثم امر بقتلهِ. وحدث ذلك في بلخ ووقع النفور بينهُ وبين ارسطوطاليس من ذلك الحين ومن ثم اطلق الاسكندر العنان لاهوائهِ ولم يعد بالشهم الذي عرفناهُ

وكان لم يبقَ عليهِ من امراء بلخ الا امير اسمهُ اكسيرتس اعتصم بمعقل منيع في طرف البلاد فبعث اليهِ ثلثمئة من المكدونيين فصعدوا الى المعقل بعد عناء شديد واضطروهُ الى التسليم وكان لهُ ابنة اسمها ركساني يقال انها اجمل نساء عصرها فلما وقعت عين الاسكندر عليها سباهُ جمالها وكان قد رأَى زوجة داريوس وبناتهِ وهنَّ من اجمل النساء فلم يلتفت اليهنَّ ولا مال الى امرأَة الا الى بارسيني زوجة ممنون التي كانت في سبي دمشق اما الآن فوقع اسيراً

في شراك الحب لكنهُ لم يفعل فعل الغزاة الظافرين بل طلب من اكسيرتس ان يزوجهُ بابنتهِ زواجاً شرعياً ويكون حليفاً لهُ فسرَّ اكسيرتس بذلك كما استاء منهُ المكدونيون وجرى الاحتفال بزواجهِ فكان سبباً لقتل كالسثنس على ما تقدَّم . وولدت رُكساني ولداً للاسكندر بُعَيْد وفاتهِ اراد البعض ان يجعلوهُ وارثاً لهُ فاضطربت امور السلطنة المكدونية بسببهِ مدةً الى ان قتلهُ كَسَنْدَر ملك مكدونية وقتل امهُ ايضاً وذلك سنة ٣١١ قبل المسيح كما سيجيء

ذكر ابن الاثير من هذه الحوادث ان مُلك فارس كان مجتمعاً قبل الاسكندر فتفرَّق وان الاسكندر حمل كتباً وعلوماً لاهل فارس من علوم ونجوم وحكم ونقلهُ الى الرومية . وهدم حصون فارس وبيوت النيران وقتل المرابذة واحرق كتبهم . وكتب الى ارسطاطاليس يذكر لهُ ان من خاصة الروم جماعةً لهم همم بعيدة ونفوس كبيرة وشجاعة وانهُ يخافهم على نفسهِ ويكره قتلهم بالظنة . فكتب اليهِ ارسطاطاليس فهمتُ كتابك فاما ما ذكرت من بُعد هممهم فان الوفاء من بُعْد الهمة وكبر النفس والغدر من دناءة النفس وخبثها واما شجاعتهم ونقص عقولهم فمن كانت هذه حالهُ فرفهْهُ في معيشتهِ واخصصهُ بحسان النساء فان رفاهية العيش تميت الشجاعة وتحبب السلامة . واياك والقتل فانهُ زلة لا تستقال وذنب لا يغفر . وعاقب بدون القتل تكنْ قادراً على العفو فما احسن العفو من القادر . وليحسن خلقك تخلص لك النيات بالمحبة . ولا تؤثر نفسك على اصحابك فليس مع الاستئثار محبة ولا مع المؤاساة بغضة . وكتب الى ارسطاطاليس ايضاً يذكر لهُ انهُ رأى بايران شهر رجالاً ذوي رأي وصرامة وشجاعة وجمال وانساب رفيعة وانهُ انما ملكهم بالخطر والاتفاق وانهُ لا يأمن ان يسافر عنهم وانهُ لا يكفي شرهم الاَّ بيوارهم. فكتب اليهِ قد فهمت كتابك في رجال فارس فأما قتلهم فهو من الفساد والبغي الذي لا تؤمن عاقبتهُ ولو قتلتهم لاوثبت اهل البلد امثالهم وصار جميع اهل البلد اعداءك بالطبع واعداء عقبك لانك تكون قد وترتهم في غير حرب واما اخراجك اياهم من عسكرك فمخاطرة بنفسك واصحابك ولكني اشير عليك برأي هو ابلغ من القتل وهو ان تستدعي منهم اولاد الملوك ومن يصلح للملك فتقلدهم البلدان وتجعل كل واحد منهم ملكاً برأسهِ فتتفرَّق كلمتهم ويقع بأسهم بينهم ويجتمعون على الطاعة والمحبة لك ويرون انفسهم صنيعتك . ففعل الاسكندر ذلك فهم ملوك الطوائف

وقال المسعودي في مروج الذهب " وسار الاسكندر بعد ان ملك بلاد فارس فاحتوى على ملوكها وتزوَّج بابنة ملكها دارا ابن دارا بعد ان قتلهُ . . . وسار في مفاوز الترك يريد

خراسان بعد ان ذلَّل ملوكها ورتَّب الرجال والقواد على ما افتتح من الممالك . . . وكوَّر بخراسان كوراً وبنى مدناً في سائر اسفاره " . واشار المسعودي وابن خلدون وغيرهما الى ما ذكره ابن الاثير من مشورة ارسطو على الاسكندر . وقد تكون هذه المشورة صحيحة وقد تكون من موضوعات الكتَّاب الذين نقل مؤرخو العرب عنهم

حقائق في علم الحيوان

من مقالاتهِ للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لالند ستنفرد الجامعة

الحوصل وسمك الهر

ولد حوصل بقدمين كبيرتين فدعاوين وريش غليظ قبيح المنظر وجراب تحت منقارهِ كبير احمر كما يولد كل حوصل من نوعهِ . وكان شرهاً نهماً يملأ جرابهُ سمكاً حتى يتعذر عليهِ الطيران ثم يفرغهُ في جوفهِ ويلتقط غيرهُ فكبر سريعاً حتى صار من اكبر الطيور كما هو من اشنعها منظراً

وقام ذات يوم ومشى على شاطىءِ البحر على جاري عادتهِ فرأى سمكةً كبيرة في بركة صغيرة اتى بها المد ثم جزر على غفلة فتركها وراءهُ وهي زرقاء اللون كبيرة الراس صقيلة البدن لاحراشف لها فظن ان السمك كلهُ سواءُ وكلهُ صالح للاكل ففغر فاهُ والتقمها من ذنبها الى رأسها وهو يحسب انهُ غنم غنيمة باردة . لكنَّ السمكة استيقظت حالاً فرأت نفسها في جراب الحوصل وهي من سمك الهر المشهور بقوة زعانفهِ وزعانفهُ اذرع ينتأ الحسك منها كاسنان المناشير فاوترت زعنفتيها فانتشرتا على جانبي رأسها وخرقتا جراب الحوصل فوقع في حيص بيص لا هو يستطيع ابتلاعها ولا هو يستطيع طرحها من فيهِ . وتمكنت هي منهُ عالمة انها ان ارخت يديها لحظة قُضي عليها . فبذل اقصى جهدهِ وغاية ما وصل اليهِ حذقهُ لكي يبتلعها او يتخلص منها بالتي هي احسن وبذلت هي غاية قوتها في توتير ذراعيها حتى تميتهُ وتنجو من شرهِ

وعصارى ذلك النهار خرج ولد الى الشاطىءِ وبيدهِ عصا كبيرة فرأى الحوصل امامهُ فضربهُ ضربة كسرت جناحهُ فسقط على الارض وهو يقول في نفسهِ قد دنا الاجل ولا خير في حياة غصتها دائمة وجناح السعي فيها مكسور

ونظر الولد فرأى السمكة في جراب الحوصل وقد نفذتهُ زعنفتاها فامسك بهِ وفتح منقارهُ

ونزع الزعنفتين وطواها حتى انطوتا في غمدَيهما ورأَت السمكة انها في يد من يعرف امرها فاطاعت صاغرة ولم تكد زعنفتاها تدخلان في غمديهما حتى تقيأَها الحوصل فوقعت على الرمل ثم جاء المد فحملها وردها الى البحر وهي تقول ارضى بالفرار واسلم وقد آلت على نفسها ان لا تقيم في مكان يلتقمها فيهِ حوصل

واخذ الولد الطائر وعاد بهِ الى بيتهِ وجبر ابوهُ جناحهُ فجبر معوجًا ولم يعد يستطيع الطيران. واشتدَّت الالفة بينهُ وبين الولد فكان اذا ذهب للصيد يذهب معهُ ويملأُ جرابهُ سمكًا ولكن اذا طرح لهُ سمكة من سمك الهر نظر اليها شزرًا وادار رأْسهُ وعاد الى البيت مسرعًا لا يلوي على احد ولا خير في من لا تعلّمهُ التجارب .



الحوصل يزقُّ فرخهُ

والف ايضًا الكلاب والماعز التي في بيت صاحبهِ وبيوت جيرانهِ وصار يجول معها كأَنهُ واحد منها ويتبع الصيادين الى الشاطىء وينتظر الشباك حتى ترفع من الماء فيلتقط ما يسمحون لهُ بالتقاطهِ من سمكها ولكنك اذا ذكرت لهُ اسم سمكة الهر هرب منك واختفى من وجهك . والتجارب تعلّم الحيوان كما تعلّم الانسان

الثعلب والارنب

الارنب اسرع ذوات الخف عدوًا سلاحها في خفتها لكنهُ لا ينجيها من الحَين اذا حان لانها قليلة الحيلة والحيلة فوق الشجاعة. كانت ارنب تسكن واديًا في منتانا باميركا الشمالية حيث النهر المعروف بقوس اللجين وكان هناك ثعلب من الثعالب الحمر يصطاد الارانب ويغتذي بها وهو

سريع العدو ولكن الارض كثيرة الانجم والاشواك فاذا وثب من فوقها علق ذنبهُ بها وعاقهُ عن الجري . وهو نخور بذنبهِ ينفش صوفهُ دواماً زهواً واعجاباً ويجرُّهُ تيهاً ودلالاً . وكم في جرّ الذيول من الوهن والخمول . رأى الارنب ذات يوم فتاقت نفسهُ اليها فبعث الى ابن عمهِ ذئب البراري المعروف بالكويت وهو اصغر منهُ جسماً واخف قدًّا فاقبل الى نصرتهِ وهو غير نخور مثلهُ وصوفهُ غير غزير في ذيلهِ فلا يعيقهُ عن الجري لكن الله خلقهُ رجليهِ اسرع من يديهِ فلا يعدو كثيرًا حتى يضطر ان يقف قليلاً ويصلح خُطاهُ . ولما اقبل لنصرة الثعلب كانت الارنب قد اخذت تدور في دائرة كبيرة على جاري عادتها والثعلب يطاردها فلما رآهُ ربض في مكانهِ واختفى بين الاعشاب فجعل الكويت يدور وراءها وهي تعدو امامهُ الى ان اتمت دورتها ومرَّت بجانب الثعلب فنهض وجرى وراءها وللحال وقف الكويت ومال الى جنبهِ لكي يصلح خطاهُ ثم ربض بين الاعشاب ليستريح ريثما يتعب الثعلب من مطاردتها . ورأت الارنب ان الثعلب مجدٌّ في اثرها وانهُ مدركها ان هي توانت فجعلت تثب من فوق الاشواك والانجم كأنها من الطيور لا من ذوات الاربع . فقصَّر الثعلب عن اتباعها لئلاَّ يعلق ذنبهُ بالاشواك ان هو جاراها في وثباتها . حتى اذا بلغت مكان الكويت وقف الثعلب عن الجري ليستريح فقام الكويت وجدَّ في اثرها حتى كاد يدركها وحينئذٍ اشتبكت رجلاهُ بيديهِ فنهض الثعلب واستأنف الجري . وما زالا يتعاقبان عليها الى ان كلَّت

ولمَّا انقضى الطراد لم يكن احد حاضرًا ليرى ما جرى ولكن رأى بعضهم الكويت في اليوم التالي فاذا هو ضامر البطن على حالهِ واخاهُ الثعلب مملوء الضلوع فلا تخفى حقيقة ما جرى. والصيد للاقوى ولو طاردهُ اثنان

الثعلب الازرق

هو اخبث من الخبث واروغ من الدهر وطنهُ اميركا وفيها منبت اسلافهِ . قال بعضهم انهكني التعب ذات يوم فاستلقيتُ على العشب بجانب البحر ومرَّت بي ام عُوَيل[١] فظنتني فقمة القاها المدُّ على البر فابرقت اسرَّتها وقالت طعام مريءٌ للبطن والمجارس[٢] فدارت حولي في دائرة كبيرة ثم دارت في دائرة اصغر منها وظلَّت تضيق دوائرها حتى دنت مني وصرت استطيع لمسها بيدي وكانت تنظر اليَّ دواماً بعين خبيثة لا تطرف ولا تتحرك ثم دنت من رجلي ونهشتني بها وكنت منتعلاً حذاءً من الصمغ الهندي المتين فلم تصل انيابها الى قدمي . والتفتُّ اليها حينئذٍ فاطلقت ارجلها للريح وهي راضية من الغنيمة بالاياب

(١) ام عويل كنية انثى الثعلب (٢) جمع مجرس جرو الثعلب

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الدكتور نقولا فياض

استميح حضرة احمد افندي كامل ابداء بعض ملاحظات في شأن ما كتبهُ عن بلاغة العرب والافرنج تكون تعليقاً وشرحاً لما ردَّ بهِ عليهِ حضر خليل افندي ثابت

قال اللورد بيرُن الشاعر الانكليزي ان من اكبر المصائب على المؤلفين ان تنقل مؤلفاتهم الى لغة غريبة . وما ذلك الاَّ لان الترجمة قاصرة كل القصور من استيعاب محاسن الاصل وحفظ جمال الصورة الاولى ولهذا ترى كثيراً من القطع المشهورة بعلو طبقتها تخسر من بلاغتها في الترجمة لان اكثر ما فيها من التشابيه والاستعارات لا يكون ملائماً للسان المترجمة اليهِ ولان البلاغة ليست في المعاني وحدها بل هناك طرقٌ في التعبير واساليب في انتقاء الالفاظ ومناحي في التصور تختلف باختلاف الزمن والمكان والشعوب . بل المعاني موجودة في نفس كل واحد كما قال ابن خلدون والكاتب البليغ يفضل سواهُ لا بمعانيهِ بل لانهُ اعرف بلغتهِ الفصحى واقدر على انتقاء الالفاظ الموافقة لتلك المعاني فماذا تترك لهُ من هذه الصفة المميزة ان جردتَ معانيهُ من القالب الذي افرغها فيهِ والبستها ثوباً جديداً غريباً

ثم ان من التصورات والنعوت ما يستحسن في لغة ويستهجن في سواها فان ابقيتهُ اضعفت من قوة الترجمة وان اغفلتهُ افسدت من جمال الاصل . ذلك ما جرى في تعريب ابيات فكتور هيكو اورد منها هذا المثل " لقد وقع في هذا السهل موقعة كبرى خلط الموت فيها الجيوش " . والاصل في هذا البيت " لقد وقع في هذا السهل الساكن موقعة كبرى خلط الموت الاصفر فيها الجيوش المظلمة " . ومن هذا القبيل تشبيه المؤلف الجيوش في تموجها بكوم هائلة من الشوك ذات حياة فقد اضطرَّ المعرب الى الاعراض عن هذا الشطر لعدم إلفة لساننا العربي لهذه التشابيه . وبما اوردهُ حضرة خليل افندي ثابت من الامثال اكتفاء وغنى عن التطويل . ولهذا ارى ما قالهُ حضرة الكاتب الاول من انهُ " ليس في ما وصلنا من كلام الافرنج ومختار اشعارهم شيء من البلاغة " تسرُّعاً في الحكم فقد نال هيكو بسمو افكارهِ وسعة تصوراتهِ وبلاغة تراكيبهِ ارفع منزلة بين الفرنسيس وغيرهم من اهل الادب الاوربي وتناقل اسمهُ كتبة الالمان والانكليز والطليان والروس ونحن نريد الآن بكلمة ان نجردهُ من كل هذا المجد لمجرد قراءتنا بعض ابيات لهُ ترجمت الى لسان لغتها ابعد اللغات عنهُ اشتقاقاً . وانهُ ليكفينا للدلالة على مكانتهِ من عالم التحرير ان ما قرأناهُ من اشعارهِ المترجمة لم يزل عليهِ لمحة

من البلاغة ومسحة من جمال لغته الاصلية بالرغم عما خسره في الترجمة للاسباب التي بيناها فضلاً عن ان المعرّب لم يسلك في تعريبهِ مسلك المؤلف من التخيل الشعري بل اخذ طريق النثر المرسل فكأنهُ ترجم الابيات مرتين لان حل المنظوم الى منثور ترجمة لا تقل عن النقل من لغة الى لغة . ثم انهُ تصرف كثيرًا في الترجمة فحذف جملاً في اعظم مكان من القوة والتأثير ووصل كلاماً كان الفصل احق بهِ . من ذلك قول المؤلف في قصيدة التكفير (ابكي يا وترلو وقف متأسفاً لان هؤلاء الابطال آخر جيش لآخر حرب كانوا عظماء لقد فتحوا الارض ودوخوها وطردوا عشرين ملكاً وجازوا الالب والرين " وكانت نفوسهم تغني في ابواقهم النحاسية ") فاعرض المعرب عن ترجمة البيت الاخير مع ان وراءهُ معنى جميلاً اذ قصد المؤلف ان يقول ان نغمات الموسيقى لم تكن الاَّ اصوات نفوسهم لان نفوسهم كانت تبسم للحرب فتجسمت في تلك الاصوات . وليس بعزيز ان يفرغ هذا المعنى في قالب جميل غير اننا اثرنا تعريبهُ بالحرف الواحد اجتناباً للابتعاد عن الاصل ما امكن . ومثل ذلك قول المعرب في القصيدة الثانية المسماة نابوليون "ثم كلمهُ الشاعر من وحي الغيب" . فهذه العبارة وان حسنت ليست في الاصل ولا حاجة اليها البتة لان الشاعر عند وصولهِ الى هذا الموقف ينتقل من الوصف الى التأملات وذلك ابلغ في التأثير

وكنت اود لو اتاح لي الوقت نقل الابيات برمتها لا طمعاً بمعارضة المعرب بل صرحاً على الصورة الاصلية . ولعلَّ المرحوم الشيخ نجيب الحداد لم يقصد بترجمة ما ترجم من ابيات القصيدتين الاَّ حكاية الواقع فاعرض عن اكثر ما فيها من التصورات والعبارات الشعرية . وعندي لو كان مرادهُ اظهار مكان الشاعر لما نحا هذا المنحى فكان اختصارهُ لها اقتضاباً وهو من المقدرة في الانشاء بمكان يعلمهُ كل قارىء للسان العرب

وقد قرأت الترجمة المدرجة في المقتطف على مسمع احد الادباء العارفين باللغتين الفرنسوية والعربية فما احدث سماعها فيهِ تأثيراً غريباً ثم اعدت على مسمعهِ قصيدة هيكو من اولها الى آخرها بالفرنسوية فما تمالك نفسهُ مراراً عن النهوض عن مجلسهِ تحمساً . ولا ريب ان حضرة احمد افندي يفعل ذلك ان أُتيح لهُ مطالعة تلك القصيدة السامية ويرجع عن قولهِ " ليس في هذه القصيدة من وصف الحرب اكثر مما تراهُ في الجرائد كل يوم من وصف المعارك والمواقع والقواد "

وهنا أُذكر حضرتهُ ان المواضيع التي كتب بها الافرنج اكثرها تاريخي يتقيد بهِ الشاعر او ادبي وصفي انتقادي فاين القصائد العربية في هذا الباب . ومعاذ الله ان اقصد بذلك تحقير

لغتنا الشريفة فهي من افصح اللغات واوسعهنّ ولكن الناظمين فيها قلما تعدوا حدود الغزل والمديح والرثاء . ولا ادري اين وجه الشبه بين الابيات التي اوردها وابيات هيكو في تلك الفتاة التي ذهبت شهيدة الرقص . فالشاعر العربي يرثي ابنة ويصف اسفهُ الشديد ويبكيها بالدمع والدم والسهاد والمشيب وهيكو يصف الحادثة وصفاً طبيعياً تخال بهِ انك حاضر تلك الليلة الراقصة تنظر الى الفتاة عن قرب وتتبعها في حركاتها وترافقها في تأثراتها . واذا امعنَّا النظر نرى ان الشاعر العربي لا يخرج عن دائرة نفسهِ فهو ظاهر من خلال اقوالهِ واما الشاعر الفرنسوي فيختفي ليظهر بطل الحادثة التي يدمنها وهذه نهاية المقدرة

وقد ذكر حضرة احمد افندي رسالة لسماحة السيد البكري قصد بها اظهار الموازنة بين الشاعرين وقد اتفقا في غرض واحد تقريباً . فتروَّيتها كثيراً فلم اجد فيها معنًى فات هيكو او غيره ممَّن كتب عن نابوليون بل وجدت فيها معاني تشبه كل الشبه ما قرأتهُ في كتب اولئك كقولهِ هو كرة الارض قامر بها الرجل فربحها في ساعة وخسرها في اخرى وقولهِ فقهرهم وخسر شعبهُ فكان هو المقهور . نعم في الرسالة تشابيه كثيرة جميلة اختص بها اللسان العربي ولا يقدر عليها الاَّ من رسخت فيهِ ملكتهُ ولكن سماحتهُ وصف نابوليون لا كما كان نابوليون بل تذكَّر الحارس على النعامة وعمرًا في يدهِ الصمصامة ورسم في مخيلتهِ معركة حربية وصفها باحسن ما جاد بهِ قلم عربي وذكر "سيوفاً تهادى كانها ورق الشجر هزهُ سقوط المطر وجماجم على الرماح كانها همزات على الفات" الى غير هذا من تشابيه بديعة واستعارات بالغة حد الحسن ولكنها بعيدة عن الواقع وما كان اقرب الى الحقيقة لو اعتاض عن السيوف والرماح وتطاير فراش الهام بوصف المدافع واصواتها والبارود ودخانهِ لان عليها كان مدار تلك الحرب. ثم وصف نابوليون "وهو يخطر بين الصفين ويهرول بين العدوتين ويلتقي في الوقدة الرمح بالرمح كما يلتقي في الرقدة الهدب بالهدب" كما نقرأ في حروب الجاهلية من العرب لا كما يرويهِ لنا التاريخ عن نابوليون لانهُ لم يكن يشهد الحرب الاَّ ليقف في مكان يشرف منهُ على كل الجيوش ويناظر حركات رجالهِ ويقاوم بتدبيرهِ هجمات اعدائهِ

وقد ذكر حضرة احمد افندي كامل هذه الرسالة مثلاً في البلاغة فهل يريد ان نسلك هذا المسلك بالاكثار من التشابيه والسجع مما يذهب بوقت القارىء كما يذهب بوقت الكاتب . ونحن في زمن اصبح الوقت فيهِ ثميناً عند القارىء والكاتب معاً . وحبذا لو قام سماحة السيد البكري وغيرهُ من قادة العقول وفرسان الاقلام الى الكتابة بطريقة جديدة توافق العصر الحاضر فانَّا نرى الافرنج يهربون من التقليد وينزعون الى الجديد وكلما اتى عليهم زمن لحق

اللغة نصيب من التغير الذي يصيب العادات فترى منهم كل يوم تقرُّباً جديداً من الحقيقة وبعداً عن الاوهام وزخرف التصنع ونحن لا نزال متبعين سنة التقليد لا استقلال عندنا في الفكر ولا تفنن في الصناعة فاذا اردنا وصف موقعة مثلاً نصفها كما تعودنا ان نقرأ ونسمع عن المواقع لا كما هي تلك الموقعة فشاعرنا ككاتبنا وكاتبنا كشاعرنا . ترى الشاعر لا يصرف جهد قريحتهِ الى غير المدح والرثاء فاذا مدح ابتدأ بالغزل واذا رثى بالنصح . اما التغزل فبالغزال واليمامة والعقيق ونجد وغير ذلك مما لا علم لنا بهِ الان واما النصح فبالدنيا الغرور والدهر الخؤون حتى لو جمعتَ كل ما قالهُ الشعراءُ في هذين الموضوعين لم ترَ ادنى فرق بين الواحد منهم والاخر ولامكنك ان تختصر تلك المجلدات الضخمة بصفحات قليلة لان معانيها مكررة واستعاراتها معادة فالشعر عندنا كما تسميهِ الفرنجة عُود ولكن ليس فيهِ الاَّ وترٌ واحد يضرب عليهِ الكل فيختلف الصوت تبعاً لقوة الضربة وحركة الانامل

والغريب ان اكثر شعرائنا وكتبتنا لا يريدون تغيير القديم بل لا يقبلون بالجديد فان سمع الواحد منهم بيتاً جديداً او معنًى غريباً قال هذه تصوُّرات افرنجية كأن فكر العربي قاصرٌ عن الاختراع وليس لهُ قدرة على الابداع فاذا قلت مثلاً حيث الكواكب هبوط الليل او سمع الانسان صوت ضميرهِ انكروا عليك ذلك كانهُ لا يجوز للتصور العربي ان يستعمل مثل هذه التخيلة ولا يحق لهُ ان ينسب الى الضمير صوتاً يتكلم . ومن كان مثل هؤلاء فهو ناسٍ ان الانسانية تمشي الى الامام والانسان فيها مدفوع الى السير مضطر الى التقدُّم محظور عليهِ الوقوف او الرجوع فهو في حياتهِ العقلية اشبه بهِ في حياتهِ البدنية فكما يضطرهُ تعاقب الفصول وتغير الاوقات الى تغيير معيشتهِ من المأ كل والملبس والمبيت تضطرهُ معاملتهُ العقلية وعلائقهُ الجامعية الى مجاراة الاحوال والتكلم بلغة العصر . ولو قام ابناؤنا في القرن التالي وقرأوا ما كتبناهُ في غير العلم والسياسة لما حسبوا اننا عشنا في هذا العصر الممتاز عن سائر العصور السالفة بل ظنوا اننا عشنا في عصر قبل هذا وزمن لم يكن فيهِ ما نراهُ الآن من حقائق العلم وعجائب العمران

(المقتطف) لما ذكرنا ترجمة كبلنغ الشاعر الناثر المشهور قلنا صريحاً ان ملايين من البشر "يسمعون لهُ لا لفصاحة منطقهِ ولا لبلاغة اقوالهِ بل لانهُ يقول لهم ما يودون سماعهُ ويصف لهم طباع الناس واحوال الزمان والمكان وصفاً منطبقاً على الحقيقة تمام الانطباق" . وقلنا في آخر تلك الترجمة "وربما ترجمنا مقالة او اكثر من مقالاتهِ مثالاً لاسلوبهِ في الانشاء" ثم لما انجزنا الوعد وترجمنا مقالة من مقالاتهِ في الجزء الاخير من السنة الماضية جعلنا عنوانها "مثال في الانشاء" وغرضنا من ذلك اظهار اسلوبهِ في الكتابة ولم ندَّعِ ان ما نقلناهُ عنهُ

من ابلغ ما كتبهُ ولا اننا توخّينا في نقلهِ اظهار بلاغة الافرنج . ولذلك لم يصب حضرة احمد افندي كامل في التمثل بما ترجمناهُ عنهُ . وسننشر في الاجزاء التالية ترجمات تظهر بلاغة الافرنج باجلى بيان. وحبذا لو يتحفنا الكتّاب الكرام بكل ما لديهم من هذا القبيل

رواية تنكرد

الفصل السادس

لا تصير الاخلاق ملكات راسخة في النفس الا في سن معلوم يختلف باختلاف الميل الفطري. ولم يكن تنكرد قد بلغ هذا السن ولكنّ ميلهُ الفطري كان شديدًا فكان كثير العزلة كثير التأمل كما تقدَّم فاترًا على امور صمَّم نيتهُ على بلوغها مهما كلفتهُ من المشاق . وقد عمل بما طلب منهُ والداهُ لانهُ كان شديد الطاعة لهما بالفطرة ولكنهُ لم يرَ في محافل الانس التي القياهُ فيها شيئًا يسرُّهُ ويلائم طبعهُ فكنتَ تراهُ فيها صامتًا ينظر الى الناس ولا يسرُّ برؤيتهم لانهُ يجدهم بعادًا عن البساطة مكثرين من العُجْب يلاقي بعضهم بعضًا فيتكلمون جملاً قصيرة مبتورة كأنهم في شغل شاغل ولا شغل لهم وكلٌّ منهم باسمٌ لا عن سرور بل عن تصنُّع. ولا اجهل ممَّن يظن الابتسام شرطًا لازمًا لارضاء غيرهِ . فكم من امرءٍ تراهُ باسمًا كالليث حين يبدو نابهُ وكم من وجه عبوس يبدو عليهِ الابتسام لحظة من الزمان فيسحر الالباب لانهُ يعرب عن سرور اكيد . وكان تنكرد من هذا القبيل وقد ورث ذلك عن امهِ فانها امرأة فاضلة رزينة اذا سرَّها شيءٌ بدت دلائل السرور في وجهها فزادتها جمالاً على جمال لكن ابتسامها نادر مثل حلاها

لما جاء تنكرد الى الحفلة الراقصة التي مرَّ وصفها في الفصل السابق لم يكن ينتظر ان يجد فيها شيئًا يسرهُ لان فؤادهُ كان مشغولاً بالتفكير في مدائن المشرق ومفاوزهِ وما فيهِ من الانهر الاودية . وكان خجولاً بالطبع فلما نودي باسمهِ حين دخول الدار على جاري العادة في بيوت الكبراء وانتقل اسمهُ من فم خادم الى فم خادم آخر كأنهم اصداء بعضهم لبعض كاد يذوب خجلاً ولولا الشمم وعزَّة النفس لانقلب راجعًا على عقبهِ . ولكن لم يمضِ عليهِ عشر دقائق في تلك الدار حتى طلب من تلقاء نفسهِ ان يتعرَّف بسيدة من السيدات اللواتي كنَّ فيهِ . وهي اول مرة طلب فيها ذلك في حياتهِ . ثم لما عاد الى بيتهِ عاد وفي اذنهِ صوت يطربهُ وفي ذهنهِ صورة يسرُّ بها . ولما وقف ليخلع ثيابهُ قبل نومهِ طال وقوفهُ وهو يفكّر في ما مرَّ عليهِ

تلك الليلة. ولما اتى خادمهُ ليوقظهُ في الصباح جاء برقعة من مسز فلونسي تدعوهُ فيها الى الغداء في بيتها الساعة الثالثة بعد الظهر. فاخذ الورقة ونظر اليها وكأنَّ حروف الكتابة التي فيها اجتمعت بعضها مع بعض وصوَّرت لهُ صورة لادي كونستانس. فقال في نفسهِ لا بأس بالذهاب لاني ارى هناك لورد فتزهرن فاستفيد منهُ كثيرًا عن اليخوت فامر ان تعدَّ مركبتهُ في الساعة الثالثة

ولم تكن مسز فلونسي منذ عشر سنوات لتُذكر بين نساء الكبراء كما هي الآن لكنها توخت الظهور بين الناس ففازت بهِ كما فاز الانكليز في تغلبهم على بلاد الهند. والذين يتوخون ذلك كثار ولكن الذين يحرزون الفوز قلال او يكون فوزهم ناقصاً فلا يبقى لهم الاَّ اذا انفقوا عليهِ النفقات الطائلة كما فعل الفرنسويون في بلاد الجزائر. ولم يكن زوجها من ذوي الثروة الطائلة بل كان دخلهُ السنوي نحو سبعة آلاف او ثمانية آلاف من الجنيهات وهذا دخل معتدل عند كبراء مدينة لندن لكن زوجتهُ كانت مدبرة والقليل مع التدبير كثير كما ان الكثير مع التبذير قليل. وزد على ذلك انهُ لم يكن لهُ اولاد فصار دخلهُ كافيًا للظهور في مظاهر الاغنياء الكبار. وسار سيرة اهل الوجاهة في قضاء الوقت بالصيد والقنص واللعب متبعاً مشورة زوجتهِ لانها اقنعتهُ ان ذلك هو السبيل الوحيد للتعرُّف بكبراء القوم والجري في خطتهم. ولم يكن ماهرًا في شيءٍ من ذلك لكنهُ كان يعرف منهُ ما يرفعهُ عن ان يكون هزءا عند الذين زجَّ نفسهُ بينهم. وكان مع ذلك حذورًا منهم اذا طلب احد منهُ ان يقرضهُ بضع مئات من الجنيهات او ان يكفلهُ على بضعة الوف لم يردَّ طلبهُ بل قال انهُ مستعد لكل خدمة من هذا القبيل وكتب الى مدير البنك الذي فيهِ دراهمهُ او الى المحامي الذي يدافع عن حقوقهِ كتابةً محكمة تأْول اخيرًا الى انهُ لايقرض شيئًا ولا يكفل احدًا ويبقى متفضلاً على الرجل الذي طلب منهُ القرض او الكفالة. فاشتهر بين اقرانهِ بانهُ من الممدوحين الليني العريكة ولكن لو اجهد مادحوهُ قريحتهم حتى يجدوا لهُ عملاً واحدًا يستحق عليهِ المدح ما وجدوا. فلم يكن بالرجل النافع ولا بالرجل الضار. والناس مقلدون في حكمهم على غيرهم لايحققون فاذا ابى احدٌ ان يعطي اموالهُ لرجل مبذر متلاف وذهب هذا يطعن عليهِ ويصفهُ بالشح والبخل نقلوا الوصف عن لسانهِ واذاعوهُ بين الملا. واذا اشبعهُ بالمواعيد الفارغة والتدليس فقال هذا عنهُ انهُ كريم لين العريكة ذاعت شهرتهُ كذلك ولو لم تكلّفهُ شيئًا

وكان المستر فلونسي يدعو الكبراء للغداء عندهُ فتقابلهم زوجتهُ وترحّب بهم حتى اذا كان لهم زوجات قابلتهنَّ وصاحبتهنَّ فيشمخنَ عليها في المقابلة الاولى واذا هنَّ رأينها مرةً او

مرتين احببنها وسررن بصحبتها . وكانت هي وزوجها لا تقيمان في لندن الاَّ فصل الشتاء فحالما يمضي يمضيان الى بكوس ثم الى حمامات المانيا ثم الى باريس ثم الى ضواحي لندن ثم يعودان الى لندن مثل اعظم عظماء الانكليز . وكثيرًا ما كانا يلاقيان المصاعب في الوصول الى العظماء ولكنَّ الصبر موهبة كبيرة كما قال العالم بفون الشهير ومن صبر ظفر . واتصلا من ايلام الولائم الى اقامة الحفلات الراقصة (البالو) فصار العظماء يترددون على بيتهما واستأجرا لوجًا في الاوبرة كانا يدعوان اليهِ خصومهما ليرشياهم بهِ و يتخلصا من شرهم او يكسبا شكرهم على شرط ان يكونوا من العظماء

والحفلات الراقصة ليست بالامر السهل فانها تقتضي دارًا رحبة واثاثًا فاخرًا ونفقات كثيرة على الطعام والشراب واناسًا من العظماء يلبُّون الدعوة . وهب انكِ وجدتِ كل ذلك بقي عليكِ تعيين اليوم الذي لا يعارضكِ فيهِ احد. فهب انكِ اعددتِ بيتكِ وهيأتِ افخر انواع الطعام والشراب وارسلت اوراق الدعوة وعينت الليلة والساعة وقبل الميعاد باربع وعشرين ساعة ارسلت الاميرة الفلانية اوراقًا تدعو فيها العظماء الى ليلة حافلة اقامتها اكرامًا لملك زار البلاد وكان زوجها سفيرًا في بلاطهِ اضطررتِ ان ترسلي وتخبري كل الذين دعوتهم انكِ اخرتِ ليلتكِ الى وقت آخر ولو كنتِ تعلمين انهُ ما من احد يلبي دعوتك من الذين دعتهم تلك الاميرة . ثم تعلنين ذلك في الجرائد اليومية وتعينين ليلةً اخرى وقبل ان تحين تأتيكِ دعوة الى ليلة راقصة عند الاميرة فلانة في الليلة التي عينتها وانتِ وكثيرات مثلك يفضلنَ ليلتها على ليلتكِ فتضطرين ان تعدلي عن عزمكِ وتتركي الليلات الراقصة الى اربابها. ولذلك لم يكن نجاح مسز فلونسي في اعداد الليلة الراقصة بالامر السهل ولاسيما لما تمكنت من دعوة احدى الاميرات من بيت الملك الى دارها فشرَّفتها بحضورها وسرَّت بما شاهدت واقامت نصف ساعة اكثر مما كان ينتظر منها . وحضر تلك الليلة كثيرون من العظماء والسفراء وزوجاتهم ومن ثمَّ صارت مسز فلونسي تدعى الى كل الليالي الراقصة وأُدرج اسمها في قائمة المدعوين اليها

الفصل السابع

لما جاء تنكرد الى الغداء عند مسز فلونسي وجد البيت والحديقة التي حولهُ مزدانين افخر زينة وفيهما جمهور كبير من نخبة العظماء ولم تكن هذه السيدة ترغب في لقاء احد اكثر مما ترغب في لقائهِ لكنها كانت ماهرةً في امتلاك طبعها حتى لا تُظهر ما فيها من الرغبة . ولم تنل هذه المهارة الاَّ بعد المزاولة الطويلة اما في اول ظهورها والتقائها بالعظماء فكانت تظهر من

الرعشة والاعجاب ما يُضحك الناس عليها . وهذا اول غداء دُعي تنكرد اليه فسرَّ بما رأى لا سيما بمنظر الحديقة وما فيها من الخمائل الغناء والادواح الغبياء والفساقي والمجاري وما رآه من الجمال الرائع بين ربات الحسن والدلال

على مَ يمضي هذا الفتى الى اورشليم وما شأنهُ والشعائر الدينية والحقوق السياسية وهو من الفتوَّة والجاه والثروة في المقام الاسمى ولهُ عقل راجح فيستطيع ان يستفيد من هذه المزايا . أوَ ليس ذلك حسبهُ . وهبْ انهُ وصل الى اورشليم سالمًا فما عساهُ ان يجدهُ فيها مما يتوخاهُ فانها مدينة حقيرة في بلاد تكاد تكون قفرًا . أفما يستطيع اهل الازياء وارباب الجاه والوجاهة ان يقنعوهُ بالعدول عن هذا السفر . وقد بذل والداهُ جهدهما في منعهِ فلم يفلحا ولم تحُل دموع امهِ دون مرامهِ ولكن "قد يفعل الحبُّ ما لا يفعل الدمعُ" . فلننظر فعلهُ في هذه النوبة . لقي هناك لادي كونستانس فسرَّت برؤيتهِ وسرَّ برؤيتها . واسمع ما جرى بعد ذلك

قال لورد اسكدايل لدوقة بلامنْت ام تنكرد "كذا يحدثون" وكانت الدوقة تنظر اليهِ نظر الدهشة والاستطلاع . "فقد طلب من سنت بترك ان يعرفهُ بها في بيت دلوراين ورقص معها وقد شغلتهُ عن اليخت"

فقالت الدوقة "ما كنت اودُّ الاَّ ان تكون كاترين ابنة اخي"

فقال "اصبري وسيتعرَّف بكثيرات مثل هذه ومثل تلك قبلما يرسو على واحدة والتعرُّف بواحدة ليس شيئًا في ذاتهِ ولكنهُ يدلُّ على ما انبأْتك بهِ وهو انهُ متى اشتغل فؤادهُ بشيءٍ آخر نسي اليخت والسفر"

فقالت "اصبت اصبتَ وانتَ مصيب دائمًا"

وكان لورد اسكدايل خبيرًا باحوال الرجال لكن تنكرد لم يكن مثل الشبان الذين خبرهم لان التجارب لم تعلمهُ كيف يتقي المخاطر فكان عرضةً للوقوع في اشراك الهوى التي لا يقع فيها من اعتاد خوض المنايا من شبان عصرهِ . وشهامة نفسهِ تأبى عليهِ ان يرى فتاةً تحبهُ وهو يعرض عنها

وكانت لادي كونستاس على جانب كبير من الظرف قرأَت كثيرًا من الروايات الفرنسوية ورسخ في ذهنها كثير من الامور التي لا يسلم كل احد بها او تأباها نفس الحرّ فكان تنكرد يسرُّ بحديثها ولكنهُ يتألم اذا ذكرت شيئًا لا يتوقع ذكرهُ من فتاة مثلها وينسب ذلك الى عشرائها الذين يودُّ ان يبعد عنهم ويبعدها ايضًا . وفُتِن هي بجمال طلعتهِ ورقة حديثهِ وذكاء عقلهِ وطهارة قلبهِ وامتيازهِ على كل اترابهِ . وكانت طلقة المحيا بعيدة عن التصنُّع فلم تستطع ان

تخفي حبها لهُ وارتياحها الى رؤيتهِ . وسلكت معهُ سلوك فتاة حصينة شريفية المبادىء عالية النسب . وزارها في بيت ابيها بعد ان لقيها عند مسز فلونسي فرحَّبت بهِ امها وكانت هي تكتب مكتوبًا فرحبت بهِ ايضًا بكلمتين وعادت الى كتابة المكتوب فجلس الى امها واخذ يكلمها في شؤون غير هامة وهي تساعدهُ على الجري في الحديث لانهُ لم يكن طلق اللسان على ما يريد . واتمت لادي كونستانس كتابة المكتوب وسلمتهُ للخادم وبقيت جالسة في مكانها بعيدة عنهُ لا تسمع حديثهُ لتشاركهُ فيهِ فشعر كأن الغاية التي جاء لاجلها غير حاصلة لهُ وهمَّ بالخروج وحينئذٍ دخلت احدى السيدات زائرة فنهض واستأذن في الانصراف ولكنهُ لم يخرج من الغرفة بل مال الى لادي كونستانس وجلس اليها كأنهُ على غير قصد منهُ . فبشت في وجههِ وقالت لهُ هذه السيدة صديقة أمي الحميمة . وكأنها قالت لهُ صار يمكنك ان تحادثني الآن لانهُ دخلت سيدة تحادث امي

وبعد ان تحدثا مدة وجيزة مسكت كتابًا كان امامها وقالت لهُ أقرأتَ هذا الكتاب . فأخذهُ من يدها وقلّبهُ ثم قرأ عنوانهُ واذا هو " ابناء الفضاء " فقال كلاَّ لم ارهُ قبلاً . فقالت اني اعيركهُ اذا اردت فهو من الكتب التي يجب ان تقرأها لانهُ يفسّر كل شيء واسلوب كتابتهِ حسن جدًّا

فقال لها ان كان يفسر كل شيء فهو من ابدع الكتب . فقالت نعم ولا بدَّ لك من قراءتهِ فقد كنت اقول ذلك في نفسي وانا اقرأهُ . فقال ان عنوان الكتاب يدلُّ على ان موضوعهُ غامض . فقالت نعم ولكن كل ما فيهِ مشروح شرحًا وافيًا وموضح بالجيولوجيا والفلك فترى فيهِ كيف تكونت الكواكب — سديمٌ كالضباب تجتمع قطع منهُ وتتكاثف كما تجتمع الزبدة في اللبن اقرإِ الكتاب فتسر بهِ جدًّا

فقال ما من احد رأى كوكبًا يتكوَّن . فقالت نعم ولكن اقرأ هذا الكتاب اقرأهُ فتجد فيهِ كل شيء مفسرًا وموضحًا . ومن اغرب ما فيهِ تفصيلهُ كيفية تكوُّن الانسان وارتقائهِ فان كل شيء قد ارتقى ارتقاء . في البدء لم يكن شيء ثم تكوَّن شيء نسيت ما هو اظن تكوَّن المحار اولاً ثم السمك ثم الانسان ولكنني لا اتذكر هل وُجد الانسان قبل السمك اوالسمك قبل الانسان وعلى كل حال ستوجد مخلوقات اخرى ارقى منا لها اجنحة — لا لا تذكرتُ الآن كنا نحن سمكاً وسنصير غربانًا . طالع الكتاب فتجد فيهِ ما يسرك

فقال تنكرد " لا اصدق ابدًا اني كنت سمكة "

فقالت ولكنك تجد مع كل شيء برهانهُ فاقرإِ الكتاب ثم احكم ويستحيل عليك ان

تناقض شيئاً فيهِ لانهُ كلهُ علم مثبت مبرهن بالجيولوجيا وتجد فيهِ كيف تكوَّنت العوالم وكيف زالت بعضها من امام بعض وما نحن الاَّ حلقة من سلسلة كبيرة كثيرة الحلق وستكوَّن بعدنا حيوانات ارقى منا كما صرنا نحن ارقى من الحيوانات التي كانت قبلنا وقد كان لنا زعانف وستصير لنا اجنحة وهذا هو الارتقاء

فصمت وهو يفكر في ما قالته لهُ ثم نهض وودَّعها وودَّع امها وخرج وهو يقول في نفسهِ كنتُ سمكةً وسأصير غراباً ما اغرب هذه الدنيا لا بدَّ لي من الخروج من هذه المدينة باسرع ما يمكن لاني لا استطيع الصبر على ما فيها من المفاسد والاضاليل . ولكن تعرُّفي بهذه السيدة قد افادني لانني عرفت بواسطتها من هداني الى يخت يرضيني ولو كان صغيراً ولا بدَّ من ان اكتب اليهِ حالاً واخبرهُ انني قبلتُ بهِ . والتقى حينئذٍ باللورد اسكدايل فقال لهُ ان التقادير ساقتك اليَّ فقد وعدتني انك ترشدني الى خادم امين يعرف بلاد المشرق

فقال لورد اسكدايل وهل صممت على السفر ووجدت اليخت . فقال نعم واتيت اذكرك بوعدك وقد انجز حرٌّ ما وعد . فقال لورد اسكدايل نعم نعم تذكرتُ الآن . فقال تنكرد ولا بدَّ من ان تتكرَّم وتساعدني في امور أُخرى اذ لا بدَّ لي من ان ترشدني الى انسان آخذ لهُ مكاتيب توصية وتحاويل مالية وما اشبه فقال اسكدايل وماذا تفعل بالكولونل والبقية وهل هم على اهبة السفر

فاجاب لقد وعدتُ ابي بان آخذهم معي وهم وعدوني انهم يكونون مستعدين للسفر في اسبوع من الزمان وسأكتب اليهم الليلة فان حضروا فيهِ والاَّ فانا في حلّ من وعدي

اذاً انت مسافر وقد وجدت يختاً واظنك اعتمدت على الباسلسك

نعم

ولكنهُ يحتاج الى اصلاح كثير

نعم ولكن اكثر ذلك زينة خارجية لا يهمني امرها واذا اضطررت اصلحتهُ في جبل طارق

اذاً لا بدَّ لك من رجل خبير يساعدك في السفر ومن مكاتيب توصية ودراهم . نعم لا بدَّ من ان تتعرَّف بالصيدوني فهل تعرفهُ

كلاَّ

لا بدَّ لك من التعرُّف بهِ وهو الرجل الذي يفيدك اكثر من كل انسان ولكن ما الحيلة وهو قلما يخرج من بيتهِ . — اليوم الاثنين وغداً يوم البريد فاتعشى معهُ وحدنا . سأكتب اليك يوم الاربعاء صباحاً ومن رأيي ان لا تكتب الآن الى الكولونل ورفاقهِ

الفصل الثامن

اغرب ما في مدينة لندن اتساعها حتى يرى من فيها كأنهُ في مدينة لا حدَّ لها . وهي ليست عظيمة وليس فيها من مزايا المدن العظيمة الاَّ الاتساع اما الجمال فمحرومة منهُ . والمدن العظيمة حاوية الاتساع والجمال معًا ولكنها صارت نادرة الآن بعد رومية وبابل ومدائن الفراعنة . صارت نادرة بعد ان لم يعد الناس يهتمون بجمال المباني . والمدينة التي تتوخى العظمة الآن مدينة باريس وهي قد تكون جميلة لكنها غير كبيرة ولو كان سكانها كثيرين عددًا لانهم مزدحمون في منازلهم فيبقى نطاقها ضيقًا . والقسطنطينية واقعة في اجمل موقع طبيعي ولكن مبانيها غير فاخرة

اما لندن فابنِ في قلبها بناء مثل الاكروبولس والفورم[1] تجد عظمتها قد زادت عشرة اضعاف ولا شيء يدلُّ على عظمة الامم مثل مبانيها العظيمة فان قصور الملوك ودور الآثار ونحوها من المباني العمومية هي عنوان قوة الامة ودليل تمجدها

ولا تخلو لندن من المباني العظيمة ولاسيما في حي التجار القديم فان التجار الذين كانوا منذ مئة سنة او اكثر كانوا يعرفون مقامهم ويبنون المنازل الكبيرة التي تفاخر قصور البندقية فخامة وزخرفة وقد هجر السكان هذه المنازل الآن فصارت بيوتًا للتجار . ومنها منزل يفصل بينهُ وبين الشارع الذي امامهُ باب كبير من الحديد المنقوش يفتح الى باحة فسيحة والمنزل قائم على جانبيها يوصل اليهِ بسلم كبير من المرمر وفي الباحة حديقة غناء في وسطها فسقية يتدفق الماء منها وترى الرجال داخلين الى هذا المنزل وخارجين منهُ وعلى وجوههم دلائل الاهتمام بامور ذات بال كانهم تلامذة في مدرسة مشتغلون بالدرس والبحث والتنقيب . هنا بيت المحاسبات حيث ينظر في اموال الملوك والممالك في اعظم مدينة يسكنها اعظم رجال الاموال

هذا الحي المعروف بالمدينة (ستي) زارهُ تنكرد على اثر كتاب اتاهُ من لورد اسكدايل يقول لهُ فيهِ

عزيزي تنكرد — رأيت الصيدوني امس وكلمتهُ في شأنك وهو في شغل شاغل الآن لان عمهُ مات ولا بدَّ لهُ من ان يدير الاشغال وحدهُ الى ان يأتيهُ رجل آخر من اعمامهِ او اولاد اعمامهِ . ولكنهُ قال لي ان اكتب اليك لتأتيهُ الى المدينة اليوم الساعة الثانية بعد الظهر واسم بيتهِ سكوين كورت وهو قرب البنك . ولا يصعب عليك الاستدلال عليهِ . ورأيي ان تمضي اليهِ فانهُ الرجل الذي يفهم مرادك اكثر مني ومن ابيك ويستحق ان تتعرَّف بهِ

(١) بناءان فخيمان مشهوران الاول في اثينا والثاني في رومية

طي هذا سطران ارسلها اليهِ لكي لا يقع خطاء . وهو اسرائيلي فلا تكثر امامهُ من ذكر القبر المقدَّس صديقك اسكدايل

ولما بلغ تنكرد عطفةً في الشارع المار امام البنك سمع اقساماً ومشاجرات واناساً يتشاتمون واسواطاً تضرب ثم رأى رجال البوليس وسمع صوت انكسار مركبة وصراخ امرأة فنظر من كوة مركبتهِ واذا امامهُ مركبة صغيرة بديعة الصنع كثيرة الزخرفة قد انكسر عجلها لالتطامها بعربة كبيرة وكاد سائقها يقتل . وفيها امرأة بديعة الجمال ووراءها خادمان وقد اجتمع حولها رجال البوليس فنزل من مركبتهِ وسار اليها فسمع واحداً يطلب منها ان تنزل من المركبة وهي تقول لهُ "الى اين امضي فانني لا استطيع ان امشي ولا اترك مركبتي حتى تأتوني بمركبة اخرى ويجب ان تقاص هؤلاء الرجال الذين كسروا مركبتي "

فقال لها هم يقولون ان الحق على سائق مركبتك. ولكن هذا لا يعنينا واسم مستخدمهم على عربتهم بَرُون وشركاؤهُ فطالبيهم بالعطل والضرر اذا لم يكن الحق على سائق مركبتكِ. ولكن لا يحق لكِ ان تسدّي الطريق بمركبتك فانزلي منها لكي ترفع من الطريق

فقالت والدموع ملءُ عينيها كيف العمل واين اذهب . فقال لها تنكرد هوذا مركبتي وهي في خدمتك

فنظرت اليهِ بعينين نجلاوين ولم تستطع ان تخفي دهشتها لانها لم تكن قد رأتهُ قبلما تكلم وقد دُهشت من جمال طلعتهِ ولا سيما لما رأتهُ بين جمهور من رجال الشحنة . وكان الناس المجتمعون حولها قد استاءوا من وقاحة سائق مركبتها وخادميها ومن منظر رجل كان راكباً معها وهو يكلمها باللغة الفرنسوية وينظر الى من حولهُ شزراً . فلما سمعت تنكرد تنفست الصعداء وشكرتهُ على معروفهِ وتقدَّم هو وفتح باب مركبتها فخرجت منها هي والرجل الذي معها وركبا مركبة تنكرد وامر تنكرد سائق مركبتهِ ان يفعل كما تقول لهُ ثم مشى على الرصيف الى ان وصل الى البنك فسأل رجلاً ماراً هل هذا هو البنك فقال لهُ نعم وماذا تريد فاني ذاهب اليهِ فقال اني لا اريد البنك بل سكوين كورت فهل تعرف اين هو . فقال الرجل نعم واظنك قاصداً الصيدوني ثم ارشدهُ اليهِ

الفصل التاسع

دخل تنكرد سكوين كورت فرأى امام الباب مركبة عليها شعار دولة اجنبية ونهض البواب للقائهِ وسألهُ عمَّا يريد فقال اريد ان ارى المسيو ده صيدوني. فقال البواب لا يمكنك ان تراهُ

الآن لانهُ مشغول . فقال تنكرد ولكن معي كتاباً لهُ . فقال البواب اعطني الكتاب لارسلهُ اليهِ وانتظرهُ في هذه الغرفة وفتح لهُ باب غرفة بجانبهِ . فشكرهُ وفضَّل ان ينتظرهُ في الدار. ونظر حولهُ واذا على جدران الدار كثير من صور المشاهير وتمثال رأس من صنع تشنتري النحات الشهير وفيها سلَّم كبير من المرمر لا مثيل لهُ في بيوت لندن الحديثة . ثم قال للبواب انني موعود بمقابلتهِ في الساعة الثانية ولما قال ذلك دقت الساعة الثانية من برج كنيسة قديمة بقرب المنزل ودقت ساعة اخرى في الدار . فاجابهُ البواب قد يكون ذلك صحيحاً ولكنني لا استطيع ان اخبرهُ عنك الآن لان عندهُ سفير اسبانيا وكثيرون غيرك في انتظارهِ فحينما يذهب السفير يُرسَل مكتوبك ومكاتيب غيرك اليهِ . ولما قال ذلك دخل كثيرون ولم يقفوا في الدار بل ظلوا سائرين فقال تنكرد الى اين ذهب هؤلاء . فالتفت البواب اليهِ مستغرباً سؤالهُ عمَّا لا يعنيهِ ثم قال لهُ بعضهم ذاهب الى بيت المحاسبة وبعضهم الى البنك

وبدت حركة في الدار فنهض البواب وقال لتنكرد ان السفير خارج فلا تقف في طريقهِ ثم فُتح باب في طرف الدار وخرج السفير منهُ وسار البواب والخدم في خدمتهِ الى المركبة ثم عاد البواب وقال لتنكرد " الآن ارسل مكتوبك "

وفي هذا المكتوب الكلام الآتي " عزيزي صيدوني . يصلك هذا الكتاب مع نسيبي منتكيوت الذي اخبرتك عنهُ امس وهو عازم على السياحة الى اورشليم وهذا اوقع والديهِ في حيرة عظيمة لانهُ ولدهما الوحيد ولا اظن الخطر شديداً كما يتوهمان ولكن ليس احسن من استشارة اهل الخبرة وانت من اخبر الناس باحوال تلك البلاد . وقد وعدتُ والديهِ ان اساعدهُ بكل جهدي فاذا امكنك ان تساعدهُ في شيء فكل ما تصنعهُ معهُ تصنعهُ معي "

اسكدايل

ولما مضى ربع ساعة بعد الساعة الثانية خرج شاب الى الدار وفتح باب غرفة الاستقبال ولما لم يجد احداً سأل البواب قائلاً اين لورد منتكيوت فلما سمع البواب هذا الاسم انتصب واقفاً وكان يقرأ جريدة التيمس فوضعها من يدهِ لكن لورد منتكيوت تقدَّم الى الشاب لما سمع اسمهُ وحنى لهُ رأسهُ فسار الشاب امامهُ ودخل بهِ غرفة كبيرة لها اربعة شبابيك تطلُّ على الدار الخارجية حيث الحديقة والفسقية وفي ارضها بساط عجمي كبير وعلى كواها ستائر من الحرير الدمشقي وبجانب الجدار المقابل خزائن كبيرة من الحديد وعلى مقربة منها باب من الزجاج يفتح الى غرف اخرى فيها كثيرون من الكتَّاب . وكان في الغرفة الاولى رجل جالس امام مكتبهِ فلما دخل تنكرد وقف ومدَّ لهُ يدهُ واشار الى كرسي بجانبهِ وقال اظنني جعلتك تخرج من دارك

في ساعة لم تعتد الخروج فيها . ثم ادنى كرسيهُ منهُ وقال لهُ ان لورد اسكدايل اخبرني بانك عازم على الذهاب الى اورشليم

تنكرد — نعم هذا هو غرضي

الصيدوني — يا حبذا لو بكرت قليلاً لكي تكون هناك وقت عيد الفصح

تنكرد — يا حبذا ولكن شوقي الى رؤية تلك البلاد شديد جدًّا فاقنع بالوصول اليها في اي وقت وصلت

الصيدوني — صار الوصول اليها سهلاً الآن ولكن الصعوبة في ما يعملهُ الانسان بعد الوصول الى هناك

تنكرد — هي ارض الوحي فاذا وصلتها سالمًا سألت الله ان يرشدني الى ما يجب ان اعمل

الصيدوني — افلا تظن ان الله يسمع لك اذا سألتهُ ذلك وانت هنا

تنكرد — هذه الارض ليست ارض الوحي وللوحي مواطن لا يكون في غيرها

الصيدوني — احسنتَ فانا اعتقد ان الله كلم موسى على جبل مواب وانت تعتقد ان المسيح صُلب على جبل الجلجلة وكلاهما من بني اسرائيل . والانبياء والرسل عندنا وعندكم منهم ومقامهم كلهم في تلك الارض

تنكرد — نعم ولما رأيتُ فوضى الاديان في هذه البلاد ولم أرَ احدًا يرشدني الى طريق الحق عزمت ان اقتفي خطوات واحد من اسلافي واعبر البحر وازور الارض المقدسة

الصيدوني — وتقتفي خطوات الصليبيين . ولقد كان للصليبيين شأن كبير لانهم اضرموا نار الغيرة الدينية التي كانت قد خمدت في اسيا . وقد عادت الى الخمود الآن ولكنهُ الخمود الذي يسبق الاضطرام

تنكرد — ولا بدَّ من ذلك لانهُ لا يعقل ان بلادًا طهَّرها الله تكون مثل غيرها من البلدان فلا بدَّ من ان يكون فيها مزية على غيرها . وسأسأل تلك الجبال التي كانت الملائكة تنزل عليها لماذا انقطعتْ عن زيارتها . واطلب من المعزّي الموعود ان يأتي و يعزيني لاني لم اجدهُ في هذه البلاد ولا اظن ان احدًا وجدهُ فيها ولذلك احسبُ انهُ لا يوجد الاَّ في بلاد المشرق في الارض المقدسة وقد شاءت العناية الالهية ان تكون الطريق اليها محفوفة بالمشاق حتى يعظم بتجشمها الاجر والثواب

فاصغى الصيدوني الى كلام تنكرد وكان تنكرد جالسًا امام الشباك والنور واقع على وجههِ فتبدو ملامحهُ كلها . ورأى فيهِ دلائل المهابة والوقار والتقوى . وعلم من مرآهُ انهُ على بساطتهِ

وجهلهِ امور العالم في نفسهِ من القوى الخفية ما يحلهُ المحل الارفع بين الانام. ولما اتمَّ كلامهُ صمت الصيدوني قليلاً ثم قال يظهر لي ايها اللورد انك تريد ان تستجلي غوامض المشرق

فقال تنكرد نعم لقد اصبت غرضي . وحينئذٍ دخل الشاب الذي ادخل تنكرد واتى الصيدوني بكتاب فاسف تنكرد لان الرجل مشغول ولا يستطيع ان يقيم عندهُ طويلاً ونهض وهمَّ بالانصراف فاشار اليهِ بيدهِ ليبقى جالساً من غير ان يرفع نظرهُ من الكتاب . ثم قال لهُ لقد اخبرت لورد اسكدايل انهُ اذا بدا امر يشغلني عنك قليلاً فانت تعذرني وتنتظرني الى ان اقضيهُ فتفضَّل بالبقاء الاَّ اذا كنت مشغولاً فجلس تنكرد في مكانهِ وقال الصيدوني مخاطباً الكاتب

اكتب ان المكاتيب تتأخر ١٢ ساعة عن الرسائل الخصوصية وان المدينة في هدو. واترك خلاصة مكتوب برلين على الخزانة . السندات في نزول والاسهم في صعود . ثم التفت الى تنكرد وقال لهُ . متى تحسب انك تستطيع السفر

تنكرد — بعد اسبوع

الصيدوني — حينما تصل الى اورشليم لا بدَّ من ان تزور دير الافرنج ترّا صنطا وتلاقي هناك رئيس الدير الونزو لارا وهو اسباني الاصل بارع في علوم المتقدمين والمتأخرين وذلك لازم لفهم الحقائق الدينية وهو على اتم المعرفة باحوال فلسطين لانهُ استوطنها منذ خمس وعشرين سنة فثق بهِ واعتمد عليهِ وستحتاج الى اناس غيرهُ ولكن حاجتك اليهِ ماسة جدًّا

اما من جهة النقود ففي بلاد الشام صيرفي واحد وهو في حلب ودمشق وبيروت واورشليم واسمهُ بسّو وقد كانت لهُ الكلمة النافذة في بلاد الشام قبل خروج ابرهيم باشا بالعساكر المصرية منها . ولم تزل سطوتهُ قوية . وساعطيك كتاباً اليهِ واريد ان تتعرف بهِ وهو عائش عيشة الملوك في دمشق وعيشة الاواسط في اورشليم . نعم اريد ان تتعرَّف بهِ وستسرُّ بمعرفتهِ جدًّا وتجد في بيتهِ افضل الرجال واذكاهم فؤادًا . وهو قادر ان يساعدك في كل شيء فاعتمد عليهِ في كل الامور وهو طوع امري . هذان الكتابان كتاب الى لارا وكتاب الى بسو يفتحان لك كل مُغلَق في بلاد الشام فاذهب اليهما ولا تهتم بشيء آخر

فوقف تنكرد وهو يقول كيف اقوم بالشكر الواجب لك على ما اوليتني من الجميل. فقال لهُ الصيدوني انا لا اخرج من بيتي وغدًا انتظر اثنين او ثلاثة للغداء عندي وهم من الذين تحب ان تراهم فهل تتفضَّل وتتغدَّى معهم

فقال تنكرد اني اقبل ذلك بالشكر الجزيل . وافترقا ثم عاد في اليوم التالي فأُدخل الى

غرفة من المرمر ومنها الى غرفة أُخرى فيها شباك كبير عليهِ ستار من المخمل البنفسجي اللون وامامهُ رواق فيهِ كثير من أُصص الازهار وفي ارضها بساط كبير لونهُ يضاهي لون السقف والجدران ونقشهُ يوافق نقشها وفيها كثير من الكراسي الفاخرة ومائدة مرصعة بالعاج عليها جرس من الفضة كان لاحد الباباوات وتمثال في يدهِ بوق من الذهب يستعمل دواة وكتب فرنسوية حديثة وكؤوس مستخرجة من المدافن المصرية . وفوقها صورة احد الوزراء وتمثال رأْس امبراطور .

في هذه الغرفة قابل الصيدوني تنكرد وعرَّفهُ بضيف اتى قبلهُ وهو اللورد هنري سدني . ولما ذكر اسمهُ اضطرب قلب تنكرد كما يضطرب قلب كل شاب انكليزي لان الرجل كان قد اشتهر شهرة فائقة حتى علقت بهِ آمال الملايين من ابناء وطنهِ . اشتهر في سنوات اربع خدم فيها بلادهُ وامتهُ خدمة ينوء بحملها اعاظم الرجال . فكان يحضر مجلس النواب يوماً بعد يوم من غير انقطاع ويقودهُ للبحث في المسائل العمومية الهامة . ويشترك في المناظرات والمناقشات حتى يكون لهُ النصيب الاوفر منها . ويكتب كثيراً في تلك المواضيع وغرضهُ من ذلك كلهِ اسمى الاغراض وانبلها . غرضهُ من المناقشات في مجلس النواب والمذكرات في لجانهِ والمقالات في الجرائد السياسية والمجلات الادبية انما هو ترقية شأْن وطنهِ وامتهِ . ولم يكن مثل كثيرين من محبي اوطانهم الذين تقتصر محبتهم على تنبيه الناس الى ادوائهم بل كان يبذل جهدهُ في ايجاد الدواء الشافي لتلك الادواء

وكان عالماً خبيراً عارفاً باخبار البلدان وطبائع الناس و بأن ما يعتري الامم من النوائب انما هو نتيجة المبادىء التي بني عليها نظام بلادهم ولذلك لم يكتفِ بالمباحث السطحية بل تعمق الى اصول العمران وبحث عما يصلح ان يكون دواء لتلك الادواء . وكان كثير الدرس والبحث على ما بهِ من الذكاء وتوقد القريحة لا يملُّ من الشغل ولا يتسرَّع في الاعمال مع علو همتهِ وشدَّة عزيمتهِ ولا يتصلب في رأيهِ ولو كان اصيلاً الاَّ اذا علم انهُ الرأي الوحيد السديد فحينئذٍ يتشبث بهِ الى حدِّ العناد . وكان قوي العارضة في الخطابة فصيح العبارة سلس الانشاء في الكتابة لين العريكة قادراً على اصطناع الاصدقاء وقيادتهم . أضف الى ذلك انهُ كان كريم الحسب والنسب جميل الطلعة معتدلاً في كل امورهِ

التفت الى تنكرد وقال لهُ بصوت تمازجهُ الرقة والهشاشة . متى تمضي الى الارض المقدسة .

فقال تنكرد انا مستعد للسفر الآن ولكن رفاقي لم يحضروا

لورد سدني — اني احسدك على هذه السياحة

تنكرد — لماذا نتأَخر عنها اذاً

لورد سدني — مضي الوقت فقد شرعت في عملي ولا يمكنني ان اتركهُ

تنكرد — اذا استطاع رجال السياسة ان ينقذوا هذه البلاد بسياستهم فنعما تفعل . وقد راقبتُ اعمالك واعمال انصارك فوجدت ان البارلمنت لا يصلح لرجال الاعمال وقد كان لازماً في القرن الثامن عشر لما لم يكن للناس سبيل آخر للشهرة . والآن لا نرى لهُ شأناً في احوال الامَّة لانهُ اذا اراد التجار تغيير شيء اعتصبوا كلهم وغيروهُ رغماً عنهُ

لورد سدني — يا حبذا لو امكنني ان اقنعك لتعدل عن السفر وتبقى معنا لتساعدنا في عملنا

وطال الحديث على هذا النمط وحضر سائر المدعوين وهم نخبة من كرام الانام . ثم دخل الخادم وقال حضر الطعام فامسك الصيدوني بيد لادي مارني وسار وراءهما بقية المدعوين على اختلاف رتبهم رجالاً ونساء ساروا في رواق من الرخام الى غرفة المائدة وهي في اثاثها ورياشها مثل غرفة المكتبة التي تقدَّم وصفها يأكل فيها الصيدوني مع اخصائهِ اما الولائم الكبيرة فيولمها في غرفة اخرى اكبر منها وافخر . وتكون آنية الطعام حينئذٍ من الفضة والذهب اما الآن فكانت من خزف سفر المشهور وهي قائمة على قوائم مذهبة والمالح تحملها تماثيل صغيرة من عرائس البحر او حيوانات مختلفة الانواع وهي في شكل اصداف او عشاش او ما اشبه وكان في وسط المائدة تماثيل خدَم من الخزف الصيني المصنوع في درسدن من اجمل ما صنعهُ الصنَّاع

ولما جلسوا حول المائدة اسرَّ لورد سدني في اذن جارو كونسباي قائلاً كنت اتكلَّم الآن مع لورد منتكيوت فوجدتهُ على غاية الذكاء لم تتدمَّث اخلاقهُ ولكنها من الطبقة الاولى حدّثهُ بعد الطعام ولا تدعهُ يفلت من يدنا

كونسباي — يقال انهُ ذاهب الى اورشليم

لورد سدني — نعم ولكنهُ يرجع منها

كونسباي — ما ادرانا انهُ يرجع فان بونابرت نفسهُ اسف لانهُ عاد من تلك البلاد. ولا اوسع من المشرق مجالاً لرجال الهمم

وكان بين المدعوين الشاعر ففاسور وهو من الفلاسفة المشهورين فدار الحديث بينهُ وبين تنكرد على الراي العام وحقيقة العمران . قال ففاسور ان العمران كان في العصور الغابرة ارقى منهُ الآن وكان مئتا مليون من البشر خاضعين للرومان وللقوانين الرومانية التي اضطررنا ان نجري عليها في هذا العصر وعائشين بالسلام والامن . وكانت طرق المواصلات عندهم اتقن مماَّ هي عندنا فكان الانسان في عصرهم يسير من باريس الى انطاكية باسهل مماَّ نسير الآن من

مدينة لندن الى مدينة يورك . وكانت المدائن في مملكة الرومان اعظم مما هي الآن بكثير

ثم انتقل الحديث الى سبب انحطاط الممالك وانقراض الامم واشار لورد سدني الى عجز اسبانيا عن التسلط على بلاد المكسيك مع انها هي التي فتحتها وقال ففاسور ان الامة الاسبانية باقية على حالها فعلى م لم تعد تستطيع جزءا مما كانت تستطيعهُ بالامس فقال الصيدوني لانها ادركتها الشيخوخة والامم تشيخ كالافراد ما لم تسكن القفار ويبقى دمها سليماً من الامتزاج بدماء غيرها. وبمثل هذا الحديث قضي الوقت بين لون وآخر من الوان الطعام وكان النساء يشاركن الرجال في كل المباحث ولو كانت سياسية فلسفية

الفصل العاشر

لما عاد تنكرد من زيارة الصيدوني في المرة الاولى وجد في بيتهِ بطاقة يقال فيها "ان لادي برتي ترجع مركبة لورد منتكيوت بما لا مزيد عليهِ من الشكر. وتخشى ان تكون قد اتعبتهُ كثيرًا ولكنها تؤكد لهُ اعترافها بفضلهِ عليها"

وكانت هذه السيدة من نخبة اشراف الانكليز كما علم من اسمها ابنة دوق وزوجة لورد فاستغرب كيف انهُ لم يرَها قبلاً لكنهُ لم يبالِ بذلك وكاد ينسى ما جرى لهُ في الصباح لان كلام الصيدوني وافق امياله ونزع من نفسهِ كل ريب في صحة مقاصدهِ فاتضح لهُ ان لورد اسكدايل والمطران مخطئان في فهم مرادهِ ولو كان الاول منهما خبيرًا بامور العالم والثاني من كبار العلماء ورجال السياسة وقال في نفسهِ ان الصيدوني اخبر من الاول واعلم من الثاني ومع ذلك لم يستغرب آرائي بل استحسنها وشدد عزائمي

وكان مدعوًّا تلك الليلة الى باللو عند لادي باردلف فلم يكد يدخل دارها حتى وقعت عينهُ على السيدة التي رآها في الصباح اي لادي برتي فنظرت اليهِ بعينيها النجلاوين وتبسمت واحنت رأسها فاقترب منها حالاً فحيتهُ قائلةً ها قد اجتمعنا اليوم مرَّةً اخرى . فقال لها كيف انا لم نلتقِ قبل الآن . فقالت قد عدت حديثًا من باريس وهذه اول مرةٍ خرجت فيها الى سهرة ولولاك ما كنتُ هنا الليلة بل ربما كنت في السجن. فقال اذًا يجب ان تشكرني لادي باردلف (صاحبة الدعوة) على ذلك بل يجب ان يشكرني العالم كلهُ . فقالت وانا في الجملة . فقال هذا حسبي وهو يعادل كل شكران. فقالت ما اجمل مركبتك وما عدت احب ان اركب في مركبة دونها . فقال لماذا لم تبقيها عندكِ اذًا . فقالت احسنتَ واجملت هذا كرم حاتمي يعرفهُ اهل المشرق ولا نعرفهُ نحن في هذه البلاد الباردة ولقد صدق من قال ان شبيه الشيء

منجذب اليهِ فقد اخبرني لورد فالنتين الآن انك ذاهب الى بلاد المشرق فما اسرع ما انت مفارقنا

فقال نعم مرادي الذهاب باسرع ما يمكن

فقالت أصحيح ذلك وصمتت قليلاً وقد بدت عليها امارات انكساف البال ثم قالت يا حبذا لو لم تأتِ لمساعدتي هذا الصباح . فقال ولماذا . فقالت لاني لا احب ان اتعرَّف بأناس اسرُّ بمعرفتهم ثم افارقهم سريعاً . فقال انا اذاً احق بالاسف منكِ . فقالت اراك سئمتَ العالم قبل ان تعرفهُ . فقال اني لم اسأمهُ لاني لم اعرفهُ حتى الآن كما تقولين وما مجيئي الى هنا الاَّ من باب الاتفاق كما اتفق وجودك في ذلك الشارع الضيق في الصباح . فقالت ان لورد فالنتين اخبرني الآن انك ذاهب لاجل ما طالما تمنيتهُ فلم انلهُ . فقال أوَ انتِ ايضاً شعرتِ بالحاجة الى ذلك . فقالت نعم ولا ابرئ نفسي من ذنبي في عدم اصراري على الذهاب ولكن فاتت الفرصة الآن وقد كان الواجب عليَّ ان احمل عصاي مثل السيّاح الاقدمين واقصد تلك الارض المقدسة ولا استريح حتى تطأ قدمي رمال يافا

فقال هذا هو الصواب ويجب علينا كلنا ان نسيح هذه السياحة. فقالت ومع ذلك لايذهب احد منا بل نبقى في اماكننا نتأوَّه ونتحسر فقال لاننا وُلدنا في زمن لا يهتمُّ الناس فيهِ الاَّ بالدنيا. فقالت اما انا فلا تهمني هذه الحطام الفانية ولا تتوق نفسي الاَّ الى الامور الروحية. فقال لان لكِ نفساً سموية والذين مثلك قلال في القرن التاسع عشر لان حب الدنيا اعمى العيون والكل مشغول بها عن الاخرى . فقالت اصبت ولذلك ازمعتَ السفر عنا وانا ادرك مقاصدك لاني كنتُ مثلك كانت نفسي تحنُّ الى اورشليم وكنت اتمنى الوصول الى تلك الربوع ولكن لم تسمح لي التقادير ان اتخطى مدينة باريس

فقال لها ان السفر صار سهلاً الآن ولم تبقَ صعوبة الاَّ في ايجاد عمل يعملهُ الانسان بعد الوصول الى هناك كما قال لي اكبر ثقة اليوم. فقالت ومن هو هذا الثقة . قال هو الرجل الذي كنتُ ذاهباً لزيارتهِ هذا الصباح لما التقيتُ بكِ المسيو ده صيدوني. فقالت وهل تعرف المسيو ده صيدوني . فقال اعرفهُ اقل مما احبُّ وهذا اول يوم رأيتهُ فيهِ ذهبت اليهِ بوصيةمن لورد اسكدايل لانهُ خبير بامور السفر . فقالت اني اود جداً ان التقي بهذا الرجل ولا بدَّ من ان اطلب من لورد اسكدايل ان يدعوهُ ويدعوني يوماً ما للعشاء عندهُ . فقال بلغني انهُ لا يخرج للدعوات الآن . فقالت كان يخرج كثيراً وكان يولم الولائم الفاخرة ولا بدَّ من ان نتمنى عليهِ العود الى عادتهِ الاولى فانهُ غنيٌّ غنًى مفرطاً . فقال هذا الذي يظهر لي وانا استغرب

كيف يهتم رجل بجمع المال وهو في درجتهِ من العلم والفضل . فقالت هذا نصيبهُ ولا يستطيع التخلص من الاموال كما لا يستطيع الملك ان يتخلص من مهام الملك . ولا ادري هل اخذ سكة الحديد الشمالية فانهُ لا حديث الآن في باريس الأ بها . فقال بماذا . قالت اليك عن ذلك وعُد بنا الى الكلام عن اورشليم . ثم التفتت وقالت هوذا زوجي دعني اعرفك به .

وكان تنكرد يحسب ان زوجها الرجل الذي رآهُ معها في الصباح فاذا هو غيرهُ وهو طويل القامة نحيف الجسم فشكر تنكرد على تقديمهِ المركبة لزوجتهِ في الصباح ثم دعاهُ للعشاء في اليوم التالي فاجاب انهُ مدعوٌّ الى مكان آخر ولكنهُ وعد بان يزور لادي برتي قريباً ويشاهد بعض الصور التي صوَّرتها للارض المقدسة

ومضى اسبوع وهو يزورها كل يوم فوجد انها الشخص الوحيد الذي يصوّب رأيهُ ويحدثهُ عن الارض المقدسة وكانت تحبُّ سفر البحر وتعرف شيئاً من امر السفن فتشير عليهِ بما تراهُ صالحاً فيتبع شورها في اصلاح يختهِ . وكانت قد قرأت كتباً كثيرة عن فلسطين وجمعت عدداً وافراً من صورها فكانت تريهِ الصور وتشرحها لهُ وتخبرهُ بما قرأتهُ عنها وودَّت غير مرة ان يؤخر سفرهُ لعلها تستطيع السياحة معهُ لان زوجها مغرم بالصيد ويخطر لهُ احياناً ان يزور بلاد الشام ويحاول صيد الخنزير البري من قفارها . وكادت بهذا الكلام وامثالهِ تثني عزمهُ عن السفر . واتَّفق انهُ زارها ذات يوم فرآها في حالة الاضطراب الشديد ولما جلس اليها سمعها تتنهَّد من كبد حرَّى فسألها ما الخبر فقالت انها على غير ما تحب وانها آسفة لان سفرهُ صار قريباً . فطلب اليها ان تسافر معهُ فقالت ان ذلك ضرب من المحال لان زوجها لا يستطيع ان يفارق لندن اكثر من ستة اسابيع ولو وُجدت سكة حديدية الى اورشليم لكان الامر ممكناً. ثم التفتت اليهِ وقالت لهُ اذهب على الطائر الميمون فقد كنتُ امني نفسي بالمحال كنتُ احسب انني استطيع السياحة معك ثم غطَّت وجهها بيديها وكأنها تحاول اخفاء غمها

فوقف وصار يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وكاد فؤادهُ ينفطر وقال لها لا ادري لماذا ارى التقادير تصدني عن عزمي ايتها العزيزة. ولما قال ذلك اضطربت وقالت لهُ اياك وكلام التحبب والتودد واصفح عما مضى وثق انني مسرورة جداً بالغرض الذي انت ذاهب لاجلهِ فلا اريد ان تؤخر سفرك يوماً واحداً لاجلي . اذهب على الطائر الميمون اما انا فقد سئمت الحياة . ولما قالت ذلك دخل خادم وبيدهِ كتاب فنظرت اليهِ وفضتهُ وحالما وقع نظرها على ما فيهِ صرخت صرخة عظيمة وأُغمي عليها فبادر اليها تنكرد وكان الكتاب مفتوحاً امامها وفيهِ سطران يقال فيهما

"سبقت المركبة الضيقة . خبرنا . بلغني انك اشتريت خمس مئة سهم ايضاً فهل ذلك صحيح"

فلما قرأها قال في نفسهِ اذًا هي مشتغلة بالمراهنة والمضاربة وهي مضطربة بسبب ما لحقها من الخسارة . ما اغرب هذه الدنيا وسكانها . ونادى خادمتها اليها واسرع من بيتها الى بيت الصيدوني فرأى عندهُ الرجل الذي رآهُ معها لما رآها اول مرة فسألهُ عنهُ فقال لهُ انهُ رجل مالي فرنسوي جاءني لكي اساعدهُ في انشاء سكة حديد جديدة من باريس الى ستراسبرج وانا اعرفهُ منذ سنين كثيرة وكان صديقاً للورد مموث فترك لهُ ثلاثين الف جنيه فظهر بها في باريس كأنهُ صاحب ملايين كثيرة وهو من كبار المضاربين . فقال تنكرد قد انجلى لي الامر الآن ثم سألهُ عن لادي برتي فاخبرهُ انها اكبر مقامرة في اوربا وانها اتتهُ يوم زارهُ اول مرة مع هذا الرجل وبقيت ساعة على بابهِ تطلب مقابلتهُ فلم يقابلها لانهُ لا يريد ان تكون لهُ اقل علاقة بامرأة مقامرة . ثم قال انهُ يعلم جيدًا انها على شفا الافلاس كما يضطر ان يعلم حال كل انسان من المشتغلين بالاشغال المالية

فقال تنكرد قد اضعتُ وقتك بهذا الحديث مع انني اتيت لاخبرك اني مسافر غدًا وانتظر اتمام وعدك من حيث مكاتيب التوصية

فاخذ الصيدوني القلم وكتب بالاسبانية الى الونزو لارا رئيس دير ترّا صنطا في القدس الشريف ما ترجمتهُ

ايها الاب الجزيل الاحترام

الشاب الذي يسلمك كتابي هذا سائح يطلب استجلاء غوامض المشرق فعاملهُ كما عاملتني وليحفظك الله آبائنا وينجح اعمالك "

وكتب الى ادم بسو بالعبرانية ما ترجمتهُ

عزيزي آدم

اذا احتاج الفتى الذي يبدو هذا الكتاب الى النقود فاعطهِ من الذهب ما يكفي لعمل اسود مثل الاسود التي كانت على عرش سليمان والمطالَب بذلك كلهِ ابن اسرائيل الذي يسميهِ الامم صيدوني

(المقتطف) قد اضطررنا ان نختصر كثيرًا في الفصول السابقة وندمج بعضها في بعض اذ الغرض الاكبر ليس بها ولكن بالفصول التالية التي توصف فيها احوال بلاد الشام كما كانت منذ خمسين عاماً وسترد في الجزء التالي وما يليهِ

المكاتب ودور المطالعة

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

سر كيفما شئت في شوارع عاصمة الديار المصرية تلقَ الحانات والقهاوي قد صفت فيها الاخونة ورصفت فيها زجاجات المسكر وجلا اصحابها كؤوس الراح يديرونها على الشرب وهؤلاء بين شاب وكهل وعظيم وحقير يقتلون الوقت ويبذرون الدراهم ويخسرون العافية غير عالمين ان الحياة اثمن من ان تضاع بين الكاس والوتر وان العمر قصير يتوجب على المرء ان يسعى فيهِ لاعلاء شأنهِ وشأن غيرهِ ونفع نفسهِ والآخرين ثم جلْ في ارجاء القاهرة واطلب نادي أدب او مجتمع علم فانك غير واجد لبانتك واذا كان شيءٌ فلا اكثر من محدث يضم فريقاً من القوم همهم المسامرة او تربية الجياد او ما يماثل هذين الاَّ بضع منتديات شذت عن هذه القاعدة وقليل ما هي

وادخل البيوت العامرة بالسكان المزينة بافخر الرياش واثمن الاثاث وحدّق ببامرتيك لعلك ترى في زاوية ما خزانة كتب فيها مالذَّ وطاب من المؤلفات العلمية والادبية فلا ترى سوى بعض اقاصيص الغرام وشيئاً من الكتب المدرسية لصغار الاسرة ثم اقرإ الصحف اليومية تلقها تنظر في اخبار الترانسفال واميركا واوستراليا وغيرها من البلدان النائية والناس على قراءة تلك الاخبار مقبلون ولاقوال الصحف سامعون واذا حولت انظارهم الى ما هو اهم من جميع هذه لم تلقَ منهم اذاناً صاغية ولا قلوباً واعية حتى باتوا وقد صحَّ فيهم قول حضرة الفاضل معرب كتاب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين في مقدمتهِ " ذلك اصاب الامم الشرقية واستحكم في عقولنا حتى عمَّ الفتور وصار كأنهُ حالة فطرية نحسبناهُ خلقاً من اخلاقنا وعددنا من يخرج عن حالتنا هذه مبتدعاً عن المنهج القويم ومارقاً عن تقليد الامة وعاداتها ومهيناً لها في ما ترى التمسك بهِ من موجبات كمالها . . . . هذا هو السبب في الاقبال على مطالعة القصص والخرافات والتهافت على اقتناء التافه من المؤلفات والتسابق الى حفظ كتب المجون والروايات والنفور من القول الجدّ وهجر النافع واغفال المفيد وفيهِ تعليل واضح لكثرة انتشار كتب المجون والهذيان وقلة كتب العلوم الصحيحة فان الاولى لا تطلب شيئاً من همة القراء ولا تشغل محلاً من مدركتهم ولا يتكلفون اكثر من النظر الى الاحرف ليحصلوا منها صورة في الذهن تضحكهم او يدركوا واقعة تعجبهم ثم ينقضي الوقت بسلام وغطاء الادراك الحقيقي مقفل عليهِ . ولان الثانية تقضي امعان النظر وتستوقف الفكر وتنساب في النفس فتحدث فيها من

التأثير ما يهيج خاطر المطالع ويدعوهُ الى العمل او ينبههُ الى الواجب عليهِ . . . .

هذه المجتمعات اصبحت معدومة في منازلنا حتى بين اهل الحرفة الواحدة بل صار هؤُلاء اشد الناس نفوراً بعضهم من بعض فجهل كل واحد سبيل اخيهِ وغابت عنهُ بذلك منفعتهُ ومنفعة مواطنيهِ وضعفنا بتفرقنا وسهل على المزاحم ان يفوز بيننا فوزاً مبيناً . نعم يوجد عندنا مجتمعات كثيرة في هذه الايام ولكنها حول الكؤُوس والاكواب او في ميادين الملاهي والالعاب

وتلك الجرائد على كثرتها وانتشارها لا يقرأُ منها في كل يوم الاَّ سافر فلان وعاد فلان . . . . اما ما كان من تلك الجرائد مما يرشد الى فضيلة او ينبه على رذيلة او يوضح حقيقة فحظهُ حظ كتب الجد من جعلها خلف الظهر والاستعاضة عنها بما لا يفيد . . . . . .

. . . . دواؤُنا التربية وسلامتنا في نشر المعارف والعلوم فعلينا بها بما بقي فينا من الشعور وما ترك لنا من الاختيار في العمل قبل ان يتمَّ الانحلال ويتعذَّر علينا القيام"

تسعى الحكومة جهدها في تأسيس المدارس ونشر المعارف بين الرعية و يساعدها في ذلك كثيرون من الاجانب والوطنيين اصحاب المدارس في هذا القطر والناس مقبلون على تعليم اولادهم في مدارس الحكومة وفي مدارس غيرها حتى بات غير المتعلم محتقراً. على ان التلميذ او المتخرج في احدى تلك المدارس لا يلبث ان يخرج من مدرستهِ حتى يودع كتبهُ البيت و يسعى في طلب الرزق فاذا احرزهُ حسب انهُ نال الحظ الاوفر فحدثتهُ نفسهُ باللهو والطرب فكرع اللذات وتبع الشهوات ولم يبقَ على شيءٍ ما تلقاهُ الاَّ ما كان من اللغات الاجنبية التي يجدُ الى استعمالها كل يوم وان طالع كتاباً فرواية غرامية تزيد في استرخائهِ وضعفهِ وتقوي شهواتهِ ومطامعهُ وتتركهُ بحيث لا يستطيع الثبات في وجه مؤَلف جدي او كتاب رائع تحتاج قراءتهُ الى امعان النظر والفكرة

لا ادري ما ينفقهُ اهل القاهرة يومياً من الدراهم ثمن مسكرات بالضبط وانما اقدرهُ باكثر من الف جنيه قياساً على ما اعرفهُ من حالة بعض مدائن الشرق اي ان اهل القاهرة يشترون من البلاء لنفوسهم ما ثمنهُ السنوي نحو اربع مئة الف جنيه ولم تنهضِ الحمية غيرة واحد منهم لانشاء مكتبة عمومية او دار قراءة يؤُمها الشبان و يطالعون فيها ما ينفعهم بدلاً من ان يشربوا السمَّ الزعاف فيكتسبون المعرفة و يقتصدون في قواهم ودراهمهم و يعود النفع على البلاد باسرها لان غنى البلاد وتقدمها عائدان الى غنى افراد الامة وتقدمهم . وقد بعث اليَّ احد الاصدقاء في بيروت كتاباً تلقيتهُ وقت كتابة هذه السطور قال فيهِ ما نصهُ

" اشتركت جمعية شمس البر[١] وجمعية الامتناع عن المسكرات[٢] في فتح قراءة خانة وقد استأجرنا محلاً وسنفرشهُ بالاثاث اللازم ونجهزهُ بالكتب والجرائد الضرورية ويقام فيهِ رجل للاعتناء بهِ وفتح ابوابهِ ". هذا ما تفعلهُ جمعيتان فقيرتان في مدينة لا يبلغ عدد سكانها خمس عدد سكان القاهرة فمن لنا بمن يمهد السبيل الى مثل ذلك في هذه العاصمة

وعندي ان اللوم مرجعهُ الى مدارس القطر واباء الجيل المستقبل فيهِ فالمدارس تستطيع ان تربي في تلامذتها الميل الى المطالعة بحيث يرتاحون اليها ويجدون فيها لذة لا يلقونها في تلقي دروسهم ويستطيع الاباء ان ينفقوا جزءا من دخلهم لا سيما الموسرين منهم في ابتياع الكتب والجرائد النافعة بحيث يعتاد الفتيان قراءتها فتصبح جزءًا من مطالب حياتهم وامانيهم

تحتاج القاهرة الى دور قراءة مجهزة بالكتب العلمية والادبية والروايات النافعة التي لاغبار على آدابها والجرائد العلمية والادبية والسياسية من عربي وافرنجي ويشترط ان لا يقدَّم لمنتابيها سوى قهوة البن والشاي والكوكو وان يقتصر على هذه فقط او ما شا كلها دون المشروبات الروحية والمسكرات . وان تعم هذه الدور ارجاء المدينة بحيث يسهل على الجميع التوصل اليها حتى اذا ما خرج العامل من عملهِ والصانع من صناعتهِ والتاجر من حانوتهِ وموظف الحكومة من ادارتهِ او بيتهِ نحو الاصيل او بعد الغروب قصد احد هذه البيوت فمتع النفس بالقراءة والمطالعة والوقوف على احوال العالم وسيرهِ خارج القاهرة او خارج القطر المصري

ولا يخفى على المتأمل ما في ذلك من الفائدة المزدوجة زجر النفس عمَّا ينهك العقل والقوى واكتساب ما فيهِ النفع واللذة على اسهل السبل

تحتاج القاهرة الى مكاتب عمومية تفرَّق في انحائها ويسهل على القوم استعارة الكتب منها واخذها الى بيوتهم للنظر فيها ساعات الفراغ فان المكتبة الوحيدة المفتوحة للقوم هي

---

(١) هي احد فروع جمعية اتحاد الشبان المؤسسة في مدينة لندن تأسست في بيروت منذ نحو ثلاثين سنة ضمت في خلالها نخبة شبان سورية والمتعلمين من اهلها ولا تزال تواصل اجتماعاتها وغايتها نشر المعرفة والآداب وفتح ابواب البحث لاعضائها فيما سوى المسائل السياسية والمباحث الطائفية المذهبية لها مكتبة صغيرة فيها كتب منتقاة في العربية والانكليزية وبعض الدراهم في مصرف وقد اهدتها احدى السيدات الانكليزيات مالاً يعطى ريعهُ جائزة لمن يكتب من اعضائها افضل مقالة او يؤلف احسن كتاب في السنة

(٢) فرع جمعية الاعتدال المشهورة في العالم بامرهِ حديثة النشأة في سورية يبلغ عدد اعضائها في البلاد نحو عشرة آلاف بين رجال ونساء وصبيان وبنات لا مال لها وغايتها تعويد اعضائها على رفض المسكرات وعدم تعاطيها على الاطلاق ونجاحها في العالم ظاهر مشهور لا سيما البلدان التي منيت بغائلة السكر الوبيلة . والجمعية المشار اليها في عرض البحث فرعها في مدينة بيروت ترأسها زوجة الدكتور هنري جسب المبشر الاميركي الشهير

المكتبة الخديوية وانما يعسر على جميع اهل القاهرة الوصول اليها بل قد يستحيل على الكثير منهم الانتفاع بها

وقد اعتدنا ان نلقي احمالنا على الحكومة في جميع ما نطلبهُ من الحاجيات والكماليات . اما الحكومة فلا تستطيع القيام بهذا العمل (مع استطاعتها مد يد المساعدة) ولاموجب لدفعهِ الى يدها . وقد قرأت في الجرائد اليومية ان اعيان مديرية المنوفية اوقفوا على مدارسهم كثيرًا من الاطيان الخصبة فينفق دخلها في حفظ تلك المدارس مع ان للحكومة مدارس في مديريتهم فلم يطالبوا الحكومة بشيءٍ ولا تعدم القاهرة وسائر مدن القطر الكبيرة اعيانًا اسخياء كرامًا يرون لذة في نفع الناس وتقدم البلاد وهم الذين نطالب بهذا المشروع كي تحقق هذه الامنية فاذا تألفت منهم لجنة وغرضها انشاء المكاتب ودور القراءة لم تعدم من الموسرين ومحبي العلم اقبالاً على شد ازرها ومعونتها

ولاخسارة مادية من دور القراءة وعندي ان ربحها مضمون تقريبًا وان قلَّ وشاهدي على صحة ذلك ان لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين بيتًا من هذه البيوت في مدينة ازمير وآخر في الاستانة العلية وهما سائران على قدم النجاح ولا اخال الجمعيتين المؤسستين خسرتا ما يذكر . اما في بلاد الغرب كانكلترا واميركا مثلاً فهي كثيرة جدًّا ونفعها ظاهر عميم ولا تقتصر هناك على ما ذكرت بل تتناول اقامة المطاعم والفنادق حيث ينزل اعضاؤها من وطنيين واجانب فيتناولون الاطعمة المغذية الخالصة من الغش بثمن اقل مما يطلب منهم في سائر المطاعم حتى يقال ان الثمن يساوي القيمة تقريبًا ولكل ذلك شروط وقوانين ليس هذا محلها ولا يطلب هذا الآن في منتديات القاهرة لان امورًا كهذه تنمو ولا تبرز للوجود دفعة واحدة اذ الطفرة محال

بقي المكاتب وهذه لا بدَّ من تضحية المال في سبيل اقامتها ولكن النفع العام العائد منها اكبر ربح يتطلبهُ محب الانسانية . والادباء الذين لا يتمكنون من نجدة هذه المكاتب بالمال يستطيعون اسعافها بالكتب والجرائد والمؤلفات من عربي واجنبي

ومتى تيسر لنا الجمع بين دور القراءة والمكاتب العمومية فلا بدَّ ان تثمر ثمرة طيبة ألا وهي الجمعيات الادبية والعلمية وفائدة هذه اشهر من ان تذكر لما ينال اعضاءها من الفوائد في شحذ الاذهان وتبادل المذاهب والنظر في العلوم والاختراعات وتقوية ملكة الخطابة في الشبان

ويظهر لي ان الجمعيات الماسونية في القاهرة تستطيع ان تبدأ العمل لانها من الجمعيات العمومية المؤسسة على نظام وهي تضم الوفًا من الوجهاء والاعيان والادباء والاغنياء ومن اقصى غايات الماسونية واسماها نشر المعارف والعلوم ولديها مال مدَّخر تستطيع بذل جزء منهُ

توصلاً الى هذه الغاية فتخدم الوطن ولا تكتفي بعقد الجلسات والقاء الخطب الادبية في محافلها وتوزيع الصدقات على اعضائها المحتاجين او اسعاف ذوي الباساء من ايتامهم واراملهم

فمن لنا برجل كفرانكلين الاميركي تستحثهُ الغيرة والحمية فيقدم على انشاء مكتبة عمومية ومن لنا برجال يقومون كما قام اصحاب المشروع الشتكوي (٣) فيفتحون بيوت القراءة او المدارس الليلية لتدريس العملة والذين لم يفوزوا بدخول المدارس في صباهم

اتاني كتاب بالامس من صديق لي في سورية قال فيهِ ما معربهُ "اقيمت الحفلة الموسيقية السنوية يوم السبت الماضي بعد الظهر وسيخصص دخلها هذه السنة (نحو خمسين او ستين جنيهاً) لاسعاف منتدى الصبيان (٤) الذي انشئ في السنة الماضية وكان من غرضهِ اجتذاب الاحداث من مهاوي القهاوي والسكر والقمار كما تعلم وساكتب اليك عن نجاحهِ بعد ان تستولي اللجنة على مبلغ الدراهم"

هذا ما يحرك الهمم المتوانية ويدفعها الى النظر في احدى المسائل الاجتماعية الخطيرة فبجزء صغير مما ينفق على المسكرات واللهو يستطيع اهل القاهرة ان يكتسبوا نفعاً كبيراً ويذخروا لهم ولبنيهم من بعدهم ميراثاً فيهِ الخير لجميعهم

ومعلوم ان للحكومة نفعاً كبيراً من هذا التغيير اذا حدث فانهُ يقلل عدد الجرائم ويزيد اهتمام القوم بمساعدتها اذ من المعلوم ان سند الحكومة في كل بلاد افاضل رجالها وخيرة ابنائها علماً وادباً ويحسن بالحكومة ان تشجع هذا العمل ما استطاعت الى ذلك سبيلاً وانما ثقل المسئولية ملقى على عواتق الاهلين ولا اراهم يستطيعون التملص من هذه المسئولية مهما انتحلوا لذلك من الاسباب الا اذا قالوا ان الناس اعتادوا انتياب الحانات ولا يستطاع صرفهم عنها

---

(٣) من شتكواي بحيرة في الولايات المتحدة بدئ هذا المشروع على ضفافها والغاية منهُ اسعاف من لم يستطيعوا الدرس ايام صباهم او لم يتمكنوا من اتمام دروسهم على نيل تلك الغاية وقد انتشر هذا المشروع في الولايات المتحدة وتجد تفصيلهُ في كتاب نقلهُ الى العربية احد الراغبين في انتشارهِ وطبعتهُ المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ووزع مجاناً على من اراد

(٤) منتدى اقيم سنة ١٨٩٦ في بيروت والشارع في انشائهِ كريمة الدكتور جورج بوست الجراح الشهير بمعاونة بعض الفضلاء والفاضلات والغرض منهُ صرف الاحداث عن القهاوي وبيوت الحانة في السهرات واجتذابهم الى حيث يصرفون الوقت بين الدرس والكتابة وممارسة الالعاب وسماع الموسيقى والخطب البسيطة المقرونة بالامتحانات العلمية وقد تبرع تلامذة المدرسة الكلية بمساعدة هذا العمل بما يضحونهُ من الوقت في اعانة الاحداث وتعليمهم وتقديم الخطب ومما يسرُّ محبي الانسانية ان هؤلاء الاحداث اخذوا يقتصدون في دراهمهم التي كانوا ينفقونها وذلك ان مدير المنتدى فتح صندوقاً للتوفير وفي كل اسبوع يأتي الاحداث بما جمعوهُ ولكل منهم دفتر يكتب فيهِ مبلغ ما دفع بتاريخهِ ومتى بلغ المجموع نحو عشرة فرنكات وضع في البنك الاقتصادي بفائدة قليلة

وليتأمل المعترض فيما اذا كان هذا القول يسير على جميع الناس على اختلاف طبقاتهم والواقع على غير ذلك لان كثيرين من الشبان لا يميلون الى انتياب القهاوي والحانات وانما هم يفعلون ذلك على رغم انفهم لانهم غير مخيرين فهم يتطلبون الراحة من عناء الاشغال والاجتماع باقرانهم فلا يلقون مجلساً يضمهم سوى القهاوي والحانات وقليل بينهم من يستطيع كبح امياله فيفضل العزلة في وقت الراحة على لقاء الناس فلو تيسّر لهؤلاء ما يطلبون لاقلعوا عن الذهاب الى بيوت الحان وغيرها

ثم ان حاجة البلاد الى المدارس لا توازي افتقارها الى المكاتب ودور القراءة والجمعيات ومنتديات الآداب فان المدارس آخذة في التكاثر تبعاً لناموس التقليد ولاسيما مدارس الذكور فلا بدَّ اذاً من السعي لايجاد متممات المدارس فيستفيد الطلبة فائدتين عظيمتين متابعة العلم الذي يتلقونهُ في المدارس ودفع الضرّ الناجم عن انتياب اماكن اللهو وبيوت الحان

حصرت الكلام في القاهرة مع علمي انهُ يتمشى على جميع مدن القطر لان القاهرة ام مدائنهِ وعاصمة البلاد ومقرّ الحكومة وفيها من الوسائل ما هو غير ميسور لسائر مدن القطر اللهم الاَّ الاسكندرية وانما يقال في المدن الكبيرة ما يقال فيها لاسيما التي تغلَّب فيها العنصر المصري على غيرهِ من العناصر

بقي اعتراض يجب دفعهُ قبل الختام وهو ان القاهرة الجديدة حيث ينتظر اشادة هذه الدور وتلك المكاتب والجمعيات خليط من جميع امم الارض ففيها الانكليزي والفرنسي والالماني واليوناني والايطالي والمصري والسوري على اختلاف نزعاتهم وطبقاتهم ومشاربهم ومذاهبهم فكيف يتسنى لهؤلاء القيام بمشروع يقتضي الاتفاق في العادات والمشارب والنزعات

اما كلامي فموجه الى الناطقين بالضاد من مصريين وغيرهم وليس بين هؤلاء ما يدفع الى تفريق كلمتهم الاَّ ما لا يعتدُّ بهِ ولهم في جامعة اللغة والوطنية والتابعية ما هو كفوء لضمهم في امر تتفق في حمد منفعتهِ آراؤهم وآراء جرائدهم والفضلاء منهم الاَّ فئات طمست ابصارها باكف التعصب والجهل . ولا يخفى ان الاوربيين ممن ذكرت آنفاً لم يغفلوا هذه الجمعيات والمنتديات لاسيما المتعلمين منهم ثم ان هنالك من الفرق بينهم و بين المتكلمين بالعربية ومن التباين في الاحوال والمعيشة والاستعداد ما لا موضع لذكرهِ هنا

ان فرنسا كانت مثالاً لمصر في تنظيم الحكومة والاحكام والزي والعادات وقد تابعها هذا القطر في كثير من الامور وانما لا تخلو مدينة في فرنسا صغيرة كانت او كبيرة من مكتبة عمومية وجمعية ادبية ومنتدى للقراءة فعلام لا يجري التقليد في النافعات كلها بل يشتد في المؤذيات فقط

تلك اماني قد يحققها الزمان وتأتي بها الحاجة اليها وتبرز بها الى عالم الحس والحقيقة غيرة الوطنيين وسخاء الكرماء لكن خير البر عاجلهُ

هذا موضوع يطرح في ميدان البحث وعسى ان يعيره ادباء القطر التفاتهم وينظروا فيهِ برأيهم الصائب فما نقدم انما هو قطرة من بحر وكنوز الحقيقة ودررها لم تزل مخبوءة لهم وهم اهل البلاد يعرفون مواضع الضعف والشدة فيها ولم اتجاوز في البحث باب النظر في المسئلة بوجهٍ عام وانما قصدت تنبيه الافكار الى ما نحن في حاجة اليهِ ولا بدَّ ان يتلو ذلك ما يزيح النقاب عن الحقائق اذ الامور مرهونة باوقاتها والله علاَّم الغيوب

علم الجراحة في الحرب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

لم يكتفِ جرَّاحو الانكليز بما نالوهُ من العلم والاختبار ولا ارتضوا بما لديهم من المال والشهرة ولا اقتصروا على معالجة الالوف الذين يعالجونهم في مستشفياتهم الكثيرة ولذلك ما كادت الحرب تنشب في جنوبي افريقية حتى تطوَّع كبارهم وتركوا رغد العيش وركبوا اشد الاخطار حبًّا بالانسانية وطمعًا بتوسيع نطاق الجراحة واستجلاء ما غمض من اسرار هذا الفن. وما كادت اقدامهم تطأ تلك البلاد حتى تسابقوا في العمل والجد ومواصلة الجرائد الطبية بكل جديد مفيد فكان لمقالاتهم شأن عظيم وفائدة كبيرة عدا ما افادوا بهِ ابناء نوعهم في ميدان القتال فكم من رجل انقذوهُ من مخالب الموت وكم من آلام خففوها ومخاطر استدركوها وامراض شفوها. وكم من طفل ابعدوا عنهُ اليتم وامرأة وقفوا بينها وبين الترمل. وها انا الخص بعض ما وقفت عليهِ مما استفادهُ الاطباء والجرَّاحون من هذه الحرب

رصاص موزر Mauser

رصاص موزر مخروطي الشكل ملبَّس بالنكل وهو اكثر انواع الرصاص استعمالاً في هذه الحرب وبهِ يصاب اكثر الجرحى. وقد مدحهُ الجراح تريفس الشهير لان ضررهُ اخف من ضرر غيرهِ فلا يهتك الانسجة الرخوة لعدم تمددهِ ولا يشوه الاعضاء. واصاباتهُ بلا ألم وتكاد تكون خالية من الخطر ولا تحتاج الاَّ الى علاج بسيط. وتتوقف شدة ضررهِ على المسافة التي يطلق منها فاذا اصاب الانسان عن بعد ١٥٠٠ متر الى ٢٠٠٠ متر اخترق الجزء المصاب كأنهُ ابرة اي ان الفتحة التي يدخل منها تكون ضيقة جدًّا كثقب الابرة وكذلك القناة التي

يسير فيها . ولكنهُ اذا اصاب عظم العضد عن ٥٠٠ متر او اقل كسرهُ وفتتهُ . اصيب احد الجنود برصاصة منهُ في السلاميتين المتوسطتين في خنصرهِ وبنصرهِ فاحدثت فيهما اربعة جروح صغيرة تم التئامها على غاية ما يرام بلا تقيح وجبرت السلاميتان من غير عاهة

وقد احصى بعضهم نتيجة الاصابات بهِ فوجد ان ثلثي المصابين يتمّ لهم الشفاء في ثلاثة اسابيع والثلث الباقي يشفى في مدة اطول قليلاً . ويقول الجراح تريفس ان جروح هذا الرصاص تشفى بسهولة من غير تقيح وانهُ لم يشاهد حوادث بقي فيها رأس الرصاصة كما روى بعضهم . الاّ ان مكاتب احدى الجرائد الطبية قال انهُ يوجد انواع أُخرى من رصاص موزر فعلها اشد من الرصاص المذكور آنفاً وفتكها اكثر ومنها نوع لا يمتد النكل فيهِ الى طرف الرصاصة فيبقى من رأسها جزءٌ بلا تلبيس فمتى اصاب رأسها جسماً صلباً تمدَّد واتسع وهتك الاجزاء الرخوة وفتت العظام مثل رصاص دمدم المشهور . ويقل ضرر رصاص موزر لسرعة سيرهِ وصغر حجمهِ ودقة رأسهِ ولذلك فهو يمرُّ بسرعة في البدن ويسير سيراً مستقيماً في الغالب وهذا هو السبب الاكبر لكون عواقبهِ حميدة غالباً . واذا اعترض سيرهُ عصب او وعاءٌ دموي نتج عن اصابتهِ ضرر حسب اهميتهِ او حجمهِ وكذلك يشتدُّ ضررهُ اذا اصاب جسماً صلباً قبل دخولهِ البدن او عظماً قبل خروجهِ منهُ وتتغير حينئذٍ سعة فتحة الدخول او الخروج او سعتهما كليهما ويتغير سير الرصاصة ايضاً . وفتحة دخولهِ في الاصابات الاعتيادية مستديرة وفتحة خروجهِ شبيهة بشرم بسيط ويقل ضررهُ اذا حفظ غلافهُ سليماً ولذلك اعتاد بعض الجنود ان يزيلوا جزءاً من مقدَّم الغلاف ليسهل تمدُّد الرصاصة ويزيد ضررهُ

ورأى الجرَّاحون ان لا يتعرَّضوا للبحث عن الرصاصة في العمليات الجراحية ما لم تحدث اعراض تستوجب ذلك لانها تخرج من الجسم على الغالب من فتحة يصعب على الجراح الاستدلال عليها واذا بقيت فيهِ تكوَّن لها غلاف من غير ان تهيج الانسجة المجاورة

اللديت Lyddite.

اللديت قنابل صغيرة اشبه بالديناميت يتكوَّن منها عند انفجارها غاز كثيف يتمدَّد سريعاً ويموّج الهواء تمويجاً شديداً فيقتل الانسان ولو عن مسافة بعيدة بسبب لطم الهواء لجسمهِ ولذلك لا يُرى في اجسام الذين يقتلون بهِ آثار خارجية كالجروح والرضوض والكسور وانما شوهد في بعضهم انثقاب طبلة الاذن

كلام اجمالي في الجروح

مما يذكر بالشكر للجراحين في هذه الحرب انهم استوفوا وسائط التعقيم وضادات الفساد

واتقنوا العمل والمعالجة . وقد وجدوا ان الجروح النارية لا يصحبها الم يذكر حال حدوثها ولا تكون الصدمة فيها شديدة ولا يحصل منها نزف كثير ما لم يصب احد الاوعية الدموية الكبيرة وفي هذه الحال يكون النزف الابتدائي قليلاً ولكن يعقبهُ في الغالب نزف ثانوي ولذلك قلما يموت مصاب في ساحة القتال بسبب نزف الدم

وسير الجروح حسن بوجهِ الاجمال وتشفى غالباً بلا تقيح حتى ان التقيح العميق والتهابات الانسجة الخلوية قلما تحصل وذلك لان الجروح النارية صغيرة جداً والرصاص خالٍ من جراثيم الفساد ولا يدفع اجساماً غريبةً امامهُ الى داخل الجرح اما خلوهُ من جراثيم الفساد فلان طبقة الهواء اللاصقة بهِ تزول عنهُ وقت مرورهِ في البندقية واما دفعهُ للجسم الغريب فموقوف على نوع الملابس التي يخترقها ففي الانسجة المتينة التي تلبسها الجنود الانكليزية عادة تكون الفتحة التي تدخل منها الرصاصة شقاً منتظماً واما اذا كان النسيج مرناً كالفلانلاً فقد يمكن ان تدفع شيئاً منهُ امامها الى الجرح . ولا تميل الجروح الى التقيح لان سرعة الرصاصة تمنع النزف الكثير في البداية فلا يفرز من جرحها افراز مصلي بل يبقى جافاً تقريباً وقد تقدَّم ان الرصاصة تكون معقمة فلا يبقى سبيل الى التقيح

ويُرى مما ذكر ان معالجة الجرحى في هذه الحرب كانت غالباً على غاية السهولة والبساطة فيغسل الجرح باحد المحاليل المضادَّة للفساد ويوضع عليهِ غيار بسيط ولا بدَّ من ان يكون لنقاوة الهواء في ساحات القتال تأثير شديد في سرعة شفاء الجروح . قال العلاَّمة هتشنسن انهُ لم يذكر التاريخ حرباً كانت فيها الجروح سريعة الشفاء وسليمة العواقب مثل هذه الحرب وذلك مما يثبت تقدُّم علم الجراحة في هذا القرن وشدَّة اعتناء الجراحين . وقد ظنَّ ان كلمة جريح ستفقد بعد الآن المعنى المخيف الذي كان يفهم منها في الحروب السالفة فلا يحسب الجريح بعد الآن مفقوداً من الجيش ولا يعدُّ الجرحى بعد الآن مع القتلى كما كانوا يعدون قبلاً . وقد ثبت الآن ان ثلثي الجرحى ينالون الشفاء التام في اسبوعين . وان اصابات القلب هي الاصابات الوحيدة القتالة وهي سبب وفاة اكثر القتلى . نعم ان اصابات الدماغ شديدة الخطر ايضاً ولكنها لا تنتهي بالموت غالباً. ولذلك يرجح انهُ اذا صنعت الحكومة دروعاً لجنودها توقى بها قلوبهم قلَّ عدد القتلى وخفت ويلات الحروب

جروح الراس

تعدَّدت اصابات الراس في هذه الحرب وكثر اختبار الاطباء فيها فتمكنوا من التوصل الى نتائج مهمة سيكون لها شأن كبير في جراحة الراس متى نشر الجراحون نتائج اعمالهم كلها .

وقد صادفوا نجاحاً عظيماً في معالجة الراس لم يكونوا يؤملونهُ واختلفت الاصابات من بسيطة مستّ الرصاصة فيها الجمجمة مساً الى بليغة غارت فيها الرصاصة في الرأس الى اعماق مختلفة او دخلت الراس وخرجت منهُ . ولا يخفى ان جروح الراس لا تخلو من الاهمية مهما كانت خفيفة حتى ولوكانت مقتصرة على الجلد ومعلوم ايضاً انهُ اذا مستّ الرصاصة الجمجمة مساً خفيفاً فربما نتج عنها كسور تفتتية بليغة في الصحيفة الباطنة لان الاصابة الظاهرة لا تدلُّ على مقدار الضرر الداخلي. وقد ثبت من الترفنة (فتح عظم الراس) في بعض الحوادث البسيطة ظاهراً وجود ضرر جسيم في الداخل وكان الداعي الى الترفنة ظهور اعراض دماغية . ويحكم الجراحون بوجوب الترفنة في كل اصابات الراس النافذة مهما كانت خفيفة لاستدراك الطوارىء الدماغية التي يمكن ان تطرأ على المصاب ولو بعد شفائهِ لوجود شظية عظمية او نحوها تهيج السحايا ولايمكن الاستدلال عليها من سير الاصابة مهما كان سيرها حسناً فيكون الاتجاه الى الترفنة من باب التحفظ والاستكشاف قبل مرور الفرصة المناسبة وظهور الاعراض الخطرة التي تنتهي بالموت

وقد صادف الجراحون نجاحاً تاماً في عمليات الرأس الجراحية حتى اصبحوا لا يحجمون عن عملية من هذا القبيل وبقي عليهم ان يروا ما اذا كان الذين يشفون و يعودون الى الخدمة العسكرية يتأثرون من الشمس و يصابون بالرعن (ضربة الشمس) لانهُ ثبت بالتجارب ان الذين يشفون بعد آفة في رؤوسهم يكونون عرضة للرعن في البلاد المعتدلة الحرارة فكيف يكون شأنهم في البلاد الشديدة الحر

وقد شوهد انهُ اذا زاد انحناء سير الرصاصة عند دخولها الراس زاد ضرر الصحيفة الباطنة وقلما تخلو من بعض تفتت مهما انتظم سير الرصاصة ويكون الضرر اشد عند فتحة الدخول منهُ قرب فتحة الخروج . وقد عملت عملية الترفنة في اصابات عديدة بليغة انتهت بنتائج حميدة مثل استرجاع حاسة السمع وزوال شلل الاطراف واعادة النطق

جروح الصدر النارية

مدح الاطباء عموماً سير جروح الصدر النافذة لان شفاءها يتم على الاكثر بسرعة وبلا اعراض على الاطلاق سوى نزف خفيف في بعض الحوادث من غير ان يتكرر . ويندر ان ينتج عنها ارتشاحات بليورية وقد يكون مسلك الرصاصة غريباً في بعض الحوادث ومن ذلك ان عسكرياً اصيب برصاصة في اعلى الترقوة خرجت من الجهة الانسية من الفخذ المقابل والظاهر انها اصابتهُ وهو نائم على بطنهِ واجتازت تجويف الصدر والبطن . واصيب آخر برصاصة اسفل الضلع العاشرة اليسرى فاجتازت امام العمود الفقري بعد ان مستهُ وخرجت من الجهة المقابلة

اسفل الضلع السابعة وقد قال المصاب انهُ لا يذكر من الاعراض المهمة التي شعر بها اثر اصابتهِ سوى شعورهِ بفقد القوة من طرفيهِ السفليين ثم شعر ان القوة تعود اليهِ تدريجاً مصحوبة ببعض الم وكان كلما شعر بزيادة القوة ازداد شعورهُ بالالم . وقد تمَّ لهُ الشفاء

جروح البطن النارية

اوضحنا قبلاً ان فتحة دخول رصاص موزر صغيرة جدًّا ويقول تريفس انهُ قد لا يُنتبه لها احياناً لصغرها

وفي بعض الاصابات نفذت الرصاصةُ الكبدَ او الكلية بلا اعراض مرَضية على الاطلاق ونتج عنها احياناً انثقاب الامعاء كما علم من وجود دم في الغائط. واصيب احد الضباط برصاصة اجتازت كبدهُ وكليتهُ معاً ولم ينتج عنها سوى تطبُّل جزئي ونزول كمية قليلة من الدم مع البول. ويمكن ان يقال ان جروح البطن تسير سيرًا حسناً ما لم تكن قد تعددت او يكون قد مضى مدة طويلة على الاصابة قبل ان عولجت . ومن الغريب ان اصابات البطن عديدة جدًّا وقد صعب على اولياء الامر معرفة اسباب ذلك حتى ان اسيرًا قال ان بعض قواد البوير امروا جنودهم ان يصوّبوا رصاصهم الى بطون اعدائهم ظنًّا منهم ان اصابات البطن اشد خطرًا من غيرها ومن امثال اصابات البطن اصابة سمسون الذي اصيب برصاصتين في بطنهِ انتهت بالتهاب بريتوني قبل ان يصل الى معسكرهِ وكانت سبباً لوفاتهِ وعند الكشف وُجدت فتحة دخول رصاصة على ثلاث عقد اسفل السرة وفتحة اخرى في اعلى الحافة الحرقفية اليسرى ظنَّ الاطباء انها فتحة خروج الرصاصة المشار اليها وكان على القرب منها جسم صلب متحرك ظنوهُ شظية عظمية فصلت من حافة العظم الحرقفي ثم ثبت دخول رصاصتين في قسم البطن احداهما ذلك الجسم الصلب الذي حسبوهُ شظية عظمية وقد دخلت هذه الرصاصة من الفتحة التي وجدت قرب السرة وثقبت القولون من غير ان تمس الامعاء الرقاق ووقفت حيث وُجدت واما الفتحة التي وجدت قرب الحافة الحرقفية فهي فتحة رصاصة اخرى وجدت في تجويف البطن ولم تكن فتحة خروج كما ظنها الجراحون اولاً

وقد عدل الاطباء حديثاً عن العمليات الجراحية في اصابات البطن النارية على قدر الامكان للاسباب الآتية وهي

(١) ان اكثر اصابات البطن تنتهي بالشفاء بلا عملية

(٢) ان الفتحة التي تنتج عن رصاص موزر في الامعاء صغيرة جداً ويتم شفاؤُها بالتصاقها بثنية مجاورة لها من الامعاء

(٣) انهُ يصعب على الجراح الشروع في هذه العملية متى كانت المياه قليلة لا تكفي للنظافة المطلوبة كما هي الحال في جنوبي افريقية

(٤) ان الاصابات قد تكون متعددة وبليغة الى درجة لا يرجى معها شفاءٌ بالعملية

اصابات الحبل الشوكي النارية

كما سُرَّ الجراحون بتقدمهم في معالجة اصابات اعضاء الجسم وتوصلوا الى وسائط تخفف عواقب الاصابات المختلفة وتمنع الطوارئ زادوا يأساً واسفاً لفشلهم في معالجة اصابات الحبل الشوكي. واهم ما لوحظ في هذه الاصابات سرعة التقهقر حتى انهُ في احوال عديدة تظهر القروح على العجز بعد يوم او يومين كذلك الالتهابات المثانية تظهر في وقت قصير ويصل المصاب في ثلاثة اسابيع او اربعة الى حالة شديدة من التقهقر لا تشاهد في المستشفيات الملكية في الاصابات الناتجة عن اسباب خارجية الاَّ بعد مرور اشهر حتى ان اصابات الحبل الشوكي صارت تدرج مع الاصابات المميتة التي لا يرجى منها شفاء . ولاتمام الفائدة انقل بعض تفصيلات من هذا النوع . أُصيب واحد في واقعة ماغرسفونتين برصاصة في ظهره دخلت على محاذاة الفقرة السادسة بعيدة اربع عقد عن الخط العمودي القاطع للظهر وخرجت من الجنب الآخر من نقطة تقابل نقطة الدخول فسببت شلل الاطراف السفلى مع فقد الاحساس ولم يمضِ زمن حتى ظهرت القروح على العجز ومراكز أُخرى وتوفي المصاب بعد حصول الاصابة بثلاثة اسابيع مع ان الجرح الخارجي التأم بسهولة. ولدى البحث وجد كسر في الفقرة وشظية منها لا يتجاوز حجمها حجم الحمصة دفعت الى داخل تجويف العمود من غير ان تمزّق الام الجافية وكذلك شظايا أُخرى ذات اطراف حادة أُلصقت النخاع بالحبل الشوكي كما بمسامير

وفي بعض الحوادث التي مرت بها الرصاصة قرب الحبل الشوكي من غير ان تمسهُ ظهرت اعراض تشابه ما يحدث من اصابات الحبل الشوكي ولكنها لم تلبث بضعة ايام حتى تحسنت حركة الاطراف وعاد جزء من الاحساس ويمكن ان ينسب ذلك الى تأثير الانسكابات الدموية . وعلى كلٍ فالجراحة قاصرة عن ايجاد العلاج المفيد لهذا النوع من الاصابات

اصابات الاطراف

من الآفات العصبية التي تحصل على اثر اصابات الاطراف النافذة اولاً زيادة الاحساس في الطرف المصاب . ثانياً حدوث اعراض عصبية عميقة حينما لا يقطع عصب ويمكن ان ينسب ذلك الى رض اصاب العصب من مس الرصاصة لهُ اثناء مرورها . وذكر تريفس ان آلة اشعة رنتجن وصلت متأخرة فاستعاض عنها بالمسبر التليفوني وهو دقيق الدلالة جداً

حرب الترنسفال

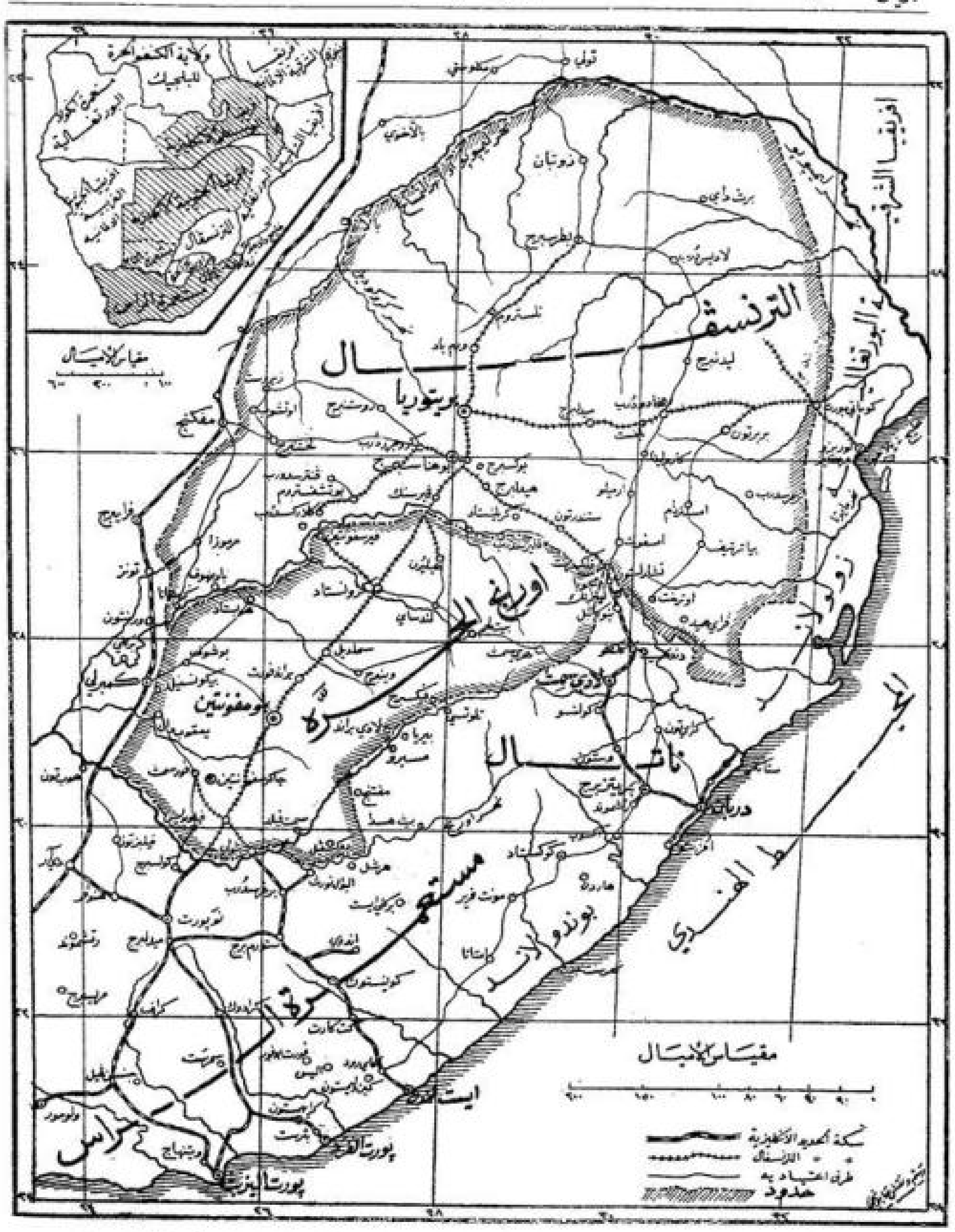
واسبابها

كادت الحرب تضع اوزارها وستبحث فيها المجلاَّت العلميَّة من حيث اسبابها ونتائجها كما بحثت فيها المجلاَّت الطبيَّة من حيث علاج مرضاها وشفاء جرحاها . ولا نطمع ان نجمع في مقالة او مقالات كل مايذكر سبباً لهذه الحرب لا سيما وان كبار الكتَّاب الاوربيين والاميركيين قد كتبوا في ذلك ما لو جُمع لكان منهُ مكتبة كبيرة وانما غرضنا ذكر الاسباب الرئيسة وسنوردها حسب تواريخها موجزين فيها ما امكن

البوير من نسل الهولنديين الذين استوطنوا الطرف الجنوبي من افريقية في القرن السابع عشر وهم منتشرون الآن في مستعمرة الراس وناتال والترنسفال وولاية اورنج الحرَّة ويبلغ عددهم نحو خمس مئة الف نفس نصفهم في مستعمرة الراس والنصف الآخر في سائر الولايات ولهم الكلمة النافذة في حكومة الراس ولو كانت انكليزية ولا شأن لهم في حكومة ناتال واما في الترنسفال وولاية اورنج الحرَّة فهم مستقلون تمام الاستقلال في حكومتهم الداخلية

ولمستعمرة الراس والبلاد المجاورة لها شأن كبير عند البريطانيين لانها توصل بين بلادهم والامبراطورية الهندية الخاضعة لهم فاذا استولى عليها اجنبي تعذَّر عليهم ارسال المدد الى الهند الأ من ترعة السويس وهي اذا غرقت فيها سفينة امتنع السير فيها . هذا فضلاً عن فائدة بلاد الراس والبلاد المجاورة لها ماليًّا لخصب ارضها ووفرة معادنها فان ما يصدر من ولاية الراس الآن تبلغ قيمتهُ في السنة ٢٧ مليونًا من الجنيهات مع ان عدد سكانها نحو مليونين والبيض منهم لا يزيدون على اربع مئة الف نفس . فالبلاد وافرة الخيرات وتحتمل من السكان اضعاف ما فيها الآن . وهي في افريقية خير بلاد تقلُّ الامراض فيها ويوافق الاوربيين هواؤُها

وكان البوير في مستعمرة الراس اولاً ثم هاجر بعضهم منها جنوباً الى ولاية اورنج الحرَّة وذهب بعضهم الى ناتال فاستوطنوها وحدث ذلك سنة ١٨٣٥ وما بعدها ولم تمنعهم حكومة الراس من هذه المهاجرة ولكنها بقيت تحسبهم من الرعايا البريطانيين الى ان رأت منهم الخروج عن طاعتها فحاربتهم في ناتال فهرب اكثرهم من وجهها وعبروا نهر الفال واستوطنوا البلاد التي وراءهُ فسميت الترنسفال وقد فصَّلنا ذلك في العام الماضي كما تراهُ في الصفحة ٨٠٥ وما بعدها من المجلد الثالث والعشرين . وبعد منازعات يطول شرحها اعترفت الحكومة الانكليزية بالاستقلال



خريطة القسم الشرقي من جنوب افريقية وفيه بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرّة وجانب من مستعمرة الراس . وفي اعلى الصورة رسم جنوب افريقية مصغرًا تظهر فيه بلاد الراس كلها وسائر الاملاك البريطانية سوداء اللون وفيها بلاد الترنسفال وولاية اورنج الحرّة وغيرها بيضاء

لاهالي الترنسفال سنة ١٨٥٢ ولاهالي ولاية اورنج سنة ١٨٥٤

لكن بلاد الترنسفال كانت آهلة بالسكان من الزولو قبل نزول البوير فيها فجاء البوير عليهم واذلوهم فاغتصبوا واصلوا البوير نارًا حامية حتى كادوا يفنونهم فبعثت الحكومة الانكليزية جنودها لانقاذهم وضمّت الترنسفال الى املاكها برضى البوير انفسهم الاَّ بعض زعمائهم مثل كروجر[1] وجوبر[2] وبريتوريوس. وذهب هؤلاء الثلاثة الى بلاد الانكليز بعريضة من البوير يشكون فيها تصرُّف الحكام ويقولون ان بلادهم ضمت الى البلاد الانكليزية على غير رضى اهلها ويطلبون ان يعاد اليها استقلالها فوعدهم ناظر المستعمرات ان ينظر في طلبهم ويزيل اسباب شكواهم فعادوا الى بلادهم واجتمعوا سنة ١٨٧٩ ونادوا بالاستقلال وانتقلت الوزارة حينئذٍ الى غلادستون



(١) كروجر رئيس جمهورية الترانسفال



(٤) ستين رئيس ولاية اورنج الحرة

فاخلدوا الى السكينة حاسبين انهُ ينيلهم مبتغاهم حتى اذا اخذ رجال الحكومة الذين عندهم يجبون الاموال الاميرية منهم جاهروا بالعصيان ونادوا بالحكومة الجمهورية المستقلة تحت رئاسة

(١) هو ستفانوس جونس بولس كروجر رئيس جمهورية الترنسفال ولد بمستعمرة الراس في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٢٥ وهاجر مع الذين هاجروا عبر الفال وكان يقود البوير في حروبهم وانتخبوهُ رئيسًا لهم سنة ١٨٨٢ واعيد انتخابهُ سنة ١٨٨٣ لخمس سنوات واعيد ثانية سنة ١٨٨٨ وكرر انتخابهُ بعد ذلك وانتخب آخر مرة سنة ١٨٩٨

(٢) بترس جاكوبس جوبر قائد جيوش البوير العام ولد في حدود سنة ١٨٣١ وهو الذي تغلب على السر جورج كولي قائد الجنود الانكليزية في واقعة مجوبا ورشح لرئاسة الترنسفال مرتين لكن كروجر فاز عليهِ وهو من القوَّاد المحنكين كما دلت عليهِ معاركهُ الاخيرة ومن الذين تثق بهم جنودهم ثقة تامة

كروجر وجوبر وبريتوريوس وكان ذلك في ١٦ من دسمبر سنة ١٨٨٠ فعدَّت الحكومة الانكليزية البلاد عاصية واجرت فيها الاحكام العرفية وبعثت اليها بقليل من الجنود لردها الى الطاعة فقابلهم القائد جوبر في عدة وقائع وكان الفوز لهُ وحينئذٍ كتب الرئيس كروجر الى الجنرال كولي قائد الجنود الانكليزية يقول لهُ ان لا غرض لهم بمحاربة السلطنة الانكليزية وطلب ان تعرض مطالب البوير على لجنة تحقيق تبحث فيها فاجابهُ الجنرال كولي ان لا بدَّ من ان يلقي البوير سلاحهم قبل تعيين لجنة التحقيق وضرب لهم ميعاداً لذلك ٤٨ ساعة لكن جوابهُ لم يبلغهم الأ بعد مضي تلك المدة وكانت ولاية اورنج قد اخذت تظهر ميلها الى الترنسفال فعزم الجنرال كولي ان يضربها الضربة الفاصلة فجمع نحو خمس مئة من رجالهِ وصعد بهم على اكمة مجوبا ليلاً فصعد اليهم البوير في الصباح واثخنوا فيهم ووقع من الجنود الانكليز ٢٨٠ بين قتيل وجريح وقتل الجنرال كولي . هذه هي واقعة مجوبا المشهورة حدثت في السابع والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٨١ . (وفي السابع والعشرين من شهر فبراير الماضي اخذ الانكليز بثارهم من البوير فاسروا الجنرال كرونجي وخمسة آلاف من رجالهِ)

وبعثت الحكومة الانكليزية بالقائد السر افلن ود لمحاربة البوير وامرت الجنرال روبرتس ان يستعد لذلك ايضاً لكن غلادستون رأى انهم مستقتلون في الدفاع عن بلادهم وقد يفنون عن آخرهم ولا يسلمون فامر السر افلن ود ان يذاكرهم في امر الصلح حقناً للدماء . ويقال الآن انهُ أخطأَ في ما فعل ولو شدَّد الوطأَة عليهم لردهم الى الطاعة وكفاهم شر هذه الحرب المتأججة نارها الآن وزادوا نجاحاً وفلاحاً في ظل الراية الانكليزية . فعُقدت شروط الصلح على ان تكون السيادة لبريطانيا العظمى وهي تدير كل شؤُون الترنسفال الخارجية ويكون لها وكيل مقيم في عاصمتها حتى اذا رأَى من الترنسفال اخلالاً بشروط الصلح استدعى الجنود الانكليزية اليها . ويحمي سكانها الاصليون ولا يمنع احد من رعايا بريطانيا من السكن فيها . وامضى كروجر وجوبر وبريتوريوس هذه الشروط في ٣ اغسطس سنة ١٨٨١

والظاهر ان البوير جهلوا مغزاها وحسبوا انهم قهروا السلطنة الانكليزية كلها او انهم يستطيعون قهرها اذا اخذوا الاهبة الكافية وحينئذٍ يسهل عليهم ضم كل بلاد الراس وجعلها جمهورية كبيرة مستقلة مثل الولايات المتحدة الاميركية

وجاء كروجر واثنان غيرهُ من زعماء البوير الى بلاد الانكليز سنة ١٨٨٤ وطلبوا تعديل شروط الصلح وحدود بلاد الترنسفال من جهة الجنوب الغربي وكانت الحكومة مشغولة بحرب السودان فرضي لورد دربي ناظر المستعمرات حينئذٍ بما طلبوهُ وغُيرت الشروط ولم يذكر في

الشروط الجديدة انهُ بقيت لانكلترا السيادة على الترنسفال فقال قوم ان السيادة انتفت وقال غيرهم انها لم تكن من الشروط بل كانت مقدمة اساسية لها فلم تغيَّر بتغييرها

وكُشفت مناجم الذهب في بلاد الترنسفال وهرع الناس اليها من كل فج واكثرهم من الانكليز او من رعاياهم وانهال النضار على رجال الحكومة الترنسفالية وكانوا قد وعدوا السر اقلن ولد ان كل اجنبي يستوطن بلادهم يعاملونهُ كما يعاملون ابناء جلدتهم فلما كثر المستوطنون رأوا ان إشراكهم مع الوطنيين في الحقوق السياسية يخرج مقاليد الحكومة من يدهم ويعطيها للغرباء لان الغرباء صاروا اكثر منهم عدداً ولذلك ضنوا بحقوق الانتخاب على من ليس منهم الاَّ



(٢) جوبر قائد جيوش البوير العام



(٣) سسل رودس

بعد ان يقيم في بلادهم اربع عشرة سنة ور بطوها بشرائط اخرى يتعذَّر معها اشراك احد غيرهم في حكومة البلاد مع ان الاموال الاميرية ثلاثة ارباعها من هؤلاء المستوطنين وربعها من الوطنيين فهاج المستوطنون وماجوا واكثروا الشكوى والتذمُّر ورأوا انهم لا ينالون حقوقهم ما لم يطلبوها بحد السيف واستعانوا بالمستر رودس (٣) وكان وزيراً لبلاد الراس فبذل جهدهُ في معونتهم ولكنهُ لم يفلح وكأن البوير كانوا يقصدون اخراجهم من بلادهم بكل واسطة فزادوا عليهم ضغطاً وتضييقاً . فبادر الدكتور جيمسن لنجدتهم في غارتهِ المشهورة فاحاط بهِ البوير وبرجالهِ واسروهم وقبضوا على زعماء الثائرين في بلادهم وحكموا عليهم بالقتل ثم ابدلوا الحكم بغرامة

(٣) سسل رودس ولد سنة ١٨٥٣ ودرس في مدرسة اكسفرد الجامعة ومضى الى جنوب افريقية فاحرز فيها ثروة وافرة جدًّا · وجعل رئيساً للوزارة في مستعمرة الراس سنة ١٨٩٠ ثم استعفى سنة ١٨٩٦ على اثر غارة جيمسن ولهُ الشان الاكبر في اخماد ثورة الماتابيل وانشاء ولاية رودسيا التي سميت باسمهِ · ولما نشبت الحرب الاخيرة مضى الى كمبرلي وبقي محصوراً فيها الى ان رفع الحصار عنها في الرابع عشر من شهر مارس الماضي

مالية كبيرة وأُرسل جيمسن ورفاقهُ الى بلاد الانكليز فحوكموا وجردوا من رتبهم وسجنوا لانهم اغاروا على بلاد مسالمة لبلادهم

ومن ثمَّ زاد البوير تأهباً واستعداداً وكان شبانهم يتعلمون في مدارس اوربا و يستعدون لانالة بلادهم الاستقلال التام وضم كل بلاد الراس اليها و يتكلمون بذلك سرًّا وجهرًا واموال حكومتهم تنفق على ابتياع البنادق والمدافع وسائر المعدات الحربية يعاونهم في ذلك كثيرون من الاوربيين خفيةً حتى اذا نشبت الحرب ظهر انهم عبأُوا من الجيوش واعدوا من آلات القتال اكثر من الدولة البريطانية

وذهب السر الفرد ملنر الى بلاد الراس سنة ١٨٩٧ حاكماً عاماً فبذل جهدهُ في اقناع البوير ليزيلوا ما يشكو منهُ المستوطنون في بلادهم فلم يفلح واخيرًا اضطرَّ هؤلاء ان يرفعوا عريضة الى جلالة ملكة الانكليز يشكون اليها امرهم فلم تلتفت اليهم فرفعوا اليها عريضةً ثانية قدَّموها على يد السر الفرد ملنر وشفعها برسالة يقول فيها انهم مظلومون حقيقةً ومحرومون من كل حقوق الرعايا مع ان ثلاثة ارباع مال الحكومة منهم . واشار على الترنسفال ان تشرك المستوطنين في حكومتها اي ان تشركهم في انتخاب النواب لمجلس الشورى فلا يبقى لهم سبيل الى الشكوى . ولما أُبرمت عهدة الصلح سنة ١٨٨١ كانت حقوق الانتخاب تعطى للمستوطن بعد اقامته سنة واحدة في البلاد ثم جُعلت مدة الاقامة خمس سنوات وبعد اكتشاف مناجم الذهب وتقاطر الغرباء جُعلت اربع عشرة سنة واضيفت اليها شروط اخرى تمنع التابعية الترنسفالية

واجتمع السر الفرد ملنر بالرئيس كروجر في بلومفونتين عاصمة ولاية اورنج في شهر مايو الماضي بدعوة من الرئيس ستين[٤] وطلب ان تجعل مدة الاقامة للمستوطنين خمس سنوات فقط حتى يحق لهم الانتخاب فقال كروجر ان المنتخِبين من البوير ثلاثون الفاً فقط فاذا اعطي حق الانتخاب للمستوطنين بلغ عدد المنتخِبين منهم ستين او سبعين الفاً فتصير الاكثرية منهم و يخرج زمام الحكومة من يد البوير. و بعد جدال طويل قبل ان يجعل مدة الاقامة تسع سنوات للمستوطنين الآن في البلاد وسبع سنوات للذين يأتونها بعد الآن وربطها بقيود وشروط تجعل اشراك المستوطنين في الانتخاب ضربًا من المحال فرفض السر الفرد ملنر ذلك. ثم قبل مجلس الترنسفال بجعل

---

(٤) مرتينوس تنيس ستين رئيس ولاية اورنج الحرَّة ولد في تلك الولاية سنة ١٨٥٧ ودرس فيها وفي هولندا وتعاطى المحاماة مدة ثم عين في منصب القضاء وانتخب رئيساً لولاية اورنج سنة ١٨٩٦ فاحكم عرى الاتفاق بينها و بين الترنسفال وهو الذي دعى السر الفرد ملنر والرئيس كروجر للمذاكرة عندهُ في بلومفونتين عاصمة بلادهِ في شهر مايو الماضي

مدة الاقامة سبع سنوات وتنازل الى جعلها خمس سنوات مشترطاً ان لا تبقى انكلترا مصرَّة على حقوق سيادتها على الترنسفال ولا تجعل تداخلها هذه النوبة سابقةً تجري عليها في المستقبل وترضى برفع بقية الامور المختلف فيها الى مجلس محكمين يحكم بينها وبين الترنسفال ويكون حكمهُ نافذًا . فاجابت انكلترا جوابًا يقرب من الرفض التام لهذه الشروط الثلاثة . وزاد الاعتداء على المستوطنين في الترنسفال فاخذوا يهجرونها افواجًا وتوالت المكاتبات بين انكلترا والترنسفال وانكلترا تطلب ان يساوى المستوطنون بالوطنيين في كل الحقوق مثبتة انها انما منحت الاستقلال للترنسفال سنة ١٨٨١ بناءً على وعد الترنسفال انها تساوي المستوطنين بالوطنين والترنسفال تحسب ان غرض انكلترا العبث باستقلالها وتمهيد السبل لضمها الى املاكها فتحاول تقييدها بما يمنع ذلك

وفي السابع والعشرين من شهر سبتمبر الماضي اقرَّت ولاية اورنج على مساعدة الترنسفال اذا نشبت الحرب بينها وبين الانكليز وعبأت الترنسفال جنودها للحرب وكأنها تحسب ان الامَّة الانكليزية مقسومة حزبين فاذا رغب حزب في محاربتها قاومهُ الحزب الآخر لان لهجة الحزب المقاوم للحرب كانت شديدة وعزائمهُ قوية . وكانت تظن ان بعض الدول الاوربية ينتصر لها وأُقفلت المناجم وكثر المهاجرون . وقبضت حكومة الترنسفال على ما قيمتهُ ثمانمئة الف جنيه من الذهب كانت مرسلة الى انكلترا واعلنت انها استصفت كل ما يستخرج من مناجم الذهب بعد ذلك الحين تدفع منهُ ما يكفي لاجور العمال ونفقات العمل لا غير وبعثت جنودها الى التخوم واستدعت الرديف وعددهُ خمسة وعشرون الفًا . وفي التاسع من اكتوبر بعثت الى وكيل انكلترا كتابًا تطلب فيهِ. اولاً ان المسائل التي وقع فيها اختلاف بين انكلترا والترنسفال تحل بالتحكيم او بواسطة أُخرى يتفق عليها . ثانيًا ان تسترد انكلترا جنودها التي على تخوم الترنسفال حالاً . ثالثًا ان النجدات التي جاءت الى جنوب افريقية بعد غرة يونيو تعاد منهُ في وقت قريب يتفق عليهِ بين الحكومتين . رابعًا ان الجنود البريطانية التي لم تزل في البحر لا تنزل منهُ الى البر في جنوب افريقية . وطلبت الجواب يوم الاربعاء في ١١ اكتوبر حتى الساعة الخامسة بعد الظهر او قبل ذلك . وقالت انها اذا لم تجاوَب جوابًا يرضيها في هذا الميعاد فيكون ذلك بمثابة اشهار الحرب ولا تكون هي مسؤولة عن نتائجها . فكان جواب الحكومة الانكليزية انها لا تستطيع ان تبحث في مطالب الترنسفال هذه

وللحال دخلت جنود البوير ناتال بقيادة الجنرال جوبر وحوصرت مفكنج وكمبرلي في التخوم الغربية ودارت رحى الحرب فكانت الدائرة فيها اولاً على الجنود الانكليزية في كثير من المعارك

واستولى البوير على جانب كبير من ناتال وشددوا الحصار على لادي سميث . ثم كثر حشد الجنود الانكليزية وأرسل الجنرال اللورد روبرتس والجنرال اللورد كتشنر فانقذا مدينة كمبرلي وحصرا الجنرال كرونجي واضطراه الى التسليم مع خمسة آلاف من رجاله وكان ذلك في السابع والعشرين من فبراير اي في مثل اليوم الذي جرت فيه واقعة مجوبا . واضطر البوير حينئذٍ ان يعودوا الى بلادهم ويرفعوا الحصار عن مدينة لادي سميث واحتلت الجنود الانكليزية مدينة بلومفونتين عاصمة ولاية اورنج الحرة

وفي الخامس من شهر مارس (اذار) بعث رئيس الترنسفال ورئيس ولاية اورنج الحرة التلغراف الآتية ترجمته الى اللورد سلسبري

بلومفونتين في ٥ مارس ١٩٠٠

ان دماء الالوف من الذين قاسوا الاهوال في هذه الحرب والدموع التي يذرفها الالوف منهم واخطار الخراب الادبي والمادي التي تتهدد جنوب افريقية توجب على الفريقين المتحاربين ان يسألا نفسيهما سؤال من اطوح الهوى ووقف امام العرش الالهي لماذا هما يتحاربان وهل غاية كل منهما تبرر هذا الشقاء الآكل والخراب الشامل

فبالنظر الى ذلك والى قول جماعة مختلفين من اعضاء البارلمنت البريطاني ان الابتداء بهذه الحرب والسير فيها انما كانا قصد تقويض سلطة جلالة الملكة في جنوب افريقية واقامة حكومة على جنوب افريقية كله مستقلة عن حكومة جلالتها نرى الواجب علينا ان نجاهر على رؤوس الاشهاد ان الابتداء بهذه الحرب انما كان قصد الدفاع لنكون على ثقة من حفظ الاستقلال للجمهورية الافريقية الجنوبية (اي الترنسفال) لمَّا بات استقلالها مهدداً وان السير في تلك الحرب انما كان للثقة بحفظ استقلال الجمهوريتين الذي لا ينازع فيه بحيث تكونان دولتين كالدول القائمة برأسها وللثقة بان رعايا جلالة الملكة الذين شاركونا في هذه الحرب لا يصيبهم ضرر لا في اشخاصهم ولا في اموالهم

فعلى هذه الشروط — وعليها وحدها — نحن نروم الآن ما كنا نرومهُ في الماضي وهو ان يعود السلم الى جنوب افريقية ويبطل الشر السائد الآن عليها . اما اذا كانت حكومة جلالة الملكة مصممة على ملاشاة استقلال الجمهوريتين لم يبقَ لنا ولشعبنا الا الثبات على السبيل الذي سرنا فيهِ حتى نبلغ نهايتهُ وان تكن الامبراطورية البريطانية ترجح علينا رجحاناً عظيماً لاننا واثقون ان الله تعالى الذي اضرم نار حب الحرية التي لا تطفأ في قلوب آبائنا لا يتخلى عنا بل يتم عملهُ فينا وفي اولادنا من بعدنا

ولقد كنا نتردد عن قول هذا القول لفخامتكم فيما مضى لان كفتنا كانت هي الراجحة وجنودنا محتلة مواقع الدفاع داخل مستعمرات جلالتها فكنا نخشى ان قولنا هذا يجرح حاسة العزة والانفة في الامة الانكليزية اما الآن وقد تأكدت الامبراطورية البريطانية ان نفوذها محفوظ باسر جنود جلالة الملكة لقوة من قواتنا وباضطرارنا على اثر ذلك الى اخلاء مواقع أخرى كنا احتللناها فقد اندفع ذلك المحذور ولم نعد نتردد عن اخبار حكومتكم وامتكم امام العالم المتمدن كله ما هو قصدنا من الحرب وعلى اي شروط نحن مستعدون لرد السلم

وهذه ترجمة التلغراف الذي ارسلهُ اللورد سالسبري الى رئيسي الجمهوريتين في جنوب افريقية

نظارة الخارجية في ١١ مارس ١٩٠٠

اني اتشرف باعلام سعادتكما بوصول تلغرافكما المؤرخ في ٥ مارس من بلومفونتين وجلّ فحواهُ انكما تطلبان من حكومة جلالة الملكة ان تعترف باستقلال الجمهورية الافريقية الجنوبية وجمهورية اورنج الحرة الذي لا ينازع فيهِ بحيث تكونان دولتين مثل الدول القائمة برأسها وتعرضان ان تنتهي الحرب على هذا الشرط . في اول اكتوبر الماضي كان السلم محفوظاً بين جلالتها وبين الجمهوريتين . وبناء على الاتفاقات المبرمة بين الفريقين دارت المناقشة قبل ذلك باشهر بين حكومة جلالتها وبين الجمهورية الافريقية الجنوبية قصد انصاف البريطانيين الساكنين في تلك الجمهورية لابطال شكاويهم من امور ذات بال كانوا يشكون منها ويتظلمون. ثم ان الجمهورية الافريقية الجنوبية اكثرت من التأهب واقتناء الاسلحة والعدد في خلال تلك المناقشة وعلمت ذلك الحكومة الانكليزية فاحتاطت بتدبير المدد اللازم لحامية مدينة الراس وحامية ناتال ولم يتعدَّ البريطانيون الى ذلك الحين حقاً من الحقوق المقررة في الاتفاقات فما كان من الجمهورية الافريقية الجنوبية الاَّ ان اصدرت الى جلالتها بلاغاً نهائياً مهيناً واعلنت الحرب عليها فجأة بعد مهلة يومين . وكذلك ولاية اورنج الحرة فانها فعلت فعلها على حين انهُ لم يكن بينها وبين حكومة جلالتها جدال ولا مناقشة وبادرت الجمهوريتان فاغارتا على بلاد جلالتها في الحال وحاصرتا ثلاث مدن داخل حدود جلالتها وجاستا خلال جانب متسع من مستعمرتينا فخرَّبتا فيها الاملاك وأهرقتا فيها الدماء الكثيرة وادَّعتا انهُ يحق لهما ان تعاملا سكان قسم متسع من بلاد جلالتها كأن تلك البلاد قد ضُمت الى املاكهما . وقد استعدت الجمهورية الافريقية الجنوبية لذلك كلهِ قبل وقوعهِ بانها اكثرت من اذخار الذخائر الحربية مدة سنين كثيرة ومقتضى ذلك الاذخار استعمال تلك الذخائر في محاربة بريطانيا العظمى دون غيرها

نعم ان سعادتكما تقولان اقوالاً نافية لانكار ان هذا هو الغرض المقصود من ذلك التأهب والادخار على اني لا ارى لزوماً للمناقشة في هذه المسألة التي فتحتماها وانما اقول ان نتيجة ذلك التأهب الذي جرى في غاية من السر والكتمان كانت انها اضطرت الامبراطورية البريطانية لرد تلك الغارة الى تحمل مشقات حرب كثيرة النفقات وخسارة الوف من النفوس العزيزة الثمينة

فهذه المصيبة العظيمة كانت جزاء بريطانيا العظمى على رضاها بوجود الجمهوريتين في السنين الاخيرة فبالنظر الى استعمال الجمهوريتين لهذه الحالة التي منحت لهما وبالنظر الى المصائب والنكبات التي تأتت عن هجومهما على بلاد جلالتها بلا علة ولا موجب لا يسع حكومة جلالتها الاَّ ان تجيب سعادتكما على تلغرافكما بقولها انها غير مستعدة لقبول استقلال الجمهورية الافريقية الجنوبية (اي الترنسفال) ولا استقلال ولاية اورنج الحرة. انتهى

وعادت الحرب الى ما كانت عليهِ ولا تزال نارها محتدمة ونحن نكتب هذه السطور في ٢٤ مارس



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ابن المقفَّع

حضرة الفاضلين

قرأت في باب المسائل في المقتطف الاخير ما يتعلق بابن المقفع وهل كان مسلماً او نصرانياً وما أُختلف فيهِ من ذلك والذي اعلمهُ من كتب التاريخ العربي الموثوق بها انهُ كان مجوسياً ثم اسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح الخليفة العباسي واختص بهِ وصار كاتبهُ على انهُ اتُّهم بعد ذلك بالزندقة في دينهِ غير انهُ لم تثبت عليهِ. هذا ما ثبتَ في نقلهِ والله اعلم

مصر مصطفى لطفي المنفلوطي

ابن المقفع

حضرة صاحبي المقتطف الفاضلين

اطلعت في الجزء الاخير من المقتطف على سؤال لاحد أُدباء بغداد يستقصي فيهِ عن بعض شؤون عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور ومأخذ ترجمتهِ لكتاب كليله ودمنه ومن ذلك معرفة حقيقة دينهِ هل كان مسلماً او نصرانياً فقد اشكل على السائل ما كان يدين بهِ ابن المقفع اذ جاء في ترجمتنا لهُ في طبعة الدرة اليتيمة ما يقضي بكونهِ مسلماً حال كون صاحب مجاني الادب يصفهُ مع شعراء النصارى وخطبائهم . وقد جاوبتموهُ بان الفقرة المتعلقة بذلك من مجاني الادب تدل على كونهِ نصرانياً وان لم يكن ثمة دليل قاطع وانهُ من شرح المجاني لا يستفاد شيء لا ما يؤيد هذا ولا ذاك على ان المقتطف يميل في مسألة تاريخية كهذه الى الاخذ بقول اصحاب المجاني اذ كان عندهم مكتبة واسعة يسهل عليهم بها تحقيق المسائل المختلف فيها اكثر من سواهم

ولم اكن الاَّ لاصدّق هذا الرأي ليس فقط بالنظر الى سعة مكتبة حضرات الآباء بل الى سعة معارفهم التي تعيها صدورهم حال كون بضاعتنا مزجاة وعجزنا بيناً على ان البحث من دأب المقتطف مهما يكن من غرابة السؤال اذ كان المقصود هو بلاغة الرجل وادبهِ كيف كانت كيفية تعبدهِ لله تعالى فنبحث في هذه القضية بقصد مجرد التحقيق ولتعلقها بعقيدة رجل كبير فنقول

ورد في وفيات الاعيان لابن خلكان في ترجمة ابن المقفع انهُ من اهل فارس وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور العباسيين ثم كتب لهُ واختصَّ بهِ الى ان قال في كيفية اسلامهِ قال الهيثم بن عدي جاء ابن المقفع الى عيسى بن علي فقال لهُ قد دخل الاسلام في قلبي واريد ان اسلم على يدك فقال لهُ عيسى ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فاذا كان الغد فاحضر ثم حضر الطعام عشية فجلس ابن المقفع يشرب ويزمزم على عادة المجوس (والزمزمة عند العرب تراطن العلوج على اكلهم وهم صموت لا يستعملون لساناً ولا شفة ولكن صوت يديرونهُ في خياشيمهم) فقال لهُ عيسى اتزمزم وانت على عزم الاسلام فقال كرهت ان ابيت على غير دين فلما اصبح اسلم على يدهِ قال وكان ابن المقفع على فضلهِ يتَّهم بالزندقة فحكى الجاحظ ان ابن المقفع ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون في دينهم قال بعضهم كيف نسي الجاحظ نفسهُ انتهى

وكتب البارون دساسي ترجمة لابن المقفع في مقدمة كليله ودمنه الذي طبعهُ ذكر فيها في الصفحة الحادية عشرة ان ابن المقفع ولد مجوسياً وبقي مدة على دين المجوسية ثم اسلم على يد عيسى بن علي العباسي ثم قال لكنهُ كان يتهم بالزندقة والميل الى معارضة القرآن. هذا كلام دساسي ولا نعلم الكتب التي اعتمد عليها في هذه الترجمة ولكن مقام الرجل في التدقيق اشهر من ان يخفى

ثم راجعنا ما كتبهُ صاحب مجاني الادب في الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ فوجدنا في الحاشية ذكر ابن المقفع بين فصحاء النصارى بدون ايراد السند لذلك فسألنا حضرة الفاضل العامل الاب لويس شيخو عن مأخذ هذا القول فاجاب انهُ اطلع عليهِ في كتاب لا يتذكرهُ الآن وشفع الاب ذلك بقولهِ ان هذا قول من جملة الاقوال لا يلزم القطع بهِ . فطالبناهُ مع ذلك بايراد النص الذي رآهُ فوعدنا بهِ عند العثور عليهِ. ثم راجعنا دساسي وغيرهُ وشرح المجاني مع حضرة الاب فلم نجد سوى ان الرجل كان مجوسياً واسلم وانهُ كان يرمى بالزندقة وهي تهمة لم تثبت صحتها وكم لهُ فيها من شريك

ولا يخفى ان ابن خلكان وان كان غير معصوم فهو عمدة في التراجم يرجع الاكثرون الى اقوالهِ وان الهيثم بن عدي الذي نقل عنهُ كيفية اسلام الرجل كان علماً في الرواية والاخبار وانساب الناس واصولها مشهوراً بهذه المسائل ولهُ التصانيف العديدة وعليهِ فيلزمنا جدلاً الاخذ بقولها وبقول دساسي بعدهما ما لم يقم على خلاف ذلك دليل يرجح على هذا الدليل او يعادلهُ على الاقل فاما ورود قول من الاقوال في كتاب لا نعرفهُ الى الآن فلا يصح ان نقابل بهِ اقوال الثقات ممن اشرنا اليهم خصوصاً وان حضرة الاب نفسهُ لا يجزم بصحة ذلك القول . وليس اختلاف الروايات في نسب رجلٍ او دينهِ او سنة مولدهِ او وفاتهِ حتى في اقوالهِ وآثارهِ بامر نادر الوقوع وهذه الدرة اليتيمة في مسئلة اي كتابٍ هي اختلاف كثير حتى ان مرثية لابن المقفع في ابي عمرو بن العلاء اختلف بين ان تكون لعبدالله او لولدهِ محمد بن عبدالله ابن المقفع وانما يعول الناس على القول الاصح الاشهر في هذه المسائل كلها ولا عبرة بالاقوال الضعيفة خصوصاً ان جاءت مجردة من الدليل فان ورد في كتاب كرشوني مثلاً ان الخليفة المأمون تنصر قبل وفاتهِ على يد ابن بختيشوع لم يلزم من ذلك ان الخليفة عبدالله المأمون العباسي توفي نصرانياً والذي عليهِ جمهور المؤرخين كونهُ مسلماً وقد مات مسلماً. هذا ما عنَّ لنا ايرادهُ في هذه القضية وانتم ترون اننا تحرينا الحقيقة ما استطعنا واننا مع ضيق مكتبتنا لم نكن بعيدين عن الصواب

بيروت شكيب ارسلان

(المقتطف) نشكر لحضرة الكاتب المحقق الامير شكيب ارسلان على ما اتحفنا بهِ من الشرح الوافي في هذا البحث والانصاف الذي ما فوقهُ انصاف في المناظرات العلمية . وكنا نعتقد ان حضرة الاب شيخو لم يذكر ما ذكرهُ عن ابن المقفع مع اشتهار ما كتبهُ ابن خلكان وغيرهُ الاَّ لانهُ بحث ودقق في مظان كثيرة فوجد فيها ما يرجح الرواية التي اوردها لاسيما واننا كنا نميل الى تصديق هذه الرواية للاسباب الآتية وهي

اولاً ان ما اطلعنا عليهِ مما كتبهُ ابن المقفع لا يدل على انهُ كان مسلماً او انهُ كتبهُ بعد اسلامهِ. وثانياً انهُ كان من افضل الكتاب والمترجمين وحسبهُ فضلاً ترجمتهُ لكتاب كليله ودمنه ولكثير من كتب ارسطوطاليس وغيرهِ في المنطق قال ابن ابي اصيبعة انهُ " ترجم من كتب ارسطوطاليس كتاب قاطيغورياس وكتاب باريمينياس وكتاب انالوطيقا وترجم مع ذلك المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي فرفوريوس الصوري . . . ولهُ ايضاً تآليف حسان منها رسالتهُ في الادب والسياسة ومنها رسالتهُ المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان " وفاضل مثل هذا يبعد ان يتَّهم بالزندقة حسبما يفهم بها عادة اذا كان مسلماً

وثالثاً اننا نفهم بالزندقة مذهب الفرس المعروف بالمزدية او بالزروسترية وكان شأن هذا المذهب ضعيفاً جداً في عهد ابن المقفع وكان كثيرون من علماء الفرس قد اعتنقوا الديانة المسيحية من ايام كسرى انوشروان حتى ان ابن كسرى تنصَّر على يد اسقف تكريت . نعم ان اباهُ اغتاظ من ذلك والقى الاسقف في السجن لكنهُ اباح لتلامذتهِ ومريديهِ ان يترددوا عليهِ وهو في السجن. ثم لما عُقد الصلح بين كسرى والروم كان من شروطهِ ان تطلق الحرية التامة لنصارى الفرس ولما خاف كسرى ابنهُ هرمزد الرابع على كرسي الفرس تقدَّم اليهِ المرازبة وطلبوا منهُ ان يقصي النصارى ويمنع رفدهُ عنهم فاجابهم بما ترجمتهُ " ان عرشنا لا يقوم على قائمتين فقط من قوائمهِ الاربع وكذلك سلطاننا لا يثبت اذا انتقض علينا النصارى من رعايانا فكُفُّوا عمَّا تتهمونهم بهِ واتبعوا صالح الاعمال لكي يروا اعمالكم الصالحة فينسبوا الفضل الى دينكم ويقبلوا عليهِ "

فاذا اتضح ان الزندقة هي ديانة المجوس عينها وان كثيرين من علماء المجوس تنصروا او مالوا الى النصرانية حتى في زمن الاضطهاد الشديد وان شأن المجوس ضعف جداً بعد الاسلام وكان شأن النصارى ارفع من شأنهم كثيراً وان ابن المقفع كان يعرف اليونانية وقد ترجم منها كتب الفلسفة ولا يستدلُّ من كتبهِ على اسلامهِ توجه الظن بانهُ كان مسيحياً . ولا يُعترَض على ذلك الاَّ بالنصّ الذي ذكرهُ ابن خلكان وهو انهُ كان مجوسياً فاسلم فاذا عورض

بالنص الآخر الذي اشار اليهِ الاب شيخو وكان هذا النص اقوى اسانيد من نص ابن خلكان ترجح القول بانهُ كان مسيحيًا . اما وقد خيَّب اصحاب المجاني ظننا فلا بدَّ من الاعتماد على رواية ابن خلكان الى ان يؤيدوا روايتهم باسانيد اقوى مما اوردهُ

انتقاد ادبي

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف الأغر

فهمت من مطالعة الرسالة المدرجة في الجزء الثالث من مجلتكم الغراء تحت عنوان "صحة الحوامل" أن كاتبتها تخاطب شخصًا كانت أحبتهُ فاختارتهُ خلاً لها وقرينًا وبعد ان حملت منهُ قيّدت بقيود بعض المصايب التي دعتها لان تنفك عنهُ اي عن اختيار خلتهِ واقترانها بهِ . ويظهر كأنها تخيلت مما كتبهُ لها انهُ يأسف على تربية ابنهِ بعيدًا عنهُ فطيبت خاطرهُ وعاهدت نفسها على صرف كل جهدها في تربية هذا الحمل بعد وضعهِ باحسن التربية آملة التشبه بنساء الولايات المتحدة وغيرهن

وقد يعجب الانسان بمثل هذه المعاني كيفما كان مصدرها ومهما كانت كاتبتها لكنهُ يندهل من ادراج هذه الرسالة في مجلتكم العلمية التي تبث روح الادب في العالم الشرقي . وذلك لما يفهمهُ او يتبادر الى ذهنهِ منها من تعرض هذه الفتاة للحمل بغير عقد شرعي كما هو ظاهر اذ لو كان بعقد لما صح انفكاكهُ ولو انفك فلا يكون الاَّ بامور منها وفاة الزوج وذاك الرجل كان حيًّا ومنها خيانة الزوجة وهذا مساوٍ للاقتران بغير عقد شرعي

فان كان المفهوم من هذه الرسالة غير ما ذكرتهُ فارجو ان تكرموا بايضاحهِ في الجزء التالي

احمد صادق

بالاموال المقررة بالمالية

(المقتطف) لا محل للظن الذي ظننتموهُ وبعض الظن اثم فان الرجل المشار اليهِ في الرسالة زوج شرعي للمرأة وقد بعدت عنهُ اضطرارًا وايضاحًا لذلك ننقل لكم طرفًا مما ذكرهُ المترجم في صدر هذه الرسائل مخاطبًا بهِ حضرة صاحب المنار قال

لما رأيت ان مجلتكم التي هي مجنى الفوائد العلمية وملتقى الشوارد الحكمية قد وسعت في صفحاتها مكانًا لنشر ما يختص بالتربية والتعليم ورأيتكم تنتقون من ذلك اقوم الطرق واجلها اثرًا رجوت ان تتفضلوا عليَّ بتخصيص موضع وان صغيرًا منها أقدم فيهِ لقراء هذه المجلة كتابًا جليلاً في التربية العملية انا مشتغل بنقلهِ من الفرنساوية الى العربية واود نشرهُ فيها تباعًا والكتاب

من تصنيف الحكيم المربي الفونس اسكيروس سماهُ (أميل القرن التاسع عشر) عارض بهِ الحكيم الشهير جان جاك روسو في كتابهِ المؤلف في التربية المسمى (أميل القرن الثامن عشر)

هذا الكتاب النفيس حكى فيهِ مؤلفهُ حكاية زوجين فرنساويين قضى عليهما الله بالتفرق لسجن الزوج في فرنسا بسبب جريمة سياسية على ما يظهر واغتراب الزوجة في انكلترا وقد شعرت الزوجة في اوائل ايام الفراق انها حامل فاخذت تكاتب زوجها ويكاتبها في طرق التربية اللازم اتباعها في شأن الولد وقد تضمنت هذه الرسائل من تلك الطرق اصحها واكفلها بوصول الانسان الى السعادة ولا اريد ان اطيل في وصفها ففي الاطلاع عليها غناء

وفي هذا المقام يجب عليَّ ان اخلص الشكر لحضرة الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فانهُ حفظهُ الله هو الذي نبهني الى هذا الكتاب المفيد وحثني على ترجمتهِ ونشرهِ كما هو شأنهُ في الارشاد الى كل ما ينفع الامة والوطن لجزاهُ الله عنهما خير الجزاء عبد العزيز محمد

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر ابريل ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم الصبح الشهر كلهُ ويتم حركتهُ المتقهقرة ثم يظهر ثابتاً بين الكواكب في ٦ منهُ الساعة ٤ بعد الظهر ويعود فيتجه شرقاً بعد ذلك وسيرهُ في برج الحوت ويمرّ بالعقدة النازلة في ٩ الشهر الساعة ٨ صباحاً ويمرّ بنقطة الذنب في ١٧ الساعة ١ بعد الظهر ويبلغ تباينهُ الاعظم وقدرهُ ٢٧° ١٩َ دقيقة غرباً في ٢٢ الشهر الساعة ٥ صباحاً . ويرى قبل ذلك باسبوع وبعدهُ باسبوع بالعين المجرد قبل الشروق ويقترن بالمريخ في ٣ الشهر الساعة ٥ بعد الظهر فيقع حينئذٍ شمالي المريخ ٢° و٧َ

الزهرة

تكون الزهرة نجم الغروب فتزداد اشراقاً وظهوراً حتى تلقي الاشباح ظلاً في الليالي غير المقمرة ومسيرها في برج الثور وتمر جنوبي الثريا في اوائل الشهر وتبلغ نقطة الرأس في ٢ منهُ

الساعة ١٠ صباحاً وتبلغ عرضها الشمسي الاعظم في ٢٤ منهُ الساعة ١ مساءً . وتباينها الاعظم وقدرهُ ٤٥° ٣٠َ شرقاً في ٢٩ منهُ الساعة ٣ صباحاً

المريخ

يكون المريخ نجم الصبح ولكن تعسر رؤيتهُ لقربهِ من الشمس ومسيرهُ في الحوت شرقاً ويقترن بعطارد في ٣ الشهر الساعة ٥ بعد الظهر

المشتري

يكون المشتري نجم الصبح ولكنهُ يشرق الساعة ٩ مساءً او قبلها ويتحرك حركة متقهقرة (غرباً) في برج العقرب شمالي قلب العقرب فيكون منظرهما حينئذٍ جميلاً

زحل

يكون زحل نجم الصبح فيشرق قبل نصف الليل ويتحرك حركة مستقيمة (شرقاً) الى ١٤ الشهر الساعة ٩ صباحاً فيظهر حينئذٍ ثابتاً بين الكواكب ثم يبتدئ بالحركة المتقهقرة وسيرهُ في برج الرامي

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة		
٠٣	٣	صباحاً	يقترن بالزهرة فتقع ٤٦َ دقيقة شماليهُ
١٨	٧	مساءً	" بالمشتري فيقع المشتري ١° و٣َ شماليهُ
٢٠	٥	"	" بزحل فيقع زحل ١° و٣َ جنوبيهُ
٢٧	٣	"	" بعطارد فيقع عطارد ٧° ٥٣َ جنوبيهُ
٢٧	٩	"	" بالمريخ فيقع المريخ ٥° ٢٩َ جنوبيهُ

اوجه القمر

اليوم	الساعة	الدقيقة		
٠٦	١١	٠٠	مساءً	الربع الاوّل
٠٥	٣	٠٧	صباحاً	البدر
٢٢	٤	٣٨	مساءً	الربع الاخير
٢٩	٧	٢٨	صباحاً	الهلال
١١	١٢	١١	مساءً	الحضيض
٢٧	٠٧	٠٥	صباحاً	الاوج

باب الزراعة

بقية جوائز المعرض

الحبوب

جائزة العدس البحيري أعطيت لمحمد السيد والعدس الصعيدي لعلي بك شعراوي . والدخن لعثمان باشا عبد الحميد . والفول السوداني الاولى لعمر بك مراد والثانية للبرنس عمر طوسن وشهادة لامين بك الشمسي . وبزر الكتان الاولى لامين بك الشمسي والثانية لاحمد بك الشريف . والسمسم الابيض لعمر بك مراد . والاسمر الاولى للدائرة السنية والثانية لعمر بك مراد . والحلبة الاولى لعلي بك شعراوي والثانية للدائرة الخاصة . وحب البرسيم البعلي للدائرة الخاصة وحب البرسيم المسقاوي الاولى لرياض باشا والثانية لبوغوص باشا نوبار . وحب البرسيم الحجازي الاولى للخواجه انطون صباغ والثانية لبوغوص باشا نوبار وشهادة لمدرسة الزراعة . واللوبياء الاولى لعلي بك شعراوي والثانية لمحمد السيد

القطن

القطن الاشموني لخليل بك لطفي

الميت عفيف من القليوبية الاولى للدائرة الخاصة والثانية لخليل باشا فوزي . ومن الدقهلية الاولى لاسمعيل بك حافظ وشهادة لبوغوص باشا نوبار ومتولي محمد عيسي والثانية للخواجه انطون صباغ وابي نافع بك وعثمان بك سليط . ومن الشرقية الاولى لمحرَّم باشا سامي ودائرة القطر العالي والثانية لعبد الرحمن افندي نصير وادريس بك راغب وامين بك الشمسي وشهادة لحسين باشا واصف وادهم باشا وحلمي افندي والبرنسس حميده هانم والبرنس ابرهيم حلمي . ومن الغربية الاولى لابرهيم افندي بهجت والثانية لزيان بك وعبد الفتاح افندي البردي وبوغوص باشا نوبار واحمد بك ناصف ومصري افندي خضر . وشهادة لعبد المجيد بك العبد واحمد بك ابي الفتوح . ومن المنوفية الاولى لمحمد بك ابي جازية وعبد الله افندي ابي مصطفى والثانية لمصري افندي ابي جازية . وشهادة لمحمد بك ابي حسين . ومن البحيرة الاولى لدائرة القصر العالي والثانية لاسمعيل بك دبوس ومحمد بك حبشي

والقطن العباسي من القليوبية للدائرة الخاصة . ومن الدقهلية شهادة للبرنس فاطمة هانم

ومن الغربية الاولى للدائرة الخاصة والثانية للبرنس كمال الدين . ومن المنوفية لمحرم باشا سامي والبرنس حسين باشا

واشكال جديدة من القطن الينوفتش الاولى لراتب باشا والبرنس حسين والثانية للبرنس كمال الدين والبرنس حسين ورياض باشا

السكر وقصب السكر

سكر القصب وسكر البنجر معمل تكرير السكر المصري

قصب السكر الاولى معمل تكرير السكر المصري وعلي بك شعراوي والثانية شركة الاراضي والسكر

عسل السكر الثانية لعبد الحميد افندي اباظه

مواد شتى

احسن مجموعة علف . دبلوما لبوغص باشا نوبار

البطاطس. الاولى لبيومي بك والثانية لعلي افندي سيد ودبلوما لمدرسة الزراعة. البطاطس الصالح للتصدير الاولى لمسيو ميشل ده زغيب والثانية لمستر تيلر

البصل. الاولى لمحمد افندي مصطفى والثانية لصالح افندي محمد ومحمد افندي سيد احمد

الطماطم. الاولى لمستر تيلر والثانية لعلي سيد ودبلوما لحسن علي بيومي

الزبدة. الاولى لمسيو انطون قسطنطينيدس والثانية لحسن افندي قطري

السمن . الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لمدرسة الزراعة

الكريمه. الاولى لحسن افندي قطري

الجبن المصري. الاولى لمدرسة الزراعة والثانية لبوغوص باشا نوبار

القشدة. لمدرسة الزراعة وعبد المجيد ابي جازيه

عسل النحل. الاولى لشركة الكوم الاخضر الفرنسوية المصرية وشهادة لخليل باشا فوزي

شمع العسل. الاولى لخليل باشا فوزي وشهادة للشركة الفرنسوية المصرية

الصوف. الاولى لدائرة درانت باشا والثانية للدائرة الخاصة

الحرير. الاولى بوغوص باشا نوبار

والظاهر انهُ لم تعطَ جوائز للتمر ولا لمواد الصبغ . وسنعود الى وصف الآلات والادوات التي عُرِضت في هذا المعرض وما أُعطيت من النياشين وفائدة عرضها فيهِ لاصحابها ولارباب الزراعة عموماً

مسس اورمرُد

قرأنا في الجرائد الاوربية ان مدرسة ادنبرج الجامعة منحت رتبة الدكتورية في الشرائع والآداب لمسس اورمرد اشهر علماء علم الحشرات اعترافاً بفضلها على اهل الزراعة في العالم اجمع وهي مؤلفة الكتاب المشهور في الحشرات الضارة بالزراعة . والمرشد في حياة الحشرات . وكتاب التعليم في علم الحشرات الزراعي . والحشرات الضارة في جنوب افريقية والتقارير السنوية عن الحشرات الضارة من سنة ١٨٧٧ الى سنة ١٨٩٧ والحشرات التي تتلف الجنائن والانجم

فيضان النيل

جاءت الانباء عند كتابة هذه السطور مبشرة بارتفاع مياه النيل ٤٥ سنتمترًا في فشودا في نحو ١٢ يوماً فرأينا ان نكتب هذا الفصل في سبب فيضان النيل وقد جمعنا حقائقهُ من كتاب المستر ولكوكس

البلدان التي تجري مياهها الى النيل والانهر الصابّة فيهِ تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين و١١٠ آلاف كيلومتر مربع وتهطل الامطار على هذه البلدان فتكون في بعضها غزيرة تبلغ مترًا ونصف متر في السنة وفي بعضها قليلة تبلغ نصف متر او اقل ومجموع المطر الذي يهطل عليها في السنة يبلغ ٢٢٨٢ الف الف متر مكعب . والاعتماد في الفيضان على نهر السُّبَت والبحر الازرق والانبرة . وفي مدد المياه بقية السنة على البحر الابيض

ويختلف الزمن الذي تهطل فيهِ الامطار فهو عند البحيرات الاستوائية من شهر فبراير (ش) الى نوفمبر (ت ١) واكثرهُ في ابريل واكتوبر . وفي لادو من ابريل الى نوفمبر ويكون اغزرهُ في اغسطس . وفي وادي نهر السُّبَت يقع المطر من يونيو الى نوفمبر واغزرهُ في اغسطس ايضاً وفي وادي بحر الغزال يقع من ابريل الى سبتمبر وفي الخرطوم من يوليو الى سبتمبر وفي كردوفان ودارفور من يوليو الى اغسطس . ويقع قليل من المطر في بلاد الحبشة في يناير وفبراير ولكن يقع اكثرهُ هناك من اواسط ابريل الى سبتمبر واغزرهُ في اغسطس . فاغزر المطر في اغسطس في كل الاماكن التي تجري مياهها الى النيل ما عدا البلدان التي فيها البحيرات الاستوائية

ويقتضي الماء ثمانية ايام حتى يجري من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت وخمسة ايام من بحيرة البرت الى لادو لا فرق في ذلك بين ايام الفيضان وغيرها ويقتضي ٢٠ يوماً حتى يصل من

لادو الى الخرطوم في ايام الفيضان و٣٦ يوماً في غيرها . و١٠ ايام من الخرطوم الى اصوان في زمن الفيضان و٢٦ في غيره . وخمسة ايام من اصوان الى القاهرة في زمن الفيضان و١٢ يوماً في غيره ويومين من القاهرة الى بحر الروم في زمن الفيضان و٣ ايام في غيره

والبحر الازرق يقتضي ماؤهُ حتى يصل من مصدرهِ الى الخرطوم سبعة ايام في زمن الفيضان و١٧ يوماً في غيره . والاتبرة يقتضي ٥ ايام زمن الفيضان والسبت نحو ذلك

وخلاصة ما تقدَّم ان الامطار الغزيرة تقع عند لادو وفوقها في شهر ابريل وتدفع امامها مياه المستنقعات الخضراء وفي اواسط ابريل يبتدئ الفيضان في البحر الابيض عند لادو ويبلغ اعظمهُ في غرة سبتمبر ويزيد الماء الجاري في ذلك البحر في غضون هذه المدة من ٥٠٠ متر مكعب الي ١٦٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان . وتبلغ بداءة هذا الفيضان الخرطوم في ٢٠ مايو واصوان في ١٠ يونيو وتصل المياه الخضراء الى القاهرة في ٢٠ يونيو . ويتصرَّف من البحر الابيض عند الخرطوم ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في السنين العادية يزيد هذا الماء من ٢٠ يونيو وتتوالى زيادتهُ الى الخامس عشر او العشرين من سبتمبر حينما يبلغ معظم الزيادة الخرطوم من البحر الابيض ونهر السبت ويبلغ الماء المتصرف حينئذٍ ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية

ومقدار التصرف وقت التحاريق ١٦٠ متراً في الثانية ثم يبتدئ يزيد من ٥ يونيو بسرعة ويبلغ معظمهُ العادي وهو ٥٥٠٠ متر مكعب في الثانية في ٢٥ اغسطس . غير ان الفيضانين قلما يحدثان في وقت واحد ولذلك فالزيادة العظمى البالغة ٨٠٠٠ متر مكعب في الثانية تقع غالباً في ٥ سبتمبر . وتصل مياه البحر الازرق العكرة الى اصوان في ١٥ يوليو والى القاهرة في ٢٥ يوليو . وبعد ان تبتدئ المياه الحمراء في الظهور يسرع الفيضان وبفيض الاتبرة بعد البحر الازرق بقليل ويتزايد فيضانهُ بسرعة عظيمة . وكان يمكن ان يسرع ماء الاتبرة اكثر من ذلك لولا انهُ يقضي شهراً في اشباع مسيلهِ الجاف بالماء . ويبتدئ فيضانهُ في اوائل يوليو ويبلغ معظمهُ في العشرين من اغسطس ويبلغ تصرفهُ حينئذٍ ٤٩٠٠ متر مكعب في الثانية

ويكون معظم التصرُّف في اصوان عادة ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية بسبب التبكير في فيضان الاتبرة والتأخير في فيضان البحر الابيض فاذا كان البحر الابيض ضعيفاً بلغ معظم الزيادة اصوان في ٥ سبتمبر او قبل ذلك واذا كان النيل الابيض قوياً بلغ معظم الفيضان اصوان في ٢٠ سبتمبر . واذا بكر بلوغ معظم الزيادة اصوان كان الايراد الصيفي قليلاً واذا تأخر بلوغهُ اصوان كان الايراد الصيفي كثيراً في الغالب . وقد اخلَّت هذه القاعدة مرة واحدة وذلك

سنة ١٨٩١ حينما كان للزيادة معظمان الواحد في ٤ سبتمبر والثاني في ٢٧ منهُ . ولا بدَّ من ان الامطار كانت غزيرة حينئذٍ في بلاد الحبش لان زيادة ٢٧ سبتمبر كانت من المياه الحمراء الكثيرة الطمي حال كون الطمي يقل في النيل عند اصوان في اكتوبر واواخر سبتمبر لان جانباً كبيراً من المياه يأتي حينئذٍ من البحر الابيض الصافي الماء

واذا حدث ان كان البحر الابيض غزير الماء في سبتمبر وهبطت الامطار غزيرة في بلاد الحبشة في سبتمبر ايضاً مرَّ الماء غزيراً في اصوان في اواخر سبتمبر وخيف من الغرق كما حدث سنة ١٨٧٨

ويبلغ التصرُّف عند اصوان في اشد ايام التحاريق ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية وذلك في اواخر مايو ثم يأخذ النيل في الزيادة البطيئة الى ٢٠ يوليو ويزيد بعدها زيادة سريعة في اغسطس ويبلغ الفيضان معظمهُ في ٥ سبتمبر ثم يهبط قليلاً في اكتوبر ونوفمبر . والترع النيلية وهي نحو ٤٥ ترعة تصرّف ٢٠٠٠ متر مكعب في الثانية في بداءة السنة العادية الفيضان و ٣٦٠٠ متراً مكعباً في الثانية في السنة الغزيرة الفيضان

ويبلغ الماء الذي يحويهِ حوض النيل من اصوان الى القاهرة ٧٠٠٠ مليون متر مكعب . ويذهب في الري من اصوان الى القاهرة ٥٠ متراً مكعباً كل ثانية وبالتبخُّر ١٣٠ متراً مكعباً في الثانية وبالامتصاص والارتشاح ٤٠٠ متر مكعب كل ثانية ولذلك كلهِ يقل التصرُّف في القاهرة عنهُ عند اصوان ٢٤٠٠ متر مكعب في الثانية وذلك بين ١٥ اغسطس واول اكتوبر وتقفل ترع الفيضان في اكتوبر ونوفمبر وتصرف الحياض الى النيل فيصير التصرف في القاهرة اكثر منهُ في اصوان بتسع مئة متر مكعب في الثانية في اكتوبر

ومقدار التصرُّف في القاهرة ٣٨٠ متراً مكعباً في الثانية حينما يكون على اقلهِ وذلك في ١٥ يونيو و ٧٦٠٠ متراً مكعباً في الثانية حينما يكون على اكثرهِ في اول اكتوبر . والترع الصيفية الآخذة من النيل شمالي القاهرة تصرّف ١٢٠٠ متر مكعب في الثانية فيبقى من تصرف النيل حينما يكون على اكثرهِ ٦٤٠٠ متر مكعب في الثانية يجري ٤١٠٠ متر منها بفرع رشيد و ٢٣٠٠ بفرع دمياط . واذا زاد الفيضان زيادة بالغة تصرَّف بفرع رشيد ٧٠٠٠ متر مكعب في الثانية وبفرع دمياط ٤٣٠٠ متر مكعب

زراعة البطاطس في القطر المصري

وضع المستر فودن سكرتير الجمعية الزراعية الخديوية مقالة مسهبة في هذا الموضوع نشرت

في الجزء الاخير من مجلة الجمعية ضمنها حقائق كثيرة جديرة بالحفظ منها

اولاً ان الاراضي الخفيفة اصلح للبطاطس من الاراضي الثقيلة . والاراضي الطفالية الصلبة لا تصلح لهُ ابدًا واصلح الاراضي لهُ الطينية الرملية او الطينية المعتدلة ولذلك تكون غلتهُ على اكثرها واجودها اذا زرع بجانب النيل حيث يمازج الطين شيء من الرمل . واذا كانت الارض رطبة لا مصارف فيها تلفت غلة البطاطس لان رؤُوسهُ تكون حينئذٍ مختلفة الاقدار فضلاً عن كون الغلة قليلة ولذلك لا يصلح زرعهُ في الارض التي تنشع . ولا بدَّ ان تكون الارض خالية من الحشائش مدة نمو البطاطس فيها

ثانيًا انهُ يسهل زرع البطاطس مرتين في السنة الاولى من اغسطس الى اكتوبر والثانية في اوائل فبراير . والاولى هي الزراعة الشتوية والثانية الزراعة الصيفية. والزراعة الصيفية المزروعة في اغسطس اربح من غيرها لان غلتها ترد الى الاسواق باكرًا فيزيد ثمن القنطار منها نحو عشرة غروش . واذا زرع البطاطس في اغسطس او اوائل سبتمبر استُغِلَّ في دسمبر واذا زرع في اكتوبر استُغِلَّ في فبراير او مارس اي حينما تزرع الزراعة الصيفية . وتزرع الزراعة الشتوية بعد الذرة غالبًا وتروى الارض قبل قطع الذرة منها وحينما تجف تحرث مرتين او ثلاثًا حتى تصير صالحة ثم تزحف وتخطط واذا استُغِلَّ البرسيم او الحبوب من ارض وتركت بورًا الى اغسطس ثم زرع البطاطس فيها زادت غلتهُ وزاد ثمنها اكثر مما لو زرعت الارض ذرة قبل ذلك وتركت حتى استُغِلَّت الذرة منها

ثالثًا يكون البعد بين الخطوط ٧٥ سنتمترًا . وتسمَّخ الارض بالسباخ البلدي ١٥ الى ٢٠ مترًا مكعبًا للفدان الواحد من الارض الضعيفة وعشرة امتار مكعبة للفدان من الاراضي القوية . وهو اما ان يبسط على الارض قبل الحرث الاخير او يوضع في منخفضات الخطوط ثم تشق مرتفعاتها بالمحرات فيقع ترابها على الجانبين ويغطي السباخ فيكون السباخ تحت التقاوي تمامًا . وقد يوضع قليل من السباخ في الحفر التي تزرع فيها التقاوي وثلاثة امتار مكعبة الى اربعة تكفي الفدان حينئذٍ ولكن ان كانت الارض جيدة جدًّا فلا حاجة بها الى ذلك لاسيما وانهُ يقتضي تعبًا كثيرًا . والسباخ الكفري يستعمل ايضًا بكثرة ولا بدَّ من استعمالهِ او استعمال السباخ البلدي

رابعًا اذا أُعدت الارض بالحرث والتسميد والتخطيط تختار التقاوي لها وقد ظهر بالتجارب في اميركا ان زرع التقاوي رؤُوسًا كاملة خير من زرعها قطعًا من الرؤُوس لان البرعم الذي ينبت يجد غذاءهُ اولاً في مادة الراس فكلما كانت هذه المادة كثيرة كان الغذاء اتم . والطريقة

المتبعة في مصر ان تحفر حفرة في جانب الخط يوضع الراس فيها ويهال التراب عليهِ ويكون بين النبات الواحد والآخر اربعون سنتمترًا او تزرع الرؤوس في اسفل الخطوط وتشق اعاليها بالمحراث فينهال ترابها على الجانبين ويطمر الرؤوس . وحينما يتم الزرع تروى الارض و يظهر النبات في نحو عشرين يومًا والغالب ان كثيرًا منهُ يتلف من كثرة المياه او من تجمعها عليهِ او من زيادة عمق المزروع . وحينما يظهر اكثر النبات يروى ثانية و بعد عشرة ايام تعزق الارض ثم تروى ثالثةً . وحينما تجف تعزق ثانية ويجمع التراب حول سوق النبات ثم يروى مرة رابعة والغالب ان ذلك يكفي ولكن لا بدَّ من مراعاة طبيعة الارض وفصول السنة ففي الصيف تقصر المدة بين ريةٍ وأُخرى وتجعل الريات خمساً .والمدة بين الزرع والجني ١٠٠ يوم الى ١١٠ ايام صيفاً و١٢٠ يوماً شتاء . ويمنع الماء عن البطاطس مدة الخمسين يوماً الاخيرة

خامساً يقتلع البطاطس من الارض وهي جافة فيقيم اكثر مما لو أُقتلع والارض رطبة والاسلوب المتبع في القطر المصري لاقتلاع البطاطس ان تحرث الخطوط التي فيها النبات بحرث خط ويترك خط وهكذا ثم تجمع رؤوس البطاطس من الاتلام التي حرثت ثم تحرث الخطوط التي بينها و يجمع البطاطس منها

سادساً يمكن قسمة انواع البطاطس الى نوعين الواحد مستدير الرؤوس والثاني كلويُّها واكثر ما يزرع في القطر المصري من النوع الاول مع ان النوع الثاني اصلح للتصدير . ويختلف سعر البطاطس في اسواق لندن كثيرًا تبعاً لما يرد اليها فقد يبلغ ثمن الطن ٢٠ جنيهاً وقد لا يكون الاّ ٧ جنيهات. وقد صدَّر كثيرون البطاطس من مصر الى اوربا مدة السنوات الخمس الاخيرة فربح بعضهم ولم يربح البعض الآخر ولا بدَّ للربح من اختيار الانواع التي تكون رؤوسها متقاربة حجماً وشكلاً وعيونها غير غائرة وقشرتها صقيلة . ولا بدَّ ايضاً من الامتناع عن ري البطاطس مدة طويلة قبل قلعهِ لان المقتلع من ارض رطبة لا يقيم طويلاً بل يعفن سريعاً فيتلف كلهُ او اكثرهُ واذا صدّر الى الخارج فقد يتلف على الطريق

سابعًا مقدار غلة البطاطس الشتوي قلما يكون اكثر من طنين ونصف طن للفدان واما غلة الصيفي فتكون اربعة اطنان او اكثر اما في انكلترا فقد تبلغ غلة الفدان ثمانية اطنان

ثامناً اذا اريد اصدار البطاطس وُضع في صناديق يسع الصندوق منها قنطارًا . ولا بدَّ من انتقاء البطاطس قبل وضعهِ في الصناديق حتى لا توضع الرؤوس الصغيرة مع الكبيرة ولا بدَّ ايضاً من ان تملأ الصناديق حتى لا تتقلقل الرؤوس في انتقالها ولكن لا يضغط عليها كثيرًا وقد بلغت نفقات ارسال عشرة اطنان من الجيزة الى انكلترا نحو ثلاثة آلاف غرش هكذا

ثمن صناديق	١٢٩٠ غرشاً
ورق بطنت بهِ لكي لا يدخلها الهواه بسهولة	٠٠٤٠ »
أجرة الوضع فيها	٠٠٢٠ »
أجرة الشحن الى الاسكندرية	١٠١٠ »
أجرة الشحن الى لندن	٠٦٢٢ »
	٢٩٨٢

فاذا فرضنا اجرة نقل الطن الى لندن ثلاثمئة غرش وبيع هناك بالف وثلثمئة غرش بقي منهُ ربح كثير لان الطن يباع هنا بنحو ٤٥٠ غرشاً

النيل وزاعة القطن

جاء في النسخة الاخيرة من كتاب المستر ولكوكس عن النيل التي طبعت في السنة الماضية ان حوض النيل من اصوان الى القاهرة يسع سبعة آلاف مليون متر مكعب (انظر الصفحة ٣٧ منهُ) وجاء في مذكرة السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال التي نشرت في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف ان ١٧٠ مليون متر مكعب تكفي لزراعة سبعين الف فدان في الصعيد زراعة صيفية حيث التبخر والامتصاص على اكثرهما فيخص الفدان من ذلك ٢٤٠٠ متر مكعب وان ٥١٠ ملايين متر مكعب تكفي لري ٥١٠ آلاف فدان في مصر الوسطى من اسيوط الى القاهرة ريًّا صيفيًّا وبعضها لا يروى الآن ابدًا فيصير يروى شتويًّا وصيفيًّا فيخص الفدان من الماء للري الصيفي اقل من الف متر مكعب . وان ٨٥ مليون متر مكعب تكفي لري ١٠٦ آلاف فدان ريًّا صيفيًّا في مديرية الجيزة فيخص الفدان ثمانمئة متر مكعب والتبخر والامتصاص هناك اكثر منهما في الوجه البحري كما لا يخفى

فاذا قدَّرنا في حوض النيل الآن ربع ما يحتملهُ لو كان مملوءًا وفرضنا انهُ قُطع المدد تمامًا من عند اصوان كان الماء الذي في حوض النيل الآن ١٧٥٠ مليون متر مكعب واذا فرضنا ان الري الصيفي للفدان يقتضي ٨٠٠ متر مكعب من الماء فالماء الذي في حوض النيل الآن من اصوان الى القاهرة يكفي لري مليونين ومئتي الف فدان ريًّا صيفيًّا . هذا اذا كان تقدير السر وليم جارستن والمستر ولكوكس صحيحين وكان الماء الذي في حوض النيل الآن ربع ما يسعهُ هذا الحوض . ولكن المدد لم ينقطع من عند اصوان ولا ينقطع ولو بلغ درجة الصفر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم أهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس البنات العالية

اكبر دليل يقام على وجوب تعليم البنات اننا اضطررنا بحكم العمران الحاضر ان نجاري الاوربيين والاميركيين في ميدان الحياة فاذا تأهبنا تأهبهم سهل علينا مجاراتهم والاَّ اضطررنا ان نقصر عنهم . ومفادهذا التقصير اننا نكون خدّاماً لهم ويكونون سادة لنا لانهُ ان كان للتعليم فائدة وكان الاوربيون والاميركيون يعلمون ابناءهم وبناتهم ايضاً وكنا نحن نعلم ابناءنا فقط حصلت الفائدة للاوربيين والاميركيين من وجهين وحصلت لنا من وجه واحد فقط فتبقى لهم مزية كبيرة علينا. ولم يكن ذلك ضائرًا قبل اتصالنا بهم ومجاراتهم لنا في ميدان العمران اما الآن فاقل مزية لهم تقدمهم علينا كثيرًا

وقد كنا نشكو بالامس من انهُ ليس عندنا مدارس يتعلم فيها البنات مبادىء القراءة والكتابة وبعض العلوم البسيطة وما زلنا نكرر الشكوى حتى سمعها كثيرون من اهل الحمية والغيرة الوطنية فسعوا في انشاء بعض المدارس الابتدائية. وقد رأوا ما سبقنا فانذرناهم بهِ وهو ان الحائل الاكبر دون انشاء مدارس البنات وجود المعلمات للتعليم فيها ولذلك فالاحوال الحاضرة ماسة الى انشاء مدرسة كبيرة للبنات يتعلمن فيها العلوم العالية التي تؤهلهنَّ للتعليم في المدارس الابتدائية . واذا اردنا النجاح في مجاراة الاوربيين فلا بدَّ من الاكثار من هذه المدارس العالية لانها قد كثرت الآن في اوربا واميركا وصار البنات يتعلمن فيها كل ما يتعلمهُ الشبان في المدارس الجامعة

وابدع منظر شاهدناهُ في مجلات هذا الشهر الاوربية صور ناظرات مدارس البنات الجامعة . ويقال ان اول مدرسة تعلم فيها البنات العلوم العالية مدرسة فسار الاميركية الكلية والآن قد كثرت المدارس الكلية التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية حتى صرن يحرن في الاختيار بينها. ويذكر منها مدرسة الميرا . ومدرسة منت هليوك . ومدرسة اماورلد . ومدرسة سمث . ومدرسة ولسلي . ومدرسة برن مور . ومدرسة بلتيمور . ومدرسة ولس . ومدرسة ردكلف . ومدرسة برنرد

اما مدرسة فسار فناظرها صديقنا الدكتور جمس تيلر أُنتخب لنظارتها سنة ١٨٨٦ وهو من الخطباء المعدودين وقد نجحت هذه المدرسة في عهده نجاحاً عظيماً . ويعنى بالنجاح في اميركا ان يسعى ناظر المدرسة في تكثير اموالها من الهبات والتركات وتوسيع مبانيها وترقية التعليم فيها وهذا كلهُ فعلهُ الدكتور تيلر . ثم دُعي لنظارة مدرسة برون الجامعة وللحال اجتمعت عمدة مدرسة فسار واستدعت المتعلمات فيها النائلات شهادتها فاجتمعن ليتمنعهُ من ترك مدرستهن والذهاب الى مدرسة أُخرى فابان لهن انهُ ما من شيء يثنيهِ عن عزمهِ الأ كرمهن فاذا وهبن المدرسة هبات كبيرة تمكنهُ من زيادة مبانيها وتوسيع نطاقها بقي في نظارتها والا تركها فاجبنهُ الى طلبهِ حالاً . وهو يدرّس فيها الفلسفة العقلية والادبية ولهُ كتاب للتدريس في العلوم النفسية

ويتلو الدكتور تيلر في نظارة هذه المدرسة السيدة ربلند كندرك ولها فيها شأن كبير كما لهُ وهي جامعة بين جمال الطلعة والمهابة والحكمة والدربة فتعرف طبائع البنات في تلك المدرسة معرفة تسهل عليها تدريبهن وارشادهن ولذلك فمنها نفع لا يقدَّر . وهي من العالمات الكثيرات الدرس والبحث تتلمذت للدكتور بلاكي واقترنت بالدكتور كندرك منذ عشرين سنة وهو من عمدة هذه المدرسة ومن كبار العلماء وكان ناظرًا لها مدة فلما استعفى من النظارة طُلب من زوجتهِ ان تشارك ناظرها الحالي في ادارتها فنعلت ونجحت في ذلك نجاحاً عظيماً

ومن مدارس البنات الشهيرة باميركا مدرسة ولسلي وقد اشترط منشئها ان تكون نظارتها بيد امرأة دائماً فاختيرت مسس كارلو بن هزارد لنظارتها وهي من اللواتي اشتهرن شهرة فائقة بالعلم والفضل ولها تصانيف تدل على سعة معارفها وحسن اسلوبها في الانشاء وقد منحتها مدرسة مشيغان الجامعة رتبة معلم في العلوم ومدرسة برون الجامعة رتبة دكتور في الآداب . ولها المنزلة الاولى في قلوب بنات مدرستها وهذا اكبر دليل على اقتدارها ونجاحها في اداراتها

ومنها مدرسة مونت هليوك وكانت مقاليدها في يد السيدة اليصابات ميد وقد اقامت ناظرة لها عشر سنوات فبرهنت على علمها الواسع ومقدرتها الفائقة في تنظيم المدارس

ومنها مدرسة برن مور وناظرتها مس كاري توماس وهي دكتورة في الفلسفة وفي الشرائع وقد خلفت الدكتور جمس رودس في نظارة المدرسة بعد ان استعدت لذلك في اعظم مدارس اوربا والمانيا ونالت من مدرسة زورك ارقى الرتب العلمية وهي رتبة دكتور في الفلسفة وهذه اول مرة اعطيت فيها هذه الرتبة للنساء . ودرست ايضاً في مدرسة السربون بفرنسا ومدرسة فرنسا (اكول ده فرانس) وهي الآن من اشهر المعلمات في اميركا

ومنها مدرسة رد كلف وناظرتها مسز لويس اغاسز ولها مديرة مس اغنس ارون والناظرة والمديرة معروفتان بوفرة العلم وكثرة الاختبار الاولى زوجة الاستاذ لويس اغاسز من اساتذة مدرسة هارڤرد الجامعة والثانية كانت رئيسة مدرسة البنات في فيلادلفيا وهي مشهورة بعلمها وتقواها وبان لها سلطة فائقة على كل من يراها

وجملة القول ان المدارس الكبيرة في اميركا التي يتعلم فيها البنات العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والفيسيولوجيا والهيجيين والفلسفة العقلية والادبية وتدبير المنزل وتواريخ الامم عدا العلوم الادبية هذه المدارس تعطى نظارتها للنساء غالبًا واذا اعطيت للرجال كانت ادارتها بيد النساء وهنَّ يتأهلن لذلك بالدرس في مدارس اميركا واوربا حتى ينلنَ اسمى الدرجات العلمية ويشتهرنَ ايضًا بحسن الادارة وتنظيم المدارس . ولم تعطَ نظارة المدارس في اوربا للنساء حتى الآن ولكن لا يبعد ان تعطى لهنَّ قريبًا . وقد اخذ النساء يدرسن العلوم العالية كالرجال في كل الممالك الاوربية حتى في بلاد الروس ونحن في ديار المشرق نضنُّ على بناتنا بالعلوم الابتدائية وننتظر مع ذلك ان نجاري الاوربيين والاميركيين

ثياب الطفل

يجب ان تكون الحامل مستعدة للولادة كل يوم من الشهر السابع فصاعدًا ولذلك يجب عليها ان تهيئ الثياب لطفلها قبل ذلك لئلاَّ يولد فجأة فلا تكون الثياب معدة لهُ

وليس في تهيئة الثياب للطفل شيءٌ من الصعوبة اذا ارادت امهُ البساطة والراحة والفائدة الصحية لان الطفل ليس لعبة تزين ولكنهُ مخلوق حيٌّ يراد الباسهُ لباسًا يحفظ حرارتهُ وصحتهُ

والعيوب الشائعة في ثياب الاطفال اربعة الاول سعتها عند الطوق حتى لا تدفئ الصدر والكتفين . والثاني ضيقها على الذراعين حتى تمنعهما من الحركة بسهولة . والثالث تفصيلها على اسلوب يتعذر معهُ الباسها للطفل من غير تقليبهِ ظهرًا على بطن مرارًا . والرابع زيادة طولها وثقلها

فيجب ان تفصَّل ثياب الطفل وتخاط حتى تغطي بدنهُ كلهُ . وان يكون اعتمادها على الطوق حتى لا تضغط على ذراعي الطفل . وان تفصل بحيث يمكن الباسها للطفل من غير ان يقلب . وان تكون قصيرة خفيفة حتى يسهل عليهِ تحريك اعضائهِ كلها . وسنرسم اشكال ثياب الاطفال وكيفية تفصيلها في الجزء التالي

فطام الطفل

لا يمكن ان توضع قاعدة عامَّة للزمن الذي يجب ان يفطَم فيهِ الطفل . وكثيرات من النساء يضررن بصحتهنَّ وصحة اطفالهنَّ بتأخير فطامهم . فاذا كانت صحة الام جيدة ولبنها غزيرًا جاز ان ترضع طفلها تسعة اشهر الى اثني عشر شهرًا ولكن اذا كانت ضعيفة او كان لبنها قليل الكمية او قليل الغذاء حتى لا يغذي الطفل جيدًا فالاصلح لهُ ان يفطم مهما كان صغيرًا وكذلك يجب ان تفطمهُ امهُ اذا حملت او عاودتها العادة قبل الوقت المناسب للفطام لان لبنها في هاتين الحالتين لا يعود صالحًا لتغذية طفلها وتصير الرضاعة تضرُّ بها

الاعتناء بحلمات الثدي

كثيرًا ما تشكو المرضع من تشقق حلمة ثديها ويحدث ذلك من قلة النظافة او ضغط المشد او من ترك الطفل يرضع مرارًا كثيرة او من نومها وطفلها يرضع ثديها . ولا بدَّ من غسل حلمة الثدي وفركها جيدا مدة الحمل ومدة الرضاع ايضًا واذا كانت رقيقة الجلد شديدة الحساسة وجب ان تغسل بقليل من الماء الفاتر وتنشف باعتناء بعد كل رضاعة . فاذا روعيت هذه الامور ولم تلبس المرضع ثيابًا ضيقة ولا ارضعت طفلها الاَّ في اوقات خصوصية قلما اصابها شيءٌ من امراض الثدي

صحة المرضع

يجب على المرضع ان تعتني بصحتها لاجل رضيعها كما تعتني بصحتها وهي حامل لاجل جنينها فان الطفل يغتذي بلبن امهِ كما يغتذي الجنين بدمها فكما تكون صحتها تكون صحة جنينها وطفلها وكلما يضعفها جسمًا ويتعبها عقلاً يضعف جنينها وطفلها . ويظن بعض النساء انهُ يجب عليهنَّ ان يكثرنَ من الاكل وهنَّ يُرضعن اكثر مما تطلب نفوسهنَّ . وهذا غلط فاحش لانهُ لا يجوز لاحد ان يأكل لقمة واحدة فوق الشبع . والغالب ان المرضع لا تضطر ان تأكل اكثر مما تأكل في غير زمن الرضاعة لان ما يستحيل في جسمها لبنًا زمن الرضاعة يستحيل الى اشياء اخرى في غير زمن الرضاعة. واذا اضطرب عقل المرضع بالخوف او الحزن او الغضب او اي سبب آخر من الاسباب التي تؤَثر في النفس لم يعد لبنها صالحًا لطفلها وقد يصير سمًّا زعافًا يقتلهُ . وقد شاهدنا ذلك في مرضع توفيت اختها بغتة فاثرت وفاتها فيها وللحال مرض طفلها ومات واثبت الاطباء انهُ سمَّ بلبن امهِ

باب التقريظ والانتقاد

الشوقيات

اعلنا منذ نحو سنتين ان الشاعر المصري المطبوع احمد بك شوقي اخذ في طبع ديوانهِ وسماهُ بالشوقيات. وقد اهدى الينا الآن الجزء الاول منهُ فحالما وقع نظرنا عليهِ حمدنا الله لانهُ قام من ابناء هذا القطر مَن ينكب عن الطريق الذي يجري عليهِ اكثر كتابهِ وهو تصدير اسم المؤلف بالقاب التعظيم والتبجيل فقال فيهِ " الشوقيات ديوان الضعيف احمد شوقي ". وكان بعضهم قد انتقد نثر الناظم حتى علق بالاذهان انهُ ان كان شاعرًا فهو غير ناثر فقدم لديوانهِ مقدمة اثبت فيها انهُ ناثر كما انهُ شاعر وهي من ابلغ ما صُدّرت بهِ الدواوين ولاسيما حيث يخرج الكاتب من قيود التقليد ويطلق لمخيلتهِ العنان . وقد اجاد في وصف فحول الشعراء قال " قال امرؤُ القيس الشعر واصفًا وحاكيًا . وضاحكًا وباكيًا . وناسبًا وغازلاً . وجادًا وهازلاً . وجمع شملهُ بحيث تعد المنظومة الواحدة لهُ أثرًا في البيان مستقلاً وبنيانًا قائمًا برأسهِ ونظمهُ ابو فراس فخرًا عاليًا . ونسيبًا غاليًا . وحكمًا باهرة . وامثالاً سائرة . لكنهُ لم يقلهُ فوضى ولا قرب في نظمهِ الخلط فان قصيدتهُ المشهورة التي يقول في مطلعها

أراكَ عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

ليست الاَّ عقدًا توحد سلكهُ وتشابهت جواهرهُ ودقَّ نظامهُ . تعاونت فيهِ ملكة العربي وسليقة الشاعر على حسن الحكاية . فاذا فرغت من قراءتها فكانك قد قرأت أحسن رواية . وهذا وكونها أشبه شيء بالشعر في شعور الانفس هما سر بقائها متلوَّة الى الابد

وكان ابو العلاء يصوغ الحقائق في شعرهِ ويوعي تجارب الحياة في منظومهِ ويشرح حالات النفس ويكاد ينال سريرتها ومن تأمل قولهُ من قصيدة

فلا هطلت عليَّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظمُ البلادا

وقابل بين هذا البيت وبين قول أبي فراس

معللتي بالوصل والموت دونهُ اذا متُّ ظمآنًا فلا نزلَ القطرُ

ثم نظر الى الاول كيف شرع سنة الايثار وبالغ في اظهار رقة النفس للنفس وانعطاف الجنس نحو الجنس والى الثاني كيف وضع مبدأ الاثرة وغالى بالنفس ورأى لها الاختصاص

بالمنفعة في هذه الدنيا تعيش فيها جافية ثم تخرج منها غير آسية علم أن شعراء العرب حكماء لم تعزب عنهم الحقائق الكبرى ولم يفتهم تقرير المباديء الاجتماعية العالية وانهم اقدر الامم على تقريبها من الاذهان واظهارها في أجلى وأجمل صور البيان

وكان ابو العتاهية ينشئ الشعر عبرة وموعظة . وحكمة بالغة موقظة .وكان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ يرجع اليهِ كذلك في الوعظ والارشاد والتحذير من الرذائل . والاغراء بالفضائل" الى ان قال

" قدَّمنا هذا ليعلم بهِ فريق يحتقرون الشعر وآخرون منا معشر الشبان يضمرون للعربي منهُ عداوة من جهل الشيء ويرون بينهُ وبين الشعر الافرنجي بُعْد ما بين المشرق والمغرب ناسين أن العرب امة قد خلت ودولة تولّت فلا ينبغي أن يؤخذوا الاَّ بما تركوا وان المسئول عن خروجهِ بعدهم من حالتهِ انما هو الخلف المفرط والوارث المتلاف

اشتغل بالشعر فريق من فحول الشعراء جنوا عليهِ وظلموا قرائحهم النادرة وحرموا الاقوام من بعدهم . فمنهم من خرج من فضاء الفكر والخيال ودخل في مضيق اللفظ والصناعة . وبعضهم آثر ظلمات الكلفة والتعقيد على نور الابانة والسهولة . ووقف آخرون بالقريض عند القول المأثور فوصفوا النوق على غير ما عهدها العرب عليهِ واتوا المنازل من غير ابوابها ودخلوا البيداء على سراب . وانغمس فريق في بحار التشابيه حتى تشابهت عليهم اللجج ثم خرجوا منها بالبلل . وزعمت عصبة ان احسن الشعر ما كان بوادٍ والحقيقة بوادٍ فكلما كان بعيداً عن الواقع منحرفاً عن المحسوس تجانباً للمحتمل كان ادنى في اعتقادهم الى الخيال واجمع للجلال والجمال حتى نشأ عن ذلك الاغراق الثقيل على النفوس والغلوّ البغيض الى العقول السليمة"

ثم انتقد على الشعراء اتخاذهم الشعر باباً للرزق بمدح الملوك والعظماء قال

"ان انزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيرهِ تجزئة يجلّ عنها . ويتبرأ الشعراء منها . الاَّ أن هناك ملكاً كبيراً ما خلقوا الاَّ ليتغنَّوا بمدحهِ ويتفننوا بوصفهِ ذاهبين فيهِ كل مذهب آخذين منهُ بكل نصيب وهذا الملك هو الكون فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى . يقلب احدى عينيهِ في الذرّ ويجيل أُخرى في الذرى . يأسر الطير ويطلقهُ . ويكلم الجماد وينطقهُ . ويقف على النبات وقفة الطلّ . ويمرّ بالعراء مرور الوبل . فهنالك ينفسح لهُ مجال التخيل ويتسع لهُ مكان القول ويستفيد من جهة علماً لا تحويهِ الكتب ولا توعيهِ صدور العلماء ومن جهة أُخرى يجد من الشعر مسلياً في الهم. ومنجياً من الغم . وشاغلاً اذا ملّ الفراغ ومؤنساً اذا تملكت الوحشة . ومن جهة ثالثة لا يلبث ان يفتح الله عليهِ فاذا الخاطر اسرع والقول اسهل

والقلم اجرى والمادة اغزر بحيث لا تمضي السنون حتى تتداول الايدي مؤلفاتهِ . واذا مات اكبر الناس من بعدهِ مخلفاتهِ . أو لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية ان يحيا المتنبي مثلاً حياتهُ العالية التي بلغ فيها الى اقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتي صحيفة من الشعر تسعة اعشارها لممدوحيهِ والعشر الباقي وهو الحكمة والوصف للناس"

وختم هذه المقدمة بفصل ترجم فيهِ نفسهُ فاجاد ولو كانت هذه الخطة غير مألوفة وكأنهُ اقتفى خطوات كارليل الكاتب الانكليزي الشهير الذي خاف ان يقوم بعد وفاتهِ من يكتب ترجمتهُ فيملأها من الاكاذيب فكتبها بيدهِ

ومن الفوائد التي ذكرت في هذه الترجمة عرضاً ان المرحوم الخديوي السابق كان يجل مقام الشعراء ويقدر القرائح قدرها. قال الناظم "خرجت قُبيل الاصيل على حمار ابيض كان لوالدي في يوم كثر غيمهُ وتثاقل مطرهُ وبينما انا عائد الى منزلي اجتاز ميدان عابدين بصرت بالعزيز في بهو السراي يشرف منهُ فنزلت عن الدابة امشي كرامة للمليك المطل وامرت الخادم ان يبتعد بها وان يلاقيني خلف القصر ثم مشيت على الاقدام حتى اذا انتهيت من الميدان اعترضني رسول من الامير يدعوني اليهِ فوافيت حضرتهُ وانا لا اعرف السبب وكان معهُ ساعتئذٍ المرحوم عبد الرحمن باشا رشدي فتحلى الحليم بصورة الغضب ثم قال أليس لي ان اطل من بيتي حتى نزلت عن حمارك والجأتني الى الالتفات . قلت عفواً يا مولاي هكذا ادَّبنا الاوائل حيث يقول شاعرهم

واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهنَّ على الرجال حرامُ

فتبسم ضاحكاً ثم قال انكم معشر الشعراء تتفاءلون بالغيوم وهذا اليوم من ايامكم فاسمع للباشا فان عندهُ لك فالاً . فالتفت الباشا عندئذٍ اليَّ وقال الآن امرني افندينا ان ابلغك تعيين ابيك مفتشاً في الخاصة الخديوية واما انت فتعين بعد شهر"

وفي هذا الجزء ستة ابواب الاول في الادب والتاريخ وفيهِ مقاطيع كثيرة والهمزية التاريخية التي رفعها الى المؤتمر الشرقي في جنيفا سنة ١٨٩٤ ومطلعها

همت الفلك واحتواها الماءُ وحداها بمن تقلُّ الرجاءُ

وقد جاء فيها على خلاصة تاريخ مصر من اول عهدها الى الآن وما حلَّ بها من نوائب الدهر وهي من خيرة منظوماتهِ. ومما يدلُّ على توقد قريحتهِ وانهُ اذا جارى طبعهُ كان اشعر منهُ اذا توخى التدقيق والتدبيج ابيات قالها ارتجالاً وهو في المدرسة وهي

افريقيا قسم من الوجودِ في شكلهِ أشبهُ بالعنقودِ

وذلك العنقود في الماء انغمر ما أملح الماء وما أحلى الثمر
مدت اليهِ يدها اوربا من فوقهِ كمن يريد الحبا
وآسيا بالجنب كالمختال تنقصهُ من شرقهِ الشمالي
وبين هذين ترى القنالا يتصل الماء بهِ اتصالا
أنشاهُ اسماعيل عنوان الظفر فوقع الحافر فيما قد حفر

الباب الثاني في الوصف وفيهِ قصائد حسان جدًّا مثل وصف البالو الخديوي ووصف المتنزه ووصف جنيفا ووصف طلوع البدر فوق البحر ومنها قولهُ

وافى بك الافقُ السماء فاسفرت عن قفل ماس في سوار نضارِ

والثالث في المديح والرابع في المراثي وهما نحو نصف الديوان والخامس حكايات مختلفة نظمها للصغار فاجاد وافاد . والسادس منظومات خصوصية الحق بها قصيدتهُ المعروفة بصدى الحرب وقد ابقى فيها على ابيات كنا نودُّ ان يحذفها منها . ولا بدَّ من نظرة اخرى في قصائد المدح والرثاء وحبذا لو تكرَّم علينا بها احد الادباء

ويعاب على هذا الديوان طبعهُ فانهُ سقيم خالٍ من الشكل الذي لا بدَّ منهُ احيانًا لدفع الإشكال

جريدة الزراعة في الهند الغربية

The Journal of the Imperial Agricultural Department for the West Indies.

اطلعنا على العدد الاول من هذه الجريدة فرأيناهُ طافحًا بالفوائد الزراعية التي يرغب في الاطلاع عليها كل الساكنين في الاقاليم الحارَّة فان الحكومة الانكليزية انشأت ديوانًا للزراعة في جزائر الهند الغربية اناطت ادارتهُ بالعالم الفاضل الدكتور موريس فالف فيها مؤتمرًا للبحث في المواضيع الزراعية ولاسيما زراعة قصب السكر التي كان عليها اكثر الاعتماد في تلك الجزائر. ويتضمن الجزء الاول مقالات كثيرة جاء في اولها خطبة الرئيس الدكتور موريس وهي في زراعة قصب السكر . وقد قال فيها ان اثمان السكر آخذة في الهبوط فلا بدَّ من مقابلة ذلك ببذل الجهد لتقليل نفقاتهِ الزراعية واتقان وسائل استخراج السكر بالاعتماد على احدث الاساليب الصناعية . ثم قال ان العناية مبذولة الآن لاختيار الانواع التي سكرها كثير فقد نجح الاوربيون في تأصيل البنجر حتى صار عندهم الآن صنف سكرهُ

مضاعف سكر الاصناف التي كانوا يزرعونها قبلهُ . اما قصب السكر فلم يكن ذلك ممكناً فيهِ قبل عشر سنوات ولكن منذ عشر سنوات شوهدت بزور القصب في جاوى وبربادوس في وقت واحد فصار يمكن ان يعتنى بتجنيس التقاوي حتى يوجد صنف من القصب كثير السكر. وقال ان ذلك تمَّ فعلاً واری الحضور نوعاً من القصب جُنّس حديثاً وتزيد غلة الفدان منهُ نصف طن من السكر على غلة اجود انواع القصب فان غلة الفدان من هذا القصب ٦١ قنطاراً من السكر واما غلتهُ من القصب الجديد فتبلغ نحو ٧٢ قنطاراً . وربما لخصنا هذه الخطبة كلها في الجزء التالي في باب الزراعة . وتليها مقالات شتى من اقلام بعض العلماء ومشاهير الكتَّاب وسنلخص منها ما يستفيد منهُ ارباب الزراعة في هذا القطر

المباحث الحكمية

في احوال النفس وتربية القوى العقلية

للاستاذ احمد نصار مدرس اللغة العربيَّة في مدرسة اللغات الشرقية ببرلين . قال في مقدمتهِ اني "سبرت نتائج تربية الغربيين بمسبار العيان والمشاهدة حينما كنت مقيماً بعاصمة الدولة الالمانية لتدريس اللغة العربية فالفيت ان التربية بانواعها اتت هناك بالثمرات المقصودة منها لا سيما عند الاسرات الشريفة فالكل قد حصلوا على انواع الفضائل واتصفوا باغلب صفات الكمال التي تهمُّ صناعة التربية لان الصدق سائد بين الافراد في المجتمعات والمعاملات وحب الوطن قد غرست جذورهُ في قلوبهم وتشعبت فروعهُ بين اعصابهم وعروق دمائهم حتى يخيل لمعاشرهم ان هذا الامر المعنوي صار مجسماً وظهر بمظهر الافراد او انهم قد استحالوا اليه ولا تسل عن اتصافهم بالعزم القوي والامانة الحقة واتباع ما هم عليهِ من الدين والاتحاد والالفة وحسن المعاملة وغير ذلك من الاوصاف الحميدة التي لا تقوم لاي امة قائمة الاَّ اذا اتصفت افرادها بها . ولما قارنت بين تلك النتائج المذكورة آنفاً التي لا تعتبر الاَّ بعضاً من كل و بين نتائج التربية عندنا وجدت فرقاً عظيماً كالذي بين الثريَّا والثرى .. ولم اقف بعد طول البحث على سبب لذلك سوى ان التربية عندنا ليست مؤسسة على اساس قويم حيث لم تبنَ على الاحوال الطبيعية ولم تراعَ فيها احوال القوى النفسية لخفائها على اغلب المربين مع ان العلم بها من ضروريات القائمين والقائمات لصناعتي التربية والتعليم"

هذا كلام حق وطالما وددنا ان يذهب شبان هذا القطر الى انكلترا والمانيا و يعاشروا اهلهما ويتلقوا العلوم فيهما فان اهلهما امتان ناميتان مرتقيتان ومن جاراهما وأخذ اخذهما ارتقى

ارتقاءهما حتى ان ادباء الفرنسويين انفسهم يشيرون على ابناء جلدتهم ان يقتفوا خطوات الامم السكسونية في التربية والتعليم كما ترى من الكتاب الذي ترجمهُ حضرة القاضي الفاضل احمد فتحي بك زغلول وما ذلك الاَّ لان التربية والتعليم لم يبلغا عند الفرنسويين الدرجة التي بلغاها عند الامم السكسونية . ولو ارسلت الحكومة المصرية ابناءها الى انكلترا والمانيا فقط من حين شرعت في ارسال الرسالة المصرية لكان للقطر المصري الآن شان غير هذا الشان

ولما وصف المؤلف الداء اشار بالدواء الذي حسب انهُ يشفي منهُ وهو وضع كتاب يبين احوال النفس وقواها وما ينبغي للمربين والمتعلمين ان يسلكوهُ فوضع هذا الكتاب لهذه الغاية وقال "انهُ جاء بحمد الله وافياً بالغرض المطلوب للمربين والمعلمين وكافلاً ببيان الاحوال الواقعية لغيرهم ومبيناً كيفية حدوث كل حالة نفسية للباحث عن حقائق الاشياء وكيفية نشوء العالم النفسي". وعسى ان يحقق الله ما قالهُ حضرة المؤلف على اننا نعتقد ان الغرض المطلوب لا يُنال الاَّ بعد ان يتربى المعلمون من حداثة سنهم في افضل المدارس التي تهذب الاخلاق وتربي العقول في بلاد لا يرون فيها الاَّ الادباء الفضلاء رجالاً ونساء حتى يشبُّوا وقد غُرس بذار الفضيلة في نفوسهم ونما فيها وصاروا يتفانون في حب وطنهم وتربية ابنائهِ . هؤلاء يستعينون بكتاب مثل هذا في تمهيد الصعاب التي يجدونها في تربية الصغار وتعليمهم ثم متى انتشر التعليم والتهذيب عندنا وكثرت المدارس التي يتخرَّج فيها المعلمون ويتعلمون كيف يعلّمون راجت سوق هذا الكتاب وامثالهِ كثيرًا . والنصف الاول من الكتاب علمي فلسفي اذا اقتصر المطالع عليهِ لم يجدهُ وافياً بالغرض المقصود منهُ لا سيما وان مواضيعهُ عويصة جدًّا لا يسهل ادراكها على غير دارسي العلوم العقلية واما النصف الثاني فاقرب تناولاً من القسم الاول واكثرهُ عملي لا نظري كالقسم الاول . هذا واننا نشكر لحضرة المؤلف على هذه التحفة السنية

الشكر

لائحة جمعية اتحاد البر للروم الارثوذكس ويظهر منها انها جمعت في العام الماضي نحو ثلثمئة جنيه انفقتها على البائسين جزى الله اعضاءها خيرًا

النبذ العلميَّة والفكاهات الادبيَّة

رسالة جمعها حضرة الاديبين كامل افندي صدقي وعبد الواحد افندي حمدي . وهي مفتتحة بمعاهدة برلين تليها نبذ كثيرة علمية وادبية وفكاهية فنثني على حضرة مؤلفيها



فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) رمش الجفن

اصوان . طنوس افندي جرجس . اذا رمشت عيني اليسرى كان ذلك اشارة الى امر يكدرني فلا ألبث ان يحصل لي ذلك الامر واذا رمشت عيني اليمنى كان ذلك اشارة الى امر يفيدني او يكدرني ولكنهُ لا يضرُّ بي . ويشتد رمش الجفن اذا كان الامر كبيراً سواء كان مما يسرُّ او مما يحزن فارجو التكرم عليَّ باسباب ذلك وما هي العلاقة بين الحوادث الخارجية واعضاء الانسان وكيف تنبئ حركاتها بالحوادث قبل حدوثها

ج لا علاقة بين اعضاء الانسان وما يحدث حولهُ مما يسرُّ او يسيء. وهذه الآفة وراثية في الغالب والمرجح انها تزول باراحة العينين من الدرس واستعمال مزيج فولر ونحوهِ شرباً. والقول بان بينها وبين ما يحدث لصاحبها علاقة ما من اوهام العامة. ولو دققتم في المقابلة بين رمش عينيكم وما يحدث لكم مما يسر ومما يسيء لرأيتم ما ينفي هذه العلاقة او لما رأيتم شيئاً يثبتها

(٢) مرض الانفلونزا

الاسكندرية . انيس افندي انطون . كثر في هذا الوقت مرض يدعونهُ الانفلونزا لا يخلو منهُ بيت تقريباً وارجو ان تشرحوا لنا اسباب هذا المرض وطرق الوقاية منهُ ومعنى كلمة انفلونزا ومن اي لغة هي وهل هو من الامراض التي تنتقل بالعدوى

ج تجدون فصلاً مسهباً في هذا الموضوع في المجلد الثامن عشر من المقتطف وهاكم خلاصتهُ: الانفلونزا او النزلة الوافدة مرض وافد ذكر اول مرة سنة ٤١٥ قبل المسيح حينما فشا في الجنود الاثينوية وهي في جزيرة صقلية . ثم انتاب اوربا مراراً كثيرة في اوقات مختلفة وكان يرد اليها من الجهة الشرقية ويمتد فيها غرباً . والناس معرَّضون لهُ عموماً سواء فيهم الكبير والصغير والغني والفقير والسليم والسقيم والذكر والانثى . واذا اصاب انساناً مرة لم يوقَ من الاصابة بهِ مرة اخرى ويشتد فعلهُ حيث يزدحم السكان ويفسد الهواء بالازدحام ويكثر حدوثهُ في الخريف والربيع ويقل في

الصيف والشتاء ولا عبرة بعرض المكان اي بعده عن خط الاستواء شمالاً او جنوباً فقد ظهر سنة ١٨٣٧ في بلاد الانكليز وفي رأس الرجاء الصالح في وقت واحد وهما في منطقتين متقابلتين شمالاً وجنوباً اي انهما على طرفي نقيض. ويحدث في اشد الاقاليم رطوبةً وفي اشدها جفافاً على حد سوى وقد شوهد انهُ كثيراً ما ينتشر عقب كثرة الضباب وثوران البراكين وحدوث الزلازل

ويظهر من سرعة انتشاره وكثرة المصابين به انهُ ناتج من سم منتشر في الهواء. وقد ظنَّ قبلاً انهُ ناتج من المواد الكبريتية التي تنتشر في الهواء على اثر ثوران البراكين. اما الآن فرأي جمهور الاطباء انهُ حادث عن نوع من الميكروبات اكتشفهُ الدكتور فيفر الالماني سنة ١٨٩٢ واثبت كوخ وكتاساتو وغيرهما انهُ ميكروب الانفلونزا اي انهُ المسبب لها لكن لا يعلم لماذا تنتشر الانفلونزا سنة ثم تغيب عدة سنين

الاعراض المميزة لهذا المرض تختلف اختلافاً عظيماً نوعاً وشدة. ويختلف استعداد الناس لهُ بحسب ضعفهم واستعداد اجسامهم للامراض العصبية والتنفسية والهضمية وما اشبه. واذا جاءت الانفلونزا وافدة اصيب بها كل واحد تقريباً لكنها تكون خفيفة جداً في البعض فتقتصر على صداع خفيف واضطراب في المعدة وقليل من التعب فيظنون انفسهم غير مصابين بها

وتبتدىء بضعف ودوران وقشعريرة وقبض وقد تبتدىء ايضاً بجشاء وقيء وحمى شديدة وتدوم مدة من بضع ساعات الى اسبوع ويحدث حينئذٍ صداع في الصدغين وقد يحدث الم في العينين وتقل القابلية للطعام والقوة ويعم الضعف والخمول وتحدث آلام مفصلية في النقرة والاضلاع والرجلين ويتلوَّن البول ويبخر الفم ويتسخ اللسان وتدوم الحمى وقد تكون متقطعة وتشتد الاعراض ليلاً وتدوم مدة الضعف من بضعة ايام الى بضعة اسابيع وتمتاز بالضعف العصبي والشعور بالتعب العام وضعف القابلية وتختلف اعراضها في الاولاد والاطفال. ومعلوم ان الاعراض تختلف وتقوى وتخف بحسب كون النزلة متصلة باعضاء التنفس او اعضاء الهضم وبحسب الاختلاطات التي تصحبها مما هو معروف عند الاطباء فلا نطيل الكلام فيه

العلاج * الراحة في الفراش في وقت اشتداد الانفلونزا. ويجب على المرضى ان يلازموا بيوتهم ولاسيما ليلاً الى ان تعود حرارتهم الى الحالة الطبيعية او حتى يشفوا تماماً ويجب ان يعتنوا بلباسهم واحذيتهم لكي لا تتعرض ارجلهم للرطوبة ولا للبرد وان يجتنبوا مجاري الرياح ولاسيما اذا كانوا متعبين او عرقانين لئلاَّ يصابوا باختلاطات (مضاعفات) رئوية

اما الادوية فتجدونها مذكورة بالاسهاب في المقالة المشار اليها

واسم انفلونزا وضعهُ الايطاليون لزعمهم ان هذا المرض من تأثير Influenza الاجرام السموية . وهي معدية

(٣) شركة الغزل والنسج

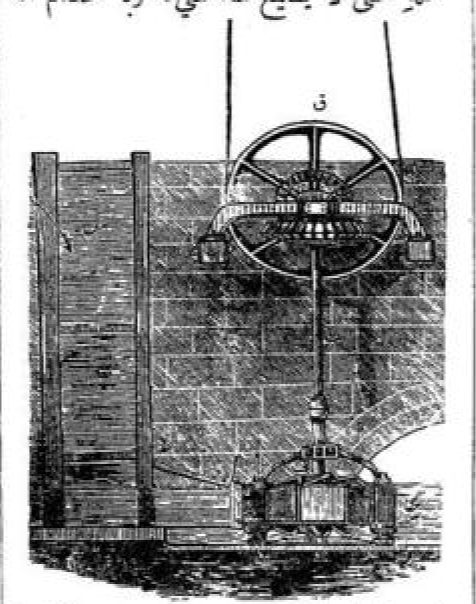
مصر . محمد افندي عبد العال وشركاهُ . نشرتم في مقتطفكم ان شركة الغزل والنسج المصرية الانكليزية جارية في بناء المباني اللازمة لها ومن ثمَّ الى الآن لم نرَ ما يدل على انها اتمت البناء ويدلُّ هبوط اسعار اسهمها على انها غير ناجحة ونخاف ان يتم لها ما تمَّ لاسهم شركة بناما واذا لم يكن ذلك كذلك فما الداعي لهبوط الاسعار الى هذا الحد

ج سألنا بعض الثقات فاجابونا ان العمل جارٍ على اتم المراد وهم لا يعلمون سبباً كافياً لهبوط الاسعار . ونحن نعرف رجلاً ليس في جيبهِ سوى خمسين جنيهاً اكتتب بمئتي سهم فأعطيها كلها وتعذر عليهِ ان يدفع غرشاً واحداً فوق ما دفعهُ فانذرهُ البنك ببيع اسمهِ مها قلَّ ثمنها ونظنهُ باعها بابخس الاثمان فاذا كان امثال هذا الرجل كثاراً هبطت الاسعار طبعاً لان سعر الشيء يهبط بعرضهِ للبيع

(٤) المطاحن المائية

المتن بلبنان . امين افندي عربون . لا تزال المطاحن المائية في بلادنا على حالتها القديمة ولم تُحسن بابدال فراش الخشب بفراش من حديد فهل يمكن تحسينها حتى يصير الماءُ القليل كافياً لادارة الدولاب او تزيد سرعة الدولاب عما هي عليهِ الآن

ج اذا فرضنا مقداراً من الماء يهبط من ارتفاع معلوم فالقوة الحاصلة من هبوطهِ واحدة لا تزيد ولا تنقص والعبرة باستعمالهِ كلهِ حتى لا يضيع منهُ شيء وباستخدام آلة



قليلة الفرك ما امكن ومن افضل الآلات لذلك التربين turbine المرسوم في هذا الشكل فانهُ لا يضيع بهِ سوى عشرة في المئة من قوة الماء على ان فراش المطاحن المعروفة في لبنان يضيع بهِ عشرون او ثلاثون في المئة من قوة الماء . وقد بلغنا ان في شتورة بلبنان مطحنة تدور بآلة من نوع التربين فيحسن بكم ان تروها وتجلبوا آلة مثلها

(٥) تقسية النحاس

ومنهُ . ما هي الطريقة لتقسية النحاس اشد التقسية . لان الطرق المستعملة عندنا لتقسية نحاس الطواحين غير كافية

ج يا حبذا لو شرحتم لنا الطرق المستعملة عندكم لنرى ما هو وجه الخلل فيها . ومن المعلوم ان النحاس يقسو كثيراً باضافة التوتيا اليهِ واذا اريد ان يكون صلباً حُرِك وهو مصهور بقضيب اخضر من السنديان او نحوهِ . ويمكن ان يصير صلباً كالفولاذ بمزج الرطل منهُ برطل من الصودا وثلاثة ارطال من فلوسلكات البوتاسيوم وصهر الجميع معاً فيتكوّن منهُ سلسيد النحاس وهو نحاس ابيض صلب جداً فيهِ ١٢ في المئة من السليكون واذا كان السليكون اقل الى حد خمسة في المئة بقي النحاس صلباً وامكن خرطهُ وبردهُ كالحديد. وزيادة السليكون تزيد النحاس صلابةً وكان القدماء يصلبون النحاس باضافة القصدير اليهِ

(٦) تسويد الحديد

ومنهُ . كيف نصبغ الحديد صباغاً اسود كالذي نراهُ على المسدسات وغيرها

ج نظن ان هذه الطريقة تفي بمرادكم وهي امزجوا ثمانية دراهم من زبدة الانتيمون واربعة دراهم من الحامض الكبريتيك ودرهمين من الحامض العفصيك واصقلوا الحديد اولاً ونظفوهُ جيداً ثم ادهنوهُ بهذا المزيج مراراً متوالية فيسود

(٧) القرن العشرون

ريو جنايرو . الخواجه ديمتري شويري. هل هذه السنة من القرن التاسع عشر او من القرن العشرين

ج في ذلك اختلاف بين العلماء كما بيناهُ في الجزء الثاني من هذه السنة انظروا الصفحة ١٦٤ والصفحة ١٧٣ ونحن نرى انها خاتمة القرن التاسع عشر

(٨) السنة الكبيس

ومنهُ . هل هذه السنة كبيس او عادية فاننا نرى جميع الروزنامات (النتائج) تجعل شهر شباط (فبراير) ٢٨ يوماً مع ان العدد ١٩٠٠ يقسم على ٤ والسنة بموجب ذلك كبيس

ج هي في الحساب الشرقي كبيس لان ١٩٠٠ تقسم على ٤ كما قلتم واما في الحساب الغربي فعادية لان العدد ١٩٠٠ يقسم ايضاً على ١٠٠ ولا يقسم على ٤٠٠ وهذا هو مصدر الفرق بين الحساب الشرقي والغربي وقد زاد الفرق بينهما يوماً الآن فان السنة بحسب الحساب الشرقي ٣٦٥ يوماً وربع يوم تماماً فيزاد فيها شباط يوماً كل اربع سنوات واما بحسب الحساب الغربي فهي ٣٦٥ واقل من ربع يوم قليلاً وهذا هو الصحيح فاذا زدنا يوماً كل اربع سنوات بالاضطراد كانت هذه الزيادة اكثر مما يلزم فيترك اليوم من السنة التي يقسم عددها على ١٠٠ ولا يقسم على ٤٠٠ مثل سنة ١٩٠٠ الحالية

(٩) الرتب والنياشين

ومنهُ . ما هي درجات الرتب عند الدولة العلية وغيرها من الدول العظيمة كانكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا

ج اما عند الدولة العلية فترون فيها فصلاً مسهباً في المجلد الثامن عشر من المقتطف ملأ ١٤ صفحة . واما عند الدول الاخرى فسنكتب فيها في فرصة اخرى

(١٠) علاج

الاسكندرية . احد القراء . . . .

ج ان النتائج التي تنتج عما اشرتم اليهِ كثيرة اولها الضعف جسداً وعقلاً وآخرها الجنون والموت ولا بدَّ من ان يزجر الانسان نفسهُ واذا لم يستطع زجرها ولا استطاع ذووهُ ان يمنعوهُ بالمراقبة الشديدة نهاراً وليلاً فنهايتهُ الى الجنون والموت ولا خسارة من موتهِ لانهُ لا نفع بحياتهِ . واذا كنتم انتم قد اعتدتم هذه العادة القبيحة فبادرتكم الى السؤال عن نتائجها تدلُّ على انهُ لا تزال فيكم ارادة قوية للامتناع عنها فضعوا نصب اعينكم ان الامتناع واجب عليكم وانهُ ممكن لكم واذا كنتم تفعلون ذلك ليلاً وانتم نيام لا تدرون فاربطوا يديكم بقائمتي السرير . والامتناع مدة قصيرة يعين على الامتناع مدة طويلة وهلمَّ جرًّا حتى تغلب العادة

(١١) الانتحال

طنطا . جورجي افندي ابرهيم . يكثر بين اصحاب الجرائد العربية وخصوصاً في مصر ان يكون صاحب الجريدة امياً او شبه اميّ فيستأجر كاتباً بارعاً يقوم بتحرير جريدتهِ بدون ان يشير فيها الى ذلك مطلقاً ثم يقول فيها عن نفسهِ انهُ صاحب الجريدة ومحررها أفلا يعدُّ ذلك سلباً لحق المحرر الحقيقي وهل هذه العادة شائعةٌ في البلاد المتمدنة

ج نعم هو سلب لحق المحرر ولكن المحرر الذي يرضى بذلك لا يحق لهُ ان يطالب بهذا الحق المسلوب لانهُ باعهُ باجرتهِ . وهذا الامر شائع في اوربا ايضاً

---

(١٢) زراعة الزيتون

الفيوم . اديب افندي حنا . زرعت بزرة حبة زيتون منقوعة في ماء الملح عدة اشهر والآن نبتت وصار طولها يقارب متراً فهل اذا اثمرت يكون في ثمرها طعم الملح

ج كلاَّ . وعملكم هذا يؤيد تفسيرنا لوجود نبات الزيتون في تخاريب اشجار اخرى في بلاد الشام فاننا فسرناها بان طائراً اكل حب الزيتون وهضمهُ ثم القى بسلحهِ والبزر فيه فنبت

(١٣) تكاثر شجر اليوكالبتوس

ومنهُ . هل يتكاثر شجر اليوكالبتوس من عقلهِ او من البزور واين توجد

ج من البزور ويحسن بكم ان تبتاعوا الترقيدة من جنائن الحكومة بمصر فانها كثيرة فيها ورخيصة



هبات علمية جديدة

وهب المستر ركفلر مدرسة كولمبيا الجامعة مئة الف ريال لتدريس العلوم النفسية . ووهب المستر كارنجي ثلثمئة الف ريال لمجمع كوبر (كوبر يونيون) في مدينة نيويورك ووهبهُ المستر هوت والمستر كوبر مئتي الف ريال لتعليم الفنون الميكانيكية . وتركت مسز هسكل ٧٥ الف ريال لمدرسة اوبرلن الجامعة وترك لها مستر اوسبرن ٤٠ الف ريال . وترك المستر دورمان ايتن مئة الف ريال لمدرسة كولمبيا الجامعة ومئة الف ريال لمدرسة هارفرد الجامعة . ووهب المستر لويس سفرنس مدرسة اوبرلن الكلية ستين الف ريال . وعزم الدكتور بيرسنس ان يهب خمس مئة الف ريال لاربع عشرة مدرسة في الولايات المتحدة . وقد وهب هذا الرجل حتى الآن مليونين وخمس مئة الف ريال للمدارس

هذا من قبيل الهبات الاميركية اما الهبات الانكليزية فقرأنا في جريدة نانشر ان الدكتور هيوز ترك لاربعة من مستشفيات انكلترا نحو ثمانمئة الف جنيه . وعسى ان نجد من الهبات المصرية العلمية ما يذكر مع هذه الهبات

الطعام والحرارة

جرَّب الاستاذ موسو في مدرسة جنوى الجامعة تجارب عديدة في الحيوان ليعلم تأثير الطعام في توليد الحرارة فوجد انهُ اذا هبطت الحرارة الحيوانية بواسطة الصوم ثم أُطعم الحيوان سكرًا اربع غرامات لكل كيلوغرام من جسمهِ ارتفعت حرارتهُ بسرعة في الربع الساعة الاول . وبلغت اعلاها في ساعة الى ساعتين وبقيت على حالها او زادت حسب مقدار السكر . ويظهر فعل السكر على اشدهِ بعد الصوم الطويل الذي تنخفض بهِ الحرارة كثيرًا . وفعل الخبز مخالف لفعل السكر فان ارتفاع الحرارة بهِ ابطأُ من ارتفاعها بالسكر ويكون ارتفاعها على اسرعهِ اذا كان صوم الحيوان قصيرًا وحرارتهُ غير منخفضة كثيرًا وذلك دليل على ان السكر اسرع من الخبز تمثلاً في بدن الحيوان الجائع

الاستاذ بيازي سميث

ولد بمدينة نابلي سنة ١٨١٩ واختير فلكيًا ملكيًا لسكتلندا سنة ١٨٤٥ فبقي في هذا المنصب ٤١ سنة وكان استاذًا للفلك العملي في مدرسة ادنبرج الجامعة ولهُ مؤلفات كثيرة علمية وادبية ومنها كتاب عن الهرم

الاكبر حاول ان يثبت منهُ ان قدماء المصريين كانوا يعرفون كثيرًا من الحقائق الفلكية . توفي في الحادي والعشرين من فبراير الماضي وهو في الحادية والثمانين من عمره

مجمع ترقية العلوم الفرنسوي

يلتئم مجمع ترقية العلوم الفرنسوي في باريس من ٢ اغسطس الى ٩ منهُ برئاسة الجنرال سبَر

الطاعون والتطعيم

عُينت لجنة علمية للبحث في نتائج التطعيم بطعم هفكن الواقي من الطاعون فقرَّرت اولاً ان التطعيم يقلل انتشار الطاعون بين المتطعمين ولكنهُ لا يقيهم منهُ وقاية تامة . ثانياً ان الوفيات بالطاعون تقلُّ بواسطة التطعيم اذ تقلُّ بهِ حوادث الطاعون وتقل بهِ الوفيات بين الذين يُطعنون . ثالثاً لا يظهر ان التطعيم يقي المطعَّم بهِ في الايام الاول بعد التطعيم . رابعاً ان مدة الوقاية بالتطعيم تدوم عدَّة اسابيع ومن المحتمل ايضاً انها تدوم عدة اشهر . خامساً ان اختلاف درجات الطعم يجعل نتائجهُ مختلفة . والظاهر انهُ يوجد مقدار معين من الطعم تنتج عنهُ الدرجة العظمى من الوقاية وحينئذٍ يمكن الاستغناء عما يزيد على هذا المقدار . سادساً ان اللجنة تشير بان يوسع نطاق التطعيم ولا سيما بين الذين يطهّرون بيوت المطعونين وامتعتهم وبين خدَّام مستشفيات الطاعون بشرط ان يكون الطعم معقَّماً جيدًا والحقنة معقمة ايضاً

السكة الكهربائية في الصين

فتحت اول سكة كهربائية في مدينة باكين عاصمة الصين فلم يستأ منها الصينيون لانها لا تفسد الهواء بدخانها ككك الحديد التي تسير بقوة البخار فتزعج الارواح الساكنة في الهواء على زعمهم

الفوتوغراف الملون

صنع المستر ايفس آلة سماها الكرمسكوب وهو يصنع للشيء ثلاث صور ملونة بالالوان الاصلية الاحمر والاخضر والازرق البنفسجي ثم توضع الواحدة منها فوق الاخرى فتظهر منها صورة واحدة ملونة بالوان ذلك الجسم الطبيعية مهما كانت وسنزيد ذلك بيانًا في جزء آخر

الاختراع في اميركا

فاقت اميركا في المخترعات كما فاقت في كل شيءٍ تقريباً فقد اعطت حكومتها في العام الماضي امتيازًا بخمسة وعشرين الف اختراع و٤٣٥ اختراعاً . واعادت الامتياز لاثنين وتسعين اختراعاً كانت مدة امتيازها قد انقضت . وبلغ دخل ادارة الامتيازات في العام الماضي مليونًا و٣٢٥ الف ريال و٤٥٧ ريالاً وبعض هذه الامتيازات للاجانب لا للاميركيين فمن ذلك ١٠٧٢ امتيازًا لاناس من الانكليز و٨٨٨ امتيازًا

لاناس من الالمانيين و٣٧١ امتيازًا لاناس من اهالي كندا و٢٩٢ امتيازًا لاناس من الفرنسويين . وتبلغ امتيازات الاختراعات في اوربا الآن ١٢٥٠٠٠٠ وفي اميركا ٧٠٠٠٠٠ او نحو ملوفي امتياز فلم يبقَ عمل من الاعمال الأَ ولبعض الناس امتياز بهِ . وسجلات الامتيازات تبلغ اربعة وسبعين الف مجلد

كشف لحم الخيل

اذا كانت الخيل سمينة سليمة فلا ضرر من اكل لحمها لكنَّ باعة اللحم قد يمزجون لحم الخيل الميتة او المريضة بلحم البقر والضان ويحشون بهِ المقانق ونحوها ويبيعونها كانها محشوة بلحم البقر والضان لا غير . ويمكن ان يكشف ذلك بان نقطع عشرون غراماً من اللحم المشكوك فيهِ قطعاً دقيقة وتغلى نحو ساعة في ١٠٠ غرام من الماء ويترك الماء يغلي حتى يبقى ثلثهُ فيبرد ويرشح ثم يؤخذ ثلثهُ و يضاف اليهِ نقط قليلة من مذوب اليود (جزء من اليود و١٢ جزءا من يود يد البوتاسيوم في ١٠٠ جزء من الماء) فاذا كان فيهِ لحم خيل تكوَّن فيهِ لون احمر بنفسجي غير ثابت

ارنب تحضن البيض

جاء في جريدة ناتشران ارنباً طردت حمامة من عشها وحضنت بيضتيها الى ان ظهر فرخاها وكان ذلك في السنة الماضية . وفي هذه السنة وُضع بيضتان في ذلك العش وهو يعلو عن الارض ست اقدام فصعدت الارنب اليهِ وحضنتها

اسرع البواخر

لما جرى استعراض البوارج الانكليزية منذ سنتين جرت الباخرة تربينيا المصنوعة آلتها البخارية على مبدإ التربين او على مبدإ الآلة البخارية التي صنعها هيرو الاسكندري من الفي سنة فبلغت سرعتها في الساعة ٣٤ ميلاً بحريًا ونصف ميل وهي اعظم سرعة بلغتها السفن البخارية وقد صنعت الآن سفينة أُخرى على اسلوب التربينا بلغت سرعتها ٣٥ ميلاً بحريًا ونصف ميل ويراد ان تصنع سفينة كبيرة من هذا النوع طولها ٢٧٠ قدماً وعرضها ٣٣ قدماً تسع ٦٠٠ راكب تقطع البحر بين فرنسا وانكلترا وتكون سرعتها ٣٠ ميلاً بحريًا في الساعة وسرعة اسرع السفن الان ٢٢ ميلاً بحريًا في الساعة

الهوَس الديني

بلغ الهوس الديني من بعض الاوربيين مبلغاً لا مثيل لهُ الاَّ في بلدان المشرق فقد احيا بعض الفرنسويين العبادة المصرية القديمة وفي نيتهم ان يبنوا هيكلاً لايسس معبودة المصريين القدماء في مدينة باريس . وذهب بعض الانكليز والاميركيين الى بلاد الهند ودانوا بالديانة البوذية وجاء بعض الاميركيين الى مصر هذا الشتاء ليأخذوا الديانة البابية

عن اصحابها وذهبت سيدة منهم الى عكاء وقابلت ابن بهاء الله لهذه الغاية

آثار اليونان والجزائر

عينت الحكومة الفرنسوية عشرين الف جنيه في السنة للبحث في آثار دلفي ببلاد اليونان ووعدت الحكومة اليونانية ان تعطيها كل ما تجده من الآثار واما اثار الجزائر وهي لها فلم تعين للنقب عنها سوى الفي جنيه في السنة كأنها ابت ان تجرد هذه المسألة العلمية المحضة من الصبغة السياسية

سكر البنجر

لم يكن سكر البنجر يستخرج منذ نحو اربعين سنة وبلغ مليون طن سنة ١٨٧٢ وسيبلغ هذا العام ٥٥١٠٠٠٠ طن اما سكر القصب الذي كان سنة ١٨٧٢ نحو ١٦٠٠٠٠٠ طن فلا يزيد الآن على ٢٩٠٤٠٠٠ طن اي ان سكر القصب لم يتضاعف في نحو ثلاثين سنة واما سكر البنجر فزاد اربعة اضعاف . وقد رخص السكر بسبب ذلك وثمنهُ الآن نحو ثلث ما كان عليهِ منذ نحو ثلاثين سنة وانتقل مقر زراعة السكر من البلدان الحارة التي يزرع فيها القصب الى البلدان الباردة التي يزرع فيها البنجر

نجم جديد متغير

اكتشفت مدام سراسكي الروسية نجماً جديداً متغيراً في صورة الغول وقد اكتشفت نجماً آخر متغيراً قبل هذا واكتشف زوجها نجماً ثالثاً متغيراً

كتب طوابع البريد

قالت السينتفك اميركان ان ادارة البريد الاميركية عزمت ان تجعل طوابع البريد في شكل كتب صغيرة في الكتاب منها من الطوابع ما ثمنهُ ريال او نصف ريال او ربع ريال حتى يسهل على المرء ان يضعها في جيبهِ من غير ان تتلف فعسى ان نرى شيئاً من ذلك في القطر المصري

المأذون الشرعي وقانون الزواج

عزمت ولاية كولورادو من ولايات اميركا ان تنيط الاذن في الزواج بلجان من الاطباء في كل لجنة منها ثلاثة اطباء طبيبين وطبيبة او طبيبتين وطبيب وهذه اللجنة تفحص طالبي الزواج فحصاً طبياً مدققاً ولا تأذن لهما فيهِ الاَّ اذا وجدتهما خاليين من بعض الامراض ولا قرابة دموية بينهما ويجب ان يكون عمر الزوج ٢٥ سنة او اكثر وعمر الزوجة ٢٢ سنة او اكثر

اشعة رنتجن لنزع الشعر

جاء في جريدة اللانست الطبية ان امرأةً في وجهها شعر غزير اريد نزعهُ باشعة رنتجن فجلست امام الآلة وغطي وجهها بورق القصدير الاَّ حيث يراد نزع الشعر منهُ والقيت عليهِ اشعة رنتجن على بعد ست عقد

وكرر ذلك اربع عشرة مرة فاخذ الشعر يقل رويداً رويداً وبعد ان كررت هذه المعالجة ٤٥ مرة زال الشعر كلهُ الاَّ تسع شعرات بقيت اسبوعاً ثم زالت. وعادت بضع شعرات الى النمو بعد زوالها فازيلت بالابر الكهربائية على ما هو معروف. والمظنون ان تعريض الشعر لاشعة رنتجن اربعين مرةً يزيلهُ تماماً ويميت اصولهُ

مسامير الصمغ الهندي

صنع الالمانيون مسامير من الصمغ الهندي ويقال انها صلبة حتى تخرق الخشب اللين الذي سمكهُ عقدة. واما اذا كان الخشب صلباً او اسمك من عقدة فيخرق مكانها اولاً ومزيتها انها لا تصدأ ولا توصل الكهربائية ولا تتلف بعض المواد الكيماوية اذا اتصلت بها

الكتابة الكيماوية

كتب الدكتور غستاف ميشو الى جريدة السينتفك اميركان يقول اذا اردت ان ترى الفعل الكيماوي على اسلوب بديع فاشترِ عشرة دراهم من ملغم الصوديوم والزيبق ولوحاً صغيراً من معدن الاليومينوم وقطعة من سلك النحاس. وابرد رأس سلك النحاس حتى يصير دقيقاً وامسح سطح لوح الالومينوم بسكين حتى ينظف جيداً ثم غط طرف السلك بالملغم واكتب بهِ على لوح الالومينوم كأنك تكتب بمداد ولو لم يعلق بهِ شيءٌ ولا يظهر شيءٌ من الكتابة اولاً ولكن لا يمضي وقت طويل حتى تأخذ الحروف ترتفع من نفسها واذا ازلتها ارتفعت ثانية وثالثةً وهلمَّ جرًّا. وذلك لان الزيبق يغير طبيعة الاليومينوم ويجعلهُ يتحد باكسجين الهواء فيتأكسد ويكبر حجمهُ حيث اتصل بهِ الزيبق

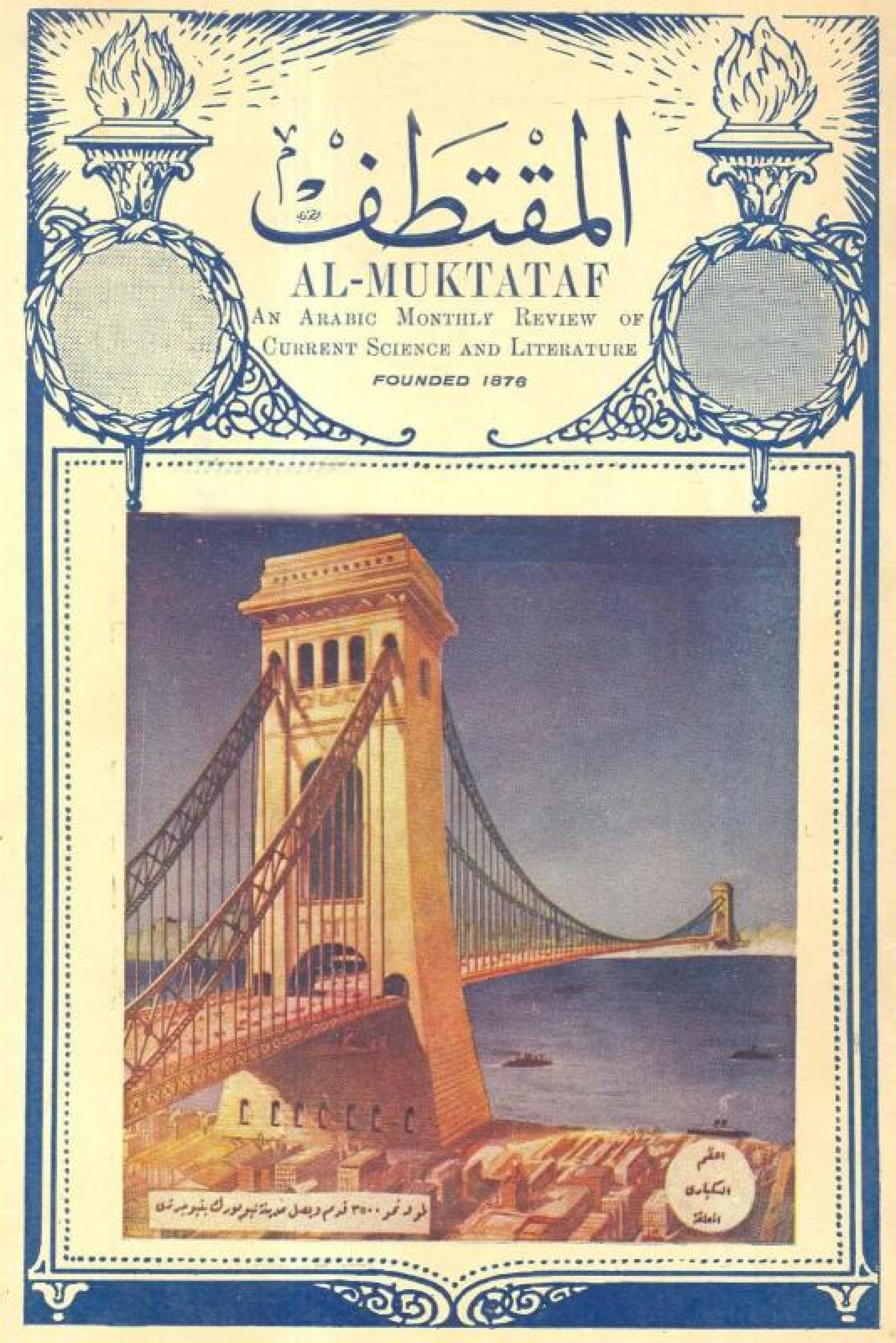
المعالجة بالحرارة الكهربائية

المعالجة بالحرارة معروفة منذ عهد طويل وقد شاهدنا بالامس احد اصدقائنا الاطباء وهو مصاب بروماتزم مزمن في يدهِ وقد حاول معالجتها بالحرارة الشديدة فما استطاع احتمالها والانسان يحتمل الحرارة الشديدة اذا كان الهواء جافاً لكنهُ يتعب كثيراً من استنشاقهِ. وقد جاء في مجلة بيرصن انهُ يمكن معالجة المرضى بالحرارة الكهربائية من غير ان يتعبوا ولو بلغت الحرارة الدرجة ٤٠٠ بميزان فارنهيت واذا بلغت الحرارة هذه الدرجة اماتت كل الميكروبات ومعلوم ان ميكروب السل يموت عند الدرجة ١٧٠ ولذلك اشار الكاتب باستعمال هذه الحرارة في معالجة المسلولين. ولا ندري كيف يمكن ان ترتفع حرارة الجسم كلهِ فوق درجة الغليان وهو مملوءٌ بالسوائل التي تتبخر عند تلك الدرجة

خريطة من الجواهر

يصنع الروسيون خريطة لبلاد فرنسا ولاياتها من انواع مختلفة من حجر اليشب والبحر من حجر اللازورد والانهر من البلاتين والمدن من الحجارة الكريمة وستعرض في معرض باريس

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

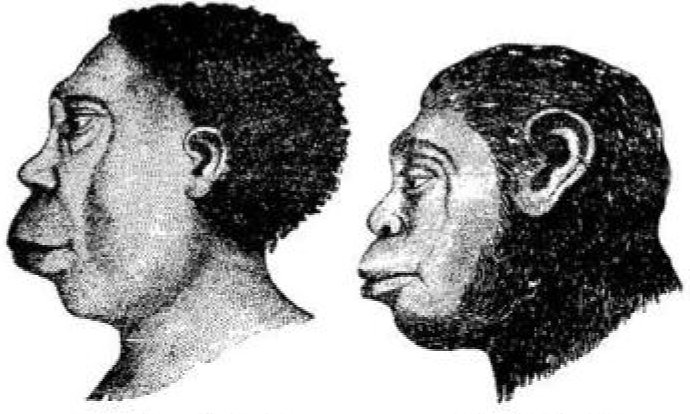

المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876
طوله نحو ٣٥٠٠ قدم ويصل مدينة نيويورك بنيوجرسي

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الرابع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢ محرم سنة ١٣١٨

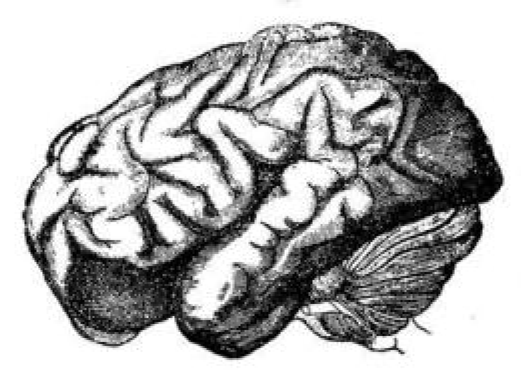
الانسان والحيوان الاعجم



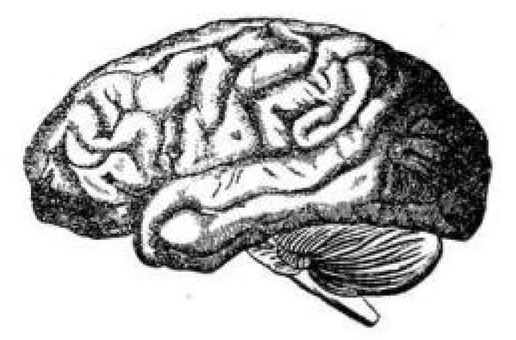
(١) انثى الغورلا (٢) امرأة من الهوتنتوت

أيدري من ينظر الى هاتين الصورتين ان اليمنى منهما صورة رأس قردة من القرود المعروفة بالغورلاَّ وقد هُذّب شعرها بعض التهذيب . واليسرى صورة راس امرأة من نساء الهوتنتوت سكان مستعمرة الراس الاصليين في جنوبي افريقية. ويكاد الشبه يكون تامًّا بين هاتين الصورتين حتى لو وضعت بجانبهما صورة راس امرأة من الجنس القوقاسي لظهر لاول وهلة ان الفرق بين شكل القوقاسية والزنجية اعظم من الفرق بين شكل الزنجية وانثى الغورلاَّ. أُنظر الى غور الذقن وبروز الفم وبرطمة الشفتين وفطس الانف وارتفاع الحجاج فانك تكاد تجد الغورلاَّ ارق من الزنوج في ذلك كلهِ . اما الجبهة فاعرض في الزنجية والاذن اصغر والجمجمة اوسع ولولا ذلك لحكمنا ان الغورلاَّ مثلها او ارق منها

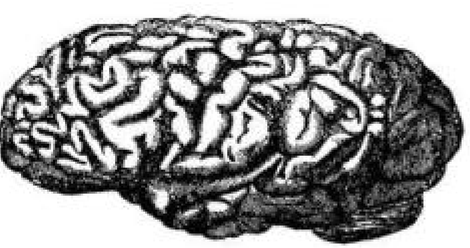
ثم اذا قابلت بين ادمغة القرود والمتوحشين والمتمدنين رأيتها متدرجة وتكاد ادمغة المتوحشين تكون اقرب الى ادمغة القرود شكلاً منها الى ادمغة المتمدنين كما ترى في الشكل الثالث والرابع والخامس فان الاول منها صورة دماغ قرد من القرود الكبيرة المعروفة بالارانج اوتانج والثاني صورة دماغ امرأة من نساء البشمن سكان جنوبي افريقية الاصليين وهي المعروفة بزهرة البشمن ويرى جسمها مصبَّرًا في باريس حتى الآن. والثالث صورة دماغ غوس العالم الرياضي الشهير. واذا كانت العبرة بكثرة التلافيف وغورها فدماغ المتوحشين متوسط بين ادمغة المتمدنين وادمغة القرود وقد تكون اقرب الى ادمغة القرود منها الى ادمغة المتمدنين



(٣) دماغ الارانج اوتانج



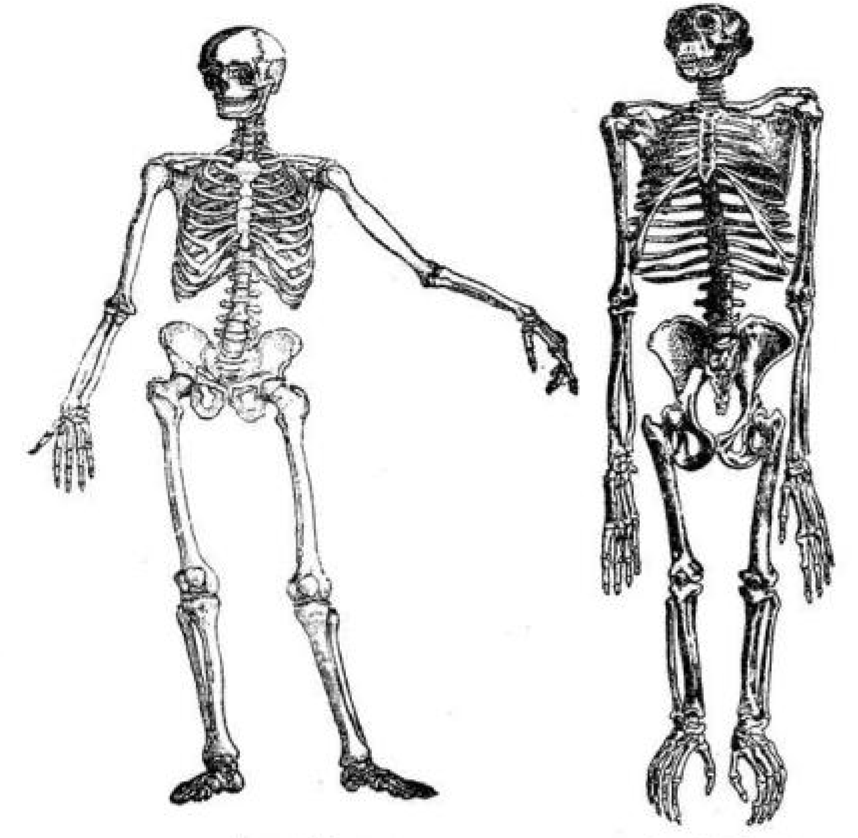
(٤) دماغ زهرة البشمن



(٥) دماغ غوس الرياضي

واذا عدنا الى شكل الجسم كله الى الهيكل البشري والهيكل الحيواني رأينا بينهما مشابهة كبيرة فلا تكاد توجد عظمة في هيكل الانسان الا وتوجد عظمة مثلها شكلاً ووضعاً في هيكل الحيوان ولاسيما العجماوات القريبة من الانسان شكلاً كالغورلا والشمبانزي والأرانج اوتانج وهي ارقى انواع القرود. ترى في الشكل السادس والسابع صورة هيكل الانسان وهيكل الشمبانزي . فالراس والعنق والصدر والجذع والذراعان واليدان والساقان في كل ذلك من المشابهة ما يقضي بالعجب ولكن

ما من عظمة في القرد الأ وتختلف عما يماثلها من عظام الانسان اختلافاً يراه علماء التشريح جليًّا ولو لم يرهُ سواهم. وقد يكون الاختلاف ظاهرًا كما في شكل القدمين حتى حسبت قدما القرد يدين ولقبت القرود بذوات الايدي الاربع لكن المدققين من علماء الحياة عادوا فاثبتوا ان قدمي القرد كقدمي الانسان ولو ماثل شكلهما الظاهر يديهِ. وهذا ايضاً لم ينفِ ما تقدَّم من ان كل عظمة من عظام القرد تفرق عما يقابلها من عظام الانسان

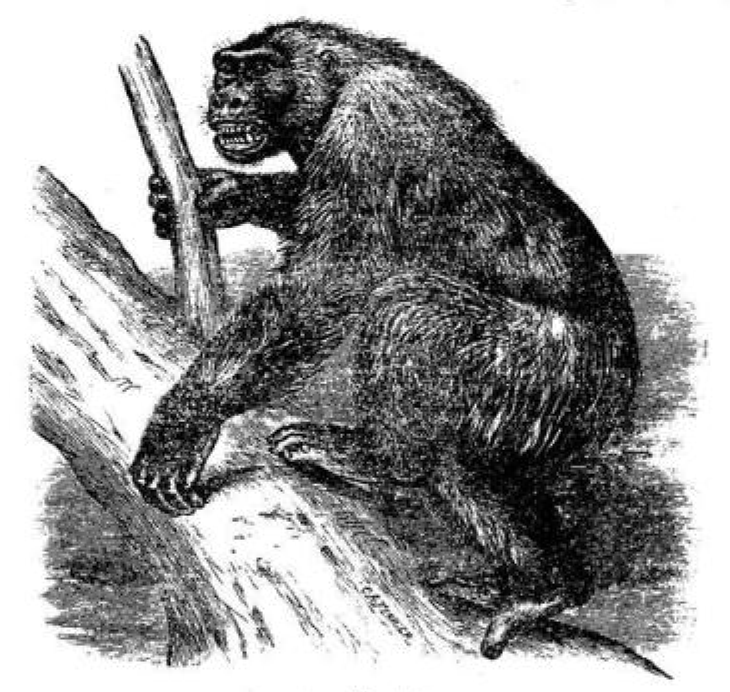


(٦) هيكل الشمبانزي (٧) هيكل الانسان

وكذلك شكل الانسان الظاهر وشكل القرد الظاهر فان بينهما اختلافاً كبيرًا كما ترى في الغورلا المرسوم في الشكل الثامن فانهُ لا يكاد يفرق عن الدب في يديهِ ورجليهِ وسائر بدنهِ ما خلا رأسهُ. وفي ذلك كلهِ من الهيئة الوحشية ما يبعدهُ عن كل طوائف الناس مهما انحطت ناهيك بشعرهِ الذي يغطي بدنهُ كلهُ كما يغطي الشعر بدن الادباب والضباع فتهطل

عليهِ الامطار الغزيرة وهو جالس القرفصاء لا يشكو ضيماً لان المطر يقع على شعرهِ الطويل ويجري عليهِ فلا ينالهُ منهُ بلل

وكان الكتَّاب الاقدمون ومنهم كتَّاب العرب يقولون ان الانسان في جسمهِ حيوان لا فرق بينهُ وبين العجماوات الا كالفرق بين نوع وآخر من انواعها . وكانوا يحسبون القرد قادراً على كل ما يقدر عليهِ الانسان من الاعمال والصناعات لكنهم لم يبحثوا في هل الانسان مرتقٍ من العجماوات ارتقاء او هو مخلوق كذلك منذ اول عهدهِ لان القول بانهُ مخلوق كذلك عليهِ



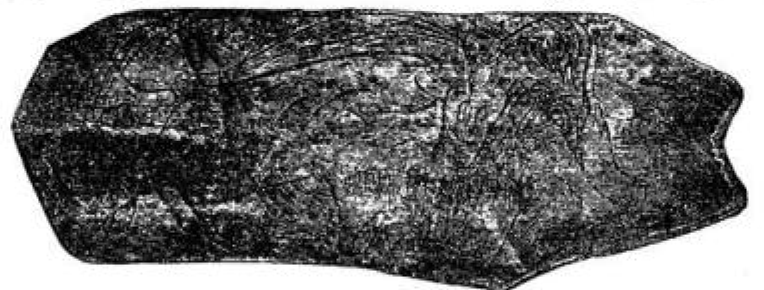
(٨) الغورلا

نص صريح في اكثر الكتب الدينية فلا سبيل الى الشك فيهِ. الى ان كان القرن الماضي فذهب بعض العلماء ومنهم بفون ولامارك واراسموس داروِن جد تشارلس داروِن الى ان جسد الانسان لم يكن من اول عهدهِ كما نراهُ الآن بل كان مثل اجساد بعض القرود ثم تغير رويداً رويداً فبعُد بعضهُ كثيراً عن الصورة الوحشية وبقي البعض الآخر قريباً منها وهذا سبب الفرق الكبير بين المتمدنين والمتوحشين من نوع الانسان

ثم بحث الشهير تشارلس داروِن في هذا المذهب وجمع الادلة الكثيرة عليهِ في كتابهِ

المعنون بتولُّد الانسان وارتأى ان بعض الاسباب الطبيعية كالانتخاب الطبيعي والجنسي كافٍ لحدوث ما حدث من التغير المتوالي في جسم هذا الحيوان حتى صار انسانًا . وتبعهُ في ذلك جمهور كبير من العلماء الطبيعيين ووافقوهُ كلهم اجمالاً في تولُّد الانسان والانواع كلها بعضها من بعض ولو خالفوهُ تفصيلاً في اسباب هذا التولد وفي ايها اقوى من غيره . لكن بقي فريق من العلماء الطبيعيين وجمهور كبير من الفلاسفة يقول ان الانسان خُلق مستقلاً في الصورة التي نراهُ فيها الآن او ان جسده ارتقى ارتقاء بالنشوء الطبيعي واما نفسهُ فاعطاه الله اياها مباشرةً . وفي الوقوف على آراء الفريقين من اللذة العقلية ما لا يُرى في افكه الروايات الغرامية

ولا نعرف الانسان الاَّ منتصب القامة بادي البشرة ناطقًا عاقلاً يصنع الآلات والادوات ويضرم النار يتدفأ بها ويصلح طعامهُ . هذا شأنهُ الآن مهما انحطَّ وتوغل في الهمجية كما ترى



(٩) صورة الموث على قطعة من عاج

من الفصول الكثيرة التي نشرناها في العام الماضي عن سكان استراليا الاصليين . وهذا كان شأنهُ في اقدم العصور الجيولوجية التي وُجدت فيها آثارهُ . ففي الصناعة كان يصنع القسي والسهام والحراب وقد مهر في كسر حجارة الصوان حتى صنع منها نصالاً لسهامهِ يعجز ابناء هذا العصر عن الاتيان بما يفوقها اتقانًا . وكان يصور الحيوانات التي كانت معاصرة لهُ وقد بادت الآن كالموث او الفيل الكبير الذي توجد آثارهُ في طبقات الارض وتحت ثلوج سيبيريا كما ترى في الشكل التاسع وهو صورة هذا الحيوان على قطعة من عاجٍ نقشها الانسان الوحشي في غابر الازمان لما كان معاصرًا لهُ

وهو الحيوان الوحيد الذي يضرم النار ويصلح بها طعامهُ . ولا نعلم كيف اهتدى الى اضرامها اولاً ولكن لا يبعد انهُ رأى الشرر يتطاير من وقوع حجر على آخر اي رأى النار تضرم من احتكاك الحجارة والمعادن فاستخدم الاحتكاك لاضرامها او جلبها من جوار البراكين او

المناجم الكبريتية فاحتفظ بها للدفإِ اولاً ثم لاصلاح الطعام

وهو الحيوان الوحيد الذي تسلح وهاجم اعداءَهُ باسلحة صنعها من الحجارة والمعادن . ولا عبرة بما يفعلهُ الفيل احياناً فانهُ قد يكسر غصناً من الاشجار ويذبُّ بهِ الذباب اما الانسان فيهجم على عدوهِ هجوماً بالاسلحة التي يتخذها لذلك وقد تدرَّج في هذه الاسلحة من الحجارة والعظام الى المعادن على انواعها والآن يقتل خصمهُ بمقذوفات يقذفها اليهِ فتصلهُ على عشرة اميال او اكثر

وهو الحيوان الوحيد الذي سلخ جلود الحيوانات وارتدى بها وازدان بريش الطيور وصدف المحار وصنع القوارب وعبر بها الانهار وخاض لجج البحار. ومن تلك المبادىء الطفيفة نشأت معامل الغزل والنسج وصُنعت البواخر والبوارج . وتلك المبادىء لم تزل شائعة عند المتوحشين لا يعرفون غيرها ولكنهم اذا اقتبسوا العلوم والفنون من المتمدنين اقتدوا بهم في اللباس والزينة وشاركوهم في كل اساليب الحضارة ولوازمها كما ترى في ما كتبناهُ عن وشنطون بوكر ومدرسة تسكجي في الجزء الاول من اجزاء هذه السنة

وقد اختلف الباحثون في وطن الانسان الاول فاهل الكتاب مختلفون في مكان جنة عدن والنشئيون مختلفون في المكان الذي ظهرت فيهِ التغيرات الكبيرة في الحيوانات التي تولّد الناس منها. والرأي الشائع عندهم ان هذا المكان في جنوبي اسيا او قلب افريقية اي في الاماكن الحارَّة التي توجد فيها القرود الشبيهة بالانسان. وهو اما قد يكون قد ارتقى من اصل واحد في مكان واحد ثم تفرَّق وتشعب او من اصول عديدة في اماكن مختلفة ثم امتزج بعض الامتزاج . ومجال البحث في ذلك واسع جداً ولا يتجاوز اكثرهُ الظنون والمرجحات

ويظهر من آثار الانسان انهُ كان في اول عهدهِ يعيش بالصيد والقنص فان آثارهُ الباقية في الكهوف القديمة يوجد معها صنانير وحراب مما يستعمل في صيد السمك والوحوش . ولكن يرجح انهُ كان يغتذي ايضاً بما يجمعهُ من الاثمار والجذور والبزور شأن المتوحشين في اكثر البلدان النائية . والظاهر انهُ اتقن صناعة الصيد قبلما اعتنى بفلاحة الارض فبرع في عمل الحراب والقسي والسهام قبلما حرث الارض وزرعها

وقد قسم بعضهم تاريخ الانسان من هذا القبيل الى ثلاثة ادوار دور الصيد والقنص ودور الرعاية اي الاغتذاء باثمار الارض وجذورها من غير حرث ولا زرع ودور الفلاحة حينما صار يحرث الارض ويزرعها . وهذه الادوار الثلاثة لا تزال موجودة حتى الآن

ومن مزايا الانسان انهُ ربَّى بعض الحيوانات واستخدمها في اعمالهِ والمظنون انهُ ربَّى

الكلب اولاً ثم الخنزير ثم الابل ثم الغنم فالبقر فالخيل فالمعزى فالجمال فالافيال فالقطط

وسارت بعض طوائف الانسان سيرًا حثيثًا في سبل العمران حتى بلغت في الصين والهند والعراق ومصر مبلغاً عظيماً منذ أُلوف كثيرة من السنين . وكان الفرق بين سكان تلك البلدان وبين مجاوريهم كبيرًا جدًّا حتى قبل عصر التاريخ . فان الاختلاف في اللون والهيئة بين الزنجي والحبشي والمصري والشامي كان واضحاً حينئذٍ كما هو الآن بدليل ما يرى من الصور المرسومة في الآثار المصرية من عهد الفراعنة الاولين كما ترى في الشكل العاشر

وحبذا لو اقتصر امتياز الانسان على ما منهُ نفع لهُ او دفع ضرعنهُ ولكنهُ تناول ايضاً شرورًا لم يأْتها الحيوان الاعجم كشرب المسكرات والمخدرات والمنبهات على اشكالها وانواعها.



(١٠) اسرى المصريين

وتطرَّف ابن آدم في الحرب حتى فاق العجماوات وفاتها بمراحل كثيرة فان العجماوات تقتتل ولكنها قلما تفعل ذلك على اسلوب منتظم الاَّ اذا صحَّ ما يروى عن النمل وجيوشهِ التي يحارب بعضها بعضاً حروبًا منتظمة. واذا صحَّ كل ما يروى عن النمل فيكون هو الحيوان الوحيد الذي شارك الانسان في حرث الارض وزرعها وخزن الحبوب والمؤَن وتربية المواشي وتعليفها

ثم اذا التفتنا الى نظام العائلة ودرجات ارتقائهِ وتدرَّجنا الى الشعائر الدينية وسلطتها على نفس الانسان والى الآداب والفضائل رأينا البعد بينهُ وبين الحيوان الاعجم يزيد اتساعاً حتى لا يبقى سبيل للريب في ان المرتقين من نوع الانسان قد بعدوا بعدًا شاسعاً عن شركائهم في الحيوانية سواءٌ كان ارتقاؤهم هذا خاضعاً لسنن طبيعية سنها الله لهذا الكون اوناتجاً عن عناية خاصة خارقة لسنن الطبيعة

الاستاذ سنت جورج ميفارت

فاجأنا نعيُ هذا العالم الكبير والكاتب الشهير ونحن نقرأ احتجاجهُ على الذين وقف علمهُ وقلمهُ للدفاع عنهم وننظر في احتجاج الذين رأوا الحق في جانبهِ فنصروهُ وسفّهوا رأي الذين قضوا بحرمانهِ مما افتداهُ بكل مرتخص وغالٍ . ولقد كنا نعجب باخلاصهِ في الدفاع عن الكنيسة التي اعتنق مذهبها حتى خيل لنا انها على الحق في امر جوهري تخالفها فيهِ ولكن لم يقوَ فينا هذا الخيال ويصير يقيناً حتى رأينا صواعق الحرمان تنهال على رأسهِ فعلمنا كما علم هو انهُ كان مخطئاً. وقبل ان يقول القول الفصل فاجأتهُ سهام المنية في غرة هذا الشهر (ابريل) وهو في الثالثة والسبعين من عمرهِ

ولد بمدينة لندن في العشرين من نوفمبر سنة ١٨٢٧ ودرس في مدرسة الملك واعتنق المذهب الكاثوليكي سنة ١٨٤٤ فحُرم من اتمام دروسهِ في مدرسة اكسفرد الجامعة عملاً بقوانين تلك الايام . ودرس علم القوانين وعلم الطب . واكبَّ على العلوم البيولوجية فذاعت شهرتهُ منذ سنة ١٨٦٢ وعُيّن خطيباً في المدرسة الطبية بمستشفى القديسة مريم واختير عضواً في الجمعية الملكية وفي كثير من الجمعيات العلمية وجُعل استاذاً للبيولوجيا (علم الحياة) في مدرسة لندن الجامعة ومنحهُ البابا لقب دكتور في الفلسفة وجُعل استاذاً لفلسفة البيولوجيا في مدرسة لوقين الجامعة

ولهُ من المؤلفات (١) تكوين الانواع (٢) الانسان والقرود . (٣) دروس في احوال التشريح . (٤) دروس من الطبيعة (٥) الهر (٦) الطبيعة والفكر (٧) الصدق (٨) اصل العقل (٩) مقالات وانتقادات (١٠) اشكال الاحياء (١١) مقدمة في مبادىء العلوم (١٢) الطيور . ولهُ مقالات شتى في كثير من المجلات ولاسيما مجلة القرن التاسع عشر ومناظرات علمية مع اشهر العلماء

نشر كتابهُ تكوين الانواع سنة ١٨٧١ فبلغ بهِ اوج شهرتهِ العلمية ولاسيما لانهُ استحق ان ينتقدهُ الاستاذ هكسلي . وكان غرضهُ فيهِ الحط من قيمة الانتخاب الطبيعي في تكوين الانواع ونسبة تكونها الى الارشاد الالهي فنشبت نار الجدال بينهُ وبين هكسلي وتقاطعا عشر سنوات ثم اصطلحا . ولما توفي هكسلي منذ اربع سنوات رثاهُ ميفارت وعدَّد مناقبهُ في مقالة مسهبة ترجمناهُ ونشرناها في مقتطف ابريل سنة ١٨٩٨ وعنونّاها " لا عداء في العلم " ومن قولهِ فيها

"ولقد كان الاستاذ هكسلي صديقاً صدوقاً ثابتاً كريماً . كان جديراً بالإكرام لسمو عقلهِ

واجدر بهِ لكرم اخلاقهِ وحبهِ لاصدقائهِ . وكان ايضاً مخلصاً في بغض خصومهِ كما كان مخلصاً في حب انصارهِ ولكن العداء والتآني قلما يجتمعان فاذا خمدت نار الجدال عدل الانسان في احكامهِ واستبدل بوادر الغضب بالعفو والسماح

واني انتهز هذه الفرصة لبثّ ما اشعر بهِ مما انا مديون فيهِ لهُ ولوصفهِ كما ظهر لي في احوال مختلفة . ولولا علاقة ما سأذكرهُ من اموري بهِ وبايضاح بعض اوصافهِ لكنت اتجنب نشرهُ حتماً . وليس من غرضي ان انفي ما كان من الاختلاف بيننا في الآراء ولا ان ابيّن ان الايام واتساع المعارف ازالتهُ كلاّ بل ان ذلك الاختلاف باقٍ على حالهِ وبقاؤهُ يساعد كثيرين على قبول شهادتي بما للاستاذ هكسلي من الفضل وما يستحقهُ من الاكرام . وهذا الفضل اعترف لهُ بهِ وهذا الاكرام راسخ لهُ في نفسي ولو جفاني اشدَّ الجفاء . وليس من غرضي ايضاً ان اخوض في مواضيع الخلاف بيننا بل ان اصوّر ذلك الفقيد الكريم لذهن القارىء واصف اخلاقهُ كما اختبرتها بنفسي

وقد تطرّف بعض خصومهِ في دعاويهم حتى ادّعى بعضهم انهُ يجب على الانسان التمسك ببعض العقائد ولو علم ان العلم سينقضها حتماً . اما هكسلي فرأى جليًّا ان الانسان غير مضطر ادبيًّا الى تصديق كل معتقد وكل قول وان موقف العالم موقف المرتاب الباحث عن الحقيقة . وعلى كل من يستحق اسم العالم ان لا يستنكف من النظر في كل دليل جديد ولو كان مناقضاً لما يعتقد انهُ من الامور المقرَّرة . هذا هو الواجب على كل عالم ومن يخالفهُ يحتقر قواهُ العقلية ويحسب انها لا تستحق ان يعتمد عليها

ولما اطلعتُ على مذاهب هكسلي في مسائل التشريح والاساليب التي يوضحها بها طلبت الانتظام بين تلامذتهِ ودخلت غرفتهُ لاعرض عليهِ طلبي وكان يشرح مرًّا من اسماك البحر اظهارًا لاعصابهِ فرحّب بي ولم يقبل ان اكون تلميذًا لهُ بل ان اساعدهُ في خطبهِ كصديق. فحضرت خطبهُ بعد ذلك مدة سنتين . وقد سمعت كثيرين يخطبون ولكن لم اسمع احدًا يخطب مثل الاستاذ هكسلي فانهُ كان فصيح العبارة واضح البيان ينتقي الالفاظ انتقاء فتأتي على قدر المعاني ويملّح الكلام بالنكت الادبية فيشوق السامعين ويروقهم ويتبع الالفاظ بملامح تقرأها العين فتراها منطبقةً على ما تسمعهُ الاذن

وسنة ١٨٦٨ خامرني ريب في مسألة الانتخاب الطبيعي وساعدني على ذلك الاب روبرتس وهو من العلماء المدققين وكان صديقاً لي ولهكسلي . وكنت قد سمعت كثيرًا مما يقال في تأييد المذهب الداروني من هكسلي وولس وهيكل ومن دارون نفسهِ ولكن الريب كان يزيد

في نفسي يوماً فيوماً ولا سيما من حيث علاقة هذا المذهب بالعقائد الدينية واخيراً كاشفت هكسلي بما في ضميري فاندهش من ذلك لكنهُ لم يحل عما عوَّدني من اللطف وكرم الاخلاق. وفي اليوم التالي كنا نتذاكر في هذا الموضوع فادَّت بنا المذاكرة الى الجدال لكن علاقتنا العائلية بقيت على حالها وكنت ادعوهُ الى الغداء مرة ويدعوني أُخرى . وفي ذات يوم دار الحديث على اطلاق الحرية لكل احد ليعتقد ما يشاء والتفتُّ اليهِ متوقعاً منهُ ان يؤيد كلامي فقال لا تنتظر مني تأييد هذا الرأي فقلت لهُ وكيف ذلك قال ان الضلال يجب ان يزال ولو بالقوة فقلت لهُ انك ادهشتني بهذا القول فهل تبرّر الذين كانوا يضطهدون غيرهم لضلال ينسبونهُ اليهم فقال انهم كانوا مصيبين في الغاية ولو اخطأُوا في الواسطة فقلتُ ان حرق الانسان حيّاً لاجل مذهبهِ واسطة قبيحة فقال مازحاً نعم ولا سيما لان اللحم المحروق كريه الرائحة . فضحكنا واغفلنا الموضوع "

وهذه المقالة من ادلّ الادلَّة على ما اتصف بهِ ميفارت من كرم الاخلاق وبلاغة الانشاء وارتفاع المنزلة بين رجال العلم

وخلاصة ماذهب اليهِ وخالف بهِ داروِن وهكسلي وغيرهما من زعماء النشئيين ان عقل الانسان غير متولد بالنشوء الطبيعي لجسدهِ لكنهُ هبة الهيَّة خاصَّة وقد بحث في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً في كتابهِ الطبيعة والفكر الذي نشرهُ سنة ١٨٨٢ وكتابهِ اصل عقل الانسان الذي نشرهُ سنة ١٨٨٩ وفي مقالات شتَّى بانياً احكامهُ على بحثهِ الدقيق في تشريح المقابلة فانهُ كان من الثقات في تشريح القرود والضواري وآكلات الحشرات وهو الذي كتب مقالة القرود للطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية

والحادثة الاخيرة التي اشرنا اليها في صدر هذه الترجمة الوجيزة هي ان ميفارت نشر مقالة في مجلة الفورتنَيْتلي في اول هذا العام قال فيها " ان الخطر العظيم على الديانة الكاثوليكية هو ان زعماءها قلما يبالون بالحقائق العلمية وقد يظهرون العداء لها حتى لو أُعطوا السلطة الكافية لاستحلوا كل نوع من الخداع والتمويه على عقول البسطاء كما دلّت بعض الامور الحديثة " ثم قال اقوالاً اشدَّ وقعاً من هذه واشدَّ ايلاماً في نفوس المسيحيين الذين يعتقدون بالوحي. فما كان من الكردينال فون الانكليزي الاَّ انهُ حرمهُ من تناول الاسرار وكتب لهُ صورة من قانون الايمان طلب منهُ ان يعترف بها ويمضيها بيدهِ . ومن مواد هذا القانون الاعتراف بان اسفار التوراة والانجيل كلها كُتبت بوحي الروح القدس والله نفسهُ مؤلفها . فابى ميفارت ان يمضي هذا القانون قائلاً انهُ لا يعتقد صحة ما جاء في التوراة عن الحية والشجرة وبرج بابل

وسفينة نوح وضربات مصر وتوقيف يشوع للشمس وبقاء يونان حياً في بطن الحوت وتحول امرأة نوح الى عمود ملح وتكلم اتان بلعام ونحو ذلك

وكنا نحسب انهُ يتملق بعض الرؤساء لشدة حذرهِ في ما يكتبهُ عنهم الى ان ظهرت مقالاتهُ الاخيرة فاذا هو قد طرح ثوب الحذر كمن ضاق بهِ ذرعا وصرَّح بما كان يلمح اليهِ تلميحاً. وقبل ان يزول صدى اقوالهِ من الآذان ويمحى اثر احتجاجهِ من الاذهان فاجأتهُ المنية فمضى مأسوفاً عليهِ مذكوراً بفضائلهِ وفواضلهِ

عثمان باشا الغازي

ذكرنا في المقالة السابقة ترجمة رجل من اكبر رجال القلم فقدتهُ الامة الانكليزية في غرة ابريل ولم نكد نأتي على ترجمتهِ حتى نعى الينا البرق في الخامس من ابريل رجلاً من اعظم رجال السيف فقدتهُ الامة العثمانية وهو القائد الشهير والمشير الخطير عثمان باشا الغازي

وُلد بمدينة طوقات من اعمال بر الاناضول سنة ١٨٣٢ وتلقى الدروس الابتدائية في المكتب الاعدادي بالاستانة وكان اخوهُ استاذ العربية فيهِ ثم انتقل الى المدرسة الحربية فنبغ فيها وفاق الاقران وخرج منها سنة ١٨٥٣ وجُعل ملازماً في اركان الحرب بُعيد شبوب حرب القرم وامتاز بالبسالة وحسن القيادة. ولما انتهت الحرب رقي الى رتبة يوزباشي في الحرس السلطاني ولم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى رقي الى رتبة بكباشي وأُرسل مع الجنود الى كريت لاخماد ثورتها سنة ١٨٦٦ و ١٨٦٩ وعاد الى الاستانة بعد اخماد الثورة فرُقي الى رتبة اميرالاي ثم الى رتبة اميرلواء بعد اخماد ثورة اليمن

ولما نشبت الحرب بين الدولة العلية وبلاد الصرب أُعطي قيادة الجنود التي كانت في مدينة ودن فابدى من الهمة والبسالة واصالة الراي ما جوزي عليهِ برتبة المشيرية . ثم ثارت الحرب بين الدولة العلية والروس وكان لم يزل في مدينة ودن فوُضع تحت امرهِ ٦٨ اورطة من المشاة و١٦ من الفرسان و١٧٤ مدفعاً فتقدم بهذا الجيش الى بلافنا لانها في ملتقى الطرق بين ودن وصوفيا وشبكة وبيلا وزمنتزا ونيكوبولي وموقعها الطبيعي من امنع المواقع . ولقي الروس هناك وكسرهم واضطرهم الى تغيير خطتهم الحربية ونزل في بلافنا وحصنها امنع تحصين فحاصرهُ الروس حصاراً شديداً فخرج اليهم في ٧ سبتمبر واوقع بهم وكان في جيشهم ٧٥ الف راجل و٦٠ الف فارس فخسروا نحو عشرين الفاً بين قتيل وجريح . ولما بلغ خبر هذا النصر الحضرة السلطانية

لقّبهُ بالغازي ومنحهُ النشان العثماني الاول . ثم لما اشتدَّ عليهِ الحصار ونفد ما عندهُ من الزاد ورأى انهُ لا يستطيع البقاء في بلافنا حاول الخروج منها برجالهِ واختراق صفوف الروس المحاصرين لها فاحدقوا بهِ واسروهُ بعد ان سقط جريحاً برصاصة اصابت فخذهُ واسروا معهُ اربعين الفاً من الجنود وغنموا اربع مئة مدفع وكان فتحهم للمدينة بعد حصار ١٤٢ يوماً وقد خسروا في فتحها اربعين الفاً بين قتيل وجريح وخسر المحاصرون ثلاثين الفاً وكان فتحها في العاشر من دسمبر سنة ١٨٧٧

وقابلهُ الروس بالتعظيم العسكري وقت تسليمهِ لما شاهدوهُ من بسالتهِ وعلو همتهِ وبعث اليهِ قائدهم مركبة يركب فيها وسار في اليوم التالي وقابل القيصر فقام لهُ ورحّب بهِ معجباً ببسالتهِ وردَّ اليهِ سيفهُ واذن لهُ ان يتقلدهُ في بلادهِ

ولما وضعت الحرب اوزارها وأُبرمت شروط الصلح سنة ١٨٧٨ عاد الى الاستانة وجُعل قائداً للحرس الملكي ومشيراً للمابين ثم والياً لكريت . وولي تنظيم الجيش العثماني وقُلد نظارة الحربية مراراً . وقد اطبق الناس على مدحهِ واجمع الكتّاب على الاعجاب ببسالتهِ . والعثمانيون جميعهم يذكرونهُ بالفخر ويعترفون لهُ بالفضل

راس نوم بلاد الذهب

لما ابتاعت الولايات الاميركية بلاد الاسكا من دولة الروس سنة ١٨٦٧ بسبعة ملايين ومئتَي الف ريال حُسِب انها صفقة خاسرة على اميركا لان اشتداد البرد في تلك البلاد يمنع زرعها وتعميرها . لكن الذهب غرار يقصدهُ المرء اينما كان ويتجشَّم في طلبهِ كل المشاق ولا يبالي بحرٍ ولا ببرد فلم يكد يُكتشَف في كلنديك حتى قصدها الالوف على شدَّة بردها وكثرة بعوضها وابتعادها عن كل اسباب الحضارة . والآن كُشف في رأس نوم عند ساحل بحر بيرنج ولم يكد هذا الخبر يبلغ آذان طلاَّب النضار حتى شدوا الرحال وقصدوا تلك الاصقاع النائية في الصيف الماضي فلم يكادوا يبلغونها حتى وجدوها قد صارت في حوزة غيرهم كأن الرياح الاربع حملت الخبر ونشرتهُ في اقطار المسكونة ولم يمضِ شهران حتى بنيت البيوت وقاية من زمهرير الشتاء اوى اليها نحو اربعة آلاف نفس من طلاَّب الذهب وسيبلغ عددهم عشرين الفاً او اكثر هذا الصيف . وفي اقل من شهرين جمع هؤلاء الناس من شذور الذهب وتبرهِ ما يساوي مليوناً من الريالات الاميركية اي مئتي الف جنيه

وبلغ الاستاذ هلبرن الاميركي روايات غريبة عن وفرة الذهب في رأس نوم فقصدهُ في شهر اكتوبر الماضي وجال فيهِ وبحث في اوصافهِ الطبيعية والجيولوجية وكتب مقالة مسهبة في مجلة العلم العام الاميركية اتى فيها على وصفهِ . قال ان المستنقعات تغطي تلك البلاد في اشهر الحر حتى يتعذَّر السير فيها ولكن تحتها على قدمين او ثلاثة تبقى الارض مجلودة على مدار السنة واما في اشهر البرد فتجلد كلها و يصير السير فيها سهلاً

والذهب منتشر هناك بين رمال الساحل واكثرهُ تبر دقيق فلما يسهل استخلاصهُ بغير الزيبق وقد تكون فيهِ شذور صغيرة تساوي الشذرة منها غرشاً او غرشين او اكثر الى خمسة غروش . وقد بلغ عدد الذين استخرجوا الذهب في الصيف الماضي ١٥٠٠ نفس وبلغ ما استخرجهُ كلٌّ منهم في اليوم ثلاثة جنيهات على المتوسط وكثيرًا ما كان يبلغ اثني عشر جنيهاً الى خمسة عشر واستخرج اثنان من بقعة واحدة ما يساوي ثلاثين جنيهاً في تسع ساعات لا غير . واستخرج اثنان مدة الصيف الماضي ما يساوي الفين وستمئة جنيه واثنان آخران ما يساوي تسع مئة جنيه في شهر واحد

والارض رملية حصوية ويكون الذهب ممزوجاً برملها في البر وفي البحر ايضاً وتحت الرمل على متر او مترين طبقة صخرية لا ذهب فيها . وقد وجدت بين الحصى شذور كبيرة من الذهب بلغ طول واحدة منها اربع عقد وثمنها ٦٢ جنيهاً وبلغ ثمن واحدة اخرى اكبر منها نحو مئة جنيه

وترجح دار الضرب في الولايات المتحدة الاميركية ان الذهب الذي يستخرج من هناك هذا العام اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات فاذا صحَّ ذلك فقد وُجد ما يعوّض عن جانب من مناجم الترنسفال فانهُ كان ينتظر ان يستخرج منها هذا العام ما يساوي عشرين الف جنيه لولا الحرب الضاربة اطنابها ولكن لا ينتظر الآن ان يستخرج منها هذه السنة سوى خمسة آلاف جنيه

وقد بُنيت هناك مدينة سميت مدينة نوم لم يكن فيها احد في شهر يونيو الماضي فبلغ عدد سكانها في اواسط سبتمبر نحو اربعة آلاف نفس بنوا فيها بيوتاً من خشب جلبوهُ عن بعد الفي ميل . وتشتدُّ العواصف في فصل الشتاء حتى تبلغ سرعة الريح ثمانين ميلاً في الساعة ويبلغ البرد الدرجة ٦٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت ومع ذلك يحتمل هؤلاء الناس عصف العواصف وبرد الزمهرير . وكانوا قد اعدوا شيئاً من الوقود للشتاء من الخشب الذي تجرفهُ اليهم مياه البحر ومن الفحم الحجري الذي اتوا بهِ الى هناك وبلغ ثمن الطن من الفحم الحجري في اكتوبر الماضي ٧٥ شلناً وثمن رطل اللحم عشرين غرشاً وثمن البرتقالة خمسة غروش والبطيخة خمسة ريالات ثم تضاعفت هذه الاثمان كلها في الاسبوع الاول من نوفمبر

آثار السوس

لما استدعت الحكومة الفرنسوية المسيوده مورغان من هذا القطر بعثت بهِ الى السوس عاصمة بلاد الفرس الاقدمين في خوزستان ليبحث عن آثارها. والرجل موفَّق في البحث عن الآثار القديمة كما يظهر مما اكتشفهُ في هذا القطر مدة اقامتهِ فيهِ مديرًا لدار التحف المصرية فكشف في السوس من الآثار ما يدل على ان تلك البلاد كانت مهد الآريين وان العمران المصري مقتبس منها وهاك بعض ما قالهُ في هذا الصدد

" وجدتُ في التلّ الباقي من انقاض القصر كثيرًا من مناجل الصوان لا يزال في بعضها القار الذي كان يلصق صوانها بخشبها. وعليها كلها دلائل الاستعمال الطويل كما يرى في المناجل التي وجدت في القطر المصري. وقد قلت في كتابي عن اصل المصريين ان زرع القمح لم ينشأ في وادي النيل لان القمح لا يوجد فيهِ ولا ما في حولهُ بريًّا وقد استدللتُ من ذلك ومن ادلة اخرى مثلهُ ان المصريين الاولين جاؤا القطر المصري من اسيا او ان العمران جاءهم من اسيا فلو علمت حينئذٍ ان مناجل الصوان التي وجدت في مصر يوجد مثلها في خرائب بلاد فارس لكان دليلي اقوى وامتن لا سيما وان القمح ينبت بريًّا بين النهرين وفي البلاد المجاورة حتى في تلال السوس "

وانقاض المباني التي وجدت حتى الآن الحديث منها حديث جدًّا من عهد الدولة السلوقية والساسانية وترى فيهِ جدران البيوت مبنية بالاجر المربع والغرف صغيرة وفيها ميازيب ينزل فيها ماء المطر عن السطوح ويجمع في الصهاريج. وتحت هذه الانقاض آثار مبانٍ اقدم منها فيها حجارة جيرية مثل الحجارة التي تستعمل في مباني داريوس الاول وارتحشست ووجدت هناك كأس من المرمر الشفاف عليها اسم زركسيس وهي اول مرة وجد فيها اسم هذا الملك في خرائب السوس

ومن الآثار الكثيرة التي وصفها ده مورغان بلاطة طولها متران وعرضها متر في اعلاها ثلاث رسوم للشمس والشعاع منتشر منها وتحتها صورة ملك على رأسهِ خوذة وفي يمناهُ سهم وفي يسراهُ قوس وفي منطقتهِ خنجر وهو طويل اللحية مثل الكلدانيين والاشوريين وتحت قدميهِ اشلاء اعدائهِ وامامهُ واحد منهم سقط جريحًا بسهم اصاب صدرهُ وهو يحاول نزعهُ منهُ ووراء هذا رجل رفع يديهِ كالمتوسل المتضرّع وتحت الملك ثلاثة من حملة الاعلام وكلٌّ منهم حامل علمًا بيدهِ اليمنى وواضع يدهُ اليسرى على خنجر في منطقتهِ. وتدلُّ الرسوم على ان البلاد جبلية وقد سار فيها هذا الملك تابعًا اعداءهُ فاثخن فيهم ولا يزال بعضهم بعيدًا عنهُ. وكان فوق راسهِ

كتابة ولكن النار فعلت بها فازالتها غير ان الصور حولها لا تزال محفوظة وهي تدلُّ على ان صنَّاعها كانوا امهر من الكلدانيين والاشوريين " وقد ظن الاب شيل ان هذه البلاطة من عهد الملك نارام سن البابلي ابن الملك سرجوم الذي نشأ سنة ٥٦٥٠ قبل المسيح

وهناك ادلة كثيرة على ان السوس حرقت بالنار منذ عهد قديم وذلك يؤيد ما ورد في كتابات الملك اشوربنيبال عن نفسهِ حيث قال " اني حرقت قصر مدينة السوس الذي اساسهُ من الرخام وقلبتُ جدرانهُ رأساً على عقب وفي مدة شهر دوَّخت بلاد عيلام من طرف الى طرف وابعدت عن حقولها اصوات الناس وانغام الطرب وجئتها بالوحوش والافاعي والغزلان "

وخلاصة ما وصل اليهِ المسيو ده مورغان ان هذه المدينة قديمة جدًّا وقد توجد فيها آثار منذ عشرة آلاف سنة او اكثر تدلُّ على بدء العمران وانهُ لما خربها الاشوريون نهبوا ما نهبوهُ منها وما لم يستطيعوا حملهُ من تماثيلها ونقوشها قلبوهُ وابقوهُ في مكانهِ . وان المدينة لم تبنَ بعد ما خربها الاسكندر ذو القرنين وعفيت آثارها القديمة قبل الدولة الساسانية

سان غوثار

من كتاب مشاهد اوربا واميركا لحضرة مؤلفهِ عزتلو افندم ادوار بك الياس

اما وقد بدأت بذكر ما في سويسرا من عجائب المناظر التي تؤثر في الذهن فاني اراني مقصرًا في القليل الذي سيجيء لان هذه البلاد كعبة المتفرجين ومثابة السراة والموسرين ومصيف السائحين وهي فردوس اوربا وجنتها الفيحا. تجمعت فيها محاسن الجبل والوادي والسهل والبحر والنهر وتناسقت على شكلٍ يسحر الالباب ويقصر عن وصفهِ ابرع الكتاب . ولطالما سبقني البارعون الى تقرير الحقائق عما في هذه البلاد الحسناء من فخيم المناظر وبديع الامور فانا اكتفي هنا بقليلٍ مما رأيت فيها وقد كنت قصدتها من الاسكندرية في شهر يونيو سنة ١٨٩٥ ومررت ببعض مدائن الطليان قبل الوصول اليها مثل برندزي والبندقية وميلان ترى الكلام عنها في باب ايطاليا حتى وصلت حدود سويسرا ورأيت جبالاً شامخة شاهقة تعلو قممها الى السحاب هي جبال الالب المشهورة ليس في اوربا ارفع منها قمة ولا اوعر مسلكاً ولا افخم منظرًا فلما مدت خطوط الحديد في كل الممالك وكان لا بدَّ من خطٍ حديدي يمرُّ في تلك الجهة ويربط هذه الممالك بعضها ببعض تعاونت المانيا وايطاليا وسويسرا على مدهِ في جبال الالب . فانت اذا ركبت القطار من حدود ايطاليا ترى العجب من كثرة ما يخترقهُ هذا القطار من الجبال يدخل في نفقٍ ويخرج من نفق طول الطريق حتى ان عدد السراديب هذه في ذلك الخط

لا يقل عن ٦٤ فضلاً عما دكوهُ من الجبال وما فتتوا من الصخور ومهدوا من الطرق مدة تسع سنين انفقوا في خلالها ١٢٠٠٠٠٠ كيلو من الديناميت لنسف تلك الجبال الهائلة. واطول نفقٍ في هذا الخط كلهِ النفق المعروف باسم سان غوثار وهو جبل شاهق طويل عريض تقبوهُ من جانب الى جانب والقطار يمرُّ في جوفهِ ويظل ثلث ساعة سائرًا سيرًا حثيثًا في بطن الارض لان طول النفق هذا نحو مائة كيلو متر يقضيها المسافر في ظلام دامس ودخان متكاثف وتعتريهِ رهبة ودهش غريب متى فكر انهُ تحت الارض يسعى مجدًا ومن فوقهِ جبال الالب الهائلة فيصفر عجباً لهمة الرجال وعظمة الانسان اذا تضافر واتمَّ الغرائب

وماذا اقول عن محاسن هاتيك الربوع التي يخترقها القطار في خط سان غوثار وانا لو اوتيت مقدرة اعظم الواصفين ما قدرت على عشر معشار الذي يليق بعظمة هذه المناظر الفخيمة وهي مقصد الطلاَّب ومطمع الروَّاد من كل بلاد فان قوى الطبيعة كلها تضافرت وتعاونت هنالك وعرضت من انواع الحسن الباهر ما يخلب الالباب ويفتن الانظار فبين انت في ذيالك القطر العجيب تسير في سهلٍ دبجتهُ يد الطبيعة باشهى الاعشاب وابهى انواع الزهر والشجر الباسق اذا انت على ضفة جدولٍ لمائهِ خرير يلذُّ للسمع وقد راق زلالهُ ورقَّ استرسالهُ ورصعت جوانبهُ بوشيٍ من الخضرة واشكال الزهر الغريب تحملك على الظن انك في ديار النعيم حتى اذا ضاع فكرك في التأمل ببدائع هذا السهل رأيت انك فوق جسر عظيم يمتد من جبل الى جبل كانما هو معلق بينهما وتحتهُ الوادي تجري فيهِ الانهار حتى اذا اجتزت ذلك الجسر سرت الى جانب المجرى سيرًا متعوجًا متعرجًا كانما القطار افعى تنساب بك ما بين تلك المروج البهية والضفاف الشهية وتقع في حيرة الى اي الجانبين تحوّل الانظار الى جانب الوادي وما يليهِ من خضرة نضرة ومنازل رصعت بها الجوانب ترصيعاً وقد التفت من حولها الاغصان على شكل بديع وماء ينسيك متاعب الدهر واحوالهُ أم الى الجانب الآخر حيث قام جبل شاهق نخيم في قمتهِ سحاب تتساقط منهُ كرات المطر كانما هي اللؤلؤ والدر على تلك الاعشاب الندية ومن دون السحاب ثلج يجلل قمة الجبل ويزيدهُ مهابةً وجمالاً ومن دون الثلج صخور بينها شجر تحرك النفس الى ذكر مثلهِ وتصبو الى التظلل طول العمر بفيئهِ لا سيما وقد جرت من بين تلك الصخور والجبال جداول ماء معين يتدفق في هاتيك المسالك البهية تدفقاً يروق للناظرين ويتساقط من سفح الجبل فيريك اعجب ما رأيت من اشكال الجنادل لا سيما وهي تغيب اونة وتظهر اخرى ما بين هاتيك المسالك التي يتعشق القلب ذكرها وتمثل للرائي منتهى العز وحد الاعجاز في الجمال الباهر

مصباح الشرق واهل الاديان

اتحفنا مصباح الشرق الاغر بمقالات بليغة الانشاء مستفيضة المباحث تتناول اصول الحضارة ودعائم العمران عزاها الى عظيم من علماء المسلمين اطلعها عليهِ من افق المشرق . قال في الرابعة من هذه المقالات ان قوماً من غير المسلمين خافوا من علو قوة الاسلام وارتفاع سلطانهِ اذا رجع اهلهُ الى ما كان عليهِ سلفهم الصالح من الائتلاف والاجتماع والتمسك بعروة الدين المتين فجعل يبين لهم ان الملة الاسلامية السمحاء لا تعترض احدًا في دينهِ ولا تعاديهِ في مذهبهِ ونحلتهِ ولا تفرق بينهُ وبين المسلم في المعاملة بالعدل والاحسان وان الذين يعلمون عنها غير ذلك انما اخذوهُ بجهل من افواه العامة والجهلة واهل القصص من موضوعاتهم وتأويلهم وضلالاتهم واباطيلهم مما لا يدخل تحت الحصر . ولم يلقِ الكاتب هذا الكلام على عواهنهِ بل اقام عليهِ الادلة التاريخية قال

وكيف لا ينظر الى التاريخ الاسلامي من يرمي الاسلام بالنفرة من غير اهلهِ ويحكم عليهِ بانهُ يأمر بعداوة من يخالفهُ ممن دخل تحت حكمهِ وهذا التاريخ امامنا يقصُّ علينا ما كان عليهِ أولياء الدين وأُولو الحكم فيهِ أيام لا قوة في الارض اعظم من قوتهِ ولا سطوة اكبر من سطوتهِ والسيوف مسلولة والرماح مشرعة والسهام مفوقة واليد مطلقة والجو خالٍ لا منازع ولا ممانع . نعم يقص علينا انهُ قلما تخلو دولة من دول الاسلام الأَ ولأوليائها حفظة وأُمناء وارباب مناصب وذوو زلفى واصحاب مكانة واهل ثقة وأُولو كفاءة وغناء من غير المسلمين منذ الصدر الاول من الخلفاء الراشدين الى الدولة الاموية الى الدولة العباسية الى غيرها الى يومنا هذا

هذا ابو موسى الاشعري في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما كان لهُ وهو والٍ على البصرة كاتب يهودي يعتمد عليهِ في شؤُون الولاية ويركن اليهِ ولا يثق بغيرهِ فبلغ عُمر عنهُ ما دعاهُ الى طلب عزلهِ فتوقف ابو موسى عن اجابة الامر معتذرًا بانهُ لا يجد لديهِ من يقوم مقامهُ سواهُ فعاودهُ عمر بالامر وبقي ابو موسى على رأيهِ حتى كتب لهُ عمر في ذيل كتابهِ « مات اليهودي والسلام » (يعني افرض انهُ مات فماذا يكون العمل) ولم يحتجَّ لعزلهِ بيهوديتهِ

وهذا عبد الملك بن مروان في غرة الدولة الاسلامية وسطوة الخلافة الاموية اختص لنفسهِ ولدولتهِ شاعرًا من شعراء النصرانية غياث بن غوث ابا مالك الاخطل . قال عنهُ ابو عبيدة انهُ شاعر الدولة الاموية وقدمهُ على الشاعرَين المسلمين جرير والفرزدق . وروى علي ابن مجاهد قال قال الاخطل لعبد الملك يا امير المؤمنين زعم ابن المراغة (يعني جريرًا) انهُ

يبلغ مدحتك في ثلاثة ايام وقد اقمت في مدحتك : « خف القطين فراحوا منك وابتكروا » سنة فما بلغت كل ما اردتُ . فقال عبد الملك ما سمعناها يا اخطل فانشده اياها فجعلت اريحية عبد الملك يتطاول لها ثم قال ويحك يا أخطل أتريد ان اكتب الى الآفاق انك اشعر العرب. قال اكتفي بقول امير المؤمنين . وامر له بجفنة كانت بين يديهِ فملئت دراهم والقى عليهِ خلعاً وخرج بهِ مولى لعبد الملك على الناس يقول هذا شاعر امير المؤمنين هذا اشعر العرب . ودخل الاخطل مرة على عبد الملك بن مروان فاستنشده القصيدة فقال قد يبس حلقي فمر من يسقيني فقال اسقوه ماء فقال شراب الحمار وهو عندنا كثير . قال فاسقوه لبناً قال عن اللبن فُطمتُ. قال فاسقوه عسلاً قال شراب المريض . قال فتريد ماذا . قال خمراً يا امير المؤمنين . قال أَوَعهدتني اسقي الخمر لا أُمَّ لك لولا حرمتك بنا لفعلت بك وفعلت. فخرج فلقي فرَّاشاً لعبد الملك فقال ويلك ان امير المؤمنين استنشدني وقد صحل صوتي فاسقني شربة خمر فسقاه فدخل على عبد الملك فانشده

خف القطين فراحوا منك وابتكروا وازعجتهم نوى في صرفها غيرُ

فقال عبد الملك خذ بيدهِ يا غلام فاخرجه ثم القى عليهِ من الخلع ما يغمره واحسن جائزته وقال ان لكل قوم شاعراً وان شاعر بني أمية الاخطل . وحدَّث أبو عبيدة قال قال رجل لابي عمرو يا عجباً الاخطل نصراني يهجو المسلمين فقال أبو عمرو يا لكع لقد كان الاخطل يجيء وعليهِ جبة خز وحرز خز في عنقهِ سلسلة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير اذن

فهذا نصراني يجترئ على خليفة الرسول وامام المسلمين يطلب منه خمراً وهو صاحب الحدّ فيها فلا يقابله على ذلك بأكثر من العتب لعلمهِ ان الخمر حلٌ في دينهِ

وهذا أبو العباس السفاح رأس الدولة العباسية نزل عليهِ بالكوفة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي مناظره في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان بهِ حفياً هل في نفسهِ شيء يشتهيهِ فيبلغه اياه فقال له لقد بالغتَ في اكرامي واجملتَ في صلتي ولكنني ما زلت أشتهي ان يجتمع لي مرة الف الف دينار فقال ابو العباس لا يوجد يا أخي هذا المقدار في بيت مال المسلمين ولكن انظرني ريثما أتداركه لك ثم ارسل السفاح من فورهِ الى رجل تاجر يهودي فاقترض منه هذا المال الجسيم . ومن هذه القصة يتبين لك جملة امور تنبئك بما كان عليهِ غير اهل الاسلام في صولة حكومتهِ من جمال الحال . منها اطلاق الحرية لهم في السعي في طرق التكسب والاكتناز حتى يصلوا في اليسار الى ان يكونوا أغنى من بيت مال المسلمين

فيقترض منهم . ومنها أمنهم وخلوهم من المخاوف فلم يكن يجري في حسبانهم ان أحدًا من اهل هذا الدين الذين عرفوا حقيقتهُ يتعدى عليهم في ثروتهم بمكروه فاظهروها واشتهروا بها . ومنها عدم استنكاف أمير المؤمنين وخليفة الرسول وابن عمهِ من ان يلجأ الى واحد من رعيتهِ لا يدين بدين الاسلام . ومنها استحكام العدل والامان في النفوس والدولة العباسية ناشئة والفتن قائمة ومظنة السلب والنهب موجودة

وهذا المأمون لما جاء الى مصر ووصل في طريقهِ الى قرية من قرى القليوبية قابلتهُ امرأة قبطية وسألتهُ ان ينزل عندها ضيفًا يستريح برهة من سفرهِ فلبّى دعوتها فاستوقف الجيش ونزل فأكل وشرب عندها ولما همّ بالانصراف قدمت اليهِ عشرة اطباق في كل طبق الف دينار وقالت لهُ يا امير المؤمنين ان من عادة الرعية عندنا ان يقدموا تقدمة بين يدي ملوكهم علامة الشكر لهم فأسألك ان تقبل هذه الدنانير وهي من ضرب هذه السنة خاصة لتعلم مقدار ما ترتع فيهِ رعيتك من العدل والامان وتيسير الاحوال وكيف ان امرأة ضعيفة من بينهم لا سند ولا معين لها من الرجال تصل في ظل عدلك الى هذه الدرجة من الثروة . وفي هذه القصة جملة امور ايضًا منها تنازل هذا الخليفة العظيم والامام الكبير الى اجابة الدعوة من امرأة في قرية وتناولهُ من طعامها وشرابها واستيقافهُ الجيش عن المسير من اجلها . ومنها بيان ما كانت عليهِ الرعية من المسلمين وغيرهم من عدل الخلفاء وعمّال ولاياتهم حتى يملك مثل هذه المرأة من المال قدرًا يعلمهُ من تأمل في أصل ثروة يهدى منها عشرة آلاف دينار من ضرب تلك السنة خاصة . ومنها اعتراف غير المسلمين لولي امرهم برفاهة احوالهم تحت حكمهِ واظهار علامة الشكر لهُ على ذلك بتقديم شيء من ثمرة ما يتمتعون بهِ من العدل والامن

وهؤلاء الخلفاء من العباسيين وغيرهم من ملوك الاسلام قد اتخذوا خاصة اطبائهم واصحاب اسرارهم وامناء خزائنهم من غير اهل الملة الاسلامية منهم بختيشوع طبيب هرون الرشيد وابنهُ جبريل من بعدهِ ومنهم ابن التلميذ الملقب بأمين الدولة طبيب المكتفي واحد مشاهير العلماء في عصرهِ والذي يقول عنهُ العماد الكاتب انهُ كان سلطان الحكماء ومقصد العالم في علم الطب بعيد الهم عالي الهمة شيخ النصارى وقسيسهم ورأسهم ورئيسهم . ومنهم ثابت بن قرة كان من اعيان عصرهِ في الفضائل والعلوم واتصل بمحمد بن موسى العالم الرياضي الشهير فأوصلهُ الى الخليفة المعتصم بالله العباسي فنال حظوة عندهُ وادخلهُ في جملة المنجمين ودرج ابنهُ وحفيدهُ من بعدهِ على درجتهِ عند الخلفاء . ومنهم ابو زيد حنين بن اسحق الطبيب العبادي المشهور كان من اطباء الخليفة المأمون وكان معتمدًا عندهُ في تعريب الكتب العلمية

اليونانية . ومنهم ولده اسحق بن حنين خدم من الخلفاء والرؤساء من خدمهُ ابوهُ منهم ثم انقطع الى القاسم وزير الامام المعتمد بالله واختص بهِ حتى كان الوزير يطلعهُ على اسرارهِ

ومنهم ابو الفرج يعقوب بن كلس امين كافور الاخشيدي وموضع سرهِ ووزير العزيز العبيدي صاحب مصر والمغرب بلغ من المنزلة عند كافور انهُ كان جليسهُ الدائم في ديوانهِ الخاص وكان الامراء والاشراف يجلونهُ ويعظمونهُ ثم ترقَّى بهِ الامر عندهُ فامر سائر الدواوين بان لا يمضى دينار ولا درهم الاَّ بتوقيع ابي الفرج فوقع في كل شيء وبلغ من المنزلة عند العزيز في آخر عمرهِ أنهُ لما اعتلَّ علة الوفاة ركب اليهِ العزيز عائدًا وقال لهُ وددت انك تباع فابتاعك بملكي او تفدى فافديك بولدي فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب فبكى وقبَّل يدهُ وقال أما فيما مضى فأنت أرعى لحقي من ان استرعيك اياهُ واما فيما بقي فانت أرأف على من أُخلفهُ من ان اوصيك بهِ ولكني انصح لك فيما يتعلق بدولتك « سالم الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبقِ على مفرج بن دغفل بن جراح ان عرضت لك فيهِ فرصة

ولا زال الجمع الدهم والعدد الجم من فضلاء النصارى واليهود والصابئين شعرائهم وادبائهم وكتَّابهم الى المغنين منهم يتقلبون على بساط النعمة ويتنقلون في مراتب السعادة ويصعدون في مراقي الاقبال تحت كرسي الخلافة النبوية وعرش الامامة المحمدية يفدونهُ بالارواح لا يفضلون عليهِ سواهُ ولا يبغون عنهُ بديلاً . ولو اردنا ان نسير على هذا السرد في ذكرهم لملأنا الكتب واستغرقنا الزمن ولكننا نختم هذه الشواهد الوجيزة بواحد هو فصل الخطاب وختم المقال في هذا الباب

ذلك ان المأمون لما اراد ان يدون العلوم ويجمعها في دولتهِ جمع في بغداد ثلاثمائة عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم من كل جنس ودين فألف منهم اكبر ديوان للعلم هو اشبه عند اهل هذا الزمان باكادمي العلوم . ثم اذن بينهم بالحظر عليهم في اجتماعهم مسلمهم وغير مسلمهم ان يستشهدوا بآي القرآن ولا بالانجيل ولا بالتوراة وامر ان لا يتعرضوا في مباحثهم الى ما يمس بالاديان ويفضي الى التجادل والتشاحن والتباغض والتنافر

هذا حال الدولة الاسلامية في معاملتها لرعيتها ممن يدين منها بغير دينها اذ كانت آخذة بقول الكتاب عاملة باحكام الشريعة على حقيقتها نابذة ما يدخلهُ الضالون المضلون اعداء الدين في الدين لا تعصب يعيبها ولا جنف يشينها بل هو العدل والانصاف والفضل والكرم والسماحة والسماحة . فاذا نحن رجعنا البصر كرة الى الممالك النصرانية قديمها وحديثها قويها وضعيفها وجدنا الفرق عظيمًا والبون بعيدًا في معاملاتها لغير اهل دينها وفي معاملة اهلها بعضهم

لبعض في تفرق مذاهبهم واختلاف طوائفهم فاذا ذهبنا الى تاريخ القرون الوسطى انقلب البصر خاسئاً وهو حسير من لون الدماء التي تسيل من اقطاره في وقائع « التفتيش الديني » في اسبانيا ومذابح « سان بار تلمي » في فرنسا . واذا عدنا الى تاريخ هذا العصر الحديث وجدناه تكاد تنفجر منهُ امثال تلك الوقائع من جمعيات تتألف وتستعد للوقيعة بتلك البقية الباقية من بني اسرائيل على اعين الحكومات التي تصدعنا بالفاظ الحرية والمساواة والاخاء وفصل الدين عن السياسة . هذه البقية بقية بني اسرائيل اذا قسنا ما يقع عليها الآن من انواع الهوان في كثير من الممالك النصرانية بما عاملها و يعاملها بهِ المسلمون من الرأفة والعدل وصيانة الحقوق وحفظ المصالح تمثل لنا التعصب باشنع صوره وتجلَّى لنا التسامح في اجمل اشكالهِ . وهذه مكرمة عبد الله ابن الاحمر آخر ملوك الاندلس مع اليهود حين سلَّم غرناطة الى فردينند ملك اسبانيا اسطع الشواهد على ذلك . عاهده عهد التسليم واشترط ان يكون لليهود ما للمسلمين فيهِ من المصالح والمنافع . واي فرق اعظم بين اهل دين يشركون في حكومتهِ غيرهم وبين اهل دين آخر يحكمون الملايين والملايين من اهل آسيا وافريقية مدة السنين والسنين فلا نسمع ان واحداً من اهل الهند اشترك في حكومة لوندره او ناب عن بلادهِ في مجلس نوابها او ان واحداً من اهل الجزائر اتصل بحكومة باريس او ناب في مجلس نوابها

لا جرم ان من يقف على حقيقة الدين الاسلامي من غير اهلهِ لا يسعهُ الاَّ ان يرتاح صدره ويطمئن خاطره من ارتفاع شأنهِ وانتشار حكمهِ ورجوع اهلهِ الى العمل بهِ هذا ان خلوا هم ايضاً عن الاغراض الكامنة والاهواء الباطنة

انتهت رسالة مصباح الشرق وكل ما فيها من الامثلة والشواهد منقول من تواريخ العرب وقد يكون في بعضهِ مبالغة كثيرة كما في قصة المرأة القبطية ولكن ايراده في التواريخ الموثوق بها والكتب التي تتداولها ايدي الناس يدلُّ على تصديق الكتاب النساخ له واقرارهم على صحتهِ وحسبانهم اياه مما يحسن ذكره ونشره لا مما يخالف ما يعتقدونهُ ويحسن الاغضاء عنهُ . ولكن المطلع على تواريخ الممالك العربية ولا سيما تواريخ هذا القطر يرى فيها ايضاً كثيراً مما يسوء ذكره ويضطرُّ الباحث المنصف الى القول بان نصيب الدين من اعمال الناس قليل جداً وانهم يعملون في الغالب على مقتضى طبعهم فالكريم كريم وثنياً كان كسقراط وفضلاء العرب قبل الاسلام او كتابياً كالفضلاء من اليهود والنصارى والمسلمين والاَّ فاذا اخذنا كل دين باعمال اهلهِ اضطررنا الى جمع النقيضين . وهذا لا ينفي ما هو مقرر من ان الاديان تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وان المؤتمرين باوامرها اقرب الى العدل من غيرهم

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

القسم الثالث . الفصل الاول

تقلَّص نور القمر عن بستان الجسمانية وقبر ابشالوم ومياه قدرون ووادي ابن هنُّوم ولكنهُ بقي مشرقاً بجمالهِ وجلالهِ على اسوار اورشليم وابراجها وا. تاجها . هناك جبل صهيون وعلى قمتهِ برج داود وامامهُ برج الموريا وعليهِ هيكل اله ابرهيم الذي بناهُ لهُ اولاد اسمعيل

اورشليم في نور القمر . يا لهُ من منظر بهيج عدا ما فيهِ مما يهيج ذكرى العصور الغابرة. مدينة حصينة قامت حولها الاودية مقام الخنادق

وغاب القمر وراء جبل الزيتون فزاد اشراق الكواكب فوق اورشليم ومرَّ النسيم على سهل شارون فسمع السرو زفراتهِ وارتعدت منها فرائص النخيل . أهو صوت النسيم او انين الانبياء ينوحون على مدينة عزَّ عليهم انقاذها. ارض اختارها الله لسكناهُ لا تفارقها ارواح انبيائهِ. من هذا الجبل ومن طور التجلي اطلَّ رجال اسرائيل على مدينة العجائب. رجال كماة وحكماء يفاخر بهم في كل العصور . المشترع الذي قام في عهد الفراعنة ولا تزال شريعتهُ ثابتة الاركان . والملك الذي اشتهرت حكمتهُ في الخافقين ودان لهُ الانس والجان . والمعلم الذي جاء بالعدل والرحمة وبُنيت على تعاليمهِ دعائم العمران . اعظم مشترع واعظم ملك واعظم مصلح. اي امة من الامم الحاضرة والغابرة تباهي بثلاثة مثل هؤلاء

أُطفئ المصباح الاخير في بيت عنيا وانقلب النسيم ريحاً عاصفة وسُدِل الضباب على وجنة السماء فاحتجبت بهِ الكواكب وغاب برج داود عن الابصار وحجبت الظلمة الحرم الشريف اما كنيسة القيامة فلم يزل النور فيها. على م بقيت مستنيرة وقد مرَّت بهرة الليل ونام القانتون والزهاد

الحرس التركي في دار الكنيسة وفي داخلها راهبان من دير الافرنج قائمان على حراستها وبجانب القبر شابٌ جثا على ركبتيهِ لما غابت الشمس وبات الليل كلهُ جاثياً وهو ليس من اللاتين ولا من الارثوذكس ولا من الارمن ولا من الموارنة ولا من القبط ولا من الاحباش. اتى من جزيرة بعيدة في اقصى الشمال ليسجد عند قبر المخلص الذي جاء من نسل ملوك اسرائيل . ولكن لماذا جاء هذا الشاب وحدهُ وعلى م كان اسلافهُ يأتون زرافات الى الارض المقدسة قبل عصر العلم والاختراع . فان الارض المقدسة لم تزل مقدسة وهي ارض النبوَّة ومهبط الوحي ارض الانبياء والرسل الارض التي من جبالها كلَّم الله بني الانسان

يدّعي جمهور من الاوربيين ان بلاد الشام مثل غيرها من البلدان . وقد غار بعضهم من الاسرائيليين وقالوا كيف يكون اهل الهدى والرشاد منهم .وقام ابناه اعظم مملكة من ممالكهم واقفلوا الكنائس وقتلوا القسوس وزعموا ان الدين حديث خرافة لكن ساء فألهم وحبطت اعمالهم وعادت البلاد الى عبادة اعظم من قام من الاسرائيليين وخصّت اعظم معبد من معابدها بامرأة من العبرانيات

والبلاد التي جاء منها هذا الشاب الجاثي امام القبر المقدس لم تجاهر بعداوة التوراة والانجيل ولكن اهاليها الذين ارسلوا ملكهم ونخبة امرائهم لانقاذ الارض المقدسة منذ ستمئة سنة عدلوا عن هذه الخطة الآن ولم يعد لهم همٌ الاَّ توسيع المتاجر وانشاء سكك الحديد

ولقد حبطت مساعي الصليبيين لانهم جاؤا الارض المقدسة وهم يتّهمون العرب بالالحاد والعرب اقرب منهم الى من جاؤا لانقاذ قبرهِ كلهم ابناء ابرهيم وهم مأمورون باقامة التوراة والانجيل . وستبقى اورشليم ابد الدهر تابعةً لابناء عيسو او لابناء اسمعيل . واذا حاولت الممالك الاوربية ان تقيم عليها اميرًا من ابنائها حلَّ بهِ ما حلَّ بملوك القدس الاوربيين

الفصل الثاني

قرب باب صهيون شارع متحدّرٌ البيوتُ قائمة على جانبيهِ لا كوة فيها ولا شرفة لها . في كل بيت منها دار قد تكون فسيحة لا يدل ظاهرهُ على ما فيها من دلائل الرفاه والرفاهة

دخل رجل لابس اللباس السوري بابًا من ابواب تلك البيوت ومرَّ في الرواق الذي يحيط بدارهِ ومنهُ في سرداب يمتدُّ الى دار اخرى في وسطها حديقة غناء فيها اشجار الليمون على اختلاف انواعهِ ويحيط بها غرف كثيرة وفي آخرها سرداب آخر ودرج يصعد منهُ الى غرفة رحبة معقودة السقف منقوشة الخشب على جانبين من جوانبها الاربعة ارائك من الدمقس وارضها مرصوفة بالرخام وعليها كثير من البسط الفارسية . وعلى الارائك رجال بالحلل الشرقية يدخنون التبغ اللاذقي او التنباك العجمي وكلما كاد التبغ يفرغ من حجر واحد منهم صفق بيديهِ فجاءهُ غلام زنجي ملأ الحجر بالتبغ ووضع عليهِ جذوة نار

وصاحب المنزل متكئ في صدر الغرفة وهو طويل القامة طلق المحيَّا ناهز الخمسين ولكن لم يخلق الدهر ديباجتهُ ولا ابقى شيئًا من الاسارير في جبهتهِ كبير العينين واسع الجبين اقنى الانف صغير الفم اسيل الخد مثل كثيرين من الذين تراهم في سواحل الشام وبلاد اليونان رغمًا عمَّا انتاب البلادين من نوائب الدهر . هناك الجمال الفائق . هناك على مقربة من البلاد

التي كان فيها الفردوس تجد اناساً مثل هؤلاء تشرق عليهم شمس الارض المقدسة ويشربون ماءها ويستنشقون هواءها . وكان عن يمين صاحب المنزل تاجر مصري اسمهُ شريف افندي يدخن التبغ بقصبة من الياسمين وهو عربي الاصل اسمر الوجه معتمّ بعمامة بيضاء وكان جالساً منتصباً كأنهُ قائم للقضاء وعن يسارهِ رجل متكئ وقد تدثَّر حتى لم يبن منهُ شيء وبجانبهِ رجل نحيف الجسم برّاق العينين شائب اللحية معتمّ بعمامة سوداء دليلاً على انهُ اسرائيلي واسمهُ باريزي ويلقب بباريزي البرج لانهُ ساكن قرب برج داود تمييزاً لهُ عن ابن عمهِ الملقب باريزي الباب لانهُ ساكن قرب باب صهيون. وهناك رجل ارمني من الاستانة يدخن التبغ بقصبة من الكرز ورجل فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت

لما وصل الرجل الى هذه الغرفة خلع حذاءهُ عند الباب ودخل وسلَّم فردوا لهُ السلام ودعوهُ الى الجلوس فجلس وصفق صاحب البيت فدخل غلام بيدهِ قصبة وتبغ . اسم هذا الرجل بسكواليجو وهو من البنادقة الذين يترددون على المشرق وقد اقام فيهِ قنصلاً مدة طويلة وابنهُ قنصل في يافا وهو مقيم في القدس . لما استقرَّ بهِ المجلس قال اتانا سائح كبير نوَّر كنيسة القيامة من المساء الى الصباح واقام الحرس في الدار ولم يسمح بدخولها الاَّ للرئيس الاسباني واثنين من الرهبان . ولعلهُ دفع للدير عشرة آلاف غرش . مضى زمن طويل من حين اتانا سائح لاتيني مثل هذا

فقال الباريزي بلغني انهُ ليس من اللاتين. وقال الارمني انهُ ليس من قومي لانهُ لو كان منهم ما دخل الكنيسة مع رئيس اسباني . فقال بسكواليجو لو كان ارمنياً من قومك ما دفع عشرة آلاف غرش وقال الباريزي ولا هو يوناني ولكنني اعلم عن ثقة انهُ انكليزي من اخوة الملكة . فقال بسكواليجو لقد ظننت انا ذلك ايضاً حالما بلغني انهُ انكليزي . فقال لهُ صاحب البيت مَن ابلغك انهُ انكليزي . قال خدمهُ اخبروني . وقال الباريزي ان معهُ جنرالاً انكليزياً لرئاسة رجالهِ وهو رجل ظريف يقضي نهارهُ في دار القنصلاتو . وقد استأجروا بيت حسن نجد بخمسة آلاف غرش في الشهر

فقال شريف افندي اذًا هو انكليزي بلا شك . وقال الباريزي وهو فتًى صغير السن اصغر من الملكة ولذلك آل الملكُ اليها لان ولاية العهد للاكبر حسب شريعة الانكليز ولو كان امرأة

ولم يستطع احد ان يعارض الباريزي لانهُ كان ثقةً في هذه الامور . ثم قال الارمني اذا بقي هذا الشاب ينفق اموالهُ على هذه الصورة افلس سريعاً لان القدس اغلى من استانبول .

فقال لهُ صاحب البيت لا خوف من ذلك لانهُ جاءني بمكتوب توصية يأمرني ان ادفع اليهِ مهما طلب من المال

فرفع الرجل المتدثر الغطاء عنهُ وقال من هو هذا الرجل يا بسُّو (وكان هذا المتدثر شاباً جميل المنظر ازرق العينين)

فقال بسو هو لورد انكليزي ومن اعظم امراء الانكليز.

فقال الشاب وعلى مَ جاء الى هنا ولم نعهد الانكليز يأتون سيَّاحاً

فقال بسو ولكنهُ اتى للسياحة كما ترى

فقال الشاب ومن ادرانا ان هذه السياحة ليست سياسة فان امم الشمال لا ترى لها شأناً الاَّ في المشاكل السياسية ولكنك لست من رجال السياسة لتعلم ذلك

فقال بسو قد يكون الامر كما قلتَ ايها الامير لكني لستُ من رجال السياسة كما شهدتَ لي

فقال الشاب يا حبذا ذلك فانهُ خير لك ولنا ولكن انظر هذا الرجل شريف افندي فهو قهرمان كبير وقد وعد بان يهرّب لي عشرة آلاف بندقية يستلمها منهُ البدو ويوصلونها الى الجبل فما قولك في ذلك أخبر بهِ ابنتك واسألها عن رأيها فيهِ

فقال بسو اذًا قد تمَّ كل شيء على حسب مرامك

فقال الشاب كلاَّ لان شريف افندي لا يسلمني البنادق ما لم ادفع لهُ ثمنها والبدو لا ينقلونها ما لم ادفع لهم عشرة آلاف غرش فحبذا لو كنت تدفع لهم عني وتطرح ذلك من القرض الذي سأقترضهُ منك على حساب الجبل. اظنك تفعل ذلك يا اخا المروءة لانهُ ليس لنا غيرك

فقال بسو ان اشغالاً مثل هذه لا اقضيها بعد غياب الشمس

الفصل الثالث

الاديرة من اكبر مباني القدس في هذه الايام اعظمها ثلاثة دير اللاتين المعروف بالترَّا صنطا ودير الارمن ودير الروم وهي مبانٍ فخيمة واسعة كالقصور وحصينة كالقلاع يسع الواحد منها خمسة آلاف سائح

لما وصل تنكرد الى القدس نزل في دير اللاتين فأُعطي غرفةً صغيرة فيهِ . والان تراهُ فيها يحاول تدخين التبغ وخادمهُ الايطالي باروني راكع امامهُ على ركبة واحدة يصلح لهُ التبغ في الحجر. قال تنكرد قد صرتُ احبُّ التدخين . فقال باروني لا بدَّ ان تحبهُ يا مولاي لانهُ لازم في هذه البلاد لزوم اللبن للطفل وهذا التبغ من اللاذقية وهو من اجود الانواع اخذتهُ

من السنيور بسو حينما ذهبتُ اليهِ بمكتوب سيادتكم . قال ذلك ونهض قائماً وهو شاب في الثانية والثلاثين من عمرهِ ربعة بين الرجال نحيف الجسم اسود اللحية اقنى الانف ابيض الاسنان برَّاق العينين لابس لبس المماليك بسراويل واسع ومنطقة بيضاء فيها خنجر وعلى رأسهِ عمامة بيضاء . ثم اشعل شبقهُ وجلس على الارض متربعاً

فقال لهُ تنكرد ماذا فعلتم بالبيت . قال سينقلون اليهِ اليوم كلهم . فقال تنكرد اما انا فافضل البقاء هنا لانني اريد الوحدة . فقال باروني انهم كلهم على تمام الرضى والكولونل يلازم القنصلاتو وهو يتغدَّى هناك كل يوم ويقصُّ عليهم اخبار الحروب التي شهدها كما كان يقصُّ علينا في البحر . والمستر برنارد يلازم المطران الانكليزي وهو مسرور بهِ لانهُ زاد عدد الحضور في الكنيسة فانهم قلال جداً قنصل انكلترا وقنصل بروسيا وخمسة من اليهود تنصَّروا على شرط ان يأخذ كل واحد منهم عشرين غرشاً في الاسبوع وقد بلغني انهم استقلُّوا هذه الاجرة وطلبوا الزيادة . اما الطبيب فمشغول جدًّا وقد دعاهُ الوالي لمشاهدة حرمهِ فجسَّ نبض كل نسائهِ من وراء الستار ولم يرَ وجه واحدة منهنَّ واظن ان صندوق الادوية نفد الآن

فقال تنكرد لا يهمني الاَّ ان يكونوا على اتم الراحة اما انا فلا بدَّ لي من الذهاب الى بستان الجثسماني

فقال باروني هو منا على رمية سهم تمضي اليهِ من باب صهيون وتمرُّ في مقبرة الاتراك وتعبر وادي قدرون فتجد نفسك في بستان الزيتون

فقال تنكرد يظهر لي انك تعرف المكان جيداً

قال نعم فقد زرتهُ عشرين مرة واتيت الى هنا ثماني مرات سنة ٤٠ و٤١ مرتين من انكلترا وست مرات من مصر. تلك ايام مضت ولو عمل الباشا بمشورة المسيو ده صيدوني لرأيت الغرائب في هذه المدينة

تنكرد — متى زرت هذه المدينة اول مرة

باروني — لما زارها المسيو ده صيدوني فاني اتيت معهُ من نابلي منذ ثماني عشرة سنة

تنكرد — اذاً كنت صغيرًا جدًّا حينئذٍ

باروني — نعم وكنا سبعة ولكن لم يبقَ معهُ غيري لما اتمَّ سياحتهُ بعد خمس سنوات

تنكرد — وماذا جرى للباقين

باروني — مرضوا او تكاسلوا فطردهم من خدمتهِ ولم ارَ اشد منهُ . اذا كان في قلب الصحراء وابدى واحد منا اقلَّ تضجُّر اركبهُ جملاً واستأجر قبيلة كاملة لارسالهِ الى اقرب

مدينة واعطاها تحويلاً على السنيور بسو ليدفع اليها الاجرة

تنكرد — أوَ لم تمرض انت

باروني — كلاَّ وقد كانت خمس سنوات قضيناها في السفر والتعب ولكنها علمتني كثيرًا

وبعد قليل قام تنكرد وباروني وخرجا من باب صهيون فلم يريا احدًا في طريقهما غير الحرس لان الوقت كان الظهر وكان الحرُّ شديدًا لا يطاق والشمس في كبد السماء فلا تلقي للاجسام ظلاً تستريح العين برؤيتهِ . واشار باروني الى اشجار كبيرة من الزيتون وقال هناك الجسمانية والطريق التي الى اليمين توصل الى بيت عنيا . فقال لهُ تنكرد "دعني وحدي" . لانهُ اراد ان يزور ذلك المكان وحدهُ فنزل من جبل صهيون وعبر وادي قدرون ودخل البستان المقدَّس

الفصل الرابع

مالت الشمس الى المغيب وانكسرت سورة الحر وعلى الطريق قافلة آتية الى المدينة المقدَّسة فيها جمال كثيرة واناس بالحلى والحلل . والعلَم العثماني يخفق فوق برج داود والموسيقى العسكرية تصدح في رحبتهِ والوالي خارج بفرسانهِ والنساء صادرات من بئر ايوب وجرارهنَّ على رؤوسهنَّ

رأى تنكرد ذلك وهو عائد من بستان الجسمانية وقد لوَّحت الشمس وجههُ بعد ان اقام فيهِ بضع ساعات في حالة الهجران . فتردد في اذنهِ قول باروني لهُ ان الطريق التي الى اليمين توصل الى بيت عنيا فقال في نفسهِ عليَّ ان لا ازورها قبل رجوعي فعرَّج اليها ونظر الى ما حولهُ من الآكام والوهاد وكل ما فيها يذكرهُ بامور سلفت في تاريخ شعب الله ورجالهِ وانبيائهِ . نظر فرأى امامهُ المدينة العظيمة التي حاصرها ملوك اشور وفراعنة مصر وقياصرة الروم وصلاح الدين وقلب الاسد. اسيا واوربا اختصمتا عليها ادهارًا كثيرة. فقال في نفسهِ هنا تاريخ العالم وام العالم هنا تاريخ الارض والسماء

وسار جنوبي جبل الزيتون الى ان صار على مرأًى من قرية منفردة بين الآكام تنفرج الارض امامها وتطلُّ على الاردن حيث يغادر واديهُ الاخضر ويصب في البحر الميت. ورأى امامهُ بستانًا كبيرًا يحيط بهِ سور عالٍ تعلو فوقهُ اشجار السرو والنخيل وكان بابهُ مفتوحًا فوقف امامهُ ينظر الى ادواحهِ وخمائلهِ وكان قد ورث حب الازهار والرياحين عن امهِ فلم يسعهُ الاَّ الدخول اليهِ فمشى الهوينا وهو مفتون بما شاهدهُ فيهِ من جمال الطبيعة وحسن الصناعة الى ان بلغ عريشًا من الورد والياسمين وسمع خرير الماء وغناء البلابل فنظر الى ما وراء العريش واذا

هو برواق من المرمر تحتهُ فسقية يتدفق الماء منها فدخل الرواق وجلس على حصير مبسوط في ارضهِ وشرب من الماء الجاري فيهِ وكانت الشمس قد خدَّرت دماغهُ وران الكرى على اجفانهِ فوضع ذراعهُ تحت رأسهِ ونام . وللحال انسدل شعرهُ الذهبي على وجههِ وكتفهِ فظاهر كالصور التي يمثل بها المصورون الملائكة الاطهار

واستيقظ بعد هنيهة وحاول مدَّ يديهِ فاذا شيء يغطيهما ويغطي رأسهُ فنظر واذا هو بملاءة من الحرير المزركش فالتفت الى ما حولهُ مدهوشاً فرأى فتاة جالسة امامهُ

فتاة بديعة الجمال طويلة القامة ممشوقة القد عليها ثوب من الحرير الاصفر مزركش بالذهب ازرَّتهُ من الجواهر وفوقهُ رداء من المخمل لهُ ردنان طويلان مفتوحان تظهر ذراعاها منهما كقطعتين من العاج . وعلى رأسها عراقية مغطاة باللؤلوء الناصع البياض تسترسل من تحتها غديرتان عقصتها بدبابيس الجوهر ولولا ذلك لبلغتا الارض لطولها

جمال شرقي لا مثيل لهُ الاَّ في جنة عدن كأنَّ حواء اوصت لها بهِ قبلما سقطت. رأس صغير ووجه مستدير وشعر بين الاسود والاشقر برَّاق كشعر الاوربيات ومهلهل كشعر البدويات. لكنَّ جمال المشرق في العينين والحاجبين هناك الدَّعج والنَّجل والكَحل والحوَر والوَطَف والزَجَج والبلَج[1] هناك سحر العيون ونبل قوس الحاجب. انف دقيق قليل الشمم وثغر صغير واسنان كاللؤلوء النضيد

هذه هي الصورة التي وقعت عليها عين تنكرد. وكانت الفتاة جالسة على الجانب المقابل من الفسقيَّة تنظر اليهِ صامتةً فاراد الاعتذار عن جرأتهِ في الدخول الى بستانها ولم ينتظر حتى ينهض بل بادرها بالكلام قائلاً اصفحي يا مولاتي عن جرأتي

فاشارت اليهِ بيدها لكي يبقى في مكانهِ وقالت لهُ نحن هنا قرب البادية فضيافة الغريب فرض علينا

فقال لما وقع نظري على النخيل في هذا البستان حدثتني النفس بالدخول فدخلت وراقني هذا الينبوع فجلست بجانبهِ ولا اعلم كيف غلبني النعاس

فقالت فعلت بك شمسنا كما فعلت بكثيرين قبلك وكنت امشي في البستان مع جواريَّ فرأيناك وخفنا ان يصيبك الرعن[2] لان الشمس كانت على رأسك فغطتهُ واحدة منا بملاءتها. اذا اقمت في هذه البلاد فلا بدَّ لك من العمامة

تنكرد — هذا فردوس لا بستان ولم يخطر ببالي قط ان اجد بقعة جميلة مثل هذه بين الجبال القاحلة ولكنهُ جدير بيت عنيا

---

(١) الدعج شدة سواد العين مع سعة المقلة . والنجل سعتها . والكحل سواد جفونها . والحور اتساع سوادها . والوطف طول اشفارها . والزجج دقة الحاجبين وامتدادها . والبلج ان يكون بينهما فرجة

(٢) الرعن ضربة الشمس

الفتاة — انتم الافرنج تحبون بيت عنيا حبًّا مفرطًا

تنكرد — كيف لا نحبها وهي تعيد لنا ذكرى امور عزيزة لدينا ذكرى المخلص وامهِ

الفتاة — نعم وانتم تسجدون لهذه المرأة وتعبدون ابنها وكلاهما من اليهود

فنظر اليها تنكرد مدهوشًا وقال وقد صبغت حمرة الخجل وجنتيهِ أوَ لا تعبدينهُ انتِ ايضًا . فقالت يخطر لي احيانًا اني اكاد اعبدهُ لانهُ من ابناء امتي والمرء مفطور على حبّ ابناء امتهِ

تنكرد — اذًا انتِ يهودية

الفتاة — نعم انا من اقرباء مريم البتول التي تكرمها ولو كنتَ لا تعبدها

فصمت تنكرد قليلاً وهو ينظر اليها ثم قال يا حبذا لو قرأتِ سيرة ابنها في كتابهِ

الفتاة — قرأتها فقد اعطاني اياها مطرانكم واظنها مكتوبة كلها باقلام اناس من اليهود وقد رأيت فيها اشياء كثيرة اعجبتني ولكن تعاليمها لا تنطبق على سيرتكم في هذه الايام ولا ارى لي مرشدًا يرشدني الى فهمها

تنكرد — عندنا المرشد وهو الكنيسة

الفتاة — اي كنيسة فان عندنا في القدس كنائس كثيرة كنيسة اللاتين وكنيسة الروم وكنيسة الارمن وكنيسة الموارنة وكنيسة القبط وكنيسة الاحباش وكلها متخالفة متناقضة ولذلك ارى الاصلح لي ان ابقى في كنيسة اقدم منها كلها الكنيسة التي ولد فيها السيد المسيح ولم يخرج منها فانهُ ولد يهوديًا من بيت داود كما تعلم. واودّ ان اعرف ما هو رأيك في اليهود ولماذا هم منتشرون الآن في الدنيا

تنكرد — احسب ان انتشارهم عقاب لهم لانهم رفضوا المسيح وصلبوهُ

الفتاة — ومَن عاقبهم بهِ

تنكرد — هم عاقبوا انفسهم بقولهم دمهُ علينا وعلى اولادنا

الفتاة — هل شريعتكم تبيح للمذنب ان يعاقب نفسهُ ومَن ادراكم ان الحق سبحانهُ وتعالى قبل بما فرضوهُ على انفسهم من العقاب. فليس في كتابكم ما يثبت ذلك بل فيهِ ما يناقضهُ فقد جاء فيهِ ان المسيح صلّى الى الله لكي يغفر لهم . ولكن هبْ انهُ لم يصلِّ او ان الله لم يستجبهُ فان الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا هم عامة الشعب فهل هم نوّاب الامة وهل يُقبل حكمهم على امة كبيرة . وقد كان في البلاد كثيرون يكرمون المسيح ويميلون الى تصديق دعوتهِ فكيف يؤخذون هم واولادهم بجريرة الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا . وقد تقول ان اولئك تنصروا

فنجوا من العقاب فاقول سلّمنا بذلك جدلاً ولكن بني اسرائيل اثنا عشر سبطاً عشرة اسباط منها تشتتت قبل مجيء المسيح وقد يكون اكثر اليهود الآن منها لا من السبطين الباقيين فما شأنها والصلب

تنكرد — ان مسألة الاسباط العشرة مسألة عويصة جدًّا فقد ظن البعض ان الافغان منهم ولكن المرجح انهم انقرضوا او امتزجوا بغالبيهم حتى لا يمكن اقتفاء آثارهم الآن

الفتاة — هذا ضرب من المحال لان اليهود لا يمتزجون بغالبيهم وقد فُتحت بلادهم مراراً مثل كل البلدان الصغيرة التي تحيط بها ممالك كبيرة . فان بلاد الشام كانت داراً للحرب قروناً كثيرة. ولم تفتح اورشليم عنوةً اكثر مما فتحت اثينا لكن شعبها اظهروا البسالة الشديدة وجاهروا بالعصيان مراراً واخيراً أُجلوا من بلادهم . وقولي ان اكثر اليهود المنتشرين الآن في الدنيا هم من الاسباط العشرة ومن جالية اليهود الذين أُجلوا قبل المسيح عليهِ ادلة تاريخية كثيرة . ولكن هب ان اليهود المشتتين الآن في المعمورة هم من نسل اولئك الذين قالوا دمهُ علينا وعلى اولادنا تبقى مسألة اخرى وهي مسألة يهود البادية وبلاد العرب فان جدي لامّي شيخ من مشايخ العرب وقبيلتهُ من اكبر القبائل وهو يهودي وقبيلتهُ كلها يهود وعندهم اسفار موسى الخمسة وهم يسكنون الخيام فهل كانوا في اورشليم وقت الصلب . وامي تزوجت برجل حضري من سكان المدن يستحق ان يجلس على عرش سليمان . وهناك فتًى يوناني يبيع التين في اسواق ازمير اذا رأى امي مارّةً في الشارع ابعد عنها لكي لا يتنجس . لم ارَ ذلك في كتابكم لان الذين كتبوهُ كانوا من عقلاء اليهود اما انتم فقد بعدتم عنهم بعداً شاسعاً

وكانت تتكلم بذلك ويكاد الشرر يتطاير من عينيها وقد صبغت حمرة الحدّة وجنتيها فنظر اليها مبهوتاً لانها كادت تعرب عمّا في ضميرهِ . فقال لها انكِ تتكلمين عن امور تهمني كثيراً ولولاها ما رأيتني في هذه البلاد . ولكن هذا التشتت امر واقعي مهما كان سببهُ ولا بدَّ من انهُ اعجوبة الهية فان اليهود هم الشعب الوحيد من الشعوب القديمة المنتشرة الآن في كل المسكونة

فقالت قد يكون تشتتهم اعجوبةً من غير ان يكون عقاباً لهم ولكن لماذا تعدُّهُ اعجوبةً . فقال لان احتمالهم الطويل لهذه الحالة لا يكون بقوة بشرية . فقالت نحن لا ننكر ان لله يداً في كل شيء ولكن ليس احفظ للشعب من تشتيتهِ فان الشعب المغلوب يقتدي بالغالب ويمتزج بهِ واما الشعب المشتت فيحافظ على نفسهِ وعاداتهِ. وقد اصاب الارمن ما اصابنا والارمني يقول ان لي بيتاً في كل مدينة من مدن المشرق . والارمن اكبر مناظرينا وهم يشبهوننا في الهمة والاجتهاد ولو لم يولد منهم رسل وانبياء مثلنا

فقال تنكرد — ولكن الارمن لا يوجدون الاَّ في بلدان المشرق

فتبسمت وقالت اذًا انت تحسب العقاب انما هو في اجلائنا الى اوربا . اظنك مصيبًا. اما انا فلا اعرف بلادك غير انهُ لما نقم علينا السلطان بسبب مساعدتنا لوالي مصر اضطررت ان امضي الى فينَّا . واهًا على تلك الايام فكم كنت اتمنى الرجوع الى بلادي

تنكرد — الى هذا البستان الجميل في بيت عنيا

الفتاة — لم يكن هذا البستان في حيز الوجود حينئذٍ فانني غرستهُ بعد رجوعي وبنيت فيهِ بيتًا صغيرًا يطل على البرية حيث جدي وقبيلة امي . ولكن ارجو من فضلك ان تخبرني لاي شيء المقام الاعلى عندكم في اوربا

فصمت هنيهة ثم قال وقد احمرَّت وجنتاهُ خجلاً يظهر لي ان المقام الاعلى للمال

الفتاة — وما هي المدينة الكبرى في اوربا

تنكرد — لندن قصبة بلادي

الفتاة — هي اكبر من فينا ولكن هل هي اكبر من باريس

تنكرد — نعم هي ضعفا باريس حجمًا

الفتاة — ما اكبرها . مَن هو اغنى انسان فيها هل هو مسيحي

تنكرد — كلاَّ بل هو اسرائيلي مثلكِ

الفتاة — ومن هو اغنى انسان في باريس

تنكرد — اخو الغني الذي في لندن

الفتاة — اما فينَّا فلا اسألك عنها لاني اعلم ان امبراطورها جعل ابناء شعبي من امراء مملكتهِ حاسبًا انهم عمادها . فانت ترى من ذلك ان هذا العقاب لم يضر بامَّة اليهود في اوربا ولو كنتم قد اضطهدتموها جهدكم . قالت ذلك وقامت وتوارت عن عينيهِ قبل ان يجيبها عن كلامها

فوقف هنيهة مدهوشًا حائرًا في امرهِ لا يدري ما يفعل وهو يحسب انهُ يرى حلمًا واذا بجماعة من الغلمان اقبلوا عليهِ ومعهم اطباق من الابنوس مرصَّعة بالذبل وعرق اللؤلؤ وعليها صحاف الطعام فوضعوها امامهُ ودنا واحد منهُ وربط لهُ حول عنقهِ منديلاً من الكتان الابيض المطرز بالذهب ثم وقفوا متكتفين فقال لهم انهُ غير جائع ولا حاجة بهِ الى الطعام فلم يفهموا كلامهُ بل وقفوا صامتين كالاصنام فاكل قليلاً مما قدموهُ لهُ ثم اشار اليهم ليرفعوا الطعام فرفعوهُ وعادوا من حيث اتوا وهو ينظر اليهم ويفكر في ما رآهُ وسمعهُ من الفتاة . ثم جاءهُ

غلامان آخران بالقهوة فشرب والتفت فرأى الشمس قد توارت بالحجاب فقال لا بدَّ لي من الانصراف فقام وخرج من البستان وكانت حمرة الشفق قد صبغت جبال اليهودية وارتدَّ نورها الى ما بينها من الاودية والشعاب وهبَّ النسيم من برية الاردن فلطف حر الهواء واخذت النجوم الكبرى تتلألأ في كبد السماء. مشاهد بديعة في مساء نهار شاهد فيهِ العبر. مَن تلك الفتاة . جمال لا يطمع المصوّرون ان يأتوا بابدع منهُ جبين يعجز رفائيل عن الاتيان باجمل منهُ . اعتدال قدٍ وذكاء فؤاد وتوقُّد ذهن وعلم وصدق وإخلاص وبُعد عن التيه والهوى . حجة قوية وصوت رنّان وعبارة لطيفة واهتمام باهم المسائل لا غنج ولا تصنُّع ولا شيء مما يشين بل كل ما بدا منها شريف نبيل. في هذه الامور وهذه المناقب كان تنكرد يفكر وهو راجع من بيت عنيا . كان يمشي هنيهة ثم يقف ويشخص الى الجبال والافق فوقها فيراها قد لبست حلة الارجوان ولبس نطاقاً من النضار وفي لحظة تعود بهِ الذاكرة الى البستان والرواق والفتاة وهي جالسة امامهُ تحاجه وتناظره. فسار على هذه الصورة غائصاً في بحار الافكار واذا هو بصوت يناديهِ ان قف وحِد من الطريق فالتفت واذا هو بفارس لابس لباس المماليك على جواد عربي مطهم وامامهُ غلام يحمل نارجيلة وبندقية والفارس مدجج بالسلاح الكامل سيف وقربينة وفردين وهو الامير الذي كان في بيت بسُّو اليهودي على ما ذكرنا في فصل سابق فالتفت الى تنكرد وظلَّ سائراً في طريقهِ

هذا ولنعد الى البستان والفتاة فانها لما خرجت من الرواق سارت مع جوار بها اللواتي كنَّ ينتظرنها وراءهُ الى ان بلغت بيتها وهو غرف كثيرة يحيط بها رواق كبير فصعدت الى الرواق ودخلت البيت فقام الجواري فيهِ اكراماً لها واجلالاً الى ان وصلت الى غرفة كبيرة بديعة النقش والزخرفة فيها ديوان من الحرير الوردي وبساط كبير يغطي ارضها وفي وسطها مسرجة من المرمر قائمة على ثلاث افاعي من النحاس حولها مقاعد وثيرة فخلعت حذاءها وجلست على الديوان وجاءت احدى الجواري بمصباح من الفضة وضعتهُ على المسرجة وجاءتها اخرى بكؤوس فيها من فاخر الشراب المصنوع من عصير الاثمار فشربت قليلاً واتكأت على الديوان وللحال اتت جارية اخرى بكتاب وجلست بجانب المسرجة وجعلت تقرأ وبعد قليل ازيح الستار عن الباب ودخلت امرأة وتقدمت الى الفتاة واسرّت في اذنها ثم عادت وللحال دخل عبد دنقلاوي طويل القامة فسلم ووقف امام الفتاة وجعل يتكلم بصوت منخفض فامرت الجواري فاتينها بدواة وقرطاس فكتبت سطرين في رقعة ودفعتها الى العبد فقبَّل هدب ثوبها وخرج . فان الامير الفارس الذي التقى بهِ تنكرد وصل الى بيت عنيا حينئذٍ وطلب ان يرى الفتاة فاذنت لهُ

بالحضور ولم يكد العبد يخرج من حضرتها والقرطاس في يدهِ حتى ازيح الستار ودخل الامير فرحبت بهِ وقالت لهُ متى اتيت من الجبل يا فخر الدين . فقال اتيت امس وقد احبط القناصل مساعينا كلها واوقفوا الحرب بعد ان انفقتُ عليها مئة الف غرش . واضطررنا ان ننزل الى بيروت ونمضي شروط الصلح فرأيت ان اجاريهم خوفًا من القيل والقال اما الحركة فلا تزال على حالها والمشاكل تزيد تعقيدًا ولكنني قد وقعت في مشكل جديد

الفتاة — هذا شأنك واي مشكل لم تقع فيهِ

الامير — وقد اتيتك لكي تخلصيني على جاري العادة ايتها الاخت العزيزة وما دمتُ انا استنبط المشاكل وانتِ تساعدينني في حلها فالفوز لنا وقد بدت تباشيرهُ

الفتاة — لم تفز بشيءٍ حتى الآن ولكن هات قصَّ عليَّ ما عندك من اخبار الجبل

الامير — كان كل شيءٍ جاريًا طبق المرام قبل هذا الصلح الملعون ولكنهُ لا يدوم الى المرافع فان الجبل كلهُ في حالة الاضطراب الشديد والباب العالي مصرٌّ على الإباء والانكليز يعضدونهُ في ذلك ولا يقبلون ان يكون حاكم الجبل من الامراء الشهابيين

الفتاة — أهذه تباشير الفوز الذي تمني نفسك بهِ

الامير — نعم فان عمي الامير بشير يبقى مبعدًا هو واولادهُ وقد ارسلتُ وعرضتُ عليهِ مئتي الف غرش سنويًا اذا اقنع الباب العالي انهُ لا يستطيع احد ان يسكّن القلاقل في جبل لبنان الا امير من الشهابيين وانهُ هو واولادهُ مستعدون ان يتنازلوا عن حقوقهم لمن يعيَّن واليًا على الجبل من ابناء اعامهم. وقد اقنع واحد من اخصائي رضى باشا انهُ ليس في الشهابيين مَن يدافع عن حقوق الدولة مثلي ولا اصلح مني لهذا المنصب للاسباب التالية

الفتاة — مالك وللاسباب فان الباشا لا يقنع الا بالادلة المحسوسة

الامير — نعم وهذا اقوى الاسباب فاني قد وعدتهُ بكل ايراد الجبل في السنة الاولى اذا حصل لي البراءة

الفتاة — ولكن يجب ان تعلم ان امر رضى باشا معروف فالذي يحميهِ لا يُنظَر اليهِ دائمًا بعين الرضى

الامير — نعم وقد استدركت ذلك وابنتُ لهم انهُ لم يبقَ غيري مسلمًا من الشهابيين

الفتاة — أأنت مسلم ومنذ شهرين ارسلت المطران الى باريس ليتوسط امرك عند الملك لويس بناء على انك من خاصة النصارى وانك حامي حمى الموارنة في جبل لبنان

الامير — نعم كان ذلك لما كانت المياه جاريةً في مجاريها في باريس اما الآن فقد انقلبت الحال

الفتاة — اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح لان الموارنة اقوى عناصر الجبل وفرنسا تشدُّ ازرهم وهم معتمدها في سورية وانت من نخبة الشهابيين فاذا كنت مسيحيًّا وتأخذ حزب الموارنة فلا شك ان فرنسا تعضدك واما اذا ارتددت عن النصرانية الآن فلا امل بالنجاح

الامير — لا يخفى عليكِ ان امير الجبل مضطر ان يتولى امر النصارى والدروز والمتاولة. وبيتنا من اقدم البيوت ونسبنا يتصل بعم النبي وقد ملكنا هذه البلاد منذ ثمانمئة سنة وتنصر اسلافي لكي يكون الموارنة من حزبهم وهذا شأن الاوربيين كلهم فان الامير الذي يختار ملكًا لبلاد مذهب اهاليها يخالف مذهبهُ يترك مذهبهُ ويتمذهب بمذهبهم فعلى مَ لا يجوز لنا ما يجوز لهم واذا رأيت الصدود من فرنسا فعلى مَ لا التجيء الى الدولة واعود الى دين اجدادي . والغاية واحدة وهي الحصول على امارة الجبل فلا فرق عندي كيفما حصلتُ عليها

الفتاة — اسأت يا فخر الدين فاني لا افهم كيف تعدُّ نفسك اميرًا وانت تستخدم ما تأباهُ الشهامة وعزّة النفس وكيف تمني نفسك بالنجاح وانت تنقلب مع الاهواء

الامير — ما نفع الامارة بلا مال اقرضوني المال اللازم فتريني في منصبي غدًا

الفتاة — لا يمكننا ان نقرضك غرشًا الاَّ بعد ان نراك واليًا على الجبل . والسند الوحيد الذي كان يمكن ان تستند اليهِ هو فرنسا فان كانت فرنسا قد تخلَّت عنك فلا امل لك بالولاية

الامير — ماذا تستطيعهُ فرنسا الآن بعد ان اضطرت ان تترك المصريين ليعودوا الى بلادهم . وقد كان خروجهم من سورية غاية مناي لانهُ عاد بالويل على عمي . ولم يبقَ لفرنسا شأن الآن في سورية وكل ما كنت انتظرهُ منها ان لا تعارض رضى باشا في تسميتي لهذا المنصب . اما المطران فارسلتهُ في الظاهر الى باريس وفي الباطن الى لندرا ارسلتهُ برسالة الى وزرائها ليقنعهم اني اسير على ما يبتغون فاسمح لمرسلي البروتستانت بالاقامة في الجبل وانشاء المدارس والكنائس فيهِ حتى يأمروا سفيرهم في استانبول ليساعد رضى باشا على تعييني فتصير فرنسا وانكلترا والدولة معي . وقبل ان وصلت اللقمة الى الفم سقطت لان وزير انكلترا لورد ابردين اخذ الرسالة من المطران ولفها وارسلها الى المسيو غيزو وزير فرنسا فخرب كل البناء الذي بنيناهُ

الفتاة — وسيخرب كل ما تبنيهِ لان الدسائس لا تثمر

الامير — الدسائس الدسائس ماذا نعمل اذًا اتظنين ان ابردين وغيزو وصلا الى منصب الوزارة بغير دسائس. كيف نجح رضى باشا وكيف نجح محمد علي وكيف يفعل السفراء

وعندي الآن في داري جاسوس من جواسيسهم. نصف الملوك وصلوا الى عروشهم بالدسائس. والسياسة بلا دسائس ضرب من المحال يا حوَّاء

الفتاة — اذًا هذا هو المشكل الذي وقعتَ فيهِ فلا ارى كيف نساعدك على النجاة منهُ

الامير — كلاَّ هذا ليس المشكل الذي اشرتُ اليهِ فان مسألة فرنسا لا تهمني لانني استطيع ان ادَّعي ان المطران لم يذهب من قبَلي بل فعل ما فعل من تلقاء نفسهِ وزوَّر الكتاب عن لساني وقد وعدني البطريرك بالمساعدة في فرنسا ولهُ هناك كلمة مسموعة والموارنة كلهم ختموا عريضة الى الباب العالي يطلبون فيها توليتي على الجبل

الفتاة — افلا يغتاظ الدروز من ذلك و يعملون على مقاومتك

الامير — كلاَّ لاني ساكن عندهم وهم يحبونني و يعدونني واحدًا منهم و يعلمون انها حيلة على الموارنة

الفتاة — وماذا فعلت حتى انحاز الموارنة اليك

الامير — فعلت ما لا يخطر ببال ملك وعدتهم باستقلال الجبل . ألا تتذكرين ان ابرهيم باشا جمع السلاح من الموارنة بعد ان اقنع الاكليروس بمساعدتهِ في ذلك لكن الدروز لم يقعوا في هذا الشرك فبقيت اسلحتهم معهم وتضايق الموارنة من جرَّاء ذلك ايَّ مضايقة ورأوا ان لا سبيل لهم لاسترداد الاسلحة فوعدتهم بعشرة آلاف بندقية

الفتاة — أأنت وعدتهم بذلك

الامير — نعم فان شريف افندي المصري اشترى لي خمسة آلاف بندقية من البنادق الانكليزية وقد اتفقت مع عرب زويلا على حملها الى الجبل

الفتاة — حقًّا ان عندك خاتم سليمان يا فخر الدين

الامير — يا حبذا فكنت ادفع الى شريف افندي ثمن البنادق لانهُ لا يسلمني اياها ما لم ادفع لهُ الآن مئتي الف غرش

الفتاة — اذًا هذا هو المشكل فاخبرني كم معك من هذا المبلغ

الامير — ولا غرش وقد بعت كل ما كان عندي من الحلى والجواهر ولم يبقَ تاجر في بيروت الاَّ استدنت منهُ فان رضى باشا مثل الاسفنج ينشف البحر اذا وضع فيهِ

الفتاة — اذا كان البطريرك راضيًا عنك فالموارنة كلهم في يدك فما الحاجة الى الاسلحة لانك لست عازمًا على الثورة

الامير — كلاَّ ولكني اذا سلحت الموارنة اليوم نشبت الحرب بينهم وبين الدروز غدًا

فيقتل بعضهم بعضاً ونقل البضائع الواردة من منشستر فيقوم تجار الانكليز و يطلبون من حكومتهم ان تبذل جيدها في تسكين الفتن وتولية امير على الجبل لإعادة الأمن اليهِ فيضطر سفيرهم ان يمضي الامر بتعييني للولاية لاجل سلام اوربا ونجاح الجبل

الفتاة — هل كلّمت ابي في ذلك

الامير — نعم كلّمتهُ ولكنهُ غير ميّال الى مساعدتي على ما يظهر

الفتاة — لقد ساعدك كثيراً

الامير — و يسهل عليهِ ان يساعدني ايضاً . ثم امسك يدها وجعل يتوسل اليها لكي تكلم اباها . وقال لها "انهُ لا يردُّ لك طلباً يا حوّاء كليهِ اكراماً للمحبة اكراماً للصداقة كليهِ فانهُ لا صديق لي في الدنيا غيركِ انتِ تعرفينني اكثر من كل احد وتعرفين طهارة قلبي ولو كانت معايبي كثيرة. قولي لهُ انكِ اختي وانهُ هو مثل ابي واني احبكِ مثل اخيكِ وانكِ انتِ تحبينني ولو كانت عيوبي كثيرة . كما زاد فضل المرأة زاد انعطافها على من تراهُ دونها لان ذلك يزيد في سطوتها عليهِ فعيوبي الكثيرة تشفع لي عندكِ وتدعوكِ الى مساعدتي" قال ذلك واخذت الدموع تهطل من عينيهِ

الفتاة — كنت احسب انك تتكلم بالهزل لا بالجد

الامير — كيف يهزل المرء في امرٍ مثل هذا . وانتِ تعلمين ان غرضي لا ينال الاَّ بوسائط كثيرة ومال وافر فكيف انالهُ وانا على ما تعلمين

الفتاة — اتركهُ اذاً

الامير — أأتركهُ بعد ان ورّطت نفسي في الدين لاجلهِ . امير مثلي لا يترك غرض حياتهِ او يموت . قال ذلك ونهض قائماً وجعل يمشي في الغرفة . ثم قال لها انتِ تعلمين يا حواء اني اخوكِ فقد ارضعتني امكِ كما ارضعتكِ واني احسب اباكِ مثل ابي والدم الجاري في عروقكِ من لبن امكِ مثل الدم الجاري في عروقي وفوق ذلك نحن من اصل واحد فان العرب اجدادي من نسل اسمعيل وانتم من نسل اسحق وهما اخوان فانتِ اختي وابوكِ مثل ابي وتجمعنا كلينا قرابة النسب ولو كان بعيداً

الفتاة — مهما كانت نسبتك الى ابي فانا لا يمكنني ان اكلمهُ في شأنك بعد ان جرى ما جرى لاني وعدتهُ وعداً قاطعاً ان لا اكلمهُ في امرك فلا تطلب مني يا فخر الدين شيئاً لا استطيعهُ

الامير — انتِ مغتاظة مني وتحسبين انني لا اهتمُّ الاَّ بامر نفسي والحقيقة انني طالب اسمى المطالب واشرفها فقد كان يمكنني ان اقنع ببيت ابي وما عندنا من الخيل والخدم والحشم

واعيش بعيداً عن الناس ولكنني اقول في نفسي لماذا يشتهر ابرهيم باشا ولويس فيليب وبامرستون هل هم ارفع مني نسباً وانا ابن شهاب . اين كان ابرهيم باشا والبربون وبامرستون لما كان جدي يحمل بيرق النبي

الفتاة — مهما يكن من امرك فقد فرغت جعبتي ولم يعد في طاقتي ان اساعدك في شيء

الامير — يمكنكِ ان تساعديني فاسمعي ما اقول لكِ . جاء القدس منذ عشرة ايام او حواليها امير انكليزي غني جدًّا حتى يقال انهُ اغنى من قارون ومعهُ مكاتيب توصية الى ابيك ليدفع اليهِ كل ما يطلبهُ منهُ . ولا احد يعلم غرض هذا الامير اما انا فارتاب في امرهِ . وفي القدس الآن ضابط فرنسوي من البارجة الراسية في بيروت اظنهُ جاء ليتجسس اعمال هذا الامير وقد بلغني اليوم ان الامير ذاهب الى جبل سينا وما هو غرضهُ من الذهاب الى هناك الله يعلم لان الانكليز لا يحجون مثل النصارى ولا مثل اليهود. ومرادي ان اوعز الى قبيلة من قبائل العرب لتأخذهُ اسيرًا فنأخذ فديتهُ من ابيكِ وندفع ثمن البنادق وكل النفقات اللازمة لنقلها الى الجبل فما قولك في ذلك (البقية تأتي)



بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل

كتبت في مجلة المقتطف مقالة تحت هذا العنوان فانبرى للرد عليها اديبان فاضلان وهما خليل افندي ثابت والدكتور نقولا فياض وقد تأملت كلامهما واستخلصت منهُ هاتين المسألتين الآتيتين الجديرتين بالنقد والمباحثة والرد وهما

١ — ان التعريب يُذهب بهجة المعرَّب لان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ

٢ — ان شعر العرب محصور في ابواب محدودة يقلد فيها الآخرُ الاول وانهُ بعيد عن الطبع

الجواب عن المسألة الاولى — اننا جعلنا في مقالتنا السابقة اركان البلاغة ثلاثة اللفظ والمعنى والموضوع . ولا تنكر ان اللفظ قد يسقط عن مرتبتهِ بالترجمة بل ان هناك من ضروب التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقلهُ من لسان الى لسان مثال ذلك قولهُ تعالى " ما من دابَّة الاَّ هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم " فان هذه الآية لما ترجمها مترجمو القرآن حرفياً أصبحت لديهم في معنى غير المقصود في العربية تماماً. وامثال ذلك كثيرة

نعرفها ونسلم بها لكننا لا نسلم مطلقاً بان المعاني تتغير بتغير الالفاظ او لا يمكن نقلها بالترجمة . ولو سلمنا ذلك لما تلقينا علوم اليونان والفرس والافرنج ورويـنا انظارهم فيها كما هي بل لما روينا كثيراً من معاني الامم الاخرى الشعرية وحلّينا بها فصاحاتنا . هذا علي ابن العباس بن جُرَيج المعروف بابن الرومي كان ينقل كثيراً من معانيهِ عن (لُقريس) شاعر الرومان . قال لقريس مما يدلُّ على ان الدنيا دار شقاء لا دار سعادة ان الطفل يبكي عند ولادتهِ ولا يضحك فاخذ هذا المعنى ابن الرومي وقال

لما تؤذن الدنيا بهِ من صروفها يكون بكاء الطفل ساعةَ يولدُ
والاَّ فما يبكيهِ منها وانها لأوسع مما كان فيهِ وارغدُ

وكذلك ابو الطيب المتنبي نقل كثيراً من معانيهِ عن ارسطاطاليس حتى ألَّف في ذلك الحاتمي رسالة مخصوصة . وكان (جاتي) اكبر شعراء جرمانيا كثيراً ما ينقل المعاني عن الفرس في شعرهِ حتى انهُ سمى كتاب اشعارهِ (الديوان) . ولو نقلنا الى اي لسان مثل قول سماحة السيد البكري في نابوليون " حتى زالت دولتهُ الشمَّاء . فغابت مغيب الشمس في كفن من الدماء . ثم استرجعها حفيدهُ بعد الذهاب . وحفظ من نور ذلك المجد بقدر ما يحفظ القمر نور الشمس بعد الغياب " لعُدَّ ذلك فيهِ آية من آيات البلاغة والبيان

وهكذا شعراء الامم تنقل المعاني بعضها عن بعض وتزيد بها خزائن السنتها والمعاني هي هي لا تتغير ولا تتبدل كالشخص الواحد يكتسي حللاً مختلفة او الماء يتناول بآنية شتّى من لجين وعسجد وخزف وهو هو . نعم ربما ان بعض الاستعارات المعنوية والكنايات ونحوها لا تحتمل في النقل من لسان الى لسان ولكن هذا شيء يسير لا يبنى عليهِ حكم ولا قياس

واذا تبين ما تقدم يكون ما عُرّب لنا ونشرناهُ قد سقط فيهِ بالترجمة الركن الاول من اركان البلاغة وهو اللفظ . اما الركن الثاني وهو المعنى الذي هو اهم الاركان فقد سقط فيهِ من نفسهِ اذ محاولة تحسين تلك المعاني السخيفة في الاذهان غير مقبولة عند اهل الادب والبيان

هذا على اننا لم نجزم في مقالتنا الاولى بان كلام الافرنج خالٍ عن البلاغة والمعاني الشعرية العالية بل قلنا ان ما ترجم لنا ليس فيهِ شيء من ذلك ورغبنا الى العالمين بالسنتهم ان ينقلوا الينا ما عندهم من العلوم الادبية كما نقلوا الينا علومهم الطبيعية . اما المطلعون على السنتهم من الراسخين في علم الفصاحة فقد جزموا بان ليس للقوم حظ من ذلك

قال الاستاذ احمد افندي فارس صاحب الجوائب في الكشف ما نصهُ " ومن ذلك انهم ينكرون على اهل اللغات الشرقية وخصوصاً اللغة العربية كثرة الاستعارات والكنايات مع

ان لغتهم تطفح بها طفحاً ولولاها لضاقت بهم العبارة عن تأدية اكثر المعاني وسيأتي الكلام على ذلك بالتفصيل وانما اقول هنا اني لما اردت ان اترجم من قصيدتي التي مدحت بها الامبراطور نابوليون قولي

ولا تخال وقت تو أمي عدة له' وانجازها بل قلما سئلا

قال المصحح ان ذلك لا يكون مفهوماً بلغتهم ولو جاء بهذه الاستعارة أحد مؤلفيهم لحسبت من البلاغة بمكان ومن طبعهم في التأليف والكلام ان ينتقوا الالفاظ الجزلة الفخمة يكسون بها سخيف المعاني فتسمع منهم جعجعة ولا ترى طحناً وهذا داء فاش فيهم أجمعين "

الجواب عن المسألة الثانية وهي كون شعر العرب محدوداً في ابواب مخصوصة وانهُ بعيد عن الطبع — ان الشعر هو تصوير ناطق كما ان التصوير شعر صامت وكما ان بعض المصورين يختص بنوع مخصوص من الصور كالحروب او الرياض او نحوها وبعضهم يتناول كل شيء كان العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود دون البعض الاّ انهم أبدعوا في تصويرها باشكال مختلفة بحيث بلغوا من ذلك مبلغاً ليس وراءهُ مطلع لناظر ولا مجال لفكر . فلا جرم أن كانت القصيدة الواحدة العربية في المديح او الرثاء او الغزل او الوصف تفضل مائة قصيدة محدثة في انواع مختلفة لان الاجادة في باب الفصاحة مقدمة على الاجادة في تنوع المواضيع وتخيل الاشكال المختلفة . ولو استوفى الافرنج اركان البلاغة كما قدمنا ثم تنوعوا في المواضيع كما تنوعوا لكان لهم القدح المعلي في البيان . ولكننا لانخالهم فعلوا ذلك والكلام خلو من هذه الاركان جعجعة ولا طحن . هذه الناقة وهي ركوب العرب قد أبدعوا فيها من الاوصاف والمعاني ما لا يعدُّ كثرة على اننا ما سمعنا للآن معنى شريفاً للافرنج في الوابور مثلاً . اما الطبيعة فلا شيء أقرب اليها وانسب لها من العرب في حالهم ومقالهم كما قال ابو الطيب

ما اوجه الحضر المستحسنات بهِ كاوجه البدويات الرعابيبِ

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوبِ

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ

وهكذا كل شعرهم في الجاهلية والاسلام يذوب رقة وطبعاً كما قال ابو الطيب ايضاً

أبلغ ما يطلب النجاح بهِ اا طبع وعند التعمق الزللُ

نعم انهُ وجد في بعض المتأخرين من الشعراء والكتّاب في اوائل القرن التاسع الهجري وما بعدهُ قوم خرجوا عن الطبع في الكلام والتزموا الصنعة والجناس والتورية والحذلقة الاّ

ان هؤلاء مرذولون حيثما كانوا ولو رآهم العرب الاولى لكانوا اول المنكرين عليهم النافرين منهم . ولعمري اني قرأت عشرين رومانًا فلم أرَ فيها من مناجاة المحبين ما هو أقرب الى الطبع من مثل قول ابي الطيب

إلامَ طماعيةُ العاذلِ	ولا رأيَ في الحب للعاقلِ
يراد من القلب نسيانكم	وتأبى الطباعُ على الناقلِ
واني لاعشقُ من عشقكم	نحولي وكل امرىءٍ ناحلِ
ولو زلتمُ ثم لم ابككم	بكيتُ على حبيَ الزائلِ
اينكر خدي دموعي وقد	جرت منهُ في مسلكٍ سائلِ
أأول دمع جرى فوقهُ	وأول حزن على راحلِ
وهبتُ السلوَّ لمن لامني	وبتُّ من الشوق في شاغلِ
كأن الجفون على مقلتي	ثيابٌ شُققنَ على ثاكلِ

بقي الكلام على السجع والمرسل وبديهي ان المرسل هو الطبع والسجع هو التكلف غير ان هذا انما هو في قص الوقائع وحكايات الاحوال ونحوها اما في تصوير الشيء ووصف الموضوع المخصوص بالاسلوب الشعري فلا بأس بالسجع وانما يكون في هذه الحالة ضربًا من شعر الافرنج الذي لكل شطرين منهُ قافية وربما كانت القوافي اذن مما يزيد المقال رونقًا وبهاء

وبالجملة فان شعر العرب مطبوع غير متكلف متصنع وان دائرتهُ لاتزال تزيد على مر السنين فقد وسعها المخضرمون عن الجاهلية والاسلاميون عنهما وتعددت الواحهم بصور الوجود الحسي والمعنوي ونرى المجددين لهذا الشأن الآن من ايمة الفصاحة والبيان يتناولون ببلاغتهم ما فات الاولين حتى تتسع دائرة الفصاحة العربية وتتبحبح رحابها

وهنا نورد رسالة من كتاب (صهاريج اللؤلؤ) لصاحب السماحة والسيادة السيد البكري في نعت الوابور والبالو وكلاهما من الامور المحدثة وها هي

سلامي على السيد الجليل ادامهُ الله وابقاهُ ما رسا ثهلان[1] واضاء النيران . وبعد فان لي قصة . فيها لكل اديب حصة . واني لاسوقها اليهِ . واتلو اساطيرها عليهِ . ذلكم اني أزمعت السفر . هلال صفر . من القاهرة المعزية . الى الاسكندرية . حيث البلد حاضر باد . والضب والنون والملاَّح والحاد . ورساتيق وسواد . وقصور في شرفات من سنداد . وبحر خضم . ويم طم . وملاعب كواعب اتراب . ومغاني قيان عراب . فاعروريت ظهر قعود ذي

(١) ثهلان اسم جبل

تُذرأ . لا يرد المياه ولا يرعى الكلأ[٢] آلفهُ النجار من شطب . واعواد وخُشُب . يقودهُ هزجٌ اسحم . يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزم[٣] كأنهُ حرف جار . او مبتدأ متعدد الاخبار . غراب البين ان نعب . وغدير الوادي ان سرب . ينساب في القيعان والكثبان . كأنهُ أفعوان . لهُ عينان حمراوان . ويجزع الشعاب والهضاب . ويطوي الارض طي السجلّ للكتاب . اين منهُ عيرانة[٤] وجناء . مضبورة قرواء موّارة كوماء . كأنها قصر . او بنيّة عقر . تراوح على الحاذِ والأنساء . بذي خُصَل كفضل رداء[٥] . حرف في السراب كالنون[٦] تنظر بعيني مجنون . عُذافرة علاة . كأنما رعاها مالك ابن زيد مناة . في ظهر كقنطرة الرومي . وخد كقرطاس الشآمي . ومشفر كالسِّبت اليماني بل أين منهُ أعوجي[٧] حميم . صافن كريم . أغر محجل . كالهيكل المبني او صورة في هيكل . في أُذن كخوصة العسيب . وغرة في موضع التقطيب . كما قلت

جواد لهُ من اربع الريح اربع قوائم خلناها كبعض القوادمِ
فلو سابقتهُ الشمس ما بين مشرق لغرب لكان الطرف اول قادمِ

بل اين منهُ الريح النكباء . والشمأل والجِربياء . شتان شتان . وأنى يتساويان . وما زال هذا الطائر الميمون . يجوب السهول والحزون . يقطع ميثاً بعد ميث . في سير حثيث . ليس بالوخدان ولا الزميل . ولا التهويد ولا التطفيل[٨] . ويجوس في مزارع وزرداقات . كرقوش الحيات . وارض عذاة خضراء . بعيدة عن الاحساء . شجرها القطن والكتان . لا العرعر والظيّان . فيها طلح منضود . في ظل ممدود . ونخيل مواقير بالقُنيّ . من الازاذ والبرنيّ . قد اخذت زُخاريها او داؤها . وتزيّنت بزينتها ارجاؤها . فلا ترى الأ عيوناً تنضح . واطياراً تصدح .

(٢) يقول ركبت بعيراً لا يرد الماء ولا يرعى يريد بذلك الوابور

(٣) هزج اي لهُ صوت . واسحم اي اسود قال عنترة يصف الذباب

هزجٍ يحك ذراعهُ بذراعهِ فعل المكب على الزناد الاجزمِ

فشبه هنا الوابور الجار للعربات بذلك لتحرك ذراعيهِ في سيرهِ

(٤) العيرانة الناقة . اخذ يشبه الوابور باشياء مختلفة معروفة بسرعة السير كالناقة والفرس والريح ثم انهُ عند تشبيهه بكل واحد من هذه الاشياء يصف ذلك الشيء بجميع نعوتهِ وبصورهِ بسائر حالاتهِ

(٥) يصف ذنب الناقة وهي تضرب بهِ على افخاذها برداء مسدول لكبرهِ والنوق تمدح بذلك

(٦) الحرف الناقة . والنون الحوت والحرف المعروف . فهو يقول بانها كحرف النون لضمرها من السير وبوري ايضاً بانها في السراب كالحوت في الماء

(٧) الاعوجي الفرس المنسوب الى اعوج وهو فرس مشهور . وقد اخذ يشبه الوابور بالفرس

(٨) هذه ضروب من سير الابل

وقُرَيات بيض في رياض خضر. كاشرعة الفُلك في لج البحر. حتى وصلنا الاسكندرية في عشية ضاحِيَة عَرِية . فسرنا الى (صان استيفان) . فاذا قصر غمدان أو خورنق النعمان . منزل كانهُ منزلة من منازل القمر . وبيت ظهر فيهِ الحسن فكانهُ بيت شِعر او بيت شَعَر

والحسن يظهر في شيئين رونقهُ بيت من الشعر او بيت من الشَعَرِ

تحف بهِ روضة غناء . تضحك من ازهارها بالحمراء والصفراء . كانها بساط اجادتهُ يدُ صناع . او بُرد يمني بالغت في حوكهِ الصنّاع . وامامهُ بركة من ماء البحر . كانها مرآة ينظر وجههُ فيها البدر . اذا تجلى القمر في ارجائها . حسبتهُ قلباً خافقاً بين أحشائها . وما كاد يستقرُّ بنا القرار . ونزيل وعثاء الاسفار . حتى قيل ان (البال) سيكون الليلة في هذه الدار فهششنا لهذا النبإ . هشاش الرّائد صادف قرن الكلإِ . ثم لبثنا حتى اذا تغضفت الظلماء . ولمعت نجوم السماء . أُخذنا الى قاعة روحاء . عليها قبة جوفاء . فيها من كل زُخرف ورُواء . ونضائد مفروشة . وزَرابي مبثوثة وأَرائك منقوشة . وحُسبانات ونوَاويس . كاجنحة الطواويس . وبنود تخفق وتهاويل تبرق . وطاقات الزهر والريحان . كاقواس السماء في الالوان . ومصابيح كالاثمار في الاغصان . تأتلق في الارجاء . كالنسر والفرقدين والجوزاء . واذا رأَيت ثمَّ رأيت الرّعابيب الحسان . كانهنَّ اللؤلؤ والمرجان . من كل بيضاء جيداء . بخنداة ذلفاء . شموع عيناء . فينانة رقراقه . أُملود برّاقه

اذا خطرت تأرّج جانباها كما خطرت على الروض القبُولُ

ويحسن دلها والموت فيهِ وقد يستحسن السيف الصقيلُ

يقوّم من تثنيها اعتدالٌ يكاد يقالُ من هيف نحولُ

غوان غيد . خرّد اماليد . في صدور كالمرمر . تزهو باللؤلوء وتبهر . كانها الاغريض . او صدور البزاة البيض . واكتادٍ عاريّة . ونحورٍ حالية . ومعاصم غضّة بضة . كانها شماريخ الفضة . وشعر كسلوك الذهب . يتقد فيهِ الجوهر اتقاد اللهب . ووجوه كالدنانير . واوساط كاوساط الزّنابير . وثغور هي اللؤلوء الرطب . ولحاظ هي الاسهم ريشها الهدب . ومعاطف تكاد لرقتها يترك الوشي فيها شكلهُ . ويرسم على ديباجها مثلهُ . وفوق ذلك حلي وسواس . كأنهُ ابليس وسوس في صدور الناس . وحلل من استبرق وديباج . ودمقس وهّاج . وقد تعلق الورد بالاردان . كانما تفتح على الاغصان

لبسن الوشي لا متجملات ولكن كي يصنَّ بهِ الجمالا

وهنالك فتيان . كانهم الولدان . في زي الحضارة . والرّفهنية والشّارة . وميعة الشباب .

وأولق الصبا والتصاب . يمشون بينهنَّ مشي القطا الكُدري . في الدِّمث الندي . قد حاز كل فتىً لديهِ غادة . كواسطة القلادة . خريدة مِعطال. كانها خِشف غزالٍ . ثم ترنمت الالحان . فترنحت الاغصان . وصارت الايدي مناطق للخصور . ومساند للظهور . ورسفت الاقدام . كانما تسير في وعر . وانتفضت الاجسام . كما انتفض العصفور بللهُ القطر

وكل غصن بغصن صار معتنقاً مسرة كاعتناق اللام للالفِ

وجرَّت ذيولهنَّ الغادات. كانهنَّ ذواتُ الاذناب من الكواكب العلويات . يرسمن الدوائر في أفلاك السموات

ترى حركاتهنَّ بلا سكون فتحسبها لخفتهـا سكونا

كسير الشمس ليس بمستقر وليس بممكنٍ ان يستبينا

ثم سكنت الانغام برهة ففتحت الابواب عن رواق فسيح الجناب فيهِ سماط يشغل الفم والعين . فيهِ الفاكهة زوجين زوجين . وقطع من نون . ولحم طير مما يشتهون . وظلع واعناب. وصلائق وسبائك وصناب. وقد رصفت فيهِ القوارير والدنان. والاباريق والصيعان. تلع فيها الخرطوم السلسبيل . والمشعشعة القنديل(٩) . عقار . ان وافت المرء همٌّ ان ينفث الاسرار . فتعقد اللسان . للكتمان . وان نهل منها وعلَّ . خال جسمهُ قرية من قُرى النمل . لا تزيل الاشجان . عن الجنان . وانما تزيد ما فيهِ من حزن او سراء . فهي منظار يكبر الاشياء . فهرع القوم يطعمون الطعام . ويحسون المدام . الى ان خفت الاحلام . وانثنت القدود . وانتقل خمر القناني الى الخدود . ثم صدحت الالحان . وعاد الشان كما كان . فدارت هذه الكواكب في افلاكها . وانتظمت كالدراريء في اسلاكها . تنأى وتقرب . وتشرق وتغرب . وهكذا حتى لاح . وجه الصباح . واشرق نور ذكاء(١٠) . فتوارت كواكب الارض والسماء

متوسط العمر

بحث المستر تيلر في مجلة الفورم عن متوسط ما يعيشهُ الناس بحسب اختلاف صناعاتهم فوجد ان متوسط عمر

٣٨ مؤرخاً	٧٣ سنة	و ١١٢ سياسياً	٧١ سنة	و ٣٩ مصوراً	٦٦ سنة
و٥٨ عالماً ومخترعاً	٧٢ «	و ٤٠ مؤلفاً	٦٧ «	و ٣٠ موسيقياً	٦٢ «
و٤٨ قائداً	٧١ «	و ٦٦ فيلسوفاً	٦٥ «	و ٤٦ شاعراً	٦٦ «

---

(٩) اي الخمر (١٠) ذكاء علم للشمس

الاسكندر ذو القرنين

غزوة الهند

تركنا الاسكندر وقد دوَّخ بلاد الفرس ولم يبقَ عليهِ من البلدان التي كانت تحمل اليهم الجزية الاَّ الهند فقام في فصل الربيع من سنة ٣٢٧ ق . م بنحو مئة وعشرين الف مقاتل لان فوزهُ المتواصل في بلاد الفرس حمل كثيرين من اليونانيين والمكدونيين والسوريين على الانضواء اليهِ فزاد بهم جيشهُ رويدًا رويدًا خلا من انضمَّ اليهِ من امم المشرق وبقيت النجدات ترد اليهِ حتى بعد ايغالهِ في بلاد الهند. وبلغ وادي كابول حيث كان منذ سنتين وحصَّن المدينة التي انشأها وسماها باسمهِ ولبث هناك فصل الصيف الى ان تمَّ استعدادهُ للحملة على بلاد الهند. ثم قام في الخريف وانحدر في وادي كابول وبعث امامهُ بالوفود يدعون ملوك الهند الى الطاعة وكانت شهرتهُ قد طبَّقت الآفاق فوفد اليهِ كثيرون منهم يحملون الهدايا الفاخرة فامَّنهم واقرَّهم في ممالكهم حتى اذا صار على مئة ميل من كابول شرقًا قسم جيشهُ قسمين سيَّر قسمًا منهما جنوبًا ليستولي على مضيق خيبر وسار هو بالقسم الثاني شمالاً ليستولي على بلاد بامير ومضايق شترال. وخيبر وشترال الطريقان الى بلاد الهند اللذان يطمع الروس بامتلاكهما يومًا ما ويرى الانكليز ان لا بد من صدهم عنهما. ففعل الاسكندر في سنة واحدة ما لم يستطعهُ الروس حتى الآن ولا استطاعهُ الانكليز الاَّ بعد اعوام كثيرة واراقة انهار الدماء

ولقي من سكان الجبال الامرَّين لشدَّة بأسهم ووعورة مسالكهم وما زال يفتح مدينة بعد مدينة ومعقلاً بعد معقل الى ان بلغ وادي السند. ومن المعاقل التي فتحها معقل شاهق اسمهُ اَاَرنا اي الملجأ. ويقال انهُ جبل كثير الحراج ارتفاعهُ ستة آلاف قدم ومحيطهُ اثنان وعشرون ميلاً وفي اعلاهُ حصن منيع فيهِ نبع ماء وقد عجز عنهُ كلُّ من قصدهُ بسوء فاختار الاسكندر شرذمةً من نخبة رجالهِ الذين يعتمد عليهم في الشدة وارسلهم مع القائد بطليموس بن لاغوس وهو الذي خلفهُ على مصر وانشأ دولة البطالسة كما سيجيء. واسترشد بعض السكان فارشدوهُ الى اكمة بجانب الحصن يستطيع القيام فيها الى ان يتهيأ لهُ الهجوم عليهِ فامر بطليموس ان يصعد اليها ليلاً فصعد وعند الفجر رأتهُ حامية الحصن فنشب القتال بينهُ وبينها ودام النهار كلهُ ولم يستطع الاسكندر ان يمدهُ بالرجال ذلك اليوم لكنهُ استطاع ذلك في اليوم التالي وصعد برجالهِ وقابل الحامية من جهة اخرى فصارت بينهُ وبين بطليموس واحتدمت نار القتال النهار كلهُ وجنود الاسكندر تتقدَّم رويدًا رويدًا وهي تتسلق الصخور والشواهق والحامية

تفتك بها فتكاً ذريعاً وكانت الاكمة التي عليها الحصن ارفع كثيراً من الاكمة التي عليها بطليموس وبينهما وادٍ عميق واسع فيتعذر الوصول الى الحصن منها بل يتعذر الوصول اليهِ من كل جهة لان الوادي يحيط بهِ من الجهات الاربع لكنَّ من فتح صور وغزَّة واسوارها تناطح السحاب لا يتعذر عليهِ عبور وادٍ مهما كان عميقاً فامر رجالهُ ان يقطعوا اشجار الحراج ويلقوها فيهِ وللحال تحوَّلت السيوف فؤوساً وجعل الجنود يقطعون الاشجار ويلقونها في الوادي ليكون منها جسر يعبرون عليهِ والاسكندر واقف بينهم يشجعهم ويعايب نفوسهم وكان معهُ آلات كثيرة لرشق الحجارة والسهام كان ينصبها على هذا الجسر ويذود بها عن الجنود وهم يقطعون الاشجار ويضيفونها اليهِ الى ان تمَّ انشاؤهُ في اربعة ايام. ورأت الحامية ان لا قبل لها بالاسكندر بعد ان بلغ الحصن فذاكرتهُ في امر الصلح واكثرت من الاخذ والعطاء وفي نيتها ان يمضي النهار كلهُ ويأتي الليل وهو مطمئنٌ بانها استأمنت اليهِ فتخرج من الحصن ليلاً وتلجأ الى الفرار. ولم يخفَ عليهِ ذلك فابعد عن الحصن قليلاً وتغافل عنهُ قصداً الى ان خرجت الحامية منهُ ففاجأها واوقع بها حتى كاد يفنيها فوقعت هيبتهُ في النفوس لاسيما وان ذلك الحصن كان مشهوراً في تلك الاقاليم بانهُ امنع من عقاب الجو

والجنود التي سارت جنوباً لم تجد من المقاومة ما وجدتهُ الجنود التي سارت شمالاً فارتفع علَم الاسكندر على كل البلاد غربي نهر السند وترك الحامية في كل المعاقل والحصون التي مرَّ بها ونظَّم حكومة البلاد كأنها ايالة من ايالاتهِ

ويضيق نهر السند بقرب اتوك لمرورهِ في وادٍ صخري ضيق فيبلغ عمقهُ نحو مئتي قدم وعرضهُ نحو مئتين وخمسين قدماً لا غير فصنع جسراً من القوارب عبرهُ بهِ وكان ذلك في اوائل الربيع من سنة ٣٢٦ ولقي هناك ملكاً من ملوك الهند كان قد بعث اليهِ بالهدايا وهي ثلاثة آلاف من الماشية وعشرة آلاف من الغنم وثلاثون فيلاً ومئتا وزنة من الفضة وسبع مئة فارس من فرسان الهند واسم عاصمة هذا الملك تكشاسيلا فاختصرهُ اليونان وسموها تكسيلا وسموا ملكها تكسيلس وكأنهُ استأمن للاسكندر مخافة من جارهِ ملك فوراقا الذي يسميهِ اليونان فورس ويسمى في كتب العرب فور. وكان هذا الملك جباراً عظيم السطوة بادي المهابة فلم يخشَ باس الاسكندر بل وطن النفس على منازلتهِ وصدهِ عن بلادهِ وجمع جيوشهُ ونزل بها على نهر هداسبس الذي يفصل بلادهُ عن البلاد التي وصل اليها الاسكندر وكانت ثلوج الجبال قد ذابت ومدَّت هذا النهر فطغى حتى بلغ عرضهُ ميلاً وكان مع فور خمسة وثلاثون الف مقاتل وثلثمئة فيل ورأى فرسان الاسكندر الافيال فراعهم امرها لان خيلهم تنفر من

رائحتها وصوتها والفرسان معتمد الاسكندر في شجاعته فاخذ يدبّر الحيل ويترصّد الفرص وهو يتظاهر كل يوم بتصميمهِ على عبور النهر فينزل فيهِ القوارب وتتهيأ الفرسان للعبور ثم تعدل عنهُ وكانت تنهض في منتصف الليل وتبوّق قصد الهجوم ازعاجاً للهنود حتى لا تغمض جفونهم الى ان الفوا هذه الحالة ولم يعودوا يعبأون بما تفعلهُ جنود الاسكندر . ثم ان الاسكندر اشاع انهُ رأى النهر لا يُعبَر فعزم ان ينتظر الى ان ينخفض ماؤُهُ في الخريف المقبل وجعل يجوب البلاد التي حولهُ ويدوّخها ويجمع المؤن ويقيمها اكداساً اقناعاً لفور ورجالهِ بانهُ غير عازم على العبور اليهم قبل فصل الخريف

وكان على عشرة اميال من معسكر الاسكندر منعطف في النهر بينهُ وبين المعسكر آكام متواصلة وحراج غبياء وفي هذا المنعطف جزيرة شجراء فعزم على ان يعبر النهر من هناك وقام بنحو ثلاثين الفاً من نخبة جنودهِ ودار حول التلال حتى بلغ المنعطف وابقى بقية الجيش في المعسكر بقيادة كراترُس وامرهُ ان يحاول عبور النهر والهجوم على العدو حينما يعبرهُ هو من عند المنعطف حتى يشغلهُ من امامهِ ومن ورائهِ في وقت واحد

وسار الى المنعطف في ليلة ليلاء كثيرة الزوابع والامطار وقسم رجالهُ قسمين ترك قسماً منهم وهم نحو سبعة عشر الفاً من المشاة على الضفة الشمالية لكي يصدوا الملك ايسارس الذي كان نازلاً من بلاد كشمير لنجدة الملك فور وعزم ان يهاجم فوراً بثلاثة عشر الفاً من الفرسان والرماة . وكان رجالهُ قد حملوا بعض القوارب والزقاق والاطواف فاستعانوا بها على قطع النهر وكانت الامطار قد مدّت ماءهُ حتى طغى على ضفتيهِ. ولما اجتاز الجزيرة درى بهِ رقباء الهنود وعدوا الى المعسكر واخبروا بما رأوا وعبر رجال الاسكندر من الجزيرة الى الضفة المقابلة فوجدوها جزيرة اخرى يفصلها الماء من البر ولم يكن ذلك ظاهراً لهم وهم على الضفة الاخرى فاسرعوا الى خوض الماء قبلما يقابلهم العدو والماء الى الاكتاف والارض طفالية كثيرة الزلق ولما رأى الاسكندر ما حاق بهِ من الشدة حينئذٍ قال " ما اشد المخاطر التي تجشمتها لكي تجودوا عليّ بالمدح ايها الاثينيون " . ذكر ذلك فلوطرخس

ولما بزغ الفجر كان الاسكندر ورجالهُ قد بلغوا الضفة الاخرى واصطفوا فيها وتأهبوا للهجوم وكان فور ورجالهُ واقفين امام النهر تتجه صفوفهم الى الشمال الغربي فاتاهم الاسكندر من الشمال الشرقي بعد ان عبر النهر ولذلك اضطر فور ان يدور بجنودهِ ويقابلهُ . وكان الرقباء قد وصلوا الى المعسكر واخبروا ان جنوداً عبرت النهر من عند المنعطف ولكنهم لم يتبينوها من هي لشدة الظلام وكان فور ينتظر النجدة من ايسارس ملك كشمير كما تقدم فظنها النجدة المنتظرة

لان خيام الاسكندر وجنوده لم تزل على الضفة المقابلة ولم يظهر انهُ غاب منها احد فارسل الفين من فرسانهِ ومئتي مركبة مع ابنهِ حتى اذا كانت الجنود من جنود ايسارس قابلها بالترحاب واذا كانت من جنود الاسكندر وقف في وجهها الى ان تأتيهُ النجدات

والاسكندر على ما رأيت يأبى ان يفرض لهُ احد الخطة التي يسير فيها فيخط الخطط الحربية لنفسهِ ويفرضها على غيرهِ . واي خطة ابدع من الخطة التي سار فيها حينئذٍ فان فور اقام بجنودهِ على النهر حتى اذا عبرت اليهِ جنود الاسكندر من الضفة الاخرى اصطادها صيداً كلما عبرت فرقة منها اوقع بها فيكون النهر اكبر عون لهُ عليها. فانكر الاسكندر عليهِ ذلك وعبر النهر خلسة من مكان آخر كما تقدم وجاءهُ من السهل عن يمينهِ فاضطرَّ ان يترك اعتمادهُ على النهر ويقابلهُ مواجهة اي ان يقبل بالخطة التي خطها لهُ رغماً عنهُ

وبعد قليل عادت الفرسان التي أُرسلت للاستطلاع بعد ان اوقعت بها جنود الاسكندر ومزَّقت شملها وقتلت منها اربع مئة فارس فلم تبقَ شبهة في ان الجنود المقبلة هي جنود الاسكندر ولو كان معسكرهُ لا يزال على الضفة الاخرى من النهر. ولو قابلهُ فور حينئذٍ وهجم عليهِ لكان الفوز لهُ لان ثلاثة عشر ألفاً لا تستطيع الثبات في وجه ثلاثين ألفاً من الجنود المدربة على القتال لاسيما وخيول اليونان تنفر من رائحة الافيال وصوتها لكنهُ لم يفعل ذلك بل ادار جنودهُ حتى قابلت جنود الاسكندر فامتدت صفوفها اربعة اميال والافيال في قلبها كالابراج وجعل الفرسان والمركبات على الجناحين وابقى جانباً كبيراً من جنودهِ على ضفة النهر مخافة ان تعبر اليهِ جنود الاسكندر من الضفة الاخرى وتوقع بساقتهِ واقام كذلك منتظراً قدوم الاسكندر. واقبل الاسكندر وجنودهُ منضمة ملتحمة لا يبلغ عرضها سوى ربع ميل فسهل عليهِ الهجوم على الجانب الذي يريدهُ فهجم على الجناح الايسر المحاذي للنهر لكي لا تحيط بهِ جنود فور من كل ناحية وامر مشاتهُ ان ينتظروا الى ان يقع الاضطراب في ميسرة الهنود فيهجموا عليها وبعث فريقاً آخر من الفرسان سار بجانب النهر حتى اذا دارت الميسرة لتقابلهُ وقع هذا الفريق على ساقتها فاطبقت فرسانهُ عليها من الامام ومن الوراء فتم لهُ ما قدرهُ ودارت الدائرة على ميسرة فور وتمزَّق شملها. وهجمت جنود الاسكندر حينئذٍ على قلب الهنود من الجهة اليسرى فاختلَّ نظامهُ لما دار لكي يقابلها لكن فرسان الميسرة عادت فلمَّت شعثها وبادرت لمساعدة الجانب الذي هجم عليهِ الاسكندر وكانت الافيال هناك فهربت منها خيول فرسانهِ اما المشاة فوقفوا امامها وجعلوا يطعنونها وراكبيها بحرابهم حتى ارتدت على اعقابها وردَّت مشاة الهنود معها وحينئذٍ عادت فرسان الاسكندر ودفعت فرسان الهنود فاصطدمت بالافيال واجتمعت فيالق

المشاة وضمت اتراسها بعضها الى بعض حتى صارت كالبناء المرصوص وهجمت هي والفرسان على الافيال من جهتين من الامام ومن اليسار فاضطرت الافيال ان ترتد على اعقابها وتزحم المشاة الذين وراءها فعصرتهم عصرًا وداستهم باقدامها واشتبكت فرسان الهنود ومشاتهم وافيالهم في ورطة واحدة كل ذلك والملك فور يحث جنوده على الثبات ويدير صفوفهم من جهة الى اخرى ويمنعهم من الفرار الى ان ضاقت بهِ الحيل وجرح جرحًا بالغًا ورأى ان الدائرة دارت عليهِ فلوى عنان فيلهِ واركن الى الفرار. ورأى الاسكندر ما ابداهُ هذا الملك من البسالة والمهارة فاعجب بهِ ورام ان لا ينالهُ مكروه فامر الملك تكسيلس ان يتبعهُ ويؤمّنهُ فلما رآهُ فور استلّ خنجرهُ وهمّ بضربهِ لانهُ عدو ألد لهُ فعاد واخبر الاسكندر فبعث وراءهُ رجلاً هنديًا من اصدقائهِ اسمهُ ميرو فلطف لهُ المقال الى ان اذعن للتسليم وعاد الى الاسكندر. فلما رآهُ مقبلاً سار للقائهِ وكان فور جبارًا طويل القامة مهيب الطلعة فنظر اليهِ الاسكندر معجبًا ببسالتهِ وقال لهُ ماذا تريد ان افعل لك فقال ان تعاملني كما يليق بالملوك ان يعاملوا غيرهم فسُرَّ بهذا الجواب وقال اما من جهتي فكما يليق بالملوك اعاملك واما من جهتك فما هي طلبتك فتقضى فقال فور هذا حسبي

وهذه الواقعة اشهر وقائع الاسكندر من حيث ما ابدى فيها من المهارة الحربية. وقد روى ديودورس انهُ قُتل من جيش فور اثنا عشر الفًا وقال اريانوس بل قتل منهُ ثلاثة وعشرون الفًا واخذ الاسكندر ثمانين من الافيال وحُطّمت المركبات كلها وكان بين القتلى اثنان من ابناء فور

وانشأ الاسكندر مدينة في مكان الواقعة سماها نيقية (اي المنصورة) ومدينة اخرى على الضفة المقابلة حيث كان معسكرهُ سماها بوسيفلوس تذكارًا لجوادهِ المشهور لانهُ مات هناك بعد ان رافقهُ ثماني عشرة سنة ولم يعلُ صهوتهُ احد غيرهُ. ولم تزل هذه المدينة الى الآن واسمها جلال فور

هذا وقد ذكر عبد الله بن المقفع مترجم كتاب كليلة ودمنة الملك فورًا نقلاً عن بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي في المقدمة التي قدمها لذلك الكتاب وقال فيها

"ان الاسكندر ذا القرنين الرّومي لما فرغ من امر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سارَ يريدُ ملوكَ المشرق من الفرس وغيرهم. فلم يزل يحارب من نازعهُ. ويواقع من واقعهُ. ويسالمُ من وادعهُ من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى حتى ظهر عليهم وقهر من ناواهُ وتغلب على من حاربهُ فتفرّقوا طرائق. وتمزقوا حزائق. فتوجه بالجنود نحو بلادِ الصين فبدأ في

طريقهِ بملك الهند ليدعوهُ الى طاعتهِ والدخول في ملتهِ وولايتهِ . وكان على الهند في ذلك الزمان ملك ذو سطوة وباس. وقوة ومراس. يقال لهُ فور فلما بلغهُ اقبال ذي القرنين نحوه تأهب لمحاربتهِ . واستعدَّ لمجاذبتهِ وضمَّ اليهِ اطرافهُ وجد في التألب عليهِ وجمع لهُ العدة في اسرع مدة. من الفيلة المعدة للحروب. والسباع المضرَّاة بالوثوب. مع الخيول المسرجة والسيوف القواطع والحراب اللوامع

فلما قرب ذو القرنين من فور الهندي وبلغهُ ما قد اعدَّ لهُ من الخيل . التي كأنها قطع الليل . مما لم يلقهُ بمثلهِ احد من الملوك الذين كانوا في الاقاليم . تخوف ذو القرنين من تقصير يقع بهِ ان عجل المبارزة ٠ وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكايد مع حسن تدبير وتجربة فرأى اعمال الحيلة والتمهل واحتفر خندقاً على عسكرهِ واقام بمكانهِ لاستنباط الحيلة والتدبير لامرهِ وكيف ينبغي لهُ ان يقدم على الايقاع بهِ ٠ فاستدعى بالمنجمين وامرهم بالاختيار ليوم موافق تكون لهُ فيهِ سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليهِ فاشتغلوا بذلك٠ وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة الاَّ اخذ الصناع المشهورين من صناعها بالحذق من كل صنف ٠ فتفتحت لهُ همتهُ ودلتهُ فطنتهُ ان يتقدم الى الصناع الذين معهُ ان يصنعوا خيلاً من نحاس مجوفة عليها تماثيل من الرجال على بكر تجري اذا دفعت مرت سراعاً ٠ وامر اذا فرغوا منها ان تحشى اجوافها بالنفط والكبريت وتلبس وتقدم امام الصف في القلب ٠ ووقت ما يلتقي الجمعان تضرم فيها النيران فان الفيلة اذا لفت خراطيمها على الفرسان وهي حامية ولت هاربةً ٠ وأوعز الى الصناع بالتشمير والانكماش والفراغ منها ٠ فجدوا في ذلك وعجلوا وقرب ايضاً وقت اختيار المنجمين فأعاد ذو القرنين رسلهُ الى فور بما يدعوهُ اليهِ من طاعتهِ والاذعان لدولتهِ٠ فاجاب جواب مصرٍ على مخالفتهِ مقيمٍ على محاربتهِ

فلما رأى ذو القرنين عزيمتهُ سار اليهِ بأهبتهِ وقدَّم فور الفيلة امامهُ ودفعت الرجال تلك الخيل وتماثيل الفرسان فأقبلت الفيلة نحوها ولفت خراطيمها عليها. فلما احست بالحرارة القت مَن كان عليها وداستهم تحت ارجلها ومضت مهزومةً هاربةً لا تلوي على شيء ولا تمرُّ باحدٍ الاَّ وطئتهُ وتقطع فورٌ وجمعهُ وتبعهم أصحاب الاسكندر واثخنوا فيهم الجراح ٠وصاح الاسكندر يا ملك الهند ابرُز الينا وابقِ على عدتك وعيالك ولا تحملهم الى الفناء ٠ فانهُ ليس من المروءة ان يرمي الملك بعدَّتهِ في المهالك المتلفة والمواضع المجحفة بل يقيهم بمالهِ ويدفع عنهم بنفسهِ ٠ فابرُز اليَّ ودع الجند فأيُّنا قهر صاحبهُ فهو الاسعد فلما سمع فور من ذي القرنين ذلك الكلام دعتهُ نفسهُ الى ملاقاتهِ طمعاً فيهِ وظن ذلك فرصةً ٠ فبرز اليهِ الاسكندر فتجاولا على ظهري

فرسيهما ساعاتٍ من النهار ليس يلقى احدهما من صاحبهِ فرصةً ولم يزالا يتعاركان . فلما اعيا الاسكندر امرهُ ولم يجد فرصةً ولا حيلةً أوقع ذو القرنين في عسكرهِ صيحةً عظيمةً ارتجت لها الارض والعساكر . فالتفت فور عند ما سمع الزعقة وظنها مكيدةً في عسكرهِ . فعاجلهُ ذو القرنين بضربةٍ امالتهُ عن سرجهِ اتبعها باخرى فوقع الى الارض . فلما رأت الهنود ما نزل بهم وما صار اليهِ ملكهم حملوا على الاسكندر فقاتلوهُ قتالاً أحبوا معهُ الموت . فوعدهم من نفسهِ الاحسان ومنحهُ الله اكتافهم فاستولى على بلادهم وملَّك عليهم رجلاً من ثقاتهِ . واقام بالهند حتى استوسق لهُ ما اراد من امرهم واتفاق كلمتهم . ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عليهم ومضى متوجهاً نحو ما قصد لهُ "

واشار ابن خلدون الى ذلك فقال " ولما استولى الاسكندر على بلاد فارس تخطاها الى بلاد السند فملكها وبنى بها مدينة سماها الاسكندرية ثم زحف الى بلاد الهند فغلب على اكثرها وحاربهُ فور ملك الهند فانهزم واخذهُ الاسكندر اسيراً بعد حروب طويلة " . واشار المسعودي الى ذلك اشارةً والظاهر انهُ هو وابن الاثير نقلا عن ابن المقفع

هذا ولنعُد الى ما اثبتهُ الاستاذ هويلر نقلاً عن الثقات من المؤرخين قال ان الاسكندر اقام شهراً من الزمان في بلاد الملك فور واصلح بينهُ وبين تكسيلس واقرَّ كلاًّ منهما على مملكتهِ شأنهُ في ابقاء الاكفاء من الملوك والولاة الذين انتصر عليهم في ممالكهم واياالاتهم واتخاذهم حلفاء لهُ لا عبيداً . ثم ترك كراترس ليهتم ببناء نيقية وبوسيفالا وسار شرقاً ليتم تدويخ بلاد البنجاب المعروفة ببلاد الانهر الخمسة فاطاعهُ ملك كشمير لما رأى ان لا قبل لهُ بمناوأتهِ وبعث اليهِ هدية اربعين فيلاً ومقداراً وافراً من الذهب . وقاومهُ سكان المدن التي عبر نهر راڤي ومنها مدينة سنغالا وهي كبيرة حصينة ففتحها عنوةً وقتل من اهلها سبعة عشر الفاً واسر سبعين الفاً . ومن ثمَّ اطاعتهُ بقية المدن المجاورة وصارت البلاد كلها طوع امرهِ والظاهر انهُ لم يكن يعلم ان وراء نهر السند نهراً آخر اكبر منهُ وهو نهر الكنك وبلاداً من اوسع بلدان المسكونة واعمرها لان اليونان كانوا يجهلون ذلك حينئذٍ فحسب انهُ بلغ نهاية ما وصل اليهِ مُلك الفرس وعزم ان ينزل في نهر السند الى مصبهِ ويدور في الاوقيانوس الهندي حتى يصل الى خليج فارس فامر ببناء السفن اللازمة لذلك عند نيقية ثم بلغهُ انهُ لا يزال شرقي الانهر الاربعة الصابَّة في نهر السند بلاد عامرة واقوام لهم شرائع غريبة خاصة بهم وهم اهل زراعة وصناعة عامتهم خاضعة لخاصتهم وكلهم طوال القامة اشداء البأس فعزم ان يمضي اليهم ولو من قبيل الاكتشاف والاستطلاع لكن رجالهُ ابوا عليهِ ذلك وهذه اول مرة جاهروا بمخالفتهِ

فان كثيرين منهم كانوا جرحى او مرضى وهطلت الامطار حينئذٍ سبعين يوماً متوالياً فصغرت نفوسهم وضعفت عزائمهم وقالوا ان نحن جاريناهُ هذه المرة واصل السير بنا الى ما شاء الله . فجمع رؤساءهم وحثهم على الذهاب معهُ فابوا كلهم وقالوا انهم قد اجمعوا على العودة فاغتاظ منهم ودخل خيمتهُ وبقي يومين لا يكلم احدًا فساءهم ذلك لكنهم بقوا مصرّين على عزمهم . ولما رأى منهم هذا الاصرار امر ان تقرَّب الذبائح للآلهة ليرى ما تدلُّ عليهِ وقت ذبحها فقال الكهان انها تدل على الرجوع فهتف الجنود فرحًا ولما رأى ان قوات الارض والسماء قد اتفقت على ارجاعهِ عن عزمهِ جمع خواصهُ حولهُ وقال لهم انهُ عزم على الرجوع فسرُّوا بذلك حتى بكى بعضهم فرحًا

وبنى هناك اثني عشر مذبحًا كالابراج الكبيرة قرَّب عليها ذبائح الشكر وعاد الى نيقية بعد ان قهر سبعة شعوب وفتح الفي مدينة وبُنيت السفن حالاً وهي الفا سفينة ثمانون منها كبيرة في كل واحدة ثلاثون مجذافًا وامَّر عليها نيارخس الكريتي وجعل اونيسيكريتوس ربانًا في السفينة الخاصة بهِ وقد كتب هذان الرجلان قصَّة سفرهما فخلدا بذلك ذكرهما . ومخرت هذه السفن في النهر في شهر اكتوبر سنة ٣٢٦ قبل المسيح ووقف الاسكندر على ظهر سفينتهِ وجعل يسكب السكائب للانهر وللآلهة مستمدًا منها العون الالهي ثم هتف الجنود هتاف الفرح وبوّقت الابواق وشقت المجاذيف وجه الماء وسارت السفن جارية مع التيار وكان فيها الرماة وحملة الترس والفرسان اي نخبة جنودهِ واما سائر الجيش فبقي ماشيًا على ضفتي النهر في ثلاث فرق كبيرة وكان عازمًا ان يبلغ مصبَّ نهر السند فيترك السفن تسير في الاوقيانوس الهندي الى بحر فارس ويسير هو على الشاطىء الى ان يلتقي بها هناك فيكون قد دار حول مملكة الفرس كلها شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا

وكان اذا مرَّ باقوام مسالمين وهو نازل في النهر امنهم واذا مرَّ باقوام قابلوهُ بالعداء اجتاح بلادهم واقتص منهم وبعد قليل وصل الى مدينة حصينة قاومهُ اهلها فهجم عليها وفتحها عنوة وكان فيها حصن حصين رفيع الاسوار والابراج فدخلهُ اهلها واقفلوا ابوابهُ وللحال شرع بعض الجنود في نقب السور واتى البعض بسلمين وحاولوا نصبها فلم يستطيعوا لان السهام كانت تنهال عليهم انهيال المطر ورأى الاسكندر ذلك فاختطف احد السلمين ونصبهُ بنفسهِ وصعد الى اعلى السور ووقف هناك يتلقى السهام بترسهِ ويضرب كل من يدنو منهُ بسيفهِ وتبعهُ ثلاثة من خواص رجالهِ ووقفوا بجانبهِ يدفعون عنهُ الاعداء وصعد كثيرون غيرهم على السلمين فانكسرا بهم وبقي الاسكندر والرجال الثلاثة وحدهم على السور والسهام تهطل عليهم هطل

المطر والرماح تلذعهم من كل ناحية فجعل رجاله يناودونهُ من خارج السور ليرمي نفسهُ فيستلقوهُ بايديهم اما هو فوثب الى داخل السور الى قلب الحصن وقلب الاعداء — وثبة طيش لو بسالة تفوق التصوُّر — وثبة من اسكرتهُ خمرة الانتصار فلم يعد يقدّر العواقب

ووقف في الحصن وظهرهُ الى السور وجعل يضرب كلَّ من يتجاسر على الدنو منهُ من اهل المدينة واخيرًا اجتمعوا حولهُ في نصف دائرة ووقفوا يرشقونهُ بالسهام والحراب والحجارة ووثب رجالهُ الثلاثة الى داخل السور ووقفوا بجانبهِ يدافعون عنهُ فاصاب سهمٌ رأس واحد منهم نفذ من خوذتهِ وقتلهُ ووقع حجرٌ على رأس الاسكندر فكاد يصرعهُ ثم اصابهُ سهم في صدرهِ نفذ درعهُ واستقرَّ نصلهُ في رئتهِ فلم يبالِ بهِ اولاً بل بقي واقفًا يدافع عن نفسهِ ويورد من يدنو منهُ مورد الحتوف الى ان نزف كثير من دمهِ فخارت قواهُ وركع على ركبتيهِ ثم أُغمي عليهِ وبقي رفيقاهُ الى جانبهِ يدرآن عنهُ السهام وقد يئسا من النجاة

ولما رأت الجنود ان قائدها وثب الى داخل السور ولم تعد ترى لهُ اثرًا تولاها نوع من الجنون فحاول بعضها كسر الابواب وعدا البعض يفتشون عن السلالم ووقف البعض على أكتاف البعض الآخر الى ان صار منهم سلم بلغ اعلاهُ اعلى السور فصعدوا عليهِ واحدًا بعد الآخر وانقضوا على الاعداء انقضاض الصواعق ثم كسروا الابواب ودخلوا والسيوف في ايديهم يضربون بها يمنة ويسرة لا يعفون عن احد الى ان بلغوا الاسكندر فحملوهُ وخرجوا بهِ وهم يحسبون انهُ اسلم الروح ثم حاولوا نزع السهم من صدرهِ فنشروا قدحهُ (اي خشبهُ) اولاً حتى تمكنوا من نزع الدرع فرأوا النصل غائرًا في اللحم لا يستطاع نزعهُ لانهُ ناشب فيهِ وكان طولهُ اربع اصابع وعرضهُ ثلاثًا . ولما كانوا يحاولون نزعهُ افاق الاسكندر وحاول توسيع الجرح بيدهِ فلم يستطع فامر برد كاس ان يوسعهُ بسيفهِ ففعل ونزعهُ وزاد نزف الدم حينئذٍ فأُغمي على الاسكندر مرة أُخرى لكن رجالهُ اوقفوا الدم بما لديهم من الوسائل واقاموا حولهُ الليل كلهُ وهم لا يصدقون انهُ يبقى حيًّا الى الصباح . ولم ينم الجنود تلك الليلة ولا نزعوا اسلحتهم وعند الفجر نام نومًا هادئًا فانتعشت نفوسهم بعض الشيء

وبلغ الجنود البعيدة عنهُ انهُ مات فبكوا عليهِ وناحوا ثم تولاَّهم الجزع لانهم خافوا ان لا يجدوا من يعود بهم الى بلادهم بعدهُ . ثم بلغهم انهُ لم يزل حيًّا ولكنهُ ضعيف لا يستطيع الظهور امامهم فلم يصدقوا وحسبوا انها حيلة من القوَّاد ليسهل عليهم قيادهم لكن الاسكندر كان يتماثل رويدًا رويدًا وبلغهُ امر جندهِ فخاف ان يتمرَّدوا على قوادهم اذا رسخ في نفوسهم انهُ مات فامر ان يضعوهُ على ظهر السفينة امام جنودهِ حتى اذا دنت السفينة من الشاطىء

رفع يده واشار اليهم مسلماً فهتفوا كلهم هتاف الفرح ورفعوا اياديهم الى السماء بالشكر والدعاء وبكى بعضهم فرحاً . ثم انزلوهُ الى الشاطىء واتوهُ بمحفة ليحملوهُ فيها فقال كلاً بل آتوني بجواد فاتوهُ فعلا صهوتهُ والعيون محدقة اليهِ والقلوب طافحة سروراً واصوات الهتاف تصمُّ الآذان الى ان بلغ خيمتهُ فنزل ومشى خطوتين امام رجالهِ والسعيد منهم مَن كان يستطيع ان يلمس يده او هدب ثوبهِ فشملهم السرور بعد ان تولاَّهم الحزن والقنوط

ويستدلُّ من هذه الحادثة وامثالها ان طبع الاسكندر لم يتغير عما عهدناه يوم علا صهوة الجواد بوسيفالوس وهو فتى في الثانية عشرة . فانهُ كان جسوراً مقتحماً لا يخشى المخاطر ولا يقدر العواقب ولاسيما اذا تهيج وكثر الدم في دماغهِ . لم تصرفه ابهة المشرق ورفاهية المعيشة عن طبعهِ الاول ولا كان رجالهُ ينظرون اليهِ نظر العباد الى المعبود بل كانوا يحسبونه مثلهم لحماً ودماً معرَّضاً للموت والفساد ولو كانوا يعتقدون ان الآلهة تقيهِ اكثر مما تقي سائر الناس لشدَّة تعبدهِ وكثرة الهدايا التي يهديها الى هياكلها

وعادت السفن تمخر النهر بعد ان تماثل الاسكندر حتى بلغت نهر السند العظيم فانشأ هناك مدينة سماها الاسكندرية ومرفأً للسفن لكي تكون فاتحة بلاد البنجاب عند ملتقى الانهر الخمسة . ورأى البراهمة على ضفتي نهر السند يميلون الى العداء فسالم من سالمهُ منهم وحارب من حاربهُ الى ان بلغ صغدوي فبنى مدينة اخرى سماها باسمهِ وهناك امر ثلث رجالهِ ان يعودوا الى بلادهم بطريق قندهار وظلَّ هو سائراً مع بقية الجيش الى ان بلغ رأس الدلتا حيثما يتفرَّع نهر السند قبلما يصب في البحر على مقربة من المكان الذي بنيت فيه مدينة حيدراباد فانشأ مرفأً ودار صنعة لبناء السفن وحصنها التحصين الكافي ثم جعل يطوف في بلاد الساحل يبحث في طبائعها ليكون على ثقة من ان سفنهُ تسير امامها آمنة ورأى المدَّ والجزر هناك وهي اول مرة رآهما فيها لان بحر الروم لا يمدُّ ولا يجزر الاَّ قليلاً جدًّا . ورأى الفرع الشرقي من فروع نهر السند اصلح الفروع فانشأ مرفأً عند مصبهِ . وانشاؤهُ للمرافىء يدلُّ على انهُ كان يهتم بمصلحة التجار وما ينتج عن توسيع التجارة وتأمينها من توفُّر الخيرات. ومن ثمَّ عرف الاوربيون بلاد الهند وصاروا يمضون اليها ويأتون منها بالبضائع ولا بدَّ من انها كانت معروفة قبل ذلك عند العرب والمصريين كما كانت معروفة عند اهل فارس . وفي شهر سبتمبر من شهور سنة ٣٢٥ قبل المسيح ودَّع بلاد الهند وسار بنحو ثلاثين الفاً من رجالهِ في مفاوز بلوخستان وامر السفن ان توافيهُ ببقية الجيش الى بحر فارس . وسيجيء تفصيل ذلك في الجزء التالي

السكر بالمسكال

لماذا يسكر الناس . لماذا يخدّرون اعصابهم وادمغتهم . ألمجرّد انفاق المال . ام للتشبه بالعجاوات . كلاّ لا لهذا ولا لذاك بل لانهم يجدون في المخدرات والمسكرات شيئاً من الراحة بعد التعب والسكون بعد الاضطراب . لكن الراحة تنال بغير هذه السموم والسكون يجيء من نفسهِ اذا انقطع الانسان عن الاعتمال والاشتغال لان الدم يمرُّ على دقائق الدماغ وينزح منها الفضول ويودع فيها الغذاء فاذا كانت ساكنة قليلة الاشتغال عادت اليها الراحة بعد التعب ودبّ فيها النشاط بعد الخمول . ولو عرف جميع الناس هذه الحقيقة ومُنعوا عن المسكرات والمخدرات منذ الصغر لشبُّوا وهم في غنًى عنها سواء كانوا من اهل الفاقة او من اهل اليسار . وبديهيٌّ ان كثيرين منهم يجهلونها او يتجاهلونها في كل درجات الحضارة من الهمج سكان الحراج والكهوف الى اكبر العلماء والفلاسفة ولذلك شاعت المسكرات في المسكونة كلها وتعدّدت انواع المخدّرات والفها الجمُّ الغفير من الناس ولم تهتمّ الحكومات بمنعها لانها وجدت فيها مورداً للدخل غزيراً

وكنا نحسب ان العالم الجديد قد اكتفى بتقديم التبغ فناظر بهِ المسكرات على انواعها والحشيش والافيون والتنبول وهي من مبتكرات العالم القديم واذا بمخازن الهنود الاميركيين مملوءة بمخدرات اخرى اقواها المسكال الذي فيهِ كلامنا الآن وقد بالغ في مدحهِ بعضهم فسماهُ فردوس العالم وهو اوراق نباتية من نبات كالصبر يُجمع وتصنع منهُ اقراص صغيرة يمضغها هنود اميركا فتسكرهم سكراً وقتياً يرون فيهِ مناظر بديعة حتى اذا زالت منهم سورتهُ عادوا الى اعمالهم على جاري عادتهم . وهم يجتمعون لمضغهِ مرة في الاسبوع فيضرمون ناراً يوم السبت مساء يجلسون حولها ويقوم رئيسهم فيعطي كلا منهم اربعة اقراص فيمضغونها ويبتلعونها ويكرّر ذلك ثلاثاً او اربعاً من مغيب الشمس الى الفجر وهم جلوس حول النار يرون صوراً وخيالات بديعة التزاويق والتهاويل والمغنون يغنون والمطبّلون يطبلون حتى اذا كانت الظهيرة في اليوم التالي آب اليهم نشاطهم وعادوا الى اعمالهم على جاري عادتهم

وهم يعبدون نبات الصبر الذي يصنع منهُ المسكال فيدنون منهُ حاسري الرؤُوس ويقتلعونهُ بالوقار التام لئلاَّ يتألم وقت اقتلاعهِ . والذين تنصّروا منهم لا يزالون ينظرون اليهِ نظر العابد الى المعبود

ومنذ بضع سنوات أُتي بالمسكال الى وشنطون عاصمة اميركا وامتُحن في بعض الشبان وعُرف فعلهُ وامتحنهُ الدكتور ويرمتشل في نفسهِ ثم امتحنهُ المستر هفلوك الِس وهاك ما كتبهُ في هذا الشأن قال

نقعت ثلاثة اقراص وشربت نقاعتها بين الساعة الثانية والدقيقة الثلاثين والساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين بعد الظهر فشعرت اولاً بنشاط جسداً وعقلاً ثمَّ تولاَّني الخمول حتى كاد يغمى عليَّ وضعف نبضي فاضطررت ان استلقي على جنبي وبقيت استطيع القراءة وكنت ارى امامي خيالاً بنفسجي اللون وانظر الى يديَّ فاراهما وارمتين كأنهما تكادان تنفزران واذا اغمضتُ عينيَّ رأيت صوراً بهية الالوان ولم اكن اراها دفعةً واحدة بل كانت تتدرَّج تدرُّجاً من الغموض الى الظهور حتى اتضحت تمام الاتضاح في المساء ولكنها كانت مما يفوق الوصف كأنها حلّي من الذهب الوهّاج مرصعة بالزمرد والياقوت. وشممت للهواء رائحة طيبة كأنهُ كان عابقاً بالطيب ثم زال ما كنت اشعر بهِ من الاضطراب ولم يبقَ الاَّ قليل من الارتجاف في يديَّ حتى كان يصعب عليَّ الكتابة ولو بقلم الرصاص. ولم تكن الصور مما اعتدت مشاهدتهُ بل كانت كلها غريبةً وكأنها كانت تقترب مني دواماً ولكنها لا تصل اليَّ ولا تتخذ صورة اعرفها. مثال ذلك اني كنت ارى الارض مفروشة بالجواهر فرادى وجماعات بعضها برَّاق متألق وبعضها لامع وهّاج ثم اراها تنتظم بعضها مع بعض في شكل ازهار او فراش او حشرات مختلفة الالوان وقد ارى اناء كبيراً مجوفاً مصنوعاً من عرق اللؤلؤ المتغير الالوان كعنق الحمام. واذهلتني كثرة الصور وتنوُّع اشكالها فانها كانت تتغير امامي دواماً شكلاً واشراقاً وكانت الوانها تدكن مرَّةً وتشرق اخرى وشعرت حيناً كأن السماء تمطر ذهباً برَّاقاً. وكثيراً ما كانت الوان الصور رزينة وفيها نقط مشرقة متألقة. وما من لون الاَّ ورأيتهُ يظهر امامي على درجاتهِ المختلفة فالاحمر كان يتدرج من القرمزي الى الوردي فالقرنفلي. وقد تظهر هذه الالوان كلها معاً او يتلو بعضها بعضاً ولها كلها اشكال محدودة جميلة بهيجة كأنها منسوجة نسجاً من خيوط دقيقة لمَّاعة تكاد تكون شفافة كأنها اجنحة الفراش مرصعة بالحجارة الكريمة. وقد تمثلت تلك الصور امامي مرة بشكل الخزف الصيني ومرةً اخرى باشكال الحلواء وكانت كأنها ملقاةٌ على خشب منقوش مخروط مثل اشغال المشربية المصرية وكثيراً ما كان الشكل الواحد يتكرَّر في اجزاء كثيرة من الصورة لكن الوانهُ تكون مختلفة

وكان الدكتور وير متشل لا يرى الصور الاَّ وهو مغمض العينين في غرفة مظلمة تماماً اما انا فكنت اراها وعيناي مفتوحتان ولكن الوانها لا تكون بهية حينئذٍ. واجمل الصور ما كنت اراهُ وانا مغمض العينين في غرفة منارة بالنار. وهذا يؤيد ما يفعلهُ الهنود الذين يضرمون النار ويجلسون حولها. وبعد مضي بضع ساعات ضعفت قواي فقمت وخلعت ثيابي واتكأْت في سريري ولم اكن اشعر بالنعاس وكانت مشاعري كلها متنبهة متهيجة فكنت اسمع الصوت

الطفيف فيعظم في اذنيَّ جدًّا . واخيرًا تعبت من مناظر الصور فاشعلت الغاز وللحال رأيتُ امواجًا من النور تنتشر منهُ وتتعاظم جدًّا وكنت ارى في الظلال بروقًا حمراء وخضراء وبنفسجية وتغير لون الغرفة فصرت اراها كأنها صورة في ورقة لا كأنها غرفة حقيقية

وعند الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين بعد نصف الليل شعرت ان فعل المسكال قد ضعف لكن الصور بقيت تتراءى امامي وكانت قد تشكلت باجسام بشرية لابسة ثيابًا صينية ونمتُ حينئذٍ نومًا هادئًا ولم احلم ثم استيقظت في الصباح وانا لا اشعر بشيءٍ غير عادي

ثم خطر لي ان اجرب فعل المسكال وانا اسمع الاصوات الموسيقية لأرى ما تأثيرها في الهنود فشربت نقاعتهُ وجلست في غرفة منارة بالنار وجلس واحد يلعب على البيانو بجانبي فزادت رؤيتي للصور وبهجتي بها ولا سيما اذا كانت الموسيقى على منهجٍ واحد واما اذا تغير منهجها قلَّ اشراق الصور كأن سحابة وقفت بينها وبيني . وكانت الصور تختلف باختلاف الالحان فاللحن المعروف بشهرزاد اراني حلة بيضاء طائرة فيها جواهر برَّاقة . واللحن المعروف بالطائر المتنبي اراني جوًّا مشرقًا فيهِ اشكال كالطيور ذاهبة فيهِ كل مذهب . وكنت ارى هذه الصور واصفها قبلما اعلم اسم اللحن

واستطرد المستر الس الى وصف المسكال ومقابلتهِ بغيرهِ من المسكرات والمخدرات ففضلهُ على الحشيش والكحول من كل وجه وقال ان فعلهُ لا يظهر على اتمهِ الاَّ في ذوي العقول السليمة الاصحاء الابدان واشدهُ في اسمى القوى العقلية وشاربهُ لا يذهب منهُ رشدهُ ولا يشعر كانهُ انتقل من هذا العالم بل يرى العالم حولهُ قد تغير فلبس حلة جميلة بديعة كانهُ فردوس النعيم وجعل عنوان مقالتهِ التي وصف فيها هذه التجارب ونحوها "الفردوس الصناعي" . ويظهر من سياق كلامهِ انهُ يودُّ ترغيب الناس في استعمال المسكال لانهُ نافع غير ضارّ

ودعوى المستر الس هذه مثل دعوى الذين وصفوا الحشيش في اول استعمالهِ فقد ذكر المقريزي ان شيخًا من الفقراء اسمهُ حيدر اكتشف هذا النبات اتفاقًا واكل من اوراقهِ فحصل لهُ نشاط وسرور واخبر اصحابهُ بهِ فاخذوا من اوراقهِ واكلوا فحصل لهم من السرور والطرب ما عجزوا عن كتمانهِ فامرهم بصيانة هذا السر الاَّ عن الفقراء وقال لهم ان الله خصكم بهِ ليذهب همومكم الكثيفة ويجلو افكاركم وامرهم بزرعهِ حول ضريحهِ بعد وفاتهِ وتوفي سنة ٦١٨ للهجرة وكان قد اوصى اصحابهُ ان يوقفوا ظرفاء اهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار فاعلموهم بسرهِ فاستعملوهُ وشاع امر الحشيش في بلاد خراسان وفارس ثم حمل الى العراق والشام ومصر. وذكر ابياتًا في وصفهِ لمحمد ابن الاعمى الدمشقي يقول فيها

دع الخمر واشرب من مدامة حيدرٍ معنبرة خضراء مثل الزبرجدِ
وكفَّ اكفَّ الهمّ بالكفِّ واسترح ولا تطرح يوم السرور الى غدِ .

وابياتاً اخرى لعلي بن الشاعر يقول فيها

ألا فاكفف الاحزان عني مع الضرّ بعذراء زُفَّت في ملاحفها الخضرِ
تجلَّت لنا لما تحلَّت بسندسٍ فجلَّت عن التشبيهِ في النظم والنثرِ
عروس يسرُّ النفس مكنون سرّها وتصبح في كل الحواس اذا تسري
فللذوق منها مطعم الشهد رائقاً وللشم منها فائق المسك بالنشرِ
علت رتبةً في حسنها وكأنها زبرجد روض جادهُ وابل القطرِ
تبدَّت فابدت ما اجنَّ من الهوى وجاءت فولَّت جندُ همي والفكرِ
جميلة اوصاف جليلة رتبة تغالت فغالى في مدائحها شعري
فقمْ فانف جيش الهم واكفف يد العنا بهنديةٍ امضى من البيض والسمرِ
تزيل لهيب الهمّ عنّا باكلها وتهدي لنا الافراح في السرّ والجهرِ

هذا ما قالهُ الشعراء في وصف الحشيش وهو من مذهبات العقل ومضعفات الحواس ومن شرّ الآفات على كل بلاد منيت بهِ . ولا شبهة عندنا في ان المسكال يكون مثلهُ اذا شاع شيوعهُ . وقد استدرك المستر الس على ما قالهُ اولاً في مدحهِ فقال " ان ما نعلمهُ من فعل المسكال بالمتمدنين قليل لا يكفي لان يبنى عليهِ حكم ولاسيما من حيث فعلهُ اذا أُدمن استعمالهُ ولا شبهة عندي في ان الاكثار منهُ مضرٌّ جدًّا " . لكنهُ عاد فسوَّغ استعمالهُ للاصحاء ولو مرة او مرتين وقال انهم يجدون فيهِ لذة لا ينسونها. وما ادراهُ ان من يستعملهُ مرة لا يستعملهُ مرارًا ثم يعكف عليهِ فيترك العمل و يعيش في الاحلام. ولو كان لهذا العقار فائدة حقيقية لظهرت في هنود اميركا وساعدتهم على الارتقاء من حالة الهمجية التي نشأوا فيها والواقع انهم يزيدون انحطاطاً عاماً بعد عام بمقدار ما يزيد نزلاء بلادهم ارتقاء ولعلَّ المسكال هذا سبب من الاسباب الكثيرة التي اوقفتهم عن الارتقاء ودعتهم الى الانحطاط

هذا ونعيد ما اشرنا اليهِ آنفاً وهو ان التعب عرض طارئ على اعصاب الجسم ودقائقهِ لتجمُّع الفضول فيها فاذا انقطع الانسان عن الشغل والعمل واخلد الى السكينة فالدم الجاري في بدنهِ ودماغهِ يذهب بالفضول و يجلو صدأ الهموم حقيقة ومجازًا . وهذه هي الراحة الحقيقية المكتسبة من غير ضرر ولا اسراف وكل ما سواها من قبيل مداواة الداء بالداء



مطالب الزراعة

من خطبة الرئاسة للدكتور داود مورس مأمور الزراعة في جزائر الهند الغربية

قصب السكر

ان اتساع نطاق الزراعة واهتمام الامم الاوربية بها يأولان الى هبوط اسعار الحاصلات الزراعية الناتجة من البلدان الحارَّة . ولا تدفع الخسارة الناتجة عن ذلك الاَّ ببذل الهمة لتقليل النفقات الزراعية والصناعية ولا يتم تقليل النفقات الاَّ ببذل الجهد في استعمال اصح المعارف الزراعية والصناعية

وكل بلاد من البلدان التي يستخرج منها السكر قد بذلت الهمة في اجادة النبات الذي تستخرج السكر منهُ . فالممالك الاوربية التي تستخرج السكر من البنجر قد جعلت الكمية التي تستخرج منهُ مضاعف ما كانت اولاً باعتنائها بزرعهِ وانتقاء التقاوي منهُ . ولم يهتم احد هذا الاهتمام بقصب السكر الاَّ منذ عشر سنوات اي حينما ثبت ان قصب السكر يبزر بزوراً تنمو اذا زرعت . وقد حدث ذلك في جاوى وبربادوز في وقت واحد . والتجارب التي أُجريت حتى الآن في هذا السبيل تدلُّ على قرب النجاح فان القصب المعروف بنمرو ١٤٧ تبلغ غلة الفدان منهُ ٧١٩٠ رطلاً من السكر . والقصب المعروف بملكة كاليدونيا تبلغ غلة الفدان منهُ ٦١٣٧ رطلاً من السكر . والقصب المعروف بالربو تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٩٢٩ رطلاً والقصب المعروف بالبوربون تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٢١٠ رطلاً والمعروف بالشفاف الابيض تبلغ غلة الفدان منهُ ٥٢٧٥ رطلاً . وظاهر ان الفرق بين الاول والاخير نحو طن من السكر لكل فدان من الارض

ولا بدَّ من مواصلة التجارب في انواع السماد وموافقتها للانواع المختلفة من الاراضي واصلح الاوقات لاستعمالها . ومعالجة الحشرات المختلفة التي تسطو على قصب السكر والجري في استخراج السكر من القصب على احدث الطرق العلمية والصناعية

المزروعات الاخرى

لا يحسن ببلاد ان تعتمد على نوع واحد من المزروعات لئلا يمحل وقتاً ما فتسوء حالها وبلدان الهند الشرقية واسعة الارجاء وما زرع منها حتى الآن قليل جداً بالنسبة الى ما لم

يزرع في غينيا البريطانية من الاراضي الصالحة للزراعة عشرون مليون فدان والاراضي المزروعة لا تزيد على ٣٢٥ الف فدان وفي الترنداد من الاراضي المزروعة ٣١٠ آلاف فدان ومن الاراضي يمكن زرعها ايضاً ٥٥٠ الف فدان وفي جمايكا من الاراضي المزروعة ٦٩٣ الف فدان ومن الاراضي التي يمكن زرعها ايضاً مليون وخمس مئة الف فدان ويقال جملة ان الاراضي التي تزرع الآن في هذه المستعمرات لا تزيد على ثمانية في المئة من الاراضي الصالحة للزراعة

دور الامتحان الزراعي

الغرض من هذه الدور البحث في طبائع النباتات التي يستفاد من زرعها وجلبها من مواطنها وزرعها وتوزيعها على ارباب الزراعة . والبحث عن الطرق التي تجود بها المزروعات المستعملة الآن كقصب السكر ونحوهِ. وهي مراكز تتوزع منها المعارف الزراعية الدقيقة ويخرج منها معلمو الزراعة الذين يجولون في البلاد يرشدون اهلها الى كيفية اختيار الارض واعدادها وزرعها واصلح الطرق لخدمة المزروعات واستغلالها

معلمو الزراعة

اثبتت التجارب ان بساتين الزراعة ودور الامتحان لا تكفي لفريق كبير من اهل الزراعة في جزائر الهند الغربية بل لا بدَّ من الوصول اليهم مباشرةً بطرق اخرى لتعليمهم فارسلنا المعلمين منذ سنة ١٨٩١ ليجولوا في البلاد ويعلموا اهلها . ويحسن ان يخبر عمد البلاد بذلك و يعين الوقت الذي يزورهم فيهِ المعلم حتى يجمعوا الفلاحين فيستفيدوا كلهم منهُ ويجب عليهِ ان يزور البساتين والاباعد ويرشد اهلها الى اصلح الطرق للحرث والري والصرف والزرع والغرس وما اشبه فيستفيد الفلاحون من شروحهِ لاسيما وانها تكون مقرونة بالمشاهدة

المعارض الزراعية

المعارض الزراعية قديمة في بلاد الهند الغربية لكن الجوائز التي تعطى فيها قلما تعطى لما يستحق الجائزة ولذلك يكون ضررها اكثر من نفعها ويجب ان تبذل الهمة في منح هذه الجوائز لما يستحقها حقيقة لمزية كبيرة ظاهرة فيهِ

الكتب والجرائد الزراعية

ولا بدَّ من نشر الكتب والجرائد والكراريس الزراعية بين جمهور اهل الزراعة وان تكتب بلغة سهلة الفهم ويكون فيها ارشادات كافية عمَّا يجود في البلاد من المزروعات. وتعطى الكراريس مجاناً للعمد والقضاة والاطباء والمشائخ والقسوس والصيارفة وضباط البوليس وكل

الذين لهم شأن بين الجمهور حتى يقرأوها و يستفيدوا منها ويفيدوا غيرهم

التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية

اهمّ ما يتحدَّث بهِ الناس في البلدان الزراعية في هذه الايام شدة الحاجة الى تعليم الصغار كيف يتجون من الارض ما تمسُّ الحاجة اليهِ في اسواق المسكونة. لان الجهل وعدم الكفاءة لا ينتجان نتائج حميدة. والعادة المتبعة في بلدان الهند الغربية ان يؤخذ خير الارض ثم تهمل وهذا هو نظام التخريب ولكن يستحيل تغييرهُ كلهِ دفعةً واحدة فيجب علينا ان نلتفت الى الصغار ونعلمهم اساليب اخرى في المدارس الابتدائية. وهذه المستعمرات تنفق مبالغ كبيرة على التعليم العمومي وقد بلغ ما انفقتهُ سنة ١٨٩٦ مئة وثمانين الف جنيه. والانفاق على التعليم العمومي حسن وفي محلهِ ولكن لابدَّ ايضاً من الانفاق على تعليم المبادىء الزراعية. والصعوبة الكبرى الآن هي في ايجاد المعلمين الذين يقدرون على تعليم مبادىء الزراعة غير ان ديوان الزراعة قد اهتم بتعليم المعلمين مبادىء الزراعة وتعليمهم ايضاً كيف يعلمون هذه المبادىء للتلامذة وسيؤلف لهم كتاب بسيط في مبادىء الزراعة ليقرأوهُ لتلامذتهم. وينتظر ان يكون من بساتين المدارس فائدة كبيرة حيث يقرن التلامذة العلم بالعمل

مدارس الزراعة

من خطابة للقس وليم سمس

قال بعد تمهيد وجيز اني ابدأُ المقال بما اعدهُ من الحقائق المسلَّمة التي يبنى عليها التعليم الزراعي وهو

(١) ان الزراعة هي العمل الخاص لجمهور السكان في هذه البلاد وستبقى كذلك

(٢) لا بدَّ من ايجاد اعمال اخرى عقلية ويدوية مع الزراعة

(٣) يجب ان لا يقتصر التعليم على العمل الذي يعملهُ الشاب بعد خروجهِ من المدرسة بل يتناول جعل الشاب قادراً على الجري حسب مقتضى الاحوال التي يكون فيها ادبياً وسياسيًّا واجتماعيًّا

(٤) التعليم العمومي حديث النشأة فان عامة الشعب لم يكونوا يتعلمون منذ ستين او سبعين سنة بل كانوا يربون على الاعمال ويتعاطونها من غير استعداد علمي وكان الاواسط يخدمون من يعلمهم الصنائع فيتعلمون عند الصناع انفسهم اما الآن فانتقل التعليم الى المدارس وصار الناس يستعدون فيها لمعاطاة الاعمال

(٥) اتفق الباحثون في امر التعليم على انهُ اعتمد على الكتب اكثر مما يحق لهُ ان يعتمد عليها وانهُ لا بد من التعليم العملي لكي يكون الانسان قادرًا على تعاطي الاعمال المختلفة

(٦) انهُ يستحيل على الاولاد ان يتعلموا العلوم الصناعية او يستفيدوا منها قبلما يبلغوا السنة الثانية عشرة من العمر ويتعلموا العلوم الابتدائية

(٧) لا يمكن تعليم شيء ما لم توضع لهُ قواعد ويجرى في تعليمهِ على الاساليب المرعية في علم التعليم

(٨) لا يزال علم الزراعة حتى في البلدان الراقية اعلى مراقي النجاح كالمانيا اختباريًا والكتب الصالحة لتعليمهِ قليلة جدًّا

(٩) التعليم العملي اكثر نفقات من التعليم النظري . ويجب يكون عدد المعلمين في التعليم العملي اكثر منهُ في التعليم النظري بالنسبة الى عدد المتعلمين واجور المعلمين اغلى في التعليم العلمي منها في النظري وكذلك المباني والادوات اللازمة للتعليم تكون اغلى في العملي منها في النظري

(١٠) من الخطإ الكبير ان تدخل علمًا جديدًا الى مدرسة ما فجأةً قبلما يكون فيها معلمون صالحون لتعليمهِ ولذلك يجب ادخال العلم الجديد رويدًا رويدًا حتى يرتقي تعليمهُ بالتدريج

والتعليم الزراعي في البلاد الانكليزية غير عام في المدارس الابتدائية حتى الآن فان مدارس قليلة تعلمهُ وهو فيها غير متقن وطلبتهُ قلال جدًّا . والمدارس الزراعية قليلة فيها

والمدارس الزراعية في الولايات المتحدة الاميركية متصلة كلها بمراكز الامتحان الزراعي ومدة التعليم فيها اربع سنوات لكن تلامذتها قلال واكثرهم يصيرون معلمين وخطباء ومحرري جرائد وقليلون منهم يتعاطون الزراعة بعد خروجهم من المدرسة . غير انها لا تقتصر على ذلك بل يدرس فيها الفلاحون مدة قصيرة تختلف من بضعة اسابيع الى سنتين وهؤلاء يقرنون العلم بالعمل . والتعليم الزراعي في المدارس الابتدائية والثانوية قليل جدًّا وقد حاول المستر بوكر وشنطون ادخالهُ في مدرستهِ على اسلوب عملي فنجح في ذلك

وفي كندا مدرسة زراعية ناجحة يتعلم فيها التلامذة من سن ١٦ الى سن ٢٥ ويتعلم فيها الفلاحون ايضًا ونساؤهم واولادهم مددًا قصيرة. والمدارس العالية تقتصر على تعليم الكيميا الزراعية

وفي بروسيا مدارس للزراعة ولكنها قليلة ولا تعلم الزراعة في المدارس الابتدائية بل في المدارس الليلية وتعليمها فيها نظري لا عملي

وفي فرنسا تعلَّم مبادىء الزراعة في المدارس الابتدائية ولكن اكثر التعليم نظري والعملي

منهُ مقتصر على التجارب في الاصص والصناديق واذا كان بجانب المدرسة بستان كبير فالغالب ان التلامذة يتمرنون فيهِ على الاعمال الزراعية

وبعد ان اسهب الخطيب في هذا البيان استطرد الكلام الى المستعمرات فاشار بانشاء مركز امتحان زراعي في كل مستعمرة تلقى فيهِ الخطب الزراعية وتعلّم فيهِ الزراعة بالعمل والذين يتخرجون منهُ ينشئون مراكز اخرى يعلمون فيها غيرهم ولا سيما اذا كانوا من تلامذة المدارس العالية . ثم قال ان التعليم الزراعي لا يفيد الطالب ما لم يكن قد عرف اساليب الزراعة اولاً وتمرّن فيها

بزرة القطن

كتب الاستاذ مكنزي ناظر مدرسة الزراعة المصرية مقالة كبيرة الفائدة في مجلة الجمعية الزراعية الخديوية قال فيها ان اهالي الهند والصين كانوا يعصرون الزيت من بزر القطن من عهد قديم جدًّا ويستعملونهُ للاضاءة ويطعمون الكسب الباقي منهُ للثيران لكنَّ الاميركيين لم يعرفوا فائدة البزر الاَّ منذ نحو خمسين سنة وقبل ذلك كانوا يحرقون ما زاد منهُ عن التقاوي او يطرحونهُ في الانهار

والآن تنزع القشور من البزر اولاً ثم يسحق ويعصر زيتهُ فيكون منهُ ثلاثة اشياء القشر الخارجي والزيت والكسب الباقي من اللب بعد خروج الزيت منهُ . اما القشر فيحرق او يسحق ويطعم للمواشي ممزوجًا بغيرهِ من العلف المغذي لان مادتهُ خشبية قليلة الغذاء . ولكنهُ اذا استعمل وقودًا فالطن منهُ يساوي ربع الطن من الفحم الحجري واكثر رمادهِ من مركبات البوتاس والحامض الفصفوريك فيستعمل سمادًا للارض

وقد يعصر الزيت من البزر قبل تقشيرهِ كما هو جارٍ في القطر المصري فلا يكون نقيًّا مثل الزيت المعصور من البزر المقشَّر ولا يكون كسبهُ كثير الغذاء لاختلاطهِ بالقشر . ويظهر الفرق بين الكسب الناتج من البزر المقشور وغير المقشور من ان في المئة درهم من كسب البزر المقشور ٤٤ درهماً من المواد الزلالية واللحمية ونحو خمسة دراهم من الالياف الخشبية وفي المئة درهم من كسب البزر غير المقشور ٣١ درهماً من المواد الزلالية واللحمية ونحو ٢١ درهماً من الالياف الخشبية وفي الاولى ١٤ درهماً من الزيت وفي الثانية اقل من ستة دراهم . وثمن الطن من الكسب المقشور ستة جنيهات ونصف ومن غير المقشور خمسة جنيهات

وزبل المواشي التي تأكل كسب بزر القطن كثير المواد المغذية للارض لان ثمانية اعشار

او تسعة اعشار ما في الكسب من المواد المغذية للارض تنقل الى زبل المواشي التي تأكلهُ فلا يكون من الحكمة استعمال الكسب سماداً للارض ولكن يطعم للمواشي اولاً ثم يستعمل زبلها سماداً للارض فتستفيد الارض والمواشي معاً

والزيت اثمن ما في البزر ويساوي الطن من زيت القطن خمسة عشر جنيهاً الى ستة عشر . ويوضع الزيت بعد عصره في حياض كبيرة فيرسب منهُ العكر وقد يسخن هذا العكر ويعصر ثانية او يباع لعملة الصابون اما الزيت الصافي فيصب من فوق العكر بهزل ويسخن ويحرك جيداً ويدخل فيهِ المواء ثم يعالج بالصودا الكاوي او البوتاسا لكي تتجمع الشوائب التي فيهِ وترسب ويسحب الزيت النقي حينئذٍ ويمزج بالماء حتى يذوب ما بقي فيهِ من المواد القلوية ويرشح فيخرج صافياً نقياً وهو يستعمل بدل زيت الزيتون في الطعام وكبس السردين وعمل الصابون

وقد حُللت انواع مختلفة من البزر ليعلم مقدار ما فيها من الزيت من مديريات مختلفة فكان متوسطها كما ترى في هذا الجدول

	بزر الميت عفيف	العباسي	الباميا	الاشموني	ينوفتش
ماء	٠٨و٠٣	٠٧و٧٥	٠٧و٩١	٠٨و٤٤	٠٨و٧٨
زيت	٢٧و٩٢	٢٧و١٥	٢٦و٣٣	٢٥و٧٨	٢٤و٩٤
مواد نيتروجينية	١٨و٢٢	١٨و٣١	١٩و٠٦	١٩و١٣	١٩و٨٨
« نيتروجينية	٢٤و٥٧	٢٥و٨٦	٢٦و٧٩	٢٥و٩٣	٢٥و٨٢
الياف	١٧و١٢	١٦و٩٩	١٦و٣٤	١٦و٩٤	١٦و٣٨
رماد	٠٤و١٣	٠٣و٩٣٠	٠٣و٥٧	٠٣و٧٨	٠٤و٢٠

ويظهر من ذلك ان الزيت في بزر الميت عفيف اكثر قليلاً منهُ في العباسي وفي هذا اكثر منهُ في بزر القطن الباميا والاشموني والينوفتش اي ان الاصناف الجديدة التي ينتظر ان يكون قطنها اكثر من غيره زيت بزرها قليل بالنسبة الى غيره ولكن المواد الزلالية في الاصناف الثلاثة الاخيرة اكثر منها في الصنفين الاولين فان كان لذلك علاقة بالحصول من القطن امكننا ان نعرف فائدة التقاوي من تحليل بعض بزورها ومعرفة مقدار ما فيها من الزيت والمواد الزلالية

وجاء في نشرة للمستر الن نشرها ديوان الزراعة الاميركي تحليل بزر القطن الاميركي فاذا وهو

	الاكثر	الاقل	المتوسط
ماء	١٣و٥	٠٧و٠	١٠و٣

زيت	٢١و٦	١٨و٩	١٩و٩
مواد نيتروجينية	٢١و٧	١٤و٥	١٨و٤
« غير نيتروجينية	٢٩و١	١٧و٣	٢٤و٧
الياف	٢٨و٧	٢٠و٣	٢٣و٢
رماد	٠٨و٥	٠٢و٩	٠٤و٥

ويظهر من ذلك ان الزيت في متوسط بزر القطن المصري اكثر منهُ في متوسط بزر القطن الاميركي بنحو ٦ او ٧ في المئة

القطن والري

نكتب هذه السطور ومقياس النيل في الخرطوم تحت الصفر بنحو ٧٠ سنتمترًا وفي اصوان تحت الصفر بقيراط وهو انخفاض لم يبلغهُ النيل في سنة من السنين الماضية التي حُفظ قياسهُ فيها. ولا يزال امامنا شهران او اكثر حتى يصل ماء الفيضان الى العاصمة فلا يعلم الى اي درجة يبلغ انخفاضهُ في اصوان قبل ان يصلها ماء الفيضان ولا ما اذا كان الماء المحصور الآن في مجرى النيل من اصوان الى القناطر الخيرية يكفي لارواء القطن كلهِ الى ان يرد ماء الفيضان.

وقد كتب الينا الخواجه اسكندر خوري حداد من كبار المزارعين في الفيوم رسالة مسهبة ابان فيها بالشواهد التاريخية ان القطن يحتمل العطش اياماً كثيرة وان قلة الماء هذا العام لا تضرُّ بهِ كثيرًا وهاك خلاصة مقالتهِ

"لقد اختلفت اقوال المزارعين في ما يصيب زراعة القطن هذا العام من الضرر والمحل لقلة المياه الى ان اتت نشرة جناب السر وليم جارستن منذرة بما يخيف ثم جاءت نشرة جناب المستر برون وفيها شيء من الاطمئنان فوجدتها تنطبق على ما كنت اظنهُ ولذلك رأيت ان ابعث الى حضرتكم بالجدول الآتي لتنشروهُ مع هذه الكليمات

ويظهر لي اولاً ان الخوف من قلة المياه لا يبلغ الحد الذي يتوهمهُ البعض ولا سيما الذين يحسبون ان المحصول لا يكون اكثر من الثلث او الربع اذ يظهر لي ان المحصول قد يبلغ خمسة ملايين قنطار وان نقص عن ذلك فيكون النقص قليلاً اذ لا يخفى ان طول مجرى النيل من ينابيعهِ عند بحيرة فكتوريا الى مصبهِ في المالح نحو ٥٥٨٩ كيلومترًا وارتفاع منسوبهِ عند البحيرة عن مصبهِ هو ١١٢١ مترًا فلا بد من ان تصل الينا من الآن الى زمن الفيضان مياه تقدَّر ببليارات الامتار المكعبة لطول هذا المجرى وتحدرهِ بعد استبعاد ما يتبخر وما يركد

منها وسنرى في شهر ابريل ان اصوان تحفظ منسوبها تقريباً لبطء سير المياه

ثانياً ان منسوب تحاريق سنة ١٨٩٢ بلغ ١٠ قراريط ومع ذلك كان المحصول خمسة ملايين وربع مليون قنطار وكانت زراعة الارز منتشرة وهي تأخذ مياهاً كثيرة . واتذكر جيداً ان انتظام الري سنة ١٨٩٢ كان دون ما هو الآن بدرجات وقد بقيت اقطان كثيرة بدون ري مدة تختلف من ٥٠ الى ٦٠ يوماً بمديريتي الفيوم وبني سويف حيث يكثر تبخر المياه ويشتد فعل العطش . وقد ظن معظم المزارعين حينئذٍ وانا منهم ان لا بدَّ لنا من قلع الاقطان وزرع غيرها ولكن بدأت الزيادة في اصوان في منتصف يونيو وبلغتنا فروينا القطن ونحن لا نصدق اننا نأخذ منهُ محصولاً الاَّ ان المحصول فاق محصول السنة التي سبقتها مع غزارة مياهها ولكن اتفق ان الحر اشتد سنة ١٨٩٢ حتى آخر اكتوبر وجزء من نوفمبر

ثم ان القناطر الخيرية قد تمت تقويتها الآن لرفع منسوب المياه وذلك مع الاصلاحات الكثيرة التي تمت في الري تمكن من خزن المياه في الترع حتى لا يضيع منها شيء . اما العاهات التي يمكن ان تصيب القطن كالندوة والدودة والرطوبة الشديدة بين سبتمبر ونوفمبر فهذه لا تعلم الآن

ولا يغرب عن فهم احد انهُ يوجد الآن كثير من السواقي والآبار لري الاقطان وقد يبلغ عددها اربعين الفاً وجدّد كثير منها هذه السنة وكل واحدة منها تكفي لري خمسة فدادين الى عشرة . وان في الترع كثيراً من الينابيع مثلاً ترعة بحر يوسف الآخذة من الابرهيمية وطولها نحو ٢٣٠ كيلومتراً فان مقدر ينابيع هذه الترعة بين ربع مليون وثلث مليون متر مكعب كل ٢٤ ساعة . ولذلك لا خوف من العطش وانما الخوف كل الخوف من الندوة اذا اتت وتبعتها الرطوبة في سبتمبر واكتوبر

اما مساحة المزروع فربما يجد البعض جدولي مخالفاً لما في ارقام حضرة المراقب المالي التي تعرف من قسايم اوراد الصيارفة وتقارير المديريات اما الصيارفة فيملأُون خانات الزراعة من غير تروّ لانهُ لا مسأُولية عليهم اذا خالفوا الحقيقة . واما انا فارجح صحة الجدول الآتي لانني بذلت الجهد في البحث والتحري حتى جمعتهُ . ويظهر لي ان زمام زراعة القطن هذه السنة يبلغ نحو ١٢٥٠٠٠٠ فدان اي انهُ يقل ١٥٠٠٠٠ فدان عن زراعة العام الماضي وسيكون الماء كافياً لهُ ولا سيما بعد ان أُبطلت زراعة الارز هذه السنة والمياه التي كانت تلزم لها تكفي لري ثلث القطن

هذا ما اردت بيانهُ خدمةً لاخواني المزارعين كي لا يقنطوا والله علام الغيوب

سنة	اول ابريل قيراط	اول ابريل ذراع	اول يونيو قيراط	اول يونيو ذراع	المحصول قناطير	زمام زراعة القطن
١٨٧٦	٠٩	٣	٢٢	١	٢٧٧٣٢٥٨	٧٧٠٠٠٠
١٨٧٧	١٠	٢	٢٢	١	٢٥٩٣٣٧٠	٧٨٠٠٠٠
١٨٧٨	٠٩	١	٠٨	٠	١٦٨٣٧٤٩	٧٩٠٠٠٠
١٨٧٩	٠٢	٦	٠١	٥	٣١٩٨٨٠٠	٧٦٠٠٠٠
١٨٨٠	٢١	٤	٠٥	٣	٢٧٧٦٤٠٠	٧٨٠٠٠٠
١٨٨١	١٥	٢	٢٢	١	٢٩١٢٠٠٠	٨٠٠٠٠٠
١٨٨٢	٠٥	٢	٠	١	٣٢٨٤٢٥٠	٨٠٠٠٠٠
١٨٨٣	١٢	٣	١٦	١	٢٦٩٤٠٠٠	٨٢٠٠٠٠
١٨٨٤	٠٠	٤	٢٠	٢	٣٦١٥٧٥٠	٨٤٠٠٠٠
١٨٨٥	١٠	٢	١٩	٠	٢٩٢٣٤٥٠	٨٧٠٠٠٠
١٨٨٦	٠٤	٢	١٢	١	٢٩٣١٠٠٠	٨٧٠٠٠٠
١٨٨٧	٢٠	٢	٠٨	٢	٢٩٣٧٠٠٠	٨٩٠٠٠٠
١٨٨٨	١٢	٢	١١	١	٢١٢٣٠٠٠	٩٠٠٠٠٠
١٨٨٩	٠٤	١	١٣	٠	٣١٨٣ ٠٠	٩٢٠٠٠٠
١٨٩٠	٢٢	١	١٥	٠	٤٠٧٢٥٠٠	٩٥٧٢٥٠
١٨٩١	٠٢	٢	١٤	١	٤٦٧٢ ٠٠	١٠٠٠٠٠٠
١٨٩٢	٠٧	٢	١١	٠	٥١١٨١٥٠	١٠٥٠٠٠٠
١٨٩٣	١٧	٥	١٦	٢	٤٩٣٣٠ ٠	١١٠ ٠٠٠
١٨٩٤	١٧	٢	٢١	١	٤٦١٥٢٧٠	١١٥٠٠ ٠
١٨٩٥	١٠	٥	١٧	٣	٥٢٧٥٣٨٣	١٢٠٠٠٠٠
١٨٩٦	١٩	٣	١٤	٢	٥٨٧٩٧٥٠	١٢٥٠٠٠٠
١٨٩٧	١٣	٤	١٨	٢	٦٥٣٤١٢٨	١٣٠٠٠٠٠
١٨٩٨	٠٩	٢	٠٤	١	٥٥٨٨٨١٦	١٣٥٠٠٠٠
١٨٩٩	١٥	٤	٢٠	١	٦٥٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠
١٩٠٠	٠٤	٠				١٢٥٠٠٠٠

بساتين المدارس

نشرنا منذ عامين مقالة مسهبة في هذا الموضوع كان لها وقع حسن عند جمهور كبير من معلمي المدارس كما يظهر مما كتبوا الينا بهِ . وقد اطّلعنا الآن على ما تفعلهُ مدرسة من المدارس الالمانية الابتدائية في تعليم المبادىء الزراعية لصغار الطلبة . والمدرسة في قرية الفتروفيها اربع مئة تلميذ وستة معلمين ويتعلم فيها الطلبة ثماني سنوات . والتعليم الزراعي فيها قصير المدة يقتصر على ساعتين في الاسبوع مدة السنتين الاخيرتين ومواد التعليم كما ترى في هذا الجدول

في شهر ابريل ومايو — بناء النبات الداخلي . خلايا النبات واليافهُ ووظائفهُ . اقسام النبات الظاهرة . الجذور ووظائفها وكيفية تغذية النبات بها بامتصاصها للمواد الجمادية كالفصفور والبوتاسيوم والصوديوم والحديد والكلور والماء . سوق الاشجار وتفرُّعاتها وبناؤُها وحلقاتها

في يونيو — الورق . وظيفة الكلوروفل في حياة النبات وفعل النور بهِ . تنفُّس النبات اغتذاء النبات ممَّا في الهواء من العناصر وهي الكربون والنيتروجين والاكسجين . الزهر وكيفية تذكيرهِ . الثمر والبزر . تكوُّن النبات من البزر ومن الفسائل

في يوليو — الارض واصلاحها . الارض الجيرية . الارض الطفالية والارض السوداء . الرمل . استنزاف غذاء النبات والتعويض عنهُ بالسماد والفضلات المختمرة وورق الشجر والسباخ . تأثير الاقليم في النبات

في اغسطس — زرع الفاكهة . زرع الترقيدة (المشتل) والاعتناء بها . اهم الطرق لاصلاح الاثمار . التطعيم . الاعتناء بالاغراس . كيفية تكوُّن الساق . نقل الاغراس . تعريش المعترشات . زرع النباتات الصغيرة ذوات الاثمار مثل توت الوزّ والقشمش والعليق والشليك وزرع الكرم والاعتناء بهِ

سبتمبر — نضج الاثمار . اجتناؤُها . انتقاؤُها وحفظها . اختلافها باختلاف الاقاليم والاتربة والاماكن العالية والواطئة وما يناسب كلاًّ منها . عمل المربى منها وعمل الشراب والخمر

اكتوبر ونوفمبر — الاشجار ذوات الاثمار — غرسها وقضبها وريها وخدمتها وتجديدها وتطعيمها . ادواؤُها ومنعها

دسمبر — اعداء الاشجار المثمرة النباتية والحيوانية

يناير — الحشرات . دود الخوخ والتفاح والكمثرى . الزنابير . الفراش . المن . الديدان

فبراير — الفحم الحجري والبترولیوم والطين والخزف والطوب والملح

مارس — الحديد والرصاص والنحاس والنكل والذهب والفضة . والنقود

ابريل ومايو — تخطيط الارض . تسميدها . زرعها ريها . الخضر كالكرنب والخس والاسبانخ والجزر والبصل

يونيو — القطاني كالفول والبازلا والمليون والخيار . وتجفيف الخضر وتحليلها . والحرث والعزق والتمهيد

يوليو — الحبوب على انواعها والبطاطس والبرسيم

اغسطس — تعاقب المزروعات . تسميدها . استئصال الاعشاب . الحيوانات التي تضرّ بالنبات . الفيران . الفيلكسرا

سبتمبر — الحشرات الضارة كالديدان والحشرات النافعة كالنحل والذباب النمسي والحيوانات النافعة كالخلد وكبابة الشوك

اكتوبر ونوفمبر — اعداء النباتات من الطيور

دسمبر — الحيوانات الاهلية كالبقر والخيل والكلاب والدجاج والحمام

يناير وفبراير ومارس — علم وظائف اعضاء الانسان

وكل الاعمال الزراعية مثل الحرث والزرع والعزق والقضب والجني يعملها التلامذة ويكون المدير معهم وهو يساعدهم في كل الاعمال . وهم يزرعون الارض مرتين او ثلاثاً في السنة ويبيعون ما يحصل منها . ويمشي المدير في البستان كل يوم صباحاً ويفتش عن الحشرات المضرَّة حتى اذا وجد واحدة منها اخذها الى غرفة الدرس واراها للتلامذة وشرح لهم طبائعها وامرهم ان يفتشوا عن اخواتها في غضون النهار . وتزرع المزروعات في مواقيتها ويعتني التلامذة بها فيتعلمون طرق زرعها وخدمتها بالاختبار ويقرنون العلم بالعمل

هذا وحبذا لو اهتمَّ احد الفضلاء بانشاء مدرسة كبيرة في القطر المصري من هذا النوع يتعلم فيها التلامذة مبادىء العلوم ويتعلمون ايضاً مبادىء الزراعة نظرياً وعملياً ويكفي ان يكونوا من اولاد الفلاحين الذين يعودون الى فلاحة الارض بعد خروجهم من المدرسة فانهم اذا اعتنوا بزراعتهم الاعتناء الواجب تعلم منهم جيرانهم واقتدوا بهم في اصلاح اساليب الزراعة

ولا شبهة في ان الاباعد الكبيرة والجفالك الوسيعة تستطيع ان تكون مدارس عملية لتعليم الزراعة كما ان الورش الكبيرة مدارس لتعليم الصناعة ولكن يشترط في تلك كما يشترط في هذه ان تكون ادارتها بيد رجال من الاكفاء من الذين اتقنوا صناعتهم علماً وعملاً ويسهل عليهم تدريب العمال وتمرينهم

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الرضاعة واللبن

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

اهم ما تتوقف عليهِ صحة الاطفال ونموهم حسن تغذيتهم ويشمل ذلك نوع الغذاء وكميتهُ فالحصول على النوع المناسب منهُ يجب ان يُلتفَت الى مصدر اللبن سواء كان من ام الطفل او من مرضع اخرى او من بقرة لانهُ لا ينتظر ان يكون اللبن جيداً ما لم يكن مصدرهُ سليماً قادراً على ادرار لبن جيد حاوٍ كل عناصر اللبن الجوهرية بكمياتها الاصلية . فاذا دعي الطبيب لمعالجة رضيع اصيب باعراض سوء الهضم او ضعف البنية او النزلة المعوية وجب عليهِ قبل ان يشير بالوسائط الدوائية او بابدال اللبن بغيرهِ ان يبحث عن صحة المرضع بحثاً دقيقاً ليعلم هل فيها مرض او هي عصبيَّة المزاج والاَّ فهل هي قادرة على ادرار الكمية الكافية من اللبن الجيد الموافق لتغذية الطفل

وكثيراً ما نرى طفلاً تعتني بهِ امهُ اعتناء تاماً وتهتم بهِ اهتماماً شديداً وهو مع ذلك عليل سقيم وطفلاً آخر لا تهتمُّ بهِ امهُ ولا تعتني بهِ الاعتناء الواجب وهو مع ذلك صحيح الجسم سليمهُ . وقد نسب الدكتوركم ذلك الى بعض الفواعل القوية منها ان التأثيرات العقلية والانفعالات النفسية تفعل فعلاً شديداً بصحة الطفل حتى ان قلق الام على طفلها واهتمامها بخدمتهِ وحفظ صحتهِ قد يكونان من اقوى الفواعل لاضعافهِ

وقد حلل لبن امهات كثيرات فوصل الى هذه النتيجة وهي انهُ اذا كان الطفل معتل الصحة لغير سبب ظاهر ففي لبن امهِ نقص في بعض المواد اللازمة للبن كالمواد الزلالية والحديد وزيادة في السكر . والحديد قليل جداً في اللبن وهو درهم واحد من كل مئتي الف درهم من اللبن في الاشهر الاولى من اشهر الرضاعة ويقلُّ بعد ذلك رويداً رويداً حتى يصير في الشهر السادس عشر درهماً واحداً في كل مليون درهم من اللبن اي خمس ما كان في الاشهر الاولى لكن الطفل يرضع بعد الشهر الثالث او الرابع اربعة اضعاف ما كان يرضعهُ في الشهر

الاول فيبقى مقدار الحديد الذي يتناولهُ مع اللبن كافياً لجسمهِ اما الاطفال المعتلون فيكون الحديد في اللبن الذي يرضعونهُ قليلاً جداً حتى يكون عشر الكمية الاعتيادية

فعلى الطبيب ان يعالج المرضع قبلما يعالج الرضيع وان يهتم بمعالجتها جسماً وعقلاً ولا سيما اذا كانت مصابة بفقر الدم او بعض الاعراض العصبية . ويحسن حينئذٍ ان يبدل لبنها بلبن آخر

ومن الامراض التي تنتقل الى الاطفال بواسطة اللبن التدرّن المعوي فقد قلّ متوسط الوفيات بالتدرن من البالغين في النصف الاخير من القرن التاسع عشر واما الاطفال فلم يقلّ متوسط وفياتهم بهذا الداء الخبيث بل زاد كثيراً ولا سيما في انكلترا وذلك لكثرة الاعتماد على لبن البقر في تغذية الرضّع وحفظ تلك البقر في المزارب الفاسدة الهواء وعدم اطلاقها في الحقول المطلقة الهواء

وقد عين مجلس باريس البلدي لجنة من امهر الاطباء للبحث عن تغذية الرضّع فبحثت وكتبت تقريراً مسهباً بينت فيهِ ان جراثيم الامراض تصل الى اللبن من البقرة التي يحلب منها اذا كانت مصابة بمرض معدٍ كالتدرّن او الحمى القلاعية او من الغبار المتطاير في الهواء او من الاوساخ اللاصقة بالآنية التي يوضع فيها اللبن او من الماء الذي تغسل بهِ وهذا هو الاكثر واشارت بوجوب تعقيمهِ تعقيماً تاماً قبل استعمالهِ . وتبين ايضاً ان استعمال اللبن الموضوع في علب يضرّ الاطفال بما يحويهِ من المواد الكيماوية التي تضاف اليهِ لحفظهِ من الفساد. وان تبريد اللبن الى درجة الجليد لا يعقمهُ وتسخينهُ الى الدرجة ٦٠ بميزان سنتغراد غير كافٍ لقتل الميكروبات المرضية مثل ميكروب التدرّن . ولكنهُ اذا سخن الى درجة الغليان ماتت منهُ كل الميكروبات ثم يجب ابقاؤُهُ في الاناء الذي سخن فيهِ وحفظهُ في مكان بارد حتى يبرد. واذا أُغلي في اناء مكشوف فلا تجوز تغطيتهُ الاَّ بعد ان يبرد تماماً لان البخار الذي يتصاعد منهُ ويتكاثف على غطائهِ وهو غير معقم يسقط فيهِ حالاً حاملاً الجراثيم التي كانت لاصقة بالغطاء ما لم يعقم الغطاء اولاً بوضعهِ في ماء غالٍ

ومن رأي هؤُلاء الاطباء ان لبن الامهات هو الافضل لتغذية الاطفال واذا لم يكن بدٌّ من تغذيتهم بلبن البقر وجب ان يوضع في زجاجات مسدودة يوضع في الزجاجة ما يكفي لارضاع الطفل مرة واحدة ثم توضع هذه الزجاجات في الماء البارد ويسخن الماء تدريجاً الى الدرجة ١٠٠° مدة ٥٠ دقيقة ثم تبرَّد وتحفظ في مكان بارد . وقبل استعمال اللبن توضع الزجاجة في ماء سخن ويسقى الطفل منها . واذا كان لا بدَّ من مزج اللبن بالماء مزج بهِ قبل تعقيمهِ بالاغلاء . وحينما تفرغ الزجاجة تغسل جيداً بالماء والصودا والصابون ثم بالماء النقي

لتنظيفها من المواد الدهنية . وللنظافة شأن كبير ولا يمكن حفظ اللبن سليماً ما دامت فيهِ جراثيم حية . ولا يخسر اللبن شيئاً من خواصهِ المغذية بالاغلاء . ولا بد من الانتباه الى الامور التالية قبل استعمال اللبن وهي

اولاً ان يكون لونهُ في الزجاجة مثل لون اللبن الطبيعي ومنظرهُ مثل منظر اللبن الجيد وليس فيهِ شيء من المواد الخثرة

ثانياً انهُ اذا فتحت الزجاجة لا يشم منهُ رائحة كريهة ولا يصعد عنهُ غاز

ثالثاً اذا جمدت القشدة على وجههِ وجب ان تمزج بهِ برج الزجاجة رجاً كافياً بعد تسخينهِ

فاذا استوفى اللبن هذه الشروط كلها يفرغ من الزجاجة في الاناء المعد للارضاع بعد تنظيفهِ بالماء الغالي

وقال الدكتور لمبلنغ انهُ يجب تحسين الغذاء بعد الفطام وتنويعهُ تدريجاً بتقليل المواد الدهنية وزيادة المواد النشوية والسكرية ولا بدَّ من ان يكون غذاء الطفل كافياً لانهُ يفقد بحركتهِ يومياً ثلاثة اضعاف ما يفقدهُ البالغ بالنسبة الى جسمهِ اي ان الرطل من جسمهِ يفقد في اليوم بواسطة الحركة ثلاثة اضعاف ما يفقدهُ الرطل من جسم البالغ

ومن المؤثرات الشخصية والجسدية في اللبن اولاً الاختلاف الطبيعي فان النساء يختلفن كثيراً بالطبع ولو تساوت احوالهنَّ المعاشية والصحية وكذلك البقر الحلوبة تختلف كثيراً ولو تساوت في الصنف ونوع العلف . وللعمر تأثير كبير في تركيب اللبن فهو كثير الدسم في النساء الصغيرات السن ويقل دسمهُ بتقدمهنَّ في العمر واما لبن البقر فيزداد دسماً بتقدمها في العمر الى سن محدود ثم ينقص بعد السنة التاسعة او العاشرة . ويقال ان لبن المرأة السمراء اللون القوية البنية افضل من لبن المرأة البيضاء الشقراء

واذا جادت رياضة النساء خارج المدن وكانت معتدلة جاد لبنهنَّ واما التعب فيقلل افراز اللبن ويغير تركيبهُ واذا قلَّ نوم المرضع لسبب من الاسباب نقصت المواد الجامدة في لبنها وزادت الاملاح فيهِ . وكذلك اجهاد البقر في الفلاحة ونحوها يقلل افراز اللبن ويضعفهُ

علاج الارق

قالت جريدة السجل الطبي الاميركية ان الارق عرَض لامرض مهما اختلفت اسبابهُ ولكنهُ قد يشتدُّ جداً حتى يستدعي انتباهاً خاصاً ومعالجة خاصة . فيبحث اولاً عن سببهِ فان لم يُكشَف يقتصر على معالجتهِ كعرَض ولو الى حين . فتستعمل المنومات والمسكنات اذا

كان الدماغ متعباً من كثرة الاشتغال او كان المجموع العصبي مرتبكاً بالهموم او مضطرباً بامر يهيجهُ او كان المرء قد أَلِف الارق لكثرة السهر على مريض

الهواء النقي والرياضة من اقوى الاسباب لجعل المجموع العصبي في حالة صالحة للنوم المهنيء وقد يضطرب نوم الانسان لسبب طفيف جدًّا كما اذا غيّر فراشهُ او سمع صوتًا متكررًا او كان في غرفتهِ نور او ما اشبه . وقد يقلق اذا بردت رجلاهُ وينام اذا دفئتا بوضع زجاجة فيها ماء سخن معهما او بلفهما بملاءة مسخنة من الصوف . واذا شرب فنجانًا من اللبن السخن قبلما ينام ساعدهُ ذلك على النوم وكذلك اذا شرب فنجانًا سخنًا من مرق اللحم السخن. هذا اذا كان سبب الارق بطء في الدورة الدموية . وقد يحصل من الحر او سخونة القدمين كأن الحرّ يوقظ النائم من نومهِ. والغالب ان يكون الشعور بالحرارة مرضيًا لا حقيقيًا فيعالج بمعالجة سببهِ وقد يحدث الارق من عدم انتظام الافرازات فيعالج بتنظيم الطعام واخذ الاملاح والزيبقيات

واذا كان الارق حادثًا عن سوء الهضم في اشكالهِ المختلفة كما في التطبل وتولد الغازات وتمدُّد المعدة عولج بمعالجة سوء الهضم . وقد يفيد شرب كاس من الماء الحار عند النوم واذا لم يجدِ نفعًا يسبق بشرب قليل من روح الامونيا العطرة وكربونات الصودا . ومما يفيد ايضًا شرب الايثير وماء روح النعناع او ماء الكافور والفرك على البطن وبين الكتفين يساعد في ازالة التطبل . واذا كان الارق حاصلاً من شرب الشاي او القهوة وجب ابطالها حالاً

واذا حدث الارق على اثر الانفلونزا عولج بالافيون او المورفين مع البنج اذا لم تفد المقويات مثل الزرنيخ والكينا والفصفور والاستركنين . واذا نتج الارق عن ادمان المسكرات عولج بابطالها وباستعمال الاستركنين او الجوز المقيء

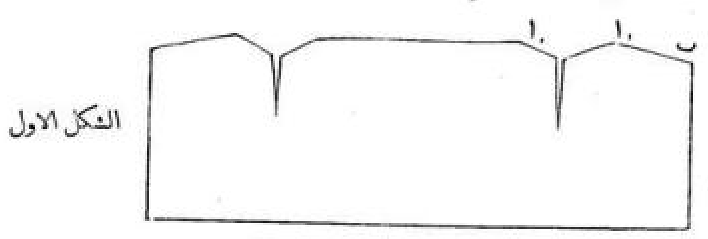
هذا ولابدَّ من الاعتماد على الطبيب في وصف العلاجات الدوائية مهما كان نوعها لاسيما وان بعضًا منها سام لا يجوز تعاطيهِ الاَّ بامرهِ وارشادهِ

ثياب الطفل

قلنا في الجزء الماضي ان ثياب الطفل يجب ان تخاط حتى تغطي بدنهُ كلهُ ويكون اعتمادها على طوقها حتى لا تضغط على ذراعيهِ . وان تفصَّل بحيث يمكن الباسها للطفل من غير تقليبهِ ووعدنا برسم صور هذه الثياب في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول

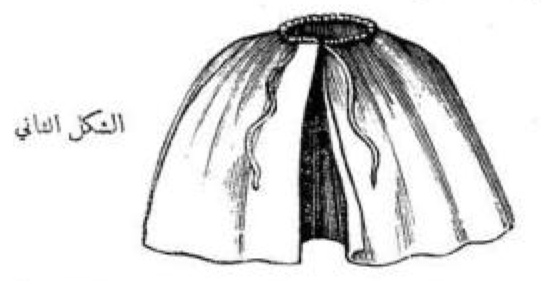
ترى في الرسم الاول من الرسوم الاربعة التالية صورة القميص الذي يلبَس للطفل من حين ولادتهِ الى ان يصير عمرهُ ستة اشهر وهو من الشاش الناعم جدًّا يفصَّل كما ترى في الرسم

الاوَّل ويكون طوله من فوق الى اسفل ٢٥ سنتمترًا وعرضهُ من جانب الى جانب ٦٨ سنتمترًا ولا يخاط الأ بين الحرفين ا و ا ويثنى من اعلاه وتوضع فيهِ عروة يزمُّ بها حول عنق الطفل فيصير كما ترى في الشكل الثاني فيغطي صدر الطفل وكتفيهِ ولا توصل العروة الى طرف



الشكل الاول

القميص من الامام بل تكون بعيدة عنهُ نحو ثلاثة سنتمترات كما ترى في الشكل الثاني حتى يقع طرف من القميص فوق الطرف الآخر فيضبُّ على صدر الطفل . والشكل الثاني صورة هذا القميص حينما يراد الباسهُ للطفل

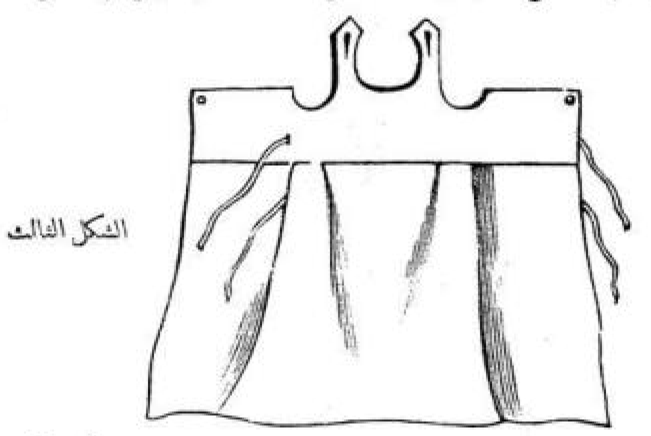

الشكل الثاني

وترى في الشكل الثالث رسم تفصيل تنورة الفلانلا طول صدرها (اي القسم الاعلى منها) من فوق الى اسفل نحو ١٢ سنتمترًا وعرضهُ من جانب الى جانب ستون سنتمترًا وطول كل تعليقة من تعليقتيها عشرة سنتمترات وعرضها الاكبر اربعة سنتمترات والبعد بينهما سبعة سنتمترات ونصف ولها زران يزران بهما فوق الصدر كما ترى في الشكل الرابع. وطول التنورة من فوق الى اسفل ٤٥ سنتمترًا وعرضها من جانب الى جانب ثمانون سنتيمترًا وتغبن غبنات واسعة مطبوقة طبقًا حتى يصير عرضها مثل عرض الصدرة ثم تخاط بها . وهذه التنورة تغطي الصدر جيدًا وتبقي الذراعين مكشوفتين . وهي تربط بالعرى كما ترى في الشكل الرابع وذلك خير من زرها بالازرار ومن ربطها بالمنطقة

ويلبس الطفل القميص اولاً وفوقهُ التنورة وفوق ذلك سلطة قصيرة مفتوحة من الامام وهي تربط بالعرى من الامام. والتنورة والسلطة يزيد طولها عن قدمي الطفل ثلاثين سنتمترًا

واذا زاد طولها عن ذلك فهو اسراف لا فائدة منهُ بل منهُ ضرر كبير لانهُ يعيق حركات الطفل

والقميص وتنورة الفلانلا والسلطة هي كل الثياب التي تلزم للطفل بعد وقوع صرّتهِ واما قبل ذلك فيلف ايضاً بلفافة من الفلانلا الناعمة طولها ٨٥ سنتمترًا وعرضها عشرة سنتمترات



الشكل الثالث

وقاية للصرة . ولا يلفق جانبا هذه اللفافة بل يتركان على قصتهما لانهما اذا لُفقا آلما الطفل

الثياب المذكورة آنفًا تلبس كلها للطفل وهو ملقى على بطنهِ ثم يقلب على ظهرهِ وتربط العرى بما لا مزيد عليهِ من السرعة والسهولة



الشكل الرابع

ويلزم للطفل على الاقل اربع سلطات وست قمصان وتنورتان ويلزم لهُ ايضاً كبوتان و ١٢ فوطة (حفاضاً) وهذه الفوط تمكن بالعرى لا بالدبابيس لان تمكينها بالدبابيس لا يخلو من الخطر. اما حفاضات المشمع فمن اكثر الاشياء ضررًا . ولا بدَّ من تغيير الحفاض كلما اتسخ او تبلّل



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٍ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

المكاتب ودور المطالعة

حضرات اصحاب مجلة المقتطف الغراء

اطلعتُ على الجزء الرابع من مجلتكم البهية فوجدت فيها ما لذَّ وطاب لاحتوائها على اهم الفوائد العلمية واني لاعجب غاية العجب اذا كنت لا ارى المقتطف في كل بيت من بيوت الذين يعرفون القراءة فاني قد رأيت مدة اقامتي في اميركا ان الناس هناك يقرأُون الجرائد العلمية كما يقرأُون الجرائد السياسية واذا كانت الجريدة العلمية غالية الثمن لا يستطيع واحد وحدهُ دفع ثمنها اشترك اثنان في نسخة واحدة. واقول ولا اخشى لومة لائم انهُ لو كان مثل المقتطف في البلاد الاميركية لبيع منهُ في الشهر لا اقل من مليون نسخة

وقد سررت بما طالعتهُ في الجزء المشار اليهِ من اقتراح حضرة الاديب خليل افندي ثابت وهو انشاء المكاتب العمومية ودور المطالعة لانني وجدت هذه المكاتب وهذه الدور شائعة في اميركا ولها فيها الفائدة الكبرى وقد بقيت هناك ثماني سنوات وانا اجني منها الفوائد لنفسي وارى الالوف يستفيدون منها مثلي فعسى ان يجاب طلبهُ ونرى المكاتب العمومية ودور المطالعة شائعة في مدن هذا القطر كما هي شائعة في كثير من المدن الاوربية والاميركية

مصر — الدكتور طيار

هبات علمية مصريَّة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت في مقتطف هذا الشهر في باب الاخبار العلمية نبذة تحت عنوان "هبات علمية" قلتم في ختامها "وعسى ان نجد من الهبات المصرية ما يذكر مع هذه الهبات". ومن حسن

الطالع ان حضرة الفاضل الكريم حسين باشا واصف محافظ القنال وحضرة حرمهِ المصون السيدة اسما هانم قد تبرعا بهبات علمية من هذا القبيل تذكر مع الهبات الاميركية فانهما اوقفا ما قيمتهُ خمسة عشر الف جنه مصري وقررا انشاء دار للعجزة من النساء الكفيفات والمصابات بالعاهات خصصا لها اربع مئة جنيه سنويًا وتسمى باسم السيدة اسما هانم . وقررا ايضًا انشاء مدرسة صناعية تُعلَّم فيها الصنائع المختلفة التي تدعو اليها حاجة البلاد ووقفا عليها ٦٠٠ جنيه في السنة وتسمى باسم حسين باشا واصف

وارصدا ٢٥ جنيهًا مصريًا تعطى خمس جوائز سنوية لخمسة من نابغي الطلبة في الجامع الازهر . وقد سلمت هذه الجائزة اول مرة الى حضرة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع ووزعت على مستحقيها

وارصدا ٢٥ جنيهًا تعطى كل سنة لمن يؤلف او يعرّب افضل كتاب يكون فيهِ الفائدة للدارسين والمستفيدين من نوع من العلوم والآداب . وقد نال هذه الجائزة في هذه السنة حضرة الفاضل احمد بك زكي سكرتير مجلس النظار الثاني لتعريبهِ كتاب تاريخ المشرق

مصر محمد عمر

فهرس عام للمقتطف

حضرات الافاضل منشئي المقتطف الاغر

لُقِّب المقتطف بين قراء المجلات العربية "بشيخ المجلات" لانهُ اقدمها عهدًا واوسعها بحثًا فصار كأنهُ دائرة معارف او قاموس كبير تزداد موادهُ كل شهر ويرجع اليهِ الباحثون في فروع العلم المختلفة فاذا ارادوا معرفة ما قيل عن عمر الارض مثلاً قالوا هلم الى مجموعة المقتطف لنرى ما فيها عن هذا الموضوع وهكذا عن بقية المواضيع العلمية والادبية والتاريخية . والذي تحلَّت مكاتبهم بمجموعة المقتطف يرون ان البحث عن كل ما قيل في موضوع ما في مجلدات المقتطف يستلزم وقتًا طويلاً لاضطرارهم الى البحث عنهُ في فهرس كل مجلد. ولما كانت سهولة البحث والاقتصاد في الوقت امرين مهمين لدى الباحثين رأينا ان نقترح عليكما طبع فهرس عام شامل جميع مواد مجلدات المقتطف من المجلد الاول الى المجلد العشرين ثم بعد مضي عشر سنوات ان شاء الله يطبع فهرس آخر عن تلك المدة وهكذا كل عشر سنين على توالي الايام ويباع هذا الفهرس بثمنهِ للذين يطلبونهُ . فعسى ان يقع اقتراحنا هذا لديكما موقع القبول فتقلدا قراء

المقتطف والمعتنين بجمعهِ منةً وفضلاً يذكرونها لكما بالشكر والامتنان زيادة عما لكما من الافضال السابقة على قراء اللغة العربية واقبلا فائق الاحترام ودمتما على مرّ الايام

جورج عطاالله

بنظارة المالية

(المقتطف) نشكر لحضرة الكاتب الفاضل على ما اشار اليهِ من اهتمام القراء بالمقتطف واعتمادهم عليهِ . والاقتراح الذي اقترحهُ نرى العمل بهِ واجباً علينا ونحن عازمون ان نجمع فهرساً عاماً للمقتطف بعد آخر هذه السنة اي حينما نتم خمسة وعشرين مجلداً من مجلداتهِ وعسى ان يكون هذا الفهرس كبير الفائدة

اثر علي باشا مبارك

في الساعة الثالثة الافرنكية بعد ظهر يوم الاثنين ٢ ابريل سنة ١٩٠٠ اجتمعت اللجنة المعينة لاقامة اثر علي باشا مبارك في منزل سعادة رئيسها اسماعيل صبري باشا وكيل نظارة الحقانية

فافتتح الرئيس الجلسة برثاء اثنين من اعضائها قد استأثرت بهما رحمة ربهما وهما المغفور لهما محمد صبري بك مفتش ري القسم الخامس وموسى شكري بك احد الموظفين بنظارة الداخلية . ثم تداولت في المباحث المعروضة عليها وقررت ما يأتي باجماع الآراء

اولاً — ارسال المبلغ المجموع من الاكتتابات العمومية وقدرهُ خمسمائة جنيه مصري الى الجمعية الخيرية الاسلامية لتشتري بهِ اطياناً تخصصها باسم المرحوم علي مبارك باشا وتجعل ايرادها كلهُ عشرة جوائز سنوية بالاكثر تسمى (جوائز علي مبارك باشا) وتوزعها على النابغين من تلامذة مدارسها الخيرية في اللغة العربية وفي الفنون والصنائع اليدوية

ثانياً — اذا انقرضت مدارس الجمعية الخيرية لاي سبب من الاسباب لاسمح الله تكون الاطيان تابعةً لنظارة المعارف وهي تخصصها لتكوين (جوائز علي مبارك باشا) وتعطي الجوائز التي يجب ان لا يزيد عددها عن عشرة الى النابغين من تلامذتها في الفنون والصنائع اليدوية بلا تمييز في العقائد والاجناس

ثالثاً — ان يكون توزيع هذه الجوائز في حفلات سنوية تحت رئاسة رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية ما دامت العين المخصصة للجائزة تابعة للجمعية اما اذا آلت لنظارة المعارف فتنعقد الحفلة تحت رئاسة ناظر المعارف العمومية

رابعاً — تكليف سعادة اسماعيل صبري باشا واحمد بك زكي بعمل كتاب صغير يحتوي

على ترجمة حياة المرحوم علي مبارك باشا مصدراً بصورتهِ الفوتوغرافية وتوزيعهِ عند ظهورهِ على كافة المكتتبين

خامساً — ان كل تلميذ ينال احدى المكافآت تعطي لهُ نسخة من هذا الكتاب فاذا نفدت نسخهُ تعيد الجمعية او النظارة طبعهُ لاستعمالهِ طبقاً لهذه الشروط وتكون مصاريف الطبع من اصل الايراد

سادساً — ان كافة الاوراق الخاصة بهذه اللجنة تسلم الى الجمعية الخيرية الاسلامية

ثم قررت اللجنة انحلالها من يوم استلام الجمعية الخيرية الاسلامية للنقود وتوليها العمل بهذه الشروط

رئيس اللجنة سكرتير اللجنة
اسماعيل صبري احمد زكي

باب التقريظ والانتقاد

كتاب العالم الانكليزي

الف هذا الكتاب حضرة الاديب بشاره افندي كنعان ونشرهُ في جزئين تكلَّم في الاول منهما على جغرافية البلاد الانكليزية وتاريخها واحوال مستعمراتها وفي الثاني على تاريخ الملكة فكتوريا والحوادث السياسية التي حدثت مدة حكمها ونظام الحكومة وميزانيتها وموارد ثروتها وقوتها البحرية واحوالها الصناعية والتجارية وعادات اهلها ولغتهم وآدابها ومشاهيرهم مثل كرومول وشتام وبت وفوكس وبامرستون ودزرائلي وغلادستون وسلسبري وروز بري وغيرهم من مشاهير العلماء والفضلاء . والكلام على عادات الانكليز واخلاقهم مسهب وفيهِ فوائد جمة وهو افضل فصول الكتاب وحبذا لو ذكر كل المصادر التي نقلهُ عنها لانهُ لا يستطيع ان يصف اخلاق قوم وصفاً صحيحاً مدققاً الاَّ من عاشرهم سنين كثيرة وكان من اكثر الناس بحثاً في علم الاخلاق ومراقبة طباع الناس . وقد نقلنا عنهُ الفقرات التالية

"قال احد علماء الاخلاق من الفرنسيس: ان بلاد الانكليز منبت النساء ومعدن الازواج بمعنى ان الانكليزي يهنأُ العيش اكثر من غيرهِ مع زوجتهِ . والانكليزية خلقت لان تكون للبيت اكثر مما هي للبهرجة فالرجل لا يهتم سوى باعمالهِ ولا يعلم من تدبير بيتهِ شيئاً وما عليهِ

الاَّ ان يقدم لامرأتهِ مقداراً معلوماً من المال كل اسبوع او كل شهر او كل عام وهي تنفقهُ في حاجة المنزل كيف شاءت فاذا عاد ليلاً خفت عنهُ وطأة مصائب النهار وزالت اتعابهُ بما تقابلهُ بهِ زوجتهُ من اللطف والجذل والوقار وبما يرى من نظافة منزلهِ واتقانهِ وما يجد بجوانبهِ من انواع الهناء مع راحة البال من الاسباب الباعثة على الالفة . والانكليزيات اوفر مودة واعتباراً لازواجهنَّ من غيرهنَّ يعضدنهم في الضراء بما يتوقع منهنَّ في السراء ويصبرنَ على الوفاء وعلى نوائب الايام صبر الكرائم الاَّ ان جاراتهنَّ الفرنساويات اكثر رقةً ورشاقةً واخف روحاً واعظم ميلاً الى اللهو والطرب واقرب الى القلوب وهنَّ ايضاً اوفر عشاقاً بينما ترى الانكليزيات اكثر رزانة ووقاراً وافضل منهنَّ ازواجاً

وينشأُ الفرنساوي بالنظر الى هشاشة والدتهِ وطباعها اكثر لطفاً وتودداً يكثر من المؤانسة والمعاشرة ومن مخالطة النساء ومحبتهن والتهالك في العشق كثيراً والمخاطرة بالنفس في سبيل مرضاتهنَّ بينما ينشأُ الانكليزي رزيناً وقوراً واوفر رزانة وبينما ينشأُ الشاب الشرقي بخلاف الاثنين هيوباً هلوعاً وفي ذهنهِ التخيلات والاوهام وترى ايضاً ان لوندرا تأوي كبار التجار اليها ويقصدها اصحاب جلائل الاعمال واما باريس فهي منتجع طلاب اللذات كل ايامها اعياد وافراح

وقد احلَّ الانكليز اكثر من سواهم من الاوربيين هذا الجنس اللطيف في اعلى مقام لانهم عرفوا ان نجاح البلاد يتوقف عليهِ وان المبادىء القويمة تتولد كما قال بعض علماء الاخلاق في احضان الامهات او على مقاعد المدارس فشيدوا لذلك المدارس في انحاء المملكة بين ابتدائية وكلية فتهافتت عليها البنات تهافت الصبيان وصرنَ يتعلمنَ وهنَّ صغيرات حتى يضارعن رجالهنَّ في العلوم العالية كبيرات وهن يسابقنهم في الاستخدام في كثير من المصالح الاميرية كالبوسطة والتلغراف وعلى الخصوص في المخازن التجارية والمحلات العمومية وترى منهنَّ ايضاً الكاتبات ومحررات الجرائد » وقد دل الاحصاء ان في مدينة لندن وحدها خمسين الف فتاة كاتبة في المصالح الاميرية والتجارية ونحو ٣٢٠ الف خادمة في الفنادق والبيوت

وليس في العائلة الانكليزية على الغالب رفع الكلفة ولا بين الزوج وزوجتهِ تلك الدالة الزائدة التي بين المتزوجين فالرجل يتبع مع امرأتهِ كل انواع الاكرام كما لو كان مع سيدة غريبة فهو يراعي اصول المحبة دون الغرام والكلف الزائد

ثم ان الانكليزية التي كانت حرة قبل الزواج تصبح مقيدة بعدهُ باوامر زوجها ونواهيهِ واذا اتاها زائر رجلاً كان او امرأةً جلس معها دون حضورهِ ولها الحق مباح في الخروج دون استئذانهِ انما عليها فقط ان تشعرهُ بقصد خروجها ومع هذه الحرية التامة ترى العفة عند

الانكليز اكثر مما هي عند غيرهم فقام العرض مصون لديهم كل الصيانة فلا يقبل في مخالطة العائلات من عرف عنهُ انهُ ارتكب المحرمات او عاش متهتكاً فالذي يثبت عليهِ هذا الامر يضام ضيماً عظيماً ويسقط شرفهُ ادبياً . والضيف الزائر لسيدة انكليزية يلزمهُ المحافظة على القواعد المتبعة عندهم كالتجمل باللباس الفاخر وعدم السعل والتدخين

والانكليزيات بارعات في اصول الحديث وافانين التمدن واساليب الاجتماع والمعاشرة وقد تستطيع السيدة العظيمة لعظمتها وعلو مقامها ان تصيّر رجلها عظيماً وان تمهد لهُ سبيل الترقي الى ذروة المجد والفخار فسلطانهن كما قيل "سلطان محبة وجمال وتعقل وتأثيرهن يعم الحياة باكملها" ومن الشهود الصادقة على هذا المقال ان بيكونسفيلد الشهير لم يتدرّج في معارج المجد ولم يصل الى منتهى مراتب السؤدد والعلاء التي وصل اليها الا حين عقد قراناً سعيداً على زوجة وندهام لويس الشهيرة بالبهاء والثراء فمثل بواسطتها في مشاهد السياسة فصولاً عظيمة اطارت صيتهُ في الافاق حتى طبقت الفضاء . ولما اعتزل الاعمال وارادت الحكومة ان تمنحهُ القاب الشرف جزاء خدماتهِ قال : اعطوا كل الالقاب لامرأتي لان لها اليد الطولى في كل اعمالي . ومثلهُ غلادستون فانهُ كان مقرًّا بالفضل لامرأتهِ في شهرتهِ فانها كانت ترشدهُ وتعضدهُ في اعمالهِ . وبين الانكليز كثيرون يعترفون بفضل المبادىء القويمة التي غرستها امهاتهم في عقولهم فنمت حتى صارت من اقوى العواطف الخاصة" انتهى

ولغة الكتاب سلسلة قريبة المأخذ وحبذا لو زيدت تنقيحاً وفيهِ كثير من الصور وقد طبع على نفقة حضرة الكتبي الشهير امين افندي هندية وهو يباع في مكتبتهِ فنثني على حضرة المؤلف والناشر ثناء جميلاً ونتمنى ان تكثر امثال هذه الكتب المفيدة ولاسيما ما توصف بهِ احوال الامم الراقية ذرى المجد لكي يقتدى بها في الجد والاجتهاد والجري في ميادين العمران

المطالب الطبية

هو كتاب نفيس كبير الفائدة ألّفهُ حضرة الفاضل الدكتور ابراهيم منصور رئيس جمعية التوفيق المركزية في ثلاثة اجزاء كبيرة " الاول يحتوي على القواعد الصحية وتشريح الاعضاء ووظائفها وامراضها وامراض اعضاء الدورة واعضاء الهضم والكبد والكليتين وامراض المجموع العصبي والنباتات الطبية وكيفية تحضيرها واستعمالها. والجزء الثاني يحتوي على معالجة امراض الجلد وداء الزهري وامراض العين والاذن وفن الجراحة ومعالجة السموم والاختناق . والجزء الثالث يحتوي على امراض النساء والاطفال وهو مذيل باشياء كثيرة لا تقلُّ في الاهمية عمَّا

نقدَّم" . وقد صدر الجزء الاول منهُ فرأيناهُ كما وصفهُ حضرة مؤلفهِ في مقدمتهِ والكلام فيهِ قريب المأخذ يستفيد منهُ الخاصة والعامة ايضاً وعبارتهُ بسيطة قليلة المصطلحات الطبية كقولهِ في الكلام على الملابس

" واعلم ان الصوف والحرير يكسبان الجسم حرارة بسبب انهما يحفظان عليهِ حرارتهُ . وان القطن يكون بين الصوف والحرير والكتان والتيل فهو حافظ لحرارة الجسم ايضاً . واما التيل والكتان فلا يحفظان الحرارة على الجسم فيعدَّان من الملابس الباردة التي تحدث في الجسم رطوبة بملامستها لهُ . ومن المحقق ان الملابس الصوفية اوفق للصحة في كل وقت ومكان لانها تحفظ الحرارة اكثر والرطوبة اقل ولكونها تمتص من المرتدي بها الروائح والمواد المرضية المعدية اكثر من غيرها ولذا يلزم تغييرها مراراً . فالفلانيلا مثلاً اذا كانت منسوجة من صوف رقيق ولونها ابيض تكون اوفق وافضل لانها اذا لبست مباشرة على الجلد تحفظ حرارة الجسم وتمنعها عن التشعع والخروج ولكونها لا تخلو من خشونة لطيفة فتحك الجلد فتنبه الدورة الجلدية فيزداد التبخر الجلدي ولذا يلزم تبديلها مراراً غير ان الملابس المتخذة من الصوف لا توافق كل الناس فلا تناسب الأضعفاء البنية والناقهين والشيوخ وخنازيري المزاج واصحاب الانيميا والمصابين بامراض حدارية وزكامات مختلفة وتفيد المقيمين في الامكنة الباردة الرطبة ولا توافق ايضاً اصحاب المزاج الدموي واصحاب الاحتقانات الجلدية ولا تناسب الاولاد الصحيحي البنية حيث ان توليد الحرارة فيهم كثير ". والمراد بالرطوبة في اكثر ما تقدَّم معناها المألوف في هذا القطر اي البرودة لا معناها اللغوي وهو النداوة او البلل

وقولهِ في الكلام على علاج البول السكري " ينحصر علاج هذا المرض في ترتيب معيشة المريض وتنظيم طعامهِ . فعليهِ ان يجتنب جميع المأكولات السكرية النشاوية كالخبز والارز والبطاطس وما يماثلها لان جميع المواد النشاوية الموجودة في الاطعمة تستحيل اثناء الهضم الى سكر . أما جميع اصناف اللحوم فيتعاطاها ما عدا الكبد وايضاً يتعاطى الزبدة والقشدة والجبن والبيض ويجتنب اللبن ويأكل من الخضراوات الخس والكرنب والكرفس والبصل والاسبانخ لاحتوائها على نشاء قليل ويمكن شرب القهوة والشاي بدون سكر او محلاة بالجليسيرين . وان كان من الضروري ان يشرب المريض بعض المشروبات الروحية فلا يسمح لهُ الاَّ بالويسكي او نبيذ الكرز او ما يماثلها لان السكر فيها اقل مما في غيرها. وقد يعمل من النخالة خبز وكعك نافعان جداً في هذا المرض

هذا ولا يوجد من الادوية دواء شافٍ من هذا المرض او موقف لسيرهِ على الاقل. نعم

توجد ادوية كثيرة تقلل كمية السكر ولكنها لا تؤثر في تقدم صحة المريض الذي يهزل شيئاً فشيئاً وحينئذ يكون المهم في تحسين حالة المريض ليس هو تنقيص مقدار السكر بل زيادة وزن جسمهِ لانهُ كلما كان جسم المريض آخذاً في التناقص زاد مرضهُ ولا يعبأ بمقدار السكر قليلاً كان او كثيراً"

وقس على ذلك سائر فصول الكتاب من البسط والاسهاب وهو مطبوع طبعاً متقناً وفيهِ رسوم كثيرة تزيدهُ ايضاحاً فنشكر لحضرة مؤلفهِ على هذه التحفة السنية

كتاب مشاهد اوربا واميركا

وضع هذا الكتاب حضرة الفاضل عزتلو افندم ادوار بك الياس المفتش في نظارة الداخلية المصرية وصف فيهِ رحلاتهِ الى اوربا واميركا وهو يمتاز على غيرهِ من كتب الرحلات الحديثة بامور كثيرة منها اتساع نطاقهِ فان الكلام فيهِ شامل ممالك اوربا كلها حتى التي لا يقصدها اهل الرحلات الاَّ نادراً مثل روسيا واسبانيا والبورتوغال. وشامل الولايات المتحدة الاميركية ايضاً عدا ما فيهِ من الوصف المسهب للمالك المقصودة كثيراً مثل ايطاليا وفرنسا وانكلترا وسويسرا والنمسا والمانيا وبلجكا

ومنها اجمال تاريخ البلاد قبل وصفها حتى يسهل على القارىء ربط ما يقرأهُ عن مشاهدها بالحوادث التاريخية المتعلقة بها

ومنها تزيين الكتاب بكثير من صور الملوك والملكات والعظماء والمشاهد العظيمة مثل صورة الخديوي المعظم في صدر الكتاب لانهُ جعلهُ تقدمةً الى سموهِ. وصورة امبراطور النمسا وامبراطور المانيا وملك الدنمارك وملك اسوج ونروج وقيصر روسيا وصورة حفلة تتويجهِ وهلمَّ جرًّا

ومنها التدقيق الكثير في كل ما ذكر في هذه الرحلة وقد كنا نرى المؤلف يبحث ويفتش في المظان المختلفة ويسأل العارفين عن كل ما يرتاب في صحتهِ لكي يكون كتابهُ خالياً من الخطاءِ على قدر الامكان

ومنها حسن الوصف وسلاسة العبارة وقد بالغ المحرر في ذلك مراراً كثيرة حتى قاربت عبارتهُ الوصف الشعري كما ترى في الفصل الذي نقلناهُ عنهُ في هذا الجزء عن سان غوتار

ومنها جودة الورق واتقان الطبع. وبهذه المزايا جاء الكتاب من احسن الكتب الموضوعة في بابهِ طافحاً بالفوائد التاريخية والادبية والفكاهية فذلك ورخص ثمنهِ يجعلانهِ من الكتب النادرة التي يقبل القراء على مطالعتها فنشكر لحضرة مؤلفهِ الفاضل على ما اتحف بهِ ابناء العربية

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف وثمنهُ ثلاثون غرشاً مجلداً تجليداً حسناً وفيهِ اكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاءِ المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاعلام الحديثة

مصر . اسكندر افندي زكي . ما هو السبب في ان المصريين يسمون ابناءهم باسماء ليست اعلاماً في الاصل مثل رأفت وحشمت وحسيب ونجيب ولم يكن ذلك شائعاً عند العرب ولا عند الاقباط من سكان هذا القطر

ج بوضع العلم لتمييز المسمى بهِ عن غيرهِ وهذا يقتضي ان يكون المرتجل فيهِ مثل عُمَر اكثر من المنقول مثل سليم لان المنقول قد يلتبس بما نُقل عنهُ فيفوت الغرض الاصلي من العلَم وهو الدلالة على الشخص المعين لا على المعنى لكنَّ وضع الاعلام المرتجلة امر صعب لا يستطيعهُ كل احد والاعلام المنقولة عن صفة ممدوحة مرغوب فيها فاذا استطاع احد ان يسمي ابنهُ بعلَم منقول عن صفة حميدة في لغة غير مبتذلة وفى ذلك بكل غرضهِ لانهُ يكون قد سماه بما يلمح الى الصفة واختار اسماً قليل الاستعمال في معناهُ الاصلي ولهذا يكثر الاوربيون من تسمية اولادهم باسماء لاتينية او يونانية منقولة وعلى هذا النحو جرى الاتراك في تسمية اولادهم باسماء عربية منقولة مثل رأفت وشوكت وحشمت وكتبوها بالتاء المبسوطة على جاري عادتهم واقتدى بهم العرب الخاضعون لهم

---

(٢) كتاب الطبخ

الاسكندرية . احد القراء . ارشدونا الى كتاب في الطبخ وتحضير الاطعمة المختلفة والحلويات

ج ليس في العربية كتاب مطبوع في هذا الموضوع اوسع من كتاب الطبخ المطبوع في المطبعة الادبية في بيروت وهو يطلب منها بهذا الاسم ونظن انهُ يوجد في كل المكاتب العربية الكبيرة

(٣) غاز الضوء

حمص . محمد افندي سعيد حكيم . نرجو ان تصفوا لنا كيفية استخراج غاز الضوء الذي يستضاء بهِ في البيوت والشوارع وان ترسموا لنا القزان الذي يوضع فيهِ الحطب ان امكن

ج يستخرج غاز الضوء من الفحم الحجري لا من الحطب وسنصف كيفية استخراجهِ وتنقيتهِ في الجزء التالي وننشر الآلات اللازمة لذلك

---

(٤) دواء المقامرة

المنيا . احد المشتركين . لا بدَّ لكل داء من دواء فما هو دواء المقامرة وباي علاج تستطيع عائلة ان تميت جرائمهُ من احد افرادها بعد ان ابتُلي بهِ

ج المقامرة مثل كل العادات القبيحة يتملك من النفس حتى يعسر نزعهُ منها ولكنهُ لا يستحيل اذا كان للمرء اناس يهتمون بامرهِ ويبعدونهُ عن اماكن المقامرة ويساعدونهُ على الاهتمام بشيء آخر . فاذا بذلت عائلة الشخص المشار اليهِ جهدها في ابعادهِ عن اماكن المقامرة وفي جعلهِ يهتم بامرٍ آخر ولو من قبيل التسلية كالصيد والقنص انصرف همهُ اليهِ وضعف ميلهُ الاول رويدًا رويدًا الى ان يزول

(٥) منع المقامرة

ومنهُ . سمعنا غير مرة ان المقامرة ممنوعة قانونًا فهل هذا المنع خاص باندية المقامرة في العاصمة او هو شامل لكل انحاء القطر واذا كان الثاني فلماذا لا يسري هذا القانون على المنيا

ج المقامرة ممنوعة بقرار صادر من نظارة الداخلية في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد تصديق محكمة الاستئناف المختلفة ويقال في المادة ١٧ منهُ ما نصهُ

"لا يجوز لاصحاب ادارات المحلات العمومية ان يمكنوا احدًا من اللعب بالعاب القمار على اختلاف انواعها مثل المعروفة بالبكارا واللانسكينة والواحد والثلاثين والاربعين والفرعون والزيرو وما كنية الخيول وما اشبه"

فترون ان لعب القمار ممنوع في الاماكن العمومية في كل القطر المصري ولكن العقاب يقع في هذا المنع على اصحاب الاماكن العمومية لا على المقامرين وهو لا يمنعهم من المقامرة في بيوتهم فلا يكفي لابطال المقامرة

---

(٦) علاج البراغيث

مصر . حسن افندي حسين يوسف . تكثر البراغيث في فصل الشتاء فمن اين تتولَّد وهل من دواء يمنع وجودها

ج تتولَّد من بيوض صغيرة تبيضها انثى البرغوث بين الشعر والصوف او في زوايا البيوت والاماكن المستورة . والبيض ينقف عن دود صغير يعيش مدة ثم يصنع شرانق

كدود الحرير يقيم فيها مدة اخرى ثم يخرج منها برغوثاً . وكل قاتلات الحشرات مميتة . ويقال انهُ اذا ذرَّ الافسنتين في بيت ماتت البراغيث التي فيهِ او خرجت منهُ . وغنيٌ عن البيان ان النظافة التامة افعل الوسائط لتقليل البراغيث او لمنع تولدها لان البراغيث وكل الحشرات لا تضع بيضها الاَّ حيث تجد غذاء لصغارها تغتذي بهِ حال ظهورها فاذا كان البيت نظيفاً جداً لم تجد فيهِ هذا الغذاء فلا تضع بيضها فيهِ . وهذا لا يمنع ان تعلق البراغيث بالناس من اماكن أُخرى وتدخل معهم الى بيوتهم ولكنها لا تكون كثيرة كما لو تولدت فيها

---

(٧) معرفة الكسوف

معمل الزجاج . احمد افندي السيد . لماذا لا تذكر طريقة معرفة اوقات الكسوف والخسوف في الكتب العربية في علم الفلك مع ان معرفتها لازمة

ج ان الطريقة المستعملة الآن صعبة جداً لكثرة ما فيها من التدقيق ولذلك لا تذكر في كتب الفلك الوصفي ولم ينشر كتاب في الفلك العملي باللغة العربية حتى الآن ولكن الاقدمين من علماء العرب كانوا يعرفون طريقة اقل تدقيقاً من الطريقة المستعملة الآن واسهل عملاً وهي مذكورة في كتبهم ففي الزيج الصابي للبتاني طريقة حسنة في الفصل الثالث والاربعين منهُ وهي الآن امامنا والظاهر انهُ نقلها عن اليونان . ومعلوم ان الكسوفات والخسوفات التي تحدث مدة ١٨ سنة يوليانية و١١ يوماً تعود فتتكرر تماماً كل ١٨ سنة و١١ يوماً . فالكسوف او الخسوف الذي يحدث في يوم معلوم يحدث ايضاً بعد ١٨ سنة يوليانية و ١١ يوماً . وقد لا يظهر ذلك في كسوف الشمس كما يظهر في خسوف القمر لان كسوف الشمس لا يرى الاَّ في اماكن محدودة على سطح الارض فقد يرى اليوم في القطر المصري ولا يرى فيهِ بعد ١٨ سنة و١١ يوماً ولو حدث حقيقةً ولكنهُ يرى في قطر آخر . وربما ذكرنا طريقة البتاني في فرصة اخرى

(٨) اسماء المواد الكيماوية

ومنهُ . لماذا تذكرون المواد الكيماوية والطبيعية باسماء غريبة يجهلها كثيرون من قراء المقتطف فقد طلبنا الاليومنوم بالامس من احد الصيادلة فلم يعرف ما هو فنرجو ان تذكروا لنا هذه الاشياء باسمائها العربية

ج يُنتظر من كل صيدلاني ان يعرف ما هو الاليومنوم لانهُ معدن بسيط مذكور في كل كتب الكيمياء التي لا بدَّ لكل صيدلاني من درسها . ولا ينتظر وجود هذا المعدن في الصيدليات كما لا ينتظر ان يوجد فيها الحديد والرصاص ولكنهُ يوجد عند باعة المعادن . اما نحن فقلما نذكر اسماً علمياً بلفظهِ

الافرنجي الاّ ونشرحهُ شرحاً كافياً ولكن يتعذر علينا ان نعيد هذا الشرح كما اعدنا ذكر الاسم ونتنظر من قراء المقتطف ان يطالعوهُ بالتروي و يفتشوا في اجزائهِ الماضية عما يعسر عليهم فهمهُ الى ان يوضع قاموس مطول في العربية تذكر فيهِ كل الكلمات العلمية المعرَّبة حديثاً. وليس لهذه الاسماء ما يقابلها في العربية حتى نترجمها بهِ فنضطر ان نذكرها بلفظها الافرنجي. مثال ذلك الاليومنوم فانهُ معدن كالفضة اكتُشف حديثاً والذين اكتشفوهُ سموهُ بهذا الاسم وجرى على تسميتهم الاوربيون كلهم فلابدَّ لنا من مجاراتهم

---

(٩) عسر الهضم

الاسكندرية . احد المشتركين . مضى عليَّ سنتان ونصف وانا مصاب بعسر الهضم وتمدد المعدة وقد ضعفت ضعفاً عمومياً. وعادني كثيرون من مشاهير الاطباء وكلهم تقريباً متفقون على اني مصاب بالدسبسيا وتمدد المعدة. وقد تعاطيت كثيراً من الادوية المقوية مثل ساق الحمام والجنطيانا وجوز القيء والاشربة الحديدية ونحو ذلك فلم تنجع فيَّ. واشار عليَّ احد الاطباء بالسفر الى اوربا والاستحمام بمياهها المعدنية مثل حمامات النمسا وفرنسا . واشار عليَّ غيرهم ان اكتفي بتبديل الهواء في ابي قير او راس البر والاستحمام بماء البحر. وانا افضل السفر الى اوربا ولكني استصعبهُ كثيراً واخاف ان يحدث لي حادث يذهب بحياتي لاني مصاب باحتقان الدماغ ومن كان مصاباً بهِ فهو معرَّض لداء السكتة فبماذا تشيرون عليَّ

ج اعتمدوا على رأي طبيب من مشاهير الاطباء وابقوا على علاجهِ ولا تغيروهُ الاَّ باذنهِ . ويظهر لنا ان التدبير الصحي الزم لكم من التدبير الدوائي ونعني بالتدبير الصحي الاقتصار على الاطعمة المغذية والاقلال منها حتى لا يزيد الطعام على حد الشبع والتمهل في الاكل واجادة المضغ حتى لا يزدرد الطعام الاَّ بعد ان يصير ناعماً جداً ويمتزج باللعاب مزجاً جيداً فانهُ يصير حينئذٍ اسهل هضماً . ثم لا بدَّ لكم من الرياضة المعتدلة في مكان نقي الهواء ولا بدَّ ايضاً من تقليل الاشغال العقلية او الانقطاع عنها تماماً الى ان تشفوا

(١٠) نفقات السفر الى فرنسا

ومنهُ . كم تبلغ نفقات السفر الى فرنسا والاقامة فيها شهراً من الزمان بالدرجة الاولى

ج اقلها سبعون جنيهاً او ثمانون مع الاقتصاد الشديد وقد يمكن ان تزيد الى مئة جنيه من غير افراط اما مع الافراط فلا حدَّ للنفقات

---

(١١) الرافع المائي

صور . احد المشتركين . قرأت في بعض الجرائد المصرية انهُ قد تمَّ اختبار الرافع المائي فنجح فوق المأمول فان كان ذلك صحيحاً فاكرموا علينا بتفصيل تركيبهِ

ج ان ما بلغنا عن الرافع المائي لا يدلُّ على ان النجاح مكفول او ميسور لهُ ولم يبلغنا انهُ جُرب تجربة كبيرة فوفى بالغرض ولا اطلعنا على تقرير لاحد علماء الهندسة الآلية الذين يعتمد عليهم في امرهِ

---

(١٢) بنجر السكر

اسنا . الخواجه بطرس بولس . ذكرتم في مقتطف مارس في باب الزراعة ان البنجر (الشمندور) السكري يزرع من ابريل الى ١٥ نوفمبر فنرجو ان تخبرونا هل بنجر السكر هو البنجر المعتاد وهل يزرع في ابريل ويستوي في ١٥ نوفمبر ام تستمر زراعتهُ من ابريل الى ١٥ نوفمبر

ج بنجر السكر من نوع البنجر المعتاد اصلاً ولكنهُ تنوَّع كثيرًا بالتربية والانتقاء عاماً بعد عام حتى صار كثير السكر فاذا زرع في هذا القطر وجب ان تجلب التقاوي من اوربا اولاً . وقد بلغنا ان معمل الشيخ فضل جلب من هذه التقاوي وهو يقدمها لمن يطلبها منهُ . اما من حيث الوقت الصالح لزراعتهِ في القطر المصري فهو من ابريل الى نوفمبر اي يجوز ان يزرع في اي شهر كان من هذه الشهور ولكن ظهر بالامتحان انهُ الاحسن ان نقسم زراعتهُ الى قسمين الزراعة الصيفية وهي تزرع من ابريل الى يوليو والزراعة الشتوية وتزرع من سبتمبر الى نوفمبر . ويمكن زرعهُ بعد البرسيم والفول والحبوب كالقمح والشعير وهو يبقى في الارض من اربعة اشهر الى خمسة اشهر وتزرع الارض بعدهُ زراعة شتوية فتجود لانها تكون قد خُدمت جيدًا

(١٣) كيفية زرعهِ

ومنهُ . نرجو ان توضحوا لنا كيفية زراعة هذا البنجر بالتفصيل ومواعيد سقايتهِ

ج تعد الارض لزرع البنجر بحرثها جيدًا طولاً وعرضاً وتمهيدها حتى ينعم ترابها الى عمق ثلاثين سنتمترًا او اكثر ثم تخطط خطوطاً مارة شمالاً وجنوبًا ويكون البعد بين الخط والآخر ٧٠ سنتمترًا وتروى جيدًا وتترك اربعة او خمسة ايام حتى تجف وتزرع البزور في جوانب الخطوط مترادفةً تحت الحد الذي وصل اليهِ الماء حتى يكون البعد بين كل نبات وآخر نحو عشرين سنتمترًا ولا بدَّ من جلب التقاوي اولاً من اوربا كما تقدم لان البنجر قد ربي فيها وأُصل حتى اتصلوا الى ايجاد نوع منهُ كثير السكر ولو كانت رؤُوسهُ صغيرة وهو بنجر السكر الذي يزرع لاجل سكرهِ لا البنجر المعروف في القطر المصري . ويزرع في كل حفرة اكثر من بزرة واحدة كما يزرع القطن ثم يخف كما يخف القطن وتركس الارض ثم تروى بعد سبعة ايام او ثمانية ويعاد عزقهُ ويروى كلما احتاج الى الماء ويعلم ذلك من ذبول اوراقهِ واصفرارها ثم يمنع الماء عنهُ مدة ٣٠ او ٣٥ يوماً قبلما يقتلع لكي يتم تكوُّن السكر فيهِ

(١٤) سباخ البنجر

ومنهُ . هل يحتاج هذا البنجر الى سباخ

ج فلما يحتاج الى السباخ اذا كانت الارض جيدة لان زيادة النمو لا تزيد السكر فيهِ وقد ظهر بالامتحان ان القليل من نيترات الصودا يفيد البنجر اذا استعمل بالحكمة ولكن الكثير يزيد نموهُ ولا يزيد سكرهُ

(١٥) الارض الصالحة لهُ

ومنهُ . هل تنجح زراعتهُ في الاراضي الطينية او الرملية

ج الاراضي الطينية الرملية افضل لهُ من الاراضي الطينية المحضة على ما يظهر لنا ولكن لابدَّ من التجارب الكثيرة قبلما يعلم اي ارض اصلح لهُ في هذا القطر



باب الاخبار العلمية

مالية الحكومة المصرية

بلغ ايراد الحكومة المصرية في العام الماضي ١١١٩٩٠٠٠ جنيه مصري ونفقاتها ٩٩٨٩٠٠٠ جنيه مصري فزاد ايرادها على نفقاتها ١٢١٠٠٠٠ جنيه مصري . لكن ارتباطها بصندوق الدين لا يجيز لها ان تنفق كل ما يبقى من دخلها في اصلاح بلادها ولذلك لم تنفق من هذه الزيادة على الاعمال العمومية سوى ٤٠٢٠٠٠ ويعدُّ كثيرون ذلك غبناً على الديار المصرية ويودون ان تطلق يد حكومتها من هذا القيد لكي تستثمر هذه الاموال في ما يعود بالنفع الجزيل على البلاد

نفقات حرب الصين واليابان

نشر وزير المالية في اليابان حساب النفقات التي انفقتها بلادهُ على الحرب بينها وبين الصين فظهر منهُ انها انفقت على الاعمال الحربية ٧٦ مليون ريال وعلى العمارة البحرية ١٨ مليون ريال والجملة ٩٤ مليون ريال وجمعت من اهلها لهذه الحرب ١١٣ مليون ريال فبقي عندها منها ١٩ مليون ريال اضافتها الى المال الاحتياطي واخذت غرامة الحرب من الصين ١٥٠ مليون ريال فهي تزيد على ما انفقتهُ ٥٦ مليون ريال اي اكثر من احد عشر مليون جنيه . فكانت الحرب لها تجارة رابحة اذا اغضت عمن قُتل منها من النفوس وعما اصابها من تعطيل المتاجر والاعمال في زمن الحرب

الاوتوموبيل في الحرب

عرض امبراطور المانيا جائزة اربعة آلاف جنيه لاحسن اوتوموبيل يمكن استخدامهُ في

الحرب . ولا بدَّ من ان يدعو ذلك الى اصلاح الاوتوموبيل وترخيص ثمنهِ

ركوب الهواء

خصص احد الاعضاء في جمعية السير في الهواء الفرنسوية مئة الف فرنك جائزةً لمن يستنبط آلة يسهل بها ركوب الهواء واشترط ان تطير هذه الآلة من مكان الجمعية الى رأس برج ايفل ثم تعود الى المكان الذي طارت منهُ فتكون مسافة سيرها احد عشر كيلومترًا وان تقطع هذه المسافة في نصف ساعة او اقل . واطلق الحرية في المناظرة لكل احد مهما كانت بلادهُ

بناء السفن

بنى الانكليز في العام الماضي ٧٦١ سفينة محمولها ١٥٨٥٣٨١ طنًا محمول التجارية منها ١٤١٦٧٩١ طنًا ومحمول الحربية ١٦٨٥٩٠ طنًا وهذا اعظم ما بنوهُ من السفن في سنة واحدة وهو يزيد عما بنوهُ في العام الذي قبلهُ ما محمولهُ ٧٢ الف طن

ميشل بسترس

رُزئت مدينة بيروت بنائبة من اكبر نوائب الدهر ذلك انهُ كان في مرفإِها سفينة تربيدية عثمانية اسمها سهام ركبها بعض الوجهاء يوم السبت في ٢١ ابريل وساروا لتشييع واليها وكان قد ركب سفينة اخرى وذهب في بعض المهام فانفجر مرجل السفينة التربيدية وقتل اكثر من كان فيها وبينهم السري الكريم الخواجه ميشل بسترس فأُخرج من الماء وهو في غمرات الردى وفاضت روحهُ قبل ان بلغوا بهِ دارهُ واحتُفل بتشييع جنازتهِ في اليوم التالي احتفالاً عظيمًا ودفن مأسوفًا عليهِ مبكيًّا من جميع معارفهِ لانهُ كان جوَّادًا كريمًا كثير المبرات عارفًا اقدار رجال العلم والفضل وهو الذي انشأَ التذكار لاستاذنا الدكتور فان ديك ولهُ الايادي البيضاء على كل الاماكن الخيرية في مدينة بيروت

ومن الذين اودت بهم هذه الداهية الدهماء ايضًا الكونت انطون طرازي وابرهيم افندي مفتش نفوس ولاية بيروت وحافظ بك سليمان قومندان السفينة اسمعيل وحقي افندي قبطان السفينة سهام الاول ومدحت افندي قبطانها الثاني وخليل افندي زنتوت وكامل افندي زنتوت وحيدر افندي قوميسير اسكلة بيروت وشوكت بك ابن قومندان اسطول بحر سفيد وقد دفنوا جميعهم بما يليق من الاكرام

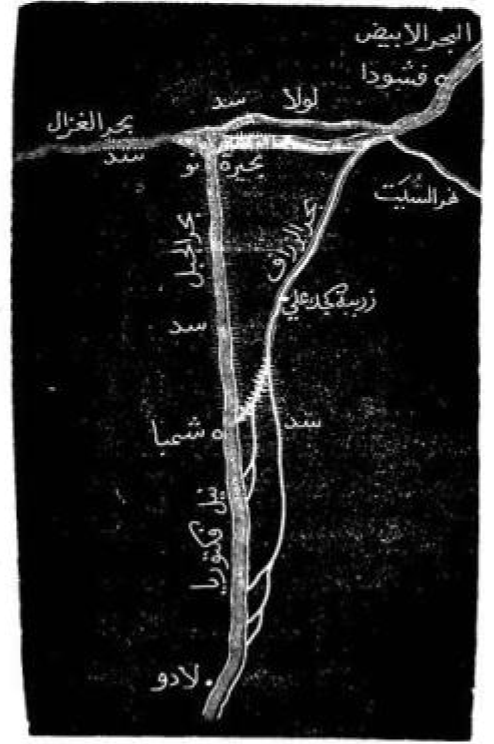
البترول الروسي الجديد

اكتشفت ادارة الزراعة في روسيا كثيرًا من زيت البترول في سهول كرجستان ويقال انهُ جيد جدًّا مثل اجود انواع الزيت الاميركي

النيل والسد

بعث السر وليم جارستن وكيل نظارة الاشغال تلغرافًا الى اللورد كرومر عمّا رآهُ من احوال النيل في السودان قال فيهِ

طلعت في بحر الجبل مسافة ٢١٧ ميلاً من بحيرة نو مع الماجور بيك حتى صرنا على بعد ٢٠ ميلاً من شمبا ثم اضطررنا الى الرجوع بسبب قلة الماء ونفاذ الوقود. وقد ازال رجال بيك بك ١٤ قسماً من السد ممتدة على طول ٨٣ ميلاً من النيل واظن انهُ يمكن السفن



ان تسير في بحر الجبل الى جندو كورو في السنين الاعتيادية واما في هذه السنة فانخفاض الماء يمنعها من المسير فيهِ . وقد وجدنا ان بحر الجبل تحوَّل عن مجراهُ الحقيقي مسافة ٢٥ ميلاً على الاقل وذلك من المكان الذي يبعد ١٣٧ ميلاً جنوبًا عن ملتقى بحر الجبل بالنيل الى المكان الذي يبعد ١٦٢ ميلاً جنوبًا عن ذلك الملتقى وهو يجري الآن في عدة بحيرات وفي فروع قريبة القعر ومشتبكة بعضها ببعض. واما المجرى الاصلي فقد سدَّهُ السد كلهُ منذ اعوام على ما يظهر . فعيَّنا مكان طرفي هذا المجرى المسدود وابتدأ رجال بيك بك يعملون

الآن في الطرف الشمالي منها ولكني اخاف ان لا يفرغوا من فتح هذا القسم المسدود في هذا الفصل لان الوقت قد مضى وليس هناك تيار يساعدهم على جرف ما يسده . وغني عن البيان ان ابتداء نزول الامطار على النيل الاعلى قد اضحى قريباً

وانا على يقين ان هناك جزءا آخر من مجرى بحر الجبل الحقيقي مسدوداً مثل هذا الجزء ايضاً على بعد ٢١٧ ميلاً من ملتقاه بالنيل وهذا هو البعد الذي وصلنا اليهِ ثم عدنا منهُ راجعين كما تقدم . وادلتي على وجود هذا الجزء الآخر المسدود تشابهه بحر الجبل في المكانين فان الماء ينخفض فيهما كليهما فجأة من عمق ١٨ او ١٩ قدماً الى عمق ٥ اقدام فقط وبحر الجبل يتفرع فيهما ويجري في عدة مجارٍ . والمرجح ان هذا الجزء المسدود يصل الى مكان بالقرب من شمبا ولم يتيسر لي ان اثبت ذلك بالعيان ولكني مقتنع ان بحر الجبل يجري هناك في مجارٍ غير مجراهُ الحقيقي ويمكن اتمام فتح المسدود كلهِ في الشتاء المقبل واما الآن فالماء لا يفقد منهُ شيء الاَّ ما يتبخر من البحيرات المذكورة آنفاً. وقد اخبرت الماجور بك برأيي وهو ان الامر الواحد الذي يجب عملهُ في هذا الفصل ازالة الزوايا والاجزاء الناتئة في الاماكن التي فتح سدها . وقد عمل الماجور بك وضباطهُ عملاً عظيماً يدهش السامع بهِ رغماً عن الاحوال الصعبة التي يعملون اعمالهم فيها

ولكن العمل في زمان المطر غير ممكن للعمال في تلك الجهات لان البواخر لا تقيهم شر الامطار هناك وهواء ذلك الاقليم يضرُّ بالصحة جدًّا . فانا وجدنا الرعود دائمة متواصلة والامطار غزيرةً في ٨ ابريل مع ان زمان المطر الحقيقي لم يكن قد ابتدأ والرياح تعصف شديداً من الجنوب والجو مطبقاً من كل جانب . والمرجح ان هذه الانواء هي التي تسبق الامطار القياسية التي يحتمل ان تبتدىء باكرًا جدًّا في هذا الفصل. ورأيي انهُ لا بد من وجود باخرتين او ثلاث لخفارة بحر الجبل على الدوام مدة فيضانهِ اذا أُريد بقاؤهُ خالياً من السد اذ لا غنى عن بقاء باخرة واحدة على الدوام امام السد (في الجهة التي يتجه التيار اليها) لتساعد الباخرتين الاخريين اذا حال السد دونهما فحبسهما . فاننا لما رجعنا نازلين في بحر الجبل وجدنا جانباً من السد قد حال دوننا وسدَّ علينا سبيل الرجوع شمالاً ولولا تأخر باخرة اخرى عنا في الذهاب لاخذ الحطب ووجودها شمالي هذا السد عند رجوعنا لبقينا محبوسين وراءهُ الى ما شاء الله. وقد جدَّ هذا السد بعد ذهابنا جنوباً لاننا لما مررنا في ذلك المكان لم نجد لهُ اثرًا ثم تبعتنا باخرة أُخرى في ٦ ابريل فوجدت السبيل مفتوحاً ولا سدَّ فيهِ ولكن لما جاءت الباخرة التي تقل الحطب في ٩ ابريل وجدتهُ مسدودًا

ولم تستطع المرور ولما عدنا نحن في ١٠ ابريل وجدنا طول ذلك السد نحو ٥٠٠ يرد ومتوسط سمكهِ في المئة اليرد الاخير منهُ ١٥ قدماً . وقد حدث هذا السد كلهُ بهبوب عواصف على البحيرات المجاورة فقطعت السدود الطافية على وجهها وساقت ما مساحتهُ مئات فدن من هذه السدود الى المجرى العميق حيث تراكم بعضها على بعض فانضغطت وسدَّتهُ دون مسير السفن سدًّا . ولا بد من حدوث امثال هذه الحوادث فلا يؤمن على الباخرة التي تصعد في النيل هناك ايام العواصف والانواء ان لم يكن معها باخرة اخرى تساعدها متى مست الحاجة

ثم ان منسوب الماء تغير تغيرًا يستحق الاعتبار بين ارتفاع وهبوط في البحر الابيض بازالة اجزاء السد المختلفة . والسبب في هذا التغير ان المياه التي كانت راكدة في برك او بحيرات على جانبي كل جزء من اجزاء السد كانت تنصب في النيل عند ازالة ذلك الجزء فيرتفع الماء فيهِ ارتفاعاً وقتيًّا وقد بلغ عدد اجزاء السد التي ازيلت ١٤ جزءا والبرك او البحيرات التي سبقت الاشارة اليها بين الميل ١٦٢ والميل ١٣٧ تصب الآن في النيل وهذا سبب ارتفاع الماء الحالي واملي ان هذا الارتفاع يدوم حتى يبتدىء الفيضان

وقد اتصل بي ان اهل القاهرة يشيعون اشاعات على غاية المبالغة كقولهم ان ماء البحر الابيض زاد اربع اقدام فذلك محال لان كل الزيادة التي حدثت بين اوطإ منسوب في ٣ مارس ومنسوب ١٥ ابريل في محلة القاعدة هي ٧٢ سنتمترًا والزيادة بين ٢٩ مارس و١٥ ابريل هناك ٣٦ سنتيمترًا . اما محلة القاعدة فهي قاعدة اعمال بك بك وتبعد ٥٤ ميلاً عن بحيرة نو في جهة مجرى النيل

واما الزيادة المذكورة فقد سارت شمالاً ففي ١٧ ابريل كان قياس النيل بمقياس فشوده ٥٠ سنتيمترًا فوق اوطإ منسوب ولسوء الحظ نزع مقياس فشودة القديم ووضع مقياسها الجديد في ٨ مارس ويعسر تتبع الزيادة بين فشودة والخرطوم لان مقاييسها غير جلية فقد بلغت الزيادة بمقياس الدويم ٢١ سنتمترًا من ٣ ابريل الى ٢١ منهُ ولكن القومندان الانكليزي الذي هناك اخبرني ان الزيادة كلها بلغت ٤٠ سنتمترًا . واوطأ منسوب قيس بمقياس سراي الخرطوم كان في ١٦ ابريل ثم زاد النيل ١٣ سنتمترًا منذ ذلك اليوم وهو اليوم اوطأ مما كان في ١ ابريل بسنتمتر واحد . ويستفاد من اخذ المناسيب الحالية في بحيرة نو ان الماء يعود فيهبط من جديد اذا كان ماء الفيضان لا يصل الى البرك والبحيرات قبل ان ينصب ماؤُها منها ولكني موقن تقريباً ان ماء الفيضان يصل اليها ويعلو ماءها قبلما ينضب لان الامطار لا بد ان تزيد ماء النيل الاعلى قريباً وربما ان تلك البحيرات

واسعة جداً تكون شبه خزانات ينصب الماء منها في النيل شيئاً فشيئاً . فاذا لم تكن الامطار قليلة هذه السنة ايضاً — وليس هناك دليل على انها تكون قليلة — فلست اخاف ان الماء ينخفض في البحر الابيض اكثر من انخفاضهِ الحاضر واما سرعة ارتفاع الماء فتتوقف على الفيضان وخصوصاً فيضان نهر السبت وهذا النهر لم تظهر فيهِ زيادة حتى الآن

هذا ويعسر علينا ان نقول ماذا ينتج عن انصباب مياه البرك والبحيرات في الخرطوم لان النيل يتسع كثيراً قبليّ ملتقى بحر الجبل بهِ ويبقى متسعاً كذلك مسافة طويلة فيخشى ان الزيادة لا تكون في الخرطوم بقدر ما هي في تلك الجهات القبليّة . ولكن لو فرضنا ذلك فيكفينا النفع العظيم الذي ينتج لنا من توقيف انخفاض النيل . ويحتمل ان تطهير بحر الجبل يجعل الماء يجري فيهِ بسرعة اعظم من السرعة الحاضرة ولكن اهم الامور في ما نحن بصددهِ نهر السبت كما هو رأيي منذ زمان طويل ففي ١٧ ابريل صعدت فيهِ مسافة ١٢ ميلاً لاقيس مقدار ما ينصرف منهُ فوجدت ماءهُ راكداً . وقد انخفض ماؤُهُ بقياس الناصر مقدار ١٤ سنتمتراً بين ٣١ مارس و ٤ ابريل ولكن اللفتننت جوين اخبرني انهُ لم يجد تياراً يذكر في هذا النهر وكان قد عبرهُ حديثاً في مكان يبعد مسيرة يومين عن قلعة السبت

وقد قست مقدار المنصرف من بحر الجبل اولاً على مسافة ١٨٠ ميلاً من بحيرة نو جنوباً في مكان فوق السد فوجدتهُ ٦٣٧٧ قدماً مكعبة في الثانية . وثانياً في مكان تحت السد على بعد ١٠ اميال من ملتقى بحر الجبل بالبحر الابيض بحيث يحتوي كل ما ينصرف من البرك والبحيرات فوجدتهُ ٨٠٥٠ قدماً مكعبة في الثانية ووجدت المنصرف من بحر الزراف ١١٤٥ قدماً مكعبة في الثانية ومن بحر الغزال ١١٩٧ قدماً مكعبة في الثانية . فكل المنصرف الذي يمر بفشودة هو ١٠٤٠٠ قدم مكعبة تقريباً في الثانية (نحو ٣٠٠ متر مكعب)

وقد سرنا في بحر الغزال حتى لم يبقَ بيننا وبين مشرع الريك الاَّ اميال قليلة فوجدنا بحر الغزال خالياً من السدود ولكنا لم نستطع الوصول الى المشرع لقلة الماء وكذلك لم نستطع الصعود في بحر الزراف اكثر من ١٥ ميلاً وفي بحر العرب اكثر ١٢ ميلاً

ثم ذكر السر وليم جارستن انهُ لقي القومندان هنري في باخرة بلجية فاخبرهُ ان بحر الزراف جاف تقريباً . وقال ان موسم الذرة امحل عند قبائل النوير والشلك والدنكا وان البواخر تسير الآن في البحر الابيض كلهِ ما عدا مسافة ١٥ ميلاً قبلي ابي زيت انتهى

زيادة البحر الازرق

ورد تلغراف من مأمور سنار في التاسع

والعشرين من ابريل ان البحر الازرق زاد ٤٠ سنتمترًا في سنار . ويحتمل ان تكون هذه الزيادة وقتية كما يحتمل ان تكون بداءة الفيضان . اما سنار فتبعد ١٦٠ ميلاً عن الخرطوم . وقد قال جناب السر وليم جارستن في مذكرتهِ التي كتبها بعد رجوعهِ من السودان في السنة الماضية ان ماء البحر الازرق يبلغ اشدَّ تحاريقهِ في شهر ابريل وتبتدئ دلائل الفيضان عليهِ في النصف الاخير من شهر مايو ولكن الزيادة الحقيقية تبتدئ في شهر يونيو عادةً وتبلغ اعظمها في شهر اغسطس . وماؤهُ اسرع جريًا من ماء البحر الابيض فهو يسير نحو ٣ اميال في الساعة في شهر فبراير واكثر من ٦ اميال في الساعة ايام الفيضان

ومهما يكن من ذلك كلهِ فزيادة البحر الازرق امر يشرح الصدور دائمة كانت او وقتية ولا سيما لانها جاءت حين قام السر وليم جارستن يبشرنا في تلغرافهِ الاخير ان مياه النيل لا تكاد تنخفض عما هي عليهِ الآن قبل ابتداء الفيضان بسبب ازالة السد وانصباب مياه البرك والبحيرات في النيل

وزد على ذلك ما في تلغرافهِ من البشائر باحتمال وقوع الامطار باكرًا هذه السنة على النيل الاعلى وبالتالي احتمال ابتداء الفيضان قبل الميعاد . ولعلَّ هذه الاعتبارات وامثالها المؤيدة لرأي جناب الماجور براون هي التي جعلتهُ يقول لنا بالامس " اني باقٍ على رأيي في كل ما قلتهُ عن مياه النيل وموسم القطن في هذا العام "

معرض باريس

فتح معرض باريس العام يوم السبت في الرابع عشر من ابريل (نيسان) فتحهُ رئيس الجمهورية الفرنسوية باحتفال نادر المثال يليق بالامة الفرنسوية العظيمة ويلائم طباعها . وخطب فيهِ المسيو مليرند وزير التجارة قال بعد ان اثنى على المسيو الفرد بيكار مدير المعرض العام والذين عاونوهُ في انشائهِ وتنظيمهِ " ان العالم كلهُ قد ساعد فرنسا في هذا العمل العظيم وان حكومة الجمهورية الفرنسوية تسرُّ بان تعرب عن شكرها لملوك الامم المصادقة لفرنسا وكبار حكامها الذين بادروا الى قبول دعوتها عن طيب نفس " . ثم اشار الى تقدُّم العلوم فقال " ان قوة الحياة آخذة في الازدياد وقوة الموت آخذة في التقلُّص امام سير الظفر الذي سارهُ العقل البشري . فان عقلاً مثل عقل باستور ضاعف قوة علم الجراحة وعلم الطب مئة ضعف فقبض على المرض في جراثيمهِ وظهرت في الافق تباشير العصر الذي تستأصل فيهِ شأفة الاوبئة الفتاكة التي كانت تخرب المدن وتهلك السكان حتى لا يبقى منها الاَّ ذكرها المرعب . وقد ضاعف العلم الوسائل التي جاد بها على الانسان بكرم حاتمي لكي يقابل بها قوى الطبيعة ويقي نفسهُ من غوائلها وخدمهُ خدمة اكبر من هذه بكشفهِ لهُ سر العظمة

المادية والمعنوية وهو الاتحاد . لكننا لا نزال نرى حولنا بيوت الفقراء وقد اختبأت فيها جراثيم الامراض وعقول الاغبياء وقد اختمرت بالاوهام والاضاليل وكلها شرور يدلنا العقل السليم على انهُ لا بدَّ من ازالتها باسرع ما يكون . واي واجب قومي اسمى والزم من التغلب على الجهل واقتلاع جذور الفاقة . وان لم يكن الايثار افضل مكارم الاخلاق وذلك خير جزاء لهُ فهو ممدوح لذاتهِ لانهُ يعود بالنفع على صاحبهِ . واذا قدَّرت قيمة الشيء بنتائجهِ فكل الجمعيات والشركات التي تجمع العناصر الضعيفة في مجتمع واحد قوي ادلة على فائدة الاتحاد . وحسبهُ فائدةً انهُ يضعف ما يرى في الأمة من الاختلاف الطبيعي او الاجتماعي ويربط ابناء الشعب الواحد بربط الاخاء . ولا تقف فوائدهُ عند تخوم ذلك الشعب بل تتجاوزها الى الشعوب الاخرى فتشتبك المصالح والآراء في الدنيا كلها اشتباك الاسلاك البرقية التي تطير عليها افكار الانسان . ويا لهُ من اشتباك نافع ارانا ما سيكون عليهِ القرن المقبل الذي ظهرت تباشيرهُ في مؤتمر السلم . وعلى مقدار ما يزيد ارتباط الناس بعضهم ببعض بازدياد الحاجيات وسهولة المواصلات يزيد الامل بدنو ذلك اليوم الذي لا يبقى فيهِ الاَّ ثمار المناظرة التي تقتضيها الصناعة . انت ايتها الصناعة المجيدة التي تفكّ القيود وتعزي النفوس . حيثما سرتِ تقاصت ظلال الجهل وامحقت آثار الشرور . بك خرج نوع الانسان من غياهب الجهل وهو يرتقي الآن رويدًا رويدًا الى ان يبلغ تلك الربوع المجيدة حيثما تتحد القوة والعدل وكرم الاخلاق "

وتلاهُ المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية وربما جئنا على ترجمة خطبتهِ في الجزء التالي كما سنجيء على تفصيل مسهب لهذا المعرض

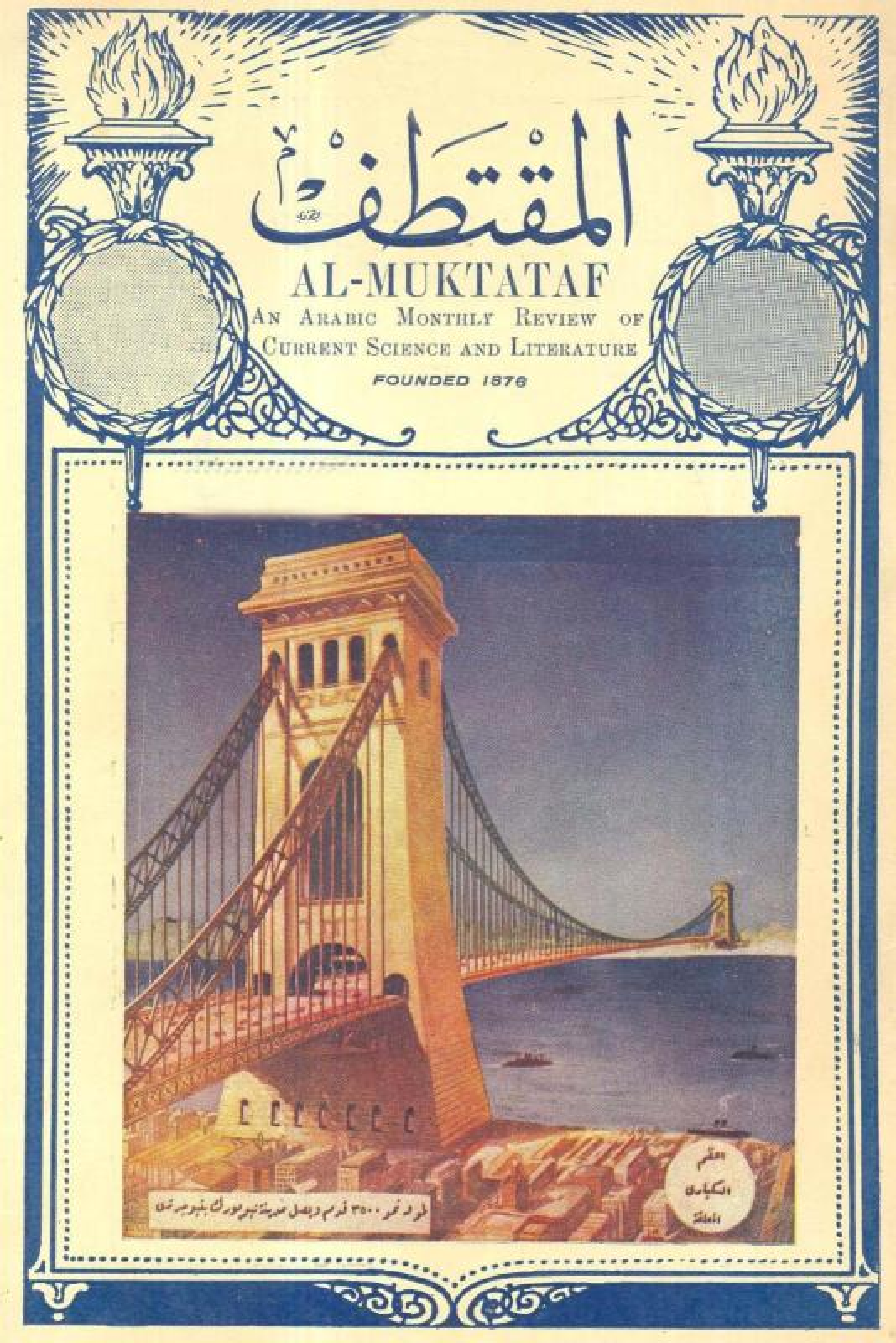
دوق ارجيل

قضى الشيخ الجليل والعالم الكبير والسياسي المحنك دوق ارجيل المشهور عند قراء المقتطف بمباحثهِ العلمية ومناظراتهِ الكثيرة مع الاستاذ هكسلي ولد سنة ١٨٢٣ وانتظم في سلك رجال السياسة وكان وزيرًا للهند ولهُ من التآليف العلمية المشهورة كتاب سلطان الشريعة . وكتاب الانسان الاول . وكتاب وحدة الطبيعة . وفلسفة الايمان . وما هو العلم . والبحث في النشوء الآلي . ولهُ غيرها كتب كثيرة ادبية وتاريخية وسنأتي على ترجمتهِ وبعض اقوالهِ في فرصة اخرى

دار التحف العربيَّة والمكتبة الخديويَّة

احتفل في الثامن والعشرين من ابريل بوضع حجر الزاوية في دار التحف العربية والمكتبة الخديوية التي تبنى الآن في القاهرة وتقدر نفقات البناء بخمسين الف جنيه وينتظر ان يتم في سنتين من الزمان

فهرس الجزء الخامس من المجلد الرابع والعشرين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876
طوله نحو ٣٥٠٠ قدم ويصل مدينة نيويورك بنيوجرسي

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٣ صفر سنة ١٣١٨

اللباس والعمران

حدَّثنا ثقة من ابناء هذه العاصمة قال: كان لي تجارة واسعة وكنت اضطرُّ الى مراجعة المحافظة في مسائل كثيرة فابعث اليها بخادم مالطي كان عندي فيقضي اشغالي على اتم المرام. وذات يوم بدا لي شغل ظننتهُ مشكلاً كبيرًا لا يستطيع الخادم حلهُ فمضيت بنفسي ومضى الخادم معي وانا بالقفطان البلدي والفرجية وهو باللباس الافرنجي. فلما وصل الى الباب دخل امامي والبواب ينظر اليهِ بالخشوع والاكرام واردت الدخول وراءهُ فمنعني البواب فوقفت وانا لا ادري ما السبب. ولما قلت لهُ اني آتٍ لارى المحافظ شتمني واغلق الباب في وجهي. والتفت خادمي ورأى انني لم ادخل وراءهُ فعاد اليَّ وامر البواب ان يفتح لي الباب وقال لهُ اني سيدهُ. فوقف مبهوتًا وهو لا يصدق ما يسمع واتضح لي حينئذٍ ان لباسي البلدي جنى عليَّ فعدت من المحافظة الى مخزن الثياب الافرنجية ولم اعد البس غيرها بعد ذلك اليوم

ولقد لقينا قُبَيل كتابة هذه السطور رجلاً من مسلمي الهند درس وتفقَّه في المدارس العليا واطَّلع على تواريخ الامم واحوالها فسألناهُ مسائل شتَّى عن احوال بلادهِ وعن اللباس الذي يلبسهُ الآن جمهور الرجال الذين تعلموا في اوربا او في المدارس الكبيرة المنشأة حديثًا في بلاد الهند فعلمنا منهُ ان كثيرين منهم اختاروا اللباس الاوربي لا لانهُ اصلح من اللباس الهندي في بلاد الهند ولا لمجرَّد التمثُّل بالاوربيين بل لانهم وجدوا بالاختبار ان مَن يلبس اللباس الاوربي يكرَّم عند قومهِ وعند الاجانب اكثر مما يكرَّم اقرانهُ الذين يلبسون اللباس الاهلي. اي ان اهالي الهند جارون على الخطة التي جرى عليها اهالي مصر واهالي الشام مع ان الاوربيين الذين نزلوا بلادهم نفرٌ قليل جدًّا لا يعبأ بهِ بالنسبة الى عديدهم

ثمَّ التفتنا الى بلاد يابان البلاد التي تفتخر بانها وقفت على رجليها غير معتمدة على غيرها فوجدنا ان لاهاليها لباساً خاصاً تفننوا في اتقانهِ وزخرفتهِ كما ترى في الصورتين التاليتين وهما صورة الامبراطور والامبراطورة باللباس الوطني لكنهم لم يبقوا عليهِ بل ابدلوهُ باللباس الاوربي الكامل فالرجال من الطبقات العليا والوسطى لبسوا كلهم اللباس الاوربي هم ونساؤهم وكذلك رجال الحكومة على اختلاف طبقاتهم ورجال الجيش والبوليس. وكل رجال البلاد لايدخلون قصر الامبراطور الاَّ باللباس الاوربي الرسمي والامبراطورة لا تستقبل نساء اليابانيين الاَّ وهنَّ لابسات لباساً اوربياً


امبراطورة اليابان


امبراطور اليابان

ويذكر سكان هذه العاصمة ان ملك سيام ورجالهُ كانوا يلبسون اللباس الاوربي لما مرُّوا بالقطر المصري حتى ان الناظر اليهم لم يكن يفرق بينهم وبين اناس من الاوربيين السمر الالوان مع ان لباس السياميين الوطني بعيد بعداً شاسعاً عن اللباس الاوربي كما ترى في صورة ملكة سيام المرسومة في الصفحة ١١٤ من المجلد التاسع عشر

وواضح ان بلاد يابان وبلاد سيام اللتين لبس رجالهما اللباس الاوربي مقتفيتان خطوات الاوربيين اكثر من كل الممالك الشرقية وقد ارتقتا اكثر منها كلها اما بلاد الصين وهي اكبر منهما واغنى واقدم عمراناً فلم تقتفِ خطوات الاوربيين في شيء حتى الآن ولا يزال رجالها ونساؤها باللباس الوطني القديم الدال على الراحة والرفاهة كما ترى في الصورتين التاليتين وهما

صورة ام امبراطور الصين وصورة البرنس كنغ عمهِ والتشابه واضح بين لباس الرجال ولباس النساء فلا عجب اذا تشابه الفريقان في حب السكينة وكراهة الحركة

فعلى م دخل الاسكندر ذو القرنين بلاد الفرس فلبس لباس اهلها وهو فاتح ظافر واقام بنو العباس في العراق فلبسوا لباس اهلهِ من القلانس والطيالس واما الاوربيون فيقتدى بهم ولا يقتدون باحد



ام امبراطور الصين

والمعتبر في ذلك لبس الرجال لا لبس النساء لان للبس الرجال صورة معلومة محدودة واما لبس النساء فلم يزل كثير التغيُّر والتقلب وهو يزيد تغيرًا وتقلبًا كل يوم وينظر فيهِ الى الزينة والزخرفة اكثر مما ينظر الى الفائدة . اما لبس الرجال فيقتصر النظر فيهِ على الفائدة والامتياز. فاذا نظرنا الى الامر الاول اي الفائدة لم نجد اثنين يختلفان في ان الرجل يستسهل العمل والانتقال وهو لابس لباسًا اوربيًا اكثر مما يستسهلهما وهو لابس ثيابًا واسعة الاردان

طويلة الاذيال تعيقهُ في حركاتهِ . فكأَن الناموس الطبيعي القاضي بتغلُّب اصلح الامرين قضى بتغلب اللباس الاوربي على اللباس الشرقي اذا كان الإنسان مضطرًّا الى السعي . ولقد كان الموجب الاول لاختلاف اللباس وكونهِ ضيقًا او واسعًا برد الاقاليم الشمالية وحر الاقاليم الجنوبية . فاهالي الشمال اضطروا ان يلفُّوا ابدانهم بثيابهم لفًّا لكي لا يدخل الهواء البارد اليها واهالي الجنوب اقتصروا على ما يظلل ابدانهم من حر الشمس ولا يمنع دخول الهواء اليها لتبريدها . ولا يزال الحرُّ على حالهِ في الاقاليم الحارَّة ولكن اللباس الاوربي المصنوع من نسيج حريري او قطني



عم امبراطور الصين

رقيق يقي منهُ ولا يعيق الانسان عن الحركة فتكون قد اجتمعت فيهِ المزيتان كما ان اللباس الاوربي المصنوع من نسيج صوفي سميك يقي من البرد ولا يعيق عن الحركة

هذا من حيث الفائدة . اما الامتياز وهو الغرض الاول من اللباس كما ابنَّا في مقالة مسهبة موضوعها "من الحلي الى الحلل" فقد اعترف الشرقيون رغمًا عنهم ان الاوربيين فاقوهم في العلوم والفنون وانهم ممتازون عليهم حتى في بلادهم. فالاوربي مرعي الجانب اكثر من الوطني في هذا القطر وفي غيرهِ من الاقطار الشرقية وما القصة التي اوردناها في صدر هذه المقالة

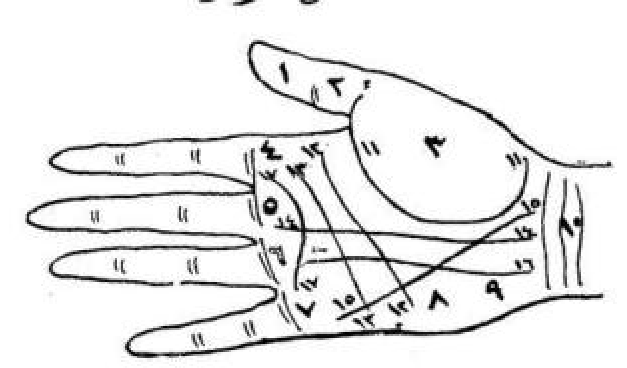
سوى مثال ما يحدث كل يوم في المجالس والمخازن والبيوت والحوانيت . اي اذا تساوى اثنان عقلاً وعلماً ومالاً وجاهاً وكان احدهما باللباس الاوربي والآخر باللباس الوطني أُكرم الاول اكثر مما يُكرَم الثاني . ولا عبرة بافراد قلائل من ذوي المقامات العليا الذين يقفي عليهم مقامهم بلبس اللباس الوطني فان الذي يعرفهم يكرمهم بحسب منزلتهم سواءٌ لبسوا لباساً اوربيّاً او وطنيّاً بل لا يكرمون باللباس الاوربي كأن اللباس الوطني لا يزال شعاراً مميزاً لهم

هذا ما يراهُ كل احد ولا سبيل لانكارهِ ولا لتغييرهِ . والحكيم من جرى على مقتضى الحال وتشبَّه بالممتازين حتى لا تبقى لهم مزية عليهِ . ولكن قضى سوء الطالع او شور الذين ينوون الشرَّ للمشرق ان امرَّ ولاة الامر عندنا على ابقاء مزية يُفرَّق بها بين الوطني والاجنبي وهي "الطربوش" وزُين لهم انهُ اذا لبس الاوربي المنتظم في خدمتهم طربوشاً مثلهم كان ذلك علامة ظاهرة على خضوعهِ لهم . ولا ندري كيف جازت عليهم هذه الحيلة بل هذه الاضلولة وقد كان الاجدر بهم ان يقولوا للاوربيين اننا رأَينا سفنكم اصلح من سفننا فابدلنا سفننا بها ورأَينا مركباتكم اصلح من مركباتنا فابدلنا مركباتنا بها وجاريناكم في محا كمنا ومجالسنا ومدارسنا وبيوتنا ومنتدياتنا واكثر امورنا فعلى م َ لا نبدل لباسنا بلباسكم وهو اصلح من لباسنا حتى في اقليمنا الحار . وان كنَّا قد ابدلنا لباس البدن كلهُ فعلى م َ لا نبدل لباس الراس وهو اسهل ابدالاً من غيرهِ ونحن انفسنا قد ابدلناهُ مراراً فلبسنا العمائم والقلانس والطرابيش المغربية والاسلامبولية وترانا نتفنن في هذه فتكون تارة لاصقة بالراس وطوراً مرتفعة فوقهُ نصف متر والعذبة العالقة بها تطول مرةً وتقصر اخرى وكلها ليس مما يقي الراس من حر الشمس فلا تفي بالغرض الذي وضعت لهُ

وخلاصة القول اننا اتصلنا بالاوربيين ونقلنا عنهم العلوم والفنون واخذنا منهم الآلات البخارية والكهربائية على تنوُّع اشكالها واختلاف اغراضها واعترفنا لهم بالتقدُّم علينا واقتدينا بهم في امور كثيرة لا تنفعنا بل تضرُّهم وتضرُّنا فعلى م َ لا نمتثل بهم في امور اخرى نافعة بنفسها لهم ولنا وبها يزول امتيازهم الظاهر علينا . ولو استطعنا ان نقنع الاوربيين ليتمثلوا بنا في كل شيءٍ لكان ذلك اشرف لنا وادلَّ على امتيازنا عليهم ولكننا لم نستطع ذلك ولن نستطيعهُ فعلى م َ نحاول المحال ونعاف الاقتداء بهم في امور تنفعنا ولا تضرُّنا

وغنيٌّ عن البيان ان الاقتداء بهم في اللباس لا يكفي ولا يغني عن الاقتداء بهم في العلم والعرفان والجد والاجتهاد ولكن الاقتداء في اللباس لا بدَّ منهُ اذا اردنا ان نسهل على انفسنا وابنائنا سبل السعي ولا نبقي للاوربيين مزيةً علينا

الكف واسرارها



(١) الارادة دليل العزم والحزم
(٢) الحجة دليل قوة الحجة والاستدلال
(٣) جبل الزهرة دليل الحب والغناء
(٤) جبل المشتري « الكبرياء والطمع
(٥) جبل زحل « السعد او النحس
(٦) جبل الشمس « البراعة في الفنون
(٧) جبل عطارد « البراعة في العلوم
(٨) جبل المريخ « الشجاعة او القساوة
(٩) جبل القمر « الجهل او الخيال

(١٠) اسرار المعصم دليل طول العمر
(١١و١١) خط الحياة دليل « «
(١٢و١٢) خط الراس دليل سمو القوى العقلية
(١٣و١٣) خط القلب « شدة العواطف
(١٤و١٤) خط زحل دليل السعادة او الحظ
(١٥و١٥) خط الكبد او الصحة دليل جودة الصحة
(١٦و١٦) خط الشمس دليل النجاح في الفنون
(١٧و١٧) منطقة الزهرة « الميل الى الحب
المربع بين خطي الراس والقلب دليل كرم الاخلاق

كثيرًا ما ترى نساء الغجر (النور) ينظرنَ في يد الانسان ويدَّعينَ انهنَّ يستدللنَ منها ومن خطوطها على احوالهِ الماضية والحاضرة والمستقبلة وترى الناس يسمعون اقوالهنَّ ويصغون اليها مصدقين لها او واقفين حيارى بين الشك واليقين وكأَنهم اميل الى الثاني منهم الى الاول حتى الذين يجاهرون بان ما يقولهُ هؤُلاء النساء تخرُّص واحاديث ملفقة يخالفون في قلوبهم ما يقولونهُ بأَلسنتهم اذا رأَوا في ما ينبئنهم بهِ شيئًا من المطابقة للواقع

وما يحسبهُ عقلاؤُنا في هذه البلاد من الخرافات واعمال التدجيل التي يعاقب عليها القانون ويعدُّ صاحبها متشردًا يحسبهُ بعض الاوربيين علمًا باصول وقواعد ويمارسهُ كثيرون من كبرائهم وعظمائهم رجالاً ونساء . وهو قديم عندهم اشار اليهِ ارسطوطاليس حيث قال ان

طويل العمر له في كفهِ خطان ممتدان على طول الكف كلها وقصير العمر له فيها خطان قصيران . وقال بلينيوس ان ارسطوطاليس عدَّ الخطوط القصيرة المتقطعة في الكف دليلاً على قصر العمر . وبقي التكهُّن بالكف عند الرومان ولو على قلة ثم اشتهر امرهُ في العصور الوسطى وكان معروفاً في بلاد الهند من عهد قديم جداً ولا يزال مستعملاً فيها حتى الآن ولولا ذكرهُ في مصنفات ارسطوطاليس لقلنا ان اليونان نقلوهُ عن الهنود

ويعتبر في الكف الآن راحتها واصابعها وما فيها من الاسرار (الخطوط) والمرتفعات فيقول اصحابها ان الابهام اهم ما في اليد فالبرجمة الاولى منهُ المدلول عليها بالرقم ١ في الصورة السابقة تدل على العزم والحزم في من كانت كبيرة نامية فيهِ . والثانية المدلول عليها بالرقم ٢ تدلُّ على قوة الحجة والاستدلال . والارتفاع الذي عند اسفل الابهام المدلول عليهِ بالرقم ٣ يسمى جبل الزهرة ويدل على الحب والغناء . والذي عند اسفل السبابة المدلول عليهِ بالرقم ٤ يسمى جبل المشتري ويدل على الكبرياء والطمع . والذي عند اسفل الوسطى يسمى جبل زحل وهو المدلول عليهِ بالرقم ٥ ويدل على ما يصيب الانسان من سعد او نحس . والذي عند اسفل البنصر يسمى جبل الشمس وهو المدلول عليهِ بالرقم ٦ ويدلُّ على البراعة في الفنون او على اكتساب الغنى . والارتفاع الذي عند اسفل الخنصر يسمي جبل عطارد وهو المدلول عليهِ بالرقم ٧ ويدلُّ على البراعة في العلوم او الآداب . والارتفاع المدلول عليهِ بالرقم ٨ يسمى جبل المريخ ويدل على الشجاعة او القساوة . والمدل عليهِ بالرقم ٩ يسمي جبل القمر ويدل على الجهل او الخيال . وقد اعدنا ذكر ذلك في الجدول السابق لتسهل مراجعتهُ . ولا بدَّ من كون هذه المرتفعات كبيرة لتدل هذه الدلالات . ثم ان دلالتها تتنوَّع بتنوُّع ما يجاورها من الخطوط او السرر واشهر هذه الخطوط اربعة وهي

اولاً خط الحياة الذي يحيط بالابهام وهو المدلول عليهِ بالعددين ١١ و١١ فاذا كان هذا الخط طويلاً عميقاً دلَّ على طول الحياة

وثانياً خط الرأس الذي بين العددين ١٢ و ١٢ وهو اذا كان طويلاً عميقاً غير متقطع دلَّ على سمو القوى العقليَّة واذا اتصل بجبل القمر الذي عند الرقم ٩ دلَّ على شدَّة التصوُّر واذا كثر تعرُّجهُ دلَّ على الحماقة وضعف الرأي واذا تقطَّع وكان كالسلسلة المتصلة الحلق دلَّ على ضعف في قوة توجيه الفكر الى موضوع واحد

وثالثاً خط القلب بين العددين ١٣ و١٣ وهو اذا كان طويلاً واضحاً بادي اللون دلَّ على شدَّة العواطف والانشغاف . وقربهُ من جبل المشتري (عند الرقم ٤) دليل على حسن

الخلق . ويزيد صلاحهُ اذا كان متشعباً من طرفيهِ . ويمتدُّ هذا الخط الى جبل عطارد المدلول عليهِ بالرقم ٧ في الممثلين والمقلّدين

ورابعاً خطوط الاساور او المعصم المدلول عليها بالعدد ١٠ وهي ثلاثة تزيد بها قوة خط الحياة ويقال ان كل خط منها يدل على ثلاثين سنة فمجموعها يدلُّ على تسعين سنة

هذه هي اهم الخطوط وتتلوها خطوط اقل منها اهمية لانها لا توجد في كفوف كل الناس وهي خط زحل المرسوم بين العددين ١٤ و١٤ وخط الشمس بين العددين ١٦ و١٦ وخط الكبد او الصحة بين العددين ١٥ و١٥ ومنطقة الزهرة بين العددين ١٧ و١٧

فاذا كان خط زحل واضحاً دلَّ على حياة السعادة والفلاح واذا كان متقطعاً دلَّ على الشقاء والفشل . واذا كان خط الشمس واضحاً دلَّ على النجاح في الفنون . واذا كان خط الكبد طويلاً واضحاً دلَّ على جودة الصحة وطول العمر . واذا كان خط الزهرة واضحاً دلَّ على الميل الى الحب والغرام . واذا اتسع الشكل المربع الواقع بين خطي الراس والقلب دلَّ على كرم الاخلاق واذا ضاق دلَّ على البخل والاثرة

وفي اليد غير ما ذكر من الخطوط والمرتفعات نجوم وصلبان ولكلٍ منها دلالة خاصة بهِ فاذا وُجد صليب صغير في جبل المشتري دلَّ على سمو المطالب . واذا وجد صليب صغير في جبل الشمس دلَّ على بلوغ الانسان درجات الشهرة والمجد . واذا وجد صليب آخر على جبل زحل دلَّ على ان حياة صاحبهِ مفعمة بالمخاطر او بالمصايب . واذا كان البعد كثيراً بين الخنصر والبنصر حينما تبسط الكف دلَّ ذلك على حب الاستقلال . واذا بعُد خط الحياة عن خط الراس من اعلاها دلَّ ذلك على الجرأة الى حد التهوُّر وعلى شدة الثقة بالنفس ومن كان كذلك فالغالب انهُ يفلح اكثر ممن لا يخاطر ولا يثق بنفسهِ

هذه خلاصة ما زعمهُ القائلون بصحة هذا الفن اي علم اسرار اليد (شيرومنسي او بامستري) وهم يعللون دلالة هذه الاسرار على احوال الانسان بما بين اليد والراس من العلاقة الشديدة لان اعصاب الحس واعصاب الحركة المتصلة من الراس الى اليد اكثر من الاعصاب المتصلة منهُ الى اي عضو آخر من اعضاء البدن . ثم يثبتون دلالتها بالاستقراء فيقولون انهم نظروا في كفوف الوف من الناس ورأوا ما فيها من الخطوط والمرتفعات وما يظهر لها من الاشكال المختلفة وقابلوا بين ذلك كلهِ وبين اخلاق اصحابها فوجدوا بينها علاقة ثابتة فقالوا بصحة دلالتها. وربما زدنا هذا الموضوع تفصيلاً في فرصة اخرى لا لاننا نعتقد صحة هذا العلم بل لان كثيرين طلبوا الينا ان نذكر بعض مبادئهِ

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الخامس

كان في دمشق الشام امير من الشهابيين اشتبك في بعض الحروب الاهلية التي سبقت انقراض الانكشارية فاصيب بجرح بالغ قضي بهِ. وقبل ان فاضت روحهُ استدعى بسو التاجر اليهودي وسلّمهُ ابنهُ وكان طفلاً رضيعاً وتوسل اليهِ ان يعتني بتربيتهِ لان امهُ كانت قد ماتت في النفاس . فاخذت زوجة بسو هذا الطفل وارضعتهُ من لبنها وربتهُ كأنهُ ابنها

هذا هو فخر الدين المذكور في الفصول السابقة. وولد لبسو ابنة سماها حواء فربيت مع فخر الدين وهو يحسبها اختهُ وهي تحسبهُ اخاها وكانت اصغر منهُ بثلاث سنوات فلما ترعرع وعلم انها ليست اختهُ حزن حزنًا شديدًا لكن حبهُ لها بقي على حالهِ

وكان فخر الدين وريثًا لاملاك واسعة في جبل لبنان ولهُ فيهِ دار كبيرة يستطيع ان يعيش فيها مثل ملك مستقل . حتى اذا بلغ العاشرة من العمر طلبهُ عمهُ الامير بشير الشهابي الكبير وكان واليًا على جبل لبنان لكي يقيم في دارهِ يتربّى مع اولادهِ فترك بيت بسو في دمشق مضطرًا واتى الى بيت الدين في جبل لبنان وكاد فؤادهُ ينفطر لما ودَّع حواء وامها . ودارُ الامير بشير في بيت الدين من افخم دور الامراء الشهابيين واجملها موقعًا. وقد حدث ذلك حينما دخل ابرهيم باشا بالجنود المصرية بلاد الشام وكان الامير بشير وسائر الامراء الشهابيين وبيت بسو مماثلين للمصريين على الدولة العلية ولهم اليد الطولى في فوز ابرهيم باشا عليها. ودعت الحال حينئذٍ الى مكاتبات كثيرة بين الامير بشير وبيت بسو في دمشق وكان فخر الدين يكثر الترداد على دمشق فتراهُ حواء ويتجدَّد الحبُّ والاخاء بينها وبينهُ. وسنة ١٨٣٩ كان فخر الدين قد صار في الخامسة عشرة من عمرهِ وكانت القلاقل قد سكنت في بلاد الشام لانهُ كان فيها من الجنود المصرية المنظمة ثمانون الفًا تعضدهم اعظم دول اوربا الحربية وكانت الحكومة العثمانية قد ضاقت بهم ذرعًا ولم ترَ من الحكومة الانكليزية عضدًا ظاهرًا في اول الامر ثم لما عضدتها أخرجت المصريين من القطر الشامي فكان ذلك ضربةً قاضية على سلطة الامير بشير وعلى فرع بيت بسو المقيم في دمشق . لكن التجار ارسخ قدمًا من الامراء فأُمر الامير بشير واولادهُ ان يغادروا دارهم في بيت الدين ويمضوا الى الاستانة. ولما بلغ فخر الدين فتح عكاء هرب الى بلاد العرب ونزل ضيفًا على جد حواء ابي امها . وهرب بسو بزوجتهِ وابنتهِ الى تريسته وبقي في بلاد

الشما نحو اربع سنوات واخيرًا توسط الصيدوني واصدقاؤهُ امره لدى الباب العالي فعاد الى دمشق بعد ان اقنع رضى باشا ببراءتهِ على الاسلوب الذي يقنع بهِ ذلك الوزير . وتوفيت زوجتهُ وهو في بلاد الشما ولم يفقد شيئًا من ثروتهِ لان اخوتهُ اداروا شؤونها وهو مهاجر وكان ولاة دمشق لا يستغنون عنهم ولولا اضطراره الى المهاجرة بغتةً لاستطاع ان يصلح امره مع الوالي كما اصلحهُ مع رضى باشا بعدئذٍ ولم يهاجر

وكان فخر الدين شديد الفراسة فخورًا عجولاً قليل الصبر كبير النفس كبير المطامع وقد ربي والقطر الشامي في اشد الاضطراب والدسائس باب السياسة ومفتاحها.وكان عمهُ الامير بشير يعجب بنجابتهِ وذكائهِ ولا يحاذر من التكلم امامهُ عن احوال السياسة فشبَّ وهو يحسب ان النجاح رهين الدهاء . والرجل الداهية يفلح في مطالبهِ مهما كانت وان حسن السياسة يقوم بان يخفي المرء ما فيهِ ويتظاهر بما ليس فيهِ ويفاوض دولتين متخالفتين وحزبين متناقضين مفاوضات سرية في وقت واحد ويُعرب عن استعدادهِ للعمل بكل الآراء التي تُعرض عليهِ ولا يعمل برأي منها . ويشارك في كل الاعمال ويتجنَّب كل نتائجها . ويتخذ الناس كلهم سكنًا ولا يفعل الاَّ ما يعود عليهِ بالنفع الخاص . هذه هي اصول السياسة التي ربي عليها وتخرَّج فيها وحسب انها باب النجاح . وكان يحسب ان الرجل الذرب من احدق اليهِ الناس بابصارهم والسعيد مَن نظروا اليهِ نظر الدهشة والاعجاب

وكان يكيد المكايد كما يشرب الماء ومسرتهُ العظمى في ان ينصب الاشراك للناس ثم ينجيهم منها وهو يحسب ان الدنيا كلها قوة او خدعة . وهذا جلُّ ما اتصل اليهِ من معاشرتهِ للامراء والعظماء الذين كانوا في عصرهِ . وكان يفضل الخدعة على القوة لان فيها مهارة ودهاء ولانهُ كان رقيق القلب رقيق العواطف

وكان يفتخر بالجري على اسلوب اهل السياسة من اخفاء ما فيهِ والتظاهر بما ليس فيهِ لكنهُ لم يكن ماهرًا في ذلك فكان اذا آنس من امرءٍ اقل ميل اليهِ اطلعهُ على كل دخائلهِ . وكذلك اتخاذهُ الناس آلات لاغراضهِ لم يكن يمنعهُ من اطلاعهم على مقاصدهِ ولو عن طيش لا عن قصد فيغترُّون بهِ ويحسبون انهم نجوا من مخالبهِ ولكنهُ لا يلبث ان يوقعهم في شرك آخر في لحظة من الزمان لشدَّة ذكائهِ ودهائهِ كأن الطيش احدى خطيآتهِ . وكان شديد الجرأة كما كان شديد الدهاء لكنهُ لم يكن شجاعًا شجاعةً ادبية فاذا حبطت مساعيهِ لعارض طرأ عليها او فترت همتهُ لضعف تولى اعصابهُ واخمد ذكاء عقلهِ خارت قواه وجعل يبكي كالطفل الصغير ثم هو لا يأنف من كل عمل ينجو بهِ من تلك الورطة مهما كان دنيئًا

لما بلغهُ ان الامير بشير واولادهُ مضوا الى الاستانة وحُجر عليهم فيها عاد الى لبنان وتظاهر بمصادقة الدولة العلية والقيام على ولائها وجعل يحاسن الامراء والمشايخ الذين حولهُ حتى التف عليهِ حزب كبير منهم وهو في السابعة عشرة من عمرهِ . وكانت الدولة تنوي اخضاع الجبل اخضاعاً تامًا وتعيين والٍ عليهِ من قبلها لكنها رأت ان الزمن لم يحن لذلك وانهُ لا بأس بشد ازر هذا الامير ما دام مقيماً على ولائها . وكثر تردُّد الامراء والمشايخ على دارهِ وكلٌّ منهم يحسب انهُ المرشد لهُ وهو يلعب بهم لعباً ولو كانوا اكبر منهُ سنًّا واكثر حنكةً حتى اذا عاد بسو الى دمشق الشام سنة ١٨٤٣ رآهُ قد صار في مقدمة الامراء الشهابيين فعُقدت القلوب على حبهِ وولائهِ وكان عمرهُ حينئذٍ تسع عشرة سنة وعمر حواء ست عشرة سنة . وبلغهُ وصول بسو الى دمشق فاسرع اليهِ وقبَّل يديهِ كأنهُ اباهُ وضمَّ حواء الى صدرهِ والدموع تهطل من عينيهِ وتعانقا معانقة الاخوة ثم اخبرهما بكل ما جرى لهُ ولم يخفِ عنهما شيئًا . واخيرًا طلب من بسو ان يقرض الجبل مبلغاً من المال لكي يبتاع بهِ اسلحة فيستقل تحت امارتهِ وامارة حواء. وكان بسو قد انقذهُ من مشاكل عديدة ووفى عنهُ ديونًا كثيرة لتجار بيروت وصيداء اما الآن فلم يرُق لهُ ان يساعدهُ في عمل سياسي مثل هذا قد يعود عليهِ بالخراب والدمار او بالنفي المؤبد لاسيما وانهُ رأى ما حلَّ بالامير بشير ومحمد علي باشا لان دول اوربا لا تريد ان يحدث اقل تغير في بلاد الشام لئلاَّ يكون ذلك داعياً لحل المسألة الشرقية ولم يصدّق ان فخر الدين يفلح في ما عجز عنهُ عزيز مصر

اما حواء فلم تكن من رأي ابيها لانها كانت شديدة الاركان الى فخر الدين وقالت في نفسها انهُ ليس عزيز الجانب مثل محمد علي ولكنهُ ارسخ منهُ قدماً لان البلاد بلادهُ وقد حكمها اسلافهُ سنين كثيرة . وكانت تثق ايضاً باصلهِ العربي وتأنف من ان ترى دولة اوربية متسلطة على بلاد الشام ومرجعة اليها عصر الصليبيين فنظرت اليهِ كأنهُ الرجل الوحيد القادر على انقاذ لبنان وبلاد الشام كلها من الوقوع في قبضة الاوربيين وشفعت فيهِ الى ابيها مرارًا فاعطاهُ ووفى عنهُ الى ان ضاق بهِ ذرعاً وآلى على نفسهِ ان يمنع عنهُ كل مساعدة مالية في المستقبل. فجعلت حواء تعطيهِ من جواهرها ولجأت الى اولاد عمها فساعدوهُ على قدر طاقتهم فكاد يسلبها اموالها وهو يتودَّد اليها و يظهر لها الحب الشديد وكان يحبها حقيقةً و يخضع لاوامرها صاغرًا وكانت نظرة منها تبهجهُ او تنغص عيشةُ فيكون امامها كالطفل الصغير وهو يحسب ان طالعها سعد فلا يفلح مَن يخالف لها امرًا لكنهُ اذا غاب عنها نسي ما يشعر بهِ وهو في حضرتها وركب هواهُ وقد يفشي سرها ولو كان حبها متسلطاً على فؤادهِ . وهذا شأن من كان عديم الرأي

متقلباً مع الاهواء مؤثرًا لنفسهِ لا يرى غير نفعها

لو اقترن بحواء لتدمثت اخلاقهُ وقلَّ تقلبهُ مع الاهواء . وكان يودُّ الاقتران بها لا شغفاً بها ولا رغبة في مساعدتها لهُ على التخلق بالاخلاق النبيلة بل طمعاً بغناها لكي يكون لهُ منهُ ما يساعد الجبل على استقلالهِ . اما هي فكانت مخطوبة الى ابن عمها ابن بسو الحلبي وقد خُطبت وهي في فيناً وقرَّ القرار على الاحتفال بزفافها حينما تبلغ الثامنة عشرة من العمر وقد قرب هذا الميعاد الآن ولم يبقَ لهُ الاَّ بضعة اشهر

وكانت قد الفت القول بانها مخطوبة لابن عمها حتى صارت تحسبهُ من الامور المحتومة عليها كالحياة والموت فلم تعد تفتكر بهِ بسرور ولا بكدر . ولو كان قيادها بيدها ما اختارت فخر الدين زوجاً لها لانها كانت تنظر اليهِ نظر الاخت الى اخيها. وحسب عادة البلاد كاشف فخر اباها بغرضهِ ووعدهُ بان تبقى زوجتهُ على دين قومها وتتبعها اولادها في دينها فيصير امير لبنان من امة اليهود. فقطع بسو كلامهُ بقولهِ انها مخطوبة لابن عمها فلا مجال للكلام في هذا الموضوع

قلنا في فصل سابق ان فخر الدين زار حواء في بيت عنيا حديثاً واطلعها على ما اضمرهُ للامير الانكليزي فارتعدت فرائصها وسفهت رأيهُ وشددت عليهِ النكير . ولما رأى منها ذلك انصاع اليها وعرض عليها رأياً آخر وهو ان صديقاً لهُ من تجار الانكليز في بيروت وعدهُ بالمال اللازم لهُ ان هو نجح في مطل شريف افندي التاجر المصري شهراً او شهرين وطلب منها ان تسعى لهُ في ذلك لدى شريف افندي . فرأت ان السعي في هذا السبيل ممكن لها ولا ضرر منهُ فسُرت لانها وجدت سبيلاً لمساعدتهِ لا يضرُّ باحد ووعدتهُ بالمجيء الى المدينة في اليوم التالي لكي تكلم شريف افندي في امرهِ . فودَّعها والدموع ملء عينيهِ وخرج وكان قد اقنع شريف افندي ان بسو يكفلهُ على دفع ثمن البنادق ونفقات نقلها واتفقا على ان يلتقيا في القدس لهذه الغاية ولما جاء القدس ودخل بيت بسو رأى شريف افندي في انتظارهِ ثم لما رأى الاعراض من بسو زار حواء وعرض عليها المكيدة التي كادها لتنكرد واتفق معها اخيراً على ان تقنع شريف افندي ليمهلهُ ان دفع المال شهراً او شهرين كما تقدم ثم عاد الى شريف افندي وقال لهُ ما قولك لو ضمن لك المال شخص آخر مثل بسو. فقال سيان عندي فقال فخر الدين ان حواء ابنة بسو مثل ابيها فقال شريف افندي على الراس والعين. فقال فخر الدين وقد تطلب منك المهلة مدة وجيزة اذ لا بد لها من مكاتبة بعض ذوي قرباها في حلب أتعرف حلب

— نعم وحلب والشام صنوان ورضيعا لبان

— اذاً ارجو من فضلك ان تسلم بما تطلبهُ حواء منك فقد فهمت منها انها عازمة ان

تطلب مهلة ثلاثة اشهر فان النساء كثيرات الحذر كما لا يخفى عليك وهي تقول ربما سُرق المال في الطريق او ربما ضاع مفتاح الخزانة. فقد فهمتَ مرادي وفي الميعاد نلتقي في غزة لاستلام البنادق

وفي الصباح التالي قامت حواء ولبست ازارها وتبرقعت وركبت جوادها وتبعتها اثنتان من جواريها وسار امامها القوّاس وهو مدجج بالسلاح ومشى بجانبها اربعة من السواس ودخلت القدس من باب صهيون وسارت الى بيت ابيها وقابلت شريف افندي ثم دعت فخر الدين واخبرتهُ ان شريف افندي رضي ان يبقي الاسلحة عندهُ ثلاثة اشهر وهو اي فخر الدين يدفع اليهِ ربا ثمنها الى ان يتمكن التاجر الذي في بيروت من دفع الثمن كلهِ

فشكرها واكثر من كلام التودُّد والمجاملة واخبرها انهُ عائد الى بيروت سريعاً ليسعى في تدبير المال المطلوب

الفصل السادس

قام تنكرد من القدس قبل الفجر ومعهُ باروني وخادمان وكلهم بالاسلحة الكاملة وامامهم الشيخ حسن الجلاَّح شيخ عرب الجلالحة وهو طويل القامة عبوس الوجه بيدهِ رمح طويل فيهِ كرة من ريش النعام تحت سنانهِ وقد تقلد سيفهُ وتنكب بندقيتهُ وخرجوا كلهم من باب بيت لحم

في بلاد الشام شيءٌ يراهُ المرء قبل بزوغ الفجر قلما يراهُ في غيرها يراهُ ويشعر بهِ فيزيد جسمهُ نشاطاً وروحهُ خفَّةً . يشعر كأن ملائكة السماء قضت الليل فوق تلك الجبال ويشم للهواء رائحة عطريةً وينظر الى الطبيعة فيراها قد لبست حلة البهاء والسكينة ونامت كطفل يستيقظ باسماً وهو لا يدرك شيئاً من هموم الحياة. وقد انحطت البلاد وزايلها مجدها السالف ولكن الراحة والسكينة لم تزولا منها . وزاد ضعفها بازدياد القوة عند جيرانها الاوربيين لكن طباع اهلها لا تزال مثل طباع بلادهم وهي طباع اهالي اسيا عموماً تراها اميل الى الطبيعة منها الى الصناعة والى البساطة منها الى التركيب والتعقيد . هذه هي الحالة الفطرية التي بعُدت عنها اوربا بابتعادها عن العرب واهالي الشام الذين اخذت عنهم مبادئ العمران

ثم بزغ الفجر ووقعت اشعة الشمس على الظباء وهي تثب فوق التلال ورأتها الحجال فنادى بعضها بعضاً من بين الصخور كما كانت تفعل في عهد الانبياء . ووقف تنكرد ورفاقهُ عند قبر راحيل بين القدس وبيت لحم وكان عشرون من الجلالحة في انتظارهم هناك وهم رجال الشيخ حسن اتوا لحراسة تنكرد في ذهابهِ الى جبل سينا . والذي دبَّر ذلك باروني وكان يعرف هذا

الشيخ ويأتمنهُ وقد سرَّ تنكرد لان باروني لم يخبر قنصل الانكليز بعزمهِ على زيارة جبل سينا ولو اخبرهُ لدري بهِ الكولونل براس ولبس عدَّة حربهِ ورافق تنكرد الى جبل سينا رضي او لم يرضَ

وقد مضى على تنكرد الآن خمسة ايام بعد ان زار بيت عنيا وشاهد فيها حواء وكان يودُّ ان يعرف من هي وهو يعلم ان باروني يستطيع ان ينبئهُ بذلك ولكنهُ لم يشأ ان يكلمهُ في هذا الموضوع انفةً لا حذرًا . وزد عليهِ انهُ كان في ذلك الحين محمولًا على اجنحة الامل حاسبًا ان الله سيعلن لهُ نفسهُ على اسلوب خاصّ وانهُ قد ترفع عن الدنيا ومطالبها وصار شغلهُ الشاغل وهمهُ الوحيد في الامور السموية . وكان قد قضى الايام التي اقامها في القدس بالصوم والصلاة والرياضة الروحية وزيارة المشاعر المقدسة والمذاكرة مع رئيس الدير الونزو لارا في المواضيع الدينيَّة وهو يحاول ان يكتشف غوامض المشرق . ولم يكاشَف بشيءٍ من السماء لكنهُ سُرَّ وتعزَّى كأن طهارة الارض المقدسة ملأَت قلبهُ طهارة

وذات يوم كان يتحدث مع الاب لارا في هذه الامور وامثالها فاشار عليهِ ان يمضي الى جبل سينا فاصاب شورهُ اذنًا صاغية

ولما صار هو ورفاقهُ على مرأَى من بيت لحم بزغت اشعة الشمس من فوق الجبال ثم ساروا من بيت لحم الى حبرون (الخليل) والارض هنالك لم تزل تفيض لبنًا وعسلًا كما كانت في سالف عهدها ولو قلَّ خصبها الطبيعي في بعض الانحاء لما تولَّاها من الاهمال

وبعد بيت لحم بساعة من الزمان وصلوا الى البرك التي نقرها ملوك اسرائيل في الصخر حياضًا للمياه وجرُّوا الماء منها في قناة من الحجر الى اورشليم وهي ثلاث يختلف طول كل منها من خمس مئة قدم الى سبع مئة وقد مُلِطت كلها من داخلها ملاطًا صلبًا وهي تسمى الى الآن برك سليمان ولا سبيل لانكار هذه النسبة الى سليمان الملك الحكيم العظيم . والظاهر انهُ انشأ هنالك بساتينهُ وفراديسهُ التي ذُكرت في سفر الجامعة وبنى القصر الذي لقي فيهِ ملكة سبا وكانت قد جاءت من اقصى بلاد التيمن لتمتحن حكمتهُ

اين تلك البساتين والفراديس واين مَن نعمت من ربَّات المجد والجمال . اصحيح ما قالهُ الجامعة ان الكل باطل وقبض الريح . لماذا هذا الفناء . اين الملوك اين الجبابرة اين الذين كلامهم اسرار الحكمة واسمهم يملأُ كل قلب هيبة ووقارًا . لماذا لم يبقَ في بلاد العرب ملكات يغادرن عروشهنَّ ويمضين الى عواصم ملوك آخرين فيزرن قصور لبنان وبعلبك وتدمر ولكن اين تلك القصور ولماذا لم يبقَ منها غير الاطلال الدوارس

وكأني برجل من الاوربيين هاجر اسلافهُ بالامس من حراج البلدان الشمالية التي لم تزل

مسارح للوحوش وهو يكلمك الآن عن العمران والارتقاء . وما هو هذا العمران ومن اي شيء نتج. قامت الممالك ثم اندثرت وعظمت ثم اندرست والاوربيون يتناظرون على مسلة يحتملونها من بلاد نائية لكي يزينوا بها عواصمهم وقد نُسيت اساليب الصناعة وعفت سُبُل التجارة ودُرست مدارس العلم والفلسفة ومع ذلك كلهِ ترى هؤلاء الاوربيين يكلمونك عن العمران والارتقاء كأنها غرس ايديهم لانهُ اتفق لبعض رجالهم ان استخدم بعض المبادىء العلمية في ما يقلل التعب ويزيد الراحة فحسبوا ذلك عمرانًا وباهوا بهِ

ثم مالت الشمس الى المغيب وانبسطت اشعتها على سهول فسيحة تموّج فيها الهضاب تموّج البحر وتموج بالزرع والضرع . حقول الحنطة وبساتين الزيتون وقطعان الغنم وكروم العنب وفيها عرازيل النواطير كما كانت في ايام داود الملك. حينئذٍ بلغ تنكرد حبرون مدينة ابرهيم الخليل وقد نسي ابناء اسمعيل ما عامل بهِ امهم من الجفاء فاكرموا مقامهُ فيها ونسوا اسمها العبراني ونسبوها اليهِ فتعرف عندهم بمدينة الخليل الى الآن . وعلى ساعة منها سهل كثير الكلاء نصب تنكرد خيامهُ فيهِ لكي يبيت تلك الليلة ثم يقوم في الصباح ويخرج من ارض الموعد ويضرب في القفر العظم المخيف حيث لا ماء ولا مرعى

كان بنو اسرائيل قبيلة من قبائل العرب مثل بني قحطان وبني كلب وبني سليم وبني عامر تركوا البداوة ودخلوا بلاد الشام لتحضروا فيها فلم يرحّب بهم اهاليها فغادروها الى القفر ثم راقهم خصب الديار المصرية فرحلوا اليها ونزلوا فيها كما نزلت فيها قبائل العرب بعدهم. وجار عليهم ملوك مصر واذلوهم فاحتملوا الذل ما استطاعوا احتمالهُ وهم في الاصل من قبائل القوقاس التي نشأ منها اعظم شعوب الارض. انتشروا في بلاد الجزيرة ودخلوا بلاد العرب من انحائها الشمالية وكان من امرهم ما كان الى ان ثقل عليهم نير المصريين وقام منهم موسى الكليم رجل عظيم متوقد الذهن حصيف الرأي تساوت فيه قوة الاستنباط وقوة العمل وبلغتا اسمى درجاتهما. رجل من اعظم رجال الجنس القوقاسي يكاد يكون كاملاً مثل آدم لما خرج من يد صانعهِ

لكن الله لم يدعُ موسى ليخرج بني اسرائيل من رياض مصر ويردهم الى قفار بلاد العرب ويقتصر عملهُ على ذلك بل لكي يعلن لهم مشيئتهُ والعهد الذي عاهد بهِ نوع الانسان

ولو شاء ربك لائتمن احقر مخلوقاتهِ على اتمام مقاصدهِ لكنهُ لا يفعل ذلك بل يختار اعاظم الرجال لاعاظم الاعمال يختار ذوي الآراء الصائبة والقرائح الوقادة يختار المشترعين او القواد او الشعراء او الخطباء ذوي النفوس الذكية والافئدة المتوقدة مثل موسى ويشوع وداود وسليمان ومن هذا القبيل اشعياء الذي لا تقل فصاحتهُ عن فصاحة ديموستنس خطيب اليونان اذا نظرنا

اليها من وجهة البشر . وهاتان الامتان امة اليهود وامة اليونان مدّنتا الدنيا قبيلة من بلاد العرب وقبيلة من بلاد اجيا وضعتا اساس معارف الناس ولولا اورشليم واثينا ما سمعنا عن مصر وبابل ونينوى وقورش واحشويروش

استيقظ تنكرد باكرًا لكي يقطع البلاد الفاصلة بين ارض الموعد وبلاد العرب قبلما يشتد حر النهار وهنالك تلال تفصل ارض كنعان عن نجد مرتفع يشبه صحراء الشام لكنهُ ليس قفرًا بل تغطيهِ الاعشاب والانجم ثم يقلُّ النبات فيهِ رويدًا رويدًا ولا تظهر الانجم الاَّ في رؤُوس الكثبان ثم يستحيل الرمل صخرًا ولا يبقى من النبات الاَّ القتاد وبعدها آكام شاخصة تغطيها حجارة الصوان

سار تنكرد ورجالهُ في هذا القفر ثلاثة ايام وكانوا يبيتون حيثما وجدوا شيئًا من المرعى لجمالهم ولخيالهم تنصب الخيام وتوقد النار ويجلس تنكرد والشيخ حسن وباروني يتحدثون مدةً الى ان يروج الطعام فيأكلون ويشربون القهوة الحجازية ويدخنون التبغ الكوراني ويتكئ كلٌّ منهم وهو ينظر الى قبة السماء ونجومها العديدة . ولا ابدع من ذلك المنظر ولا يتصوَّرهُ الاَّ من رآهُ

وكانوا قد اقتربوا من جبل سعير وعليهم ان يقطعوا جبال الشراة الممتدة من هناك الى جبل سينا . وكان بين الشيخ حسن والقبائل النازلة في تلك البلاد ثارات قديمة فكنت تراهُ قلقًا حذورًا يسير امام قومهِ يتفقد الآثار ويستطلع البلاد من اعالي الآكام حتى اذا بلغ جبال الشراة اطمأَنَّ بالهُ وقال لتنكرد "قد جزنا الخطر ولم يبقَ داعٍ للتحرُّس والحذر لا لاني اخاف احدًا ولكن لاننا اذا التقينا بالعدو فإِما ان نقتلهُ واما ان يقتلنا" . ولم يكن هذا الرجل شيخ قبيلة الجلالحة كلها بل كان شيخ بطن منها فاذا اجمع رأي القبيلة وشيخها الاكبر او اميرها على مقاتلة قبيلة اخرى وجب عليهِ ان يقاتل معها ويعادي اعداءها

وفي الصباح صعدوا في الجبال وتقدموا من اكمة الى اخرى الى ان كانت الساعة الثانية بعد الظهر فبلغوا مضيقًا بديع المنظر قامت الشواهق على جانبيهِ وهي مصبغة بالوان تزري بالوان الشفق فمن احمر كميت يليهِ احمر دموي ثم جلناري ثم برتقالي ثم اصفر فارجواني فازرق . الوان قوس السحاب مبسوطة على تلك الشواهق وفوقها ذهب وهاج ثم صخور بيضاء كالبان النوق وبينها اشجار الدفلة والسنط وفوق الكل قبة السماء لا سحاب فيها ولا غيم والطريق متعرّج في ذلك المضيق بين الانجم والصخور

لما نظر تنكرد الى ما حولهُ وقف مبهوتًا ثم صرخ قائلاً هذه هي الارض المسحورة وهذا هو الآل الذي يراهُ الرائي لحظة ثم يزول

ولما بلغوا منتصف المضيق عدا الشيخ حسن بغتةً ورشق اكمة صغيرة برمحهِ ونادى رجالهُ وهو يقول لهم هنا آثار خيل وجمال سارت امامنا في هذا المضيق ولم تقطعهُ بل بقيت فيهِ فكونوا على حذر

فأجابهُ باروني قائلاً نحن خمسة وعشرون رجلاً مسلحاً فمن يستطيع مقابلتنا في هذا المضيق من الطياح

فقال الشيخ حسن هؤلاء ليسوا منهم ولا من عرب غراشة ولا من عرب مازن لاننا متآخون . ثم قال واحد من رجالهِ لعلهم من بني علي : —

وكانوا عند منعطف في المضيق فلما قطعوهُ رأوهُ يمتد امامهم مسافة طويلة على خط مستقيم فقال الشيخ حسن اني أرى الفرسان امامنا وهم من بني علي فتقدم اليهم هو وتنكرد وباروني وقالوا سلامٌ فقالوا سلاماً . ثم قال واحد منهم اننا نعلم من انتم ومن أين اتيتم فان هذا اخو ملكة الانكليز فليمضِ معنا وسيروا انتم بامان الله

فقال الشيخ حسن ان هذا اخي واخو كل واحد منا فلا ندعهُ يسير معكم وحدهُ وانتم من انتم

فقالوا نحن بنو يثرون وقد بعث بنا اميرنا اليكم للسلام عليكم فحملوا بنا الى السهل لان هذا الوعر لا يصلح لجمالكم ولا بدَّ لنا من اخذ اخي الملكة رضيتم او لم ترضوا

فنظر باروني الى ما حولهُ وقد امتقع وجههُ وقال قد دنت المنية ولا سبيل للنجاة من هؤلاء الناس . وزعق الشيخ حسن في زعيم القوم وقال لهُ قف مكانك والاَّ اوردتك حتفك وللحال علت الصيحات من المضيق ونظر تنكرد ورجالهُ واذا الارض حولهم تموج بالرجال وهم مسلحون بالبنادق والرماح

فقال باروني لتنكرد يظهر لي يا مولاي اننا وقعنا في مكيدة كادها لنا هؤلاء الملاعين والظاهر ان خبرك وصل اليهم فاتوا من مكان بعيد لكي ينهبوك

ونظر الشيخ حسن الى مقدم القوم وقال لهُ كم عدد رجالك يا ابن الانذال فاجابهُ ذاك باسماً لو عددت رجالك وخيلك وجمالك وسيوفك ورماحك لكنّا اضعاف اضعافها ولو شاء اميرنا ان يأتي الى هنا لجاء بعشرة آلاف فارس

فقال الشيخ حسن لباروني قُلْ لاخيك اني لا اتركهُ ابداً بل اسفك دمي لاجلهِ واسألهُ ماذا يريد ان تفعل

فقال تنكرد لباروني اسأل هؤلاء الرجال ماذا يبغون حقيقة. فقال باروني انهم يبغون سيادتكم ويحسبونك أخاً لملكة الانكليز فيأخذونك اسيراً و يطلبون فكاكك مبلغاً كبيراً من المال

— أليس بينهم وبين الجلالحة ثارات

— كلاّ وهم غرباء عن هذه البلاد ولا شبهة في ان هذه المكيدة كيدت لنا في القدس

فقال تنكرد ان موقفنا في هذا المضيق يقضي علينا ويسوءني ان اعرّض هؤلاء الرجال للهلاك فقل لهم يا باروني اني لست اخاً لملكة الانكليز واني اقاتل حتى أُقتل فلا أمل لهم بالفدية ولا بالفكاك

وكان الشيخ حسن منتصباً على صهوة جواده كالصنم وقد اشرع رمحهُ في يدهِ واستعدَّ للقتال وتقدَّم باروني الى القوم وجعل يجادلهم ويكثر من الحيَل والاكاذيب وقال لهم ان تنكرد ليس اخاً لملكة الانكليز ولكنهُ ابن شيخ من مشايخ بلادها وكل الخيل والجمال والقطعان لابيهِ ليس لهُ فيها شيء وانهُ تخاصم مع ابيهِ فطردهُ من بيتهِ واذا أُسر لا يفكهُ بثمة غرش. ثم عرض نفسهُ اسيرًا بدل تنكرد وقال ان الشيخ حسناً ونصف رجالهِ يبقون عندكم رهائن الى ان آتيكم بفكاكي. فلم يصدقوا كلامهُ بل اصرُّوا على طلب تنكرد وهم يلقبونهُ اخا الملكة

فعاد باروني وهو يقول قد فرغت جعبة الحيل وهذا شيء لم ارَ مثلهُ في حياتي. فقال تنكرد اذًا لا بدَّ لنا من ان نعبر هذا المضيق على رغمهم وان متنا متنا رجالاً فليختر كلٌّ منكم رجلاً يسدِّد رصاصهُ اليهِ حتى لا يذهب رخيصاً بل يأخذ ثارهُ قبل موتهِ وها انا قد اخترت ذلك الرجل المتلثم بالكوفية الحمراء. وقُلْ للشيخ حسن ان يخبر رجالهُ ليكونوا مستعدين للقتال ثم التفت الى خادميهِ فريمن وترومن وهما انكليزيان وقال لهما قد اشتدَّت الازمة علينا ولا بدَّ من مقابلة القوة بالقوَّة فان نجونا وعدنا الى منتكيوت ملَّكتكما الاراضي التي كنتما تزرعانها.

فقالوا لهُ لا تهتم بامرنا يا مولانا ولولا هذه الصخور ما ابقينا على احد من هؤلاء الانذال

فقال تنكرد لباروني امستعدون انتم. قال مستعدون فقال اني سلمت نفسي لله قال ذلك واطلق فردهُ على الرجل المتلثم بالكوفية الحمراء ثم اطلقهُ على رجل آخر وعدا مسرعاً في ذلك المضيق وللحال اطلقت البنادق كلها وعلت الصيحات واشتبك الرجال واشتدَّ القتام وعلا دخان البارود حتى لم يعد احد يرى احدًا ثم هبَّت الريح بغتةً فانقشع الدخان ونظر تنكرد واذا هو في طرف المضيق ووراءهُ شرذمة من رجالهِ وامامهُ جموع مجتمعة كانها تنتظر وصولهُ اليها وكان سيفهُ مسلولاً بيدهِ وهو يقول لا تبيعوا نفوسكم رخيصة. فاصيب بضربة في يدهِ اوقعت السيف منها وعثر بهِ جوادهُ فسقط وللحال انقضَّ عليهِ اولئك الرجال وربطوهُ وشدوا الوثاق وزعيمهم يقول لهم ان كل نقطة من دمهِ تساوي الف كيس

القسم الرابع

الفصل الاول

دخل القنصل بسكواليجو ويت بسو بعد قيام تنكرد من القدس بعشرة ايام فسأله الباريزي الذي بيتهُ عند البرج اتعرف اين بسو الآن فقد مضى عليَّ نحو ساعة هنا ولم ارَ احداً وهل بلغتك الاخبار

فقال بسكواليجو من لم تبلغهُ والناس يتحدثون بها كبيرهم وصغيرهم

فقال الباريزي . هات اخبرنا اذاً عمَّا سمعت

بسكواليجو — سمعت اشياء يعرفها كل احد واشياء أُخرى لا يعرفها احد غيري

الباريزي — لا بدَّ اذاً من ان تكون قد رأيت احداً اتى من هناك

بسكواليجو — هذا امر لا بدَّ منهُ . ولما قال ذلك كان الغلمان قد قدَّموا اليهِ الحجر (الشبق) فاخذهُ وجعل يصلح النار التي على التبغ

الباريزي — فهل حضر الواقعة بنفسهِ

بسكواليجو — اي واقعة انت تعني

الباريزي — اذاً صاحبك سامع لاناظر

بسكواليجو — الامر صحيح سواءٌ سمعهُ او نظرهُ

الباريزي — الفرق كبير وما راءٍ كمن سمع

بسكواليجو — لكنهُ سمع ورأى

الباريزي — فاذاً قد حضر الواقعة

بسكواليجو — نعم حضرها

الباريزي — اخبرنا اذا هل قُتل الامير الانكليزي عمداً او قُتل اتفاقاً

ولم يكن بسكواليجو قد سمع شيئاً عما اصاب تنكرد فتاوَّه وقال كأنهُ عارف بالامر كلهِ "ان الخطب جلل والمسألة كبيرة"

الباريزي — نعم المسألة كبيرة والخطب جلل فان كان قد قُتل اتفاقاً انتهت المسألة بالمذاكرات السياسية والانكليز يريدون قبرص فيأخذونها تعويضاً عن ذلك واما اذا كان قد قُتل عمداً فلا بدَّ من الحرب لان شرائع الانكليز تقضي عليهم بالحرب اذا قتل واحد من بيت الملك

فنظر بسكواليجو كمن همهُ هذا الامر كثيرًا ثم ابعد حملة الكهرباء عن شفتيهِ وقال لقد وقعنا في مشكل كبير

الباريزي — نعم المشكل كبير ولكن الاشكال لم يبتدئ حتى الآن لاننا مختلفون في هل ذلك القفر من اراضي الشام او من اراضي مصر فاني انا اقول انهُ من اراضي مصر وابن عمي يقول انهُ من اراضي الشام ورفائيل تفنه يقول ان البدو مستقلون لا هم خاضعون للباب العالي ولا لعزيز مصر

بسكواليجو — ان انكلترا تطالب كل البلدان المجاورة لمحل الواقعة سواء كان البدو مستقلين او خاضعين لغيرهم . ولا يمكن ان تتخلى عن دم امير من امرائها ولا بدَّ من سير الجنود التي هنا كلها الى محل الواقعة باسرع ما يكون

الباريزي — لو ذهبت الجنود التي هنا والتي في دمشق وذهب الوالي معها ما قدروا كلهم ان يأخذوا حقًّا ولا باطلاً من العرب

بسكواليجو — اذًا يطلب الانكليز من محمد علي ان يؤدّب العرب

الباريزي — هذا الذي اقولهُ ولا بدَّ للانكليز من ذلك فيرسلون بارجة حربية الى الاسكندرية و يطلبون من محمد علي ان يستأصل قبيلة العرب التي قتلت اخا الملكة فيجيبهم بالاغضاء ويقول انهُ لما كانت جنودهُ في الشام ما كان احد يعتدي على اخوة الملكة فيغتاظ بامرستون ويأمر

بسكواليجو — لا شأن لبامرستون الآن لانهم عزلوهُ وعينوهُ حاكمًا لجزيرة صغيرة

الباريزي — انظن اني اجهل ذلك ولكنهم يستدعونهُ الى الوزارة ثانية لانهُ ليس عندهم اشد منهُ ولا يمكن ان يحاربوا الاَّ وهو في الوزارة فيأخذ قيادة جنودهم البرية والبحرية حتى لا يعصي احد لهُ امرًا فيمتلكون القدس ويفتحون الاسواق لبضائعهم في كل بلاد الشام لانهُ لا يهدأ بالهم حتى يتعمم كل اهالي هذه البلاد بعمائم من منسوجات منشستر

دار هذا الكلام بين بسكواليجو والباريزي في بيت بسو وكان بسُّو حينئذٍ في غرفتهِ منتظرًا مجيء ابنتهِ حواء وهو في اشد الاضطراب. ثم دخلت حواء وقالت لهُ ماذا تريد يا ابتاه وماذا حدث حتى اراك قلقًا مضطرب البال

بسو — اصابتنا الضربة العاشرة من ضربات مصر يا بنتي. منذ خرج ابرهيم باشا من هذه البلاد لم تصبنا مصيبة مثل المصيبة التي اصابتنا الآن

بفخر الدين

كلاَّ كلاَّ ولكن بشاب آخر في سنهِ شاب يهمني امره جدًّا وان كنت لا اعرفهُ ان كنت لا تعرفهُ فهو ليس ابن عمي . لقد اقلقتني يا ابي فاخبرني من هو

ان هذا الحادث غاظني اكثر من كل الحوادث التي مرَّت بي مع انهُ متعلق بشخص لم تسمعي اسمهُ ولا رأيتهِ فاعلمي انهُ زار القدس منذ ايام شابٌ انكليزي من اعظم امراء الانكليز

فقالت نعم وكاد صوتها يختنق

وقد اتاني بكتاب من افضل الناس واعظمهم من رجل انا ونحن كلنا مديونون لهُ ديناً عظيماً بل كل ما عندنا منهُ ولولاهُ ما كنَّا الآن في قيد الحياة . وقد كان عليَّ ان افعل كل ما يطلبهُ هذا الشاب مني وكنت افعلهُ عن طيب نفس وكان يجب عليَّ ان ارقبهُ كحدقة عيني واعرض عليهِ خدمتي عرضاً لكن وا اسفاه انا الملوم ولا يلام احد غيري . بعث اليَّ بهذا الكتاب مع واحد اعرفهُ من اتباعهِ فخشيت ان اثقل عليهِ . وقد بلغني انهُ متعصب في ديانتهِ فخفت ان ازورهُ فينفر مني

فقالت حواء وماذا جرى لهُ . ولم تستطع ان تخفي انزعاجها ولكن ظهر كأنها مضطربة لاضطراب ابيها

فقال ذهب منذ ايام لزيارة جبل سينا ومعهُ حرس كبير فاضلوهُ في البرية واسروهُ بعد حرب دموية

حواء — حرب دموية !

ابوها — نعم ولكنهم اضطروا اليها اضطرارًا لان العرب حصروهم في مضيق لا نجاة لهم منهُ فاحتدم الشاب غيظاً واقتحم المضيق وحاربهم مستقتلاً فقتل بعض المهاجمين ولم يقتل من رجالهِ الاَّ قليلون ولولا وجودهُ بينهم لقتلوا كلهم لان المهاجمين كانوا يقصدون القبض عليهِ حيًّا ليأخذوهُ اسيرًا ويأخذوا فكاكهُ . وقد تمكَّن من الخروج من المضيق هو ورجالهُ ولكنهم وجدوا السهل مملوءًا بالرجال فاضطروا الى التسليم ولاسيما بعد ان وقع جريحاً

حواء — أجُرح

ابوها — نعم ولكني ارجو ان يكون جرحهُ طفيفاً وقد ارسلوا تابعهُ الى هنا ليأخذ لهم فكاكهُ . كم تظنين انهم طلبوا الفكاك

فاشارت الى انها لا تعلم

فقال اربعة آلاف كيس

فقالت اربعة آلاف اربعة آلاف أقلت اربعة آلاف كيس فهذا مبلغ كبير جدًّا ولكن

يمكننا ان نساومهم لعلهم يقبلون اقل من ذلك

ابوها — لو كان المبلغ ثمانية آلاف كيس لدفعتهُ والذي يغيظني و يشق مرا تي ليس كثرة المبلغ لان والد هذا الشاب امير عظيم غنيٌّ جدًّا فلا يصعب عليهِ دفعهُ ولكن هذا الشاب قد أُرسل اليَّ وطُلب مني ان اعتني بهِ واحرسهُ وابذل جهدي في كل ما يأول الى راحتهِ ورفاهتهِ فلم ارهُ وقد جُرح وأُسر

فقالت حواء وهي مطرقة الى الارض. ولكن ان كان قد تجنَّبك فكيف يكون اللوم عليك. قالت ذلك كأنها تخاطب نفسها

ابوها — لا يمكن ان يكون قد حسبني اكثر من صرَّاف يهودي يرسل اليهِ خادمهُ حينما يحتاج الى النقود . وكان عليَّ ان لا ادقق معهُ في هذه الامور بل اقف عند بابهِ كل يوم الى ان يتفضل و ينظر اليَّ . نعم هذا كان الواجب عليَّ

حواء — كلاَّ يا ابي كلاَّ انك مغتاظ ولذلك تقول هذا القول فان هذا الشاب ليس كما تظن او على الاقل اني ارجح انهُ ليس كذلك . فقد بلغك انهُ متعصب ولكنهُ قد يكون حسن التديُّن فقط وقد تكون افكارهُ متجهة الآن الى امور اسمى من حطام هذه الدنيا . والذي يتجشم المشاق لزيارة جبل سينا يستحيل ان ينظر الى اليهود بعين الازدراء

ابوها — ولكن كيف ينظر الى الذين اسروهُ . هذه هي الضربة القاضية . اتعلمين من رشقني بهذا السهم الصائب . جدُّك ابو امك

فغطت حواء وجهها بيديها وهي تقول الخائن الخائن الدنيء القبيح

ابوها — كلاَّ يا عزيزتي كلاَّ انهُ ليس من الخونة فان جدَّك لم يقصد لنا شرًّا ولا يعلم شيئًا عن علاقة هذا الشاب بنا بل قد اسرهُ على جاري عادة البدو لكي يأخذ فكاكهُ فهما لحقني من الضرر بسببهِ لا يمكنني ان اتهمهُ بالخيانة ولا بتعمُّد ضرري

حواء — اصبت يا ابي وانا لم اقصدهُ بل كنت افكر في شخص آخر. والآن ماذا تقصد ان تفعل

ابوها — اولاً ان ابرّىء نفسي من هذه التهمة الشنعاء فان هذا الشاب اتى الى هنا ومعهُ اوامر صريحة لا يمكنني ردها لكي ادفع اليهِ كل ما يطلبهُ من المال ثم مضى الى القفر فاسرهُ حميَّ ابو امكِ وارسل اليَّ يطلب فكاكهُ مني . هذه هي واقعة الحال التي يتحدث بها الناس ولا يمكنهم ان يستنتجوا منها الاَّ نتيجة واحدة وهي اني متواطىء مع جدكِ على سلبهِ وقد استنتجوها الآن على ما بلغني وصرت اخجل ان تقع عيني على عين احد من الناس حتى

على عين زواري الذين يأكلون طعامي ويدخنون تبغي . ولا لوم عليهم ولا تثريب اذا ظنوا بي الظنون لانهم لا يعرفون دخيلة الامر

حواء — انت بريءٌ من ذلك فليقل الناس ما شاءوا

ابوها — نعم انا بريءٌ ولكن لا بدَّ لي من دفع الفكاك من مالي الخاص . وغرامة اربعة آلاف كيس ليست مما يسرُّ النفس لا سيما واني سادفعها عن انسان لم ارَ وجههُ ولم يدخل باب بيتي ولكن لا بدَّ لي من ذلك لان جدك الذي صالحتهُ مع محمد علي واخذت لهُ الامتياز بحراسة ركب الحج مدة خمس سنوات فاكتسب بذلك اثني عشر الف جمل جدك هذا غرَّمني هذه الغرامة ولولاكِ للعنتُ الساعة التي امتزج بها دمي بدمهِ

حواء — لا تقلْ ذلك يا ابي بل ارسل اخبره بواقعة الحال وانا واثقة انهُ يغضي عن طلب الفكاك ويندم على ما فعل

ابوها — ما اقلَّ معرفتك بهِ فاعلمي اني انا وهو على طرفَيْ نقيض هو يكرهني وانا اكرههُ ولم نجتمع الاَّ افترقنا على خلاف واني افضل دفع الفكاك كلهِ من مالي ولا اطلب منهُ معروفاً. ولكن كيف ادفع الفكاك من مالي وفي هذا الشاب الانكليزي من الكبرياء والعتو ما جعلهُ يهجم على الاعداء وحدهُ في مضيق مملوء بالرجال والبنادق . اتظنين انهُ يقبل ان يفتدى بمال رجل يهودي . ما اقل ما تعرفينهُ عن الانكليز فانهُ لا شعب في الدنيا اشدُّ منهم انفةً وعتوًّا وعناداً فانهم يسكنون جزيرة يغطيها الضباب ويأكلون اللحم النيء ويشربون النبيذ المثلث ويضحكون على آبائهم . وامراؤهم يقضون اوقاتهم في الصيد والقنص وهم اقوياء اغنياء كالملوك والبلاد كلها في يدهم واذا نفدت اموال رعاياهم نهبوا ملوك الهند

حواء — ولكنك تقول ان هذا الشاب على جانب من التقوى والورع

ابوها — نعم كذا قيل لي ولكن ما هو غرضهُ من المجيء الى هنا فاني اعرف تابعهُ الذي كان مأسوراً معهُ واتى ليأخذ فكاكهُ وهو من خدام الصيدوني ونحن نعرف مقاصد ذلك الرجل العظيم ويظهر من ارسالهِ خادمهُ مع هذا الشاب انهُ يهتم بامرهِ اهتماماً عظيماً فلا يخلو الامر من مقاصد اخرى . لعنة الله على ذلك اليوم لعنة الله ثلاثاً

حواء — ليس هذا شأنك يا ابي ولا يليق هذا بحكمتك وشهرتك . هلمَّ نرَ الرجل الذي تقول انهُ تابعهُ ونسألهُ عنهُ ونبحث في الامر فاني ارجو ان نجد لنا منهُ منفذاً

———

حقائق احصائية

اتمَّ علماء الاحصاء بحثهم عن احوال الامم في العام الماضي من حيث الزراعة والصناعة والتجارة وسائر الاعمال والملابسات ونشروا خلاصاتهِ في الكتب والمجلات فنقلنا عنهم الفوائد التالية لانهُ يعتمَد عليها في كثير من المباحث النظرية والعملية . وما من احد يجد في مطالعة جداول الاحصاء لذَّةً او فكاهةً ولكن الباحث في امور الامم لا بدَّ لهُ من الرجوع اليها والاعتماد عليها . وسنختار منها ما هو اعمُّ فائدةً من غيرهِ

(١) الذهب المستخرج من الارض سنة ١٨٩٩

		بالاوقية	بالجنيه الانكليزي
اوربا	من النمسا	٠٠٤ ٩٣٥	٠ ٠٢٠ ٩١٠
	« المجر	٠٩٨ ٦٤٥	٠ ٤١٧ ٩٩٣
	« فرنسا	٠٠٨ ٨٧٤	٠ ٠٣٧ ٦٠٣
	« المانيا	٠٩٥ ٧١١	٠ ٤٠٥ ٥٦٢
	« ايطاليا	٠١٠ ٥٨٨	٠ ٠٤٤ ٨٦٧
	« نروج	٠٠٠ ٤٩٨	٠ ٠٠٣ ١١١
	« روسيا	١ ١٦٤ ٦٠٣	٤ ٩٣٤ ٨٣٠
	« اسبانيا	٠١٣ ٢٧٩	٠ ٠٥٦ ٢٦٨
	« اسوج	٠٠٥ ١٤٤	٠ ٠٢١ ٧٩٥
	« تركيا	٠٠٠ ٣٨٦	٠ ٠٠١ ٦٣٥
	« بريطانيا	٠٠٠ ٣١٤	٠ ٠٠١ ٣٣١
اسيا	« الصين	٣٢١ ٢٩٣	١ ٣٦١ ٤٤٤
	« الهند	٤١١ ١٠٦	١ ٧٤٢ ٢٠٧
	« اليابان	٠٣٤ ٥٠٩	٠ ١٤٦ ٢٢٦
	« كوريا	٠٥٢ ٩٢٧	٠ ٢٢٤ ٢٧٠
	« ملقا	٠٢٥ ٠٠٠	٠ ١٠٥ ٩٣٣
	« بورنيو	٠٠٤ ٨٣٨	٠ ٠٢٠ ٥٠٠

اميركا الشمالية	من الولايات المتحدة الاميركية	٣ ٥٠٦ ٦٧٩	١٤ ٨٥٩ ٠٢٦
	« كندا	٨٧٢ ٢٢٧	٣ ٧٠٠ ١٦٦
	« نيوفوندلند	٠٠٣ ٠٠٠	٠ ٠١٢ ٧١٢
	« بلاد المكسيك	٤٤٨ ٧٨٣	١ ٩٠١ ٨٥٧
	« اميركا المتوسطة	٠٢٥ ٣٩٩	٠ ١٠٧ ٦٢٥
اميركا الجنوبية	« بلاد الفضة (ارجنتينا)	٠١٥ ٢٣٥	٠ ٠٦٤ ٥٥٦
	« بوليفيا	٠١٦ ٥٧٦	٠ ٠٦٨ ١٢١
	« برازيل	١٢٢ ٤٨١	٠ ٥١٨ ٩٩٦
	« شيلي	٠٦٨ ١٠٢	٠ ٢٨٨ ٥٦٢
	« كولمبيا	١٧٩ ٠٠٣	٠ ٧٥٨ ٥٠٠
	« يوكادور	٠٠٦ ٤٠٥	٠ ٠٢٧ ١٤٢
	« غينيا	١٨٥ ٥١١	٠ ٧٨٨ ٢١٧
	« بيرو	٠٠٩ ٩٥٨	٠ ٠٤٢ ١٩٤
	« اروغواي	٠٠١ ٨٦٣	٠ ٠٠٧ ٨٩٤
	« فنزويلا	٠٣٩ ٣٨٤	٠ ١٦٦ ٨٨٤
افريقية	« الترنسفال	٣ ٥٣٦ ٩٤٥	١٤ ٩٨٧ ٢٧٣
	« رودبزيا	٠٥٣ ٧٤٧	٠ ٢٢٧ ٧٤٥
	« الشاطئ الغربي	٠٣٤ ٨٤٥	٠ ١٤٧ ٦٥٠
	« مدغسكر	٠١٩ ٣٥٢	٠ ٠٨٢ ٠٠٠
استراليا	« استرالزيا	٣ ٧٧٧ ٥٥٩	١٦ ٠٠٦ ٨٤٥
	المجموع	١٥ ١٧٥ ١٨٤	٦٤ ٣٠٩ ٤٥٠

اي بلغت قيمة الذهب الذي استخرج من الارض في العام الماضي اكثر من ٦٤ مليونًا من الجنيهات وبلغت في العام الماضي ٥٧ مليونًا فزادت نحو سبعة ملايين من الجنيهات وكان المستخرج من بلاد الترنسفال سنة ١٨٩٨ نحو ١٦ مليونًا فبلغ في العام الماضي اقل من ١٥ مليونًا . واكثر الزيادة من استراليا فقد كان المستخرج منها سنة ١٨٩٧ عشرة ملايين فبلغ سنة ١٨٩٨ اثني عشر مليونًا وسنة ١٨٩٩ ستة عشر مليونًا

(٢) غلة القمح في الدنيا سنة ١٨٩٩

اوربا	روسيا	٣٤٣ ٧٥٠ ٠٠٠	بلجيكا	٠٢٠ ٦٢٥ ٠٠٠
	فرنسا	٣٣٦ ٠٥٠ ٠٠٠	السرب	٠٠٨ ٢٥٠ ٠٠٠
	النمسا والمجر	٢٠٢ ٨٧٥ ٠٠٠	الروملي	٠٠٧ ٧٠٠ ٠٠٠
	ايطاليا	١٢٣ ٧٥٠ ٠٠٠	البرتغال	٠٠٧ ٤٢٠ ٠٠٠
	المانيا	١٠٤ ٥٠٠ ٠٠٠	هولندا	٠٠٥ ٥٠٠ ٠٠٠
	اسبانيا	٠٩٦ ٢٥٠ ٠٠٠	اليونان	٠٠٤ ٩٥٥ ٠٠٠
	انكلترا	٠٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠	الدنمرك	٠٠٣ ٨٥٠ ٠٠٠
	تركيا	٠٣١ ٦٢٥ ٠٠٠	سويسرا	٠٠٣ ٨٥٠ ٠٠٠
	رومانيا	٠٢٨ ٨٧٥ ٠٠٠	اسوج	٠٠٣ ٣٠٠ ٠٠٠
	بلغاريا	٠٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠	نروج وغيرها	٠٠٢ ٢٠٠ ٠٠٠
	ومجموع اوربا	١ ٤٠٣ ٣٢٥ ٠٠٠		
اميركا	الولايات المتحدة	٥٠٨ ٧٥٠ ٠٠٠	كندا	٠٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠
	ارجنتينا	٠٦٨ ٧٥٠ ٠٠٠	شيلي	٠١٥ ٦٧٥ ٠٠٠
	ومجموع اميركا	٠٦٥٩١٧٥٠٠٠		
اسيا	الهند	٢٢٩ ٦٢٥ ٠٠٠	ايران	٠١٧ ٨٧٥ ٠٠٠
	اسيا الصغرى	٠٣٠ ٢٥٠ ٠٠٠	سوريا	٠٠٨ ٢٥٠ ٠٠٠
	ومجموع اسيا	٢٨٦ ٠٠٠ ٠٠٠		
افريقية	الجزائر	١٧ ٢٢٥ ٠٠٠	تونس	٠٤ ١٢٥ ٠٠٠
	مصر	١١ ٥٥٠ ٠٠٠	مستعمرة الراس	٠٤ ١٢٥ ٠٠٠
	ومجموع افريقية	٠٣٧ ١٢٥ ٠٠٠		
	استراليا			٠٥٢ ٢٥٠ ٠٠٠
	والمجموع من المسكونة كلها	٢ ٤٣٧ ٨٧٥ ٠٠٠		

اي نحو ٢٥٠٠ مليون بشل او نحو ٤٧٠ مليون اردب بالارادب المصرية وذلك لو قسم على الناس الذين يعتمدون على الحنطة في خبزهم لخصّ النفس منهم اردب

(٣) موسم الحرير في المسكونة

اسيا	الصين وشنغاي	١١ ٤٦٦ ٥٣٠	رطلاً (ليبرة)
	كنتون	٠٥ ٢٨٩ ٦٠٠	" "
	اليابان	٠٧ ٣٧٠ ١٨٠	" "
	الهند	٠٠ ٨٠٩ ٧٥٠	" "
اوربا	ايطاليا	٠٦ ٢٦٤ ٦٥٠	" "
	بقية اوربا	٠٢ ٣٠٣ ١٨٠	" "
	سورية	٠٢ ٣٤٩ ٤٧٠	" "
	والجملة	٣٥ ٨٥٣ ٣٦٠	" "

(٤) الغنم والبقر في المسكونة

	الغنم	البقر
ارجنتينا	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢ ٠٠٠ ٠٠٠
استراليا	١١٦ ١٥٤ ٠٠٠	١٢ ٦٨٢ ٠٠٠
الولايات المتحدة	٠٤٥ ٠٤٨ ٠٠٠	٥٣ ٠٩٦ ٠٠٠
روسيا	٠٤٤ ٤٦٥ ٠٠٠	٢٤٦ ٠٩ ٠٠٠
بريطانيا	٠٣١ ٧٦٥ ٠٠٠	١١ ٢٠٣ ٠٠٠
فرنسا	٠٢٠ ٢٧٦ ٠٠٠	١٢ ١١٥ ٠٠٠
جنوب افريقية	٠٣٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٥ ٠٠٠ ٠٠٠
المانيا	٠١٣ ٥٠٠ ٠٠٠	١٧ ٥٥٦ ٠٠٠
كندا	٠٠٨ ٨٥١ ٠٠٠	٠٣ ٨٢٦ ٠٠٠

(٥) بوارج الدول الحربية

كانت بوارج الدول الاوربية الاربع الكبرى في شهر مارس الماضي على ما في هذا الجدول

	انكلترا	فرنسا	روسيا	المانيا
البوارج من الطبقة الاولى	١٧	١١	٠٥	٠
" " الثانية	٣٠	٢٠	١٥	٨
" " الثالثة	١١	٠٧	٣	٨
الطرّادات المدرعة	٠٩	٠٧	٣	٠

	انكلترا	فرنسا	روسيا	المانيا
حاميات الشواطىء	١٣	١٣	١٣	١٩
الطرادات المحمية طبقة اولى	٢١	٠٦	٠	٠
" " ثانية	٢٤	١٧	٣	٨
" " ثالثة	٥٤	١١	٣	٥
مدفعيات التربيد	٣٣	٢٢	٩	٨
متلفات السفن	٩٦	٢	٧	٠
قوارب التربيد طبقة ١	١١	٤٢	٣٩	٣٥
" " ٢ و ٣	١٧١	٢٢٢	١٥١	١٠٣
قوارب تسير تحت الماء	٠	٤	٠	٠

والاعتماد الاكبر على البوارج والطرّادات المدرعة والمحمية . وقد ذكر في هذا الجدول السفن الحربية الجديدة التي تصلح للحرب واهمل منهُ كل السفن الحربية القديمة ولو كانت بوارج من الطبقة الاولى

الشوقيات

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

ظهرت الشوقيات فانبرى لها الكتبة والشعراء والادباء بين مادحٍ ومقرظٍ ومنتقدٍ ومطريءٍ وكان بين هؤلاء نفرٌ ممن يتأبط اللسان والاساس والصحاح والقاموس فنقبوا عن صحة الفاظها وبحثوا في صاحبها أشاعرٌ هو ام شاعرٌ وناثرٌ معاً . وتلقت الجرائد والمجلاَّت الشوقيات بعد ان انتظرتها بذاهب الصبر فاحلتها محلها وانزلتها مكاناً رفيعاً

على ان صاحب الشوقيات لم يمثلها للطبع كي يدفعها الى الشعراء فقط ولا الى متأبطي اللسان والاساس وانما اتحف بكتابهِ جمهور القراء واكثرهم غير شاعر بدليل ما جاء في الديوان من الاقاصيص المنظومة وما وضع فيهِ عمداً للصغار وما فيهِ من وصف الحياة البيتية مما هو موجه الى عامة القراء لا الى خاصتهم وهو عذري في هذه الرسالة فاني منتقد الشوقيات لا كشاعر لان بضاعتي في هذه الصناعة مزجاة لكن الشوقيات خلّت في البال اثراً لا بأس من رسمهِ على صفحات الاوراق بعد ان نقش على صفحات القلوب اذ المناظر يختلف جمالها بتباين موقف الناظر اليها وتستجلي العين دقائقها بتنقل الرائي

ورثنا الشعر عن شعراء الجاهلية فخراً وغزلاً ومدحاً وهجاء وجداً وهزلاً ورثاء ووصفاً وحكمة وامثالاً وتوجعاً وتحسراً كما اشار اليهِ صاحب الشوقيات في صدر ديوانهِ. ولم نزل نصبو الى الشعر ونعجب بقائليهِ حتى ان جمهورنا ليطرب اذا سمع الكلام الموزون لما في اوزان الشعر العربي من حسن التقطيع وجمال التوقيع فكأن الموسيقى مدفونة في اجزائهِ تكاد تبعث اذا لفظت تلك الاجزاء فاذا تغنيت بها هبت كاسية حلة الحياة

لكننا لم نتّجر بارثنا ولم نتطلب نموه فالشاعر العربي في القرن التاسع عشر لا يزال يحدي الابل ويبكي لهبوب ريح الحجاز ويترنح لذكر الرقمتين فتبدو لهُ المركبات الحديثة في صور هوادج البدو ويرى في الاهرام اطلال الاحياء فلا يريد ان يعلم سوى ما علمهُ امرؤُ القيس وشركاؤُهُ اذ يخال الابتعاد عن خطتهم حطة من قدر الشعر ودليلاً على عدم تضلع ناظمهِ من فصنعنا للشعر قالباً من حديد ضمناهُ قرائحنا وخطرات افكارنا كما يفعل اهل الصين باقدام بناتهم فلا القالب يتسع ولا الرجل تنمو والنتيجة واحدة في الحالين اعجاب في غير محلهِ وانحطاط حيث يجب النمو والقوة ولكم من شاعر عربي في الزمان الحاضر يأنف ان يعزى اليهِ هذا البيت

تقول بابا انا دحًا وهو كخٌ معناهُ بابا لي وحدي وما طبخ

بين ان الكثيرين من الاباء والامهات يفرحون لدى قراءتهم القصيدة التي منها هذا البيت اذ يرون فيها ما يمثل افعال اطفالهم واخلاقهم وهم اعز ما وهبهم الله تمثيلاً يعجز عنهُ المصورون. على ان صاحب هذا البيت وهذه القصيدة هو راثي اسمعيل باشا الخديوي الاسبق بمثل ما لم يرثَ بهِ امير في قصيدتهِ التي مطلعها

حلم مدهُ الكرى لك مداً وسدى ترتجي لحلمك رداً

فشاعر الشوقيات ضرب في سبل تحاماها الشعراء اما جهلاً منهم بها وخوفاً من الضلال فيها او استخفافاً ومحافظة على القديم ان يلمّ بهِ تغيير يذهب بقيمتهِ فكأن الشعر في عيونهم بقايا القوم الاول مما تراهُ في هياكل لقصر وكرنك يجوز تقليدهُ ولكن يحرّم تبديلهُ وفاتهم ان الشعر يتغير بتغير البلدان واختلاف طبائع الامم ويرافقها في احوالها المتباينة فهو طوراً في مقام واصف ابهة الملك وعزة البلاد وتارة في مقام المفاخر بما خلفهُ الاباء والاجداد وآونة يمثل عظمة الطبيعة وجمالها وحيناً يعكس في عين المرء او الشعب صورة اخلاقهِ وارائهِ . تلك غاية الشعر والاَّ فاذا اقتصر على تشبيه الممدوح بالبحر والسحاب والشمس والقمر وعلى تعداد الزلازل والنوازل التي انتابت الارض لوفاة من لا يعرفهُ الاَّ اهل بلدهِ كان الشعر صناعة حقيرة جداً لكنهُ اذا تطالَّ الى السموات العلى وركب متن السحاب وجاب مخادع النفس والقلب فنظر

في هذا وذاك وجاء المعاني الجديدة المبتكرة او البس المعروف منها ثوبًا قشيبًا فاخلق به ان يستظهره الفتيان ويقبل على قراءته الكهول والشبان ويرتاح اليه الشيوخ ذلك ما يراد بالشعر وذلك ما نطالب به الشعراء

ولو جمع اكثر ما قيل في هذا العصر من الشعر العربي في مصر وسائر الديار العربية لألفي من النوع الاول الاَّ قصائد يحرص عليها أولو الذوق حرص الشحيح على ماله وقليل ما هي

وقد قرأت وانا في ارض الشام نتفًا من شعر احمد بك شوقي بقيت بعدها اتشوف الى غيرها من نظمهِ حتى اعلن عزمهُ على طبع ديوانهِ فانتظرت في جملة من انتظر وانا احسب الكتاب لن يصدر فلما تلقيتهُ اتخذتهُ رفيق السهر وانيس السمر فاجلى لي عن دُرَرٍ حبذا هي من درر فان لم يكن فيهِ الاَّ قولهُ في الذكرى

يا غاب بولون ولي ذمم عليك ولي عهودُ
زمن تقضى للهوى ولنا بظلالك هل يعودُ
حلم اريد رجوعهُ ورجوع احلامي بعيدُ
وهب الزمان اعادها هل للشبيبة من يعيدُ

او قولهُ في وصف عبد الازل باشا

فقيل أنِلْ اقدامك الارض انها ابرُّ جوادًا ان فعلت وانجبُ
فقال أيرضى واهب النصر اننا نموت كموت الغانيات ونعطبُ
ذروني وشأني والوغى لا مباليًا الى الموتِ امشي ام الى الموتِ اركبُ
أيحملني عمرًا ويحمي شبيبتي واخذلهُ في وهنهِ واخيبُ
اذا نحن متنا فادفنونا ببقعة يظلُّ بذكرانا ثراها يطيَّبُ
ولا تعجبوا ان تبتلى الخيل انها لها مثل ما للناس في الموت مشربُ

فقد جمع الرجل في هذه الابيات من وصف البأس وثبات الجاش وحفظ الولاء وعدم الرهبة من الموت مع شدة الايقان بالله وحسن الخبرة بالاخلاق حتى اخلاق الحيوان ما يشهد لهُ بطول الباع وبعد النظر كل ذلك بالكلام الطيب لا يشوبهُ شيءٌ من التعقيد والابهام

او قولهُ في وصف الشمس

هي الشمس كانت كما شاءها ممات القديم حياة الجديد
تردُّ المياه الى حدّها وتبلي جبال الصفا والحديد
وتطلع بالعيش او بالردى على الزرع قائمة والحصيد

وتسعى لذا الناس مهما سعت بخير الوعود وشرّ الوعيد
وقد تجتلى اذا اقبلت بنعمى الشقيّ وبؤس السعيد
وقد تتولى اذا ادبرت وليست بمأمونة ان تعود
فما للغروب يهيج الاسى وكان الشروق لنا ايّ عيد

هذا من العلم والحكمة والحقائق وحكاية العواطف في سبعة أبيات من الشعر لا غبار على رصفها ولا على نسب ألفاظها . او قوله في بداءة الحب ونموه

نظرة فابتسامة فسلامٌ فكلام فموعد فلقاه

فقد فضل التلمساني في بيتهِ المشهور

رأى لحبّ فرام الوصل فامتنعوا فسام صبرًا فاعيى نيلهُ فقضى

فان الاول اقرب الى الحقيقة مما يراهُ الناس كل يوم وما يمارسهُ اهل الحب وادعى الى الآداب بما خلص فيهِ من شائبة الطهارة في الحب ولا حاجة بي الى القول ان البيت يسيل رقة وعذوبة . او قولهُ في الانتقاد

ارى زمرًا مشيعة واسمع ايما صوتِ
ولو عقلوا لما فعلوا جلال الموت في الموتِ

ولا اتولى ايراد الشواهد والامثلة مما يصح اقتباسهُ من هذا الشعر النفيس فان فعلت ضاقت هذه المجلة عن ان تسعها وانما اشير بعد الى قصيدتين اولاهما الهمزية في تاريخ حوادث وادي النيل فقد دلّ بها على مقدرة تبشرنا انهُ يضع قصيدة تمثل حادثة عظيمة مما يسمى في الانكليزية Epic وفي الفرنسوية Epique كالالياذة والفردوس المفقود والانفرنو وغيرها او كالقصيدة الهندية التي عرب خلاصتها الوجيه الخواجه ديمتري خلاط عن الفرنسية ونشرها المقتطف في المجلد الحادي عشر؛ صحيح في المجلد الثاني عشر وجه ٥٩٦

والقصيدة الثانية التي عنوانها "اثر البال في البال" وحسبها ما قالهُ فيها المرحوم الشيخ الليثي

وقد قسم ابن الاثير شعر المتنبي اقساماً خمسة وقال في عرض النظر فيها انهُ كان يحلق باحمد انهُ كان يضرب عن نشر شعر صباه اذ جلب عليهِ نقد الناس ولومهم . ومن يراجع الشوقيات يرَ منظومات صاحبها ايام الصبا فيشعر انها ليست من طبقة ما نظمهُ في الخمس الأخَر من سني الديوان خذ مثلاً لذلك قصائدهُ في مدح المغفور لهُ الخديوي السابق من مثل قولهِ

سفر الحبيب فقلت يا عين انظري وتنزهي في حسن ذاك المنظرِ

وقولهِ هي الجزيرة فاحذر فتنة النظر وكيف والحب يأتي غير منتظر

لكنهُ احسن اذ اثبتها لان في اثباتها فائدة للمطالع فيرى بالمقابلة مبلغ نموّ ملكة الشعر في صاحب الشوقيات بعد ان يتضح لديهِ من قصائد الصبا هذه ان الرجل شاعرٌ مطبوع تزيد الايام ما يقول تهذيباً وحسناً وبهاء

والشوقيات جامعة لامرين تشارك في الواحد منهما خير اشعار العرب في الابواب المشهورة كالمدح والرثاء والفخر والوصف وطبقتها في هذه عالية. وتنفرد في الثاني عن المعروف من الاشعار العربية في كثير من الابواب. ولا ريب ان هذا الانفراد سيجعلها محلاً رفيعاً في عيون القوم من المصريين خاصة والناطقين بالضاد عامة. والذي يظهر لي ان صاحب الشوقيات ذاق لذة الحياة البيتية ودرس اخلاق الصغار فاستطاع ان يفتح للشعر العربي باباً كان مقفلاً. ولا ادلَّ على سلامة ذوقهِ من افتتانهِ بجمال الطبيعة وتقديرهِ ذلك الجمال قدرهُ وحسن وصفهِ اياهُ وقصائدهُ في ابنتهِ وابنهِ على اختلاف مغازيها ومواضيعها شاهد عدل على صحة ما اقول

ولا ريب في ان مقامهُ في باريس زمناً اثر في طباعهِ واخلاقهِ بما فيها من الميل الى الشعر فرأَى هناك ما لا يراهُ الشاعر العربي عادةً وقد زاد في ذلك الاثر وقوفهُ على الشعر الاجنبي كما يتضح من بعض تشابيههِ وتلميحاتهِ ولا يعاب ذلك فيهِ فالحكيم يلتقط الدرر ولو من مزبلة فكيف بها وهي في خزانات اصحاب التمدن والعلم وانما يعاب على الانسان تمسكهُ بالتقليد وهو يرى في الخروج عنهُ فائدة وفي كسر قيودهِ نفعاً وكسباً للناس. ولا تعزى اليَّ المغالاة في نقدي الديوان فالشعر عزيز المطلب عزيز المثال والاَّ فالنظم سهل والناظمون كثيرون لكن الشعراء في العالم معدودون فان امة الانكليز الغنية بالتقاليد و بالمعارف والمشهورة بشدة ميل افرادها الى المطالعة والدرس والمعروفة بانتشار العلوم والآداب في بلادها وقفت وقفة الحائر يوم مات شاعرها المكلل تنيسون لا ترى من تقيمهُ مقامهُ ولا تدري ما تفعل ولم يقع الانتخاب على المستر اوستن الاَّ لانهُ خير الموجود لا لانهُ يناظر سلفهُ او يماثلهُ شعراً وحسن منظوم

وصاحب الشوقيات من الشعراء الذين ادركوا للوطنية معنًى فاما من سلف من شعراء الجاهلية فلم يتعدوا وصف القبيلة التي ينتمون اليها. هذا كان مبلغ الوطنية فيهم فلم يفد هذا الحرف عندهم مفاده في هذه الايام واما في الاسلام فلان الشعراء الفوا في الدين جامعة اشد ربطاً من جامعة الوطنية فمن منهم المَّ بشيء من الحض على الاتحاد اتاهُ على هذا السبيل الاَّ افراداً من شعراء الاندلس فقد كان بينهم من رأَى في بلادهِ من الجمال والحسن ما حملهُ على تفضيلها على سائر بلدان الله لكن لفظة الوطنية لم تصل الى ما نفهمهُ منها الاَّ حديثاً ولصاحب الشوقيات ان يزيد قراء شعرهِ ما شاء في هذا الباب اذ الشعر فيهِ عزيز نادر والامة في حاجة اليهِ

انما يعاب في الديوان تغلب المديح فيهِ على سائر ابوابهِ ولعل لصاحبهِ عذراً في ذلك بان مقامهُ من حيث هو شاعر الامير يقضي عليهِ بطرق هذا الباب والاَّ ففي مقدمة الكتاب ما يشير الى انفتهِ من اتخاذ المدح خطة لهُ وغايةً يضرب اليها . ومن ينظر في قصائدهِ من هذا النوع يلقها على الغالب في اهل البيت العلويّ ان لم تكن في الخديويين منهم وانما كان يحسن بهِ لو اسقط منها شيئاً وابقى على شيء فالناس باتوا وقد سئموا قراءة المديح ولو كان من اعلى طبقات الشعر والممدوح من اعلى طبقات القوم . وحبذا شعرهُ من مثل قصيدتهِ البائية في وصف البال التي يقول في مطلعها

حفَّ كاسها الحبب فهي فضة ذهب

او ما كان من باب القصيدة الهمزية التي اشرت اليها آنفاً

اما قصيدتهُ البائية في وصف الحرب بين الاتراك واليونان فما لا يخجل منهُ ابو الطيب المتنبي لو لم يكن فيها ما يؤاخذ عليهِ . وقد تقدَّم للمقتطف الاغرّ انتقاد هذه القصيدة يوم ظهرت . اما التاريخ (ويراد بهِ اللفظ الدال بحساب الجمل على تعيين الوقت) فليس لهُ فيهِ القدح المعلَّى كما في غيرهِ من ضروب الشعر خذ مثلاً قولهُ مؤرخاً جلوس الامير

جئتها راقياً فيا عصر ارّخ جاء عباس مصرنا في ارتقاء

وقولهِ يا رب هذا القبر في سامي حماك وفي حنانك

حسبت عليك فارخوا حرم المفتش في جنانك

ولكن يقال في هذا المقام ان التاريخ صناعة لا تدل على مبلغ صاحبها من الشعر . وقد احسن صاحب الشوقيات بتنكيبهِ عنها فانها قتل للوقت اللهمَّ الاَّ اذا كان هنالك نكتة او تلميح الى آخر ما يستملح في تدوين تاريخ الحوادث والاعمال في شطر بيت او اقل من شطر

وهنا انتقل من انتقاد الكتاب من حيث هو مجموعة اشعارٍ الى الكتاب من حيث هو مجلد يتداولهُ الناس ويتخذونهُ مؤنساً وجليساً لهم في اوقات الفراغ فقد كان الاولى بصاحبهِ ان يحسن طبعهُ ويضبط الفاظهُ بالشكل اذ يعسر على غير الراسخين في العلم والشعر قراءة القصيدة او القصيدتين لاول مرة وتفهمها لما يقع في القراءة من الالتباس ولا فائدة من توجيه النظر الى الطبعة الاولى فهذه طُبعت وظهرت وانما يؤمل عند نفاد نسخها ان يراعى ما ذكر في الطبعة الثانية فتظهر كاسية حلة عربية بهية تسهل قراءتها على الجميع فيزيد في نفع الكتاب وفي رغبة القوم في اقتنائهِ ويلازم النموّ النمو والارتقاء الارتقاء حتى نرى نسخاً من هذا الديوان تزين بها خزائن الكتب كما تزين بها خزائن العقول

الاسكندر ذو القرنين

رجوعهُ الى بابل وموتهُ

تركنا الاسكندر في الجزء الماضي وقد أتمَّ تدويخ ما دوَّخهُ من الهند وقصد العودة الى بلاد فارس بطريق بلوخستان فردَّ ثلث جنودهِ الى بلادهم بطريق قندهار وسار هو في طريق الساحل بنحو ثلاثين ألفاً وامرَ بقية جنودهِ ان توافيهُ في السفن بحراً . وقد ذكر مؤرخو العرب انهُ ذهب الى بلاد الصين قبل مغادرتهِ الهند قال ابن الاثير ان الاسكندر سار الى بلاد الهند فقتل ملكها وفتح مدنها وخرب بيوت الاصنام واحرق كتب علومهم ثم سار منها الى الصين فلما وصل اليها اتاهُ حاجبهُ في الليل وقال هذا رسول ملك الصين فاحضرهُ فسلم وطلب الخلوة ففتشوهُ فلم يروا معهُ شيئاً فخرج من كان عند الاسكندر فقال انا ملك الصين جئت أسألك عن الذي تريدهُ فان كان مما يمكن عملهُ عملتهُ وتركت الحرب فقال لهُ الاسكندر ما الذي آمنك مني. قال علمتُ أنك عاقل حكيم ولم يكن بيني وبينك عداوة ولا دخل وأنت تعلم انك ان قتلتني لم يكن قتلي سبباً لتسليم اهل الصين ملكي اليك ثم انك تُنسب الى الغدر. فعلم انهُ عاقل فقال لهُ اريد منك انتفاع ملكك لثلاث سنين عاجلاً ونصف الانتفاع لكل سنة قال قد اجبتك ولكن اسألني كيف يكون حالي قال قل كيف قال اكون اوَّل قتيل لمحارب واول اكلة لمفترس قال فان قنعتُ منك بانتفاع سنتين قال يكون حالي اصلح قليلاً قال فان قنعتُ منك بانتفاع سنة قال يبقى ملكي وتذهب لذاتي قال وان كنت اترك لك ما مضى وآخذ الثلث لكل سنة فكيف يكون حالك قال يكون السدس للفقراء والمساكين ومصالح البلاد والسدس لي والثلث للعسكر والثلث لك. قال قد قنعت منك بذلك فشكرهُ وعاد وسمع العسكر بذلك ففرحوا بالصلح فلما كان الغد خرج ملك الصين بعسكر عظيم أحاط بعسكر الاسكندر فركب الاسكندر والناس فظهر ملك الصين على الفيل وعلى رأسهِ التاج فقال لهُ الاسكندر أغدرت قال لا ولكني أردت ان تعلم اني لم اطعك من ضعف ولكني لما رأيت العالم العلوي مقبلاً عليك اردت طاعتهُ بطاعتك والقرب منهُ بالقرب منك فقال لهُ الاسكندر لا يسام مثلك الجزية فما رأيت بيني وبينك من يستحق الفضل والوصف بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردتهُ منك وانا منصرف عنك فقال لهُ ملك الصين فلست تخسر وبعث اليهِ بضعف ما كان قررهُ معهُ وسار الاسكندر عنهُ من يومهِ ودانت لهُ عامة الارضين في الشرق والغرب وملك التبت وغيرها . انتهى

ولم يذكر ابن خلدون هذه القصة ولا ذكرها احد من المؤرخين الاوربيين في ما نعلم ولكن كثيرين من القصاصين رأوا في سيرة الاسكندر باباً واسعاً للوضع والتصنيف. فكتبوا قصصاً حشوها بالغرائب والمختلقات ولا يبعد ان تكون قد وصلت الى كتّاب العرب فنقلوا عنها بعض ما رووهُ عن الاسكندر ولا ذكر لهُ في كتب المؤرخين الموثوق بهم

هذا ولنعد الى وصف ما لقيهُ الاسكندر في رجوعهِ من الهند الى بلاد فارس فنقول نقلاً عن الاستاذ هويلر الاميركي والعلاَّمة نيبور الالماني

سار الاسكندر بنحو ثلاثين الفاً من رجالهِ متبعاً طريق الساحل فلما كانت البلاد آهلة اضطرَّ ان يحارب اهلها لكي يستطيع السير فيها حتى بلغ مفازة مكران على ساحل بلوخستان وهي اشد المفاوز حرًّا واقلها ماء وكان همهُ الوحيد في اول الامر ان يجمع المؤن ويضعها على الشاطىء ويحفر الآبار بجانبها حتى اذا وصلت السفن اليها وجدت فيها طعاماً وشراباً فلما اتسعت المفازة امامهُ وبعُد عن المعمور لم يعد يجد طعاماً لرجالهِ ولا ماء لهم واشتدت حمارة الحر ودق الرمل في الكثبان حتى صار السير فيها شديد المشقة لان الماشي كان يغرق في الرمل الى ركبتهِ وبعث الروَّاد امامهُ في كل جهة فعادوا اليهِ وقالوا انهم وجدوا بعض السكان عند شاطىء البحر طعامهم السمك لا غير وشرابهم من الماء الملح المتحلب من البحر وبيوتهم من عظام الحيتان وهم على غاية الذل والمسكنة

وكانت المياه تقلُّ بتقدمهم غربًا حتى صاروا يسيرون اربعين ميلاً او خمسين ولا يجدون نقطة ماء يطفئون بها ظمأهم وخارت قواهم من الجوع وجعلوا ينحرون ما معهم من الدواب ويشربون دمها ويأكلون لحمها وعصت الجنود قوَّادها فصارت تفتح اكياس الحنطة ولو كانت مختومة بخاتم الاسكندر وتأكل ما فيها وتفك الدواب من المركبات التي فيها المرضى وتذبحها وتأكلها وتترك المرضى في القفر ليهلكوا

واشتد العطش بالاسكندر كما اشتدَّ بجنودهِ حتى خارت قواهُ وذات يوم وجد جنديٌّ قليلاً من الماء في منخفض من الارض فحفنهُ بخوذتهِ واتاهُ بهِ فلم يشربهُ بل صبهُ امام جنودهِ على الارض لكي لا يميز نفسهُ عليهم. ستون يوماً من ايام الشدة والضيق لم يرَ احد من الاوربيين مثلها في تلك المفازة غير واحد وهو الملازم بوتنجر الانكليزي . واخيراً وصل واحة فورا بمن بقي معهُ من رجالهِ وهم نصف الذين ساروا معهُ في تلك المفازة وصلوا وهم على آخر رمق فاستراحوا هناك اياماً ولمّوا شعثهم وساروا الى قرمان فالتقوا بالجنود التي سارت بطريق قندهار ثم جاءتهم النجدات من بلاد مادي وبعث اليهم مرزبان ايران بالجمال محملة بالاطعمة والاطايب

فقرَّب الاسكندر ذبائح الشكر للآلهة لانها غلَّبتهُ على بلاد الهند ونجتهُ من الهلاك في تلك المفازة واحتفل بذلك احتفالاً عظيماً

ثم وصلت السفن بمن فيها الى المكان المسمى الآن بندر عباس بعد ان لقوا الشدائد من اضطراب البحر وقلة الماء والزاد . وقد كتب نيرخس امير البحر رحلتهُ ووصف فيها ما شاهدهُ من غرائب الاوقيانوس الهندي . وقام الاسكندر من هناك وعاد الى السوس (شوشن القصر) وكان قد مرَّ عليهِ ضارباً في بلدان المشرق ست سنوات وشاع مراراً كثيرة انهُ قضى نحبهُ فيها فشقت بلدان كثيرة عصا الطاعة ولذلك كان عليهِ ان يرد الامن والنظام الى سلطنتهِ الوسيعة بعد ان كاد ظلها يتقلص منها فعزل ونصب وقاص وسامح حسب مقتضى الحال من غير ابطاء ولا تسويف . وكان شأنهُ تقليد المناصب للرجال وائتمانهم عليها واطلاق يدهم فيها فان احسنوا فلهم وان اساءوا اقتصَّ منهم من غير امهال اقتصاصاً يذهب الضرر ويجلب النفع كأنهُ يقتصُّ من الذنب لا من المذنب ويقصد الاصلاح لا الانتقام . ولم يكن يغير نظاماً قديماً اذا وجدهُ صالحاً لغرضهِ ولكنهُ كان يضيف اليهِ التغيير الذي يشاءهُ كأنهُ يطعم غصناً جديداً في شجرة قديمة لكي ينمو فيها ولولا ذلك ما استطاع ان يغيب عن بلاد الفرس خمس سنوات او ستاً وتبقى في طاعتهِ

وكان اسلوبهُ واحداً في الغالب وهو ابقاء الملوك والولاة في مناصبهم وفصل الجيش عنهم ووضعهُ تحت امارة قائد خاص يرجع في اموره الى الاسكندر مباشرة لانهُ كان قائداً عاماً للجيوش كلها . وفصل المدن الكبيرة عن الاقاليم المجاورة لها واعطاها نوعاً من الاستقلال كما في مدن اليونان فوقعت المناظرة بينها وبين الاقاليم وضعفت سلطة الملوك والولاة فلم تعد كلمتهم تجتمع عليهِ وقويت سلطة الشعب لان سكان المدن يرون في نفوسهم القوة والعزَّة ويتناصرون في الدفاع عن مصالحهم العامَّة وهذا هو النظام اليوناني الذي ادخلهُ الاسكندر الى بلدان المشرق

ولم يكد بالهُ يطمئن بعد رجوعهِ الى السوس حتى ظهرت فيهِ آثار الاكرام والاحترام للمشرق وعادات اهلهِ فانهُ دخلهُ محارباً ظافراً ولكنهُ لم يغمض عينيهِ عما رآهُ فيهِ من الحسنات من الوئام بين طوائف مصر والانتظام في ممالك الفرس والبسالة عند رجال بخارا وذلك كله يفوق ما كان عند اليونان بمراحل فعزم ان يمزج عمران المشرق بعمران المغرب ويؤالف بينهما وقوي فيهِ هذا العزم رويداً رويداً بمرور الايام . لكن رجالهُ المكدونيين لم يكونوا من رأيهِ بل كانوا يزعمون ان الغالب يجب ان يبقى غالباً ولا يمتزج بالمغلوب كما يقول اكثر

الاوربيين في هذه الايام . وكان الفتح في عرفهم قهر الاعداء وتدويخ بلادهم ونهبها . وهو ليس فتحاً بمعناه الحقيقي بل هو غزو ونهب ولكنهم لم يدركوا ذلك بل حسبوا ان الاسكندر مال الى المشارقة وابقى امراءهم في مناصبهم عناداً منهُ واغضاباً لقومهِ

ولما عاد من بلاد الهند كان شغلهُ الشاغل تنظيم المملكة الواسعة التي فتحها وكان ارسطوطاليس قد وضع في ذهنهِ ان عقول اليونان اسمى العقول كلها ويجب ان تخضع لها كل الامم لكنهُ لما ضرب في بلدان المشرق ورأى ما عند سكانهِ من معالم العمران وجد بالحس والمشاهدة ان ارسطوطاليس مخطئ في زعمهِ وان في المشرق من العقول الذكية ما لا تفوقهُ عقول اليونان وانهُ لا يليق افساد عمران المشرق وجلب العمران اليوناني اليهِ بل لا بدَّ من مزج الاثنين معاً والابقاء على عادات المشارقة واساليبهم . وهنا تظهر عظمة الرجل اكثر مما تظهر في قهرهِ الملوك وفتحهِ البلدان لان كثيرين يستطيعون التخريب والتدمير ولكن قليلين يستطيعون التعمير والتنظيم . وقد ماتت هذه العظمة بموت الاسكندر كما تموت حبَّة الحنطة ثم نمت ثانية في المملكة الرومانية الغربية والشرقية

ولما وصل الاسكندر الى السوس واراد الاحتفال برجوعهِ ورجوع جنودهِ غالبين غانمين عزم ان يلبس هذا الاحتفال حلَّة المزج الذي كان ينويهِ بين المشرق والمغرب فجمع خاصة قوادهِ والمقربين منهُ وهم اثنان وتسعون وطلب منهم ان يختاروا لهم زوجات من اشرف بنات الفرس واختار هو ستاتيرا ابنة داريوس الكبرى زوجة لهُ وزُفت هؤلاء الزوجات الى ازواجهنَّ في دار كبيرة وُضعت فيها الارائك قوائمها من الذهب والفضة وعليها فاخر الرياش المطرز بخيوط الذهب ومدَّت فيها الولائم ودام الاحتفال خمسة ايام جرت فيها الالعاب المدهشة وخُطبت الخطب البليغة وتغنى مشاهير الموسيقيين على آلات الطرب ورقص الكبراء والعظماء

قال اريانوس ان الاحتفال جرى على الاسلوب الفارسي فوُضعت العروش للرجال بعضها بجانب بعض ثم دخلت العرائس فاخذ كل رجل عروسهُ وقبَّلها واجلسها معهُ على عرشهِ مبتدئين من الاسكندر ثم نهض الاسكندر وخرج مع عروسهِ وتبعهُ رجالهُ وسار كل منهم بعروسهِ الى دارهِ . وكان مهر هؤلاء العرائس كلهنَّ من الاسكندر . وامر ان تكتب اسماء كل المكدونيين الذين اختاروا لهم زوجات من بنات اسيا فوُجدوا عشرة آلاف فوهبهم كلهم هبات سنية واجزل عطاياهم

ثم امر المنادي ان ينادي قائلاً ان كل من كان عليهِ دين يكتب اسمهُ ومقدار ما عليهِ من الدين فيوفى عنهُ فلم يصدق رجالهُ ذلك بل حسبوهُ حيلة منهُ ليعلم من منهم اسرف

واستدان وبلغة قولهم فاستاء وامر ان يوفى دين كل من يطلب ايفاء دينهِ ولو لم يعرف اسمهُ فاوفى من الديون عن رجالهِ ما بلغ عشرين الف وزنة من الفضة . ثم وهب الهبات السنية للذين امتازوا في اعمالهم الحربية وألبس بعضهم تيجاناً من الذهب

ونظر في امر الجيش وكان رجالهُ المكدونيون واليونانيون ممتازين عن الفرق التي اضيفت اليهِ من اهالي اسيا فرأى ان لا بدَّ من ان يعود كثيرون من رجالهِ الى بلادهم واراد ان يقوّي العناصر الشرقية في جيشهِ ويجعل مقامها مثل مقام الجنود اليونانية فاختار ثلاثين الفاً من نخبة شبان المشرق وامر ان يعلموا الفنون الحربية على الاساليب اليونانية فكبر ذلك على اليونانيين والمكدونيين وحسبوا انهُ يقصد الاستغناء عنهم كلهم وجاهروا بذلك علانية فجمع رؤساءهم وابان لهم فساد ظنونهم وبين الحكمة من استخدامهِ الشرقيين في الجيش وان ذلك يسهل عليهم العودة الى اوطانهم مشمولين بكرمهِ

فلم يصغوا الى كلامهِ بل قالوا لهُ قد استخدمتنا لما كنت محتاجاً الينا اما وقد قضيت لبانتك فانت تريد الآن ابعادنا عنك . فاما ان نمضي كلنا معاً او نبقى كلنا . واشتدَّ الهرج والمرج حتى كادت الفتنة تفشو في الجند كلهِ . وكان جالساً على دكة فنزل عنها سريعاً ودخل بين رجالهِ وجعل يقبض على زعماء الفتنة بيدهِ ويأمر ان يودعوا السجن فاخذتهم الدهشة وتملكهم الرعب ثم صعد الى الدكة ونظر اليهم وخاطبهم قائلاً

" اني اخاطبكم الآن لا لكي امنعكم عن مغادرتي ورجوعكم الى بلادكم لاني لا احظر عليكم الذهاب اينما اردتم ولكنني اود ان ابين لكم كيف جازيتم الذين اوصلوكم الى هذه الحالة فان ابي وجدكم فقراء مستضعفين تلبسون جلود الحيوانات وترعون قطعانكم في الجبال وتضطرون ان تذودوا عنها فالبسكم لباس الجند وانزلكم في المدن وسنَّ لكم السنن وجعلكم سادةً للبرابرة الذين حولكم بعد ان كنتم عبيداً لهم وفتح المناجم لصناعكم والمرافىء لتجارتكم ورؤَّسكم على التساليين الذين كنتم تهابونهم واخضع لكم الفوشيين وفتح لكم السبل الى بلاد اليونان نفسها . وبعد ان كنتم تحملون الجزية الى اثينا وتنظرون بالرهبة الى طيبة صارت هاتان المدينتان تنظران الينا نظر المسود الى السيد . ودخل ابي بلاد اليونان وجُعل قائداً لهم في محاربتهم للفرس فعاد ذلك بالفخر عليكم لا عليهِ . هذا ما فعلهُ ابي وهو كبير اذا نُظر اليهِ بنفسهِ وصغير اذا قوبل بما فعلتهُ انا

فقد ورثتُ من ابي قليلاً من كؤوس الذهب والفضة وخزينة فيها اقل من ثلاثين وزنة وعليها من الدين اكثر من خمس مئة وزنة فاستدنت فوقها ثمانمئة وزنة وخرجت بكم من بلاد

ليس فيها ما يقوتكم فنفتحنا طريقاً كان في يد الفرس وقهرنا مرازبة داريوس ودوخنا ايونيا وايليا وفريجية وليدية وعدتم بثمار الظفر . وفاضت عليكم خيرات مصر والقيروان وملكتم سورية وفلسطين وما بين النهرين ودانت لكم بابل وبلخ والسوس وامتلكتم ثروة الليديين و كنوز الفرس وخزائن الهند وقام منكم القواد والمرازبة ولم ينلني من ذلك كله غير هذا الاكليل وهذا البرفير. وما منكم مَن يستطيع ان يشير بيده الى خزانة ويقول هنا اموال الاسكندر لان المال الذي غنمتهُ لكم كلهُ وليس لي منهُ شيء ولا حاجة بي الى شيء منهُ . طعامي مثل طعامكم ومنامي مثل منامكم بل انا ابسط معيشة من كثيرين منكم اسهر لكي تناموا واتعب لكي تستريحوا

مَن يقدر ان يقول انهُ تعب لي اكثر مما تعبت لهُ هلموا اروني مَن منكم في بدنهِ جراح اكثر مما في بدني . ما من عضو من اعضائي الاَّ وهو مجروح بآلة من آلات الحرب بسيف او بسهم او برمح. رُشقت بالحجارة ضُربت بالنبابيت وانا اقودكم الى الظفر والمجد والسعة برّاً و بحراً في السهول والجبال والاودية. تزوجت معكم مثل واحد منكم واوفيت دين المديونيين منكم من غير ان اسأل عن اسمائهم فوق ما اعطيتكم من الغنائم. والذين امتازوا منكم ببسالتهم كُللوا باكاليل من ذهب والذين قُتلوا دفنوا بالفخار والمجد العسكري واقيمت لهم التماثيل في مدنهم واعفي اولادهم من الاموال الاميرية

والآن خطر لي ان اصرف الذين استحقوا الراحة منكم ولم يعودوا يصلحون لتجشم مشاق الحروب لكي يمضوا الى اوطانهم و يظهروا بالفخر امام ابناء بلادهم لكنكم تطلبون ان تمضوا كلكم وتتركوني فامضوا امضوا الى اوطانكم واخبروا اقرانكم ان ملككم الاسكندر الذي غلب بكم الفرس والماديين والبلخيين ودوّخ كل بلدان المشرق وعبر مفاوز بلوخستان هجرتموهُ بعد ان عاد بكم الى السوس وتركتموهُ لحماية الذين غلبهم وعسى ان تجدوا ما يبرركم في عيون الناس والآلهة فامضوا بسلام"

قال ذلك وقام ودخل قصرهُ ولم يعد يخرج منهُ ووقف الجنود حيارى لا يدرون ما يفعلون ولا الى اين يمضون ومضى يومان ولا احد يجسر ان يقابل الاسكندر او يشفع لهُ في جنودهِ وفي اليوم الثالث امر بتأليف الفيالق من الفرس والماديين فهاجت جنودهُ وماجت واسرعوا الى قصرهِ ورموا اسلحتهم وانطرحوا على الارض وجعلوا يتوسلون اليهِ ليعفو عنهم و يريهم وجههُ و يشفق عليهم وبعد اللتيا والتي عفا عنهم واصطلح معهم . واولم لذلك وليمة فاخرة جلس فيها المكدونيون والفرس معاً وسكبوا السكائب للآلهة واشترك كهنة اليونان ومجوس الفرس في الطلب منها واستجلاب رضاها وبذلك انتهت اخر مقاومة ابداها المكدنيون لرأي الاسكندر وعاد عشرة

آلاف منهم الى بلادهم ومع كل واحد منهم وزنة فوق راتبهِ وعاد معهم كراتروس وأُمر ان يتولى حكومة مكدونية وتراسيا وتساليا وابيروس وان يأتي انتيباتر حاكمها ومعهُ نجدات جديدة فعاد هؤلاء العشرة الآلاف يدعون بالنصر للاسكندر وينادون بفضل الاسلوب الجديد لمزج الشرق بالغرب

وارسل نيكانور ينوب عنهُ في الالعاب الاولمبيَّة ومعهُ براءة عامَّة منهُ لجميع المنفيين ليعودوا الى اوطانهم ويقال انهُ اجتمع في الالعاب الاولمبية عشرون الفاً من هؤلاء المنفيين ليسمعوا البراءة التي تجيز لهم الرجوع الى اوطانهم واسترجاع الحقوق المدنيَّة .وزاد بذلك عدد المنتصرين لهُ والقائلين بقولهِ واشار بعضهم حينئذٍ بتأليهِ وعبادتهِ كما تعبد الآلهة ولكن لا دليل على ان هذه المشورة قُبِلَت الَّا بعد موتهِ وحينئذٍ صوروهُ وعليهِ جلد الاسد مثل هرقل او على رأسهِ قرنا الثور مثل امون ووضعوا صورتهُ على النقود بدل صورة الآلهة

وسار الاسكندر الى همذان وعاد في الربيع الى بابل وكان كهنة الكلدان يحذرونهُ من المضي اليها لكنهُ لم يعبأ بتحذيرهم واهتم وهو هناك بريّ الارض وانشاء الترع وتنظيم الجيش والتأهب لغزوة بلاد العرب برًّا وبحرًا وغزوة البلاد التي بين نهر جيحون والدنيوب . وفي اواخر شهر مايو (ايار) سنة ٣٢٣ قبل الميلاد تمَّ انشاء السفن التي قصد تدويخ سواحل بلاد العرب بها لكنهُ مرض في اليوم الثاني من شهر يونيو وكان قد افرط في شرب المسكر في الليلة السابقة في بيت صديقهِ مديوس فلما عاد الى قصرهِ اغتسل واكل قليلاً ونام وهو يشعر بقليل من الحمَّى وحُمل في الصباح على سرير الى المعبد لتقديم ذبيحة الصباح وبقي مستلقياً النهار كلهُ في بهو القصر وقابل قوادهُ وعيَّن اليوم الخامس من الشهر لقيام الجنود واليوم السادس لقيام السفن وفي المساء سار في زورق الى البساتين عبْر النهر واغتسل هناك ونام . وفي اليوم التالي (وهو ٣ يونيو) اغتسل وقرب ذبيحة الصباح ولعب النرد مع مديوس وارسل يدعو قوادهُ ليجتمعوا عندهُ في الصباح التالي لكن الحمى اشتدَّت عليهِ تلك الليلة وقام في الصباح واغتسل وقرَّب الذبائح وتذاكر مع نيرخس وغيرهِ من رؤساء السفن وامرهم ان يكونوا مستعدين للسفر بعد الغد حاسباً انهُ يكون قد تعافى حينئذٍ ليسير معهم. وفي الثامن من الشهر بلغت الحمى درجة الخطر وأُمر القواد حينئذٍ ان لا يفارقوهُ وكان ينظر اليهم ولا يستطيع الكلام ولم يعُد قادرًا على تقديم ذبيحة الصباح وترك الاغتسال منذ اليوم السادس فزاد قلق رجالهِ واستولى عليهم اليأس. وشاع في اليوم الثاني عشر انهُ مات وان حرَّاسهُ اخفوا خبر موتهِ فاتى الجنود القصر وطلبوا ان يروهُ ففتحوا الابواب قوةً واقتدارًا وقائدهم اليهِ الحب لهُ

والتعلّق بهِ والحزن عليهِ ولما وقفوا امامهُ رفع رأسهُ قليلاً وودعهم الوداع الاخير بعينيهِ لا بلسانهِ

وفاضت روحهُ في اليوم التالي عند المساء وهو الثالث عشر من شهر يونيو سنة ٣٢٣ قبل المسيح وعمرهُ ٣٢ سنة وثمانية اشهر ولم يوصِ بملكهِ لاحد ويقال ان اخصاءهُ سألوهُ لمن توصي بالملك بعدك فقال هامساً للرجل الافضل

وقد اختلفت الاقوال في سبب موتهِ فمن قائل انهُ مات مسموماً ومن قائل ان السكر اودى بهِ ولكن يظهر من الوصف المتقدم وهو منقول عن اخبار ايامهِ انهُ مات بالحمى الملاريّة التي تكثر صيفاً في آجام بابل ويوصلها البعوض الى الناس او بالحمى التفويدية . اما السكر فان كان لهُ اثر فيهِ فيكون اضعاف جسمهِ عن مقاومة ميكروب الحمى

مات الاسكندر فوجفت القلوب وا تعدت الفرائص من رهبة الموت. مات الاسكندر فوقف نبض المسكونة وذهلت ممالك الارض مات ولا ملك يخلفهُ. كان لهُ ولد اسمهُ هيراقليس من بارسيني ارملة ممنون التي اخذها من اسوس لكنها كانت سبيّة لما ولدتهُ لهُ فلم يحسبهُ ابناً شرعياً. وكانت زوجتهُ ركسانة حاملاً فلا يُعلَم اتلد ذكرًا او انثى وكان لهُ اخ اسمهُ ارهيديوس من ابيهِ لا من امهِ وهو ابله سخيف العقل هؤلاء هم الورثة لسرير الملك ابن غير شرعي واخ ابله وجنين في بطن امهِ . وبديهي ان الابطال الذين ساعدوهُ في فتوحاتهِ واحرزوا لهُ النصر في غزواتهِ اولى بملكهِ من كل احد لكنهم اختلفوا في ذلك فقال بطليموس بتجزئة المملكة بين قوادهِ وقال ملياجر بتنصيب ابنهِ هيراقليس ابن بارسيني المشار اليهِ آنفًا او اخيهِ ارهيديوس واشار برد كاس بانتظار ما يولد من ركسانة وبدير اربعة من العظماء شؤون المملكة في غضون ذلك

فرضي الفرسان بهذا الرأي الاخير لانهم من الخاصّة واما المشاة وهم من العامة فلم يرضوا بهِ لانهم حسبوا انهُ يعود بهم الى حكم الخاصة واستبدادهم واخيرًا تم الاتفاق بين الفريقين على ان ينادى باسم اخي الاسكندر ملكاً الى ان تلد زوجتهُ ركسانة فان ولدت ذكرًا كان هو الملك وتبقى ادارة السلطنة في يد اربعة من القوّاد . وبعد شهر من الزمان ولدت ركسانة ذكرًا فسمي الاسكندر ونودي بهِ ملكاً وهذان الملكان اي اخو الاسكندر وابنهُ تسلطا بالاسم لا بالفعل الى ان قضي عليهما الاول بيد زوجتهِ سنة ٣١٧ ق . م والثاني بامر كسندر سنة ٣١١ ق . م وبذلك انقرض نسل الاسكندر

واشتدّ الخصام بين قواد الاسكندر الى ان انقسمت مملكتهُ اربعة اقسام سورية وبابل وعليها سلوقوس. ومصر وعليها بطليموس. وتراقية واسيا الصغرى وعليهما لسياخوس. ومكدونية وبلاد اليونان وعليهما كسندر

وقد ذكر مؤرخو العرب موت الاسكندر ورثاء الحكماء لهُ على اسلوب لم نقف عليهِ في غير كتبهم قال ابن الاثير " ورجع الاسكندر الى العراق فمات في طريقهِ بشهر زور بعلة الخوانيق وكان عمرهُ ستاً وثلاثين سنة في قول ودفن في تابوت من ذهب مرصع بالجوهر وطُلي بالصبر لئلاَّ يتغير وحُمل الى امهِ بالاسكندرية وكان ملكهُ اربع عشرة سنة وقتل دارا في السنة الثالثة من ملكهِ وبنى اثنتي عشرة مدينة منها اصبهان وهي التي يقال لها جي ومدينة هراة ومرو وسمرقند وبنى بالسواد مدينة لروشنك ابنة دارا وبارض اليونان مدينة وبمصر الاسكندرية فلما مات اطاف بهِ من معهُ من الحكماء اليونانيين والفرس والهند وغيرهم فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً ووضع يدهُ على التابوت وقال اصبح آسر الاسراء اسيراً. وقال آخر هذا الملك كان يخبأ الذهب فقد صار الذهب يخبؤهُ. وقال آخر ما ازهد الناس في هذا الجسد وما ارغبهم في التابوت. وقال آخر من اعجب العجب ان القويَّ قد غلب والضعفاء لاهون مغترون. وقال آخر هذا الذي جعل اجلهُ ضماراً وجعل املهُ عياناً هلاَّ باعدت من اجلك لتبلغ بعض املك بل هلاَّ خففت من املك بالامتناع من وفور اجلك . وقال آخر ايها الساعي المنتصب جمعت ما خذلك عن الاحتياج اليهِ فغودرت عليك اوزارهُ وقارفت آثامهُ فجمعت لغيرك واثمهُ عليك. وقال آخر قد كنت لنا واعظاً فما وعظتنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان لهُ معقول فليعقل ومن كان معتبراً فليعتبر. وقال آخر رُبَّ هائب لك يخافك من ورائك وهو اليوم بحضرتك ولا يخافك . وقال آخر رُبَّ حريص على سكوتك اذ لا تسكت وهو اليوم حريص على كلامك ولا تتكلم . وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلاَّ تموت وقد ماتت . وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك . وقال آخر هذا يوم عظيم اقبل من شرهِ ما كان مدبراً وادبر من خيرهِ ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على من زال ملكهُ فليبكِ. وقال آخر يا عظيم السلطان اضمحلَّ سلطانك كما اضمحلَّ ظل السحاب وعفت آثار مملكتك كما عفت آثار الذباب. وقال آخر يا من ضاقت عليهِ الارض طولاً وعرضاً ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها . وقال آخر اعجبوا ممن كان هذا سبيلهُ كيف شهر نفسهُ بجمع الاموال الحطام البائد الهشيم النافد . وقال آخر ايها الجمع الحافل والملقى الفاضل لا ترغبوا فيما لايدوم سرورهُ وتنقطع لذتهُ فقد بان لكم الصلاح والرشاد من الغي والفساد . وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى. وقال آخر يا من كان غضبهُ الموت هلاَّ غضبت على الموت . وقال آخر قد رأيتم هذا الملك الماضي فليتعظ بهِ هذا الملك الباقي .

وقال آخر ان الذي كانت الآذان تنصت لهُ قد سكت فليتكلم الآن كل ساكت. وقال آخر سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موتهُ . وقال آخر مالك لا تقل عضواً من اعضائك وقد كنت تستقل بملك الارض بل مالك لا ترغب عن ضيق المكان الذي انت فيهِ وقد كنت ترغب عن رحب البلاد. وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد اولى ان يكون في اوّلها . وقال صاحب مائدتهِ قد فرشت النمارق ونضدت النضائد ولا ارى عميد القوم . وقال صاحب بيت مالهِ قد كنت تأمرني بالادّخار فالى من ادفع ذخائرك . وقال آخر هذه الدنيا الطويلة العريضة قد طويت منها في سبعة اشبار ولو كنت بذلك موقناً لم تحمل على نفسك في الطلب. وقالت زوجتهُ روشنك ما كنت احسب ان غالب دارا يُغلب فان الكلام الذي سمعت منكم فيهِ شماتة فقد خلف الكاس الذي شرب بهِ ليشربهُ الجماعة. وقالت امهُ حين بلغها موتهُ لئن فقدتُ من ابني امرهُ لم يفقد من قلبي ذكرهُ"

وحُملت جثتهُ الى الاسكندرية بعد تحنيطها ودُفنت في تابوت من الذهب دفنها فيهِ بطليموس ويقال ان هذا التابوت باقٍ في الاسكندرية حتى الآن في مدفن يتعذَّر الوصول اليهِ

وقد اختلف الباحثون في ما جنتهُ المسكونة من غزوات الاسكندر من المنافع والمضار والجمهور على ان المنافع اكثر من المضار كثيراً قال كاتب ترجمتهِ في انسكلوبيذيا تشمبرس انهُ كان اكثر من فاتح فهو الذي نشر اللغة اليونانية والعمران اليوناني في المسكونة ولهُ الفضل الاول في اكثر ما عرفهُ الاقدمون من علم الجغرافية والتاريخ وهو الذي علّم الاوربيين طريق الهند واراهم من مجدها ما ادهشهم مدة عشرين قرناً كما تقدم. لكن المؤرّخ نيبور الشهير ذهب الى ضد ذلك فقال ما خلاصتهُ ان بلاد اليونان جنت من فتوحاتهِ الضرر واصابها السل بمن فقدتهم من رجالها الذين تركوها واستوطنوا اسيا وانتقلت التجارة منها الى الاسكندرية . وبلاد مصر جنت منها النفع لان حالها صارت في عهد البطالسة اصلح منها في عهد الفرس . واهالي اسيا الصغرى تمثلوا باليونان في اللغة والاخلاق فنسوا لغاتهم القديمة في اقل من قرن وشاعت بينهم اللغة اليونانية ولكنهم افسدوها ولم يستفيدوا من التمثل باليونان فائدة تذكر. وبلاد الشام استفادت قليلاً ولكن فينيقية خسرت خسارة لم تعوَّض حتى الآن وقامت مقامها الاسكندرية ورودس وانطاكية. وكذلك وقع الضرر بالعراق وبلاد فارس جميعها والمستعمرات التي انشأها الاسكندر فيها لم تفلح زمناً طويلاً ولو طال عمرهُ لرأى تداعي مملكتهِ في ايامهِ فلم يستفد منهُ فائدة كبيرة الاَّ القطر المصري

هذا وسنذكر تاريخ خلفائهِ في الاجزاء التالية مبتدئين بتاريخ البطالسة في مصر

دوق ارجيل

Duke Argyll.

العلم مستقلٌّ عن الجاه وقد تقدَّم على يد ابناء السوقة والعوام اكثر مما تقدَّم على يد ابناء الملوك والعظماء . لكن اذا نصرهُ اهل الجاه وانتظموا في خدمتهِ عظم بهم شأنهُ وزادت رغبة الجمهور فيهِ ولذلك ترى عظماء البلدان التي قُسم لها حظٌّ وافر من الارتقاء يجلّون قدرهُ ولا يأنفون من خطب ودهِ ومشاركة رجالهِ في الاشتغال بهِ . وامثلة ذلك كثيرة بنوع خاص في البلاد الانكليزية فترى فيها العلماء من اهل السيادة مثل لورد بليفير ودوق ارجيل واهل السيادة من العلماء مثل لورد كلفن ولورد لستر وهو من اسرار نجاحها واسباب ارتقائها

وقد نعينا الى قراء المقتطف دوق ارجيل في الجزء الماضي بعد ان قرأوا فيهِ مراراً كثيرة عن علمهِ وفضلهِ ونحن نزيدهم وصفاً لاشغالهِ العلمية فنقول انهُ من اكبر امراء الانكليز واعرقهم نسباً من سلالة البارون كمبل الذي لقب بهذا اللقب سنة ١٤٤٥ اي منذ اكثر من اربع مئة وخمسين سنة . وقد اشتهر اسلافهُ في بلادهم شهرة فائقة فاقتفى آثارهم في الاشتغال بسياسة بلادهِ وفاقهم بتضلعهِ من العلوم الفلسفية والطبيعية وبكونهِ من ارباب الاقلام الذين يضنون بعلمهم ان يبقى في صدورهم فيبثونهُ في الآفاق لينفعوا بهِ ابناء وطنهم . ولم تشغلهُ السياسة عن العلم فبقي مجارياً لاربابهِ يقرأُ ويبحث ويكتب ويخطب وامتاز من اول ظهورهِ الى ان ادركتهُ الوفاة بالدرس والبحث والانتقاد والانشاء ونصرة المشتغلين بالعلم عموماً . ولم يوفق الى اكتشاف علمي عظيم يخلد بهِ ذكرهُ ولا الى استنتاج حقيقة علمية كبيرة النفع ولكنهُ ساعد العلم بالمشاركة فيهِ فذلك ومنصبهُ السياسي وجاههُ وغناهُ صيرتهُ قوة في البلاد الانكليزية للخير والنفع فاسف عليهِ العلماء والجرائد العلمية كما اسف عليهِ رجال السياسة وجرائدهم

واول علم اشتغل بهِ واشتهر علم الجيولوجيا ويقال انهُ رأى اوراقاً متحجرة عند واحد من رجالهِ منذ خمسين سنة فبحث عن كيفية تكونها ومن ثمَّ شاقهُ علم الجيولوجيا فدرسهُ وكثر اشتغالهُ بهِ . وهو من الكتَّاب المجيدين والناقدين المدققين فاستنتج مما رأى نتائج لا تنطبق على ما استنتجهُ غيرهُ ولذلك اشتدَّ الجدال والحجاج بينهُ وبينهم ولم يتحاشَ قوارص الكلم فاحتدمت نار المناظرة بينهُ وبين هكسلي وتندل وسبنسر وغيرهم من العلماء كما يعلم كلُّ مطلع على مجلدات المقتطف الماضية لكنهُ انصف خصومهُ في العلم ولم يبخسهم حقهم

ثم لما شاع مذهب النشوء كان من اول الباحثين فيهِ والمنتقدين عليهِ وتوالت مقالاتهُ وخطبهُ وكتبهُ في هذا الموضوع فكشف كثيراً من مواقع الضعف في اقوال النشوئيين وحججهم

وبلغ بحثهُ ادقهُ في ما كتبهُ عن ملابسات مذهب النشوء في كتابهِ سلطان الشريعة وكتابهِ وحدة الطبيعة . وهذان الكتابان يدلان على علم واسع ورأي صائب وفضل راجح وحجة قوية وبلاغة في الانشاء قلما فاقهُ فيها احد

وكان عالي الهمة شديد العزيمة تستفزهُ المناظرة الى مساجلة العلماء وتشديد الوطأة عليهم كانهُ يناظر خصومهُ في السياسة . ولذلك ولانفتهِ الطبيعية كان يكلم الناس كرئيس يكلم مرؤوسيهِ او استاذ يكلم تلامذتهُ فلم يتيسر لهُ قياد الجمهور وبلوغ المنزلة العليا بين رجال السياسة ولا اقتصر على علم واحد فجارى النابغين فيهِ من رجال العلم ولذلك لا يعدُّ في طبقة غلادستون بين رجال السياسة ولا في طبقة هكسلي بين رجال العلم . وقد وصفهُ احد العامة وصفاً بليغاً بقولهِ " انهُ في مركز حرج جداً لان سموَّ نسبهِ منعهُ من الامتزاج برجال العلم وسمو عقلهِ منعهُ من الامتزاج برجال النسب "

وكان مغرماً بحب الطبيعة واستجلاء غوامضها فيقضي الايام والاسابيع يبحث عن المتحجرات والاصداف وآثار البحر في البر وآثار ما خالهُ طوفان نوح وقد فعل ذلك سنة بعد سنة منذ علق قلبهُ حب الطبيعة

وكان غرضهُ الاكبر نصرة الدين على ما يخالفهُ من العلوم الطبيعية لكنهُ لم يرضِ رجال الدين ولا ارضى رجال العلم لانهُ سلَّم بامور كثيرة لا يسلّم بها رجال الدين عادةً او لم يكونوا يسلمون بها وانكر اموراً أُخرى يعتقد رجال العلم صحتها كما ترى في خطبتهِ عن الطوفان التي ترجمناها ونشرناها في المجلد الثامن من المقتطف فانهُ اثبت فيها ان طوفان نوح ارتفع الماء فيهِ ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ قدم على الاكثر . والنص صريح في التوراة على ان المياه " غطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء . فمحا الله بها كل قائم كان على وجه الارض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء " . فما حاول اثباتهُ لا ينطبق على العلم الطبيعي ولا على نص التوراة

ولم يقتصر على البحث في المسائل السياسية والطبيعية بل كان يبحث في كل موضوع في التاريخ واللاهوت والفلسفة والاقتصاد وما وراء الطبيعة كما يظهر من كتبهِ الكثيرة والمقالات العديدة التي كان ينشرها في المجلات والجرائد الدينية والعلمية والادبية والسياسية

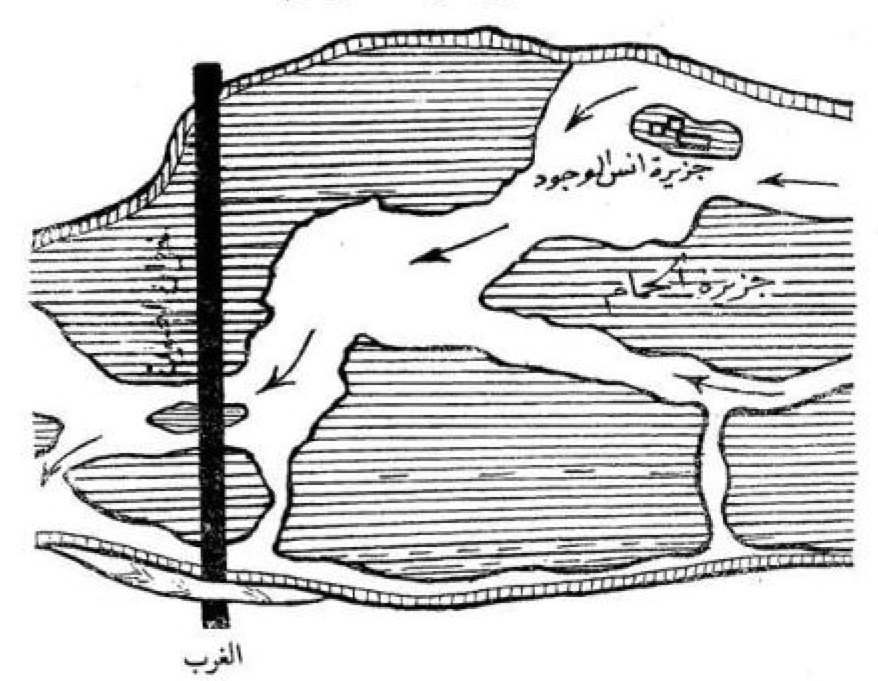
وكانت مباحثهُ العلمية تساعدهُ على مناظراتهِ السياسية فقد وصف المستر غلادستون وحزبهُ مرةً بقولهِ انهم مثل السمك الغروي الذي يظهر جميلاً للنظر لكنهُ خالٍ من العظم ويبدو متحركاً في الماء وهو في الحقيقة ساكن والماء يحملهُ

ورأس مجمع ترقية العلوم البريطاني سنة ١٨٥٥ وجمعية ايدنبرج الملكية سنة ١٨٦١ ولهُ

اولاد كثيرون اكبر ابنائهِ مركيز لورن زوج البرنسس لويز ابنة ملكة الانكليز واكبر بناتهِ زوجة دوق نورثمبرلند

وصف الخزان

لسعادة حسن بك واصف مدير الفيوم



قصدتُ الوجه القبلي لمشاهدة آثار القدماء ومعابدهم وما هو منقوش عليها من الرسوم ثم لمعاينة ما تشيدهُ يد الانسان الآن من الاعمال الفخيمة في خزان اصوان الذي سيكون سبباً لزيادة ثروة مصر ودوام الراحة والرفاهة لسكانها بتوفير المياه لري اراضيها . لانهُ من المحقق ان خصب هذه الديار يتوقف على نيلها المبارك ولولاهُ لكانت صحراء قاحلة وان جانباً كبيراً من مياه هذا النيل يصب حتى الآن في البحر الابيض المتوسط ويذهب هدراً فلا يستفيد احد منهُ وهو لو خزن الى ايام التحاريق لكانت منهُ الفائدة الكبرى وهذا ما ارادتهُ الحكومة المصرية الآن بانشاء الخزان في اصوان

وقد زرت اصوان في اوائل شهر ابريل وشاهدت هذا البناء العظيم فرأيته يضارع الاهرام متانة ويفرق عنها بان نفعهُ كبير عامٌ وهي لانفع لها

وهو سدٌ عظيم يمتدُّ من الشرق الى الغرب كما يرى في الصورة السابقة يخترق اساسهُ هضبات شلال اصوان وهي من حجر الجرانيت الاصم . طول هذا السد الفا متر اربع مئة متر منها في الجهة الشرقية خالية من الفتحات وكان بناؤها قد تمَّ حينما شاهدناه وما بقي منهُ تصنع فيه مئة وثمانون فتحة او عيناً تقفل لخزن الماء ثم تفتح لخروجه منها وعرض الفتحة من الامام متران و ٩٤ سنتمترًا ومن الوراء متران فقط وبين كل فتحة واخرى بغلة سمكها خمسة امتار وبين كل عشر فتحات دعامة من الخلف عرضها خمسة امتار وهي بارزة عن بناء الواجهة مترًا وفي الطرف الغربي من السد فتحة كبيرة عرضها تسعة امتار ونصف متر وستكون هويسًا لمرور المراكب والوابورات الصاعدة والنازلة في النيل ويقسم هذا الهويس الى ثلاثة احواض تسهيلاً لمرور السفن وقد انشئت ترعة امام هذه الفتحة وكسيت بالحجر كما ترى في الشكل

وسمك هذا السد من اسفله ثلاثون مترًا ثم يدق رويدًا رويدًا ويبلغ متوسط سمكهُ ثمانية عشر مترًا فيميل البناء من الجهة الامامية والخلفية حتى يكون هرميًا الى ان يبلغ المنسوب ١٠٥ ثم يصير رأسيًا مسافة مترين وهناك تبتدىء الذروات او الاطناف فتبلغ ثلاثة امتار فيكون اعلى السد عند المنسوب ١١٠ امتار اي يكون اعلاهُ مرتفعاً عن سطح البحر الابيض المتوسط ١١٠ امتار . اما الماء الذي يخزن فيهِ فيبلغ اسفل الذروات اي المنسوب ١٠٧ وحينئذٍ تبقى اكثر المباني التي في جزيرة انس الوجود فوق سطح الماء

وفي اعلى هذا السد طريق عرضهُ في الجزء الخالي من الفتحات خمسة امتار وفي الجزء الذي فيهِ فتحات سبعة امتار

اما الفتحات او العيون فلم تجعل على علو واحد بسبب ما في ارض الخزان من الارتفاعات والانخفاضات ولا جعل طولها واحدًا بل جعل بعضها واطئاً وبعضها عاليًا كما ترى في هذا الجدول

عدد العيون	منسوب قاعها	منسوب عقدها
٦٥	٨٧,٥٠	٩٤,٥٠
٧٥	٩٢,٠٠	٩٩,٠٠
١٨	٩٦,٠٠	٩٩,٠٠
٢٢	١٠٠,٠٠	١٠٣,٥٠

اي انهُ سيكون في اسفل هذا السد ٦٥ عيناً طول العين منها ٧ امتار وعرضها من

الامام نحو ثلاثة امتار ومن الوراء متران و بجانبها ٧٥ عيناً كبيرة مثلها ولكنها اعلى منها قليلاً في وضعها لان منسوب اسفلها اي ارتفاعه عن سطح بحر الروم ٩٢ متراً وارتفاع اعلاها ٩٩ متراً وبينها وفوقها عيون أُخرى اقصر منها و يظهر ذلك كلهُ في هذا الشكل فانهُ قطاع طولي للسد رُسمت فيهِ العيون المختلفة حسب اماكنها واوضاعها وجعل ارتفاعه نحو جزء من ثمانمئة جزء من ارتفاع السد وكذلك العيون ا تفاعها فيهِ نحو جزء من ثمانمئة جزء من ارتفاعها الحقيقي . وجُعل طولهُ نحو جزء من الف ومئتي جزء من طول السد الحقيقي وعرض العيون نحو جزء من الف ومئتي جزء من عرضها الحقيقي . ويظهر في هذا الشكل نسبة العيون بعضها الى بعضها واماكنها في السد فجانب كبير من الجهة الشرقية خالٍ منها لارتفاع قاع النيل هناك ثم تبتدئ العيون العالية وتليها عيون اوطأ منها وهلم جرًّا وقد كتب فيهِ قياس الاطوال والعروض كما ترى

وستقفل هذه العيون او تفتح حسبما يراد وهي متينة البناء جدًّا من حجر الجرانيت الصلد الصقيل وكان المراد ان تكسى بالحديد حفظاً لها من الماء ثم ظهر بالتجارب ان الماء لا يأ كلها لصلابة حجارها فعدل عن استعمال الحديد

والحجارة كلها من الجرانيت كما تقدم والطين من الرمل والسمنت . والحجارة الظاهرة من البناء غير منحوتة وهي تقطع من الجبل المجاور وتأتي بها سكة الحديد وتلقيها في المكان الذي يراد وضعها فيهِ بآلة رافعة . واساس البناء كلهُ من الجرانيت ايضاً ولا يبنى الاَّ بعد الوصول الى صخر صلب متين لا يتفتت

اما متانة البناء ودقة صناعتهِ فما يعجز اليراع عن وصفهِ وسيبقى اثرًا خالدًا لابناء هذا العصر وللحكومة الخديوية التي شادتهُ تنتفع بهِ البلاد وتسرُّ برؤيتهِ العباد



النيل والقطن

اصبح المزارعون والتجار في هذا القطر ولا همَّ لهم الاَّ النيل والقطن ففي يوم واحد يرتفع ثمن القنطار من القطن المصري ريالاً او يهبط ريالاً اي ما يساوي مليوناً من الجنيهات لو أُطلق على المحصول كلهِ وذلك تبعاً لما يُعلم عن زيادة المياه او نقصانها وتشديد المناوبة او تسهيلها. وكل حقيقة عن النيل والفيضان لا تخلو من فائدة كبيرة في هذه الايام وغيرها ولذلك جمعنا الحقائق التالية من كتاب ولكوكس عن الري المصري

(١) مقدار التبخر اليومي في الوجه القبلي ٧ مليمترات في اليوم صيفاً و٥ مليمترات شتاء. وفي الوجه البحري ٣ مليمترات في اليوم صيفاً ومليمتران شتاء

(٢) المياه التي تغور في الارض تزيد على المياه التي تتبخر صيفاً اذا كانت الارض رملية وتقل عنها اذا كانت طفالية ويكون مقدارها حينئذٍ بين مقدار المياه التي تتبخر صيفاً والتي تتبخر شتاء

(٣) عمق البحر الابيض في لادو متران في التحاريق و ٤,٥٠ في الفيضان ويختلف تصريفهُ هناك من ٥٠٠ متر مكعب الى ١٦٠٠ في الثانية ويبتدىء فيضانهُ عادةً في ١٥ ابريل ويبلغ معظمهُ بين ١٥ و ٣٠ اغسطس

(٤) يبتدىء فيضان البحر الازرق في اوائل يونيو ويمتدّ الى آخر اكتوبر

(٥) تصريف البحر الازرق والبحر الابيض متساويان زمن الفيضان واما زمن التحاريق فتصريف البحر الابيض اكثر كثيراً من تصريف البحر الازرق

(٦) لنهر الاتبرة شأن كبير في الفيضان لان تصريفهُ يبلغ احياناً ٦٩٠٠ متر مكعب في الثانية ومتوسط تصريفهِ وقت فيضانهِ ٣١٠٠ متر مكعب ويكون فيضانهُ من يوليو الى اكتوبر واعظمهُ في اغسطس

(٧) يصل الماء من بحيرة فكتوريا الى بحيرة البرت في ثمانية ايام ومن بحيرة البرت الى لادو في خمسة ايام ومن لادو الى الخرطوم في ٣٦ يوماً زمن التحاريق وفي ٢٠ يوماً زمن الفيضان ومن الخرطوم الى اصوان في ٢٦ يوماً زمن التحاريق و١٠ ايام زمن الفيضان ومن

اصوان الى العاصمة في ١٢ يوماً زمن التحاريق و٣ ايام زمن الفيضان . فيصل الماء من بحيرة فكتوريا الى العاصمة في ٩٠ يوماً زمن التحاريق وفي ٥٠ يوماً زمن الفيضان

(٨) يصل الماء في البحر الازرق من منابعهِ في بلاد الحبش الى الخرطوم في ١٧ يوماً زمن التحاريق وفي سبعة ايام زمن الفيضان

(٩) في زمن الفيضان العادي يبتدىء الفيضان في لادو على البحر الابيض في نحو ١٥ ابريل وتبلغ بدايتهُ الخرطوم في ٢٠ مايو واصوان في ١٠ يونيو . وتصل المياه الخضراء التي تبشر بهذا الفيضان الى العاصمة في ٢٠ يونيو

(١٠) يكون المتصرف من البحر الابيض عند الخرطوم ٣٠٠ متر مكعب في الثانية في ٢٠ مايو وذلك في السنين العادية وحينئذٍ يصل الفيضان الى هناك فيزيد المتصرف رويداً رويدًا حتى يبلغ ٤٥٠٠ متر مكعب في الثانية بين ١٥ و ٢٠ سبتمبر

(١١) لا يبتدىء فيضان البحر الازرق في الخرطوم عادة الاَّ في نحو ٥ يونيو و يكون المتصرف منهُ حينئذٍ ١٦٠ مترًا مكعباً في الثانية ثم يزيد بسرعة و يبلغ اعظمهُ في ٢٥ اغسطس حينما يصير المتصرف منهُ ٥٥٠٠ متر مكعب في الثانية . وتبلغ مياههُ الحمراء اصوان في ١٥ يوليو والعاصمة في ٢٥ منهُ

(١٢) يبتدىء فيضان الاتبرة في اوائل يوليو ولكن يمضي عليهِ شهر حتى يبلَّ مجراهُ فلا يجري الماء فيهِ الاَّ في اواخر يوليو و يبلغ معظمهُ في ٢٠ اغسطس و يبلغ المتصرف منهُ حينئذٍ نحو ٤٠٠٠ متر مكعب في الثانية

(١٣) يذهب من النيل بالتبخر بين اصوان والقاهرة ١٣٠ مترًا مكعباً كل ثانية زمن الفيضان

(١٤) يكون متصرف اصوان على اقلهِ في اخر مايو وهو حينئذ في السنين العادية نحو ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية. ويكون متصرف الروضة على اقلهِ في ١٥ يونيو وهو حينئذٍ ٣٨٠ مترًا مكعباً في الثانية

(١٥) حينما يكون متصرف البحر الابيض عند لادو على اقلهِ يبلغ ٥٥٠ مترًا مكعباً في الثانية يصل منها ٣٥٠ مترًا مكعباً في الثانية الى الخرطوم

وحينما يكون متصرف البحر الازرق على اقلهِ يبلغ ١٩٠ مترًا مكعباً في الثانية ويفقد هذا الماء في مسيرهِ الى اصوان ١٣٠ مترًا مكعباً في الثانية بالتبخر فيكون المتصرف عند اصوان ٤١٠ امتار مكعبة في الثانية ولكنهُ هبط احياناً الى ٢١٠ امتار مكعبة في الثانية

(١٦) يؤخذ من كتاب ولكوكس انهُ اذا كان مقياس النيل في اصوان ذراعاً و ١٧ قيراطاً فوق الصفر كان مقدار الماء المتصرف من هناك ٤٣٠ متراً مكعباً في الثانية وكلما نقص المقياس ثلاثة قراريط نقص الماء المتصرف عشرين متراً مكعباً حتى تصل الى الصفر فيصير الماء المتصرف نحو ١٥٧ متراً مكعباً في الثانية كما ترى في هذا الجدول

المقياس		المتصرف	المقياس		المتصرف
ذراع	قيراط	امتار مكعبة	ذراع	قيراط	امتار مكعبة
١	١٧	٤٣٠		١٧	٢٧٠
١	١٤	٤١٠		١٤	٢٥٠
١	١١	٣٩٠		١١	٢٣٠
١	٠٨	٣٧٠		٨	٢١٠
١	٥	٣٥٠		٥	١٩٠
١	٠٢	٣٣٠		٢	١٧٠
٠	٢٣	٣١٠	تحت الصفر	١	١٥٠
	٢٠	٢٩٠	"	٤	١٣٠

فلما بلغ مقياس اصوان ٤ قراريط تحت الصفر كان الماء المتصرف هناك ١٣٠ متراً مكعباً في الثانية اي ١١ مليون متر مكعب في اليوم يصل منها الى القناطر الخيرية نحو ثمانية ملايين متر مكعب فاذا كان المتصرف من القناطر الخيرية ٢٠ مليون متر مكعب في اليوم وجب ان يؤخذ اكثر من نصفها من المخزون في حوض النيل نفسهِ

(١٨) اذا راجعنا السنين الماضية لنعلم في اي وقت بلغ التحاريق اشدَّهُ في اصوان رأينا الوقت يتقدَّم ويتأخر من ٨ مايو الى ٢٤ يونيو كما ترى في هذا الجدول

السنة	معظم التحاريق	السنة	معظم التحاريق
١٨٧٣	٠٥ يونيو	١٨٧٩	٢٣ مايو
١٨٧٤	٣٠ مايو	١٨٨٠	٩ يونيو
١٨٧٥	٢٣ "	١٨٨١	١٤ مايو
١٨٧٦	١٥ يونيو	١٨٨٢	٢٣ يونيو
١٨٧٧	٢٧ مايو	١٨٨٣	٢٢ يونيو
١٨٧٨	٢٣ يونيو	١٨٨٤	٢٧ مايو

السنة	معظم التحاريق	السنة	معظم التحاريق
١٨٨٥	٢١ يونيو	١٨٩٢	١٨ يونيو
١٨٨٦	٠٣ يونيو	١٨٩٣	١٨ يونيو
١٨٨٧	٨ مايو	١٨٩٤	١٦ يونيو
١٨٨٨	٨ يونيو	١٨٩٥	٢٣ يونيو
١٨٨٩	٢٤ يونيو	١٨٩٦	١٣ مايو
١٨٩٠	٨ يونيو	١٨٩٧	٣١ مايو
١٨٩١	١٩ مايو	١٨٩٨	٢٣ يونيو

وكان اعظم ما بلغتهُ التحاريق في ٢٣ يونيو سنة ١٨٧٨ فانها بلغت حينئذٍ ثمانية قراريط فوق الصفر بمقياس اصوان اي بقي مقياس النيل اعلى مما بلغهُ هذا العام باثني عشر قيراطاً

الحمى القلاعية

نشرت مجلَّة الشركة الزراعية الخديوية مقالة في هذا الموضوع للمستر اغسطس ملر اثبت فيها الحقائق التالية وهي

(١) ان الحمى القلاعية مرض معدٍ جدًّا يصيب البقر والغنم والمعزى والخنازير والكلاب والفراخ وقد يصيب الناس ايضاً ولكنهُ اشد فتكهِ بالبقر . ويرافقها طفح حويصلي في الفم وبين الاصابع والاظلاف وفوقها

(٢) بعد العدوى بمدة تختلف من ٢٤ ساعة الى ثلاثة ايام او اربعة ترتفع حرارة الحيوان درجتين الى اربع ويظهر نفاط حويصلي على لسانهِ وباطن شفتيهِ وسقف حلقهِ يختلف اتساعهُ مما يساوي القطعة التي بغرشين الى ما يساوي القطعة التي بعشرة غروش وقد يظهر هذا النفاط على ضرعهِ وتظهر نفاطات صغيرة بين شقوق اظلافهِ وعلى دائرها الاعلى ويزيد المفرز من الانف والعينين و يظهر اضطراب فمهِ بحركة شفتيهِ ويسيل لعابهُ ويعسر عليهِ مضغ طعامهِ وقد يعرج اذا ظهر النفاط في قوائمهِ وبعد قليل تنفصل القشور التي تغطي النفاط وتقع قشوراً مستديرة ويبقى ما تحتها ليناً ثم يتغطى بقشرة أُخرى . وقد تقع الحوافر في بعض الحوادث

(٣) ان سم هذا المرض يخرج من الفم والقوائم ويصل الى الارض فتنتشر العدوى سريعاً . وقد تنتقل العدوى من مديرية الى اخرى بواسطة الكلاب والحشرات . واذا رضع العجل لبن بقرة مصابة بهذا الداء فقد يموت حالاً

(٤) اذا كانت الاصابة شديدة انقطع لبن البقرة كلهُ واذا كانت خفيفة انقطع بعضهُ وبقي البعض الآخر

(٥) اذا كانت الأصابة خفيفة ولم تشتد في قوائم الدابة فالغالب انها تشفى في مدة تختلف من اسبوع الى اسبوعين واما اذا كانت شديدة فالغالب ان الحيوان يهزل وتسقط حوافرهُ او ترم مفاصلهُ

(٦) يمكن اتقاءهذا المرض بتطعيم الحيوان باللفا ممزوجة بدم حيوان آخر اصيب بالمرض وشفي منهُ

(٧) اذا كانت الاصابة خفيفة سارت سيرها وانتهت بالشفاء . وحينئذٍ يجب ان يكون طعام الحيوان مما يسهل مضغهُ مثل الرضة (النخالة) والعشب الاخضر واذا وقعت اظلاف الحيوان تعالج اقدامهُ بمادة قابضة مثل خلات الرصاص ممزوجة بقليل من الحامض الكربوليك واذا ضعف الحيوان كثيرًا وخارت قواهُ يسقى بعض المنعشات مثل الكنياك وروح الايثر النتروس واذا تقرحت اقدامهُ تعالج بمحلول ثقيل من الحامض الكربوليك ومحلول كلوريد الزنك

(٨) اذا شفي الحيوان يغسل جيدًا قبلما يطلق ليسير في الطرق والحقول

القطن والسماد

اشرنا في الجزء الثاني الى التجارب التي جُرّبت في تسميد القطن في هذا القطر ونتائجها نقلاً عمّا نشرهُ المسترفودن في مجلّة الشركة الزراعيّة . وخلاصتها

اولاً ان القطن يستفيد من السماد

ثانياً ان السباخ البلدي الجديد لا يصلح للقطن

ثالثاً ان المسحوق (بودرت) الجيد يفيد القطن اذا اضيف منهُ طن ونصف الى الفدان

رابعاً انهُ اذا كان السماد كثيرًا جدًا لم تكن فائدتهُ على نسبة مقدارهِ اي انهُ يوجد حد للسماد اذا تعدّاهُ لم تعد منهُ فائدة

خامساً انهُ نجح من الجوانو فائدة كبيرة فهو سماد جيد للقطن

سادساً اذا استعملت الحكمة في التسميد نضج القطن باكرًا فزادت الجنية الاولى

ولكن لما نشرت هذه النتائج لم يكن القطن قد حُلج لتُعلم نفقات السماد بالنسبة الى الفائدة الحاصلة من القطن اما الآن فقد حُلج وبيع فكتب المستر فودن نتيجة ذلك في مجلة الشركة وهذه خلاصتها

(١) ان القطن المسبخ بالسباخ البلدي الجديد انتج فدانهُ سبعة قناطير ونصف قنطار

وغير المسبخ انتج سبعة قناطير فقط ولكن القنطار من القطن المسبخ صفى ٩٥ رطلاً ونصف رطل والقنطار من القطن الذي لم يسبخ صفى ٩٧ رطلاً وتسعة اعشار الرطل هذا من الجنية الاولى والثانية اما الثالثة فصفى القنطار من المسبخ منها نحو ٩٨ رطلاً ومن غير المسبخ ٩٣ رطلاً ونصف رطل . وحكم المسيو بناكي ان القطن المسبخ ادنى من القطن غير المسبخ والنتيجة ان السباخ البلدي الجديد لا يزيد المحصول مايفي بثمنهِ ويقل بهِ صافي الجنية الاولى والثانية وعليهما الاعتماد ولا يكون نوع القطن جيداً كما لو لم يسمد

(٢) اما البودرت فاكثر فائدة من السباخ البلدي الجديد كما ترى من هذا الجدول

	غلة الفدان قناطير	صافي القنطار الجنية ١ و٢	صافي القنطار الجنية ٣
قطن غير مسبخ	٨و٨	١٠٤و٥٠	١٠٣و٧٣
قطن مسبخ بطن ونصف للفدان	١٠و١	١٠٧و٣٦	١٠٥و٢٠
" " بثلاثة اطنان "	٩و٥	١٠٦و٠١	١٠٥و٦٠
" " بستة اطنان "	٩و٦	١٠٨و٠٥	١٠٥و٨٣

ويظهر من ذلك باجلى بيان ان التسبيخ بالبودرت مفيد على شرط ان لا يزيد على طن ونصف للفدان وحينئذٍ تكون الزيادة قنطاراً وثلثاً من القطن ثمنها ٣٢٥ غرشاً وثمن البودرت وجمع القطن الزائد ١٧٥ غرشاً فتكون الزيادة من كل فدان ١٥٠ غرشاً باستعمال سماد البودرت. واما اذا سمد الفدان بثلاثة اطنان من البودرت كانت الخسارة ١٣٨ غرشاً عن كل فدان واذا زاد البودرت زادت الخسارة

ونوع القطن المسمَّد بطن ونصف من البودرت اجود من نوع القطن غير المسمَّد مطلقاً . وهذا الاخير مثل القطن المسمد بثلاثة اطنان من البودرت ويأتي بعدهما في الجودة القطن المسمد بستة اطنان من البودرت

(٣) والقطن المسبخ بالجوانو كانت نتيجتهُ بعد الحلج كما ترى في الجدول التالي وكان الجوانو قنطاراً ونصفاً للفدان المزروع من القطن العباسي

	غلة الفدان بالقناطير	صافي القنطار الجنية ١و٢	صافي القنطار الجنية ٣
غير المسبخ	٨و٣	١٠٦و٢٣	١٠٣و٩٥
المسبخ بالجوانو	٠و٩	١٠٢و١٠	١٠٤و٥١

فالزيادة في الفدان سبعون رطلاً تساوي ١٩٦ غرشاً وثمن الجوانو واجرة جمع زيادة القطن ٨٣ غرشاً فتكون زيادة الربح من الفدان ١١٣ غرشاً والقطن المسمَّد بالجوانو اجود كثيراً من القطن غير المسمَّد





قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الدكتور بسيط

حضرة صديقيَّ منشئي المقتطف الاغر

يسرني كما يسرّ كلّ وطني غيور ان يرى رجال الجد والاجتهاد من ابناء سورية يهجرون بلادهم ويتجشمون المشاق في طلب الفوائد العلمية واذخار لآلئ المعرفة ثم يعودون اليها فائزين باكاليل النجاح. وبملء السرور انقل الى قراء مجلتكم الافاضل خبر الشاب الاديب الدكتور صابر بسيط الذي اتى الولايات المتحدة الاميركية منذ بضع سنوات قصد اتمام دروسهِ الطبية فدرس كتلميذ قانوني في اشهر مدارس هذه البلاد ونال الشهادة في الطب والجراحة وامتاز على رفاقهِ بشهادة الامتياز في الجراحة علماً وعملاً. ثم قضى المدة المطلوبة في المدرسة الخاصة بتمرين الاطباء في كل العمليات الجراحية حسب درجاتها تحت يد مهرة الجراحين ونال شهادتها. وهذه المدرسة في نيويورك ولا يُقبل فيها الاَّ الاطباء القانونيون الذين نالوا شهاداتهم الدكتورية

واني سمعتُ من كثيرين من الاميركيين الثناء الجزيل على الدكتور صابر بسيط فقد ترك في هذه الديار اسماً طيباً وصيتاً حميداً لاجتهادهِ ومهارتهِ ودماثة اخلاقهِ وحسن سيرتهِ. وسيبارح هذه البلاد عائداً الى وطنهِ قريباً لينفعهُ بعلمهِ وعملهِ

الدكتور

ابرهيم عربيلي

واشنطون عاصمة اميركا

علم الجفر

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

عثرت على كتاب خط يدعى " ملخص كتب الجفرية وشرح الشجرة النعمانية لسيدي محيي الدين بن العربي " . قال في مقدمتهِ قال " الشيخ الامام العارف بربهِ كمال الدين ابو سالم ابن طلحة " . . . . الى ان قال " ويفتح حم بلاد الهند ويس بلاد السند ويحكم الصبي بالوجه البهي ويعبر الفرات راعي الفلاة ويغور الماء وينقلب الهواء ويموج البحر وينشف النهر ويهدم القصر ويظهر النصر يوم الجمعة بعد العصر . وينزل الاعور على المرج الاخضر وتظهر الكنوز ويكسر الكوز وتنفك اللغوز ويحل الملغوز وتحكم العجوز وتظهر السبع الشداد وتقتل الآباء والاولاد ويجلس على السرير حرف الشين وينقلب بالروم حرف السين ويمسك الجيم حرف الياء ويقتل الميم حرف الباء ويظهر العين على الجيم والميم على الميم ويقتل الجيم حرف العين ويجلس على الشين مع العين . وفي اي اوان يخرج المحبوس من المكان ويفك الميم ويملك القاف ويفك الامير ويجبر الكسير ويكون الحرب في البحر ثلاث عشرة مرة وفي البر سبع عشرة مرة ومتى محمد يصالح محمدًا وتصير ارض العرب مروجًا وانهارًا ورياضًا وازهارًا ويفتح ابواب الولد البكا ويجلس يوسف على سرير يوسف وينقطع النيل ويكثر القتل ويموت الفيل ويعم الحريق ويعلم الغريق ويهدم حصون الروم ويصيح في جوانبها البوم وتظهر سعيدة صاحبة الخصال الحميدة . وتعبد الاوثان ويرتفع القرآن وتقوم الساعة وتظهر الشفاعة الى غير ذلك من الامور الجسام والحروب العظام والله اعلم بالصواب "

وفي موضع آخر من الكتاب قرأت ما يأتي

" ان الله سبحانهُ وتعالى يبعث في كل الف سنة نبيًّا بمعجزات واضحة وبراهين قاطعة لرفع اعلام دينهِ القويم وظهور صراطهِ المستقيم فكان في الالف الاولى آدم عليهِ السلام والثانية ادريس عليهِ السلام والثالثة نوح عليهِ السلام والرابعة ابرهيم والخامسة موسى والسادسة عيسى والسابعة سيدنا محمد صلى الله عليهِ وسلم ختمت بهِ النبوة والرسالة وتمت بهِ ألف الدنيا فالالف الاولى لزحل والثانية للمشتري والثالثة للمريخ والرابعة للشمس والخامسة للزهرة والسادسة لعطارد والسابعة للقمر "

والكتاب صغير الحجم كلهُ كلام واشارات على نسق ما تقدم اخبر في صاحبهُ انهُ الجفر وانهُ يمكنهُ الوقوف منهُ على مستقبل الايام والسنين

ثم طالعت كلمة " جفر " في دائرة المعارف للعلامة المرحوم البستاني فرأيتهُ يقول فيها . قالوا انهُ "عبارة عن العلم الاجمالي بلوح القضاء والقدر المحتوي على كل ما كان وما يكون كليًّا وجزئيًّا " واورد صاحب الدائرة رحمهُ الله كلامًا كثيرًا عما قيل عن هذا الكتاب . وقرأت في مقدمة ابن خلدون ان الجفر كتاب لجعفر الصادق جمع فيهِ بعض الاخبار للوقوف عليها ثم حكم بفسادهِ وانهُ معدوم بالمرة غير ان في "الدائرة" ان بعض المؤرخين " ذكر ان السلطان سليمًا العثماني حصّل هذا الكتاب من مصر ووجعلهُ في بلاطهِ مع عدة تحف نفيسة "

فارجو ممن وقف على حقيقة هذا العلم وادلة صحتهِ او فسادهِ ان يتحفنا بها ولهُ الفضل

مصر محمد عمر

بلاغة العرب والافرنج

لم يزد حضرة احمد افندي كامل في مقالتهِ الثانية شيئًا على ما اورده في مقالتهِ الاولى الاَّ ان يكون ما انتخبهُ من الشواهد وما استخرجهُ منها تأييدًا لدعواهُ وانما هو لم يحسن الانتقاء هذه النوبة كما سيتضح ذلك

اعترف حضرتهُ ان اللفظ يسقط عن مرتبتهِ بالترجمة واقرَّ ان هناك من ضروب التعبير والاستعارات اللفظية ما لا يمكن نقلهُ من لسان الى لسان ثم استطرد الكلام الى قولهِ "لكننا لا نسلم مطلقًا بان المعاني تتغير بتغير الالفاظ او لا يمكن نقلها بالترجمة ولو سلمنا ذلك لما تلقينا علوم اليونان والفرس والافرنج وروينا انظارهم فيها كما هي بل روينا كثيرًا من معاني الامم الاخرى الشعرية وحلينا بها فصاحاتنا"

لو سألنا عربيًّا عن الصورة التي يتمثلها اذا قيل لهُ جدار ابيض وانكليزيًّا عما يفهم من قولنا white wall وافرنسيًّا عن مدلول muraille blanche لالفينا الصور الثلاث متشابهة تمام الشبه في لونها المقيدة بهِ بالصفة وهي البياض المعبر عنهُ بالالفاظ ابيض و white و blanche في الامثلة الثلاثة . ولو سردنا هذه القضية لعربي وهي " ان الخط المستقيم هو اقرب الابعاد بين نقطتين " ونقلنا العبارة الى الانكليزية فقلنا A straight line is the shortest distance between two points لكان مفهوم العبارتين في اللغتين واحدًا ولكن لو نقلنا الى الانكليزية قول المعري

خفف السير واتئد يا حادي انما انت سائق بفؤادي

او عربنا قول ملتن في مطلع قصيدتهِ الفردوس المفقود Of man's first disobedience

and the fruit etc. لم يكن المفهوم واحداً في كل من المثالين عند اهل اللسانين كما في المثالين الاولين

والسبب * ان ما يصل الى العقل عن طريق الحواس تتماثل صوره في جميع الناس على حدّ سوى تقريباً (باستثناء المتوحشين لانهم خارجون عن دائرة البحث) فالالوان تظهر للواحد كما تظهر للآخر ممن لم يصب بالعمى اللوني ومهما اختلفت اسماؤها فالمسميات واحدة وصورها واحدة ايضاً. اما في ما يولده الخيال من محتويات الفكر او ما يستخلصهُ التصور مما يمثله الذهن من المشاهدات بالحواس فمخالف لذلك. فمعاد هذه الاحوال والتربية والدرس واخلاق الامة ومقامها من الحضارة ومبلغها من التهذيب ودينها وجميع ما يؤثر في اراء افرادها ومالها من التقاليد وما تحرص عليهِ من الآثار. ولهذا استطعنا نقل علوم الاجانب من اليونان والافرنج ولم نستطع نقل اشعارهم وبلاغاتهم. وهنا موضع الضعف في قضية حضرة الاديب فانهُ لم يميز الفرق بين ما في العلوم التي اركانها الحقائق او ما يتخذهُ القوم بمثابة الحقائق وبين ما في الشعر الذي يرجع الى الخيال والتصور فما كان من الشعر جامعاً للحقائق كالقصائد التاريخية والتهذيبية لا يصعب نقلهُ من لسان الى لسان اذا اريد نقل الوقائع والنصائح فقط فاذا تعدّى هذه بدت الصعوبة كما يعلم المختبر المجرّب. خذ مثلاً قصيدة تنيسون المشهورة في الانكليزية التي يصف بها غارة ستمئة فارس انكليزي في سهل بالاكالافا في حرب القريم فان الشاعر العربي يستطيع تعريب حكاية الواقع منها بما يضاهي الاصل الانكليزي او يفوقهُ تأدية معنى وجزالة لفظ ولكنهُ يقف حائراً اذا اراد اجتياز ذلك الى الجزء الشعري منها اذ هو انكليزي محض

ولما رأيت حضرة الاديب يستند الى الشواهد والامثلة ويستنكف من القواعد والقضايا ارتأيت ان اضرب على امثلتهِ ليعلم هو والقراء فساد الاستنتاج المسند اليها فهو يقول انهُ لم يرَ في ما كتبتهُ وكتبهُ الدكتور فياض ما يزيد على قولنا ان التعريب يذهب ببهجة المعرَّب وان شعر العرب محصور في ابواب محدودة فاذا لم يرَ سوى ذلك فايراد القضايا من العبث وخير طرق البحث مقابلة الاديب على قولهِ والنظر في الامثلة

قال ان جايتي شاعر الالمان كان ينقل بعض معانيهِ عن الفارسية. ولم انكر عليهِ جواز النقل قبل اليوم بل انا ممن ينادي بوجوبهِ ولكن ذلك لا يفيد ان كل مكتوب يستطاع نقلهُ. ولو تأمل حضرتهُ قليلاً لرأى هذا الشاهد عليهِ لا لهُ فالفارسية من اللغات الآرية لا السامية وهي اقرب الى الالمانية منها الى العربية ولعل هذا القول يدهشهُ لكنهُ اذا رجع الى الموضوع في فن اشتقاق اللغات تأكد صحة هذا القول. وماذا يقول حضرتهُ في ما لو ردى ان الانكليز

والاميركان يدرسون اشعار عمر الخيام وغيره من شعراء الفرس و يستظهرونها ويقرأونها في مجامعهم ومنتدياتهم فهم يفعلون ذلك لما يلقونهُ فيها من الاستعارات والخيالات التي تجد منهم ارتياحاً اذ يفهمونها ويدركون قيمتها

ثم قال " ولو نقلنا الى اي لسان قول سماحة السيد البكري في نابوليون حتى زالت دولة الشماء الخ لعدَّ ذلك فيهِ آية من آيات البلاغة والبيان " وهو تحكّم وتعسف اذ انّى يعلم حضرة الاديب صحة دعواه فهل امتحن الامر وكتب عن خبرةٍ او هو رأي عرض له فدوّنهُ ثم هو يطلب الينا ان نقبلهُ سواء كان الاستنتاج صحيحاً او لا . والذي اظنهُ (مع اعترافي بقدرة سماحة السيد) ان العبارة لو نقلت الى لسان الافرنج لجاءت باردةً . اما قول صاحب الجوائب فلا يعتبر حجة في هذا المقام لسببين احدهما انهُ انما كان يتكلم في شعرهِ وهو معذور لان شعر المرء بمقام ولدهِ من فؤادهِ فهو لا يرى الاَّ حسناتهِ والثاني ان احمد افندي فارس ليس شاعراً كما يتوهم حضرة الاديب فصاحب الجوائب كاتب مجيد ومنتقد في الاخلاق شهير ولغوي محقق لكن شعره ليس من طبقة نثرهِ والشواهد كثيرة في ايدي القوم في ما خلفهُ من القصائد كالتي جاءت في كتابهِ الشهير " في ما هو الفارياق " وجلّ ما يقال فيهِ انهُ ناظم احسن النظم واما الشعر فلم يكن من طبيعتهِ فانهُ مع وقوفهِ على بعض لغات الافرنج لم يأنف من ان يهزأ بلامارتين وغيرهِ من شعرائهم ويقص وقائعهم معقباً عليها بعبارات الهزء والسخرية مع ان شعره ليس من طبقة شعرهم كما يتضح بالمقابلة للعارفين بالعربية ولغات اوروبا. ومن يقرأ الالياذة والانفرنو والذكرى والفردوس المفقود وهيواثا وما شاكلها يثق ان شعر الافرنج طحن لا جعجعة ولعلّ حضرة الاديب يطالبني بتعريب شيء مما ذكرت تأييداً لدعواي وتفكهة لقراء العربية اما انا فابرأُ اليهِ من المقدرة على اقتحام هذه الغمرات واعترف بعجزي والقصور

ومن اغرب ما جاء في مقالة حضرتهِ قولهُ "هذه الناقة وهي ركوب العرب قد ابدعوا فيها من الاوصاف والمعاني ما لا يعد كثرة على اننا ما سمعنا للآن معنًى شريفاً للافرنج في الوابور مثلاً" (هذا توطئة لانتقاء رسالة سماحة السيد التي تتلو) فما مقام الوابور من الشعر واي صاحب ذوق سليم يستطيع التغزل بالناقة والجمل الاَّ بدوياً اعتاد شظف البادية والمعيشة فيها ومن منا يأنس الى السكنى بجانب مناخ النوق حيث يسمع باذنيهِ هديرها ويشم بانفهِ رائحتها الكريهة ويرى بعينيهِ صورتها القبيحة او ان يتغزل برضابها وريقها وجمال طلعتها والدمقس والحرير تنقلب عليهما. اما الوابور فحقيقة من اكبر حقائق هذا العصر لم يصطنعهُ الافرنج للتغزل بهِ بل للانتفاع منهُ ومع ذلك فلم يقصروا في الكلام عنهُ في عرض وصفهم مناظر الطبيعة وجمالها ولو كان لديَّ

من الكتب ما اشتهي لكنت اعدد لحضرتهِ بعض ما ورد في اشعارهم ونثورهم من هذا القبيل. واين ما في الناقة من مهيّجات الشعر الاّ نفعها وهي تساوي بهِ سائر حيوانات النقل وما الذي تحدثهُ هيئتها في النفس من الطرب حتى تنطق المفحم واين هي من وجه السماء اذا تبدّى ساطعة فيهِ النجوم او مشرقاً فيهِ البدر واين رائحتها من رائحة البنفسج والورد واين شكلها من شكل الغزال. هذه مناظر تستحق الوصف الشعري وفي هذه فاق الافرنج العرب كما يتضح من مقابلة المثل بالمثل والشبيه بالشبيه من شعر الفريقين ومنثورهما

اما قول حضرتهِ انهُ قرأ عشرين رومانًا فلم يرَ فيها من مناجاة المحبين ما هو اقرب الى الطبع من مثل قول المتنبي " الامُ طماعية العاذل " فهلاَّ ذكر ايّ الطباع يريد الافرنجية منها ام العربية فاذا كانت الثانية فهو مصيب واذا كانت الاولى فنصيب " الامُ طماعية العاذل " في عيون اهلها نصيب مناجاة المحبين في العشرين رومانًا في عيني حضرتهِ وهو عين ما قلتهُ في مقالتي الاولى في الردّ على حضرتهِ اذ اوضحت بالامثلة والشواهد بعد وضع القضية الاساسية ان التربية والاحوال والاذواق تختلف في البلادين وفي الشعبين وعلى ذلك فهلاَّ ذكر لنا حضرتهُ اسماء بعض ما قرأ من الروايات اذ لا يخفى على حضرتهِ ان هذه تتباين بلاغة واكثر ما عُرّب منها سقيم بعيد عن الاصل الافرنجي فهل قرأ مثلاً رواية سارسنسكا وسان الاريو لماريون كرافورد او ڤيڤيان كراي لدزرائيلي او ايفانهو والتاسمن وفتاة برث وغيرها لولتر سكوت او ايام بومباي الاخيرة واخر البارونات واوجين ارام والباريسيين للورد لتون وهل اطلع على رواية داڤيد كوپر فيلد ونيكولاس نيكلبي لدكنس او رومولا ومدلمارش وادم بيد لجورج اليوت وهل نظر في مكنونات باريس واليهودي التائه لاوجين سو وهل فتح مكنونات مرسيليا لاميل زولا وهل رمق رواية التعساء لفكتور هيكو او الباريسية الحسناء التي عربها المرحوم اديب اسحق وهل شام الذكرى هيوكندي والزعماء الاسكتلنديين لمس بورتر. وهل عثر بروايات دوماس كالحراس الثلثة وهل لم يرَ في روميو وجوليت من مناجاة المحبين ما نال رضاهُ وهل قرأ اشعار الفرد ده موسيه شاعر الافرنسيس الرقيق او اقوال تنيسون شاعر الانكليز المكلّل او طالع غزل شكسبير امير الشعراء او ابصر وصف روبرت برنس شاعر اسكتلندا المطبوع ولم يرَ فيها ما يذوب رقة ولطفاً. فهو يحاول الاستشهاد بخيرة المنظوم والمنثور في العربية ثم لا يفعل ذلك في الافرنجية فاين العدالة. آوَ انكرت عليهِ ان في الشعر العربي ما فيهِ من طيب المعاني ورقيق الغزل وحسن الوصف او لم اقل في رسالتي الاولى اننا نحن معاشر العرب لنا من آثار البلاغة والفصاحة ما يعترف بفضلهِ المستشرقون من الفرنج ولنا امرؤُ القيس

ولبيد والنابغة وزهير والامام والمتنبي وابن المقفع وغيرهم كثير

وفي جملة ما انتقاهُ من الشواهد في مقالتهِ رسالة من صهاريج اللؤلؤ في وصف (الوابور والبالّو) لسماحة الكاتب الشهير والشاعر المجيد السيد توفيق البكري واني اترك الحكم في مجملها لحضرات القراء اما انا فلم استفد منها سوى تشبيه الوابور بالناقة والفرس والريح والافعوان وان البال ضمَّ كثيرات من الغواني الحسان (باستثناء غير الحسان) موصوفات كما وصف كتَّاب العرب الجميلة من النساء (بحذف الاكتاد العارية) وكثيرين من الفتيان صبوحي الوجوه (بصرف النظر عمن كان شيخاً وغير صبوح الوجه) وان هؤلاء خاصروا اولاء كل ذلك بالفاظ مترادفات وفواصل مسجعات اضف الى ذلك اني التزمت ان ارجع الى تفسير الالفاظ مما فسر في ذيل كل صفحة وافزع الى معجم اللغة لتفهُّم ما لم يفسر هناك . ولو جردت الرسالة من الفاظها الفخيمة والسجع الكثير لما زادت عما توصف بهِ حفلات الرقص والراقصين والراقصات ودور الرقص ومجالي الزينة فيها عادةً . ولم يعجبني في الرسالة شيءٌ كآخرها وعبارة هي الختام قال فيها سماحة الكاتب " وهكذا حتى لاح وجه الصباح واشرق نور ذكاء فتوارت كواكب الارض والسماء" . وقد حان الزمان الذي يحق فيهِ للناس ترديد الشكوى من مثل هذه الرسائل التي يقصد بها الدلالة على سعة معارف واضعيها في مفردات اللغة وطول باعهم في ضبط شواردها واوابدها . وكأني بحضرة الشاعر المجيد صاحب المقالة لا ينشر ابحاثهُ الاَّ ليضمنها رسالة او اثنتين من صهاريج اللؤلؤ كما يتضح من مقالتهِ فنصيبهُ منها مع الشواهد ثلاث صفحات ورسالة سماحة السيد تملأ ثلاث صفحات ولم تفد الباحث شيئاً الاَّ ما اورثت كلامهُ من الضعف والوهن

اما جواب حضرة الاديب على المسألة الثانية فضعيف في الحجة والاستنتاج فانهُ قال "وكما ان بعض المصورين يختص بنوعٍ مخصوص من الصور كالحروب او الرياض او نحوها وبعضهم يتناول كل شيء كان العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود دون البعض الاَّ انهم ابدعوا في تصويرها باشكال مختلفة بحيث بلغوا من ذلك شأواً ليس وراءهُ الخ" ولو قال وكما ان بعض المصورين يختص بنوعٍ مخصوص الخ كان بعض شعراء العرب ممن اختص بتصوير بعض مناظر الوجود لصلح التشبيه واستقام والاَّ فاذا اراد تشبيه صناعة الشعر بصناعة التصوير تشبيهاً تاماً فلماذا يتخذ افراد المصورين ركناً واحداً والعرب باسرهم ركناً آخر وما الداعي لهذا الاختصاص في العرب سوى التقليد فان ما نظمهُ الجاهلية منهم لا غبار عليهِ لانهُ جهد ما استطاعوا نظمهُ في بلاد العرب التي سكنوها لذلك العهد ولم يكن لديهم من التاريخ والتقاليد ومناظر الطبيعة والمعارف شيءٌ يذكر فشعرهم يصف حماساتهم وشعائرهم واخبارهم ووقائعهم وصفاً

تاماً ولكن العجب في هذا الاختصاص بعد ان تطرق العمران الى العرب وجابوا البلاد ونظروا في بلاغة غيرهم وشحن تاريخهم بالاخبار وجاءتهم العلوم من الامم المحيطة بهم كيف لم يتسع وكيف لم ينهجوا سوى منهج الجاهلية في الشعر ولم يخالفوهُ الاَّ بما قصروا فيهِ عنهُ من جزالة اللفظ وحسن التركيب وكون الشعر كلفة لا عفواً كما كان في اولئك. افلا يحسب الشعر العربي محدوداً ولا اثر فيهِ للروايات التمثيلية ولا للقصائد التاريخية ولا الاقاصيص الحقيقية او الخيالية ولا . . . ولا . . . والشعر الاجنبي كاليوناني والايطالي والانكليزي والافرنسي والالماني يشتمل على المديح والهجاء والرثاء والفخر والغزل والحماسة الى آخر ما تلقاهُ في الشعر العربي ويفضلهُ بما يزيد بهِ عليهِ مما تقدَّم من الابواب فاذا لم يكن هذا النقص كافياً لنعت الشعر العربي بالمحدود فاي النقص يجوز هذا النعت . الى ان قال " ولو استوفى الافرنج اركان البلاغة كما قدمنا ثم تنوعوا في المواضيع كما تنوعوا لكان لهم القدح المعلَّى في البيان ولكننا لا نخالهم فعلوا ذلك والكلام خلو من هذه الاركان جعجعة ولا طحن " فكيف يحق لحضرة الاديب ان يقول هذا القول ولم يبدُ لنا من شواهدهِ ما يفيد اطلاعهُ على آيات البلاغة الافرنجية وعلى مَ هذه التهمة التي لا تحط من قدر تلك البلاغة وانما تدل على مبلغ علم مرسلها. فان في اللغات الافرنجية من جواهر اللفظ وسحر المعاني مع تنوع المواضيع ما يشرح الصدر ويقرّ العين ومن اراد زيادة التحقيق فما عليهِ سوى المطالعة فيحكم لنفسهِ ويقنعهُ وجدانهُ واختبارهُ. واذا شاء حضرة الاديب الوقوف على كنهِ بلاغة الافرنج فخير الوسائل انقطاعهُ اشهراً لدرس لغة اجنبية حية كالانكليزية او الافرنسية فاذا بلغ منها مناهُ (وما ذلك على فطنتهِ وذكائهِ بكثير) شهد من آثار بلاغة القوم وفصاحتهم ما لا يراهُ في مئة مقالة ينظر فيها اصحابها في هذا الموضوع.

ولا بدَّ لي من الاعتراف بما لحضرتهِ من الغيرة على الآداب والشعر واهتمامهِ بالوقوف على الحقيقة مما يرفع شأن الكاتب وعدم استلامهِ للحق الاَّ بعد البحث الدقيق ووزن القضايا بميزان العقل السليم. اكثر الله من امثال غيرة وسعة صدرٍ ووفرة علم وجمعني واياهُ في غير هذا البحث فهذه الرسالة آخر عهدي بالموضوع اسيوط خليل ثابت

اقتراحان

حضرة منشئي المقتطف الزاهر

كثيراً ما نرى في المقتطف كلمات معرَّبة من اللغات الاوربيَّة ونود ان نعرف تهجئتها الافرنكية حتى نهتدي الى البحث عنها في فهارس مؤلفاتهم مثال ذلك ما جاء في الجزء الاخير

من المقتطف عن راس نوم عند ساحل بحر بيرنج وكذا كلمة فلوطرخس وتكاسيلا وما اشبه والذي اقترحه على حضرتكم ان تضبطوا لنا هذه الاسماء وامثالها بحروفها الافرنكية

هذا هو الاقتراح الاول اما الثاني فهو ان تنشروا لنا خريطة البلاد التي فتحها الاسكندر ذو القرنين فيزيد شكرنا لحضرتكم امبابه سمعان عوض

(المقتطف) اما من حيث الاعلام فاننا نضع احياناً لفظها بحروفهِ الافرنجية اذا كان المراد معرفتها بالذات واما اذا كان المراد شيئاً آخر وهي واردة فيهِ عرضاً لم فلا نرى داعياً لذكر الحروف الافرنجية ولا سيما اذا كان العلم مشهوراً مثل كثير من الاسماء الجغرافية واسماء مشاهير الناس . واما الخريطة فستنشر في هذا الجزء او الذي يليهِ



السلوليث Cellulith

اذا ضُرب الرُّب الذي يصنع منهُ الورق زماناً طويلاً صار شفافاً مرناً يصلب شديداً اذا جفَّ ويصير الورق المصنوع منهُ متيناً جداً وهو السلوليث ويقال ان سبب ذلك هو خروج مادة غروية من حويصلات السلولوس تلصق الياف الورق بعضها ببعض. والظاهر ان هذا هو السبب في تكوُّن الرق النباتي بواسطة الحامض الكبريتيك . فان الوراقين يعالجون رب الورق بالحامض الكبريتيك فيستحيل بعض السلولوس الذي فيهِ الى مادة غروية (اميلويد) ترسب في الماء الكثير وتغري بقية الياف الورق بعضها ببعض فيصير من ذلك ورق شبيه برق الغزال يكاد يكون شفافاً . اما السلوليث فصنع بالوسائط الميكانيكية لا الكيماوية وذلك بضرب الرب مدة طويلة من اربعين ساعة الى ١٥٠ ساعة حتى يصير الرُّب كلهُ جسماً واحداً خالياً من الالياف

واذا اريد تلوين السلوليث اضيف اللون اليهِ قبل ضربهِ ثم يضرب كما تقدم حتى يصير في قوامهِ كالعسل ويبخر الماء منهُ على درجة ٤٠ س فيجف رويداً رويداً حتى تصير منهُ مادة قرنية ويكون ثقلهُ النوعي حينئذٍ نحو ١،٥ . ويمكن ان يخرط ويقطع كالقرن والابونيت وهو مثل السلولويد ولكنهُ لا يلتهب مثلهُ واذا مزج بنشارة الخشب والهباب كان منهُ مادة كالابنوس

سد الخزان

نشرنا في هذا الجزء وصفاً وجيزاً لخزان اصوان وكيفية بنائهِ ولم نكد نقرأ المسودَّة الاخيرة منهُ حتى جاءتنا جريدة السينتفك اميركان وفيها وصف خزان آخر مثل هذا الخزان تعالى عليهِ الماء فصدعهُ وجرف منهُ قطعة كبيرة طولها اربع مئة متر سار بها السيل كانها قشة ثم فتتها تفتيتاً كأنها مدرة فارتعدت فرائصنا من تصور حادث مشوم مثل هذا يحدث لخزان اصوان اذا اخطأ المهندسون والبنَّاؤُن في تقدير صلابة اساسهِ او اغفلوا بقاء شيء غير متين منهُ فان الخزان الاميركي المشار اليهِ وهو على نهر كلورادو بناهُ اشهر المهندسين الاميركيين وهو ليس طويلاً مثل خزان اصوان فان طول سدهِ ١١٢٥ قدماً وعلوهُ عن قاع النهر ٦٥ قدماً وعرضهُ من اسفلهِ ٦٦ قدماً واما خزان اصوان فطول سدهِ ٦٦٠٠ قدم وعلوهُ ٨٣ قدماً وعرضهُ من اسفلهِ نحو ذلك فضغط الماء على كل جانب منهُ يزيد على ضغط الماء على السد الاميركي

وموقع الخلل في السد الاميركي ضعف اساسهِ لانهُ مبني على صخر جيري فصار الماء يغور في شقوق الصخر وينبع من الجانب الآخر كما كان الماء يغور من فوق القناطر الخيرية ثم ينبع من تحتها . وبذل المهندسون جهدهم في سد هذه المنافذ الى ان امطرت السماء مطراً غزيراً فعلا ماء النهر احد عشر قدماً فوق اعلى السد فانصدع من مكانين بينهما اربع مئة قدم ودفع الماء هذه القطعة العظيمة منهُ وجرى بها نحو خمسين قدماً وهي واقفة . يا لها من قوة عظيمة جرفت بناء عظيماً طولهُ اربع مئة قدم وعلوهُ ٦٥ قدماً وسمكهُ من اسفلهِ ٦٦ قدماً ومن اعلاهُ نحو ثلاثين قدماً. ثم كسرتهُ قطعتين ومزقت اوصال كل قطعة منهما على حدة . هذه قوة الماء الجاري التي قلَّما يقف في سبيلها شيء

ولا يمتاز خزان اصوان على هذا الخزان الاَّ في ان الصخر الذي تحت سدهِ من الجرانيت وفي ان ميل هذا السد الى اسفل مجرى الماء لا الى اعلاه فهو اقدر على مقاومة الضغط ولم يجعل الميل في ذاك الى الاسفل لئلاَّ يأكلهُ الماء ولو كان مبطناً بحجارة الجرانيت

الصوف في الصناعة

الصوف تنوُّع من الشعر يوجد في اكثر الحيوانات ذوات الثدي و بعضها تكاد ابدانها تكون مغطاة بهِ وحدهُ كالغنم الاهلية اما الغنم البرية ففي ابدانها شعر وصوف لكن الشعر زال من الغنم الاهلية وبقي فيها الصوف

و يمتاز الصوف عن الشعر بان الشعر صقيل غالباً واما الصوف فخشن لان على سطحهِ قشوراً

متراكبة كفلوس السمك والشعر مستقيم . واما الصوف فمجعد او متموج ولذلك يطول اذا شُدَّ وهو سبب المرونة في المنسوجات الصوفية . والقشور التي فيهِ هي سبب اشتباكهِ بعضهِ ببعض في عمل اللبد

ويختلف طول الشعرة من صوف الغنم من سنتيمترين ونصف الى عشرين سنتيمترًا والاول يحلج حلجًا قبلما يغزل والثاني يمشط مشطًا قبلما يغزل

وتتوقف قيمة الصوف على نعومة شعرهِ ودقتهِ وطولهِ وتموُّجهِ ولمعانهِ ومتانتهِ ومرونتهِ ولونهِ وسهولة صبغهِ . والصوف يمتص الرطوبة بكثرة فاذا كان الهواء حارًّا جافًّا فقد يكون في الصوف ٨ الى ١٢ في المئة من الرطوبة واذا كان الهواء رطبًا فقد يكون فيهِ ٣٠ الى ٥٠ في المئة من الرطوبة ولذلك ينظر الى مقدار ما فيهِ من الرطوبة وقت بيعهِ. وحكومات اوربا تراقب ذلك ولا تسمح بان تكون الرطوبة اكثر من ١٨ الى ٢٥ في المئة

واجود انواع الصفوف الابيض ويتلوهُ الاصفر والاسمر الى الاسود وعلى سطح الصوف مادة دهنية تذوب في الايثير ومادة اخر تسمى عرق الصوف وهي تذوب في الماء ويطلق على المادتين معًا اسم مح الصوف. وفي عرق الصوف املاح بوتاسية وحوامض زيتية وشمعية واملاح من املاح الصودا وحوامض طيارة الخ. ولذلك يكون في الماء الذي يغسل فيهِ كثير من املاح البوتاسا واذا جُفِّف هذا الماء واحرق ما فيهِ بقي منهُ كثير من كربونات البوتاسا وتبلغ كربونات البوتاسا المستخرجة من غسل الصوف في فرنسا وبلجيكا اكثر من مليون كيلو في السنة . واذا استقطر مح الصوف استقطارًا جافًّا بقي منهُ مادة يستخرج منها بروسيات البوتاسا الاصفر

ويحل الصوف عند الدرجة ١٣٠ بميزان سنتغراد وتخرج منهُ ابخرة نشادرية وعند الدرجة ١٤٠ و ١٥٠ تخرج منهُ ابخرة كبريتية واذا أُشعل خرجت منهُ رائحة كريهة مثل رائحة الريش المحروق وبقي منهُ بقية كثيرة المسام . والصوف يذوب في مذوب النحاس الهيدراتي النشادري اذا كان سخنًا . والحامض الهيدروكلوريك والكبريتيك المخففان لا يفعلان بهِ سواء كانا باردين او سخنين وبذلك يفرق القطن عن الصوف فان الحامض الكبريتيك المخفف يفعل بالقطن ولا يفعل بالصوف فاذا عولج النسيج الذي فيهِ صوف وقطن بالحامض الكبريتيك المخفف وجفف على الدرجة ١١٠ من الحرارة بميزان سنتغراد انحلّت دقائق القطن ووقعت من النسيج بنفضهِ وبقي الصوف فيهِ . والحامض الكبريتيك لا يفعل فعلاً شديدًا بالصوف ولكنهُ يجعلهُ اصفر . والحامض الكبريتوس او بخار الكبريت يقصر الصوف فيبيضهُ لانهُ يزيل المادة الصفراء التي تلونهُ . والقلويات الكاوية تفعل بهِ فعلاً شديدًا وتتلفهُ . واما الكربونات القلوية والصابون

فتفعل بهِ قليلاً اذا لم تزد الحرارة على ٥٠ درجة بميزان سنتغراد . والكلور يتلفهُ فلا يبيض بهِ ولا بمركباتهِ ولكن اذا كان الكلور خفيفاً جدًّا اصفرَّ بهِ لون الصوف وزادت قابليتهُ لبعض الاصبغة

ومما يجري مجرى الصوف مرعزَّى معزى انقرة وجنوبي افريقية وهو طويل حريري ناعم جدًّا لمَّاع . والالبكا والفيكونا واللاما والغواناكو وهي شعر اربعة اصناف من المعزى تكون في اميركا الجنوبية واشهرها الالبكا وهو طويل حريري لمَّاع متوسط بين الشعر والصوف . ومنها وبر الجمال وتنسج منهُ منسوجات ناعمة غالية الثمن

وسيأتي الكلام على احدث الطرق لتنظيف الصوف وقصره

السيوف اليابانية

السيوف اليابانية مشهورة كالسيوف الدمشقية القديمة وهي تصنع من صفائح رقيقة من الفولاذ (الصلب) على هذه الصورة: يستخرج الحديد من معادن الحديد المغنطيسي ويرقَّق رقوقاً يوصل رق منها بقطعة من الحديد تكون مقبضاً للسيف ثم يلحم بهِ رقوق اخرى حتى يصير من ذلك نصل طولهُ نحو عشرين سنتمترًا وعرضهُ خمسة سنتمترات وسمكهُ سنتمتر ويحمى هذا النصل الى درجة البياض ويثنى على نفسهِ ويطرَّق حتى يعود الى اصلهِ قبل ثنيهِ ويكرَّر ذلك خمس عشرة مرةً فيثنى على نفسهِ كل مرة ثم يطرق حتى يرق ويعود الى اصلهِ . ثم تلحم اربعة نصال مثل هذا النصل حتى يكون منها نصل واحد ويثنى على نفسهِ ويطرَّق ويكرَّر ذلك خمس دفعات فاذا كانت النصال التي لحمت اول مرة خمسة فقط في النصل الاخير عشرة ملايين ورقة رقيقة من الصلب . وقد تصنع هذه النصال من صفائح متوالية من الحديد والصلب . ثم تهذَّب وتجلخ وتغطي بمزيج من الطين والرمل والفحم المدقوق، وترسم فيهِ رسوم غائرة حتى تنقش بحسبها وتحمى الى درجة معلومة عندهم وتغطس في الماء والزيت وتسن بعد ذلك . فتكون من اقطع السيوف وامتنها ويقال ان اجود النصال لا يتم عملهُ في اقل من خمسين يوماً

الفوتوغراف على الرخام

يجلى الرخام جلياً ولكن لا يصقل ثم يدهن بمزيج من ٥٠٠ جرام من البنزين و٥٠٠ من التربنتينا و٥٠ جراماً من القار و٥ جرامات من شمع العسل ويترك حتى يجف الدهان عليهِ ثم يوضع عليهِ لوح فوتوغرافي والجلاتين الى الرخام ويعرض للنور ٢٠ دقيقة ثم يزال اللوح

ويغسل الرخام بالغازولين فتظهر عليهِ الصورة ثم يغسل بالماء الكثير ويغطس في محلول الازرق البروسياني بالالكحول واحمر الايوسين ويزال الدهان عن الرخام فتظهر الصورة عليهِ غائرة فيهِ ثم يصقل جيداً فيكون لونها جميلاً

الشمع للاثاث

صبَّ ثلاثة دراهم من زيت التربنتينا على اربعة دراهم من شمع العسل الابيض في اناء خزفي وغطهِ بورقة وضعهُ في ماء سخن فوق فرن لكي يذوب الشمع ويمتزج بزيت التربنتينا اتركهما حتى يبردا ثم اضف اليهما درهمين من الالكحول القوي فيكون من ذلك دهان جيد لخشب الجوز



السيارات وحركاتها في شهر يونيو ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويمكن ان يرى بالعين في الشفق مدة الايام الاخيرة من الشهر . وسيرهُ الى الشرق في الثور والجوزاء ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في العاشر من الشهر الساعة السابعة مساء ويقترن بالزهرة في الثاني والعشرين من الشهر الظهر ثم يسهل الاستدلال عليهِ بها بعد ذلك

الزهرة

تبقى الزهرة نجم المساء ويبلغ اشراقها اشدَّهُ في غرة الشهر الساعة العاشرة صباحاً ثم يقل اشراقها وتباينها بسرعة ومسيرها الى الشرق حتى السادس عشر من الشهر الساعة الرابعة صباحاً وتظهر ثابتة حينئذٍ بين النجوم ثم تنقلب حركتها غرباً وهي في الجوزاء الشهر كلهُ وتقطع عقدتها النازلة في التاسع عشر من الشهر الساعة ٢ مساء وتقترن بالمريخ في الثاني والعشرين منهُ الظهر

المريخ والمشتري

المريخ نجم الصباح وسيرهُ الى الشرق من برج الحمل الى برج الثور . والمشتري نجم المساء وهو في حركتهِ المتقهقرة في برج العقرب

زحل

يكون زحل في الاستقبال مع الشمس في الثالث والعشرين من الشهر الساعة السابعة مساء ويبلغ الهاجرة نصف الليل وهو في برج الرامي وسيرهُ غربًا وحركتهُ متقهقرة

ويكون اورانوس في الاستقبال مع الشمس في غرة الشهر الساعة ١ مساء ونبتون في الاقتران مع الشمس في الثامن عشر من الشهر الساعة ١ مساء

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة						
٠١	١٢	صباحًا	يقترن	القمر	بالزهرة فتقع	٦°٥´	شماليهُ
١١	١٠	مساء	"	"	بالمشتري فيقع	١°٢٩´	"
١٤	٠١	صباحًا	"	"	بزحل "	٠°٥٨´	جنوبيهُ
٢٣	١٠	"	"	"	بالمريخ "	١°٣١´	شماليهُ
٢٨	١١	"	"	"	بالزهرة فتقع	١°٢٩´	"
٢٩	١١	"	"	"	بعطارد فيقع	٥°٠٩´	"

اوجه القمر

		دقيقة		
٠٥	٠٩	٠٣	صباحًا	الربع الاول
١٣	٠٥	٤٣	"	البدر
٢٠	٠٣	٠٢	"	الربع الاخير
٢٧	٠٣	٢٣	"	الهلال
٠٥	١٠	٥٣	مساء	في الحضيض
١٩	٠٤	١١	صباحًا	في الاوج

ابليس الاسود

جناب الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

لما كنت اسرح الطرف في رياض مقتطفكم الزاهرة عثرت على سؤال جبري عنوانهُ "ابليس الاسود" في المجلد العاشر بقلم الرياضي الفاضل قسطنطين افندي سعد وطريقة

حله بقلم محمد افندي عارف فعمدت الى حله بطريقة أُخرى وبعد الجهد والعناء تيسر لي حلهُ على طريقة تستوجب انظار الرياضيين ولست أقصد بهذا التعرض لحضرة محمد افندي فاني اعترف لهُ بالتقدم والسبق ولكن ثقتي بحضرته انهُ ممن يسرُّهم تشجيع الاحداث للاقبال على مثل هذه المسائل حملتني على ارسال حلي راجياً من فضلكم ادراجهُ تعميماً للفائدة ولجنابكم جزيل الثناء

الحلي

$$\frac{(\text{دس}+١)(\text{ك}^٢+١)}{\text{ك}+١}=\frac{(\text{د}^٢+١)(\text{كى}+١)}{\text{ى}+١}\quad\cdots\cdots\quad(١)$$

$$\frac{(\text{دس}+١)(\text{ى}^٢+١)}{\text{ى}+١}=\frac{(\text{س}^٢+١)(\text{ىك}+١)}{\text{ك}+١}\quad\cdots\cdots\quad(٢)$$

من (١) $\frac{\text{ك}^٢+١}{\text{كى}+١}=\frac{\text{ك}+١}{\text{ى}+١}\times\frac{\text{د}^٢+١}{\text{دس}+١}$

« (٢) $\frac{\text{ى}^٢+١}{\text{كى}+١}=\frac{\text{ى}+١}{\text{ك}+١}\times\frac{\text{س}^٢+١}{\text{دس}+١}$ وبالضرب يحصل

$$\frac{(\text{ك}^٢+١)(\text{ى}^٢+١)}{(\text{كى}+١)^٢}=\frac{(\text{د}^٢+١)(\text{س}^٢+١)}{(\text{دس}+١)^٢}$$

ثم بطرح المخارج من الصور

$$\frac{(\text{ك}-\text{ى})^٢}{(\text{كى}+١)^٢}=\frac{(\text{د}-\text{س})^٢}{(\text{دس}+١)^٢}\ \text{فاذاً}\ \frac{\text{ك}-\text{ى}}{\text{كى}+١}=\pm\frac{\text{د}-\text{س}}{\text{دس}+١}\quad\cdots\cdots\quad(٣)$$

من (١) ايضاً $\frac{(\text{ك}^٢+١)(\text{ى}+١)}{(\text{ك}+١)(\text{كى}+١)}=\frac{\text{د}^٢+١}{\text{دس}+١}$ وبطرح المخارج من الصور

$$\frac{(\text{ك}-\text{ى})(\text{ك}-١)}{(\text{كى}+١)(\text{ك}+١)}=\frac{\text{د}(\text{د}-\text{س})}{\text{دس}+١}\quad\cdots\cdots\quad(٤)$$

بقسمة (٤) على (٣) $\frac{\text{ك}-١}{\text{ك}+١}=\pm\ \text{د}$

فاذاً $\text{ك}=\frac{١+\text{د}}{١-\text{د}}$ او $\frac{١-\text{د}}{١+\text{د}}$

ثم اذا عاملت (٢) كما عاملت (١) في الحالة (٤) وقسمتهُ على (٣)

يحصل $\frac{\text{ى}-١}{\text{ى}+١}=\pm\ \text{س}$ فاذاً $\text{ي}=\frac{١+\text{س}}{١-\text{س}}$ او $\frac{١-\text{س}}{١+\text{س}}$

واذا شئت فعوض عن ك بقيمتها في احدى المعادلات

منصور حنا جوداق
تلميذ
في المدرسة الكلية السورية



الرجل والرفش

THE MAN WITH THE HOE

AND OTHER POEMS.

BY

EDWIN MARKHAM.

رأى الشاعر ادون ماركهام الاميركي صورة الرجل والرفش التي صوَّرها المصور مله[1] Millte وهي تمثل رجلاً عاملاً انحنى على رفشهِ مستنداً اليهِ وقد حنت ظهره الهموم فنظم قصيدة في ذلك كان لها اعظم وقع في النفوس فكتب اليهِ العلماء والادباء والفلاسفة يشكرونهُ ويهنئونهُ لانهُ اماط بها اللثام عن امسّ مسائل العمران . وقد طبعت هذه القصيدة في كتاب صغير مع قصائد ومقاطيع اخرى للناظم واهديت الينا نسخة منهُ . اما القصيدة فمما قالهُ فيها

"عرت متنيهِ اثقال الدهور فانحنى على رفشهِ واطرق الى الارض. وزال البشر من وجههِ زوال السرور من الزمان. مَن جعلهُ لقًى لا يشعر بفرح ولا يترح لا يحزن ولا يرجو شيئًا خاملاً رفيقًا للثيران شرسًا خائر العزيمة . اي يد جبهت جبهتهُ واطفأت منهُ نور العقل

"اهذا هو الرجل الذي خلقهُ الله وسلطهُ على البر والبحر واعطاهُ العلم والعرفان والرغبة في الخلود. اهذا هو غرض الخالق الذي كوَّن الكواكب ورفع جلد السماء وبث فيهِ النور . ليس في الدنيا ولا في اعماق الهاوية ما هو ادلُّ على الطمع والشؤم وسوء المصير" الى ان قال

"ايها الامراء والعظماء والحكام أهذا هو العمل الذي تقابلون بهِ الخالق. هذا الرجل الذي احنتهُ الهموم واطفأت النور من نفسهِ كيف تقوَّم قامتهُ وتردُّ اليهِ آمال الخلود وبهجة الحياة ويُصلَح ما فسد منهُ وتشفى ادواؤُهُ التي عزَّ شفاؤُها

"ايها الامراء والعظماء والحكام ما يكون شأنكم حينما تثور عواصف العصيان وما يحل بالملوك والممالك حينما يحشر الناس للحساب"

والقصيدة على هذا النمط من التوبيخ والتقريع وقد القى الناظم فيها تبعة الشقاء الحالّ بالفقراء والعمال على العظماء

---

(١) مصور فرنسوي من اشهر المصورين بيعت صورة واحدة من صورهِ باكثر من ثلاثة وعشرين الف جنيه لكنها بيعت كذلك بعد موتهِ اما في حياتهِ فعاش بالفقر والمسكنة

فصول سريانيَّة فلسطينيَّة
Palestinian Syriac Texts.[1]

يذكر قراء المقتطف اسم السيدتين العالمتين مسز لوس واختها مسز جبسن اللتين تترددان على هذا القطر والقطر الشامي وتمضيان الى طور سينا وتبحثان في الكتب القديمة التي في ديرهِ من عربية وعبرانية وسريانية وتتجشمان مشاق الاسفار برًّا وبحرًا لكشف حقيقة تاريخية مع انهما على ثروة طائلة وتعيشان في بيتهما كما يعيش الملوك. ومما اتحفتانا بهِ الآن فصول وُجدت في كنيس اليهود في مصر العتيقة اخذها الدكتور شختر من حاخام باشي الطائفة الاسرائيلية سنة ١٨٩٧ واهداها الى الدكتور تيلر بمدرسة كمبردج الجامعة فنظرتا فيها وفي رقوق اخرى اخذتاها من الكنيس المشار اليهِ واظهرتا الكتابة الطامسة وقرأتا بعضها. وهذه الفصول رقوق بعضها من التوراة وبعضها من الاناجيل او الرسائل او كتب اخرى واصلها سرياني ثم مُحِيَت عنها الكتابة السريانية وكتبت بالعبرانية وقد وصفتاها كلها وطبعتا بعضها منقولاً بالتصوير الشمسي فظهرت فيهِ الكتابة العبرانية وتحتها آثار الكتابة السريانية

هذه كنوز المشرق العلمية ندفنها في التراب لاننا لا نعرف قيمتها ويحج اليها علماء اوربا رجالاً ونساء فيستخرجونها من مدافنها ويظهرون فوائدها ويتجرون بها

اربع روايات

اهدت الينا مطبعة الرقيب في الاسكندرية اربع روايات معربة بقلم الكاتب المجيد والمنشيء البليغ نجيب افندي ابرهيم طراد محرر جريدة الرقيب الغراء وهي رواية المتمولة الحسناء وخليلة هنري دي نافار ووقائع رني ووقائع الملكة كاترين. وما تخطهُ يراع حضرة المعرب يكون مسبوكًا في قالب عربي خاليًا من التراكيب السقيمة التي يسقط فيها كثيرون من المعربين ومن الالفاظ المهجورة التي يكثر منها المتأنقون في اللغة ولو ضاع معنى ما يكتبونهُ على جمهور القراء

والروايات الاربع سلسلة واحدة تنتهي بمذبحة مار برثلماوس التي حدثت سنة ١٥٧٢. وقد حاول المصنف تبرئة الملك شارل التاسع منها حاسبًا انهُ جنَّ جنونًا وقتيًا فامضى الامر القاضي بذبح البروتستانت وهو لا يدري ثم ثاب اليهِ عقلهُ قبل ان يقضى على زوج اختهِ هنري ده نافار فنجاهُ من القتل وكان يقصد بالمكيدة قتلهُ لئلاَّ يخلف ملك فرنسا وهو بروتستانتي

وستتلو هذه الاجزاء قصة حصار باريس وهي خاتمها وتطلب كلها من المكتبة الخديوية بالاسكندرية لحضرة صاحبها الاديب جرجي افندي غرزوزي مدير جريدة الرقيب الغراء

[1] Messrs. C. J. Clay & Sons London. price 10/6

التجارة والحرب ومؤتمر السلم

هما مقالتان للكاتب الاديب عبد الله رزق الله شار الاولى منهما مسهبة ذكر فيها اصل التجارة وتاريخها واهميتها ومسهلاتها وقال ان محط رحال التجارة ومحورها في العصور الغابرة بلاد فينيقية فكانت سفائن الفينيقيين تمخر البحار الشاسعة مذللة تيارها ساعية فوق امواجها الزاخرة بمصنوعات العالم وسلعهم بينما كانت قوافلهم تطوي البيد وتفري الفيافي متطلبة في شاسع الارض ودانيها المحصولات المتنوعة فشقت سفنهم عباب البحار والنجوم دليلها غير مبالية بالعواصف والانواء وانشأوا المستعمرات في البحر الاسود والارخبيل والاتلنتيك واسفارهم الشهيرة حول قارة افريقية تشهد بانهم فحول هذه المعامع واسودها ...

ولم يقف الفينيقيون في مدن اوربا الساحلية بل قد توغلت قوافلهم في قلب البلاد كلها كما دلت على ذلك آثارهم المستخرجة حديثاً . فقد اكتشف علماء العاديات في وسط فرنسا على ابنية خاصة بالفينيقيين وروى فريق من الحكماء ان اولئك التجار ين الجسورين وطئوا ارض اميركا قبل كاشفها الجنوي كما تقدموا البرتغاليين الفي سنة في مياه جنوبي افريقية فيجوز لي والحالة هذه القول بان الفينيقيين اشبه بانكليز زماننا من الليلة بالليلة والماء بالماء . وكان للصيدونيين والصوريين والبيروتيين السهم الاوفر والنصيب الاكبر من هذه المفاخر والمناقب فهم دعاة التجارة وهم رسلها في مشرق الارض ومغربها وهم محور تلك الحركة العظيمة وحجر رحاها . بل هم حياة الهيئة الاجتماعية القديمة ودمها وبلادهم قلبها وسفائنهم وقوافلهم عروق جسمها "

وقد احسن في وصف مسهلات التجارة العمومية والخصوصية كقوله في الكلام على المستودعات

" المستودعات — ان خدمة المستودعات (Dépôts,docks) للتجار وخصوصاً القليلي رأس المال منهم لخليقة بالذكر وحرية بالاعتبار . ذلك ان رأس مال زيد يبلغ الفي ليرة فيشتري بها مثلاً قطناً . فان لم يبعهُ في الحال وقف دولاب تجارتهِ ريثما تنفق بضاعتهُ. على ان ربح التجارة ما تعددت معاملاتها. وعليهِ يضع زيدٌ قطنهُ باجرة جزئية في احدى مستودعات بلدتهِ ويأخذ لقاءهُ من اصحابها سفتجةً بقيمة الف وثمانمائة ليرة ويُرسلها في الحال الى عميلهِ في مرسيلية مثلاً فيشتري لهُ هذا لقاءها صوفاً . فاذا جاءهُ الصوف وضعهُ ايضاً في المستودع واخذ من صاحبهِ سفتجةً بقيمة الف وخمسمائة ليرة يبتاع بها شيئاً آخر بينما يظهر مشترٍ لسلعهِ الاولى . وهكذا يعدد المعاملة بنفس رأس المال . وقد اكثر الغربيون من انشاء هذه المستودعات المفيدة في بلدانهم التجارية وصرفوا عنايتهم الى تنظيم شؤونها"

وتكلم بعد ذلك على " وسائلنا التجارية " في الممالك العثمانية فعدد منها الانهر وسكك

الحديدوالبواخر ومراكز البريد والتلغراف . ولا ندري كيف كان يشعر الكاتب وهو يكتب في هذه الوسائل وهل كان يخطر على بالهِ نسبتنا الى الامم الاوربية منذ الفين وخمس مئة سنة ونسبتنا اليهم الآن . وهل يجوز في شرع احد ان نسهب في تعداد مفاخر اسلافنا ونوجز في وصف معايبنا ثم اذا ذكرناها غضضنا الطرف عن اسبابها الاولية واقتصرنا على ذكر الاسباب الثانوية والكلام على الحرب ومؤتمر السلم وجيز وكأنَّ مجلة المشرق التي نُشر فيها اولاً يضرُّ بها ذكر المقتطف فاغفلتهُ عند ذكر الفقرات المقتبسة منهُ . وتُطلَب هذه النبذة من مكتبة امين افندي هندية في مصر ومن مكاتب بيروت

الخلاصة الماسونيَّة

معربة بقلم الاديب ايليا افندي الحاج وقد اهداها حضرة معربها الى سعادة صاحب الوجاهة والفضل ادريس بك راغب الاستاذ الاعظم للمحفل الاكبر الوطني المصري وفيها فذلكة في تاريخ الماسونية وتسع وتسعون مادة كلها نصائح حكمية كقولهِ "على العاقل ان يعلم كنه وجودهِ في هذه الدار ولاي سبب خلقهُ الخالق فيمتلىء حكمة ونوراً" . وقولهِ "اذا وُجدتَ مع جاهل بالعلم مجادل فلا تجاوبهُ بل اصغِ الى كلامهِ لعلهُ ينطق بكلمة من الحكمة تخفى عنك فتقتبسها منهُ" . وقولهِ " اذا مدحك احد بما ليس فيك فاعلم انهُ مخاتل "

وهي تطلب من ادارة مكتبة الترقي بشارع عبد العزيز وثمنها غرشان

الدنيا في باريس

هي رسائل يبعث بها حضرة الكاتب الفاضل احمد بك زكي في وصف معرض باريس فتنشرها ادارة طبيب العائلة نشرات اسبوعية . وقد جرى حضرة الكاتب فيها مجرى مارك توين في ذكر الحقائق موشحة بوشاح الهزل والفكاهة فوصف في الرسالة الاولى والثانية اكلهُ طعاماً مصنوعاً من لحم الضفادع وصفاً يضحك الثكلى ثم ما لبث ان عقب عليهِ بما يسهل على المشارقة اكل الضفادع . ويلي ذلك كلام وجيز عن المعرض وكونهِ لم يتم حتى الآن والنصيحة لقاصديهِ ان يتأخروا شهراً او شهرين

تذكار الدكتور وليم ادي

مقالات لبعض رفقائهِ وتلامذتهِ ذكرت فيها ترجمتهُ واعمالهُ والاحتفال بدفنهِ وبعض القصائد التي قيلت في رثائهِ . وهو من اقدم المرسلين الاميركيين في سورية قدم سورية سنة ١٨٥١

ووصل مدينة بيروت في اوائل سنة ١٨٥٢ واشتغل بالتعليم والتبشير الى ان وافتهُ المنية في اوائل هذا العام. ومن آثارهِ الباقية كتاب الكنز الجليل في تفسير الانجيل في خمسة مجلدات. وكان رجلاً فاضلاً اصيل الرأي دقيق النظر انيس المحضر عرفناهُ زمانًا طويلاً واستفدنا من اختبارهِ ونصائحهِ فوائد شتى

وقد ربى هو وقرينتهُ الفاضلة عائلة خلفتهُ في اعمال البر والنفع فمنها ابنةُ القس وليم ادي وابنتهُ مسز هسكنس خلفاهُ في اعمال التبشير. وابنهُ الدكتور كندت ادي وابنتهُ الدكتورة ماري ادي اشتهرا في صناعة الطب. وتلامذتهُ كثار في انحاء سورية فما من مبشر في الكنائس الانجيلية فيها الاَّ وهو من تلامذتهِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) شراب العشبة

نجع حمادي الخواجه منسي نكلا. رأيت كثيرين يهتمون بشراب العشبة ويطنبون في فوائدهِ فيستحضرونهُ ويتعاطونهُ بضعة اسابيع فما فوائد هذا الشراب ومضارهُ وهل يوجد فرق بين ما يستحضرهُ العوام وما يستحضرهُ الصيدلاني القانوني

ج يقال ان العشبة تفيد من كان مصابًا بالداء الزهري فتشفي الآلام الليلية وقروح الحلق والطفحات الجلدية. وانكر البعض ذلك وقالوا ان لا فائدة لها. وما يستحضرهُ الصيادلة بالطرق القانونية يجب ان يكون اصلح مما يستحضر بطرق غير قانونية

(٢) الحصبة

ومنهُ. لا يكاد فصل الشتاء يقبل حتى تهجم الحصبة على الاطفال بجيشها الجرَّار ولا هجوم الكواسر فتفتك بهم فتكًا ذريعًا ولم نرَ فصلاً اشأم على الاطفال منهُ في هذا العام فقد اوقعت بهم الفناء. وقد سمعت من بعض الاوربيين ان مرض الحصبة في بلادهم كالامراض العادية التي لا خطر منها على الاطفال فاذا صحَّ ذلك الخبر كنا بالنتيجة

مقصرين بالتحوطات التي عملها الاوربيون او ان موقع بلادنا الطبيعي يساعد على انتشار هذا الداء ويقوي فعلهُ فما الحقيقة في ذلك وما هي التحوطات الواجب اتخاذها وكيفية المعالجة للتخلص من شره

ج الحصبة مثل سائر الامراض الوافدة تكون احياناً شديدة الوطأة واحياناً خفيفتها كما في الطاعون والجدري ونحوهما. والظاهر ان البلدان التي يتكرر فيها المرض الواحد من هذه الامراض سنة بعد سنة تخف وطأتهُ فيها والبلدان التي ينتابها قليلاً يبقى فعلهُ شديداً فيها . كأن الاجسام تعتاد المرض في الحالة الاولى فلا تعود تتأثر بهِ كثيراً . وقد اصيب اولادنا بالحصبة في القاهرة فلم تكن شديدة عليهم ولا يبعد ان تكون التدابير الصحية اتم عندنا مما هي في اماكن كثيرة في هذا القطر فاذا روعيت التدابير الصحية كما يجب خف فعل الحصبة كثيراً ولو كانت وطأتها شديدة

" والحصبة مرض خفيف يندر الموت منهُ غير انهُ يجب الاعتناء بهِ فيجب اولاً حجز الولد في البيت او الفراش واجتناب مجاري الهواء لئلا يختلط المرض بعلة رئوية على انهُ يجب تجديد هواء المكان . ويكون الطعام لبناً او مرقاً وان كانت الامعاء قابضة فيعطى مسهل خفيف . واذا دام السعال بعد زوال النفاط كان العلاج كعلاج التهاب الشعب . واذا غاب النفاط فجأة وحدث اضطراب للولد فيوضع في حمام سخن . ولما كانت العلة معدية وجب افراد المريض وابعاد الاولاد عنهُ الى مرور ثلاثة اسابيع بعد زوال النفاط " . انتهى نقلاً عن كتاب كفاية العوام

(٢) احلام الحوامل

ومنهُ . سمعت من بعض السيدات مرَّ الشكوى من الاحلام المزعجة فالواحدة منهنَّ تحلم كأن واحداً يضربها على رأسها او على ظهرها او ترى ناراً يندلع لسانها حتى يكاد يدنو منها فيلتهمها ونحو ذلك من الاحلام المزعجة فتتأثر من ذلك شديداً حتى لقد تسقط بعد الحلم بيوم او يومين فما سبب ذلك وما طريقة علاجهِ

ج ان الحلم نتيجة لاسباب اي ان انحراف الصحة وما يتبعهُ من ألم الراس وألم الظهر واشتداد الحرارة هي التي تجعل المصابة تحلم كأن واحداً يضرب رأسها او ظهرها او تجعلها تشعر كان النار مشتعلة قريباً منها . اما العلاج فلا بدَّ من ان ينظر فيهِ الى اصل العلة وهذا لا يعلمهُ الاَّ الطبيب الذي يعالج المصابة ويرى فعل العلاج بها . ونقول بوجه عام ان تنقية الدم بالسكن في بيوت مطلقة الهواء والقيام ساعات من النهار في الخلاء والاقتصار على ما يكفي للشبع من الاطعمة المغذية السهلة الهضم والبعد عن كل الاسباب التي تهيج المجموع العصبي كل ذلك لازم للحوامل وللضعيفات الاجسام وقد يغني وحدهُ

عن العلاج ان لم يكن هناك علة خاصة تجب معالجتها بالوسائط الدوائية . اما سؤالكم الاخر عن البول فقد يكون ناتجاً عن التهاب في المثانة او عن حصاة او عن البلهارتسيا ولا بدَّ من الاعتماد على تشخيص الطبيب وعلاجهِ

(٤) مساحة الارض الزراعية

مصر . يوسف افندي نحاس . كم هي مساحة الاراضي التي تزرع في القطر المصري في الوجهين القبلي والبحري

ج ٥٧٥٧١٠٠ فدان منها ٣٤٣٧٨٠٠ فدان في الوجه البحري و ٢٣١٩٣٠٠ فدان في الوجه القبلي

(٥) عدد الفلاحين في مصر

ومنهُ . كم عدد اصحاب الاطيان من صغار الفلاحين ومن الاغنياء الكبار على قدر الامكان

ج في القطر المصري ٦١١٠٧٤ يملك كلٌّ منهم اقل من خمسة فدادين و ٨٠٨١٠ يملك كلٌّ منهم من خمسة فدادين الى عشرة و ٤١٢٧٦ يملك كلٌّ منهم من عشرة فدادين الى عشرين فداناً و ١٢٩٢٨ يملك كل منهم من عشرين فداناً الى ثلاثين و ٩٢٩٧ يملك كلٌّ منهم من ثلاثين فداناً الى خمسين و ١١٨٥٧ يملك كل منهم اكثر من خمسين فداناً وذلك بحسب الاحصاء الذي جمعهُ السر الون بالمر سنة ١٨٩٧ لما كان مستشاراً للمالية

(٦) البرسيم والنحل

لبنان . الدكتور يوسف سليم . قرأت في كتاب تربية النحل عن نباتٍ يدعى في الانكليزية كلوفر Clover يزرعونهُ في اميركا الشمالية لاجل النحل لانهُ يجني منهُ مقداراً وافراً من العسل والكلوفر اسم جنس لنباتات مثلثة الاوراق من الفصيلة القرنية تشمل البرسيم والفصفصة وغيرهما فهل النوع الذي يزرعونهُ في اميركا لهذه الغاية (وهو ذو الزهر الابيض) هو نفس البرسيم الذي يزرع في بر مصر للمواشي وما هي خصائص البرسيم المصري وهل هو من النبتات السنوية او المحولة وهل اذا بقيت جذورهُ في الارض ينبت كل سنة نظير الذي يزرعونهُ في الشام للخيل وهل اذا ازهر ثم قطع يعود يفرخ ويزهر ثانيةً حتى يمكن انتفاع النحل بهِ مدة طويلة وما هي الارض التي تصلح لزرعهِ وهل يخصب في اراضي لبنان وهل يمكن زرعهُ بعلاً اي في ارض تشرب من ماء المطر فقط واذا لم يكن هو نفس الذي يزرع في اميركا هل يمكنكم ان تفيدونا عن الكلوفر العسلي المستعمل زرعهُ هناك فارجو التكرم بالجواب مسهباً

ج الكلوفر يطلق على النفل والبرسيم الذي يزرع في القطر المصري وهذا خمسة اصناف البعلي والسيده والمسقاوي والخضراوي والحجازي . فالبعلي يزرع في اوائل الشتاء بعد ري الارض ويترك في الارض ثلاثة اشهر

ويحش او يترك في الارض اربعة اشهر و يستخرج البذار منهُ حينئذٍ

والسيده يبقى في الارض اربعة اشهر ويحش ثلاث مرات ثم يترك حتى يزهر لاجل البذار او يحش مرة رابعة . ويروى مرتين كلما حش مرة

والمسقاوي يترك في الارض سبعة اشهر ويحش سبع مرات ويروى مرتين كلما حش مرة

والخضراوي يبقى في الارض عشرة اشهر ويحش ٨ مرات الى ١٠ ويروى مرتين كلما حش مرة

والحجازي يبقى في الارض اربع سنوات او اكثر ويحش كل شهر ويروى مرتين كلما حش مرة وهو مثل الذي يزرع في الشام

وازهار هذه الانواع بيضاء كلها ما عدا زهر البرسيم الحجازي فانهُ بنفسجي وفيها كلها مادة عسلية فيقصدها النحل ليجني منها العسل ولكن الذي يزهر منها لا يعود ينمو اذا قطع واذا نما لا يزهر . وكل هذه الاصناف يمكن زرعها في لبنان ولكن متى ازهرت وبلغت يجب قطعها. ولا بدَّ من سقيها فلا تعيش في لبنان من غير سقي الاَّ حتى تزهر وتبزر واما اذا قطعت في الصيف ولم تسقَ لم تعد تنبت. والنفل الابيض الذي يزرع في اميركا اسمهُ العلمي (*T. repens*) ويمكن زرعهُ في لبنان كما يزرع في اميركا ولكنهُ اذا ازهر وقطع لا يعود يزهر ثانيةً

(٧) منشيء مقياس النيل

مصر . نخله بك صالح . يقال ان مقياس النيل الموجود الآن في الروضة انشأهُ احد الخلفاء من بني امية فهل ذلك صحيح وان لم يكن صحيحاً فمن هو الذي انشأهُ

ج ان الذي انشأهُ الخليفة المأمون العباسي الذي ولي الخلافة من سنة ٨١٣ للميلاد الى سنة ٨٣٣ وكان قبلهُ مقياس انشأهُ الخليفة سليمان بن عبد الملك الاموي الذي ولي الخلافة من سنة ٧١٥ الى سنة ٧١٧

(٨) ذراع المقياس

ومنهُ. ان المقياس المذكور حسابهُ هكذا

الذراع من ١	الى ١١	= ٥٤	سنتيمترًا
"	" ١٢	" ١٣	= ٤٩	"
"	" ١٤	" ١٦	= ٥٤	"
"	" ١٧	" ٢٢	= ٢٧	"
"	" ٢٣	" ٢٧	= ٥٤	"

فما هو سبب وضع هذه المقاسات على هذه الصورة

ج يظهر من كتاب المستر ولكوكس ان المسافات بين الاذرع اكثر اختلافًا مما ذكرتم فمن الذراع الثامن الى العاشر ١١٦ سنتمترًا ومن العاشر الى الثاني عشر ١٠٩ سنتمترات ومن الثاني عشر الى الرابع عشر ٩٨ سنتمترًا ومن الرابع عشر الى السادس عشر ٩٧ سنتمترًا ومن السادس عشر الى الثامن عشر ٥٤ سنتمترًا وكذا من الثامن

عشر الى العشرين . ومن العشرين الى الثاني والعشرين ٥٦ سنتمترًا ومن الثاني والعشرين الى الرابع والعشرين ١٠٦ سنتمترات ومن الرابع والعشرين الى السادس والعشرين ١٠٨ سنتمترات ومعظم الخلاف بين الذراع السادس عشر والثاني والعشرين. ونظن ان الذي صغَّر الاذرع هناك قصد ان يقنع اهالي مصر بوفاء النيل في سني الشحائح فان الفيضان يبلغ ١٦ ذراعًا حتمًا واذا زاد عليهِ ذراعًا عادية حسبتهما الحكومة ذراعين واذا زاد ذراعين حسبتهما اربعة ليطمئن الناس ولا يمانعوا في دفع الاموال الاميرية ثم اذا بلغ النيل الذراع ٢٢ لم تبقَ فائدة من تصغير الذراع بل صار تكبيرهُ اولى لئلاَّ تضطرب الافكار خوفًا من الغرق . هذا ظن ظنناهُ ولم نقف على ما يؤيدهُ حتى الآن

(٩) ريش القنفذ

بعبدات بلبنان . اسكندر افندي توما سمعت مرارًا ان القنفذ يضرب بريشهِ كالسهام الى مسافة بعيدة ويصيب من يضربهُ ولا يخطئهُ . وقرأت في احد الكتب ان ليس لهُ قدرة على ذلك فايهما اصح

ج ما قرأتموهُ في الكتاب ولكن اذا امسك حيوان القنفذ ليفترسهُ فقد تعلق بهِ شوكة او اكثر من شوكهِ وتغور في جسمهِ لان فيها حزوزًا دقيقة مائلة الى الوراء فكل حركة تدفعها الى امام في الثقب الذي تكون فيهِ (انظروا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في الصفحة ٤٢٢ من المجلد الثالث والعشرين من المقتطف)

(١٠) علاج لازالة اثر الجدري

ومنهُ . ما العلاج لازالة اثر الجدري من الوجه

ج اذا كان الجدري قد شفي وبقيت آثارهُ في الوجه فلا واسطة لازالتها واذا كان لم يشفَ فقيل ان كل واسطة تقي البثرات من الهواء تعين على منع آثارها وقال الدكتور فان ديك في باثولوجيتهِ ان كل الوسائط المستعملة لمنع آثار الجدري او ازالتها عبث لا فائدة منها كما ظهر من امتحانات كثيرة

(١١) كيفية عمل البيرا

بركة السبع . نخلة افندي عوض رزق الله مكاتب جريدة مصر . ما هي كيفية عمل البيرا وما هي المواد التي تضاف اليها حتى تصير مثل البيرا الواردة من بلاد اوربا ولاسيما التي ترد من المانيا . نرجو ان تجيبونا عن هذا السؤَال تفصيلاً في مجلتكم الزاهرة

ج تستخرج البيرا من الشعير والقمح وقد تستخرج من الارز والذرة والبطاطس وسكر النشا ولا يستعمل فيها التقطير كغيرها من الارواح . وفيها عناصر الحبوب التي تستخرج منها محلولة ومتكوِّنًا منها عناصر اخرى

كالدكستروس والكحول والحامض الكربونيك والكليسرين . ولا بدَّ لعمل البيرا من اربعة اشياء وهي الحبوب التي تستخرج منها وحشيشة الدينار والخمير والماء

اما الحبوب فالشعير اكثرها استعمالاً لان فيهِ من النشا والسكر المقادير الاصلح لتوليد الالكحول. وقد استعمل بعضهم البطاطس والارز والذرة والكليسرين وسكر البطاطس وسكر النشا ولكن الشعير افضلها

واما حشيشة الدينار فتستعمل زهورها الاناث لجعل طعم البيرا مرًّا بما فيها من المبدإ المرّ وفيها حامض تنيك يرسب المادة الزلالية التي في الشعير فتروق البيرا بذلك

ونوع البيرا يتوقف على نوع حشيشة الدينار التي تستعمل في استخراجها . وقد حاول بعضهم التعويض عن حشيشة الدينار بقشر بعض انواع الصنوبر و بالكواسيا وورق الجوز والافسنتين وخلاصة الصبر والحامض البكريك وكان المصريون القدماء يمرّرون جعتهم بالترمس وغيرهِ من النباتات المرّة ولكنهم لم يعرفوا حشيشة الدينار

واما الماء فيستعمل لبل الشعير واجود المياه لعمل البيرا المياه الناعمة التي يرغي الصابون بها كمياه الانهر والغالب ان يرشح الماء بالحصى والرمل والفحم قبل استخدامهِ في عمل البيرا

واما الخمير او خميرة البيرا فعلى نوعين اما ان تؤخذ من الزبد الطافي على وجه السائل المختمر او من الكدر الراسب منهُ . والزبد يستعمل في البيرا الباڤارية فيحفظها من الاختمار اذا عرضت للهواء. وطريقة العمل هكذا

ينقع الشعير بالماء حتى يبتل جيدًا وينتفخ والغرض من ذلك تحويل بعض النشا الذي فيهِ الى سكر فان الحبوب التي نقعت في الماء حتى كادت تنبت تقوى فيها قوة تحويل النشا الى سكر. والشعير افضل من غيرهِ من الحبوب لهذه الغاية لانهُ يتكوَّن منهُ سكر اكثر مما يتكوَّن منها . ويتدرَّج الانبات في ثلاث درجات ففي الاولى يغشَّى الشعير بغشاء خارجي ثم يزول هذا الغشاء . وفي الثانية ينتفخ طرف الشعيرة الاسفل الذي كان متصلاً بالسنبلة وفي الثالثة يظهر البرعم الذي يصير نباتًا اذا طال عليهِ الوقت . و يطول الجذر في هذه المدة و يصير بطول الحبة ويتحوَّل نصف النشا الى سكر وهذا التحويل هو الغاية المقصودة . وحينما يصير طول البرعم طول ثلثي حبة الشعير يكون عمل الانبات قد تم . وطريقة الانبات واحدة في الشعير وفي غيرهِ من الحبوب وكلها تقتضي ان لا تكون درجة الحرارة اقل من ٤ درجات سنتغراد ولا اكثر من ٤٠ درجة ولا بدَّ من كون الماء كافيًا لبل الحبوب ولابدَّ ايضًا من اتصال الهواء بها بسهولة و كون النور محجوبًا ما امكن

وتنقع الحبوب في حياض وسيعة من الخشب او الحجر تملأُ بالماء الى نصفها وتوضع الحبوب فوق الماء فلا يمضي ساعة حتى تغور فيهِ كلها الاَّ الحبوب المريضة او التي ضربها السوس فانها تبقى طافية على وجه الماء فتنزع وتطعم للمواشي . ويسمرُّ لون الماء مما يذوب فيهِ من قشر الحبوب ويصير لهُ طعم خاص . وتختلف المدة اللازمة لبل الحب بحسب كونهِ جديدًا او قديمًا وبحسب درجة الحرارة فالحب الجديد يبتل جيدًا في مدة من ٤٨ ساعة الى ٧٢ ساعة واما الحب القديم فلا يبتل جيدًا في اقل من ستة ايام او سبعة ولذلك يبل الجديد وحدهُ والقديم وحدهُ

وبعد ان يبتل الحب جيدًا يرفع من الماء ويترك من ٨ ساعات الى ١٠ ساعات حتى ينضح الماء منهُ جيدًا فينقل الى غرف الانبات ويبسط فيها طبقةً سمكها ١٢ سنتمترًا فتشرع البراعم في النموّ الى ان تصير بالطول المطلوب وترتفع الحرارة في مدة النموّ نحو عشر درجات ولا بدَّ من توقيف النموّ حينئذٍ لان السكر يكون قد بلغ حدَّهُ من التحوُّل فاذا تركت البراعم والجذور لشأنها امتصت قوَّة الحبوب وتختلف مدَّة الانبات بحسب حرارة الشهور من ستة ايام الى ستة عشر يومًا والمتوسط في بلاد بافاريا ثمانية ايام . ويخسر الحب مدة الانبات جزئين في المئة من وزنهِ

ثم تنقل الحبوب الى غرفة جافة مطلقة الهواء وتبسط على ارضها طبقة سمكها من ٣ الى ٥ سنتمترات وتقلب بالرفوش ست مرات او سبعًا كل يوم . وحينما تجف تقع منها الجذيرات من نفسها او تزال منها بالفرك والتذرية ثم تحمص على صحاف كبيرة من المعدن او من الاسلاك المعدنية وتحمى بنار الكوك دفعًا للدخان وقد تحمص في اساطين من الحديد كما يحمص البن . ولا تحمص كلها على درجة واحدة بل منها ما يحمص حتى يصفر لونهُ فقط ومنها ما يزاد تحميصهُ رويدًا رويدًا حتى يصير كهربائيًا او اسمر او اسود والاول يحمص على درجة بين ٣٣ و ٣٨ والثاني على درجة بين ٤٩ و٥٢ والثالث على درجة بين ٦٥،٥ و ٧٦،٥ والرابع يحمص في اساطين مثل محامص البن على درجة بين ١٣٦ و ٢٢٠ . وتخسر الحبوب في هذه الاعمال كلها ثمانية في المئة من وزنها

ثم تطحن الحبوب او تهرس في مطحنة خاصة وتوضع في حياض ويصب عليها الماء السخن حتى يذوب فيهِ كل ما يمكن ذوبانهُ منها ومقدار الماء يختلف باختلاف نوع البيرا والغالب انهُ نحو ثلاثة اضعاف جرم الدقيق وهذا الماء هو الذي يصير بيرا ويكون حينئذٍ حلو الطعم اصفر او اسمر حسب تحميص الحبوب ثم يغلى في آنية من النحاس بعد ان تضاف اليهِ حشيشة الدينار بنسبة رطلين الى كل مئتين وعشرين لترًا من دقيق الحبوب وذلك

يختلف باختلاف الفصول ففي الشتاء يضاف قليل من حشيشة الدينار وفي الصيف والخريف يضاف كثير فيصفو السائل ويصير طعمهُ مرًّا قليلاً ويتكاثف وحينما تصير درجة حرارتهِ ٩٠ بميزان سنتغراد (وهو المعول عليهِ في هذه النبذة) يتخثر الزلال وينفصل عن السائل . ويعلم ان الاغلاء قد بلغ حدهُ من وضع قليل من السائل في كاس فان رسبت المواد الخاثرة منهُ بسرعة فقد بلغ الاغلاء حدهُ والأَّفلا . ويكفي ان يغلى السائل ساعةً في الشتاء وثلاثة ارباع الساعة في الصيف وقد لا تضاف حشيشة الدينار الى السائل بل توضع في سلة ويصب عليها حتى يأخذ خلاصتها

وحينما يتم اغلاء السائل يبرَّد حالاً والتبريد غير سهل والبلدان الحارَّة التي لا يمكن تبريدهُ فيها لا يمكن عمل البيرا فيها الاَّ اذا استعمل الجليد لذلك او كان الفصل شتاء. وحينما يراد تبريدهُ يوضع في آنية معدنية قريبة القعر في مكان بارد فيرسب فيها راسب كثيف مؤَّلف من الزلال المتخثر بالحامض الثنيك الذي كان في حشيشة الدينار ومن قليل من النشا

ثم يصب هذا السائل في حياض الاختمار فيختمر من نفسهِ بما يتصل بهِ من جراثيم الخمير التي لا تخلو منها معامل البيرا ولكن الغالب ان يضاف اليهِ قليل من خميرة البيرا فيتحول ما فيهِ من السكر الى الكحول وحامض كربونيك ويتوقف مقدار الخميرة على حرارة المكان فالمكان الحار يقتضي ان تكون الخميرة صغيرة والبارد كبيرة . والخميرة التي تكوَّنت من اختمار سريع على درجة عالية من الحرارة تكون سريعة الفعل والتي تكوَّنت من اختمار بطيء على درجة واطئة من الحرارة تكون بطيئة الفعل . والاولى تنتشر على سطح السائل والثانية تغرق الى اسفلهِ ويسمى الاختمار الاول علويًّا والثاني سفليًّا ويعتمد على الاول في عمل البيرا التي تشرب حالاً وعلى الثاني في عمل البيرا التي تخزن وقتًا طويلاً

ففي الاختمار الثاني توضع الخميرة في اناء وتمزج بقليل من السائل مزجًا جيدًا ثم يصب ما في هذا الاناء في السائل كلهِ ويمزج بهِ بقضيب طويل او يؤْخذ لكل الف جزء من السائل من ستة الى ثمانية من الخمير ويضاف اليها قليل من السائل وتترك فيهِ مدة خمس ساعات الى ان يختمر جيدًا ثم يصب هذا السائل فوق السائل الكثير وبعد اضافة الخمير الى السائل باثنتي عشرة ساعة يطفو الحبب على وجههِ حول جوانب الاناء وبعد اثنتي عشرة ساعة اخرى يكثر الزبد على وجه السائل حتى يصير منظرهُ كالصخور المكسرة ويبقى فعل الاختمار مستمرًّا من يومين الى اربعة ايام

ويتم الاختمار في نحو ثمانية او تسعة ايام وحينئذٍ يكون السائل قد صار بيرا فيزال

الزبد عن وجهها والرواسب من قعرها وكلها يمكن استعمالها خميرة ولكن الطبقة الوسطى من طبقات الرواسب الثلاث اجودهنَّ للتخمير . وتوضع البيرا الصافية في الدنان وتوضع الدنان في اقبية باردة فيحل فيها الاختمار الثاني وقد تكون هذه الاقبية مغائر منقورة في الصخور وحينما يتم الاختمار الثاني تسد الدنان سدًّا غير محكم مدة اسبوعين ثم تسد سدًّا محكمًا وتترك الى حين الحاجة

وفي الاختمار الاول العلوي تضاف الخميرة الى السائل كما تضاف في الاختمار السفلي فيزبد السائل وينصب الزبد عنهُ وبذلك تزول الخميرة الزائدة عن الاختمار . وتوضع هذه البيرا في القناني غالبًا وهي كثيرة الزبد اذا صبت في الكؤوس

هذا شرح موجز لعمل البيرا ولا يُكفَل النجاح الاَّ بالمزاولة الطويلة ولو اردنا ان نشرح كل دقائق هذه الصناعة كما هي مشروحة في كتب القوم للزم لنا مجلدٌ كبير

---

(١٢) قياس بعد الكواكب

مليج . حبيب افندي حنا . كيف اتَّصل العلماء الى تحديد ابعاد الاجرام السموية وحجم كلٍّ منها ونسبتهِ الى غيرهِ وهل اقوالهم في شأنها فرضية او عن طرق عملية

ج ان الطرق المستعملة لمعرفة ابعاد الاجرام السموية واقدارها عملية محضة لا خطأ فيها الاَّ ما يحتمل وقوعهُ من قلة التدقيق في آلات القياس مع انها بلغت حدًّا من التدقيق يكاد يفوق الوصف ولكن الخطأ القليل ولو كان جزءا من مئة من الشعرة يوقع خطأً كبيرًا في القياس . هذا ولنفرض ان ما يراد قياس بعدهِ وجرمهِ هو الشمس لان بقية الاجرام السموية تقاس ببعد الشمس عن الارض فنقول انهُ اذا مرَّت الزهرة بيننا وبين الشمس ظهرت لنا كنقطة سوداء على قرص الشمس واذا نظر اليها اثنان في وقت واحد من مكانين مختلفين يعرف البعد بينهما لم يرَيَاها على نقطة واحدة من قرص الشمس بل رأياها في نقطتين مختلفتين ويحدث من ذلك مثلثان متشابها زواياهما معروفة كلها وتعرف ايضاً قاعدة احدهما وهي البعد بين المكانين على سطح الارض وتعرف نسبة العمودي في احدهما الى العمودي في الآخر من قواعد كبلر التي تعرف بها نسبة ابعاد السيارات بعضها عن بعض فيعرف حالاً البعد بين النقطتين اللتين ترى فيهما الزهرة على قرص الشمس ومن ثم يعرف طول العمودين اي بعد الشمس عن الارض ومتى عرف بعدها يعرف طول قطرها وجرمها

لكن قياس الزوايا ومعرفة البعد بين مكانين بعيدين بالتدقيق التام ليس بالامر السهل ولذلك لم يتفق العلماء اتفاقًا تامًّا في ما وصلوا اليهِ من قياس بعد الشمس بل بقي

بينهم فرق قليل فان الفلكي اري وجد البعد ٠٠٠ ٩٣ ٣٧٥ ميل ووجده ستون ٠٠٠ ٠٠٠ ٩٢ ميل وهاركنس ٠٠٠ ٩٢٣٦٥ وفاي ٠٠٠ ٩٢ ٧٥٠ وينغ ٠٠٠ ٩٢ ٨٨٥ وبول ٠٠٠ ٠٠٠ ٩٣ والاختلاف بين هذه الابعاد نحو واحد في المئة

ولهم طرق أُخرى لقياس بعد الشمس عن الارض تنطبق نتيجتها على النتائج المتقدمة. ومتى عرف بعد الشمس سهلت معرفة ابعاد السيارات والكواكب التي يمكن ان تقاس زاوية اختلافها. ولا يسهل ادراك ذلك الاَّ بعد درس حساب المثلثات وبعض المبادىء الفلكية

(١٣) النوم المغنطيسي والعلاج

ومنهُ . هل يمكن للمنوَّم تنويماً مغنطيسياً اذا سئل عن مريض ان يصف لهُ الدواء الشافي واذا كان ذلك ممكناً فعلى م لا يسأل المنوَّمون التنويم المغنطيسي عن ادوية الامراض العسرة الشفاء كالسل ونحوهِ

ج ان القسم الثاني من سؤالكم يكاد يكون جواباً للقسم الاول . ونحن نقول قولكم وهو انهُ لو استطاع من ينوَّم النوم المغنطيسي ان يعرف علاج الامراض لاستغني بهِ عن الطب والاطباء . والحقيقة انهُ لا يعرف شيئاً من ذلك ولكنهُ اذا سئل فقد يصف علاجاً كما يصفهُ لو كان مستيقظاً فيخطئ او يصيب حسب معارفهِ واذا كان المنوّم ماهراً فقد يرشدهُ بسؤالهِ الى ما يريد ان يجيبهُ بهِ

(١٤) سكان المريخ

ومنهُ . طالعنا في احدى المجلات العربية ان استاذاً من اساتذة مدرسة جنيف الكلية نشر كتاباً قال فيهِ ان احدى السيدات عاشت في المريخ وقتاً طويلاً وقد سمعها حين تنام نوماً مغنطيسياً تقول انها تقمصت في المريخ ووصفت اخلاق سكانهِ وتكلمت بلغتهم وقد خطَّت على ورق امامهُ حروف هذه اللغة بحسب الكتابة المريخية . فكيف تعللون ذلك وهل يوجد ما يثبت هذا الامر بادلة علمية

ج كلاَّ ولا بدَّ من ان يكون الاستاذ المشار اليهِ قد وضع قصة وهمية مثل القصص التي وضعها جول فرن وضمنها كثيراً من الحقائق العلمية بعد ان البسها ثوباً وهمياً لا حقيقة لهُ . والقصص الموضوعة على هذا الاسلوب كثيرة جدًّا في اللغات الاوربية

وقد قال المسيو فلامريون الفلكي "انهُ يحتمل ان يكون المريخ مسكوناً ولما كانت الجاذبية قليلة على سطحهِ فتكون الاجسام عليهِ خفيفة ولذلك تكون سكانهُ مجنحة كالطيور تنتقل من مكان الى آخر بالطيران . وهو اقدم من الارض وقد برد قبلها فيحتمل ان يكون سكانهُ اقدم من سكانها واعقل منهم واكمل" وذلك كلهُ من باب الظن

(١٥) الشيب الباكر

ومنهُ . قد يأتي الشيب بعض الناس باكرًا جدًّا فما سببهُ وما علاجه

ج سببهُ الغالب الوراثة ولا علاج لهُ ولكن اذا حفظت صحة الجسم والعقل وقلت الهموم والغموم تأخر الشيب اكثر مما اذا ضعفت الصحة وزادت الهموم والاحزان

(١٥) المواليد في فرنسا

ومنهُ . تدل احصاءات فرنسا على ان مواليدها قليلة . وقد قرأت في كتاب لا اتذكر اسمهُ ان نسبة النساء الغضبي من ازواجهنَّ ٨٤ في المئة والمطلقات ٩٢ في المئة . والمعروف ان هذه الامة قد بلغت اعلى درجات الحضارة والمدنية فهل تمدنها ادى الى نفور الزوجات عن ازواجهنَّ واحجام الشبان عن الاقتران او هناك شرائع اخرى تقضي بذلك وما اسباب العقم في فرنسا

ج ان ما قرأتموهُ في الكتاب الذي تشيرون اليهِ لا نصيب لهُ من الصحة على الاطلاق . والكتاب الذي يصم امة عظيمة بمثل هذه الوصمة الشنعاء يجب ان يحرق . اما قلة النسل عند الفرنسويين بحيث لا تزيد المواليد على الوفيات الاَّ قليلاً جدًّا فسببهُ الاكبر استثقال تربية الاولاد

(١٦) النبيذ واستخراجهُ

ومنهُ . هل النبيذ المستخرج من عصير العنب مفيد او غير مفيد وما كيفية استخراجهِ بطريقة تقيهِ من التلف

ج مفيد اذا استعمل بمقادير قليلة ولكن الاكثار منهُ مضرٌّ وكلهُ غير لازم فالاستغناء عنهُ خير من استعمالهِ . وطريقة استخراجهِ بسيطة جدًّا وهي ان يداس العنب ويُعصَر ويوضع عصيرهُ في آنية مكشوفة يومين او ثلاثة فيختمر ويحرَّك حتى ينتشر الاختمار فيهِ كلهِ فيصير خمرًا ويرسب منهُ راسب في اسفل الاناء فيصب في اناء آخر يسدُّ سدًّا محكمًا ويجري فيهِ اختمار آخر مدة عدة اشهر ترسب منهُ رواسب على جوانب الاناء ثم يصب في القناني ويترك الى ان يروق

(١٧) تنقية الماء

ومنهُ . باي كيفية يصير ماء الشرب نقيًّا وهل وضع الفحم البلدي والرمل في اسفل الزير يكفي لقتل الجراثيم المرضية او ما هي احسن الوسائط وابسطها لمن يسكن الارياف ويريد شرب الماء النقي

ج ان الفحم البلدي كبير الفائدة ولكن لا بدَّ من احمائهِ مرة بعد أُخرى لكي يبقى كافيًا لاصلاح الماء . ونشير على كل احد ان يستقي من ساقية (ناعورة) وان لم توجد فمن النيل نفسهِ اذا كان جاريًا والاَّ فمن ترعة كبيرة ماؤُها جارٍ . وماء الساقية اصلح من غيرهِ واذا قُطر ماء الترع او النيل او السواقي في زير بلدي نظيف صار نقيًّا . اما اذا كان في البلاد مرض وافد مثل الكوليرا او اذا

خيف تلوث الماء بمبرزات المصابين بالتيفويد فلا بد من اغلاء الماء جيدًا قبل شربهِ

---

(١٨) التطهير في التيفويد

حلوان . احد القراء . أُصيب واحد عندنا بالحمى التيفويدية وارسلناهُ الى المستشفى فنرجو ان تتكرموا علينا بالافادة عن طريقة لتطهير اثاث الغرفة التي كان فيها من اسرَّة وفرش وخزائن وبسط . وهل يخشى من استعمالها بعد تطهيرها

ج ان عدوى الحمى التيفويدية تكون في مبرزات المصاب بها فاذا تلوث شيءٌ بهذه المبرزات وجب وضعهُ في الماء الغالي او غسلهُ بمحلول السليماني . ويقال ان العدوى تنتقل ايضاً بغازات الكنف التي القيت فيها مبرزات المصابين بالتيفويد فيجب ان تطهر المبرزات قبل القائها في الكنف ولكن اذا كان في الكنيف ممصٌ يمنع خروج الغازات منهُ الى البيت فلا خوف منها . اما ما لم يلوَّث بمبرزات المريض فلا داعي لتطهيرهِ تطهيرًا خصوصياً لان جراثيم العدوى لا تكون متصلة بهِ ولكن لا بدَّ من التطهير العمومي والنظافة العمومية في كل شيءٍ

---

(١٩) ارتقاء الحيوان

الفيوم . حمد بك محمود باسل عمدة قبيلة الرماح . اذا قيل ان الانسان ارتقى شكلاً من اصل كالقرد كما يتبين من رسم الوجهين اللذين في الجزء الماضي من المقتطف فلماذا لا نرى القرد ارتقى في النطق ايضاً مثل الانسان

ج ان الذين يقولون بارتقاء الانسان من حيوان ادنى منهُ يقولون ان الحيوانات كلها تشعبت من اصل واحد كما تتشعب اغصان الشجرة من اصل واحد وتشعبها هذا ناتج عن اسباب طبيعية فاذا توفرت الاسباب الارتقاء لنوع منها ارتقى واذا توفرت لهُ اسباب لانحطاط انحطَّ فلو توفرت للقرد اسباب الارتقاء كما توفرت للانسان مدة ادهار كثيرة واسباب النطق ايضاً لصار من الناس ولم نعد نحسبهُ قردًا . اما الزمن اللازم لفعل هذه الاسباب حتى تبعد نوعاً عن نوع بُعْدًا شاسعاً كما بين الانسان والقرد فلا يقاس بمئات السنين ولا بالوف السنين بل بمئات الالوف من السنين او باكثر من ذلك . هذا اذا جرت نواميس الطبيعة على السنن الذي نراها جاريةً عليهِ الآن ولكن يحتمل ان تعرض للارض وما عليها قوًى اخرى في سيرها في فضاء هذا الكون فتغير فعل النواميس المعروفة بان تقويها او تضعفها او تنوعها على اسلوب آخر . وغنيٌّ عن البيان ان الانسان المتكلم تمرُّ عليهِ مدة من عمرهِ لا يستطيع النطق فيها فعجزهُ عن النطق في السنة الاولى من عمرهِ دليل على ان النطق طارئٌ عليهِ

(٣٠) قراءة الهيروغليف

ومنهُ . ان الخط الهيروغليفي القديم قد اندثر وانقطع المتكلمون بهِ والكاتبون ايضاً فما هي الطريقة التي توصلوا بها في هذا الاوان الى قراءة هذا الخط وكيفية النطق بهِ

ج قد شرحنا ذلك مراراً ولا سيما في الجزء الاول من المجلد الثالث عشر ونعيد هنا بعض ما ذكرناهُ قبلاً وهو انهم وجدوا حجراً في رشيد مكتوباً بالقلم المصري وباللغة اليونانية وفيهِ اعلام متكررة وفي بعضها حروف مكررة في علمين فحكموا ان الكتابة اليونانية ترجمة الكتابة المصرية والاعلام في كليهما واحدة في لفظها . وفي اليونانية كلمة بطليموس وكلمة كليوباطرا وحرف اللام وحرف الطاء مكرران في فيهما فثبت من ذلك ان العلامتين اللتين تقابلانهما احداهما لام والاخرى طاء ثم ان صور بعض العلامات تدل على الحروف الموضوعة لها فالحرف الاول من كلمة كليوباطرا صورة ركبة والركبة في اللغة القبطية تبتدئ بحرف الكاف فهي علامة لحرف الكاف وعلى هذا النمط قرئت اكثر حروف الكتابات القديمة وعرفت الفاظها . اما معاني الكلمات فعرفت من اللغة القبطية لانها نفس اللغة المصرية القديمة وقد طرأ عليها التغيير من اتصال اللغة اليونانية بها ومن توالي الازمان . واذا اردتم زيادة الايضاح فعليكم بمراجعة المقالة المشار اليها آنفاً

(٣١) اجسام الحيوانات

ومنهُ . يوجد في شكل الحيوانات التي من جنس واحد فرق عظيم في كبر حجمها بمعنى انك ترى حماراً كبير الجسم جداً وحماراً آخر صغير الجسم ولا يوجد مثل ذلك في الانسان فما سبب ذلك

ج نعم والفرق اكبر في انواع أُخرى مثل الكلاب فان منها ما يقارب الاسد جسماً ومنها ما يوضع في الجيب لصغرهِ واكبر من ذلك في النباتات والاثمار. والسبب فيهِ كثرة التغذية وقلتها وكون هذه الحيوانات وهذه النباتات تتوالد بسرعة فاذا اثَّر فيها مؤَثر ظهر اثرهُ في نسلها حالاً واما الانسان فلا يخلف نسلاً الاَّ بعد ان يبلغ الثامنة عشرة من عمرهِ فاذا طرأَ عليهِ طارئ يمنع نموَّهُ فالغالب انهُ يميتهُ قبلما يصل الى السن الذي يخلف فيهِ نسلاً فلا يرسخ تأثيرهُ بالتناسل والوراثة ومع ذلك تختلف قامات الناس اختلافاً بيناً بحسب اجيالهم فالروسيون والانكليز اكبر قامةً من الفرنسويين والعرب وكلهم اكبر قامة من الاقوام الذين لقيهم ستانلي في قلب افريقية

(٣٢) البداوة والحضارة

ومنهُ . يوجد في الناس البدو والحضر كما يوجد في الحيوانات البري والاهلي فهل صفة البداوة والحضارة غريزية في هذه المخلوقات

ج الاصل في الانسان والحيوان البداوة

اما الانسان فمال الى الحضارة رويداً رويداً ورسخ ذلك فيهِ لانهُ اصلح لهُ اي اذا هاجرت قبيلتان بدويتان الى بلادين احداهما كثيرة الخيرات وخيراتها ثابتة في مكان واحد كالقطر المصري ولا خير في البوادي حولها والاخرى قليلة الخيرات وخيراتها لا تدوم في مكان واحد بل هي تابعة لوقوع الامطار وامطارها غير منتظمة كبلاد استراليا فالاولى تساعدها احوال بلادها على الاستقرار والتحضر فيقوى فيها الميل الى الحضارة رويداً رويداً لان الذي يولد مائلاً الى الحضارة يعيش بالهناء ويخلف نسلاً والذي يولد مائلاً الى البداوة يعيش بالشقاء وقلما يخلف نسلاً . وعلى توالي السنين ينقرض نسل المائلين الى البداوة ولا يبقى الاَّ نسل المائلين الى الحضارة. اما القبيلة الاخرى فتضطرها احوال البلاد التي نزلتها الى التنقل فيها طلباً للرزق فاذا ولد فيها اولاد يميلون الى البقاء في مكانهم ماتوا جوعاً وانقرض نسلهم ويبقى نسل المائلين الى البداوة فيقوى فيها هذا الميل . اما الحيوانات فالاهلية منها صارت اهلية بتربية الانسان لها ادهاراً كثيرة . والبرية منها بعضها اصعب قياداً من بعض لان الانسان كان يطاردها ادهاراً كثيرة فرسخ فيها النفور منها

(٣٣) اهالي اميركا الاصليون

ومنهُ . ما هي الحالة التي كان عليها اهالي اميركا قبلما اكتشفها كولمبوس وهل كانوا في درجة توحش اهالي اواسط افريقية او اشد.

ج كان اهالي المكسيك والممالك القريبة منها ارقى من الاسبانيين الذين غلبوهم واما اهالي الولايات المتحدة فكانوا دونهم بمراحل ولا يفرقون كثيراً عن اهالي اواسط افريقية وكذا اهالي جانب كبير من اميركا الجنوبية

---

(٣٤) مجموعة فوتوغراف الملوك والامراء

امبابه . سمعان افندي عوض. ألا تهدوننا الى مجموعة عامة شاملة فوتوغراف الملوك والامراء والكتاب وارباب السيف والفلاسفة والوزراء والعظماء والعلماء ورؤساء الاديان والمخترعين والمكتشفين والساسة واصحاب الجرائد وكل مشاهير الرجال والنساء من يوم الخليقة الى الآن

ج لا ندري كيف يخطر على بالكم انهُ يمكن ان يصور الناس صوراً فوتوغرافية قبل وجود صناعة الفوتوغراف فان هذه الصناعة حديثة جداً وجدت في عصرنا هذا ولكن توجد معجمات لاعلام الناس فيها صور كثيرين من المشاهير رجالاً ونساء مثل قاموس بايل Bayle بالفرنسوية وقاموس تشالمرس Chalmers بالانكليزية وهو في ٣٢ مجلداً وقاموس فبرو Vapereau بالفرنسوية . واعلام العصر بالانكليزية وغير ذلك من القواميس العمومية والخصوصية

(٣٥) الصور على الرصاص والنحاس

بيروت . الخواجه انيس خوري . نرى في اكثر الجرائد الاوربية وفي مقتطفكم الاغر صورًا مختلفة يظهر انها منقولة عن صور فوتوغرافية فكيف طريقة نقلها على الرصاص او النحاس حتى تصير صالحة للطبع بواسطة المطابع

ج تصور الصور على الزجاج بالتصوير الشمسي العادي وتُظهر عليهِ ويوضع لوح الزجاج على صفيحة صقيلة من النحاس او الزنك حتى يباشر الكلوديون الصفيحة فيلصق بها ثم توضع في مغطس من الحامض النيتريك المخفف فيأ كل بعض اجزائها ويبقى البعض الآخر حسب صورة الكلوديون اللاصقة بها. ثم تسمر هذه الصفيحة بلوح من الخشب بعلو حروف الطبع فتصير صالحة للطبع



مناجم الذهب المصرية

اهتمت شركة انكليزية بالبحث عن مناجم الذهب في القطر المصري التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها وذهب وفد مؤلف من سعادة جنصن باشا وحضرات المستر الفرد والمستر وسترن والمستر بشل الى الاماكن التي فيها تلك المناجم بين لقصر والقصير فاكتشف سبعة عشر منجمًا من المناجم القديمة واتى بحجارة كثيرة منها بعث بها الى بلاد الانكليز واستخرج الذهب منها فوُجد في بعضها قليلاً جدًّا لا يزيد على درهم او درهمين في الطن من الحجر وفي البعض الآخر كثيرًا يبلغ ستة عشر درهمًا او اكثر في الطن . والحجارة عروق من الكوارتز المعروف "بدب الملح" ودقائق الذهب فيها صغيرة جدًّا لا تراها العين ولكن اذا سحق الحجر سحقًا ناعمًا وصوّل بالماء حتى جرف الماء كل دقائق التراب والكوارتز بقيت دقائق الذهب في المصولة

وامامنا الآن قطع كثيرة من هذه الحجارة بعضها ابيض برّاق من الكوارتز الصرف وبعضها من الكوارتز وحجارة أُخرى ملونة وبعضها حديدي كحجر الرحى (القوفا) وفي بعضها دقائق صغيرة من كبريتت الحديد ويقال ان دقائق الذهب ضمنها وهي تحتوي على قليل من الفضة مع الذهب

وقد وقفنا على تقرير هذه اللجنة فاذا هي قد اكتشفت المناجم القديمة كما تقدَّم ورأَت

ذلك القصر صفائح كثيرة من الاجر منقوشة بالخط الكريتي القديم وهو اقدم من حروف الهجاء اليونانية ووجدوا ايضاً صورة من الصور النافرة لفتاة بلباس ميسيني القديم وحاملة جاماً بيديها

الطاعون

ظهر الطاعون في بورت سعيد في اواسط ابريل ثم ظهر في الاسكندرية واصيب بهِ من اول ظهورهِ الى الحادي والثلاثين من شهر مايو ٥٤ نفساً توفي منهم ٢٥ وشفي عشرة ولا يزال ٢٠ تحت المعالجة ١٧ منهم في بورت سعيد و٢ في الاسكندرية وواحد في دمياط اصيب وهو آتٍ اليها من بورت سعيد

علم الفلك عند الكلدان

زعم بلينيوس المؤرخ انهُ كان عند الكلدانيين حسابات فلكية تمتد الى ٤٩٠ الف سنة . لكن كل ما كشف من آثارهم حتى الآن لا يمتد الى ابعد من عهد الملك سرجون الذي كان قبل المسيح بثلاثة آلاف وثمانمئة سنة وقد ظهر من هذه الآثار انهم كانوا يعرفون السيارات و يعدون منها الشمس والقمر واسماؤُها عندهم سن (القمر) وشمش (الشمس) وامنبودو (المشتري) ودبات (الزهرة) وكيانو (زحل) وجدُو (عطارد) ومشتبارومتانو المريخ وكانوا يعرفون الابراج والهالات و يستخدمون ذلك كلهُ في التنجيم وحساب المطالع والاوقات . وقد عثر اهل البحث على ما كتبهُ منجمو الكلدان في هذه المواضيع ونشر ذلك حديثاً في كتابين فيهما رسوم الكتابات الاصلية وقراءتها وترجمتها

كسوف الشمس

اشرنا الى هذا الكسوف في الجزء الثاني الصادر في غرة فبراير وكنا ننتظر ان نراهُ في هذه العاصمة حتى كان اليوم الموعود وهو الثامن والعشرون من مايو فحجب الضباب وجه السماء النهار كلهُ لكن سكان حلوان رأوا الكسوف جليًّا فابتدأَت المماسة الاولى نحو الساعة الخامسة والدقيقة ٤٠ وبلغ الكسوف اعظمهُ نحو الساعة ٦ والدقيقة ٣٥ وكسف نحو تسعة اعشار قطر الشمس فغابت مكسوفة

اكرام العلماء للملوك

نسمع كثيراً عن اكرام الملوك للعلماء فيعطونهم من الرتب والنياشين بعض ما يعطونهُ لوزرائهم وقوَّاد جيوشهم ولكن العلماء لا يعاملون الملوك بالمثل إما لانهم يخافونهم او لانهم لا يجدون منهم مَن هو اهل للاكرام العلمي لكنَّ هذه القاعدة قد خولفت الآن فمنحت مدرسة كمبردج الجامعة رتبة دكتور في الشرائع المدنية لجلالة ملك اسوج ونروج في الرابع عشر من شهر مايو في محفل حافل. وسرَّ جلالتهُ بهذا الانعام كثيراً

الخمر وحلاوة العنب

وضع المسيو دغاس كتاباً في كروم البلاد الحارّة ابان فيهِ ان شدة الحرارة في بعض الاقاليم مثل بلاد الجزائر تكثّر السكر في العنب وتقلل منهُ الحامض وهذا يضرُّ بالخمر المستخرجة منهُ ويفسد طعمها واشار بان يعصر بعض العنب الذي لم ينضج مع العنب الناضج اصلاحاً لذلك ويضاف اليهِ قليل من الحامض الطرطريك . وقال ان السكَّر يجب ان لا يزيد في العصير على ٢٠ في المئة

دواء الجرذان

اكتشف المسيو دنيز من مستوصف باستور ميكروباً اذا دخل بين الجرذان فتك بها فتكاً ذريعاً حتى لقد يفنيها كلها . وقد استخرج هذا الميكروب اصلاً من الفيران التي تصاب بالوباء ورباهُ حتى صار يفتك بالجرذان ايضاً اذا اكلتهُ في طعامها وقد جرَّبهُ في اماكن كثيرة فوفى بالغرض واستأصلت بهِ الجرذان في خمسين في المئة من الاماكن التي جُرب فيها وقلَّت كثيراً في ثلاثين في المئة من الاماكن ولم يؤثر في عشرين في المئة من الاماكن

ثوران يزوف

ثار بركان يزوف في اوائل مايو وقذف الصخور والحمم من فوهتهِ . ونشرت شركة روتر ان الصخور المقذوفة اصابت اربعة من السيَّاح الانكليز ثم كذَّبت ذلك

الصور الفوتوغرافيَّة الملونة

صور بعضهم ثلاث صور فوتوغرافية ملونة بثلاثة الوان وطُبعت بالوانها في الجرنال الجغرافي وهي صور اماكن على سطح الارض فجاءت منطبقة على الحقيقة . وهذه اول مرة استُعمل فيها التصوير الفوتوغرافي الملوَّن في المواضيع العلمية

لحم الزرافة

اخبرنا قادم من الرصيرص في اعالي السودان ان الناس هناك يأكلون لحم الزرافة ولا يكادون يأكلون لحماً سواهُ . وبعد ان اخبرنا ذلك وقعت عيننا على فقرة في جريدة ناتشر العلمية تشير فيها الى تقرير جمعية علم الحيوان ببلاد الانكليز ومما ذكرتهُ منهُ ان في بساتين تلك الجمعية زرافة اشترتها في شهر ابريل من العام الماضي بثمانمئة جنيه . فاعجب لقوم يأكلون لحم الزراف وهم على غاية الفقر لا يملكون من متاع الدنيا شيئاً يذكر والزرافة تساوي مئات الجنيهات

الاستاذ ملن ادوار

Prof. Miln-Edwards.

هو الاستاذ الفونس ملن ادوار مدير متحف التاريخ الطبيعي في باريس ابن الاستاذ هنري ملن ادوار العالم بعلم الحيوان الشهير ولد بباريس سنة ١٨٣٥ ودرس الطب ونال الدبلوما الطبية سنة ١٨٥٩ وجُعل استاذاً في

مدرسة الصيدلة سنة ١٨٦٥ ثم عين استاذاً لعلم الحيوان بدل ايبو وعين مديراً للمتحف سنة ١٨٩١ ولهُ مؤلف كبير في علم الطيور وتشريحها وساعد اباهُ في كتابهِ الكبير عن ذوات الثدي والّف كتاباً آخر في حيوانات مدغسكر . و بسعيهِ انفقت الحكومة الفرنسوية على البحث في قاع البحر وما فيهِ من انواع الاحياء ونشر نتائج ذلك سنة ١٨٨١ و١٨٨٢ و١٨٨٣ . توفي في الحادي والعشرين من شهر ابريل ولهُ من العمر اربع وستون سنة

الحرب في الترنسفال

نكتب هذه السطور في اليوم الاخير من مايو والانباء التلغرافية تدلُّ على ان الحكومة الانكليزية قد ضمت اليها ولاية اورنج الحرة وجعلتها مستعمرة من مستعمراتها فيتمتع اهاليها بحقوق الرعوية الانكليزية مثل سكان استراليا وسكان ولاية الراس . وان الجنود الانكليزية احدقت بعاصمة الترنسفال وكادت تستولي عليها وان الرئيس كروجر فرَّ من وجهها . وستضمُّ تلك البلاد الى الممالك الانكليزية ايضاً . فاذا رضي اهاليها بما قُدِر لهم وامتزجوا بالانكليز عن طيب نفس شاركوهم في كل الحقوق والامتيازات ولم يعد ابناؤهم يفرقون عن ابناء الانكليز كما لا يفرق بين ابناء الشعوب المختلفة المؤلفة منها الامة الانكليزية

هبة علمية

ذكرنا غير مرة ان المستر ركفلر المحسن الشهير وهب مدرسة شيكاغو الجامعة هبة جديدة قدرها نصف مليون جنيه مشترطاً ان يهبها غيرهُ نصف مليون آخر فجعلت الهبات ترد اليها من جهات مختلفة حتى بلغت نصف مليون جنيه فاستحقت اخذ نصف المليون الذي وهبها اياهُ . وقد بلغت اموال هذه المدرسة الآن مليونين ومئتي الف جنيه

اكبر الحجارة النيزكية

لما عاد الملازم بيري من رحلتهِ القطبية الاخيرة جلب معهُ حجرًا نيزكيًا كبيرًا يبلغ ثقلهُ الفي قنطار مصري واوصلهُ الى دار الصنعة في مدينة بروكلين باميركا وهو يطلب بهِ الان خمسة عشر الف جنيه

نسيج من خيوط العناكب

في معرض باريس كلة (ناموسية) منسوجة من خيوط العنكبوت وهي من عناكب كبيرة تكون في جزيرة مدغسكر يخرج من العنكبوتة منها خيط حريري طولهُ اكثر من ثلثمئة متر ذهبي اللون برَّاق متين جدًّا ينسج بسهولة

نجاح الاوتوموبيل

تسابقت مركبات الاوتوموبيل في فرنسا مسافة ١٤٠٠ ميل فثبت انها خير وسائط

النقل بعد السكك الحديدية فان واحدةً منها سارت مئتي ميل وثمانية اميال من غير ان تقف لحظةً وكان متوسط سيرها اربعة واربعين ميلاً في الساعة وقطعت الاربعة والثلاثين ميلاً الاولى في ثلاث وثلاثين دقيقة . ثم جرت مركبات الاتوموبيل مسافة الف ميل في بلاد الانكليز فقطعتها بسهولة حتى لم يكد يظهر فرق كبير بين انواعها

تلغراف بولاك وفراج

استنبط هذان الرجلان آلة جديدة للتلغراف امتحنت بالامس بين برلين وبست فأرسل بها ٢٢٠ كلمة في تسع ثوانٍ فيرسل بها ٨٨ الف كلمة في الساعة الواحدة وعلامات الكلام تطبع بها طبعاً بنوع من التصوير الشمسي

الكهربائيَّة لسبك الحديد

يشتري اهالي سويسرا من الحديد كل سنة ما ثمنهُ مليونا جنيه ليصنعوا منهُ الآلات والادوات لا لان مناجم الحديد غير موجودة في بلادهم بل لان الفحم الحجري الذي يسبك بهِ الحديد غير موجود فيها اما الآن فاهتدوا الى طريقة يستغنون بها عن الفحم الحجري وهي انهم شرعوا يحوّلون قوة ماء نهر الآر الجاري في بلادهم الى كهربائية ويحسبون ان قوتهُ تساوي ستين الف حصان فيستخدمونها كلها في صهر الحديد من معدنهِ . فان كان اهالي سويسرا استخرجوا من نُهَيْر مثل الآر قوةً تساوي ستين الف حصان فالقوة التي يمكن ان تستخرج من النيل ومن انهر بلاد الشام في فصل الشتاء لا تقدَّر بمال

زيت البترول في الجزائر

وجدت بقعة في اوران ببلاد الجزائر طولها نحو ١٢٠ ميلاً فيها كثير من زيت البترول ويقال انهُ كثيرٌ فيها جدًّا حتى يمكن ان تقابل بباكو

الشب في الخبز

لا يخفى ان الشب الابيض يصلح لون الدقيق الاسمر فيجعل خبزهُ مثل خبز الدقيق الابيض الغالي الثمن . وقد عيَّن مجلس النواب في اميركا لجنة من العلماء للبحث عن فعل الشب في الخبز فوجدت بعد البحث انهُ ضار جدًّا ولذلك منعت الحكومة الاميركية اضافة الشب الى الخبز وفرضت عقاباً على من يخالف ذلك

نزع العصب

أُصيب احد مشاهير علماء الفلك الاميركيين بألم مبرح في رجلهِ لا يُعرَف لهُ سبب فشكا منهُ اثنتي عشرة سنة واخيرًا رآهُ اثنان من الجراحين وقالا ان في ساقهِ عصباً مريضاً اذا نزع زال الالم وطلبا ان يبنجاهُ لان العملية مؤلمةُ جدًّا فلم يقبل بل طلب منهما ان يشقا ساقهُ امام عينيهِ ليرى

العملية فشقاها ووصلا الى العصب المطلوب فوجداهُ مريضاً كما ظنا فقطعاهُ وخاطا الجرح ولم تمضِ عشرة ايام حتى قام وصار يلبس ثيابهُ وهو الآن سليم معافى

الغذاء من السم

في بعض البزور مثل بزر اللوز المر وبزر المشمش المر مادَّة سامة جدًّا هي الحامض الهيدروسيانيك وقد بحث احد العلماء عن فائدتها للبزر فوجد ان النبات الذي ينبت منهُ يغتذي بالنيتروجين الذي في هذا الحامض السام

ارتفاع المباني

رأى القدماء ما لا يراهُ مديرو التنظيم في اكثر المدن الآن وهو ان ارتفاع المباني في المدن الكبيرة مشوّهٌ لمنظرها مفسد لهوائها فامر اوغسطس قيصر ان لا ترفع المباني اكثر من سبعين قدماً وامر تراجنس ونيرون ان لا ترفع اكثر من ستين قدماً

التصوير باشعة رنتجن

تستعمل اشعة رنتجن الآن لتصوير اعضاء الانسان فيظهر ما فيها من العظام والآفات المختلفة ولكن صورها لا تكون واضحة جدًّا لان النور الكهربائي الذي تتولد منهُ اشعة رنتجن لا يكون ثابتاً وقد استنبط الاستاذ تروبردج الاميركي طريقة جديدة لثبوت النور الكهربائي وجعل الصور التي تصور باشعة رنتجن واضحة اتم الوضوح وسيكون من ذلك فائدة كبيرة لعلم الطب والجراحة

اعمق الآبار

اهتمَّ كثيرون في هذا القطر بحفر الآبار الارتوازية لارواء مزروعاتهم خوفاً من قلة ماء النيل وقد استغرب بعضهم الوصول في الحفر الى مئة قدم او مئتي قدم لكن الآبار التي حفرها الناس في اوربا واميركا تزيد على ذلك زيادة فاحشة فبقرب سلسيا في النمسا بئر عمقها ٦٥٧٠ قدماً وبقرب ليبسك بئر عمقها ٦٢٦٥ قدماً وفي وادي مونونغهالا باميركا بئر بلغ عمقها الآن ٥٥٣٢ قدماً ويراد ايصالها الى ٦٠٠٠ قدم وفي هويلن باميركا ايضاً بئر عمقها ٤٩٢٠ قدماً . وماء هذه الآبار سخن لا يصلح للري اما الآبار التي يستعمل ماؤُها للري فلا يزيد عمقها على مئتي قدم الاَّ قليلاً

سفن التجارة

نشرت جريدة السينتفك اميركان احصاء السفن التجارية التي يزيد محمول الواحدة منها على مئة طن سواءٌ كانت بخارية او شراعية فاذا هي ١١٤٥٦ سفينة محمولها كلها ١٩٧٧١٠٠٠ طن للانكليز اكثر من النصف وما بقي لكل امم الارض كما ترى في هذا الجدول

	عددها	محمولها
لانكلترا	٥٤٥٣	١١٠٩٤٠٠٠
لالمانيا	٩٠٠	١٨٧٣٠٠٠

	عددها	محمولها
لفرنسا	٥٢٦	٩٨٦٠٠٠
لاميركا	٥٥١	٩٧١٠٠٠
لنروج	٦٥٧	٦٧٣٠٠٠
لاسبانيا	٣٧٧	٥٥٢٠٠٠
لليابان	٣٣٢	٤٥٦٠٠٠
لايطاليا	٢٥٨	٤٤٣٠٠٠
لروسيا	٤٣٥	٤٠٨٠٠٠
للدنمرك	٣١٨	٣٨٩٠٠٠
لهولندا	٢٣٤	٣٦٦٠٠٠
لاسوج	٤٩٧	٣٤٠٠٠٠
للنمسا	١٦٧	٣٣٥٠٠٠

وما بقي لبقية دول الارض

آثار الفيوم

وجد المستر غرانفل والمستر هنت آثار هيكل كبير في مديرية الفيوم طول حرمهِ ١١٠ امتار وعرضهُ ٦٠ مترًا وسمك جدرانهِ ثلاثة امتار وفي الجهة الشرقية الشمالية الهيكل وهو صغير وعلى مقربة منهُ بيوت الكهنة وقد وجدا فيها كثيرًا من ادراج البردي وهي من القرن الثالث بعد المسيح وبعضها من عهد البطالسة ووجدا هناك نقودًا من الفضة والنحاس وسجلات من عهد اوغسطس قيصر

معارض باريس

انشئ اول معرض في باريس سنة ١٧٩٨ وكان العارضون فيهِ ١١٠ ودام ثلاثة ايام وآخر معرض فيها كان سنة ١٨٨٩ وبلغ عدد العارضين فيهِ ٦١٧٢٢ وعدد الذين حضروهُ ٣٢ مليونًا و٦٥٠ الفًا . والمظنون ان عدد الذين يحضرون معرض هذا العام يبلغون ستين مليونًا او اكثر

القطن المصري

اضحت زراعة القطن الشغل الشاغل لافكار الناس في القطر المصري هذه الايام فقد خيف اولاً ان ماء النيل لا يكفي لري ما يزرع من القطن عادة حتى قدر المستر ولكوكس موسم هذا العام بثلاثة ملايين من القناطير اي نصف الموسم ثم اشار بفتح السدود في اعالي النيل فبعثت الحكومة من بذل الجهد في فتحها فزاد بها الماء قليلاً ومنعت زراعة الارز وري الشراقي فتوفرت المياه كلها لري القطن واعطي الماء لريهِ بالقسط . وهو الآن نام يانع والمرجح ان الماء الموجود في حوض النيل والماء الوارد من السودان يكفيان القطن الى ان يرد ماء الفيضان ولكن يرجح ان طول مدة المناوبة تضرُّ بهِ فيقل ما يجنى منهُ حتى لا يزيد على خمسة ملايين قنطار وقد لا يكون الاَّ اربعة ملايين ونصف مليون لان مدة المناوبة قد صارت ٢٨ يومًا والقطن الذي يعطش هذه المدة ثم يروى يذبل جانب كبير مما عليهِ من اللوز ويسقط وبذلك يقل المحصول نحو الربع

فهرس الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين

الاوامر العالية

راينا ان نضيف الى المقتطف بابًا ننشر فيهِ بعض الاوامر العالية التي تصدر في القطر المصري لكي يقف عليها الجمهور و يرجعوا اليها حين الحاجة وسننشرها في صفحات تضاف الى المقتطف في آخرهِ حتى لا يتعذر جمعها وتجليدها وحدها في آخر السنة

لائحة المحاكم الشرعيَّة

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع عَلَى لائحة المحاكم الشرعيَّة الصادرة في ٩ رجب سنة ١٢٩٧ — ١٧ يونيو سنة ١٨٨٠

وبناء عَلَى ما عرضهُ علينا ناظر الحقانيَّة وموافقة رأْي مجلس النظار و بعد اخذ رأْي مجلس شورى القوانين امرنا بما هو آتٍ

الكتاب الاول

في ترتيب المحاكم الشرعيَّة

المادة الاولى — تنقسم المحاكم الشرعيَّة الى محاكم المراكز والى محاكم المديريَّات والمحافظات والى محكمة عليا بمحكمة مصر

الباب الاول في محاكم المراكز

المادة ٢ — كل محكمة من محاكم المراكز يكون لها قاضٍ واحد

المادة ٣ — دائرة اختصاص محكمة كل مركز تشمل البلاد الداخلة في دائرة المركز باعتبار التقسيم الاداري وكذلك دائرة اختصاص محاكم المديريات والمحافظات

وعند التعديل في دائرة اي مركز يصدر امرنا باجازة القاضي بمباشرة الاحكام في البلاد التي اضيفت الى مركزهِ ومنع القاضي الذي خرجت من مركزهِ عن ذلك

المادة ٤ — اذا تغيب احد قضاة محاكم المراكز او حصل لهُ مانع يمنعهُ عن الحضور فلرئيس مجلس شرعي الجهة ان يحوّل اعمالهُ على قاضٍ آخر من قضاة محاكم المراكز الداخلة في دائرة اختصاص المجلس

المادة ٥ — تدخل في عداد محاكم المراكز محاكم بورسعيد والسويس والاسمعيلية والعريش والبرلس والمطرية وسيوه والواحات البحرية والداخلة والخارجة والقصير وضواحي مصر

وتكون محكمتا بورسعيد والمطرية تابعتين لمجلس شرعي دمياط ومحكمتا السويس والاسمعيلية تابعتين لمجلس شرعي الزقازيق ومحكمة ضواحي مصر تابعة لمجلس شرعي القليوبية

الباب الثاني في محاكم المديريات والمحافظات

المادة ٦ — تتألف محكمة مصر من قاضي مصر وخمسة اعضاء وتصدر الاحكام من ثلاثة منهم احدهم القاضي بصفة رئيس او من ينيبهُ عنهُ

وتتألف محكمة اسكندرية من قاض وثلاثة اعضاء احدهم مفتي الثغر وتصدر الاحكام من ثلاثة منهم احدهم القاضي بصفة رئيس او من ينيبهُ عنهُ

وتتألف كل محكمة من محاكم المديريات ودمياط من قاض وعضوين احدهما مفتي الجهة وتصدر الاحكام فيها من الثلاثة ويكون القاضي بصفة رئيس

المادة ٧ — اذا تغيب احد عضوي المجلس في غير محكمتي مصر واسكندرية او حصل لهُ مانع يمنعهُ عن الحضور قام مقامهُ من ينتدبهُ رئيس المجلس من قضاة محاكم المراكز الكائنة بدائرتهِ

واذا تغيب الرئيس او حصل لهُ مانع يمنعهُ عن الحضور قام مقامهُ احد العضوين الذي ينتدبهُ ناظر الحقانية وعلى هذا العضو ان يستكمل الهيئة بالطريقة المتقدمة

اما في كل من محكمتي مصر واسكندرية فلناظر الحقانيَّة عند عدم تيسر استكمال هيئة المجلس من اعضائها ان ينتدب من يكمل الهيئة من رؤساء المجالس بعد اخذ رأي القاضي

الباب الثالث في المحكمة العليا

المادة ٨ — تشكل بمحكمة مصر محكمة عليا مؤلفة من خمسة وهم قاضي مصر بصفة رئيس ومفتي الديار المصرية ومفتي نظارة الحقانيَّة وعضوان يعينان بامر منا بناء على طلب ناظر الحقانيَّة وتصدر الاحكام من الخمسة

المادة ٩ — اذا تغيب احد اعضاء المحكمة العليا او حصل لهُ مانع يمنعهُ عن الحضور فلناظر الحقانيَّة ان ينتدب من يقوم مقامهُ من المجالس الشرعيَّة ممن لم يسبق لهم نظر الدعوى بعد اخذ رأي قاضي مصر

واذا تغيب الرئيس او حصل لهُ مانع يمنعهُ عن الحضور قام مقامهُ من ينيبهُ عنهُ من اعضاء تلك المحكمة ولناظر الحقانيَّة ان يستكمل الهيئة بالطريقة المتقدمة

الكتاب الثاني

في انتخاب وتعيين القضاة والاعضاء والمفتين وتأديبهم

المادة ١٠ — انتخاب قاضي مصر يكون منوطاً بنا وتعيينهُ يكون حسب القواعد المرعيَّة وانتخاب وتعيين مفتي الديار المصرية يكون منوطاً بنا و بامر منا بالطرق المتبعة

المادة ١١ — تعيين باقي قضاة واعضاء المحاكم الشرعيَّة والمفتين يكون بامر يصدر منا بناء على طلب ناظر الحقانية وموافقة رأي مجلس النظار بعد الانتخاب على الوجه الآتي

المادة ١٢ — تشكل لجنة بنظارة الحقانية بحضور ناظرها او من ينوب عنهُ من قاضي مصر وشيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ومفتي نظارة الحقانية واثنين من مفتشي المحاكم الشرعيَّة لتنتخب القضاة واعضاء المجالس الشرعيَّة والمفتين المذكورين بالمادة السابقة

المادة ١٣ — يشترط فيمن ينتخب قاضياً او عضواً بالمحاكم الشرعية ان يكون ذا دراية كافية بالاحكام الشرعية حسن السير غير محكوم عليهِ باحكام مخلة بالشرف وان يكون سنهُ خمساً وعشرين سنة بالاقل

ويشترط ايضاً فيمن ينتخب قاضياً لمحاكم المراكز ان يكون حائزاً لشهادة العالمية من الجامع الازهر او من احدى الجهات المصرح لها من مشيخة الجامع الازهر باعطاء الشهادة المذكورة او يكون حائزاً لشهادة اللياقة للقضاء او الافتاء من مدرسة دار العلوم. وقضاة واعضاء المجالس الشرعية ينتخبون من الحائزين لشهادة العالمية المذكورة او من القضاة الموظفين مع مراعاة الاقدمية واللياقة

المادة ١٤ — يشترط فيمن ينتخب مفتياً ان يكون من الحائزين لشهادة العالمية المتقدم ذكرها المدرسين بالجامع الازهر

اما تعيين مفتي نظارة الحقانية فيكون بامر منا بناء على طلب ناظر الحقانية

المادة ١٥ — تبين كيفيَّة ترتيب المجالس التأديبية لقضاة واعضاء المحاكم الشرعية والمفتين وانواع التأديب بقرار يصدرهُ ناظر الحقانية بعد التصديق عليهِ من مجلس النظار و يستثنى من حكم هذه المادة قاضي مصر ومفتي الديار المصرية

الكتاب الثالث

في اختصاص المحاكم الشرعية

الباب الاول في محاكم المراكز

المادة ١٦ — تحكم محاكم المراكز في المواد المتعلقة بالنكاح والمهر والجهاز والحضانة وانتقال

الام بالصغير من بلد الى بلد والصلح بين الزوجين وحفظ الولد عند محرمهِ والطلاق والخلع والمبارأة والفرقة بين الزوجين باسبابها الشرعية حسب المقرَّر في المذهب وتقدير النفقات بما فيها من نفقة الاقارب والتوكيل بين الزوجين وثبوت النسب ونحو ذلك مما يتعلق بامور الزوجية وذلك في غير الوقف وفي غير الارث الذي تزيد قيمة التركة فيهِ عن خمسة وعشرين جنيهاً

اما محاكم سيوه والعريش والقصير والواحات الثلاث فتحكم فيما ذكر وفيما تحكم فيهِ المجالس الشرعية على الوجه الآتي

ولكل من رؤساء المجالس الشرعية ان يحكم بانفرادهِ او يأذن احد اعضاء محكمتهِ بالحكم في المواد المذكورة في المدينة الكائن بها مركز المحكمة وفي الجهات الداخلة في دائرة مجلسهِ الشرعي وليست داخلة في دائرة إحدى محاكم المراكز

المادة ١٧ — يجوز الدفع في كل حكم يصدر عَلَى الوجه المسطور امام المجالس التابعة لهُ الجهة الَّتي صدر منها الحكم المذكور وذلك فيما عدا الاحكام الصادرة من محاكم سيوه والعريش والقصير والواحات الثلاث فانها لا تقبل الدفع إلا بطريق المعارضة الآتي بيانها

الباب الثاني في المجالس الشرعية

المادة ١٨ — تنظر المجالس الشرعية فيما يرفع اليها من المواد الشرعية ماعدا المواد المذكورة بالمادة ١٦ وفي الدفع الذي يرفع اليها عن الحكم الذي يصدر على الوجه المبين بالمادة السابقة

المادة ١٩ — يجوز الدفع في كل حكم يصدر من المجالس الشرعية امام المحكمة العليا وذلك فيما عدا الاحكام الصادرة من المجالس المذكورة فيما يتعلق بدعاوى الدفع المرفوعة اليها عن الاحكام المنصوص عليها بالمادة ١٦

الباب الثالث في المحكمة العليا

المادة ٢٠ — تنظر المحكمة العليا في الدفع الذي يرفع اليها عن الاحكام الصادرة من المجالس الشرعيَّة وذلك فيما عدا الاحكام الصادرة من المجالس المذكورة فيما يتعلق بدعاوى الدفع المرفوعة اليها عن الاحكام المنصوص عليها بالمادة ١٦

الباب الرابع في اختصاص المحاكم بالنسبة لمحل التوطن

المادة ٢١ — ترفع الدعاوى امام المحكمة الكائن بدائرتها محل توطن المدعى عليهِ

اما اذا تعدَّد المدعى عليهم واختلفت محلاَّت توطنهم وكان الحكم على احدهم حكماً على الباقين فيكون الخيار للمدعي في اقامة دعواهُ امام محكمة توطن احدهم

المادة ٢٢ — مواد اثبات الوصاية والوصيَّة والوقف والارث عدا المنصوص عليهِ في المادة ١٦ تكون من خصائص المجالس الشرعيَّة الكائن بدائرتها محل توطن الموصي او الواقف او المورث ما لم يتعسر ذلك لبعد المحكمة فانها تنظر بمحكمة اخرى بعد التصريح بذلك من نظارة الحقانيَّة

المادة ٢٣ — الدعاوى ٱلَّتي ترفع على كل ناظر وقف او على من ينوب عنهُ في شأْن الاوقاف الجاري ادارتها بمعرفتهِ يسوغ للمدعي إما إقامتها امام المجلس الشرعي التابع لهُ محل توطن المدعى عليهِ او امام المجلس الشرعي الكائن بدائرتهِ اعيان الوقف الحاصل النزاع بسببها كلها او بعضها

الكتاب الرابع

في الادلة والمرافعات والاحكام وطرق الطعن فيها وتنفيذها

الباب الاول في الادلة

المادة ٢٤ — الحجج الشرعيَّة ثلاث الاقرار والبينة والنكول عن الحلف

الفصل الاول — في الاقرار

المادة ٢٥ — الاقرار بالكتابة كالاقرار باللسان

المادة ٢٦ — امر احد آخر بان يكتب إقرارهُ هو إقرار حكمًا. بناء عليهِ لو امر أحد كاتبًا بقولهِ اكتب لي سندًا ووضع فيهِ امضاءهُ او ختمهُ يكون من قبيل الاقرار بالكتابة كالسند الذي كتبهُ بخط يدهِ

المادة ٢٧ — اذا كتب احد سندًا او استكتبهُ واعطاهُ لاحد ممضًى او مختومًا يكون معتبرًا او مرعيًّا كتقريرهِ الشفاهي لانهُ اقرار بالكتابة ان كان مرسومًا يعني ان كان ذلك السند كتب موافقًا للرسم والعادة

والوثائق ٱلَّتي تعلم القبض المسماة بالوصول هي من هٰذَا القبيل ايضًا

المادة ٢٨ — اذا انكر من كتب سندًا او استكتبهُ واعطاهُ ممضي او مختومًا فلا يعتبر انكارهُ واما اذا انكر كون السند لهُ فلا يعتبر انكارهُ ان كان خطهُ وختمهُ مشهورًا ومتعارفًا و يعمل بذلك السند

وان لم يكن خطهُ وختمهُ متعارفًا يستكتب ذلك المنكر و يعرض على اهل الخبرة فان اخبروا بانهما كتابة شخص واحد يقضى بهِ على المنكر

والحاصل يعمل بالسند ان كان بريئاً من شائبة التزوير وشبهة التصنع واماً اذا لم يكن السند بريئاً من الشبهة وانكر الخصم كون السند لهُ وانكر اصل ما يشهد بهِ السند ايضاً فيحلف بطلب المدعي على ان السند ليس لهُ وان ذمتهُ بريئة مما يشهد بهِ السند

المادة ٢٩ — اذا ادعى صدور الاقرار عند غير القاضي في اثناء الدعوى والخصومة القائمة بين المتخاصمين فلا يعمل بهِ ولا تسمع دعوى الاقرار بذلك

المادة ٣٠ — يمنع سماع دعوى الوقف او الاقرار بهِ او استبدالهُ او الادخال او الاخراج او غير ذلك من باقي الشروط العشرة الاَّ اذا صدر اشهاد بذلك ممن يملكهُ عَلَى يد حاكم شرعي او مأذون وكان مقيدًا بدفتر احدى المحاكم الشرعيَّة

وكذا الحال في دعوى شرط لم يكن مدوَّناً بكتاب الوقف المسجل ودعوى مستحق لم يكن من الموقوف عليهم بمقتضى كتاب الوقف المذكور

المادة ٣١ — لا تسمع دعوى الزوجيَّة او الطلاق او الاقرار بهما بعد وفاة احد الزوجين الاَّ اذا كانت مؤيدة بمقتضى اوراق خالية من شبهة التصنع تدل عَلَى صحة الدعوى

المادة ٣٢ — لا تسمع دعوى الوصيَّة او الايصاء او الاقرار بهما الاَّ اذا وجدت اوراق خالية من شبهة التصنع تدل عَلَى صحة الدعوى

المادة ٣٣ — كل سند شرعي صادر من المحاكم الشرعيَّة مسجل بالسجل المصان مطابق لما في سجلهِ المحفوظ مستوفٍ شرائطهُ الشرعية لا يكون مانعاً من سماع دعوى من يدعي حقاً بوجه شرعي فيما تحرر بهِ هذا السند ما عدا من كان السند المذكور شاهدًا عليهِ او على من تلقى الحق عنهُ بما تحرر بهِ ذلك السند

المادة ٣٤ — اذا حصل نزاع في اصل الوقف وكان لهُ حجة مسجلة بسجلها المصان مستوفاة شرائط الصحة شرعاً تمنع المحاكم الشرعية من سماع دعوى الجاحد لاصل صدور ذلك الوقف

وعند عدم وجود الحجة يرجع الى سجلها

وكذا لو حصل نزاع في شرط من شروط الوقف

المادة ٣٥ — لا يعمل بحجة الوقف الاَّ اذا كانت مسجلة بالسجل المصان مطابقة لهُ او كانت مسجلة وانعدم سجلها وخالية من شبهة التزوير وكذا يعمل بالحجة في الاوقاف القديمة التي تحت يد نظارها وان لم يكن لها سجل متى كانت الحجة خالية من شبهة التزوير

الفصل الثاني — في الاثبات بالبينة

المادة ٣٦ — يجوز اثبات الدعوى بالبيِّنة العادلة

المادة ٣٧ — يبحث القاضي (الذي هو الحكم الوحيد في تقدير الشهادة ومعرفة درجة التعويل عليها) عن الطرق التي توصل بها الشاهد لمعرفة ما شهد بهِ وعن درجة الوثوق بهِ وعما يعود عليهِ من المنفعة

المادة ٣٨ — للقاضي ان يناقش الشاهد للتثبت من صحة الشهادة

المادة ٣٩ — للقاضي ان يفرق بين الشهود و يسألهم عن المواضع وغير ذلك

المادة ٤٠ — اذا الحّ المشهود عليهِ بتحليف الشهود بانهم لم يكونوا في شهادتهم كاذبين وكان هناك لزوم لتقوية الشهادة باليمين فللحاكم ان يحلف الشهود و يقول لهم ان حلفتم قبلت شهادتكم والأ فلا

المادة ٤١ — يشترط في الشهادة لفظ (اشهد) واذا لم يأتِ بهِ الشاهد عند اداء الشهادة وقال لهُ القاضي اتشهد بذلك فقال نعم اشهد بذلك كفى

ولا يلقن القاضي الشاهد ما يزيدهُ علماً في شهادتهِ

المادة ٤٢ — عند اداء الشهادة لدى القاضي على الكاتب ان يكتب شهادة كل شاهد تفصيلاً على حدة كما القاها

المادة ٤٣ — يشترط في الشهادة ان توافق الدعوى في المعنى بصرف النظر عن الالفاظ

المادة ٤٤ — اذا قال الشاهد لا شهادة لي ثم شهد لا تقبل شهادتهُ

الفصل الثالث في اليمين والنكول

المادة ٤٥ — اذا عجز المدّعي عن اثبات دعواهُ لهُ ان يطلب من المحكمة تحليف المدّعى عليهِ اليمين فاذا حلف او نكل حكم بمقتضى الحلف او النكول

المادة ٤٦ — للقاضي ان يحلف الخصم فيما يكون التحليف فيهِ من قبلهِ بلا طلب

المادة ٤٧ — تجري النيابة في الاستحلاف ولكن بتوكيل مخصوص من الموكل ولا تجري في الحلف فيجب على الموكل اداء اليمين بنفسهِ

الباب الثاني في المرافعات

المادة ٤٨ — لا تسمع الدعوى الأ في وجه خصم شرعي حقيقي

المادة ٤٩ لا يشترط لصحة الدعوى استعمال الفاظ او عبارات معينة ويكتفى بظهور قصد المدّعي من كلامهِ فان اغفل شيئاً يجب ذكرهُ سألهُ عنهُ القاضي بشرط ان يكون ذلك في غير موضع التهمة

المادة ٥٠ — يجب على الكاتب ان يقيد مضمون الدعوى بدفتر يعدُّ لذلك عند حضور المدعي وطلبهِ استحضار خصمهِ

المادة ٥١ — اذا حضر شخص لمحكمة من المحاكم الشرعية لطلب آخر لرفع دعوى لهُ عليهِ لزم الكاتب ان يحرر على الفور علم الطلب على نسختين و بعد ختمهما بختم المحكمة يرسلهما الى جهة الادارة لتسلم الخصم احداهما وتعيد الاخرى الى المحكمة بعد التوقيع عليها كما سيأتي

المادة ٥٢ — يذكر في علم الطلب الذي يستخرج لاحضار الخصم

اولاً تاريخهُ

ثانياً اسم كل من المدّعي والمدعى عليهِ ولقبهما وصنعتهما او وظيفتهما

ثالثاً محل توطن المدّعي والمدّعى عليهِ

رابعاً المحكمة المقتضى حضور الخصوم امامها

خامساً اليوم والساعة المقتضى حضور الخصوم فيهما

سادساً موضوع الدعوى بالاختصار والايجاز

المادة ٥٣ — ميعاد الحضور يكون ثلاثة ايام على الاقل خلاف يوم تسليم الصورة و يوم الحضور في المحكمة ويجوز تنقيص هذا الميعاد في حالة الضرورة

المادة ٥٤ — اذا كان محل توطن المدّعى عليهِ بعيداً عن محل المحكمة المقتضى حضورهُ امامها يزاد على الميعاد المذكور يوم لكل مسافة ثمان ساعات وما يزيد من الكسور على خمس ساعات يزاد لهُ يوم على الميعاد

وفي حالة ما اذا كان السير بالسكة الحديد ينقص من مواعيد المسافات نصفها

المادة ٥٥ — لا تعدُّ ايام الجمع والاعيادة والمواسم المقررة من ايام المواعيد المحدَّدة بهذه اللائحة

المادة ٥٦ — تسلم صورة علم الطلب للخصم وفي حالة عدم وجودهِ تسلم لمن يوجد من خدمهِ او اقاربهِ في محل سكنتهِ فاذا لم يوجد احد فيهِ تسلم لحاكم القرية او المدينة المقيم فيها لتوصيلها اليهِ ويجب على من استلم الصورة المذكورة ان يوقع على النسخة الاخرى بخطهِ او ختمهِ بالاستلام فان امتنع او لم يكن لهُ ختم ولا يحسن الكتابة يكتفى بتوقيع العمدة او مأمور الجهة الاداري

المادة ٥٧ — يجب على جهة الادارة ان تسلم الصورة للخصم قبل ابتداء الميعاد المقرر في المادة ٥٣ الّا اذا امر القاضي بغير ذلك وان تردّ الاصل للمحكمة موءشراً عليهِ بما يفيد

الاعلان قبل الميعاد المعين لسماع الدعوى

المادة ٥٨ — لايجوز اعلان اي ورقة كانت قبل الشروق ولا بعد الغروب

المادة ٥٩ — في اليوم المعين لتقديم الدعوى امام المحكمة يحضر الخصوم بانفسهم او من يوكلونهُ عنهم وللقاضي ان يأمر بحضور الخصوم بانفسهم اذا رأى مصلحة في ذلك فان لم يتيسر ذلك لعذر شرعي جاز للقاضي او من ينيبهُ عنهُ من اعضاء المحكمة ان ينتقل الى محل الخصم

المادة ٦٠ — اذا لم يحضر المدعي او وكيلهُ في الخصومة في اليوم المعين لسماع الدعوى يؤشر امامها بذلك في دفتر قيد الدعاوي وتعتبر كانها لم تكن

المادة ٦١ — تكون المرافعات علانية الاَّ في الاحوال الَّتي يأمر القاضي باجراء المرافعة فيها سرًّا سواء كان تلقاء نفسهِ او بناء عَلَى طلب احد الخصوم محافظةً عَلَى النظام العمومي او مراعاةً للآداب

المادة ٦٢ — عَلَى القاضي او رئيس المجلس اومن ينوب عنهُ ان يحافظ عَلَى حسن سير مجلس القضاء ولهُ ان يخرج كل من حصل منهُ ما يشوّش على المجلس او يخل بنظامهِ فان لم يمتثل وتمادى عَلَى فعلهِ امر بحبسهِ فورًا اربعًا وعشرين ساعة

المادة ٦٣ — اذا حصل تعدٍّ ممن حضر بالجلسة حال انعقادها على احد موظفي المحكمة حال تأدية وظيفتهِ او بسبب تأديتها يعمل بذلك محضر بمعرفة المحكمة و يرسل الى قلم النائب العمومي المختص و يكون المحضر المذكور معتبرًا لدى المحاكم الاهليَّة

المادة ٦٤ — اذا طلب القاضي من احد الخصمين بينة شرعيَّة فقال لهُ لا بينة لي ثم احضر شهودًا لا يقبل منهُ وكذا اذا حصر اسماء شهود وقال ليس لي سواهم ثم اراد الاستشهاد بشهود آخرين لا يقبل منهُ

المادة ٦٥ — للقاضي ان يسأل الشاهد عن اسمهِ ولقبهِ وصنعتهِ او وظيفتهِ ومحلهِ ونسبهِ وجهة اتصالهِ باحد الخصمين بالقرابة او الاستخدام او غيرها و يجب على الشاهد ان يجيب عن ذلك

المادة ٦٦ — للمشهود عليهِ ان يبين للقاضي ما يخل بشهادة الشاهد شرعًا

المادة ٦٧ — للقاضي اذا ثبت لديهِ ان الشاهد شهد زورًا ان يعمل محضرًا و يرسلهُ الى قلم النائب العمومي المختص

و يكون ذلك المحضر معتبرًا امام المحاكم الاهليَّة

الباب الثالث في الاحكام

المادة ٦٨ — يحكم القاضي بحضور الخصمين بعد اثبات الدعوى بالطرق الشرعيَّة الَّتي

سبق بيانها عقب الاثبات واذا راى تاخير الحكم لزمهُ ان يعلن الخصوم عن اليوم والساعة اللذين يعينهما للحكم وكذا يكون الحال في الحكم بالمنع لعدم الاثبات او لعدم صحة الدعوى

المادة ٦٩ — اذا غاب المدعى عليهِ بعد الجواب عن الدعوى بالاقرار يحكم عليهِ بمقتضى ذلك الاقرار و يعتبر الحكم صادرًا في مواجهة الخصوم

المادة ٧٠ — اذا امتنع المدعى عليهِ عن الحضور الى المحكمة وعن ارسال وكيل عنهُ في الميعاد الذي تحدد لهُ فبناء على طلب المدعي يعذر اليهِ و يرسل لهُ طلب جديد ثلاث مرات في ثلاثة ايام عَلَى الاقل و يذكر لهُ انهُ ان لم يحضر في الميعاد او يعين لهُ وكيلاً نصب لهُ القاضي وكيلاً وسمع عليهِ الدعوى والبينة وحكم عليهِ في غيبتهِ فاذا لم يحضر بعد ذلك كلهِ الى المحكمة في الميعاد الأخير ولم يعين لهُ وكيلاً نصب لهُ القاضي وكيلاً يعلم انهُ يحافظ عَلَى حقوقهِ وسمع الدعوى وطرق اثباتها الشرعيَّة حسبما سبق في مواجهة الوكيل المذكور و بعد التدقيق ان تبين للمحكمة ان الدعوى مقارنة للصحة وثبت لديها الحق حكم عليهِ بمقتضى ذلك في غيبتهِ

المادة ٧١ — اذا غاب المدعى عليهِ بعد سماع الدعوى بحضورهِ وجوابهِ عنها بالانكار وقبل اثباتها بالطرق الشرعيَّة فبعد اعلانهِ والاعذار اليهِ عَلَى وجه ما ذكر وامتناعهِ عن الحضور او تعيين وكيل عنهُ في الميعاد الاخير ينصب لهُ القاضي وكيلاً للاثبات بالطرق الشرعيَّة في مواجهة ذلك الوكيل و يحكم عَلَى الغائب

المادة ٧٢ — اذا غاب المدعى عليهِ بعد الجواب بالانكار واثبات الدعوى بطريق من الطرق الشرعيَّة المتقدمة فبعد استيفاء اللازم شرعاً يحكم عليهِ بدون اعلان قبل الحكم وفي هذه الحالة يعتبر الحكم المذكور حائزًا فيما يتعلق بالدفع للاحوال المعتبرة للحكم الصادر في مواجهة الخصوم

المادة ٧٣ — الاحكام الغيابيَّة المنصوص عليها بالمادتين ٧٠ و ٧١ تعلن للمحكوم عليهِ بواسطة جهة الادارة بناء على طلب صاحب الشأن

المادة ٧٤ — الاحكام الَّتي تصدر يلزم ان تكون مشتملة على الوجه الشرعي الذي بني عليهِ الحكم وصدورها من المجالس الشرعيَّة يكون باتحاد الآراء او بالاغلبيَّة

و يجب على كل من سمع دعوى وحكم فيها او باشر امرًا من الامور الشرعيَّة من المحكمة العليا والمجالس الشرعية والقضاة ان يكتب اسمهُ بخطهِ على قيد ذلك بالمضبطة المختصة بهِ

الباب الرابع في طرق الطعن في الاحكام

المادة ٧٥ — طرق الطعن في الاحكام على وجهين

اولاً المعارضة في الاحكام الغيابية المنصوص عليها في المادتين ٧٠ و ٧١

ثانياً الدفع في الاحكام الحضورية او المعتبرة كذلك

المادة ٧٦ — تقبل المعارضة في الاحكام الغيابية المنصوص عليها بالمادتين ٧٠ و ٧١ الصادرة من محاكم المراكز والمجالس الشرعية في ظرف خمسة عشر يوماً من يوم اعلان الحكم

وفي الاحكام الغيابية المذكورة الصادرة من المحكمة العليا في ظرف ثلاثين يوماً من يوم اعلان الحكم

المادة ٧٧ — تقديم المعارضة في الاحكام الغيابية يكون للمحكمة ٱلَّتِي اصدرت الحكم وعليها سماعها والفصل فيها بدون تأخير

المادة ٧٨ — الاحكام ٱلَّتِي تصدر في المعارضة لا تقبل الطعن الاَّ بوجه الدفع المقبول في الاحكام الحضورية وتعلن للمحكوم عليهِ ان لم تكن صادرة في مواجهتهِ

المادة ٧٩ — تحصل المعارضة بتقرير المحكوم عليهِ غيابيًّا او وكيلهِ وعليهِ ان يبين اسماء الخصوم وتاريخ الحكم والاوجه المستند عليها في المعارضة

وعلى كاتب المحكمة ان يقيدها في تاريخ حصولها في دفتر يعد لذلك

وعلى القاضي ان يحدد اليوم والساعة اللذين يحضر فيهما الخصوم للحكم فيها

المادة ٨٠ — ترفض المعارضة اذا قدمت بعد الميعاد المقرر لقبولها او كانت غير مبنية على سبب صحيح و يعلن قرار الرفض للمعارض اذا لم يكن في مواجهتهِ

المادة ٨١ — تقديم المعارضة يوجب توقيف تنفيذ الحكم المعارض فيهِ الاَّ في النفقات

المادة ٨٢ — يحصل الدفع في الاحكام الحضورية او المعتبرة كذلك بتقرير طالبهِ او وكيلهِ امام كاتب المحكمة ٱلَّتِي اصدرت الحكم المطعون فيهِ بالدفع وعلى الطالب ان يبين اسماء الخصوم وتاريخ الحكم واقوالهُ وطلباتهُ

وعلى الكاتب ان يقيد ما ذكر في تاريخ تقديم الدفع بدفتر يعد لذلك

وعلى المحكمة ارسال كافة الاوراق المتعلقة بالقضية وصورة الحكم مصدقاً عليها بختمها الى المحكمة المختصة بالنظر في الدفع وذلك في ظرف ثمانية ايام من تاريخ قيد الدفع المذكور

المادة ٨٣ — تقديم الدفع يوقف تنفيذ الحكم المطعون فيهِ الاَّ في النفقات

المادة ٨٤ — ميعاد تقديم الدفع هو ثلاثون يوماً

ويبتدئ هذا الميعاد من يوم صدور الحكم المطعون فيهِ ان كان صادراً في مواجهة الخصوم او معتبراً كذلك ومن اليوم الذي صارت المعارضة فيهِ غير جائزة القبول ان كان

الحكم غيابياً ومن يوم إعلان الاحكام او القرارات ألّتي تصدر في المعارضة ان لم تكن صادرة في مواجهة الخصوم

المادة ٨٥ — اذا لم يحصل الدفع في الميعاد المقرر بالمادة السابقة يكون الحكم واجب التنفيذ غير قابل للدفع

المادة ٨٦ — لا يقبل دفع الاحكام الصادرة في الغيبة ما دام الطعن فيها بطريق المعارضة جائزًا

المادة ٨٧ — تنظر المحاكم المختصة بسماع الدفع في الاحكام المطعون فيها بالدفع امامها فان ظهر لها عدم صحتها وكان الحكم في الموضوع تكلف الخصوم بالحضور امامها وتعيد نظر القضيّة وتصدر حكمها فيها وان لم يكن حكماً في الموضوع تقرر عدم صحة الحكم وتعيد القضيّة الى المحكمة ألّتي صدر منها الحكم المذكور لاعادة نظرها والحكم في الموضوع

المادة ٨٨ — اذا ظهر للمحكمة المذكورة صحة الحكم المطعون فيهِ بالدفع ولم يظهر لها صحة الدفع قررت رفضهُ وصار الحكم واجب التنفيذ غير قابل للدفع مرة اخرى

وان ظهر لها صحة الدفع المذكور كلفت الخصوم بالحضور امامها وحكمت في الدفع المذكور ويكون حكمها حينئذٍ حاسماً للنزاع واجب التنفيذ غير قابل للدفع مرة اخرى

المادة ٨٩ — يجوز للمحكمة التي تنظر في الدفع ان تصدر احكامها في غيبة الخصم على الوجه المبين في المادتين ٧٠ و ٧١

المادة ٩٠ — كل دفع قدّم بعد الميعاد المقرر في المادة ٨٤ يرفض بقرار يصدر من المحكمة المختصة بسماعهِ ويكون الحكم الصادر في هذه الحالة حينئذٍ حاسماً للنزاع واجب التنفيذ غير قابل للدفع مرة اخرى

المادة ٩١ — كل حكم يكون متعدياً لغير المحكوم عليهِ مباشرة يجوز لمن يتعدّى اليهِ ذلك الحكم ان يدفعهُ مهما كانت درجة الحكم الّا اذا صار اعلانهُ قبل صدورهِ بالمواعيد ألّتي تحددت لسماع الدعوى وطرق اثباتها فانهُ في هذه الحالة لا يقبل منهُ دفع الحكم الّا بالطرق والاوضاع والمواعيد المقررة في هذه اللائحة

الباب الخامس في تنفيذ الاحكام

المادة ٩٢ — الاحكام التي لا تقبل الدفع الصادرة من المحاكم الشرعيّة يكون تنفيذها بناء على طلب صاحب الشان بمعرفة جهة الادارة بدون مصاريف سوى اجرة الحراسة ورسم البيع في المنقول باعتبار المائة واحد وفي العقار باعتبار المائة خمسة

المادة ٩٣ — تنفيذ الحكم بطاعة الزوجة وحفظ الولد عند محرمهِ والتفريق بين الزوجين ونحو ذلك مما يتعلق بالاحوال الشخصية يكون قهرًا ولو ادى الى استعمال القوَّة ودخول المنازل ويتبع رجال الادارة في هذه الحالة التعليمات ٱلَّتي تعطى من المحكمة الشرعية الكائن بدائرتها المحل الذي يحصل التنفيذ فيهِ

المادة ٩٤ — يجوز توقيع الحجز عَلَى مال المحكوم عليهِ تنفيذًا لكل حكم يتضمن الالزام بنفقة او صداق او نحو ذلك مما يتعلق بالاحوال الشخصيَّة بما يوازي المستحق بموجب الحكم والمصاريف و يجوز الحجز ايضًا عَلَى ما يأتي

اولاً الماهيات والمعاشات والمرتبات واليوميات والأُجر الموجودة والمستحقة وقت الحجز على حسب المقرر قانونًا

ثانيًا الغلة المستحقة لهُ في الاوقاف بالفعل

ولا يجوز حجز الاشياء المقرر عدم جواز حجزها شرعًا وكذلك بيت السكن لا يجوز الحجز عليهِ و يبتدئ الحجز بالنقود فالمنقولات سواء كانت تحت يد المحكوم عليهِ او تحت يد غيرهِ ثم العقار

الكتاب الخامس

في تفتيش المحاكم الشرعيَّة

المادة ٩٥ — الطريقة المتبعة الآن في تفتيش المحاكم الشرعيَّة تنصل في لائحة الاجراآت الداخليَّة المنوَّه عنها بالمادة (١٠٢) من هذه اللائحة

قواعد عموميَّة

المادة ٩٦ — القضاة ممنوعون من سماع الدعوى ٱلَّتي مضى عليها خمس عشرة سنة مع تمكن المدَّعي من المرافعة وعدم العذر الشرعي لهُ في اقامتها الاَّ في الارث والوقف فانهُ لا يمنع من سماعها الاَّ بعد ثلاث وثلاثين سنة مع التمكن وعدم العذر الشرعي وهٰذا كلهُ مع الانكار للحق في تلك المدة

المادة ٩٧ — كل دفع ولو باقرار رأي الحاكم ان فيهِ تلبيسًا واحتيالاً لا يقبل بشرط بيان وجه ذلك بالمضبطة

المادة ٩٨ — للقاضي ان يستنير بقول اهل المعرفة فيما يحتاج لمعارف خصوصيَّة

المادة ٩٩ — تنصيب الاوصياء والقوام والوكلاء عن الغائبين يكون على مقتضى الامرين الصادرين في ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣١٤ (١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦) و ٢٣ شوال سنة

١٣١٤ (٢٧ مارس سنة ١٨٩٧)

المادة ١٠٠ — بعد ترتيب المحاكم الشرعيَّة على الوجه المدوَّن بامرنا هٰذا تبقى اعمال المفتين قاصرة على فتاوى المحاكم الاهليَّة والحكومة والافراد في غير القضايا المنظورة امام المحاكم الشرعيَّة واذا احتجَّ احد الخصوم بها امام المحاكم فلا تكون المحاكم مقيدة بها

المادة ١٠١ — من حقوق كل محكمة من المحاكم الشرعيَّة كتابة حجج العقارات والاطيان ومباشرة الاشهادات والعقود ونحوها ايًّا كان موضوعها على مقتضى الاوامر العالية واللوائح المعمول بها الآن ما لم يخالفها في ذلك نص صريح في هذه اللائحة

المادة ١٠٢ — يقرر ناظر الحقانيَّة لائحة للاجرا آت الداخليَّة بالمحاكم الشرعيَّة ويتخذ كافة الاجرا آت اللازمة لتنفيذ امرنا هٰذا

وعليهِ ايضًا اصدار لائحة أُخرى يبين فيها الاجرا آت ٱلَّتي تتبع في تنفيذ الاحكام الشرعيَّة الواجبة التنفيذ

المادة ١٠٣ — عَلَى ناظر الحقانيَّة تنفيذ امرنا هٰذا

صدر بسراي المنتزه في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣١٤ (٢٧ مايو سنة ١٨٩٧)

﴿ عباس حلمي ﴾

وصدر امر عالٍ في ١١ يونيو سنة ١٨٩٧ برد عشرة غروش عن كل كيلوجرام من الدخان المدفوع عنهُ رسوم الجمرك الذي يصدَّر من القطر المصري مصنوعًا سيكارًا افرنجيًّا كما يرد عن الدخان المصنوع سيكارات بحسب الامر الصادر في ٣٠ يوليو سنة ١٨٩١

امر عال

باحتكار الريش والصمغ والملح وملح البارود والنطرون

نحن خديو مصر

بناء عَلَى ما عرض علينا ناظر الحربيَّة وموافقة رأْي مجلس النظار امرنا بما هو آت.

المادة الاولى — أُحتكرت تجارة سن الفيل وريش النعام والصمغ والبارود والملح وملح البارود والنطرون لجانب الحكومة في جميع الجهات الواقعة قبلي وادي حلفا

المادة الثانية — على ناظر الحربيَّة تنفيذ امرنا هذا واصدار القرارات ونشر اللوائح اللازمة لذلك

صدر بسراي راس التين في ٢٤ محرم سنة ١٣١٥ (٢٤ يونيو سنة ١٨٩٧)

عباس حلمي

لائحة الاجراءات الداخلية للمحاكم الشرعية

الدفاتر

قواعد عمومية

المادة ١ — دفاتر المحاكم الشرعيَّة عموماً يجب ان تكون نمرة ومختوماً على كل صحيفة منها بختم نظارة الحقانيَّة وان يكتب على اول صحيفة من كل دفتر عدد الصحف ٱلَّتي اشتمل عليها الدفتر وان يمضى على هذا التأشير من الموظف الذي تنتدبهُ النظارة لذلك

المادة ٢ — الكتابة في كافة الدفاتر والمواد تكون بلا ضرب ولا كشط ولا تخريج ولا حشر بين الاسطر ولا تخلل بياض وفي حالة الغلط او السهو الذي يترتب عليهِ لزوم حذف بعض كلمات او زيادتها او تغييرها على الكاتب ان يضع شرطات باعلى الكلمات المقتضي تغييرها او حذفها ويذكر بعد نهاية الكتابة عدد الكلمات الموضوعة باعلاها الشرطات وانها صارت ملغاة لا يعوَّل عليها ويكتب الكلمات المراد زيادتها او تغييرها ويمضي ذلك او يختم من امضى او ختم المادة نفسها

المادة ٣ — عند ما تقتضي اللوائح التوقيع على مادة ما ويمتنع الشخص المراد التوقيع منهُ عليها عن الامضاء او الختم او يكون غير قادر على ذلك يذكر ذلك في آخر المادة

المادة ٤ — كتَّاب المحاكم وامناء السجلات العموميَّة يعطون صورة او ملخصاً من المقيد فيها لكل طالب بعد اخذ الرسوم المقررة

المادة ٥ — اما الاوراق الخصوصيَّة المحررة على يد مأمور شرعي فلا يجوز اعطاء صورها ولا ملخصاتها لغير الطرفين فيها الاَّ بقرار يصدر من المجلس الشرعي المختص

دفتر قيد القضايا

المادة ٦ — دفتر قيد القضايا هو جدول عمومي يقيد فيهِ عموم القضايا ٱلَّتي ترد في بحر السنة والقيد فيهِ يكون بالكيفيَّة الآتية

(١) نمرة متتابعة تعطى لكل قضيَّة وهذه النمرة تكون عنواناً للقضيَّة (٢) تاريخ القيد (٣) اسم ولقب وصنعة او وظيفة كل من المدعي والمدعى عليهِ ومحل كل منهما (٤) موضوع الدعوى بالايجاز والاختصار (٥) تاريخ ارسال الاعلان لجهات الادارة (٦) تاريخ تسليم صورة علم الطلب للمعلن اليهِ (٧) تاريخ الجلسة ٱلَّتي تحددت لسماع الدعوى والجلسات ٱلَّتي تقرر فيها بعد لحين الفصل فيها (٨) مقتضى القرار او الحكم الصادر فيها وتاريخهُ (٩) تاريخ

المعارضة (١٠) مقتضى الحكم الصادر فيها وتاريخهُ (١١) تاريخ الدفع (١٢) مقتضى الحكم الصادر فيهِ وتاريخهُ (١٣) خانة للملحوظات

المادة ٧ — يكتب في خانة الملحوظات عند اللزوم ما يفيد استبعاد الدعوى واعتبارها كأنها لم تكن وذلك في حالة تخلّف المدعي او وكيلهِ عن الحضور في الميعاد المحدد لسماعها طبقًا للمادة (٦٠) من لائحة ترتيب المحاكم الشرعيّة

المادة ٨ — اما ما يتعلق بالمحاكم المختصة بالنظر في الدفع فيكون القيد في دفتر قيد القضايا بها من واقع ورقة الدفع و بالطريقة الآتية

(١) تاريخ وصول ورقة الدفع للمحكمة المختصة بالنظر فيهِ (٢) نمرة قيد القضيّة في المحكمة ألّتي اصدرت الحكم المطعون فيهِ مضافًا عليها اسم هذه المحكمة (٣) اسم الدافع وصنعتهُ او وظيفتهِ (٤) اسماء باقي الاخصام وصنعتهم او وظيفتهم (٥) تاريخ الدفع (٦) تاريخ الحكم المطعون فيهِ ان كان حضوريًا او معتبرًا كذلك وتاريخ اعلانهِ ان كان غيابيًا (٧) مقتضى الحكم (٨) تاريخ الجلسة التي حددت لسماع الدفع والجلسات التي تقرر فيها بعد لحين الفصل فيهِ (٩) مقتضى القرار او الحكم الصادر في الدفع وتاريخهُ (١٠) تاريخ المعارضة (١١) مقتضى الحكم الصادر فيها وتاريخهُ (١٢) خانة للملحوظات

المادة ٩ — يكتب في خانة الملحوظات عند الاقتضاء ما يفيد استبعاد الدعوى واعتبارها كأنها لم تكن وذلك في حالة تخلف الدافع او وكيلهِ عن الحضور في الميعاد المحدد لسماع دفعهِ طبقًا للمادة (٦٠) من اللائحة السالفة الذكر

دفتر مواعيد القضايا

المادة ١٠ — دفتر مواعيد القضايا يجب ان يكون عدد صحفهِ مطابقًا لايام السنة وان يذكر في كل صحيفة منهُ اليوم وتاريخهُ وعند تحديد يوم لسماع قضية يجب على قلم كتاب المحكمة كتابة نمرتها واسماء الخصوم في هذا الدفتر بصحيفة اليوم الذي حدّد لنظر الدعوى وعند تأخير قضية من جلسة الى أخرى يكتب نمرتها واسماء الخصوم عقب الجلسة في صحيفة اليوم المؤجلة اليهِ القضية

دفتر المضبطة

المادة ١١ — دفتر المضبطة عبارة عن محاضر الجلسات فيقيد فيهِ كل ما حصل في الدعوى اثناء نظرها فيذكر فيهِ

(١) تاريخ انعقاد كل جلسة (٢) اسم الرئيس والاعضاء المشكلة منهم الجلسة او القاضي

وكذا اسم الكاتب (٣) نمرة القضيّة واسماء المدعي والمدعى عليهِ (٤) حضور الاخصام بانفسهم او بواسطة وكلائهم مع ذكر اسماء هؤلاء الوكلاء واثبات غيبة من يتخلف منهم عن الحضور (٥) طلبات المدعي حسبما يلقيها واقوالهِ (٦) اقوال المدعى عليهِ كذلك (٧) عدد الاوراق ٱلَّتِي قدمت من الاخصام بصفة مستند لدعواهم (٨) شهادة الشهود (٩) القرارات ٱلَّتِي تصدر من المحكمة وتواريخها بما فيها من القرارات القاضية بتأخير الدعوى من جلسة الى اخرى مع بيان تاريخ الجلسة المؤجلة اليها وما اذا كان حصول التاخير مبنيًّا على طلب الاخصام او احدهم او من نفس المحكمة مع ذكر الاسباب ٱلَّتِي دعت الى هٰذَا التاخير (١٠) الاحكام وتواريخها (١١) وعلى العموم كل ما حصل في الدعوى

المادة ١٢ — نمرة القضيّة واسماء الخصوم وتاريخ الجلسة تكتب على هامش كل جلسة

المادة ١٣ — يجب تلحيق جلسات كل قضيّة بعضها ببعض

المادة ١٤ — بعد قيد اقوال المدعي والمدعى عليهِ تمضى او تختم منهما او من وكلائهما

المادة ١٥ — يذكر في المضبطة تحليف الشهود اليمين في حالة ادائها منهم وكذلك اسماء الشهود وصناعاتهم او وظائفهم ومحلات اقامتهم وقرابتهم او مصاهرتهم للاخصام او احدهم او انهم خادمون او مستخدمون بطرف احدهم وتمضى او تختم منهم شهادتهم ٱلَّتِي يؤدونها

المادة ١٦ — عَلَى كاتب الجلسة ان يتلو عَلَى الاخصام والشهود اقوالهم وشهاداتهم قبل ان يطلب منهم التوقيع عليها فاذا ابدى فيها احدهم ملاحظة يجب اثباتها ان كانت مطابقة للواقع

المادة ١٧ — يجب على الخصم الذي يقدم اوراقًا بصفة مستند في الخصومة ان يحرر حافظة من نسختين بعدد الاوراق وتواريخها ومضمون كل ورقة فيستلم كاتب المحكمة منهُ هذه الاوراق ويمضي على احدى النسختين بصفة وصل عليهِ بالاستلام والاخرى تحفظ بالمحكمة

المادة ١٨ — على القاضي ان يختم المحكمة على كل ورقة تقدم لها بصفة مستند في الخصومة

المادة ١٩ — اذا طلب الخصم رد الاوراق ٱلَّتِي قدمها للمحكمة اليهِ ولم يرَ القاضي مانعًا من ذلك ترد اليهِ بامر بالكتابة من القاضي بعد ان يمضي المستلم على الحافظة الباقية في المحكمة بما يفيد استلامهُ اياها

المادة ٢٠ — يلاحظ توقيع القضاة والاعضاء الذين سمعوا الدعوى وحكموا فيها او باشروا فيها امرًا من الامور الشرعيّة سواءٌ كان ذلك بالمحكمة العليا او المجالس الشرعيّة او محاكم المراكز فيضعون اسماءهم بخطهم على قيد ذلك بالمضابط المختصة

سجل الاحكام

المادة ٢١ — هٰذا السجل يختص بقيد الاحكام ٱلَّتي صدرت من واقع القيد بالمضبطة والقيد فيهِ يكون باعتبار تواريخ صدورها وبنمرة متتابعة مع توضيح نمرة القضيَّة الصادر فيها الحكم المراد قيدهُ بجوار النمرة المتتابعة وتختم الاحكام من رئيس المجلس او القاضي الذي اصدرهُ بعد تحققهِ من مطابقتهِ الاصل

المادة ٢٢ — الاحكام تكون مشتملة على ما يأتي

(١) اسم القاضي والاعضاء الذين اصدروها واسم كاتب الجلسة (٢) تاريخ صدورها (٣) اسماء الخصوم وألقابهم وصنعتهم او وظيفتهم ومحل اقامتهم (٤) بيان وقائع الدعوى بالاختصار (٥) الاسباب ٱلَّتي ابنت عليها الاحكام (٦) تقرير الاحكام

المادة ٢٣ — لا يدرج في سجل الاحكام ما حصل في الدعوى من الاجراءات والمرافعات السابق قيدها في دفتر المضبطة

المادة ٢٤ — يوضح في هامش كل حكم يقيد في سجل الاحكام نمرة القضيَّة واسماء الخصوم

المادة ٢٥ — تسجيل الاحكام في السجل يكون في مسافة ثمانية ايام بالاكثر من تاريخ صدورها

المادة ٢٦ — يقيد في دفتر المعارضة البيانات المذكورة في المادة (٧٩) من لائحة ترتيب المحاكم ويذكر فيهِ اليوم الذي حصلت فيهِ المعارضة وتاريخ الجلسة ٱلَّتي حددت بمعرفة القاضي لسماعها ويمضي او يختم من المعارض او وكيلهِ كما يمضى من الكاتب الذي حصلت امامهُ المعارضة

المادة ٢٧ — يكون دفتر الدفع دفتر قسيمة من نسختين يقيد في كل منها البيانات الموضحة في المادة (٨٢) من اللائحة المار ذكرها وزيادة على ذلك يذكر فيهما اليوم الذي حصل فيهِ الدفع ويمضى او يختم من الدافع او وكيلهِ ومن الكاتب الذي حصل امامهُ الدفع ويجعل بهِ خانة للمحفوظات

المادة ٢٨ — يذكر في خانة المحفوظات اليوم الذي ارسل فيهِ ملف اوراق الدعوى للمحكمة المختصة بالنظر في الدفع مع ملاحظة عدم تجاوز ارسالها الثمانية ايام المقررة في المادة (٨٢) المذكورة آنفاً

المادة ٢٩ — يجب على كاتب المحكمة ان يرسل مع اوراق الدعوى احدى قسيمتي الدفع للمحكمة المختصة

دفتر الفهرست

المادة ٣٠ — يجب ان يوجد في كل محكمة دفتر فهرست للاحكام و يكون ترتيبهُ بترتيب الحروف الهجائية و يراعى في هٰذا الترتيب اسماء المدعين فقط ويذكر امام اسم المدعي نمرة القضية ونمرة صحيفة سجل الاحكام المقيد فيها الحكم

علوم الطلب

المادة ٣١ — يتوضح في الاصل والصورة من علوم الطلب البيانات المذكورة في المادة (٥٢) من لائحة ترتيب المحاكم مع ذكر نمرة القضية المراد الاعلان فيها ثم يترك بهما فراغ لذكر ما يأتي

(١) الجهة الادارية التي ارسل اليها الاعلان (٢) الجهة ألّتي اعلن فيها (٣) التاريخ والساعة اللذين حصل فيهما الاعلان (٤) اسم الشخص الذي سلم اليهِ علم الطلب فان كان التسليم لخادمهِ او لاحد اقاربهِ الموجودين في محل سكنهِ يذكر حصولهُ في هٰذا المحل (٥) التوقيع عَلَى اصل الاعلان ممن تسلمت لهُ الصورة وممن اجرى الاعلان مع ذكر وظيفة هذا الاخير

المادة ٣٢ — عَلَى قلم الكتاب ان يحرر صوراً من علم الطلب بقدر عدد المدعى عليهم

المادة ٣٣ — وعلى القلم المذكور ان يحفظ اصول علوم الطلب بعد رجوعها اليهِ لتقديمها للمحكمة عند نظر الدعوى

صور الاحكام

المادة ٣٤ — صور الاحكام تمضى من القاضي ومن كاتب اول المحكمة وتختم بختمها بعد مطابقتها للاصل

المادة ٣٥ — عند ما يكون القصد من استخراج الصورة الاعلان فقط لاجل معرفة فوات المواعيد المعارضة او الدفع تذكر العبارة الآتية في آخر الحكم (وتحررت هذه الصورة بناء عَلَى طلب فلان .... للاعلان)

المادة ٣٦ — اما الصور التي ترسل لجهة الادارة بقصد التنفيذ فيذكر في آخرها العبارة الآتية (وتحررت هذه الصورة التنفذية بناء عَلَى طلب فلان .... للتنفيذ)

المادة ٣٧ — الصورتان المذكورتان في المادتين السالفتين لا تعطيان الّا لصاحب الشأن في الدعوى

ملف الاوراق وكيفيَّة ارسالها من محكمة الى اخرى

المادة ٣٨ — ملف الاوراق الواجب ارسالها إِلَى المحكمة المختصة بالنظر في الدفع تشتمل على

(١) علوم الطلب (٢) صورة من محاضر الجلسات المقيدة في المضبطة بما فيها من الحكم (٣) قسيمة من دفتر الدفع (٤) الاوراق ٱلَّتِي تقدمت من الاخصام بصفة مستند في القضية

المادة ٣٩ — تبين الاوراق المذكورة في المادة السالفة عَلَى ظهر الملف بمعرفة الكاتب قبل ارسالها فان كانت محكمة الدفع موجودة في نفس المدينة او المحافظة الموجودة فيها المحكمة ٱلَّتِي اصدرت الحكم الاصلي يكتفى بتسليم القضايا في مركي يعد لذلك والاَّ ترسل بالبوستة (في الموصى عليهِ) وعلى قلم كتاب محكمة الدفع ان يرسل وصلاً باستلام الاوراق بمجرد وصولها اليهِ

المادة ٤٠ — عند نهو القضية امام محكمة الدفع تعاد اوراق الحكم الاصلي مع مضمون الحكم النهائي الى المحكمة لتحفظهُ بترتيب على حسب نمر الدعاوي اما اوراق الدفع فتبقى محفوظة بالترتيب بطرف قلم كتاب محكمة الدفع الاَّ اذا كان الحكم الصادر منها يستلزم اعادة نظر الدعوى فان الاوراق في هذه الحالة ترسل جميعها للمحكمة المختصة

قائمة القضايا والجلسات

المادة ٤١ — قبل كل جلسة تحرر قائمة بالقضايا المقدمة في الجلسة وتحريرها يكون بمعرفة قلم الكتاب على حسب ترتيب القيد مبتدئاً بالقضايا القديمة ثم الجديدة ويكتب فيها فقط نمرة الدعوى واسماء الخصوم

المادة ٤٢ — تطلب القضايا عند افتتاح الجلسة على حسب الوارد في قائمة القضايا

المادة ٤٣ — يجب على القضاة واعضاء المجالس الشرعية اثناء انعقاد الجلسة ان لا يشتغلوا الاَّ بما يتعلق بنظر القضايا المرفوعة اليهم

المادة ٤٤ — القضاة واعضاء المجالس الشرعية ممنوعون من محادثة الخصوم في امور خارجة عن موضوع قضاياهم ومن اظهار رأيهم فيها باي طريقة كانت قبل النطق بالحكم

المادة ٤٥ — تحصل المرافعة في القضايا على حسب ترتيب نمر القيد ما لم تقرر المحكمة ما يخالف ذلك او كانت القضية مستعجلة

المادة ٤٦ — القضايا المستعجلة هي القضايا ٱلَّتِي يخشى عليها من فوات الوقت والتي تقرر المحكمة لزوم الاستعجال فيها

المادة ٤٧ — على القضاة قبل اصدار الحكم الغيابي ان يتحققوا من حصول الاعلان بالطرق المقررة

المادة ٤٨ — تحصل المداولة بغير حضور الاخصام

المادة ٤٩ — كل مداولة تحصل تكون سرية فلا يجوز اباحتها

في تغيّب القضاة عن مراكزهم والفسحة القضائية

المادة ٥٠ — في حالة تغيب احد قضاة المحاكم الشرعية او حصول مانع لهُ يمنعهُ عن الحضور يجب عليهِ ان يخطر بذلك من لهم الحق بمقتضى المواد (٤) و (٧) و (٩) من لائحة ترتيب المحاكم في تعيين من يقوم مقامهُ اثناء غيابهِ

المادة ٥١ — كل غياب يتجاوز اليومين مهما كانت اسبابهُ سواء كان من قبل القضاة او الكتبة او مستخدمي المحاكم يجب تبليغهُ فورًا لناظر الحقانيَّة بواسطة رؤساء محاكم المحافظات او المديريات او من يقوم مقامهم

المادة ٥٢ — تبتدئ الفسحة القضائيَّة للمحاكم الشرعيَّة من اول شهر يونيه وتنتهي في آخر شهر سبتمبر

المادة ٥٣ — تعطى الاجازات لمن يطلبها في بحر هذه المدة ولا يجوز طلبها في غيرها

المادة ٥٤ — في اول شهر مايو من كل سنة يجب على رؤساء المجالس الشرعيَّة ان يعقدوا جلسة عموميَّة من عموم قضاة واعضاء المحاكم الداخلة في دائرة اختصاص محاكمهم لتقرير الاجازات بينهم لمن يطلبها منهم ولمن يطلبها من عمال المحاكم المذكورة ويعملوا محضرًا بذلك ويوقع عليهِ من الحاضرين في هذه الجلسة ثم يرسل فورًا لناظر الحقانيَّة للتصديق عليهِ

المادة ٥٥ — يراعى في توزيع الاجازات امران

اولاً استحقاق الموظف للمدة التي تقرر لهُ بموجب لائحة الاجازات

ثانيًا ان لا يترتب على اعطاء الاجازات ضرر لسير العمل

المادة ٥٦ — على الجمعية العمومية ان تقسم مدة الفسحة القضائية الى قسمين متساويين وفي اثنائهما يشتغل القضاة الحاضرون باعمال محاكمهم واعمال محاكم زملائهم الغائبين

المادة ٥٧ — لناظر الحقانية ان يصرح للقضاة والكتبة باجازات في غير مواعيد الفسحة القضائية وذلك في الاحوال الاستثنائية فقط

اقدمية القضاة

المادة ٥٨ — تقرر اقدمية قضاة المحاكم الشرعية على حسب تاريخ تعيين كل منهم في وظيفتهِ ويكون ترتيب محلاتهم في المواسم والاحتفالات والجلسات العلنيَّة والجمعيات العمومية باعتبار الاقدمية متى كانوا في درجة واحدة فان كان تاريخ تعيين قاضيين او اكثر واحدًا تقرر الاقدمية على حسب ترتيب التعيين

التفتيش

المادة ٥٩ — تفصيل طريقة التفتيش المنوّه عنهُ بالمادة (٩٥) من لائحة ترتيب المحاكم الشرعية الاجراءات المتعلقة بها يصدر بهِ قرار منا فيما بعد ويلحق بلائحة الاجراءات الداخلية هذه

صدر في ١١ صفر سنة ١٣١٥ و ١١ يوليو سنة ٩٧

صدر امرٌ عالٍ في ٢ يوليو سنة ١٨٩٧ بان المحكمتين المشكلتين في مديرية الحدود بصفة مخصوصة يسري اختصاصهما في مديريَّة النوبة من ابتداء الحدود البحريَّة لمديرية الحدود القديمة وذلك لمدة سنتين أُخريين من ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٧

امر عال

في محل اقامة محاكم المراكز

نحن خديو مصر

المادة الاولى — كل محكمة من محاكم المراكز يكون مركز اقامتها بالمدينة او البلدة المقيم بها مركز الحكومة الاداري سواء كانت هذه المدينة او البلدة داخلة في دائرة اختصاص المحكمة او لا

المادة الثانية — في حالة اقامة المحاكم المذكورة بالجهات الخارجة عن دائرة اختصاصها يسوغ لكل من قضاتها اصدار الاحكام ومباشرة الاعمال على حسب اختصاصهِ كما يسوغ لهُ ذلك بداخل دائرتهِ

عباس حلمي

(١٣ ربيع الاول سنة ١٣١٥ و ١٢ اغسطس سنة ١٨٩٧)

امر عال

في زيارة السجون

المادة الاولى — عدلت المادة السادسة والعشرون من لائحة السجون بامر عالٍ صدر في ١٢ اغسطس كما يأتي

يرخص بالزيارة مرة واحدة في الاسبوع للمسجونين الذين يكونون تحت التحقيق ومرة كل ثلاثة اشهر للمحكوم عليهم نهائيًا بالحبس او بالسجن او بالاشغال الشاقة و باكثر من مرة في اثناء هذه المدة باذن من ناظر الداخلية

امر عالٍ

في منع استخراج الاشياء الاثرية

المادة الاولى — يعاقب بغرامة من خمسين قرشاً الى مائة قرش و بالسجن من ثلاثة ايام الى اسبوع

اولاً . من باشر حفرًا في ارض للحكومة بلا رخصة

ثانياً . من استولى عَلَى شيء من الاشياء الاثرية (الانتيقات) ٱلَّتِي تمتلكها الحكومة خلاف ما هو محفوظ في المتاحف او المباني الاميرية او نقل تلك الاشياء من مكانها بقصد امتلاكها

ثالثاً . من تسبب في اتلاف او تخريب اثر من الآثار القديمة او تدمير بناء من الابنية القديمة تدميرًا جزئياً او كلياً او تسبب في تشويه ما في ذلك البناء من النقوش البارزة والتماثيل والكتابات او كتب عليها اسماء وكتابات

رابعاً . من اخذ سباخاً من مكان ممنوع اخذهُ منهُ

و يجوز قبول الظروف المخففة للعقوبة

المادة الثانية — يحكم القاضي زيادة عَلَى هذه العقوبة بان تعاد للحكومة جميع الاشياء الاثرية ٱلَّتِي اوجبت حصول المخالفة

المادة الثالثة — على ناظري الاشغال العمومية والحقانية تنفيذ امرنا هذا كل منهما فيما يخصهُ

صدر بسراي راس التين في ١٢ اغسطس سنة ١٨٩٧

عباس حلمي

اللائحة الخصوصية للآلات البخارية

قرار من مجلس النظار بتاريخ ١ اغسطس سنة ١٨٩٧ في

الآلات والقزانات المركَّبة في محلات معينة

بعد الاطلاع على المادة الثانية عشرة من القرار الاداري الصادر في ٢٧ يونيه سنة ١٨٩٦

مشتملاً على اللائحة العمومية المختصة بالمحلات المقلقة والمضرة بالصحة والخطرة ومصادقاً عليه من الجمعية العمومية بمحكمة الاستئناف المختلطة طبقاً للمادة الثانية من الامر العالي الصادر في ٣١ يناير سنة ١٨٨٩ وعلى قرار تلك الجمعية الصادر في ١٩ يونيه سنة ٩٧ طبقاً للمادة الثانية المتقدم ذكرها وعلى ما قرره مجلس النظار في ١٩ يوليو سنة ٩٧

قررنا ما هو آت

المادة الاولى

يجوز للحكومة ان تنفذ احكام الامر العالي واللائحة العمومية الصادرين في ٢٧ يونيه سنة ٩٦ عن المحلات المقلقة والمضرة بالصحة والخطرة في كامل القطر المصري وذلك فيما يختص بالنوع (ج) وهو الآلات والقزانات البخارية

المادة الثانية

يتبع ايضاً في شأن النوع المذكور احكام اللائحة الخصوصية الآتي بيانها الموضوعة للآلات البخارية مطلقاً

اللائحة الخصوصية

الفصل الاول

في الآلات والقزانات المركبة في محلات معينة

المادة الثالثة

لا يجوز قط لاحد ان يركب آلة بخارية او قزاناً او ينقل ايهما الاّ اذا رخص له بذلك بحسب احكام الامر العالي والقرار الاداري الصادرين في ٢٧ يونيه سنة ٩٦ والاّ فيجازى بالعقوبات المنوّه عنها فيهما والرخصة واجبة ايضاً اذا اريد احداث تغيير من شأنه تعديل كيفية التشغيل تعديلاً كلياً مراعاة للراحة والصحة والامن العام

المادة الرابعة

يقدم طلب الرخصة الى نظارة الاشغال العمومية مكتوباً على ورقة تمغه وفيه الايضاحات الآتية

اولاً اسم صاحب الآلة ولقبه وصناعته وجنسيته ومحل اقامته . ثانياً المحل المراد تركيبها فيه. ثالثاً الغرض المخصصة هي من اجله . رابعاً قوة الآلة ونوعها (طرزها) . خامساً نوع القزان (طرزه) ومقاساته العمومية وثخانته ونوع المواد المصنوع هو منها . سادساً وصف كيفية تغذيته

ويلحق بالطلب رسمان رسم الموقع ورسم المباني و يبين في الاول منهما الطرق العمومية والاملاك الملاصقة لذلك الموقع ويبين جليًا في الثاني الاماكن المبنيَّة او المراد بناؤها للاعمال المخصصة تلك الآلة من اجلها وموضع الآلة او القزان وموضع المدخنة وارتفاعها وكذا موضع حارات الحرارة و يصنع هذين الرسمين مهندس رياضي و يضع لهما مقياسًا صريحًا واضحًا

المادة الخامسة

يكلف المرخص له' قبل استلام الرخصة ان يدفع رسمًا قدره' خمسمائة قرش ومصاريف النظر في الطلب ايضًا وهذه المصاريف لا تزيد عن جنيه واحد مصري

المادة السادسة

متى انجز مهندسو النظارة البحث والنظر في الطلب يعرض ذلك الطلب (ومعهُ تقرير المهندس عن المباني المراد اقامتها) عَلَى مجلس الوابورات وهو يبت حكمهُ في شأنهِ ويشكل ذلك المجلس من رئيس وهو حضرة رئيس قسم الهندسة وعضوين وهما باشمفتش الوابورات ومفتش صحي اما الوابورات والقزانات المدارة الآن فتبقى تحت احكام الامر العالي واللائحة العمومية الصادرين في ۲۷ يونيه سنة ۹٦ عن المحلات المقلقة والمضرة بالصحة والخطرة

المادة السابعة

تقام الآلة بحسب البيانات الواردة في الرسمين المتقدم ذكرهما اللذين تسلم إِلَى الطالب صورتهما و بالشروط الآتية وهي

فيما يختص بالقزانات الَّتي تزيد قوتها عن ستة خيول

(اولاً) اذا اريد تركيب قزان تزيد قوتهُ عن ستة خيول فيركب ذلك القزان على مسافة خمسة عشر مترًا على الاقل عن المساكن والجسور والشوارع العمومية المجاورة لهُ على ان للمفتش ان يجيز تركيب القزان على مسافة اقل من خمسة عشر مترًا اذا كانت الظروف تبيح لهُ ذلك واذا اريد تركيب القزان بجوار ترعة ما فيجب استشارة مفتش الري ذي الاختصاص لابداء رأيهِ قبل الترخيص بذلك

(ثانيًا) تكون مدخنة القزان أعلى بقدر مترين على الاقل من الاجزاء الاكثر ارتفاعًا في الابنية الواقعة في دائرة نصف قطرها خمسون مترًا

(ثالثًا) يقام حول القزان حائط يكون بناؤُهُ جيدًا متينًا مصنوعًا بمونة مائية لا يخالطها شيءٌ من التراب سمكهُ متر واحد بالاقل وارتفاعهُ اربعة امتار ويجعل لهُ سقف خفيف

منفصل عن السقوف والسطوح المجاورة لهُ غير ان هٰذا الشرط لا يتناول الوابورات المقامة خارج المدن والقرى على مسافة بعيدة جدًّا من المساكن

فيما يختص بالقزانات ٱلَّتي قوّتها اقل من ستة خيول

اذا كانت قوّة القزان اقل من ستة خيول فيجوز تركيب ذلك القزان داخل المعمل (الورشة) بدون حائط بشرط ان لا يكون ذلك المعمل جزءًا من منزل للسكن واذا اريد تركيبهُ بجوار ترعة ما فيجب الاستحصال اولاً على مصادقة مفتش الري ذي الاختصاص وتكون مدخنة القزان اعلى بقدر مترين على الاقل عن الاجزاء الاكثر ارتفاعًا في الابنية الواقعة في دائرة نصف قطرها خمسون مترًا واما الافران فيجب ان يكون بينها وبين حوائط المنازل المجاورة براح قدرهُ متران بالاقل

المادة الثامنة

تحوطات الامن ٱلَّتي يجب اتباعها فيما يختص بالوابورات والقزانات المركبة في محلات معينة

(اولاً) لا يجوز تشغيل القزان الَّا متى جرب عند المرخص لهُ تحت ادارة مندوب نظارة الاشغال العمومية وكانت التجربة مرضية واستلم ذلك المرخص لهُ المحضر الدال على ان التجربة مرضية

(ثانيًا) يجرب القزان بان يحمل ضغطًا مائيًّا يزيد عن معظم الضغط الحقيقي وضغط التجربة هٰذا (وشرطهُ ان لا يتأتى عنهُ تنفيس في القزان او تغيير في شكلهِ) يستديم كل المدة ٱلَّتي يستلزمها فحص القزان ومعاينة جميع اجزائهِ ولا يجوز التبنية حولهُ ولا تغطيتهُ قبل اجراء التجربة المذكورة

(ثالثًا) ليس من الضروري تجربة مجموع القزان متى كانت اجزاؤهُ بعد تجربتها متفرقة لا تربط بعضها ببعض الَّا بمواسير على طولها خارج الموقد ومجاري الحرارة وحاماتها سهلة الفك

(رابعًا) تكون زيادة الضغط في التجربة (بالسنتيمتر المربع) معادلة للضغط الحقيقي وهذه الزيادة لا تنقص قط عن نصف كيلوجرام ولا تتعدى ستة كيلوجرامات

(خامسًا) تقدم نظارة الاشغال العمومية ما يلزم لعملية التجربة من العدد واما اجرة الصناع فعلى طالب التجربة

(سادسًا) اذا جرب القزان او جزء منهُ وكانت نتيجة ذلك مرضية فتوضع عليهِ علامة تدل على مقدار الضغط الحقيقي الذي لا يجوز ان يتعداهُ البخار معبرًا عن ذلك الضغط

بالكيلو جرام للسنتيمتر المربع الواحد

(سابعاً) يحفر على العلامة المذكورة ثلاثة اعداد يدل اولها على اليوم وثانيها على الشهر وثالثها على السنة التي تكون التجربة قد اجريت فيها

(ثامناً) بعد وضع القزان في محله يجب ان تكون احدى تلك العلامات ظاهرة للعيان

المادة التاسعة

تركب القزانات وتشغل بالشروط العمومية الآتية

(اولاً) يجب ان يكون لكل قزان مستجد التشغيل صفيحة دالة على التاريخ الذي صنع فيه القزان واقصى الضغط الحقيقي ويجب ان تثبت تلك الصفيحة في ظاهر القزان بمسامير برشام من نحاس وتكون ظاهرة جلياً للتمكن من قراءتها

(ثانياً) يجب ان يكون لكل قزان صماما أمن اي بلفان يتيسر بهما تصريف البخار عند بلوغ الضغط الحقيقي نهايته القصوى المبينة بالعلامة المذكورة آنفاً ويجب ان تكون فتحة الصمام كافية لحفظ البخار في القزان (مهما كانت قوة النار) في درجة من الضغط لا تتعدى قط حد الضغط المذكور آنفاً اما عند الاقتضاء فيصرف البخار من ذلك الصمام بقدر اللزوم او يرفع من اجل ذلك ويجوز توزيع مجموع البخار الذي يصرفه هذان الصمامان على عدة صمامات

(ثالثاً) يجب ان يكون لكل قزان مانومتر صحيح لا عيب فيه يوضع بمرأى من الوقاد (العطشجي) مقسماً بكيفية تدل على ضغط البخار الحقيقي في القزان بالكيلوجرام ويجب ان يكون على مقياس المانومتر اشارة ظاهرة جلية يعلم منها منتهى ذلك الضغط

(رابعاً) يجب ان يكون لكل قزان جهاز حجز او حبس (طابق) متحرك حركة نسبية بضغط الماء وموضوع عند مرتبط ماسورة التغذية الخاصة بذلك الجهاز

(خامساً) يجب ان يكون لكل قزان تزيد قوته الاسمية عن ستة خيول جهازان لتغذيته بالماء كل منهما كاف لتوريد ما يحتاجه القزان من الماء للتغذية

(سادساً) يجب ان يكون لكل قزان طابق او حنفية لحجز البخار توضع بقدر الاستطاعة عند منشإ ماسورة البخار على ذات القزان

(سابعاً) يجعل لكل قزان جهازان احدهما منفصل عن الآخر يستدل بهما على تسوية الماء فيه ويوضعان بمرأى من العامل المنوط بتغذية ذلك القزان ويكون احد هذين الجهازين انبوبة من زجاج يسهل تنظيفها وابدالها بأخرى عند الاقتضاء اما اذا كان الجهاز الآخر حنفية فتوضع تلك الحنفية على مساواة معظم ارتفاع الماء في القزان ويكون وضعها بكيفية يتيسر معها

ادخال قضيب حديد افقي في ذلك القزان ويبين هذا الارتفاع تبيينًا ظاهرًا على زجاجة التسوية ووجه القزان او البناء اما في القزانات العمودية الوضع والعظيمة الارتفاع فيستغنى عن انبوبة الزجاج بجهاز يستدل منهُ ذلك العامل على تسوية ماء القزان

المادة العاشرة

تعاد التجربة المنوّه عنها في المادة السادسة المتقدم ذكرها في ظروف ثلاثة الاول كلما طلب عن القزان المرخص بهِ رخصة اخرى والثاني كلما رم القزان ترميمًا مهمًا وخصوصًا كلما حدث شيء من التغيير في الصمامات والروافع وثقل الصمام او باباتهِ او في القزان نفسهِ او في ملحقاتهِ وفيما اذا كان القزان ثابتًا ونقل من المحل الذي كان مركبًا فيهِ بحسب الرخصة والثالث فيما اذا رجع الى استعمالهِ بعد عطلة طويلة ولا يجوز ان تكون المدة بين تجربتين اكثر من ست سنين ولا يجوز الرجوع الى استعمال القزان في الاحوال المارذكرها الّا بعد استلام المرخص لهُ المحضر الدال على ان التجربة جاءت نتيجتها مرضية

المادة الحادية عشرة

على المرخص لهُ ان يقدم الطلب اللازم للحصول على اجراء التجربة المنوّه عنها في المادتين السادسة والثامنة من هذا القرار في الوقت المناسب

المادة الثانية عشرة

لايجوز قط تشغيل القزان بضغط اعلى من الضغط المبين على العلامة المنوّه عنها في الفقرة السادسة من المادة الثامنة المتقدم ذكرها ولا يجوز تشغيلهُ ايضًا اذا تبين في اي وقت من الاوقات انهُ غير وافٍ بجميع الشروط المذكورة في المادة السابعة من هذا القرار

المادة الثالثة عشرة

يجب ان تكون المدخنة بمعزل عن الابنية مصنوعة من الطوب او الحديد الصاج مستوفية شروط المتانة المطلوبة حتى تقاوم فعل الرياح مهما كانت شديدة

الفصل الثاني

(في الآلات والقزان الكومويبل)

المادة الرابعة عشرة

الآلات والقزانات البخارية السهلة النقل من مكان الى آخر ولا تستدعي شيئًا من الابنية لادارتها في نقطة معلومة ولا تستخدم الّا وقتيًا في كل نقطة تقف فيها تعدّ من قبيل

الكومويل وتسري عليها الاحكام المختصة بتحوطات الامن و يجب ان يكون لكل قزان صفيحة محفور عليها بكتابة واضحة جدًا اسم صاحبهِ ومحل اقامتهِ ونمرة متسلسلة (اذا كان لصاحب القزان عدة قزانات لكومويل)

الفصل الثالث

(احكام عموميَّة)

المادة الخامسة عشرة

تعطى الرخصة للمرخص لهُ تحت مسئوليتهِ خاصة بدون ان يعود على الحكومة شيء من المسئولية ازاء صاحب الشأن او الجيران او اي شخص اخر بسبب الغرض الذي تستخدم هذه الرخصة من اجلهِ ولا تشمل الرخصة المعطاة من نظارة الاشغال العمومية الصناعة التي تستعمل من اجلها الآلة البخارية بل على المرخص لهُ ان يحصل اذا اقتضت الحال على الرخص اللازمة لممارسة تلك الصناعة من السلطة ذات الاختصاص بحسب احكام اللوائح

المادة السادسة عشرة

ان الرخصة المذكورة هي شخصية فاذا نقل المحل المرخص بهِ الى اسم شخص آخر يستلزم ذلك رخصة جديدة

المادة السابعة عشرة

اذا لم يقم المرخص لهُ بالعمل بالرخصة فلم يباشر ادارة الآلة او القزان في ذات السنة ألتي اعطيت لهُ فيها او لم يطلب التجربات المنوَّه عنها آنفًا تصبح تلك الرخصة ساقطة حسب المادة السابعة من القرار الاداري الصادر في ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٦

المادة الثامنة عشرة

اذا تبين بعد التفتيش المنوَّه عنهُ في المادة الخامسة من ذلك الامر العالي انهُ لم يعمل بشرط ما من شروط الرخصة وان حالة الآلة او القزان يخشى بسببها على الامن العام فيعمل حينئذٍ باحكام المادة العاشرة من اللائحة العمومية الصادرة في ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٦ فتطبق العقوبات المذكورة في المادة التاسعة منها و يجوز عند الضرورة توقيف ادارة الوابور بقرار اداري تبين فيهِ الاسباب بنوع خاص الى ان يصدر حكم في المخالفة

المادة التاسعة عشرة

اذا اقدم المالك على تشغيل الآلة او القزان بضغط اعلى من درجة الضغط المعينة في

الرخصة او حمل صمامات الامن ضغطاً زائداً اوجب خللاً او تعطيلاً في جهازات الامن الاخرى كالمانومتر او دليل مستوى الماء في القزان يجازى باقصى العقوبة المذكور في المادة التاسعة من اللائحة المنوّه عنها في المادة السابعة من الامر العالي الصادر في ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٦

المادة العشرون

يجب ان يكون لكل آلة تدار بغير البخار رخصة من نظارة الاشغال العمومية متى كانت تلك الآلة اشبه بمحل من المحلات المقلقة والمضرة بالصحة والخطرة وتسري عليها احكام الامر العالي واللائحة العمومية الصادرين في ٢٧ يونيو سنة ٩٦ واحكام هذه اللائحة ايضاً اذا كان نوعها يستوجب ذلك

امر عالٍ

صدر في ٣٠ اغسطس سنة ١٨٩٧

نحن خديو مصر

بعد الاطلاع على الامر العالي الصادر في ١٤ يونيه سنة ١٨٨١ (١٧ رجب سنة ١٨٩٨) المقررة فيهِ عوائد تمغة مصوغات الفضة والصنج والمقاييس والمكاييل

وبناء على ما عرضهُ علينا ناظر المالية وموافقة رأي مجلس النظار

امرنا بما هو آت

المادة الاولى

عدّلت عوائد التمغة على مصوغات الفضة المقررة بالمادة الاولى من الامر العالي المشار اليهِ كما يأتي

اربع بارات عن كل درهم من عيار ٨٠ و ٩

ثلاث بارات عن كل درهم من عيار ٦٠

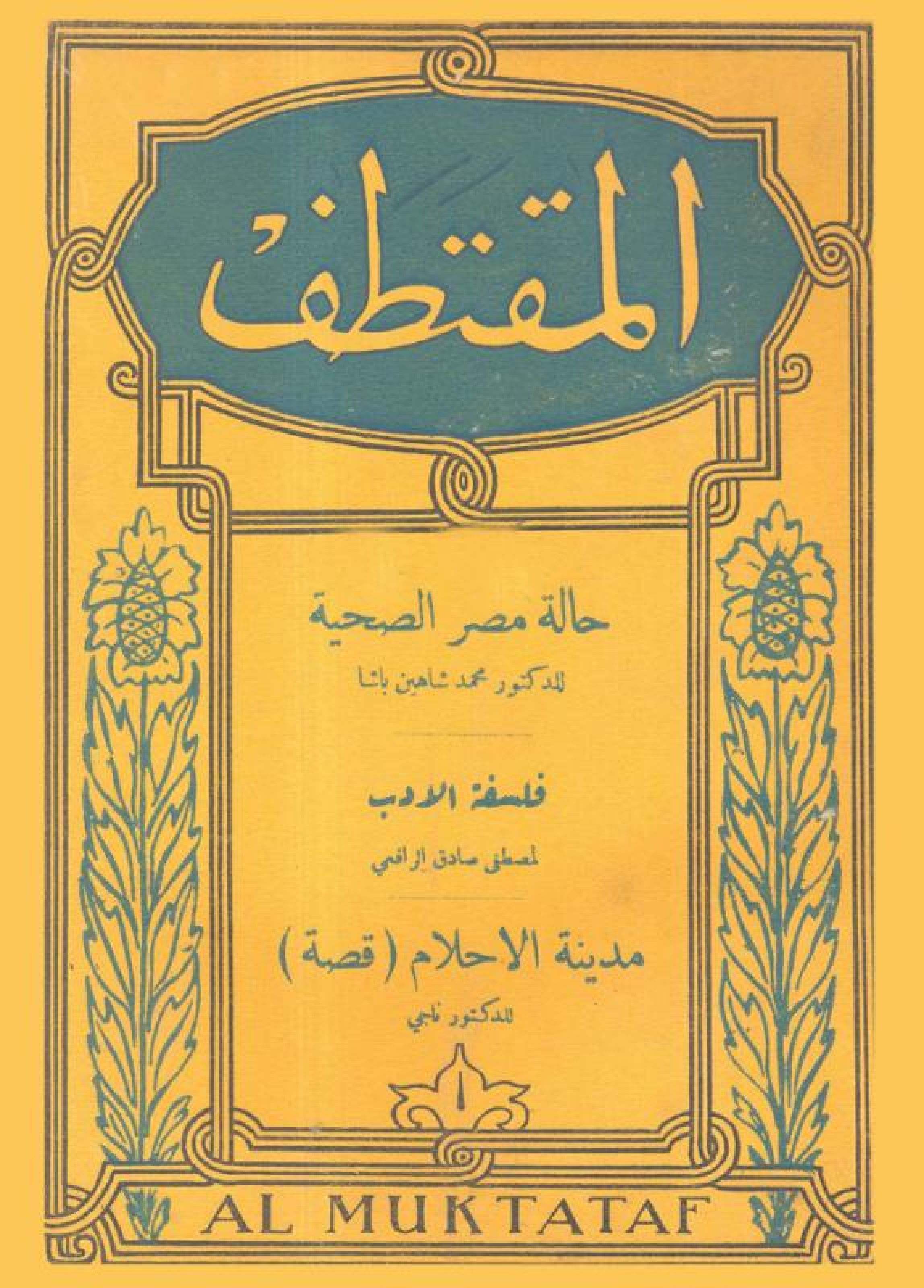
بارتان عن كل درهم من عيار ٤٥

المادة الثانية

باقي احكام الامر العالي السالف الذكر تبقى نافذة المفعول

فهرس المجلد الرابع والعشرين

النجمة * تدلُّ على وجود الصور في المقالة التي هي فيها

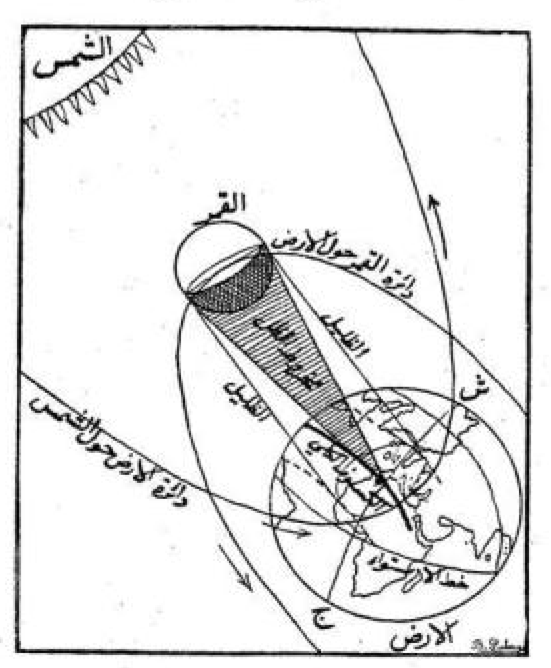

المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٤ ربيع الاول سنة ١٣١٨

كسوف الشمس



الكسوف الكلي في ٢٨ مايو ١٩٠٠

لو رأينا الشمس تكسف كل يوم كما نراها تغيب لكان الكسوف من الحوادث العادية التي لا يُعبأ بها ولا يُلتفت اليها اما وكسوفها نادر يحدث مرة في السنة وقد تمضي سنوات كثيرة ولا

نرى له اثرًا فلا عجب اذا نظر اليهِ العامة نظر الاستغراب وبحث عقلاؤهم عن سببهِ الحقيقي وتخيل له بسطاؤهم اسبابًا غير معقولة . وآراء البسطاء في ذلك كثيرة مصدرها الرعب من حادث اصاب الشمس او القمر حتى يتطرَّف بعضهم ويقول ان تنينًا يبتلعهما ثم يُذعر بالصياح فيتقيأهما. لكن العقلاء ادركوا سبب الكسوف والخسوف من قديم الزمان من عهد طاليس وافلاطون اي منذ نحو الفين وخمس مئة سنة فقالوا ان الشمس تكسف اذا حال القمر بيننا وبينها فوقع ظلهُ علينا وحجبها عنا والقمر يخسف اذا وقعت الارض بينهُ وبين الشمس فوقع ظلها عليهِ وحجبت نور الشمس عنهُ . ثم لما انتقل علم اليونان الى العرب انتقل معهُ علم الهيئة وما يعرف عن الكسوف والخسوف. قال البتاني[1] في كتابهِ المعروف بالزيج الصابيء "واما الشمس فان علة كسوفها القمر وذلك انهُ اذا وافق في اوقات الاجتماعات ان يُرى مركزهُ على نطاق البروج حال بين ابصار الناظرين الى الشمس وبين الشمس لوقوعهِ في الخط الذي يخرج من البصر الى الشمس اذ كان هو اقرب منها الى الارض . وكذلك الشيء الصغير لا يزال يرى دائمًا ابدًا ويستر الشيء الكبير اذا كان اقرب الى الابصار منهُ . وعلى قدر ما يتفق عرض[2] القمر في الرؤية تكون اقدار الكسوف الى ان ينتهي الى الغاية التي لا يمكن ان تستر دائرتهُ شيئًا من دائرة الشمس ولذلك صار كسوف الشمس مختلف الاقدار في المواضع المختلفة العرض وكسوف القمر في المواضع يرى مقدارًا واحدًا"

وذكر القزويني الكسوف في كتاب عجائب المخلوقات فقال ان "سببهُ كون القمر حائلاً بين الشمس وبين ابصارنا لان جرم القمر كمِد فيحجب ما وراءهُ عن الابصار فاذا قارن الشمس

---

(١) قال ابن خلكان "هو ابو عبد الله محمد بن سنان بن جابر الحراني اخذ بالرصد سنة ٢٦٤ واثبت الكواكب الثابتة في زيجهِ لسنة ٢٩٩ وتوفي سنة ٣١٧ وله من التصانيف الزيج المشار اليهِ وكتاب معرفة مطالع البروج في ما بين ارباع الفلك ورسالة في مقدار الاتصالات وكتاب شرح اربعة ارباع الفلك ورسالة في تحقيق اقدار الاتصالات وشرح اربع مقالات بطليموس" انتهى . وقد طبع زيجهُ في مدينة رومية في العام الماضي اعتنى بطبعهِ وتصحيحهِ الدكتور كرلو نلينو . والبتاني اول من ابدل اوتار الاقواس بالجيوب في حساب المثلثات وادخل في حسابها المماسات واسم الجيوب ودقق في حساب السنة الاستوائية اكثر من بطليموس وسنتهُ تقصر من السنة الحقيقية دقيقتين و٢٤ ثانية لانهُ جعل السنة ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٦ دقيقة و٢٤ ثانية وهي تحسب الآن ٣٦٥ يومًا و٥ ساعات و٤٨ دقيقة و٤٨ ثانية . وحسب ميل دائرة البروج ٢٣ درجة و٣٥ دقيقة و٤٠ ثانية وهو حساب في غاية الدقة واختلاف الميل عن ذلك الآن ناتج عن انهُ يقلّ نحو ٥٠ ثانية كل مئة سنة فقل من زمان البتاني الى الآن نحو ثمان دقائق . واكتشف بعد الشمس الابعد عن الارض فلقبهُ علماء الافرنج ببطليموس العرب

(٢) يراد بالعرض هنا بعد الكوكب عن دائرة البروج شمالاً او جنوبًا

وكان في احدى نقطتي الراس او الذنب او قريباً منهما فانهُ يمرُّ تحت الشمس فيصير حائلاً بينها وبين الابصار ". ثم فصَّل كيفية الكسوف الكلي والجزئي فاخطأ في التفاصيل لكنهُ عرف ما عرفهُ البتاني وعرفهُ علماء اليونان قبلهما وهو ان الكسوف يحدث من حيلولة القمر بيننا وبين الشمس وان قدره يختلف باختلاف الاماكن

والكسوف الذي حدث في اواخر شهر مايو الماضي كان لهُ شأن كبير عند علماء الفلك في اوربا واميركا لاسيما وانهُ كان يرى كلياً في اماكن كثيرة يسهل عليهم الذهاب اليها ورصده منها. وهذه الاماكن مرسومة في الشكل السابق فقد رسمنا جزءا فيه صغيراً من الشمس في اعلى الصورة ثم القمر وظلهُ واقع على الارض في شكل مخروط ورسمنا تحتهُ نصف الكرة الارضية وهو يحوي افريقية واوربا وجانباً من اسيا واميركا الشمالية والخط الاسود الذي عليهِ يدل على الاماكن التي رُئي منها هذا الكسوف كلياً

وحتى الآن لم تظهر تقارير علماء الفلك والطبيعيات عما استفادوه من رصد هذا الكسوف ولكن وصف اكثرهم ظواهره وصفاً لخصناه عنهم في ما يلي

قال الذين رصدوه في بلاد الجزائر انهُ كان جلياً من اولهِ الى آخرهِ وكان الاكليل المحيط بقرص الشمس كبيراً مشرقاً يبلغ عرض هالتهِ قطر الشمس ويمتد منهُ لسانان كبيران واحد الى الاعلى وواحد الى الاسفل الشرقي منهما محدَّد من طرفهِ والغربي مشقوق . ولما تم الكسوف برد الهواء واظلم وجه والارض وشعر الناس كأن زوبعة عظيمة دنت منهم فاضطربوا هم والحيوانات وتطبقت الازهار . ثم لما اخذ الكسوف ينجلي والنور يعود الى اشراقهِ زال ما خامر النفوس من الانقباض . وبقي الاكليل منظوراً تسعين ثانية بعد تمام الكسوف وظهر عطارد والزهرة جلياً وظهر معهما نجمان آخران وبانت النتوات على دائر الشمس

وكُتب من اتلنتا باميركا ان الكسوف شوهد جلياً في اميركا الشمالية وقال الاستاذ برنارد مدير مرصد باركس ان مدة الاختفاء التام كانت اقصر قليلاً مما حُسبت . ورصد كثيرون السماء بين الشمس وعطارد لعلهم يرون فيها سيَّارات اخرى ولا نعلم نتيجة رصدهم حتى الآن . وكُتب من اوفار في البرتغال ان عطارد بان وقت تمام الخسوف وهبط الترمومتر اربع درجات. ومن الجزائر ان لون البحر زال عند تمام الكسوف كان ازرق فصار رمادياً وتغير لون الاشجار من الاخضر الى القرمزي وكان الاكليل شديد الاشراق وامتدَّ الى عطارد . واشرق عطارد بنور ابيض ساطع وكان على درجتين من الشمس

وكتب الوفد الانكليزي الذي اتى طرابلس الغرب ان الاكليل كان مثل الاكليل الذي

شوهد في كسوف سنة ١٨٨٩ تماماً تأييداً لما يقال عن الدور الذي يتكرر كل احدى عشرة سنة

وكتب السر نورمن لكير من سنتابولا على ساحل اسبانيا الجنوبي الشرقي ان الترمومتر هبط وقت الكسوف من ٤ درجات الى ٦ ولم يكن الكسوف مظلماً ولا بانت نجوم كثيرة وبان الاكليل جيداً . وكُتب من بلاسنسيا في اسبانيا ايضاً انهُ ثبت وجود الكربون في الاكليل من شعاعهِ الاخضر وهذه اول مرة قيس فيها هذا الشعاع

وخلاصة ما يقال عن هذا الكسوف التام انهُ شوهد في منطقة ضيقة من الارض طولها نحو خمسة آلاف ميل تبتدىء من نيو اورليانس في الولايات المتحدة وتمتد الى فرجينيا وتقطع الاتلنتيكي واسبانيا وبحر الروم الى بلاد الجزائر وتنتهي في الصحراء غربي مصر. وقد شوهد ايضاً في بقعة اوسع من هذه كثيراً كان فيها ناقصاً كما شوهد في القطر المصري . ولما كانت الاماكن التي شوهد فيها كليًّا واقعة في اميركا حيث يكثر علماء الفلك والمشتغلون بهِ وفي اسبانيا والبرتغال وبلاد الجزائر حيث يسهل على علماء اوربا رصده وكان زمنهُ اوائل الصيف حيث يغلب صفاء الجو في البلدان التي ظهر فيها اهتم كثيرون من العلماء برصدهِ فحققوا كل ما كانوا يتمنونهُ

الشفعة

رأت الحكومة المصرية ان النصوص الواردة في القوانين المدنية عن الشفعة غير وافية بالمراد منها وان القضاة يرجعون الى احكام الشريعة الغراء في كثير من احكامهم لعدم وجود نص صريح عليها في القانون ويحكمون احكاماً مختلفة فيحكم بعضهم على مذهب الامام ابي حنيفة وبعضهم على المذاهب الاخرى فتلافت الامر ووضعت لائحة جديدة في احكام الشفعة لترجع المحاكم اليها في احكامها وعرضتها على مجلس شورى القوانين فوافق عليها ولكنهُ اقترح على الحكومة ان تجعلها عامة للوطنيين والاجانب معاً لتكون احكام الشفعة في المحاكم الاهلية والمحاكم المختلطة واحدة فلا يميز فريق من السكان على فريق آخر في بلد واحد . فاحلّت الحكومة طلب مجلس الشورى محلهُ من الاعتبار واوقفت العمل بلائحة الشفعة في المحاكم الاهلية وترقبت الفرص الموافقة لمصادقة الدول عليها الى ان تم لها ذلك الآن وصدر الامر العالي بها فلم يبقَ ما يمنع من انفاذها في المحاكم الاهلية بعد ان تنفذ في المحاكم المختلطة

ولما كانت الشرائع الاوربية لا تجيز الشفعة الاَّ في احوال قليلة معينة لقيت الحكومة

المصرية بعض المعارضة والممانعة من وكلاء الدول في موافقتها على جميع احكام الشفعة التي عرضتها . ولكن اللائحة الجديدة جاءت مع ذلك وافية بالمرام من اوجه كثيرة واظهر السواد الاعظم من الذين يهمهم امر الشفعة في هذا القطر رضاهم بها واعترفوا بفوائدها

ولما كانت هذه اللائحة جامعة لكل ما يهم من الاحكام في هذا الباب وكانت مسألة الشفعة من المسائل التي تهم الجمهور كثيراً في هذا القطر رأينا ان نثبت خلاصتها في المقتطف تعميماً للفائدة

المادة الاولى . يثبت حق الشفعة للشريك الذي لهُ حصة شائعة في العقار المبيع وللجار المالك اذا كان العقار المشفوع من المباني او من الاراضي المعدة للبناء سواء كانت في المدن او في القرى واذا كان للاراضي المشفوعة حق ارتفاق على ارض الجار او كان حق الارتفاق لارض الجار على الارض المشفوعة واذا كانت ارض الجار ملاصقة للارض المشفوعة من جهتين وتساوي نصف ثمن الارض المشفوعة على الاقل

المادة الثانية . يعد شريكاً في العقار المشفوع من كان لهُ حق الانتفاع فيهِ كلهِ او بعضهِ ولهُ طلب الشفعة اذا لم يطلبها مالك الرقبة نفسهُ

المادة الثالثة . لا شفعة في العقار الذي بيع بالمزايدة لعدم امكان القسمة عيناً بين الشركاء لنزع الملكية قهراً امام جهات الادارة او القضاء وكذلك لا شفعة في ما بيع من الاصول لفروعهم وبالعكس ولا فيما بيع من احد الزوجين للآخر او من المالك لاحد اقاربهِ لغاية الدرجة الثالثة

المادة الرابعة . لا شفعة للوقف

المادة الخامسة . لا يصح الاخذ بالشفعة من الموهوب لهُ ولا ممن تملك بغير المبايعة

المادة السادسة . لا شفعة في ما بيع ليجعل محل عبادة او ليلحق بهِ

المادة السابعة . اذا تعدد الشفعاء يكون الحق في الشفعة اولاً لمالك الرقبة ثانياً للشريك الذي حصتهُ مشاعة ثالثاً لصاحب حق الانتفاع رابعاً للجار المالك

فاذا تعدد مالكو الرقبة او الشركاء او اصحاب حق الانتفاع فاستحقاق كل منهم للشفعة يكون على قدر نصيبهِ واذا تعدد الجيران يقدم منهم من تعود على ملكهِ منفعة من الشفعة اكثر من غيرهِ

المادة الثامنة . يثبت حق الشفعة وتراعى الاحكام المقررة في المادة السابقة في ما يتعلق بالاولوية ولو كان المشتري حائزاً لما يجعلهُ شفيعاً باعتبار ما ذكر في المادة الاولى

المادة التاسعة . العين الجائز اخذها بالشفعة اذا باعها مشتريها قبل تقديم طلب ما بالشفعة

وتسجيلهِ كما هو مذكور في المادة الرابعة عشرة الآتية لا تقام دعوى اخذها بالشفعة الاَّ على المشتري الثاني بالشروط التي اشترى بها

المادة العاشرة . اذا بنى المشتري في العقار المشفوع او غرس فيهِ اشجاراً قبل طلب الاخذ بالشفعة يكون الشفيع ملزماً بناء على رغبة المشتري إما ان يدفع لهُ ما صرفهُ او ما زاد في قيمة العقار بسبب البناء او الغراس

اما اذا حصل البناء او الغراس بعد طلب الاخذ بالشفعة فللشفيع الخيار ان شاء طلب ازالتها وان شاء طلب بقاءها وفي هذه الحالة لا يلزم الاَّ بدفع قيمة الادوات واجرة العمل او مصاريف الغراس اما ما صرف في حفظ العقار وصيانتهِ فيلزم ان يدفع في كل الاحوال للمشتري المشفوع منهُ

المادة الحادية عشرة . اذا بيع العقار لعدة اشخاص مشاعاً بينهم فلا تجوز الشفعة الاَّ فيهِ بتمامهِ اما اذا عينت في العقد حصة كل منهم مفروزة كان للشفيع الحق في اخذهِ بتمامهِ او اخذ حصة واحدة او اكثر مع مراعاة القواعد المقرَّرة لطلب الاخذ بالشفعة

المادة الثانية عشرة . كل رهن من المشتري وكل حق اختصاص حصل عليهِ دائنهُ وكل بيع وكل حق عيني قبلهُ المشتري او اكتسبهُ الغير ضدهُ بعد التاريخ الذي سجل فيهِ طلب الشفعة طبقاً للمادة الرابعة عشرة الآتية لا يسري على الشفيع ويبقى مع ذلك لاصحاب الديون الممتازة وللدائنين المرتهنين ما كان لهم من حقوق الاولوية فيما آل للمشفوع منهُ من ثمن ذلك العقار

المادة الثالثة عشرة. يحل الشفيع بالنسبة للبائع محل المشفوع منهُ في كافة ما كان لهُ وعليهِ من الحقوق على ان المشتري اذا استحصل على تأجيل الثمن لا ينتفع الشفيع من هذا التأجيل الاَّ برضا البائع

واذا ظهر بعد الاخذ بالشفعة ان العقار المشفوع مستحق للغير فليس للشفيع الرجوع الاَّ على البائع الاصلي

المادة الرابعة عشرة. يجب على من يرغب في الاخذ بالشفعة ان يعلن طلبهُ للبائع والمشتري كتابة على يد محضر ويكون هذا الاعلان مشتملاً على عرض الثمن وتوابعهِ الواجب دفعها قانوناً

ولكي يكون هذا الاعلان حجة على الغير يجب تسجيلهُ في قلم رهونات المحكمة المختلطة التي العقار بدائرتها

واذا كانت الشفعة بين وطنيين يكتفى باجراء هذا التسجيل في قلم كتاب المحكمة الابتدائية الاهلية التي يكون العقار المطلوب اخذهُ بالشفعة في دائرتها وعلى هذه المحكمة ان تبعث بصورة

منهُ الى قلم رهونات المحكمة المختلطة التي يتبعها العقار لكي تسجلهُ من تلقاء نفسها ولا يكون هذا الاعلان حجة على الغير من تبعة الدول الاجنبية الاَّ من تاريخ هذا التسجيل

ونصوص هذه المادة المختصة بتسجيل الطلب وما يترتب عليهِ تسري على تسجيل حكم الشفعة المنصوص عنهُ في المادة الثامنة عشرة الآتي ذكرها

المادة الخامسة عشرة . ترفع دعوى الشفعة على البائع والمشتري امام المحكمة التي يكون العقار في دائرتها في ميعاد ثلاثين يوماً من تاريخ الاعلان المنصوص عنهُ في المادة الرابعة عشرة والاَّ سقط الحق فيها

المادة السادسة عشرة . يحكم في هذه الدعوى دائماً على وجه السرعة

المادة السابعة عشرة . لا تقبل المعارضة في الاحكام الغيابية الصادرة في الشفعة وميعاد استئنافها خمسة عشر يوماً من يوم اعلانها

المادة الثامنة عشرة . الحكم الذي يصدر نهائياً بثبوت الشفعة يعتبر سنداً لملكية الشفيع وعلى المحكمة تسجيلهُ من تلقاء نفسها

المادة التاسعة عشرة . يسقط حق الشفعة في الاحوال الآتية

اولاً . اذا حصل التنازل عنهُ صراحة او ضمناً ويستدل على التنازل الضمني بكل عمل او عقد يؤخذ منهُ ان الشفيع عرف المشتري بصفة مالك للعقار نهائياً

ثانياً . اذا لم يبدِ الشفيع رغبة في الاخذ بالشفعة في مدة خمسة عشر يوماً من وقت علمهِ بالبيع او من وقت تكليفهِ رسمياً بابداء رغبتهِ سواء كان بناء على طلب البائع او بناء على طلب المشتري ويزاد على هذه المدة عند الاقتضاء ميعاد المسافة

المادة العشرون . يجوز اثبات التنازل الضمني عن حق الشفعة والعلم بالبيع بكافة طرق الاثبات المقررة في القانون بما فيها الاثبات بالبينة

المادة الحادية والعشرون . يجب ان يعلن التكليف الرسمي المنصوص عنهُ في الفقرة الثانية من المادة التاسعة عشرة على يد محضر وان يشتمل على البيانات الآتية والاَّ يعد لاغياً

وهذه البيانات هي اولاً بيان العقار المراد اخذهُ بالشفعة بياناً دقيقاً مع تعيين موقعهِ وحدودهِ ومقاسهِ . وثانياً بيان الثمن وشروط البيع واسم البائع والمشتري ولقبهما وصنعتهما ومحل سكنهما

المادة الثانية والعشرون يسقط الحق في الشفعة في سائر الاحوال بعد مضي ستة اشهر من يوم تسجيل عقد البيع وذلك بالنسبة لكافة الشفعاء ولو كان الشفيع غير اهل للتصرف او غائباً

غرائب جديدة للكهربائية

كتب الاستاذ نيقولا تسلا مقالة مسهبة في مجلة القرن الاميركية اتى فيها على وصف ما اكتشفهُ واستنبطهُ بقريحتهِ الوقادة وبحثهِ الطويل مما تزيد بهِ قوة الانسان ويقبض على زمام القوة المتدفقة من الشمس على الارض

ومما وجدهُ هذا العالم المحقق ان المجاري الكهربائية السريعة تجعل نيتروجين الهواء يتحد باكسجينهِ وتكبر بها الشرارة الكهربائية فيصير طولها ستين او سبعين قدماً فتزفر زفير النار المضطرمة وتحرق نيتروجين الهواء في اكسجينهِ . ويصير الهواء موصلاً للكهربائية بعد ان كان غير موصل لها . وهذه الكهربائية على شدتها وعظم فعلها تمر في جسم الانسان من غير ان ينالهُ منها اقل ضرر ويظهر النور الكهربائي في مصابيحهِ من غير اسلاك ولو كانت داخل البيوت والآلة المولدة للكهربائية خارجها

ومما اثبتهُ انهُ يمكن الاكتفاء بسلك واحد عن سلكين او الاكتفاء بالارض والهواء من غير اسلاك معدنية واذا كان المكان الذي فيهِ الآلات الكهربائية عالياً جداً عن سطح البحر امكن نقل قوة الوف من الخيل مسافة مئات بل أُلوفٍ من الاميال من غير اسلاك معدنية

وبعد ان بيّن ان كل القوى الارضية مصدرها قوة الشمس وعدَّد الاساليب التي تستخرج بها قوة الشمس من الوقود والرياح والمياه المنحدرة قال ان اعظم مصدر لهذه القوة الحرارة التي تفيض على الارض كل يوم فانهُ يصل الى الميل المربع من الارض من حرارة الشمس ما يساوي قوة اربعة ملايين حصان فاذا وُجد سبيل لاستخدام اشعة الشمس كان منها قوة من اعظم القوى التي يمكن استخدامها ولكن لا سبيل الى ذلك وكل الطرق التي استعملها الاستاذ تسلا لم تفِ بالغرض

وقد اكتشف حقيقتين مهمتين الاولى ان الكهربائية تتولد من نفسها في سلك ممتد من الارض الى طبقات الجو العليا اما بدوران الارض على محورها او بانتقالها في فلكها حول الشمس. ولا تظهر فيهِ هذه الكهربائية الا اذا رشحت منهُ الى الهواء بوصلهِ من اعلاهُ بسطح واسع فيهِ نتوات كثيرة حادَّة . والثانية ان طبقات الجو العليا مشحونة دائماً بكهربائية تخالفة لكهربائية الارض ولذلك فالارض والجو المحيط بها آلة كهربائية كبيرة فاذا امكن الوصل بينهما على اسلوب تستخدم كهربائيتهما بهِ كان من ذلك قوة لا اعظم منها بين القوى الطبيعية

———

يوم ماراثون

لحضرة المؤرخ المدقق جرجي افندي يني الطرابلسي

لقد مرَّ على الشرق حين من الدهر وهو ممتع بالدولة والسيادة تعتزُّ بهِ الدولة اثر الدولة فتنهض بالعزة الشماء والهمة القعساء حتى تدين لها اخواتها وحتى تخفق على ارجاء اسيا الفسيحة اعلامها وتنفذ في ساكنيها احكامها. وحسبك ما كان من شأن الدولة الكلدانية والاشورية والبابلية والفارسية فانهن جُمعٌ لعبن في مرسح الوجود ادوارًا وكان لكلٍّ منهنَّ في زمانها ومكانها منتهى القوَّة وغاية المنعة والسيادة حتى كانت تُجبى لهنَّ الاموال من اقطار اسيا الشاسعة. فلما انتهى الدور في القرن السادس قبل المسيح الى الدولة الفارسية الثانية التي يسميها العرب الكيانية وقد ورثت عن سابقاتها الفخامة والمجد بدأت ترقى في معارج الفلاح والازدهاء حتى اتسع نطاقها وايُّ اتساع وارتت سعة فتوحاتها نيفًا وخمسين مرة على منبت اسلتها اريد بها بلاد فارس الاصلية . وكأني بملوك هذه الدولة قد نظروا الى العالم المعروف يومئذٍ فرأوا رايتهم تخفق فوق كثيرٍ من اقطارهِ في اسيا وافريقية فذكروا ان بين الخاضعين لهم اقوامًا دانت لهيبتهم الممالك القديمة ورجالاً اشتهرت بسالتهم وعُرف بين الناس مقام شجاعتهم فدبّت خمرة هذا الفوز العظيم برؤوس ملوك الفرس وايقنوا ان ليس لهم كفوءٌ بين امم الارض

وكان على ساحل الاناضول الغربي مدائن عامرة بجالية من اليونان اقاموا ثمة مستقلين في شؤونهم. الاَّ ان ازدهاء مملكة ليديا وتفوق ملكها كروسوس لم يبقِ لها من شأن عظيم فانصاعت بعضها لطاعتهِ والبعض لمالأتهِ حتى اذا نهض قورش رأس الدولة الفارسية واقتحم مملكة مادي وقع من فعلتهِ ما ساء كروسوس لما بينهما من المحالفة والمصاهرة فصمم قورش على خضد شوكة الليديين واراد ان يستعين عليهم بالمدن اليونانية الخاضعة لهم ولو خضوعًا اسميًا لعلمهِ ان كروسوس لا يقعد عن الزحف لتدويخهم فيقع منهُ ومنهم بين نارين. الاَّ ان اولئك اليونان لم يحفلوا بدسائس قورش اما لارتضائهم من الليديين او خشية ان يكونوا كالمستجير من الرمضاء بالنار . فكانت فعلتهم قذًى في عيون قورش الظافر بكروسوس وقومهِ حتى اذا قضى من الفتح وطره عنت لهُ كل بلاد ليديا وتوابعها وفي جملتها هاتيك المدن اليونانية . ومع ذلك فانهُ لم يكتفِ بما كان من طاعتها الظاهرة بل اضمر لها الشر ولكنهُ قفل عن سرديس المفتوحة ليثير الحرب في مواطن اخرى بعد اذ عهد بما غنم من الاموال الطائلة الى رجل من الليديين اسمهُ باكتياس ليوصلها الى عاصمتهِ. فما تم الليديّ هذا ان استأجر بالمال عسكرًا من اليونان وعاد بهِ و بن

التف حولهُ من الوطنيين الى سرديس ودسَّ لاهليها فنهضوا بالعامل الفارسي طابالوس وغلبوهُ عليها فحصر قلعتها وطيَّر الخبر الى مولاهُ فلم يحفل بالثورة كثيرًا بل عقد اللواء لمادي من بطانتهِ يقال لهُ مازارس وبعثهُ لكبح جماح العصاة ومن ناصرهم من اليونان فلما علم باكتياس بالامر خاف المغبَّة ففرَّ هاربًا قبل ان بلغت اليهِ فيالق الفرس فخمدت جذوة الثورة ولكن مازارس اقتصَّ من اهل سرديس ونكل بهم وزحف على المدن اليونانية وهاجمها ففتح بريانة وباع اهليها عبيدًا واراد الحملة منها على اخواتها فعاجلتهُ المنية وعُقد لواءُ جيشهِ لمادي آخر اسمهُ هرباغوس فضرب المدن اليونانية وفتحها الواحدة بعد الاخرى لكنهُ لم يجحف على اهليها بل عاملهم بالرفق اكثر من سلفهِ اذ ارتضى من بعضهم بمغادرة الثغور والإبحار الى الجزائر القريبة ومن غيرهم بالطاعة والجزية والخدمة العسكرية فسرَّ اليونان بشروطهِ وارتضوا لكن قورش لم يرتضِ من المدن اليونانية الأَ ملتيوس (ملاطية) فانهُ عاملها بملء الرأفة كأَنهُ قصد ان يستخصها بالنعمة لتبقى على الاخلاص لعرشهِ فتفترق بذلك عن اخواتها اللواتي اقمنَ على استقلالهنَّ الداخلي لا يرغبنَ في الاتحاد ولا يخضعن لسيادة واحدة منهن يجتمعن على امرها في تدبُّر المصلحة العامة كما اشار بذلك حكيمهم طاليس المشهور الذي رأى بفراستهِ ان الفرس يريدون بمواطنيهِ شرًّا فاراد ان يجمعهم فما انصاعوا لمشورتهِ

وكان قد تخلف عن طاعة الفرس منذ بدء انتصاراتهم في اسيا الصغرى بضعة قبائل ساكنة في الجنوب الغربي وبينهم كثيرون من جالية اليونان فزحف هرباغوس عليهم واجتاح بلادهم فاذعنوا من غير ممانعة تذكر الأَ القونيون والليقيون فانهم اتحدوا وحاربوا حربًا ترتعد الفرائص لهولها حتى اذا غُلبوا اعتصموا في معاقلهم لكنها لم تغنهم عن بأس الفرس فتيلاً فاضرموا النار في مدينتهم فاحترقت بمن فيها من نسائهم واولادهم وما يملكون ثم اخترطوا السيوف وحملوا على الفرس يريدون ان تُنهب ارواحهم على شفارهم فكان لهم ما ارادوا وتخلد اسمهم بالبسالة النادرة المثال

هذه جذوة الحرب الفارسية اليونانية القاها تماسُّ مصالح الامتين بينهما الأَ ان الجالية اليونانية في ثغور اسيا وبعض مواضع من داخليتها ليست كل الامة اليونانية ولا هي بيضة ملكها ولكن مواطن شراذم من تلك الامة العظيمة نزلوا بعيدًا عنها ابتغاء التوسع في الرزق والتماسًا للانتشار كما نرى لهذا العهد كثيرين من ابناء الامم المتمدنة يجوبون الامصار لاختيار اطايبها واتخاذها لهم منازل يستدرون منها خيرًا لم يجدوهُ في اماكنهم الاولى . ولم يكن عدد اليونان كبيرًا ولا نهضت فيهم لذلك العهد دولة واحدة تجمع شتاتهم بل ظلوا الآماد الطوال

يمرحون في استقلالهم الداخلي منقسمين بلداناً وحلفات شأنهم التباعد والتخاصم بل التفاني في ميادين القتال وانما كانت فيهم الفضائل الباهرة من حكمة تضرب بها الامثال وشجاعة قلَّ لها المثيل وآداب عزيزة المنال في تلك الايام ووطنية لا يعادلها شيء وذكاء عجيب الى غير ذلك مما دلت عليهِ آثارهم

ولقد روى ابو التاريخ هيرودوتس بعضاً من الحوادث التي وقعت بين الفرس واليونان في بدء تملك داريوس بن هستاسبس او قبلهُ مما حسبها بعضهم ذريعة للعدوان ولكنها على الارجح اذا محصت ليست مما يدفع الى الحرب اللهمَّ الاَّ اذا كانت الصدور قد ضاقت بالشحناء والتمست لها منفذاً . اعتبر ذلك بما كان من احتيال اوراوتس عامل الفرس على بوليكراتس اليوناني صاحب جزيرة ساموس وقتلهِ واستعباد رجالهِ وبينهم الطبيب ذيموسيدس الذي شفى داريوس من صدع رجلهِ فارسلهُ في جملة الجواسيس الى بلاد اليونان وهنالك انقذهُ اهل كروتونا الى غير ذلك مما لا نظنهُ يستثير الامم فلى خوض غمرات القتال

الاَّ ان السبب الاقوى هو ان داريوس علم بغنى اليونانية ومجدها فطمحت عينهُ الى خضد شوكتها لان عزتها لم تقع منهُ موقعاً جليلاً لما في مجاورة دولتهِ لها من خفض غلوائهِ لاسيما وان بعض الخاضعين لسدتهِ من جالية اليونان في اسيا كانوا يعتزون بابناء ارومتهم ويحسبونهم ملجأً لهم متى اشتدت بهم الازمة ناهيك ما روي من استنجادهم باسبرطة احدى مدنهم المشهورة باستقلالها وبسالتها ايام اراد قورش بهم شرًّا وان اسبرطة اجابتهم واوفدت على الظافر رسلها يحملون بلاغاً لم يرضهِ ولا غروَ فقد كان اليونان على جانب عظيم من العجب والخيلاء حتى انهم ليحسبون انفسهم اعلى الناس قدرًا ويسمّون من سواهم برابرة وكذا كان الفرس يشمخون بانفهم اعتلاء على الناس لاسيما لما انتهت اليهم السيادة واستفحل امرهم في السواد الاعظم من سكان اسيا

ومع ان الفرس لم يحفلوا بمداخلة اسبرطة ازدراء بها فان فعلتها القت بذار الشر في نفوس ملوكهم وانها لبداية شؤمى توالت الحوادث على صغار امورها فصارت جساماً . ولقد كانوا ينظرون الى اليونانية بعيون الحسد والضغن يريدونها من جملة التوابع ويقابلهم اليونان بالحرص على بقاء حريتهم والامتعاض ممن يريد بها سوءًا . واخلاقُ الامتين في خلال ذلك تزيد في طين الحوادث بلةً الى ان بعث داريوس وفوداً من قومهِ الى اليونان في اسيا واوربا يطالبون اليهم ان يقدموا لهُ الماء والتراب لانهما علامة الخضوع والطاعة فلقي الوفود قبولاً في كل المستعمرات اليونانية وفي بعض المواطن من امّ البلاد الاَّ اثينا واسبرطة فانهما اجابتا الوفد جواباً قبيحاً واهانتاهم

تخنق داريوس لازدراء القوم بهِ مع انهُ يحسبهم احط من ان يخطروا على بالهِ

وكان جيشهُ كثير العدد وقد جمعت فيهِ الرجال من كل انحاء اسيا الخاضعة للصولجان الفارسي فسار تسبقهُ الابهة والمهابة والجلال التي كسبها في الحروب والمغازي السابقة حين دوَّخ الاقطار وما زال يغذ السير حتى نزل في صيف سنة اربعمائة وتسعين قبل المسيح في سهلٍ فسيح قرب البحر في بلاد كليكية يقال لهُ سهل اليا حيثما كانت قد اجتمعت السفن التي هيأها تباع الفرس من الفينيقيين وجالية اليونان في الثغور والجزر وقد اناف عددها على الستمائة عدا عن عددٍ من النقالات التي امر داريوس بطلبها من جالية اليونان وسواهم لنقل خيولهِ ومعداتهِ حتى اذا تمت الاهبة ركب الجيش البحر مزوَّداً باوامر المولى ان يدوخ اليونانية وعلى الاخص جمهورية اثينا وبلدة اريتريا وان يبعث باهاليهما اسارى الى فارس. فمخرت السفن العباب على محاذاة سواحل الاناضول حتى اقتربت من جزيرة ساموس فتجاوزتها وسارت مغربة في بحر ايجه تدوخ الجزائر التي تمرّ بها وكان الناكسيون قد ناوأوا الفرس منذ عشر سنوات فلما حصرهم الاسطول يومئذٍ لم يقوَ عليهم لكنهم لما اقبلت هذه الحملة خافوا واعتصموا بجبالهم فانزل الفرس رجالاً الى مدينتهم فاحرقوها وعاثوا في جوارها ولم ينفكوا عن القوم حتى اذعنوا لنصرتهم بالرجال والسفن. ثم اقلع الاسطول حذاء اوابيا حتى اتى بلدةً صغيرة اسمها كاريستوس فمانعت بعض الشيء ولكن هي الكثرة قد تغلب البسالة. فلما ظفر الفرس بكاريستوس اتجهوا صوب اريتريا فبعث اهلها يستغيثون بحلفائهم الاثينيين فلباهم هؤلاء اذ ارسلوا اليهم اربعة آلاف من رجالهم الابطال فبلغوا المدينة وتأهبوا لمحاربة العدو الاَّ ان دار الندوة الاريترية لم يكن سليماً من الخيانة المعيبة لان بعضاً من رجالهِ كانوا حراصاً على ذواتهم وما تملك ايمانهم يحسبون المغنم البارد في تمكين العدو من بلادهم وقومهم ليسلم لهم شأنهم. الاَّ ان سائر مواطنيهم كانوا ابطالاً يفضلون الموت في ساحة الوغى على التسليم للعدو اللدود ولذلك عزموا على الحرب وعزم الخونة الانذال على الغدر بهم وتمليك وطنهم للفرس واتصل ذلك برجل من عظماء البلدة يقال لهُ اسشينيس فكبر الامر عليهِ ولم يرضَ ان يؤخذ الاثينيون على غرةٍ فاوعز اليهم ان ينجوا من مخالب الخيانة ليقتدروا على الدفاع في وطنهم. فلما سمع الاثينيون ذلك برحوا البلدة تاركين دفاعها لرجالها وجاء العدو فوقف الاريتريون في وجوههم ستة ايام وفي اليوم السابع سلم الخونة المدينة فاسرف الفرس فيها قتلاً ونهباً وحرقاً واخذوا رجالها اسارى واقاموهم في جزيرة تجاور اريتريا اسمها اجيليا حتى يقرنوهم لمن وطدوا العزم على اسرهم من الاثينيين فيؤخذ الاسرى بعد ذلك الى حضرة المولى الفارسي ليفعل فيهم ما يشاء

ولما قضى الفرس لبانتهم من ارتيريا اقاموا ثمة بضعة ايام ريثما استراحوا من وعثاء السفر والحرب وساروا نحو بلاد اتيكا وعاصمتها اثينا يحسبون انهم لا يلبثون ان يظفروا بها كما ظفروا بسواها. وكان بينهم هيبياس بن بسستراتوس حاكم اثينا المطرود فدلهم على سهل ماراثون وهو على اثنين وعشرين ميلاً عن اثينا وموقعهُ قرب خليج باسمهِ وذلك في الساحل الشمالي الشرقي من اتيكا . اما شكلهُ فهلالي ويبلغ طولهُ ستة اميال وعرضهُ في وسطهِ نحو ميلين ولكنهُ يضيق في الطرفين تدريجاً حتى تقترب الجبال من البحر . وفي وسط السهل وادٍ عميق يجري فيهِ سيل ماء وعلى جانبيهِ اشجار غبياء ونجوم نبات زكي الرائحة يعطر تلك الارجاء وكان الى جانبي السهل ارض سبخة تغمرها المياه في الخريف والشتاء وتجف عنها في الربيع والصيف — هنالك بين السبختين خيم الفارسي بخيلهِ ورجلهِ وامامهُ في البحر رست السفن والنقالات تجدهُ بالذخائر والمؤن

وكانت عدة الجيش الفارسي مئتي الف وقيل مئة الفٍ من الفرسان والرجالة واما عدد الاثينيين فقليل لا يكاد يبلغ العشرة آلافٍ من المقاتلة الاَّ ان عادة هؤلاء ان يصطحب الجنديّ خادماً او نصيراً من عبدانهِ او من الوطنيين الفقراء الذين لم يكونوا على سعةٍ من العيش تمكنهم من تعلّم فنون الحرب او من ابتياع العدَّة اللازمة للقتال

اما سلاح الفرس فكان حساماً قصيراً مستقيماً اشبه شيء بالمدى يضعونهُ في الغمد ويعلقونهُ بالمنطقة الى الامام ثم يعتقلون رمحاً قصيراً ايضاً لا يتجاوز طولهُ ست اقدام ولكنهُ حديد السنان وكانت قسيهم كبيرة الحجم متينة تعلق على الكتف الايسر واطرافها عكفاء اما سهامها فمن القصب الاَّ ان نصالها من الصفر او من الحديد يضعونها في جعابٍ تعلق في الكتف الايسر ايضاً وتدلى الى الوراء . ومن سلاحهم ايضاً الفأس والمقلاع والمدى والحربة على قلةٍ وكانوا لا يدَّرعون بل يتقون الضربات بمجانٍّ من القصب. اما اليونان فقد كان سلاحهم السيف القصير ولكن رمحهم كان طويلاً يبلغ عشر اقدام او اثني عشرة قدماً وكانوا يتقون الضربات بالمجان ويلبسون الخوذ والدروع

ولما علم الاثينيون بنزول الفرس في ماراثون اسرعوا الكرة من مدينتهم اليها ونزلوا في الجبال المحيطة بالسهل في موضع كانوا يعتبرونهُ مقدساً لهرقل البطل المتأله وكانوا قد بعثوا يستنجدون باسبرطة ويطلبون اليها ان تدعم يد المعونة للذود عن الوطن ودفع العدو الخارجي الذي جاءهم يريد بهم سوءا. فاجابتهم الى ذلك الاَّ انها اعتذرت اليهم عن المسارعة في نصرتهم على العدو لان الاستغاثة بهم وصلتهم في اليوم التاسع من الشهر القمريّ وان من

سننهم المتبعة وعقيدتهم التي لا يحولون عنها ان لا يسيروا في زحف الاَّ بعد ان يصير القمر بدرًا ولذلك باشروا الاهبة ليسيروا الى القتال متى حان الوقت. فتلقى الاثينيون هذا الوعد بملء الارتضاء ولئن وجدوا من انفسهم انفرادًا في الذود عن الوطن تلقاء جيوش جرارة تسير مهابتها في طليعتها

وكانت عشائر الاثينيين عشرًا ومن عادتهم ان يزحفوا للحرب وعلى كل عشيرة قائد يختارونهُ كل سنة ومتى قصدوا حربًا يجتمعون للمذاكرة فيهِ مشاركين زعيمًا من كبراء حكومتهم منصبهُ كوزارة الحرب لهذا العهد. فلما نزلت العشرة الآلاف من الاثينيين على جبال ماراثون رأوا السهل يموج بالجيوش من فرسانٍ ورجالة وابصروا الاهبة الفارسية بكل مظاهرها وعلموا ان قد دنت الساعة التي بها يدافعون جيشًا اعتاد خوض الحروب وخرج من جميعها ظافرًا غانمًا حتى اصبح الاسم الفارسي رهبًا ورعبًا لليونان

وكان في اليونانية بلدة غير ذات جسامةٍ اسمها بلاتيا واقعة في قطر بلاتيا على مقربةٍ من ثابس المشهورة بحولها وطولها فناوأتها هذه الجارة القادرة بحيث كادت بلاتيا تعجز عنها فاستغاثت باثينا فاغاثتها وانقذت لها استقلالها من مخالب الاسد. فحفظ البلاتيون لاثينا هذه الصنيعة حتى دُهمت بيلاء الفرس فحشدوا الفًا من الابطال المدربين على القتال وارسلوهم الى ساحة الوغى فبلغوا ماراثون لنجدة مصطنعيهم من غير ان يستنجدوهم فوقع ذلك من الاثينيين موقعًا جليلاً لاسيما لانهم جاؤُا لنصرتهم من دون سائر اليونان مع ان الفرس كانوا يتوعدون استقلالهم جمع وشعروا ان لهم نصراء يستميتون مثلهم في التماس الحرية والذود عن الذمار

ولسنا على بينة من اسماء القادة العشرة الذين كان معقودًا لهم على الاثينيين في تلك الحرب وانما نعرف ملتيادس المشهور واريستيدس وثيموستكلس اللذين ذاع صيتهما بالبسالة وكان لهما القدح المعلّى في شؤُون وطنهما بعد تلك الاونة وكذلك القائد ستاسيلاوس ابن تراسيلاس

ولما عقد القادة مجلسهم دارت المذاكرة بينهم في اضرام جذوة الحرب فرأى بعضهم ان لا قبل لهم بمقاتلة ابطال الفرس الذين اعتادوا خوض الغمرات وقد خرجوا من جميعها ظافرين حتى حسبوا اقوى من ان يغلبوا. ورأى الآخرون ان يقابلوا العدو من غير مهلٍ وكان ملتيادس من جملة القادة الخمسة الذين ارتأوا الاسراع في الحملة على العدو غير متهيب عددهم وعددهم لما كان يعلم من تفوّق اليونان في البسالة والدربة وان باب الظفر مفتوح لقومهِ اذا لم يعوزهم حسن القيادة. وكان واثقًا بنفسهِ ورجالهِ وبحسن موقع جيشهِ ويخشى ان يصبر للاسبرطيين فيعمل

الخونة في اثينا بما عمل امثالهم في اريتريا. فلما انقسمت آراء القادة العشرة ولم يبق الا رأي وزير الحرب خاطبهُ ملتيادس قائلاً: اي كليماكوس لقد وقع الامر اليك فاما انك تستعبد اثينا او اذا شئت ان توثق عرى حريتها تخلد لك شهرة ذائعة لم ينل مثلها هرموديوس وار يستوجيتون لانهُ لم يأت على الاثينيين منذ صاروا شعباً حين من الدهر وقعوا فيهِ بمثل هذا الخطر فاذا احنوا ركبهم لهؤلاء الفرس ينعم بهم على هيبياس وانك لتعلم ماذا يحلُّ بهم عندئذٍ ولكن اذا انتصرت اثينا في هذه الحرب فانها ستصبح الاولى بين المدائن اليونانية فرأيك اذن قاطعٌ لاعدال الامر بين ان نحارب او لا لاننا اذا لم نباشر القتال سريعاً فربَّ جماعة من الانذال يدسون للاثينيين سم الشقاق وتسلم المدينة للعدو ولكننا اذا شمرنا للحرب قبل ان تظهر خفايا الخبائث في اثينا فاني واثق بالظفر ما لم تكن الالهة متحيزة علينا. انتهى بتصرف. فلما سمع كليماكوس هذا الكلام مال الى رأي ملتيادس فوافقهُ المجلس على ذلك وسر القادة بحماسة الشجاع وارادوا ان يسلموهُ حظهم من الامارة العامة ذلك لانهُ كان من سنتهم ان يتناوب القادةُ العشرة الامارةَ العامة يوماً فيوماً فابى ملتيادس ان يتولاها في غير يومهِ لئلا يستثير حسد رفاقهِ وصبر حتى جاءت نوبتهُ. على ان الغريب تقاعد الفرس عن النزال فكأنهم انصاعوا لمشورة هيبياس الخائن الذي اتخذ عدو وطنهِ ذريعةً لنيل عرشهِ المسلوب وسعى في اغراء قومهِ على الخيانة ليسلموا المدينة من غير قتال

ولما جاءت نوبة ملتيادس في الامارة العامة كان ذلك في يوم من شهر سبتمبر (ايلول) سنة ٤٩٠ ق.م فنظم الجيش على ان يكون كليماكوس قائداً للميمنة ولا خفاء ان لوزير الحرب في كل المواقع الاثينية ان يتولى قيادة الميمنة وبقي ثيموستوكلس وار يستيدس في القلب وسائر القادة في المواقف الاخرى اما الحلفاء البلاتيون ففي الميسرة القصوى وكان كل هذا الجيش من ذوي الاسلحة الثقيلة لان الاثينيين لم يكونوا حتى يومئذٍ يستخدمون ذوي الاسلحة الخفيفة في المواقع الدامية الا عبدانهم فانهم لم يكونوا يحسبون من المقاتلة وقد يبعثون مع مماثليهم من المسلحين قليلاً للمناوشات ومطاردة العدو اذا ادبر

ولما اكتمل الانتظام بعد ظهر ذلك النهار شرع القادة يخاطبون عسكرهم بما يزيدهم حماسة ويستثير كوامن شجاعتهم وهم في خلال ذلك يذكرونهم بمواضع جمة من مواقفهم فيها الذكرى لايام مضت كبسالة بطلهم المتأله هرقل المخصص موضعهم لذكرهِ ناهيك بالينبوع الذي في جوارهِ فانهُ ينسب الى احدى النساء الباسلات المسماة مكاريا التي يحكون انها بموتها فدت حرية قومها واشاروا الى السهل الذي عزموا على الاقتتال فيهِ انهُ كان الساحة التي استبسل فيها

بطلهم الوطني ثاسيوس وفيهِ اتحد اجدادهم والهراكليدة فغلبوا اوريسائيوس الذي اجتاح بلادهم. وبمثل هذه الذكرى تعلو النفوس ويغلو مرجل الحماسة حتى يستحب الموت فدى الوطن. واذ كان الاثينيون يعتقدون بصحة هاتيك الوقائع وان ابطالهم المذكورين عملوا في ذلك الموضع تلك الاعمال المجيدة ثم اذ اصبحوا على ما كانوا يزعمون بين القوات العلوية فانهم ينظرون الى اوطانهم بملء المسرة والارتياح فيسعون لدى الارباب العظام وينالون للمخلصين في خدمة الوطن نظرًا عزيزًا وظفرًا اكيدًا

وكان من عادة الاثينيين انهم اذا برزوا للقتال ألفوا مربعاً كثيف الجوانب تصونهُ المجان اذا تدانت واشتبكت يقال لهُ عندهم فالانكس ثم ساروا الى اللقاء بقدم راسخ متمهل الاَّ ان ملتيادس رأى ان يغير الخطة المألوفة تغييرًا كليًّا فجعل مصاف عسكرهِ طويلاً على مدى كل الموقف الذي يحسن النزال فيهِ خشية ان يؤْخذ جيشهُ من على جانبيهِ بحركات فرسان العدو الاَّ ان قلة عسكرهِ وامتداد مصافهِ جعل الخط ضعيفاً على مداهُ فقوى الجناحين بشراذم من القلب لان موضع القلب يمكنهُ من الاستنصار اذا ضعف باحد الجناحين فتكون العمدة عليهما وتلك خطة لم يألفها القوم من قبل ولكن ايمننداس اخذها عن ملتيادس بعد نحو مئة سنة من زمنهِ

ولما قرع الطبل وتغنى المنشدون بانشودة الحرب اندفع الاثينيون خفافًا سراعًا ينحدرون من على الجبال كأَنهم السيل اذا انحدر على غير عادتهم ثم شرعوا يركضون ركضاً ولا خوف عليهم ان يصلوا الى موضع المصاف وهم منهوكون اعياءً وتعباً لانهم مدربون على السير ركضاً وانما امرهم ملتيادس بذلك لئلاَّ يراهم الفرس فيستعد فوارسهم للقائهم قبل ان يتجاوزوا الحضيض البعيد نحوًا من ميل عن موقف العدو ولكي اذا دنوا منهم لا يستحكم رماة الفرس بصرد السهام عليهم ريثما تتألب فيالقهم وتصافهم

قلنا ان موقف الاثينيين كان قنة الجبل فهم لذلك لم يكونوا على مرأًى من الفرس بحيث خفيت عن هؤلاءِ حركاتهم بخلاف حركات الفرس فانها كانت ظاهرة لاعدائهم فلما برز اليونان من مواقفهم وشرعوا ينزلون من الجبل ركضاً هزأ الفرس بهم لقلة عديدهم وخلو جندهم من الفرسان والرماة ولانهم يركضون كالمجانين واستهانوا بهم وحسبوا انهم آخذوهم على شفار الصفاح واسنة الرماح وبدأوا يرتبون صفهم جهد الطاقة على ما فسح لهم المكان والزمان فترتبت المشاة وفيهم من الفرس كل بطل مغوار اعتاد خوض المنايا والخروج منها غانمًا ظافرًا اما الفرسان فاعوزهم الوقت لتمام الاهبة

ووقف المشاة يتوقعون حملة اليونان فما عتموا ان جاؤوهم بقلوب لا تهاب الموت وقد شرعوا الاسنة وحملوا حملة الاسود الكاسرة فالتقاهم الفرس بثبات وعزيمة تقلقلان الجبال الا ان مجانهم لم تكن متينة لتقيهم من طعنات اعدائهم ولا كانت رماحهم طويلة لتبلغ من اليونان ما بلغت رماح اليونان منهم فقتل من الفرس كثيرون بل ربما ذهب الصف الاول منذ الصدمة الاولى ولكنّ ذلك لم يبلبل للفرس بالاً ولا شغل خاطراً لان بعضاً منهم اظهروا منتهى البسالة والاقدام ناهيك ان كثرتهم كانت كافية لسد العوز حتى كلما مات منهم محارب برز الى الساحة محاربون وكان في قلب جيشهم الكثيف رجال الفرس الوطنيين وناهيك ببسالة من يقاتل عن امتهِ وسيادتها فان هؤلاء ابلوا في ذلك اليوم البلاء الحسن يخدمهم فيهِ جيش الساكة ولم يكن امامهم من اليونان عدد كافٍ يشد بهِ الازر فغلبت هنالك الشراذم التي كان على امرتها ارستيذس وثيموستكلس وارتدت على الاعقاب امام الفرس فلحق هؤلاء بهم في عرض السهل والى اعالي الوادي وما وراءهُ من داخلية البلاد حيث الحزون التي اغتنم اليونان فرصة سنحت لهم من تلكؤ الفرس عن سرعة مطاردتهم فيها فتألبوا وعادوا ثمة لتجديد القتال وكان الجناحان اليونانيان قد كسرا الفرس من صوبهما وارجعاهم القهقرى فلم يرَ ملتيادس ومن تحت امرتهِ من قادة الاثينيين والبلاتيين ان يطاردوا المنهزمين بل ضموا جيوشهما معاً وسار ملتيادس بهم لمقاتلة قلب الجيش الفارسي وهو يقاتل اليونان المرتدين من امامهِ فلما رأى الفرس حملة ملتيادس عليهم اسقطوا في ايديهم لانهم لم يتنظروا منهم مثل ذلك وانكفأوا عن قتال ثيموستكلس وارستيذيس لمقابلة الآتين عليهم فتشدد هذان القائدان وعادت حمية عسكرهما فاطبق كل اليونان على فيلقي الفرس والساكة فجاهد هؤلاء جهاد الابطال ولكنهم لم يقووا على الثبات طويلاً ولاسيما لان الليل كان وشيكاً وان صف اليونان كان محكماً مستتراً بالمجان والرماح شرَّع نحو صدور الاعداء فهم لا يستطيعون ان يدنوا من حملتها ليخترقوا صفوفهم قبل ان تخترق تلك الرماح صدورهم وتخطف ارواحهم ناهيك انهم والوقت ما برح قبل الغروب قد وقفوا بين مصافهم واليونان فاستهدفوا لسهام الرماة الذين ارادوا العدو فاصابوا الفرس. كل هذا والحرب لم تزل محتدمة مع ان اليونان تعبوا كثيراً ولكنهم رأوا فتكهم بالفرس ذريعاً وان نصرهم صار وشيكاً فزادوا حماسة واقداماً كلما زاد عدوهم وهناً وتمنى الفرس لو يدنون من مربع الاعداء ويعملون فيهم الخناجر والمدى اذن لاذاقوهم نكالاً

وفي آخر الامر شعر الفرس بضعفهم وانهم اذا دهمهم الليل زادهم بلاء فاداروا ظهورهم للاعداء وولوا هاربين لا يلوون على شيءٍ ولحق اليونان بهم على الاثر يضربون في اقفيتهم حتى

عمت الهزيمة وكبرت رزيئة الفرس ولم ينجهم من الموت الاَّ الفرار نحو البحر فبلغوهُ وركبوا سفنهم وولوا الإدبار الاَّ ان اليونان كانوا قد سكروا من خمرة الظفر فاندفعوا الى السفن الراسية قرب الشاطىء وقبضوا على بعضٍ منها ودوت الارجاء باصوات القائلين منهم هلمَّ بالنار هلمَّ بالنار فدافع ثمة الفرس دفاع المستميتين ورأوا النجاة في صبرهم على المكاره حتى قتلوا من اليونان معظم من قُتل في ذلك اليوم وفيهم القائد الباسل كاليماكوس وزير الحرب وكذلك ستاسيلاوس وفاز الفرس بالنجاة من مخالب الاسد اليوناني بعد ان اسر سبعة من سفنهم

ولما اقلعت السفن من مياه ماراثون خطر لدارشن امير الفرس ان يبحر على محاذاة ساحل اتيكا الغربي حتى يصل اثينا فيجدها خالية من حاميتها فينال اربهُ منها بسعي الذين فيها من انصار هيبياس الاَّ ان ملتيادس رأى ذلك فاعمل على احباط سعيهِ ولو كلَّف عسكرهُ ما لا يُطاق من التعب فعهد لاريستيذس ان يقوم بفرقتهِ على حراسة ساحة ماراثون وما فيها من القتلى والجرحى والسلَب وزحف في ذلك الليل بسائر الجيش الظافر زحفاً سريعاً حتى بلغ اثينا اما سفن الفرس فانها دارت حول رأس سونيوم ومخرت صوب الميناء في صباح اليوم التالي فرفع اميرها نظرهُ ورأى الظافرين بهِ في مساء الامس صفاً كالبنيان المرصوص فعلم ان امالهُ قد خابت وان مساعيهُ حبطت لان المستعدين للقائهِ ذوداً عن بلدتهم هم الذين اذاقوا عسكرهُ كؤوس الوبال وقد تركوا خوفهم مؤثراً في قلوب ابطالهِ ناهيك انهم لظافرون والظافر يزداد بسالةً واقداماً كلما ازداد تذكاراً لنصرهِ رأى وعلم فاطَّرح امر مولاهُ داريوس ظهريًّا وقال في نفسهِ (الهرب ثلثا المراجلة) فامر بسفنهِ فاقلعت راجعةً الى اسيا تاركةً اوربا وشأنها

قلنا ان الاسبرطيين وعدوا الاثينيين بالنجدة بعد تمام القمر فلما بدر وقضوا لبانة سنتهم الدينية زحف منهم الفان من الرماحة الابطال الى ماراثون وهي تبعد عنهم مئة وخمسين ميلاً اجتازوها في ثلاثة ايام فوصلوا الموقف وقد وضعت الحرب اوزارها وسار معظم الاثينيين للذود عن بلدتهم ووجد الاسبرطيون ساحة الوغى ملأى باشلاء الفرس وتباعهم فاعظموا الامر واكبروهُ ثم اثنوا الثناء المستطاب على بسالة الاثينيين وابلائهم بالعدو البلاء الحسن وعادوا الى قومهم ليحدثوهم بما كان من الظفر وغرائب البسالة الاثينية

وكانت عدة قتلى الفرس وتباعهم ستة الاف واربعمائة اما الاثينيون فلم يُقتل منهم الاَّ مئة واثنان وتسعون رجلاً ولم يذكر عدد من قتل من البلاتيين الاَّ ان بعضاً من المحققين لا يحسبون خسارتهم فادحةً لان موقفهم كان منيعاً بحيث قلَّ ان تطالهُ رماح العدو

ولا خفاء انهُ كان من عادة الاثينيين ان يحملوا اشلاء قتلى حروبهم الى اثينا ويدفنوهم

بالتعظيم في مدفن ابطالهم الواقع في ضاحية اثينا في موضع يقال لهُ سيراميكوس الا انهم ارادوا في هذه المرة ان يميزوا قتلى ماراثون عن سائر من سبقهم من الابطال ليظهروا لابناء وطنهم تفوُّق هؤلاء المدافعين عن ذمارهم فاحتفروا لهم في ساحة ماراثون ضريحاً كبيراً دفنوهم فيهِ وجعلوا فوقهم رجمةً من الحجارة واقاموا حولها عشرةً من الاعمدة لكلٍ من عشائر اثينا واحد كتبوا عليهِ اسماء قتلى تلك العشيرة في ذلك اليوم المجيد . ومما يؤْخذ عن بوزنياس الذي نبغ بعد ستمائة سنة من هذه المعركة ان تلك العمد ظلت قائمةً في مواضعها حتى زمنهِ. وجعلوا القتلى البلاتيين ضريحاً اخر واقاموا عليهِ رجمةً اخرى وكذلك احتفروا ضريحاً مخصوصاً لعبدان الاثينيين الذين كانت شكتهم خفيفةً وقتلوا في ساحة الحرب

هذا ما روى المؤَرخون عن يوم ماراثون المحسوب منتهى مجد الاثينيين وغاية فخارهم على ان الباحث العصريّ مطالَبٌ بكشف النقاب عن الاسباب التي كللت هام الاثيني بغار الانتصار واذاقت الفارسي صاب الهزيمة وليس ذلك بعسيرٍ على مَن ينعم نظرهُ في التاريخ اذ يرى اولاً ان الدولة الفارسية كانت طامحةً الى الفتوح راغبةً في مزيد قدرتها بخضد شوكة من تستطيع اليهِ وصولاً من الامم فكان ابطالها يحرزون النصر اينما ساروا لتفوُّقهم على من يحاربون عدداً وعدداً ولكنهم لما لاقوا اليونان قاتلوهم فوجدوهم اسوداً في اللقاء لا يضارعهم احدٌ من محاربيهم السابقين . ثانياً لم يكن كل الجيش الفارسي على كثافتهِ من اهل عصبيَّة الدولة بل ان معظم تلك الالوف المؤَلفة كان من التباع الذين حاربوا مأمورين لا تدفعهم الحمية ولا تنهضهم الواجبات الاَّ فئة الفرس الذين كانوا في القلب وفازوا في بادىء امرهم بعض الشيء وشتان بينهم وبين الاثينيين الذين حاربوا لينقذوا انفسهم وعيالهم من الاسر والهوان ولكي يذودوا عن اوطانهم وما ملكت ايمانهم طائلة السلب والنهب والحريق مما كان مباحاً للظافر في تلك الايام . ثالثاً كان الجيش الفارسي اذا ارتدَّ يرى وراءهُ السفن لتعود بهِ الى اوطانهِ يرى فيها عيالهُ آمنين ويتمتع منها بخيرها متخلصاً من مشاق الحرب المكلف بها تكليفاً بخلاف الاثيني فانهُ كان عارفاً ان انكسارهُ يبليهِ بما لا يطاق من الاسر والنكال وهو لا يسلم من عذاب الهون الاَّ ليُبتلى بالجلاء عن وطنهِ على اقل ما يحسب لهُ مخبوءًا في فكرة الظافر . رابعاً كان الاثيني مولعاً بالحرية ممتعاً من جرائها بنعيم الحضارة يرى كل شيء في وطنهِ ثميناً غالياً يُفتدى بالارواح بخلاف تباع الفرس فانهم كانوا مكرهين على الطاعة وليس لهم شيء من حرية الارادة وشتان بين الفريقين . خامساً كانت رماح الفرس قصيرةً لا تصل الى اليونان وان وصلت تلقاها هؤلاء بالدروع والمجان المتينة التي ترد الطاعنات خائبةً بخلاف رماح اليونان

فانها كانت تصل الى مقاتل الفرس ولا تردها عنها مجانهم لانها سخيفة تخترقها الطعنات النجلاء . سادساً ان تدريب اليوناني على القتال منذ اشتداد ساعدهِ امر لم يألفهُ كثيرون من تباع الفرس . سابعاً كان الفرس في موقف لا يستطيعون منهُ ان يستطلعوا حال اليونان بخلاف هؤلاء فانهم كانوا على علم بحركات اعدائهم وسكناتهم . ثامناً ان كثافة جيش الفرس كانت احدى بلاياهم بخلاف قلة اليونان وسرعة حركاتهم فانها مكنت قادتهم من ترتيبهم على ما احبوا

ولقد أدهش الناس لاضراب المؤرخين الاول عن ذكر خيل الفرس في هذه الموقعة مع انها ذكرت قبل التلاحم . اعتبر ذلك بما ورد من ان هيبياس الخائن اختار سهل ماراثون واشار بهِ لان مسرح الفوارس فيهِ فسيح ولكن ملتيادس رد كيدهم في نحورهم اذ جعل رجالتهُ صفاً من السبخة الواحدة الى الاخرى فلم يبقَ من مجال للخيل لانها لا تقوى على مهاجمة الرجالة اذا كانوا صفاً لا تبرز عن مساواتهِ الا الاسل وكفى بها مانعاً

ولقد عظَّم الكتبة شأن هذه الواقعة الهائلة ليس لانها قطعت عدال الحرب بين الفرس واليونان بل لانها اوقفت تيار الفرس عن اقتحام اليونانية ومحق استقلالها ومعالم مجدها ومحو تمدنها المحسوب جرثومةً للتمدن الحالي . نعم ان الفرس لم يستسلموا للانكسار ولم يقعدوا عن طلب الثأر ولكنهم علموا والعالم اجمع ان المنعة والعصمة لا تخلدان لقوم وان المجد والسؤدد يقومان في غير عصبتهم ايضاً وان ما ارادوهُ من اخضاع اليونان لهم ليس بالامر اليسير وكفى بالدهر مؤدباً



تمثال هكسلي

العلم مطلوب لذاتهِ ولا يخطر على بال عالم يبحث في نواميس الطبيعة ويصل الليل بالنهار درساً وتنقيباً انهُ يفعل ذلك لكي يُقام لهُ تمثال او يُرفع لهُ نصب . ولكن اذا رأى ابناؤنا تماثيل العلماء والفضلاء قائمة بازاء تماثيل الملوك والعظماء زادوا رغبةً في العلم وتطلباً للفضائل ولذلك ترى البلدان الراقية مراقي الفلاح تكرم علماءها بعد مماتهم كما تكرم وزراءها وتقدر المرء بما نفع بهِ بلادهُ وابقى فيها من المآثر واما البلدان التي قضي عليها بالانحطاط فلا يشاد فيها تذكار الا لمن عاش عيشة الكسل وعلَّم الناس التوكل والخمول وهذا من جملة الفروق بيننا وبين غيرنا من الاوربيين

يعلم قرّاء المقتطف مقام هكسلي بين رجال العلم فانهُ العالم الطبيعي الذي نصر مذهب دارون بقلمهِ ولسانهِ ووسع علم التشريح والبيولوجيا وبحث وحقق في مواضيع كثيرة علميَّة وادبيَّة

وكان خدمة الدين يكفرونهُ في حياته لكن فضلاءهم كانوا يجلّون قدرهُ ويعترفون لهُ بالعلم الواسع والبلاغة النادرة والآداب الرائعة وسلامة النية وحسن الطوية . ولما توفي اجمعوا كلهم على مدحهِ . ثم اهتمَّ عظاء الانكليز وعلماؤهم وفضلاؤهم باقامة تمثال لهُ في متحف التاريخ الطبيعي واحتفلوا في الثامن والعشرين من شهر ابريل الماضي بكشف الستار عن هذا التمثال امام ثمانمئة من نخبة الامة الانكليزية . وافتتح الاحتفال الاستاذ راي لنكستر بخطابة وجيزة اتى فيها على ذكر الاعمال التي عُمِلت لاقامة التمثال والاكتتاب بالمال لنفقاته وقال " ان السر جوزف هوكر صديق هكسلي الحميم الذي بقي وحدهُ من اولئك العلماء الاعلام الذين كان منهم ليل وأوِن وداروِن وبهم استعزَّ العلم الطبيعي في عصر الملكة فكتوريا يتقدم ليسلم التمثال الى امناء المتحف البريطاني وانت ايها الامير (مخاطباً برنس اوف ويلس) نائب هؤلاء الامناء قد رضيت ان تستلم هذا التمثال باسمهم وهو دليل على اعجاب الناس في هذه البلاد وفي كل البلدان المتمدنة بالرجل الذي يعدُّ من اعظم رجال العصر كمتشف ومعلم وكاتب ورجل "

ثم تقدَّم السر جوزف هوكر وقال

مولاي لقد انتدبني الذين اكتتبوا لانشاء تمثال صديقي المرحوم الاستاذ هكسلي لكي اقدمهُ الى سموكم بالنيابة عن امناء المتحف البريطاني على ان يبقى في هذا البهو مع تماثيل العلماء المشاهير الذين سبقوهُ وهم السر جوزف بنكس والمستر داروِن والسر رتشرد أوِن . وفضولٌ مني ان ابين حقَّ هكسلي في ان يُنصب تمثالهُ بين تماثيل هؤلاء الاعلام ولو كنتُ قادراً على ذلك فكيف وانا غير قادر ثم عدَّد الاعمال التي شارك فيها هكسلي هؤلاء العلماء . وتلاهُ السر ميخائيل فوستر فقال مخاطباً برنس اوف ويلس . " اني ارى من الواجب عليَّ ان ازيد بعض كلمات على ما قالهُ شيخ علماء البيولوجيا السر جوزف هوكر الذي ولد قبل هكسلي وحالفهُ على مناصرته فوقف الى جانبه يحاربان في سبيل العلم ولذلك لم يشأ ان يذكر كل الاعمال المجيدة التي عملها هكسلي لانهُ كان مشاركاً لهُ فيها . اما نحن اولاد هكسلي في العلم الذين نعلم ان كل ما نستطيع فعلهُ مكتسب منهُ فلا يليق بنا السكوت في هذا الموقف العظيم

فقد ظن بعضنا احياناً ان هكسلي اعطى الجمهور كثيراً مما كان يجب ان يوقفهُ على العلم وحدهُ ولكن اذا كان العلم قد خسر بسبب ذلك فالعالم كلهُ قد كسب بل كسب العلم نفسهُ ايضاً لانهُ عرف من ذلك ان نفعهُ غير خاصّ بهِ بل عام ومرتبط بمصالح الناس اجمع

وكثيرون يحسبون الرجل الذي اجتمعنا الآن لتذكارهِ مفسراً لآراء رجل آخر عظيم نرى تمثالهُ قائماً هنا ينظر الينا وسموكم تتذكرون الآن انكم كشفتم الستار عن ذلك التمثال تمثال

دارون منذ خمس عشرة سنة وقد تتذكرون ايضاً الكلمات البليغة التي فاه بها حينئذٍ صاحب التمثال الآخر الذي اجتمعنا لرفع الستار عنهُ . نعم ان هكسلي قد حارب لاجل دارون وكان يحارب دائماً ولكنهُ لم يحارب ليغلّب دارون على غيره بل حارب لاجل العلم حارب لكي تمتحن آراء دارون بنور الحق غير ممزوج بالتعصب ولا بالغرض ولم يكن يحسب تلك الآراء معصومة عن الخطإِ ولكنهُ لم يحسبها ايضاً حرية بالرفض والازدراء كانها ثابتة البطلان

وقد اشتغل هكسلي لغيره على غير الاساليب العلمية ولولا معرفتنا ذلك لكنا نظنهُ اقتصر على البحث العلمي لكثرة ما اتسع علم البيولوجيا على يدهِ فانهُ ترك آثارهُ في كل مبحث منهُ هدًى للذين يأتون بعدهُ . والحقائق التي افاد بها العلم مذكورة في كتبهِ لكن ذلك جزء مما خدم بهِ العلم . فانهُ ما من احد قصدهُ لفائدة وارشاد ومضى خائباً ونحن كنا من مشرحين وزوولوجيين وجيولوجيين وفزيولوجيين ونباتيين وانثربولوجيين كنا نأتي اليهِ ونستقي من موردهِ العذب . وكل بيولوجي هذا العصر في هذه البلاد وفي سائر البلدان تذكار لهذا الرجل العظيم وهم يفتخرون بكشف الستار عن تمثالهِ"

ثم تكلم دوق ديفنشير كرئيس اللجنة التي اهتمت باقامة هذا التمثال لهكسلي وطلب من البرنس اوف ولس ان يقبلهُ في المتحف البريطاني فاجابهُ البرنس قائلاً

"ايها السادة والسيدات . اني احسب فخراً عظيماً لي ان انتدبتني لجنة هذا التذكار لارفع الستار عنهُ واقبلهُ في المتحف البريطاني بالنيابة عن امنائهِ الذين لي الشرف ان اكون عضواً منهم . ولم انسَ اني قمت بعمل مثل هذا منذ خمس عشرة سنة حينما رفعت الستار عن تمثال تشارلس دارون الشهير . ولقد سمعنا اليوم خطباً في منتهى البلاغة وسحر البيان عن هذا العالم العظيم والفيلسوف الكبير الاستاذ هكسلي . وفضول مني بل غرور ان اطنب في مدحهِ في حضرة هذا العدد العديد من رجال العلم الذين يعرفون عن اشغالهِ اكثر مما اعرف لكنني اصادق على كل كلمة فاه بها هؤلاء العلماء واكرر لكم الاعراب عما يخالج ضميري من السرور بانتدابكم اياي مرة ثانية لقبول تمثال رجل ثانٍ من اعاظم رجال العلم المشهورين"

هذا ولما توفي الطيب الذكر المرحوم علي باشا مبارك طلبنا ان يكتتب تلامذتهُ ومريدوهُ بمال يقام لهُ بهِ تذكار خالد يراهُ ابناءهذا القطر فيتذكرون الرجل الذي خدم المعارف سنين كثيرة . فجُمع المال المطلوب ولكن اختلفت الآراء في التذكار الذي يقام بهِ واخيراً قرَّ القرار على اعطاء ريعهِ جوائز لبعض المشتغلين بالعلم . وهذا امرٌ حسن ولكن التذكار المشاهد بالعين اوقع في النفوس واوفى بالغرض المطلوب

تاريخ البطالسة

بطليموس سوتر (المنقذ)

لما فتح الاسكندر الديار المصرية على ما تقدم في الفصول السابقة من تاريخهِ كان في جيشهِ ضابط مكدوني اسمهُ بطليموس بن لاغوس ولا يبعد ان تكون صورة بلاد مصر وثروتها ارتسمتا في ذهنهِ وحبّبتا اليهِ العودة اليها حتى اذا عظم شأنهُ عند مولاهُ وصار من قوادهِ المعدودين وأُتمن معهم على ادارة مملكتهِ بعد وفاتهِ اسرع الكرة الى مصر ليستأثر بها

وكان الاسكندر قد ولّى على مصر رجلاً اسمهُ كليومانس فشدّد النكير على الاغنياء وابتزّ منهم الاموال لكنهُ كان يبعث اليهِ بالجزية كاملة وافية فلم يرَ سبيلاً الى عزلهِ . وقد اشار ديموستنس الخطيب الى هذا الوالي في احدى خطبهِ وقال انهُ رفع اسعار الحبوب فاضرَّ بالاثينيين. لكن ذلك ليس مما يلام عليهِ كما سيجيء. واشار ارسطوطاليس اليهِ في كتاب سياسة المدينة فقال "انهُ لما وقعت المجاعة في البلاد المجاورة لمصر منع اخراج الحنطة منها ثم لما شكا اليهِ رؤساء الاقسام انهم لم يعودوا قادرين على جمع الاموال الاميرية بسبب ذلك اباح اصدار الحنطة من القطر المصري لكنهُ ضرب عليها مكساً باهظاً فجمع من ذلك مالاً وافراً ومنع شكوى رؤساء الاقسام. وابحر مرةً في القسم الذي يعبد اهلهُ التمساح فاختطف التمساح واحداً من عبيدهِ فجمع الكهنة وقال لهم انهُ عازم على الانتقام من التماسيح وامرهم ان يصطادوها لهُ فاشفقوا من ذلك وجمعوا لهُ قدراً طائلاً من الذهب فسكنوا غضبهُ . ولما امرهُ الاسكندر ان يبني مدينة المنارة (الاسكندرية) وينقل سوق قنوبس اليها ذهب الى قنوبس واخبر كهنتها واغنياءها انهُ اتاهم لينقلهم الى مكان آخر فجمعوا لهُ الاموال ورشوهُ بها لكي يبقيهم في اماكنهم فمضى عنهم ثم عاد اليهم ثانية لما وضع اساس المدينة وطلب منهم مبلغاً طائلاً من المال حاسباً انهُ الفرق بين اقامة السوق في بلدهم واقامتها في الاسكندرية . ولما قالوا انهم لا يستطيعون دفع هذا المال نقلهم كلهم الى المدينة الجديدة . ولما صار ثمن القمح عشرة دراهم جمع الفلاحين وسألهم عن السعر الذي يبيعونهُ بهِ فقالوا انهم يبيعونهُ بارخص مما يبيعون التجار فقال بل انا اشتريهِ منكم بثمن التجار (فاشتراهُ منهم بعشرة دراهم) وباعهُ باثنين وثلاثين درهماً . ثم جمع الكهنة وقال لهم ان نفقات المشاعر الدينية فاحشة جداً وانهُ لا بدَّ من هدم بعض الهياكل وصرف كهنتها . فترضوهُ بالمال منهم ومن خزائن هياكلهم مخافة ان يلغي فرقهم " انتهى كلام ارسطوطاليس

وغاية ما فيهِ ان كليومانس كان شديد الوطأة على الكهنة والتجار يبتزُّ الاموال منهم ليعمّر بها خزائن الحكومة وذلك اقل عيوب الولاة في تلك الايام

وكان الاسكندر قد اعطى خاتمهُ لبردكاس قبل وفاتهِ كأنهُ عهد اليهِ في الولاية او في النيابة بعدهُ فاشار بردكاس بانتظار ما يولد من زوجتهِ ركسانة وبأن يدير شؤون السلطنة اربعة من قوادهِ في غضون ذلك كما قلنا في الجزء الماضي فاختصَّ بطليموس نفسهُ بالديار المصرية واتى اليها وعامل اهاليها بالحلم والتفَّ حولهُ انصارهُ فعبأ الجنود خوفاً من بردكاس لانهُ كان يطمع بالاستيلاء على المملكة كلها وحالف انتباتر والي مكدونية وقتل كليومانس لانهُ كان من حزب بردكاس

وكان بطليموس حكيماً عادلاً معتدل المطامع كما سيجيء وابتدأ الخصام بينهُ وبين بردكاس على جثة الاسكندر فان بردكاس امر ان يؤتى بها الى مصر لتدفن في واحة سيوى حيث هيكل الاله امون ولكن لما بلغت الشام خاف من ان دفنها في مصر يفيد بطليموس فائدة ادبية فيستعزّ بها شأنهُ فامر ان ترسل الى ايجي وتدفن في مدفن ملوك مكدونية لكن بطليموس لقيها في بلاد الشام واتى بها الى مصر فوصلت الى منف اولاً ثم نقلت الى الاسكندرية ودفنت فيها وكان ذلك على غير ما يشتهي بردكاس لانهُ علا بهِ شأن بطليموس وحُسب مؤتمناً على ضريح مولاهُ. والظاهر ان جثة الاسكندر نقلت الى مصر في تابوت من الرصاص لا من الذهب وأُتي بها الى منف اولاً لان الطريق الى الاسكندرية تمرُّ بها . وقيل بل كان مراد بطليموس ان يدفنها في منف فابى رئيس كهنتها ذلك وقال خذوها وادفنوها في المدينة التي بناها ولكنها لم تنقل الى الاسكندرية في عهد بطليموس هذا بل في عهد خلفهِ

ومضت السنتان الاوليان بعد موت الاسكندر وبردكاس مشغول عن بطليموس بمحاربة خصومهِ في اسيا الصغرى وقبرص لان ملوك قبرص كانوا قد انحازوا الى بطليموس وانجدوهُ بالاساطيل فوجد بطليموس فرصة لفتح القيران وضمها الى مصر ليستعين باهلها على تعبئة الاساطيل وهي مستعمرة يونانية مشهورة من ايام بندار وكانت قد خضعت للاسكندر مدة ثم استقلت بشؤونها وتغلب عامتها على خاصتها فلجأ الخاصة الى بطليموس فضمها الى مصر لكنهُ لم يجاهر بالاستقلال ولا نبذ الطاعة لاخي الاسكندر وابنهِ بل كان يقول انهُ عامل على مصر من قبلهما ونقش اسمهما على السكة وعلى ما جدَّدهُ من الهياكل ولم يرضَ بردكاس بذلك ولا خفي عليهِ غرض بطليموس فجيَّش الجيوش وقصد مصر سنة ٣٢١ قبل المسيح وكان بطليموس قد حصن الثغور واقام الحامية في الطينة والجنود التي اتت مع بردكاس اتت معهُ

مكرهة فعصت عليهِ وقتلتهُ . فخلا الجو لبطليموس في الديار المصرية وسهل عليهِ احتلال البلاد المجاورة فاحتلَّ قبرص في السنة التالية واضافها الى مملكتهِ فبقيت لذريتهِ من بعدهِ ثم التفت الى سورية فاستولى عليها لكن استيلاءهُ عليها كان قصير المدة لان انتيغونس (وهو قائد آخر من قواد الاسكندر الاربعة وكان نصيبهُ اسيا الصغرى) كان حينئذٍ مشتغلاً بالحروب في اسيا فلما فرغ منها بعد خمس سنوات عاد اليهِ فاضطرَّ ان يغادرها مع انهُ تغلَّب على ديمتريوس بن انتيغونس في واقعة غزة سنة ٣١٢ . وعاد الى سورية مراراً وكان يستولي عليها مرةً ثم يضطر الى مغادرتها أُخرى وهو في كل نوبة يجلي اليهود منها ويأتي بهم الى مصر على ما قالهُ يوسيفوس .وقد اثبتت المكتشفات الحديثة ان اليهود كانوا كثاراً في القطر المصري في عهد بطليموس الثاني فلا يبعد نقلهم اليها في عهد الاسكندر و بطليموس الاول

وتوالت الحروب الى ان استتبت الولاية لانتيغونس في اسيا الصغرى وسلقوس في بابل و بطليموس في مصر و كسندر بن انتيباتر في مكدونية .وتهادن هؤلاء الولاة سنة ٣١١ على الاعتراف بسيادة ابن الاسكندر عليهم ولو بالاسم وعلى استقلال المدن اليونانية . ثم وافقوا كسندر على قتل الاسكندر وامهِ فنودي ببطليموس ملكاً في الديار المصرية وعبأ اسطولاً كبيراً لانقاذ المدن اليونانية وقد لقبهُ اهالي رودس بالمنقذ(سوتر) والَّهوهُ لانهُ انقذهم سنة ٣٠٦ وباهتمامهِ صار للقطر المصري شأن في البحر واتسع نطاق تجارتهِ وصناعتهِ و كثر نزول اليونان فيهِ

وقصدهُ انتيغونس الى الديار المصرية بثمانية الاف فارس وثمانين الف راجل وثلاثة وثمانين فيلاً و١٥٠ سفينة حربية و ١٠٠ سفينة للنقل . وكان ديمتريوس بن انتيغونس على الاساطيل فصدتها الرياح الشمالية الغربية واغرقت بعضها وبعد عناء شديد وصل الجيش الى الطينة فوجدها محصنة ومصب النيل مسدوداً بالقوارب ودخل اناس بين جنود انتيغونس يغرونهم بتركهِ والانضواء الى بطليموس وهو يهب الرجل منهم منوين والضابط وزنةً .وحاول ديمتريوس النزول في بحيرة المنزلة وعند دمياط فلم يستطع ثم اصابهُ نوءٌ كسر ثلاثاً من اكبر سفنهِ فاضطر ان يعود الى ابيهِ فجمع انتيغونس مجلساً حربياً واستشارهُ في الامر فقر قرارهُ على ترك مصر والعودة عنها لانهُ خاف ان يصيبهُ فيها ما اصاب بردكاس

ثم نشبت الحرب بين انتيغونس وابنهِ ديمتريوس من جهة وبين سلوقس وابنهِ انطيوخس وليماخوس و كسندر من اخرى فقتل انتيغونس وقسمت بلادهُ بين خصومهِ فاخذ بطليموس بلاد الشام ولو لم يحضر المعركة وجعل يبني سفنهُ في صيداء من اشجار لبنان ثم اخذ قبرص من ديمتريوس ابن انتيغونس وضمها الى الديار المصرية فصارت مملكتهُ تشمل القطر المصري كلهُ وساحل البحر

الاحمر الى برنيكي وشط الفيل والقيروان وفلسطين وفينيقية ولبنان والبقاع وقبرص . وكانت سلطتهُ معترفاً بها في كثير من مدن اليونان واسيا الصغرى

ولما توطدت اركان مملكتهِ التفت الى استرضاء كهنة المصريين والتوفيق بينهم وبين اليونانيين وسبيل ذلك معروف وهو الدينار الذي يخضع لسلطتهِ كل عاتٍ فاكثر من الهبات للكهنة ومن الاوقاف للهياكل وانشأ هيكلاً لسرابس في الاسكندرية لكي يؤلف بين اليونانيين والمصريين وانشأ ايضاً المدرسة والمكتبة الشهيرتين لكي تفوق الاسكندرية اثينا في العلم والعرفان. ويقال انهُ انما قصد من المدرسة والمكتبة مجرَّد الشهرة لا توسيع نطاق العلوم والفنون فكان شأنهُ في جمع الكتب شأن بعض الكبراء الآن الذين يجمعون كتباً كثيرة نادرة المثال للزينة ويقرّبون العلماء لاجل المباهاة . ثم ان ما فعلهُ من انشاء المدرسة والمكتبة انما كان اساساً لما فعلهُ ابنهُ بعدهُ كما سيجيء

وجارى المصريين في عباداتهم وفي ما كانوا يكتبونهُ عن ملوكهم ومن امثلة ذلك ما نقشهُ بين سنة ٣١١ و٣١٢ قبل المسيح وهذه ترجمتهُ

"في السنة السابعة (اي السابعة من ملك ابن الاسكندر) في بدء الفيضان تحت رعاية هورس الشاب الغني بالقوة رب التاجين محب الآلهة الذين اعطوهُ جاه ابيهِ هورس الذهب رب العالم ملك مصر العليا ومصر السفلى سلطان البرين بهجة قلب امون مختار الشمس الاسكندر الحي الى الابد صديق الهة مدينتي بي وتب كان ملكاً في ارض الغرباء في قلب اسيا فصار فوز عظيم في مصر بطليموس اسمهُ " الخ

وكان بطليموس كثير النساء تزوج فتاة فارسية في بابل وقت الاحتفال العظيم بزيجة الاسكندر على ما تقدم وفتاة يونانية اسمها تايس (وهي غير تايس التي حرقت قصر برسبوليس) وولد لهُ منها ولدان. وسنة ٣٢١ ق.م تزوج اوريديكي ابنة انتيباتر والي مكدونية واكبر قواد الاسكندر وولد لهُ منها اولاد كثيرون سمى اكبرهم بطليموس ليخلفهُ على الديار المصرية وهو الملقب بالصاعقة وكان معها امرأة ارملة اسمها برنيكي لها اولاد اسم اكبرهم مغاس فتزوج بها ايضاً وتبنى اولادها وولى ابنها مغاس على القيروان . وكان الضرار شائعاً عند المكدونيين والمصريين ولاسيما عند ملوكهم وعظمائهم ولذلك لم يؤاخذ بطليموس بما فعل . واحبَّ برنيكي وفضلها على سائر نسائهِ وألبسها تاج الملك وولدت لهُ ولداً جعلهُ ولي عهدهِ وهو بطليموس الثاني وتنازل لهُ عن الملك سنة ٢٨٥ ق.م وبقي سنتين في بلاطهِ كانهُ من عامة الناس وتوفي وهو في الرابعة والثمانين من عمرهِ . وسيأتي الكلام عن بطليموس الثاني في الجزء التالي

صفحة من تاريخ فرنسا

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

للناظرين في تواريخ الامم ميل للوقوف على الخفيّ من اخبار الشعوب ولا الذّ من كشف النقاب عن الاسرار التي طمس عليها الدهر لاسيما ما اختصَّ منها بذوي الشان ومن بيدهم مقاليد الامور . وقد عثرت في احدى المجلاَّت الانكليزية على حكاية سرٍّ حدث في قصر التويلري بباريس ابان الثورة الفرنسوية المشهورة نحو آخر القرن الثامن عشر فرأيت ان الخصها لقراء المقتطف ففيها ما يكفل ارتياحهم الى حوادثها

وقف فارس متنكر بزيّ حوذيّ صباح ٢١ مايو سنة ١٧٩٢ في احد شوارع فرسايل امام حانوت تدلى من اعلى بابهِ مفتاح مذهب ووراء المفتاح لوحٌ عليهِ هذه الكلمات " فرنسوى جامين حداد وصانع اقفال " ولم يلبث الفارس طويلاً حتى نادى صاحب الحانوت فخرج اليهِ فهمس في اذنهِ وقال انا حامل اليك امر مولاي الملك أنْ سِرْ عاجلاً الى بلاطهِ في التويلري فعندهُ عملٌ لا يستطيع القيام بهِ سواك وقد امرني ان ادخل بك القصر من باب مطبخهِ خشية ان تقع علينا عين الرقيب . فلما ادرك الحداد مغزى الرسالة وسمع قول الفارس عبس وقطب وجههُ والتفت الى مخاطبهِ فقال لن اذهب يا درسي فلا تحاول اقناعي

وكان الملك لويس السادس عشر اشبه بالسجين في قصر التويلري منهُ بالملك وقد انقضى ملكهُ او كاد فلم يعد الامر والنهي من امتيازاتهِ ومع ان عادات البلاط وتقاليدهُ لم تزل مرعية بين الحاشية لكنها باتت ثقيلة على كاهل الكثيرين ولم يبقَ للملك سوى نفرٍ من اتباعهِ اخلصوا لهُ الطاعة والخدمة . وكان الذين أُشربت قلوبهم حبَّ الثورة ينفرون لسماعهم لفظة الامر هذه . ثم استطرد الحداد الكلام فقال اذا ابصروني ذاهباً من فرسايل اتهموني بالمؤامرة وعلاقتي بالملك في ما مضى مشهورة لدى الخاصّ والعامّ وذكرها كافٍ لاثارة الظنون بي وتحريك الخواطر فقل لمولاك ان يكفَّ عن دعوتي اليهِ فلست بذاهبٍ الى قصرهِ . فالحّ عليهِ الفارس ان يجيب طلب الملك فذهب قولهُ ادراج الرياح وعاد بخفي حنين

ومن خبر هذا الحداد ان لويس السادس عشر علق صناعة الاقفال وهو وليّ عهد الملك ولم يطَّرحها بعد توليهِ العرش وقد كان جامين هذا معلّمهُ تلقى عنهُ اسرار الصناعة حتى حذقها وبرع فيها . وكان جامين يوالي الذهاب الى البلاط وقت اقامة الاسرة المالكة في فرسايل اطاعة لاوامر الملك لكن الفرنسويين ابوا على مليكهم البقاء في فرسايل بعد محاولتهِ الفرار الى

فارنّ Varennes واخفاقهِ في النجاة فنقلوا بيت الملك الى باريس وبثوا العيون والارصاد حول القصر وكان جامين في جملة من انقطع عن التردد الى البلاط اذ خشي ان يعلق بهِ شيء من التهمة بعد الذي ذاع عنهُ من انهُ معلم الملك. وكان هذا الرجل فظ الطباع غليظاً لا يميل الى الملك رغماً عن خدمتهِ الطويلة لهُ ولم يكن الملك مفطوراً على ما يقربهُ من رعيتهِ من الاخلاق فقد كان ضعيف العزيمة خرق الرأي عنيدًا في الصغائر جافياً فكان فؤادهُ يهلع لذكر الثورة وكانت معاملتهُ لزوجتهِ سيئة وهي ماري انتوانت المشهورة بجمالها وعنفوانها . ومع ان اللؤم لم يكن من طبعهِ لكنهُ لم يكن كريم الاخلاق ومعلوم ان الصناع والمحترفين يرون في من يفوقهم ثروة ومقاماً فريسة لاطاعيهم. ولما كان جامين لا يؤجر على خدمتهِ الملك باكثر مما يصيبهُ من تجار مدينتهِ وصناعها ابى ان يلحق بهِ ضررٌ او يصيبهُ اذًى في حين لا جزاء يطمع بهِ ولا دافع يدفعهُ الى المخاطرة بحياتهِ وفضلاً عن ذلك فقد كان جمهورياً لم يخشَ المجاهرة بآرائهِ ولم يشأ بيع استقلالهِ لمليكهِ فعوَّل على رفض الدعوة اذا تكرَّرت

فلما عاد درسي الى مولاهُ وبسط لديهِ ما وقع لهُ مع جامين وسرد لهُ جوابهُ حار الملك في امرهِ واخذ يضرب اخماساً لاسداس فتقدم الى تابعهِ ان يعود الى فرسايل لعلهُ يستطيع اقناع الرجل بالمجيء اليهِ بالكلام العذب او يطمعهُ بالمواعيد وكثرة الاجور فامتطى الفارس صهوة جوادهِ ورجع ادراجهُ فلقي ما لقيهُ في المرة الاولى ورفض الحداد مرافقتهُ الى التويلري. على ان تثنية الرسالة شغلت خاطرهُ فادرك ان في الامر سرًّا عميقًا وان الملك في حاجة شديدة الى معونتهِ لكنَّ الرسول لم يبح بشيء من مطالب الملك ولم يلمَّ بسبب الدعوة في عرض حديثهِ بل اكتفى بالتوسل على ان التوسل لم يجدهِ نفعاً كما تقدم . وفي الغد عاد درسي يحمل كتاباً الى الحداد بخطّ الملك وتوقيعهِ والكتاب مملوء بعبارات التودُّد والمجاملة وفيهِ ثناء على سعة معارف جامين وفضلهِ ومبلغ حاجة الملك اليهِ . وكان لهذه الرسالة من الوقع في نفس المدعوّ ما انتظرهُ لويس السادس عشر حين خطّ عباراتها ومع انهُ لم يلح قطّ الى الغاية التي استدعى الحداد لاجلها فقد رأى هذا في الكتاب تشريفاً لهُ ولاهل بيتهِ من بعدهِ رغماً عن شدة نزعتهِ الجمهورية وعدم احترامهِ الملكية اذ اكبر تنازل الملك الى هذا الحدّ . فبعد ان فض ختام الكتاب وقرأ نصهُ التفت الى الرسول فقال قد قبلت دعوة الملك وساسير واياك اليهِ ولم يقل امر الملك لان لويس اغفل في كتابهِ كلمة الامر هذه لعلمهِ بكراهة الفرنسويين لها في ذلك العهد . ثم دخل الحداد بيتهُ فابدل رداء العمل بثياب لائقة وطلب الى زوجتهِ ان لا تنتظر عودتهُ حتى المساء

وكان الحرس الوطني يطيف بابواب القصر الخارجية ومداخلهِ وهم يرقبون الداخلين اليهِ والخارجين منهُ لعلهم يعثرون على احد جواسيس الالمان والنمسويين وكانت المانيا والنمسا قد اشهرتا الحرب على فرنسا في ذلك الحين وعبرت جنودهما حدود المملكة وبمعيتها كثيرون من امراء فرنسا واشرافها الذين هربوا من بلادهم لما اشتعلت فيها نيران الثورة وكان القصد من هذه الغزوة انقاذ الملك من قبضة رعاياهُ والغاء الدستور الجديد الذي سنهُ الفونسويون لحكومتهم. وكان الملك قد اقسم يميناً مغلظة ان يحافظ على هذا الدستور ويرعاهُ لكنها كانت يمين الصبر فانهُ ما فتىء يلغي القرارات التي سنت لتقوية العنصر الوطني وعضدهِ فلما آنس منهُ زعماء الثورة ذلك زعموا ان بينهُ وبين الغزاة من الالمان والنمسويين اتفاقاً خفياً وتواطؤاً على قلب الحكومة وزادهم ثقة في معتقدهم كون الملكة ماري انتوانت نمسوية الاصل تزدهي بالخيلاء والعظمة حتى نفرت منها قلوب الرعية ومالت عن حبها

وقد كان ميل الملك الى صناعة الاقفال مشهوراً في البلاد فلم يكن هنالك باعث لادخال جامين خلسة الى القصر الملكي. وان ملكاً يتلهَّى بمثل هذه الاعمال النافعة في ساعات الفراغ ليستجلب اعتبار رعيتهِ اذا لم يكتسب ميلهم اليهِ ولاسيما الثورويين منهم الذين نادوا بالحرية والاخاء والمساواة. فادرك جامين ان وراء الاكمة سرًّا رغب في استقصائهِ لكنهُ كتم رغبتهُ وسار يتبع درسي حتى بلغا معمل الملك فغادرهُ درسي وحدهُ. ولما خلا جامين بنفسهِ اخذ يقلب الطرف في انحاء الغرفة لعلهُ يرى فيها ما يفتح عليهِ باب السر المغلق وللحال ابصر على خوان فيها ما استوقف نظرهُ رأى قرصاً مستديراً من الحديد مستوياً فيهِ قفل ولولب ذو تعاريج والى جانب القرص سفط حديد محكم الصنعة مقفل بقفل خفي لم يستطع على حذقهِ تعيين مكانهِ من السفط وبينما هو يتأمل هذين طلع عليهِ الملك باسماً فوضع يدهُ على كتفهِ وقال بكلام يسيل رقة مرَّ بنا دهرٌ لم نجتمع فيهِ ايها الصديق فما رأيك في مصنوعاتي ومبلغ نجاحي قال ذلك واشار الى السفط والقرص الى ان قال وقد صنعت الاثنين في عشرة ايام فيحق لك الآن ان تفاخر الصناع بتلميذك هذا. وما زال يخاطبهُ برقيق الكلام وعذبهِ على هذا الاسلوب حتى رأى امارات السرور بدت على وجههِ واذ ذاك اخذهُ بيدهِ وقال سِرْ بنا الى مكان العمل فقد حان الوقت واخشى فوات الفرصة فسارا يتقدمهما درسي يحمل مصباحاً حتى اتيا غرفة الملك التي ينام فيها. ولم يأخذ الملك العهود والمواثيق على الحداد لحفظ السر وكتمانهِ فدهش الحداد من ذلك لكنهُ لم ينبس ببنت شفة وكان في احدى زوايا الغرفة مخدع صغير على شكل دهليز ينتهي الى غرفة ولي العهد والدهليز مظلم بطنت جدرانهُ بالخشب المنقوش. فامر الملك درسي

ان يقتلع لوحاً من الخشب ففعل وانكشف وراءهُ خرق في الجدار فوهتهُ مستديرة قطرها نحو قدمين كقطر القرص الذي رآهُ جامين في معمل الملك وللحال شرع الملك يشرح مرادهُ للحداد فاخبره كيف انهُ ثقب الجدار بمعاونة درسي خادمهِ وكيف انهما كانا يشتغلان في جنح الظلام ويلقيان التراب وفتات الحجارة في نهر السين الى ان قال وقد تراءى لي ان اكنز في هذا المكان مبلغاً كبيراً من النقود بحيث لا يدري بذلك احد سوانا نحن الثلثة والذي اعجزني ودرسي معاً هو احكام وضع الباب الذي رأيتهُ في معملي على هذه الفوهة وربطهُ الى الجدار بحيث يصعب انتزاعهُ وهو ما دعوتك لاجلهِ . فاطرق جامين ساعة ثم نزع رداءهُ وتناول القفل فاصلح ما اراد اصلاحهُ فيهِ وغيَّر شكل المفتاح بحيث يصعب تقليدهُ ثم عمد الى وضع مفاصل الحديد

وكان على صعوبة العمل ومشقتهِ ملتزماً جانب الحذر في تطريقهِ الحديد لئلا ينم صوتهُ بما كانوا يفعلون ولم يكف الملك عن تحذيرهِ تارة بالتوبيخ والتقريع وطوراً باللين حتى ضاق ذرعاً لكنهُ ثابر على عملهِ رابط الجأش حذراً وكان العرق يتصبب من جبينهِ ورأسهِ الى قميصهِ وكاد يغشى عليهِ من الحذر والجوع فانهُ بقي يعمل ثماني ساعات متوالية . ولما تمَّ وضع الباب واحكامهُ على النمط الذي طلبهُ الملك وضعوا سفط الحديد وفيهِ مفتاح الباب تحت بلاطةٍ في الدهليز وكان السرور بادياً على وجه الملك لايقانهِ بفوزهِ وقضاء لبانتهِ اذ كان وحدهُ يعرف اسلوب فتح السفط المتضمن مفتاح باب الفوهة ولم يكن هناك من يعلم بوجود هذه الفوهة سوى الثلثة الذين تقدم ذكرهم ومبتدع الطريقة وسيأتي الكلام عليهِ

ولما تم العمل اسرع الثلاثة الى مرقد الملك حيث كاد الحداد يسقط على الارض معيياً فناولهُ الملك كرسياً جلس عليهِ ثم عمد درسي الى خزانة مسندة الى الجدار فاخرج منها اربعة اكياس مملوءة ذهباً ووضعها على المائدة فطلب الملك الى جامين ان يعاونهُ في عد الذهب وكان في الاكياس ما يساوي اربعة ملايين فرنك كلها دنانير فرنسوية مزدوجة ومع ان التعب كان قد اخذ مأخذهُ من جامين فانهُ صدع باشارة الملك وطفق الاثنان يعدان ما امامهما وهو ثمانون الف ذهب على ان العدَّ لم يشغل جامين عن مراقبة درسي خلسةً اذ لحظ انهُ يخرج من الخزانة اوراقاً . وقد قلنا ان الحداد جاء الى القصر وقد تحركت فيهِ عوامل الظنون والريب فلما رأى درسي يخرج الاوراق علم ان عدَّ الذهب حيلة يقصد بها صرف نظرهِ عن الغرض المقصود بالخرق وان ما اريد كنزهُ انما هو اوراق تتعلق عليها حياة الملك واهل بيتهِ او هلاكهم وزاد بهِ الشوق الى استطلاع امر تلك الاوراق وخشي ان يكون فيها دسيسة

بعد الذي شاع من تواطوء الملك مع الاجانب اعداء المملكة لكنهُ استمرَّ في عملهِ والسكون شامل الغرفة واذا بالملك يقول لقد انهكك التعب يا جامين وقد انقضى الليل ولم تأكل شيئاً فهلاَّ تقبل دعوتي للعشاء في القصر. فاعتذر الحداد عن عدم قبولهِ الدعوة لعلمهِ ان عشاءهُ هذا يكون مع الخدم وهو ما كان يستنكف منهُ بعد ان انضوى تحت راية الجمهورية ومال عن الملكية فعرض عليهِ الملك ان يرسلهُ الى فرسايل على احدى مركبات القصر فلم يقبل ذلك ايضاً لئلاَّ يثير الشبهات في قلوب مواطنيهِ اذا هم رأوا مركبة الملك تقلهُ ليلاً الى بيتهِ. وكان يحنُّ الى مغادرة القصر باسرع ما يستطيع والتملص من الدسيسة التي اشترك فيها على غير رضاهُ . ولما انتهوا من عد الدراهم اعادوا الذهب الى اكياسهِ على نية ان توضع في مخبإِها ووقف جامين يريد الانصراف وكان الملك قد سبق فاخبرهُ ان السر لا يتجاوز ثلاثتهم وفيما هم كذلك اذا بالباب عند اسفل سرير الملك قد فتح وطلعت عليهم الملكة ماري انتوانت وفي يدها طبق فذعر جامين لرؤيتها وخال دخولها عليهم من باب الاتفاق فالتفت الى الملك لعلهُ يرى بهِ تغيرًا فاذا بهِ ساكن الجأش فتقدمت الملكة الى الحداد وقالت باسمةً لقد تعبت يا صاح وانت جائع ايضاً وقد اتيتك بكاس شراب وقطعة حلواء فاشرب وكلْ . ففكر جامين في نفسهِ وقال هذه الملكة العاتية المتكبرة رأتني قبل اليوم في القصر مئات المرات فلم تكترث لي ولم تعبأ بي فما بالها نكبت عن خطتها . وحاول شكرها فتلعثم لسانهُ ثم عمد الى الكاس فشربها ووضع قطعة الحلواء في جيب ردائهِ ليأخذها الى اولادهِ فيطعمهم اياها ثم حيَّا الملك والملكة وانصرف والملك يكرر عبارات الشكر والثناء عليهِ وعادت السكينة الى التويلري

خرج جامين من القصر فالفى نفسهُ وحيدًا في وسط باريس يكتنفهُ الظلام ويقعدهُ التعب والجوع لكنهُ آثر الاسراع الى بيتهِ على تناول الطعام لئلاَّ تقلق زوجتهُ لطول غيابهِ وكانت مصابيح المدينة مطفأة والطريق مملوءة بالاخشاب والحجارة فسار في الشان البزه يتعثر بها ولما صار على مقربة من نهر السين حسَّ باحرّ من النار في جوفهِ وبالم مبرح وكأنَّ اعضاءهُ تخدرت فصاح من الالم وسقط على الارض ملتفاً على نفسهِ كالافعوان يستغيث ويبكي . ومن حسن طالعهِ انهُ مرَّت بهِ مركبة فسمع من فيها بكاءهُ واستغاثتهُ فاطلَّ الركب من المركبة وامر احدهم السائق بالوقوف ثم ترجل يتبعهُ السائق باحد المصباحين وكان هذا الرجل طبيباً انكليزياً رأى جامين مرة في مصنع الملك في فرسايل يوم جاء الى البلاط زائرًا متفرجاً فللحال تعارف الاثنان ولدى سؤال الحداد عما بهِ ووقوفهِ على الاعراض التفت اليهِ وقال لقد سموك يا صاح . فكأَن صاعقة انقضَّت على المسكين وتذكر كاس الخمر فرفعهُ الطبيب الى مركبتهِ وسار بهِ عجلاً

الى اقرب صيدلية حيث جرعهُ مقيئاً وظلَّ يعالجهُ حتى بدأت اعراض السمّ تزول ومن الغد نقلهُ على مركبتهِ الى فرسايل حيث كان اهل بيتهِ بانتظارهِ على احرّ من الجمر فدعوا طبيبين من فرسايل لمعالجتهِ فوافق هذان على رأي الطبيب الانكليزي فاخذا يسألانهِ عمن فعل بهِ ذلك الفعل المنكر اما هو فابى الجواب وكتم الامر عنهما وعن زوجتهِ وادرك انهُ شريك في معرفة سرّ مملكةٍ وان من كان هذا شأنهُ فهو عرضة للهلاك . وظلَّ الطبيبان يعتنيان بهِ ثلاثة ايام حتى نجا من مخالب الموت لكنَّ اثر السمّ لم يفارقهُ فبقي يتقلب على فراش الآلام والاوجاع زمناً طويلاً مصرًّا على كتم حديثهِ واصابهُ شلل جزئي لم يغادرهُ كل حياتهِ ومنعهُ عن القيام باعمالهِ . وانست الآلام جامين قطعة الحلواء . وان خادمة لهُ كانت تتعهد ثيابهُ لاصلاحها عثرت على الحلواء فقطعت منها شيئاً فانكرت طعمها والقت بها الى الدار فتلقفها كلب لم ولم تكد تستقر في جوفهِ حتى سقط ميتاً فاسرعت الجارية واخبرت من في البيت فشق احد الطبيبين احشاء الكلب واذا فيها كمية وافرة من السليماني فلو اكل المصاب الحلواء بعد شرب الكاس لقضي عليهِ لا محالة

وبينما جامين يتقلب على مثل القتاد وقد عبثت بهِ الاوجاع اخذ يفكر في ما صار اليهِ بعد ليلتهِ في التويلري ويفصل الحادثة لنفسهِ فثبت لهُ من مراجعة وقائعها ان الملك تعمَّد سمهُ اخفاء للسر ان يذاع وان الاوراق التي اخرجها درمي من الخزانة فيها ما يوقع حياة الملك وملكهُ في الخطر وعلم انهُ عاجز عن معاقبة الملك لجنايتهِ عليهِ بعد اخلاصهِ في خدمتهِ فاقل اشارة تبدو منهُ يدري بها فيخرج الاوراق من مكانها ويبدلها بالذهب الرنان فتنطلي الحيلة على القوم ويبيت جامين هدفاً لمطاعنهم وعرضة لسخريتهم فرأى في الصبر خير ملجإٍ لهُ وقال لعلَّ الايام توافيني بحل المشكل وتساعدني لاثأر نفسي فجاءَت الحوادث التالية موافقة لغرضهِ وطبق مرامهِ

اشتدَّ الخطب في باريس وتفاقم الخلاف بين الامة ومليكها فان الملك لثلثة اسابيع من الواقعة هذه الغى قرار المجلس الوطني القاضي بتجنيد عشرين الف متطوع للدفاع عن باريس في وجه العدو واعقب ذلك بعزل الوزارة وكانت قد اكتسبت ثقة القوم وارتياحهم الى اعمالها فساء الباريسيين فعلهُ وهجموا بعد اسبوع على التويلري ودخلوهُ يطلبون اعادة الوزارة فلم يفلحوا ولم يستطيعوا والمجلس اكراه الملك على موافقتهم وارضائهم لان الدستور الذي سنوهُ اطلق يد الملك في هذه الامور وامثالها فلم يتعدَّ بحسب الظاهر حقوقهُ التي يخولهُ اياها الدستور فازداد الهرج في البلاد وبات العارفون يتحدثون بقرب انقضاء الازمة . وفي ٢٥ يونيو ارسل قائد جيشي المانيا والنمسا بلاغهُ الاخير الى الباريسيين وفيهِ يحذرهم عاقبة البغي وسوء العقبى

ويتهددهم بعاقبته مدينتهم اذا سقطت شعرة من راس الملك وفي ١٠ اغسطس اجابهُ الباريسيون على بلاغهِ فانهم هجموا على التويلري ودخلوهُ عنوةً واخرجوا بيت الملك واستاقوهم اسرى الى التمبل (Temple) حيث سجنوهم. وفي ٢٠ سبتمبر فاز الفرنسيون على الغزاة وكان ذلك الفوز فاتحة المواقع والحروب التي انجلت عن رفع الراية الفرنسوية على عواصم اوروبا من بطرسبرج الى مدريد . ومن الغد نودي بالجمهورية في فرنسا وبدأ القوم يتحدثون بمحاكمة الملك فعلم جامين ان زمان الاخذ بالثار دنا وفي ٦ نوفمبر اقرَّ المجلس الوطني على صوابية محاكمة الملك فصادف هذا القرار رضى غلاة الثورويين لكن الباقين قاوموهُ وبعد اسبوعين نهض جامين من سريرهِ وسار الى باريس فطلب الاجتماع بوزير الداخلية رولان (زوج مدام رولان الشهيرة) فدخل الحاجب على الوزير وقال بالباب حداد من فرسايل يرغب في مكالمتك ولديهِ سرٌّ اتى ليطلعك عليهِ فاذن في ادخالهِ عليهِ فدخل وحدثهُ بعظائم الامور التي جرت ليل ٢٢ مايو فدهش الوزير وعزم على تحقيق الامر بنفسهِ فسار وجامين الى التويلري حتى بلغا غرفة الملك فالدهليز واتي بمن قلع لوح الخشب فظهر وراءهُ باب الحديد فعالجوهُ فانفتح وكان كما قال الحداد فانهم لم يروا اثرًا للذهب وانما وجدوا اوراقًا ورسائل تبين منها ان لويس السادس عشر والملكة ماري انتوانت دعيا الالمانيين والنمسويين لغزو فرنسا وان الغاء الملك قرار المجلس الوطني بتجنيد المتطوعين للدفاع عن باريس كان باتفاق مبرم مع الاجانب

وبعد شهر حوكم الملك وحُكم عليهِ بالقتل كمجرم فاعدم ولحقت بهِ زوجتهُ بعد سنة وهكذا ثأر جامين نفسهُ على ان فعل السم لم يبارحهُ فرفع امرهُ الى الحكومة الثوروية فعينت لهُ مرتبًا سنويًّا الف فرنك بقي يقبضها الى يوم وفاتهِ سنة ١٨٠٠

هذه هي الواقعة لم تزدها السنون وضوحًا وجلاء وفي اكتشاف الاوراق وسمّ الرجل شاهدان على صحتها على رغم تكذيب الكثيرين لها فقد عاش جامين ثماني سنوات بعد حوادث هذه القصة كان يتيسر فيها لمن شاء الاجتماع بهِ على ان الذي حمل المؤرخين والكتبة على انكار الخبر هو ما المَّ بالناس من الحزن لمقتل لويس السادس عشر وزوجتهِ ولأن فظائع رجال الثورة من مثل روبسبير وغيرهِ اخفت نقائص الملكين وعيوبهما واظهرت فضائلهما فعُدَّا شهيدين . هذا ومعلوم ان اكثر من كتب في ترجمتيهما انما كان من اتباعهما واخصائهما رجالاً ونساء فلا بدع اذا نسبوا اليهما جميع الفضائل حتى ان من يقرأ ما كتبتهُ هذه الفئة يخال في فرنسا لذلك العهد جوقًا من الملائكة حلَّ في التويلري مؤلفًا من الملك والملكة واخصائهما ومن تبقى من سكان المملكة ابالسة وسفاكو دماء . وقد المَّ كارليل المؤرخ

الانكليزي بطرف من القصة لكنهُ عقَّب عليها بالهزء والسخرية ولا مشاحة ان في وقائعها شيئًا من الغرابة وانما لا يستطاع الجزم بكذبها الاَّ اذا عُدَّ فرانسوى جامين من اعظم قصاصي الدهر ومن ابرع كتاب الروايات . اه .

(المقتطف) فصَّل المؤرخ اليسون الذي كتب تاريخهُ سنة ١٨٣٣ هذه الحادثة نقلاً عن منيه ولا كراتل وتيرس الذين كتبوا بُعَيْد الثورة فقال ان الملك رغبي بمحاربة النمسا والمانيا مكرهًا وعلم ان شعبهُ سيطالبهُ بذلك بعد انقضاء الحرب ولاسيما اذا عادت عليهم بالخسران فكتب آراءه ضد الحرب وجعل وزراءهُ كلهم يمضونها ووضعها في هذه الخزانة ووضع معها كل الاوراق الرسمية التي يحسب انها تبرئهُ من كل تهمة اذا سيق الى المحاكمة كما كان يتوقع فافشى هذا الحداد سرَّهُ وفتحت الخزانة فلم يوجد فيها شيءٌ يثبت عليهِ الخيانة لبلادهِ بل بالضد من ذلك وجدت فيها اوراق تدل على اتفاق وزرائهِ معهُ في كل اعمالهِ . وقد اذاع وزيره رولان سرَّ هذا الاوراق جاهبًا ان الملك يتبرأ باذاعتها فكانت سببًا لهلاكهِ (انظر المجلد الاول من تاريخ اليسون صفحة ١١٩ و١٤٧)

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بكنسفيلد

الفصل الثاني

قام بنو رشاد من مواطنهم وقطعوا بادية الشام ونزلوا لجوةً من الارض في جبال الشراة كانت فيها مدينة قديمة من مدن الادوميين اخنى عليها الدهر بكلكلهِ فلم يبقِ منها الاَّ آثارًا دوارس . وضرب شيخهم خيمتهُ في باحة مشهد قديم مقاعدهُ منقورة في الصخر وادار بابها الى الشرق ليشاهد منها مطلع الشمس . وكانت جوانب الجبل مملوءة بالهياكل والمنازل والمدافن وكلها منقور في الصخر ويخرج من شق منها نبع ماء زلال يجري في الجوة متعرجًا لا يُستدلُّ عليهِ الاَّ من اشجار الصفصاف والدفلى النابتة على مجراهُ . وعلى ضفتهِ خيام كثيرة ارتبط اصحابها السوابق امام ابوابها واناخوا الجمال . وكانت الشمس قد توارت في الحجاب والبست الجو ثوب الارجوان وظهر البدر من فوق الجبال كصفيحة اللجين

جلس هذا الشيخ على بساط امام خيمتهِ وسبحةٌ في يدهِ ولا دليل على شيخوختهِ الاَّ بياض لحيتهِ . وهو طويل القامة اسمر الوجه مجدول العضل واسع الجبين على رأسهِ كوفية قرمزية

مزركشة بخيوط الذهب . لا اعظم منهُ بين مشايخ العرب يركب لركوبهِ عشرة آلاف فارس .
واذا هو بفارس ينهب الارض نهباً خرج من المضيق فرآه كثيرون وسألوهُ عما وراءهُ فلم يجب حتى وصل الى خيمة الشيخ فسلَّم وترجل وقال للشيخ قضي الامر واسرنا اخا الملكة

فقال الشيخ لاثكلتك امك واين القوم الآن

قال هم جادُّون في اثري

قال الشيخ وهل هو في حفظ الشيخ سالم

قال يفداك سالم فان اخا الملكة بطل صنديد لا يصلى لهُ بنار ولم نقبض عليهِ الاَّ بعد ان قتل سالماً وكبا بهِ الجواد

فقال الشيخ لا اله الاَّ الله فقد فقدت عوني في الشدة وهل قُتل احد غيره

قال نعم ابرهيم بن حسن ومغربي توبة وتوبة بن امين وجرح كثيرون

فقال الشيخ أهذا فعل بني الجلاَّح اني وتربة اجدادي لاصلينهم ناراً لم يذوقوا مثل سعيرها

فقال الرسول الصدق أملك عليك ام لك فان شيخ الجلالحة لا ناقة لهُ فيها ولا جمل وقد نها الامير الانكليزي عن القتال فلم ينتهِ . ولا مثل هؤلاء الافرنج فانهم ابالسة في ثياب الناس

ومضت ساعة من الزمان والنيران توقد ونور القمر يزيد اشراقاً ثم اقبلت الفرسان تسير الهوينا حتى بلغت خيمة الشيخ مالك ومعها الشيخ حسن ورجالهُ وقد نُزعت اسلحتهم منهم ووراءهم باروني راكب بين بدويين ثم جثة الشيخ سالم والذين قتلوا معهُ محملة على الجمال ثم تنكرد راكب على جمل وقد ربط يدهُ وعلقها في عنقهِ وحولهُ كتيبة من الفرسان وكلهم ينظر اليهِ نظر الهيبة والوقار لما ابدى من البسالة في ميدان النزال ولما ينتظر من فكاكهِ من المال الكثير

وكان الجرح طفيفاً لكن الألم كان شديداً ومع ذلك لم يستطع تنكرد ان يخفي دهشتهُ من رؤية المكان الذي وصل اليهِ فقد قرأ كثيراً عن مدن منازلها منقورة في الصخر ولكنهُ لم يرَ ذلك قبل الآن ولا استطاع ان يتصوَّرهُ كما رآهُ . ولما صاروا امام خيمة الشيخ انزلوا تنكرد عن مطيتهِ واجلسهُ الشيخ الى جانبهِ وفرشوا بساطاً آخر لباروني وللشيخ حسن . والتفت الشيخ (واسمهُ مالك) الى باروني وقال لهُ بلغني انك تتكلم لغتنا فقل للامير اخي الملكة انهُ اخطأ قصدي فقد ارسلتُ اليهِ رجالي هذا الصباح لادعوهُ الى ضيافتي لا لاحاربهُ . فقال تنكرد لباروني قل لهُ ان لاغرض لي بالضيافة ولا ادري لماذا اخذني رجالهُ اسيراً

فقال الشيخ قل لهُ انهُ ليس اسيراً بل هو ضيف عليَّ . فقال تنكرد قل لهُ اذاً اني ارحل عنهُ الليلة

فقال الشيخ قل لهُ الضيافة ثلاثة ايام ولا استطيع ان ادعهُ يرحل قبلما تمضي . ثم اخرج الشبق من فيهِ وقدَّمهُ اليهِ وهذا منتهى الاكرام عندهم ثم قدّم شبق الى باروني واخر الى الشيخ حسن

والتفت باروني الى تنكرد وقال لهُ لقد صرت بمأمن من كل غدر يا مولاي بعد ماشربت هذا التبغ وستنتهي الامور على سلام ولم ترَ عشر ما رأيناهُ من المشاق لما كنت مع الصيدوني

ولما كان باروني يتكلم اتى شابٌ ومرَّ بين الجمع وجلس مع الشيخ مالك على بساطهِ وكان لابساً ثياباً من الحرير مثل الشيخ مالك وعلى رأسهِ كوفية قرمزية مزركشة بالقصب دلالة على علو منزلتهِ فنظر اليهِ تنكرد مدهوشاً من مهابتهِ وجمال طلعتهِ

وكان الشيخ مالك قد امر ان تولم وليمة كبيرة فذبحوا كثيراً من الخرفان واعدوا الطعام والشيخ يسأل تنكرد مسائل شتى عن دول اوربا وايها اقوى وامنع واغنى وهل تستطيع دولة اخرى ان تفتح عكاء كما فتحها الانكليز وكم جواد عند ملكة الانكليز وكم عبد عندها وهل الانكليز من النصارى او من المجوس . ثم دعا تنكرد والشيخ حسناً واثنين او ثلاثة غيرهم الى خيمتهِ ليأكلوا معهُ

فقال تنكرد لباروني قل للشيخ ان يعفيني لان التعب قد اضناني وجرحي يؤلمني ولا اطلب منهُ الاَّ خيمة انام فيها

فالتفت الشاب اليهِ وقال لهُ بالفرنسوية أأنت مجروح. فقال تنكرد نعم والجرح خفيف ولكنهُ مؤلم وقد يبست يدي منهُ ولا بدَّ لي من الراحة

فقال الشاب لقد اعدَّ لك الشيخ خباء من مضربهِ لتنام فيهِ ولكنك لا تستريح هنا لكثرة الضوضاء ولي خيمة هنا اصغر من خيمة الشيخ كثيراً ولكنها منفردة واظنها اصلح لك من خيمة الشيخ فهلمَّ اليها وكن في ضيافتي

فشكرهُ تنكرد على كرمهِ وقال لهُ كيف اكون في ضيافتك وانا اسير عند هذا الشيخ ولا امر لي على نفسي

فقال الشاب انا استرضي الشيخ وجعل يكلمهُ همساً . ثم نهضوا كلهم وتقدَّم الشاب الى تنكرد وقال لهُ انت الآن نزيل عليَّ وسترى مني ما يرضيك ثم سار بتنكرد نحو خيمتهِ واراد باروني ان يتبعهما فقال لهُ الشاب ان الشيخ ينتظرك للعشاء فاياك ان ترفض دعوتهُ وانا اعتني بسيدك بدلاً منك فهل تسمح لي بذلك ثم مدَّ يدهُ الى تنكرد وسندهُ وهو يقول لقد ساءني جداً امر هذا الجرح

واحبَّ تنكرد هذا الشاب لما رآهُ فيهِ من طلاقة المحيا ولين العريكة ولطف الحديث فسار معهُ الى خيمتهِ عن طيب نفس فرآها رحبة فيها اخبية كثيرة مختلفة الالوان وامام بابها كثير من الجياد والخدم والحشم وداخلها ارائك وبسط واسلحة واعداد كثيرة من جريدة فرنسوية تطبع في ازمير. فنظر اليها وهو يظن انهُ في حلم لانهُ لم يخطر على بالهِ ان يرى جريدة فرنسوية في تلك القفار. واوصلهُ الشاب الى اريكة اجلسهُ عليها وطلب اليهِ ان يستلقي ويستريح ثم كلم احد الخدم بالعربية فخرج وعاد بعد قليل بسراج من الفضة اسرجهُ ووضعهُ على الارض

فقال تنكرد معي خادمان انكليزيان لا يعرفان كلمة من العربية افلا تكمل جميلك وتأمر احدًا يعتني بهما . فقال الشاب سآتيك بهما والان لا بدَّ لك من ان تأكل شيئًا قبلما تنام وكان الخدم قد دخلوا بصحاف كثيرة من الطعام فاخذ واحدة منها فيها ثريد من الخبز والتمر واللبن وقدَّمها اليهِ وقال كُلْ من هذا فانهُ منعش مغذٍّ فاكل تنكرد منهُ واستطابهُ ولم يرد ان يأكل شيئًا آخر ثم استلقى على الاريكة وجعل يتكلم مع الشاب فقال لهُ اني لم ارَ بين الغرائب التي مرَّت بي ما هو اغرب من وجودك هنا ولا ما هو اعجب من كرم اخلاقك فان كرمك قد محا سيئات قومك فقال الشاب انا لست من هؤلاء القوم بل انا امير مسيحي من جبل لبنان امير ضلعهُ مع الانكليز وقد ضيم لاجلهم ضيمًا شديدًا

أانت امير مثلي اذًا

كلاَّ ولكنني اتيت الى هنا لاستعين بالشيخ مالك على ما يخفف الكرب عن رجالي في لبنان وكان يجب ان اكون اميرًا عليهم الآن كما كان اسلافي منذ اكثر من سبع مئة سنة لو لم أُحرَم ذلك بدسائس الاعداء . والشيخ مالك وقبيلتهُ ينزلون احيانًا في بادية الشام وقرب دمشق وقد يسهل عليهم تفريج الكرب عن المظلومين

فقال تنكرد اذًا انت امير سوري مسيحي. فقال الامير نعم ولو عرف الانكليز مصلحتهم لساعدتهم على امتلاك سورية

تنكرد — ولماذا يمتلك الانكليز سورية

الامير — لان فرنسا تمتلكها ان لم يمتلكها الانكليز

تنكرد — معاذ الله

الامير — ثم انهُ لا بدَّ من مداواة الحاضر بالحاضر فان اهالي لبنان لا يخضعون لوالي دمشق ولولم ينزع ابرهيم باشا السلاح منهم لجاهروا اليوم بالعصيان

تنكرد — ولكن انت امير سوري فيك تجتمع مزايا ليست في غيرك ولا في دولة اوربية ولا في كل الدول الاوربية جمعاء وقد كانت بلادك عظيمة لما كانت فرنسا وانكلترا احراجاً وآجاماً لا انيس فيها وقد قطع العلم الفرنسوي جبال الالب ونهر الرين وتغلّب العلَم الانكليزي على العلم الفرنسوي . ولو كنتُ انا اميراً سورياً لحررتُ بلادي ولم اطلب معونة احد

الامير — ذلك سهل عليّ لو استطعت ان استدين المال اللازم

تنكرد — تستدين — هذا سم اوربي سرى في جسم اسيا ايضاً . مالك وللدين حرية البلدان لا تنال بالدّين والربا

حينئذٍ اقبل خادما تنكرد فريمن وترومن وكانا يخاطبان العرب باللغة الانكليزية كانهما في بلادهما ولم يكن يخطر ببالهما ان العرب يفهمون كلمة من كلامهما ولكن كبرياءها حملتهما على ان لا يحولا عن لغتهما وعلى ان يحسبا كلّ من لا يفهمها جاهلاً . ولما دخلا الخيمة سألهما تنكرد عن حالهما فقال فريمن انا كنّا مع البرابرة

تنكرد — اخطأت يا فريمن فهم ليسوا برابرة

فريمن — لا اراهم يلبسون اكثر من البرابرة وليس عندهم سكاكين وشوكات للاكل

تنكرد — ألا تعلم انهُ لم يكن شيء من ذلك في بلاد الانكليز منذ مئتي سنة ولم نكن برابرة حينئذٍ . والجانب من قصر منتيكوت بني قبل ذلك الحين . ولكن اريد ان اعرف هل اطعموكما وهل دبّر لكما باروني مكاناً للنوم

فقالا نعم وشكراهُ على ذلك وقال ترومن انني لما نزلنا من الجبل ورأيت النيران مشتعلة ظننت ان قصدهم ان يشوونا ويأكلونا فتبت الى الله وحسبت انني اموت شهيداً . فقال تنكرد لا تخافا فانني لا احسب انهم يوقعون بنا ضرراً والآن ان كان لكما حاجة فاخبراني لعلي اساعدكما على قضائها . فنظرا كل منهما الى الآخر واخيراً قال فريمن انهم يسقوننا القهوة بغير سكر فاذا كنت تأمر لنا بقليل من السكر زاد فضلك علينا

الفصل الثالث

باروني — لم اخبر سيادتكم البارحة بما يشغل البال لانكم كنتم متعبين

تنكرد — اتظنني استرحتُ الآن وصرت قادراً على احتمال ما يشغل البال

باروني — كلاَّ ولكن المسألة هامة فقد تكلم الشيخ باللسان العبراني لكي لا افهم كلامهُ وفاتهُ انني افهم هذا اللسان

تنكرد — كيف يتكلم باللسان العبراني وهو خاص باليهود

باروني — يظهر ان هذه القبيلة من يهود العرب وهم يقيمون اسفار موسى واسمهم بنور شاد

فجعل تنكرد يفكر في نفسهِ كأنهُ سمع هذا الاسم قبلاً . ثم قال ايمكن ان تكون زيارتي لبيت عنيا اوقعتني في هذا الشرك

باروني — هذه المكيدة كيدت لنا في القدس . وقد عرفت من اول الامر انها ليست مسألة غزو ونهب بل مكيدة دُبرت لنا لان هؤلاء الناس يعرفون كل شيء وهم يعلمون ان بسو يدفع عنك كل ما تطلبهُ فسيرسلون و يطلبون منهُ فكاكك مبلغاً طائلاً من المال والاَّ ذهبوا بنا الى قلب القفار

تنكرد — وبماذا تشير علينا الآن يا باروني

باروني — اشير بالصبر في هذا الامر كما في كل الامور حتى يُفتح لنا باب الفرج فانهُ ما من شدة الاَّ و يعقبها رخاءٌ وهذا ناموس طبيعي لا مفرَّ منهُ . وقد حاولت اقناع الشيخ بانك لست من امراء المملكة وبان اباك على شفا الافلاس وان الحمى القلاعية فشت في قطعانهِ ثلاث سنوات متوالية وانهُ طردك من بيتهِ طرداً . وغرضي من ذلك كلهِ ان نقلل الفكاك على قدر الامكان . وهو الآن لا يصدّق شيئاً مما اقولهُ لهُ لانهم اقنعوهُ انك من اغنى الناس . ولكن ما قلتهُ لهُ يؤثر فيهِ حينما يطلب شيئاً فلا يجاب طلبهُ لان الانفعال ناموس طبيعي في المعاملات كما هو في الحوادث الطبيعية

تنكرد — يظهر لي يا باروني انك فيلسوف كبير

باروني — لقد سافرت خمس سنوات مع الصيدوني ووقعنا في ازمات اشد من هذه الازمة وكان يقابلها بالصبر وينبئني بنتائجها فقد شاركتهُ في الضراء واستفدت من حكمتهِ واختبارهِ ولذلك تراني اعرف غالباً ما يجب ان يقال وما يجب ان يُفعل

تنكرد — عندك الآن مجال واسع لاستعمال حكمتك واختبارك ولكنني لا ارى لنا منفذاً من هذه المشكلة الاَّ دفع الفكاك . ولو كنتُ وحدي ما كنت افتدي نفسي الاَّ بذراعي متكلاً على الله ولكنني لست وحدي فقد ورّطتُك معي وورّطتُ هذين الخادمين والشيخ حسناً ورجالهُ ولا يحق لي ان اطلب منكم البقاء معي في الاسر الى ان يمنَّ الله بالفرج

باروني — اني اخالف سيادتكم في آرائكم فانكم متطرفون فيها والتطرّف خطأ في كل شيء ولا يستطيع المرء ان يحكم حكماً باتاً على المستقبل لانهُ لا يدري ما يأتي بهِ الغدُ . فكن واثقاً ان الاحوال تتغير وما نراهُ الآن ظلاماً كثيفاً قد يظهر غداً ضباباً لطيفاً

تنكرد — ولكنني لا ارى في حالتنا الحاضرة ما يدل على تغير الاحوال . والاحوال تتغير في المدن الكبيرة حيث تختلف افعال الناس باختلاف احوالهم واطوارهم ولكننا نحن الآن في القفر ويستحيل على هذا الشيخ ان يغير رأيهُ كما يستحيل عليهِ ان يغير اسلوب معيشتهِ الذي جرى عليهِ آباؤُهُ واجدادهُ مدة مئات من السنين حتى صار ملكة راسخة فيهم فهو مفرد في هذا القفر لا تفعل بهِ تقلبات الاحوال الطارئة على المدن

باروني — ان دوام الحال من المحال ولا بدَّ من طروء شيءٍ يغير ما نحن فيهِ

تنكرد — ما قولك لو استشرنا صاحب هذه الخيمة فانهُ اظهر لي كل تودد وتلطف

باروني — أتعني الامير فخر الدين

تنكرد — أهذا اسمهُ

باروني — كذا بلغني البارحة وهو امير من الشهابيين وهم بيت كبير ولكنهُ آيل الى الخراب

تنكرد — ألا تظن اننا نستفيد لو استشرناهُ في امرنا

باروني — اذا كان لا بدَّ من الفكاك فسبيلنا الوحيد ان نقنع الشيخ ليرضى منا بالقليل وهو لا يرضى بالقليل الاَّ اذا محونا من ذهنهِ ما رسخ فيهِ وهو انك من اغنى خلق الله . ولا يستطيع احد ان يمحو من ذهنهِ هذا الوهم الاَّ الذي رسخهُ فيهِ . ومرادي ان اقنعهُ ليرسلني مع رسولهِ الى بسو فتطيل الوقت ومتى طال الوقت هوَّنها الله . هذا ما قالهُ لي الصيدوني لما ربطنا البرابرة واضرموا النار ليحرقونا فاننا طاولناهم فعصفت العواصف واطفأَت النار

تنكرد — لا بدَّ من ان تخبرني عن رحلتك معهُ بالتفصيل ولكن ليس الآن

باروني — ومرادي الآن ان اذهب الى القدس واحاول تقليل الفكاك الذي طلبوهُ واطاولهم في دفعهِ جهدي الى ان يفتح الله باباً للفرج

تنكرد — من اين تفتح ابواب الفرج في هذا القفر

باروني — لا اعلم ولكننا لم نعطَ علم الغيب

لما خرج فخر الدين من خيمة تنكرد كان يفكر في ما رآهُ منهُ من البسالة وعزة النفس والترفع عن الدنايا . فانهُ رأَى فيهِ الرجل الذي يريد ان يكونهُ . رأَى انهُ ينظر الى المسائل السياسية نظراً واسعاً مطلقاً غير مقيد بالصغائر . فقال هذا هو الصديق الذي كنت ابحث عنهُ والمشير الذي كنت اتطلبهُ . ووَدَّ ان يؤاخيهُ ويسير معهُ ويغلب العالم . وصارت صداقة تنكرد اهمَّ

لديهِ من تسليح الموازنة وودَّ لو لم يدخل في هذه الدسيسة ولكن الدسيسة هي التي اوصلتهُ اليهِ فقال هي تصاريف الزمن لا تخضع لمخلوق والمرء مسيَّر لا مخيَّر. ولما اصبح الصباح ارسل خدمهُ الى تنكرد يعرض عليهِ جواداً يركبهُ ويسير للنزهة ومشاهدة الاطلال القديمة على جاري عادة الانكليز فاعتذر تنكرد عن الركوب بجرحهِ. ثم طلب منهُ ان يسمح لهُ بزيارتهِ فتلقاهُ تنكرد بالترحاب وجلس يسمع حديثهُ ويعجب من طلاقة وجههِ وقوة بداهتهِ وشدَّة دهائهِ في اختراع الحيل وحل المشاكل وحسن اسلوبهِ في التعبير عمَّا في ضميرهِ حتى لقد يريك صورة انسان بكلمتين يصفهُ بهما. وبعد كلام طويل قال لتنكرد ان طالعي نحس لاني بذلت جهدي سنين كثيرة فلم انل غرضي

فقال لهُ تنكرد ارى انك مخطئ في الخطة التي انت سائر فيها لان الامور العظيمة لا تأتي بالسعي والتدبير. وكل هذه الحيل وهذه الدسائس التي اراك ماهرًا فيها تنفع في بلاط الملوك او في مجالس النوَّاب ولكن تحرير الامم لا يأتي بالحيل بل لا بدَّ لهُ من وسائط اخرى فعلية ولو كانت بسيطةً. وقد كانت هذه الدسائس شائعة في اوربا في القرن الماضي فكانت نتيجتها ان زالت ثقة الناس بالله وتقوَّضت اركان الفضيلة والشرف وعزَّة النفس ولم يفلح الاَّ الذين اخذوا الامور بالحزم ولو لم يكونوا على نباهة ومهارة مثل غيرهم. وقد تغيرت الاحوال الآن وصار علينا ان نخاطب الامم وجهاً لوجهٍ كما كان الابطال القدماء يخاطبونهم. فان اردت ان تحرر بلادك وجب عليك ان تجرّد حسامك وتقرن الحزم بالعزم لا ان ترسل رسائل الى لندن وباريس

فخر الدين — لكنك نسيت ان اهالي بلادي مختلفو الاديان فلو كانوا كلهم مسيحيين او مسلمين او يهوداً او مجوساً لهان الامر وجريت على خطتك وفتحت دمشق وحلب في يومين. اما والاديان مختلفة فقد بذلت جهدي في تقوية الرابطة الوطنية ومع ذلك لا ازال ارى اهالي بلادي يكره بعضهم بعضاً بحسب اختلاف طوائفهم فعدت الى الاعتماد على الجاه ورفعة المقام حاسباً ان من كان من بيت مثل بيت شهاب لا يتعذَّر عليهِ ان يستميل الشعب اليهِ وهذا لا يكون الاَّ بحسن التدابير التي تسميها دسائس. ولا يفلح عندنا غيرها ولا يتولى الجبل الاَّ امهرنا فيها

تنكرد — اذا كان غرضك لا يتعدَّى جبل لبنان فهو غير عزيز المنال ولعلك تنالهُ بتعب يسير ولكن ماذا يصير بمطالبك الاخرى التي اعربتَ لي عنها منذ ساعة من الزمان وهي ان تتغلّب على بلاد الشرق كلها وتحرر الامم الشرقية

فخر الدين — هذه اماني تستحق ان تُجعَل غرض الحياة ولكنها بعيدة المنال

تنكرد — لا يُغلَب العالم بالدسائس بل بالثقة وانت لاثقة لك بنفسك ولا بغيرك . اما انا فليس من رأيي ان يحاول احد غلبة العالم لكي يتسلط عليهِ او لكي يسلط عليهِ دولة من الدول كلاَّ لان الدولة تنقرض عاجلاً او آجلاً ولكني اباهي بمن يغلب العالم ليسلط عليهِ مذهباً من المذاهب او رأياً من الآراء او فكرًا من الافكار

فخر الدين — لا ادري كيف نستطيع ان نثق باحد فقد وثقنا بمحمد علي واعتمدنا عليهِ فلم يفلح لانهُ لم يحارب العرب ولو حاربهم لنصروهُ وخرجوا من بلادهم كالسيل الجارف ولم يبقوا ولم يذروا. فان قبائل العرب فتيَّة دائمًا لا تتولاَّها الشيخوخة. وانا من العرب الكرام وقد كان جدي يحمل بيرق النبي ولولا جاه اسلافي لخارت عزيمتي

تنكرد — وانا عربي مذهباً ولو لم اكن عربيًا دمًا واعتقد ان الخالق لا يكلّم المخلوق الاَّ في هذه البلاد ولو كنت عربيًا في الدم مثلك ما كنت اضيع عمري لاحكم بعض العشائر الجبلية

فرمى فخر الدين اللَّيَّ (النبريش) من يدهِ لانهُ كان يشرب النارجيلة وقال لتنكرد اللقمة امام الفم وعندي رأي يقلب وجه الارض ويرد السيادة الى المشرق فانت من امراء الانكليز وكلمتك مسموعة عند ملكتكم ولو لم تكن اخاها واراك حكيمًا حاذقًا لانني لم استفد من احد كما استفدت منك فامضِ اليها واقنعها ان ملكها في بلادها لا يدوم ورأيي عليكم ان تتركوا جزيرتكم الحقيرة وتأتوا بلاد الهند باموالكم وجواهركم وتنصب ملكتكم عرشها في دهلي فانها تجد هناك ملكًا واسعًا معدًّا لها وجيشًا من الابطال البواسل ومالاً لا يأخذهُ حصر . وانا ادبر الامر مع محمد علي فيأخذ بغداد والعراق ويحمل بفرسان العرب على بلاد فارس وعليَّ الشام وبر الاناضول . والعرب والفرس يكفونكم شرَّ الافغان ونعترف كلنا بسيادة ملكتكم وتكون سواحل الشام لها واذا شاءت اعطيناها الاسكندرية ايضاً فيكون لها اوسع مملكة ملكها انسان وتخلص من مجلس النواب ومجلس الاعيان . واصعب ما في ذلك كلهِ فتح الهند الذي اعجز الاسكندر وقد فتحوها

الفصل الرابع

لما اعرب تنكرد عن اسفهِ لانهُ ليس من العرب لم يكن يتكلم لانهُ مقتنع بذلك بل لان نفسهُ صغرت من الاسر والالم وهذه اول مرة خارت عزيمتهُ فيها وفارقهُ الجلد . ولما غابت الشمس وانبسط نور الشفق على خرائب البتراء تذكر قصر منتكيوت وابراجهُ فغلبهُ الحنين الى الوطن والشوق الى ابيهِ وامهِ واخذ يفكر في ما دعاهُ الى هذه السياحة وحسب انهُ مغرور سائر على غير هدًى فاغرورقت عيناهُ بالدموع وكاد يتولاهُ القنوط

هي ساعة ضعف تمرّ على المرء فتنزع منهُ الطمع والغرور والاعتداد بالنفس والاعتماد على الامثال والحكم وتغادرهُ مثل اضعف الناس واقلهم جلداً . رأى اباهُ ينظر اليهِ وسمع صوت امهِ يرنُّ في اذنيهِ فقال في نفسهِ مَن أتى بي الى هذا المكان وعلى مَ غادرت بلادي بلاد الراحة والنعيم واتيت الى هذا القفر حيث لا عمل لي ولا نفع يرجى مني . وهنا وقف وقفة الريب وقال في نفسهِ أغريبٌ انا في هذا المكان لا ينتظرني احد ولا يتأهل بي احد فعلى مَ اتيت اليهِ أ كان ذلك عن جهل وطيش كما يحدث لكثيرين من الامراء ام انا مدعوٌّ الى هذا المكان ولي بهِ علاقة شديدة منذ الصغر من حين كنت اتلو وصايا الله التي نطق بها عن جبل من هذه الجبال هذه الوصايا العربية الاصل التي صارت قانوناً لسياسة الامم . ولقد كان سير تلك القبيلة العربية المعروفة ببني اسرائيل في هذا القفر المخيف الرهيب مرتشدة بالارشاد الالهي اول تاريخ اطلع عليهِ في حداثتهِ وعرف منهُ علاقة الله بالانسان ونسبة المخلوق الى الخالق فلا ينكر عليهِ الحنين الى هذه البلاد والمجيء اليها لان فيها هبط الوحي الذي اتخذهُ هو واهل بلادهِ مرشداً وبهذه الشريعة التي نزلت على جبل سينا تحفظ الآن دماء الانكليز واعراضهم واموالهم وبها يستريح العمال يوماً من كل سبعة ايام ولولاها لبقوا في عبودية مثل عبودية مصر حتى اذا جاء يوم الراحة تقاطروا الى المعابد ليسمعوا اناشيد مرنم اسرائيل ويروّحوا النفس بذكر الاماكن المقدسة الواردة في ترانيمهِ

وهذا الشعب الانكليزي مديون لامة اليهود مديون لهذه القبيلة العربية لان منها اخذ شريعتهُ وفي كتابها وجد راحتهُ وسلوتهُ فعلى ما يضطهدها ويشدد عليها النكير

لما فكّر تنكرد بهذه الامور قال في نفسهِ مَن ينكر عليَّ المجيء الى هذه البلاد وانا لم آتها لانوح على اطلالها ولا لابحث عن آثارها بل لكي ارى الاماكن التي هبط فيها الوحي وأُعطيت منها الشريعة واطلب فيها الملائكة الذين زاروا الآباء واعلنوا مجيء القضاة وارشدوا اقلام الانبياء وحملوا بشائر الخلاص اين اولئك الملائكة الاطهار اين ميخائيل وجبرائيل والساروفيم والشاروبيم

وبينا هو يفكر في ذلك سمع وقع حوافر الخيل فالتفت ورأى الشيخ مالكاً والشيخ حسناً والامير فخر الدين مقبلين لزيارتهِ فلما وصلوا الى امام خيمتهِ ترجلوا وسلموا عليهِ وسألوهُ عن صحتهِ وجلسوا معهُ على بساط امام الخيمة وقُدّمت لهم الشبقات ودار الحديث على الخيل والبنادق ثم التفت الامير فخر الدين الى الشيخ مالك وقال لهُ نحن نعبد الله وانتم تعبدون يهوه فايهما الاله الحقيقي

الشيخ مالك — هما اسمان لذات واحدة كما ان شجرة النخل وشجرة البلح اسمان لمسمًّى واحد

فخر الدين — فلماذا تصلّون الى يهوه ولا تصلّون الى الله
الشيخ مالك — نصلي كما علّمنا آباؤنا في اسفار موسى
فخر الدين — وهل قرأتم فيها ان موسى تزوج ابنة يثرون
الشيخ مالك هذا شيءٌ نعرفهُ بالتواتر ولو لم نقرأهُ في الكتب كما نعرف ان عندنا غنماً وجمالاً
فخر الدين — ولكن موسى لم يهرب من مصر الى مدين منذ يومين حتى يبقى تاريخهُ محفوظاً في ذاكرتكم
الشيخ مالك — كلاَّ ولكن طول الزمان لا يفرق عندنا كما يفرق عند سكان المدن الذين يكذبون من الشروق الى الغروب فاننا نحن سكان القفار لا نتكلم الاَّ الصدق ولا ننسى خبراً نتناقلهُ ولم تتغير احوالنا الآن عمَّا كانت عليهِ في ايام موسى وهرون. وقد رعينا قطعاننا في هذه البلاد منذ القدم ورأينا فرعون ونبوخذنصر والاسكندر وملوك الروم الذين غلبوا الدنيا ولم يغلبونا واين هم الآن

اربَّ بهم ريب المنون كأنما على الدهر فيهم ان يفرّقهم نذرُ

واما نحن العرب فباقون في بلادنا ولا ريب عندي ان الله لم يكلم احداً غير العرب
لما سمع تنكرد هذا الكلام غطى وجههُ بيديهِ ثم التفت الى الشيخ مالك وقال لهُ لما اسرني قومك ايها الشيخ الكبير كان قصدي الذهاب الى جبل سينا والآن نحن على يومين منهُ فدعني اذهب اليهِ وارسل معي من شئتَ لحراستي واني اعدك وعد حرٍّ باني لا احاول الهرب بل اعود اليك كما ذهبتُ مهما كانت النتيجة من ذهاب باروني الى القدس
فقال الشيخ ايها الامير الكريم ما دمتَ في ضيافتي فانت الآمر وانا المأمور اذهب حيث شئت وارجع حينما تريد واولادي في خدمتك لا في حراستك. ثم نهض وودعهُ وعاد الى خيمتهِ
ولما مضى تقدم فخر الدين الى تنكرد وقال لهُ اذا شئت فانت حرٌّ ويمكنك الرجوع من حيث اتيت وعندي هنا ناقتان تسابقان الرياح وانا عارف بهذه القفار كما اعرف بيت ابي
تنكرد — معاذ الله ان اخلف وعدي . ولو مضيت وحدي من غير حارس لعدت الى هنا من نفسي
فخر الدين — ماذا عساك ان تجد في جبل سينا هلمَّ معي الى جبل لبنان فانك تجد هناك مجالاً واسعاً للعمل تساعدني على اصلاح شأن الشعب وبناء المعامل واصلاح الزراعة وتوسيع التجارة وجمع الاموال . تشتري اقة الحرير بستين غرشاً وتبيعها في مرسيليا بمئتي غرش

الفصل الخامس

لما مضت عشرة ايام على بني رشاد بعد ان اسروا تنكرد رأوا اربعة فرسان مقبلين عليهم قبل الضحى من المضيق الذي امام البتراء فركب بعض فرسانهم وخرجوا للقائهم والحال علا صهيل الخيل وفاضت باعناق المطي البطاح وانفرد واحد من الفرسان الاربع واطلق لجواده العنان الى ان بلغ خيمة الشيخ ولم يكن الاَّ قليل حتى اقبلت قافلة كبيرة فيها الهوادج والنساء وخرج الشيخ من خيمتهِ وهو يقول ان مهري اسرائيلي لا غشَّ فيهِ فلا يأمن على ذهبهِ لغير ولده وتقدمت الجمال ودارت الى الخاضة فقطعتها ثم ناخت في الساحة الكبيرة وتقدم باروني الى احد الهوادج ورفع السجف عنهُ فاذا فيهِ فتاة بارعة الجمال لابسة ثياب البدو فانزلها من هودجها وتقدم اليها الشيخ وحياها وهو يقول اهلاً وسهلاً ومرحباً اهلاً بابنتي وبالاعز من ابنتي. فسلمت عليهِ وقبلت يديهِ وسارت معهُ الى خيمتهِ وهو يرحب بها و يسألها عن ابيها. فلما جلست قالت لهُ لا تسأل عني ولا عن مهرك فانهُ لبس المسوح وذرَّ على رأسهِ الرماد

فقال لها ماذا جرى لهُ وماذا حلَّ بهِ او ثقل عليهِ الفكاك فيريد ان يحرمني منهُ لا وتربة امك لا انيلهُ مرامهُ

ثم اتوها بالقهوة وجاءوا بعدها بالطعام وجعل الشيخ يسألها بعد الطعام عما رأتهُ في الطريق وسألتهُ هي عن سبب نزولهِ في ذلك القفر فقال اننا نزلنا لاجل السبب الذي دعا باروني ليذهب الى القدس. فقالت ان باروني اتى القدس ليطلب منا ان نساعد سيدهُ المأسور عندكم. فقال نعم ولكي يتأتيني باربعة آلاف كيس فكاكهُ

حواء — اربعة آلاف كيس لماذا لا تطلب عرش سليمان دفعة واحدة

الشيخ — ولو طلبتهُ لاعطيتموني اياهُ ألم يقل في بيت ابيك ان هذا الامير يقدر ان يبني الهيكل لو اراد

حواء — من قال ذلك

الشيخ — ابوك وهو لا يقول الاَّ الصدق

فاضطربت في امرها لانها رأت انهُ يعرف كل شيء فلم تجادلهُ في هذا الموضوع بل قالت لهُ لماذا لم تسألني عن سبب حزن ابي

فقال لعلهُ خسر بعض اموالهِ ولكن ما دام الانسان في صحتهِ فالمال يذهب ويأتي. وهو في صحتهِ حتماً والاَّ ما تركتهِ واتيتِ الى هنا

حواء — قد يصير النور ظلاماً في عيني الانسان ويبق يأكل ويشرب وقد حلّ بابي من الهموم ما يشيب الاطفال

الشيخ — ومن سبّب له هذه الهموم

حواء — اقرب اقاربهِ واعز اصدقائهِ وهذا الذي ينغص عيشهُ

الشيخ — ذلك لانهُ لا يخرج من بيتهِ كان يجب ان يأتي هو الى هنا بدلاً منك وان يأتي ومعهُ الفكاك

حواء — لافرق عنده لانهُ هو الذي يدفعهُ سواء اتى بهِ هو او انا لانهُ هو المأسور عندكم لا هذا الافرنجي

الشيخ — فهمت فان اباك يريد ان يحرمني من هذين القرشين

حواء — لو كان ابي يريد ان يحرمك من شيءٍ ما كان سلمك نقل الحجاج من غير مقابل

فسحب الشيخ سحبة طويلة من شبقهِ ثم قال لها لاخلاف بين الاقارب ولا بدّ من الاتفاق فاخبريني كم تريد ملكة الانكليز ان تدفع عن اخيها

حواء — هذا ليس اخا الملكة

فضحك وقال ليس اخا الملكة ما دام في قبضة يدي ولكن خذيهِ الى المدينة يصير اخاها

حواء — مهما كان نسبهُ فابي الموكّل بهِ وقد وعد بان يهتم بامرهِ كما يهتم بنفسهِ واول شيءٍ يقال غداً في بلاد الافرنج ان ابي ارسلهُ الى حميهِ في البرية لكي يسلبهُ امواله

الشيخ — الحق ليس عليَّ بل على بنتي التي تزوجت رجلاً من سكان المدن

حواء — بل الحق على ذلك الرجل لانهُ اصلح بينك وبين والي مصر ولولا ذلك لحلّ بك الدمار وسلمك نقل الحجاج الى الحجاز فاعطاك عشرة الاف ناقة لتشرب لبنها

الشيخ — انت بنتي وابوكِ ابني فهاتِ اخبريني كم كيس احضرتِ معكِ

حواء — اذا كنت في حاجة الى شيءٍ فابي يساعدك كما ساعدك مراراً ولكن اذا كنت تطلب منهُ فكاكاً لاجل هذا الرجل الموكّل هو بهِ والذي كان يجب عليك ان تركبهُ على اجود جيادك وتردهُ الينا فانا لم آتِ بغرش واحد

الشيخ — هذا من العجائب

حواء — لا شيء من العجائب فانا هنا لا سيف معي ولا رمح فلماذا لا تقبض عليَّ وتأسرني وتطلب من ابي فكاكي . اطلب منهُ عشرة آلاف كيس فيدفعها لك واذا لم يكن عندهُ هذا المبلغ استقرضهُ من اخوانهِ في كل المسكونة وقال لهم ان شيخاً من مشايخ البدو اسر بنتي ولا

يطلق سبيلها ما لم ادفع لهُ عشرة آلاف كيس ولم يقل لهم ان لهُ الف فضل على هذا الشيخ ولولاهُ ما رضي عنهُ محمد علي ولا استطاع نقل الحج الذي كسب بهِ عشرة آلاف جمل ولا قال لهم ان هذا الرجل حميّ ابو زوجتي

الشيخ — ما هي نسبة هذا الافرنجي اليكم فانهُ جاء الى بلادنا كما يجيء غيرهُ من الافرنج ليفتش عن الكنوز في الخرائب ومعهُ كتاب توصية الى ابيك مثل كل مَن يأتي من الافرنج الى هنا لان عند ابيك اموالاً كثيرة فيستطيع ان ينفق عليهم واهلهم يدفعون الاموال لاقاربكم في بلاد الافرنج فهو يدينهم اليوم و يستوفي منهم غداً فلا تطمعوا عليّ اعطوني الفي كيس فكاكاً بدل الاربعة الآلاف ومئة جمل ديةً لارملة الشيخ سالم وخذوا اخا الملكة

حواء — اما الجمال فتعطى لهذه الارملة واما الفكاك فليس المراد فيهِ كثرة المبلغ وقلتهُ كما تعلم فان كنت في حاجة الى المال فابي يقرضك الفي كيس او يعطيك اياها ولكن انت ترى يا جدي انهُ لا يمكن ان نخلط بين هذا الرجل والمال الذي تحتاج اليهِ فان سلامة هذا الرجل يتوقف عليها اسم ابي وشرفهُ وكان يجب عليك ان تلبسهُ الفخر حلة عندك وتركبهُ على اجود جيادك كما قلت لك وتردهُ الى القدس سالماً اكراماً لاسمك وشرفك

فتنفس الصعداء ثم قال هل آتي بيني رشاد من مرابعهم الى هذا القفر لكي اردهم فارغين فقولي لي يا بنتي كم تدفعون فكاك هذا الرجل قولي لي اليوم لانهُ قد لا يعيش الى الغد

حواء — وماذا جرى لهُ

الشيخ — اظنهُ جن فانهُ طلب مني ان اسمح لهُ بالذهاب الى جبل موسى بعد ما ذهب خادمهُ باروني الى القدس فسمحت لهُ والظاهر ان جرحهُ التهب عليهِ او ضاقت نفسهُ من الاسر فرجع الينا مجنوناً مثل قيس وهو الآن في خيمتهِ ويحسب انهُ لا يزال على جبل سينا وقد مضى عليهِ خمسة ايام محموماً وقال لي شداد بن عمرو انهُ يموت في اليوم السادس ان لم نسقهِ مرارة السمندل وهذا الطائر لا يوجد في هذه القفار . وانتِ ماهرة في الحكمة فانظري في علاجهِ لانهُ ان مات ضاع عليّ الفكاك وعلى ابيك الحلوان الذي كنت عازماً ان اخصهُ بهِ

فاسودّ الضياء في عيني حواء لما سمعت هذا الكلام . ودخل حينئذٍ فخر الدين فوقف مبهوتاً لما وقع نظرهُ عليها وقال لهُ الشيخ كيف حال الامير الافرنجي الآن . فدنا من حواء وسلم عليها مسرعاً وجعل يتوسل اليها لتذهب معهُ وترى تنكرد . فقالت لهُ اخائف انت ايضاً تخاف لئلاً يموت فتخسر نصيبك من الفكاك . فنظر اليها نظر الآسف وقال كلاً يا اختي فان وجودي هنا كان بالاتفاق . فقالت اليك عن هذا الكلام لئلاً اشك في مها تك كما اشك

في صدقك. فقال اواهُ لو عرفتهِ لصدقتني اذا قلتُ لكِ اني افتديهِ بنفسي. ثم اسرَّ الينا قائلاً اني كنت عازماً على الهرب بهِ ولولا ذهابهُ الى جبل سينا لكنا الآن في القدس. فقالت هل ذهبتَ معهُ الى جبل سينا. قال كلاَّ لانهُ لم يرد ان اذهب معهُ ولكن واحداً من البدو الذين ذهبوا معهُ اخبرني انهُ صعد الى الجبل وحدهُ وبقي هناك يوماً وليلة ولما نزل تغير كثيراً وصار كلامهُ سريعاً وصارت عيناهُ تقدحان شرراً وقد اخذتهُ الحمى من ذلك الحين وصار يهذي. وانا معهُ دائماً اصلي لاجلهِ وامسح جبينهُ باللبان فتعالي معي اليهِ يا حواء تعالي يا عزيزتي فاني لا اثق باحد غيركِ ولو رأيتهِ اوسمعتِ صوتهُ ما كنتُ احتاج ان اتوسل اليكِ بل كنتِ تبادرين اليهِ من نفسكِ لكن وا اسفاهُ انكِ لم تنظريهِ ولا سمعتِ كلامهُ والاَّ ما كان احد منا في هذا المكان

البقية بعدُ

الصين والبُكسر

اذا شاخت المالك وجدَّ بها الهرم انتابها الضعف وحلّت بها المصايب والويلات فهي في ذلك اشبه بالانسان يصبح بعد بلوغهِ سنّ الهرم عرضة لانواع الامراض والعاهات لا يعرف كيف يدرأُ عنهُ هجماتها المتوالية ولا يستطيع التخلص من فعلها او كأنَّ تلك المالك الاشجار تبسط فروعها زماناً ثم ينخرها السوس وتيبس عروقها فلا تعود صالحة الاَّ لان تقطع. هذه مملكة الصين قديمة العهد بالعمران والتمدن ما قصر اهلها في الزمان الغابر في العلوم والاختراعات وكان لهم الحكومات المنتظمة على ما هو معروف في تلك الدهور على انها ما لبثت ان وخطها الشيب ووقرت ظهرها السنون فرزحت تحت حملها وبات ينخر عظامها الفساد الاداري ويلازمها الضعف والانحطاط حتى صارت الى ما تقلتهُ الينا الرسائل البرقية واخبار البرد من الانشقاق وخروج القوم من المشاغبين على الحكومة والتظاهر بالكره الشديد للاجانب ومبشريهم والمتنصرين من اهل البلاد والاثخان فيهم قتلاً وجرحاً اضف ذلك الى ما في البلاد من الضيق وانحطاط التجارة فيها وتكاثر الرشوة تعلم ان الصين بلغت سنَّ الشيخوخة وكاد عمرها الطويل ينقضي ولعلَّ ابناء القرن العشرين يرون انصرام اجلها واستبدالها بما هو اصلح منها للبقاء

وقد فاجأ نبأ البوكسر او الملاكمين العالم المتمدن حين لم يكن من يظن في الصين ما يماثل تلك العصابة وقد اتى الملاكمون اعمالاً جعلتهم وجهة انظار العالم المتمدن بما سفكوهُ من دماء الاوربيين وبما لقيهُ منهم جنود حكومة الامبراطورية. وقد تفاقم الخطب وازداد الجزع بعد

الذي اشتهر من كثرة اعضاء هذه الفئة حتى باتوا يقدّرون بالملايين. وعهد الاجانب بالبُكسر قريب ولذا كثر تحدّث الناس بامرهم اليوم وبات جميع من يطالع الرسائل البرقية والجرائد السياسية يتساءلون عنهم وعن غايتهم ومطالبهم وعددهم ومقامهم من حكومة الصين

وقد تبين بالبحث ان الصين مملوءة بالجمعيات السرية وان هذه الجمعيات على غاية الانتظام فيما يختص بكتم اعضائها لاسرارها وقد انشئت جمعية الملاكمين هذه منذ عهد قريب والغاية منها اصلاح بعض ما اختلّ من امور البلاد والاهتمام بالرياضة البدنية لتقوية الجسم. وتفسير اسمها بلسانهم السيف الكبير على ان كثرة المنضمين اليها والمنضوين تحت لوائها ابدلت هذه الغاية باخرى والتوى القصد على مؤسسيها فلم يسفر صبح سنة ١٩٠٠ حتى بلغ عدد الملاكمين نحو اثني عشر مليوناً منهم اللص وسفاك الدماء وقاطع الطريق والثائر على الحكومة وكثيرون من الفلاّحين الذين اعماهم الجهل وجاشت في صدورهم نيران التعصب ولهم جميعاً في كرههم الاجانب وعدائهم للدين المسيحي واتباعهِ جامعة تربطهم بعضهم الى بعض على ان جهلهم وتعصبهم لم يحولا دون تنظيمهم للقتال واستعدادهم للدفاع عن مبادئهم وبلوغ غايتهم من طرد الاجانب واقرار الاسرة المالكة. وقد شهد لهم البعض بحسن التدريب وجودة الاسلحة واعترف بقدرة قوادهم وضباطهم. ولما رأى الملاكمون الاجانب يزدادون ثروة ونفوذاً في بلادهم والمبشرين يجولون في اصقاعها عمدوا الى الايقاع بهم لرغبتهم في اعادة البلاد الى ما كانت عليهِ

اما الصينيون فلم يكونوا كالاوربيين يجهلون امر البُكسر (الملاكمين) والظاهر ان حكومة الصين كانت تمالئهم سرًّا وتحركهم بما اشتهر عنها حديثاً من بغضها للاجانب ولم يكن الاّ القليل حتى نقلت الرسائل خبر مقتل المبشر الانكليزي بروكس وهو يوغل في داخلية البلاد فأُلقي القبض على القاتل لكنهُ لم يلبث ان فرّ ويعدّهُ الملاكمون اليوم بين خيرة قوادهم ويفاخر بهِ اهل ولايتهِ الاقوام وهو سفاك دماء لم يكن قتل المبشر هذا اول عهدهِ بذبح البشر ثم الحق بهِ غيرهُ من المسيحيين الوطنيين والاجانب والحكومة تنظر الى اعمال البكسر بعين الرضى ليجهزوا على من بقي. وقد قال مكاتب التيمس في بكين ان الامر الامبراطوري الذي صدر في السادس من يونيو يبرئ البكسر ولا يلقي عليهم تبعة ما يفعلون بل يلقي التبعة كلها على الذين تنصروا من الصينيين ويصف البكسر بانهم شركة اخوية ولا يقول انهم عصاة. ولا يشير اقل اشارة الى قتل المرسلين وينسب تخريب سكة الحديد واملاك المرسلين الى قوم لا خلاق لهم انضموا الى البكسر وهم ليسوا منهم لكي يستفيدوا من هذا الاضطراب وهو يطلب من رجال الحكومة ان يعاقبوا هؤلاء الناس

لكنَّ دول اوروبا قامت تطالب الصين بحماية الاجانب والمتنصرين وهددتها كما يتهدَّد القوي الضعيف اذا هي لم تصدع بالامر فلما شاءت الصين قمع ثورة البكسر عجزت عنهم فدحروا جنودها في مواقع القتال وهي على ما هي عليهِ من الجبن وسوء التنظيم والظاهر ان سفك الدماء جرَّأ الثائرين وملأ قلوبهم بجبر الظفر واقتحام المخاطر فلم تستطع الجنود ان تثبت امامهم والذي يؤخذ من الرسائل البرقية وتقارير معتمدي الدول ان الحالة في الصين تنذر بالخطر وان الدول اذا لم تنظر في الامر نظر المهتم المسرع كان لها عن قريب في الصين ما يشغل بال ساستها ويفتح عليها ابواباً مغلقة لم تكن في الحسبان . والذي يخشاهُ العارفون ان الجنود الصينية ليست بمأمونة ان تثبت على ولاء حكومتها لا سيما مَن كان منها في عاصمة البلاد ولعلها تخرج على الحكومة وتنضمُّ الى الثائرين. ذلك ما حدا بالسفراء الى طلب المعونة فارسلت الجنود الاوربية تباعاً الى بكين ولا تزال الفصائل تسير اليها لحماية السفارات ورعايا الدول الاجنبية ويرى المهاجرون من الاوربيين ان لا بدَّ من خضد شوكة الثائرين وقمعهم قبل ان يستفحل امرهم ويصبوا نقمتهم على اعدائهم الذين تنقصهم وسائل الدفاع

وقد بعث ضابط الى قومهِ في بلاد الانكليز رسالة يصف بها ما لاقاهُ احد اصحابهِ من عصابة صينية مما يدلُّ على مكر هولاء القوم وقساوتهم البربرية فرأينا ان ندمجها في ما تقدم

قال كنت اتجر بالاخشاب على نهر ايراودي فخرجت ذات يوم الى الصيد والقنص يصحبني دليل من ابناء البلاد وبعض رجالي لكن لم ارَ صيداً كما كنت اتمنى وبعد يومين جاءني الدليل فقال في جوارنا قطيع من الايائل فانشأ فيَّ هذا الخبر ما يعرفهُ المولعون بالصيد فاعددت حوائجي للسير في الغد فبينما انا اعلل النفس بما ساصادفهُ من النجاح وقد اخذتني الخفَّة والطرب طلع عليَّ معاون بوليس الناحية ومعهُ اثنا عشر جندياً فدخل مضربي وجلس يحدثني بحديثهِ وينبئني بسبب مجيئهِ اليَّ قال

نحن نازلون في اقليم سطا عليهِ لصٌّ من اكبر لصوص هذه البلاد البس سكان الاقليم لباس الخوف والجزع وقد رأى الاهالي من اعمالهِ وشهدوا من توفيقهِ ما حملهم على الايقان بانهُ محروس بالعناية الصمدانية وانَّ الموت لا يجرأ على الدنوّ منهُ . ومن غريب ما يروى عنهُ ان رجال الشحنة طاردوهُ وجماعتهُ غير مرة فقتلوا من قتلوا منهم واسروا من اسروا وغنموا اسلابهم لكنهم لم يستطيعوا اسر الزعيم حتى اذا ما سكن جاشهم وبدأ الناس يتناسون حديثهُ هبَّ من حيث لا يدرون فصبَّ نقمتهُ على البلاد والعباد . قلنا وما اسم هذا الزعيم قال اسمهُ طن جوين وقد اتخذ مقامهُ في قرية تبعد عن مكاننا هذا وحاول الكثيرون اسرهُ فساروا اليهِ جماعات

كان نصيبها الاخفاق والخيبة فضاق أُولو الامر بهِ ذرعاً حتى انهم اعدُّوا جائزة سنية لمن يأتي بهِ اسيرًا او يحمل اليهم رأسهُ ووعدوا بمكافأة من يدلهم على مخبإِهِ او يرشد رجال الشحنة اليهِ. وظلَّ المعاون يحدثني بحديث اللص حتى هدأ الليل فقمنا نلتمس الراحة وفي الغد ازمعنا على السفر كلٌّ في وجهتهِ واذا رجل جاء يسعى الى محلنا والتمس ان يرى المعاون فاذن لهُ فانبأهُ ان في طاقتهِ ارشادهُ والجنود الى ملجإِ اللص واشترط عليهِ ان يضمن لهُ الجائزة والبراءة عن سوابقهِ اذ كان من عصابة الزعيم وقد شاركهُ في كثير من فظائعهِ . فتقدم اليَّ المعاون أن انصرهُ على اللص لعلنا ندركهُ ونريح البلاد من شرهِ فوعدتهُ خيرًا لما آنستهُ في نفسي من الميل لاستطلاع امر الرجل

ورأى المعاون ان يتنكر وثلاثة من رجالهِ فيجدُّوا في طلب اللص وان يبقى سائرنا في المحلة لانهُ خال ملابس الجنود تنم بغرضهم فتطير الاخبار الى اللص فيفرّ الى حيث لا يستطاع لحاقهُ . واسرع المعاون ورجالهُ بتبديل ثيابهم وساروا حثيثًا لعلهم يأخذون غريمهم على غرَّة منهُ وكان المخبر قد سبق فقال ان الزعيم مقيم مع اثنين من عصابتهِ فقط فليس ما يستدعي الاكثار من المهاجمين. واذ مضى يومٌ ولم يفد المعاون تنازعني القلق والخوف فسرت بمن بقي من رجال الشحنة اقتفي آثارهُ ولم نزل نجدّ في السير حتى اتينا واديًا واذا ثلاثة اشلاء ملقاة على الارض فتأملناها فاذا هي جثث الرجال الذين رافقوا المعاون فاقشعرَّت ابداننا وعلمنا ان غريمنا داهية صعب المراس على اننا لم نلقَ المعاون ولم نعثر على جثتهِ فانتشرنا هناك نبحث عنهُ ولم يكن الاَّ كطرفة عين حتى استوقفنا صراخ احد رجال الشحنة فهرعنا اليهِ نسائلهُ الخبر فأومأ بيدهِ الى حيث رأينا ناقل خبر الزعيم الى المعاون مصلوبًا على جذع شجرة وقد سمرت يداهُ ورجلاهُ باوتاد غلاظ واسودّ بدنهُ فارتعدت فرائصنا من هول هذا المنظر وللحال دفنَّا القتلى وسرنا في طلب القتلة وكاد الظلام يخيم فارتأيت ان نبيت تلك الليلة حيث كنا اذ أعيتُ السير في الادغال والآجام في الظلام الدامس على جهلنا الطريق. وبينما نحن مشتغلون باعداد الطعام جاءني احد الرجال يسعى وقد اعدمهُ الخوف قوة النطق ولما سكن روعهُ شيئًا قال لي بلهفة سِرْ بنا من هذا المكان فانهُ مسكن الارواح والابالسة قلت واين الارواح قال سمعت اصواتًا تنبعث من الهيكل المجاور وعندي ان الشيطان نازل هناك فاذا بتنا مكاننا لم نأمن على حياتنا ان يسترقها الخبيث . فامرتهُ ان يسير بي الى الهيكل ولما اجتزنا الباب ابصرت في احدى الزوايا شبحًا اشبه الاشياء بصنم بوذه وكان يتشنج ويهدر هدير الجمل فدنوت منهُ وتأملتهُ فاذا هو معاون البوليس وقد جرَّدوهُ من ثيابهِ ودهنوا بدنهُ بضرب من الحبر وسدُّوا فاهُ وشدُّوا وثاقهُ واجلسوهُ مربوطًا كما يُرى في اصنام

بوذه عادة وكان على رأسهِ قبعة مخروطة الشكل وقد تبدي في هيئة تضحك الثكلى فاسرعنا الى حلّ وثاقهِ واتيت بمن نقلهُ الى المحلة حتى اذا ما استراح من عنائهِ اخبرنا كيف ان اللص وعصابتهُ اوقعوا برفاقهِ واقعدوهُ موثقاً مسدود الفم كما وجدناهُ وكان مدة اسرهِ في الهيكل يحاول ان يسترعي سمع المارّة بانينهِ المتواصل

فهاج بنا حديثهُ محبة الاخذ بالثار ولما كان لا يزال متعباً ضعيفاً غادرناهُ وبعض الرجال في احدى القرى المجاورة وسرنا في طلب اللصوص فلقينا في سيرنا صنوف العذاب وانواع المشقات وكان احدنا اذا زلت قدمهُ غاص في الوحل الى عنقهِ واصابنا جهد شديد ومشقة في استخراجهِ وانقاذهِ هذا فضلاً عن الابخرة السامة التي كانت تتصاعد من الآجام . وبالشد ما لقينا من الحشرات والهوام والدبابات وبينها العلق على اختلاف اصنافهِ وتفاوت حجمهِ من الصغير الذي يبيعهُ الصيادلة الى علق الفيل الذي يزيد طولهُ على شبر وكانت هذه الدبابات تعلق بنا وتمتص من دمائنا فكنا نقف عن السير لنتملّص منها . ونحو المساء بلغنا مرتفعاً من الارض فجلسنا نستريح من عناء السفر ونتعلل بالاكل والشرب ولم يكن الاّ كحسو الطير حتى علت ضجة فهرولت مسرعاً الى حيث ابصرت ما لا انساهُ مدى العمر وذلك اني رأيت الطاهي منطرحاً على الارض وقد لصق بعنقهِ اربع علقات امتصت دمهُ وهو نائمٌ فاسرع مَن رفع العلقات عنهُ لكنها كانت قد قضت عليهِ وكان طول واحدتها اكثر من شبرين وهي اشبه شيء بالقربة المملوءة ماء فدفناهُ وثأرهُ الرجال بقتل قاتلاتهِ

وخطر لي ان السير في الاجمة متعذر او مستحيل فعدنا ادراجنا حتى بلغنا اليابسة وقد توارت الشمس بالحجاب فتابعنا المسير حتى بلغنا القرية حيث غادرنا المعاون فاذا هو احسن حالاً من قبل على انّ نجاتهُ من الموت لم تكن الاّ لتزيد فيهِ حب الانتقام من خصمهِ وفي الغد دخل علينا الخادم وقال بالباب امرأة تطلب مقابلتكم فامرناهُ بادخالها ففعل وخلاصة حديثها ان اللص سباها وحملها الى مخبائهِ حيث ظلّت نحو اربعة اشهر واذ ضجر منها اطرحها وابعدها عنهُ فارادت الانتقام منهُ ووعدتنا ان تسير بنا الى حيث نجدهُ واكدت لنا انها على خبرة وهداية من الطريق فسمعنا لقولها وعزمنا على الاستعانة بها فسارت بنا في سبل متعرجة اشتبكت فيها اغصان الاشجار حتى اتينا بحيرة كبيرة فيها جزيرة وفي الجزيرة بيوت وكان هناك ثلاثة زوارق واطواف كثيرة وكانت الشمس في الهاجرة والحرّ شديداً جداً فرأينا ان نأخذ اعداءنا على غرة وهم في القيلولة فعبرنا البحيرة الى الجزيرة حيث ربطنا الزوارق ووكلنا حراستها الى بعض الرجال وسرنا نطلب القرية وفيها ثمانية بيوت وكانت السكينة مخيمة عليها فدخلنا اربعة بيوت

واسرنا من فيها قبل ان يشعر بنا احد لكن الاسرى نبّهوا من بقي من العصابة بصياحهم وعويلهم واذا ستة رجال طلعوا من البيوت الاخرى وطفقوا يجرون نحو الشاطىء فصبَّ عليهم رجالنا رصاص البنادق فقتلوا منهم اثنين وجرحوا آخرين. فلما رأى من بقي ان لا مناص لهم القوا بنفوسهم في البحيرة يريدون التخلص سابحين لكنهم لم يكادوا يغطسون في الماء حتى حام حولهم العلق ولصق بهم يمصّ دماءهم فاسرع بعضنا الى زورقٍ فركبوهُ ودفعوهُ نحو السابحين وكان زعيم اللصوص ممسكاً بخيزرانةٍ كبيرة يسبح عليها وقد لصق بهِ علقٌ كثير فرفعوهُ ورفقاءهُ الى الزورق وعادوا بهم الى الشاطىء حيث عمدنا الى اغاثتهم ومداواتهم على ان الزعيم وواحداً من رجالهِ ماتا لكثرة ما سال من دمائهما . ثم شددنا وثاق الاسرى وحملنا ما كان في بيوتهم من الغنائم وعدنا الى محلتنا حيث افترقنا فسار المعاون بمن معهُ الى مركز عملهِ وعدت اطلب الايائل . انتهى

وعصابات اللصوص كثيرة في تلك البلاد ومثلها الجمعيات السرية وكلها دليل على الفساد وقرب الدمار كما تكثر الآفات في الجسم الحي اذا تولاهُ السقم وقارب الانحلال

افعال الاطفال

للشهير تشارلس داروين

[المقتطف . لا ابهج للعين ولا اسرّ للخاطر من ان ترى زوجاً وزوجة وضعا طفلهما امامهما ينظران اليهِ ويرقبان حركات يديهِ ورجليهِ ويناغيانهِ فيجيبهما بالبأبأة والابتسام . وقد لا يخطر لهما ان كبار العلماء يراقبون حركات الاطفال الآن ويستنتجون منها حقائق علمية جليلة الشان . واول من بحث في ذلك الشهير تشارلس داروين صاحب المذهب الداروني المنسوب اليهِ وقد كتب مقالةً في هذا الموضوع نشرت اولاً في مجلة العقل منذ ثلاث وعشرين سنة ولكن لم تعطَ حقها من الشهرة لقلة من يقرأ تلك المجلة العلمية فنشرت الآن ثانية في مجلة العلم العام الاميركية . وقد رأينا ان ننقلها الى العربية لاننا نعلم ان كل الوالدين والوالدات يودون ان يراقبوا افعال اطفالهم ويعرفوا اسبابها ويفهموا مغازيها . قال داروين]

ان ما نُشر في مجلة العقل حديثاً مترجماً اليها من ابحاث المسيو تاين دعاني الى مراجعة اوراق كتبتها منذ سبع وثلاثين سنة عن واحد من اولادي . وكنت ارقبهُ جيداً واكتب حالاً كل ما اراهُ منهُ وكان غرضي من ذلك ان اعرف دلالة ملامح الوجه فادمجت بعضهُ في

كتابي الذي الفتهُ في هذا الموضوع وفيهِ امور لردت نشرها الآن لتقابل بما نشره المسيو تاين وغيرهُ من الذين يبحثون في هذا الموضوع . و يظهر لي ان الزمن الذي تظهر فيهِ القوى المختلفة يختلف باختلاف الاطفال

فعل ابني في الايام السبعة الاولى بعد ولادتهِ افعالاً كثيرة مما يسمّى بالافعال المنعكسة (اي التي يفعلها الحيوان لا عن فكر وروية بل طوعاً للمؤثرات الخارجية) كالعطاس والفواق والتثاؤب والتمطّي والرضاع والبكاء . وفي اليوم السابع لمست اخمص قدمهِ بقطعة من الورق فدفعها من امامي مسرعاً واطبق اصابعها كما يفعل الولد اذا دُغدغت قدمهُ . و يستدلُّ من هذه الحركات القسرية على ان عجز الطفل عن الحركات الارادية ليس ناتجاً عن ضعف عضلاتهِ بل عن ضعف مركز الارادة . ورأيت حينئذٍ انهُ اذا لمس وجههُ بالكف وكانت الكف دافئة ناعمة تحرَّك فيهِ الميل الى الرضاع وهذا فعل منعكس او فعل غريزي لانهُ لا يعقل ان الاختبار علَّم الطفل في ذلك السن ان لمس اليد يشبه لمس ثدي امهِ لهُ . وكان في الاسبوعين الاولين يضطرب و يرمش عينيهِ اذا سمع صوتاً فجائياً وشاهدت مثل ذلك في طفل آخر من اولادي في الاسبوعين الاولين من عمرهِ . ولما صار عمرهُ ٦٦ يوماً اتفق اني عطستُ مرةً فجفل شديداً وبكى كثيراً وبقي في حالة الاضطراب العصبي ساعة من الزمان وهو يجفل لاقل صوت بل بقي يجفل و يرمش عينيهِ كلما سمع صوتاً . ولما صار عمرهُ ١١٤ يوماً هززت صندوقاً صغيراً من الورق فيهِ مسكّرات امام وجههِ فجفل ولكنهُ لم يجفل حينما هززت ذلك الصندوق امام وجههِ فارغاً . ويستنتج من ذلك ان رمش العين الذي يقصد بهِ وقايتها من الاذى لم يكتسب بالاختبار. وبقي حتى صار عمرهُ ١٢٤ يوماً ولا يعرف ان يميز مركز الصوت ليحول بصرهُ اليهِ

اما من جهة البصر فرأيت ان عينيهِ حدقتا الى مصباح وعمرهُ تسعة ايام ولم تحدقا الى شيءٍ آخر حتى صار عمرهُ ٤٥ يوماً. ولما صار عمرهُ ٤٩ يوماً ادنيت منهُ عذبة (شرابة) حمراء فحدَّق اليها وبطلت حركات يديهِ . وصار عمرهُ سبعة اشهر ونصف شهر ولم يصر قادراً على اتباع الاشياء المتحركة امامهُ بعينيهِ اذا كانت حركتها سريعة . ولما صار عمرهُ ٣٢ يوماً ادرك وجود ثدي امهِ امامهُ وكان على نحو عشرة سنتيمترات منهُ كما ظهر من اشارة شفتيهِ وثبوت مقلتيهِ ولكنني اشك في انهُ ادرك ذلك بالنظر ولا اعلم هل ادركهُ بالشم او بالحرارة او بالوضع الذي وضع فيهِ حينئذٍ امام الثدي

وبقيت حركات اعضائهِ وجسمهِ مدة طويلة اعتباطية لا يقصدبها غرض معلوم تبدو بسرعة كانهُ ينتفض انتفاضاً الاَّ حركة واحدة وهي حركة يدهِ الى فيهِ فانها كانت مقصودة وكان

يستطيعها قبلما صار عمره ٤٠ يوماً . ولما صار عمره ٧٧ يوماً جعل يمسك الرضاعة بيمينهِ (لان بعض غذائهِ كان بها) سواءٌ وضع على يمين مرضعهِ او على يسارها ولم يصر يمسكها بيسارهِ الأَّ بعد اسبوع مع انني حاولت ان اجعلهُ يمسكها بيسارهِ قبل ذلك . ولما كبر اذا هو اعسر بالوراثة لان جدهُ لامهِ وامهُ وخالهُ كانوا عسراً . ولما صار عمرهُ بين الثمانين والتسعين يوماً جعل يضع كل ما يمسكهُ في فيهِ وبعد اسبوعين او ثلاثة مهر في ذلك لكنهُ كان يلمس انفهُ بالشيء الممسوك اولاً ثم ينزلهُ الى فيهِ . ومسك اصبعي وادناه من فيهِ ليرضعهُ لكن يدهُ منعتهُ من رضاعتهِ ولما صار عمرهُ ١١٤ يوماً مسك اصبعي ووضعهُ في فيهِ ولما كانت يدهُ تمنعهُ من ذلك تركهُ من يدهِ حتى استطاع رضاعهُ . وكرَّر هذا العمل مراراً بعد ذلك وكان يحكمهُ دائماً دلالةً على انهُ لم يفعلهُ اتفاقاً ولذلك فحركات اليدين الارادية سبقت حركات الرجلين والجسم كلهِ الارادية . لكن حركات الرجلين كانت من اول الامر متعاقبة كأنها حركات المشي . ولما صار عمرهُ اربعة اشهر جعل ينظر الى يديهِ وغيرها من الاجسام القريبة منهُ ويحول عينيهِ لكي يستجلي الرؤية . وبعد اسبوعين رأيت انهُ اذا ادني جسم من وجههِ وجعل بقرب يديهِ حاول مسكهُ ولكنهُ قلما نجح في ذلك ولم يكن يحاول مسك الاجسام البعيدة عنهُ وقلما ارتاب في ان توجيه بصرهِ الى الجسم القريب كان ينبههُ الى تحريك ذراعيهِ ولما صار عمرهُ سنتين واربعة اشهر كانت اختهُ وعمرها ١٤ شهراً امهر منهُ في مسك الاقلام ونحوها مع انهُ استعمل يديهِ باكرًا جدًّا

الغضب   لم يكن من السهل تحديد الوقت الذي ظهر فيهِ الغضب ففي اليوم الثامن من عمرهِ عبس وجعَّد ما حول عينيهِ قبلما بكى لكن ذلك قد يكون مسبباً عن الالم والضيق لا عن الغضب . ولما صار عمرهُ نحو عشرة اسابيع أُعطي لبناً بارداً بالرضاعة فعبس كل الوقت الذي كان يرضعهُ فيهِ كأنهُ رجل أُجبر على عمل ما يكرهُ . ولما بلغ الشهر الرابع صار وجههُ يحمرُّ بسرعة اذا غضب فلم تبقَ شبهة في ان القوة الغضبية صارت تظهر فيهِ وقد تظهر لاقل سبب ففي ذات يوم وقعت ليمونة من يدهِ ولم يستطع ان يصل اليها فاغتاظ غيظاً شديداً وجعل يبكي وكان عمرهُ حينئذٍ نحو سبعة اشهر . ولما بلغ الشهر الحادي عشر صار اذا أُعطي لعبة غير اللعبة التي طلبها يرميها من يديهِ ويضربها . وعندي ان ضربهُ للعبة علامة غريزية للغضب اذ لا يتصور انهُ يحسب ضربها مؤلماً لها . ولما بلغ سنتين وثلاثة اشهر صار يرمي كل من يغضبهُ بما معهُ من الكتب والقضبان ونحوها . وشاهدت ذلك في بعض ابنائي الآخرين ولكنني وجدت البنات لا يفعلنهُ كأنَّ الميل الى الرماية صفة موروثة في الصبيان لا في البنات

الخوف — يترجح لي ان الخوف يظهر في الاطفال قبل غيره بدليل جفلهم وبكائهم من الاصوات التي يسمعونها بغتةً وعمرهم بضعة اشهر . وقبلما بلغ الطفل الذي انا في صدده اربعة اشهر ونصف شهر عوَّدتهُ سماع اصوات مختلفة كنتُ اصوتها بجانبهِ لتسليتهِ . وذات يوم شخرتُ شخرة عالية لم اسمعهُ مثلها من قبلُ فعبس حالاً وجعل يبكي . وبعد يومين او ثلاثة شخرتُ تلك الشخرة عينها سهواً فعبس ايضاً وبكى . وفي نحو ذلك الوقت دنوت منهُ ماشياً الى الخلف لكي لا يرى الاَّ ظهري فنظر اليهِ مستغرباً وكاد يبكي لو لم ادر وجهي اليهِ حالاً فبشَّ وابتسم . ومعلوم ان الاولاد يخافون كثيرًا من الظلمة اي مما لا يدركون حدوده' وقد حدث مثل ذلك لهذا الطفل فانني مضيت بهِ الى بساتين الحيوانات وعمره' سنتان وثلاثة اشهر فسرَّ كثيرًا برؤْية الحيوانات التي مثل ما رآه' قبلاً كالغزلان والايائل وبرؤْية الطيور على انواعها حتى النعامة ولكنهُ خاف من رؤْية الضواري في اقفاصها وكان يقول بعد ذلك انهُ يريد ان يذهب ويرى الحيوانات ولكنهُ لا يريد ان يرى الوحوش في بيوتها . ومن المحتمل ان خوف الاولاد من الوحوش والظلمة موروث فيهم مما يضرُّ حقيقةً او مما لهُ علاقة بالاوهام التي كانت سائدة على الناس في ازمنة التوحش القديمة . وهذا ينطبق على ما يُعرَف من انتقال الاخلاق الراسخة في النفس الى النسل بالوراثة وظهورها في سن الصبا ثم زوالها بعد حين

اللذة — يمكننا ان نستنتج ان الاطفال يشعرون باللذة وهم يرضعون كما يظهر من عيونهم . وهذا الطفل ابتسم وعمره' ٤٥ يوماً ورأَيت طفلاً آخر ابتسم وعمره' ٤٦ يوماً والابتسام في الاثنين كان واضحاً جداً ودليلاً على اللذة لان عيونهما برقت حينئذٍ واطبقت اجفانها قليلاً وكانا يبتسمان بالاكثر اذا نظرا الى امهما ولذلك يحتمل ان يكون سبب الابتسام عقلياً . وكان الطفل الاول يبتسم بعد ذلك لغير سبب ظاهر كأن سبب ابتسامهِ داخلي فيهِ للذة شعر بها في نفسهِ . ولما صار عمره' ١١٠ ايام صار يسرُّ اذا وضعنا ملاءة على وجههِ ثم نزعناها عنهُ حالاً وكذلك اذا غطيت وجهي ثم نزعت الغطاء عنهُ وكان يصوت حينئذٍ صوتاً شبيهاً بالضحك فكانت المفاجأَة سبب تسليتهِ في هذه الحال كما هي سبب تسلية الكبار . وقبل ذلك بثلاثة اسابيع او اربعة قرصتهُ واحد في وجنتيهِ قرصة لطيفة فسرَّ بها حاسباً اياها من باب اللعب فاستغربت ذلك لان عمره' كان اقل من اربعة اشهر ولكنني عدت فتذكرت ان اجراء الكلاب والقطط تلاعب من يلاعبها كذلك وهي صغيرة جدًّا . ولما صار عمره' اربعة اشهر ظهر منهُ انهُ يسرُّ بسماع الموسيقى وهنا اول ظهور الطبيعة الفنية او محبة الجميل الاَّ اذا اعتبرت رغبتهُ في رؤْية الالوان الزاهية من هذا القبيل فتكون هذه الطبيعة قد ظهرت فيهِ قبل ذلك

العواطف — لعلها ظهرت فيهِ باكرًا جدًّا كما يظهر من تبسمهِ للذين كانوا يعتنون بهِ وسنهُ اقل من شهرين ولا دليل لي على انهُ كان يميز احدًا حتى صار عمرهُ اربعة اشهر. وظهرت حينئذٍ رغبتهُ في الذهاب الى مرضعهِ ظهورًا واضحًا ولكنهُ لم يُظهِر ذلك بدليل علني حتى صار عمرهُ اكثر من سنة فانهُ قبَّل حينئذٍ مرضعهُ لما عادت اليهِ بعد ان غابت عنهُ مدة . ولما صار عمرهُ ستة اشهر واحد عشر يومًا تظاهرت مرضعهُ بالبكاء فاجهش هو اقتداء بها او توجُّعًا لها . وربتت[1] مرةً دمية (لعبة) كبيرة فظهرت فيهِ الغيرة واضحة وكان عمرهُ خمسة عشر شهرًا ونصف شهر . وكان يمكن ان تظهر فيهِ دلائل الغيرة قبل ذلك لو انتبهت الى اظهارها فيهِ

ائتلاف الافكار والاستدلال — اوضح عمل عملهُ يدل على التعقل تركهُ يدي ليستطيع ان يرضع اصبعي كما قلت سابقًا وكان عمرهُ حينئذٍ ١١٤ يومًا . ولما صار عمرهُ اربعة اشهر ونصف شهر صار يضحك من رؤْية صورتي وصورتهِ في مرآة . ولا شبهة عندي في انهُ كان اولاً يظنهما شخصين حقيقيين لكنهُ كان يدرك خروج صوتي من ورائهِ ولو كانت صورتي امامهُ فيستغرب ذلك . وكان يسرُّ برؤْية صورتهِ في المرآة مثل كل الاطفال وفي اقل من شهرين فهم انها صورة لانني كنت اذا وقفت وراءهُ حينئذٍ وقلبت سحنتي ورأى التغير في صورتي امامهُ التفت الى ورائهِ حالاً كانهُ يعلم ان التغير الذي رآهُ في الصورة انما هو في وجهي. وكان لي ابنة صار عمرها سنة قبلما صارت تدرك ذلك . وقد جرَّبت وضع المرآة امام القرود فكانت تضع ايديها وراءها ثم تغضب ولا تعود تنظر اليها

ولما صار عمرهُ خمسة اشهر ظهر فيهِ ائتلاف الافكار فصار اذا البسناهُ الثياب التي نخرجهُ بها الى النزهة يغضب اذا لم نخرجهُ الى النزهة حالاً . ولما صار عمرهُ سبعة اشهر صار يعرف اسم مرضعهِ اي صار يقرن صوت اسمها بها فاذا ذُكر اسمها التفت يفتش عنها بعينيهِ . وفي الاربعة الاشهر التالية قرن اشياء كثيرة باسمائها وافعالاً كثيرة بالكلمات الموضوعة لها فاذا قلنا لهُ ان يقبّل احدًا زمَّ شفتيهِ كمن يتهيأ للتقبيل واذا اريناهُ صندوق الفحم قال اح وهي لفظة كان يطلقها على كل شيء وسخ . ولما كاد يبلغ الشهر التاسع صار يقرن اسمهُ بصورتهِ التي يراها في المرآة فكلما ذُكر اسمهُ التفت الى المكان الذي فيهِ المرآة . وبعد ان صار عمرهُ تسعة اشهر ادرك ان الجسم الذي يلقي ظلاً على الحائط امامهُ يكون خلفهُ فصار اذا رأى ظلاً امامهُ على الحائط يلتفت الى ما وراءهُ ليرى الجسم الذي احدثهُ . وقبل ان بلغ السنة كان معنى الجملة القصيرة يرسخ في ذهنهِ بعد ان تتكرَّر عليهِ مرتين او ثلاثًا . ويظهر لي ان اوضح المزايا

---

(1) ربت الصبي ضرب بيدهِ على جنبه قليلاً لينام

التي يمتاز بها عقل الطفل على عقل اذكى الكلاب الكبيرة هو سهولة ادراك الطفل للصور الذهنية الناتجة من التعليم او المتولدة من نفسها . وما اعظم الفرق بين عقلهِ وعقل السمكة ذات المنقار التي ذكرها الاستاذ موبوس وقال انها وُضعت في حوض وفصل بينها وبين السمك الصغير الذي تأكلهُ بلوح من الزجاج فكانت تراهُ وترمي نفسها على لوح الزجاج لكي تصل اليهِ وظلت تفعل ذلك الى ان وجدت ان رميها نفسها على لوح الزجاج يؤذيها ولا ينفعها . ثم وضع هذا السمك الصغير معها من غير حاجز بينها وبينهُ فلم تعد تهجم عليهِ

لما صار عمر هذا الطفل اربعة اشهر رأيت انهُ اخذ يقلد الاصوات وقد اكون مخطئاً في ذلك ولم اتحقق انهُ يقلد الاصوات حتى صار عمرهُ عشرة اشهر. ولما صار عمرهُ احد عشر شهراً ونصف شهر صار يقلد كل انواع الحركات مثل هز رأسهِ وقولهِ اح اذا رأى شيئاً وسخاً ومثل وضع سبابة يدهِ الواحدة في كف اليد الاخرى حينما نقول لهُ عبارة توضع الاصبع معها على هذه الصورة وكان يبدو على وجههِ السرور اذا فعل شيئاً من ذلك طبق المراد

ولما كان عمرهُ ثلاث سنوات و٢٣ يوماً اريناهُ صورة جدهِ وكان قد رآهُ آخر مرة قبل ذلك بستة اشهر فعرف حالاً انها صورتهُ وذكر حوادث كثيرة حدثت لما رأى جدهُ آخر مرة ولم يكن احد قد ذكرها لهُ بعد رؤيتهِ

الشعور الادبي — انتبهنا الى اول علامة بدت منهُ تدل على الشعور الادبي لما كان عمرهُ نحو ١٢ شهراً وذلك اني قلت لهُ بصوت التوبيخ "ألا تبوس اباك المسكين" فانزعج من ذلك ثم لما ابعدت عنهُ وجلست في كرسي زمَّ شفتيهِ يريد ان يقبلني ثم جعل يهزُّ يدهُ هزَّة الغضب الى ان رجعت اليهِ وادنيت وجهي منهُ فقبلني وسرَّ كمن صالح خصمهُ . وفعل مثل ذلك بعد ايام ثم صار يتظاهر بانهُ مغتاظ مني و يضربني بيدهِ حتى ادنو منهُ فيقبلني و يظهر السرور والابتهاج ويسهل علينا حينئذٍ ان نجعلهُ يفعل ما نشاء . ولما صار عمرهُ سنتين وثلاثة اشهر كان بيدهِ قطعة من الكعك فاعطاها لاختهِ وهي اصغر منهُ مسروراً وقال ددي كريم ددي كريم (ددي اسمهُ للتحبُّب) وبعد شهرين ظهر فيهِ سوء الظن وصار ينتبه الى الذين يتكلمون امامهُ و يضحكون حاسباً انهم يضحكون عليهِ . ولما صار عمرهُ سنتين وسبعة اشهر ونصف شهر رأيتهُ خارجاً في غرفة المائدة وعيناهُ تبرقان على غير عادتهِ وهو في حالة لم ارهُ فيها قبلاً فدخلت الغرفة لارى ما فعل فوجدت انهُ وجد السكر واخذ منهُ وكان قد نهي عن ذلك . ولم نكن قد قاصصناهُ قط فلا تفسر حالة الاضطراب التي كان فيها الاَّ بان حاسة الظفر وحاسة الضمير الموبخ على فعل ما نهي عنهُ كانتا تتغالبان في نفسهِ فظهر عليهِ الخوف والفرح في وقت واحد .

ثم التقيت بهِ بعد اسبوعين خارجاً من غرفة المائدة وقد لفَّ مربوله وهو ينظر اليهِ مضطرباً على غير عادتهِ فاردت ان ارى ما فيهِ فقال لي لا شيء فيهِ لا شيء فيهِ اتركني لكن كان المربول ملطخاً بقطر المربى. فهمنا خداع محكم الطرفين . ومن ثم اخذنا نربي فيهِ ملكة الصدق والمجاهرة بالحق فشبَّ صادقاً حرًّا على احسن ما نشتهي

الخجل — ما من احد راقب الاطفال الاَّ ورأى انهم ينظرون الى مَن يرونهُ اول مرة من غير حياء كما ينظر البالغون الى العجماوات او الى الجمادات وسبب ذلك في ما اظن ان الاطفال لا يفتكرون بانفسهم فلا يخجلون مع انهم قد يخافون من الغرباء . وراقبت اول سمات الخجل في طفلي وعمرهُ نحو سنتين وثلاثة اشهر وذلك انني غبت عن البيت عشرة ايام فلما عدت نظر اليَّ نظر الخجول وهو يجتهد لكي لا تقع عينهُ على عيني ولكنهُ لم يلبث ان اقترب مني وجلس على ركبتي وقبَّلني فزالت منهُ كل آثار الخجل

وسائل التخاطب — البكاء (او الزعيق لانهُ لم يكن بكاء بحصر المعنى اذ كان في اول الامر خالياً من سكب الدموع) دليل غريزي على الشدة والضيق ثم صار بكاؤهُ يختلف باختلاف الاحوال كالجوع والالم وقد رأيت ذلك فيهِ وعمرهُ احد عشر اسبوعاً ورأيتهُ في طفل آخر وهو اصغر منهُ سناً . ثم تعلم ان يبكي بالارادة او ان يقطب وجههُ كمن يريد البكاء اذا مُنع عنهُ شيء طلبهُ . ولما صار عمرهُ ٤٦ يوماً شرع يلفظ بعض الاصوات ليسلي نفسهُ وابتدأ يتبسم ضاحكاً وعمرهُ ١١٣ يوماً لكن طفلاً آخر ابتدأ يضحك وهو اصغر منهُ سناً . وابتدأ حينئذٍ يتقلد الاصوات كما اشرت سابقاً ولما صار عمرهُ خمسة اشهر ونصف شهر لفظ الكلمة دا ولكن من غير ان يقصد بها معنًى . ولما صار عمرهُ اكثر من سنة صار يعبر عن مرادهِ بالاشارات مثال ذلك انهُ تناول ورقةً واعطاني اياها واشار الى الموقد لانهُ كان قد رآني مراراً كثيرة احرق فيهِ الورق . ولما صار عمرهُ سنة كاملة اخترع كلمة للطعام وهي كلمة مَمْ ولا اعلم ما جعلهُ يضع هذه الكلمة للطعام[1] . ومن ثم لم يعُد يبكي حينما يجوع بل صار يقول مَمْ مَمْ كانهُ يأمر بها امراً من يطعمهُ او يرضعهُ وكان يسمي السكر شوم ثم لما تعلم معنى كلمة اسود صار يسمي رب عرق السوس شوم اسود. وكان اذا استعمل كلمة مم بمعنى الامر يشدد الميم الاخيرة ويكون صوتهُ حينئذٍ صوت من يسأل مهتمًّا بالسؤال . وكانت طبقة الصوت ترتفع في آخر لفظهِ . وقد استنتجت بعد ذلك ان الانسان كان يعبّر عمَّا في ضميرهِ بتغيير برج صوتهِ قبلما صار يستعمل الكلمات ذوات المقاطع

(١) المقتطف كلمة مم يستعملها الاطفال في سورية ومصر للخبز

وخلاصة القول ان الطفل يعبر عن مرادهِ اولاً بالبكاء الغريزي ثم ينوّع ذلك وبعض هذا التنويع يفعلهُ بالطبع لا بالقصد وبعضهُ يفعلهُ بالقصد على ما ظهر لي فيعبر عن مرادهِ بهيئة وجههِ وبالاشارات وباختلاف نغمة صوتهِ او برجهِ واخيرًا يستعمل الكلمات التي يسمعها وهو يتعلم الكلمات التي يسمعها بسرعة فائقة . ويفهم اغراض الذين يعتنون بهِ وعواطفهم من هيئة وجوههم . ولا شبهة في ذلك من حيث فهمهُ لمعنى التبسم ويظهر لي ان الطفل الذي ذكرت احوالهُ هنا كان يفهم مراد من ينظر اليهِ نظر الحب والانعطاف وعمرهُ خمسة اشهر او اكثر قليلاً

ولما كان عمرهُ ستة اشهر رأى مرضعة تدّعي البكاء فظهرت عليهِ دلائل الحزن . ولما ناهز السنة كان ينظر الى الذين حولهُ بعد ان يعمل عملاً جديدًا كأنهُ يريد ان يعرف تأثيرهُ فيهم . وكان يسر ببعض الوجوه اكثر مما يسر بغيرها وعمرهُ نحو ستة اشهر ولعلَّ ذلك لم يكن ناتجًا عن اختلاف يراهُ في الوجوه بل عما يرى فيها من البشاشة او الانقباض . وقبلما بلغ السنة صار يفهم درجات الاصوات واشارات الوجه وكلمات كثيرة وجملاً قصيرة وفهم اسم مرضعهِ قبل ان وضع كلمة مم للاكل بخمسة اشهر . وهذا هو المنتظر قياسًا على العجماوات فانها تفهم معاني بعض الكلمات التي تسمعها





باب الزراعة

السوس

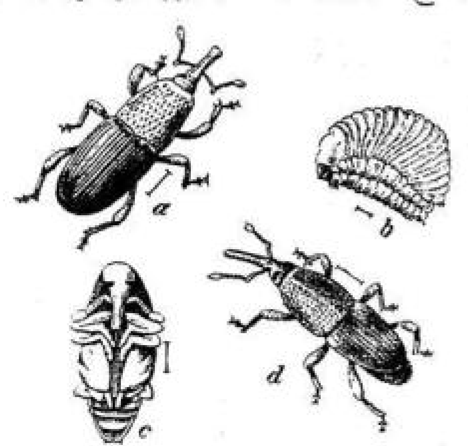
وضع المستر فودن سكرتير الشركة الزراعية الخديوية رسالةً في هذا الموضوع وصف فيها سوس القمح وسوس الارز ناقلاً ذلك عن رسالة نشرها ديوان الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية وقد اعتمدنا عليهِ في ما يلي

ترى هذين السوسين مرسومين في الشكل التالي فان الحيوان المرسوم بجانب الحرف « هو سوسة القمح مكبرة جدًّا وطولها الحقيقي مثل طول الخط الذي قرب الحرف « . والحيوان المرسوم عند الحرف « هو صورة هذه السوسة حينما تكون دودة وهي مكبرة ايضًا وطولها الحقيقي مثل طول الخط الذي قرب الحرف « . والحيوان المرسوم عند الحرف « هو صورة هذه

السوسة حينما تصير زيزًا اي تدخل حالة السكون التي تمرّ عليها كل الحشرات فان السوس مثل غيره من الحشرات يكون بيضًا في اول امره ثم يصير دودًا يخرج من البيض ويأكل وينمو ثم ينضمّ على نفسه ويسكن ويصير زيزًا ثم ينهض من رقاده وتظهر اجنحته ويصير حشرة مجنحة

والحيوان الذي عند الحرف d صورة سوس الارزّ وهو صغير ايضًا مثل سوس القمح ويمرّ على الاطوار الاربعة المتقدم ذكرها مثل سوس القمح اي يكون بيضًا ودودًا وزيزًا ثم يصير حشرة مجنحة

والسوس منتشر في كل المسكونة ينتقل بالحبوب من مكان الى آخر . وهو في البلاد الحارة يعيش في المخازن وخارج المخازن وقد يفتك بالحبوب قبل خزنها واما في البلاد الباردة فلا



a سوسة القمح b دودتها c زيزها d سوسة الارزّ

يعيش خارج المخازن ولذلك لا يتلف الحبوب الاَّ بعد خزنها فيها . وضرره في الحالين كبير جدًا . لان الحبوب التي يأكلها السوس لا تعود تصلح طعامًا للانسان ولا علفًا للحيوان . وقد تضرّ بآكلها . ولا تصلح بذارًا لان السوس يتلف الجرثومة النامية فيها واذا لم يتلفها اكل الغذاء الذي حولها فتنبت ضعيفة

سوس القمح — وطنهُ سواحل بحر الروم وهيئتهُ لا تخفى على احد وهو اكبر قليلاً من سوس الارزّ. والسوسة تثقب الحبة بخرطومها وتبيض بيضة في الثقب وتتولد من هذه البيضة دودة صغيرة تأكل ما في الحبة وقد تبيض بيضتين او اكثر في الحبة من الحبوب الكبيرة. والمدة اللازمة لتولُّد الدود والسوس تختلف باختلاف الاقاليم من حيث الحرّ والبرد فتقصر في البلاد

الحارّة وتطول في الباردة والمرجح ان السوس يتولَّد خمس مرات او اكثر في القطر المصري في السنة الواحدة . وهو يصيب القمح والشعير والذرة والحمص والفول وما اشبه

سوس الارز — يشبه سوس القمح لكنهُ ضارب الى البياض وفي الغمدين اللذين يغطيان جناحيهِ اربع نقط حمراء وهو اقدر على الطيران من سوس القمح وكان وطنهُ بلاد الهند لكنهُ انتشر الآن في المسكونة وهو يتلف القمح والشعير والذرة ونحوها كما يتلف الارز لكنهُ لا يصيب الارز غير المقشر. ولهُ اطوار مثل اطوار سوس القمح اي انهُ يكون بيضاً فيصير دوداً وزيزاً وسوساً . ولا يقتصر على اكل الحبوب بل يأكل ايضاً الدقيق والبقسماط والمكروني وما اشبه مما يصنع من الدقيق

علاج السوس — يقسم العلاج الى نوعين الاول منعي والثاني دوائي ويراد بالعلاج المنعي منع السوس من الوصول الى الحبوب وذلك اولاً بدرس الحبوب حالاً بعد حصادها لكي لا تكون فرصة للسوس ليضربها . ثانياً بنقلها الى الاهراء (المخازن) حالاً بعد درسها والحذر من مزج الحبوب المسوسة بالنظيفة من السوس. ثالثاً بتنظيف المخازن جيداً وذر الجير (الكلس) الحي فيها مدةً ثم كنسهُ منها قبل وضع الحبوب فيها. واذا امكن فلتكن ارض المخازن صلبة خالية من الشقوق وكذلك جدرانها صقيلة مدهونة بالجير. اي يجب ان لا يكون في المخازن شقوق وخاريب يختفي السوس فيها من سنة الى أُخرى. رابعاً ان خزن مقدار كبير من الحبوب في مخزن واحد عرمة واحدة خير من تفريقهِ في مخازن كثيرة لان السوس يكتفي غالباً بالحبوب السطحية ولا يغور في العرمة كثيراً الاَّ اذا قلبت من وقت الى اخر

هذا من حيث العلاج المنعي او من حيث الوقاية من السوس اما العلاج الدوائي اي الدواء الذي يميت السوس ويمنع تكاثرهُ فهو بي كبريتيد الكربون وهو سائل صافٍ لا لون لهُ شديد الرائحة كريهها غالباً يتبخر بسرعة ولا يبقى منهُ شيء وهو سامٌ جداً وشديد الالتهاب . فتبلُّ خرق بهذا السائل وتوضع على الحبوب تحت سطحها قليلاً فيستحيل بخاراً بسرعة وبخارهُ اثقل من الهواء فينتشر بين الحبوب ويقتل ما فيها من السوس . واذا كانت الحبوب كوماً كبيرة في المخازن تدهن الاكياس الفارغة بهذا السائل وتبسط على الكوم فينتشر بخارهُ بين الحبوب ويميت السوس. واقةٌ من هذا السائل تكفي لالف وستمئة اقة من الحبوب. وهو يطير بسرعة فلا يبقى منهُ شيء في الحبوب ولا من رائحتهِ ولكن لا يجوز ان تدنى منهُ النار او قنديل مشتعل لانهُ يلتهب بسرعة

———

امراض جذور النبات

كتب الينا احد الفضلاء من طرابلس الشام يقول

يصيب اشجار الليمون عندنا ضربة لم نعرف حتى الآن اسبابها ولا علاجها وقد ابتدأت بالبرتقال بنوع البزرة منهُ اي الذي اصل شجرهِ من بزرة برتقال ولم يطعَّم اصلاً فالشجرة التي تصاب بذلك يبتدئ اليبس فيها بغتةً ولو كانت كبيرة سليمة البدن . وبعد قلعها لا يرى لها جذور صغيرة شعرية (كتانة) واما بقية جذورها الغليظة فتوجد مهترية سوداء. وقد اتلفت هذه الضربة جانباً كبيرًا من اشجار البرتقال . واعدمتها كلها في بعض الاماكن . وظننا ان سببها مكروب استخار جذور البرتقال البزرة ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى عمت الضربة انواع البرتقال المطعم على كل انواع الليمون . ولقد عالجنا الاشجار المضروبة بزيت الغاز والكلس (الجير) وماء البحر والزبل على انواعهِ فلم نرَ نجاحاً يذكر حتى الآن

ثم سألنا الكاتب عن التراب المعروف بابيض اسبانيا وسنجيب عليهِ في باب المسائل . اما مرض الجذور فامرهُ هامٌّ جدًا ولذلك بحثنا عنهُ في بعض المظان حتى اهتدينا الى رسالة فيهِ في تقرير ديوان الزراعة الاميركية لسنة ١٨٩٥ للدكتور نيل والاستاذ ريلي فلخصنا منها ما يلي

(١) ان هذه الضربة مسببة عن ديدان صغيرة تسطو على الجذور وتعيب جذور التين والعنب والبرتقال والخوخ (الدراقن والشكل المرسوم على الصفحة التالية صورة جذور الخوخ المضروبة) وغيرها من الاشجار اذا كانت ارضها رطبة لا ينزح الماء منها بسهولة

(٢) ان بعض الاصناف يصاب بها اكثر من اصناف اخرى من نوع واحد من الشجر . والجذور السريعة النمو اللينة القوام اكثر تعرضاً لها من غيرها

(٣) ان الشجر الذي تصاب جذورهُ يقع ثمرهُ وتسقط اوراقهُ وييبس حالاً حتى يقول العامة انهُ اصيب بصاعقة

(٤) اذا اصيب البرتقال والخوخ وما اشبه بهذه الضربة زالت جذورها الشعرية وظهر في جذورها الاخرى عقد كبيرة كما ترى في الشكل

(٥) البرد الشديد يميت الديدان التي تسبب هذه الضربة والحرُّ الشديد والجفاف الكثير يميتانها ايضاً

(٦) الاشجار الكبيرة المثمرة اذا اصيبت بهذه الضربة وكانت شديدة لم ينفعها شيءٌ من قاتلات الحشرات لانها تقتل الاشجار كما تقتل الحشرات ولكن اذا كانت الضربة خفيفة فالسوائل

القلوية من ٣٠ ليبرة الى ٤٠ لكل شجرة او الجير (الكلس) الحي او كبريتات البوتاس والرماد تفيد كثيرًا ولا سيما اذا تكرَّر استعمالها

(٧) انهُ لا بدَّ من جلب التراب الذي تطمر بهِ جذور الاغراس وقت غرسها من عن سطح الارض حيث يكون التراب خاليًا من الديدان بتعرُّضهِ لحرارة الشمس



جذور الخوخ المضروبة بضربة العقد

(٨) النمل الاسود الصغير الذي يعيش في خاريب الاشجار يغور في الارض ويأكل الديدان التي تتلف الجذور فيجب ان يترك لشأنهِ ولا يُتلف لانهُ يساعد في اتلاف الحشرات. وجفاف الارض يساعد على نمو هذا النمل ورطوبتها تمنع نموهُ فهذه فائدة أُخرى لجفاف الارض

(٩) لا تصيب هذه الضربة كل انواع الجنس الواحد من الشجر على حدٍّ سوى في

الليمون مثلاً قلما يصاب بها النارنج (ابو سفير) والحامض ولذلك تختار هذه الانواع على غيرها وتطعم بطعم البرتقال اذا اريد ان تحمل برتقالاً

(١٠) ان هذا الدود خطي ميكرسكوبي صغير جداً طول الدودة منهُ حال ظهورها نحو جزء من سبعين جزءا من العقدة وقطرها من وسطها جزء من الفي جزء من العقدة ثم تكبر الانثى وتغلظ كثيراً قبل ان تلد حتى يصير طولها نحو خُمس عقدة ويكون في جوفها حينئذٍ نحو مئة وستين دودة وشكلها كمثري

هذا و يظهر لنا ان ضربة الجذور التي تشيرون اليها مسببة عن هذه الحشرات او عمّا هو من نوعها وان جفاف الارض خير علاج لها وكذلك مزج التراب بالكلس او نحوهِ من المواد القلوية

النيل والقطن

ابتدأ الفيضان في البحر الابيض في ميعادهِ وفي البحر الازرق قبل ميعادهِ فارتفعت المياه في الخرطوم رويدًا رويدًا حتى بلغت مترًا او اكثر فوق الصفر بعد ان هبطت الى اكثر من ستين سنتمترًا تحتهُ وسارت السفن في البحر الازرق بعد ان انقطعت عن السير فيهِ وبلغ مقياس اصوان ذراعاً واحد عشر قيراطاً في ٢٥ الشهر بعد ان هبط الى ٤ قراريط تحت الصفر وزاد منسوب المياه في القناطر الخيرية فبعد ان بلغ ١٢ مترًا و٩٢ سنتمترًا ارتفع الى ١٣ مترًا و١١ سنتمترًا . وكانت الحكومة قد فرضت ان لا يروى القطن الاَّ مرة كل ٢٨ يوماً فغيرت ذلك لما وردت المياه وسمحت ان يروى مرة كل ٢٢ يوماً وربما قصرت المدة اكثر من ذلك. والمرجح الآن ان الموسم لا يقل عن ستة ملايين بالة ولكن لو بلغ هذا المبلغ لم يزد على ما يطلب منهُ لان متأخرات القطن عموماً قليلة جداً هذا العام تبلغ نحو ٥٣١ الف بالة وكانت في العام الماضي مليوناً و٣٥٩ الف بالة فهي تقل عنها في العام الماضي ٨٢٥ الف بالة ومتأخرات القطن المصري قليلة ايضاً تبلغ ١٨٢ الف بالة وكانت في العام الماضي ١٩٢ الف بالة وفي الذي قبلهُ ٣٠٠ الف بالة وكذلك متأخرات القطن الهندي قليلة فانها ٦٠ الف بالة وقد كانت في العام الماضي ١٨٨ الف بالة ولا بدَّ من ان يحتاج الغزالون الى القطن قبل ورود القطن الجديد و يرتفع سعرهُ حينئذٍ ولو قليلاً . واذا روي القطن المصري جيداً وجاد نوعهُ غلا سعرهُ ايضاً ولو زاد مقدارهُ

غلة القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن من سبتمبر سنة ١٨٩٩ الى ٢٢ يونيو ٦٤٣٠٩١٤

قنطاراً يقابلها ٣٨٠ ٥٥٧٩ في العام الماضي فالزيادة هذا العام نحو ٨٥٠ الف قنطار وقد ارسل منها ١٦٥ ٣٠٣٣ قنطاراً الى انكلترا و٢٤٩٧٤٣ ٥ قنطاراً الى سائر البلدان الاوربية و٥٠٤٩٧٦ قنطاراً الى الولايات المتحدة الاميركية ولم يرسل في العام الماضي الى الولايات المتحدة سوى ٣٦٩٦١٤ قنطاراً

بزرة القطن

بلغ الوارد الى الاسكندرية من بزرة القطن حتى ٢٢ يونيو ٣٧٣٤٤٤٨ اردباً ارسل منها الى انكلترا ٢٨٣٩٨٦١ اردباً والى سائر البلدان الاوربية ٣٥٧٦٧٨ اردباً

السكر

بلغ الوارد من السكر الى الاسكندرية حتى ٢٢ يونيو ٤٨٨٢٠٠ كيس صدر منها ٣٨٢٩٠٢ وكان الوارد في العام الماضي ٥٧٥٢٠٠ والصادر منها ٥٦٥٦٢٩ كيساً

تجنيس المواشي

اقرّت الحكومة المصرية الآن على اعطاء شيء من المال للجنة التي تعتني باجادة نوع الخيل لكي تعتني باجادة نوع الحمير ايضاً . ولما كانت كلمة "تجنيس" شائعة في هذا القطر بمعنى Cross-breeding لاق باللجنة ان تجعل اسمها لجنة التجنيس او لجنة تجنيس المواشي وان توسع نطاق اعمالها حتى يعم كل الحيوانات الزراعية الخيل والبقر والجواميس والحمير والبغال والغنم والمعزى والطيور على انواعها. ولاق بالحكومة ان تجعل لها ادارة مخصوصة تابعة لنظارة الاشغال او لغيرها من النظارات او للمدرسة الزراعية وتعين لها النفقات اللازمة . فان كل ما في القطر من هذه الحيوانات يجود بالتجنيس اذا روعيت فيه الطرق العلمية

والفرق بين الحيوانات كبير جدًّا فمن فرس يباع بالف غرش وفرس آخر يباع بالف جنيه ولا فرق في ما ينفق عليها من العلف وانما الفرق في جنسها . ومن بقرة تباع بخمسة جنيهات وبقرة اخرى تباع بخمسين جنيهاً او بخمس مئة جنيه ولا فرق بينهما ايضاً في نفقات العلف ولكن بينهما فرقاً كبيراً في اللبن والسمن فالاولى لا يزيد ثمن لبنها وسمنها على ثمن علفها والثانية يزيد عليه خمسين جنيهاً او اكثر في السنة فيجعل ثمنها مناسباً لريعها من لبنها ومن خلفها. وكبش الغنم قد يباع بجنيه واحد وقد يباع بخمسين جنيهاً حسب ما يجتمع في بدنه من اللحم وعلى جسمه من الصوف وقس على ذلك سائر المواشي والطيور فانها تتفاضل في ثمنها كثيراً حسب نوعها او حسب تجنيسها

واذا كان في هذا القطر ادارة خاصة بتجنيس المواشي وكان لها فروع في كل المديريات والمحافظات واهتمت بعملها اهتمام لجنة اصلاح نتاج الخيل بجلب الفحول الغالية الثمن من البلدان الاجنبية واعطاء الجوائز لمن عنده حيوانات اصلح من غيرها لم تمض سنوات كثيرة حتى نرى فرقاً كبيراً في المواشي فتجود الخيل وتقوى ويغزر لبن البقر ويجود لحم العجول وتكثر البغال وتقوى ويطول صوف الغنم وينعم ويغزر ويجود لحمها ويكبر البيض ويكثر ويجود لحم الطيور وتربح البلاد من تجنيس مواشيها اضعاف ما تنفقهُ الحكومة على ذلك

ولا ينكر ان دوائر كثيرة من الدوائر الكبيرة التي فيها مديرون من الاوربيين كالدومين ودائرة القصر العالي ودائرة نوبار باشا ودرانت باشا تعتني بتجنيس المواشي كالبقر والغنم كما يظهر مما تعرضهُ منها في المعرض الزراعي ولا ينكر ايضاً ان كبار المزارعين المجاورين لهذه الدوائر يستفيدون من اعتنائها هذا فيشترون منها الحيوانات المجنّسة او يجنسون حيواناتهم بها . لكن ما يفعلهُ الافراد لا يسد حاجة البلاد كلها ولا بدَّ من ان تقوم جماعة لتوسع نطاق هذا العمل كما فعلت لجنة اصلاح نتاج الخيل ويجدر بالحكومة حينئذٍ ان تساعدها بالمال اللازم لها لان كل غرش تنفقهُ في هذا السبيل يعود على البلاد اضعاف الاضعاف

موسم القمح في اميركا

تتوقف اسعار الغلال في اوربا وفي هذا القطر ايضاً على مواسم اميركا فاذا جاد فيها موسم القطن والقمح والذرة هبطت اسعارها هناك وفي هذا القطر ايضاً واذا امحلت فيها هذه المواسم ارتفعت اسعارها هناك وهنا. وقد قدَّر ديوان الزراعة حالة موسم القمح في غرة يونيو ٨٢,٧ في المئة فقط اي اذا كان الموسم البالغ اقصى الجودة ١٠٠ فالموسم الحالي نحو ٨٣ في المئة. ثم زاد القيظ وكثرت الحشرات بعد اول مايو على ما جاء في الغازت الزراعية الانكليزية وكانوا يقدرون الموسم ٦٢٠ مليون بشل فلا يقدَّر الآن باكثر من ٥٥٠ مليون بشل

الفراخ في البيت

اعتاد كثيرون من سكان المدن تربية فراخ الدجاج في بيوتهم لتسمن وتنظف ولكنها قد تضعف وتموت مع شدة العناية بها لا لقلة طعامها بل لانها تحتاج ان تأكل صغار الحصى مع طعامها لكي يسهل عليها جرشهُ وهضمهُ . واذا كانت مما يبيض فلا بدَّ لها من الحجارة الجيرية التي يتكوَّن منها قشر البيض والاَّ خرج رقيق القشر او قلَّ كثيراً . وفراخ البط احوج للحصى من فراخ الدجاج فلا بدَّ لها منهُ ولا بدَّ لها ايضاً من الظل واما اذا تركت في الشمس النهار كلهُ فقد تموت من شدة الحر



باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر يوليو ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كلهُ ويبلغ تباينهُ الاعظم وهو ٢٦° و٢َ شرقي الشمس في الرابع من الشهر الساعة ٣ مساء ولذلك يرى بسهولة في الشفق مدة الايام العشرة الاولى من الشهر وسيرهُ من الجوزاء والاسد حيث يكوّن من حركتهِ النصف الاول من العقدة ويتمها في اغسطس وتبقى حركتهُ مستقيمة الى السابع عشر من الشهر الساعة ٦ مساء ويسكن حينئذٍ ثم تصير حركتهُ متقهقرة ويقطع عقدتهُ النازلة في الرابع من الشهر الساعة ٧ صباحاً ونقطة الذنب ظهر الرابع عشر من الشهر

الزهرة

تمر الزهرة باقترانها الاسفل في الرابع من الشهر الساعة ٣ مساء وتصير بعد ذلك نجم الصباح وسيرها في الجوزاء وحركتها متقهقرة حتى الثلاثين من الشهر الساعة ٤ مساء وتظهر حينئذٍ ثابتة وتبلغ بعدها الابعد عن الشمس في ٢٣ الساعة ١١ مساء

المريخ

المريخ في برج الثور الشهر كلهُ وبازدياد تباينهِ عن الشمس يقل بعدهُ عن الارض ويزيد اشراقهُ رويداً رويداً ويقطع عقدتهُ الصاعدة في التاسع عشر من الشهر الساعة ٨ مساء

المشتري

المشتري نجم المساء وهو ظاهر جداً في برج العقرب في جهة الجنوب وحركتهُ متقهقرة حتى التاسع والعشرين الساعة ١٠ صباحاً حينما تبتدئ حركتهُ المستقيمة

زحل

زحل نجم المساء وحركتهُ متقهقرة في برج الرامي وهو في نقطة الذنب في التاسع من الشهر الظهر

واورانوس في برج العقرب قرب المشتري ونبتون في الجوزاء قرب المريخ . والشمس في الحضيض في الثاني من الشهر الساعة ٣ مساء

اقترانات القمر

	يوم	ساعة			
يقترن بالمشتري	٠٩	٣	صباحاً	فيقع	١° ٣٥َ شمالية
" بزحل	١١	٦	"	"	٠° ٤٨َ جنوبية
" بالمريخ	٢٣	٣	"	"	٠° ٤٤َ شمالية
" بالزهرة	٢٤	٤	مساءً	فتقع	٣° ٥٠َ جنوبية
" بعطارد	٢٨	٩	صباحاً	فيقع	٠° ١٦َ "

ويخسف القمرُ زحل والمريخ وقت اقترانهما ولكن الخسوفين لا يريان في عرضنا

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٠٥	٠٢	١٩	صباحاً	الربع الاول
١٢	٠٣	٢٧	مساءً	البدر
١٩	٠٧	٣٦	صباحاً	الربع الاخير
٢٦	٠٣	٤٨	مساءً	الهلال
٠٣	٠٥	٣٠	مساءً	في الحضيض
١٥	٠٣	٤٠	"	" الاوج
٣١	١٠	٤٧	صباحاً	" الحضيض

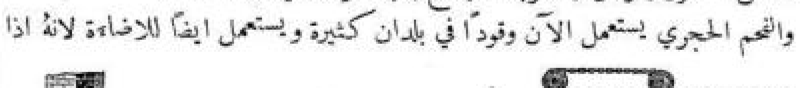
باب الصناعة

الفحم الحجري وغاز الضوء

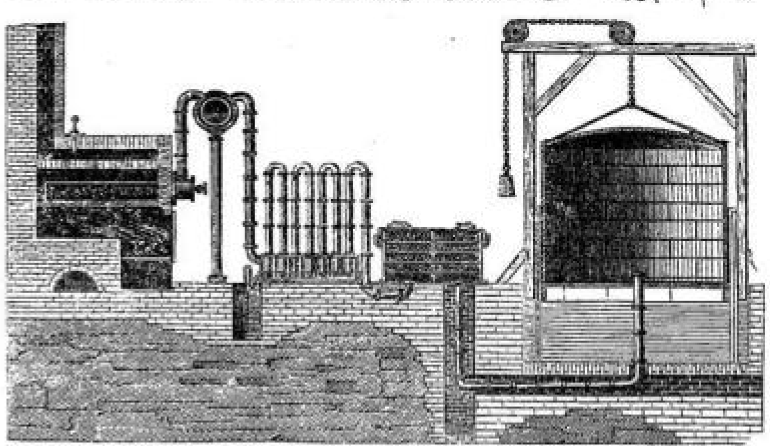
سألنا سائل كريم من مشتركينا في حمص عن كيفية استخراج غاز الضوء من فحم الحجر وصورة الآلات التي تستعمل لذلك وكنا قد كتبنا فصلاً مسهباً في هذا الموضوع في المجلد الثامن من المقتطف فنقلنا منهُ ما يلي واضفنا اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

للفحم الحجري نوعان مشهوران الواحد اسود حالك براق صدفي المكسر قليل الهيدروجين

يشتعل بلا لهيب وهو المسمّى غالبًا بالانثراسيت . والثاني كثير الهيدروجين ويشتعل بلهيب ساطع ولهُ اشكال كثيرة تختلف لونًا وقوامًا ومكسرًا ويطلق عليها اسم الفحم القاري . والفحم الحجري موجود بكثرة في كل القارَّات في اسيا واوربا وافريقية واميركا وفي بعض جزائر البحر مبتدئًا من الدور الثاني كما في اوربا ومنتهيًا في الدور الحاضر كما في جبل لبنان . وغالبهُ طبقات بعضها فوق بعض تختلف سمكًا مما لا يزيد على سمك القرطاس الى ما ينيف على الستين والسبعين قدمًا وتختلف اتساعًا من بقع ضيقة الدائرة الى مئات من الاميال المربعة[1] وتفصل بينها


طبقات من الصخور والرمال والاتربة مما يقطع بانها تكوَّنت في ازمنة مختلفة

والفحم الحجري يستعمل الآن وقودًا في بلدان كثيرة ويستعمل ايضًا للاضاءة لانهُ اذا



احمي خرج منهُ غاز يشتعل بنور ساطع . واوَّل من استخرج هذا الغاز واضاء بهِ المنازل رجل انكليزي وذلك سنة ١٧٩٢ ومن ثمَّ الى الآن انتشر استعمالهُ في اكثر المدن الاوربية وفي كثير من المدن الكبيرة في اسيا وافريقية واميركا واوستراليا وقد وضعنا هنا صورة الآلة التي يستخرج بها هذا الغاز من الفحم وينقى قبل ارسالهِ الى البيوت . فالموقد في الجانب الايسر من الصورة والنار مضطرمة فيهِ وفوقها خلقين طويلة كاسطوانة طويلة فيها قطع الفحم القاري وهي ظاهرة في الرسم . فتحل الحرارة الفحم فتخرج منهُ بعض الغازات والابخرة وتصعد في الانبوب القائم فيتكاثف ما فيها من الماء والقطران والسائل النشادري ويستقر في الانبوب الثخين الذي لا يظهر منهُ في الرسم الاَّ قطعهُ ويسير الباقي في الانابيب العوجاء المتوالية فيرسب

(١) قال الاستاذ داود باج ان مساحة اراضي الفحم الحجري في الولايات المتحدة وحدها نحو ستماية الف ميل مربع

فيها ما بقي في الغاز من املاح النشادر والمواد الهيدروكربونية التي يمكن رسوبها . ومن ثمَّ يمرُّ الغاز في صندوق لهُ رفوف كثيرة عليها كاس جافٌ كما يظهر في الشكل فيمتص الكلسُ الحامض الكربونيك والهيدروجين المكبرت من الغاز . وقد يمرُّ الغاز على اناء آخر فيهِ حامض كبريتيك مخفف ليمتصَّ ما بقي فيهِ من النشادر . ولهم طرق واساليب اخرى لتنقية هذا الغاز وما ذكرناهُ اشهرها . وحينما تكمل تنقيتهُ يجمع في اناء واسع وهو المرسوم في يمين الصورة ويضغط هناك باناء اسطواني كبير من الحديد وينقل الى البيوت التي يضاء فيها بانابيب من حديد او نحوهِ ويكون اكثرهُ من الهيدروجين المكربن الخفيف والهيدروجين المكربن الثقيل مع قليل من الهيدروجين والنيتروجين والحامض الكربونيك . ولما كشف تقسيم النور الكهربائي وشاع الاستصباح بهِ اهتمت شركات الغاز باصلاحهِ وتقليل نفقاتهِ وترخيص ثمنهِ لكي يسهل عليها مناظرة شركات النور الكهربائي فكانت تستخرج ٩٥٠٠ قدماً مكعبة من طن الفحم فصارت تستخرج منهُ ١١٤٢٠ قدماً مكعبة وكان يستخرج من المرجل الواحد ٦٠٠٠ قدم مكعبة في اليوم فصار يستخرج منهُ ٩٠٠٠ قدم. وكانت المراجل تملأ باليد والرفش فصارت تملأ بالآلات وصار الجالون الواحد من الماء يكفي لتطهير الف قدم مكعبة من الغاز

واكبر اصلاح في قناديل الغاز وكل القناديل التي توقد فيها مادة غازية استعمال الشبكة الدقيقة التي تحمى باحتراق الغاز فتنير بنور ابيض ساطع يزري بالنور الكهربائي. ثم اضيف الى القناديل هنة فيها مادة تحمى من نفسها بمجرد وقوع الغاز عليها فتشعلهُ ولعلها من اسفنج البلاتين فصارت قناديل الغاز مثل القناديل الكهربائية من حيث سطعان نورها وسهولة اشعالها وهي ارخص منها كما لا يخفى ولكنها تبقى دونها في انها تحرق الهواء وتولد فيهِ غازاً ساماً والقناديل الكهربائية لا تؤَثر في الهواء

اسرار الصناعة

لكل صناعة اسرار يحافظ اصحابها عليها ولا يسهل عليهم افشاؤُها واذا افشاها احد من صناعهم عُدَّ مجرماً وعوقب معاقبة المجرمين . وقد بالغت المحاكم الالمانية بالامس في التشديد على كتمان الاسرار الصناعية وذلك ان صانعاً استنبط اسلوباً جديداً لتهذيب المخمل ثم اخبر غيرهُ من الصناع بما استنبطهُ فقال لهُ صاحب المعمل الذي هو فيهِ ان هذا الاستنباط سرٌّ من اسرار معملي ولا يجوز لك افشاؤُهُ لغيري ورفعهُ الى المحكمة فحكمت عليهِ بالعقاب لانهُ لم يكتشف هذا الاكتشاف لولا الوسائل الصناعية التي وجدها في المعمل فما دام مأجوراً فيهِ

فكل ما يصنعهُ ويكتشفهُ ويستنبطهُ هو للمعمل وليس لهُ حق فيهِ ولا يحق لهُ افشاؤُه لاحد. وبمثل ذلك تحفظ حقوق اصحاب المعامل والاَّ ضاعت ثمرة الاجتهاد وتساوى المكتشف بالمقلد

المظهر الجديد

يرحّب صناع الصور الشمسية بهذه المادة لانها من احسن ما كشف لاظهار الصور الفوتوغرافية واسمها ادورول adurol وهي تفضل على المظهر المسمى هيدروكوينون hydroquinone وتحتاج الى قليل من القلوي فيستعمل فيها كربونات الصود بدل كربونات البوتاسا وتظهر الصور بها سريعاً جداً والبرد الشديد لا يؤثر فيها او تأثيرهُ قليل في تأخير ظهور الصور. واهم مزايا الادورول قوتهُ الشديدة على اظهار الصور ويبقى فعلهُ على حالهِ الى آخر ما يكون من اظهار الصورة فهو افضل من كل المظهرات من هذا القبيل. وتظهر الصورة بهِ في نحو ثلث دقيقة وتبلغ معظم ظهورها في اربع دقائق. ويقال ان هذا المظهر يصلح لاظهار الصور التي أُخذت على نور ضعيف فلا تظهر جليًّا بغيرهِ





قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

GENTLEMEN,

I beg you to pardon me for the mild protest which I wish to enter against figures of the heads in profile of a Hottentot and a Gorilla which one of our students has just shown me in a number of the Muktataf, your Magazine, which is so justly esteemed wherever it is known. Both figures have been greatly modified, assimilated to each other. I immediately showed the student reliable figures from standard books on Zoology and Anthropology (Brehm's Thier Leben and Ratzel's

History of Mankind) and the inaccuracy of the figures published in the Muktataf was at once manifest. I believe in the relationship of man to his lower cousins, the brutes; but while the likenesses are great and deserve careful attention, the differences are vast, both in moral and mental attributes and in anatomical structure, and should not be slurred over. Science is or ought to be the standard bearer of the truth, and your publications are its great exponents to the Arabic speaking world, and I feel deeply grieved that any lack of carefulness on your part should have led to the printing of such grossly misleading caricatures as those to which I have referred.

With my kindest regards and my best wishes for the success of all your enterprises, I am,

Yours truly,
ALFRED ELY DAY.

الترجمة

التمس منكم المعذرة عمَّا ساعترض بهِ على صورة رأس الهوتنتوت ورأس الغورلاَّ التي ارانيها احد تلامذتنا الآن في مقتطفكم المجلة التي يُقدَّر قدرها حيث عُرِفت فان الصورتين قد حوَّرتا كثيرًا وجُعلتا متشابهتين . وللحال اريت التلميذ صورًا يوثق بصدقها من كتب الثقات في علم الحيوان وعلم الانسان ككتاب برهم وثيبرلين ورتزل فظهر حالاً عدم الدقة في الصورتين المطبوعتين في المقتطف . وانا اعتقد بالقرابة بين الانسان والحيوانات الدنيا . والمشابهات كثيرة بينهُ وبينها وتستحق ان يوجَّه النظر اليها ولكن المخالفات كبيرة في الاوصاف الادبية والعقلية والبناء التشريحي ولا يجوز اخفاؤُها . وعلى العلم ان يرفع راية الحق وفي ما تنشرونهُ اعظم مذيع للمعارف العلمية بين ابناء العربية ولذلك يسوءُني جدًا انهُ بدا منكم شيءٌ من قلة الاعتناء فطبعت في مجلتكم صورتان ممسوختان تضلاَّن الناظر اليهما مثل الصورتين اللتين اشرت اليهما

واني بالاحترام وطلب النجاح لمشروعاتكم المخلص الفرد داي

[المقتطف] نشكر لحضرة الاستاذ داي على ما تكرم بهِ من التنبيه على ما حسبهُ خطأً في المقتطف. وغاية ما نتمناه من هذا القبيل ان ننبَّه الى خطاءٍ فنصلحهُ او نقص فنكملهُ. اما الصورتان اللتان اشار اليهما فليستا من بنات افكارنا ولا لعبت بهما يد التبديل والتحسين وانما هما من كتاب شهيد العلم العلاَّمة الاميركي الدكتور ونتشل (Alexander Winchell) استاذ الجيولوجيا والباليئنتولوجيا في مدرسة مشيغان الجامعة ومؤلف كتاب مذهب النشوء وكتاب التوفيق بين العلم والدين وغيرها من الكتب المشهورة. والصورتان واردتان في الصفحة ٢٥٣ من كتابهِ Preadamites المطبوع سنة ١٨٨٠ .هذا من حيث مصدرهما اما نقلهما عنهُ فكان بالفوتوغرافير وهو اصدق طريقة لنقل الصور فلم نهذبهما ولم نغير فيهما شيئًا . ولا تنكر ان

صورة انثى الغورلاَّ مهذَّبة الشعر وقد انتبهنا الى ذلك واشرنا اليهِ حيث قلنا "وقد هُذِّب شعرها بعض التهذيب" مع ان المؤلف لم يشر اليهِ

هذا من حيث النقل. وهنا مسألة اخرى نستغرب كيف لم يلتفت الاستاذ اليها وهي ان الصور الجنسية Generic images المنتزعة من صور افراد الجنس قد تختلف كثيرًا من الصور الشخصية. ويظهر لنا ان صورتي ونشل شخصيتان اي ان الواحدة منهما صورة راس امرأة بعينها من الهوتنتون والثانية صورة رأس واحدة من اناث الغورلاَّ. ومعلوم ان الصور الشخصية لا تنطبق دائمًا على الصور الجنسية بل قلّما تنطبق عليها واننا نعرف اناسًا من الزنوج شكل وجوههم ابعد عن شكل الجنس القوقاسي واقرب الى شكل الغورلاَّ من الصورة المرسومة في المقتطف وسنثبت صورة فوتوغرافية من صورهم في الجزء التالي. ولو كان التلميذ الذي اراهُ الصورتين ترجم لهُ ما كتبناهُ عنهما وهو "ان اليمنى منهما صورة رأس قردة من القرود المعروفة بالغورلاَّ وقد هُذِّب شعرها بعض التهذيب. واليسرى صورة رأس امرأة من نساء الهوتنتون" لرأى اننا لم نقل انهما جنسيتان بل انهما شخصيتان واضفنا الى ذلك ان رأس انثى الغورلاَّ مهذَّب الشعر. ولو اردنا الصور الجنسية لقلنا ان الاولى منهما صورة رأس انثى الغورلاَّ او صورة الغورلاَّ والثانية صورة رأس نساء الهوتنتون او صورة الهوتنتون كما قلنا في الكلام على هيكل الانسان وهيكل الشمبانزي. ثم اننا اتبعنا صورة رأس تلك الانثى من اناث الغورلاَّ بصورة جنسية للغورلاَّ في الصفحة ٣٧٢ وقلنا في وصفهِ ان فيهِ من الهيئة الوحشية ما يبعدهُ عن كل طوائف الناس مهما انحطت. فيرى حضرة الاستاذ من ذلك كلهِ اننا توخينا البعد عن تضليل الناس جهدنا. ثم قلنا في خاتمة تلك المقالة ما نصهُ

"اذا التفتنا الى نظام العائلة ودرجات ارتقائهِ وتدرَّجنا الى الشعائر الدينية وسلطتها على نفس الانسان والى الآداب والفضائل رأينا البعد بينهُ وبين الحيوان الاعجم يزيد اتساعًا حتى لا يبقى سبيل للريب في ان المرتقين من نوع الانسان قد بعدوا بعدًا شاسعًا عن شركائهم في الحيوانية سواءٌ كان ارتقاؤهم هذا خاضعًا لسنن طبيعية سنها الله لهذا الكون او ناتجًا عن عناية خاصة خارقة لسنن الطبيعة"

وقلنا قبل ذلك انهُ "ما من عظمة في القرد الاَّ وتختلف عما يماثلها من عظام الانسان اختلافًا يراهُ علماء التشريح جليًّا ولو لم يرَهُ سواهم". ومع ذلك فاننا نشكرهُ على حسن ظنهِ بالمقتطف وعلى ما تمناهُ لهُ ونود ان يكرم بتنبيهنا الى كل ما يجدهُ فيهِ من الخطإ ولهُ الفضل

حاجيات العاصمة ومدن القطر الكبيرة

حضرات الدكتورين الفاضلين محرري مجلة المقتطف الاغر

كل من طالع المقالة البليغة المدبجة بقلم حضرة الكاتب البارع خليل افندي ثابت المدرجة في الجزء الرابع من مجلة المقتطف الغراء تحت عنوان "المكاتب ودور المطالعة" يجد فيها من درر المعاني وجواهر الفوائد ما يبعثهُ على تكرار قراءتها واعادة مطالعتها والتمعن في ما جاء فيها من ثمين النصائح وقويم الارشادات

على انني وان كنت اوافقهُ في كل ما خطهُ قلمهُ البليغ ارى القاهرة وغيرها من مدن القطر المصري في حاجة الى ما هو اهم من المكاتب والزم من دور المطالعة العمومية ارى ان الامة المصرية في حاجة الى ما يعدّها للشروع في هذه المشروعات الجليلة من نفسها مندفعة الى ذلك بدوافع داخلية وبواعث يرى كل مصري بواسطتها ان هذه المشروعات هي مما يضطر اليهِ اضطراراً وانها من اهم الحاجيات وليس من الكماليات فقط

يقترح حضرة الكاتب الاديب على اعيان مدينة القاهرة وسائر مدن القطر الكبيرة الذين اشتهر عنهم السخاء والكرم وحب العلم والادب ان يؤلفوا لجنة او لجاناً لانشاء المكاتب ودور القراءة. ولنفرض ان هذه اللجان تألفت وتلك المكاتب ودور المطالعة شيدت وان الجرائد والكتب والمجلات على اختلاف انواعها ولغاتها جمعت في هذه المكاتب فهل نرى من سكان القاهرة ومدن القطر الكبيرة اقبالاً عليها وما هي القوة التي تنقل شبان العاصمة والمتعلمين في مدارسها من قهاوي الرقص والغناء ومحلات اللهو والخلاعة الى اندية القراءة ومحلات المطالعة؟.

فالقاهرة وبقية مدن القطر الكبيرة تحتاج قبل المكاتب ودور المطالعة الى ما يمهد السبيل للوصول الى هذه الاماكن المفيدة وينتشل الشبان من وهاد الجهل. الجرّاح الماهر لا يضمد الجرح الاَّ بعد ان ينقيهُ من جراثيم التعفن والفساد التي تولدت فيهِ والطبيب الحاذق من منع اولاً سريان الداء ثم انتقل الى اعطاء العلاج والدواء

ومن اهم الوسائط الفعالة التي تمهد هذا السبيل التربية في الصغر وهي كلمة طالما سمعناها وقرأناها ولكننا لم نفتح لها في صدرنا محلاً رحيباً ولكم قرأنا من مقالة بليغة وسمعنا من خطبة انيقة تتلي الواحدة بعد الاخرى وتحث الناس على تهذيب اولادهم وتربيتهم لتنمو الفضائل فيهم فيشبوا ويشب فيهم حب الميل الى العلم والادب ولكن لم يكن لتأثير تلك المقالة من النصيب الاَّ مدح كاتبها . ومع اننا نعلم قيمة تهذيب البيت وندرك اهمية تعليم المدرسة للولد الصغير ترانا قلما نعيرها التفاتنا فينمو اولادنا حسب الفطرة والمكان الذي يعيشون فيهِ وتتفتح اعينهم وهم

لا يرون حولهم الاَّ حانات المسكر ودور المقامرة وملاعب اللهو ويرون الناس من كبير وصغير يتسابقون اليها تسابق الجياع الى القصاع فلا يكون من اولئك الصغار الاَّ الدخول اليها آمنين ساكنين فيستقبلون فيها على الرحب والسعة ولا يخرجون منها الاَّ متى فرغ الكيس او متى تعذر على اجسامهم حمل اعباء الشهوات

وللقدوة التأثير الاعظم في اخلاق الشاب وصفاتهِ وعلى الوالدين والاغنياء والوجهاء واصحاب المقامات العالية مسؤُولية اكبر مما يخطر لهم على بال . فان الولد حين يرى اباهُ منهمكاً بكاسهِ وطاسهِ يرى ايضاً انهُ مهما فعل وغالى في اتباع اللذات كان معذوراً على ما يفعل . وبعكس ذلك اذا دخل الولد الى بيت ابيهِ ورأَى والديهِ مشتغلين بالمباحث الادبية عن العبث في الكلام او شاهد اباهُ يطالع مجلة او كتابا ادبيًّا وامهُ مشتغلة باشغالها المنزلية ثم دعاهُ ابوهُ لمشاركتهُ في مطالعاتهِ او مباحثتهِ في بعض المسائل الاجتماعية فانهُ يميل تدريجاً الى حب المطالعة ويشب وهو لا يود ان يرى نفسهُ الاَّ في المجتمعات الادبية وبين المكاتب والمحابر . وما قيل عن الولد في بيت ابيهِ يقال عن الشاب في المجتمع الذي يلازمهُ اذ للمجتمع تأثير على اخلاق الانسان لا يقدَّر . فالعاصمة وبقية مدن القطر الكبيرة تحتاج قبل انشاء المكاتب ودور المطالعة الى قدوة حسنة وافاضل يبثون تعاليمهم . ولا ينكر ان هذا العمل من اصعب الاعمال والاقدام عليهِ يعدُّ من الاعمال الكبيرة يتجشم المقدم عليها كل صعب ويلاقي الاهوال اينما ذهب لان جيش الفساد قد احتل معاقل القلوب ورفع عليها اعلام نصرهِ المبين الاَّ ان للفضيلة تأثيرًا في تدمير هذا الجيش والعاصمة لم تحرم والحمد لله من فضلاء لو اهتموا في مشروع اتموهُ غير ان اليأس من الحالة الحاضرة قد اخذ من قلوبهم كل مأخذ وغل ايديهم عن الاقدام على افضل الاعمال فالى مثل هؤُلاء الافاضل تتجه انظار كل محب للفضيلة والانسانية ويطلب منهم بلسان الامة ان لا يتركوا لليأس في قلوبهم مجالاً

وتحتاج العاصمة ايضاً وبقية مدن القطر الكبيرة الى جمعيات ادبية يؤلفها محبو الآداب والفضيلة ويبذلون جهدهم في تحويل القلوب عن محلات اللهو والخلاعة الى المحلات التي تترقى فيها العواطف والصفات الانسانية . ومن طالع تاريخ هذه الجمعيات وتأمل النتائج العجيبة التي فعلتها في انحاء العالم المتمدن يرى ولا بدَّ ان امثال هذه الجمعيات من اهم المشروعات الادبية الوطنية التي ينبغي ان يتسابق اليها كل من يهمهم ارتفاع شأن البلاد

هذا واني اشارك حضرة الكاتب الاديب في اسفهِ من الحالة التي وصلنا اليها باقتباسنا من الاوربيين العوائد المضرة واهمالنا الصفات الحميدة . والحق اولى ان يقال ان حالة العاصمة

خصوصاً وبقية مدن القطر عموماً مما يملأ القلوب حزناً وينذر بخطر مقبل شديد من جراء تهور شباننا الذين تناط بهم رفعة البلاد الى ذرى المجد او حطها الى اسفل دركات الذل

المنيا في ٢٩ مايو سنة ١٩٠٠ امين مرشاق

ابتهال الى الله ونصيحة للخلق

رحماك يا ربّ الانامْ فالجفن قد هجر المنامْ
"والثغر" أصبح عابساً من بعد ضحكٍ وابتسامْ
بك نستعيذ من "الوبا" ولعلنا بك لا نضامْ
فارفع بلاءك فالورى باتت مضاجعها ضرامْ
واهدِ العقول لرشدها فنهى العقولِ هو المرامْ
فلكم نصحناها وكم لمنا ولم يجدِ الملامْ
واليوم ننصحها عسى تجدي النصيحة والكلامْ
يا من غدوتَ من "الوبا" تخشى مهاجمة الحمامْ
طهرْ ثيابك دائماً فالطهر ليس من الحرامْ
واهجرْ غثاثة مأكل فعواقب الغث السقامْ
والجسم فاغسلْ جلده بالماء من وسخ الرغامْ
لم تلقَ برءاً للوبا غير النظافة بالتمامْ
فهي الاساس لمنعهِ وبها يكون له انصرامْ
وبدونها لا بد ان تلقاه عاماً بعد عامْ
فاسمع نصيحة صادق يهوى لعيشتك السلامْ
واعمل بها يا خائفاً تلقَ الامان على الدوامْ

احمد نسيم

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

ابشركم وابشر كل محبي الوطن السوري من الذين هاجروا الى القطر المصري وغيره من الاقطار اننا شارعون في عمل طالما تمنوه وهو انشاء سكة حديدية من دمشق الى قلب بلاد العرب الى مكة المكرّمة وقد قدَّر المقدرون ان نفقات هذه السكة لا تزيد على خمسة ملايين من الجنيهات مع ان طولها نحو الف ميل

دمشق احد المشتركين

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دواء الصلَع

الصلع لا يؤلم ولا يتعب ولكن الوجه يتشوَّه بهِ والعين تابى النظر اليهِ ولا سيما اذا اصاب الشبَّان او الكهول . وهو درجات اخفها خفة الشعر حتى يكاد جلد الراس يظهر من تحتهِ واشدها زوال الشعر تماماً . وقد لا يقتصر على الراس بل يعمُّ الحاجبين والجفنين والبدن كلهُ من قمة الراس الى اخمص القدم

وقد يكون الصلَع محليًّا فتتعرَّى بهِ بقع صغيرة من الراس ويحدث ذلك للشبان والشابات من غير سبب ظاهر لكنهُ يشفى اذا عولج العلاج المناسب ويعود الشعر الى النمو بعد ثلاثة اشهر او اربعة وقد يعود هذا الصلع بعد ذلك ثم يشفى ثانية باستعمال العلاج المناسب ولاسيما اذا كان الشخص المصاب بهِ حديث السن . وهو يعالج هكذا يؤتى بدهون اليود وتدهن بها البقع التي زال الشعر منها مرةً كل ليلتين ويصنع مزيج هكذا

صبغة الذراح (الكنثريدس)	اوقيتان طبيتان
حامض خليك (اسيتيك)	اوقية
جليسرين	١/٢ درهم
روح حصي اللبنى (حصلبان)	اوقية
ماء الورد	٨ اواقي

وتبل خرقة وتوضع على تلك البقع مرتين في النهار

وقد شاهدنا بدوية شفت ابنة مصابة بهذا الصلع بمسحوق احمر نظنهُ الآن اكسيد الزيبق جبلتهُ بالزيت وكانت تدهن بهِ البقعة الخالية من الشعر فعاد الشعر الى النمو بعد بضعة اسابيع

وكثيراً ما يحدث الصلع من تقشر جلد الراس فيكون علاجهُ بعلاج جلد الراس نفسهِ لانهُ يكون مصاباً بما يشبه داء الاسكربوط ويعالج هكذا : يُصنع مزيج من اربعة اواقي من الصابون ودرهمين من روح حصى اللبن واربع اواقي من السبيرتو المصحح ويفرك جلد الراس بهِ جيداً ثم يغسل من هذا الصابون وينشف

وهذا الغسول قد يجفف الشعر ويجعلهُ قصماً ويهيج جلد الراس اذا استعمل وحدهُ ويمنع ذلك بدهن الراس بعد تنشيفهِ بالبومادا مركبة من المواد التالية

رزورسين resorcine	١٠	قمحات
كبريت مرسَّب	٢٠	قمحة
دهن الصوف	١٠	درهم
فاسلين ابيض	١٠	اوقية

ويمكن الاستغناء عن البومادا بدهون مركب من نصف اوقية من زيت اللوز ودرهم ونصف من الزرورسين وخمس نقط من زيت الورد وخمس اواقي من السبيرتو المصحح

ولا يجوز ان يدنو مستعمل هذه العلاجات من شمعة مشتعلة او قنديل غاز مشتعل لانها تشتعل حالاً وقد تصل النار الى الشعر فيشتعل ايضاً اذا كان مبلولاً بها لما فيها من السبيرتو والزيت

ملكة الصدق والمجاهرة بالحق

يظن كثيرون من الناس ومن كبار العلماء انهم اذا نشروا القواعد الدينية في الكتب والرسائل والمجلات اصلحوا بها حال الناس وردعوهم عن المنكرات وجعلوهم ادباء فضلاء كما يجب ان يكونوا . فتصلح البلاد وترتقي وتصير مثل ارقى البلدان الاوربية . ويضحكنا من هؤلاء العلماء اقتناعهم ان ما يكتبونهُ لا يحتاج الاَّ ان يقرأهُ الناس حتى يعملوا بهِ فيصلح حال الدنيا . ولم نرَ وهماً اسخف من هذا الوهم ولا غروراً اشد من هذا الغرور . وبالامس كان احد هؤلاء العلماء يتلو علينا فصلاً كتبهُ في اصلاح السيرة والسريرة وعززهُ بالآيات والاحاديث وكان يتلوهُ طرباً جزلاً لبلاغة عباراتهِ وهو يحسب ان البلاغة اعلق بالنفوس واقرب الى الاقناع من كل الادلة العلية والاساليب العملية فلما اتمَّ قراءة فصلهِ تلونا عليهِ سطراً واحداً من مقالة نشرناها في هذا الجزء من المقتطف موضوعها افعال الاطفال قال فيهِ الشهير دارون عن احد اولادهِ وكان قد سرق سكراً وانكر ذلك وعمرهُ سنتان وثمانية اشهر " ومن ثمَّ اخذنا نربي فيهِ ملكة الصدق والمجاهرة بالحق فنشب صادقاً حراً على احسن ما نشتهي ". وقلنا لهُ هكذا تربى الامة على الصدق والعدل والمجاهرة بالحق بتربية هذه المناقب في اطفالها سواء كان المربون لها شديدي التديُّن او كانوا ملحدين مثل دارون وهكسلي نعم ان التربية الدينية تساعد كثيراً على التربية الادبية ولكنها لا تفيد الفائدة المطلوبة ما لم تقترن بالارشاد اليومي

في الصغر لتقوية ملكات الخير في النفس ونزع ملكات الشر منها واسهبنا في هذا الموضوع حسب ما اقتضاهُ المقام

وبعد ساعة من الزمان خرجنا لبعض امرنا فرأينا خادماً في بيت جارنا اجلس طفلهُ على مصطبة داخل الباب وعمرهُ نحو سنتين وجعل يعلمهُ ويغرس في ذهنهِ المناقب الادبية التي يمتاز بها كثيرون من الاطفال في هذا القطر وفي كل بلدان المشرق مثل قولهِ " فلان " فيقول الطفل " ابن كلب " واذا اخطأ في لفظها شتمهُ وعلمهُ صحة اللفظ وهلمَّ جرًّا مما تعافهُ النفس وتأباهُ الاسماع. فوقفنا ونحن نقابل بين ما فعلهُ دارون وما يفعلهُ اكثر الشعب الانكليزي في تربية اطفالهم وبين ما يفعلهُ هذا الخادم ويفعلهُ اكثر اهالي هذا القطر في تربية الاطفال فاسودَّت الدنيا في اعيننا ورأينا المستقبل مظلماً مكفهرًّا لان التربية الصحيحة ان لم تكن من الصغر لم تأتِ بفائدة فكم من رجل من ابناء هذا القطر تلقَّى العلوم في اعلى المدارس الاوربية ثم هو لا يستطيع ان يكبح جماح نفسهِ عن ادنى الخلل عن الكذب والوقيعة والانتقام وما اشبه مما تترفع عنهُ نفس الحر وما ذلك الاَّ لانهُ لم يربَّ من صغرهِ على مكارم الاخلاق

الاعتناء بالشعر

الشعر جسم حي يغتذي كما يغتذي غيرهُ من اعضاء الجسم فيقوى بالغذاء ويجوع كما يجوع غيرهُ من الاعضاء فيضعف بالجوع . وغذاؤُهُ من الدم الذي يرد الى اصولهِ بالاوعية الدموية المتصلة بهِ فكل ما يقوي الدورة الدموية يزيد توارد الدم الى اصول الشعر فيسهل عليهِ التغذية ويقويهِ

التعرُّض نافع وضار

مررنا بالامس على طريق من الطرق الزراعية جنوبي بنها وكان الوقت الظهر تماماً واشعة الشمس تتدفق عمودية كأنها هابطة من اتون مضطرم ثم مررنا بجمال تسير الهوينا وعلى رحالها اطفال لا يزيد عمر الطفل منهم على ثلاث سنوات او اربع وهم عراة حاسرون لا شيء على ابدانهم ولا على رؤُوسهم وكان والدوهم يسيرون بجانب الجمال لا يخافون عليهم ضيماً . ولا شبهة عندنا انهُ لو وقف طفل من اطفالنا حينئذٍ ربع ساعة حاسر الراس لا صيب بالرعن او بهزة الحائط ولا ينجو اولئك الاطفال من ذلك الاَّ بفعل العادة . لكن اذا عُرِّض عشرة اطفال للشمس لا يعتادها خمسة منهم حتى يموت الخمسة الآخرون

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) ابيض اسبانيا

طرابلس الشام . احد المشتركين . ماهي مادة التراب الابيض المرسل لكم الآن واسمهُ ابيض اسبانيا ولاي شيء يستعمل وهل يرجى منهُ نفع لاشجار الليمون او لقتل الميكروب الذي يسطو عليها

ج هو نوع من الطباشير او كربونات الكلس يستعمل في صناعة الدهان وليس منهُ فائدة لاشجار الليمون اكثر من فائدة التراب الابيض المعروف بالحوارى الكثير الوجود في جبال لبنان ومنهُ فائدة قليلة كما ذكرنا في الكلام على ضربة الليمون في الجواب على سؤَالكم الآخر في باب الزراعة من هذا الجزء

---

(٢) قدم الانسان

امبابه . الخواجه نعمان عوض . يذكر على حواشي التوراة المطبوعة في بيروت بالمطبعة الاميركية ان الله خلق الارض قبل المسيح باربعة آلاف سنة واربع سنوات . وقد قرأنا في بعض الكتب ان مريت باشا مؤسس دار التحف المصرية قدَّر اول حكم العائلة الاولى المصرية منذ ٥٠٠٤ سنين قبل المسيح . ومفاد ذلك ان العائلة المصرية الاولى حكمت مصر قبل خلق الارض او قبل خلق ادم ابي البشر بالف سنة فمن اين هذا الخلاف البيّن

ج ان ما ذكرهُ مريت باشا اما انهُ صحيح او قريب من الصحيح ولا خلاف الآن في ان الانسان وُجد على وجه الارض منذ اكثر من سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة وقد يكون وجد فيها منذ عشرين الف سنة او اكثر . وما ذكر على حواشي التوارة مأْخوذ من جمع اعمار الآباء وبعض التواريخ لكن علماء الديانة المسيحية لا يعوّلون عليهِ الآن ولذلك تراهم قد حذفوهُ من النسخ التي طُبعت حديثاً

(٣) عمر الارض

ومنهُ . قد جاهر بعض العلماء ان عمر الكرة الارضية مئة مليون سنة وقال غيرهم ان عمرها ستون مليوناً وغيرهم ان عمرها عشرون مليوناً فقط فكيف تباينت هذه الآراء تبايناً فاحشاً وهو ليس من التوراة

ج ان الانسان لا يستطيع ان يحكم بعمر بيت بناهُ ابوهُ ان لم يكن تاريخ بنائهِ مذكوراً فكيف يستطيع الحكم البات في عمر الارض لكن العلماء ينظرون الى بعض الفواعل الطبيعية ويقيسون فعلها السنوي ثم يرون نتيجة فعلها كلها ويقيسونها بهذا المقياس فيصلون الى نتيجة تقريبية. مثالهُ لنفرض ان النيل يترك على الارض مليمتراً واحداً من الطمي كل سنة ولنفرض اننا وجدنا سمك طبقة الطمي في جهة من الجهات عشرين متراً فاذا كانت القوى الطبيعية تفعل على وتيرة واحدة كما هو الراجح فهذه الطبقة قد رسبت من النيل في مدة عشرين الف سنة . والعلماء يحسبون عمر الارض من امور مثل هذه فبعضهم يحسب عمرها من تكوُّن طبقاتها و بعضهم من برد سطحها و بعضهم من غير ذلك فتختلف النتائج التي يصلون اليها باختلاف المبادىء التي يعتمدون عليها في تقديرها . والنتيجة المجمع عليها الآن ان الارض قديمة جداً يتجاوز عمرها عشرة ملايين من السنين من حين بردت وصارت صالحة لسكن الاحياء

(٤) ترجمة هوميروس

ومنهُ . هل عُرّب كتاب هوميروس الشاعر اليوناني وهل نُقل الى الفرنسوية ومن ترجمهُ اليها

ج نعم عرَّبهُ ونظمهُ سليمان افندي بستاني ولم يطبعهُ حتى الآن ولكننا طبعنا فصلاً طويلاً منهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف وترجمهُ الى الفرنسوية كثيرون نثراً مثل مدام داسيه وبتوباي ولبرون وديجاس مونبل وجيجه وبسونو وشعراً مثل رشفور وانيّن وبنيّن

(٥) الشقر بين المصريين

ومنهُ . ان اوصاف المصريين والمستمصرين لا تخفى على احد ولا سيما الفلاحين وكلهم سود الشعور مرتفعو الاصداغ سمر الالوان ولكن في القطر المصري اماكن كثيرة كما في مركز امبابه سكانها شقر الشعور بيض الالوان ليس فيهم شيء من الشكل المصري المعروف فكيف يعلَّل اصلهم

ج سكن القطر المصري كثيرون من اليهود والسوريين من قديم الزمان وحاولوا عدم الامتزاج باهلهِ فبقي شكلهم محفوظاً ثم استوطنهُ كثير من الروم والجركس ونحوهم من امم الشمال فلا يبعد ان يكون بعضهم قد حافظوا على اصلهم ولم يمتزجوا بالسكان الاصليين ومنهم تولّد الناس الذين تشيرون اليهم

---

(٦) باني الحرم

القدس الشريف . ا . ع من بنى الحرم الشريف المنسوب الى عمر بن الخطاب وفي اي سنة تم هذا البناء

ج ان كتّاب الافرنج مختلفون في ذلك فالعلاَّمة فرغوسن يقول ان قبة الصخرة هي

كنيسة الملك قسطنطين التي بناها على القبر المقدس وقال الباحث لون ان البناء كان هيكلاً لمشتري بناه هدريانوس. ويظهر من وصف اركلفس الاسقف الفرنسوي الذي زار القدس سنة ٦٧٠ للميلاد ان مذهب فرغوسن هو الصواب وانهُ كان في الحرم حينئذٍ بناء كبير من الخشب يسع ثلاثة آلاف من المصلين . ثم بنى الحرم الخليفة عبد الملك الاموي سنة ٦٩١ للميلاد (٧٢ للهجرة) وهدم البناء بزلزلة فبناهُ المأمون . ويظهر من شكل البناء انهُ مزيج من ازمنة مختلفة وهذا غاية ما وقفنا عليهِ من هذا القبيل

---

(٦) المالوش

طرابلس الشام . س . ي هل من وسيلة لمنع اضرار المالوش بالنبات

ج من افعل الوسائل لمنع ضررهِ قتلهُ سمًّا بالبطاطس والزرنيخ او اطلاق الخنازير في الارض التي يكثر فيها فتنبشهُ من تحت التراب وتأكلهُ . وقد يمكن ان يصاد ليلاً ويقتل

---

(٨) حكام مصر

مصر . محمد افندي عمر . مَن كان حاكمًا على مصر في عهد الملك شارلمان الفرنسوي .

ج تولى هذا الملك من سنة ٧٦٨ مسيحية الى سنة ٨١٤ فلما تولى كان الوالي على مصر يزيد بن حاتم المهلبي وخلفهُ عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج سنة ١٥٢ للهجرة وخلفهُ اخوهُ محمد سنة ١٥٥ وبقي في الولاية ثمانية اشهر وتوفي وخلفهُ موسى بن علي . وخلفهُ عيسى بن نعمان سنة ١٦١ . وخلفهُ واضح المنصوري الخصي سنة ١٦٢ وخلفهُ منصور بن يزيد بعد اربعة اشهر وخلفهُ يحيي بن داود بعد شهرين وخلفهُ سالم بن سواده في غرة سنة ١٦٤ . وخلفهُ في غرة العام التالي ابرهيم بن صالح . وخلفهُ موسى بن مصعب سنة ١٦٧ وقتل في العام التالي وخلفهُ اسامة بن عمرو وعزل بعد شهرين وخلفهُ الفضل بن صالح. وخلفهُ علي بن سليمان سنة ١٦٩. وخلفهُ موسى بن عيسى سنة ١٧١. وخلفهُ مسلمة بن يحيي بن غرة سنة ١٧٢ وخلفهُ محمد بن زهير سنة ١٧٣ وعزل حالاً وخلفهُ داود بن يزيد بن حاتم وهلمَّ جرًّا. ومدة حكم شارلمان ٤٦ سنة تقلَّب فيها على مصر نحو ٤٦ واليًا حتى لا تستقر رجل الوالي فيها الاَّ ريثما يحصل منها كفافهُ. وبمثل ذلك تنحط البلدان فلا عجب اذا كان سكان مصر ١٢ مليونًا او اكثر وقت الفتح فلم يبقَ فيها سنة ١٨٠٠ سوى مليونين

(٩) الروح والدم

ومنهُ . هل الروح هي الدم

ج لا نعلم ماذا تريدون بالروح . اما الدم فمعروف وهو ليس شيئًا آخر غير الدم .

واذا اردتم بالدم الحياة فهي غير الدم لان الدم جسم مادي معروف والحياة شيءٌ غير مادي فلا يدرك بالمشاعر وهي تشبه ان تكون قوةً حالّة في المادة الحية او هي الصفة التي تفرق بها المادة الحية عن غير الحية

---

(١٠) السخرة في مصر

مصر . يوسف افندي نحاس . نرجو ان تخبرونا عن السخرة وما كانت عليهِ قبل الاحتلال وهل ابطلت الآن تماماً اولم تزل باقية في احوال معينة

السخرة قديمة في القطر المصري جدًّا وكان لا بدَّ منها لما كانت البلاد كلها تروى بما يُسمى بري الحياض ولم يكن منها ضرر حينئذٍ من حيث ابطال الاعمال لانهُ لم يكن للناس عمل زراعي وقت الفيضان والخروج لتطهير ترعهم وتقوية جسورهم . وكانت فائدة ذلك عائدة على الجميع لانهم لم يكونوا يعملون الاَّ في ما حولهم ولكن لما ادخل محمد علي باشا الزراعة الصيفية بتعميق الترع اشتدَّ عناء السخرة وصارت فائدتها خاصة غير عامة وصار المسخرون ينقلون من مديرية الى غيرها ويجبرون على العمل كل فصل الصيف . قال لينان باشا ان تعميق الترع الصيفية الكبيرة لزم لهُ حفر ١١٠ ملايين متر مكعب توازي اجرتها ثلاثة ملايين وثلثمئة الف جنيه حفرها الفلاحون بالسخرة . ثم جاء سعيد باشا فسخر الفلاحين في حفر ترعة السويس وتلاهُ اسمعيل باشا فسخرهم في حفر الترعة الابرهيمية بعد ان جمعهم من كل المديريات ولم يكن فائدة من تلك الترعة حينئذٍ الاَّ في ري اطيانهِ. وكان الكبراء والعظماء يشغلون الفلاحين بالسخرة اقتداء برأس الحكومة فكان الفلاحون يعملون في تطهير الترع وتقوية الجسور ستة اشهر من ١٥ يناير الى ١٥ يوليو ويعملون في حفظ الجسور ثلاثة اشهر من اول اغسطس الى اول نوفمبر وعليهم ان يحضروا معهم الفؤوس والمقاطف والطعام وينامو في العراء بل كانوا مضطرين ان ينيروا مصباحاً على كل خمسين متراً على نفقتهم. وفي ايام محمد علي عدَّ الذكور من ابن ١٥ الى ابن ٥٠ وكان ربعهم يخرج للسخرة كل ٤٥ يوماً مدة الصيف ثم قلَّ هذا العدد رويداً رويداً حتى صار الذين يخرجون للسخرة كل ٤٥ يوماً ثمن المكلفين فقط

ولا تزال السخرة الآن ولكنها قليلة جدًّا فيدعى الناس لحفظ جسور بلادهم اذا خيف من الغرق لا غير

(١١) ابطال السخرة

ومنهُ . قرأت في بعض الكتب ان اسمعيل باشا ابطل السخرة عند ما تولى فهل ذلك صحيح

ج لا يظهر لنا انهُ صحيح لان اسلوب

الري حينئذٍ كان يستلزم السخرة كما ترون من جواب سؤالكم الاول وهو زاد في اثقال السخرة ان الزم الاهالي بحفر الترعة الابرهيمية. واول امر بتخفيف السخرة صدر في ٢٥ يناير سنة ١٨٨١ في عهد الخديوي السابق. وحدّدت حينئذٍ الاعمال العمومية التي تعملها الحكومة بالسخرة ويقال في المادة الخامسة منهُ ما نصهُ " العونة (السخرة) واجبة على كل اهالي القطر الذكور السليمي البنية البالغ سنهم ١٥ سنة فما فوقها الى ٥٠ سنة " واستثنت من الخروج للسخرة العلماء والفقهاء والمدرسين وطلبة العلم والذين في التكايا والاديرة والمستشفيات وخدمة المساجد والمقابر والاضرحة متى كان لديهم شهادات مستوفاة والقسوس والرهبان والحاخامين واصحاب الصنائع الذين يدفعون رسوم صناعاتهم وصيادي الاسماك والمركبية والذين يدفعون العوض. والعوض ١٢٠ غرشاً في مديريات الوجه البحري و ٨٠ غرشاً في مديريات الوجه القبلي

وفي ١٢ مارس سنة ١٨٨٢ اقرّت الحكومة على اخذ بدل السخرة من العرب النازلين في القطر المصري وأُلفت لجنة برئاسة اسمعيل باشا يسري اقرّت على ان كل مئة فدان تخرج للسخرة ثمانية انفار

واول اصلاح ابتدأ في امر السخرة كان سنة ١٨٨٥ فان فلاحي كفر الشيخ طلبوا من الحكومة ان تنظر في امرهم فنظرت ووجدت في ذلك المركز ١٤٥ الف فدان واصحاب ٣٣ الف فدان منها يخرجون للسخرة دون سواهم وان الفلاحين الذين كان عليهم ان يقدموا ٤٣٨ نفرًا لمدة ٩٠ يوماً كانوا يقدمون ٨٠٠ نفر لمدة ١٨٠ يوماً. وفي تلك السنة اعطت الحكومة ثلاثين الف جنيه لتخفيف السخرة بتطهير بعض الترع في المنوفية والغربية وكان ذلك في عهد نوبار باشا وهذا اول تخفيف حقيقي للسخرة. وفي السنة التالية صادقت انكلترا على انفاق ٢٥٠٠٠٠ جنيه سنويًا لالغاء السخرة اي لعمل الاعمال التي كانت تعمل بالسخرة. والآن تنفق الحكومة اربع مئة الف جنيه كل سنة في هذا السبيل

---

(١٣) كشف غش اللبن

الاسكندرية س. س لا يخفى ان باعة اللبن يمزجون لبنهم بمادة يكثر بها ويبيعونهُ كذلك مغشوشاً فما هي المادة التي يمزجونهُ بها وباي واسطة يمكن كشفها

ج الغالب انهم يمزجونهُ بالماء فقط او بالماء الذي حلَّ فيهِ قليل من النشاء ويعرف ما اذا كان ممزوجاً بالماء بقياس ثقل اللبن الالكتومتر فان ثقل اللبن النوعي ١٫٠٣٨ وثقل الماء النوعي ١٫٠٠ فاذا مزج اللبن بالماء خفَّ ثقلهُ النوعي قليلاً ولكن اذا مزج بالماء ونزعت قشدتهُ بقي على ثقلهِ النوعي لان القشدة خفيفة فاذا نزعت من اللبن فقد يزيد

في ثقلهِ النوعي ما ينقص منهُ باضافة الماء فيكون الغش قد تضاعف ولا يعود المقياس يدلُّ عليهِ ولا سبيل آخر لمعرفة غش الماء لان الماء موجود في اللبن طبعاً ومقدارهُ فيهِ يختلف باختلاف البقر بل باختلاف احوال البقرة الواحدة . واما النشاء فيعرف وجودهُ فيهِ بان يسخّن قليل منهُ و يضاف اليهِ قليل من اليود فاذا كان فيهِ نشاء ازرقَّ حالاً

---

(١٣) فعل الكلوروفورم

مصر . توفيق افندي داود . ما هو فعل الكلوروفورم وفي اي جزء يؤثر من اجزاء العقل

ج الكلوفورم يفعل بالمجموع العصبي فيوقف الحركات الارادية والشعور ولكنهُ لا يوقف التنفس ولا فعل القلب

---

(١٤) سبب المحبة الوالدية

مليج . حبيب افندي حنا . ما هو سبب المحبة الوالدية ولماذا نرى بعض الناس يعطفون على اولاد ليسوا من نسلهم

ان الحنو على الاطفال غريزة في النفس ولاسيا في نفس الام سواء كان الطفل ولدها او ولد غيرها ولكنهُ اذا كان ولدها امتزج الحب الغريزي بالحب المبني على حفظ النسل والانتفاع من الولد والطاعة للاوامر الدينية والعمل بموجب القواعد الاجتماعية . هذه الفواعل تفعل كلها معاً فتدعو الى محبة الطفل والشفقة عليهِ . ولا شبهة عندنا في انهُ لو أُبدل طفل بطفل آخر مثلهُ سناً وشكلاً حين ولادتهِ على غير علم والديهِ لرباهُ واحباهُ واعتنيا بهِ كما لو كان طفلهما تماماً

(١٥) اختلاف الاهوية

ومنهُ . ما هو السبب في اختلاف الاهوية هذا العام وعدم انتظام حالة الطقس وهل لنقص التبخر من ماء النيل بسبب شدة التحاريق في عامنا هذا علاقة بذلك

ج لا ندري كيف عرفتم ان الاهوية اختلفت هذا العام عما كانت عليهِ في الاعوام السالفة فان ذلك لا يعلم الا اذا وجدت آلات تقاس بها سرعة الرياح وتعلم جهاتها يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة ثم تقابل السنة الواحدة بالسنين الاخرى . ولم يبلغنا ان احداً فعل ذلك ثم استنتج ان هذه السنة تخالف السنين السالفة . اما الحكم على ما يشعر بهِ الانسان فلا يعتمد عليهِ لانهُ ينسى اليوم ما كان يشعر بهِ امس ولا يعوَّل الا على المقاييس المدققة وتسجيل ما تدلُّ عليهِ

(١٦) مجاعة الهند

ومنهُ . هل المجاعة الفاشية الآن في بلاد الهند مسببة عن جدب وقتي لعدم هطول الامطار هذا العام او هي تحدث دائماً بطبيعة الارض او انها ناتجة عن كسل الهنود واهمالهم

ج سببها الاكبر وقتي لقلة هطول الامطار هذا العام . ولو كانت ملازمة لطبيعة

البلاد لما كثر سكانها بل كانوا هجروها من عهد طويل او انقرضوا منها ولكن للسلطة الاوربية يداً في هذه المجاعة وذلك انهُ من حين استتب الامن في البلاد وكثر الاعتناء بالاهالي في زمن المجاعات صار عدد السكان يزيد ووفياتهم تقل فصاروا اذا قلَّ وقوع الامطار وقلَّ الطعام يزيد شعورهم بقلتهِ لزيادة عددهم واما قبل ذلك فكانت المجاعات تفنيهم ولا يبقى منهم الاَّ من يجد طعاماً. غير ان السلطة الاوربية لا تقتصر نتيجتها على زيادة عدد السكان ولو اقتصرت على ذلك لزاد فتك المجاعات كثيراً الى ان يعود عدد السكان الى القلة ولكنها اصلحت الري ووسائط النقل فخففت من فعل المجاعات بقدر ما زادت من عدد السكان فكانت النتيجة الاخيرة زيادة السكان من غير زيادة في فتك المجاعات

(١٧) تعميم التعليم

بغداد. يعقوب ميخا الشيخ. قرأنا لاحدهم مقالاً يقول فيهِ ان كثرة المدارس في البلاد يوقع بها الضرر حتى تصبح بضاعة العلم مزجاة. فما رأيكم في ذلك

ج يظهر من قول القائل "حتى تصبح بضاعة العلم مزجاة" انهُ يريد المدارس العالية فان كان هذا مرادهُ فكثرتها ضارة غير نافعة كما قال واذا اريد بالمدارس المدارس الابتدائية فيجب ان تكون كثيرة حتى يتعلم فيها كل الاولاد القراءة والكتابة ومبادىء العلوم. ويظهر لنا ان الاسلوب المتبع في بلاد سويسرا خير الاساليب التي يليق بنا الجري عليها في بلاد المشرق وهو ان يتعلم الاولاد كلهم جانباً من النهار او من السنة ويعملوا في الحقول او في الصنائع المختلفة الجانب الآخر من النهار او من السنة فيتربوا على العلم والعمل معاً وتقوى ابدانهم ولا تتولاهم السآمة التي تتولى اولاد المدارس الابتدائية عادةً

(١٨) منع سقوط الشعر

برمانا بلبنان. اسكندر افندي توما. ما الدواء لمنع سقوط الشعر وما سبب سقوطهِ

ج راجعوا ما كتبناهُ في باب تدبير المنزل في هذا الجزء تجدوا فيهِ ما تطلبون

(١٩) الاشباح المقلوبة

ومنهُ. لماذا لا نرى الاشباح مقلوبة مع ان عدسية العين تقلب صورتها

ج اختلف العلماء في تعليل ذلك فمن قائل ان القوة البصرية المدركة تدرك جهة الاشعة فاذا كان امامها رمح قائم ووقع سنانهُ على اسفل الشبكية وزجهُ على اعلاها ادرك المركز البصري ان التأثير الواقع على اعلى الشبكية وارد من اسفل الرمح والتأثير الواقع على اسفل الشبكية وارد من اعلى الرمح فيصلح المركز البصري ما حدث من الانقلاب في

صورة الرمح . وقيل بل اننا نرى كل شيء مقلوباً فتبقى النسبة واحدة بين الرمح وبين سائر الاشباح والظاهر ان هذا هو الرأي الصواب

---

(٢٠) جراثيم الطاعون

مصر . الشيخ مصباح الحامدي الطرابلسي بالازهر . يزعم الاطباء ان للطاعون جراثيم كغيره من الامراض المعدية بحيث لو انتشرت في قرية من القرى او بلدة من البلاد اصيب اهلها بالطاعون . وزعموا ايضاً ان اكثر ما تتراكم عليهِ تلك الجراثيم هو الصوف والحرير وبقية الثياب ولذلك اوجبوا التبخير على المنتقل من بلدة اصيب اهلها بهذا الداء الى بلدة خالية منهُ وضرب الحجر الصحي عليهِ في بقعة بعيدة عن تلك البلدة فهل عندهم ادلة عقلية يستندون عليها في دعواهم هذه

ج لما اكتشف العلماء جراثيم بعض الامراض المعدية خطر لهم ان الطاعون قد يكون لهُ جراثيم مثلها فصاروا يبحثون عن جراثيمهِ في اجسام المصابين وذلك بان تؤخذ مثلاً نقطة من طعنة وتربى في المرق او نحوهِ على اسلوب يميت كل الجراثيم المعروفة ويبقي الجراثيم غير المعروفة ثم تطعم الحيوانات الصغيرة بهذه الجراثيم فاذا لم تصب بالطاعون فالجراثيم غير جراثيم الطاعون واذا اصيبت بهِ فالجراثيم جراثيم الطاعون . اما القول بان هذه الجراثيم تتراكم على الصوف والحرير فلم نسمع احداً قال بهِ ولكن يظن بل يرجح ان المادة التي تخرج من دمامل المطعونين والمواد الاخرى التي تخرج من ابدانهم يكون فيها شيء من جراثيم الطاعون فاذا لصقت بثيابهم صارت الثياب حاملة للعدوى . ثم انهُ عُلم بالامتحان ان البخار السخن يميت الجراثيم المرضية كما يميت غيرها من الاجسام الحية الصغيرة فتبخر الثياب على هذا المبدإِ وعُلم ايضاً انهُ اذا وجدت جراثيم الطاعون في جسم انسان او على ثيابهِ لم يمضِ عليها زمن طويل حتى يظهر فعلها فيهِ فيضرب عليهِ الحجر الصحي مدة حتى اذا كانت موجودة ظهر فعلها والاَّ فلا

---

(٢١) مساحة كوريا وعدد سكانها

مصر احمد افندي علي . كم مساحة بلاد كوريا وكم عدد سكانها وما شكل حكومتها وسائر احوالها

ج مساحتها نحو ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها عشرة ملايين ونصف مليون اي اكثر قليلاً من سكان القطر المصري وكانت السيادة للصين عليها حتى سنة ١٨٩٤ وحينئذٍ تعرَّضت لها اليابان وطلبت ان تشاركها في السيادة على كوريا فابت الصين ذلك فاضطرتها اليابان الى الخروج منها . وقد حاولت روسيا الاستيلاء على كوريا او تقوية نفوذها فيها حتى يتغلب

على نفوذ اليابان لكن اليابان لا تسلم بذلك ولا هي عاجزة عن الاحتفاظ بحقوقها في تلك البلاد . وفي البلاد وزارة وثمانية وزراء وقراراتهم يصادق عليها امبراطور كوريا



معرض باريس

ارجأنا وصف معرض باريس الى ان نزوره ونراه مرأى العين فنصفهُ للقراء كما يتراءى لنا ونشفع الوصف بما يلزم من الصور والرسوم

التقريظ والانتقاد

لدينا كتب ومجلات حرية بالتقريظ والانتقاد نوفيها حقها من ذلك في الجزء التالي

العنصر المنير

اكتشف العالم بكرل منذ مدة ان عنصر الاورانيوم ينير من نفسهِ هو ومركباتهُ واشعة نورهِ ونورها تفعل بالالواح الفوتوغرافية ولو حُجزت عنها بحاجز غير شفاف . وتوجد هذه الخاصة في عنصر الراديوم وعنصر البلونيوم وهي فيهما اشد منها في الاورانيوم. وقد بحث السر وليم كروكس الكيماوي الشهير عن هذه الاشعة فوجد انها ليست صادرة من الاورانيوم نفسهِ لانها لا تصدر منهُ اذا كان نقياً جداً ولا من البلونيوم ولا من الراديوم بل هي من عنصر آخر غير معروف حتى الآن وهو مهتمٌ بالبحث عنهُ

تبخر المعادن

من المعلوم ان المعادن الثمينة كالفضة والذهب والبلاتين لا تذوب الاَّ على اعلى درجات الحرارة ولا تصير بخاراً الاَّ اذا زادت الحرارة على ذلك لكن السر روبرتس اوستن اثبت الآن بالامتحان انهُ اذا وُضع الرصاص فوق الذهب وأُحمي الذهب قليلاً الى درجة دون الدرجة التي يصهر عليها الرصاص استحال بعض الذهب بخاراً وامتزج بالرصاص . وعرض الذهب والرصاص لحرارة ٦٥ درجة بميزان فارنهيت مدة اربع سنوات فاستحال بعض الذهب بخاراً وامتزج بالرصاص. ويزيد تبخر الذهب بتقرب الرصاص منهُ ويقل بابعادهِ ولكنهُ لم يُتحن فعل هذه الحرارة بالذهب اذا لم يكن الرصاص قريباً منهُ

سكك اسيا الحديدية

في قارة اسيا الآن ما طولهُ ٣٠٠٠٠ ميل من السكك الحديدية ثلثاها في بلاد

الهند الانكليزية . وطول الطرق الحديدية في سيبيريا ٣٦٠٠ ميل وطول طرق اليابان الحديدية ٣١٠٠ ميل وفي تركيا ١٦٠٠ ميل وفي جاوى ١٠٠٠ ميل وفي بلاد الصين ٣٠٠ ميل وفي المستعمرات الفرنسوية ٢٥٠ ميلاً واذا تمت سكة الحديد من دمشق الى مكة المكرمة زادت سكك الحديد في تركيا الف ميل اخرى

الماس الاسود

الماس اصفى الجواهر واشدها تألقاً لكن منهُ نوعاً يكاد يكون اسود فاحماً يوجد في برازيل ويباع القيراط منهُ بنحو اربعة جنيهات وهو لا يستعمل في صوغ الحلى وترصيعها بل في ما هو انفع من ذلك في ثقب الصخور وحفر الآبار الارتوازية لانهُ كالماس الابيض الشفاف صلابةً بل قد يكون اصلب منهُ وقد وجدت جوهرة منهُ ثقلها ٩٧٥ قيراطاً بيعت بمئة الف فرنك

فصل توأمتين

ولد توأمتان متصلتان في بلاد برازيل مثل التوأمين السياميين المشهورين . وقد تمكن الاطباء الآن من فصلهما احداهما عن الاخرى في عاصمة البرازيل فبقيتا حيتين

استئصال البعوض

اهتمَّ ثلاثة من العلماء الايطاليين باستئصال البعوض من مدينة سساري في سردينيا فصبُّوا زيت البترول في المستنقعات التي حول المدينة فمات ما فيها من دود البعوض واطلقوا غاز الكلور حيث يكثر البعوض نفسهُ حتى تمكنوا من استئصالهِ كلهِ وقد حسبوا ان المدينة التي يبلغ سكانها خمسين الف نفس يمكن استئصال البعوض منها ومما حولها بنحو خمسين جنيهاً

الغذاء الكثيف

مع كل جندي من الجنود الانكليزية صندوق صغير فيهِ اربع اواقي من عصيدة الكوكوا واربع اواقي من خلاصة اللحم وهو مأمور ان لا يفتحهُ ويأكل ما فيهِ الاَّ عند الحاجة الشديدة فاذا اكلهُ اغناهُ عن الطعام ٣٦ ساعة

ترعة السويس

بلغ ايراد ترعة السويس في العام الماضي ٩٤٣١٧٥٠٥ فرنكات وكان في العام الذي قبلهُ ٨٧٩٠٦٢٥٥ فرنكاً فبلغت الزيادة في الايراد ٦٤١١٢٥٠ فرنكاً اكثرها من سفن التجارة والبريد . وبلغت النفقات العادية على العمل ٢٤٨٦٣١٦٦ فرنكاً وكانت في العام الماضي ٢٤٤٦٤٢٦٨ فرنكاً

وقد وُزع صافي الايراد على الاسهم المختلفة والفوائد والاستهلاك فاصاب السهم من الاسهم العادية ١١٦ فرنكاً و٤٨ سنتيماً والسهم من الاسهم المسترجعة ٩١ فرنكاً و٤٨

سنتيماً ومن اسهم المؤسسين ٥١ فرنكاً و٧٣ سنتيماً

وقد بلغت نفقات هذه الترعة حتى آخر السنة الماضية ٣٧٤ ٩٤٢ ٦٠٣ فرنكاً ومرَّ فيها في العام الماضي ٣٦٠٧ سفن صافي محمولها ٦٣٠ ٨٩٥ ٩ طناً

أفخر الغرف

الاميركيون متطرفون في كل شيء فكما نروي عنهم المغالاة في السخاء على المدارس والمكاتب ونحوها مما يفيد نوع الانسان حتى لقد يهب الواحد منهم مليون الجنيه صفقة واحدة نروي عنهم الآن المغالاة في الترف حتى لقد فاق احدهم ملوك الارض في غرفة نومهِ ولا غرابة في ذلك لان الترف في هذا العصر للاغنياء لا للملوك. والغرفة التي نشير اليها طولها ٧٦ قدماً وعرضها ٢٢ قدماً في دار رجل من اغنياء اميركا اسمهُ مرشند جدرانها مقطعة على الطرز المنسوب الى الملك لويس الخامس عشر ارض قطعها من المينا البيضاء ونقوشها مموهة بالذهب وقد بلغت نفقات الجدران ونقوشها ١٢٨٠٠ جنيه وعليها طرائق من المخمل الجنوي المطرَّز بالذهب نُسج لها في ليون المتر بثمانية جنيهات وبلغ ثمنها كلها ٢١٧٠ جنيهاً . وفي السقف نقوش بديعة صنعها صانع من باريس بلغ ما أُنفق عليها ٣٨٧٠ جنيهاً وعلى الشبابيك ستائر الستارة منها بالف وثمانمئة واربعين جنيهاً وتحتها فتراج ثمنهُ ٢٧٠ جنيهاً وفي الارض بساط ثمنهُ ٣٤٥٠ جنيهاً

واثمن ما في هذه الغرفة السرير والاثاث فالسرير من خشب الابنوس والعاج مرصع بالذهب قضى صناع فرنسا في عملهِ سنتين ونصف سنة وبلغ ما أُنفق عليهِ ٣٨ الف جنيه وفيهِ صفيحة من العاج مخرَّمة على اشكال بديعة دقيقة جدًّا بقي الصناع يعملون فيها سنةً ونصفاً وقد جُنَّ واحد منهم من دقة عملها . وفي اعلى السرير تاج أُريد عملهُ من قطعة واحدة من العاج ولكن بُحث في مخازن اوربا واميركا فلم توجد فيها قطعة كبيرة تكفي لعملهِ واراد مرشند ان لا يكون هذا التاج من قطعتين فبعث اناساً الى قلب افريقية يبحثون لهُ عن ناب كبير يكفي لعملهِ فوجدوهُ وبلغ ما انفق عليهِ اربعة آلاف جنيه

والخزانة التي تعلّق فيها الثياب بلغ ثمنها ٢٩٠٨٠ جنيهاً وبلغ ثمن طاولة اللبس ١٢٤٠٠ جنيه والمغسلة ٧٢٠٠ جنيه وجملة اثاث الغرفة بلغت قيمتها مئة الف جنيه هذا ماعدا مرآة ثمنها ٧٣٠ جنيهاً وموقداً ثمنهُ ١٢٣٠ جنيهاً وادوات الغسل وثمنها ٧١٠ جنيهات وزوائد اخرى يضيق المقام عن ذكرها

وبلغ كل ما انفقهُ على هذه الغرفة ١٩٣٧٤٠ جنيهاً اي نحو مئتي الف جنيه. هذه نهاية الترف وغاية الاسراف ولكن

إنفاق المال في هذا السبيل خير من خزنهِ في خزائن الحديد لانهُ يوزَّع على الوف من الصناع فينتفع بهِ كثيرون

القطن الاميركي

جاء في جريدة نيويورك الزراعية التجارية ان مساحة الارض المزروعة قطناً هذا العام في اميركا تبلغ ٢٤٦٢٥٩٤٤ فداناً وكانت في العام الماضي ٢٢٤٣٣٢٤٥ فالزيادة هذا العام عنها في العام الماضي ٩ وثلاثة ارباع في المئة ولكن زمام الزراعة في العام الماضي كان قليلاً وكان اكثر منهُ في العام الذي قبلهُ فقد كان حينئذٍ ٢٣١٧٥٠٠٠ فدان وفي الذي قبلهُ ٢٣٠٢٩٠٠٠ فدان وعليهِ فالزيادة هذا العام نحو مليون ونصف من الفدادين . ويظهر من مجموع الاستعلامات ان الموسم متأخر هذا العام عنهُ في الاعوام السالفة لان الزارعين تأخروا في الزرع ولان الامطار اخرت نمو الزرع ولكن ذلك لا يمنع ان يجود القطن اذا وافقهُ الهواء من الآن الى ان يتم طرحهُ

بيض الاوك

بيعت بالامس بيضة من بيض الاوك بثلث مئة جنيه لان هذا الطائر انقرض الآن من المسكونة فصارت بيوضهُ نادرة ولذلك يغالى بها الى هذا الحد . وهي اصغر من بيض النعام واكبر من بيض الفراخ الرومية ثقلها نحو اوقية وربع

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم هذا العام في مدينة بردفورد بين لندن وادنبرج من يوم الاربعاء في ٥ سبتمبر برئاسة السر وليم ترنر

تلامذة المدرسة الزراعية

نال الشهادة تسعة من تلامذة المدرسة الزراعية الخديوية فعين احدهم محمد افندي حسني ناظراً لتجارب الجمعية الزراعية الخديوية في الجيزة ومحمد افندي فهمي في تفتيش البرنس ابرهيم باشا حليم ببلبيس . ومحمد افندي توفيق في تفتيش القصر العالي بانياي البارود . وطلبت مصلحة الاراضي الاميرية اربعة فعينت علي افندي حسين في تفتيش السنطة ومحمد افندي مختار في تفتيش روينه وابرهيم افندي فهمي في تفتيش سخا وعبد المجيد افندي القمري في تفتيش بشبيش . وجُعل راتب كلٍ منهم ستة جنيهات مصرية في الشهر من اول يوليو وبقي اثنان وهما بركلي جواسيدى واسطاطي ايوانه غرضهما العمل في زراعتهما

وعسى ان تهتم الحكومة باستخدام هؤلاء الشبان لتعليم المبادي الزراعية في مدارسها الابتدائية بعدان يتمرنوا على الاعمال الزراعية في هذه التفاتيش سنتين او ثلاثاً وترضيهم بالرواتب الكافية لانها اذا اعطت القاضي ثلاثين او اربعين جنيهاً في الشهر وهو قد لا يفيد البلاد فائدة مالية تذكر فحريٌّ بها

ان تعطي مثل هذا الراتب لمعلم الزراعة الذي يعلم ابناء الفلاحين كيف يستغلّون من ارضهم اكثر الغلات باقل النفقات فيفيدون بلادهم وحكومتهم الوف الجنيهات ان لم نقل ملايين الجنيهات كل سنة

التلغراف الاثيري

خطب السر وليم بريس بالامس في مجمع المندسين الملكيين وذكر نتائج الكهربائية الحديثة واستطرد الى الكلام على التلغراف الاثيري فقال انهُ لم ينجح النجاح المنتظر لان لا فائدة تجارية منهُ. وكلام السر وليم بريس حجة في هذا الموضوع لانهُ من اشهر علماء الكهربائية ومن اول الباحثين عن ارسال الانباء البرقية من غير اسلاك معدنية. ويظهر لنا ان التلغراف الاثيري لا ينتشر استعمالهُ الاَّ اذا تحققت اماني الاستاذ نيقولا تسلا وصارت الكهربائية تجمع من الارض والهواء وترسل من غير موصلات

الزبرجدة الكبرى

وجدت بلورة من الزبرجد في الولايات المتحدة الاميركية ثقلها ٢٩٠٠ رطل مصري وبلورة اخرى ثقلها ٥٥٠٠ رطل وطولها متر و ١٥ سنتمترًا ووجدت بلورة من الجبس طولها متر و ٢٠ سنتمترًا وبلورة من سلكات الاليومنوم والليثيوم طولها نحو تسعة امتار

الاطباء من مدرسة باريس

خرج من مدرسة باريس في العام الماضي ٦٧١ طبيباً و ٤٨ قابلة و ٦٨ طبيب اسنان

علاج سرطان الشفة

كتب الدكتور ترونسك التمسوي في السجل الطبي الاميركي وصف طريقته في علاج سرطان الشفة بالزرنيخ وذلك انهُ يذيب جراماً من الحامض الزرنيخوس في ٧٥ جراماً من الالكحول الاثيلي و٧٥ جراماً من الماء المقطر وينظف السرطان جيدًا حتى يخرج منهُ جانب من الدم ثم يدهنهُ بمذوب الزرنيخ بفرشاة ويتركهُ من غير غطاء واذا لم يشعر المصاب بألم يعاد دهنهُ بهِ بعد خمس دقائق ويكرَّر ذلك مرة كل يوم الاَّ اذا حدثت اذيما حادة حول الاجزاء المصابة فيمتنع عن استعمال الزرنيخ حتى تزول ثم يعاد استعمالهُ الى ان يجف الجلد ويقشر من نفسهِ ويعاد العلاج ويزاد فيهِ مقدار الزرنيخ فيجعل جراماً والالكحول اربعين جراماً والماء اربعين. والمقالة مدرجة في ٢ يونيو من السجل الطبي فعسى الاطباء ان يراجعوها

البرتقال في اميركا

كان الاميركيون يجلبون البرتقال الى بلادهم من اسبانيا وغيرها من البلدان التي على سواحل بحر الروم . ومنذ ٢٥ سنة اخذوا

يزرعون البرتقال بكثرة وقد اتفقوا على زرعهِ حتى الآن نحو تسعة ملايين من الجنيهات وعندهم برتقال خالٍ من البزر زرعوهُ اولاً سنة ١٨٧٢ واخذوا يكثرون من زرعهِ سنة بعد سنة بالتطعيم والآن تقدَّر غلة الفدان المزروع من هذا البرتقال بثلاثمئة ريال في السنة

وقد ورد قطار منذ مدة من كليفورنيا الى شرقي اميركا وفيهِ ٥٩ مركبة كبيرة مشحونة كلها برتقالاً

بالون فون زبلن

يصنع الكونت فون زبلن بالونًا لم يصنع احد ما يدانيهِ جرماً وهو طويل دقيق كالقلم او كالسيكار طولهُ ٤١٦ قدماً وقطرهُ ٣٨ قدماً عوارضهُ كلها من معدن الاليومنوم الخفيف الوزن تغطى بنسيج من الحرير وفوقهُ مادة صمغية وداخلهُ مقسوم ١٧ قسماً في كل قسم منها كيس كبير من الغاز . وعلى جانبي البالون مجاذيف في شكل المراوح الكهربائية يدور الواحد منها ١١٠٠ دورة في الدقيقة

وينتظر ان يعلو هذا البالون في الجو مثل سائر البالونات ويسير في الهواء من مكان الى آخر كما تسير السفن البخارية في البحر . لكن السير في الهواء ليس بالامر السهل اذا ثارت فيهِ العواصف ولا تقدَّر لهذا البالون نجاحاً مهما برع صانعوهُ في صنعهِ الاَّ اذا لم يعبأُوا بانتقالهِ مع الهواء من مكان الى آخر خمسين او ستين ميلاً في الساعة ارادوا او لم يريدوا

آثار الفورم العلمية

يظهر من البحث في آثار الفورم برومية ان الزلازل كانت ترصد في حرم المريخ الذي كان فيهِ فقد كان فيهِ رماح معلقة تهتز بهزات الزلزلة وتؤثر على الحائط تأثيراً يدلُّ على اهتزازها. وكانت تبتدئ بالاهتزاز قبل حدوث الزلزلة او قبل وصولها اي عند اول حدوثها فيراها الرقباء وينذرون اهل المدينة فيلجأُون الى الفرار

الواقية من الترام

رأينا في جريدة السينتفك اميركان الصادرة في ٢ يونيو صورة آلة توصل بمقدم مركبات الترامواي الكهربائي فتلتقط ما يقع امامها من الناس والحيوانات وترفعهُ عن الارض وتحملهُ من غير ان ينالهُ ضرر . وهي مصنوعة من مفاصل متصلة بعضها ببعض حتى اذا التقطت شيئاً رفعتهُ عن الارض بمجرَّد ثقلهِ . وربما رسمنا هذه الآلة في الجزء التالي عسى ان تراها شركة الترامواي في مصر والاسكندرية فتعمل آلات مثلها لمركباتها

معمل كروب

انشئ معمل كروب الذي تعمل فيهِ المدافع ونحوها منذ سنة ١٨١٠ انشأَهُ جد كروب الحالي في مدينة اسن وكان عدد

سكانها حينئذٍ اربعة آلاف نفس فاتسع نطاقهُ رويدًا رويدًا واتسع نطاق المدينة باتساعهِ حتى بلغ عدد سكانها الآن ١٠٥٥٢٨ نفسًا . وفي المعمل وتوابعهِ من المناجم والمسابك ونحوها ٤١٧٥٠ نفسًا . ولهُ منجم حديد في اسبانيا تنقل الحجارة المعدنية منهُ الى البحر بسكة حديدية خاصة بالمعمل وتنقل من ثمَّ الى روتردام باربع سفن بخارية تخص المعمل ايضًا . والارض التي تجرَّب فيها المدافع يوضع الغرض فيها على ٧٢ الف قدم من المدفع اي ان طولها اكثر من اربعة عشر ميلاً

سكة حديد الحجاز

يراد ان تبتدئ هذه السكة من دمشق وتمرَّ بشبه جزيرة سينا الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وتصل الى جدة وتقدَّر نفقاتها على ما في جريدة التان بعشرة ملايين جنيه ويقوم باعمالها الهندسية المهندسون الحربيون في الجيش العثماني وسيوصى بعمل ٣٦ آلة قاطرة لها . وقد اخذت معامل نظارة الحربية العثمانية على نفسها ان تصنع ٥٠٠٠ متر من الخطوط الحديدية في اليوم . وقرّر ان تكون المحطات ٣٥

سبك الحديد

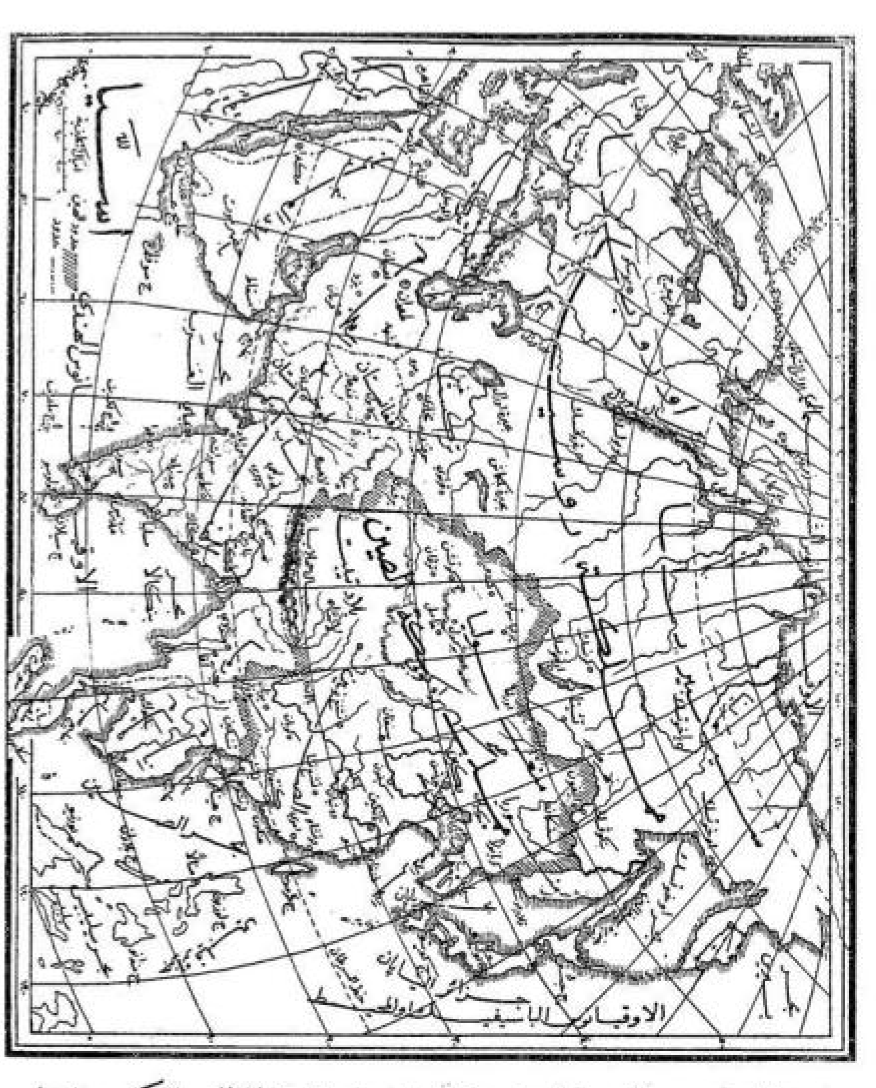
نشرت مجلة الكيمياء الاميركية فصلاً ذكرت فيهِ تقدم الكيمياء الصناعية مدة العام الماضي قالت فيهِ ان هذا العام شهد من التقدم في الاعمال الكيماوية الصناعية ما لم تشهدهُ الاعوام السالفة فلقد كان غاية ما يسبك في مسبك الحديد في اليوم من مئتي طن الى ثلثمئة منذ عامين اما الان فيسبك في المسبك ستمئة طن يوميًا ومنذ عشر سنوات لم يكن يسبك في المسبك اكثر من ١٠٠ الى ١٥٠ طنًا في اليوم

ثم ان مسابك الحديد في سكتلندا التي تحرق الفحم الحجري صارت تستخرج منهُ الامونيا وهي تحرقهُ . وعشر الامونيا التي استعملت في بلاد الانكليز في العام الماضي من هذه المسابك وهي ربح خارج عن العمل

ونجح سابكو الحديد خلال العام الماضي في استخدام خبث الحديد للملاط الذي يجمد تحت الماء وذلك بصبهِ في الماء حالاً حين خروجهِ من السبك فيتجزأ اجزاء صغيرة ويمزج بالجير فيغني عن سمنت بورتلند ويصير كبير الفائدة بعد ان كان السباكون يضيقون بهِ ذرعًا لا يعلمون اين يطرحونهُ

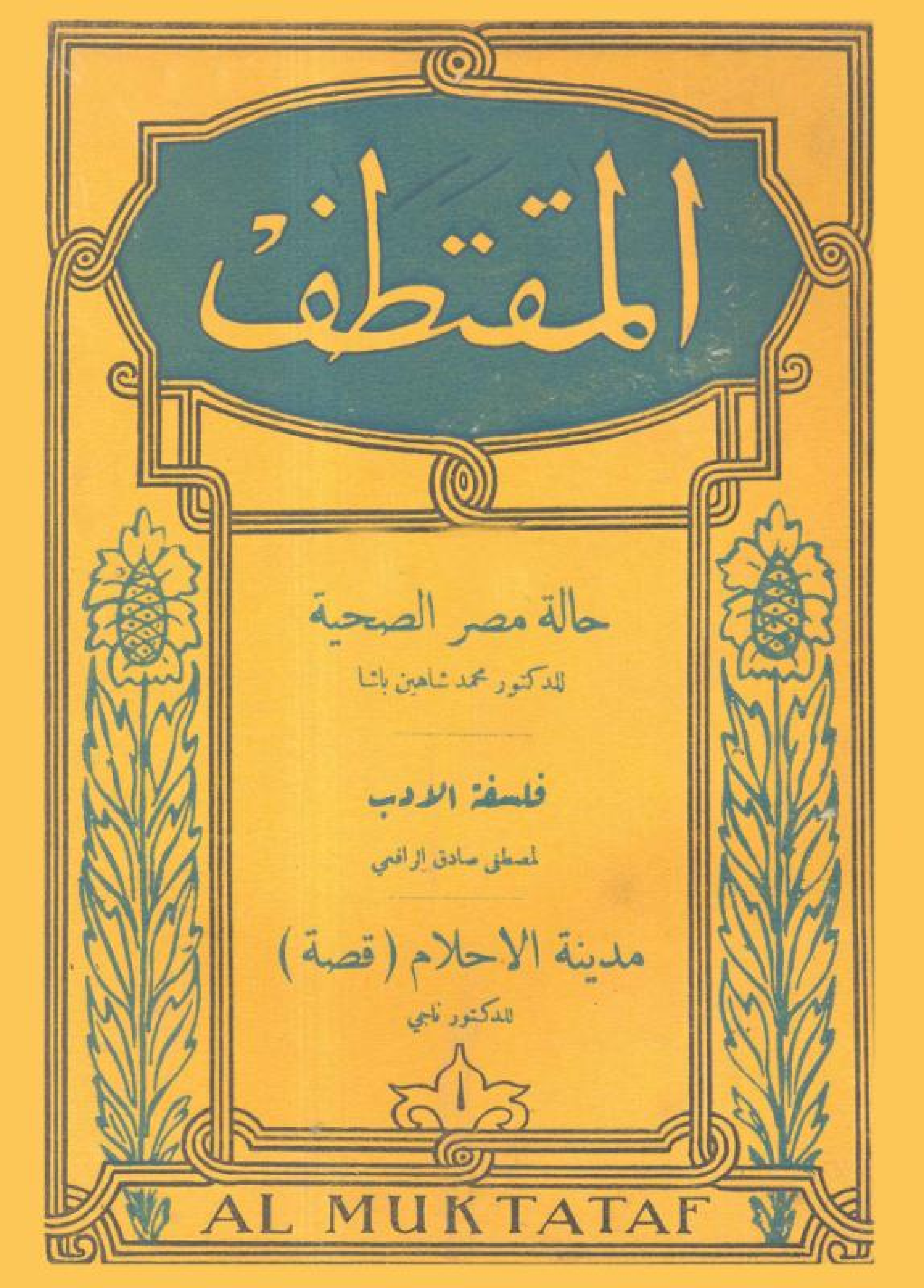
فيضان النيل

سار الفيضان سيرًا حسنًا فبلغ مقياس البحر الازرق في سنار ٣ امتار و ١٢ سنتمترًا في غرة يوليو وبلغ في الخرطوم مترًا و ٢٣ سنتمترًا وفي اصوان ذراعًا و ١٩ قيراطًا وفي القناطر الخيرية ١٣ مترًا و ٣٠ سنتمترًا



خريطة اسيا حسب التقسيم الحديث سنة ١٨٩٧ . وقد ظهر فيها الجانب الاكبر من اوربا وجانب صغير من افريقية . واحيطت مملكة الصين فيها بخطوط مائلة

فهرس الجزء الاول من المجلد الخامس والعشرين


المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
١
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٨

سلطانة الصين ومشاكلها

نشرنا في المجلد العشرين من المقتطف ترجمة كتابين بعث بهما ملك الصين الى الملك جورج الثالث ملك الانكليز سنة ١٧٩٣ خاطبهُ بهما كما يخاطب السيد عبدهُ والرئيس مرؤُسهُ كقوله " انك بعثت الينا رُسلاً يحملون خطابك الدال على خضوعك فقدموا الينا جزيتك الدالة على اخلاصك وفضضنا خطابك وقرأناه فوجدنا عبارتهُ تدلُّ على طاعتك لنا واحترامك لمقامنا ولذلك امرنا بقبولهِ " الى ان يقول " فقد ابلغناك ارادتنا وامرنا رجالك ان يعودوا حالاً الى بلادهم . ويحسن بك ايها الملك ان تبذل جهدك لتفهم مقاصدنا السلطانية وتنفي عزيمتك لتبرهن لنا على حسن ولائك واجتهد دائماً ان تكون خاضعاً لنا محترماً لمقامنا لكي يكون لمملكتك نصيبها من نعم السلام "

وختمنا الكلام حينئذٍ بقولنا " ان الانكليز لم يعرضوا عن سلطان الصين لانهُ جهل قدرهم بل بعثوا اليهِ وفداً بعد وفد ورسولاً بعد رسول ثم اروهُ مقدرتهم بقنابل المدافع سنة ١٨٤٠ ودخلوا عاصمتهُ عنوةً واضطروهُ ان يعطيهم جزيرة هونغ كونغ ويفتح موانيهُ لتجارتهم ويخاطب ملوكهم كما يخاطب المثيل مثيلهُ . وحاربوهُ مرةً اخرى سنة ١٨٥٨ واضطروهُ ان يقبل سفراءهم في عاصمتهِ ويسمح للاوربيين ان يسافروا في بلادهِ كيفما شاؤُوا . وحاول ان لا يفي شروط الصلح فحاربوهُ مرةً ثالثةً وفتحوا عاصمتهُ واضطروهُ الى امضائها "

ولما كانت هذه الحوادث مرتبطة بمشاكل الصين الحاضرة وكان لسلطانة الصين السلطانة شي الشأن الاكبر فيها رأينا ان نشبع الكلام عليها في هذا المقام فنقول

يتولى الملك في بلاد الصين الآن دولة منشورية الاصل اسمها دولة صنغ تغلبت على دولة

منغ القديمة سنة ١٦٤٤ والسلطان الحالي هو التاسع منها والسلطانة ثي التي لها الشأن الاكبر في الحوادث الجارية هي ام سلفهِ لا امهُ ولكنها تبنتهُ . وهي عجوز في السادسة والستين من عمرها لم تكن من بيت الملك ولكنها من الامة المنشورية التي تغلَّبت على بلاد الصين وملكتها منذ مئتين وخمسين سنة كما تقدَّم . وقد اختلف الكتَّاب في اصلها على روايتين الاولى ان اباها كان ضابطاً في شمالي الصين فاخنى عليهِ الدهر وعضهُ ناب الفقر حتى اضطرت ان تبيع نفسها امةً لكي يستعين ابوها



السلطانة ثي سلطانة الصين

بثمنها على حالهِ . وتعلمت القراءة والكتابة في بيت سيدها ورأَت ذات يوم منشوراً من سلطان الصين يدعو بهِ كل فتاة منشورية عمرها بين الخامسة عشرة والثامنة عشرة لتعرض نفسها عليهِ لان السلطانة زوجتهُ كانت عاقراً فاراد ان يتزوَّج باخرى ليولد لهُ نسل . فعرضت نفسها عليهِ مع غيرها من البنات ونالت الحظوة في عينيهِ فاقترن بها وجعلها زوجتهُ الثانية . هذه هي الرواية الاولى والرواية الثانية انها ابنة ضابط كبير من رؤَساء المنشوريين تعلمت وتهذبت في صغرها

ونالت الحظوة في عيني السلطان فاقترن بها بعد ان رأى زوجتهُ الاولى عاقراً كما تقدَّم. وكانت في السابعة عشرة من عمرها فولدت لهُ ولداً ذكراً جعلهُ ولي عهدهِ وعظمت منزلتها في عينيهِ لا سيما وانها عرفت كيف ترضي ضرتها زوجتهُ الاولى وتعيش معها على تمام الوئام. لكن ابى طمع الانسان بل ناموس الطبيعة القاضي على كل حي بالسعي والكسب ان يبقى الصينيون منقطعين عن سائر الممالك مستأثرين بخيرات ارضهم وثمار اعمالهم فسلط عليهم الانكليز والفرنسويين فاتوا تاكو سنة ١٨٦٠ وهدموا حصونها بمدافعهم وساروا الى بكين فهرب منها السلطان وزوجتهُ وولي عهدهِ وعمرهُ ست سنوات الى مدينةٍ حيث كان يقضي اوقات الانس بالصيد والقنص ودخلت الجنود الاوربية بكين ونهبت ما في قصر السلطان ثم احرقتهُ

قال الجنرال غوردون (باشا) وكان من الذين شاهدوا ذلك المنظر الفظيع . ان قائد الجنود الاوربية امر بحرق قصر الصيف وفيهِ من التحف والاثاث والرياش ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات. والصينيون ودعاه ولكن عظماءهم يكرهوننا ولا غرابة في ذلك بعد ان فعلنا ما فعلنا بقصر سلطانهم فان جمالهُ يفوق الوصف لا يرى امرؤٌ النار مضطرمة فيهِ الاَّ ويدمى فؤادهُ عليهِ فان فيهِ من بديع الصناعة وبدائع العمران ما تراهُ في قصر وندزور . وقد حطَّم الفرنسويون كل شيءٍ فيهِ ولم يبقوا ولم يذروا

وتوفي سلطان الصين سنة ١٨٦١ وعمر ولي عهدهِ سبع سنوات ولما حضرتهُ الوفاة اقام لهُ مجلساً من الاوصياء يتولى شؤُون المملكة الى ان يبلغ سن الرشد وعهد في تربيتهِ الى امهِ وضرتها . فلما رأت امهُ ان ادارة البلاد كلها اصبحت في يد هذا المجلس لم يرضها ذلك وكانت مقاليد البلاد في يد اخي زوجها البرنس كنغ قبلما اقام زوجها مجلس الاوصياء فتواطأت معهُ على التخلُّص من هذا المجلس والقت القبض على اعضائهِ بحجة إغفالهم بعض الرسوم في الاحتفال بجنازة زوجها فحكم عليهم بالقتل وصارت مقاليد البلاد في يدها ويد ضرتها. وبقي البرنس كنغ يدبر شؤُون السلطنة بمهارتهِ ودهائهِ ثلاث سنوات فافلحت في ايامهِ وعزي الفضل كلهُ اليهِ فلما رأت ذلك اوجست منهُ خيفةً فامرت بعزلهِ لانهُ قدر نفسهُ فوق قدرها فاعتزل طائعاً وللحال وقع الارتباك في ادارة البلاد حتى اضطرت ان ترجعهُ الى منصبهِ بعد خمسة اسابيع وردَّت اليهِ كل الخطط التي كان فيها ما عدا رئاسة الوزراء

ولما بلغ ابنها سن الرشد اختارت لهُ زوجةً من بنات الامراء فاتي ببنات المنشو كلهنَّ ومررنَ امامها رباعَ رباعَ ومع كل فتاة ورقة فيها اسمها وسنها فاذا اعجبتها واحدة منهنَّ سألتها بعض المسائل وكتبت جوابها عنها فابقاها الخصيان عندهم وصرفوا الباقيات ثم عُرض عليها

هؤلاء الفتيات المختارات ثانيةً وثالثة وهي تغربل منهن الى ان قرَّ قرارها على فتاة واحدة فاختارتها زوجةً لابنها واحتُفل باقترانهِ بها احتفالاً عظيماً وكان ذلك سنة ١٨٧٢ لكنهُ توفي سنة ١٨٧٥ ولا يعلم من امرهِ شيءٌ كثير . وكانت زوجتهُ حاملاً وتقضي شريعة الصين ان يُنتظر ما تلدهُ فان كان ذكرًا فهو السلطان وهي التي تكفلهُ وتكون نيابة الملك لها ولا يبقى شأن لجدتهِ وضرتها وان كان انثى تبنَّت لها ابناً فيكون السلطان وهي التي تكفلهُ وتكون لها نيابة الملك ايضاً لكن السلطانة شي داست شريعة البلاد واغضت عن كنتها قبلما تلد وتبنت ابن الامير تشن



البرنس كنغ الذي له الشان الاعظم في تاريخ الصين الحديث

اخي زوجها وعمرهُ اربع سنوات فبقيت النيابة في يدها ويد ضرتها والبرنس كنغ يدير شؤون البلاد الى سنة ١٨٨٤ وحينئذٍ عزلتاهُ ونصبتا مكانهُ الامير تشن ابا السلطان الصغير ويقال انهُ من الشعراء وبينهُ وبين السلطانة شي مطارحات شعرية لكنهُ ليس من رجال السياسة فاعتمدت السلطانة في ادارة الشؤون على الوزير لي هنغ تشنغ الداهية المشهور

ولما اشتدت المجاعة في ولاية شانسي نشرت هي وضرتها امرًا سلطانياً تقولان فيهِ انهما رأتا ثمن اللحم الذي يؤكل في قصرهما يبلغ مئة ريال كل يوم فعزمتا ان لا تأكلا لحماً ما دام

شعبها جائعاً وامرتنا ان تضاف المئة الريال ثمن اللحم الى اموال الاعانة التي تنفق على الجياع.
فكان لهذا الامر السلطاني اعظم وقع في النفوس. ثم ان السلطانة شي اختارت لتعليم الولد الذي تبنتهُ ليكون سلطاناً رجلاً مشهوراً بالعلم والحكمة وبُعد النظر في العواقب فرباهُ وهذبهُ وتوفيت السلطانة الاولى سنة ١٨٨١ فاستقلت السلطانة شي بالسلطة وحدها الى سنة ١٨٨٨ حينما بلغ السلطان الجديد سن الرشد فاختارت لهُ زوجة ونشرت امراً سلطانياً قالت فيهِ

امرٌ خاص من السلطانة الارملة

لقد تأهل السلطان لميراثهِ المجيد وهو يزيد رشداً يوماً فيوماً ولذلك لاق بهِ ان يختار لهُ زوجةً فاضلة تساعدهُ في شؤون بلاطهِ وتتولى ادارة خاصتهِ وتساعدهُ ليسير سيرةً صالحةً مستقيمةً لذلك جعلنا تتهونالا ابنة الجنرال كوي هسيانغ التي اخترناها لهُ زوجةً لاجل فضائلها سلطانة على الصين

وامرنا ايضاً ان تكون تتالا بنت تشنغ هسي وعمرها خمس عشرة سنةً زوجةً ثانيةً لهُ واختها تتالا وعمرها ثلاث عشرة سنة سرية لهُ من الدرجة الثانية

وقد اختلف الكتّاب كثيراً في اوصاف السلطانة شي فمدحها بعضهم حتى جعلها مجمع الفضائل وذمها البعض الآخر حتى جعلها قرارة الرذائل . والظاهر ان الصينيين لا يعبأون بالكذب فاذا اصاب احدهم خيراً منها مدحها على قدر ما تحتمل اللغة الصينية من الغلو في المدح واذا اصاب آخر ضيرٌ منها ذمها على قدر ما تحتملهُ لغتهُ من الذم. وكذلك الاوربيون الذين ينقلون عنهم يجارونهم غير محاذرين . الاَّ ان جمهورهم يقول انها تفوق نساء الصين علماً وادباً وانها تصوّر وتنظم الشعر الحسن وقد اهدت الى مدرسة هملن الكلية ستمئة مقطع من نظمها.

وكتب بعضهم في جريدة الورلد الاميركية سنة ١٨٨٨ يقول "انها مهيبة الطلعة تمشط شعرها وتعقصهُ بيدها بدبابيس من الذهب وهي مستقلة في رأيها لا تتقيد بآداب السلوك الصينية . تروض جسمها بالرماية داخل اسوار قصرها وتتمرّن على الملاكمة . اخبرني السفير دنبي انها تدرس كل المواضيع التي تعرض عليها وهي كثيرة الاشتغال جداً ومن رأيهِ ان التاريخ سيذكر اسمها مثل اعظم الملكات وهي التي رقّت الصين الى درجتها الحاضرة بين ممالك الارض"

وقد وصفها واحد رآها حديثاً فقال انها طويلة القامة معتدلة القوام سوداء الشعر والعينين سمراء الوجه قدماها في الشكل الطبيعي لم تصغرا كاقدام الصينيات لان بنات منشو لا يصغرن اقدامهنّ

ولما استقبلت نساء السفراء قبل الحوادث الاخيرة كتب سفير انكلترا يصف استقبالها لهنَّ فقال انها ابدت غاية الدعة والبشاشة واللواتي مضين الى القصر وهنَّ يحسبن انهنَّ

يلاقين امرأة متكبرة متعاظمة استغربن كثيراً ما وجدنهُ في جلالتها من اللطف والدعة ولين الجانب

ويقول خصومها انها مغرمة بالمال والمقامرة غدَّارة تقتل خصومها بالسم فلم تبقِ على خصم وانها قتلت ضرتها وكنتها. لكن الناظر في احوال الصين قبل ايامها وفي ايامها لا يستطيع ان يبخسها حقها من الاهتمام بترقية بلادها اكثر من كل مَن سلفها

وبلغ السلطان الحالي سن الرشد سنة ١٨٨٧ وسلَّم مقاليد الاحكام بالفعل سنة ١٨٨٩ فوقع الخلاف بينهُ وبينها لانهُ كان يحب الاستقلال عنها وهي قد شبت وشابت على ادارة الاحكام بيدها فشقَّ عليها ان تربي ولداً تحسبهُ برَّاً بها فتجدهُ عقوقاً. والظاهر من وصف السفراء لهُ انهُ نحيف البنية كثير الشغل يميل الى الاستبداد في الرأي ويشتغل بامور ليس من شأنهِ الاشتغال بها فيتعب نفسهُ على غير طائل مثل تعرضهِ لديوان الامتحان فان المناصب تعطى في بلاد الصين بعد امتحان دقيق فطلب مرةً اوراق الامتحان وبقي يطالعها ثلاثة ايام كاملة ثم عين درجات الممتحنين حسبما تراءى لهُ فرقَّى البعض الى اعلى المناصب وخفض البعض الى ادناها على ضد ما اقرَّت عليهِ لجنة الامتحان

ثم نشبت الحرب بين الصين واليابان ويقول البعض انها كانت برضى السلطانة شي وعلى غير رضاهُ ويقول غيرهم انها كانت برضاهُ وعلى غير رضاها فوقع الخلاف بينهما بسببها وقام حينئذٍ كنغ يو واي زعيم الاحرار في بلاد الصين وهو شاب من مدينة كنتون كان يعلّم فيها فقرأ تاريخ بطرس الاكبر قيصر الروس واعجب بهِ وخطر لهُ انهُ يمكن النهوض ببلاد الصين في سنوات قليلة كما نهضت بلاد الروس وكتب رسالةً في هذا الموضوع اطّلع عليها سلطان الصين فاعجب بها

وقد اشار هذا الرجل على السلطان ان يأمر وزراءهُ وكل الذين في مناصب عالية في بلاد الصين بان يمضوا الى المعابد ويحلفوا هناك الايمان المغلظة انهم يساعدونهُ في ترقية البلاد وادخال كل طرق الاصلاح اليها. ومن طرق الاصلاح هذه تنقيح قوانين الادارة كلها واقامة مجلس من الرجال الذين درسوا في اوربا او تعلموا الاساليب الاوربية لكي يساعد في اصلاح المملكة وتنظيم دوائر الحكومة على اسلوب دوائر الحكومة في اوربا واستخدام الاجانب فيها مشيرين ومساعدين. وتغيير نظام جباية الاموال فتصير اموال السلطنة كلها ترد الى خزينة الحكومة بدلاً من انفاق اموال كل ولاية فيها فيصير عند الحكومة مال كافٍ لتعبئة الجنود وتقوية الاساطيل وانشاء المدارس الحربية

وقرأ ولاة الصين هذه الرسالة فاستخفوا بها وقالوا لن نغير عادات اسلافنا واما السلطان فاعجب بها وعزم على الجري بموجبها واخذ من ساعتهِ يغير ويبدل ويعزل وينصب فعزل مرة خمسة آلاف موظف دفعةً واحدة ووظائف كثيرين منهم وراثية تقلدوها ابًا عن جدٍ . وامر ان ترسل اوامرهُ الى الولاة والحكام بالتلغراف . واطلق حرية الصحافة . واباح لكل احد ان يرفع اليهِ ظلامتهُ مباشرة وكانت الظلامات ترفع الى دواوين الحكومة المختلفة فتنتقل من ديوان الى ديوان ولا يصل منها شيءٌ الى الدواوين العليا

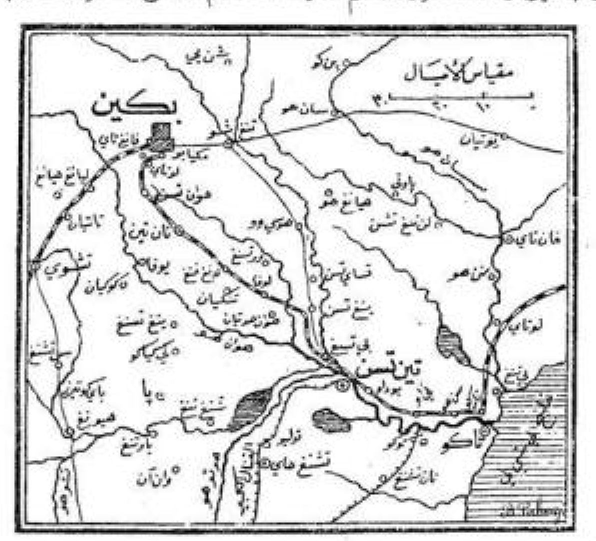
وكان في ديوان الشعائر الدينية كاتب صغير اسمهُ وان هش فلما رأى نجاح كنغ يو واي قدَّم عريضة الى السلطان طلب فيها مدةُ اصلاحات اخرى . فاغتاظ الوزراء والولاة من وقاحتهِ ووبخوهُ توبيخًا صارمًا اما الامبراطور فاصدر امرًا مدحهُ فيهِ على جسارتهِ وشجاعتهِ الادبية ورقاهُ الى منصب لم يكن يستطيع الارتقاء اليهِ الا بعد امتحانات كثيرة وعزل رئيسي مجلس الشعائر الدينية ونائبيهما وكثيرين من كبار الموظفين لانهم تجاسروا على حجز حرية غيرهم من رعاياهُ وقاوموا رغبتهُ في اصلاح بلادهِ

فلما رأى عظماء الصين ذلك من سلطانهم لجأوا الى السلطانة فامر بقتلها اما هي فجمعت حولها خواصها واكتنفت قصرهُ بفريق من الجند المخلصين لها واضطرتهُ ان يمضي امرًا ملكيًا في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ يقول فيهِ انهُ تنازل عن الملك لانهُ وجد نفسهُ غير كفوء لهُ ويتوسل اليها فيهِ ان تستلم زمام الاحكام بيدها . وللحال فرَّ بعض المصلحين وقُبض على البعض الآخر فقتلوا او نفوا وسُجن السلطان في قصرهِ ولكن بقيت الاوامر تصدر باسمهِ فباسمهِ سُلمت الصين كياو شاو وبورت ارثر ووايهاي واي ونحو ذلك مما جرَّ الى الويلات الحاضرة. وباسمهِ ايضًا صدر امر في الرابع والعشرين من شهر يناير الماضي يقول فيهِ انهُ لا يستطيع ان يخلف نسلاً وانهُ توسل الى السلطانة لتختار وريثًا للملك فاختارت پوتشنغ ابن البرنس توان وهو فتى في الرابعة عشرة. فنقم حزب الاصلاح عليها واخذ ينشر المنشورات ضدها وهي تصادرهُ بكل ما وصلت اليهِ يدها وعينت مئة الف ريال لمن يقتل زعيم الاصلاح كنغ يو واي ورفيقهُ لينغ شي شاو

وقابلها البرنس هنري لما ذهب الى بلاد الصين وهو اول اوربي رأى وجهها . ويقال انها هي التي قوَّت جمعية الملاكمين وغيرها من الجمعيات الوطنية المعادية للاجانب لكي يقوى بها حزبها على حزب الاصلاح وتطرد الاجانب من بلادها

والحوادث التي تلت ذلك معلومة عند القراء واهمها حرق البكسرس لمحطة سكة الحديد الممتدة من بكين الى تين تسن وحصرهم السفارات الاجنبية في بكين . واراد الاميرال سيمور

ان يمضي الى بكين لانقاذ السفراء فصُدَّ واضطرَّ ان يعود ادراجهُ . واطلقت حصون تاكو المدافع على بوارج الدول المتحدة فاصلتها هذه ناراً حامية دامت سبع ساعات فنسفت حصنين من حصونها وفتحت الحصنين الآخرين عنوةً . وقتل سفير المانيا في بكين وحرق رجالهُ دار نظارة الخارجية وقُتل مدير الجمارك وهو انكليزي . ووردت الاخبار ان السفراء كلهم قتلوا ثم كُذِّبت . وجرت معارك شديدة في تين تسن فدُمرت احياء الاجانب فيها ثم دمَّر الاجانب احياء الوطنيين واحتلوها . والظاهر ان الدول الاوربية ومعها اليابان والولايات المتحدة عازمة ان تصل الى باكين وتخمد الثورة وتسلم مقاليد الاحكام لاناس يحسنون ادارتها وتعزز نفوذها



قسم من بلاد الصين حيث مواقع القتال تظهر فيهِ العاصمة بكين ومدينة تين تسن وسكة الحديد بينهما ومدينة تاكو وغيرها من المدن الكثيرة

فيها . ولا يبعد انها تختلف عند اقتسام الغنيمة فتبقى الصين على ما هي عليهِ الى ان تُصلح شؤُونها بيدها او تُمزق وتقتسمها الدول . ويحتمل ايضاً ان ينجو السفراء وتتوسط الولايات المتحدة بين الصين وباقي الدول وتواسي الجرح على عثم

وقد صدَّرنا هذا الجزء بصورة قارة اسيا كلها حتى تظهر بلاد الصين فيها بالنسبة الى غيرها من البلدان

دقائق عربيَّة

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

ربَّما يعجب من هذا العنوان من يلتفت الى تلك الألوف المؤلَّفة من الكتب الموضوعة في علم العربية فيقول أنحن بعدُ في حاجةٍ الى فصول تُعقَد في علم لو أُريدَ بناء صروح من مختصراتهِ ومطوَّلاتهِ ومتوسطاتهِ ما أعوزت المريدَ المادَّة. ولو نُضِّد بعضها فوق بعضٍ لرأيت منها جبلاً توشك شَعَفاتهُ ان تمسَّ الغمام. قلت لكنهُ بعد ان يطلع ما اكتبهُ في هذا الفصل وفيما بعدهُ يعجب من خلوّ تلك الخزائن الحافلة عن كتاب يتصدَّى لذكر هاتيك الدقائق في مظانها ويعلم ان اعادة النظر في كل علم من العلوم تزيدهُ توسعةً ووضوحاً بما تستخرج من مقدَّماتهِ وتفسر من مبهماتهِ . فأحرِ بعلماء العصر ان ينهجوا هذا النهج فيتمُّوا الناقص ويبرزوا المدفون فهذا هو تقدُّم العلوم لا كثرة التآليف مع عدم التعرض لكشف غامض يحلّ المشكل

وبعدُ فانَّ في علم العربية من الدقائق واللطائف ما يخفى على عددٍ من الأُدباء والمتأدبين ومعضلات لا يهتدي الى حلها بل لا يدري بها غير اللبيب ممن تعلموا وعلَّموا وأنشأوا وعرَّبوا ونثروا ونظموا واشتغلوا بالكتابة ووقعوا في مضايقها وغشيتهم الظلمة في بعض طرقها ثمَّ طلع عليهم من تضاعيف كلام العلماء الاعلام ما يبيِّن تلك الدقائق ويرشد الى هاتيك اللطائف. ولما كنت ممن تيسر لهم ان يتمرَّنوا على الكتابة في بعض ما لم يضرب بينهُ وبين العقل الشرقي حجاب المنع عن البحث فيهِ والتوغل في ارجائهِ وفيافيهِ انفتح لي الباب فاجتنيت فوائد عزيزة من قراءة الكتب الممتعة التي قد يعثر المنشيء في تضاعيفها على كنوزٍ لا يصيبها ثمة الاَّ من اجرى قلمهُ في مضمار الانشاء والتعريب او كان كما قال الامام الزمخشري ممن " رجَعَ ورُجع اليهِ ورَدَّ ورُدَّ عليهِ " . وقد علَّقت تلك الدقائق في دفاترلي خشيةَ النسيان ومضى عليها شهور ومعلقها يكابد ما يكابدهُ من يخدم العلم في هذه الناحية حتى زارني احد الاخوان من اعلام كتَّاب الزمان ورآها على مرفع كتبي فاستحسن نشرها في مجلة كثيرة القرَّاء جوَّابة الاقطار بعيدة الاسفار ليعمَّ التنبه لها فهي وان كانت متداولة المآخذ لكنها مجهولة المواقع. فوعدتهُ ان أتخذ استحسانهُ امرًا وانشر مقالات في تلك الدقائق العربية والفوائد اللغوية في مجلة المقتطف التي انتشرت حتى كادت تطبق وجه المعمور . وما احسبها تتلكأ ان تحمل الى قرائها مثل هذه الجناة او تربأ بنفسها ان تنظم هذا المبحث في سلك مباحثها وهي من التوفر على خدمة العلم ما هي

الدقيقة الاولى

حقُّ الضمير ان يطابق مرجعهُ تذكيرًا وتأنيثًا وافرادًا وتثنية وجمعًا غير انهُ قد يبقى بلفظ المفرد مع تعدُّد ما يعود اليهِ تنزيلاً لكل ما قبلهُ منزلة المذكور او اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة كما جاء في سورة يوسف "ودخل معهُ السجن فتيان قال احدهما إني أراني أعصرُ خمرًا وقال الآخر إني أراني أحملُ فوق رأسي خبزًا تأكلُ الطيرُ منهُ نبئنا بتأويله" فالهاء من تأويلهِ راجعة الى ما قصَّا عليهِ . والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوهِ كأنهُ قيل نبئنا بتأويل ذلك . وفي سورة آل عمران "وهو مُطلع على كفرِ مَن كفر وايمان مَن آمن وهو مجازيهم عليهِ" يريد على ذلك وهو كثير في كلام العرب

الدقيقة الثانية

ان المثنى قد يُتبع بلفظة (اثنين) تعزيزًا لبيان ما قصدهُ المتكلم من ارادة التثنية كما يُتبع المفرد بكلمة واحدٍ لبيان قصد الافراد دون التثنية والجمع وان كان كلٌّ منهما يدلُّ على ذلك بصيغتهِ . ومنهُ في سورة النحل "قال الله لا تتخذوا الهين اثنين إنما هو إلهٌ واحد" قال السيد في حاشيتهِ على الكشاف ما نصهُ " فالاسم الحامل للتثنية دالٌّ عليها وكذلك المفرد فأُريد التنبيه لان احد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك أُريد الايقاظ لان الوحدانية هي المقصودة في قولهِ انما هو الهٌ واحدٌ ولو اقتصر على قولهِ انما هو الهٌ لأوهم ان المهمَّ اثبات الإلهية والغرض من الكلام ليس الاَّ الاثبات للوحدانية "

قلتُ فمن لا يتنبَّه للدقيقة في مثل هذا المقام ربما يرى من يقول مثلاً رأيت من بني تميم رجلين اثنين وليس هنا من بني قيس الاَّ رجلٌ واحدٌ جوابًا لمن يقول انك رأيت من التميميين جماعة وان هنا من بني قيس رجالاً يراهُ قد ارتكب التطويل وأتى بما ليس وراءهُ فائدة

الدقيقة الثالثة

قد تقرَّر عند الصرفيين وجوب تجريد المثنى والجمع السالم والملحق بهما عند النسبة من علامة التثنية والجمع فتقول في النسبة الى اثنين إثنيٌّ وفي النسبة الى عشرين عِشريٌّ الاَّ عند من اجرى المثنى مجرى حمدان اي الزمهُ الألف واعربهُ بالحركات ممنوعًا من الصرف واجرى الجمع السالم مجرى غسلين فينسب اليهما مع بقاء علامة التثنية والجمع. فلما كان الجري على هذه القاعدة موقعًا في اللبس ومخلاً بتأدية المقصود وكان الغرض من الكلام بيان المعنى عدل علماء العربية عنها الى لغة من ينسب الى المثنى والجمع على لفظهِ وان كانوا يعربونهما بالحروف. قال الصبان في حاشيتهِ في باب لا النافية للجنس ما نصهُ "فان كان مثنى نحو لا رجلين أو جمعًا نحو لا رجال

كانت محتملة لنفي الجنس ولنفي قيد الاثنينية او الجمعية" فقد نسب الى الاثنين على لفظهِ بدون تجريد. قلت وعلى هذا يخرَّج قول النصارى الصوم الاربعينيّ والنسخة السبعينية نسبة الى الاربعين والسبعين باثبات علامة الجمع خوف الالتباس عند حذفها بالمنسوب الى الاربعة والسبعة

الدقيقة الرابعة

قد تقرَّر عند النحاة ان الاسم يذكر اول مرة بلفظهِ واذا دعت الحال الى اعادتهِ أُضمر لهُ فرارًا من التكرار ما لم يكن ثمَّة ما يقضي بمخالفة الظاهر وربما كان للمتكلم عند الاضطرار الى اعادة ذكرهِ غرض لا يوصلهُ اليهِ التكرار ولا الاضمار فيذكر لهُ وصفًا يتكفل ببيان غرضهِ فيكون ذلك الوصف قائمًا مقام الضمير ومنهُ في سورة الكهف "ما كنتُ متخذًا المضلين عضدًا" فوضع المضلين موضع الضمير ذمًّا لهم بالاضلال وكان مقتضى السياق ان يقول متخذهم. ومنهُ ايضًا في سورة آل عمران "وأَنزلَ الفُرقانَ" قال السيد في جملة كلام لهُ هناك ما نصهُ "او كرَّر ذكر القرآن بما هو نعت لهُ ومدح من كونهِ فارقًا بين الحق والباطل وكان من مقتضى التركيب ان يقول وأنزلهُ". وهذا مستفيض في لغة الافرنج حتى ليخالهُ من خصائص لغتهم مَن قلَّ تصفحهُ للجيد من نثر العرب ونظامهم. ومما يمكن نظمهُ في هذا السلك بل يتجلى بذكرهِ الغرض المقصود قول خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة

عدلتُ الى فخرِ العشيرةِ والهوى ... اليهم وفي تعداد مجدهم شُغْلُ
الى هضْبةٍ من آل شيبانَ أشرفت ... لها الذروةُ العلياه والكاهلُ العَبْلُ
الى النفرِ البيضِ الأُلاه كأنهمُ ... صفائحُ يومَ الرَّوعِ أخلصها الصقْلُ
الى معدنِ العزِّ المؤيدِ والندى ... هُناكَ هُناكَ الفضلُ والخُلُق الجَزْلُ

فقد عدل عن الاضمار للعشيرة الى التعبير عنها بالهضبة وبالنفر البيض وبالمعدن وذلك للدلالة بكل منها على معنًى لا يبلغ اليهِ بالاضمار ولا بتكرار اللفظ. قال التبريزيّ "والمراد بجميع ما ذكر العشيرة وان اختلفت العبارات عنها"

الدقيقة الخامسة

يقول النحاة ان تعاطف النعوت المختلفة جائز ويمثلون لهُ بقول الشاعر

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليثِ الكتيبة في المزدَحَمْ

لكنهم لا يذكرون ما يترتب على ذلك التعاطف من الايماء الى كمال المنعوت في كل نعت منها. وقد ذكرهُ السيد في سورة الفرقان في تفسير "والله بصيرٌ بالعباد الذين يقولون إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين"

الدقيقة السادسة

قد تقرَّر عند النحاة ان كل ما دلَّ عليهِ دليل جاز حذفهُ الاَّ اذا تعلق بذكرهِ غرض لا يعلم مع الحذف فلا يحذف كما يعلم ذلك مما ذكرهُ الصبان في حاشيتهِ عند قول ابن مالك

وأفعـلٌ فعلاَنُ نحوُ أشِرِ ونحوُ صَدْيانَ ونحوُ الاجهرِ

وهذا كلامهُ بالحرف " انما اعاد لفظة نحو للدلالة على اختلاف النوع " قلت لعلَّ مرادهُ بتكرار لفظة نحو التنبيه على اختلاف النوع وان كان ذلك الاختلاف يُعرَف من تجرُّد الصيغ الثلاث فالاعادة هنا لازمة لتأدية هذا الغرض واما في نحو اكرم خادمَ زيدٍ وخادمَ عمرٍو فيمتنع الحذف لانهُ يوهم ان لكليهما خادماً واحداً والمراد ان لكل منهما خادماً فهناك خادمان لا خادم واما في مثل اقطع رأس زيدٍ وعمرٍو ففي الحذف ايجاز بلا لبسٍ

الدقيقة السابعة

انَّ عدم استيفاء كتب اللغة قد يوقع الخاصةَ في الأوهام فينكرون كل ما لا يجدون فيها ويخطئون من يستعملهُ. فاذا تناظر المخطئِ والمخطأُ كان الاوَّل كالرامح والثاني كالأعزل ذاك يحتجُّ بنصّ علماء اللغة وهذا لا حجة لهُ فيثبت عند الواقفين على المناظرة بل وعند المخطاِ ان الانتقاد واقع في كبد الصواب وبهذا القصور يتسبب في زرع الخطإِ ونشرهِ المكلفون بمحوهِ وقلعهِ. مثال ذلك ان البليغ عند كثير من الادباء مختصٌّ بمن لهُ بلاغة الكلام وهم غير ملومين في ذلك لاستنادهم الى ما وقفوا عليهِ من نصوص بعض المعجمات مع انهُ ليس بمختصٍّ بدليل ما ورد في الكشاف في تفسير سورة يوسف حيث يقول " الاستعصام بناء مبالغةٍ يدلُّ على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد " وبدليل ما جاء في تفسير " لو انزلنا من السماء ماءً طهوراً " من سورة الفرقان قال اي بليغاً في طهارتهِ . وكذلك البلاغة غير مختصة بالكلام كما يعلم من قولهِ في هذا الموضع " وعن أحمد بن يحيى هو (اي الطهور) ما كان طاهراً في نفسهِ مطهراً لغيرهِ فان كان ما قالهُ شرحاً لبلاغتهِ في الطهارة كان سديداً " ويعضد ذلك ما ورد في الاساس من قولهِ " ابلغت الى فلان فعلت بهِ ما بلغ بهِ الاذى والمكروه البليغ " . وقول ابن الاثير " والاصل فيهِ (اي البلغين) كأنهُ قيل خطبٌ بُلغ اي بليغٌ ثم جمع جمع السلامة ايذاناً بأنَّ الخطوب في شدَّة نكايتها بمنزلة العقلاء الذين لهم قصدٌ وتعمدٌ "

الدقيقة الثامنة

ليس في المتداول من كتب النحو ان الجملة الواقعة صفةً للنكرة تقترن بالواو . ورأيت في الكشاف ان الواو تدخل على الجملة الواقعة صفةً للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً من المعرفة

نقول جاءني رجل ومعهُ آخر وما أهلكنا من قريةٍ الاَّ ولها كتاب معلوم كما نقول مررت بزيد وفي يدهِ سيف. وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافهُ بها امرٌ ثابت مستقرٌ (الكشاف . سورة الكهف)

قلت من نظر الى ان الغرض من الحال بيان هيئة ما هو لهُ عند تعلّق الفعل بهِ اخذ برأي الجمهور ولا سيما وان سيبويهِ حكى من كلام العرب ما يدل على ان الحال قد تجيء عن النكرة بدون شيء من المسوّغات كقولهم مررتُ بماءٍ قعدةَ رجل . وأجاز فيها رجل قائماً وجاء في الحديث فصلى رسول الله صلى الله عليهِ وسلم وصلى وراءهُ رجالٌ قياماً . ومحصل الكلام انَّ الجملة في نحو جاء رجلٌ ومعهُ آخر حال عند الجمهور وكذلك الجملة الواقعة بعد الاَّ في "وما أهلكنا من قريةٍ الاَّ ولها كتابٌ معلومٌ" لما في الأُولى من بيان هيئة الرجل عند مجيئهِ وفي الثانية من بيان هيئة القرية عند اهلاكها . وصفة عند الزمخشري . والرأي هنا رأي الجمهور . وقد نقل الصبان في حاشيتهِ على شرح الاشموني على ألفية ابن مالك ما ورد في الكشاف لكن نقل من لاغرض لهُ الاَّ استقراء الآراء وجمع الاقوال بدون تعرُّضٍ للترجيح أو التخطئة. قلت ولا عجب فمن يطلع على بدائع صاحب الكشاف يصغر عند نفسهِ مهما عظمهُ الناس اللهمَّ الاَّ ان يكون مغترًا يحاول ان يثبت لنفسهِ الأفضلية على كل عالم

الدقيقة التاسعة

قال الفيومي في مادة أمَّ عاملنا امرأة واميرنا امرأة وفلانة وصيٌّ فلانٍ وفلانة وكيل فلانٍ . وانما ذكَّر لانهُ انما يكون في الرجال اكثر مما يكون في النساء فلما احتاجوا اليهِ في النساء أجروهُ على الاكثر في موضعهِ . وانت قائل مؤذِّن بني فلانٍ امرأة . وفلانةٌ شاهدٌ بكذا لأنَّ هذا يكثر في الرجال ويقلُّ في النساء . وفي القرآن الكريم "انها لاحدى الكبر نذيرًا للبشر وهو لاحدى" (المصباح)

الدقيقة العاشرة

من التراكيب الواردة عن العرب المستحبَّ الاحتذاء على مثالها قول عمرو بن كلثوم التغلبيّ

نزلتم منزلَ الاضياف منا فعجَّلنا القرى أن تشتمونا

وهو في تقدير فعلنا ذلك كراهة ان تشتمونا . ومثلهُ "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسول يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا بشيرٌ ولا نذيرٌ" والتقدير كراهة ان تقولوا

الدقيقة الحادية عشرة

يظن بعض الادباء ان اضافة الفعل الى الفاعل بمن غير واردة في كلام العرب ولقد رأيتها

اثناء تصفحي لبعض الكتب البليغة وذهبت تلك العبارات من ذاكرتي الأ عبارة الامام الزمخشري في المقالة الرابعة والاربعين من كتابهِ (اطواق الذهب في المواعظ والخطب) وهي " وما قولك في هناتٍ توجد منك وانت ذاهل "

وفي حاشية الصبان على شرح الاشموني ما نصهُ " قولهُ وما توفيقي الأ بالله استقبح اهل اللسان نسبة الفعل الى الفاعل بالباء لانهُ يوهم الآلة فلا يحسن ضربي بزيدٍ اذا كان زيد ضاربًا والحسن ضربي من زيدٍ وفاعل التوفيق هو الله تعالى فالحسن وما توفيقي الأ من الله

الدقيقة الثانية عشرة

قال صفيٌّ لي من اعيان الادباء ونخبة الكتّاب البلغاء ان خليلاً لهُ نبههُ الى ان استعمال (عن) بعد عوّض وعوِّض خطأ وعليهِ فعوّض عن كذا خطأ والصواب عوّض من كذا . والصحيح ان كلا الاستعمالين وارد في كلام من يوثق بهِ فهذا الاشموني يقول "هو اما عوض عن حرفٍ " بادخال عن على المعوّض منهُ وهو نفسهُ يقول في باب الاضافة من شرح الالفية "ويكون التنوين عوضاً من لفظ الجملة" وهذا ابن الناظم يقول في شرح الالفية "والتعويض عنها"وحسبك دليلاً على تعدية عوّض بعن قول احد الشعراء من قصيدة يمدح بها عبيد الله ابن العباس لاحسانهِ اليهِ بالف دينار مكافأةً لهُ على ذبح عنز لم يملك غيرها

فعوّضني عنها غنايَ ولم تكن تساوي عنزي غير خمس دراهمِ

كما رواهُ العينيُّ في شرح الشواهد

الدقيقة الثالثة عشرة

قد رأيت من أدباء العصر من ينكر ادخال فوق على حيث مع ان ذلك وارد في بعض اشعار الحماسة . ثمَّ ان حيث من الظروف التي قد تخرج عن الظرفية كقولهِ . لدى حيث ألقت رحلها امُّ قشعمِ وكقول الآخر

أبعدت من يومك الفرار فما جاوزت حيث انتهى بك القدرُ

يريد لدى مكان القت فيهِ رحلهاوجاوزت مكانًا انتهى بك القدرُ. فان كانت تخرج عن الظرفية كما قال النحاة فيكون قولهم وقف حيث كان الصبي صحيحاً لا غبار عليهِ وهو بمثابة قولك وقف فوق المكان الذي كان فيهِ الصبي

الدقيقة الرابعة عشرة

قد ورد في كتب النحو انهُ يجوز في المضارع بعد عسى خاصةً ان يرفع السببيُّ واستشهدوا لهُ بقول مالك بن الريب المازني وهو ممن هرب من الحجاج

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ' اذا نحن جاوزنا حفير زياد

على ان المبرّد رواه ' في الكامل " وماذا ترى الحجاج يبلغ جهده ' " وهو من ابيات لا بأس بروايتها

ان تنصفونا يا ال مروان نقترب اليكم والاَّ فأذنوا ببعادِ
فانَّ لنا عنكم مزاحاً ومرحلاً بعيسٍ الى ريح الفلاةِ صوادي
ففي الارض عن دار المذلة مذهبٌ وكلُّ بلادٍ أُوطنت كبلادي
وماذا ترى الحجاج يبلغ جهده ' اذا نحنُ جاوزنا حفير زيادِ
فلولا بنو مروان كان ابن يوسفٍ كما كان عبداً من عبيد ايادِ

فان لم يكن لهم الاَّ هذا الشاهد فأحرِ بهذا الاختصاص ان يسقط من اصلهِ

الدقيقة الخامسة عشرة

لم يذكر احدٌ من النحاة فيما وصل اليهِ اطلاعي ان اين تخرج عن الظرفية . وهذه كتب البلغاء من الاوائل والاواخر طافحة بمثل هذا التركيب رأيت فلاناً مسافراً فقلت له ' اين تريد قال أُريد الكوفة فهي هنا مفعول بهِ لا مفعول فيهِ قطعاً

الدقيقة السادسة عشرة

قد تقرَّر في كتب النحو ان حيث لا تجزم الاَّ ملحقةً بما وحينئذٍ تتعين للجزم فلا يقال اجلس حيثما تريد ويؤيد ذلك ما جاء في حاشية الصبان من قولهِ قيل وزيدت ما على اذ وحيث فرقاً بين حالة جزمهما وحالة عدمهِ. على ان من كتاب هذا الزمان من قد يسهو عن ذلك فيستعمل حيثما استعمال حيث فيند قلمهُ عن سُنة الفصاحة

الدقيقة السابعة عشرة

قال ابن مالك

واقرن بفا حتماً جواباً لو جُعِل شرطاً لان او غيرها لم ينجعل

استعمل انجعل ولم ينبه احدٌ من الشراح ولا المحشين على عدم ورودهِ . قلت وما ذلك الاَّ استناداً الى انَّ مثل الامام ابن مالك ثقة لا يرد استعمالهُ انجعل بخلو كتب اللغة منهُ

الدقيقة الثامنة عشرة

ان كما تتلق بكذلك على انها توكيدٌ لها كما ذكر ذلك الصبان على قول الاشموني " كما ان آلاءه ' تعالى لا تزال تتجدَّد في حقنا دائماً كذلك نحمده ' بمحامد لا تزال تتجدَّد "

الدقيقة التاسعة عشرة

انَّ من الادباء من ينكر استعمال كلمة (دائماً) ويقول يجب ابدالها بكلمة (ابداً) و يسند

ذلك الى انهُ لم يطلع عليها في كلام من يوثق بهِ وقد وردت في شعر ابي العلاء المعرّي وهو اعلى من أن يستعمل ما ليس منهُ على ثقةٍ قال في لزومهِ

كذبٌ يقال على المنابر دائماً أفلا يميدُ لما يقالُ المنبرُ

وعثرت عليها في كلام غيرهِ من اهل الاطلاع الواسع وارباب اللغة الفصحى على انها قليلة الورود في كلامهم بخلاف ابداً فهي مستعلية على ألسنتهم فاشية في كتبهم

اصل الوهابية

للكاتب البليغ محمد افندي كردعلي

لغطت ألسن الناس في هذه الايام باصل الوهابية وتاريخهم ومعتقدهم وتناقضت الروايات وكثرت التخرُّصات والقوم بين مفرط في التشيع لهم ومفرّط في التشنيع عليهم وودَّ الكثير لو كان في الايدي ما يستَند عليهِ لاستقراء الحقيقة واستجلاء الغامض من هذا السر. وما دعا الى ذلك الاَّ اختلاط المتمسكين بذاك المذهب مع اهل الامصار كالقطر العراقي المصري والشامي وغيرها من الاقاليم يتجرون بنتائج بلادهم من سمن وحنطة واباعر وشياه واوبار وجلود تجارة رائدها الصدق في التعامل مع الكافة مما ضاعف الثقة بهم على تطاول الايام. ولان اميرهم الحالي كالخالي اخذ يحسن صلاتهِ مع الدولة العلية العثمانية فينفذ كل عام الى الاستانة وفداً من قبلهِ يصحبهُ بعشرات من جياد الخيول العربية المطهمة هدية منهُ الى الاصطبل السلطاني ورسائل لتكون دلائل على اخلاصهِ وصداقتهِ فينال رجالهُ كل رعاية وتجلة وتنهال عليهم وعلى مولاهم انواع الاوسمة وعلائم الشرف كما تنثال الخلع والطرف

ولما كان من شأن المقتطف ان يبحث في كل جليل وقليل من احوال العلم والعالم وقد سبق لهُ ان تعرض لذكر كثير من المذاهب خصوصاً ما ينشأ منها في المشرق رأيت ان اخدمهُ بنبذة في تاريخ الوهابية فاقبلت على التواريخ الحديثة انشد فيها ضالتي فلم اعثر على بيان يشفي الغلة ويدرأ الشبهة جرى فيهِ كاتبهُ على قدم الصدق وتمحيص الحق واسند الاشياء الى ادلتها. ولما ضاق المضطرب وعز المطلب عمدت الى انتقاء نتف من كتب شتى ولفقت بينها على كثرة التناقض فيها ونواصي الامل معقودة بان يأخذ المطالع منها حصة تكون اقرب الى الحقيقة اذا استعمل الفكرة

ولا اتوخى في هذه العجالة الالمام بعقائد تلك الطائفة لتأتي صبرة واحدة فان كتبهم

المطبوع اكثرها في بلاد الهند تكفل بذلك لمن يروم الاستيفاء ولا ان اصف بلادهم واحوالهم وصف مدّاح متجامل او قداح متحامل بل غاية ما اتطاول اليهِ ذكر طرف من اخبارهم مشفوعة بصحة النقل والناقل لاتبعة تلحقهُ اذا خلصت منهُ النية

قال عبد الرحمن الجبرتي المصري في تاريخهِ عجائب الآثار في التراجم والاخبار عند حوادث سنة ١٢١٨ هجرية ما نصهُ . "وحضر صحبة الحجاج كثير من اهل مكة هروبًا من الوهابي ولغط الناس في خبرهِ واختلفوا فيهِ فمنهم من يجعلهُ خارجيًا وكافرًا وهم المكيون ومن تابعهم وصدّق اقوالهم . ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضهِ . وارسل الى شيخ الركب المغربي كتابًا ومعهُ اوراق تتضمن دعوتهُ وعقيدتهُ وصورتها " بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدِ الله فلا مضلَّ لهُ ومن يضلل فلا هادي لهُ . ونشهد ان لا اله الا الله وحدهُ لا شريك لهُ ونشهد ان محمدًا عبدهُ ورسولهُ من يطعِ الله ورسولهُ فقد رشد ومن يعصِ الله ورسولهُ فقد غوى ولا يضر الا نفسهُ ولن يضر الله شيئًا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليمًا كثيرًا . اما بعد فقد قال الله تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين . وقال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم . وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوهُ وما نهاكم عنهُ فانتهوا . وقال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينًا . فاخبر سبحانهُ انهُ اكمل الدين واتمهُ على لسان رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم وامرنا بلزوم ما انزل الينا من ربنا وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال تعالى اتبعوا ما أُنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونهِ اولياء قليلاً ما تذكرون . وقال تعالى وان هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوهُ ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيلهِ ذلكم وصاكم بهِ لعلكم تتقون

" والرسول صلى الله عليهِ وسلم قد اخبرنا بان امتهُ تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع . وثبت في الصحيحين وغيرهما عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموهُ قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن . واخبر في الحديث الآخر ان امتهُ ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على مثل ما انا عليهِ اليوم واصحابي

" اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت بهِ البلوى من حوادث الامور التي اعظمها الاشراك بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي

لا يقدر عليها الاّ رب الارض والسموات وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من انواع العبادة التي لا تصلح الاّ لله . وصرفُ شيءٍ من انواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لانهُ سبحانهُ وتعالى اغنى الاغنياء عن الشرك ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً كما قال تعالى فاعبد الله مخلصاً لهُ الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونهِ اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيهِ يختلفون ان الله لا يهدي من هو كاذب كفَّار . فاخبر سبحانهُ انهُ لا يرضى من الدين الاّ ما كان خالصاً لوجههِ واخبر ان المشركين يدعون الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى و يشفعوا لهم عندهُ واخبر انهُ لا يهدي من هو كاذب كفار . وقال تعالى و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانهُ وتعالى عما يشركون . فاخبر انهُ من جعل بينهُ وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم وذلك ان الشفاعة كلها لله كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عندهُ الاّ باذنهِ وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم وقال تعالى يومئذٍ لا تنفع الشفاعة الاّ من اذن لهُ الرحمن ورضي لهُ قولاً وهو سبحانهُ وتعالى لا يرضى الاّ التوحيد كما قال تعالى ولا يشفعون الاّ لمن ارتضى وهم من خشيتهِ مشفقون . فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الاّ من الله كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً وقال تعالى ولا تدعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلتَ فانك اذاً من الظالمين

" فاذا كان الرسول صلى الله عليهِ وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وآدم فمن دونهُ تحت لوائهِ لا يشفع الا باذن الله لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر لله ساجداً فيحمدهُ بمحامد يعلمهُ اياها ثم يقال ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ثم يحدُّ لهُ حدًّا فيدخلهم الجنة فكيف بغيرهِ من الانبياء والاولياء . وهذا الذي ذكرناهُ لا يخالف فيهِ احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليهِ السلف الصالح من الاصحاب والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهاجهم واما ما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها واسراجها والصلاة عندها واتخاذها اعياداً وجعل السدنة والنذور لها فكل ذلك من حوادث الامور التي اخبر بها النبي صلى الله عليهِ وسلم امتهُ وحذر منها كما في الحديث عنهُ صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من امتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان . وهو صلى الله عليهِ وسلم حمى جناب التوحيد اعظم

حماية وسد كل طريق يؤدي الى الشرك

" فنهى ان يجصص القبر وان يبنى عليهِ كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر وثبت فيهِ ايضاً انهُ بعث علياً بن ابي طالب رضي الله عنهُ وامرهُ ان لا يدع قبراً مشرفاً الا سواهُ ولا تمثالاً الا طمسهُ ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها اسست على معصية الرسول صلى الله عليهِ وسلم . فهذا هو الذي اوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الامر الى ان كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا واموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم وهو الذي ندعو الناس اليهِ ونقاتلهم عليهِ بعد ما نقيم عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسولهِ صلى الله عليهِ وسلم واجماع السلف الصالح من الامة ممتثلين لقولهِ سبحانهُ وتعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كلهُ لله . فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناهُ بالسيف والسنان كما قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيهِ بأس شديد ومنافع للناس . وندعو الناس الى اقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام . ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر كما قال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور

" فهذا هو الذي نعتقدهُ وندين الله بهِ فمن عمل بذلك فهو اخونا المسلم لهُ ما لنا وعليهِ ما علينا ونعتقد ايضاً ان امة محمد صلى الله عليهِ وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة وانهُ لا تزال طائفة من امتهِ على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم على ذلك اه "

قال الجبرتي بعد ايراد ما تقدم " اقول ان كان كذلك فهذا ما ندين الله بهِ نحن ايضاً وهو خلاصة لباب التوحيد وما علينا من المارقين والمتعصبين . وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابهِ اغاثة اللهفان والحافظ المقريزي في تجريد التوحيد والامام اليوسي في شرح الكبرى وشرح الحكم لابن عباد وكتاب جمع الفضائل وقمع الرذائل وكتاب مصائد الشيطان وغير ذلك "

وجاء في تاريخ بغداد لعثمان بن سند البصري عند الكلام على الوهابية ما يأتي : " فمن اعتقادهم تكفير عموم المسلمين الذين على الكرة الارضية الا من اعتقد اعتقادهم . وسموا انفسهم بالسلف وبالمحمديين و يبغضون ويلعنون جملة من علماء السنة مثل ابي الحسن الاشعري ويقولون انهم هم الذين اسسوا قواعد الادلة والبراهين في علم التوحيد ومنهُ نشأت الفرق والخلاف بين

الامة المحمدية والاَّ فقبله' كانت الادلة هي القرآن والحديث لا غير . وايضاً يكفرون الامام ابن السبكي الشافعي ولكن ما اعلم السبب في تكفيره دون سائر المصريين . وياليت شعري ما ذنبهُ معهم واظنهُ لكونهِ كان يغري الملوك بابن تيمية وجماعتهِ الحنابلة حتى حبسهم الناصر محمد بن قلاوون في الاسكندرية كما هو مذكور في الدرر الكامنة لابن حجر

" والحاصل ان الوهابيين آذوا الاحياء والاموات. ومن محاسن الوهابيين انهم اماتوا البدع ومحوها ومن محاسنهم انهم امنوا البلاد التي ملكوها وصار كما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده' على حمار بلا خفر خصوصاً بين الحرمين الشريفين ومنعوا غزو الاعراب بعضهم على بعض وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كانهم اخوان اولاد رجل واحد وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب الى ان عدم هذا الشر في زمان ابن سعود وانتقلت اخلاق العرب من التوحش الى الانسانية . وتجد في بعض الاراضي المخصبة هذا بيت عنزي وبجنبهِ بيت عتبي وبقربهِ بيت حربي وكلهم يرتعون كأنهم اخوان وبهاتين الدسيستين خدعوا جميع العوام يعني بمحو البدعة وتأمين الطرقات والسبل خصوصاً بين الحرمين واحبهم سائر الامم وغفلوا عن باقي عقائدهم . ورأيت لهم عقيدة منظومة يحفظها حتى رعاة غنمهم ومنها

وما الدين الاَّ ان تقام شعائر وتأمن سبْل بيننا وشعاب'

" فكأنهم جعلوا تأمين الطرقات ركناً من اركان الدين . ويفهم عقلاً من سياستهم انهُ اذا فقد القاتل والسارق والناهب فأي سبب يمنع عموم الناس من الاشتغال بالزراعة والتجارة واقتناء المواشي في البادية المخصبة للتكسب من البانها واصوافها وجلودها واذا اشتغلوا بالكسب الحلال فلا يسرقون ولا ينهبون ولا يقتلون فكأن المسئلة شبيهة بالدورية اي انهُ متى وُجد الامان ارتفع السارق والقاتل لاشتغالهم بمعاشهم الحلال ومتى اشتغلوا بالمعاش الحلال وُجد الامان ولكن هذا الدور منفك الجهة

" ولولا ما في الوهابيين من هذه النزعة اعني تكفير من عداهم لملكوا جميع بلاد الاسلام وادخلوهم تحت حكمهم بطوعهم واختيارهم ولكن بسبب هذه النزعة ابغضتهم الامم وتسلطت عليهم الدول وغزاهم اسد الديار المصرية ابرهيم باشا بن محمد علي باشا بامر السلطان محمود سنة ١٢٢٨ وملك بلادهم ومحا آثارهم وابادهم واسكن عائلة المقرن اي بيت الملك وعائلة بن عبد الوهاب الديار المصرية (وما رجعوا الى بلادهم الاَّ بعد ان عاد الحجاز الى الدولة العلية)

" وهذه الفرقة المعبر عنها بالوهابيين هم اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي ولكنهم في

الحقيقة يسمون اهل الحديث لانهُ كان نظيرهم موجوداً في زمن الدولة العباسية وينكرون المناكير بالشدة والغلظة مثل الوهابيين ويثورون على الخلفاء بسبب ان الجهاد في اعتقادهم ركن من اركان الدين — انظر تاريخ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة من سنة ٣٠٠ هجرية — وكانوا يسموهم الحنابلة واهل الحديث في ذلك الزمن ويقولون قام الحنابلة وثار الحنابلة وكسر الحنابلة حانات الخمور وادَّبوا من شربها وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب. ثم ثارت منهم فرق بالمشرق وبجزيرة الاندلس ويسمون الظاهرية وهم ايضاً اهل الحديث وكانوا ينكرون المناكير مع الغلظة ويثورون على الملوك واكثرهم يموت بين قتيل وطريد. ثم انهُ ظهر لهم فرق في دولة يوسف صلاح الدين وكانوا يسمون اهل الحديث ولهم ثورات وعداوات مع الملوك ايضاً وينكرون المنكر بغلظة وفظاظة وتسلسلوا الى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذهِ ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي. ثم ظهرت هذه الفرقة التي عمت وطمت في القرن الثاني عشر ويسمون بالوهابيين نسبةً الى محمد بن عبد الوهاب النجدي والاَّ ففي الحقيقة افعالهم وآثارهم هي افعال الحنابلة الاقدمين وهي افعال اهل الحديث في القرون المتوسطة وافعال الظاهرية فالمعنى واحد انما يسمون في كل عصر باسم على اصطلاح اهل ذلك العصر اه"

اما ناظم عقد هذه الجماعة وصاحب دعوتها محمد بن عبد الوهاب النجدي الآنف ذكرهُ فقد ورد في كتاب تبصرة الناقد لابي الفتح عبد النصير المندي ثم المدني نقلاً عن محمد بن ناصر الحازمي في رسالة فتح المنان في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الاخوان انهُ محمد بن الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن يزيد بن محمد بن يزيد بن مشرف. هذا هو المعروف من نسبهِ ويذكر انهُ من مُضَر ثم من بني تميم والله بهِ عليم. اخذ عن ابيهِ وهم بيت فقه حنابلة ثم حج وقصد المدينة ولقي بها شيخاً عالماً من اهل نجد اسمهُ عبد الله بن ابرهيم قد لقي ابا المواهب البعلي الدمشقي واخذ عنهُ وانتقل مع ابيهِ الى حريملا من نجد ايضاً ولما مات ابوهُ رجع الى العيينة واراد نشر الدعوة فرغب اهل العيينة بذلك ثم خرج عنها بسبب الى الدرعية واطاعهُ اميرها محمد بن سعود من آل مقرن. ويذكر انهم من بني حنيفة ثم من ربيعة والله اعلم. وهذا في حدود سنة تسع وخمسين بعد المائة والالف وانتشرت دعوتهُ في نجد وشرق بلاد العرب الى عمان ولم يخرج عنها الى الحجاز واليمن الاَّ في حدود المائتين والالف وتوفي سنة ست بعد المائتين والالف انتهى

وقال ايضاً " هو رجل عالم متبع الغالب عليهِ في نفسهِ الاتباع ورسائلهُ معروفة وفيها المقبول والمردود واشهر ما ينكر عليهِ خلصتان كبيرتان الاولى تكفير اهل الارض بمجرد تلفيقات لادليل

عليها والثانية الاجتراء على سفك الدم المعصوم بلا حجة واقامة برهان. وتتبع هذه جزئيات وهي حقيرة تغتفر مع صلاح الاصل وصحابه والله اعلم . وقد بنى الشيخ محمد المذكور طريقته على اتباع ابن تيمية وابن القيم في زعمه واخذ من اقوالها اطرافاً بحسب ما وقع له من الاطلاع والاشراف وقد اصاب في بعض ما نقله واخطأ في البعض وساء فهماً واخذ على غير القصد في بعض وقد احيت دعوته بعضاً من الشريعة واماتت كثيراً من الباطل في نجد والحجاز . رحمهُ الله وتجاوز عنهُ فيما اخطأ فيه وجزاهُ احسن ما عمل به " انتهى ملخصاً

وكتب العلامة الشوكاني اليماني في البدر الطالع في ترجمة سعود بن العزيز ما نصهُ : "فوصل اليه الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الاموات. وقال ايضاً في ترجمة غالب بن ساعد شريف مكة في بيان اتباع صاحب نجد وتبلغنا عنهم اخبار الله اعلم بصحتها من ذلك انهُ يستحل دم من استغاث بغير الله من نبي او ولي او غير ذلك. ولا ريب ان كان ذلك عن اعتقاد تأثير المستغاث به كتأثير الله يصير به صاحبهُ مرتداً كما يقع من كثير من هؤلاء المعتقدين للاموات الذين يسألونهم قضاء حوائجهم ويعوّلون عليهم زيادة على تعويلهم على الله سبحانهُ وتعالى ولا ينادون الله جلّ وعلا الاّ مقترناً باسمائهم ويخصونهم بالنداء منفردين عن الرب فهذا كفر لا شك فيه ولا شبهة وصاحبهُ اذا لم يتب كان حلال الدم والمال كسائر المرتدين . وقال وبعض الناس يزعم انهُ يعني صاحب نجد يعتقد اعتقاد الخوارج وما اظن ذلك صحيحاً فان صاحب نجد وجميع اتباعه يعملون بما يعلمونهُ من محمد بن عبد الوهاب وكان حنبلياً ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة فعاد الى نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم واضرابهما وهم من اشد الناس على معتقدي الاموات

" وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات اجاب على بعض اهل العلم وقد كاتبهُ وسألهُ بيان ما يعتقدهُ فرأيت جوابهُ مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة والله اعلم بحقيقة الحال . وبلغنا انهُ وصل الى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين . وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ارسل بهما الى حضرة مولانا الامام حفظهُ الله احدها يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الارشاد الى اخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعلهُ المعتقدون في القبور وهي رسائل جيدة مشحونة بادلة الكتاب والسنة . والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من الفقهاء المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ذاكروهُ في مسائل متعلقة باصول الدين وبجماعة من

الصحابة فاجاب عليها جوابات محررة مقررة محققة تدل على ان المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة . وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وابطل جميع ما دونوه لانهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزياً عليهم وعلى اهل صنعاء وصعدة وهكذا من تصدَّر ولم يعرف مقدار نفسهِ. انتهى ملخصاً

وقال القاضي العلاَّمة عبد الرحمن بن احمد البهكلي في كتاب نفح العود في ايام الشريف حمود "ومن كتب عبد العزيز بن سعود هذا الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد العزيز ابن سعود الى من يراه من اهل المخلاف السليماني خصوصاً اولاد الشريف حمود وناصر ويحيى وسائر اخوانهم واولاد اخوانهم وكذلك اشراف بني النعمي وكافة اشراف تهامة وفقنا الله واياهم الى سبيل الحق والهداية وجنبنا واياهم طريق الشرك والغواية وارشدنا واياهم الى اقتفاء آثار اهل العناية . اما بعد فالموجب لهذه الرسالة ان الشريف احمد بن حسين الفلقي قدم الينا فرأى ما نحن فيهِ وتحقق صحة ذلك لديهِ فبعد ذلك التمس منا ان نكتب لكم ما يزول بهِ الاشتباه فتعرفوا دين الاسلام الذي لا يقبل من احد سواهُ . فاعلموا رحمكم الله تعالى ان الله سبحانهُ ارسل محمدًا صلى الله عليهِ وسلم على فترة من الرسل فهدى بهِ الى الدين الكامل والشرع التام واعظم ذلك واكبره وزبدتهُ اخلاص العبادة لله لا شريك لهُ والنهي عن الشرك وذلك هو الذي خلق الله تعالى الخلق لاجلهِ ودلَّ الكتاب على فضلهِ كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الاَّ ليعبدون. وقال تعالى وما أُمروا الاَّ ليعبدوا الله مخلصين لهُ الدين واخلاص الدين هو صرف جميع العبادة لله تعالى وحدهُ لا شريك لهُ وذلك ان لا يدعى الاَّ الله ولا يُستغاث الاَّ بهِ ولا يذبح الاَّ لهُ ولا يخشى ولا يرجى سواهُ ولا يرهب ولا يرغب الاَّ فيما لديهِ ولا يُتوكَّل في جميع الامور الاَّ عليهِ وان كل ما هنالك لله تعالى لا يصلح شيءٌ منهُ لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا شيءٍ غيرهما. وهذا هو بعينهِ توحيد الالوهية الذي أُسس الاسلام عليهِ وانفرد بهِ المسلم عن الكافر وهو معنى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدًا عبدهُ ورسولهُ

"فلما منَّ الله تعالى علينا بمعرفة ذلك وعلمنا انهُ دين الرسل اتبعناهُ ودعونا الناس اليهِ والاَّ فنحن قبل ذلك على ما عليهِ غالب الناس من الشرك بالله تعالى من عبادة اهل القبور والاستغاثة بهم والاستعانة منهم والتقرب بالذبح لهم وطلب الحاجات منهم مع ما ينضمُّ الى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وا تكاب الامور المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الاسلام حتى اظهر الله الحق بعد خفائهِ واحيا اثرهُ بعد عفائهِ على يد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب احسن الله تعالى اليهِ في آخرتهِ والمآب فابرز ما هو الحق والصواب من كتاب الله المجيد الذي لا يأتيهِ

الباطل من بين يديهِ ولا من خلفهِ تنزيل من حكيم حميد الخ . ورسالة عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب التي كتبها حين فتح الحرمين الشريفين شاهدة عدل على انهُ بريء من تلك الافتراءات التي افتروها على عقائدهِ وعقائد ابيهِ وبنوا عليها تلك الزلازل والقلاقل وان مذهبهُ عين مذهب الائمة المحدثين والسلف الصالحين وتلك الرسالة منقولة في اتحاف النبلاء من شاء الاطلاع عليها فليرجع اليها "

وقال المستشرق سيديللو الفرنساوي في كتابهِ خلاصة تاريخ العرب ما نصهُ : " اخذت العرب من ابتداء القرن الثامن عشر في الاستقلال بالحكم لقوتها وضعف اعدائها ولم تنقص الاَّ اتخاذ مركز تجتمع حولهُ جميع الاذهان وترجع اليهِ في تدبير الامور فهمَّت الوهابية سنة ١٧٤٩ ميلادية فاتخذت منها عبد الوهاب مركزًا وهو من قبيلة تميم اشتغل في صغرهِ بالعلوم المعتادة عند العرب خصوصاً الفقه وسافر الى بغداد والبصرة وبلاد الفرس ثم اخذ يتفكر فيما يثير الحمية في ابناء وطنهِ فوجدهُ احياء الشريعة نقية من جميع البدع كحالتها الاولية فالزمهم المواظبة على العمل بالقرآن ونهاهم عن الغلوّ في تعظيم النبي (صلى الله عليهِ وسلم) وعن تقديس الاولياء الذين هدم قبورهم وعن تعاطي المسكر وانكر على الاتراك بعض الاحوال وقال ان الشريعة تقضي ان يخرج كل انسان خمس اموالهِ (كذا) زكاة وتحرم الزينة وتلزم القضاة بتحري الصدق " واخذ يعظهم بخطب عظم تأثيرها لديهم بموافقتها القرآن ومقصودهُ من ذلك استمالتهم الى الامور الحربية ليحيوا ما كان لآبائهم من العظمة وقد كان فان اقوى جميع قبائل نجد وفدت عليهِ وانتظمت تحت لوائهِ فجعل محمد بن سعود من قبيلة مصالح قائد هؤلاء الوفود وزوج سعود ابنتهُ وقلدهُ الحكم السياسي على الوهابية لمعرفتهِ بالقوانين العسكرية

وقال احمد سعيد البغدادي في كتابهِ نديم الاديب : " اما حقيقة هذه الطائفة فانها حنبلية المذهب وجميع ما ذكر المؤرخون عنها من جهة الاعتقاد محرَّف وفيهِ تناقض كلي لمن اطلع عليهِ بتأمل لان غالب مؤرخي الشرقيين ينقلون عن الكتب الافرنجية فان كان المؤرخ المنقول عنهُ صاحب دراية وصادق الرواية تجد ان من يترجم كتابهُ يجعل الترجمة على قدر اللفظ فيضيع مزية الاصل وان كان المؤرخ غير صادق الرواية فمن باب اولى . " الى ان قال " ومن اراد ان يعرف جليًا اعتقاد هذه الطائفة فليطالع كتب مذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنهُ فانهُ مذهبهم "

اما بلاد نجد وحالتها الحاضرة فقد وصفها محمد بن سليم الشهابي المدني في رسالتهِ الرحلة الحجازية فقال : " انها ارض منبطحة سهلة يقل وجود الجبال فيها والمشهور فيها جبلان إيجا

وسلما وانها حسنة الهواء كثيرة الامطار والسيول وفي سفح جبل اجا مدينة تسمى بندر حائل مركز امراء نجد الآن وفيها صاحب المجد والجود الامير عبد العزيز بن الامير متعب بن عبد الله الرشيد وهي مسوَّرة ولها ثلاثة ابواب وبيوتها طبقة واحدة والقليل منها طبقتان مرتفعة البناء وفيها محال للقهوة مزينة داخل البيوت على عادة العرب وفيها قصر اميرها عبد العزيز المسمى ببرذان وهو كبير وهيئتهُ حسنة وفيهِ مصيف واسع جداً لتناول الضيوف فيهِ الطعام ويلي قصر الامير اصطبل لجياد الخيل خاصة بالامير وعمهِ واولاد عمهِ واتباعهِ وقرب من القصر دار عمهِ حمود العبيد الرشيد ويقابلهُ جهة اليمن منزل خازنهم سبهان السبهان وبين قصر الامير ودار عمهِ ودار الخازن ميدان كبير يسمى المسحب مبني احسن بناء معد للجلوس. وفي كل يوم يخرج صاحب الدولة الامير عبد العزيز في الساعة الاولى من النهار الى الساعة الرابعة فيجلس بجانبهِ عمهُ حمود العبيد ويليهِ القاضي وبين ايدي الامير كاتب الامارة ومقيد الحقوق ويقابل الامير في الجهة الثانية خازن الامير فتغص دكاك المسحب بكبار الاهالي والوافدين من المشايخ والضيفان ويجلس امام الامير رجالهُ وعبيدهُ جثاةً متكئين على مقابض سيوفهم ينظرون في وجه الامير منتظرين اوامرهُ. وعند ما يستقر الامير في الجلوس يمثل بين يديهِ اصحاب الدعاوي والخصومات فيحكم بينهم في الامور العرفية والسياسية واما ما يتعلق بالشرع فيرسلهم الى القاضي بجانبهِ فيحكم بينهم فيهِ ويردهم الى الامير والامير ينفذ احكام القاضي على موجب القرآن الشريف والاحاديث النبوية والاقوال الصحيحة فيقتص من القاتل ويقطع يد السارق ويقيم حد الرجم

" ولا يوجد في بلاد نجد شاهد زور البتة حتى لو سمع الامير بشاهد زور يجابهُ من اقصى نجد ويعزرهُ وينفيهِ وفي الساعة الرابعة ينفضُّ مجلس الحكم والقضاء ويدخل الامير قصرهُ وبعدها يدخل الضيوف والمحتاجون الى المضيف الواسع يتناولون الطعام وبعد هنيهة يخرج الامير الى مجلس لهُ في القصر فتدخل الضيوف ويشربون القهوة بحضرتهِ وكل من لهُ حاجة يقف امام الامير ويكبُّ عليهِ ويرفع رداءهُ على رأس الامير ورأسهِ ويذكر لهُ حاجتهُ في اذنهِ بكلام موجز مفيد حتى يتم كل من لهُ حاجة . وعادتهم بعد تناول القهوة ان يدوروا بمباخر عود الطيب في المجلس ثم ينهض الامير قائماً والحضور يتبعونهُ للصلاة في الجامع المقابل لقصرهِ مع الامام . وفي اوقات الصلاة يطوف مأمور من قبل الامير في الاسواق والشوارع فاذا وجد واحداً لم يحضر صلاة الجماعة يسلبهُ عمامتهُ ويجرهُ الى المسجد وعند خروج الامير من الصلاة يعرضهُ عليهِ فيؤدبهُ الامير لتركهِ الصلاة مع الجماعة

" وترى جميع اهل البلد والنازلين فيهِ متبارين على صلواتهم مع الامام في الجامع وهم في

غاية الذكاء والكمال والفصاحة العربية وحديثهم بينهم بالاحسان والتؤدة لا تسمع بينهم لغوًا ابدًا ولئن كان بقايا من عوائد العرب القديمة وسننها فهي عندهم . ولقد نزلتُ بين ظهرانيهم على عهد المرحوم الامير متعب ثلاثة اشهر ثم زرتهم مرتين فاكثر لما رأيت من انسانيتهم فامعنت النظر في احوالهم فلم اسمع في حائل حاضرة الامير صوت طبل ولا غناء مزمار ما خلا طبل الحرب في وقتهِ. واذا مات احدهم لا تسمع عويل اهلهِ وعيالهِ سوى حزن وبكاء ويدفنون موتاهم حال وفاتهم ولو مات الميت في الليل . ولاميرهم ايضاً مجلس آخر مثل الاول يجلس فيهِ من بعد العصر الى قرب الغروب وعند تحفزهِ للقيام ينادي منادٍ ثلاث مرات باعلى صوتهِ في المحبب : العشاء يا مفتاق يا محتاج ثم يقف ثانياً في السوق وينادي ثلاثاً مثل الاول فيبرع الجياع لتناول الطعام في مضيف اميرهم عقيب الضيوف الذين لا ينقطعون من منزل الامير كل يوم وليلة واقل ما يجتمع على مائدتهِ كل يوم اربعمائة نسمة او يزيدون

"وبلدة الامير المسماة بحائل محوطة بنخيل تسقى من آبار عمق واحدتها خمس عشرة قامة وماؤها عذب فرات وفيها بعض اشجار مثمرة وبناوحها في سفح جبل اجا قرية تدعى قفاد ذات عين ثرة تسقي النخيل والزروع . وحاضرة امير حائل تحيط بها من جهاتها الثلاث ارض سهلة ما عدا الجهة الرابعة حيث جبل اجا الذي يكثر فيهِ الربيع مسافة يومين وليلة وهي حمى جعلهُ الامير لخاصتهِ يربي فيها خيلهُ وهجنهُ وابلهُ ومواشيهُ . وفي محيط الحمى قرى رجال الامير وعلى بعد خمسة ايام من الحمى بلدة كبيرة خاضعة للامير تسمى عنيزة مسورة بسورين سور على نخيل يحيط بها وسور على البلدة وعلى مقربة منها مسيل ماء يجري في الغالب وعلى اطرافهِ نخيل كثير واكثر سكان البلدة تجار نجد واعيانها ويقابلها ايضاً بلدة كبيرة مسورة تسمى بريدة ولها قرى تابعة لها ونخيل كثير تدعى القصيم متصلة بالدرعية ومنها الى مدينة عظيمة تدعى العارض حيث تجد مساكن حكام نجد وامرائها آل سعود في ايام عدلهم ولما ظلموا ووصلوا الى مكة والمدينة وتجاوزوا الحجاز الى الشام ومنعوا الركب من الحج ثلاث سنين اذهب الله ريحهم وصار الحكم لآل الرشيد الذين هم في العدل الآن ومنهم الامير عبد العزيز بن متعب الرشيد

"اما القبائل التي يحكمها الامير المتفرقة في اقطار نجد من شمر فهي اربع قبائل ما عدا المنتفق في جزيرة بغداد وهو مستقل بنفسهِ وقبائلهُ واكثر قبائل عنيزة تحت طاعتهِ واغلب قبائل عتيبة وجانب من قبائل مطير وقبائل مسروح سكان نجد وقبائل بني سالم المتوطنين في نجد والشرارات وهتيم وغيرها من القبائل الكبيرة التي لم نطلع عليها وكلهم مطيعون لامرهِ ونهيهِ يتوقعون اشارتهُ . واذا بغت قبيلة على اخرى منهم او ارادت العصيان يربيهم ويقيم

العدل بينهم بالاحسان او بالسيف . وفي كل عام يأخذ منهم الزكاة وفقاً للشرع من خيولهم وابلهم واغنامهم ومواشيهم ونخيلهم وزروعهم ولا يستثني من ذلك الاَّ الخيل المعدة للحرب . والذي يجبيهِ من الزكاة على وفق الشرع يجمعهُ عندهُ فيفرق بعضهُ على المحاويج والفقراء ويصرف البقية في المآدب وعطايا قاصديهِ حتى لا يبقى على راس السنة منها شيء . ويبلغ ما تحت امره من النفوس التي عرفناها ما عدا ما لم نطلع عليهِ مائة وثمانين الفاً ونيفاً ومنهم ستون الف فارس يركبون الخيول العربية المطهمة ترى الخيل تحتهم كالاسود الضارية وهم على صهواتها كالعقبان شاكي السلاح تقرأ الشجاعة في اعينهم . وستون الف شجاع يركبون الهجن وستون الفاً رماة مشاة يترادفون احياناً مع اهل الهجن وقت الغزو"

هذا طرف مما عثرت عليهِ في تضاعيف كتب مطبوعة ومخطوطة لمؤلفين متباينين في المشارب متفرقين في المشارق والمغارب اثبتهُ على حالهِ ولم امسخ من لفظهِ ولا مآلهِ . ورأيت وسمعت كثيراً من مؤرخي الفرنجة وسياحهم تكلموا على هذا المذهب ومنهم المنصف والمجحف على ان المجحف منهم يفضل بمدقهِ امثال احمد جودت وعبد الرحمن شرف وايوب صبري وغيرهم من المؤرخين الذين اطلقوا مباشرةً الفاظ التكفير والتضليل على ابناء هذا المذهب ورموا الكلام على عواهنهِ واتهموهم في امانتهم ولذا اقتصرت على ايراد ما تقدم وتجافيت عن ترجمة اقوالهم لانها امليت بلسان التمويه لا بلسان التاريخ . وعلى ما قيل في عباراتهم يتعرف ما كتبهُ احمد زيني دحلان المكيُّ بعبارات مخزية مخجلة وقد رد عليهِ علماء الوهابية زاعمين ان الاحاديث التي ساقها في كتابهِ موضوعة بعد ظهورهم مطالبين القائل بها ببيان الكتب المأخوذة منها من اسفار المحدّثين المتقدمين والمتأخرين مطيلين اللسان على علماء ذاك العصر ناسبين لهم الافتراء على حضرة صاحب الرسالة عمداً ويا ليت هذا المكيّ بيَّن مآخذهُ ليخلص من المطعن فان المقام مقام جدال

واختلفت الاقوال في عدد المعتنقين لهذا المذهب في نجد ويقول شمس الدين سامي صاحب قاموس الاعلام ان عددهم قد يرقى الى ثلاثة ملايين نسمة في نجد . اما مسافة هذه الكورة فيقطعها الراكب على متون المطايا في عشرين يوماً عرضاً وثلاثين يوماً طولاً . واخبرني احد الثقات الاثبات ان دعوة الوهابية تنتشر في الهند خصوصاً في الاعوام الاخيرة وان لهم تاريخاً جليلاً في مجلدين الفهُ حسين بن غنام الاحسائي فيهِ من المواد ما لم اتمكن من الاطلاع عليهِ وعساني استجلب منهُ نسخة فاعود لاشباع القول عليهم كشفاً للحقيقة وإقناعاً للموافق المؤانس او المخالف المواس والله ولي التوفيق

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

لا يخفى ان حرب الصين مع اليابان منذ بضع سنوات هي التي خرقت سياج الصين وذهبت بهيبتها وكشفت عوارها للدول الغربية حتى طمعن منذ ذلك اليوم في الاستيلاء على ممالكها الواسعة وبعد ان كان هذا الامر حديثاً في الانفس وامنيةً في الخواطر اندرج في لف المقاصد المنوية والعزائم المعقودة وذلك لما ظهر من كون هذه السلطنة العظمى اشبه جداً بالطبل الذي يعظم في العين حجمهُ ويدوي الى بعيدٍ صوتهُ حتى اذا بعجهُ الانسان يبدو وجده اجوف فارغاً فتقلّص حجمهُ وانقطع صوتهُ. فتخمّر في رؤوس الاوربيين منذ حرب اليابان ادخال هذه البلاد في جدول الممالك الشرقية التي قضى عليها تأخرها في الحضارة ان تكون خاضعةً لسلطان اوربا وما زال الجهل عبداً للعلم والمتأخر تابعاً للمتقدم

وانما حال الى الآن دون مد الايدي الى جفنة الصين وتقاسم ما فيها بأصابعهِ منذ خرق ذلك الحجاب السماوي على يد اليابان تناظُر الدول وتجاذبها الحبل من كل جهة والزحام الواقع على حوض ابن السماء العذب كما هي الحال في كثير من الممالك الضعيفة الباقية على ملك اهلها. فجعلت كل دولة منهن خصوصاً الدولتان الكبيرتان اللتان في يدهما زمام المشرق واليهما خطام آسية اعني بهما انكلترا والروسية تجتهد في تخطيط "منطقة نفوذ" لنفسها في بلاد الصين يكون لها مهد مملكةٍ مستقبلة هنالك وسعى كل فريق في التأمن على نصيب وافٍ وشقص عريض من هذه التركة الكبرى يبرّد لهُ بطريق القسمة الشرعية بدون ان تدعو العجلة والتهافت فيما بين الورثة الى هز عوامل وتجريد سيوف. وهذا ما طوت الدول انفسها عليهِ ولا يزال مطويّ ضمائرها يؤخر من ابرازهِ الى حيز الوجود سكون الصين واستقامة امورها وتوفر اسباب ثباتها وتكشف اسوار منعتها ويعجل في ظهورهِ الى ميدان التحقيق تتابع فتنها وتفتق رتوقها وتفتح ابواب المداخلة في امورها وانهيار جوانب سياجها بعوامل الفتنة مما يطرّق عليها ويستدرج اقدام الاجانب اليها ويمكنهم من اراضيها وذلك انهُ كما كان الميكروب لا يعيش ولا ينمو الا في المباءات الصالحة لسكناهُ المترشحة لنزولهِ من تضاعيف الضعف وتجاويف الهزال كذلك النفوذ الاوربي لا ينبسط ولا ينتشر الا حيث وجد منتجعاً صالحاً لهُ من ضعف البلاد واختلال الادارة وسقوط دعائم الاحكام يشهد بذلك تاريخ دخول الاوربيين في كل مملكة دخلوها وصيروا اعزّة اهلها اذلة

ولما كان لا بدَّ لتلك المملكة الضعيفة التي تمكن منها النفوذ الاوربيّ من حركة رد فعل على يد الحزب الوطني فيها كان ذلك فاتحة المداخلة الفعليَّة فيجيء من باب اجهاز القوم على انفسهم بايديهم وذلك مثل فتنة البوكسر الحالية وليست هذه باول ثورة هناك على الاوربيين ولا تكون آخر ثورة بل ان فتنة التابينغ التي ابتدأت سنة ١٨٤٨ وانتشرت في تلك المملكة انتشاراً اوشكت أن تسقط بها الامبراطورية المالكة الآن كانت موجهة ضد الحكومة في الظاهر وضد الاجانب في الباطن ومقصدها تخليص الصين من ربقة النفوذ الاجنبي وتجديد شباب دولتها ولذلك حرصت الدول وقتئذٍ على محو آثار تلك الفئة ونصرت الحكومة عليها نصراً مؤزراً لا حباً بها بل بغضاً بتلك الفرقة الاصلاحية حال كون هؤلاء التابينغ كانوا متظاهرين بالهوادة الدينية والميل الى النصرانية وقد جعلوا التوراة في جملة كتبهم الدينية فلم ترأف دول اوربا بهم لذلك وآثرنَ الدنيا على الدين وايدنَ الدولة المنشورية في كرسيها. وما زالت منذ ذلك الحين تنعقد جمعيات سرية في الصين وتتألف عصائب مرماها اماطة نفوذ الاوربيين وكشف سلطتهم عن اطراف تلك المملكة وكان كلما زاد نفوذ الدول ورسخت اقدامها في البلاد واحتلّت من هنا بلداً واقتطعت من هناك ثغراً ازدادت كراهية الصينيين لوطأتهم ونفورهم من جوارهم وما قام قائم البوكسر هذه المرة الا وقد بلغت ارواح الصينيين الحناجر ورأوا ان قد احيط بهم ومالت دعامة ملكهم الى السقوط وساعدهم في ذلك استعداد الامبراطورة "تسوهسي" التي حاولت احياء روح العصبية الصينية وزرعت بذار العداوة والبغضاء للاوربيين فلم تعتم ان استغلّت الفتنة وحملت على حصد رؤوس الشر. وقامت اوربا تدافع عن بنيها المتفرقين في تلك الاقطار وهي ترى في هذه الفتنة حركة معنوية مهمة وتتوجس من ورائها شراً مستطيراً وكانت تهمُّ بنجز الموعود وتقضي على الصين قضاءها لولا ما تخشاهُ من الوقوع في شر اعظم هو تضارب السياسات وتصادم المصالح وبعد الكون على الصين يداً واحدة رجوع بعضها لمناصبة بعض تهارش السباع على الفريسة فقامت الدول الغربية مع دولة اليابان الشرقية بعمل مشترك لقمع ثورة البوكسر ولكن على حذر تام بعضها من بعض والكل يريدون حل المعضلة بالتي هي احسن

ولما كانت مملكة الصين من اغرب الممالك شكلاً واوسعها رقعة بل كانت اكثرها عدداً واقدمها تاريخاً وهي اهم ما طمحت اليه عين اوربي من الممالك الشرقية وكان جم غفير من المطالعين يحبون ان يعرفوا هل لاوربا امكان زائد من رقبة الصين والاحاطة بملكها او هو مطلب عنيد وعقبة صعبة لا يرجى صعودها الى الآن وهل ضعف الصين العسكريّ كافٍ في

انهيار جدارها وانتكاث حبلها او لها من ورائهِ قائمة اخرى ورابطة ثانية تمنع من انحلال هاتيك العصبية وهل اذا سقطت حكومة "بكين" سقط الوطن الصيني باسرهِ او بقيت هناك عصبية واقفة في وجه السطوة الاوربية مستقلة عنها باسباب راسخة متمكنة بواشجة عروقها ومرونة اعطافها مع الثبات ولين ملامسها مع المتانة او لم تبقَ عصبة ولا عصبية واضمحلَّ كل هذا. والحاصل هل الصين لقمة سائغة في مزدرد اوربا او هي عظم سمك في حلقومها لجئت بمجالتي هذه البحث عن الاسباب التي يبنى عليها افتراض موت هذه المملكة وتناط بها آمال الاوربيين في الفتح والاسباب التي بعكس الاولى تمسك من جرف الصين وتسد من ثغورها وتحرس على اهلها اجلها حسبما وصلتُ اليهِ بعد التحقيق والتمحيص والله تعالى من وراء العلم

اذا اشتدت العلة على مريض اخذ الاطباء في فحص جسمهِ خصوصاً الاعضاء الرئيسة منهُ ليعرفوا سليمها من مصابها فان وجدوا ان القلب مصاب بالتقهقر التاجي وان المعدة لا تفرز عصارتها جيدًا ولكن الرئة سليمة والحرارة غير عالية وسائر الاعضاء مؤديات وظائفها جيدًا او ان رأوا الرئة مصابة والحرارة عالية ولكن القلب سليم والمعدة جيدة وما اشبه ذلك مما تصرف منهُ مدة مقاومة ذلك الجسم للعلة الى ان تكون نجحت فيهِ العقاقير وازنوا بين دواعي الحياة وبواعث الموت فان رجحت الاولى ازدادت آمالهم في نجاة المريض وان رجحت الثانية اشتد خوفهم عليهِ . ونحن سنشرح العناصر الحية التي في باطن المملكة الصينية والاسباب التي بمثلها تقوم الدول وتستتب الامم وتستمر مريرتها ونبسط العلل التي في جوف الصين موهنة لجسمها مقصرة لحياتها معجلة للحكم بزوال امرها ولما كانت الصناعة من امهات العمران واركان بناء الامم وما اشتهر بهِ الصينيون من قديم الدهر فهي من احيى عناصرهم واسلم اعضائهم الرئيسة واكثرها تأدية لوظيفتها قدمناها على غيرها بالذكر فنقول

الصناعة في الصين

من المأثور ان الله قد انزل الحكمة على ادمغة اليونانيين والسنة العرب وايدي اهل الصين ومما اتفق عليهِ الجغرافيون والمؤرخون والسائحون ان الامة الصينية امة صناع اليد لا تبارى في الصناعة مرزوقة الحظ في هذه الجهة بل ربما عدها الكثيرون في مقدمة الامم الصناعية شرقًا وغربًا . ومن هذا الفريق ابن بطوطة الذي يقول في رحلتهِ "واهل الصين اعظم الامم احكامًا للصناعات واشدهم اتقانًا فيها وذلك مشهور من حالهم قد وصفهُ الناس في تصانيفهم فاطنبوا فيهِ" ووصفهم بمثل ذلك "ماركو بولو" الرحالة الايطالي الشهير ومن شدة ما اعجب بهِ من صنائعهم وسائر احوالهم نسبهُ اهل عصرهِ الى التعصب لهم ورموهُ بالكذب والمبالغة كما

رمى جماعتنا ابن بطوطة والحال ان الصينيين ايام ابن بطوطة وماركو بولو كانوا بلا شك سابقين كلَّ الامم في غايات التمدن وانما كان الذين لم يألفوا هذا العمران المستبحر معذورين في انكار ما يسمعونهُ من غاياتهِ خصوصاً اذا قرأُوا مثلاً عن مدينة (هانغتشو) او (كنساي) ان فيها مئة الف برج وستمائة الف بيت وثلاثة آلاف حمام واثني عشر الف جسر حجر تمر من تحت جميعها المراكب وعلى كل جسر منها حرس عشرة رجال وان الصناع والمهنة فيها منقسمة الى اثنتي عشرة فرقة كلّ فرقة تأوى الى اثني عشر الف بيت " وهي التي سماها ابن بطوطة (الخنساء) وقال ان مسيرتها ثلاثة ايام وقال اودوريك دوبوردنون انها اكبر مدينة في العالم وقد حققت الآثار اقوال هؤلاء المؤلفين وخاصت من شائبة التزيين والمبالغة ولا عجب بعد وصول العمران الى هذا الحد ان تكون الصناعات هناك زاهرة والاعمال اليدوية باهرة لان اتقان الصناعة انما يكون على قدر استبحار العمران وتأثل المدنية

وقد سبق الصينيون الناس الى غايات شتى منها الصناعة واكتشفوا كثيراً من اسرارها منذ قرون حتى ان جمًّا من الصنائع والاختراعات التي اطلّ عليها الاوربيون في اواخر القرون الوسطى واوائل القرون الحديثة كان معروفاً عند اهل الصين منذ مئين من السنين قبل ذلك العهد مثال ذلك صناعة الطبع التي ظن بعض الاوربيين انها من اختراعهم حال كون هذا الظن نشأ من جهلهم باحوال الاقاليم وعدم الوقوف على ما عند غيرهم اذ قد عثر المحققون على آثار في القرن السادس للمسيح تفيد ان الطباعة كانت معروفة عند الصينيين من قبل هذا التاريخ . قال بعض الافرنج " ولو كان الافرنج قرأُوا تواريخ الفرس لقرأُوا عن كيفية الطبع في كتاب رشيد الدين المؤلف في نواحي سنة ١٣١٠ " قلت ولو اتقن الافرنج معرفة تاريخ العرب كلهِ لعرفوا ان الطبع انتقل من الصين الى فارس ومنها ظهر في الاندلس القطعة العريقة في كل صناعة من بين بلاد الاسلام وقد قال صاحب الاحاطة في اخبار غرناطة في ترجمة ابي بكر القلوسي " ورفع للوزير الحكيم كتاباً في الخواص وصنعة الامدة وآلة طبع الكتاب " وجاء في كتاب الحلة السيراء لابن الابار القضاعي البلنسي عن بدر مولى الامير عبدالله انهُ " كان يكتب السجلات في دارهِ ثم يبعثها للطبع فتطبع وتخرج اليهِ فتبعث في العمال " . وكانوا يحفرون الخشب للطبع ومن آثار ذلك طابع كان تجار المرية يرسمون بهِ البضائع في نواحي سنة ٧٥٠ للهجرة . واما الصينيون فكانوا قد عرفوا الحفر في الخشب والحجر والنحاس والطبع بقطعها وفي اواسط القرن الحادي عشر للمسيح اخترع احدهم الحروف المعروفة اليوم من خزف ولكن لما كانت كتابة الصين كثيرة الاشارات والحركات كان من الصعب استعمال هذه الحروف

الثقالة الأ في الكتب العامية والجرائد التي تكتفي في املائها الحركات اليسيرة ومع هذا فقد اجتهد بعض الطباعين في طباعة كتب مهمة بالحروف الثقالة وافلحوا فجاءت غاية في الاتقان ولما عزم الامبراطور (كنغي) على طبع الستة آلاف كتاب التي طبعها امر بحفر لطبعها ٢٥٠ الف مثال من النحاس وكذلك الحروف التي في المطبعة السلطانية الآن يسمونها هناك لحسنها "الدرر المتناسقة"

وطالما كانت الصنائع في الصين لجًّا زاخرًا والمدنية فيها منبسطة الاطراف ولا علم لاهل اوربا بشيء من هذا حتى كشفهُ لهم بعض السياح ولكن لم تصلهم الاخبار الموثوقة عن الصين وصنائعهم وسائر احوالهم الا في اواخر القرن السابع عشر للمسيح بواسطة دعاة الديانة النصرانية وبترجمة بعض الكتب التي ترجمها عن الصيني "ستانسلاس جوليان" وغيرهُ. وقد وهب الله الصينيين حذقًا فطريًّا في العمل وانزل الحكمة على ايديهم والدقة على اناملهم واللباقة على معاصمهم وآتاهم سرعة الفهم وقيامًا على العمل فجاؤوا صناعًا ماهرين وعملة حاذقين وساعدهم على اتقان اعمالهم عدم تقسيمها عندهم كما هي مقسمة في اوربا فكل صورة او قطعة او آلة هي عندهم عمل صانع واحد يعمل جميع ما يلزم لها فالصانع هناك هو المصور والمركب والمرصع والملوّن والاعمال اكثرها افرادية ولذلك التزموا جميعًا دقة النظر وطاوعتهم اناملهم في اكثر الصناعات وانك تجد في كثير من ولايات الصين الفلاحين صنع الايدي يغزلون بايديهم اقطانهم ويحوكون اقمشتهم ويخيطون ثيابهم وهلمَّ جرًّا وانما كانت لهم البراعة الفائقة في عمل السلال والجوَن وضفر القصب على الاطلاق حتى من سلالهم ما يصب فيهِ السائل ويفرغ فيهِ الماء فيكون كقعبان الخشب او كآنية النحاس فتأمل

ومما امتاز بهِ الصينيون تحليل مركبات النحاس والرصاص والتوتيا والقصدير والزرنيخ والفضة والذهب ويسبكون منها ما شاؤوا آتين فيها بالفنون العجيبة وان الآنية التي يصنعونها لا تنظر في لونها ولمعانها ومائها وقد تصل بعض آنيتهم من الملاسة والسلاسة والصفاء والماء الى درجة تعجز سائر صناع الارض ولا يزالون يطرقونها حتى يكسبوها رنة لا توجد في سواها ولهم مهارة غريبة في التطريق فتجد خمسة قيون يطرقون جميعًا على دائرة واحدة طرقًا متناسبًا في القوة والايقاع حتى لا تفرق ذلك عن الموسيقى اصلاً

ومما فاقوا بهِ ايضًا ترصيع الخشب والعاج والحجارة الصلبة مما يسمى بالتنزيل فلهم في ذلك الدقائق المدهشة كذلك صنعة الورق التي اخترعوها هم فانهم سبقوا فيها الجميع وهم يعملون الكاغد انواعًا ومن هذه الانواع ما لا يعرف في اوربا ومع هذا فقد يؤثر الاوربيون الورق

الياباني او الكوري . اما الاصباغ فقد انحصرت الرئاسة فيها بالصينيين وكذلك لمزاولتهم استعمالها وتفننهم فيها ووجود اشجار في بلادهم لا توجد في سواها يعتصرون منها لهذه الاصباغ والالوان ما يجعل لها المزية على غيرها. وقد يتحلب من عصارات بعض هذه الاشجار مواد سامة قتالة تجعل الخطر على الماهنين في تعاطيها بل في اشتمام روائحها فيلتزمون استعمالها بغاية الدقة والحذر . وبالاجمال فان كثيراً من سر هذه الاصباغ لا يزال مجهولاً عند الغربيين

اما كيفية استخراجهم للحديد وقينهِ عندهم فقريب من طريقة اهل اوربا واما الفولاذ (الصلب) فالصيني منهُ يفضل على الانكليزي ولكنهم لم يباروا الاوربيين الى الآن في استخراج الفحم الحجري مع ان بلاد الصين من اغنى بلاد الله بمعادنهِ ولا يظن وجود معدن للفحم الحجري في الدنيا ايسر تناولاً من معدن شانسي وقد قال (فون ريشتوفن) ان في جنوبي شانسي من الفحم ما يكفي العالم آلافاً من السنين. غير ان طريقة استخراجهِ لا تزال صينية محضة الاَّ ما كان في معادن فرموزا ومنشوريا وبشيشلي فقد اتبعت فيهِ الاصول الاوربية الجديدة

والسبب في تجافي الصينيين غالباً عن استعمال الطرق الاوربية هو عجبهم بصنائعهم وبأوهم بانفسهم وكونهم لا يقرون للغربيين بالتقدم عليهم والحال ان تقدم العلم والصناعة في اوربا الى الحد الذي وصلا اليهِ لم يبقِ محلاً لكبرياء الصين وخيلائها الاَّ في قليل من الصناعات بل الصينيون انفسهم صاروا يحتذون امثلة الاوربيين في كثير من الاشغال. واهل (كنتون) في عمل الادوات والمواعين والساعات واسباب الرياش والفراش انما أخذوا عن الاوربيين والاميركيين فضلاً عن كون الغربيين هم اساتذة الآلات البخارية والمناسج . ومهما شدَّد الصينيون في حفظ اصولهم القديمة في العمل فلا غنى لهم عن تقليد الافرنجة في كثير من الاشياء نعم عندهم صناعات قديمة تستحيل فيها القوالب الجديدة لأنهم اخترعوا لها طرقاً هي من البساطة والسهولة بحيث لا يمكن ان تزداد تسهيلاً ومنها ما لم يقع عليهِ تغيير منذ اربعة آلاف سنة . قال بول شايبون في كتاب الصنائع القديمة والجديدة في الصين " ربما دثرت بعض هذه الصنائع القديمة بالمرة ولم يمكن تغيير اوضاعها وكيفيات عملها " وقد درست صنائع في الصين ولم يبقَ في امكان الصينيين ولا الافرنج تجديدها اذ كيف يتأتى تجديد صنعة الآنية المرصعة والخزف الشهير بالصيني المعروف في ديار الشام والمتنافس فيهِ بين الاقوام . قد جرَّب عمل ذلك كثير من صناع الغرب والشرق فغمض سرُّهُ عليهم ولم يفلحوا

ومما اتقنهُ الصينيون فن التصوير ولهم فيهِ سرعة خاطر زائدة وقد اشار الى ذلك ابن بطوطة منذ نحو خمسة قرون فقال : "واما التصوير فلا يجاريهم احد في احكامهِ من الروم ولا

من سواهم فان لهم فيهِ اقتداراً عظيماً ومن عجيب ما شاهدت لهم من ذلك اني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها الاَّ ورأيت صورتي وصور اصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الاسواق ولقد دخلت الى مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين ووصلت الى قصر السلطان مع اصحابي ونحن على زيّ العراقيين فلما عدت من القصر عشياً مررت بالسوق المذكورة فرأيت صورتي وصورة اصحابي منقوشة في كاغد قد الصقوهُ بالحائط فجعل كل واحد منا ينظر الى صورة صاحبهِ وهي لا تخطئ شيئاً من شبههِ. وذكر لي ان السلطان امرهم بذلك وانهم اتوا الى القصر ونحن فيهِ فجعلوا ينظرون الينا ويصوّرون صورنا ونحن لم نشعر بذلك وتلك عادة لهم في تصوير كل من يمرّ بهم وتنتهي حالهم في ذلك الى ان الغريب اذا فعل ما يوجب فرارهُ عنهم الى بلاد اخرى بعثوا صورتهُ الى تلك البلاد وبحثوا عنهُ فحيثما وجد شبه تلك الصورة أُخذ"

ولهم ملكة راسخة ايضاً في الوشي والرقم وهي صناعة (كنتون) التي هي من امهات مدنهم واحفلها بالاعمال اهلها ينسجون الحرير ويصقلون المنسوجات ويحفرون وينحتون ويرصعون وينزّلون في الخشب والعاج وغيرهما ويصنعون الزجاج والورق والسكر. قال (جوليان روشتوار) في كتابهِ "باكين وداخل الصين" انهُ سواءٌ بزهو الالوان او ببهاء النقوش او بدقة الشغل ليس لصناعات كنتون مثيل في الدنيا

وفي مدينة (هانغتيشو) وهي خنساء ابن بطوطة ستون الف عامل بالحرير فقط وفي مدينتي (هوتيشو) و (كياهين) مئة الف عامل بهذا الصنف وحدهِ والعملة عندهم يرضون بالاجرة القليلة فيومية الفاعل في باكين وشنغاي وكنتون من ٥٠ سنتياً الى فرنك واحد وعملة الحرير اوفر العملة اجرة ولكنها ليست بشيءٍ بالقياس الى اجرة العامل الغربي نعم ان الطعام في الصين ارخص منهُ في اوربا ولكن قلما تجد فاعلاً اجرتهُ تكفيهِ وفي اكثر المقاطعات غذاؤُهم الارز فقط ومع سوء غذائهم وصفرة الوانهم ونحول اجسامهم لهم قوة عضلية مهمة وعندهم صبر عجيب واذا جاؤُوا لجر الاثقال لم يكن الانكليز اوثق قدماً منهم بل في اواسط المملكة حيث تندر الانهر والبحيرات والطبوع (الانهر المحفورة) تجد جميع الاحمال على ظهور الرجال فتراهم صاعدين نازلين باوقار يضعف الاوربي ان يحملها في السهل

ولهذه المزايا في فعلة الصين صعبت مزاحمتهم وكاد يستحيل نجاح العامل الاوربي بجانب العامل الصيني في حرفة واحدة وقد اجتمعا مراراً والاوربي يأخذ اضعاف الصيني فأثرى الصيني من القليل ولم يكفِ الاوربي الكثير والتزم الفرار ولهذا تضايق اهل اميركا واستراليا من مهاجري الصين وكرهوهم واخيراً وضعوا الموانع في طريق مهاجرتهم وثقلوا عليهم الضرائب .

ولما لم يمنعهم ذلك عدلوا الى اعناتهم واهانتهم وربما ثاروا عليهم وذبحوهم وما زالوا يدافعونهم عن بلادهم وهم يندفقون عليها و يزاحمون فقراءها حتى اضطرت حكومة الولايات المتحدة ان تعقد وفاقاً مع حكومة الصين بمنع استقرار الصينيين في تلك الولايات وفي جزائر الفيليبين وضيقت عليهم حكومة هولنده في الجاوي فهي لا تأذن لهم في الاقامة الاَّ في محالّ معينة ولا تعاملهم الا بالعنف ومع كونهم سدّوا خللاً كثيراً وجعلوا مرفقاً كبيراً في غربي استراليا وفي مستعمرة سنقافورة الانكليزية فتجد القوم يكرهون جوارهم و يسعون في جلائهم وما ذاك الاَّ من صعوبة مباراتهم وان ليس للغربيين صبرهم ولا ثباتهم ولا قناعتهم ولا رضاهم من العيش بالادنى. ولرجال العمل عندهم جمعيات ونقابات كما في اوربا بل اكثر مما في اوربا ولهم خضوع تام لنقبائهم مما يسهل عليهم طرق النجاح والحاصل ان الصينيين وان اعوزهم الاقدام وعلو الهمم فعندهم الثبات والصبر بالصنائع وهم امة صناعية فطرةً وجبلةً ويبعد ان يغلبهم الاوربيون في هذه الشؤون او ان ينالوا معهم سبقاً. كنت اتحادث في هذا الامر مع حضرة عباس افندي البهائي رئيس الفرقة البابية وهو من العقل والعلم وسمو المدارك بالمقام الذي لا يخفى فقال لي: ان اخذ الاوربيين للصين بالسيف امر غير صعب المنال وانما كان مقصد الاوربيين في التملك خارج بلادهم الكسب والتجارة والعمل والكسب مع امة كالصين صعب اذ لا يمضي مدة بعد اخذ الاوربيين للصين حتى يأخذ الصينيون جميع ما بايدي الاجانب من الصنائع

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل السادس

اذا وقع القدر بطل الحذر . فان دوق بلامونت وزوجتهُ بذلا الجهد في وقاية ابنهما من المخاطر . وارسلا معهُ قائداً مجرَّباً لكي يدفع عنهُ كل مكروه لكن هذا القائد لم يكن معهُ في ساعة الحاجة اليهِ وارسلا معهُ طبيباً ماهراً لكي يحميهُ من عوادي الادواء و يعالجهُ اذا مرض لكنهُ جرح واعتلَّ جسمهُ في برية قفراء ولا طبيب معهُ ولا سبيل الى العلاج كأَن الانسان يفرُّ من المقدور والمقدور مدركهُ على حد ما قيل

طامنْ حشاك فان دهرك موقع بك ما تخاف من الامور وتكرهُ
واذا حذرت من الامور مقدراً وفررت منهُ فنحوهُ تتوجهُ

وقع تنكرد جريحًا في تلك القفار وجنود ابيهِ المعروفة بجنود الاعيان مغمدة سيوفها في ولادها لا تدري من امرهِ شيئًا. وانطرح على فراش المرض وليس من يداويهِ من اطباء بلادهِ قد يفارق الحياة الدنيا وليس معهُ رجل من رجال الدين يقوي ايمانهُ ويعزز معتقدهُ

قال الخادم فريمن لباروني بعد رجوعهِ من القدس اننا لم ندع احدًا من هؤلاء البرابرة يدنو من سيدنا الاَّ ذلك الشاب . فانتهرهُ ترومن وقال لهُ هذا برنس وقد قلتُ لك ذلك عشرين مرة واسمهُ هنا اميرًا ولهُ قصر يسكن فيهِ وقد طلب من سيدنا ان يزورهُ في قصرهِ

فقال فريمن نعم وقد اعتنى بسيدنا اشد الاعتناء كل هذه المدة ولم يفارقهُ لا ليلاً ولا نهارًا

فقال باروني نعم عرفت ذلك هلموا ندخل الخيمة ودخل فرأَى تنكرد ملقًى على ديوان مغطًى ببرنص من الحرير وهو اصفر الوجه جاحظ العينين

واسرَّ فريمن في اذن باروني قائلاً انهُ لم ينم من حين اصيب بالحمى . وقال ترومن نعم وكان يتكلم عن نفسهِ دائمًا في اليومين الاولين ولكنهُ استكان امس قليلاً

فدار باروني الى وراء تنكرد وجلس وجسَّ نبضهُ بيدهِ وهزَّ رأسهُ فقال لهُ فريمن أَتظن انهُ قُطع منهُ الرجاء وقال ترومن أَهكذا تنتهي حياة سيدنا بعد ان بلغ سن الرشد . فاشار اليهما باروني ليخرجا من الخيمة وجعل يفكر في ما يكون من امر الصيدوني اذا بلغهُ ان تنكرد جُرح ومات في القفر وكيف انهُ يغضي عنهُ (اي عن باروني) في المستقبل ولا يعود يشير على احد باستصحابهِ وقال في نفسهِ اواه لو كان عندنا شيء من الافيون حتى ننومهُ بهِ . ثم اخذ ينظر في وجههِ ورأَى على شفتيهِ شيئًا من الزبد فمسحهُ وقال انهُ كثير التفكر والتأمل ولعلهُ يفكر اكثر من الصيدوني فهو قوي الفكر ورقيق القلب بخلاف الصيدوني فانهُ قوي الفكر ولكنهُ قاسي القلب هؤلاء يسودون المسكونة كبار العقول قساة القلوب الذين لا يؤثر الحب ونحوهُ في قلوبهم اما هذا الشاب فانهُ كبير العقل ورقيق القلب . اواه لو امكنني ان اشفيهُ من هذا المرض

وكان باروني يفكر بهذه الامور وهو جالس على البساط بجانب الديوان الذي عليهِ فخر الدين ثم سمع واحدًا يناديهِ باسمهِ همسًا فالتفت واذا فخر الدين وراءهُ دخل وهو يختلس خطاهُ اختلاسًا فنهض واشار اليهِ فخر الدين ليخرج معهُ من الخيمة فخرج واذا بالفتاة التي أَتت من القدس مع القافلة فقال لهُ فخر الدين اني أَتيت بالسيدة حواء لترى سيدك لانها حكيم ماهر . فقالت حواء قد انفع شيئًا في هذا القفر . فقال باروني لم يبقَ في قوس الرجاء الاَّ منزع واحد . فقالت أَ إلى هذا الحد . فقال نعم وازيد . ففاضت الدموع من عيني فخر الدين وجعل

يتوسل اليها لكي تداويهُ وتشفيهُ وهي تضع اصبعها على شفتيها لكي يسكت ثم جعلت تتكلم مع باروني بصوت منخفض وازاحت سجف الخيمة ودخلت فرأت تنكرد منطرحاً على الديوان ووقعت عينهُ على عينها حالما دخلت فاحدق بها والظاهر انهُ لم يعرفها لانها كانت لابسة لبس بنات البدو ثم ادار عينيهِ عنها وجعل يصرخ ويقول الملائكة تحرسني الملائكة تحميني . واشتدَّ انزعاجهُ وحاول رفع يدهِ المجروحة لكن باروني كان قد دخل وجلس بجانبهِ وامسكها بيدهِ ومنعهُ من رفعها فعاد الى الكلام عن الملائكة . فقالت حواء في نفسها انت ملاك من الملائكة ثم التفتت الى باروني واشارت اليهِ ليخرج معها من الخيمة فخرجا وتبعهما فخر الدين وعيناهُ مغرورقتان بالدموع وجعل يعتذر لحواء عن بكائهِ بانهُ مسيحي رقيق القلب فقالت لهُ يا حبذا ولو كنتَ كذلك ما وصل احد منا الى هنا . ثم قالت لباروني اني اوافقك على لزوم المنوّم لهُ . فقال باوروني أَوَلا امل بوجود شيء من الافيون هنا فقالت كلاَّ لان البدو لا يستعملونهُ حتى الآن من فضل الله . فقال فخر الدين انا امضي الى القدس وآتيكم بهِ فنظر اليهِ باروني مشمئزًا وقال لهُ اين نحن واين القدس فقال ولكنَّ عندي ناقة تسابق الرياح . فوضعت حواء يدها على كتفهِ من غير ان تنظر اليهِ كأنها تأمرهُ ليصمت وبقيت تكلم باروني وقالت لهُ رأيت ونحن نازلون من المضيق نبات البنج على جانب الطريق وزهرهُ ابيض ضارب الى الصفرة وانا اعلم ان غلاية زهرهِ تفعل مثل الافيون ثم نادت جواريها ومضين يفتشن عن هذا الزهر وبقي فخر الدين وحدهُ في الخيمة وجعل يهدس في ما يأول اليهِ امرهُ اذا شفي تنكرد وتمكَّنت عرى الصداقة بينهما وفي الاعمال العظيمة التي يفعلها بمساعدتهِ . ثم خطر لهُ انهُ هو سبب مرضهِ وتعريض حياتهِ للخطر فلعن مطامعهُ وسفاهة رأيهِ . ومضت ثلاث ساعات وهو بين اليأس والرجاء والشدةِ والرخاء الى ان رأى باروني راجعاً وبيدهِ حقَّة فيها غلاية البنج فدخل الخيمة وادناها من فم تنكرد فشرب منها من غير كراهة كأنهُ لا يدري ما يفعل ولم تمضِ ساعة من الزمان حتى أغمض عينيهِ ونام واسرع فخر الدين واخبر حواء وكانت قد عادت الى خبائها في خيمة جدها

وغابت الشمس وانبسط نوار الشفق الذهبي على خرائب البتراء على مدافن موتاها وهياكل آلهتها وتنكرد لا يزال نائماً . وعادت الجمال من المراعي وأُوقدت النيران امام الخيام وتنكرد لا يزال نائماً . ومضى الهزيع الاول والثاني من الليل وتنكرد نائم وباروني وفخر الدين في خيمتهِ لا يفارقانها لحظة وكأنهما يعدَّان انفاسهُ . ومضى الليل كلهُ وهو نائم وبدت تباشير الفجر من غير ان يبدي حراكاً . وجسَّ باروني نبضهُ فلم يشعر بهِ ووضع فخر الدين خنجرهُ امام فيهِ فلم يرَ عليهِ اثر نفسهِ فتقطب وجه باروني وخرج فخر الدين وجعل يعدو الى خباء حواء فوجدها

جالسة صفراء الوجه منكسرة العين فقال لها على مَ اراكِ صفراء فقالت ان مات هذا الامير لحقنا من موتهِ عار لا يمحى ابد الدهر. فقال وكيف يكون حالي انا فانيِ اتيه في الارض مثل قايين او ادخل دير مار يوحنا واترهَّب فيهِ وانقطع عن الدنيا . فقالت لهُ اني ملومة مثلك ولكن لم ينقطع حبل الرجاء حتى الآن . ثم خرجت وانت معهُ الى خيمة تنكرد ودخل هو اولاً ثم ازاح لها السجف فدخلت ووقفا امام تنكرد وكان لا يزال نائماً وقد بدت على وجههِ امارات الراحة والسكينة التامة فزاد جمالاً على جمال ورقةً على رقة حتى كأن وجههُ وجه ملاك فنظرت اليهِ حواء بعين ملؤها الحب والحنو فتحرك قليلاً ثم تنهد وفتح عينيهِ وادارهما في ما حولهُ ثم قال — "سيدة بيت عنيا"

الفصل السابع

بين بلاد مصر وبلاد العرب جبال صوانية كأن حمم البراكين كانت تتدفق في العصور الغابرة ثم أُمرت ان تقف بغتة فوقفت في مكانها وصارت منها تلك الجبال. وبينها اودية كثيرة غالبها قفر اجرد ولكن بعضها لا يخلو من الماء والمرعى بل قد تجد في الوادي عيناً ثرَّاء ونخيلاً داني القطوف . اما قنن الجبال فتطل على جبال اسيا وافريقية وبحريهما وعلى قنة منها دير وفوق الدير جبل سينا المشهور على قنتهِ خرائب كنيسة ومسجد — هيكلين لله بناها بنو اسرائيل و بنو اسمعيل لعبدوا فيهما الله العرب وقد خرب هذان الهيكلان كأنهما خجلا من القيام بين هياكل الطبيعة التي تناطح السحاب

وخيَّم الليل وتلألأت الكواكب واذا بسائح ركع على قمة هذا الجبل ورفع عينيهِ الى قبة السماء وبسط يديهِ وجعل يتوسل ويقول يا اله اسرائيل خالق الكون الذي لا يُدرك كنههُ ولا يستقصى وصفهُ . أتيتُ هيكلك في هذه البلاد لكي اسكب امامك قلبي وما اشعر بهِ من الشدة . لماذا تصمت لماذا لم يعد رسلك ينزلون الى الارض ليخبروا بمشيئتك . زال الايمان وضعف الرجاء وتولَّى الناسَ القنوط وهم يئنون تحت احمال المشاق و يستغيثون بالله لا يعرفونهُ . ان كان هذا الجبل المقدس لا يرى جلالك بعد الآن وان كان لاهوتك قد انقطع عن ارشاد الناس في سهول ارضك المقدسة وان كان الانبياء قد كفُّوا عن التبشير والانذار فدع واحداً من الملائكة خدَّام عرشك ينزل الى هذا العالم لينجي الخلائق من وهدة اليأس "

فغطى الضباب وجه السماء وجرَّ ذيولهُ على الجبال والآكام وسقط السائح على الارض وغاب عن الصواب . ثم ظهر لهُ شبح في صورة انسان كبير الجسم معتدل القوام جاز غضاضة الصبا ولكن لم يحنهِ كرور الايام. وقور المنظر مهيب الطلعة واسع الجبهة فوق جبينهِ نجم مشرق

يزيد منظره عظمة وجلالاً وفي يده صولجان من سعف النخل. فنظر الى السائح وقال له يا ابن اوربا انا ملاك بلاد العرب انا حارس هذه البلاد التي تسلطت على العالم لان السلطة ليست بالسيف ولا بالترس بل بالعقائد الدينية والعقائد سامية المصدر في كل مكان ولكن العقائد التي اذاعها العرب اتتهم من الله القدير من هذه البلاد خرجت الاديان التي تسود الدنيا

والبلاد التي اتيت منها وانت تنوح عليها الآن كانت حراجاً موحشة لما كانت قصور الملوك تبنى من ارز لبنان . لكن تلك الحراج اخرجت امماً كثيرة ستنتشر في المسكونة كلها وتسود عليها وقد شاءت القدرة الالهية ان العقائد العربية الاصل تلاقي تلك الامم عند اول خروجها من حراجها وترشدها وتهديها . كل شيء بقضاء وقدر فقد غلب القياصرة الدنيا لكي توضع شريعة سينا فوق عروشهم . ثم قام رجل من الجليل وكتب على جباه الذين قهروا القياصرة خلاصة ما وصلت اليه العقائد الدينية التي نشأت في هذه البلاد

لكن اوربا لا تزال تتمخض وقد ولدت ابناء كثيرين ملأوا السهول والوعور . وقد ثار ثائرهم في اوائل هذا القرن ونسبوا ما حلّ بهم من الشقاء الى العقائد الدينية التي انقذتهم من الشقاء فبعدوا عنها وزادوا اشقاء وتلمسوا آلهة أخرى فعادوا بالفشل. ولاشيء يصلح تمدنهم الفاسد غير الاصول الدينية التي نزعت منهم البربرية ولا يتساوى الناس الاّ اذا خضعوا كلهم لله ولا يشعرون انهم كلهم اخوة الاّ اذا علموا ان لهم اباً واحداً في السماء . ولكن لما بعُد الانسان عن خالقه نمت بينهما بزور الشرور فنغصت كاس الحياة . فاليك عن الفلسفة التي تتوخى حل هذه المشاكل وعلّم الناس انهم متساوون في عين خالقهم ولا تخف ولا تجزع ولا تجبن أطع ما تلهمك اياه نفسك

ثم قصف الرعد فافاق تنكرد من غيبته ورأى الجبال حوله كالحرّاس والكواكب فوقه كالمصابيح ولم يرَ الملاك ولكن صوته بقي يرنّ في اذنيه . ثم نزل عن الجبل الى حيث كان رجاله بجانب الدير

الفصل الثامن

حوّاء في خدرها وجواريها معها يضربنَ العود وينشدنَ اشعاراً من قصة عنتر ومجنون ليلى وهي جالسة غائصة في بحار الافكار تلعب بسبحة في يدها ولا تعي شيئاً . ما يشغل بالك ايتها الحسناء وما يخامر فؤادك من الهموم والغموم

بينما هي كذلك سمعت جدها يخاطب رجلاً آخر بصوت الغضب وهو يتوعّد ويتهدّد على غير عادته والمتكلم معه يترضاه . ثم علا صياح الاثنين الاول يزأر كالاسد والثاني يصيح

كالديك ثم صمتا كلاهما او خرجا من الخيمة وابعدا عنها فلم يعد صوتهما مسموعاً . فعادت حواء بافكارها الى ما كانت تفكر بهِ وحينئذٍ سمعت صوت فخر الدين خارج خبائها يطلب ان يدخل ويراها . وقبل ان تأذن لهُ في ذلك دخل وهو احمر الوجه جاحظ العينين يكاد نَفَسهُ ينقطع من الحدَّة والغضب فارتمى على مقعد بجانبها وقال لها من يقول انني جبان ولكن كيف العمل وقد تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . لا بدَّ من انك سمعتنا نجادل ونخاصم ولم اكن اعرف من حدك ما رأيت منهُ الآن

حواء — ماذا جرى

فخر الدين — عليهِ ان يتعلَّم من محمد علي الذي اخلى سورية بعد ان ملكها . تلك خسارة لا التخلي عن غنيمة لم يصل اليها بعدُ

حواء — أَلا يزال جدي يطلب الفكاك

فخر الدين — لا يزال وهو يطلب هذين العرشين بالحاجة

حواء — هذين العرشين ! مليونان من القروش . اربعة آلاف كيس

فخر الدين — لا تزالين غلطانة مثل ابيك فقد نزَّلنا الشيخ من اربعة آلاف كيس الى الفين الف لهُ والف لي فالمبلغ المطلوب لهُ الآن الف كيس لا غير وقد عزمتُ ان استدينها منهُ

حواء — تستدينها منهُ !

فخر الدين — نعم استدينها منهُ اذ ليس لهُ حاجة الى النقود وانا ادفع لهُ رباً ثلاثين في المئة اوفي بها ديوني في بيروت وطرابلس واللاذقية حيث ادفع اربعين وخمسين في المئة سنوياً فاستفيد وافيدهُ ولو كان ابوك يُوفي ديوني كلها ويأخذ مني ثلاثين في المئة لا غنى هو واغناني عن الناس

حواء — أَصحيح انك تدفع فوائد بهذا المقدار . ما ظننتُ ذلك قط وما ظننتُ انك مديون الى هذا الحد

فخر الدين — صدقيني انني لولا ديوني ما كنتُ انفع شيئاً لانني كسلان بالطبع ولا شيء يحثني على الاجتهاد الاَّ الشعور بانني مديون ومضطر ان اوفي ديوني او اوفي رباها على الاقل

حواء — اذا كان الامر كذلك فلا امل لك بالنجاح ابداً لان الانسان لا ينجح وهو مغلول اليدين مثلك

فخر الدين — ولكن ديوني ليست شيئاً بالنسبة الى مقدرتي فاذا اردتِ الحكم على انسان لا تنظري الى ديونهِ فقط بل انظري الى مقدرتهِ ايضاً

حواء — ولكنني فهمت منك ان كل املاكك مرهونة

فخر الدين — املاكي! ما هي الاملاك ان مقدرة الانسان ليست باملاكه فقد يكون في رأسهِ فكر يساوي كل املاك الدنيا ولا سيما اذا كان عملياً

حواء — انا اعلم ان في رأسك افكاراً كثيرة ولكنني احسبها كلها نظرية فان كان فيها فكر عملي فهو غير ما اعهدهُ فيك وهو ما تحتاج اليهِ بالذات

فخر الدين — نعم لم يكن في رأسي فكر عملي ولكن صار فيهِ الآن والامور مرهونة باوقاتها

حواء — وما هو هذا الفكر العملي

فخر الدين — هو الثقة بما رآهُ هذا الامير الانكليزي في جبل سينا فانهُ جاء من هناك متغيراً واراهُ عازماً ان يسير في مقدَّمة هذه الثورة . وهو غير راجع الى القدس بل ذاهب معي الى قنوبين

حواء — لا بدَّ لهُ من مقاصد كبيرة على ما يظهر

فخر الدين كيف تعرَّفتِ بهِ ياحواء ولم تخبريني قبل الآن

حواء — تعرَّفتُ بهِ!

فخر الدين — نعم فانهُ عرفك حالما فارقتهُ الحمى ثم عرفتُ منهُ انهُ رآكِ قبلاً ولكنني لم اعرف شيئاً آخر غير ذلك لانهُ قليل الكلام عن نفسهِ فتريتهُ يتكلم ساعات متوالية عن الايمان والحرب وبلاد العرب واما اذا كلمتهِ عن نفسهِ اوجز الكلام وصمت فهل عرفتهِ في القدس

حواء — التقيتُ بهِ اتفاقاً دقيقةً من الزمان في بيت عنيا ولم اسألهُ عن اسمهِ ولا هو اخبرني بهِ فكيف اقول لك اني تعرفت بهِ بل كيف اعرف ان الشخص الذي رأيتهُ اتفاقاً هو الامير الانكليزي الذي امرتهُ

فخر الدين — كيف تقولين اني امرتهُ وانا الذي انقذهُ من الاسر او سأنقذهُ قريباً

حواء — اهتم بذلك الآن و بعد ان تنقذهُ وتخلص من هذا الشكل تنظر في امور أُخرى

فخر الدين — هذا امرٌ هين وانا ادبر امر الشيخ وسأفتح لهُ باباً واسعاً للغزو والسلب والنهب ولو قلتِ لي لما زرتكِ اخيراً في بيت عنيا ان هذا الشاب كان عندكِ ما حدث شيء مما حدث

حواء — كيف عرفتَ انهُ كان عندي (قالت ذلك وقد علتها حمرة الخجل)

فخر الدين — لانني رأيتهُ آتياً من عندك وظننت حينئذٍ انهُ واحد من الافرنج يفتش من قبر اليعازر

فقالت وجدتهُ في البستان فارسلت اليهِ بعض الخدم . قالت ذلك مضطربة وكان فخر

الدين قد وقف وجعل يمشي في الخيمة ذهاباً واياباً فقال لها سيتم كل شيء طبق المرام فان احد اصحابي في غزة يحتاج الى قافلة من الجمال فسأدلهُ على جدكِ ليستأجر جمالهُ بعشرة آلاف غرش فاسكتهُ بهذا المال وارجع انا وانتِ والامير الانكليزي الى القدس

حواء — انا غير راجعة الى القدس ولكن جدي سيرسلني الى الشام وابقى فيها الى ان امضي الى حلب . قالت ذلك وهي تشير الى زواجها المنتظر بابن عمها

فقطب جبين فخر الدين وقال لها عساها تخرب

وارادت حواء ان تغير الموضوع فقالت لهُ ان هذه التدابير متوقفة كلها على قبول جدي بترك اسيرهِ ولا اظنهُ يكتفي بعشرة آلاف غرش

فخر الدين — ما هي عشرة آلاف غرش انا ادفعها فائدة كل شهر الى رجل قبطي في بيروت ساضبط املاكهُ كلها حالما احكم الجبل . اما الشيخ فانهُ اذا رأى هذه النقود في جيبهِ قال رجالهُ عنهُ انهُ امتلك كنوز سليمان

حواء — عشرة آلاف غرش لا تكفي لابتياع الجمال لارملة سالم

فخر الدين — لا تتعبي رأسكِ بهذه الامور فان عند الشيخ جمالاً كثيرة وهو يعطيها منها وانا اعطيهِ اسلحة بدلاً من جمالهِ

حواء — كيف تصل الاسلحة من قنوبين الى بلاد العرب

فخر الدين — شريف افندي في غزة وسالتقي بهِ هناك بعد غدٍ وآخذ منهُ خمسة آلاف بندقية فاعطي الشيخ خمس مئة بندقية منها

فنظرت اليهِ نظرة الاستغراب وقالت لهُ قد كفلتك عند شريف افندي لمدة ثلاثة اشهر فما امرهُ الآن

فاحمرَّ فخر الدين خجلاً وتلعثم لسانهُ عن الكلام ثم قال لها سامحيني يا حواء فقد كذبت عليكِ وانا معترف الآن بخطائي ولكن كيف العمل فانني تظاهرت بطلب مهلة ثلاثة اشهر خداعاً مني لكي لا تعلمي مقاصدي اما الآن فقد قضي الامر وجدكِ ينقل لنا البنادق الى الجبل وانا ادفع لشريف افندي اربع مئة كيس او مئتي الف غرش

حواء — ومن اين لك هذه الدراهم

فخر الدين — مَن يقصد ان يقود هذه الحركة في اسيا كلها ويوقد شعلة هذه النار لا يصعب عليهِ ان يدفع اربع مئة كيس وانا خاصنا هذا الامير من دفع اربعة آلاف كيس فلا يثقل عليهِ دفع عشرها ثمن بنادق تبقى لهُ

الفصل التاسع

ابلَّ تنكرد وكلَّم فخر الدين بما جعلهُ يلحّ على الشيخ ليطلق سبيلهُ على ما تقدم في الفصل السابق . ثم نهض من فراشهِ وحاول الخروج من خيمتهِ فمنعهُ باروني . وكان الشيخ يودُّ الرجوع الى بلادهِ من تلك القفار ولولا مرض تنكرد والاختلاف على الفكاك لرجع حالاً . وفهم باروني من بقاء حواء هناك وانطلاق فخر الدين بغتة ان السعي متواصل في ارضاء الشيخ واطلاق سبيل تنكرد . وقال لهُ تنكرد "لقد اخبرني الامير امس انهُ يفضُّ هذا المشكل بنفسهِ من غير ان يتعبنا ولا بدَّ من اعطاء الدية لامرأة القتيل ومن ارضاء الشيخ بقليل من المال وانا واثق ان هذا الامير يدبر كل شيء بفطنتهِ وبحكمة تلك الفتاة الحكيمة وانا اثق بها تمام الثقة"

باروني — انا اثق بها اكثر مما اثق بهِ لاني اعرف من هو

تنكرد — مهما يكن امرهُ فانا شاكر لهُ كرم اخلاقهِ واراني احبهُ من غير التفات الى هذه الامور

باروني — وانا لا اعرف شيئاً يقال ضدَّهُ ولقد اعتنى بسيادتك اعتناء شديداً ولكن الشهابيين لا يقرُّ لهم قرار

تنكرد — هو كبير المطامع ولم يتدرَّب كما نتدرَّب نحن ولكنهُ ذكي نبيه جداً ولهُ منصب سام وقد يكون لهُ شأن كبير في المستقبل فيحرر بلادهُ

باروني — لا شيء يحرر بلادهُ لان اهاليها عبيد منذ ولادتهم

تنكرد — ليسوا عبيداً الآن لانهم اهل حرب وصدام ولكن ليس لهم قائد

باروني — ولا يكون لهم

تنكرد — كذلك العرب لم يكن لهم قائد قبلما ظهر النبي محمد فلما ظهر تغلبوا على الروم والفرس

باروني — لا اعرف من امور السوريين اكثر من ذلك ولكن الصيدوني حاول انهاض همتهم سنة ١٨٣٩ ولو كان فيهم حياة لظهرت ولكنهُ كان كالنافخ في رماد

تنكرد — على اي شيء كنتم تعتمدون حينئذٍ

باروني — على المال فان الصيدوني وعدهم ان يقرضهم مالاً كثيراً الى حد ثلاثة ملايين

تنكرد — المال لا يفعل شيئاً في هذه الاحوال اعتبرْ بامر اليونان . ولكن قد يستطيع الرجل ان يقف على جبل الكرمل ويقول ثلاث كلمات فتقبل عليهِ قبائل العرب ويصل بهم الى اسبانيا

باروني — ولكن ليس عندهم مدافع

تنكرد — وما هي حاجتهم الى المدافع فانهُ ليس في كل اسيا جنود منظمة الاَّ في بلاد الهند

باروني — ولكن دول اوربا تتداخل في الامر

تنكرد — ما علينا من دول اوربا اذا كان الله معنا . ومن ينهض الآن بدعوة دينية يستولي على اسيا كلها ومتى كانت اسيا معهُ لم يصعب عليهِ الاستيلاء على اوربا لانك اذا استثنيت انكلترا وفرنسا والبلدان التي على ضفتي الرين فاوربا منحطة مثل اسيا واكثر

وكان القمر هلالاً وقد امتزج نورهُ بما بقي من نور الشفق وهبَّ النسيم فلطَّف حرارة الهواء . فالتفَّ تنكرد بعباءة ومشى هو وباروني نحو خيمة الشيخ فرأى رجال القبيلة في خرائب المشهد القديم وقد اجتمعوا حول شاعر يضرب على الرباب وينشد اشعار عنتر التي يصف بها ذهابهُ الى مدائن كسرى ودخولهُ معابد النيران وكان الرجال يسمعون انشادهُ صامتين حتى اذا انشد قولهُ

كأنَّ دماء الفرس حين تحادرت خلوق العذارى او قباءٌ مدبَّجُ

فويلٌ لكسرى ان حللت بارضهِ وويلٌ لجيش الفرس حين اعجعج

واحمل فيهم حملة عنترية اردُّ بها الابطال في القفر تنتج

طابت نفوسهم وقالوا لهُ احسنت أحسنت لافضَّ فوك يا لعبس يا لعدنان . ثم انشد قول عنتر لما خرج الى العراق في طلب النوق العصافرية مهرًا لعبلة

جفون العذارى من خلال البراقع احد من البيض الرقاق القواطع

وعاد الى انشاد القصيدة النونية التي مدح بها كسرى انو شروان ومطلعها

يا أيها الملك الذي راحاتهُ قامت مقام الغيث في ازمانهِ

يا قبلة القصاد يا تاج العلا يا بدر هذا العصر في كيوانهِ

فقال باروني لتنكرد ان هؤلاء الناس سمعوا انشاد هذه القصيدة الف مرة ولا يزالون يطربون بانشادها . ثم نادى واحدًا اسمهُ شداد بن عمرو وقال لهُ انك سمعت هذه القصيدة من حين كنت ترضع اما مللت منها . فقال كلاَّ ومن يمل من سماع الكلام الفصيح فان الطيب يبقى طيبًا ولو شممتهُ الف مرة . وظلَّ الشاعر ينشد والناس يصغون اليهِ لا تسمع لهم صوتًا الاَّ اذا قال كلمة هزل تضحكهم . ورأى باروني الشيخ هناك فاخبر تنكرد ولم يكن تنكرد قد زارهُ بعد شفائهِ فتقدم اليهِ وحيَّاهُ فرحب بهِ واجلسهُ على بساطهِ ثم وقف الشاعر عن الانشاد فجعل الرجال يتكلمون ويقولون ان كل ما قالهُ صحيح . وامر الشيخ ان يأتوهم بالقهوة ثم اخرج كيسهُ من جيبهِ وفكهُ واعطى الشاعر درهمًا منهُ فقبلهُ شاكرًا وقال لهُ انهُ نظم قصيدة في

مدح حواء ورغب اليهِ ان يسمح لهُ بانشادها فانشدها وقد وصفها فيها وصفاً بديعاً وقال انها تركب الخيل العتاق وتخجل طلعتها البدر وكان يكنيها بابنة مالك جدها ولا يذكر اسم ابيها. وارسل الشيخ مالك الى حواء لتحضر وتسمع ما يقولهُ الشاعر في وصفها لحضرت وسمعت القصيدة وكان باروني يترجمها لتنكرد فسرَّ هو بها ايضاً وكان في عنقهِ سلسلة من الذهب فاعطاها للشاعر وحينئذٍ اشرأبت اليهِ الاعناق ونظرت اليهِ العيون لانهم لم يروا مثل هذا الكرم في حياتهم وقالوا حقًّا هذا اخو الملكة

ثم انحل عقد الجمع ودنا تنكرد من حواء وقال لها لو كنتُ شاعراً لحاولت الاعراب عن شكري لسيدة بيت عنيا وعسى ان يكون باروني اخبركِ انني كنتُ عازماً ان ازورك غداً لاقدم لكِ واجب الشكر ولم يكن يخطر ببالي ان اراكِ هذا المساء ولا انني استطيع الخروج من الخيمة فيهِ

فقالت ان هواء المساء لا يضرك لانهُ لطيف منعش

تنكرد — نعم واظنهُ سيتم الشفاء الذي نلتهُ على يدكِ

حواء — لم استعمل الاَّ وسائط بسيطة ولكنني اشكر الله لانها اتت بشيء من الفائدة ولا سيما لان سياحتك هذه تهمني جداً

تنكرد — أأخبرك الامير فخر الدين عما انا عازم عليهِ

حواء — اخبرني بعض الشيء وكنت قد لمحت ذلك من كلامك السابق في البستان

تنكرد — الكلام السابق في البستان في بيت عنيا نعم وقد حدث ذلك بالامس ولكنني اشعر كانهُ حدث منذ سنين كثيرة لكثرة ما مرَّ برأسي من العبَر

حواء — ومن ذلك الوقت رأيتك تهتم بامر اسيا التعيسة

تنكرد — لماذا تصفينها بالتعيسة وهي بلاد الوحي والانبياء . والسبات الذي هي فيهِ الآن خير من يقظة اوربا كما ان ظن العاقل خير من يقين الجاهل

حواء — ولكن اوربا امتلكت بلاد الهند و بسطت سيادتها على بلاد فارس واسيا الصغرى وادَّعت انها انقذت بلاد الشام فكيف نقاومها

تنكرد — لا تقاوموها بل خلصوها

حواء — كيف نخلص غيرنا ونحن لا نستطيع ان نخلص انفسنا

تنكرد — خلصوها بالتعاليم الروحية كما فعلتم قبلاً . من جبل سينا ومن قرى الجليل ومن بلاد الحجاز من هذه البلاد انتشر الوحي الذي انار ظلمة الكون

حواء — هذه احلام كنت احلم بها . كلاَّ كلاَّ . هذا ضرب من المحال . اوربا متكبرة متعظمة تسلطت على الطبيعة فلم تعد تسمع للانبياء . مهَّدت الجبال وخاضت عباب البحار فهل يصدق اهلها بوجود قوة اسمى من قوتهم بشرية كانت او الهية

تنكرد — تسلطت على الطبيعة ! ما هو هذا التسلط وقد قلَّت خيرات الطبيعة فيها والطبيعة نفسها قد زعزعت اركان ممالكها وقد نقوَّض بنيانها . كلاَّ ايتها السيدة الكريمة اوربا ليست سعيدة بل فيها من الهموم والغموم ما ينخر عظامها ولو ظهرت بمظاهر النجاح والفلاح وعبثًا تطلق على جلبتها اسم التقدُّم لان لسان الحال يسألها من اين هذا التقدُّم والى اين فلا تحير جوابًا وليس فيها الآن مَن يذكر اسم الله الاَّ الذين يدينون بالاديان العربية الاصل

الفصل العاشر

مضت اربعة ايام من حين ذهب فخر الدين . وكان تنكرد يرى حواء كل يوم في خيمة جدها ولم يجلسا وحدها في الخيمة ولكنهُ كان يكلمها بالفرنسوية فلا يفهم احد ما يدور بينهما من الحديث وكان مدار كلامهما على المواضيع التي تشغل بال تنكرد فاعرب لها عن افكاره صريحًا لانهُ رآها حصيفة الرأي فاراد ان يقف على آرائها فوجدها تشاركهُ في ما يشعر به وسُرَّ بما رأى فيها من الحب المفرط لشعبها والايمان الوطيد بحسن مستقبلهم . ولم تكن تطيل الكلام على ذلك ولكنها لم تكن تغضي عنهُ اذا لاحت لها فرصة للكلام . وتكلمت عن فخر الدين ايضًا واظهرت ميلها اليهِ ورغبتها في نجاحهِ واعتقادها بنبالة مقاصدهِ ولكنها ابدت اسفها على قلة صبرهِ وسرعة تقلبهِ وودَّت ان يوفَّق الى مَن يعينهُ في الرأي ويرشدهُ في المصاعب

وعاد فخر الدين بعد اربعة ايام ودخل خيمة الشيخ وكلمهُ طويلاً ثم خرج محمرَّ الوجنتين ورأى تنكرد جالسًا امام خيمتهِ فسلم عليهِ واعتنقهُ وقال لهُ قد قضي الامر وصرتَ حرًّا

وقال الشيخ لرجالهِ ان يستعدوا للرحيل تلك الليلة وقرَّ قرارهم على ان يأخذوا حواء معهم ويوصلوها الى ابواب دمشق وان يمضي خمسة وعشرون فارسًا منهم مع تنكرد وفخر الدين الى ابواب غزة . وحينئذٍ علت الجلبة في المحلة كلها

وشعر تنكرد بألم الفراق عن حواء ولم يصبر عليهِ الاَّ لانهُ كان قد وطن نفسهُ على أُمور أُخرى رأى ان لا بدَّ منها وودَّ ان يمضي معها الى دمشق ولكن تدبير السفر لم يكن في يدهِ بل في يد فخر الدين فاطاعهُ مختارًا او غير مختار . وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب فركب الفرسان واشرعوا رماحهم ونهضت الجمال برحالها . وتقدم الغلمان الى حيث كان الشيخ ومعهم نخبة جيادهِ وبينها فرس اسمها درة داريًّا وهي تكاد ترقص طربًا وخرج فخر الدين وتنكرد

لمشاهدة الركب وقُدّمت الفرس الى حواء فاعتنقتها اولاً ثم علت صهوتها كأنها من فرسان الزمان ونظر اليها تنكرد فرأى قواماً يخجل البان ووجنتين جمعتا بين الورد والياسمين وشمماً وعزّة نفس يعجز عن تمثيلهما اشهر المصورين. وحاولت هي اظهار البشاشة والسرور بكل جهدها فودعت فخر الدين بكلامها المألوف ثم التفتت الى تنكرد لفتت اضطرب لها فؤاده وقالت له اودعتك الله ايها السائح الكريم

الفصل الحادي عشر

بات فخر الدين وتنكرد تلك الليلة في القفر بين خرائب البتراء وقاما في الصباح وقصدا غزّة فوصلا اليها من غير مشقة وامضى تنكرد هناك سنداً لشريف افندي بثمن البنادق واجرة نقلها فحُملت على الجمال التي اتت معها وأُرسلت الى جبال لبنان وأُرسل بعضها الى جهات حوران الى الشيخ مالك. واتى باروني بيخت تنكرد من يافا الى غزة وسار به وبالامير فخر الدين الى بيروت وصعد فخر الدين مع ضيفه وهو يفتخر به امام تجار بيروت وصيارفتها لكي لا يلجوا عليه في طلب ما لهم عنده من المال. حتى اذا وقعت عين تنكرد على لبنان دهش مما رآه من بديع المناظر فان قنن ذلك الجبل لا تغطيها السحب مثل قنن اراراط ولا تكتنفها الحراج مثل حمالايا ولا تنفجر البراكين منها مثل الاندس ولا تنصب عليها الشلالات مثل الالب ولكن اذا نظر المرء الى ما في لبنان من النبات والحيوان وتعدُّد اشكالها وانواعهما وبديع المناظر التي تكتنفها فلا جبل في الدنيا يضاهيه او يقابل به

وقد هرب الناس من السهول الخصيبة من جور الحكام وظلم الولاة الى هذا الجبل فزرعوا فيه الكروم وتفيأُوا ظلال الاشجار وصيروه جنّة من الجنان . فترى القصور والاديرة على شواهقه والكروم والحقول على سفوحه وسكانهُ من شعوب مختلفة ومذاهب شتى لكنهم مشتركون في اباءة الضيم والبعد عن الذل والترفّع عن الطاعة للحكام . امراؤُهم على صهوات خيولهم واساقفتهم ملوك في اديرتهم وشيوخهم حكام في خلواتهم

وكان رجال فخر الدين قد علموا بقدومه فنزلوا اليه الى بيروت بالخيول المطهمة فركب هو وتنكرد ومن معهما من الرجال وصعدوا في الجبال الى ان اشرفوا على سهل البقاع والنهر الليطاني وهو كسيف يسل على نجاد اخضر وفي وسط السهل اكمة تغطيها اشجار السنديان وعلى قمتها قصر قديم كثير الابراج من ايام العرب وهو قصر فخر الدين الذي دعا تنكرد اليه ولما وصلوا الى بابه فُتح لهم بالترحاب واذا فيه ساحة رحبة في وسطها فسقية كبيرة يتدفق الماء منها وحولها رواق من المرمر وفي الساحة كثيرون من الخدم والحشم وبعضهم بافخر الثياب ينتظرون

قدوم سيدهم وترجل تنكرد وسار بهِ فخر الدين من غرفة الى اخرى الى ان اوصلهُ الى غرف تطل على حديقة غناء بجانبها حمَّام من المرمر الصقيل وكلها فاخرة الاثاث والرياش فقال لهُ هذه الغرف لك وسأرسل رجالك اليك اذا لم تشأ ان يتولى رجالي خدمتك

اصلاح الترامواي

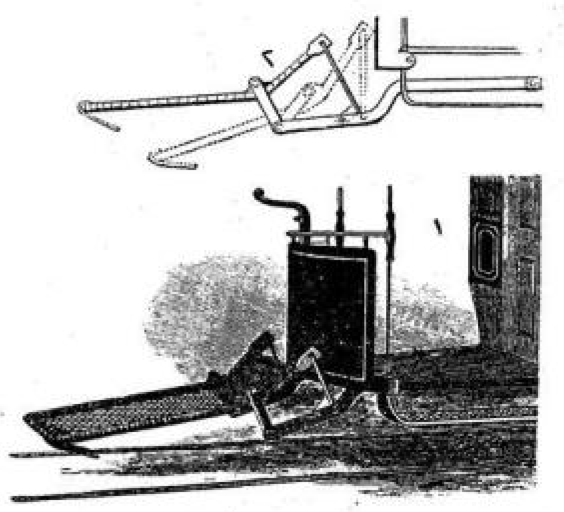
سِرْ بمركبتك او سِرْ ماشياً في شارع محمد علي او شارع كلوت بك او شارع الفجالة واسمع طنين الاجراس من مركبات الترامواي خلفك وامامك وانظر الى الناس يتسابقون جرياً اليها او هرباً منها يتضح لك امران الاول ان الترامواي اتلف الشوارع فلم تعد تصلح للمشاة ولا لركاب المركبات ولا سيما الشوارع الضيقة التي مُدَّ فيها خطَّان من خطوطهِ . وضررهُ في الاسكندرية اشدُّ منهُ في القاهرة على ما يظهر. وذلك امر لا بدَّ منهُ لانهُ لما خُططت الشوارع وجُعل اتساعها عشرة امتار او اقل لم يكن يخطر بالبال ان تمدَّ فيها سكة حديدية تجري مركباتها بالكهربائية بدل البخار . اما ضررهُ بالمشاة فقلقهم الدائم من ان تصدمهم مركبة من مركباتهِ فتطحن عظامهم كما فعلت بكثيرين وكما تفعل كل اسبوع او كل شهر فانهُ قلما يمضي اسبوع الاَّ ونسمع ان واحداً صدمتهُ مركبات الترامواي فقتلتهُ او هشَّمتهُ . ولذلك يسير الماشي في الشوارع الضيقة كشارع مصر العتيقة او ينتقل من رصيف الى آخر خائفاً وجلاً لئلا يعثر في طريقهِ فتأتيهِ مركبات الترامواي ولا تقيل عثرتهُ بل تمرُّ فوقهُ كأنهُ من سقاط الاشجار. وقد يمكن ان يخفف هذا الضرر كثيراً او يُزال بالتزام المشي على الارصفة حيث توجد . ولكن الضرر بالمركبات لا يُزال بطريقة من الطرق لان عجلها تمرُّ في ميزاب خطوط الترامواي منحرفةً فتتعب الخيل وتتلف المركبات وتقلق الركاب عدا الخطر من اصطدامها بمركبات الترامواي حتى صار اصحابها يبعدون عن الشوارع التي فيها خطوط الترامواي اذا استطاعوا

هذا هو الامر الاول او الضرر الذي نتج عن وجود مركبات الترامواي ولكن هذا الضرر لا يقاس بالنفع العميم في تسهيل الانتقال على أُلوف من الناس . واننا لنعجب كيف كان هؤلاء الالوف ينتقلون من مكان الى آخر وكم كانوا يدفعون اجرة الركائب والمركبات او كم كان يضيع من وقتهم وقوتهم بل من احذيتهم وثيابهم في الانتقال فان هذه كلها خسائر كانت تقع بهم واموال ينفقونها وقد صاروا في غنى عن انفاقها الآن . ولو اوقفت مركبات الترامواي اسبوعاً واحداً لشعروا بحاجة شديدة اليها . فمهما يكن الضرر الذي يقع بالخاصة كبيراً فالنفع

الذي ناله العامة اكبر منهُ كثيرًا ولذلك رحَّبنا بالترامواي منذ اول مجيئهِ الى هذا القطر لعلمنا بما ينتج عنهُ من النفع للجمهور

لكن اذا بقي هذا النفع على حالهِ واستنبطت واسطة لازالة الضرر او لتقليلهِ وجب ان لا تهمل بل يلتجأ اليها حالاً وهذه الواسطة قد استنبطت في البلاد التي اخترعت الترامواي الكهربائي واشاعتهُ اي الولايات المتحدة الاميركية وقد نقلنا صورتها عن جريدة السينتفك اميركان التي يغني اسمها عن وصف ما فيها من التدقيق في المسائل العلمية الصناعية

قالت ما معناهُ ان شركة حواضن المركبات في كنساس باميركا استنبطت حاضنة جديدة



للمركبات التي تمرُّ في الشوارع وهذه الحاضنة مرسومة في هذا الشكل عند الرقم ١ في وضعها الطبيعي وهي بساط كمقدم كرسي الخيزران الذي تمدُّ عليهِ الساقان منسوج نسجًا من الخيزان او نحوهِ كما ترى في الشكل وتتصل بهِ عوارض لها مخالع ومفاصل كما ترى فاذا لمس جسمًا في طريق المركبة كانسان مطروح على الارض اندفعت مفاصلهُ الى الوراء فانخفض من نفسهِ كما ترى في الخطوط المنقطة تحت الرقم ٢ ورفع الشخص المطروح في طريقهِ او رماهُ الى اليمين او الى اليسار . قالت السينتفك اميركان ومزية هذا الاستنباط ظاهرة تغني عن التفصيل

نقول وهذا من نوع الاستنباط الذي استنبطهُ الخواجه عبد الله هاشم وقال انهُ يوصلهُ بمركبات الترامواي ويطرح نفسهُ امامها فترفعهُ عن الارض من غير ان يلحق بهِ ضرر وذكرنا

ذلك في المقطم غير مرة وعلمت بهِ شركة الترامواي في القاهرة فلم تعبأ بامتحانهِ فعسى ان تهتم الآن بذلك

اما الاستنباط الاميركي فمذكور في جزء ٢ يونيو سنة ١٩٠٠ من جريدة السينتفك اميركان صفحة ٣٤٣ واقل ما يطلب من شركة الترامواي في العاصمة ان تكتب الى شركة الحواصن Rodman Car-Fender Company Olathe, Kans, U. S. America. وتستعلم منها عن كل ما يتعلق بهذا الاستنباط وكيفية استعمالهِ ومقدار فائدتهِ الى غير ذلك من الامور المتعلقة بهِ عساها تزيل الضرر من مركبات الترامواي فتصبح نفعاً محضاً

الاشتراكيون الديموقراطيون

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

من يجول في ارياف القطر المصري ويشاهد الفعلة يعمل واحدهم صحابة نهارهِ ليكسب ثلاثة غروش فاذا قبضها عاد بها مسروراً يعجب لانتشار الاشتراكية في البلدان الاوربية على كثرة الاعمال وتنوعها فيها وارتفاع الاجور فضلاً عما قيَّض الله لتلك البلاد من العدل والحرية والراحة والامان. لكنَّ المتأمل يعلم ان الحاجة والفاقة هما اصل الاشتراكية وان ما نسمعهُ عن التقدم والاصلاح في اوروبا انما هو صحيح بوجهٍ عام وان هنالك من الفقر والمصايب ما ينفطر لهُ الفؤَاد. فالعامل يجدُّ نهارهُ وليلهُ ليكتسب قوت اهل بيتهِ وليبتاع فحماً لتدفئتهم ايام البرد والزمهرير وليكسب ما يساوي اجرة البيت الذي يسكنهُ لكنهُ كثيراً ما يقصر دون نيلهِ تلك الغاية اما لارتفاع اسعار الطعام والوقود واجور المساكن واما لهبوط اجور العملة او لاجتماع الامرين وقد يحدث انهُ لا يجد عملاً لكساد التجارة وكثرة المصنوعات المخزونة مما يقضي على اصحاب المعامل باقفال معاملهم تجنباً للخسارة ان تلحق بهم . فالبلاد الحارة المخصبة كمصر مثلاً بلاد الفقير ينام في العراء اذا عدم المسكن ويأكل ما شاء من البقول والاثمار فلا يحتاج الى اللحوم والادهان وهو في غنًى عن الوقود بما في طبيعة البلاد من الحرارة التي يعدمها اهل الشمال ويستعيضون عنها بما يوقدونهُ من الفحم والحطب مما يستنزف جزءا كبيراً من ثمار اتعابهم واجورهم

والاشتراكية حالة الانسان الفطرية يوم كان الناس اقواماً رحّالاً لم يمصّروا الاقاليم ولا انتجعوا مكاناً الاَّ وعصيهم في ايديهم واحذيتهم مشدودة لمغادرتهِ اذا قلَّ المرعى ونضب الماء

لكنَّ تلك الحالة لم تدم طويلاً فلم يلبث الانسان الوحشي ان انس الى الحضارة فكان ما كان من تقسيم الموجود بين افراد الجماعة وتلا ذلك التملُّك بالغلب او بالارث او بالشراء حتى تفرَّد قوم بالغنى وآخرون بالفقر فاستعبد الغنيُّ الفقيرَ بمالهِ وابتاع دمهُ وحياتهُ وعرق جبينهِ بما يكفي لسدّ رمق ذاك وكان للسيد على عبدهِ السلطة التامة فاذا شاء قتلهُ واذا شاء ابقى عليهِ وقد كان الغاء الاسترقاق خطوة كبيرة في سير الاشتراكية فانها اعلنت المساواة الجبرية بين بني البشر

وقد تقدم للمقتطف انهُ نشر المقالات الكثيرة في الاشتراكيين ومذاهبهم وزعمائهم المشهورين فيهم وموقف هذه الطائفة تجاه العالم المتمدن فرأَيت ان اتبع تلك المقالات بشيء في فئة منهم تسمي نفسها "الاشتراكيين الديموقراطيين" يكثر وجودها في بلاد الانكليز. وقد حاول المستر هربرت سبنسر شيخ العلم الاجتماعي تفنيد مذاهب هذه الفئة في مقالة نشرها في مجلة "الكونتمبورري رفيو" Contemporary Review منذ خمس عشرة سنة وسآتي في عرض الكلام على بعض اقوالهِ فيها وما يرد عليهِ بهِ زعماؤها

غاية هذا الفريق من الاشتراكيين كما يؤخذ من كتبهم هي تعميم وسائل الاستثمار والاستغلال وتوزيع الغلة والمصنوع وبيعهما بادارة حكومة ديموقراطية (جمهورية) تشتغل لخير الجماعة باسرها وتحرير العمل والعمال من ربقة السخرة والعبودية لاصحاب الاموال والاملاك والمساواة بين الرجل والمرأة اجتماعياً واقتصادياً

وقد خطُّوا الطرق الموصلة الى هذه الغاية واليك ملخصها

(١) يشترك كل بالغ في انتخاب اولي الامر وتقوم الجماعة بنفقاتهم

(٢) الشعب هو الشارع فلا يُعمل بقانون ما لم يصادق عليهِ اكثر الامة

(٣) الغاء الجيوش القائمة تحت السلاح وتنظيم حرس وطني يتولَّى الدفاع عن البلاد وللامة وحدها حق الحكم في اعلان الحرب او التزام السلم

(٤) يجعل التعليم اجبارياً زمنياً (لا دينياً) بدون ثمن مقابل

(٥) تنظيم المحاكم بحيث يستطيع جميع الناس نيل حقوقهم بواسطتها دون ان يكلفوا لدفع رسوم

(٦) تعد وسائل الاستغلال والاستثمار والتوزيع والمبادلة والمقايضة من المنافع العامة فهي ملك الجماعة

(٧) تسنّ الجماعة نظام توزيع الثروة لخير جميع افرادها

(٨) تقام محاكم دولية تحكم في الخلافات الناشئة بين الامم

وقد اشاروا بما يأتي تخفيفاً لمصايب البشرية بما يعود بالفائدة في الزمان العاجل

(١) تبنى مساكن موافقة لسكن العمال لا تزيد اجورها عما يقتضيهِ بناؤُها وحفظها من الاكلاف والنفقات

(٢) لا يجوز لاحد ان يجبر ولداً دون السادسة عشرة على احتراف حرفة او العمل في تجارة ومن خالف ذلك واغرى احد الصغار يعد جانياً يستحق العقاب الشديد

(٣) تحدد ساعات العمل فلا تتجاوز الثماني في اليوم او اربعاً واربعين ساعة في الاسبوع ومن خالف ذلك من اصحاب الاعمال والمعامل يعاقب شديداً

(٤) توكل ادارة السكك الحديدية والترع الى الحكومة وللمجالس البلدية وحدها حق اصطناع نور الغاز والكهربائية وتوزيعهما ولها وحدها الحق في ادارة اعمال ماء الشرب

(٥) تعم عربات الترامواي وعربات النقل لتسهيل اعمال الجماعة كلها

(٦) تعم بنوك البوسطة حتى تستغرق كل الاعمال التي يقوم بها الصيارفة ويربحون بها من مال القوم

(٧) يلغى الدين الوطني

(٨) تسلخ الكنيسة عن الحكومة وتشاد ملاجئ للعجزة والضعفاء من العمال ومن تجاوز الخمسين فالجماعة تقوم بنفقاتهِ الا من اراد العمل بعد الخمسين فله ذلك

(٩) تبنى مستشفيات بلدية حيث تبدو الحاجة اليها

وغنيٌّ عن البيان ان للمنافسة بين العمال والتجار واصحاب الرساميل يداً في اسقاط الاجور فالبطال يقنع بكسب اقل مما يكسبهُ العامل اذا هو اعطي مكان هذا على ذلك الشرط. ومن يمعن النظر في تاريخ الاستعمار الحديث في الولايات المتحدة يتضح لهُ ذلك جلياً بحيث ان حكومة الولايات المذكورة رأت منذ زمن وجوب وضع حدٍّ لمهاجرة العمال اليها من كل حدب وصوب وضربت المكوس الفاحشة على البضائع الاجنبية التي ترد الى بلادها حماية لمصنوعاتها وعمالها على ان الامر ليس كذلك في بلاد الانكليز حيث ابواب التجارة مفتوحة للجميع على السواء ولا تفرض الحكومة مكوساً الا على القليل من الواردات فكان من ذلك ومن كساد التجارة ان بقي عدد غفير من العمال لا عمل لديهم ولا صناعة يلجأُون اليها فحركت الحالة قلوب زعماء هذه الفئة وقاموا يطالبون الحكومة بالاصلاح ويدعون الشعب لشد ازرهم على عمل يكفل لجميع القادرين على العمل وطالبيهِ ايجاد ما يضمن لهم ولذويهم القوت والمسكن من الاعمال ويرى الاشتراكيون الديموقراطيون ما يراهُ اخوانهم في جميع انحاء العالم من ان انتشار

ذوي الرساميل والاملاك هو العامل الاكبر في هذا النقص في المجتمع وان احتكار الشركات لسكك الحديد وما اشبهها يعود بالربح الكثير على فئة صغيرة من الناس فيكسبهم ألوف الدنانير وما هي سوى عرق الفعلة المساكين ودماء قلوبهم بينما هؤلاء لا يكسبون ما يزيد عن الضروري لسد حاجاتهم

اما المستر هربرت سبنسر فيرى في نجاح الاشتراكية استعباداً للجنس البشري وينسب ما يلاقيه ألوف العمال من المشقة والعناء والبطالة في لندن وغيرها الى كسلهم وانغماسهم في الشهوات والسكر وعنده ان المجتمع الانساني غير مكلف باسعاف هؤلاء وقد جنوا على نفوسهم والمجتمع ولقوا جزاء ما فعلوا. ولا ينكر عليه الاشتراكيون ان من العمال مَن هو كسل سكير وان المجتمع لن يعدم امثال هؤلاء في كل الاحوال ولكن اكثر العمال لم يعدموا العمل لذنب اقترفوه وانما هو انحطاط التجارة وكساد البضائع وكثرة السكان فكثيرون من هؤلاء المساكين يرضى الاشتغال باية المهن بما يضمن له القوت فقط. والذي يطالب به الاشتراكيون انما هو تخليصهم من الشقاء والمصايب التي مصدرها نظام العالم المتمدن الحالي تلك المصايب التي باتت حملاً على كاهل البشرية باسرها. ومن المعلوم ان المستر هربرت سبنسر من اكبر زعماء مذهب بقاء الانسب وانصاره اي انهُ من المنادين بالفردية ضد الاشتراكية وعنده ان من لا يعمل لا يستحق ان يأكل فاذا مات جوعاً فذاك جزاؤه سعى اليهِ بنفسهِ قياساً على ان ما كان من النبات والحيوان عديم القوة لا يعمر طويلاً وجواب الاشتراكيين على قولهِ هو ان بين جماعة الاغنياء والمستأثرين بالرساميل من لم يأتِ عملاً نافعاً في حياتهِ ولا يستطيعهُ لكن جميع اسباب الراحة والرفاه متوفرة لديهِ فهو بالحقيقة عالة على فئة من العمال الذين يطعمونهُ ويسقونهُ بكدهم وتعبهم ويقول الاشتراكيون ان اقواماً كهؤلاء لاشدُّ ضرراً في الهيئة الاجتماعية من العمال الفقراء الذين لم يعرفوا معنى للشبع في حياتهم

ثم نظر المستر سبنسر في نظام المدارس فاعترض على ما هو حادث من تكليف زيد لدفع ما يقوم بنفقات تعليم ابن عمرو وليس هذا من ذويهِ او ولدهِ لكن الاشتراكيين يحسبون ذلك واجباً لتقدم الامة باسرها وان من العار والانحطاط ان يشبَّ اولادها وهم جهلة لا يفضلون البرابرة في المعرفة والعلم

ويقدر المستر سبنسر درجة عبودية المرء بنصيبهِ من قيمة عملهِ فاذا كانت قيمة عمل العامل في اليوم خمسين قرشاً فعبوديتهُ تختلف باختلاف ما يعطيهِ اياهُ سيدهُ من هذه الخمسين وما يحفظهُ السيد لنفسهِ وعليهِ فلا فرق في كون السيد رجلاً واحداً او جماعة وسواء اصاب العامل

هذا الجزء من قيمة عملهِ من رجلٍ واحدٍ او من المجتمع باسرهِ فهو في الحالتين عبدٌ لهذا او لذاك . ومع ان الاشتراكيين يسلمون بتعريف المستر سبنسر لكنهم يعقبون عليهِ بقولهم أَنَّ عبودية العمال لاصحاب الرساميل في الزمان الحاضر اشدُّ مما يمكن ان تكون فيما لو اشتغل هؤلاء للمجتمع اي انهم يصيبون في الزمان الحاضر اقلّ مما يكسبون لو جرى الامر على ما يروم الاشتراكيون فان المرء في الزمان الحاضر مجبر على الاعتمال بما يدفع عنهُ غائلة الجوع ولما كانت المنافسة بين الصنّاع وذوي الاموال عامةً التزم العامل ان يرضى من الاجور بما هو اقلّ جدًّا مما يستحق مكافأةً لهُ على اتعابهِ بعد خصم ما ينبغي ان يصيب راس المال اللازم للعمل. وتأييدًا لزعمهم هذا يستشهدون بما يقاسيهِ المشتغلون في معامل الخياطة في مدن انكلترا وما تأتيهِ البنات المشتغلات بالبيع في المخازن الكبيرة من الاعمال المخالفة للآداب كي يكتسبن من الدراهم ما ينقصهنَّ من الاجور قياماً باودهنَّ وما يعانيهِ مستخدمو سكك الحديد وعمالها من النصب والعناء والمشقة الى آخر ما هنالك من مصايب العمال على اختلاف طبقاتهم وتباين مهنهم

ويرى المستر سبنسر في جملة ما يراهُ ان تقدم الاشتراكية ونجاحها يأولان الى اضعاف مقام الفرد وبالتالي تقليل همتهِ وترجيح قدم المجتمعات كالحكومات والمجالس البلدية . ويحجهُ الاشتراكيون بقولهم ان اكثر الاعمال العظيمة في الزمن الحاضر انما هي بيد الشركات حيث لا يدَ للفرد ولا فعل للرأي العام كما يشاهد في الولايات المتحدة خاصةً فان المستر فندربلت المثري الاميركي المشهور كان يتكلم بلسان عصابة من الاغنياء حين قال "ليهلك الشعب" فقد قال ذلك وهو رئيس احدى هذه الشركات الغنية . فلم يهتم وشركاؤهُ فيما يعود بالخير والاسعاد على سائر افراد المجتمع

وعند الاشتراكيين انهُ لو اخذت الحكومة على عاتقها ادارة السكك الحديدية وما شاكلها من المنافع العامة لقلت النفقات اللازمة لادارتها كما يشاهد في اعمال البرد فان نفقات البوسطة في مملكة واحدة اقل مما لو تولت اعمال البريد في تلك المملكة شركتان او ثلاث شركات . ومتى فعلت الحكومة ذلك فيجب عليها ان تحسب ربع هذه الاعمال حينئذٍ جزءًا مما يستثمر كل سنة لنفع المجتمع وخير افرادهِ وانهُ يجب على كل فردٍ الاشتراك في العمل الذي يصيبهُ بحسبما تفرضهُ الادارة العامة ولا يحق لاي كان ان يرفض العمل ما لم يكن عاجزًا او ما يماثل ذلك

وقد جاء في صدر هذه المقالة ان الحاجة والفقر هما منبت الاشتراكية واني ملمٌّ هنا ببعض ما يحدث في اوربا مما يزيد في ضيق العمال ويدفعهم الى السخط عن الحالة الحاضرة

فلا يمرّ دهر في اوربا لا تصاب فيهِ التجارة بكساد والذي يطلع على تقدم الصنائع وكثرة الاختراعات وتحسين الآلات والمعامل وتسهيل وسائل النقل يعلم ما لهذه من التأثير في تقليل العمل وتقليل عدد العمال . فقد كانت المصنوعات قبل البخار تصنع بايدي العمال وبقوتهم فلما شاع استعمال الآلات البخارية قلّت الحاجة اليهم ثم تلا ذلك التحسين المطرد في هذه الآلات فازدادت كمية المصنوع بها دون زيادة عدد العمال الذين يتولون ادارتها على ان هناك من الاسباب ما هو اولى بالنظر مما تقدم. خذ عاماً يكثر فيهِ طلب المصنوعات والبضائع من اوربا فان اصحاب المعامل يسرعون الى زيادة العمال واكثار الادوات فيكثر العمل وترتفع اجور الفعلة وتزداد المنافسة بين اصحاب الرساميل ويشتد بهم الجشع للكسب فيصنعون من البضائع ما يزيد عن الحاجة اليها فيعقب ذلك الدور دور الكساد ويجبرون على اخراج العمال من مصانعهم وهكذا يصبح الوف من هؤلاء منتشرين في انحاء العالم ولا عمل لديهم وليس لهم ما يبتاعون بهِ القوت. وقد حسب بعضهم ما اصاب انكلترا من سني الرغد في قرن واحد فكان كما ترى

من سنة ١٧٧٠	الى سنة ١٨١٩	سنو الرغد	٤٥	سنو الشدة	٥
" " ١٨٣٢	" " ١٨٦٠	" "	٢٠	" "	١٩
" " ١٨٦١	" " ١٨٨٤	" "	٠٩	" "	١٥

وهذه الزيادة في سني الضيق والشدة مقارنة لاحتشاد السكان في البلدان المتمدنة تتفق مع ادخال الآلات العظيمة والاستعاضة عن البالغين من الرجال بالاولاد والنساء اذ القوة متوفرة في الآلات نفسها

هذا بعض ما يراهُ زعماء هذه الفئة من الاشتراكيين ولا ريب في انهم مصيبون في بعض ما يقولون مخطئون في البعض الآخر ولتاريخ الاقتصاد المستقبل ان ينبئنا بنجاحهم في اقناع الناس بصحة ارائهم او باخفاقهم في ذلك . ولا مشاحة في ان ثورة الخواطر في اوروبا احدثت اثرًا مهماً في عمرانها واجلت عن تغيير وابدال في شرائع الحكومات وعوائد البلدان مما عاد بكثير من الخير ولعلّ هذا معظم فضل الاشتراكيين فان الغلاة منهم يطالبون بما لن يحدث في المستقبل العاجل او بما لن يحدث ابداً لكنّ مجاهرتهم بارائهم نبهت الافكار وايقظت العقول فكان من ذلك ما كان من اهتمام العمال بامورهم واسراع الحكومات الى سنّ الشرائع المناسبة وتأليف الجمعيات لنجدة ذوي البأساء من العمال حتى اصبح بين اعضائها كثيرون من اصحاب الرساميل ممن كان يعتقد ان العمال خلقوا لخدمتهِ. وبالاختصار فان الاشتراكية المعتدلة قد اتت العالم بكثير من الفوائد

نور المستقبل

ساعة على شاطىء بحر الروم في سان استفانو تكاد تقنعنا ان نور المستقبل ليس الغاز ولا الكهربائية بل شيء آخر ارخص منهما كليهما . نور طبيعي لا يحتاج الى ايقاد ولا الى نفقة . وهذا النور امامنا الآن فان الوقت نحو الساعة العاشرة ليلاً وبنات نعش في الهاجرة والنجوم تتلألأ ولكن نورها ضئيل لا يلقي ظلاً ولا يوضح خفياً . والانوار الكهربائية وراءنا لا يمتد نورها الى شاطىء البحر والقمر لا يزال تحت الافق لا يطلع قبل نصف الليل . ولكن ما هذا النور المستطير الممتد في عرض البحر يظهر تارة ويغيب اخرى لا هو انعكاس من كواكب السماء ولا هو امتداد من اشعة الكهرباء ولا يرى الأحيث يتحرك الموج ويتنفس . نور لطيف فصفوري لا يبهر البصر اوقدته الطبيعة في مصابيحها لتسرَّ بهِ اسماك البحر وتنير ظلمة محارهِ

هذا النور الفصفوري الساطع الذي نراهُ في الحباحب وبعض الحيوانات البحرية عرفهُ القدماء واستخرجوا من هذه الحيوانات او من غيرها دهناً ينير في الظلام وكان غوَّاصو عمان والبحرين ينزلونهُ معهم الى قاع البحر وهم يفتشون عن صدف اللؤلوء فعلى م لم يشتهر امرهُ حتى الآن ولا اهتمَّ العلماء باستخراجهِ واستعمالهِ ذلك من غرائب الاهمال التي لا يعرف سببها

هذا وقد ابنا غير مرة ان بعض العلماء الفرنسويين او المشتغلين بالعلم في فرنسا اكتشفوا مواد معدنية تنير من تلقاء نفسها من غير ان توضع في نور الشمس . ومعلوم ان الاتربة المعروفة بكبرتيد الكلسيوم والباريوم وما اشبه تنير اذا وضعت في نور الشمس ثم نقلت الى مكان مظلم لكن انارتها هذه لا تطول وكأنها تمتص اشعة النور ثم تشعها فمتى اشعتها نفد منها لان النور ليس ذاتياً فيها اما المواد المشار اليها آنفاً فتنير من نفسها كما ينير الفصفور في الظلام ونورها خالٍ من الحرارة فهو ليس ناتجاً عن احتراق بطيء فيها . ويمتاز عن سائر الانوار بخواص اخرى وهي ان فيهِ اشعة تخترق بعض الاجسام مثل اشعة رنتجن واشعة تؤثر في الالواح الفوتوغرافية واشعة تجعل الهواء موصلاً للكهربائية

فقد اكتشف العالم بكرل الفرنسوي سنة ١٨٩٦ انهُ يصدر من املاح الاورانيوم اشعة لا ترى بالعين ولكنها تؤثر في الواح التصوير الفوتوغرافي وبعضها يخرق الورق الاسود مثل اشعة رنتجن ويؤثر في الواح التصوير . وهذه الخاصة تشمل الاورانيوم المعدني ومركباته المختلفة متبلورة كانت او غير متبلورة جامدة او ذائبة

وكانت مدام كوري البولندية الاصل تشتغل في مدرسة الطبيعيات الصناعية والكيمياء

بباريس سنة ١٨٩٨ فاستنبطت آلةً لقياس قوة ايصال الهواء للكهربائية في احوال معلومة وبحثت في بعض املاح الاورانيوم من هذا القبيل فوجدت قوتهُ تزيد على قوة الاورانيوم نفسهِ ثلاثة اضعاف فاستنتجت ان فيهِ جسماً آخر غير معروف . ثم استعانت بزوجها على البحث في هذا الملح فوجدا فيهِ عنصرًا مثل عنصر البزموث سمياهُ باسم البولانيوم نسبة الى بولاندا بلاد مدام كوري . واعطت اكادمية العلوم هذه السيدة اربعة آلاف فرنك اعترافاً بفضلها في كشف هذا العنصر . ثم وجدت هي وزوجها عنصرًا ثانياً سمياهُ باسم الراديوم . واكتشف المسيو دبيرن بمساعدتهما عنصرًا ثالثًا اطلق عليهِ اسم الاكتينيوم

والراديوم من هذه العناصر تتولد منهُ اشعة نور ظاهر للعيان ولا تزول منهُ بمرور الزمان وطول الاستعمال . كتب الدكتور بلتن الكيماوي في جريدة العلم العام الاميركية ان الاستاذ لنغلي سمح لهُ بامتحان هذه العناصر الثلاثة في دار العلم السمثسونية باميركا وكانت قد استُحضرت لها في المانيا وبعضها استُحضر في باريس فلما نزع عنها الورق الملتفة بهِ في غرفة مظلمة رأى لها نورًا ضاربًا الى الخضرة

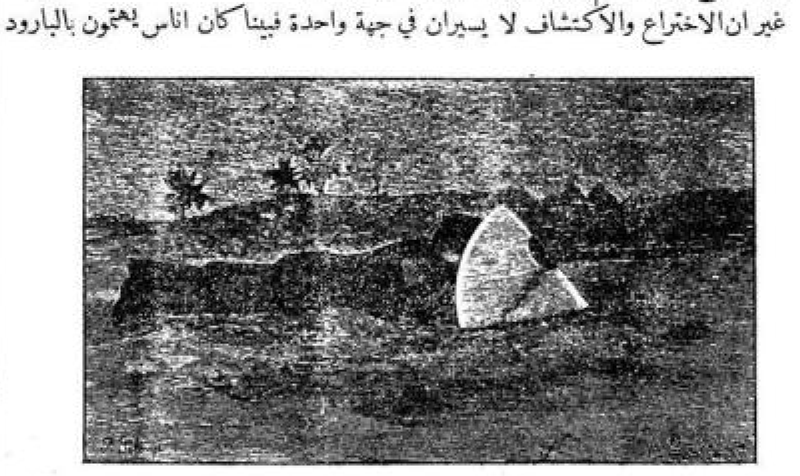
وهذه العناصر قليلة الوجود جدًّا ولكن قد اظهر احد علماء المجار الآن انها ليست بسيطة بل هي مركبة ويمكن تركيبها كيماويًّا . فاذا صحَّ ذلك وركّب منها مقادير كبيرة افلا تصير واسطة الانارة بدل الزيت والغاز والكهربائية و يصير الاعتماد عليها وحدها لانها تنير ولا تخسر شيئًا من مادتها فلا تكون لها نفقة . واذا ثبت ان العناصر المنيرة فيها هي نفس العناصر المنيرة في الحباحب وهوام البحر عدنا الى زيت القدماء الذي اناروا بهِ ظلمة البحر وقد يكون هو الزيت الذي اناروا بهِ باطن المدافن المصرية وهم يصنعونها وينقشونها من غير ان يوقدوا فيها زيتًا يفسد هواءها والاّ فان نقشها بالوان بديعة ودقة تامة بعد رسمها بخطوط دقيقة من غير نور ساطع لمَّا تعجز عنهُ ايدي البشر ولا يصدّق انها نقشت على المصابيح الزيت ولا اثر لسناجهِ فيها

والبحث في هذا الموضوع كبير الفائدة تبارت فيهِ النساء والرجال ليس من الالمان ولا من الانكليز ولا من الفرنسويين بل من اهالي بولاندا والمجار من الذين قلما يذكر الآن اسمهم في نوادي العلم والجرائد العلمية . والفضل الاول فيهِ لمدام كوري كما تقدم وهب انهُ لم تنتج منهُ نتيجة عملية فالنتيجة العلمية كافية لذاتها لمداومة البحث والتنقيب وبمثل ذلك ترتقي العلوم الطبيعية وترتقي البلدان التي تهتم بها والامم التي توسع نطاقها

ترس المشاة

كان الترس من اول وسائل الدفاع بل الحيوان الاعجم سبق الانسان اليهِ لا عن فكر وروية بل جرياً على ناموس طبيعي يخضع لهُ عقل الانسان كما يخضع لهُ شجر الغاب وحيوان القفر . وكانت حيوانات العصور الغابرة تشتمل بتروسها كالسلاحف والتماسيح فلا تخشى انياب الضواري ولا حجار البراكين اما الآن فقلَّت منها ذوات الاتراس كما قلَّ استعمال الدرع والترس لما صُنع البارود فلم يعودا يقيان من رصاص البنادق

غير ان الاختراع والاكتشاف لا يسيران في جهة واحدة فبينا كان اناس يهتمون بالبارود



والبنادق حتى يصير الرصاص يصل الى ابعد مرمى ويخترق اصلب المواد كان غيرهم يهتمون بعمل دروع تقي من الرصاص والقنابل فصنعوا اولاً دروع البوارج من صفائح الحديد ثم من صفائح الصلب وتفننوا في ذلك وبذلوا فيهِ اقصى ما وصل اليهِ العلم والاستنباط حتى صارت الدرع التي يزيد سمكها على قدم واحدة تغني عما سمكهُ قدمان او ثلاث . ولم تعد قنابل المدافع مهما كبرت وقوي بارودها تخرق الدرع ولو أُطلقت عليها مراراً متوالية

ولكن ما سهل استخدامهُ لوقاية البوارج من القنابل لا يسهل استخدامهُ لوقاية الناس من رصاص البنادق لان اول مزية للجندي خفة حملهِ حتى تسهل حركتهُ واسرع الجنود حركةً اقربهم الى الفوز على خصومهم ولولا ذلك لسهل استنباط درع تغطي البدن كلهُ ولا يخرقها الرصاص

وقد اهتمّ كثيرون باستنباط ترس خفيف يسهل على الجندي حملهُ ومتين لا يخرقهُ رصاص البنادق فلم يوفّق احد منهم الى الغاية المطلوبة تماماً وخير ترس صُنع حتى الآن مرسوم في الشكل السابق وهو مثلثان متصلان بمفاصل يطوى على نفسهِ ويحملهُ الجندي على ظهرهِ مع مزودهِ من غير مشقة واذا اراد استعمالهُ فتحهُ ووضعهُ على الارض امامهُ واستلقى على بطنهِ كما ترى في الرسم وهي الصورة التي يكون عليها اكثر الجنود الآن وقت اطلاق البنادق . وفي الترس ثقب يخرج البندقية منهُ ويرى منهُ صفوف الاعداء امامهُ فيقي الترس رأسهُ وبدنهُ كلهُ من غير ان يمنعهُ رؤية العدو

وثقل هذا الترس ١٣ رطلاً مصريًّا او نحو اربع اقات ونصف اقة وقد ثبت بالامتحان ان رصاص موزر ورصاص لِمتفرد لا يخرقانهِ على مسافة ١٢٠٠ قدم ولا يؤثر فيهِ رصاص المكسيم الاَّ على بعد ٢١٠٠ قدم لكنهُ لا يخرقهُ بل يزلق عنهُ زلقاً . واذا دهن بدهان يشبه الارض حسبهُ العدو حجرًا واذا كان بارود الجندي خاليًا من الدخان استطاع ان يبقى وراءهُ زمانًا طويلاً من غير ان يُكتشف

وهذا الترس لا يقي الجنود الهاجمة على الحصون او على الخنادق . لكن حرب البوير الاخيرة اثبتت ان لا فائدة من الهجوم على الجنود التي وراء الحصون والخنادق لان خسارة الفريق المهاجِم تزيد على خسارة الفريق المهاجَم زيادة فاحشة حتى لا يصح الهجوم الاَّ بعد ان يقوم الجنود من خنادقهم . وعليهِ فهذا الترس يساعد الهاجمين على الهجوم البطيء الى ان يصيروا على اربع مئة متر من العدو المحصن في خنادقهِ فيستلقون هناك وراء تروسهم و يصلونهُ نارًا حامية الى ان يضطروهُ الى الخروج من خنادقهِ وحينئذٍ يهجمون عليهِ بالحراب و يثخنون فيهِ الى ان يفرَّ من وجوههم او يستأمن

وكل الوسائل التي تستنبط لتقوية احد المتحاربين على الآخر تأول الى تخفيف ويلات الحروب وتقليل قتلاها . اعتبر ذلك بحرب البوير فان الجنود الانكليزية تبلغ نحو مئتين وخمسين الفًا وقد مضى على هذه الحرب الآن نحو عشرة شهور ومع ذلك لم يقتل من الجنود الانكليزية فيها سوى ٣٠٠ ٧ نفس وجرح منهم نحو ٣٥ الفًا وذلك كلهُ اقل مما كان يقتل ويجرح في معركة واحدة من المعارك القديمة حينما كان الناس يقتتلون بالسيف والرمح . فكل ما استُنبط من البنادق والمدافع ووسائط الهلاك لم يزد قتلى الحرب بل قللها كثيرًا والغاية من الحرب الآن ليس قتل العدو بل منعهُ عن الحرب واضطرارهُ الى التسليم

الطاعون في العام الماضي

لجناب بتشلغ بك مدير عموم مصلحة الصحة

ذكر الدكتور جوتشلغ المفتش الصحي في بلدية الاسكندرية في ٤ مايو سنة ١٨٩٩ ان غلاماً يونانياً دخل المستشفى اليوناني مصاباً بمرض يشتبه في كونهِ طاعوناً . ومع ان اعراض مرضهِ والبحث الكبتريولوجي في مواد الدبل الذي اصابهُ قوَّت الشبهة جدًّا رأت مصلحة الصحة انهُ لا يجوز لها ان تعلن ان القطر المصري موبوءٌ بناءً على تلك الاصابة الوحيدة

ثم دخل المستشفى اليوناني مصاب آخر في ٢٠ مايو وتبين بالبحث انهُ مصاب حقيقة بالطاعون فأُخبر رجال مجلس الصحة والكورنتينات بالاصابتين حالاً فاعلنوا ذلك للدول. واتخذت الاحتياطات الواجبة في ما تعلق بالاصابة الاولى ففتشت المنازل المجاورة لمنزل المصاب تفتيشاً دقيقاً لمعرفة ما اذا كان قد حدث فيها اصابة اخرى فلم يوجد شيءٌ من ذلك . ولكن تبين بعد اعلان الاصابتين ان غلاماً يونانياً آخر دخل المستشفى اليوناني في شهر ابريل مصاباً بشبههما فشخص اطباء المستشفى علتهُ التهاباً في الغدد وعالجوهُ معالجة الالتهاب فشفي وخرج من المستشفى . فيمكن ان يكون هذا الغلام قد أُصيب بالطاعون ايضاً ولكن زيادة البحث لم تأتنا ببينة عن ثقة على ان الطاعون كان في الاسكندرية قبل ذلك الحين

وحالما أُعلنت تانك الاصابتان في الاسكندرية قامت مصلحة الصحة مقام البلدية في اتخاذ الاحتياطات التي رأتها لازمة لمقاومة الطاعون وقررت الحكومة بذل مبلغ من المال على ذلك وحصلت عليهِ من صندوق الدين وأيدت مصلحة الصحة في جميع ما تفعلهُ لحصر الطاعون ضمن حدودهِ . فزادت المصلحة عدد الاطباء كثيرًا وتولت تفتيش المنازل في الجهة الموبوءة تفتيشاً وافياً وعينت جماعة لرش المنازل بالجير ونظمت طرقاً لمراقبة جماهير العمال على الدوام

وكان الطاعون محصورًا في حارة الهماميل حيث تسكن الطبقات الدنيا من الاوربيين ثم جعلت الاصابات تظهر في كل حي من احياء الاسكندرية

اما الاحتياطات التي اتخذت في الاسكندرية فكانت كما يأتي :

يفرز المصاب بالطاعون حالاً بنقلهِ الى مستشفى الحكومة او المستشفى اليوناني ووضعهِ في مكان من الاماكن المعينة للامراض المعدية . ويفرز جميع الذين خالطوهُ بنقلهم الى المحجر الصحي في القباري حيث يبقون سبعة ايام تحت المراقبة ويطعمون على نفقة الحكومة ويقبض كل ذكر منهم من ابن ١٦ سنة فما فوق ثلثة غروش منها يومياً مقابل ما فقد من اجرتهِ بالحجر عليهِ

واذا اكتشفت وفاة بالطاعون خارج المستشفى نقلت الجثة الى محل الموتى حيث تعد للدفن . ثم تتخذ جميع التدابير الواقية من العدوى ويفرز جميع الذين خالطوا المتوفى الى القباري حيث يقضون سبعة ايام في المحجر الصحي

اما الذين يفرزون في القباري فيلزمون بخلع ثيابهم حال وصولهم اليه والاستحمام فيلبسون ثياب تعطيهم اياها الحكومة مهلة ما تطهر ملابسهم . ولم تحدث بينهم غير اصابة واحدة مدة وجودهم في القباري . ثم ان جميع الثياب والفرش والاثاث والبسط والستائر وغيرها تنقل في مركبات خصوصية من المنازل الموبوءة وتطهر بالبخار الحامي في مستشفى الحكومة . وكان عند الحكومة اولاً فرنان لهذا التطهير في المستشفى وفرنان في محجر القباري ثم جاءت بغيرهما من المانيا

اما المنزل الذي تحدث الاصابة فيه فيطهر بمحلول ١ في الالف من بركلوريد الزئبق بعد نقل ما فيه وتطهيره كما تقدم ثم يرش بالجير المطفإ حديثاً ويذر الجير الحي على الارض اذا كانت من تراب. ويقفل كل منزل بعد تطهيره كما تقدم حتى يعود اصحابهُ من محجر القباري. وترسل مركبات ايضاً لازالة ما في المنزل من الزبالة مثل الحصر العتيقة والخرق القذرة والمخدات ونحوها فتنقلها منها الى خارج المدينة وتحرق هناك . وترد الحكومات اليها حصراً ومخدات جديدة من مالها بدلاً من التي احرقتها . ومما هو حريٌ بالذكر انهُ لم تحدث اصابة ثانية قط في منزل طهر هذا التطهير

واذا توالت الاصابات في جهة من الجهات نظفت تلك الجهة كلها حالاً ونظفت جميع منازلها ورشت بالجير . وقد ذكرت في الجدول التالي عدد المنازل التي رشت بالجير وعدد اكياس الزبالة التي نقلت منها وغير ذلك من ٢٠ مايو الى هذا التاريخ وهو

المنازل والغرف الموبوءة	١٦٩
الغرف التي رشت بالجير	١١٢٦٧٦
اكياس الزبالة التي أُحرقت	٣٤٠٤٩
الحصر التي أُعطيت مجاناً بدلاً من التي احرقت	١٤٠٧٤
المخدات " " " " "	٥٩١٢
الاصطبلات التي طهرت	٨٥٤
عدد العمال الذين اضيفوا الى العمال الاصليين	٧٣٢
عدد الاشخاص الذين فرزوا	٦٧٢

اما عدد الاصابات فكانت من ٢٠ مايو الى ٢ نوفمبر (يوم اعلان آخر اصابة) ٩٣

اصابة شفي منها ٤٨ وتوفي ٤٥ وكان ٦٥ منها من الاهالي و ٢٨ من الاوربيين وهم فرنسويان وايطالي و ٢٥ يونانيًا . وتوفي ٢١ منها خارج المستشفى ثم اكتشفوا بعد وفاتهم فدفنوا بعد الاحتياط الواجب واتخذت جميع التدابير الصحية ايضًا مثل فرز الذين خالطوهم وتطهير المنازل وما جاورها

واحتياطًا لتفشي الطاعون استُحضر ثلثة اطباء من بلاد الانكليز وهم من الذين اختبروا مقاومة الطاعون في الهند فوصلوا الى الاسكندرية في شهر يوليو

على انا لم نعتمد على غير الاحتياطات الصحية في مقاومة الطاعون ولم نستعمل العلاج باللقاح الذي اكتشفهُ هفكن . اما هذا اللقاح فيظهر من الاحصاءات التي نشرها المستر هفكن انهُ يقي بعض الوقاية ولكن لا ينكر ان مقدار تلك الوقاية ومدة دوامها غير معلومين . فاستصوبت مصلحة الصحة ان يكون عندها من اللقاح حتى اذا طلب أحد منها ان يحقن بهِ اجابتهُ الى طلبهِ فاستحضرت مقادير عظيمة منهُ في معملي مصر والاسكندرية البكتيريولوجيين وحفظتها حتى تمس الحاجة اليها

هذا واري من القليل الذي علمتهُ عن الطاعون في الاسكندرية انهُ مثل سائر الامراض العفنة اعني انهُ اذا لم يتدارك في اولهِ تفشى حتى يعجز رجال الصحة عن استئصال شأفتهِ ولكن اذا عُرف خبره في بدء ظهورهِ واتخذت التدابير اللازمة لمقاومتهِ امتلك رجال الصحة ناصيتهُ كما يمتلكون ناصية الجدري او الحمى القرمزية مثلاً . فالمعالجة بعلاج هفكن تفيد في البلاد التي تفشى الطاعون باهلها واستعصى على رجال الصحة واما استبدال الاحتياطات الصحية بعلاج هفكن في البلاد التي لم يزل الطاعون محصورًا فيها ضمن حدود ضيقة فضرب من الغرور وهو لا يخلو من الخطر . ولا خير في كل تدبير يتخذ لمقاومة الوباء ان لم يتيسر العمل بهِ ولا يتيسر العمل بعلاج هفكن لوقاية اهل الاسكندرية من الطاعون لاننا لو شئنا حقن كل واحد لاقتضى لذلك خمسون طبيبًا يشتغلون بهِ دون سواه اشهرًا هذا عدا استيفاء سائر الشروط اللازمة لصحة العلاج

اما كون الطاعون قد انقطع وزال من الاسكندرية فمسألة لم يئن وقت الحكم فيها ولكن مضى نحو ثلثة اشهر على آخر اصابة حدثت بالطاعون الاَّ اصابة واحدة مشتبهة حدثت في ٧ يناير الجاري وقد كان عدد الوفيات في الاسكندرية منذ شهر يونيو اقل من متوسط عددها في السنوات العشر الاخيرة

على ان الاحتياط لم يبطل هناك والتفتيش لايزال دقيقًا والرش بالجير والتنظيف والتطهير

جارياً مجراهُ والكشف عن الموتى باقٍ على حالهِ حتى اذا لم ينتبه الى الاصابة في حياة المصاب لم يدفن بعد وفاتهِ الاَّ بالاحتياط اللازم . وستدوم هذه الاحتياطات مدة شهرين آخرين على الاقل ثم تنقص شيئاً فشيئاً اذا لم تحدث اصابات جديدة

ولم نلقَ صعوبة تذكر في اجراء الاحتياطات في الاسكندرية مع ان كثيراً منها كان يظهر للناس مقلقاً في زمن لم يكونوا يدركون فيهِ اخطار الاحوال التي هم فيها لانهُ لم يكن يصب غير واحد او اثنين يومياً في مدينة اهلها ٣٨٠٠٠٠ نفس . وقد ساعدت قنصليات الاسكندرية رجال الصحة بكل ما في طاقتها ولا سيما وكيل دولة اليونان الذين اصيب عدد عظيم منهم بالنسبة الى غيرهم فانهُ اهتم بالاحتياطات الصحية اهتماماً خصوصياً وابدى مزيد الغيرة في انجاح مساعي رجال الصحة

ولم يصب احد بالطاعون خارج الاسكندرية الا اثنين في بندر دمنهور على بعد ٤٠ ميلاً من الاسكندرية احدهما يوناني مستخدم في دكان بدال فيها وكان صاحب الدكان قد اشترى بضاعة من مخزن في الاسكندرية حدثت بعض الاصابات فيهِ والآخر حمال وطني في محطة سكة الحديد وكان ينقل البضاعة من عربيات سكة الحديد الى مخازنها . وجعلت بنادر القطر كلها تحت المراقبة لكشف كل اصابة مشتبهة فبلغ مصلحة الصحة خبر اصابات عديدة منها ولكن ثبت من الفحص البكتريولوجي انها كانت كلها بغير الطاعون

القاهرة في ٣٠ يناير ١٩٠٠   ه . ه . بنشنج مدير عموم مصلحة الصحة

الذكاء والجنون

لحضرة الدكتور نقولا فياض

تختلف القوى العقلية باختلاف الناس وهي في الانسان الواحد مقرُّ تفاوتٍ عظيم فتضعف قوة منها بنمو اخرى وقلما اتفق لواحد ان تتساوى قواهُ كلها في النماء ولهذا تفاوتت مراتب العقل البشري وكان لهُ حالات وصور يصعب تحديدها فلا يعرف ابن يبتدىء الذكاء ولا أين ينتهي . وما هذا الرأي بحديث النشأة بل قامت عليهِ الادلة منذ القدم وكان لهُ زعماء لعهد ارسطوطاليس . وطالما سمعنا ورأينا ان الذكاء مهما بلغ من انسان لم يعصمهُ من الخلل في بعض قواهُ العقلية . وقد قرأنا الآن لبعض علماء العصر بحثاً جديداً في هذا الموضوع يؤيد ان الذكاء الشديد والجنون حلقتان من حلقات السلسلة التي تؤلف حالات العقل البشري وهما في

طرفيها بحيث لا يستحيل ان تلتقيا وتلتصقا فيتصل الذكاء بالجنون . ولا يراد بهذا القول ان من كان نابغة في قومهِ كان مجنوناً بل المراد ان بين الحالتين نسبة من حيث خروجهما عن الحالة المألوفة ودخولها في رتبة النادر الشاذ فالنابغة والمجنون بعيدان من الحالة البشرية العامة الاول لانهُ فوقها والثاني لانهُ دونها

وقبل الذهاب في الموضوع نرى من الواجب تعريف النابغة وشرح المراد من اللفظة لاضطرارنا الى الاكثار من استعمالها في كلامنا هذا فالنابغة ترجمة جني Génie بالفرنسوية وقد اختلف البعض في ترجمتها لان اللفظة الفرنسوية تطلق على معاني كثيرة اما نحن فاخترنا كلمة نابغة لانها تصيب غرضنا في هذا الموضوع اذ لا نقصد ان نتكلم عن الروح ولا عن الآلهة او غير ذلك من مفاد اللفظة الفرنسوية بل عن الرجل البالغ من الذكاء اشدهُ . والنابغة يختلف عن غيرهِ من الاذكياء كما يختلف الذكي عن الخامد الذهن ولكن بين الواحد منهم والآخر حالات متوسطة يصعب معها وضع حدّ فاصل . غير ان ذلك لا يمنعنا عن معرفة النوابغ . ومهما يكن من الارتباط بين اصحاب الذكاء فالتمييز بينهم غير مستحيل وهكذا يمكننا ان نعدّ بين النوابغ من كان في طبقة دانتي وشكسبير و كورنيل وهيكو وغاتي من الشعراء . وباسكال ونيوتون وفولتر وابي العلاء من الفلاسفة واصحاب الافكار . وليونارد دي فنسي ورفائيل من المصورين . ونابوليون من قواد الحروب وساسة الشعوب

ولا ريب في ان ما امتاز بهِ هؤلاء العظام ورفعهم فوق مرتبة اقوامهم هو مخالفتهم كل من عاصرهم في الفكر والرأي وقيامهم باعمال لم يُقدم عليها سواهم فهم مستقلون في افكارهم يقودون غيرهم الى الاعمال ولا يقتادهم اليها احد . فالنابغة اذاً من كان غريب الاطوار فكرًا وعملاً بعيد مطارح النظر تخرق اشعة ذكائهِ ما اظلم حول عقول معاصريهِ ويفتح ما اغلق عليها . خذ رسّاماً بارعًا في الرسم مدققاً في صناعتهِ كل التدقيق اذا رسم لم يترك مأخذاً لطاعن ولا معلقاً لعائب ولكنهُ لا يعرف التفنن والخروج عن الطريق المألوفة من اخوانهِ في الصناعة فلك ان تسمي هذا الرسّام عالماً في صناعتهِ وتعجب بمهارتهِ ودقتهِ ولكن لا يسعك ان تقول انهُ نابغة . انظر الى الكتبة والمنشئين فانك تجد من هم في الطبقة الاولى من العلم بقواعد اللغة وتراكيبها حتى حق ان تسميهم علماء ولكن قلما تجد من يحقُّ ان يسمى نابغة وقس على ذلك المصورين والنقاشين

قال احد العلماء ان الجديد يحصل بالتقريب بين صور متباعدة قابلة التقارب فالنابغة من ظهر لبصيرتهِ هذا التقارب الذي تغلق عنهُ مدارك غيرهِ من الناس وبهذا يعزى الى الغرابة ويخرج عن الطور الطبيعي

كذلك المجانين فالغرابة في الافكار كثيرة عندهم وافكارهم تندفع فجأةً كالسهام فلا نفقه لها كنهاً ولكن يستشفُّ منها احياناً شيءٌ من الذكاء الشديد وكم اطلع المارستان اختراعات مدهشة كان ينقصها شيءٌ زهيد لتعدَّ من آثار النابغين

وخروج النابغة عن الطور الطبيعي يدلك على انهُ لا يملك الصحة الكاملة في عقلهِ وانهُ معتل فسيولوجياً وبسيكولوجيا ألا ترى ان من كان من النابغين فهو مصاب اكثر الاحيان بما يدعيهِ الاطباء بالهذيان الديني او هذيان الاضطهاد او الكبرياء واذا استقصيت الخبر وجدت اكثر النوابغ سلالة قوم كثر فيهم الجنون او التقهقر في النمو وهم اذا تزوجوا جاء نسلهم عقيماً او لم يكن لهم نسل

والنابغة من يمكنهُ ان يفعل اكثر مما يفعل سواه واحسن مما يفعل سواه وطريقتهُ في العمل مخالفة لطريقة غيرهِ فهو نادر شاذ . والطبيعة لا تحب الشاذ ولا ترضى الإبقاء عليهِ وجل همها المساواة بين افراد هذا الموجود فهي اذاً ديمقراطية المبدإ ولهذا لا ترضى بوجود النوابغ فتجتهد ان تدخلهم في مصاف غيرهم . واذا تتبعنا حياة النوابغ وطالعنا سيرهم نجد في معاملتهم العقلية والبيتية والاجتماعية شيئاً من الاعتدال او الاختلال يقربون بهِ من المجانين بل نرى ان اذكى العقول مضاه واقفة عند حدود الجنون ولا يخلو عظيم في الناس من بعض تصورات تختص بهِ وعقائد لا تتعداهُ وعوائد لا تجدها في سواهُ . والانفة وسرعة التأثر وشدة الانفعال والرهبة وما شاكل امراض من امراض النفس تبلغ اشدها في النابغين ولكن وجودهم وراء نور ساطع من الذكاء يخفيها فتظهر في ابنائهم اوضح ظهور ولهذا نصح احد مشاهير الاطباء كل فتاة تريد الزواج ان ترفض من يتقدم اليها من ابناء النوابغ اذا كانت تطلب لاولادها صحة كاملة

واذا نظرنا في اعمال النوابغ انكشف لنا وجه آخر للشبه بينها وبين اعمال المجانين وهو احتواؤها شيئاً فجائياً ترجع عنهُ مدارك العوام حاسرة إما لما فيهِ من الجرأة والاقدام او القدرة والسرعة فترى الافكار البعيدة السامية تلد باسرع ما يمكن من غير جهد ولا عناء وما قالهُ بوفوست من ان التأني طريق النبوغ غير صحيح لان جهد ما يستطيعهُ الانسان بالتأني ان يأتي عملاً متقناً معتدلاً لا يخرج عن نظام المألوف. اما النابغة فلا يعرف الاعتدال ولا يتقيد بنظام

ففي فكر النابغة شيءٌ غريب خارق العادة لا يدخل تحت نظام كما في الجنون ولهذا كان النوابغ في كل عصر ومصر مرمى الهزء والاضطهاد فلم تنل اعمالهم قبولاً عند معاصريهم لان معاصريهم لم يفهموها وعلى هذا القياس دعا نابوليون فولتون مجنوناً لانهُ استنبط البخار للسفن البحرية . وانكرت جمعية العلوم الباريسية منفعة التلفون في اول امرهِ . وحُبس غليليو لانهُ قال

بدوران الارض . وسمي كولومبوس صاحب احلام لانهُ قال بوجود اميركا قبل ان رآها

وائتلاف التصورات الغريبة هذا يكثر عند الشعراء . ولا اريد بهم المشتغلين بالنظم من جيلنا الحاضر فان اكثرهم مقلد بل المتقدمين الذين نبغوا فيهِ وكانوا من المخترعين . ترى المجانين تحب التلاعب بالالفاظ وتكثر في الجملة الواحدة من الكلمات المتشابهة وهذا قريب من الشعر ولهُ عند العرب اسم يعرف بهِ وهو البديع

والافكار السامية شعرية او عملية تجيء اضطراراً غير مقيدة بارادة صاحبها وهذا ايضاً مما يميز النابغة عن سواهُ لان الشاعر المقلد يجد المعنى اولاً ثم يطلب كلمة للتعبير عنهُ . واما الشاعر المطبوع فكثيراً ما تعرض لهُ كلمة او قافية تنبههُ الى معنى جديد لم يكن لولا تلك القافية . وهذا ما يسمونهُ بالوحي الشعري . وكذلك المخترع فان اعظم تصوراتهِ تلد من جراء تأثير خاص ينفعل في دماغهِ كما تنفعل نقطة ماء ملح ببطرية كهربائية مهيأة للعمل هكذا اتصل كلفاني الى اكتشاف الكهربائية المنسوبة اليهِ بواسطة ضفدع كان قد اتى بها لمعالجة امرأتهِ وهكذا سقوط تفاحة الهم نيوتون الى اكتشاف الجاذبية

ولا ينتج مما بيَّنا ان الشعراء العظام والمخترعين الكبار مجانين لان الرجل العظيم وان شابه المجنون من بعض الاوجه فهو يختلف عنهُ اختلافاً عظيماً . نعم لهُ من حدة التصوُّر وغرابتهِ ما للمجنون ولكن لهُ ايضاً ما ليس لذاك من التوسُّع في النظر والاشراق في الفكر . ولهذا لا يكون عقلهُ عقيماً كعقل المجنون

والمصاب بالجنون يعيش في حالة اشبه بالحلم يلمس فكرهُ الاشياء لمساً ولا قوة لهُ على التبصر والنقد تلك المزية التي يمكن بها اصلاح للافكار الشاردة وردها الى الحقيقة فهو في حلمهِ المستطيل لا يرى ما حولهُ ولا دافع يردهُ عن الذهاب في فضاء التخيل ولا تأثير لحقيقة الاشياء فيهِ

اما النابغة فانهُ بالرغم عن غرابة تصورهِ وشرود مخيلتهِ تؤثر الحقيقة فيهِ لان لهُ قوة اخرى فعلها يعاكس فعل الاولى وهي قوة النقد والتعقل فيستخدمها مع التصور والاختراع في وقت واحد . وهذه القوة المهيأة في دماغهِ وتمحيص ما ينتجهُ تصورهُ إن هي الاَّ حالة من ارق حالات الذكاء بحيث ان النابغة يحوي مجموعاً واحداً من التصورات بل سلسلة عظيمة من الافكار التي تتزاحم معاً في عقلهِ الواسع فمهما شردت مخيلتهُ اصابت من حولها وازعاً وكابحاً

وليس الاختراع محظوراً على غير النوابغ ولكنهُ يكون فيهم قصير الاجل سريع الزوال فقد يمكن مثلاً لشاعر تعوَّد نظماً فصيحاً سلساً ان يسقط عليهِ في ساعة من الزمان ما يسمونهُ بالوحي الشعري فينبغ في نظم معجزة من المعجزات غير ان ذلك لا يطول فلا يلبث ان يعود الى حالتهِ

الاولى من النظم . وطالما عثرنا على مقاطيع بديعة لشعراء مختلفين ظننا بها ان سائر شعرهم يكون كذلك فلم يصب ظننا من ذلك قصيدة سقوط الاوراق للشاعر الفرنسوي ميلئوى فهي كافية وحدها لتخليدهِ ولكن ان قلبت ديوانهُ لا تكاد تجد فيهِ قصيدة في طبقتها ومثلهُ قصيدة الاعزازي التي مطلعها "صاح في العاشقين يالكنانه" فقد ادَّعاها على ما يقال سبعون شاعرًا وهي فريدة بين اشعارهِ والقصيدة التي مطلعها نالت على يدها ما لم تنلهُ يدي لم ينج بمثلها على ناظمها . فالشاعر الذي ينبغ حيناً في نظمهِ لا ينبغ الاَّ في ساعة يتخذ فيها فكرهُ المجرى الذي يتخذهُ المجانين اي تأتلف في ذهنهِ تصورات غير اعتيادية لم تعرض لهُ قبلاً ولا تعرض لمن هم في طبقتهِ ووجودهُ في استعداد لمثل هذه التصورات يبعدهُ من مصاف العوام ويدنيهِ الى النوابغ

اذا عرفنا هذا اتضح لنا ان في كل من يشتغل اشغالاً عقلية قوتين مختلفتين القوة المبدعة القائمة بائتلاف تصورات غريبة غير منتظرة والقوة الناقدة التي تصلح تلك التصورات بائتلاف تصورات اخرى معاكسة او بعبارة اقرب الى الفسيولوجيين يوجد عاملان متناقضان من المحرك والموقف الحركة والحاصل من تنازع هذين العاملين هو نتاج الدماغ

فالمجانين يملكون العامل الاول اي المحرك واما موقف الحركة فمفقود منهم فهم في تصوراتهم كالفرس الجموح لا وازع لهم يوقفهم عند حد معقول اي ليس لهم تبصر في الامور ولا نظر ثاقب ولا حكم صائب . والعامة يتمتعون بالعامل الثاني اي لهم خاصة النظر والنقد غير انهم لا يشعرون بتلك القوة الدافعة التي توصل الى العظائم ولهذا يظلون في طبقة منخفضة اما النابغة فجامع بين القوتين حاصل على العاملين دماغهُ مقر للتهيج الجديد الموصل الى الابداع وفيهِ من صفاء الذهن واشراق الفكر ما يخفف من تهور التصور

وعمل هاتين القوتين يتم في وقت واحد والفائز منهما يرسم صورتهُ في العمل الاخير الذي ينتجهُ الدماغ . ومن درس اعمال المشاهير سواء كان في العلم او في السياسة وجد هذين العاملين على نسب مختلفة فيغلب في البعض منهم الاول بحيث يخالهم الدارس من المجانين مع اعترافهِ بعلو طبقتهم . و يغلب في البعض الآخر الثاني دون ان يمنع ذلك ظهور الغرابة فيهم

ولا يختص هذا القول بالعلوم الادبية دون العلمية لان الكيمياء والطب والطبيعيات لا يكفي لصاحبها ان يكون ذا اضطلاع وثبات واجتهاد بل يقتضي لهُ حدة في التصور والتخيلات والاَّ قضى فيها عمرهُ عالمًا عملاً عادم الطلاوة . وفي الابداع العلمي ما في الادبي من تفاوت الطبقات في الاختراع فقد يقع لعالم ما ان يشرق عقلهُ بنور النوابغ حيناً ثم يختفي ذلك الشعاع

كأن لم يكن وأصدق مثل على هذا شوان مكتشف الرأي الخلوي

ولكن في العلم كما في الادب لا يكفي الاختراع اذا لم يقرن بالصبر والتبصر فالمجانين قادرون على الاختراع ولكن لتقيدهم في افكارهم المحدودة وتيههم في بيداء احلامهم لا يبالون بالحقائق التي تحوطهم والتي يمكن ان تهذبهم فلا يرون غير تصوراتهم وان هي الا نقطة محدودة لا تكاد تلحظ وما بقي فمغلق عليهم وهكذا لا تنكشف سرائرهم للغير فيمتنع عليهم التقدم و يغلب فيهم الخطاء لان كل رأي لا تفعل بهِ الآراء المجاورة ولا تمسهُ اصابع النقد لا يسلم من الضلال

فالاختراع والتعقل متلازمان وكل من هذين العاملين اذا انفصل عن اخيهِ كان قاصرًا عن الاتيان بعمل عظيم . ان لافوازيه رجل الكيمياء الشهير كان من المقدرة على الاختراع بمكان عظيم فاتصل الى ما فات الوفًا من قبلهِ ودخل بفكرتهِ في قلب كل شيء تقريبًا فحلل الماء والالكحول وعرف الاختمار وعلل عن تكون الحرارة الحيوانية ووزن تلك الحرارة واخترع تسمية كيماوية لم تكن قبلهُ واشتغل بالاقتصاد السياسي والصناعة ولم يترك سرًّا من اسرار الكيمياء دون ان يدركهُ او يشير اليهِ عن بعد فكانت اعمالهُ اساس الكيمياء الحديثة والقاعدة التي وضع عليها ذلك البناء العظيم الناشر اليوم ظلهُ في عالم الصناعة والاختراع فلو لم يكن عندهُ من الدقة في النظر ما يقارن تصورهُ السريع البديع بحيث لا يجعلهُ ان ينقاد الى آرائهِ الخصوصية ويعمى عن غلطهِ بل يدفعهُ الى اجراء الامتحان واختبار كل ما كان يرتئيهِ وتمحيصهِ لمعرفة خطائهِ من صوابهِ لما فاز العلم بخدماتهِ والعالم بنتائجها

وباستور المحسن العظيم للانسانية مشهور بدقة نظرهِ وملامستهِ الحقيقة في كل اعمالهِ ولكن من ينكر عليهِ غرابة تصورهِ وقوة اختراعهِ فلولا هذا ما ادرك التولد الذاتي فاندفع الى درسهِ ولا استشف امكان التخفيض من سموم الجراثيم المرضية فاخذ اليهِ . والاغلب ان المرض الذي اصابهُ في رأسهِ قديمًا جعل دماغهُ سريع التهيج وربما كان السبب في ترقية قوة التصور والاختراع فيهِ ولا ريب انهُ يوجد الان مثل باستور في النظر والدقة ولكن من لنا بنظيرهِ في الابداع وقوة التصور

والمشتغل بالعلم يستفيد كثيرًا من تصوراتهِ وكلما اتسع نطاقها اتسع ذكاؤهُ ولو كاد يصل بهِ التخيل الى الهذيان بشرط ان يكون لهُ من دقة النظر وصفاء الذهن ما يلطف هياجهُ ويعدل حركاتهِ

ولزيادة البيان نختم هذه العجالة بمثل نستمدهُ من قصة مشهورة عند الافرنج تعرف بدون كيشوت في هذا الكتاب الذي هو من ابدع ما انتجهُ الفكر البشري بما دعي من الجد في الهزل

والحقائق على الاوهام بطلٌ يسمى دون كيشوت قرأ تواريخ الفرسان التائهة فدفعتهُ الغيرة الى التشبه بهم فغادر وطنهُ راكباً فرساً يشبههُ في الغرابة وسار في الارض فارساً تائهاً يطلب ضعيفاً ينقذهُ وبائساً يعضدهُ ومقهوراً ينصرهُ لانهُ كان ذا نفس كبيرة واميال سامية شريفة يحب العدل والاحسان والحرية وكان ينظر الى الشيء خلاف ما ينظر اليهِ سواهُ وآراؤهُ اسمى من آراء غيرهِ وعندهُ من المقاصد والمبادىء ما عند المصلحين والمخترعين والنوابغ فهذا الرجل لو كان فيهِ قليل من التعقل والتبصر لاصلح الانسانية قاطبة غير انهُ لسوء الحظ مجنون واي مجنون لانهُ لم يكن يتروى ليفهم حقائق الاشياء بل كان ينقاد الى تخيلاتهِ فيظنها حقائق ويبصر كل شيء من خلال احلامهِ ويتمشى في الحياة كما يتمشى النائم غير اهل لان يميز بين ما يوجد وما لا وجود لهُ ولهذا كان يخيب في كل عمل اقدم عليهِ وبالرغم عن اجتهادهِ وشجاعتهِ وفروسيتهِ وبالرغم عن مقاصدهِ السامية الشريفة افضى بهِ الحال الى قضاء باقي عمرهِ في المارستان لانهُ كان مجنوناً جنوناً مطبقاً

والى جانب هذا الفارس خادمهُ سانكو بانشا راكباً حمارهُ وهو رجل مجرد عن كل تصور لا يختلف عن عامة الناس في العقائد يتكلم ويفتكر ويعمل كما يعمل الناس ويعيد بسذاجة كل ما سمعهُ من اصحابهِ معلقةً في السماء وهو في الحضيض لا استعداد فيهِ لان يرتفع قليلاً عما كان عليهِ اجدادهُ ولا قوة لهُ على الانحراف عن الطريق العمومية ولكنهُ كان مشهوراً بتعقلهِ واشراق فكرهِ . وكلما عرض معلمهُ رأياً اجابهُ عليهِ بتبصر واسفرت العواقب عن صدقهِ وضلال سيدهِ

فلا يكون الانسان نابغة الاَّ اذا جمع بين دون كيشوت وسانكو بانشا . الاول ليمشي الى الامام ويحيد عن الطريق المطروقة ويستقل فيعمل غير ما يعملهُ الناس واحسن مما يعملون . والثاني لان هذه الغرابة في الاطوار لا تفيد شيئاً ان لم تقترن بشيء من التبصر والحكم الصائب ومعرفة الحقائق. ولهذا السبب مرَّ كثيرون من الدارسين البارعين من امام المخترعات العظيمة والاعمال الكبيرة ولم يقربوها لانهم لم يملكوا جسارة دون كيشوت ولهذا السبب عينهِ قضى كثيرون من المجانين عمرهم في الاحلام واستخدموا احلامهم في الباطل دون ان يفيدوا انفسهم او الانسانية لتعريهم عن نظر سانكو بانشا

هذا هو الفرق بين النابغة والمجنون لا ينفي ان يكون عند المجانين بعض احوال تراهم فيها من العقلاء الاذكياء انما الاغلب الوجه الآخر اي ان يكون من النوابغ بعض صفات وتصرفات لا تصدر الاَّ عن المجانين لان الجنون فنون والجنون المطابق نادر في العالم بالنسبة الى انواعهِ



السيارات وحركاتها في شهر اغسطس ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يمرّ عطارد باقترانهِ الاسفل في اول الشهر الساعة ١٠ صباحاً فيكون نجم الصباح الشهر كلهُ وتباينهُ الاعظم ١٨° و ٣٢ً حتى التاسع عشر من الشهر الساعة الرابعة مساءً حينما يرى اياماً قليلة وقت الفجر في الجهة الشرقية ويمر مدة الشهر في برج الجوزاء والاسد . ويسير القهقرى حتى الحادي عشر من الشهر الساعة الرابعة صباحاً حينما يظهر ثابتاً ثم يسير الى الامام ويقطع عرضهُ الشمسي الاعظم في الثالث من الشهر الساعة ١٠ مساءً ويبلغ عقدتهُ الصاعدة في ٢٢ الشهر الساعة ١٠ مساءً ونقطة الذنب في ٢٧ منهُ الظهر

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ ويزيد تباينها بسرعة ويبلغ اشراقها اشدَّهُ في الرابع عشر من الشهر الساعة ١٠ صباحاً وحينئذ يكون ربع قرصها فقط مستنيراً فتظهر بالتلسكوب كالقمر وعمرهُ ثلاثة ايام او اربعة وهي في برج الجوزاء وسيرها مستقيم وتقطع عرضها الشمسي الاعظم في الخامس عشر من الشهر الساعة ١١ صباحاً

المريخ

المريخ نجم الصباح ويسير بسرعة من برج الثور الى الجوزاء ويقترن بنبتون في السابع من الشهر الساعة ٧ مساءً

المشتري

المشتري نجم المساء ولا يزال في برج العقرب وسيرهُ مستقيم ويمر بالتربيع في الخامس والعشرين من الشهر الساعة ١١ مساءً ويبلغ الهاجرة حينئذٍ الساعة ٦ مساءً

زحل

زحل نجم المساء وسيرهُ سريع في برج الرامي

واورانوس يتم حركتهُ المتقهقرة في السابع عشر من الشهر الساعة ١٠ مساءً وهو في برج العقرب . ونبتون في برج الثور ويقترن بالمريخ في ٧ الشهر الساعة ٧ مساءً

اقترانات القمر والسيارات

اليوم	الساعة				
٥	١١ صباحاً	يقترن بالمشتري	فيقع	١°٢٣َ	شمالاً
٧	١ مساء	« بزحل	«	٠°٥٠َ	جنوباً
٢٠	٨ «	« بالمريخ	«	٢°٥٥َ	شمالاً
٢١	الظهر	« بالزهرة	فتقع	٠°٩َ	جنوباً
٢٣	٧ مساء	« بعطارد	فيقع	٤°٥٩َ	شمالاً

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٣	٦	٥١	مساء	الربع الاول
١٠	١١	٣٥	«	البدر
١٧	١	٥١	«	الربع الاخير
٢٥	٥	٥٨	صباحاً	الهلال
١٢	١	١١	مساء	في الاوج
٢٨	١٢	٣٥	صباحاً	« الحضيض

باب الزراعة

موسم القطن الاميركاني والمصري

ليس بين المباحث الزراعية موضوع اهم من هذا الموضوع لسكان القطر المصري . لكن الكتابة فيهِ ليست مأمونة العثار ولا سيما اذا ذكر الكاتب آماله وآراءه ونزلها منزلة الحقائق ولذلك نقلل الكتابة فيهِ جهدنا حتى نعثر على قول جريدة شهيرة في دقة البحث او رأي رجل معروف بسعة الاطلاع فننشر ذلك القول وهذا الرأي متوخين التدقيق في النقل على قدر ما تسمح بهِ الترجمة من لغة الى اخرى

وقد رأينا في عدد حديث من جريدة الايكونومست الانكليزية فصلاً عن القطن

الاميركاني منقولاً عن السجل المالي التجاري الاميركي يليق باهل التجارة والزراعة ان يطلعوا عليهِ لعلهم يرون فيهِ سبباً لارتفاع اسعار القطن الاميركاني مع ما يعلم من اتساع زراعتهِ هذا العام

والامر الاول المذكور في هذا الفصل ان زمام زراعة القطن الاميركاني هذا العام اوسع من زمام زراعتهِ في العام الماضي في كل الولايات كما ترى في هذا الجدول

اسم الولاية	سنة ١٩٠٠	سنة ١٨٩٩
تكساس	٦ ٦٨٢ ٧٣٨	٦ ١٨٧ ٧٢٠
جيورجيا	٣ ٨٤٣ ٦٥٢	٣ ٤٦٢ ٧٥٠
الاباما	٣ ٢٥٤ ٤٨٢	٢ ٩٥٨ ٦٢٠
مسيسبي	٣ ١٧٩ ٠٢٩	٢ ٩١٦ ٥٤٠
كرولينا الجنوبية	٢ ١٨٩ ٠٥٣	١ ٩٧٢ ١٢٠
اركانساس	١ ٥٦٩ ٦١٢	١ ٤٣٦ ٩٢٠
لويزيانا	١ ٣١١ ٢٧٠	١ ٢٠٣ ٠٠٠
كرولينا الشمالية	٠ ٩٤٠ ٢٣٤	٠ ٨٦٣ ٦٠٠
تنسي	٠ ٦٧٢ ٥٥٦	٠ ٦١١ ٤١٥
المقاطعة الهندية	٠ ٣٣٥ ٢٢٥	٠ ٢٩١ ٥٠٠
فلوريدا	٠ ٣٢٧ ٧٥٠	٠ ٢٨٥ ٠٠٠
اوكلاهوما	٠ ١٩٣ ٥٧٥	٠ ١٥٤ ٨٦٠
مسوري	٠ ٠٧٣ ٥١٥	٠ ٠٥٦ ٥٥٠
فرجينيا	٠ ٠٥٣ ٢٥٣	٠ ٠٤٣ ٦٥٠
المجموع	٢٤ ٦٢٥ ٩٤٤	٢٢ ٤٣٣ ٢٤٥

فزاد زمام الزراعة هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي نحو مليونين ومئتي الف فدان او نحو ٩ وسبعة اعشار في المئة . ولكن زمام الزراعة في العام الماضي كان اقل مما كان عليهِ عام ١٨٩٨ فانهُ كان حينئذٍ ٢٣ ١٧٥ ٠٠٠ فدان والفرق بينهُ وبين زمام هذا العام اقل من مليون وخمس مئة الف فدان

والامر الثاني ان الموسم الاميركاني متأخر هذه السنة بنوع عام فقد اضطرَّ الزارعون ان يتأخروا في زرع القطن في اماكن كثيرة لان كثرة الامطار وشدَّة البرد اخرتا الاعمال الزراعية في كل مكان تقريباً . وكانت هذه الشكوى عامة في اول الامر ثم انحصرت في ولاية

الاباما ومسيسبي وتكساس ولويزيانا حيث كثرت الامطار في اماكن عديدة فغمرت السيول منخفضاتها او صيرتها كثيرة الماء وحال ذلك دون الزراعة ولاسيما في ولاية تكساس حيث غمرت المياه بعض الاراضي مرتين . والحالة في ولاية تكساس دون ما كانت عليهِ في العام الماضي حتماً لان الموسم كان فيها مبكرًا حينئذٍ . ويقال جملة ان الموسم متأخر اسبوعين عن ميعادهِ

والامر الثالث ان الولايات التي زرعت باكرًا ولم يكن المطر فيها زائدًا عن الحد عزقت زراعتها ونزعت الاعشاب منها ونما قطنها جيدًا . وقد زاد استعمال السماد هذا العام عنهُ في العام الماضي في بعض الولايات

وخلاصة ذلك ان الموسم متأخر واكثر تأخرهِ في الولايات الاربع الجنوبية التي ينتظر ان يرد منها القطن الى الاسواق قبل غيرها وفي هذه الولايات اكثر من اربعة عشر مليون فدان مزروعة قطناً اي نحو ستة اعشار الاطيان التي يزرع فيها القطن الاميركاني فاذا تأخر موسمها فتأخرهُ يؤثر في سعر القطن لقلة المتأخرات من الموسم الماضي كما هو معلوم . لكن الجريدة الاميركية التي نقل عنها هذا الاحصاء تقول "انهُ اذا صار الطقس على ما يرام فلا شيء يمنع نمو القطن جيدًا" . والظاهر انهُ لو اعتدل الطقس بعد ذلك لظهرت نتيجة اعتدالهِ في هبوط سعر القطن الاميركاني الحاضر لانهُ غالٍ غلوًّا فاحشًا بالنسبة الى السنوات الخمس الماضية فقد كان سعر الليبرة من الابلندمدلن مثلاً في ١٢ يوليو سنة ١٨٩٩ : ٣ ٩/١٦ وسنة ١٨٩٨ ٣ ١٥/٣٢ وسنة ١٨٩٧ ٤ ٩/٣٢ وسنة ١٨٩٦ ٣ ١٣/١٦ وسنة ١٨٩٥ ٣ ٢٣/٣٢ فلم يزد على ٤ /٣٢ لكنهُ كان في ١٢ يوليو هذه السنة ٥ ٢٧/٣٢ اي زاد اكثر من بنس ونصف عن اغلى سعر بلغهُ في السنوات الخمس الماضية فان لم يكن هذا الارتفاع مسببًا عن المضاربات فسببهُ المعقول الخوف من تأخر الموسم المقبل واذا ثبت الآن ان الموسم الاميركاني متأخر ولا سيما في الولايات الجنوبية بقي سعر القطن الاميركاني على حالهِ او لم ينخفض كثيرًا . واذا بقي على هذا السعر او ما يقاربهُ فالمظنون ان سعر القطن المصري يعود الى الارتفاع لكي تبقى النسبة بينهُ وبين القطن الاميركاني على ما كانت عليهِ في الاعوام السالفة او على ما يقاربها

هذا ونلتفت الآن الى القطن المصري فنقول من المحقق ان زراعتهُ واسعة هذا العام وقد تكون اوسع مما كانت في العام الماضي وان طلوع القطن ونموهُ كانا جيدين وان مياه الري كفت القطن حتى اول يوليو ولو بالتقتير في بعض الاماكن اما من الآن فصاعدًا فآراء الخبيرين ووقائع الحال تستحق البسط واعادة النظر . فقد علم القراء رأي السر وليم جارستن

الذي كتب بهِ الى رئيس شركة الحاصلات الزراعية منذ شهر ونصف من الزمان وهو انهُ يرجو ان ماء الفيضان يصل في الوقت المناسب والمقدار الكافي لزراعة الذرة من غير ان يلحق بزراعة القطن ضرر كبير وهو يشير بالضرر اما الى قلة المياه وكونها لا تكفي لري الذرة والقطن ريًّا كافيًا او الى ما صرَّح بهِ المستر ولكوكس ونشرناه في المقطم في حينهِ وهو ان القطن اذا عطش كثيرًا وقت الطرح ثم رُوِي يقع جانب من وسواسهِ. وهذا القول يقول بهِ كل ارباب الزراعة الذين كلمناهم في هذا الموضوع

وقد حدث الآن امران يدلان على ان خوف السر وليم جارستن في محلهِ وانهُ قد يلحق بالقطن شيء من الضرر . الامر الاول ان بعض الاقطان المبكرة في مديرية القليوبية والدقهلية التي عطشت وقت ابتداء الطرح ثم رويت ريًّا كافيًا وقع بعض طرحها عنها وارسل شيء منهُ الى نظارة الاشغال العمومية

والامر الثاني انهُ لما كان منسوب القناطر الخيرية واطئًا في الشهر الماضي وكانت المياه قليلة كانت كافية لري القطن في مديرية الغربية لان زراعة القطن في مديرية المنوفية كانت تكتفي بقليل من الماء ولم تكن الآلات الرافعة هناك تدور كل ايام الادارة . اما الآن وقد زاد منسوب القناطر الخيرية وكثر الماء في رياح المنوفية ولكنك ترى الماء قليلاً في ترع كثيرة في الغربية واهاليها يشكون من قلتهِ لان زراعة القطن في المنوفية صارت تحتاج الى الماء اكثر مما كانت تحتاج اليهِ في الشهر الماضي فصارت آلاتها تدور كل ايام الادارة وقد تدور نهارًا وليلاً . وقد رأينا القطن على جانبي سكة الحديد من طنطا الى دمنهور فوجدنا دلائل العطش بادية على كثير منهُ

ولهذين الامرين شأن في تقدير الموسم المقبل لانهُ اذا صحَّ الامر الاول اي اذا سقط بعض طرح القطن حينما يروى وهو عطشان واذا صحَّ الامر الثاني اي اذا قلَّ الماء من بعض الترع حتى تمسي بعض الاطيان بغير ماء كافٍ لريها فلا بدَّ من وقوع شيء من الضرر الذي اشار اليهِ جناب السر وليم جارستن وعسى ان لا يكون كثيرًا

القمح في فرنسا

يظهر من تقدير وزير الزراعة في فرنسا ان الارض المزروعة قمحًا في فرنسا هذه السنة تقل نحو نصف مليون فدان عما كانت عليهِ في العام الماضي وستكون غلتها اقل مما كانت عليهِ في العام الماضي بنحو عشرة ملايين كوارتر اي انها تنقص نحو الربع

الوزن بدل الكيل

اقرَّت الحكومة المصرية على استعمال الميزان بدل المكيال في بيع الحبوب على انواعها ونعمَّ ما فعلت لسببين كبيرين الاول ان الميزان ادق من المكيال ولا يسهل التلاعب فيهِ كما يسهل التلاعب في المكيال والثاني ان مقدار ما في الحبوب من الغذاء يتوقف على ثقلها لا على حجمها فاذا كان الاردب من هذا القمح اثقل من الاردب من قمح آخر فالقمح الاول اكثر غذاء من القمح الثاني ويجب ان يكون اغلى منهُ ثمناً . ورأت بعد المداولة مع كبار التجار والمزارعين ان تجعل وزن الاردب من القمح الصعيدي والبحيري ١٥٠ كيلو غراماً ومن الفول ١٥٥ كيلو غراماً ومن العدس ١٥٧ ومن الشعير ١٢٢ ومن الترمس ١٥٤ ومن الذرة الشامية ١٤٢ ومن الذرة الرفيعة ١٤٠ ومن البزلَّة ١٦٠ ومن الحلبة ١٥٧ ومن الحمص ١٤٠ ومن الفريك ١٣٥ ومن الكمون ٦٥ ومن اليانسون ٧٥ ومن الحمص المجوهر ٦٢ . وشرعت في انفاذ هذا القرار في ٢٢ يوليو

باعة الفاكهة في مصر

لا شبهة في ان ارباب الزراعة صاروا يهتمون الآن بزرع الفاكهة اضعاف ما كانوا يهتمون قبلاً فقد كثر العنب والتين والموز والمنجو والصبر (التين بشوكه) والشليك حتى لم نعد نجد سبيلاً للشكوى من قلتها كما كنا نجد قبلاً . ولا نقول انها بلغت الحدَّ المطلوب بل هي لا تزال دونهُ بمراحل كثيرة كما يظهر من ثمنها فان اقة العنب تباع الآن بغرشين او اكثر وكذلك اقة التين واقة الموز تباع باربعة غروش او اكثر وهذا غلاء فاحش يدل على قلة هذه الاثمار بالنسبة الى الذين يبتاعونها . ولا بدَّ من ان يكثر زرعها حتى تباع اقة العنب بغرش او بنصف غرش قياساً على غير مصر من البلدان الشرقية

هذا هو الامر الاول والامر الثاني الذي لا بدَّ من الالتفات اليهِ هو ان للنوع الواحد من الفاكهة اصنافاً كثيرة بعضها جيدًا جدًّا وبعضها متوسط في الجودة وبعضها رديء . ونفقات غرسها والاعتناء بها واحدة فلذلك يجب على اصحاب البساتين ان يختاروا اجود الاصناف والاَّ قلَّ ربحهم منها

والامر الثالث وهو الذي نريد توجيه الانظار اليهِ بنوع خاص هو باعة الفاكهة فان الفاكهة مثل اسمها لا يقصد بها مجرَّد التغذية بل يراد بها التفكيه اي مسرَّة النفس بالنظر والشم والذوق اما اكثر باعة الفاكهة في مصر ونخصُّ منهم باعة العنب والتين فمن اقذر الناس

واوسخهم واقبحهم منظرًا حتى لقد تقزّ النفس من رؤيتهم . ولا ننتظر ان يبلغ كلامنا مسامعهم فينظفوا ابدانهم وثيابهم قبلما يخرجون لبيع فاكهة من اطيب واجمل ما خلقهُ الله ولكننا نرجو ان يقوم رجل مقدام ويجمع نفرًا من الاولاد او الشبان الذين لا عمل لهم ويلبسهم ثيابًا نظيفة ويضع لهم الاثمار في آنية نظيفة ويرسلهم لبيعها او ينشئ سوقًا خاصةً بالفاكهة والازهار كما في المدن الاوربية وكما كان في القطر المصري في عهد الفرس واليونان والرومان ويجعل اساسها النظافة التامة وجمال المنظر وحسن التنسيق حتى يقصدها الناس كل صباح ويبتاعوا فاكهتهم منها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستفار على المطوَّلة

احتفال المدرسة الكلية الاميركية

حضرات منشئي المقتطف المحترمين

لهذه المدرسة فضل لا ينكر على القطر الشامي والمصري يعرفهُ كل مَن عرف ابناءها وما افادوا بلادهم بهِ بتآليفهم الكثيرة وبممارستهم لصناعة الطب الشريفة . وقد احتفلت مساء الاربعاء الماضي احتفالها السنوي لسنتها الرابعة والثلاثين بتوزيع الشهادات على المنتهين من تلامذتها فرأس الاحتفال حضرة رئيسها الفاضل الدكتور بلس يحيط بهِ عمدة المدرسة واساتذتها وافتتح الاحتفال بقراءة فصل من الكتاب المقدَّس ثم خطب الدكتور برترم بوست نجل الدكتور بوست الجراح الشهير خطبة طبية موضوعها الطب المستجد باللغة الانكليزية وهو من منتهي مدرسة الطب وتلاهُ الدكتور نجيب افندي نعمه القيم من منتهي مدرسة الطب ايضًا وخطب بالعربية خطبة موضوعها " الوقاية من الامراض ". ثم قام حضرة الاديب وليم افندي رزق الله برباري من منتهي القسم العلمي وخطب خطبة انيقة في " بقاء الانسب " فاجاد

وافاد وجمع بكلمات قليلة حقائق كثيرة وقد صفق لهُ الحضور مراراً كثيرة لبليغ عبارتهِ وحسن القائهِ وانطباق اشاراتهِ على الموضوع

وتلاهُ حضرة الدكتور الفاضل اسكندر بك بارودي وهو مدعوٌّ للخطابة السنوية واتحف الحضور بخطبة بليغة في الطب الشرقي جمع فيها فاوعى من الحقائق والتفاصيل ما يدلُّ على وفرة علم وسعة اطلاع . ثم وزعت الشهادات على مستحقيها وهم

في القسم العلمي الافندية وديع شبلي ابلاً وابرهيم شديد ابو حيدر ووليم رزق الله برباري وسعيد طنوس سماحه وزاكي الياس قمر

وفي القسم الطبي . الدكاترة جورج اكمكجيان وبرترم بوست ونسيب جرجس تبشراني وتوفيق فضلو شحلاوي واسكندر سليمان عرنكي وسليم طانيوس غصن ومارك فينبرغ ونجيب نعمة القيم

وفي القسم الصيدلي . اسبيريدون جرجس الخوري واهان نيكوغس درمار قاريان وفضول ميخائيل زرعوني وعبد القادر احمد طياره وامين يوسف عطيه . وفرج يوسف فرح واحمد احمد فوزي ويشوع الياهو مزراحي وحبيب فضل الله نجار ونرسس ماركس نقاشيان

وقد وصلت الى يدي نسخة من خطبة وليم افندي برباري وموضوعها " بقاء الانسب " فبعثت بها اليكم لكي تنشر في صفحات المقتطف وانا ساعٍ للحصول على نسخ غيرها من الخطب

بيروت ١٦ يوليو ن . ق

بقاء الانسب

شأن المخلوقات الحية في هذه الدنيا تنازع البقاء فهي تسعى في عالم الوجود يأكل كبيرها صغيرها و يستعبد قويها ضعيفها ولا يخرج سالماً من معترك الحياة هذا الاَّ ما كان منها اكثر ابناء نوعهِ مناسبة للبقاء واشدها احتمالاً لنوازل الحياة . والميل الى النمو والتكاثر غريزي في كل ذي حياة ولو تركت طائفة واحدة منها تنمو لذاتها لملأَت الارض وضاقت بها اسباب المعيشة غير ان التنازع للبقاء يشتد كلما زادت افراد النوع الواحد عما يمكن بقاؤُهُ منها فيثور النزاع بينها وبين الطوارىء الطبيعية وبينها وبين الانواع الاخرى ويكون على اشدهِ بين انواع الفرد الواحد

ونتيجة هذا كلهِ كما اثبتهُ العلماء انقراض الضعيف عن وجه البسيطة فلا يبقى عليها الاَّ النشيط القوي . ثم يظهر التنازع بين نسل هذا ايضاً وهكذا الى ما شاء الله . وقد كان الامر كذلك منذ بدأ الوجود ولولا التنازع لما اختلفت الانواع وارتقت وصارت الى ما هي عليهِ .

هبِ البرد اشتد في بلادٍ ما ولم يبقَ من الحيوانات التي تفترسها الذئاب ونقتات بها الاَّ الغزلان فبديهيٌ انهُ لا يبق من الذئاب الاَّ ما كان سريع العدو قادراً على ادراك فريستهِ وإنْ قبيلة من الناس هاجرت الى بلاد يختلف اقليمها عن اقليم وطن القبيلة يموت منها كل ضعيف البنية ويعيش قويها اذ يستطيع هذا الاخير احتمال فعل هواء القطر الجديد ويتمكن من العمل فيهِ فيكون نسلهُ اكثر مقدرة منهُ على ذلك وهكذا حتى تصير القبيلة كلها موافقة لاحوال الزمان والمكان

وليست غايتي النظر في الموضوع من وجهتهِ العلمية فقد ذهب العلماء في هذه كل مذهب بما يملأُ المجلدات الضخمة فما ذكرتهُ من الحقائق انما هو توطئة لما سأُشير اليهِ من وجود هذا الناموس العظيم ناموس التنازع للبقاء وبقاء الانسب في العالم الادبي وفي الهيئة الاجتماعية

وُجد الانسان في هذه الدنيا جاهلاً بنقصهِ الاختبار فسار في جميع المسالك المعوجة واباح القتل والسرقة واعتاد العادات كلها بلا استثناء وبقي يجاهد قروناً عديدة قبل ان اهتدى الى الطريق القويم وعرف الضار والمفيد. فالشعب الذي اباح القتل والسرقة قلَّ عددهُ وافتقر والذي ادرك مضارها باكراً وسنَّ الشرائع لمنعهما نما واثرى وتغلَّب على الاول وشبَّ نسلهُ اكثر استعداداً لقبول الصالح والمفيد فارتقى عن سلفهِ وهلمَّ جرًّا . وما يصدق على الشعب يصدق على افرادهِ وهم اعضاؤُهُ والحافظون لكيانهِ . فكلما كثرت افراد الناس زاد التنازع بينها واشتدَّ وكان على اشدّهِ بين افراد الشعب الواحد او اصحاب الحرفة الواحدة. يلد كثيرون فيموت اغلبهم في سن الطفولية ولا يعيش الاَّ صحيح البنية وقويها . يتعاطى التجارة عدد عديد من الناس فيثري القليل ويفتقر الباقون . يخرج كل سنة الى العالم الوف من الاطباء والمحامين وارباب الصناعة والزراعة فيشتهر نفر منهم ويبقى البقية نسياً منسياً . ولا يخفى عليكم ايها السادة اننا لسنا في عالم الصدفة او الاتفاق فقد سنَّ الباري شرائع ونواميس طبيعية وادبية لا استثناء لها

فاذا كان الحي لا يعيش في بلاد الاَّ اذا ناسبهُ اقليمها ووجد لهُ غذاء فيها وتغلب على منازعيهِ او بعبارة اخرى اذا وفَّق نفسهُ لاحوال الزمان والمكان فالانسان ايضاً لا يعيش في المجتمع البشري الاَّ اذا طابقت معيشتهُ لنواميس ذلك المجتمع وهذه النواميس التي ننشدها هي ما نراهُ في اسفار الدين وكتب الآداب من الوصايا والتعاليم التي لا غنى لنا عن اتباعها فهي خوف الله والامانة والاجتهاد والعفاف والمواظبة ونكران الذات ومحبة القريب والسعي في سبيل الصالح العام وتضحية الفرد فدًى للشعب ومعرفة ما لنا من الحقوق وما علينا من الواجبات والاعتماد على النفس وحسن معاملة الآخرين هذه هي الشرائع التي اوجدها الله تعالى . فمن

تمسك بها فاز في مضمار الحياة ومن نبذها قضي عليهِ مخذولاً . لو مرض احدكم ألا يدعو من الاطباء من كان بارعاً في فنهِ اميناً في عملهِ . ولو كان لهُ دعوى امام محكمة أفلا ينيب عنهُ محامياً صادقاً مجتهداً او لو اردتم البيع والشراء أفلا تسألون عن تاجر امين تعتمدون عليهِ . نفعل ذلك ايها السادة كل يوم وقد فعل مثلنا اسلافنا وسيقتدي بنا خلفاؤنا وهذا العمل لا يستدعي تبصرنا الدائم بل هو عادة اورثنا اياها الاختبار حتى صارت غريزية فينا فاذا رأينا رجلاً ناجحاً في مهنتهِ حكمنا لاول وهلة انهُ حائز للصفات اللائقة التي تؤهلهُ للنجاح واذا رأينا رجلاً متأخراً فيها قلنا انهُ تنقصهُ بعض هذه الصفات

ومن دقق في اخبار الافراد واتبع تاريخ حياتهم رأى امرًا غريباً لا يفسرهُ الاَّ الناموس المذكور آنفاً وهو ان لكل ذنب عقاباً عاجلاً او آجلاً وهذا العقاب نتيجة الذنب نفسهِ مباشرة فالذي يتناول السم يلقى منيتهُ لان السم قاتل لذاتهِ ومن يخالف نواميس الهيئة الاجتماعية يقضَ عليهِ لان ذنبهُ هو السم الزعاف في هذه الحالة

وخلاصة الامر اننا جميعاً في معترك الحياة نفوز تارة ونخذل أُخرى ولا يبقى منا الى النهاية الاَّ اوفرنا اجتهاداً واكثرنا امانة واشدنا تمسكاً بالآداب الحقيقة . من وضع نصب عينيهِ خوف الله ومحبة القريب وبذل النفس والنفيس في ترقية بني نوعهِ واعلاء شأن الهيئة الاجتماعية

بقي عليَّ ايها السادة فرض واجب ألا وهو اداء سنة الوداع . دخلنا هذه المدرسة منذ اعوام كنا في خلالها نجدُّ ونسعى لاقتباس علومها واتمام دروسها وقد وصلنا بحولهِ تعالى الى الغاية وآنت ساعة الرحيل التي كنا نتمناها فيحق لنا ونحن خارجون من هذه المكان نقدم رجلاً ونؤخر اخرى ان نقف هنيهة وننظر الى ماضي حياتنا فيهِ الى ايام صرفناها في طلب الافادة والعلم في حمى رئيس فاضل وقف حياتهُ على تهذيب الشبان وتثقيف عقولهم واساتذة نشطاء لم يدخروا جهداً في افادة تلامذتهم وحثهم على الجد والسعي . لا اشكركم ايها الكرام بالكلام الفارغ فهذا ضد ما ربيتمونا عليهِ انما شكرنا لكم يقوم باتباعنا تعاليمكم والسير في اثركم والتشبه بكم فهذا افضل شكر تنالونهُ واعظم اجر تستنظرونهُ

ايها الرفاق نودع بعضنا بعضاً وفي القلب ما فيهِ من ألم الفراق ويذهب كل منا في سبيلهِ وفي فؤادهِ ما لا تمحوهُ كرور الايام من عيشة قضيناها بالوفاق وصداقة هي اخلص صفاء من الماء ثبتت دعائمها على طلب الاستفادة واحراز المعارف لا على طلب الربح الدنيوي فقد جمعتنا في هذه الدار رابطة الادب ونعم النسب الادب . نحن في هذه الساعة اشبه بسفن انزلها اصحابها الى البحر وسارت تمخر اليمّ وهم يقولون في انفسهم أتُراها تسير الى المرفإِ الامين ام تهب

عليها الرياح وتثور العواصف وتبتلعها اللجج . واساتذتنا واصحابنا يتساءلون الان ونحن سائرون في بحر العالم عمَّا اذا كنا نجوزهُ بسلام مسترشدين برشد الآداب القويمة وهي اصدق دليل لنا فيهِ ومعتصمين بالاجتهاد والامانة وهي خير منهج لنا في مخاطرهِ تثور علينا رياح التجارب وعواصف الاضطهاد وتحطمنا صخور العثرة السيئة فتودي بنا الى قاعهِ . هذه مسألة يحلها الزمان غير اني اعوذ بالله ان يكون نصيبنا الخذلان بعد ما سمعناهُ في هذه المدرسة من المواعظ

فاستودعكم الله ايها الرئيس والاساتذة الكرام اقول هذا ولا ازيد وهو تعالى المسئول ان يأخذ بيدكم وينجح مساعيكم ويريكم ثمرة اتعابكم كما تشتهون . استودعكم الله ايها الرفاق واوصيكم ونفسي بالسير حسبما تلقيناهُ هنا من التعاليم المفيدة لكي نكون مثالاً حسناً لمن حولنا وواسطة لمنفعة بني وطننا واخيراً نودعكِ ايتها المدرسة العزيزة وداع ولد لامهِ ونودع تلك الايام التي صرفناها في ظلك الوارف لا زلت عالية البنيان مشيدة الاركان تتوارد اليك الطلبة من كل صقع وناد تضيئين بنورك اقاصي البلاد بمنّ الله وكرمهِ

[المقتطف] وقد كتب الينا استاذ من اساتذة المدرسة الكلية يثني على الخطيب ثناء جميلاً ويقول انهُ بلغ غاية الاجادة في الالقاء فسُرَّ الحضور بكلامهِ وصفقوا لهُ مراراً

اقتراح

حضرة الفاضلين منشئي المقتطف الزاهر

لمقتطفكم الاغر فضل لا ينكر على ابناء اللغة العربية وبينهم ربات البيوت اللواتي يجدنَ لذةً عظيمةً في درسهِ ولا سيما باب تدبير المنزل الذي يشتقنَ كثيراً الى مطالعتهِ لما يجدنَ فيهِ من عظيم الفوائد الكافية لمساعدتهنَّ على تربية اولادهنَّ وتدبير منازلهنَّ . وبما ان كثيرات منهنَّ محرومات من الاشتراك في مجلتكم الثمينة هذه وقلَّ من توجد لديها كل مجلداتها اقترح على جنابكم واخال اقتراحي يستحسن لديكم ان لم توجد موانع غير ظاهرة لنا ان تجمعوا في مجلد او مجلدين كل ما أُدرج في هذا الباب او ما يهم جمعهُ منذ انشاء المقتطف الى الان فيكون منهُ كنز نفيس يسهل اقتناؤهُ على كل من يهمهُ اصلاح احوالهِ العائلية وفقكم الله للاصلاح

سنورس حنا ملطي

[المقتطف] سنفعل ان شاء الله بعد وقت قريب



البصائر والمحاماة

هما كتابان جليلان الاول في علم المنطق والثاني في تاريخ المحاماة واحوال المحاكم والاحكام في هذا القطر. وسيتحفنا احد علماء المنطق بانتقاد الكتاب الاول واحد علماء القانون بانتقاد الكتاب الثاني

المجلَّة المصرية والخزانة

" الاولى مجلة ادبيَّة تاريخيَّة قضائية اقتصادية علميَّة زراعيَّة تصدر في غرة كل شهر وفي منتصفهِ لصاحبها ومنشئها خليل افندي مطران. تشترك في تحريرها لجنة من اعاظم الكتَّاب ويديرها محمد افندي مسعود "

والثانية " مجلَّة شهرية في السياسة والادب لصاحبها الشيخ يوسف الخازن "

يشترط لنجاح المجلة من حيث انشاؤها امَّا ان يكون صاحبها من الكتَّاب المعدودين فيودعها نفائس المقالات وتقوم المجلَّة بقلمهِ وهو النادر. واما ان يكون من القادرين على استخدام اقلام الكتَّاب المشاهير بالاموال او غيرها وهو الشائع. ويظهر لنا من المقالات والنبذ التي نشرت في هاتين المجلتين الجديدتين انهما تتوخيان النجاح بهذين السبيلين معاً ففي الاولى منهما مقالات كثيرة بقلم حضرة منشئها وفيها شعر بليغ لهُ من ذلك قولهُ في الجزء الثاني في وصف بعلبك

همُّ فجر الحياة بالادبارِ	فاذا مرَّ فهي في الآثارِ
والصبا كالكرى نعيمٌ ولكن	ينقضي والفتى بهِ غير دارِ
يغنمُ المرء عيشةً في صباهُ	فاذا بان عاش بالتذكارِ
ايهِ آثار بعلبكَ سلامٌ	بعد طول النوى وبعد المزارِ
ووقيتِ العفاء من عرَصاتٍ	مقوياتٍ أو آهلٍ بالفخارِ
ذكريني طفولتي وأعيدي	رسمَ عهدٍ عن أعيني متوارِ
مستطاب الحالين صفواً وشجواً	مستحبٍّ في النفع والاضرارِ
يومَ امشي على الطلول السواجي	لا افتراراً فيهنَّ الاَّ افتراري
نزقاً بينهنَّ جدَّ لعوبٍ	لاهياً عن تبصُّرٍ واعتبارِ

مستقلاً عظيمها مستخفًا ما بها من مهابة ووقارِ
خربٌ حارت البرية فيها فتنة السامعين والنظارِ
معجزات من البناء كبار لاناسٍ ملء الزمان كبارِ
ألبستها الشموسُ تفويف در وعقيق على رداء نضارِ
وتحلت من الليالي بشاما ت كتنقيط عنبر في بهارِ
وسقاها الندى رشاش دموع شربتها ظوامىء الانوارِ
زادها الشيب حرمةً وجلالاً توجتها به يد الاعصارِ
رب شيب أتم حسنًا وأولى واهن العزم صولة الجبارِ
معبد للاسرار قام ولكن صنعهُ كان أعظم الاسرارِ
مثل القومُ كلَّ شيءٍ عجيب فيه تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جماده ثمرًا يجـــني ولكن بالعقل والابصارِ
وضروبًا من كل زهر أنيق لم تفتها نضارة الازهارِ
وشموسًا مضيئة وشعاعًا باهرات لكنها من حجارِ
وطيورًا ذواهبًا آيباتٍ خالدات الغدو والابكارِ
في جنان معلقات زواهٍ بصنوف النجوم والانوارِ
وأسودًا يخشى التحفز منها ويروع السكوت كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب باديات الانياب غير ضوارِ
في عرانينها دخان مثار وبألحاظها سيول شرارِ
تلك آياتهم وما برحت في كل آنٍ روائع الزوارِ
ضمها كلها بديع نظام دق حتى كأنها في انتثارِ
في مقام للحسن يعبد بعد الـــعقل فيه والعقل بعد الباري
منتهى ما يجاد رسمًا وأبهى ما تحج القلوب في الانظارِ
أهل فينيقيا سلام عليكم يوم تفنى بقية الادهارِ
لكمُ الارض خالدين عليها بعظيم الاعمال والآثارِ
خضتم البحر يوم كان عصيًا لم يسخر لقوة من بخارِ
وركبتم منهُ جوادًا حرونًا قلقًا بالمرس المغوارِ
ان تمادى عدوًا بهم كبحوهُ واقالوهُ ان كبا من عثارِ

واذا ما طغى بهم أوشكوا أن ... يأخذوا لاعبين بالاقمارِ
غير صعب تخليد ذكر على الار ... ض لمن خلدوهُ فوق البحارِ
شيدوها للشمس دار صلاة ... وأتم الاغريق حلي الدارِ
هم دعاة الفلاح في كل عصر ... ورجال العمران في الامصارِ
نحتوا الراسيات تحت صخور ... وأبانوا دقائق الافكارِ
وأجادوا الدمى فجاز عليهم ... أنها الآمرات في الاقدارِ
سجدوا للذي همو صنعوهُ ... سجدات الاجلال والاكبارِ
بعد هذا أغاية فترجّى ... لتمام أم مطمع في افتخارِ

ويلي ذلك مقالات مختصرة في مواضيع شتى كرحلة امير الاساطيل المصرية سنة ١٥٥٣ وبحث في الفلسفة الهندية والاخلاق ولقاح الادمان على السكر والمجاير الصحية وسوق المضاربة وتاريخ الشيخ محمد بن علي السنوسي وما اشبه من المواضيع المفيدة . وعبارة المجلة فصيحة خالية من الركاكة والتعقيد

وفي العدد الاول الذي صدر من الخزانة خلاصة تاريخية احسن كاتبها في سرد حوادثها وربطها بعضها ببعض فبدأ الكلام على الصين وانتقل الى حرب البوير ثم تكلَّم على الولايات المتحدة الاميركية وروسيا وسكة الحجاز . ويلي ذلك مقالة مسهبة في ترجمة صاحب الدولة رياض باشا مأخوذ اكثرها عن الكتّاب الاوربيين وهي تدل على بحث دقيق في كثير من المظان . وقد نوَّه الكاتب بفضل الوزير على المقتطف وهو فضل نعترف لهُ بهِ ابد الدهر . واشار ايضاً الى انقلاب بعض الجرائد السياسية عليهِ لكنهُ لم يفصّل ولم ينصف لان رياض باشا اتَّبع سياسةً ثم تركها واتَّبع ضدها كما فعل بيكنسفلد وغلادستون وغيرهما فالجريدة التي تبعتهُ في سياستهِ الاولى غير مضطرَّة ان تتبعهُ في سياستهِ الثانية بل تلام اذا غيَّرت سياستها اكراماً لهُ وهي ترى ان سياستهُ الثانية مضرَّة بالبلاد وهذا شأن المقطم في مدح السياسة التي جرى عليها دولتهُ في وزارتهِ الثانية وذم السياسة التي جري عليها في وزارتهِ الثالثة . اما شخصهُ فقد كان ولا يزال مكرَّماً معظماً عندنا وهذا نجاهر بهِ كلما لاحت لنا فرصة ونعترف بفضلهِ على المقتطف والمقطم ايضاً

ويلي هذا الفصل كلام على زيارة الجناب الخديوي لملكة الانكليز وعلى كتاب المحاماة ثم رواية كاملة موضوعها ضحية الحب في ٤٨ صفحة

وطبع الخزانة وورقها اجود من طبع المجلة المصرية وورقها

البريد المصري سنة ١٨٩٩

صدر تقرير مصلحة البوستة المصرية عن سنة ١٨٩٩ وهو مثل التقارير السابقة حلقة من حلقات الارتقاء المستمر في هذه المصلحة. وكل فرع من فروعهِ يشهد لسعادة مديرها الهمام سابا باشا بالهمة والمهارة في ادارتها والسهر المتواصل على انجاحها كما يشهد بارتقاء القطر المصري ماديًّا وابيًّا

وقد بلغ عدد المراسلات التي نقلتها مصلحة البريد المصرية في العام الماضي ٢٩٩٢٠٠٠٠ وكانت في العام الذي قبلهُ ٢٧٨٧٨٠٠٠ مراسلة اكثرها من القاهرة وهي فيها ١٢ مليونًا وتتلوها الاسكندرية وهي فيها ٨ ملايين ثم تقلُّ رويدًا رويدًا فتبلغ في مديرية الغربية مليونًا وستمئة الف اي نحو مراسلة واحدة لكل واحد من السكان على مدار السنة وهي في القاهرة والاسكندرية نحو عشرين مراسلة في السنة لكل نفس من السكان

ومن التسهيلات التي تمت في العام الماضي جعل قيمة تذكرة البوسطة اربعة مليمات بدلاً من خمسة وجعل الرسم على اوراق المطبوعات غير الدورية مليمًا واحدًا بدلاً من مليمين والترخيص بكتابة كلمات الدعاء والشكر والتهانيء وما اشبه على اوراق الزيارات الصادرة الى البلدان الخارجية اتباعًا لقرار مؤتمر البريد الذي عُقد اخيرًا في وشنطون. وقد قرَّ هذا القرار اجابة لاقتراح سعادة سابا باشا

وكانت قيمة النقود التي ارسلت عن يد البوسطة المصرية داخل القطر المصري ١٦ مليونًا و ١٥٠ الفًا من الجنيهات سنة ١٨٩٨ فبلغت في العام الماضي ١٧ مليونًا و ١٠٠ الف جنيه فكانت الزيادة نحو مليون من الجنيهات مع ان الناس صاروا يعتمدون على اوراق البنك الاهلي

وقد بلغ ايراد مصلحة البريد في العام الماضي ١٢٩٨٧٣ جنيهًا مصريًّا وكان في العام الذي قبلهُ ١٢٢٨٦٧ وبلغت نفقاتها في العام الماضي ١٠٨١٩٨ فالزيادة في الايراد ٢١٦٧٥ جنيهًا عدا اجرة ما تنقلهُ من مراسلات الحكومة مجانًا وتقدَّر بثمانية واربعين الف جنيه فيكون ربح مصلحة البريد السنوي نحو سبعين الف جنيه

تجارة القطر المصري

صدر تقرير الجمارك المصرية عن العام الماضي وهو خلاصة تجارة القطر المصري الخارجية من صادر ووارد ودليل نمو ثروتهِ عامًا بعد عام. وقد بلغت قيمة الصادر منهُ ١٥٣٥٠٩٠٨ جنيهات مصرية وقيمة الوارد اليهِ ١١٤٤١٨٠٢ وصدر منهُ ايضًا من السجاير ما قيمتهُ

٣٠٨٠٤٨ جنيهاً . وورد اليهِ نقود ذهبية قيمتها ٤٤٦٧٨٢٩ وفضية قيمتها ٤٨٠٨٨ وصدر منهُ نقود ذهبية قيمتها ١٤٥٤٤٧٠ وفضية قيمتها ٤٨٠١٥ فتكون زيادة الوارد على الصادر ٣٠١٣٤٣٢ اي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولا يخفى ان القطر المصري يرسل كل سنة نحو خمسة ملايين من الجنيهات ربا ما عليهِ من الدين وويركو الدولة العلية فاذا طرحت من ثمن البضائع التي صدرت منهُ صار الوارد نقوداً وبضائع اكثر من الصادر نقوداً وبضائع بنحو اربعة ملايين من الجنيهات . ولا يعلم كيف سدَّد القطر المصري حسابها الاَّ اذا كانت البضائع التي صدرت منهُ بيعت باكثر من الثمن الذي قوّمت بهِ وقت صدورها او اذا كانت اموال كثيرة صدرت منهُ ولم تدرِ بها ادارة الجمارك

آثار الانامل

Finger Prints and Fingerprint Directories ;(1)

BY FRANCIS GALTON, F.R.S., D.C.L., etc.

يعلم قرَّاء المقتطف اسم هذا العالم الشهير وانهُ اول من بحث بحثاً مستفيضاً في آثار الانامل واثبت بالاستقراء الطويل اولاً ان آثار انامل كل انسان تمتاز عن آثار انامل غيره فلا تلتبس آثار انامل انسان بآثار انامل انسان آخر وثانياً ان آثار انامل الانسان الواحد تبقى على شكل واحد من ولادتهِ الى مماتهِ فتتسع بنمو جسمهِ وتحنو بتقدمهِ في السن ولكن شكلها الهندسي يبقى على حالهِ . فتكون اصدق دليل على صاحبها وادلّ عليهِ من ختمهِ وصورة وجههِ وما اشبه مما يتخذ دليلاً في تحقُّق الشخصية . وثالثاً انهُ يمكن قسمة هذه الآثار الى اجناس وانواع وفصائل اي تصفيفها في صفوف مختلفة حتى يسهل الاستدلال عليها فاذا كان عندك اثر انملة انسان ووضعتها في صفها الخاص بها وكتبت اسم صاحبها بجانبها وبقية اوصافهِ ثم جاءك انسان باثر مثلهِ وقال لك اثر انملة مَن هذا وجدت حالاً انهُ مثل الاثر الذي عندك ولو كان موضوعاً بين الف اثر كما يجد الانسان كلمة في قاموس اللغة من كيفية ترتيب حروفها . وقد زار هذا العالم القطر المصري في الشتاء الماضي ورأى طريقتهُ مستعملة في محافظة مصر للاستدلال على المجرمين وهي وافية بالغرض على اتم المراد

وفي الكتاب الاول من هذين الكتابين اكثر من مئتي صفحة وبحث مستفيض عن آثار الانامل واستعمالها عند كل الامم والثاني اصغر منهُ وهو كثير الرسوم وفيهِ كلام مسهب عن كيفية تصفيف الآثار حتى يسهل الاستدلال عليها

(1) London, Macmillan and Co.

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ضيق الحدقة واتساعها

سنورس . حنا افندي ملطي . راقبت طفلة عمرها شهر فرأَيت حدقة عينها تضيق مرة وتتسع أُخرى وعيناها صحيحتان تماماً فافتكرت ان ضيقها يحدث عند وقوع النور عليها فما رأيكم في ذلك

ج انتم مصيبون في فكركم فان الحدقة تضيق عند كثرة النور وتتسع عند قلتهِ وذلك عامٌّ للكبار والصغار ما داموا في حال الصحة و يستطيع كل احد ان يمتحن ذلك في نفسهِ بان يقف في الشمس ويرى حدقتي عينيهِ في مرآة فانهُ يراهما ضيقتين ثم يدخل غرفة قليلة النور وينظر في المرآة فانهُ يراهما قد اتسعتا . وضيقها واتساعهما لا يتمان حالاً بل يمضي وقت قصير قبلما يتمان فاذا كان الانسان واقفاً في غرفة قليلة النور وخرج منها الى مكان منير بغتة أتعبهُ النور لان حدقتيهِ تكونان واسعتين فتدخلهما اشعة كثيرة من النور اكثر مما يحتمل عادة ويبقى شاعراً بالتعب او بشيء من الجهر بضع ثوانٍ الى ان تضيق حدقتاهُ فيستريح . ثم اذا عاد الى الغرفة القليلة النور رآها مظلمة في اول الامر لان حدقتيهِ تكونان قد ضاقتا وهو واقف في النور فلا تعود اشعة النور التي تدخلها من الغرفة كافية للابصار ويبقى كذلك مدة وجيزة الى ان تتسع حدقتاهُ فيصير النور الداخل منهما كافياً للابصار . وضيق الحدقتين واتساعهما فعل ذاتي (منعكس) غير خاضع للارادة

---

(٢) استخراج العسل

مليج . حبيب افندي حنا . عندنا كثير من خليات النحل وقد بحثنا عن طريقة نحفظ بها لون العسل الطبيعي بعد عصره فلم نجد . والطريقة المتبعة عندنا في عصرهِ ان نكسر اقراص العسل قطعاً صغيرة جداً بواسطة فركها بين اليدين او دهسها بآلة حادَّة وتصفيتهُ في مصافٍ من النحاس او من حطب الحناء فيكون العسل بعد هذه العملية ضارباً الى الصفرة مع ان لونهُ الطبيعي ابيض كالبلور ومنذ سنتين زرت المستر كرسلند مربي النحل

في جنينة الجيزة فاراني الطريقة المتبعة عنده ' لكنها لا تنفعنا لان خلايانا ليست مثل خلاياته فما هي الطريقة لاستخراج العسل بلونه الطبيعي

ج لا عجب من تغيُّر لون العسل اذا كنتم تستخرجونهُ على هذه الصورة لانهُ يخرج ممزوجاً بمواد كثيرة من النحل الميت ومن الشمع ولا ندري لماذا لا تستطيعون استعمال الآلة التي اراكم اياها المستر كرسلند او آلة اصغر منها مصنوعة على مبدإها اي يخرج العسل بها من شهده بقوة التباعد عن المركز وقت ادارة الآلة . ثم انهُ قد حان لكم ولكل من يريد الانتفاع من تربية النحل ان يبدل الخلايا البلدية القذرة بخلايا مربعة تصنع من الخشب على الاسلوب الذي وصفهُ المستر كرسلند في المقتطف فانها رخيصة الثمن سهلة الاستعمال . ويخرج العسل من اقراصها نظيفاً نقياً . راجعوا الفصول التي كتبها في المقتطف عن تربية النحل

---

(٣) الحيات غير السامة

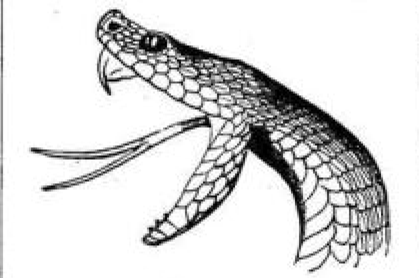
عاليه بلبنان . ايليا افندي بارودي . سمعت ان الحية السوداء لا تلدغ واذا لدغت لا تؤذي فما هو سبب ذلك

ج ان الحيات انواع كثيرة عدُّوا منها نحو الف وثمانمئة نوع وهي منتشرة في كل الدنيا الاَّ في بعض الجزائر مثل زيلندا الجديدة وايسلندا وارلندا والانواع السامة قليلة جدًّا قد لا تزيد على خمسها وما بقي غير سام طبعاً. والحية السوداء الكثيرة الوجود في لبنان من الانواع غير السامة على ما نظن لكن اسوداد اللون ليس دليلاً على كون الحية سامة او غير سامة ولا يعلم كون الحية سامة الاَّ من وجود انياب السم فيها

(٤) كيفية اللدغ

ومنهُ . اذا لدغت الحية فبماذا تجرح أبلسانها ام باسنانها وكيف تضع السم في الجرح

ج للافعى السامة نابان في فكها الاعلى كما ترى في هذا الشكل وعند اسفلهما



جرابان فيهما السم وهي تجرح من تلدغهُ بنابيها فينعصر السم من الجرابين ويخرج من ثقب في النابين او يجري بميزاب فيهما ويدخل الجرح ويسري مع الدم

---

(٥) جثة منفتاح

امبابه . سمعان افندي عوض . اكتشف بعض الاثريين جثةً زعموها جثة منفتاح فرعون موسى . واذا رجعنا الى نص الكتاب

المقدَّس رأينا ان فرعون وكل جنوده غرقوا في البحر وطفت جثثهم عليهِ فلم يبقَ احد من المصريين حيًّا ليحمل جثة ملكهِ ويعود بها الى البلاد لتحنط وتدفن ولا ينتظر من بني اسرائيل انهم يفتشون عن جثتهِ ويقطعوا بها البحر ثانيةً ويردوها الى بلادهِ. وهب ان المصريين سمعوا ان فرعونهم وجنوده غرقوا كلهم في البحر وتبعوهُ ليخلصوا جثتهُ فانهم لا يصلون الى بحر سوف حتى يكون السمك قد اكل الجثة او حلَّ بها الفساد فكيف يقول العلماءُ انهم وجدوا هذه الجثة محنطة محفوظة الى الآن

ج لبعض العلماءِ سخائف تبعد عن الحقيقة بعد خرافات العجائز عنها . ولا ندري كيف يبحثون عن فرعون موسى بحثًا علميًّا وهم لم يجدوا حتى الآن دليلاً واحدًا اثريًّا على ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في العصر الذي يقال انهم كانوا ساكنين فيهِ . وهذا لا ينفي رواية التوراة ولكنهُ يمنع رجال العلم من البحث عن فروع قضية بحثًا علميًّا قبل اثبات القضية نفسها اثباتًا علميًّا. فعلم الآثار المصرية لم يثبت حتى الآن ان بني اسرائيل كانوا ساكنين في مصر في عهد منفتاح او قبلهُ فكيف يستطيع ان يبحث عن خروجهم من مصر في زمنهِ او زمن غيرهِ . لكن كثيرين من العلماءِ صاروا تجارًا يتجرون بعلمهم فيعرضون منهُ البضاعة التي تروج في السوق ويصورونها في الصورة يقبلها القرَّاءُ حقيقية كانت او غير حقيقية . وهذا من العقبات في سبيل العلم

وجملة القول ان البحث عن فرعون موسى على نوعين كتابي وعلمي فالكتابي يجب ان يقف فيهِ المسيحيون عند نص الكتاب وهو "ان الماء رجع وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر لم يبقَ منهم ولا واحد" وان الله "دفع فرعون وقوتهُ في بحر سوف" والعلمي يجب الوقوف فيهِ عند حد الاكتشافات الاثرية التي كشفت حتى الآن ولا ذكر فيها لخروج بني اسرائيل من مصر ولا لاستعبادهم فيها ولا لنزولهم اليها. نعم انهُ وجدت فيها بعض المدن التي ذكر اسمها في التوراة ولكن وجودها فيها لا يثبت خبر العبودية والخروج اكثر مما يثبتهُ وجود مصر نفسها ووجود البحر الاحمر . وهذا لا ينفي ان توجد غدًا كتابات مصرية قديمة تنطبق على خبر التوراة تمامًا وهبْ انهُ لم توجد قط فخبر التوراة لا يتوقف ثبوتهُ وتأييدهُ على شهادة الآثار المصرية بل هو ثابت لذاتهِ عند المؤمنين بهِ صدَّقت لهُ شهادة الآثار او لم تصدق

(٦) اكل السمك وشرب اللبن

ومنهُ . من الامثال النحوية قولهم "لا تأكل السمك وتشرب اللبن" فهل من سبب طبي للنهي عن اكل السمك وشرب اللبن في وقت واحد

ج كلاَّ وقد جرَّب احد مشتركي المقتطف اكل السمك وشرب اللبن على صور شتى فلم يجد لهُ اثرًا من الصحة ونشر ذلك في المقتطف. ولم نرَ في كتب العرب ما يشير الى اصل هذا القول. "وقد ذكر ابن البيطار في الكلام على السمك انهُ اشرُّ ما يكون واوخمهُ وابطأهُ نزولاً اذا جمع الى البيض" ولم يشر الى ضررهِ اذا جمع مع اللبن

(٧) ضرر الغيل

ومنهُ. يقال ان من ترضع ابنها وهي حامل يعتريهِ النحول لانهُ يغار من الجنين فهل ذلك صحيح وما سببهُ

ج هو صحيح غالبًا من حيث النحول لان لبن الحامل يصير قليلاً قليل الغذاء لانصراف دمها الى تغذية جنينها. واما الغيرة فلا محل لها وحقيقة الكلمة غيل من غالت المرأة ولدها ارضعتهُ وهي حامل

---

(٨) اصل اسم افريقية

امبابه. اسكندر افندي نبيه. لماذا تسمى افريقيا بهذا الاسم وكذا اسيا واوربا واستراليا

ج ان اسم افريقية كان خاصًا يبلاد صغيرة على الشاطيء الشمالي ولم يطلق على القارَّة كلها الاَّ في زمن الرومانيين واسم اسيا كان اولاً خاصًا بسهول افسوس. اما اوربا فقد اختلف الكتَّاب في اصل اسمها فقال الاقدمون انها سُمّيت كذلك باسم اوربا بنت اجنور ملك فينيقية التي حملها المشتري الى كريت في زعمهم. وقال البعض انها سُميت كذلك من كلمة اورس اي ريح الصبا وقال المحقق هرمان ان هذه الكلمة استعملها هوميروس اولاً للدلالة على البر او بسيط الارض سمى بها بر ثراقية تمييزًا لهُ عن الجزائر اليونانية فاطلقت على قارَّة اوربا كلها. ويميل الباحثون الآن الى ان الاسم فينيقي من اربه اي الظلمة او الغرب اي حيث تغرب الشمس. وكلمة استراليا من اوسترالس اي الجنوب او ريح الجنوب

(٩) طول سكك الحديد

ومنهُ. كم طول سكك الحديد في الدنيا كلها

ج نحو ٤٥٥ الف ميل وهي موزعة هكذا ٢١٠ آلاف ميل في اميركا الشمالية و ١٦٣ الف ميل في اوربا و ٣١ الف ميل في اسيا و٢٧ الف ميل في اميركا الجنوبية و ١٤ الف ميل في استرالازيا و ١٠ آلاف ميل في افريقية

(١٠) ترجمة الكتاب المقدس

ومنهُ. مَن اول مَن ترجم الكتاب المقدَّس الى اللغة الفرنسوية ومَن اول مَن ترجمهُ الى الانكليزية

ج لا نعلم مَن ترجمهُ الى اللغة الفرنسوية اولاً ولكنهُ طُبع بها اولاً سنة ١٤٨٧ وترجمهُ الى اللغة الانكليزية وكلف في نحو سنة ١٣٨٢

(١١) لون الماء

سنورس . عزيز افندي ابرهيم . قرأت في بعض الجرائد ان الماء لا لون لهُ ولا طعم ولا رائحة فهل ذلك صحيح

ج يراد بالماء هنا الماء الصرف وهو خالٍ من الطعم والرائحة ولكن لهُ لون ازرق ولا يرى هذا اللون اذا كان الماء قليلاً واما اذا كان كثيرًا ظهر لونهُ فاذا كان عندكم اناء زجاجي ارتفاعهُ نصف متر او اكثر وملأتموهُ ماء ووضعتم تحتهُ ورقةً بيضاء ونظرتم اليها من فوق الماء حتى يمر النور المنعكس في الماء رأيتم لونها ضاربًا الى الزرقة كانكم نظرتم اليها من خلال زجاجة ضاربة الى الزرقة

(١٢) اشتعال الالكحول

ومنهُ . اذا وضع الالكحول (السبيرتو) على عضو من اعضاء الجسد واشعل بالنار فلا تؤثر النار في العضو الاَّ بعد ان يتلاشى الالكحول وقد جربت ذلك بنفسي في احد اصابعي فما سبب ذلك

ج ما دام السبيرتو موجودًا بين الجلد واللهب لم تتصل حرارة اللهب الى الجلد لان السبيرتو غير موصل للحرارة وكذا كل السوائل فانها لا توصل الحرارة من اعلى الى اسفل لسبب طبيعي وهو ان الدقيقة التي تسخن تتمدَّد وتطلب الارتفاع فتبعد عن الدقيقة التي تحتها لسهولة حركتها ولا توصل حرارتها اليها



مجمع ترقية العلوم الاميركي

التأم هذا المجمع في مدينة نيويورك من ٢٣ يونيو الى ٣٠ منهُ وكانت العادة ان يلتئم في اواخر شهر اغسطس فقدم اجتماعهُ هذا العام حتى اذا اراد احد المجيء الى باريس وحضور مجتمعاتها العلمية لا يعاق عن ذلك. ولم يحضرهُ كثيرون من غير اعضائهِ . ومن الاقوال الغريبة التي قيلت فيهِ ان الولايات المتحدة الاميركية تدفع الآن مئة وخمسين مليون ريال كل سنة على قتل اهالي فيلبين. وقد قال هذا القول المستر اتكنصن الاحصائي الشهير فاعترض عليهِ الحضور وطلبوا ان لا ينشر هذا الكلام في اعمال المجمع فقال ان انتم منعتموهُ من النشر زاد طلب الناس لهُ فقد مُنعت مرة من نشر رسالة فبعت منها مئة الف نسخة ولم اكن انتظر ان ابيع الفين

خطر التعدين

التعدين او استخراج المعادن من اكثر

الاعمال خطرًا ولذلك كان القدماء يخصونهُ بالاسرى كانهُ قصاص لهم . وقد احصت احدى الجرائد النمسوية عدد المعدنين الذين قتلوا في المناجم في السنوات الخمس الاخيرة فاذا هم ٧٠٠ في المانيا اكثرهم قتلوا بسبب اشتعال الغاز و٦٥٠ في روسيا قتل ثلاث مئة منهم غرقًا بانصباب الماء في المنجم. و٣٩٥ في اميركا و٣٦٥ في انكلترا و١٢٦ في المجر و١٠٨ في اسبانيا و٧٠ في فرنسا و٤٨ في بلجكا . وقلة القتلى في فرنسا على اتساع مناجمها دليل على حسن ادارة المناجم فيها

دعوى غريبة

جاء في السينتفك اميركان ان واحدًا ادَّعى في فينَّا ان سكة الحديد هزَّت جسمهُ هزًّا ازاح قلبهُ من موضعهِ وعرضهُ للموت الفجائي واقيمت الدعوى امام المحكمة فعينت اهل خبرة من الاطباء ينظرون في ذلك فحكموا ان قلب الرجل هبط قليلاً عن وضعهِ الطبيعي وهو قد يعيش سنين كثيرة ولكنهُ صار معرَّضًا للموت الفجائي فلا يستطيع ان يجهد نفسهُ في العمل فحكمت لهُ المحكمة بتعويض كافٍ

آلات المعارض

قابل المسيو اند بين قوات الآلات البخارية التي استعملت في المعارض المختلفة فابان ان الآلات التي استعملت في معرض سنة ١٨٦٧ كانت قوتها ٨٥٤ حصانًا وفي معرض سنة ١٨٧٨ كانت قوتها ٢٥٣٣ حصانًا وفي معرض سنة ١٨٨٩ كانت قوتها ٥٣٢٠ حصانًا وفي معرض سنة ١٩٠٠ الحالي قوتها ٣٦٠٨٥ حصانًا . وفي القسم الفرنسوي فقط ١٨ آلة قوتها ١٤٤٣٥ حصانًا وفي القسم الاجنبي ١٩ آلة قوتها ٢١٦٥٠ حصانًا فمتوسط قوة الآلة منها ١١٤٠ . اما الآلات التي استعملت في المعرض الاول فكان متوسط قوة الآلة منها ١٦ حصانًا فقط

وقود نشارة الخشب

كانت معامل الخشب الكبيرة تضيق ذرعًا بنشارة الخشب التي تخرج منها كل يوم واخيرًا اهتدت الى عمل اقراص منها توقد بدل الفحم الحجري . وفي بلاد النمسا معمل كبير يجبل هذه النشارة بمادة قطرانية ويصنع منها اقراصًا كالآجر ثقل القرص منها نحو نصف رطل وهو يصنع ستة ملايين قرص في السنة تبلغ نفقة الالف منها نحو اربعة غروش ولكنها تباع بعشرين غرشًا . فيبقى منها ربح وافر وهكذا استحال الضرر الى نفع

مضرَّة اخرى للترامواي

اثبتت جريدة السينتفك اميركان ان اسلاك الترامواي الكهربائي التي تجري عليها الكهربائية تضرُّ بالاشجار التي تمرُّ بقربها او تتصل بها فتضعف رويدًا رويدًا الى ان تيبس . وتضرُّ ايضًا بانابيب الماء الممدودة تحتها

جزاء القوّاد

التاجر الذي يفلح في تجارتهِ لا يدركهُ سن الكهولة حتى يصير غنيًّا قادرًا ان ينقطع عن الاعمال ويعيش من ريع اموالهِ وكذلك الطبيب والمحامي واما رجال الجيش فاقل الناس بختًا من هذا القبيل لانهم يخاطرون بنفوسهم في مصلحة بلادهم ثم لا يتقاضون الاَّ اجورًا لا تكاد تقوم بنفقاتهم . وقد كانوا في الازمنة الغابرة يعتمدون على نصيبهم من الغنائم فكانت قيادة الجيوش تجارة رابحة اما الآن فلم يبقَ شيءٌ من ذلك الاَّ نادرًا . وقد رأى الانكليز ان لا بدَّ لهم من مجازاة قوادهم بالمال حينما يفوزون فوزًا مبينًا جزاء لهم واغراء لغيرهم ومن ذلك انهم اعطوا لورد كتشنر خمسة وعشرين الفًا من الجنيهات لما قهر الخليفة وفتح الخرطوم واعطوا لورد ولسلي خمسة وعشرين الف جنيه ايضًا لما فتح الاشنتي سنة ١٨٧٤ واعطوا لورد روبرتس اثني عشر الف جنيه بعد حرب الافغان او الف جنيه سنويًّا مدى عمرهِ . ولما طرد ملبرو الفرنسويين من هولندا سنة ١٧٠٢ اعطوهُ دوقية وخمسة آلاف جنيه كل سنة. ولما فاز في واقعة بلنهيم سنة ١٧٠٤ بنت لهُ الملكة حنة قصرًا بلغت نفقاتهُ ٢٥٠ الف جنيه . ولما فاز بواقعة رملس سنة ١٧٠٦ اقرَّ البارلمنت على اعطائهِ اربعة آلاف جنيه تدفع اليهِ والى نسلهِ كل سنة ابد الدهر وقد بلغ ما دُفع الى عائلتهِ بهذا القرار سبع مئة الف جنيه

ووهب البارلمنت دوق ولنتن على اثر حروب اسبانيا اربع مئة الف جنيه . ولما فاز في واقعة ترلو اعطاهُ املاك ستراثفلدساي واربعة آلاف جنيه تدفع اليهِ سنويًّا ولاثنين من نسلهِ

ويقال الآن ان الحكومة الانكليزية تنوي ان تعطي لورد روبرتس بعد انتهاء حرب الترنسفال مئة الف جنيه . ولكن في اسواق لندن وباريس وهمبرج مئات من الصيارفة في خزانة كلٍّ منهم من اوراق مناجم الترنسفال ما ستزيد قيمتهُ بعد هذه الحرب اكثر من مئة الف جنيه وهم لم يحركوا يدًا فيها ولم يتجشموا مشقتها والمرجح انهم لا يدفعون درهمًا بل الملوك والوزراء والقواد والجنود والعمال والصناع يتعبون ويشقون نهارًا وليلاً ونفر قليل من رجال الاموال يضحك عليهم ويتمتع بالنصيب الاوفر من جنى اعمالهم

هبات علمية

ترك ادمند دَوْنت لمدرسة هارفرد الجامعة ١٢٥ الف ريال. ووهب المستر ركفلر مدرسة دنيصون الجامعة مئة الف ريال على شروط ان يهبها غيرهُ ١٥٠ الف ريال قبل شهر يوليو الحاضر فوهبها بعضهم هذا المبلغ المشروط

فاستحقت المبلغ الاول ايضاً . ووهب المستر ستراتن مدرسة كولورادو الكلية خمسين الف ريال

وترك المستر جونس كلارك لمدرسة كلارك الجامعة التي انشأها مليون ريال اذا استطاع مديروها ان يجمعوا لها خمس مئة الف ريال أخرى . وترك لمكتبة هذه المدرسة مئة الف ريال ولدار الفنون فيها مئة الف ريال أُخرى . ووهب اثنان مدرسة وشنطون الجامعة حصتهما في املاك شركة وريع هذه الحصة السنوي ١٢٠ الى ١٣٠ الف ريال

الدكتور خليل عازوري

جاءنا من لبنان نعي كريم قومهِ الدكتور خليل عازوري احد ابناء المدرسة الكلية الاميركية في بيروت . دخل القسم الطبي منها حين انشائهِ سنة ١٨٦٧ وتلقى العلوم الطبية والجراحية وجاء القطر المصري فاقام فيهِ يتعاطى صناعة الطب الى ان انحرفت صحتهُ فعاد الى لبنان . ثم اختير عضواً في مجلس ادارة الجبل فاشتغل بمهامهِ اشتغال رجل قرن العلم بالاختبار الطويل

حريق هائل

شبّت النار في جانب من ارصفة نيويورك في الثلاثين من شهر يونيو الماضي واتصلت الى السفن التي في المرفإ فمات بها نحو اربع مئة نفس واحترقت ثلاث من اكبر البواخر التابعة شركة لويد الالمانية الشمالية وارصفتها الاربعة . وخسرت الشركة بسبب ذلك نحو خمسة ملايين من الريالات

هدم المعرض

في اليوم الذي فتح فيهِ معرض باريس رسميًّا امضيت شروط مع بيت من بيوت شيكاغو لهدم مبانيهِ بعد اقفالهِ . وهذا البيت هو الذي هدم مباني معرض شيكاغو ومباني معرض اوماها باميركا فكأن تلك المباني البديعة المنظر غمامة صيف عن قريب تقشع

العلم في الحرب

اضافت نظارة الحربية الانكليزية الى ميزانيتها للعام المقبل ٩٥٠٠ جنيه لاجل التلغراف الاثيري و٣٦٠٠ جنيه لكي تبتاع بها تلسكوبات للمدافع السريعة الاطلاق و١٦٥٠٠ جنيه لاجل آلات الجيروسكوب التي توصل بالتوربيدو

قتلى الصواعق

قتلت الصواعق في العام الماضي ٥٦٢ نفساً من اهالي الولايات المتحدة الاميركية ولم يبلغ عدد الذين صعقوا هذا المبلغ في سنة من السنين الماضية . و٤٥ في المئة من هؤلاء صُعِقوا في الخلاء و ٣٤ في المئة صُعِقوا في البيوت . و ١١ في المئة صُعِقوا تحت الاشجار و ٩ في المئة في مخازن العلف وقتل اثنا عشر وهم ينشرون الثياب على حبال من

الاسلاك المعدنية . وواضح من ذلك ان القيام تحت الاشجار ليس اشد خطرًا من غيرهِ كما هو المظنون

كلفة كبيرة في الشمس

وصفنا تلسكوب معرض باريس في احد الاجزاء السابقة من المقتطف وكنا نتصفح الجرائد العلمية عسى ان نجد فيها شيئًا جديدًا اكتشف بهذا التلسكوب فلم نجد سوى انهُ كشفت بهِ كلفة كبيرة على الشمس قطرها قدر محيط الارض اي ٢٥ الف ميل فان كانت كذلك فهي تكاد ترى بالعين من غير تلسكوب

توزيع الهواء البارد

طلبت احدى الشركات من مجمع الامة الاميركي ان يأذن لها في مد الانابيب تحت اسواق مدينة وشنطون في اميركا لاجراء الهواء البارد فيها الى المنازل والمكاتب والمخازن كما يجري غاز الضوء الآن وهي تبرّد الهواء في معمل كبير مما يُصنع فيهِ الثلج وترسلهُ الى البيوت في انابيب ممدودة تحت الارض كما تقدَّم. فنتوسل الى هذه الشركة ان تذكر عاصمة الديار المصرية وترسل الينا فرعًا منها يسعى لدى حكومتنا في امتياز مثل هذا فينالهُ حالاً ونكون لها من الشاكرين

ملك ايطاليا

فاجأنا البرق بنعي الملك العادل الحازم امبرتو الاول ملك ايطاليا اغتالتهُ يد اثيمة في ٢٩ يونيو بمدينة منزا قصبة ملوك لمبرديا القديمة وهو في السادسة والخمسين من عمرهِ

ولد في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ واقترن بابنة عمهِ الاميرة مرغريتا سنة ١٨٦٨ وخلف اباهُ الملك فكتور عمانوئيل سنة ١٨٧٨ . ولهُ اليد البيضاء في الاتحاد الايطالي والبلاء الحسن في حروب سنة ١٨٦٦ . وقد حاول احد الاشرار قتلهُ في ١٧ نوفمبر سنة ١٨٧٨ وحاول آخر قتلهُ سنة ١٨٩٧ على ما هو مشهور عنهُ من الدعة والبر بالرعية

الدكتور دري باشا

استأثرت رحمة الله بالجراح الشهير الدكتور محمد باشا دري قضى صباح الثلاثين من يوليو . وكان عالمًا عاملاً اشتهر بفن الجراحة علمًا وعملاً ولهُ العمليات الدقيقة فيهِ وقد درّس هذا الفن سنين كثيرة في مدرسة قصر العيني الطبية ولهُ فيها معرض لما استخرجهُ من الحصوات المثانية والنواسير والسراطين وما اشبه . وكان حريصًا على العلم راغبًا في انتشارهِ اقتنى مطبعة خاصة لكي يطبع فيها كتبهُ وينشرها بين تلامذتهِ

الطاعون

مضى جانب كبير من هذا الشهر لم تحدث فيهِ حوادث جديدة بالطاعون في الاسكندرية ولا في بورت سعيد وقد بلغ

عدد الذين اصيبوا بهِ حتى التاسع والعشرين من الشهر ١٠٥ توفي منهم ٤٥ وشفي ٥٨

واصيب اربعة بمرض في مدينة بيروت اشتبه بكونهِ الطاعون فضرب الحجر الصحي في القطر المصري على واردات بيروت كما تضرب بيروت الحجر الصحي على من يمضي اليها من القطر المصري ووضع النطاق الصحي (الكوردون) بين بيروت ولبنان . لكن المصابين شفوا ولا يظهر ان احداً عدي منهم ولا ثبت انهم كانوا مصابين بالطاعون . وقد دخل الطاعون بلاد سدني باسترااليا ومرَّ عليهِ فيها بضعة اشهر لا يقوى على الانتشار ولا يقوون على ازالتهِ . وبحث الدكتور تدسول عنهُ في مجمع ترقية العلوم الاسترالي فاشار الى علاقة الجرذان بهِ وقال انهُ ذكرت امثلة كثيرة حيث ابتدأ الطاعون في الجرذان وانتقل منها الى البشر من ذلك انهُ وجدت جرذان ميتة مرةً في معمل من معامل القطن بمدينة بمباي فرفعها عشرون من العمال وطرحوها في مكان بعيد فاصيب نصفهم بالطاعون في ثلاثة ايام واما بقية عمال المعمل فلم يُصب احد منهم بهِ. ومنهُ ان سائساً وجد جرذاً ميتاً في اسطبل ببمباي واخرجهُ من الاسطبل فاصيب بالطاعون بعد ثلاثة ايام ومات بهِ . ولكن كثيرين وجدوا الجرذان الميتة ورفعوها ولم يصابوا بشيءٍ وكثيرين اصيبوا بالطاعون ولم يلمسوا جرذاً ميتاً فما تكون علاقة الجرذان بالطاعون . والجواب على ما يظن ان البراغيث تقصد الجرذان بكثرة فاذا كان الجرذ سليماً فلي نفسهُ منها ولكنهُ اذا مرض كثرت في بدنهِ واذا مات بقيت فيهِ الى ان يبرد جسمهُ وحينئذٍ تفارقهُ فلا يبقى ضرر من لمسهِ بعد مفارقتها لهُ واما اذا لُمس قبل ذلك طارت البراغيث منهُ الى من يلمسهُ ومعها ميكروب الطاعون فلقحت بدنهُ بهِ . وهي تنتقل من جرذ الى آخر ايضاً فتنقل العدوى اليهِ وتلقحهُ بها . ومعلوم ان الجرذان تنقل من بلاد الى اخرى ببضائع التجار من مثل الارز والسكر ونحوها فلا يبعد ان يكون ذلك سبب انتقال الطاعون من الهند الى غيرها

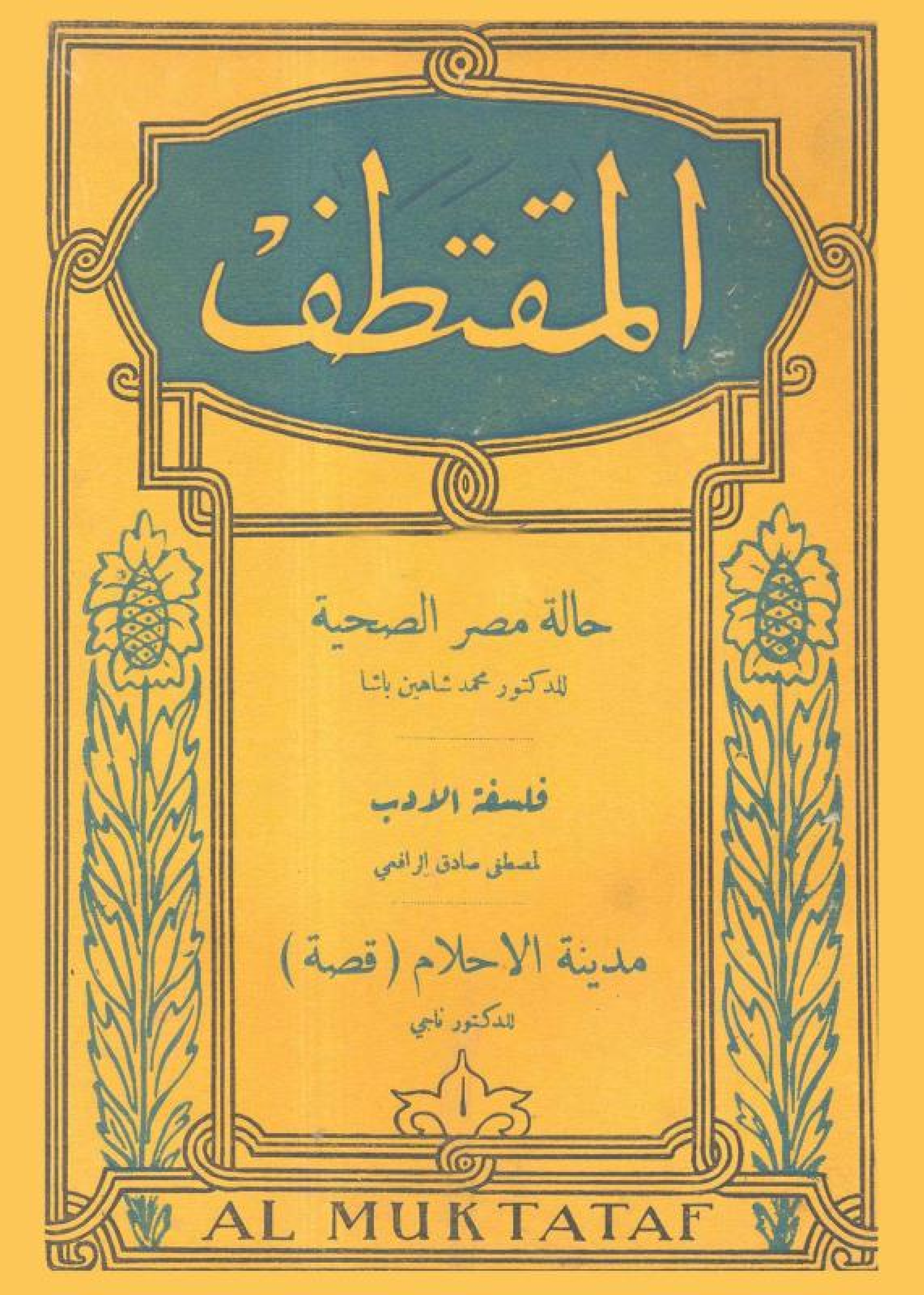
قوات الدول البحرية

اذا حُسبت قوة اليابان البحرية مئة فقوات الدول الاوربية البحرية بالنسبة اليها هكذا

بريطانيا	٦٣٨
فرنسا	٢٥٧
روسيا	١٨٨
الولايات المتحدة	١٦٥
المانيا	١٣٤
ايطاليا	١٠٣
اليابان	١٠٠

ويظهر من ذلك ان قوة بريطانيا العظمى البحرية تساوي قوات فرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والعشرين


المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٦ جمادي الاولى سنة ١٣١٨

ملك ايطاليا



قد يُظن لاول وهلة ان رجال العلم لا يفرقون بين الملوك وغيرهم من عامة الناس . وهذا صحيح اذا نظروا اليهم من حيث بناء اجسامهم وصحة ابدانهم ومضاء عقولهم ولكنهُ غير صحيح اذا نظروا اليهم من حيث مقامهم في المجتمع الانساني ومقدرتهم على النفع والضر فهم من هذا

القبيل يمثلون قوةً عظيمة من اعظم قوى المجتمع الانساني . ولذلك تنشر المجلات العلمية والادبية سيَر الملوك والوزراء اذا كان لهم شأن في ترقية بلادهم كما تذكر سير العلماء والفضلاء

وقد حدث في اواخر الشهر الماضي حادث عظيم ارتجت لهُ النوادي السياسية والادبية واهتمَّ بهِ علماء الاخلاق والباحثون في مصير المجتمع الانساني وهو اعتداء رجل خامل الذكر على ملك عظيم الشان لا لذنب جناهُ هذا الملك على ذلك الرجل او على احد من خاصتهِ او على احد من الناس ولا لان ذلك الرجل مصاب بدخل في عقلهِ او انهُ فعل ما فعل خطأً عن غير عمد كلاَّ بل هو في تمام العقل وقد فعل ما فعل عن قصد وروية وغرضهُ وغرض رفاقهِ الفوضويين التنكيل بالملوك كأنهم يحسبون انهُ اذا قُتِل الملوك زالت ادواء الاجتماع الانساني وبطل الفقر وقلَّ الكرب الى غير ذلك من المزاعم الفاسدة

وقد جمعنا السطور التالية مما كُتب في سيرة هذا الملك و يظهر منها انهُ كان من خيرة الملوك ومن خيرة الناس اجمع ولذلك فاغتيال الفوضويين لهُ دليل على فساد قواعدهم

لما توفي الملك فكتور عمانوئيل ملك ايطاليا شعرت الامة الايطالية بفقد عزيز احياها ورفع مقامها بين الممالك الاوربية ولكنها علمت وعلمت اوربا كلها ان العبء الذي القاهُ على عاتق ابنهِ ثقيل لان تنظيم الممالك وترسيخ قدمها في العمران اعسر من فتحها وجمع شملها . وكان عليهِ ايضاً ان يقتدي بابيهِ ويحتفظ بالمقام الرفيع الذي اوجدهُ في قلوب شعبهِ ولذلك قال في المنشور الاول الذي نشرهُ على الايطاليين ان غاية ما يتمناهُ هو ان يستحق محبة شعبهِ . واجتمع كثيرون منهم تحت قصرهِ ونادوا بهِ ملكاً فلما اشرف عليهم ضمَّ ابنهُ الى صدرهِ وقال لهُ اني اقسم لك باني ساعيش عيشة تجعل الشعب الايطالي ينادي بك ملكاً حال موتي على هذا الاسلوب من الولاء . فكان كما قال

وُلد امبرتو الاول ملك ايطاليا في مدينة تورين في ١٤ مارس سنة ١٨٤٤ في مثل اليوم الذي وُلد فيهِ ابوهُ . وامهُ ماري اديلدا ابنة ارتشديوك رانياري والي لمبرديا والبندقية وكانت من فضليات النساء واشدهن رأماً لاولادهن واهتماماً بتهذيبهم وتعليمهم وجرت في تربية اولادها مجرى بيت سافوى الذين يربُّون اولادهم تربية النشاط والقوَّة ليكونوا من الابطال المعدودين حتى جرى المثل " ان سافوى والخوف لا يجتمعان "

وتوفيت هذه الام الفاضلة وعمر امبرتو احدى عشرة سنة وتركت اولادها لعناية والدهم الملك فكتور عمانوئيل . وكانت مشاكل البلاد ومشاغلها كثيرة فلم يكن لهم بدٌّ من مراقبتها والتشوُّف الى الوقت الذي يصيرون فيهِ قادرين على مساعدة ابيهم في تحرير بلادهِ . ولما كان

عمر امبرتو ١٥ سنة ركب مع ابيهِ وخرج للحرب في احدى المعارك التي كان لها الشأن الاكبر في مستقبل ايطاليا . ثم أُرسل في مهام اخرى فاعرب عن همَّة وحداقة رأي يندر وجودها في من كان من سنهِ

وسنة ١٨٦٦ وقع القتال بين الايطاليين والنمسويين وكانت القيادة للبرنس امبرتو ومن ثم صار يخرج للحرب كما دعت الحال. ومن اعمالهِ التي تدلّ على شهامتهِ وعزة نفسهِ تنازلهُ للحكومة عن راتبهِ اذ رأى البلاد مثقلة الكاهل بنفقات الحروب. وكان باسلاً يعترض الموت اذا اعترضهُ ومما يؤثر عنهُ أنهُ وبخ احد قوّادهِ حين اسرع هذا لانقاذهِ فانهُ التفت اليهِ وقال لن اغفر لك اسراعك لانجادي

وفي الرابعة والعشرين من عمرهِ دعا ابوهُ وزيرهُ وطلب اليهِ ان ينتقي لابنهِ زوجةً اميرة فاضلة وان يسرع في عملهِ اذ لم يرق في عينيهِ بقاء ولي عهدهِ عزباً واخوهُ الاصغر متزوج فارتأى الوزير ان تكون العروس البرنسس مرغريتا ابنة دوق جنوى وهو عمّ الامير وكانت هذه الاميرة قد ربيت احسن تربية ونشأت على حب الوطن وكانت في الثامنة عشرة من عمرها بيضاء اللون بعينين زرقاوين وقد اشتهرت بالدعة واللطف حتى لُقّبت ملاك ايطاليا

واطنب الوزير في مدح جمالها واخلاقها حتى طرب الملك ووعد وزيرهُ ان يذهب بنفسهِ لزيارتها فيتأكد صحة الخبر بالخبر ولم يلبث ان الحق القول بالفعل فشهد منها ما زاد مقامها في عينيهِ فخطبها لابنهِ واحتفل بزواجها في تورين سنة ١٨٦٨ احتفالاً ملكياً باهراً شهدهُ جميع اعضاء الاسرة المالكة وكان في من حضر ذلك الاحتفال الامبراطور فردريك ملك بروسيا وهو لا يزال ولي عهد ابيهِ

ولم تكن الامة في ذلك الزمان مجمعة على حب هذا الامير اجماعها على اكرام ابيهِ لاسباب اهمها اشتغالها بحب الوالد وكون الامير لم يكن يحسن التصرف بين الايطاليين على ما يرغبون فكان من طبعهِ الترفُّع لا عن كبرياء بل عن شمم على ان الامة لم تبرح ترى فيهِ سرّ ابيهِ وانهُ امير من بيت سافوى وانهُ بطل مجرَّب كما اتضح بالامتحان وكان الملك شديد الثقة بابنهِ عارفاً ما فيهِ من حسن الصفات والاخلاق . ومن يقف على تاريخ ايطاليا مدة حكمهِ وينظر في اعمالهِ لا يرى في آمال ابيهِ شيئاً من المبالغة فانهُ لم يلبث على العرش طويلاً حتى اجتذب اليهِ قلوب الرعية وملك افئدتهم بما اتصف بهِ من كرم الاخلاق والمروءة والحكمة والتعقل

وبعد العرس جال هو وزوجتهُ في مدن ايطاليا الكبيرة ما عدا رومية وكانت الحفلات تقام في هذه المدن تكريماً لهما وترحيباً بهما ثم عادا الى تورين حيث لبثا ورزقا بعد سنة ونصف

بوحيدها وورث ملكها فسُمّي فكتور عمانوئيل باسم جدهِ . ولما دخلت رومية في حوزة الحكومة الايطالية انتقل الاميران الى قصر الكويرنيال وكان الملك فكتور عمانوئيل يزداد ميلاً الى كنتهِ واعتباراً لها وثقةً بها فتمكنت بذلك من تغيير بعض اطوارهِ حتى اذا ما رقي زوجها الى عرش الملك انعقدت قلوب الامة على احترامها ومحبتها بما شهدوهُ من لطفها ورقتها

ولمَّا ملك امبرتو استهلَّ حكمهُ بعمل حميد اكسبهُ احترام الامة وذلك ان اباهُ خلَّف ديونًا باهظة فرأَى مجلس الامة ان توفيها الحكومة اعترافًا بفضلهِ في تحرير ايطاليا لكن الملك ابى المصادقة على قرار المجلس قائلاً ان ديون ابي ديوني وانا المطالب بايفائها وللحال شرع يقتصد في نفقات بلاطهِ وباع بعض خيولهِ وظلَّ كذلك الى ان تمكن من ايفاء الدَّين ومكافأة خدم ابيهِ وحشمهِ

ولم يمضِ سنة على ارتقائهِ الى العرش حتى اراد بهِ احد الاشقياء شرًّا و ذلك انهُ كان هو والملكة ووزيرهُ داخلين الى مدينة نابولي في مركبة مفتوحة واراد الشقيُّ ان يطعن الملك بحربة فابصرهُ الوزير ومال ليحمي مولاهُ وجُرح بدلاً منهُ . فأخذ الغيظ مأخذهُ من الامة واتضح للملإِ حينئذٍ ما اكتسبهُ الملك من محبة شعبهِ في مدة حكمهِ هذه القصيرة . ولما حُكم على المجرم بالاعدام عفا عنهُ وابدل الاعدام بالاشغال الشاقة المؤبدة فزادت هذه الشفقة منزلتهُ رفعة في عيون شعبهِ

وما انطوى عليهِ من صدق العزيمة والشجاعة هوَّن عليهِ التفاني في خدمة امتهِ حتى كان يستغرب اعجاب شعبهِ بشهامتهِ يوم كان يتفقد المرضى في اقذر الشوارع حين ظهور الكوليرا فقد قال في ذلك "لم اعمل سوى ما هو واجب عليَّ". ولم تنزل بالبلاد نازلة الاَّ وهو في مقدمة المساعدين بمالهِ وحميتهِ على ان تلك الحمية لم تصلح حالة البلاد فقد بليت ايطاليا بالفقر لكثرة ما اضطرت اليهِ من الانفاق في سبيل اتحادها ثم رأت من ميل فرنسا عنها ما اضطرها الى عقد التحالف الثلاثي فكان ضغثًا على ابالة من حيث كثرة النفقات الحربية واتت ثالثة الاثافي بالحرب المالية التي اثارتها عليها فرنسا سنة ١٨٨٨ فاتلفت صناعتها وتجارتها . واهتمَّ الايطاليون بعد ذلك بالاستيلاء على بلاد الحبشة فلم يفلحوا وفاز الاحباش عليهم فوزًا مبينًا كاد يقوض اركان الملكية . وكان حنق الاكليروس شديدًا على ملك ايطاليا وجرائدهم لا تنفك عن ايغار الصدور عليهِ ولاسيما في فرنسا فقاوم هذه المحن كلها بالصبر وخرج منها ظافرًا . وطيب سريرتهِ وشهامتهُ اكسباهُ ميل الامة اليهِ فهو العارف باحوالها الخبير بماَسآتها المرسل كلامهُ الى قلوبها ينطبع فيها كما باقلام من حديد وهو الذي كان اذا خطب فيها مسَّ اعماق

القلوب واختلب الالباب لا بفصاحتهِ وحسن انشائهِ فقد كان بعيداً من ذلك ولكن بصدق لهجتهِ وخلوص طويتهِ وما فُطر عليهِ الايطاليون من الحماسة والحمية

وكان يبرّ بمواعيدهِ اقسم مرة ان لا يدخن ولم يحنث بقسمهِ. وكان ذلك عملاً بنصيحة اطبائهِ لما آنسوهُ فيهِ من اكثارهِ التدخين الى حدّ ان خشوا سوء العاقبة. ولم يكن قويّ البنية كأبيهِ فظهرت فيهِ علامات الشيخوخة باكرًا. ومن اخلاقهِ انهُ كان ولعاً بالخروج الى خارج المدن والتصعيد في الجبال فكان يأوي الى الخيام ويشارك الفلاحين في طعامهم وشرابهم وكان على شغفٍ بالالعاب الرياضية والى هذين تعزى جودة صحتهِ في كهولتهِ. وكان من عادتهِ القيام الباكر لا يميز فيهِ بين برد الهواء او حرّهِ ولا يعتدُّ بالمطر ولقد كان يفضل ان تبتلّ ثيابهُ من المطر على ان يستظل بمظلة تقيهِ وكان يقف في الاستعراضات بضع ساعات معرضاً لحر الشمس وهو يهزأ بالذين يطلبون الظل والراحة. وعدم اعتدادهِ بالبرد والحرّ خُلق من اخلاق أُسرتهِ ودليل آخر على قلة اكتراثهِ للمخاطر

وكان محباً لزوجتهِ يعتمد عليها في الرأي ويستشيرها في امور كثيرة ولهُ معها وقائع يصحّ اتخاذها دلائل على اخلاقهِ فمن ذلك انها الحّت عليهِ ان يصبغ شعرهُ وكان قد لعب بهِ المشيب شاباً فلم تلقَ منهُ قبولاً فعمدت الى الحيلة على ما قيل فاتت بمقدار من الخضاب ووضعتهُ في غرفتهِ ومعهُ ورقة فيها تبيان كيفية استعمالهِ وانتظرت ما يكون وكان لها كلب ابيض طويل الشعر وبعد بضعة ايام رأت هذا الكلب مسرعاً الى غرفتها وقد تبدّل بياضهُ بالسواد ولبس من الصبغ حلةً اسكتتها فلم تعُد تفاتحهُ في هذا الموضوع. وسأل مرة احد كتّابها عما يصلح ان يقدم لها على سبيل الهدية في عيد الميلاد فأجابهُ هذا ان جلالتها مديونة كثيراً للخياطين فطلب ان يؤتى اليهِ باوراق الحساب فأُتي بها اليهِ وفي صباح العيد وضع جميع تلك الاوراق على المائدة امام كرسيها مع الوصل باستلام الدراهم من اصحابها ولم يزد عليها هدية واحدة فرأت الاوراق وفطنت لقصدهِ وشرعت تقتصد في نفقاتها على لبسها من ذلك الحين

وحكى ولي العهد الحكاية الآتية قال رأى ابي امي وهي تضع النظارات على عينيها لتستعين بها على قراءة الموسيقى فصاح قائلاً يا مرغريتا ابعديها عنك فاني لا اطيق رؤيتها فلم تصغِ الى قولهِ فقال اذا لم تطرحيها جانباً فاني أُغني فاطاعت للحال لكي تتخلص من سماع غنائهِ لانهُ عادي الصوت لا يحسن ضبط الانغام. ومما يحكى عن الملكة انها سافرت وولي العهد مرة من بالرمو الى نابولي فعصفت الريح وهاج البحر حتى خشي القبطان على مَن في السفينة فجمع الضباط واستشارهم في الامر وفيما اذا كان الاجدر بهم التقدم فاجمعوا على العودة الى بالرمو وعرضت المسألة على

مولاتهم فاتوها مستشيرين وكان بيدها ورقة بيضاء فاخذت قلماً وكتبت عليها " Sempre avanti Savoia " ومعناه ان سافوى يجب ان تسير دائماً الى الامام وهي شعار بيت الملك عندهم

وقد حاول الفوضويون الاعتداء على حياة الملك امبرتو مرتين غير هذه الاخيرة كانت الاولى في نابولي كما تقدم والثانية في سنة ١٨٩٧ ولقي في الثالثة حتفهُ وهو لم يتجاوز سبعاً وخمسين سنة من العمر . وقد فصلت الجرائد الايطالية مقتلهُ فقالت انهُ اسرع بعد العشاء في ليلة ٢٩ من شهر يوليو للذهاب الى حفلة الالعاب الرياضية لانهُ كان قد سبق فوعد اصحابها بالحضور حين توزيع الجوائز فحاولت الملكة ان تثنيهُ عن عزمهِ فلم تفلح وابى ان يخلف وعدهُ فركب واثنين من قوادهِ في مركبتهِ وتبعهم المندوب الخاص واحد وكلاء البوليس في مركبة اخرى فلما وصل الى مكان الحفلة الفاه غاصاً بالحاضرين والطريق مسدوداً والشرفة المعدة لهُ مملوءة بالمتفرجين وبعد العناء الشديد تيسر فتح الطريق واخلاء الشرفة ثم وزعت الجوائز على مستحقيها وحيا الملك الذين نالوها مصافحة جرياً على عادتهِ وبعد ان حدث من حولهُ نهض يريد الانصراف فهتف الحضور مراراً ليحيَ الملك وتراكضوا جميعاً الى طريقهِ وكان ممسكاً قبعتهُ بيدهِ فجعل ينظر باسماً الى من حولهُ وتقدم على مهل الى مركبتهِ بين صفوف الناس ثم صعد الى المركبة ووقف حاسر الراس وجعل يحيي الجمهور الذي تألب حولهُ اظهاراً لشكرهِ لهُ وكان رجال البوليس قد حاولوا ابعاد الناس عن مركبتهِ فلم يفلحوا . ثم ادار المندوب الخاص ظهرهُ وسار ووكيل البوليس الى مركبتهِ مزاحماً وعند ذلك تقدم رجل الى الصفوف الامامية ووقف على مسافة متر ونصف من الملك وسدد مسدسهُ عليهِ ساكن الجاش واطلق عليهِ اربع رصاصات فجرحتهُ واحدة منها جرحاً بالغاً في الفسحة الرابعة بين الاضلاع واصابت الثانية الترقوة اليسرى واستقرت الثالثة في الفسحة على طول الخط الابطي فاكبَّ على ركبتيهِ ثم استلقى على ظهرهِ وامر سائق المركبة ان يسير مسرعاً فجرت الخيل عدواً الى القصر الملكي. وانقضَّ الجمهور ورجال البوليس على القاتل فقبضوا عليهِ اما الملك فبقي ساكتاً بضع دقائق ثم صعَّد زفرات قليلة وفاضت روحهُ قبل ان يصل الى قصرهِ . ويقول القاتل انهُ ارتكب هذه الجناية لبغضهِ الملوك لا لسبب آخر

وقد شمل الحزن كل من سمع بخبر هذه الفاجعة واشتدَّ حنق الناس على الفوضويين ومبادئهم القبيحة وستكون هذه الجريمة من مقوضات اركانهم وممزقات شمل عصبتهم ومسهلات عقاب الملك على ابنهِ فكتور عمانوئيل الثالث لانها تكرّه الامة بالجمهوريين المتطرفين وتبعدها عنهم حتى تنحل عصبتهم ويفضي امرهم الى لا شيء

دوق ادنبرج



لقد صدق من قال "تنوعت الاسباب والموت واحد" ولكن القضاء الطبيعي الناتج عن مرض عجز عنهُ علم الطب او عن انحلال اقتضتهُ الشيخوخة ودعا اليهِ نفاد القوى لا يحرك الغيظ في النفوس ولو ادمى القلوب والعيون ومثل ذلك قوبل موت دوق ادنبرج ابن ملكة الانكليز وثاني اولادها فانهُ قضى بداء ضاعت فيهِ حيل الاطباء

وكان من حداثة سنهِ كثير الاجتهاد والحذق برع في العلوم التي تعلمها وفاق اقرانهُ . وبعث ابوهُ مرةً باوراق امتحانهِ الى الوزير اللورد دربي ليطلع عليها فلما قرأها كتب الى ابيهِ يقول "اني اشكر الله لانهُ لم يشترط على وزراء المملكة ان يمتحنوا مثل هذا الامتحان والاَّ ما وُجد وزراءُ يكفون لتأليف وزارة"

وكتب ابوهُ الى البارون ستكمر سنة ١٨٦٠ يقول لقد ودّعنا الفرد ومضى الى رأس الرجاء الصالح بطريق ريو جنايرو. ومن الغريب ان اخاهُ مضى الى كندا ليفتح جسرًا (كبري) انشئ على نهر سنت لورنس وهو مضى ليضع حجر الزاوية في مرفإ مدينة رأس الرجاء وسيحدث ذلك في اسبوع واحد في طرفي المعمورة. ما ابهج هذه الصورة الدالة على نمو الشعب الانكليزي ومشاركة الاسرة الملكية لهُ في ترقية شؤُون العمران. والناس في هاتين المستعمرتين الجديدتين ينظرون الى ولدينا بالحب والفخر

وكان وهو في السفينة كاحد البحّارة تماماً ولكنهُ لما نزل الى البر قوبل مقابلة الملوك. ولما عاد من هناك عاد برفقته السر جورج غراي والي المستعمرة. وكتب الى صديق لهُ بُعيد ذلك يقول "لا شيء يسرُّ الفؤَاد اكثر مما رأيناهُ من البرنس الفرد هنا فهو شاب كريم الاخلاق مملوءٌ من النشاط والظرف وحيث سار قابلهُ الناس بالبهجة والسرور. وهو امهر مني في ركوب الخيل فاجتذب قلوب الرؤَساء الوطنيين وسرَّ الاوربيين بما ابدى من الاهتمام بمصالحهم ونجاحهم"

ورآهُ رئيس قبيلة الجيكا وعشرة من مشيريهِ على ظهر السفينة يعمل في تنظيفها مع غيرهِ من الشبان فقالوا لقد رأينا الآن سبب عظمة انكلترا فان ابن ملكتها يخضع لرجل من رعيتها لكي يتعلم الحكمة فاذا كان ابناء العظماء من الانكليز يتركون بيوتهم ورفاهتهم وآباءهم ويتحملون المشاق مع هذا الامير لكي يتعلموا ويصيروا سياجًا لمملكتهم فلا عجب اذا عظمت انكلترا واعتزَّ شأنها

وعُرض عليهِ عرش مملكة اليونان سنة ١٨٦٢ باجماع اليونانيين في بلادهم وكل البلدان فاضطرَّ ان يرفضهُ لان بريطانيا وفرنسا وروسيا كانت قد اتفقت سنة ١٨٣٢ على ان لا ينتخب لهذا العرش امير من الاسر المالكة فيها

وهو كهل في سن ملك ايطاليا ولد في التاسع من اغسطس سنة ١٨٤٤ وربي كما رُبي سائر اخوتهِ على ما يعلي شأن بلادهم فدخل الخدمة البحرية وهو في الرابعة عشرة من عمرهِ جريًا على خطة اسلافهِ الذين عززوا قوة انكلترا البحرية بانضمامهم اليها الى ان توفي عمهُ دوق كوبرج وغوثا فانتقلت الدوقية اليهِ بحق الارث سنة ١٨٩٣ وقد اقترن بالاميرة ماري ابنة اسكندر الثاني قيصر الروس سنة ١٨٧٤ ورزق منها ابنًا واربع بنات اما ابنهُ واسمهُ الفرد فتوفي في فبراير سنة ١٨٩٩ فانتقلت امارة ساكس كوبرج وغوثا الى ابن عمهِ دوق البني

وقد عمَّ الاسف على وفاة هذا الامير لاسيما وان ام الارض ترثي لمصاب والدتها الثاكلة التي ابى الدهر الاَّ ان يجرعها الحسرات مع ما اولاها من بهجة الملك وعظمة الجاه

الفتح النورماندي

لحضرة المؤرخ المحقق جرجي افندي بني الطرابلسي

كان اول النازلين في البيون وهي انكلترا بضعة قبائل من المهاجرين الاسيويين وامة القلط واسمهم البريتون دفعتهم اليها القبائل الجرمانية التي وفدت على اوروبا بعدهم وزاحمتهم على مواطنهم فيها فظلوا يمرحون في جاهليتهم حتى دهمهم الرومان قبيل التاريخ المسيحي فسادوا فيهم بعض الشيء وظلوا يحكمونهم نحواً من خمسمائة سنة الاَّ انهم لم يقووا على اذلال بعض القبائل لاعتصامها في الجبال فلما رحل الرومان عادت تلك القبائل واهمها اثنتان السكوتس والبكتس يشنون الغارات على الثغور ليغنموا منها ما زانتها بهِ الحضارة الرومانية فلم يقوَ الاهلون على صدهم فاستعانوا عليهم ببعض القبائل الجرمانية التي كانت نازلة في اوروبا في القطر الواقع بين هانوفر واولدنبرج وهم الساكسون والانكلس والجوت فجاؤهم للنجدة ولكنهم بعد ظفرهم انقلبوا اخصاماً اذ نزلوا في الجزيرة وامتلكوها وازدادوا عدداً بكثرة الجالية اليهم من قبائلهم حتى صاروا بكرور الايام اصحاب البلاد وارومة ساكنيها . اعتبر ذلك بانتساب الانكليز الى الانكلوساكسون اما البلاد فدعيت باسمهم انكلند اي بر الانكلس وانزوى القلط في وايلس وايرلندا وهضاب اسكتلندا

وكان السكنديناف قبائل من الارومة الجرمانية نازلين في بلاد الدانمرك والسويد ونروج يجدّون للعيش في بلادهم الباردة القاحلة فلا يجدون بلغةً الا بشق الانفس فاكتسبوا النشاط والاقدام والمهارة في البحارة يتخذونها سبيلاً للنهب والسلب مدى زمن جاهليتهم فعلموا في اواخر القرن الثامن للمسيح بما احرزت غاليا من الغنى فاتجهت قواربهم السوداء صوب سواحلها الشمالية ومنها الى بريطانيا فشرعوا يأتونها في الاحايين قرصاناً لا يقصدون سوى اغتنام اسلابها لا يزجرهم عن ذلك دين ربهم ودن ولا يمنعهم شيء عن قتل الرجال واختطاف النساء والاولاد لان الانكلوساكسون كانوا يومئذٍ سبعة ممالك كل واحدة قائمة بذاتها والعدوان مستفحل بينها فلا تقوى من جراء ذلك على صد العدو والسكندنياف في خلال ذلك يشنون الغارات تباعاً دراكاً على البلاد حتى امتلكوا ايرلندا وزحف جيش منهم سنة ٨٣٦ الى دورستشير فردهم اكبرت الذي توفق قبل ذلك للتفرُّد في الملك على ان يبقى بعض اصحاب الممالك الاخرى على حكوماتهم باسم نائب الملك. وتكررت الغارات في ايام خلفائهِ حتى انتصف

القرن التاسع وقد امتلك السكنديناف سواحل ايرلندا وشمالي غاليا واستفحل امرهم في البحر فاطبقوا على بريطانيا من كل جهة

وفي سنة ٨٦٦ زحف جيش منهم من ايرلندا على اسكتلندا ونزل جيش آخر تحت امر هوبا على سواحل ايست انكليا فاكتسحها وقصد يورك وما لبث ان استولى على نورثمبريا وانضم الجيشان سنة ٨٦٨ ثم أسر نائب الملك في ايست انكليا وقتل وتوّج قائد الشماليين المسمى كثرم ملكاً وخضعت مارشيا للجزية وبالاجمال خرجت كل البلاد الواقعة الى شمالي التيمس من يد الانكلوساكسون وصارت في حكم السكندناف واصبحت مملكة الوسكس التي كانت ذات السيادة على كل البلاد ازاء العدو الاكبر اذ عبر النهر الى بلادها سنة ٨٧١ واضطرمت الحرب فمات في غضون ذلك الملك اثلرد وخلفهُ اخوهُ الفرد فاشترى المصالحة بالمال وارتد السكنديناف الى ما وراء النهر ولكن بعد مضي ثلاث سنوات عادوا فطردوا نائب الملك من مارشيا وجعلوها تحت حكومتهم وهاجموا البلاد فوقعت الحرب بينهم وبين الفرد وكانت سجالاً حتى انكسروا في ودمور فعاقدهم الملك على صلح ظاهرهُ خروجهم من كل بريطانيا وحقيقة امرهِ سلامة قطر وسكس فقط وظلَّ القسم الاعظم من البلاد بايديهم مطلقين عليهِ اسم دانلاك مشتقاً من الدانماركيين لكن هذا الصلح لم يكن حاسماً للنزاع بل ظلَّ الشماليون يقدمون من بلادهم فيلقون من الفرد ومن خلفائهِ من بعدهِ حروباً داميات

ولم تكن غارات النورمان على انكلترا فقط ولكنهم اغاروا على فرنسا ايضاً وبعد معارك يشيب لها الرضع تغلَّب قائدهم رولف سنة ٩١٢ على الملك شارل الساذج وعاقدهُ على التخلّي لهُ عن الثغور الشمالية فكانت هذه المعاهدة شبيهة بالانكليزية التي عقدت في ودمور فسكن الحال وتنصَّر رولف واتخذ ابنة الملك شارل لهُ امرأةً ثم اعترف بسيادة الملك عليهِ الاَّ ان التنصر والاذعان لسيادة الاجنبي لم يكونا من خُلُق القوم . اما البلاد التي استحوذوا عليها فهي التي اتَّسمت باسمهم نورمندي . وبعد وفاة رولف تولى الامارة (الدوكية) ابنهُ وليم وكان متذبذباً في المسيحية وطاعة ملك فرنسا لبقائهِ شمالياً محَّاً اعتبر ذلك بما ورد من استقدامهِ شرذمة من الدانماركيين ليسكنهم شبه جزيرة كونتين الواقعة بين سان ميشيل وريف شاربورج وبما ورد من انهُ بعث بابنهِ الى بايو ليربى هنالك على اخلاق قومهِ الباقية على الحالة الاولى بخلاف سائر الجماعة الذين خالطوا الفرنسويين واخذوا عنهم الدين والعادات واللغة وكان من نتيجة فعلتهِ ان نشأ ابنهُ الدوك ريتشارد شمالياً بحتاً فعدل عن المسيحية حيناً من الدهر ذلك لما اشتد ساعدهُ بجماعة المهاجرين الحديثين الاَّ ان ذلك لم يدم طويلاً لان قومهُ ما لبثوا ان دانوا

بالنصرانية واقتبسوا حضارة الفرنسيس واخلدوا الى محاسن الاخلاق وطالت امارة ريشارد من ٩٤٥ الى ٩٩٦ فرأى اثر هذا الانقلاب وشهد صدق ولاء قومهِ للاريكة الفرنسية

ولقد كانت هذه الامارة النورماندية قذىً في عيون ملوك الانكليز لقربها من بلادهم وخوفهم من اساءتها ولكن ما عتم ان رأى بعضهم ان يشد ازرهُ بهم فتزوج اثلرد باما بنت اميرهم فأُحكمت عرى الصداقة السياسية بين البلدين حتى اذا اغار الدانمار كيون على البلاد فرَّ الملك ملتجئاً الى بلاد نورمندي ومنذ يومئذٍ اتجهت عيون النورمان الى انكلترا يحسبونها مصدر الخير والثروة وتحركت فيهم تلك الاطماع القديمة وهي التي دفعت الدوك روبرت في عصر الملك كنوت ان يقصد تلك الديار بحجة رغبتهِ في ارجاع العرش للملك اثلرد لكن العاصفة اجلت الفتح الذي اضمرهُ اذ حطمت سفائنهُ وحالت دون مرامهِ . وخلف الدوك روبرت ابنهُ الدوك وليم وكان قويَّ الارادة شديد الحول يعلو بافكارهِ عن زمنهِ وبمقاصدهِ السامية عن معاصريهِ وفيهِ دهاء السياسيين ومهارة العارفين

الا ان نسبهُ من جهة امهِ لم يكن نبيلاً لان اباهُ الدوك روبرت كان قد رآها ابنة دبَّاغٍ فعلق جمالها الفتان فاستولدها الدوك وليم فبقي نسبهُ هذا وصمةً يُعاب بها لولا ان سترها مجد اعمالهِ التي بدأها بكبت أعدائهِ في وطنهِ وجوارهِ حتى رسخ قدمهُ واستفحل امرهُ سنة ١٠٦٠ وعدَّ اولاً بين امراء فرنسا فاضاف مايان الى بلادهِ واخضع برتاين ومال الى العلم فعضدهُ عضداً قوياً حتى ازهرت في ايامهِ مدرسة بك وازدادت نفعاً برئاسة لانفرنك اللمباردي

اما في انكلترا فان الشماليين الذين غلبوا بعض الاقطار وسكنوها تبعثروا بين الاهلين فما لبثوا ان دانوا بالمسيحية وتخلقوا باخلاق مجاوريهم واتخذوا لغتهم وعوائدهم حتى كادوا لا يفرقون عنهم وزاد انضمامهم تمكناً بانقطاع المدد عنهم من الشمال لانشغال تلك البلاد بشؤونها الداخلية في زمن نشأة ممالكها الثلاث الاَّ ان صيرورة الجميع امةً واحدة لم يخلد بهم الى السكون بل ظلت الحرب قائمة بين بعضهم ولكنها لم تبق كحروب الوطنيين للاجنبي عنهم بل كتنازع ابناء الامة الواحدة

ولا خفاء ان تلك الاونة كانت اشد الازمنة اضطراباً واكثرها قلقاً للملوك الاوربيين لما كان يعتور حكوماتهم من مخاصمة امراء القطائع الذين كانوا لا يفترون عن الاقتتال وقد كان يخطر لبعضهم التغلب على المملكة اما في انكلترا فقد كان اولئك الامراء على طرز اخوانهم من مناوأة بعضهم بعضاً ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الالمام بالشأن الملكي لمقامهِ في ذاتهِ وبين قومهم القائلين بامارتهم عليهم فبقي الشأن الملكي عند الانكليز محفوظاً ولكن القتال لم ينقطع بين

بعضهم والملك في خلال ذلك يحارب غير واحدٍ من الامراء لشؤُون اخرى ولكن لم يبقَ في النفوس اثر لاعتبار النورمان من اصلٍ غريب فاصبحوا لا يحاربون لهذا السبب

وفي ختام الجيل العاشر كان على العرش الانكليزي فتى من البيت الملكي اسمهُ اثلرد رأَى حالة الامراء فاراد ان يخضد شوكتهم فاتخذ حولهُ بطانةً واعواناً فما عتم ان اعتزَّ هؤلاء بنعم الملك واقطاعاتهِ وزادوا طمعاً فلم يكن قيامهم مقللاً من الاحن بل مزيداً فيها. وعلم الملك ان الدانمار كيين على وشك الاغارة على بلادهِ ولم يكن يستطيع صدهم لما في البلاد من الشقاق والبلايا ورأى عزة نورمندي فحسب ان الاقتراب من بيت امارتها يزيدهُ رسوخاً في عرشهِ ويدفع عنهُ طارئة العدو فتزوج باما بنت الدوك روبرت سنة ١٠٠٢ كما مرَّ فامتعض الانكليز منهُ وزادهم انقباضاً انهُ امر بقتل المستأجرة الشماليين لئلا ينضموا الى الدانماركيين حين اغاروا على انكلترا تحت امرة سويجن فادَّى ذلك الى ظهور عجزهِ عن صد العدو بالقوة فرشاهُ بمالٍ طائل حتى ارتدَّ ولكنهُ عاد سنة ١٠١٣ وعاث في البلاد فساداً ففرَّ اثلرد الى نورمندي غير انهُ لم يقم فيها طويلاً لان المنية ادركت سويجن فمات سنة ١٠١٤ فاضطر ابنهُ كنوت ان يعود بقومهِ الى بلادهم وكان فتى باسلاً فلما بلغ الداغارك جلس على الاريكة ثم باشر الاهبة لاغارةٍ شعواء على انكلترا. وسنة ١٠١٦ توفي اثلرد فخلفهُ ابنهُ ادمند وثارت على اثر جلوسهِ الشحناء فالقتال بين الامراء فجاء الداغاركيون واستولوا على وسكس ومارشيا فقاومهم ادمند بضعة اشهر حتى غلبوهُ في موقعة اساندون وعاقدوهُ على اقتسام البلاد فاصبحت انكلترا خاضعةً لملكين ادمند وكنوت وبعد حين توفي ادمند فخلا جو الملك لكنوت فبدأ حكومتهُ بالانتقام وسفك الدماء حتى انهُ لحق بابناء ادمند الى المجر ولكنهُ عاد الى الحكمة والرشاد فساس البلاد سياسةً مستحسنة وامنها وكانهُ لم يكن غريباً اذ ابقى كل شيء على حالهِ بل صرف الداغاركيين الى بلادهم ولم يبقِ حولهُ منهم الاَّ نفراً اتخذهم لحراستهِ

وفي ايامهِ كان بدء حادثين لهما الشأن الاعظم في تاريخ انكلترا احدهما اتفاقهُ مع ملك السكوتس على اعطائهِ شماليَّ نورثمبريا حتى نهر التويد وهي قطر يسكنهُ الساكسون والسكوتس على ما ذُكر من القلط الاصليين ومن الغالة فلما انضم اليهم الساكسون امتزجوا بهم وغلب عليهم عنصرهم فصاروا والانكليز امةً واحدة لذلك سهل انضمامهم بعد ازمنةٍ الى اخوانهم بحيث اصبحوا لهذا العهد مملكةً واحدة. والحادث الثاني هو ان كنوت قرَّب اليهِ الإرل كودوين ومنحهُ السراوة والغنى واتخذهُ عوناً ونصيراً فكان ذلك بدء عزتهِ. قيل ان اصل الرجل خامل بل وضيع جداً حتى انهم ليحسبوهُ ارتفع الى السراوة بعد اذ كان صبياً يرعى البقر فاصبح من

اوسع الامراء جاهاً واكثرهم اقتداراً وباتت كلمتهُ وهي النافذة في المملكة حتى ليحتاج اليها الملك في ترسيخ قدمهِ

وخلف كنوت ابناهُ هارولد فهارثانكوت ولم يسيرا على منهاج ابيهما من العدالة واللين فملَّ الانكليز حكومتهما حتى اذا مات هارثانكوت استدعوا ادوارد بن اثلرد من منفاهُ في نورمندي حيث نشأ على العادات والاخلاق النورمانية واجلسوهُ على اريكة آبائهِ والامر في خلال ذلك لثلاثة من اعاظم الامراء الاَّ ان اكثرهم نفوذاً واقتداراً الارل كودوين فكان مدبر شأن المملكة سيما لاقامتهِ ابنيهِ واحد انسبائهِ امراء على بعض القطائع فاشتد بهم ازرهُ وزاد اقتداراً بمصاهرة الملك فحدثتهُ نفسهُ بارتقاء الاريكة ولكن حال دون بلوغهِ اليها فسق احد بنيهِ وما جرَّ في اثرهِ من الخلاف مع الملك وفرار الابن من البلاد. ولو وقف الامر عند هذا الحدّ لهان ولكن كودوين نال من الملك نعمة العفو عن ابنهِ فلما عاد قتل ابن عمهِ وهو اميرٌ من صنائع ابيهِ فمال الرأي العام على كودين وابنهِ سياحين اذ فاز بالصفح ثانيةً فاراد كودوين ان يصرف نفرة الامة عنهُ الى الملك فسعى بين الناس في بيان ارتياح ادورد الى النورمانديين وشؤونهم. وحدث في خلال ذلك وقوع النزاع بين صهر الملك صاحب بولون بفرنسا وبين اهل دوڤر فادى ذلك الى الهرج فقتل بضعة من رجال الامير فالتجأ الى الملك يطلب قصاص الفاعلين فامر الملك كودوين ان يقتص من اهل دوڤر لانها من امارتهِ فابى محتجاً بوجوب المحاكمة فعدَّ الملك ذلك مخالفةً وامر بحضور كودوين لديهِ فابى فرماهُ بالعصيان وتحفز كلاهما للقتال الاَّ ان نفرة الناس من كودوين وابنيهِ مالت بهم عن نصرتهما فلما تفرقت جماعة الامير فرَّ بعائلتهِ وامواله الى فلاندر ثم علم ان الامة حسبت ذلك السقوط الوقتي قصاصاً كافياً وشعرت بالحاجة الماسة الى اقتدارهِ فجاء بالسفن سنة ١٠٥٢ فارجعهُ الملك الى سابق شأنهِ واقرَّهُ على امارتهِ ولكنهُ مات سريعاً وتولى الزعامة ابنهُ هارولد مدى اثنتي عشرة سنة وكان حكيماً باسلاً جمع كل فضائل ابيهِ ولكنهُ لم يلتطخ بمفاسدهِ فازدادت عظمتهُ اضعافاً واحبتهُ الامة كثيراً فاشتد املهُ بنيل الاريكة لاسيما بعد اذ عهد بامارة نورثمبريا لاخيهِ توستيك عقيب موت صاحبها الارل سوارد فاصبحت بذلك كل انكلترا الاَّ قسم صغير من قطر مارشيا في امارة آل كودوين وزاد في اعتلاء كعبهِ ضعف الملك وموت ولي عهدهِ ووشك انقطاع الاسرة المالكة بحيث كان ذلك جميعهُ ممهداً سبيل هارولد الى الاريكة

الاَّ ان العقبة الكؤود التي كانت تحول دون الوصول الى امنية هارولد لم تكن في انكلترا ولكنها في نورماندي بفرنسا لان الدوك وليم بن روبرت كان قد تولى الامارة وحدثتهُ نفسهُ

بالجلوس على الاريكة الانكليزية التي كان يقدر قرب موت ملكها بلا عقب. واذ كان الملك من انسبائهِ واصدقائهِ اغتنم فرصة خروج كودوين منها وأتى البلاط الملكي زائرًا صديقهُ وعاد منهُ على قول وقد وعدهُ الملك بولاية عهدهِ. وسنة ١٠٦٥ ركب هارولد البحر في مهمة لم يكشف التاريخ عنها قناعًا فعصفت الانواء وألقت بسفائنهِ حطامًا على الشاطيء الفرنسي ونجا بنفسهِ الى بونثيو فاسرهُ صاحبها لان من عادة تلك الايام ان يحسب الملتجيء الى بلد اسيرًا فيها. وقد اختلفت الروايات في اتصالهِ بعد ذلك الى الدوك وليم فمن قائل انهُ اشتراهُ من الكونت الذي اسرهُ ومن ذاهب الى ان هارولد شكا الى الدوك وليم فأمر بهِ فأحضر لديهِ الى روان فاحتفل الدوك بهِ كثيرًا واذ كان عارفًا بمكانتهِ وانهُ اذا ناظرهُ على الاريكة الانكليزية كان خصمًا عنيدًا عقد مجلسًا من ذويهِ ودعى بهارولد وشرع يخاطبهُ قائلاً اني لما كنت والملك ادورد كاخوين نسكن دارًا واحدة وعدني بولاية العهد على انكلترا اذا صار ملكًا عليها فارغب اليك الآن ان تمدَّ لي يد المعونة لوفاء وعد الملك. واذ كان هارولد في قبضة الدوك وقد شعر ان الضيافة التي يتمتع بها ليست الاَّ اسارًا قد يؤدي بهِ الى الحتف اجاب الدوك الى ما اراد. فعاد وليم وسألهُ ان يصاهرهُ في ابنتهِ اديلا وان يبعث اليهِ باحدى شقيقاتهِ ليزوجها باحد امراء (بارونات) النورمانديين فاذعن هارولد لذلك ايضًا. الاَّ ان وليم كان ادهى من ان يستوثق بمثل هذه الوعود المجرَّدة فاوعز الى هارولد ان يقدّم لهُ في حضرة سراة النورمانديين واجب الطاعة والاحترام اللائقين بولي عهد ملكهِ. فركع هارولد امام الدوك وليم ووضع كلتا يديهِ بين يدي الدوك وكرر الطاعة والوعد بالمعونة. وكان وليم عارفًا بما للشعائر المذهبية من الشأن العظيم في افكار الناس جميعًا حتى ان من اقسم على شيء من تلك الشعائر يلتزم بهِ ومن حنث نفر القوم عنهُ ورموهُ بالمروق من الدين ولهذا جمع الدوك ما وصلت اليهِ يدهُ من الذخائر المحترمة كعظام القديسين وسواها في صندوق مقفل ووضع على الصندوق كتاب الصلاة وعقد مجلسًا آخر طلب فيهِ الى هارولد ان يقسم الايمان على ذلك الكتاب فاقسم يمين الطاعة والمعونة وهو لا يعلم بما في الصندوق حتى انتهى من قسمهِ ورأى بام عينهِ تلك الذخائر المحترمة فامتقع لونهُ لما في نفسهِ من الحنث بيمينهِ. وأُفرج عن هارولد فعاد الى انكلترا وشرع يزداد كمالاً في عيون مواطنيهِ ببسالتهِ وحكمتهِ وعدالتهِ حتى اذا قضى الملك ادورد نحبهُ في ٥ كانون الثاني سنة ١٠٦٦ اجتمع اهل الحل والعقد وانتخبوا هارولد ملكًا فوقع ذلك من الاهلين موقعًا جليلاً لتعظيمهم قدرهُ. وما بلغت الاخبار الى نورماندي حتى قام وليم اميرها وقعد وبعث بالحال رسولاً يذكر هارولد بيمينهِ التي حلفها على الذخائر المقدسة فاجاب الملك قائلاً نعم اني حلفت

لهُ ولكني اقسمت مرغماً ووعدت بما لا يد لي في اعطائهِ لان قيامي على الاريكة ليس مما املك ولذلك لا استطيع التخلي عن الملك الاَّ برضا الامة وليس الاَّ برضاها اقتدر على التزوج بابنة غريبة واما شقيقتي التي يريد وليم مني ان ارسلها اليهِ ليزوجها من احد رجالهِ فقد ماتت في مدى هذه السنة فهل يرغب اليَّ ان ابعث لهُ بجثتها

فلم يقنع الدوك وليم بهذا الجواب بل بعث الرسل ثانيةً فعادوا بمثل جوابهم الاول فنشر وليم بين الناس رسالةً ابان بها حنث هارولد بيمينهِ وعدم برهِ بوعدهِ وتوعَّد ان يجرد السيف عليهِ ليأخذ منهُ بحقهِ . قيل ان الدوك وليم لم يدَّعِ الملك افتئاتاً انما رغب في ان يسأل فيهِ رأي الامة وحسب هارولد حائلاً بملكهِ بينهُ وبين بيان رأيها ثم ارتأى ان يسعى بالوسائل السلمية لنيل رغبتهِ قبل ان يجاهر بالعدوان لا خوفاً منهُ ولكن لسياسةٍ نحاها اراد بها ان يمكن لنفسهِ بين الحلفاء والانصار ليصدقوا في نجدتهِ متى علموا ان دعواهُ نائلةٌ الحظوة لدى الكرسي الرسولي في رومية . والناس في ذلك العهد على اتم الولاء والاذعان لاحكامهِ فاستدعى ان يكون قداسة البابا حكماً بينهُ وبين هارولد فابى الملك هارولد الاجابة الى ذلك بحجة انكارهِ المجلس الذي يُعقد لهذه الغاية وان لا صلاحية للحبر الايطالي ان يحكم في دعوى الملك الانكليزي فساء وقع هذا الجواب كثيراً ولكنهُ لم يقف في سبيل فحص الدعوى والحكم للدوك وليم بالاريكة الانكليزية وتعزز الحكم بارسال البابا للدوك رايةً صلى عليها وباركها فلما اتصل ذلك بعلم الاكليروس شرعوا يؤيدون دعوى الدوك ويحضون القوم في طول اوروبا وعرضها على الانضواء تحت اعلامهِ فكانت دعوتهم كنفير عام ضد انكلترا . اما الدوك وليم فشرع يعمل بملء قدرتهِ ومنتهى دهائهِ ليس فقط لجمع رجال دولتهِ بل لاستنهاض حلفائهِ واتباعهِ ومريديهِ يمني هذا بالغنائم وذاك بالمناصب حتى اجتمع لديهِ جيش لم يرَ الغرب احسن منهُ عدداً وعدداً اذ انضمَّ اليهِ كل ذي حمية وبسالةٍ من الاوربيين الطامحين لنيل البركة واغتنام ما يملك الانكليز وفوق هذا فان النورمانديين كانوا من الابطال المشهورين وناهيك بالدوك فهو يعدَّ بالالوف

ولا خفاء ان الاغارة على بلاد الانكليز لا تستطاع الا لمن يمتلك اسطولاً قوياً وقد اتجهت عناية وليم لهذه الغاية ايضاً وقضى الشهور الطوال من سنة ١٠٦٦ وهو يجهز السفن الجمة في الثغور الخاضعة لهُ

اما الانكليز فانهم كانوا يرون تلك الاهبة ويقابلونها بالمثل براً وبحراً الا ان المصايب لتوالى فان مرابطة ثغور انكلترا الجنوبية زمناً طويلاً اقلق الكثيرين من جيش هارلود ومعظمهم

من اهل الحراثة والصناعة فشرعوا يتركونهُ زرافات حتى لم يبقَ لديهِ في اواخر الصيف من سنة ١٠٦٦ الاَّ الجيش المدرَّب. يومئذٍ اتصل بعلمهِ ان ملك نروج هارالد هاردرادا قد اغار على بلادهِ بخمسمائة بارجة ونزل قطر اوركنيس فانضم اليهِ كثيرون من الاهلين فزحف الى يوركشير وهنالك حارب بعض الامراء عند يورك فغلبهم واستولى على المدينة وجوارها

وكان السبب في هذه الغارة ان هارالد هاردرادا كان ثالث الطالبين للاريكة الانكليزية وقد زادهُ استرسالاً اليها تحريض الارل توستيك بن كودوين شقيق الملك هارولد اذ لحق بهِ مغاضباً وذلك لان اخاهُ هارولد كان قد انالهُ في زمن الملك ادورد الامارة على نورثمبريا كما مرَّ بنا فلم يجد منهُ بعد ذلك اخلاص الاخ بل اوجس منهُ خيفة على الاريكة ان يناظرهُ فيها حتى اذا وقع الهرج في تلك الامارة فرَّ توستيك منها الى فلاندر واقام ثمةَ يرقب الاحوال فعلم ان اخاهُ اعطى امارتهُ لموركر من آل ليوفريك شقيق صاحب مارشيا فاصبح كلاهما من اعوانهِ وما عتم ان افضت الاريكة اليهِ فالحق توستيك بهارالد هاردرادا وشرع يزين لهُ الاغارة على بلادهِ وقومهِ حتى نهض وعبى الجيش وجهز السفن كما مرَّ

فلما علم الملك هارولد بالغزاة انزاح عن مرابطة الثغور الجنوبية واغذ السير الى يوركشير فبلغها في اربعة ايام. وباغت الاعداء عند ستامفورد بردج واصلاهم حرباً عواناً فلقي منهم كفاحاً عنيفاً وكاد لا يقوى على القاء الوهن في صفوفهم لتألبهم على بعضهم فاظهر الانكسار خدعةً واحتيالاً حتى اذا تفرقوا لملاحقتهِ كرت عليهم ابطالهُ واثخنوا فيهم قتلاً وجرحاً فنالوا الظفر بعد ان قتلوا الملك هرالد هاردرادا!

وسر الملك هارولد بظفرهِ ولئن اشتراهُ بدماء نخبةٍ من شجعان رجالهِ الاَّ ان سرورهُ لم يكن طويل الامد لان الدوك وليم كان قد نزل البر بغير معارضٍ ذلك لانهُ كان منذ اواسط شهر اغسطس قدحشد السفن عند مصب نهرٍ صغير بين السين والاورم اسمهُ نهر ريف وساق الى الجوار خمسين الفاً من الابطال وعشرة آلاف من الجند ولبث ينتظر الفرص لركوب البحر بهذا الجيش الكثيف وما يحتاجهُ من الكراع والمتاع الاَّ ان الرياح كانت مضادةً فجعل الدوك يسدّد تنظيم جيشهِ وينظر في مهماتهِ تأهباً للعمل العظيم وهو يرقب الريح حتى قرب زمن الاعتدال الخريفي واصبح المهب من الشمال الشرقي متجهاً صوب الغرب فركب الغزاة البحر وما اقلعت بهم السفن حتى تغير مهب الريح وعصفت الغربية بنوئها فارتدت السفن الى السواحل الافرنسية بعد اذ تحطم بعضها وغرق بعض فادى ذلك الى تذمر النورمانديين وملالهم من الحرب حاسبين ان العناصر تذود عن الانكليز وما دروا ان العاصفة كانت من انصارهم لانها

ساقت النروجيين الى انكلترا واشغلت هارولد بهم عن مرابطة الثغور فاغتنمت لهم حين اقتربوا منها وناهيك ان العمارة التي اتخذها الملك هارولد من قوارب الصيادين وسفن النقل وملأها بالرجال والسلاح وجعلها على خفارة السواحل شُغلت ايضاً بعد مواقعة النروجيين بحشد المؤونة والذخيرة لابناء جلدتهم الذين انفقوا ما اذخروه من ذلك في لقاء الاعداء. اما الدوك وليم فلم تكد تلك العثرة لتفعل شيئاً في عزيمته بل شرع يحمّس القوم و يستنهض هممهم حتى عادت الريح فهبّت جنوباً فنشر شراع سفنه ومخر البحر الى انكلترا فلم يجد في البلوغ اليها معارضةً فوطىء البر في خليج من ولاية سوساكس بين بافنساي وهاستنس وذلك في ٢٩ ايلول سنة ١٠٦٦

وكان الملك هارولد يقيم الافراح في مدينة يورك لظفره بالنروجيين فجاءه الخبر بنزول عدوه الى البر فزحف للحال للقائه ولما بلغ لندن اقام بها ستة ايام اصدر خلالها الاوامر بحشد الجنود وتجمع السفن على ضفاف سوساكس ثم اسرع الكرة غير مبالٍ بالجهد ولا مكترثٍ بعديد العدو لانهُ قد سكر بخمرة الظفر والاَّ فان لندن وغيرها من البلدان كنَّ يعظمن قدره و يطعن امره ألا تراهنَّ وقد اسرعن لتقديم بنيهنَّ اليه فجمع منهم عسكرًا وسار بهم مسرعاً ابتغاء مباغتة النورمان كما باغت النروجيين فلقي من حذر وليم ودهائه ما لم يكن في حسبانه

وكان من الدوك وليم عند نزوله الى البر ان عثرت رجلهُ فوقع على كلتا يديه فصاح بعض جماعته ان تلك علامة الشؤم فاجابهم لساعته بل ان ذلك فألٌ حسن فاني وعظمة الله لقد امتلكت انكلترا بكلتا يدي فهي الآن لي وما هو لي فهو لكم

وزحف النورمان على سيف البحر الى هاستنس واقاموا هنالك معسكرًا حصيناً وكانوا قد اصطنعوا ثلاث قلاع من الخشب احكموا صنعها في بلادهم وجاءوا بها قطعاً لا تحتاج في تشييدها الاَّ الى شدها بالمسامير فلما نزلوا البر نصبوا قلعةً منها وفي اليوم التالي نصبوا القلعتين الأخريين عند هاستنس وشرع الذين يمتارون للجيش بالسلب والنهب لئلا ينفد ما جاءوا به في سفنهم ففرَّ الاهلون من مساكنهم ابتعاداً عنهم وخلت الديار للظافرين فانفذ الدوك وليم بعض الشراذم من الفرسان لارتياد البلاد فرأوا الجيش الانكليزي زاحفاً عليهم فنكصوا على الاعقاب حتى انضموا الى قومهم يخبرونهم بمجيء الانكليز سراعاً اما هارولد فأُسقط بيده لانهُ لم يستطع ان يأخذ العدو على غرةٍ فغيَّر منهاج حربه بان نزل على سبعة اميالٍ منهُ وبعث يدس الجواسيس في مصاف النورمان فعادوا اليه يخبرونهُ ان الجيش مملوءٌ بالكهنة اكثر منهُ بالكماة ذلك لانهم رأوا ازياء النورمانديين شبيهةً بزي اهل الكهنوت فحسبوهم منهم الاَّ ان هارولد كان عارفاً بحقيقة الحال فصرَّح بها

وعرف هارولد ان الجيش النورماندي اوفر منهُ عدداً فلم يعبأ بهِ ولا عمل بنصيحة بعض رجالهِ الذين اشاروا عليهِ ان يرتدّ الى لندن ولا يبقي في طريقهِ اليها على شيءٍ من الزاد والذخيرة فلا يمضي الزمن الطويل الاَّ وقد احتاج النورمان الى تلك اللوازم فلا تقدر سفنهم على السفر للامتيار من بلادهم لوقوف السفن الانكليزية لها بالمرصاد فيضطر الدوك ان يزحف بجيشهِ الى لندن طلباً للقوت فلا يجد على مدى طريقهِ الاَّ جوعاً شديداً وامراضاً وبيلة تغني الامة الانكليزية في هلاك النورمان عن القتال . ولو عمل هارولد بهذهِ المشورة لنجت انكلترا من الفتح النورماندي ولكن هي عزة الملك وانفة البسالة رفعت بنفس هارولد عن الارتداد وهو الاشفاق ان يسلب قومهُ يدهِ وان يشقي بلادهُ بامرهِ زين لهُ الموت في دفع الملة على الحياة في ايصال الاذية لمن احبَّ

وكان في صحبة الملك اخواهُ كارث وليوفون فاشار عليهِ الاوَّل ان يتغيب عن القتال لانهُ مثقل بحنث اليمين و يبقى هو واخوهُ في الجيش يحاربون دفاعاً عن الوطن فابى الملك ان يتخلى عن قومهِ في زمن المحنة وتحصَّن في موقفٍ منيع يدل اختيارهُ على معرفتهِ بالفنون الحربية معرفة القائد المحنك فان الهاجمين كانوا لا يقوون على المحاربين فيهِ اذا نازلوهم من الامام خيفة ان يؤخذوا من الجانبين وكان الى وراء الموقف غابة كثيفة يستطيع هارولد ان يجمع فيها شتات جيشهِ اذا وهن وشتَّ واقتدر العدو على اخذ مركزهِ المنيع اما النورمان فانهم لا ينجون من الوبال اذا اندحروا

ونصب هارولد اللواء الساكسوني في موضع ارتأى ان العدو يهاجمهُ منهُ ووقف بجانبهِ وحولهُ رجال كنت الذين كان يحق لهم ان يبدأوا القتال متى كان الملك معهم وكذلك رجال لندن ومن حقهم يومئذٍ ان يكونوا حراس الملك والراية . وما لبث ان ظهرت فيالق النورمان وبدأت في المهاجمة على النسق الذي تصورهُ هارولد الاَّ ان وليم لم يباشر القتال فوراً بل بعث للملك راهباً اسمهُ هوك مايكرو يسألهُ واحدة من ثلاث اما ان يتخلى عن الملك لمناظرهِ الدوك واما ان يذعن لتحكيم البابا او ان يبارز الدوك فابى الملك الاجابة الى شيءٍ من ذلك لان تملكهُ كان باتفاق الامة فلا يسوغ لهُ التخلي عنها ولا تعليق امرها على حكم اجنبي او فصلها بالمبارزة بين اثنين. ولكن هذا الجواب لم يقطع الجدال اذ اعاد وليم الرسول يعرض على هارولد التسليم على ان يكون لهُ ملك ما وراء هامبر ولاخيهِ كارث امارة ابيهِ وامر الرسول قائلاً اذا اصرَّ على عنادهِ فقل لهُ على مسمع من ذويهِ انهُ حانث بيمينهِ وكاذب بوعدهِ ومحروم من الحبر الاعظم فادَّى الراهب رسالتهُ فارتاع عظماء الساكسون لدن سمعوا كلمة الحرم وتناظروا

فقال واحدٌ منهم لا تراعوا ايها الشجعان فانّا مندوبون للدفاع كيف كان الحال لان القضية ليست في اختيار الملك الواحد دون الآخر ولكنها ذود عن ذمارنا وما ملكت ايماننا فاذا غلبنا الدوك على الملك فينا فهو مرتبط مع انصاره على ان يعطيهم كلّ ما نملك من كثير وقليل فماذا يحل بنا اذا سلمنا والى اين نذهب بعيالنا واولادنا فاصغى القوم لمقاله وتحالفوا على الدفاع حتى الرمق الاخير

فلما لم يجد الفريقان من الحرب بدًّا باتا على عزم القتال في الصباح التالي الا ان حالهما لم يكن واحدًا اذ ان الساكسون قضوا ليلتهم فرحين طربين يبوقون ويهتفون ثم يشربون الخمور غير واجسين خوفًا بخلاف النورمان فانهم بعد اذ القوا النظر على اسلحتهم وخيولهم قضوا السنة المذهبيّة بالاعتراف ومناولة الاسرار المقدّسة ثم ناموا ملء جفونهم حتى صباح ١٤ اكتوبر (ت ١) فنهضوا وصلوا فروضهم وانضووا تحت اعلامهم اما الامراء منهم فانهم التفوا حول الدوك وليم فأمر ان يقسم الجيش الى ثلاثة فيالق تهاجم الاعداء في وقت واحد معًا ووقف ببطانته على رابية يتشرف منها الموقع وخاطبهم قائلاً انهُ واثق بالنجاح لان جيشهُ شديد الحول وفيهِ الامراء الابطال المخلصون الذين سيكون لهم ما ينال من المغنم فهتفوا لهُ هتافًا شديدًا مؤكدين ان ليس بينهم جبان او رعديد وانهم موطنون النفوس على الموت في سبيلهِ فشكرهم واشار عليهم ان يبلوا في الاعداء بلاء حسنًا والاَّ تلهيهم الاسلاب لانها لا بدَّ ان تكون لهم في آخر الامر فيقسمها بينهم على السواء ثم قال ايَّاكم والاستئمان او الهرب لان الانكليزي لا يحب النورمندي فلا يبقي عليهِ فلا تأخذكم الشفقة عليهم لانهم يفتكون بالجبان الهارب كفتكهم بالبطل المحارب والى اين المفرّ من القتال أالى البحر فانكم لا تجدون ثمة سفنًا تنقلكم او جسورًا تجتازون عليها الى بلادكم فيلحق الانكليز بكم ويقتلونكم وانتم مسربلون بالذلة والعار. واذ ان الفرار لا ينجيكم فليس لكم الاَّ القتال والصبر على اهوالهِ فتغلبون والظفر الذي جئنا في التماسهِ مكللاً بالمجد قريب المنال منا اذ اصدقنا في الضرب. وعلى هذا النسق كان يخاطبهم واذا بواحدٍ من عظمائهِ يقول لهُ لقد ابطأنا يا مولاي فهلمّ بنا فاسرعوا الى خيامهم وشكوا في سلاحهم وجاؤا الدوك بدرعهِ وصدرتهِ واذ لم يكن منتبهاً لبس الصدرة مقلوبةً فتشآم بعض الحضور فقال لهم انهُ لا يتطير وانما يسلم الامر لله المتعال وهو فعالٌ لما يريد وانهُ بالاحرى يتفآل خيرًا من ان الصدرة كانت منقلبةً فاصلح لبسها اشارةً الى انهُ سينال الاريكة الانكليزية ويصير ملكًا بعد اذ كان دوكًا

ثم دعا بالراية المباركة وسلمها لاحد ابطالهِ ثم عهد بالقيادة على احد الجانبين لدسيـ

مونكوميري يعاونهُ وليم اوسبر ومعهما فرقتاهما ورجال بولون وبوا وعسكر النورمان وعهد لالين فرجر وامري بقيادة رجالهما والبريتون الفرنسيين وكل فرق بارونات المايْن لمهاجمة الجانب الاخر فبقي لقيادتهِ بطال قومهِ واصدقاؤهُ وانسباؤهُ ليهاجم بهم القلب حيث يحتدم القتال شديداً

وكان الجيش مؤلفاً من الرجالة والفرسان اما سلاحهم فالسيف والرمح والنبال وسلاح الانكليز السيف والرمح والبلطات والنبوت والهراوة

ولما وقع المصاف تقدم مشاة النورمان اولاً ووراءهم الفرسان فرماة النبال وخاطب هارولد قومهُ محمساً ومحذّراً من التفرق والشتات لان الصف اذا لم يبقَ محكماً غلبهم العدو ولقد صدق الملك لانهم لو ظلوا على تجمعهم وراء السياج الذي اقاموهُ من الاشجار وعززوهُ بالمجان لما نال النورمان منهم وطراً

وامر هارولد رجال كنت ان يقفوا حيث ظنَّ النورمان يبدأُون بالقتال ليكون لهم ان يضربوا الضربة الاولى وامر رجال لندن بخفارة العلم فلما خف القوم لاتمام اوامرهِ ترجل ووقف للقتال بجانب رايتهِ ووقف معهُ اخواهُ وسائر امرائهِ. وتقدم النورمان بقدم راسخة وكان بينهم منشد رخيم الصوت يتغنى بالاناشيد الحماسية حتى اقترب العسكران فدنا من الدوك وليم وسألهُ ان يأذن لهُ بابتداء القتال فلما اجاز تقدم وقتل رجلاً من الانكليز فقتلهُ غيرهُ فاحتدم القتال بين الجيشين وراجت سوق المنايا

وكان وراء موقف النورمان حفرة ففي ذات مرةٍ ارتدوا امام الانكليز فسقطوا في الحفرة وقتل منهم كثيرون ورأى حفظة المتاع ذلك فحسبوا جيشهم قد انكسر وكادوا يولون الادبار لو لم يأتهم اودو اسقف بايو اخو الدوك وليم يشجعهم ويؤكد لهم قرب الظفر وما زالت الحرب سجالاً من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر وكان رماة النورمان يسددون سهامهم على الانكليز فلا تصيب منهم الاَّ الاتراس فامر الدوك ان يرشقوها صعداً فتنحدر على رؤُوسهم ووجوههم فكان ما حسب اذ نزلت عليهم كأَنها المطر الهتون واضرَّت بكثيرين في عيونهم واصاب نبل منها عين الملك هارولد فقلعها وآلمهُ شديداً فمد الملك يدهُ وانتشل النبل من عينهِ وحطمهُ حنقاً ورماهُ بعيداً ثم اتكأَ على مجنهِ متألماً

ورأى الدوك ثبات الانكليز فامر ان يتظاهر قومهُ بالتقهقر حتى يخرج الاعداء من محصنهم فيرتدون عليهم فلما كان ذلك برز الانكليز في اثر اعدائهم يضربون في اقفيتهم حتى بعدوا قليلاً عن محصنهم فكر النورمان عليهم وابلوا فيهم البلاء الحسن حتى ردوهم الى المحصن فلم يغنهم عن الانكسار فتيلاً فارتدوا الى موضع العلم واحاطوا بهِ ذوداً عنهُ وتبارى ابطال النورمان

في قصده فما نالوا ارباً ولكن الدوك وليم كان متجهاً نحوهُ بجميع عسكره فلقيهُ احد ابطال الانكليز وضربهُ بالبلطة على رأسه فكاد يخمد انفاسهُ بل ظنهُ وقع قتيلاً فلحق النورمان بالانكليزي وقتلوهُ واما الدوك فلم يصب بسوء ولئن ذاع بين قومهِ انهُ قتل فكشف الخوذة عن رأسهِ وقال هوذا انا سليم ولا بدَّ من الظفر ثم لوى عنانهُ صوب العلم فقتل هنالك كارث اخا الملك وكان رجال كنت واساكس يبلون في القتال بلاء بديعاً فارتدَّ النورمانديون امامهم ولكنهم عادوا فتألبوا واندفع الدوك بهم الى موضع العلم الانكليزي وهنالك رأوا هارولد في جملة من يذود عنهُ غير مكترث باقتلاع عينهِ فنازلوهُ وقتلوهُ واخذوا العلم بعد ان فتكوا بمن حولهُ ولكن ذلك لم يمنع سائر الانكليز من البقاء على القتال حتى ذاع خبر مقتل ملكهم واخذ الراية فخاب رجاؤهم وولوا الادبار

وسر وليم بما احرز من النصر فامر برفع رايته موضع الراية الانكليزية ونصب سرادقهُ بقربها بين القتلى كانهُ اصبح لا يعبأُ بانين الجرحى وحشرجة المحتضرين وامر بطعامهِ فأُعدَّ لهُ هنالك واكل مريئاً وشرب هنيئاً بعد ان شكر الله على نعمتهِ واثنى الثناء المستطاب على انصاره مؤبناً من مات منهم في سبيلهِ فاندفع القوم يمدحون بسالتهُ ويطرأُون اعمالهُ وفي صباح اليوم التالي دفنوا قتلاهم وجاء نساء الجوار وبعض الكهنة وحملوا قتلاهم فدفنوهم في الاديار والكنائس

ولقد زعم بعض الكتبة ان الجرح الذي اصاب هارولد كان سبباً في انكسار قومهِ لانهُ شغل بالمهِ عن تدبير الموقعة والاَّ فلا يعقل ان الذي ينتصر قبل ايام بخدعة الحرب يؤخذ بمثلها في ذلك اليوم وانما الذنب في ذلك على ابطالهِ الذين جاهدوا احسن جهادٍ فلما تظاهر العدو بالقهقرى حسبوا ثمار بسالتهم دانية القطوف فسارعوا الى جناها ولم يحسبوا للخدعة حساباً. ولقد اثنى كتبة النورمان وشعراؤهم على بسالة هارولد وتدبيره ويظن انهُ لو سلم غير واحدٍ من اخوي هارولد او من امرائهِ لجمعوا شتات الانكليز بعد اندحارهم ووقفوا بهم موقفاً آخر اطال الحرب واضرَّ كثيراً

اما الخسائر فكانت فادحة لان النورمان فقدوا في ذلك اليوم ربع جيشهم اي خمسة عشر الفاً ولا تعرف خسارة الانكليز

وكان هارولد قبل اختياره ملكاً قد بنى ديراً سماهُ ديرولثام فلما زحف للحرب اصطحب معهُ راهبين من رهبانهِ ففي صباح اليوم التالي جاء الراهبان يسألان الدوك وليم ان يأذن لهما بالبحث عن جثت الملك فاجاز لهما ذلك ولكنهما لم يعرفاهُ لان النورمان كانوا قد شوهوا كثيرين من القتلى فاستدعيا احدى النساء العارفات بهارولد فعرفتهُ وفي خلال ذلك طلبت امهُ

من الظافر ان يأذن لها بدفنهِ فاجابها وهو غاضب ان من كان حانثاً بيمينهِ ومارقاً من دينهِ لا يصح ان يُدفن الاَّ على رمال البحر وانهُ كان في حياتهِ مرابطاً للثغور فليبقَ على خفارتها وهو ميت غير ان الحاح ام هارولد غلب على غيظ الدوك وتمنعهِ فاذن لها بدفنهِ فحُمل الى دير ولثام ودفن ثمة عزيزاً مكرماً

وامر وليم ببناء دير على اكمة سنلاك تذكاراً لظفرهِ فبني الدير وسمي دير القتال وآثارهُ باقية الى اليوم

وبعد ان استراح الدوك اياماً زحف فاكتسح البلاد وخضد شوكة المعارضين وما هم بالشيء المهم لانهُ لم يكن قد بقي حيٌّ من اخوة الملك هارولد وكانت ارملة الملك ادورد سائدة في ونشستر فلما دنا الظافر منها سلَّمت اليهِ الاَّ ان صبيا من البيت الملكي القديم اسمهُ ادكار اثلن اختارهُ الانكليز ملكاً عليهم وعضدهُ بعض الامراء وارادوا الامتناع بهِ في لندن ولكن لما دنا وليم منها وتوعدهم خافوا وفروا الى اوطانهم فسلمت لندن اليهِ اذ ارسلت اليهِ وفداً من عظمائها يتقدمهُ الملك الحدث فقبل الظافر التسليم وفي عيد الميلاد توّج ملكاً على انكلترا في وستمنستر من يد رئيس الاساقفة الدرد. ومما يحكى ان احد الاساقفة الحاضرين سأل سراة النورمانديين الحاضرين باللغة الافرنسية عن ارتضائهم بتتويج الدوك وليم ملكاً فاجابوهُ بالايجاب ثم سأل غيرهُ بالانكليزية لعظماء الساكسون عن ارتضائهم بهِ فاجابوا موجبين ايضاً وهللوا لهُ تهليلاً عظيماً وكان في ظاهر الكنيسة شرذمة من ابطال النورمان فلما سمعوا التهليل لم يفقهوا لهُ معنى بل حسبوا تلك ضوضاء بعض المؤتمرين على سيدهم فحنقوا واندفعوا على الدور المجاورة يحرقونها فوقع الهرج والاضطراب وخرج كثيرون من الامراء والعظماء من الكنيسة لتسكين الثائرة فلم يبقَ في حفلة التتويج الاَّ الملك والاساقفة الخائفون

ومع تتويج وليم الفاتح ملكاً لم تكن كل انكلترا خاضعةً لامرهِ لان نورثمبرلند ابت الاذعان مع ان حكمهُ كان حسناً اذ اعاد الامن الى البلاد واجرى العدالة ولم يجنف الاَّ على بعض المشاغبين واراد ان يتعلم الانكليزية ليفهم تظلم رعيتهِ فما نال منها ارباً. وفي سنة ١٠٦٧ ذهب الى نورماندي لينظر في شؤُونها وعهد بالنيابة عنهُ لاخيهِ الاسقف اودو فجار كثيراً حتى استفز اهل كنت لشق عصا الطاعة فحاربهم الملك واخضعهم. وفي السنة التالية اغرى ملك الدانمرك بعض الاقطار على الثورة فحاربها الملك وكبت الثائرين واسرف في الانتقام فدانت البلاد لهُ حيناً ثم وقع شيءٌ من الهرج لان ادكار اثلن كان قد التجأ الى مالكولم ملك اسكتلاندا وازوجهُ من اختهِ الحسناء واستعان ادكار بهِ على استرجاع ملكهِ ولكن الملك وليم كان للاعداء

بالمرصاد فضربهم ونكّل بهم وزحف يقصد اسكتلاندا فجاءهُ ملكها يحلف لهُ ايمان المودة والولاء

هذا هو الفتح النورماندي بجميع ظروفهِ واحوالهِ الاَّ ان لهُ اثرًا مجيدًا في تاريخ انكلترا نلخصهُ عما كتب بعض المؤرخين قال. انهُ اذا اراد ان يتصور انكلترا وقد فتحها النورمان تعين عليهِ ان يتصور ذلك الفتح غير مقصورٍ على الانقلاب السياسي في الحكومة ولا على ظفر احد المتناظرين بخصمهِ وانما عليهِ ان يرى دخول شعبٍ على اخر وقيام مجتمعٍ فوق مجتمع قياماً مغصوباً اودى بالمجتمع الاول بحيث لم يبقَ منهُ الاَّ بقية هي الصبغة الوطنية وانهُ لا يستطيع ان يتمثل وليم ملكاً مستبدًا ولا رعيتهُ كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم انهم انكليز لانهم يسكنون انكلترا بل عليهِ ان يتصورهم امتين الواحدة كان وليم منها وزعيماً فيها كلتيهما خاضعتين لوليم ورعيةً لهُ الاَّ ان كلمة رعية تختلف في مؤداها عنها فهي في احداها تفيد معنى التابعية وفي الاخرى معنى الخضوع بل عليهِ ان يعتبر ان ثمة قطرين في دائرةٍ واحدة احدهما للنورمان وفيهِ الغنى والحرية والآخر للساكسون وفيهِ الفقر والرق ينغصهُ الاستئجار والحراثة وترى القطر الاول مملوءًا بالبيوت المشيَّدة الاركان والقلاع المحصنة . واما الثاني ففيهِ اكواخ من القش مبعثرة واعشاش خربة. تلك الدور الرحيبة يسكنها اهل السعادة والنعيم ورجال البلاط والحرب واهل الفروسية والنبالة وهذه الاكواخ الحقيرة يعمل بها اهل الكد من كل عاملٍ في الزراعة والصناعة فمن الجهة الواحدة ترفٌ واساءةٌ ومن الاخرى شقاء وحسد وليس الحسد هنا ما يشعر بهِ الفقراء لاهل السعة حين لا ينالونها ولكنهُ حسد المسلوب من نعمة السالب . انتهى بتصرفٍ

الاَّ ان هذا الشقاء الذي وصفهُ المؤرخ كان سبباً لعظمة الانكليز ذلك لانهم اتحدوا في ضيقهم يدًا واحدة واطرحوا اسباب الشقاق وشعروا بوحدة الوطنية حتى اذا جاءتهم نعمة الوئام وحسن الحال نهضوا كلهم امةً واحدة ليس بينهم انكلوساكسوني ولا نورماندي ولكنهم كلهم انكليز

ولقد صدق القائل ان الانكليز مدينون بحريتهم للفتح النورماندي ولا عبرة بالقول ان النظام الساكسوني كان حرًا فانما كان كالماء الراكد فلما جاءه الفتح بعث في الناس فضائل كانت خافيةً من قبل

[المقتطف] كان في هذه المقالة حواشٍ كثيرة تدلُّ على كتب التاريخ التي اعتمد الكاتب عليها فحذفناها لضيق المقام ولان هذه الكتب غير مترجمة الى العربية ليسهل الرجوع اليها

التنازع والتعاون

لحضرة الكاتب الفاضل فارس افندي الخوري

ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ ولو رام اسباب السماء بسلَّمِ
ومن لا يزلْ يستحمل الناس نفسهُ ولم يُغنها يوماً من الدهر يندمِ
ومن يغتربْ يحسبْ عدوّاً صديقهُ ومن لا يكرّمْ نفسهُ لا يكرَّمِ
ومن لا يذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ يُهدَّمْ ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ
ومن لا يصانع في امورٍ كثيرةٍ يضرَّس بانيابٍ ويوطأ بمنسمِ

ابياتٌ قالها زهيرٌ وهو بعد في شظف الجاهلية دائب مع معاصريهِ في ردّ الهجمات وشنِّ الغارات . ايام لم يكن حدٌّ لقوة القوي يقوم ردًّا بينهُ وبين المستضعفين ولا وازع يزَع المتطلع الى ما في يد الغير الاَّ الضعف وقصر الباع ؛ ايام كان الناس لا يفقهون معنى الخير والشر الاَّ بما يترتب عليهما من الغنم والغرم ولا يفرقون بين المحللات والمحرمات الاَّ اذا اعتبروها بما تنتج لهم من الربح والخسار وتسوق اليهم من المنافع والاضرار . ايام كان القويُّ يقتعد غارب الضعيف ويصرّفهُ في كل وجه ولا ينفكُّ يسومهُ خسفاً ويزيد على ضعفهِ ضعفاً الى ان يجتاح اصلهُ ويقتلع جرثومتهُ فيستأثر بما لديهِ من الرزق غنيمة باردة

وليس زهير باول من اقتدح هذا المعنى او اختطَّ للناس هذا السبيل فلولا ان ابياتهُ وافقت مقتضى الحال وجاءت مترجمة لما في نفوس اهل عصرهِ لما تلقفتها الآذان وذخرتها في خزائن العقول فعدَّت من البلاغة بمكان وحفظت الى هذا اليوم بالحرص والاعجاب . وليس هو ايضاً آخر من انزل هذه المعاني منزلة الحقائق وعدَّها قبساً يستضيء بهِ كلُّ من عاش يقارع الايام ويدالك آفات العمران. فما زالت الدنيا كما كانت مكاسب والناس يخلدون اليها متغاوون بحبها يكره بعضهم بعضاً ويختطف العزيز حظ الذليل الى ان يأذن الله بفلّ المطامع واشتراك المصالح وذلك بقلب حالة العمران وتبديل بنية الانسان

يزعمُ البعض ان الحالة اليوم هي خلاف ما كانت امس وان حق القرن التاسع عشر غير حق القرن السادس وما قبلهُ وقاموا يطالبون الفرد بان يحبَّ الناس مثل حبهِ لنفسهِ ويؤثر خير الاغيار على خيرهِ قاطعين ان هذه الغيريَّة هي الانسانية الحقة وان الفرد لا يجمع مقوّمات الانسان الاَّ اذا اهمل امر نفسهِ وجعل حياتهُ وقفاً على نفع ابناء جنسهِ وذلك ما يسمونهُ انكار النفس وينادون بهِ على المنابر . فهم قاموا يتقاضون الفرد امرًا يأباه طبعهُ وتنبو عنهُ اميالهُ

والعمران البشري لا تثبت لهُ قدم اذا سلك بهِ القائمون عليهِ ذلك السبيل . نعم ان التنازع اليوم يظهر في قيافةٍ غير التي ظهر بها لانسان الكهوف انما المحار الذي تردّ اليهِ طرق الارتزاق هو هو امس واليوم والى الابد اي ان كل فردٍ يحاول ليعطي قليلاً ويأخذ كثيرًا اما في الهمجية والبداوة فقد كانت وسيلة استلاب ما في يد الاغيار غير الوسائل في الحضارة فقد اتفقت الغايات وان اختلفت الوسائط

لا جناح على المرء اذا استخدم القوة التي لديهِ لتقوية حزبهِ ونفع نفسهِ فالقوة مدار التعيش بل هي مدار الوجود لانها فاعلة على جميع اجزاء المادَّة من حيّ وجماد وبفعلها هذا تؤثر فيها تحويلاً لجهة الحركة او سرعة فيها او تبديلاً للصفات الموحدة لمركباتها ولولا فعل القوة على المادَّة لما تمَّ شيء من النشوء الذي اوصل الاكوان الى ما هي عليهِ اليوم . وكما ان اختلاف القوة يبدّل خواصّ المادَّة وهي في الاصل واحد كذلك قل عنها بانها تقسم المراتب وتوزع المنازل بين الافراد الذين يتألف منهم المجتمع البشري . وليس من شأننا في هذه الرسالة ان نفيض في تقصي الاسباب التي جعلت بين الناس اختلافاً في مقدار القوة لكلٍّ منهم فذلك بحث يرجع بنا الى اسباب جمة اهمها طبيعة الاقليم ونوع المعيشة والارث النسلي وغيرها . ولا نعني بها القوة العضلية فقط بل جميع ما يملكهُ الفرد من الوسائل لتعزيز منزلتهِ واعلاء كلمتهِ بين مساكنيهِ فهي اذن قد تكون نشاطاً في الحركة او مالاً في الجيب او سعةً في العقل او غير هذه من المزايا التي يستظهر بها الفرد في ميدان التنازع وتكون لهُ عضدًا لنيل رغائبهِ وردّ خدَع المعتدين عليهِ الى نحورهم . ومن كان لهُ مزيَّة مما اسلفنا على اصحابهِ يحتم عليهِ ان يستخدمها في نفع نفسهِ ويبذلها في السبل التي تجرّ لهُ المغانم او تدفع عنهُ المغارم . ومن نقل قدرًا من قوتهِ لنفع غيرهِ بدون ان يرجو عوضاً يزيد مبلغهُ عما بذل عدَّ في عرف الاقتصاد مسرفاً بما لديهِ وهو اذا استمرَّ يعاود هذا العمل حقيق بان يصبح معدماً ضعيفاً ويحلّ بهِ الاملاق عوض البسطة والضيق بعد السعة والعجز بعد الاقتدار ومن ثمَّ يعود عيالاً على اصحابهِ الذين كانوا عيالاً عليهِ ويصير مع امثالهِ حملاً باهظاً لكاهل الانسانية

ثم لو فرضنا ان الفرد مطالب باستهلاك جزء من قوتهِ لتأييد مصلحة الغير تكون ولايتهُ على الناس عامة وولايتهُ على نفسهِ خاصة والولاية الخاصة اقوى من الولاية العامة ومقدمة عليها ولذلك قالوا ابداً بنفسك ثمَّ باخيك

من ينعم نظرهُ في طبقات الاحياء من ادناها الى اعلاها يجد ان الطبيعة لم تكل حيًّا بحيٍّ آخر ولا كلفت فردًا ان يعول فردًا آخر الاَّ ما كان من قبيل النسل وهو بعدُ في طور

الاعتماد على والديهِ بل ان ما يُلقى يخالف ذلك تماماً في العجماوات يجد النزاع والمطاردة والافتراس والمهاوشة وفي الانسان يجد المغالبة والاسترقاق واختلاس الاموال وافتراش الاعناق وكل فردٍ يسعى في استدراج الخير لنفسهِ دائباً لا يفتر. وانهُ اذا لم يذد عن حوزتهِ وينضح عن نفسهِ ويجهد في اشخاص راسهِ فوق هام من حولهُ جدير بان يفتات على حقهِ فيضرسهُ الدهر بالناب وتعرّقهُ الايام بالظفر

في ما تقدم من الكلام مخافةُ التضليل والايهام فان القارىء اذا لم يكن بعيد المرمى جديرٌ بان يحمل كلامي على غير القصد ويطردهُ الى جهاتٍ غير محمودة المغبّات لانهُ اذا اخذهُ على عواهنهِ مجرداً عن اعضاد الاستقراء يفهم منهُ انهُ لا يجمل باحد ان ينفع الناس وان حبّ الذات فضيلة جليلة لا يصير الانسان انساناً الاَّ بالقيام عليها فمن ثمَّ صار واجباً عليَّ ان آتي بجملة تفسيرية لاجل اصلاح ذات البين قبل ان اتخطى هذا الموقف الى اتمام الكلام في وجوب ايثار النفس واليك ما اريد :

من الاقوال المأثورة قولهم " احيَ للناس ليحيا الناس لك " وذلك مبنيٌّ على ان الفرد لا يطيق الانفراد ولا يستطيع ان يعيش وحدهُ ومهما كان لهُ من القوى المادية والعقلية لا يغني ذلك عنهُ شيئاً ان لم يلتمس المساعدة من الناس . فالمرء مضطرٌّ الى التعاون لان بهِ ثبات المجتمع الانسانيّ وبما ان الفرد مشمول باضلاع الهيئة الاجتماعية ومكتنف باحوال تفعل على راحتهِ فتتكيّف بمقتضى تلك الاحوال صار واجباً عليهِ لاجل قوام راحتهِ واستجماع الخير لنفسهِ ان يهتمّ باصلاح المحيط الذي يلتف بهِ كما انهُ يجب عليهِ ان يُصلح البيت الذي يعيش فيهِ ليدرأ عنهُ الحرّ والقرّ ويسكن فيهِ مطمئناً لان الهيئة الاجتماعية بمنزلة بيتٍ للفرد تتقاضاهُ تقويم معوجها واصلاح الفاسد منها حرصاً على راحتهِ وتزلفاً الى خير نفسهِ

اذا رأيت رجلاً قد قطع الطريق على آخر وهو يحاول اخذ ما معهُ من المال فانت مطالَب من قبل نفسك بان تقبل على المعتدي القوي بوسائلك وتدافع عن المظلوم الضعيف بان تقتصَّ من الظالم وتردّ كيدهُ الى نحرهِ وان لم يكن لك يدٌ بهذا العمل فعليك ان تجمع عليهِ اصحابك وتقوّم عوج المعتدي بالضرب على يدهِ وردّهِ الى سبل الاستقامة . هذا اذا كنت في قبيلٍ لم تنتظم شؤُونهم ولم ينصب فيهم آمرٌ مطاع وناهٍ وزاع تفضي الامور اليهِ . اما اذا كنت في بلدٍ اقيم فيهِ قسطاس العدل على داركٍ اجتمع عليهِ راي الامة فعليك ان تسرع لاشعار اولياء الامر ليقوموا بما كان واجباً عليك . وان قلت لا يعنيني واحجمت عن مساعدة الضعيف الساقط وفعل غيرك مثل فعلك لا يعتم البطالون والكسالى ان يجعلوا اختطاف اموال

الناس والاعتداء عليهم حرفة يحترفونها ولا يمرُّ كثير او قليل حتى تراهم يتسلقون جدران منزلك او يعالجون بابك او يقطعون عليك الطريق فتكون قد مهّدت امامهم سبيلاً ليسلبوا راحتك وينغصوا عليك اعمالك . وهكذا تكون العاقبة اذا عدَّى كل فرد عن اغاثة من يستغيث به من ابناء جنسه وقام ينظر في شؤون نفسه دون ان يبذل كثيرًا او قليلاً في سبيل اسعاف الناس . وانت ترى ان كل عرف يوليه المرء غيره يدور طويلاً او قصيرًا ويعود اليه بحسنة تربو عليه . وان لم يكن الطرفان متكافئين في استطاعة كلٍّ منهما اعانة الآخر في عبء ينهض به الواحد وينوء به الآخر لا تقوم للتعاون قائمة ولا تثبت للغيرية قدم ولهذا قالوا " لا ترجُ خير من لا يرجو خيرك ولا تركن الى من يخاف شرّك "

نعود الآن الى بيان مصير من يهمل امر نفسه حبًا بمنفعة غيره . فنقول : من اخطر واجبات الانسان ان يهتم بشأن جسده ليقدم له الغذاء ويحافظ على راحته بعد كل تعب ليمكنه من استجمام القوى واسترجاع بدل الذي فقده في العمل وان يغتنم كلّ فرصة تسنح لينال منها سرورًا ويكون له فيها حظ وان يحافظ على صحته وآدابه وشرفه وماله لان هذه جميعها اعوان له عند الحاجة لا يقوم مقامها الذين تُبذَل في مساعدتهم . والخلاصة عليه ان يؤثر نفسهُ كما كان له الخيار في الايثار وان هو لم يفعل بل بالغ في الازدراء بها ووقفها على نفع الناس يكون من عمله هذا ضرران جسيمان : اولهما ضعف في الفرد وسقوط في النسل . ونعني به انهُ لا بدَّ لمن ينهج هذا السبيل من ان تمنى بالانحطاط في قواه ونقص في اعضائه لانهُ باهماله امر نفسه تمتنع بعض اعضاء جسمه عن العمل والقيام بوظائفها وتموت بعض امياله التي لو كفيت كانت تعود عليه بلذة وابتهاج ولنضرب مثلاً يستأنس به في استيعاب ما نريد: كلُّ امرىء يتوق وتهفو نفسهُ لان يسمع الحانًا مطربة تعزف على الآلات او تنشد بافواه المغنين والمغنيات فاذا احتجب شابٌ عن التمتع بهذه اللذة وابتعد عن مناشئها مشتغلاً بالامتيار لوالديه او لاخوته او في خدمة الانسانية فهذا الميل الذي كان يسطع في نفسه يتناقص تدرُّجًا حتى يضعف في دماغه المركز المختص بهذه الامنية ويصبح يتجافى عن كل مواقع الطرب ويخلد الى الوحدة والافتكار . فيكون بذلك قد فقد من قواه خلقًا خطيرًا له يدٌ في جعل حياته نعيمًا ومنحه عمرًا طويلاً في لذة وصفاء

وهذه الخسارة لا تقتصر على الفرد بل ان هذا النقص ينتقل الى نسله جريًا على ناموس الوراثة الطبيعية في مذهب سبنسر ومن سبقهُ من ان الاخلاق المكتسبة تنتقل الى النسل كما تنتقل الاخلاق الفطرية فهو اذا ولد له اولاد يأتون غالبًا وفيهم هذا النقص الذي كان في

والدم وهم ايضاً يبثونهُ مكبراً في بنيهم اذا جروا على آثار ابيهم وهكذا الى ان يصبح المركز المختص بالميل الآنف الذكر اثرياً لا عمل لهُ . وهكذا يكون سير تلك الاسرة المحسنة تشوءا تقهقرياً مخالفاً للجهة التي يجهد الانسان ليبلغ فيها الكمال . وهم اعني اعضاء تلك العائلة يخالفون من حولهم بفقد جميع القوى التي اهملوا استعمالها اشتغالاً بما لا يجدي اجسامهم نفعاً . وانت تعرف جيداً ان وجود هذا النقص فيهم يقضي عليهم بتحمل مشقات عديدة وتجشم مصاعب بالغة في المنافسة العمرانية حتى يفضي بهم اخيراً الى التناقص ثم الى الفناء امام من يزيدونهم قوة ويفضلونهم تركيباً لمناسبة احوال المجتمع وبهذا تكون الغيرية عاملة على اهلاك القوامين عليها والمبالغة فيها تؤدي الى نقصها بنقص اصحابها . وهذه حقيقة طبيعية سلم بصحتها اكثر المحققين

ولو جئت اضرب الامثال في تعداد القوى التي يفقدها من يفضي نفسهُ على مذبح خدمة الغير لطال بي الموقف فيما انا غنيٌّ عنهُ بما قدمت فالجزء يدلُّ على الكل اذا كانت الغاية واحدة

ويجدر بي هنا ان اشير الى ان اكثر المشتغلين بخدمة غيرهم المتجافين عما فيهِ الخير لاجسادهم يقطعون اعمارهم متبتلين ومتبتلات وان نهدوا الى العيشة العائلية لا يكون ذلك الاَّ بعد مرور السن المناسبة للزواج واذا ولد لهم اولاد يجيئون مشوَّهين بما اشرنا اليهِ من النقص والضعف فتكون اخرام اتعس من اولاهم

الضرر الثاني الذي يعتور الهيئة الاجتماعية من اهمال الفرد امر نفسهِ هو صيرورتهُ حملاً على اصحابهِ وذلك لان من يتواكل عن خدمة جسدهِ بان يُبلغهُ كل ما يستطيع ليس من الحاجيات فقط بل من الكماليات ايضاً يضعف فيهِ كثيرٌ من القوى والاميال التي لم تنشأ في اسلافهِ وتنتهِ اليهِ الا لانها معوان على تحصيل الخير ولها ضلع في انبساط الحياة وانشراح الصدر وطول العمر وتؤهل من هي في حيزهم الى الثبات في مجال التنازع والموافقة لحالات المجتمع . وهذه الخسارة قد مثلنا عليها عند كلامنا على الضرر الاول وبها يصبح الفرد هيكل الكآبة ومستقرَّ السكينة

ان الكريات الحيوية اذا وُضعت في حالة ترتاح اليها وقدمت لها مطالبها في اوقاتها تطول حياتها ويبقى صاحبها سعيداً متهللاً واذا مُنعت عنها حاجاتها وكُلفت القيام على ما تكره او تقوضيت ببذل قدرٍ من نشاطها لا يعود اليها بدلهُ تبرَّمت بذلك وتملَّلت وان فعلتهُ لا تفعلهُ الا متكارهةً متحاملةً ولا يكون صاحبها الا كاسفاً كئيباً وهو اذا كان كذلك أخلق بهِ ان يصبح وجودهُ بين اصحابهِ مكروهاً وان لا تلقاهُ في مجلسٍ الاَّ ممقوتاً وكلٌّ يطوي عنهُ

كشفها ويختار مفارقتهُ بالتي هي احسن واليك بعض الامثلة على ذلك

عندنا رجل ذو امرأةٍ واولاد يبكر الى عملهِ تبكير الغراب و يصرف يومهُ بشغل شاق يكاد ينوء بهِ وجبينهُ في ايام القرّ يتفصَّد عرقًا فقلبهُ خفوق وراسهُ مصدوع وعيناهُ غائرتان وركبتاه مرتجفتان وقوتهُ مستنزفة وجسمهُ منهك وبطنهُ خميص وافكارهُ مظلمة وليلهُ طويل ونهارهُ اطول فاذا اجتمع بافراد عائلتهِ لا تلوح على وجههِ الاَّ سمات الكآبة ولا تقرأ في محياهُ الاَّ اسطر الحزن واذا جاء اولادهُ يتعلقون باهدابهِ لا يسمعون منهُ الاَّ الجمل المبتورة ولا يستشرفون بهِ الاَّ الوجه العبوس الآسف فتكون حياة العائلة كلها محفوفة بالتعاسة ملتفاً بها الشقاء لان راسها مأخوذ بالملنخوليا وغريق بارتباك الافكار . ولا اراني مضطرًّا الى ان ابين الاثر الذي ترسمهُ هذه الحال في تلك العائلة وكيف يكون امر الاولاد بعد ان يقضي ابوهم عمرهُ القصير . ان هذا الرجل حرم نفسهُ لذاذات الحياة والزمها النصب والعناء ليسوق السعادة لاولادهِ ويكسوهم الرياش القشيبة و يطعمهم المآكل الطيبة وقد ذهب عنهُ ان لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام

هناك شابٌ مات ابوهُ وترك لهُ عائلة كبيرة ليقدم لها رزقها فجعل امر راحة العائلة نصب عينيهِ وجلَّ مراميهِ فيشتغل طول النهار منحنياً على مكتبتهِ يذيب حبات دماغهِ وينهك اعضاء جسدهِ ويمنع نفسهُ لذة الحياة وعينيهِ طيب الهجوع جاعلاً طعامهُ بلغةً ونومهُ غرارًا حرصاً على ترقية بني ابيهِ وضناً بهم ان تنزل درجة معيشتهم عمَّا كانت ايام كان والدهُ يجترح لهم. واحرِ بمن كان كذلك ان يبقى ملبَّك الافكار كثير الاحزان شجيَّ الوجه كاسف البال فهو اذا اجتمع باصحابهِ لا يكون منهُ الاَّ استماع حديثهم ومحاولة اظهار بهجتهِ المصنَّعة بمشاهدتهم وكلُّ ذلك عودٌ على القاعدة التي اسلفنا ذكرها ان الجهاز العصبي اذا كُلّف نشاطاً لا يعود اليهِ تمكّن منهُ الكآبة ويستحوذ عليهِ الضجر ويكون ذلك باعثاً الى تقصير حبل الحياة وجعل الباقي منها غصصاً واشجاناً

اما من احسن القيام على امر نفسهِ وجهد ليجعل ايامهُ مسراتٍ وافراحاً فيكون منهُ منافع جمَّة للعمران منها تمرين قواهُ التي نمت في اسلافهِ وانتهت اليهِ بسبب مناسبتها لاحوال المجتمع . وهذه القوى تزداد بالتمرين وتقوى بالاستخدام المعتدل فيقرب الجهاز العصبي من الكمال و يستقيم امر تكيفهِ لمقتضيات المحيط و يزداد صاحبهُ ثباتاً في تنازع البقاء ويبث القوة الى نسلهِ فيكون منهُ عمال اقوياء يدفعون الهيئة الاجتماعية التي حولهم عدة خطواتٍ الى الامام . هذه المنفعة تصدر عنهُ بالدرجة الثانية ومنفعتهُ بالدرجة الاولى اوجه منها : ان هذا الفرد القائم على

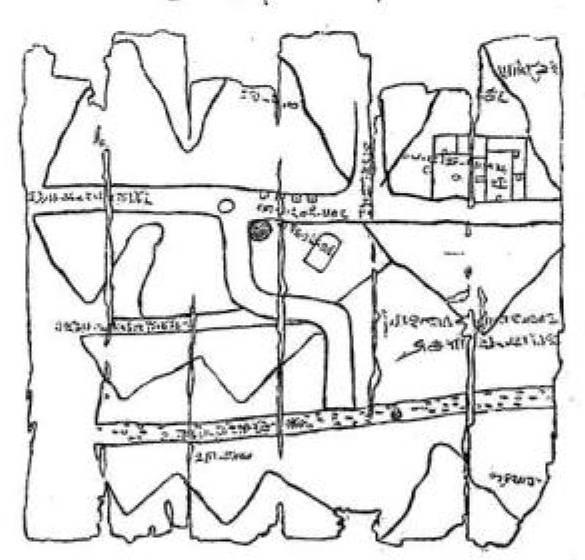
الاهتمام بامر نفسهِ لا يهل ان يصير قادرًا على نفع من حولهُ ماديًا وادبيًا . ينفعهم باتساع ثروتهِ وانبساط يدهِ بالسعة وتلك اذا اتسعت لا بد ان تطفَّ على من حولهُ ممن لهم معهُ ارتباط في احوال المعيشة واذا امتلأَ حوضهُ يصير حقيقًا بان يرشح نعمًا على جميع المرابطين لابوابهِ . ينفعهم بآرائهِ السديدة ومثالهِ الصالح وبها ينير امامهم سبل الحياة ويدلهم على ابواب الرزق ودروب العيش الرغد . ينفعهم بتنشيط اليائس منهم واضرام لهيب الغيرة في نفوسهم لتسمو بهم الى ما فيهِ حسن حالهم وصلاح مآلهم

ينفعهم بوجههِ البشوش ومحياهُ الطلق وثغرهِ البسَّام لان من كان في عيشهِ انبساط وفي رزقهِ سعة وفي جهازهِ ارتياح ونشأة سرور يكون مجلسهُ مجلس صفاء ومقامهُ مقام نشاط وهناء يسلي اصحابهُ بالنكات الظريفة ويبهج اولادهُ بالاحاديث اللطيفة فهو انَّى سار سار معهُ السرور وايان حلَّ حلَّ امامهُ الحبور وكلٌّ يعرف ما للوجه الباش من قوة الجذب للقلوب واي تأثير لمن كان لحديثهِ طلاوة على نفوس مجالسيهِ كيف انهُ بحضورهِ معهم يحول اكدارهم افراحًا وضيق صدورهم انشراحًا فتنفتح للقائهِ القلوب وتتهلل لالفاظهِ النفوس . ومن كانت افكارهُ كثيفة يحاول عند اجتماعهِ بالناس ان يظهر الهشاشة والبشاشة ولكن شتان بين الكَحَل والكَحْل

بين الاوربيين قوم يعرفون بالاشتراكيين (Socialists) يذهبون الى انهُ لا يحق للمرء ان يذخر قوة اذا كان غيرهُ محتاجًا اليها ولا يجوز لهُ ان يتمتع بلذة من لذات الحياة زيادة عمَّا تقتضيهِ منزلتهُ بين الناس وهم يرغبون في ان يجعلوا البشر عائلة واحدة وثروة الارض مشتركة بينهم وكلهم متساوون في الحقوق والانصبة ويريدون ان يأخذوا الفضلات من ايدي المتمولين ويقسموها بين المحتاجين حتى يصبح الكل في درجة واحدة من السعادة والاثراء . وقد اشار المقتطف الى فساد مذهبهم واقام الدليل الحسي والعلمي على تعذُّر ما يطلبون . وقد انشأ علماء الاقتصاد في اوربا المقالات الضافية وألفوا الكتب المسهبة في مرادَّات بهذه الشؤُون وذلك معروف عند كل من لهُ المامٌ باخبار القوم . وقد ظهر مما تقدم ان الفرد الذي سبق غيرهُ في مجال المنازعة العمرانية لم يحرز ذلك السبق الَّا بمزية كانت لهُ على اصحابهِ بقوة في عقلهِ او جسمهِ او في دهائهِ او في عصبيتهِ او في غير هذه وكل هذه المزايا خاصة بهِ ويحق لهُ الانتفاع بها دون غيرهِ . ولولا الجريُ على هذه القاعدة لما وصل النوع الانساني الى هذه الدرجة من القوة فالضعيف يهلك امام القوي والعاجز يعطي مكانًا للقادر ولا يبقى من النوع الَّا الانسب لاحوال المحيط والاقوم لسعادة المجتمع فبها يستمر النوع صاعدًا في معارج القوة مقتربًا من مستقرّ الكمال والضعفاء فيهِ يتناقص عددهم ويتقلص ظلهم الى ان يصير حملهم الثقيل ريشة لا يعبأ بها

اما تقليل عدد الضعفاء فلا يكون بقتلهم او بحرقهم او بتركهم يموتون جوعاً او برداً بل بالاحسان اليهم وانهاضهم من الوهدة التي سقطوا فيها ليكونوا منهم اعضاد للهيئة الاجتماعية واعوان على ترقية الانسانية وحيث ان الكلام في هذا المعنى طويل عريض ارجو ان اعود الى اتمامهِ في العدد القادم وكل آتٍ قريب

اقدم المناجم والخرائط



ذكرنا في الجزء الاخير من المجلد الرابع والعشرين من المقتطف ان شركة انكليزية اهتمت بالبحث عن المناجم التي كان المصريون الاقدمون يستخرجون الذهب منها ومضى وفد الى الاماكن التي كانت فيها بين لقصر والقصير فاكتشف سبعة عشر منها ووجد الذهب في بعضها كثيراً يبلغ ستة عشر درهماً في الطن

وقد اطلعنا الآن على اقدم خريطة من الخرائط المصرية التي بقيت الى الآن وهي اقدم خريطة وصلت الى ابناء هذا العصر مما صنعهُ الاقدمون وقد رسمت لتدل على مناجم الذهب في تلك البلاد فرأينا ان نتحف القراء برسمها ووصفها فنقول

تسلّط على مصر منذ ثلاثة آلاف وثلثمئة سنة ملك اسمهُ ستي الاول وهو الذي بنى الرواق الاكبر في قصر الكرنك وكان فاتحاً عظيماً وقائداً كبيراً عبأ الجيوش ودوّخ الاقطار ولم يكتفِ بالبناء والفتح بل وجَّه همتهُ الى استخراج الذهب من معادنهِ . وقد وصلت الينا خريطة من البردي طولها نحو ٣٨ سنتمترًا في مثلها عرضاً مشرَّمة الحواشي مشققة الصدر لكثرة الاستعمال ولما توالى عليها من القرون . وهذه الصورة منقولة اصلاً عن صورتها التي رسمها لبسيوس الشهير وهي الآن في دار التحف البريطانية وفيها رسم واديين متوازيين ارتفعت الآكام على جانبي كلٍّ منهما ووصل بينهما شعب مغنٍ . وأحد الواديين قاحل ملأتهُ الحجارة والانجم الشائكة كما يظهر من صورتهِ وهو الاسفل في الرسم والآخر كتب عليهِ انهُ يؤدي الى البحر وفيهِ اسم اربعة بيوت من بيوت المعدّنين عند سفح اكمة وهناك كلمة " معدن الذهب " . وعند اتصال هذا الوادي بالشعب الممتد الى الوادي الآخر ارض زراعية فيها بئر او صهريج بجانبهِ كتابة يقال فيها " بئر الملك ستي الاول " وصفيحة مثل الصفائح التي تنصب فوق المدافن ويحتمل انهُ كتب فيها تاريخ حفرهِ لتلك البئر والمعدن . والى اليمين من هذه الارض والبئر اكمة قليلة الارتفاع عليها كتابة مصرية يقال فيها " هنا الجبال التي يصوَّل فيها الذهب ولونها احمر مثل لون هذه الكتابة " . والآكام بين الواديين ملونة في الخريطة باللون الاحمر . وعلى الجانب المقابل من هذا الوادي اكمة اخرى ارفع من الاولى في سفحها رسم هيكل كبير للاله امون وعلى الاكمة كتابة مصرية يقال فيها " الجبل الطاهر "

والخريطة على بساطة رسمها تدلُّ دلالةً واضحة ناطقة على ما وُضعت لهُ وهي دليل قاطع على اهتمام المصريين القدماء باستخراج المعادن وعلى انهم اهتدوا الى رسم الخرائط واتخاذها دليلاً للاهتداء بها وهذا امر لا يفعلهُ ابناء هذا القطر حتى الآن من تلقاء انفسهم . ولا غرابة في ذلك لان عمران المصريين في تلك الايام كان ارقى من عمرانهم في هذا العصر اذا استثنينا ما استفدناهُ حديثاً من اوربا . وكان ارقى كثيرًا من عمران العرب الذين فتحوا هذا القطر وتغلبوا عليهِ . ولا ندري كم كان ربح الدول المصرية القديمة من استخراج الذهب حينئذٍ ولكن لا شبهة في انها كانت تجود بنفوس الاسرى ولا تقدِر لعملهم قيمة بل كانت تكتفي باطعامهم ما يقوتهم لكي يبقوا قادرين على العمل

اما الآن فلا مطمع باستخراج الذهب الا اذا كان منهُ ربح يزيد على نفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربا لراس المال يبلغ عشرة او اكثر في المئة والاَّ فمعدن الرمل الذي يقوم بنفقات استخراجهِ ويبقى منهُ ربح عشرة في المئة اربح من معدن الذهب

معاهدة جنيفا وجرحى الحروب

لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

من اجلّ قوانين الحرب الحديثة معاهدة جنيفا التي وُضعت سنة ١٨٦٤ لحماية رجال المستشفيات وجرحى الحروب . وقد وقّعت عليها اكثر دول اوروبا مثل حكومة سويسرا وبلجكا والدنمارك واسبانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا والبورتغال وبروسيا وبعض ممالك المانيا . ثم وافق على ما دوّن فيها اكثر الممالك والولايات المتمدنة تخفيفاً لويلات الحروب واوجاعها وجلّ ما ورد فيها مختص بجعل رجال المستشفيات في حيادٍ تام عن رحى الحرب عند المتحاربين وهذا مفاده

(١) ان المستشفيات العسكرية والمستشفيات النقالة تعتبر على الحياد ولذا يجب على الفريقين المتحاربين حمايتها واكرامها ما دام فيها مريض او جريح وتخرج عن الحياد متى احتلتها قوة عسكرية

(٢) ان خدمة المستشفيات الثابتة والنقالة ومن فيها من رجال المراقبة وادارة النقل والاطباء ورجال الدين يتمتعون بمزايا الحيادة ما داموا في وظائفهم وما دام عندهم مصاب لينقل او يسعف

(٣) ان الذين ذكروا في المادة الثانية يمكنهم الاستمرار على تأدية اعمالهم في المستشفيات المختصة بهم بعد احتلال جيش العدو ويحق لهم الانسحاب اذا شاءوا والالتحاق بالجيش الذين هم منهُ وحينئذٍ يرسلهم الجيش المحتل بعد انقطاعهم عن اعمالهم الى مواقع العدو الخارجة

(٤) لما كانت معدّات المستشفيات العسكرية منوطةً بقوانين الحرب فالرجال التابعون لهذه المستشفيات لا يجوز لهم عند انسحابهم ان يأخذوا معهم شيئاً منها الاَّ ما كان خاصاً بهم على ان المستشفى النقال تحفظ لهُ جميع ادواته ومهماته في تلك الاحوال

(٥) هذه المادة لحماية السكان الذين يشتغلون بنقل جرحى المتحاربين او مساعدتهم

(٦) يحافظ على جرحى العساكر ومرضاهم ويعتنى بهم بدون نظر الى الجنسية ويكون لقواد الجيوش السلطة في تسليم العدو جنوده الذين جرحوا في المواقع حينما تسمح الاحوال بذلك بعد اتفاق الفريقين

(٧) يجب ان يكون على العلم والعلامة الموضوعة على الذراع علامة الصليب الاحمر على دائرة بيضاء وتستعمل في المستشفيات الثابتة والنقالة

ثم أُضيف الى المعاهدة المشار اليها ملحق في سنة ١٨٦٨ امضتهُ بريطانيا العظمى والنمسا

وبلجكا والدنمارك وفرنسا وايطاليا وهولندا وشمالي المانيا واسوج ونروج وسويسرا وتركيا وبعض ممالك المانيا وكان ذلك في اليوم العشرين من شهر اكتوبر من تلك السنة ومما جاء فيهِ

المادة الاولى :— ان الذين ذكروا في المادة الثانية من المعاهدة يمكنهم بعد احتلال العدو الاستمرار على تأدية اعمالهم ما دام المرضى والجرحى في حاجةٍ اليهم في المستشفيات النقالة والثابتة واذا شاؤا الانسحاب فيعين لهم قائد الجنود المحتلة موعد السفر ويجوز لهُ تأجيل الموعد قليلاً لاسباب حربية مهمة

المادة الثانية — تؤخذ الاحتياطات اللازمة بين المتحاربين لضمانة رواتب الذين يقعون بين ايدي الاعداء من رجال المستشفيات وابقائهم متمتعين بها

المادة الثالثة — يلحق بالمادة الاولى والرابعة من معاهدة سنة ١٨٦٨ ان اسم المستشفى النقال يطلق على المستشفيات التي تقام في ساحات الحروب وجميع البنايات الوقتية التي تنقل مع الجيوش لقبول المرضى والجرحى

المادة السابعة - اذا اسر وابور فرجال الدين والمستشفيات والاطباء فيهِ يعتبرون على الحياد وعند تركهم الوابور يجوز لهم نقل جميع الامتعة والآلات الجراحية التي تكون ملكاً خاصاً لهم

المادة الثالثة عشرة — ان الوابورات التي تحول الى مستشفيات ويقوم بتقديم معداتها جمعيات تعترف بها الحكومات الموقعة على هذه المعاهدة او تجهز بتصريح ملك واقرار من ناظر البحرية بانها كانت تحت سلطتهِ مدة تجهيزها وقيامها وبان تحضيرها كان فقط لاتمام الارسالية تعتبر على الحياد مع كل من فيها من المستخدمين ويجب على المتحاربين الاعتراف بها وحمايتها ويجب ايضاً على الوابور ان يعرف قصدهُ للجميع برفع العلم الابيض المرسوم عليهِ الصليب الاحمر في جانب علم دولتهِ . وكذلك يجب ان يوضع حول اذرع رجالها علامات من اللون عينهِ اثناء تأدية اعمالهم وان يكون لون الوابور من الخارج ابيض ومقلماً باحمر . ويجب على هذه الوابورات مساعدة من تلزم مساعدتهُ من الجرحى او الذين تجنح بهم البوارج المتحاربة مع قطع النظر عن جنسيتهم . وتأدية واجباتها قبل المعارك وبعدها تكون على مسئوليتها . ويجب ان لا تكون بحركاتها عثرة في سبيل المتحاربين ويكون للمتحاربين حق المناظرة عليها وزيارتها ويحق لهم ايضاً رفض مساعدتها وابعادها او ابقاؤها اذا مست الحاجة ولا يجوز لاي فريق من المتحاربين استرداد الجرحى والذين كسرت بهم السفن ويجب عليهم ان لا يرجعوا الى الخدمة مدة استمرار الحرب

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بكنسفيلد

القسم الرابع

الفصل الاول

لما دخل فخر الدين قصرهُ ومشى بين رجالهِ استعزَّ بما لقيهُ من التبجيل وجعل يعامل قومهُ بالدعة والاكرام لكي تبقى القلوب معقودة على حبهِ فاتسعت ولائمهُ وكثر ضيوفهُ من الامراء والمشايخ وسُرَّ تنكرد بما رأى وسمع وفعل بهِ هواء لبنان فعل الدواء فشفي جرحهُ وطاب نفسهُ. وكثر تحدُّث الناس عنهُ وتسابقهم الى اكرامهِ وكانوا يذاكرونهُ في امر الثورة ونتائجها وما يُفرَض منها على كل واحد منهم

واراد فخر الدين ان يجمع كلَّ امراء الجبل ومشايخهِ من الدروز والموارنة في قصرهِ لكي يصلح بينهم ويريهم منزلتهُ عند الدولة الانكليزية مدَّعياً انها علمت شأن العمل الذي هو عازم عليهِ فلم تأتمن قنصلاً عادياً تبعث بهِ اليهِ بل بعثت اليهِ باحد امرائها ممثلاً لعظمة تلك المملكة وغناها

وذاع هذا الخبر في الجبل على غير علم من تنكرد وصدَّقهُ بيت الخازن وبيت الدحداح وبيت حبيش وبيت حيدر من الموارنة وبيت جنبلاط وبيت تلحوق وبيت ابي نكد من الدروز وقالوا كلهم ان اخا الملكة نزل ضيفاً على الامير فخر الدين . وكان الخلاف شديداً بين الامير احمد ارسلان والمعلم بطرس كرامة فاصطلحا لان فخر الدين بعث اليهما كليهما جانباً كبيراً من البنادق التي اتى بها

وكان فخر الدين يبالغ في اكرام تنكرد فتزيد ثقة الناس بكلامهِ مع انهم لم يروا في تنكرد شيئاً يدلُّ على ما كان فخر الدين يذيعهُ عنهُ . وكان تنكرد يميل الى العزلة طبعاً لكن فخر الدين اقنعهُ بان ذلك يغيظ الامراء والمشايخ فلا يليق بهِ الاَّ ان يقابلهم كلهم حسب عادات البلاد

وركب معهُ ذات يوم وخرجا للنزهة بموكب حافل ثم عادا الى القصر وكان غاصاً بالزوار وقبل ان يترجل تنكرد عن جوادهِ ترجل فخر الدين وبادر اليهِ وامسك بركابهِ لكي يساعدهُ على النزول وهو يقول لهُ بالفرنسوية ان ذلك واجب عليَّ ويجب ان لا تمانع فيهِ لئلاَّ يغتاظ ضيوفي كلهم منك فزادت منزلة تنكرد في عيونهم اضعاف الاضعاف حينما رأوا اميرهم يمسك بركابهِ

كانت سورية من غزة الى الفرات مقسومة مقاطعات لكل مقاطعة امير او شيخ يحكمها فلما دخلها ابرهيم باشا حاول تنصيب والٍ واحد عليها فكانت النتيجة ان قام اهل لبنان عليهِ واضطروهُ الى ترك بلادهم سنة ١٨٤٠ .وفي لبنان خمس عشرة مقاطعة وعلى كل واحدة منها امير او شيخ كما تقدَّم لهُ الحكم المطلق في مصالح رعيتهِ وقد يكون من عائلة قديمة شهيرة تفوق عيال الامراء الاوربيين قدماً وشهرة . وهذا النظام قديم جدًّا في جبال سورية وقد بذلت الدولة العثمانية جهدها في ابطالهِ وارسال الحكام من قبلها فلم يستتبّ لها ذلك الاَّ في السواحل

والشهابيون اشهر امراء لبنان وقد استتبَّ لهم الحكم على الجبل كلهِ وخضع لهم امراؤُه ومشايخهُ . واشهر الشهابيين الامير بشير الذي حكم الجبل مدة غزوة ابرهيم باشا لهُ فلما تغلبت الدولة عليهِ سنة ١٨٤٠ عزلت الامير بشيرًا ونفتهُ هو واولادهُ

واراد الباب العالي ان يتولى ادارة الجبل ويضع فيهِ الحامية العثمانية فلم توافقهُ الدول الاوربية على ذلك.ودعي الامير قاسم شهاب لولاية الجبل وكان لبطريرك الموارنة سلطان عليهِ فاخذ في عزل مشايخ الدروز (المقاطعجية) فدعى ذلك الى الحرب الاهلية التي نشبت سنة ١٨٤١ فكانت حجَّة لفرنسا على انكلترا ان الباب العالي لا يستطيع ان يحكم جبل لبنان مع ان اللوم فيها لم يكن على الباب العالي اكثر مما كان على المسيو غيزو وزير فرنسا او اللورد بامرستون وزير انكلترا . لكن الانكليز كانوا يجهلون امور الجبل فظنوا ان الحق في جانب فرنسا وندموا على مساعدتهم للباب العالي

واراد الباب العالي ان يغتنم فرصة اختلاف هاتين الدولتين ويمكن قدمهُ في الجبل فلم تقبل الدول الاوربية بذلك وعُزِل الامير قاسم ولم يشإِ الباب العالي ان يولي اميرًا آخر من الشهابيين ولا ارادت الدول الاوربية ان يكون الوالي من الاتراك . وتمَّ الاتفاق اخيرًا على ان يكون للجبل قائمقامان الواحد مسيحي يتولى امر الموارنة والثاني درزي يتولى امر الدروز . لكن سكان بعض المقاطعات ممتزجون من النصارى والدروز فوقع الخلاف في ضمهم الى هذا القائمقام او ذاك وحسبت انكلترا ان قسمة الجبل الى قسمين امرٌ سهل وهي تجهل ما لمناصبهِ من السلطة على اهاليهِ

ولما رأى الشهابيون هذا الاختلاف انحازوا كلهم الى الموارنة لانهم الفريق الاكبر في الجبل وبقي البعض منهم على دين الاسلام ولكنهم لم يكونوا محازبين للدروز واهتم اكليروس الموارنة بذلك وهو شديد السطوة في جبل لبنان

وكان الدروز من حزب الشهابيين قبل سنة ١٨٤١ وتألف مجلس من الشهابيين كان

يجتمع في دير القمر للنظر في مصالح الجبل وانضمّ اليهِ بعض الدروز . ثم نشأ حزب سورية الفتاة سنة ١٨٤٤ وانتشر اعضاؤهُ في مدن لبنان وقراهُ فاوجس الانكليز خيفة من ذلك ورضوا بقسمة الجبل الى قائمقاميتين ولما رأى الدروز انهم نالوا ما تمنوا نحوا عن النصارى وانف الشهابيون من تسلط الدروز عليهم في المقاطعات التي قائمقامها درزي

وتبرع بطريرك الموارنة بمئتي الف غرش لابتياع البنادق وكذلك رئيس دير مشموشة قائلين ان انفاق المال في ابتياع الاسلحة خير من تركها لينهبها الدروز . وتبرّع المطران طوبيا بمبلغ كبير ولكنهُ عاد فاسترجعهُ واتى المطران يوسف الجزيني الى صيدا باموال كثيرة وقال للناس سرًّا ان لا بد من اعطاء حكم الجبل لامير من بيت شهاب لكنهُ ادعى جهارًا انهُ اتى لتفريق الصدقات

ونشبت الحرب الاهلية في شهر مايو من شهور سنة ١٨٤٥ فهاجم النصارى الدروز في اماكن مختلفة ولم ينالوا منهم مأربًا ثم عاد الدروز على النصارى ونكّلوا بهم وصعدت الجنود العثمانية الى الجبل بطلب الدول الاوربية لكن امراء دير القمر والامير قيس شهاب ابلوا في الدروز بلاء حسنًا . وكان فخر الدين حينئذٍ في قصرهِ فاسرع برجالهِ لنجدة الامير قيس فوجد رجالهُ مكسورين وقد دارت الدائرة عليهم والجنود العثمانية توسطت بين الفريقين فادّعى انهُ جاء للتوسط ايضًا ونجح في استمالة قناصل الدول وجعل الباب العالي يعوض النصارى مما سلبهُ منهم الدروز وامضيت شروط الصلح بينهم وهي الشروط التي اشار اليها وهو يكلم حواء في القدس على ما تقدم

الفصل الثاني

الشيخ سعيد جنبلاط البطل المغوار اكبر مناصب الدروز راكب مهرة جوادهِ سائر الى قصر قنوبين ووراءهُ اربعة مشايخ من ابناء اعمامهِ اتوا معهُ من دارهِ في المختارة وهو شاب طويل القامة مجدول العضل على كتفيهِ برنس طويل وعلى رأسهِ عمامة بيضاء وهو بالعدَّة الكاملة

واتى بعدهُ الفارسان الشهيران الشيخ ناصيف ابو نكد واخوهُ الشيخ محمود ابو نكد ومعهما عشرون رجلًا من اتباعهما مسلحين بالبنادق . وكان النكدية مشايخ دير القمر فلما اراد البطريرك ان يسلب الدروز التسلط على بلادهم هجموا على دير القمر بلدهم ونهبوها نكاية فيهِ ولما عقد الصلح وتعهد الدروز برد الاسلاب التي عندهم قال الشيخ ناصيف ان عندهُ خمس مئة طرطور اخذها من رأس خمس مئة امرأة

لكن هذه الامور نسيت الآن واجتمع الناس على الوئام والّف فخر الدين بين القلوب

او كاد . وكان بين الوفود الى قنوبين المطران نيقوديموس كاتم اسرار البطريرك وهو ممن لهم اليد الطولى في الحرب الماضية وكان معهُ شماس واحد لكن الجميع كانوا يجلون مقامهُ فلما وصل الى القصر بادروا الى تقبيل يديهِ اما اكراماً لهُ او خوفاً منهُ لانهُ كان داهية كثير المشاكل والمشاغل يحرم هذا ويقطع ذاك ويفرض الفروض على من لا يطيع لهُ امراً . وكان يميل الى بيت شهاب ويحب فخر الدين ويسعى في مصلحتهِ وهو الذي سعى في ارسال الاسقف مراد الى اوربا فكاد يلقي الفتنة بين وزير فرنسا ووزير انكلترا كما تقدَّم حتى اضطرَّ فخر الدين ان ينكر انهُ مرسل من قبلهِ

وتوالى وفود الفرسان على صهوات الجياد وبينهم الامير قيس والامير عبد الله شهاب والشيخ فرنسيس الخازن وغيرهم من زعماء سورية الفتاة . وجاء بعدهم بنو يزبك الذين بقوا خمس مئة سنة لا يسمحون بتقدُّم آل جنبلاط عليهم . والشيخ فاعور كنج الذي قاطع الموارنة بعد الحرب الاخيرة اما الآن فطارحهم السلام وتصالح مع بيت حبيش وبيت الدحداح ومع المعلم بطرس كرامة. ووفد ايضاً مشايخ بيت تلحوق وبيت عبد الملك وبيت الظاهر فامتلأ ميدان القصر بالصافنات الجياد وطابق الجو صهيل الخيل وجلس الامراء والمشايخ على البسط والارائك يدخنون التبغ ويشربون القهوة ومشى فخر الدين بينهم وعلى رأسهِ عمامة قوراء وعلى كتفيهِ جبة واسعة الاردان وكان يرحب بالدروز والموارنة على حدٍّ سوى وجلس مع الشيخ سعيد جنبلاط وحدَّثهُ طويلاً واكرم وفادة بني يزبك لكي لايغاروا من بيت جنبلاط وقبَّل يد المطران نيقوديموس وارسل نارجيلتهُ الى الامير احمد ارسلان قائمقام الدروز

وكان تنكرد قد لبس لامة الصيد وهي من المخمل وتنكب بندقية من اجود مصنوعات بردي من نوع الشَّشخانة فاعجب بها الحضور وطلب الشيخ فرنسيس الخازن من الامير فخر الدين ان يكلمهُ ليرمي لهم بها نسراً من النسور التي كانت تحلق في الجو امامهم . واخذ فخر الدين البندقية واراها للشيخ فرنسيس وللحال اقترب منهُ الشيخ سعيد جنبلاط والامير قيس شهاب وبعض مشايخ بيت حبيش وبيت الدحداح وجعلوا يروزونها ويعجبون بصنعها وما منهم الا من تمنى ان يكون عنده بندقية مثلها . ونادى تنكرد خادميهِ ليريا الحضور جفتهُ وفردهُ فاتيا بها واراياهم اياها كأنها من سقط المتاع من غير ان يظهرا اقل اعجاب بها احتقاراً منهما لامراء لبنان . فاغتاظ تنكرد منهما واخذها منهما وجعل يشرح لهم مزاياها بالقليل من الكلمات العربية التي تعلمها واذا وصل الى معنى تعذَّر عليهِ التعبير عنهُ بالعربية تكلم بالفرنسوية والامير فخر الدين يترجم لهُ ثم التفت الى الجو فرأى عقاباً كبيراً محلقاً فيهِ فاطلق عليهِ بندقيتهُ واصابهُ فوقع امامهم

وهم يعجبون من مهارتهِ في الرماية

ولما كان تنكرد يظاهر دقة اسلحتهِ كان بطرس كرامة يتكلم مع رفائيل فرح الدحداح فقال لهُ ان هذا الامير اتى الى هنا ليرى ميل اهل الجبل الى بيت شهاب ولكنني سمعت امس في دير القمر ان قنصل الانكليز اقنع الملكة بان كل اهالي الجبل ضد بيت شهاب والبطرك في جملتهم . فاجابهُ رفائيل فرح ان هذا الكلام كذب والذي اشاعهُ الدروز لاغراض لا تخفى علينا . وسمعها الشيخ فرنسيس الخازن يتكلمان فقال لهما خلصنا من هذه السيرة فانهُ لم يبقَ دروز ولا موارنة بل الكل اخوة

رفائيل فرح — من قال ذلك وهل يقوم الجبل من غير الموارنة

الشيخ فرنسيس — نعم ولو كنا امة واحدة بدل ان نكون طوائف متعددة ما تغلَّب علينا ابرهيم باشا بل كنا غلبناهُ وفتحنا مصر

رفائيل فرح — ما شاء الله شيخ من بيت الخازن يتكلم ضد الموارنة يتكلم ضد طائفة لها مئتا دير في الجبل

بطرس كرامة — ولها بطرك محترم في كل الدنيا

الشيخ فرنسيس — نعم وليس عندها قطعة سلاح

بطرس كرامة — نحن سلمنا اسلحتنا باختيارنا

رفائيل فرح — أقنعونا حتى سلمناها

الشيخ فرنسيس — مَن اقنعنا هؤلاء الرهبان الذين تفتخر بهم

بطرس كرامة — غشوهم اما انا فما سلمت اسلحتي وعندي الآن اسلحة تخطف ارواح كل الدروز

الشيخ فرنسيس — مالك وهذا الكلام فهو يغيظ الامير فخر الدين

المطران نيقوديموس — و يغيظني انا ايضاً وكلنا الآن اخوة وهذه ارادة سيدنا البطرك لا نصارى ولا دروز بل الكل اخوة

ثم قرعت الطبول علامة الخروج للصيد وخرج الامراء والمشايخ واعتلوا صهوات جيادهم وهم نحو اربع مئة فارس واربع مئة راجل وكان معهم قائمقام النصارى الامير حيدر شهاب وقائمقام الدروز الامير احمد ارسلان . ولما نزلوا عن الاكمة التي عليها القصر وبلغوا السهل المنبسط تحتها اخذوا يتسابقون و يرشقون الرماح ثم انقسموا ثلاث فرق ودخلوا حرجة كبيرة من اشجار السنديان ممتدة من طرف السهل ومنبسطة على سفح الجبل الذي يليهِ وصاعدة فيهِ

الى اعلاه . ومضت ساعات عديدة وانت لا تسمع الاَّ اطلاق البنادق ونباح الكلاب . ثم اخذ الناس يخرجون من الحراج ويسيرون نحو القصر وحداناً ثم زرافات واخيراً اقبل المشاة يحملون ما اصطاده الفرسان وهو خمسة وعشرون غزالاً وضبع وكثير من الطيور وجاء الفرسان وراءهم يتمايلون على صهوات خيولهم كأنهم سكارى ولما توسطوا السهل جعلوا يمرحون فيهِ ويجتمعون ويفترقون وهم ينشدون الاناشيد الحماسية ويلعبون بالرماح . والخيول تتهادى تحتهم كالعرائس الى ان بلغوا الاكمة التي عليها القصر

وكان مطبخ الامير كبيراً جدًّا فيهِ حفر كثيرة لشي الذبائح فاقبل الصيادون على الغزلان ينظفون احشاءها ويشوونها وجلس الامراء والمشايخ على بسطهم يدخنون التبغ الى ان صلح الشواء

ثم مُدَّت الاسمطة وجلس حولها الامراء والمشايخ على هذا النمط حول السماط الاول القائمقامان وتنكرد والمطران نيقوديموس ثم الشيخ سعيد جنبلاط ورئيس بيت يزبك ثم التلاحقة وبيت عبد الملك والنكدية وخمسة من مشايخ الموارنة . وعلى السماط الثاني فخر الدين ومعهُ الشهابيون وبيت حبيش وبيت الدحداح . وجلس بقية المشايخ حول بقية الاسمطة في الدار والرواق الذي حولها . ولم تكن تسمع الاَّ صوت تقطيع اللحم وتعريق العظم ومضغ الطعام اما الحديث فلا محل لهُ هناك لان الانسان إما ان يأكل وإما ان يتكلم ولا يحسن الاثنين في وقت واحد. ومن خالف هذا النظام بُلي بسوء الهضم ولذلك ترى اكثر الاوربيين يشغلون ادمغتهم وهم ياكلون فتتلبك معدهم حتى لا تستطيع هضم الطعام . ويقال ان جلوس النساء على موائد الطعام مع الرجال هو الذي يدعو الى التنافس في الحديث وما ينتج عنهُ من التخم

وكان في وسط كل سماط صدر كبير من الارز المفلفل عليهِ غزال تحيط بهِ الحجال ودجاج الارض مما صادهُ البزاة وكلها مشوية محمرة

ولما اكلوا وطابت نفوسهم همس بطرس كرامة في اذن جارهِ رفائيل فرح وقال اری الآن ان الاتفاق ممكن . فقال لهُ رفائيل فرح نعم ولماذا لا يمكن ذلك الم يكن على الجبل حاكم واحد قبل الآن فاذا كانت الدول تقبل بتسليم الحكومة لواحد من بيت شهاب وكان يجمعنا مراراً هنا كما نحن مجتمعون الآن زالت من بيننا الضغائن والاحقاد

بطرس كرامة — اتريد ان اخضع لمحمود ابي نكد

رفائيل فرح — مَن قال ذلك بعد ان حرق الاديرة

بطرس كرامة — ونهب خمس مئة طرطور

فرنسيس الخازن — ولكنْ هَبْ انهُ يردها لاصحابها

رفائيل فرح — اذا ردها انتهى الخلاف

بطرس كرامة — لا ينتهي الخلاف ما دام هذا الرجل حيًّا

ولما فرغ الضيوف من الطعام شكروا الله ونهضوا وجلسوا على الدواوين فجاءهم الخدم بالاباريق والطسوت فغسلوا ايديهم ثم جاؤُوهم بالشبقات ودار الحديث بينهم وكان موضوعهُ الصيد والقنص وما فعلوهُ ذلك اليوم وسأل الشيخ جنبلاط تنكرد عمَّا اذا كان في بلادهِ ضباع وقصَّ المطران نيقوديموس عليهم قصصاً كثيرة جرت في ايام الامير بشير حينما كان يخرج للصيد من بيت الدين واستطرد الكلام الى ما كان في تلك الايام من العز والجاه يوم كان على الجبل والٍ واحد

واخذ فريمن وترومن قطعة كبيرة من اللحم المشوي وجلسا تحت شجرة يأكلان منها . وقال فريمن ان الذي يعجبني هو ان هؤُلاء الناس يحسبون انفسهم نصارى وهم يعمّمون بالعمائم مَن سمع ان النصارى يعمّمون

ترومن — ويأكلون باصابعهم لا سكين ولا شوكة

فريمن — يقال من سافر كثيراً رأى العجب

ترومن — ورأى المشاق وانا ليس اصعب عليَّ من اننا لا نأكل في وقت معين

فريمن — ولكن هذا الاكل ليس بطالاً وهم يسمّونهُ غزالاً . ولا ادري ما يقولون في بلامنت اذا قلنا لهم اننا اكلنا لحم الغزال

ترومن — نحن الآن هنا ليس في بلامنت . وهذا الامير امير بالحق وانا مسرور ان سيدنا صادقهُ فان صداقتهُ افضل من صداقة القسوس والرهبان

ولما خيم الليل قلت الضوضاء وفك كل احد عمامتهُ او منطقتهُ وفرشها ونام عليها . واوى الامراء والمشايخ الى غرف القصر او ناموا في اروقتهِ ودام الحال على هذا المنوال ثلاثة ايام متوالية . ولما لم يبقَ لفخر الدين غرفة ينام فيها طلب من تنكرد ان يقبلهُ ضيفاً عليهِ لينام في غرفتهِ

الفصل الثالث

تنكرد مخاطباً فخر الدين — كان هذا اليوم يوماً مشهوداً لا يُنسى ابد الدهر

فخر الدين — نعم وما رأيك في هؤُلاء الرجال أيستطيعون ان يغلبوا العالم

تنكرد — غلبة العالم لا يكفي لها وجود الرجال بل لا بدَّ لهم من غرض يسعون اليهِ

فخر الدين — الغرض موجود

تنكرد — هل يعرفونهُ

فخر الدين — نعرّفهم بهِ

تنكرد — لا ادري كيف نستطيع ذلك

فخر الدين — الم يكن العرب عبدة اصنام ومع ذلك خرجوا من بلادهم يذيعون دين التوحيد فانت ترى ان كل شيءٍ مستطاع

تنكرد — نعم وانا لم ازل على رأيي الاول وهو ان الثورة يجب ان تبتدئ من بلاد العرب . فان البدو بمعزلٍ عن سفسطات الحضر وهم الآن كما كانوا في عصر محمد وموسى وابرهيم اهل ورع وتقى لا حيف عندهم ولا عتوّ

فخر الدين — ولكن انا من العرب وكل المقاطعجية من العرب وما منهم احد الاَّ وهو ينتسب الى عرب نجد او عرب الحجاز او عرب اليمن. وفي الجبل خمسون الف بندقية ورجالهُ ابطال اشدَّاء وهم اهل زهد وتقشف الدرزي منهم يعيش على الخبز والزيتون وينام على التراب

تنكرد — ولكنهم لم يفعلوا شيئاً حتى الآن اما العرب ففعلوا

فخر الدين — نعم لم نفعل شيئاً لان ليس عندنا فرسان واعداؤنا يستعينون علينا بفرسان العرب ولكننا حافظنا على بلادنا . والآن صار العرب معنا لان الشيخ مالكاً يمجدنا بفرسانهِ ولهُ الحول والطول في كل بلاد العرب فيأتينا بالفرسان من نجد والحجاز واليمن وعمان والبحرين يأتينا بخمسين ألف فارس اذا اردنا

تنكرد — هذا كلهُ حسن ولكنهُ لا يكفي ولا بدَّ لي من رؤية مدن الشام والعراق لارى أيتها يلزم لها مدافع وايتها تفتح بغير المدافع ثم يجب ان لا ننسى بر الاناطول أسيا الصغرى أخصب ارض الله فان الاتراك قد يهاجمون لبنان من الشمال ونحن ذاهبون الى الجنوب والشرق . وقد رأيت قومك ورجالك وانا اقدركم قدركم ولكن من يحمي اسيا الصغرى ومن يحفظ معابر الشمال وعلى من نعتمد بين طرابلس وانطاكية وبين حلب وادنة

وفهم فخر الدين مراد تنكرد وكان مخلصاً في قولهِ راضياً ان يترك قصرهُ وبساتينهُ وما فيها من رغد العيش و يشتبك في الحروب والمعامع لكي يقيم في اسيا مملكة شعارها العدل واساسها الاخاء وكانت نفسهُ كبيرة فيهِ وهي تدفعهُ الى العمل وتمنعهُ من الصبر على عيشة الكسل وتزين لهُ ان يدهش اوربا كلها بافعالهِ ولم يكن قصرهُ ليشبع مطامعهُ وما تطمح اليهِ نفسهُ ولذلك كنت تراهُ قلقاً ضجوراً . ولم يكن يحب الفخر والمباهاة ولا كان يحسب للمخاطر حساباً

وكان قد استغرق في الديون ولكن هذه الديون كانت تشحذ ذهنهُ وتقوي عزيمتهُ ولا سيما اذا قابل مداينيهِ وحاول التغلب عليهم بالحيلة

ومن اعجب العجب ان ترى شاباً مثل لورد منتكيوت نبيل المطالب ثابت العزيمة يصادق رجلاً متقلباً مع الاهواء مثل فخر الدين . لكن فخر الدين كان زكي الفؤاد سريع الخاطر قلبهُ خاضع لمشاعرهِ فاذا ارضيتَ مشاعرهُ ملكتَ قلبهُ . لم يكن يعرف المبادئ الادبية المجردة ولكنهُ كان يرى الفضائل ويعرف قيمتها لانها تؤثر فيهِ تأثيراً عميقاً ولذلك فعلت بهِ آداب تنكرد فعل المغنطيس بالحديد ووجهتهُ وجهة معلومة

الفصل الرابع

تنكرد يخاطب باروني — اتعرف شيئاً عن قوم يقال لهم النصيرية

باروني — كلاً لا اعرف عنهم شيئاً ولا احد يعرف عنهم شيئاً غير انهم رجال حرب غلبوا المصريين ولما رأى ابرهيم باشا ذلك منهم حشا مدافعهُ بالدراهم ورشقهم بها فصاروا من اعز انصارهِ

تنكرد — أمسلمون هم

باروني — كلاً لا مسلمون ولا نصارى ولا دروز ولا يهود ولا مجوس

تنكرد — من اي الاقوام هم . أعرب هم

باروني — كلاً ولم ارَ الاَّ واحداً منهم وشكلهُ يدل على ان اصلهم يونان او ارمن

تنكرد — اين رأيتهُ

باروني — في دمشق فانهُ حدث فيها مرةً خصام وهجم المتخاصمون على واحد يريدون قتلهُ فانقذهُ الصيدوني من يدهم ووجدناهُ نصيرياً لابساً زي البدو وهم يتزيون بكل الازياء ولهم جواسيس في كل المدن ويتكلمون العربية ولكن لهم لغة خاصة بهم

تنكرد — لماذا لم تمضوا الى بلادهم

باروني — لان الطاعون كان فاشياً حينئذٍ ولم يكونوا يسمحون لاحد ان يدخل بلادهم

تنكرد — هل رأيتَ هذا الرجل مرةً اخرى

باروني — نعم رأيتهُ في دمشق واسمهُ دركوش وهو يبيع العقاقير الطبية

والذي دعا تنكرد الى هذه المسائل هو انهُ كان جالساً في اليوم السابق مع فخر الدين والشيخ حمود ابي نكد ودار الحديث بينهم على الثورة فقال الشيخ حمود اني حاربت مع الامير بشير وركبتُ مع الامير يوسف لمحاربة الجزار ولكنني اقول الصدق ان طريق بلادنا ليست من هنا بل من جهات الشمال . وهذا القول سمعتهُ من الامير بشير نفسهِ مراراً كثيرة ومن الامير

يوسف ايضاً وقد تفلح في اقامة امير واحد علينا وننضم كلنا تحت رايتهِ ولكن الاتراك يدخلون بلادنا من الشمال وقتما يريدون فلا تقوم لنا قائمة

تنكرد — وبيد مَن تلك الطريق ايها الشيخ المحترم

الشيخ حمود — بيد هؤلاء الابالسة النصيرية ولا يصيبنا شرٌّ الاّ منهم

فخر الدين — ولا امل لنا باسترضائهم لانهم يكرهون الشهابيين ولو نصروا الامير بشيراً لغلب بهم الباب العالي ووالي مصر

الشيخ حمود — عندهم خمسة وعشرون الف محارب واذا انضمَّ اليهم التركمان والاكراد لم يقف احد في وجههم

فخر الدين — ومن العجب العجاب اني ذهبت الى حلب وانطاكية مراراً ولم ادخل بلاد النصيرية لان الناس كانوا يحذرونني منها وتحذيرهم لي كان يجب ان يغريني بدخولها ولكني لم ادخلها لانني اكرههم واخاف منهم لغير سبب واظن ان التي ارضعتني بثَّت في قلبي كراهتهم او انني اكرههم لانني اعلم انهم يكرهون الشهابيين وكان عمي الامير بشير يبغضهم ويشتمهم علانيةً

الشيخ حمود — ولكنهُ بذل جهدهُ هو والامير يوسف في استرضائهم

تنكرد — اظن اذاً ايها الشيخ انهُ لا امل باستقلال سورية من غير مساعدة النصيرية

الشيخ حمود — اذا ساعدنا النصيرية وامنَّا جانب البدو لم نخف من الترك ولا من المصريين

فخر الدين — ويصير يمكننا ان نفتح الحرب عليهم

الشيخ حمود — دعهم يتركونا وشاننا وهذا يكفينا

فخر الدين — انظر هذا الغزال ما قولك لو طاردناهُ وبقينا نطاردهُ حتى نصل الى بلاد النصيرية

الشيخ حمود — بلادهم بعيدة من هنا ولا غرض لي بدخول بلاد تحكمها امرأة

تنكرد — تحكمها امرأة! أصحيح ذلك

الشيخ حمود — كذا يقال

فخر الدين — هذه اشاعة ولكن المحقق ان النصيرية يعبدون امرأة

الفصل الخامس

أقدم مدينة في العالم خالية من الآثار القديمة . غلبت وغَلَبَتْ قهرت وقُهِرَتْ لكن لم يبقَ فيها اثرٌ للغلب ولا للانقلاب لا عمود ولا قنطرة . انشئت فيها الهياكل ونصبت فيها التماثيل ولكن لم يبقَ منها اثر . أين قصورها اين سجونها اين دور القضاء ومجالس العلم خُرّب كل شيء وبني غيرهُ بانقاضهِ

يقول الناس ان مدينة لندن هي بابل الحديثة ومدينة باريس تماثل رومية القديمة ولكن ما قولهم في دمشق فانها كانت مدينة عظيمة لما كلم الله ابرهيم ومن ثم انتابها الملوك والغزاة الاراميون واليونان والرومان والعرب والتتر والترك مروا بها كالظل الزائل وهي باقية على مر الدهور مملوءة من السكان والغنى والرغد . هذه مدينة شاب الدهر ولم تشب وقدمت الايام ولم تقدم . شربت اكسير الشباب فبقيت في عنفوانه وهي منفردة في ذلك لا مثيل لها في المسكونة درة بين الزمرد

هذه دمشق التي سكنها ابرهيم الخليل تحدق بها الحدائق وتخللها الانهار فترى ماءها يترقرق في جداولها وفساقيها ودورها وشوارعها فيسمع خريره في كل بستان وبيت وترى جداوله في كل دار وسوق . ولكن المياه كانت كثيرة في طيبة ونينوى وبابل . وما بردى باغزر ماء من النيل ودجلة والفرات ولم تبق هذه الانهار العوامم التي كانت عليها

حدثت الامور التالية بدمشق في غرفة كبيرة مستطيلة سقفها منقوش نقشاً لا مثيل له الا في قصور ملوك الاندلس او مماليك مصر قائم على اعمدة من الرخام الابيض تيجانها كسعوف النخل بينها وبين الجدران رواق طويل نصبت فيه الارائك من الحرير الاخضر المطرز بالذهب وعلى الجدران صحوف حاكها امهر صناع موغخ . والارض مرصوفة من قطع الرخام في اشكال بديعة لا يرى منها الا الشيء القليل بين بساط وآخر . والبسط باهية النقوش والالوان من انخر ما صنعهُ اهل خراسان . وفي الغرفة آنية وتحف كثيرة من مصنوعات المشرق والمغرب موائد من الهند وصحاف من الصين وكؤوس من العقيق مملوءة بالازهار . وكوى الغرفة تطل على حديقة غناء باسقة الادواح مخضرة الخمائل مدبجة الازهار يترقرق الماء على حصبائها ويتدفق من فساقي صغيرة مبثوثة في جوانبها متصلة كلها بفسقية كبيرة في وسطها قام حولها اربعة تماثيل من المرمر الاسود تصب الماء من اربعة اباريق لؤلئية في حوض من الزبرجد

وكان في هذه الغرفة حينئذٍ اناس كثيرون اكثرهم زوار ورب المنزل وهو كهل طويل القامة مهيب الطلعة . هذا هو ادم بسو التاجر الشهير الذي رأيناه في القدس الشريف . على رأسهِ وكتفيهِ شال من الكشمير الدقيق وضعهُ التاجر الذي اتاه بهِ في قلب رمانة . وفي منطقتهِ خنجر قرابهُ من المينا ومقبضهُ مرصع بحجارة الماس حتى لا يبين منهُ شيء غيرها . والى جانب بسو رجل قصير القامة نحيف البنية لابس ثياباً اوربية رسمية تدل على انهُ قنصل لدولة من الدول الكبرى معانهُ يحلق شعر رأسهِ ويلبس طربوشاً من غير عمة واسمهُ السنيور الياس لورلا . وهو تاجر يهودي من تجار دمشق اقامتهُ دولة النمسا قنصل شرف لها . رجل مشهور في التجارة

والسياسة لهُ ابنتان من اجمل بنات المشرق تعلمتا في ازمير ومرسيليا فانقلب رأسهما وعادتا تحتقران عادات الشام وازياءهُ وتلبسان الثياب الاوربية من آخر زي ومن انخر زي مع ان اباها لا يلبس الثياب الاوربية الاَّ في الحفلات الرسمية ولا احد يلبس مثلهما من كل بنات اعمامهما

هذه اول مرة زارتا فيها بيت بسو لانهما عادتا من مرسيليا في اول السنة ولم يأتِ بسو الى دمشق الاَّ في اواسط الصيف وكانتا تعرفان صاحب البيت بشهرتهِ وانهُ فخر اليهود في المشرق ولكنهما كانتا تحتقران قومهما وتفضلان ان لا تحسبا من اليهود وكانت الكبرى منهما تجاهر بذلك امام اهلها ولا تخجل واما اختها فكانت تقول انهُ يجب على اليهود ان يمتزجوا بالناس اكثر فاكثر حتى يعرفهم الناس فلا يعودوا يكرهونهم وعليهم ايضاً ان يتمثلوا بالناس الذين يسكنون بينهم في كل شيء حتى لا يبقى ما يميزهم عن غيرهم ولا يبقى الاَّ فرق الدين وهذا لا ينظر اليهِ بين الاقوام المتمدنين . ولما دخلت هاتان الابنتان بيت بسو اضطرتا ان تخفضا من عجبهما ولاسيما لما قُدّمتا الى رب المنزل ورأتا جلالة قدرهِ ثم قُدّمتا الى حواء ورأتا جمالاً يفوق الوصف وطلعة تسبي العقول وحلة وحلى تبهر العيون

ومدام لورلاَ ام هاتين الابنتين نصف من بنات ازمير كانت موصوفة بجمالها ولم تزل عليها لمحة من الجمال لولا كثرة ما على رأسها من الحلى والجواهر فانها تفوق في ذلك كل سيدة سواها ولم تكتفِ بحجارة الماس بل وضعت بينها حجارة كبيرة من الزمرّد والياقوت وسموطاً طويلة من اللؤلوء وكأنَّ جسمها كلهُ في غلالة من الجواهر لكنها كانت جالسة على مقعدها كالصنم لا همَّ لها الاَّ النظر في حلى غيرها ومقابلتها بحلاها

وكان هناك شاب طويل القامة جميل المنظر لابساً لباساً شرقيًّا يمشي بين الحضور يكلم هذا ويمازح ذاك ويهز كتفيهِ كأن الدنيا برغشة في عينيهِ . هذا هلال بسو خطيب حواء ابن بسو الحلبي . ذهب الى الاستانة واقام مدة في بيرا وزار السفراء ولكنهُ لم يعد محتقراً لعادات بلادهِ كما عادت بنتا لورلاَ ولم يكن يستحي بشعبهِ ولا بديانتهِ ولم يكن متعصباً لانهُ قرأ فولتير . وكان يصغي الى حواء حينما تتكلم ويصادق على ما تقولهُ من ان شعب اليهود يفوق الشعوب كلها ويتأوَّهُ حينما تحنُّ الى الايام التي يعود فيها مجد آبائهم. ثم يهمس في اذن من يراهُ بجانبهِ قائلاً لا اظن اننا كنا في وقت من الاوقات ارفهُ حالاً وانعم بالاً منَّا الآن

ودنا من ابنة لورلاَ الكبرى ليكلمها فلم تكد تتنازل للكلام معهُ اولاً ثم لما علمت انهُ من بيت بسو ورأتهُ قابل السفراء في الاستانة ونساء السفراء قامت اجلالاً لهُ وخاضت معهُ في الحديث. اما بقية النساء الحاضرات فلم يكنَّ يتكلمنَ الاَّ نادرًا كأنَّ الكلام ليس من لوازم المجتمعات

العمومية وان تكلمن فمن حلاهنّ وحلى غيرهنّ. وكان هناك مراد فارحي ونسيم فارحي وموسى لورلاً وزوجتهُ وهما من نخبة اهالي دمشق ومن اكرم الناس كما يعلم كل من زار دمشق وكان موسى لورلاً وكيلاً لاخيهِ (فيس قنصل). اما نسيم فارحي واخوهُ فلم يكونا قنصلين ولكنهما من كبار التجار وقد تزوجا باختين من بنات عمهما فمدام مراد فارحي في اوج مجدها وزهرة جمالها لكنها كانت خجولة منكسرة الطرف واما اختها مدام نسيم فكانت اشدّ منها نباهة وذكاء وغيرةً على شعبها واعجاباً بحواء. وهي طويلة القد ممشوقة القوام يتدفق الجمال من وجهها والذكاء من جبينها

وكان هناك امرأة سمينة مترهلة زوجها قنصل ولكنهُ ليس قنصلاً جنرالاً مثل لورلاً تنظر اليها فتظنها صنماً من اصنام الصين وهي بشوشة الوجه كثيرة التبسُّم براقة العينين

وكان في الغرفة ايضاً ثلاثة اولاد او اربعة كأنهم الملائكة في جمالهم وخفة ارواحهم وابنة يصل شعرها الى الارض. اما الاولاد فكانوا كثيري اللعب والحركة لا يقر لهم قرار يدنون من بشو وهو يتكلم ويشدون بطرف جبتهِ غير هائبين ثم يسرعون الى امهم او حواء يقبلونها او يدنون من المرأة السمينة ويتفرسون في وجهها ويضحكون. هؤلاء اولاد اخت هلال بسو أتي بهم الى دمشق لتغيير الهواء وامهم معهم وهي جالسة بجانب حواء ترقب اولادها بعينين زرقاوين وتشير اليهم بيدها لكي يلزموا السكينة

وكان الرجال واقفين اكثر الوقت يتحدثون كانهم في مجمع التجار (البورصة) ثم دخل من الغرف التي الى جانب هذه الغرفة خدم يحملون سلة كبيرة من الفضة مملوءة بسعوف النخل الصغيرة تتخللها اغصان الآس ودخل بعدهم خدم آخرون يحملون سلة كبيرة من الذهب فيها ثمار الليمون وجعل الخدم يطوفون على الحضور فيأخذ كلٌّ منهم سعف نخل بيمينهِ وليمونة بيسارهِ. ثم رفع رب المنزل سعف النخل بيدهِ وحركهُ وللحال بادرت حواء اليهِ وكانت لابسة حلَّة من الحرير الابيض مزررة بازرار من فصوص الماس الكبيرة ومتمنطقة بمنطقة مغطاة باللؤلؤ وفوق المنطقة صدرة من المخمل الاحمر مزركشة بالقصب والحجارة الكريمة وفوق ذلك شال من صنع الهند عليهِ تطريز بديع بخيوط الذهب والجواهر. وعلى رأسها عراقية مثل العراقية التي كانت عليهِ في بيت عنيا لكنها كانت الآن مغطاة بحجارة الماس بدل اللؤلؤ

ولما دنت من ابيها قال لها لا اظنهم يأتون فعلى م ننتظرهم

حواء — لا بدَّ من مجيئهم يا ابي وقبل ان اتمت كلامها دخل الخدم ومعهم ضيفان جديدان تنكرد والامير فخر الدين

(ستأتي البقية)

حديث مع الجناب العالي

قصر تاتيانيا

قرأتُ في جرائد جنيف ان سمو الخديوي المعظم قدم جهات نيون على سواحل بحيرة ليمان ونزل في قصر تاتيانيا للاستحمام بمياه ديفون مدة من الزمان . فكتبت من فوري الى سعادة الفاضل شفيق بك رئيس الديوان الخديوي الافرنجي ان يتفضل فيرفع الى الجناب الفخيم رغبتي في التشرف بمقابلته لتقديم واجب السلام ورفع عريضة الولاء مع التعظيم فكتب سعادتهُ اليَّ ان سموهُ يقابلني عصر ٢٢ الجاري قبل ان يغادر نيون ويصعد في جبال سويسرا. فنزلت في غداة ذلك النهار الى نيون وسرتُ قاصداً قصر تاتيانيا والسماء تذرف دموع السحاب والبرق يقرطق ظهور الهضاب وما زالت المركبة تجري بي بين المروج والرياض والحدائق والغياض فاطل تارةً على بحيرة ليمان وطوراً على القصور والافدان وانا اخالني لشدة المشابهة سائراً بين بيروت ولبنان حتى وقعت عيني فجأَةً على الراية المصرية تخفق وسط الحدائق والبساتين على ما تحتها من الاشجار والرياحين. فعلمتُ اني دنوت من قصر تاتيانيا وكأني انتقلت الى خمائل القبة او قناه عابدين . فجعلت امتع الطرف بمحاسن الحدائق والخمائل التي غرسها البرنس بوبوف الروسي منذ ثلاثين عاماً واتطالُّ لرؤية القصر المنيف الذي شادهُ لزوجتهِ فيها واستعظمُ ما انفق عليهِ من الالوف والملايين ثم اتذكر كيف اغتالتهُ يد المنون في وطنهِ منذ ثماني سنين واقول انهُ غرس ولكن لغيرهِ وشاد ولكن لسواهُ فان قصرهُ يهجر الآن حتى يؤجر لمن يجيء تلك الجهات من الامراء والملوك . وما زلتُ اميل تارةً ذات اليسار وطوراً ذات اليمين حتى دخلت بي المركبة من رتاج عظيم الى جنة نضرة ووقفت بي امام باب القصر حيث انست برؤية بعض من الخدم والحشم وقوفاً على رؤُوسهم الطرابيش بعد ما ملَّت عيناي من رؤية البرانيط دون سواها مدة غيابي عن مصر . ولما دخلتُ الباب التقيتُ بحضرة عزتلو ياور بك من موظفي المعية وكنا قد سافرنا من الاسكندرية على باخرة واحدة فسلمنا وحمدنا اللقاء وسار بي حتى جمعني بسعادة الفاضل شفيق بك فسلمنا تسليم المشتاق بعد طول الفراق واتفق ان سعادة اسكندر باشا فهمي العضو الوطني في مجلس ادارة سكة الحديد كان متشرفاً حينئذٍ بمقابلة الحضرة الفخيمة الخديوية فقضيت لحظة الانتظار في غرفة شفيق بك اسمع منهُ اخبار مرض الجناب العالي وشفائهِ حتى ودع سعادة اسكندر باشا وخرج من الحضرة وامر سموهُ فتشرفتُ بالمقابلة

مرض الجناب العالي وشفاؤه

ولما دخلت قاعة الاستقبال اذا سموهُ واقف فيها بوجههِ الصبوح وثغرهِ الباسم يرحّب بي ترحيب شرقي ورث كرم الاخلاق أباً عن جد . وجمع بين رقة الجانب وانس المحضر وبين عظمة الملك وهيبة السؤدد ويتلطف اليَّ في السلام والكلام ويتعطف بتقريبي منهُ واجلاسي بجانبهِ حتى دهشتُ مما شاهدتُ من التنازل واللطف اشد مما يدهش الانسان من الهيبة وظواهر الصولة. ثم انطلق لساني بحمد الله على ما أرى على وجه سموهِ من علائم الصحة ودلائل العافية بعد المرض المضني الذي اقلق بال الامة

فقال سموهُ اني احمد الله على ذلك فقد ذقتُ من ذلك المرض الاهوال وقضيتُ ثمانية ايام لم أذق فيها طعاماً غير المرق حتى خارت قواي لان سقف حلقي ورم وكذلك لثتي ولم أعد استطيع مضغ الطعام من شدة الالتهاب . واظن ان كثيرين يحسبون ان المرض اصابني في حنجرتي وليس كذلك فان حنجرتي وبلعومي كانا سليمين . ومما زادني ارتباكاً وحيرة انهُ اصابني في وقتٍ لم اكن أتوقعهُ فيهِ ولا كنتُ في متسع لهُ . فلذلك شددتُ عزيمتي وجعلتُ اقاومهُ واصارعهُ منذ شعرت بهِ في كولوني وصبرت عليهِ حتى ركبت اليخت الملكي وشخَّصهُ طبيب اليخت بالدفثيريا كما شخصهُ كونسكي بك طبيبي . فأيقنتُ حينئذٍ انهُ لم يبقَ مجال للقيل والقال ولا باب للاراجيف ولا لاشاعات الذين كانوا ربما يقولون ان الخديوي تمارض ليتخلص من زيارة لا يريدها ومن مقابلات يكرهها ونحو ذلك من الاقاويل التي يتوهمها قوم توهماً ثم يذيعونها كانها حقائق لا ريب فيها . وعدتُ بعد التأمل فقلتُ ان اصابتي بهذا المرض وانا في اوربا خير من اصابتي بهِ قبل المجيء اليها لسدها كل سبيل للقول والارجاف من هذا القبيل . ثم عادني الدكتور سيمونس الشهير وهو الماني مستوطن انكلترا منذ زمان طويل وشهد حرب المانيا وفرنسا كأنهُ جندي بسيط بطوعهِ واختيارهِ فقال لي بعد الفحص انهُ يظن ان مرضي ليس الدفثيريا ولكنهُ لا يجزم بماهيتهِ الاَّ بعد عيادة أُخرى فاطمأن بالي ولكنهُ غيَّر رأيهُ بعد العيادة الثانية ورجح رأي الطبيبين الآخرين واشار بالحقن تحت الجلد باللقاح المضاد للدفثيريا قائلاً انهُ ان كان المرض هو الدفثيريا قاومناهُ بالحقن وان لم يكن الدفثيريا فالحقن لا يضرُّ فيهِ ثم اخذ بعض الغشاء الابيض الذي ظهر على حلقي ليريني مكروبهُ ويعلم نوعهُ بالبحث البكتيريولوجي بعد مضي اربع وعشرين ساعة ووجه معظم عنايتهِ الى قلبي لشدة تأثرهِ من هذا المرض فانهُ كان ينبض ١٤٠ نبضة في الدقيقة . فلما رأيتُ ان ذلك الطبيب المشهور عدل عن رأيهِ الاول وبقي متردداً في ماهية مرضي جسم الامر عندي وتشاءمت من عاقبتهِ

ولاسيما لاني بت اتقلب على جمر الانتظار مدة اربع وعشرين ساعة مع ما بي من انحطاط القوة المتأتي عن قلة الطعام ومن الضعف المتأتي عن السقام . ومع ذلك بقي وجهي على ما ترى الآن لا تظهر عليهِ علامات الصحة والعافية

ثم تبين من البحث البكتريولوجي بعد الاربع والعشرين ساعة ان المرض من الامراض العفنية المعدية وانهُ كان يعدُّ قبل اكتشاف مكروب الدفثيريا الدفثيريا بعينها ولكنهُ غيرها ولما نقهت منهُ استرجعتُ صحتي وقوتي سريعاً حتى اني اتممت كل ما كان معيناً في بيان الزيارة بلا تغيير فيهِ ولا حذف شيء منهُ

امتنان سموهِ لابناء وطنهِ وللاجانب

قلت الحمد لله يا مولاي على شفاء سموكم ورجوع عافيتكم فان اخبار مرضكم اقلقت كل رعاياكم واعلم ان كل مصري جاء بلاد سويسرا في هذا الصيف كان يحسب مرض سموكم مرضاً في عزيز عندهُ كما كان شأن اخوانهِ المصريين في وطننا العزيز وكان يطرق كل باب للاستعلام عن صحة سموكم يومياً وعن رأي الاطباء في مرضكم

فقال سموهُ اني لا اقدر ان اصف لك يا دكتور ما وجدتُ في نفسي من البسط والارتياح وسط اشتداد المرض والم السقام مما ثبت لي من حب ابناء وطني لي وتعلقهم بي حتى كنت اقول على سريري ان الله ابتلاني بهذا المرض لامتحاني من جهة ولتطييب خاطري باظهار ما لي من الحب في نفوس شعبي فانا ممتنٌّ لهم عظيم الامتنان سواء كانوا داخل القطر او خارجهُ وشاكرٌ لهم على تعلقهم بي وكذلك شكري عظيم للاجانب الذين اثبتوا حبهم لي وعطفهم عليَّ في مرضي وخصوصاً جلالة ملكة الانكليز واعضاء العائلة المالكة الانكليزية ورجال الدولة البريطانية فان جلالة الملكة كانت تستعلم يومياً عني من اربعة من رجالها الذين معي واعضاء العائلة المالكة كانت استعلاماتهم عني متتابعة متواصلة . وكان اهتمامهم كلهم بامر صحتي يؤثر في نفسي تأثيراً عميقاً فانهم كانوا يبذلون جهدهم في تخفيف مشقة الاحتفالات والزيارات عليَّ ويرغبون اليَّ في وسط الحفلات الكبرى ان اقدّم راحتي ومقتضى صحتي في الاهتمام على كل المعاملات الرسمية . فذلك وشدة اعتنائهم بجعل مقابلاتي من احسن المقابلات في كل امر كلي وجزئي واحتفالهم بزيارتي كاحتفالهم بزيارات اعظم زائريهم من الملوك والامراء وقع في نفسي وقعاً عظيماً لما فيهِ من الدلالة على كرم الاخلاق وصدق الوداد وحسن النية

حنين سموهِ الى العائلة والوطن

ولكني لما اتممت زيارتي وعدت من انكلترا شعرت بضعف لا مزيد عليهِ وكأن كل قوتي

فارقتني فسافرت من كالي الى باريس ومنها الى ديفون وانا لا اكاد اقف على قدمي لشدة ما بي من الضعف حتى ان الاطباء في ديفون قالوا اني لا استطيع الانتقال الى هنا وأبوا ان يسمحوا لي بحمام " الدوش " لعدم احتمالي له ولكني اذهب كل يوم واستحم بمياه ديفون واراني قد اكتفيت بالاربعة عشر حماماً التي استحممتها فيها فاسترجعت قوتي وعدت الى عافيتي

ثم تنفس سموه الصعداء وقال واني كنت اقضي في هذه الجهات ستة اسابيع ولكن ارى ان فراقي لعائلتي قد طال (وبانت عليه علامات الشوق الى ولي عهده صانه الله وحماه والى الاهلين والاوطان) فأرى الاولى بي الاسراع الى الوطن ولذلك عزمت على السفر غداً وطلبت من شفيق بك ان يبلغك ذلك حتى تراني قبلما اسافر

نتيجة الزيارة لانكلترا

فقلت لسموه وعسى ان زيارة افندينا لانكلترا ارضته من الجهة الخصوصية فكانت نتيجتها حسنة لمقام الخديوية وللبلاد المصرية . فاظهر سموه تمام الرضى من كل ما رآه وما سمعه سواء كان من اعضاء العائلة المالكة او من رجال الدولة البريطانية ثم قال ولا بدّ ان تكون قد اطلعتَ على خطبة اللورد ماير محافظ لندن وحكمتَ بما لها من الاهمية الكلية حيث اكدت حسن العلائق بيننا وبين الامة الانكليزية واثبتت باجلى بيان ان مقام الخديوية هو مناط امور مصر وعليه المعوَّل واليه المرجع فيها . فنتيجة زيارتي للندن امر جلل ومرادي ان اعيد الزيارة لها من حين الى حين اذا سنحت الفرص ووافقت الاحوال لتجديد عهود الوداد وتوكيد العلائق التي تفيد البلاد

فقلت نعم يا مولاي اني طالعت تلك الخطبة بتأمل وتدبر وادركتُ منها ما اشرتم سموكم اليه ولا شك عند كثيرين من المخلصين الولاء لسموكم من رعاياكم ان هذه السياسة من احسن السياسات التي تنيل مقام الخديوية غايته وتفيد بلاده . وقد علمتُ من صديق يكاتبني من لندن ان زيارة سموكم اثرت تأثيراً حسناً جداً في اذهان الانكليز وان بعضاً من اكابرهم قال انهُ وجدكم أدرى كثيراً باحوال بلادكم مما كان يظنهُ فيكم قبل اجتماعهِ بكم

فقال سموه ان المستر تشمبرلن والمستر جوشن (من وزراء انكلترا) حدثاني طويلاً وسألاني عن مصر واهلها واحوالها واشغالها واعمالها تفصيلاً . ثم تبسم سموه وقال ولحظت بعد ذلك عليهما انهما استغربا معرفتي لبلادي واهلها واني ممازج لشعبي ومطلع على احوالهِ واشغالهِ

الخطة السياسية المصرية

ثم انتقل سموه من التعميم الى التخصيص واطال في ذلك فاقتطف من اقوالهِ الغرّ ما

يوافق المقام وما يستدل منهُ الكاتب على الخطة السياسية التي يظهر ان سموهُ يجري عليها الآن في تدبير الامور المصرية . قال اعزَّهُ الله وقد تكلمت مع كثيرين من رجال الدولة البريطانية عن جناب اللورد كرومر في زيارتي للندن فاخبرتهم صريحاً بما اراهُ وما اعتقدهُ فيهِ حيث قلتُ اني احترمهُ كثيراً واجلُّ قدرهُ لاني وجدتهُ بعد الاختبار رجلاً هماماً اميناً يخدم دولتهُ ويسعى في مصلحتها بالصدق والاستقامة . وان كنا نختلف في الرأي احياناً فهذا الاختلاف امر لا بد منهُ بين اثنين ينظر كلٌّ منهما من جهتهِ ويسعى في مصلحة خاصتهِ . ولو رأيتُ منهُ في ما مضى ضعفاً يستمال بهِ عن جادة الصدق والامانة لانحطت منزلتهُ في عيني ولم يكن لهُ عندي ما لهُ الآن من الاكرام والاحترام . وقد عرفتهُ ساعات الغيظ والرضى واجتمعت بهِ ايام الانس والجفاء وعاشرتهُ في الاتفاق والاختلاف فعرفت طباعهُ واخلاقهُ وصار سهلاً عليَّ حل المشاكل وانجاز الامور معهُ فوجودهُ عندنا محبوب عندي وميسّر لقضاء المهام عليّ . وبعد ما اسهب سموهُ في هذا المعنى طويلاً قال وان كل مسألة انحصرت بيني وبين اللورد كرومر ولم يدخل فيها سوانا ولا تعدَّت الى غيرنا زالت مشاكلها بيننا وانحلت على ما يرام بخلاف المسائل التي كان يتعرض لها سوانا معنا ونتناقلها افواه غيرنا فانها كانت تزداد اشكالاً وتعقيداً وتتعدَّد وجوه الاختلاف فيها يوماً فيوماً ثم تنتهي على غير ما يرام حتى ثبت لي بعد الاختبار ان بعض المتعرضين كان يتوخى ايغار الصدور والقاء الجفاء والنفور بيننا لغرض يعلمهُ الله . واما الآن فذلك قد زال ولم يبقَ للسعي في التفريق مجال . ثم اثنى سموهُ في سياق الكلام على جناب المستر غورست المستشار المالي لما يبدي من حب الاتفاق ولسعيهِ في تأليف القلوب وتذليل المصاعب وحلّ المشاكل في المسائل التي تعرض للحكومة ومدحهُ على سعة عقلهِ وسمو ادراكهِ ورحب صدرهِ وحسن نيتهِ وصفاء طويتهِ . ومدح جناب السر رنل رود ايضاً على لطفهِ وظرفهِ وكمال ادبهِ واجتهادهِ في تسهيل الزيارة على سموهِ ولم يبخس سعادة السردار حقهُ من المدح ايضاً

وقال سموهُ قبل ان انتقل من هذا الحديث الى غيرهِ اني لما وصلت الى كالي كلفت الكولونل كارنجتن ياور الملكة الذي كان بمعيتي ان يبلغ جلالتها شكري لفضلها ولاعضاء عائلتها على ما لقيتُ من الحفاوة وحسن الضيافة والاكرام وما رأيتُ من دلائل الوداد وحسن الوفاء وكلفت السر رنل رود ان يبلغ اللورد سالسبري وسائر النظار شكري وامتناني ويخبرهم اني سائر الى ديفون توًّا ثم اعود في اواسط الشهر القادم الى بلادي ويحتمل اني اعرّج على الاستانة في عودتي لزيارة الحضرة الشاهانية بضعة ايام حسب عادتي

فيتبين القارىء من الطرف الذي اوردتهُ من اقوال سموهِ ايدهُ الله صدق ما قلتهُ في مقالتي عن زيارة سموهِ لندن ان تلك الزيارة عنوان سياسة المسالمة والاتفاق والتعاون على الاصلاح . واني وان كنت على يقين ان هذه السياسة التي تستصوبها حكمة الجناب العالي هي عين السياسة التي يستصوبها جناب اللورد كرومر واكابر المحتلين للقطر المصري وانها عين ما تتمناهُ الدولة البريطانية كلها من جلالة ملكتها الى اصغر رجال حكومتها لا أرى بدًّا من تنبيه صغار المحتلين الى هذا الامر الجلل والسلوك على مقتضاهُ حتى يكونوا مثل رؤَسائهم واكابرهم قدوة لغيرهم في دماثة الاخلاق وحسن السلوك ورقة الجانب ولا يجعلوا للمصريين سبيلاً للشكوى من تكبرهم وتغطرسهم ومعاملتهم لهم بالازدراء والاحتقار . فليعتبروا كيف عاد الجناب العالي من بلادهم وكلهُ السنة شكر وثناء على امتهم للطف ملكتها ورقة جانب امرائها وحسن اخلاق اكابرها وعظمائها بل ليعتبروا كيف يثني كل مصري عرف رجال الوكالة البريطانية في مصر على لطفهم واحترامهم للوطنيين ومعاملتهم لهم باللطف والرقة وليقتدوا بفضلائهم في معاملة المصريين والابتعاد عما يسوءهم واجتناب اسباب الخصومة والنزاع ولا سيما بعد ما ثبت لهم ميل الاهالي جميعهم الى مسالمتهم ومحاسنتهم

عودة سموهِ الى الاسكندرية

وسألت سموهُ في سياق الحديث قائلاً والى اين تقصدون سموكم بالسلامة في سفركم من هنا فقال اني اسافر غدًا (الاثنين في ٢٣ الجاري) قاصدًا اجبال سويسرا وانتقل من مكان الى مكان حتى اصل الى فينا في اول اغسطس ثم البث فيها بضعة ايام وحينئذٍ فإِما ان اسير الى الاستانة لزيارة الحضرة الشاهانية واقيم هناك حوالي اسبوع من الزمان ثم ارجع مع عائلتي منها . واما ان اسافر الى الاسكندرية توًّا ولا اعرّج على الاستانة وتوافيني عائلتي من الاستانة اليها . وسواء عرجت على الاستانة او لم اعرج عليها فاني اصل الى الاسكندرية في اواسط شهر اوغسطس ان شاء الله

وبعد ما قضيت بين يدي سموهِ نحو ساعتين اذن لي فقمت وانا اثني جميلاً واطلب لسموهِ عمرًا طويلاً

واستأذنتهُ قبل الوداع في نشر بعض الحديث قائلاً اني اعلم يامولاي ان احاديث الملوك والامراء عزيزة يضن بها على الجرائد ولا يؤْذن بادراجها ونسبتها الى اصحابها الاَّ عند ارادة امر خطير والامر الذي تكرمتم سموكم فانبأتموني بهِ امر جلل يهم جميع المصريين فهلاَّ تفضلتم فاذنتم لي في نشرهِ افادة للجمهور . فافترَّ سموهُ وتوقدت نار الذكاء في عينيهِ ثم حولها نحوي وادام

نظرها اليَّ وهو يعمل الفكرة الثاقبة في ما هو معروض عليهِ. ثم قال افعل ما تجدهُ نافعاً. فخرجت وانا أكرر الدعاء واسرعت الى النزل الذي انا فيهِ وارسلت اليكم بهذه العجالة ليطلع القراء الكرام على ما يتشوفون اليهِ من اهم اخبار سمو الامير حفظهُ الله وزاد عزهُ وعلاهُ

نيون (بسويسرا) في ٢٢ يوليو سنة ١٩٠٠ (فارس نمر)

البعوض والحمّى

وكيفية اتقائهما

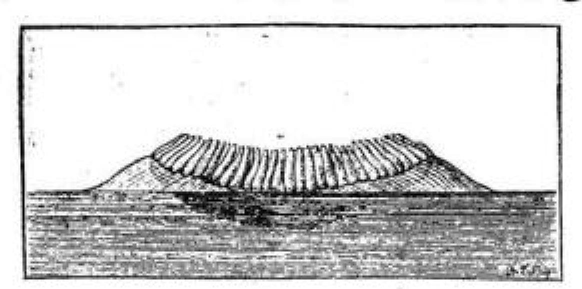
يعذرنا القراء اذا عدنا الى هذا الموضوع لانهُ ليس بين المباحث التي يهتم بها الآن علماء الطب وعلماء البيولوجيا وعلماء حفظ الصحة عموماً ما هو اهم منهُ بل يجب ان يكون لهُ الشأن الاكبر في نظر كل انسان لانهُ ما من احد الاَّ وأُصيب بالحمّى الملاريةِ او اصيب بها احد اخوتهِ او اخواتهِ او اقاربهِ وودَّ ان يعرف سبيلاً للنجاة منها وقد صار هذا السبيل معروفاً ميسوراً كما سترى في ما يلي

ظنَّ كثيرون من زمان قديم ان للبعوض علاقةً بالحمّى الملارية. ولم يقتصر ذلك على المتعلمين الذين يرقبون الحوادث الطبيعية ليردوها الى اسبابها بل شاركهم فيهِ المتوحشون فقد وجد الدكتور كوخ الشهير اناساً من سكان افريقية الاصليين في املاك المانيا بشرقي افريقية يعرفون ان الحمى التي يصابون بها اذا نزلوا من جبالهم الى السهول تأتيهم من لسع البعوض وهم يسمون هذه الحمى وهذا البعوض اسماً واحداً. وهذا شأن الفلاحين في بعض جهات ايطاليا فانهم يعتقدهم ان الحمى الملارية تأتيهم من لسع البعوض

ثم لما اكتشف لافران الجراثيم الحية في دماء المحمومين ظنَّ انها تنتقل منهم الى البعوض الذي يلسعهم ويمتص دمهم والبعوض ينقلها الى من يلسعهُ من الاصحاء فيصاب بالحمى لكنهُ لم يستطع اثبات ذلك بالامتحان ولا بالدليل

ثم وجد الدكتور غولجي وغيرهُ ان هذه الجراثيم تخلف نسلاً وهي في جسم الانسان وذلك هو سبب ادوار الحمى لكن نسلها لا يبلغ تمام نموهِ وهو في جسم الانسان ولا يبلغهُ اذا خرج منهُ وخرج من الدم ايضاً. ولا بدَّ لهُ لاتمام دور من ادوار نموهِ من ان يخرج من جسم الانسان مع قليل من دمهِ. وعليهِ فلا سبيل لانتقال الحمى من المحموم الى السليم بواسطة تنفس المحموم او نفثهِ او عرقهِ او مبرزاتهِ اذ لا بدَّ من خروج شيءٍ من الدم مع هذه الجراثيم

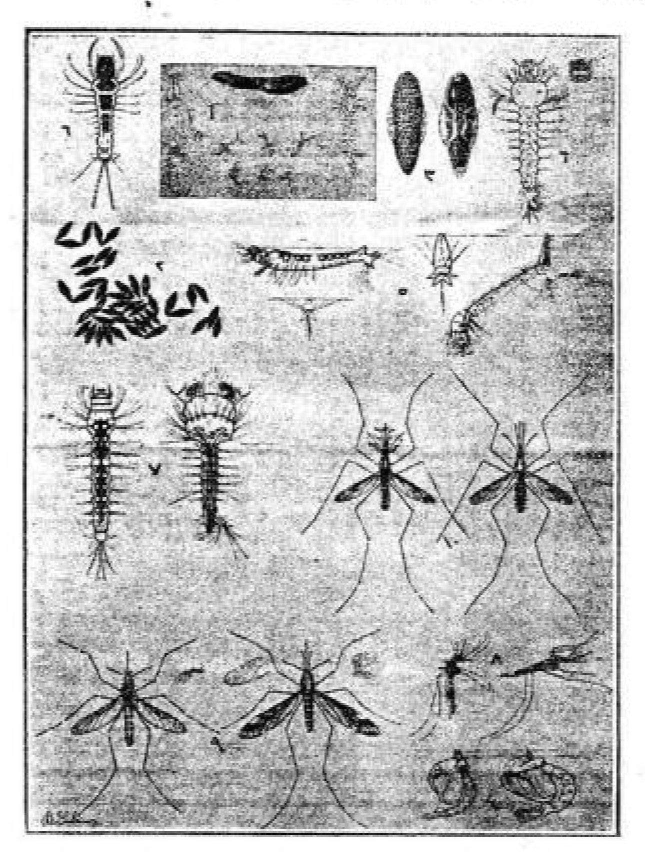
لكي يتم هذا الدور من نموها فيهِ وهو خارج جسم الانسان. ورأى الدكتور مانسون ذلك سنة ١٨٩٤ فاستنتج ان العدوى تنتقل من المحموم الى غيرهِ بواسطة البعوض الذي يلسعهُ ويمتص شيئاً من دمهِ فتتم كل الشروط اللازمة لنمو هذه الجراثيم في دم الانسان وخارج جسمهِ لكنهُ لم يثبت ذلك بالامتحان. واراد ان يمضي الى بلاد تكثر الحميات فيها مثل غينيا الجديدة فلم يستطع . فنشر رأيهُ هذا لكي يثبتهُ غيرهُ بالامتحان. وكان الدكتور روس قد جاء بالاجازة من الهند فقابلهُ وشرح لهُ رأيهُ وما يعلمهُ من هذا القبيل فعاد الى الهند وجعل يبحث وينقب ويشرّح البعوض بعد لسعهِ للمحمومين فلم يعثر على ما اراد الاَّ بعد عناءٍ كثير وتعب طويل. وجرى غيرهُ من العلماء الايطاليين مجراهُ فثبت لهم ان جراثيم الحمى الملارية التي تصيب الانسان لا تنمو في كل انواع البعوض بل في نوع واحد منها مرقّط الجناحين قليل الوجود جداً فهو عدو الانسان الذي ينقل عدوى الحميات الملارية من شخص الى آخر. وغنيٌّ عن البيان اننا اذا عرفنا هذا النوع من البعوض وميزناهُ عن غيرهِ سهل علينا اتقاء الحميات الملارية



الشكل الاول بيض البعوض طافياً على وجه الماء كما يرى من جانبهِ وهو مكبر جداً

وهذا البعوض يمتاز عن البعوض العادي في كل اطوارهِ كما سترى . وقبل ذلك نقول ان البعوضة العادية تبيض على وجه الماء الراكد او البطيء الجريان وتختار من الماء ما ليس فيهِ سمك لان السمك يأكل صغارها وتلصق بيضها بعضهُ ببعض في شكل قارب يطفو على وجه الماء كما ترى في الشكل الاول . وبعد اربعة او خمسة ايام يخرج من كل بيضة دودة صغيرة تسبح في الماء وتتدرج هذه الدودة على اطوار مختلفة الى ان تصير بعوضة وقد اوضحنا ذلك كلهُ بالرسوم الكثيرة في الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين . ورسمنا ايضاً صورة هذا القارب والدود الخارج منهُ في درجات مختلفة من نموهِ عند الرقم ١ في الشكل الثاني المرسوم بعدُ اما بعوض الحمى الملارية فلا يلصق بيضهُ بعضهُ ببعض بل يضعهُ على وجه الماء متفرقاً فيدنو

بعضةٌ من بعض كما تدنو كل الاجسام الخفيفة الطافية على وجه الماء ترى هذه البيوض عند



الشكل الثاني (١) بيض البعوض العادي وعومة في الماء · (٢) بيض بعوض حمى الربع الملارية (٣) بيضة مكبرة كثيراً من هذا البيض تظهر من وجهيها · (٤) عوم البعوض في حالة الزيز او الشرنقة اليمنى لبعوض الحمى واليسرى للبعوض الاعتيادي (٥) اليمنى عومة البعوض الاعتيادي وهي تتنفس واليسرى عومة بعوض الحمى لاصقة بسطح الماء · (٦) اليسرى عومة بعوض الحمى حال ظهورها من البيض واليمنى بعد ما تنمو · (٧) عومة البعوض العادي الى اليمين وعومة بعوض الحمى الى اليسار · (٨) شكل البعوض في وقوفه فالتي الى يمين الرقم بعوضة الحمى والتي الى يساره بعوضة عادية (٩) التي الى يمين الرقم بعوضة الحمى وهي مرقطة الجناحين وقرناها حول خرطومها طويلان · والتي الى اليسار بعوضة عادية وقرناها قصيران · (١٠) بعوض الحمى الانثى الى يمين الرقم والذكر الى يساره

الرقم ٣ في الشكل الثاني وهي متفرقة مستدقة من طرفيها كحبوب الشعير لكنها في الرسم مكبرة جدًّا عما هي في الحقيقة . وقد كبرت واحدة منها ايضاً ورسمت من وجهيها فوق الرقم ٣ وعددها قليل بين اربعين ومئة واما بيوض البعوض العادي فنحو اربع مئة او اكثر . وواضح من ذلك ان شكل البيض ووضعهُ على وجه الماء يختلف في بعوض الحمى عما هو في البعوض العادي اختلافاً كبيرًا جدًّا . فاذا رأيت بيوض بعوض الحمى في بركة او ترعة فاعلم ان بعوض الحمى موجود هناك

والديدان او العوّم التي تخرج من البيض وتصير بعوضاً تختلف ايضاً في بعوض الحمى عنها في البعوض العادي في بنائها وغذائها وطبائعها وشكل وقوفها في الماء . فعوّم البعوض العادي تصعد الى وجه الماء لتتنفس حتى اذا بلغ انبوب التنفس الذي عند طرف ذنبها سطح الماء ثبتت تحتهُ مائلة على زاوية كما ترى على يمين الرقم ٥ في الشكل الثاني وتبقى هناك لحظة ثم تغوص في الماء لتفتش عن شيء تأكلهُ ثم تعود الى وجه الماء كل دقيقة او دقيقتين . وكأنها اثقل من الماء فتتلوّى حتى تصعد الى سطحهِ واما اذا ارادت النزول فيهِ تركت نفسها لثقلها فتنزل من غير تعب كأنها جسم ثقيل طُرِح في الماء

اما عوّم بعوض الحمى فتقضي اكثر الوقت عند سطح الماء وانبوب التنفُّس في ذنبها قصير جدًّا اقصر منهُ في عوم البعوض العادي فتراها لاصقة بسطح الماء في شكل افقي كما ترى عن يسار الرقم ٥ . ورأس هذه العوم يتحرك في عنقها فتدير فاها الى سطح الماء وتاكل ما تجدهُ عليهِ مع ان بطنها يكون الى الاسفل . وتحرك اهداب فمها حركة سريعة فتندفع اليهِ الاجسام الصغيرة الطافية على وجه الماء . وجسم هذه العوم قاتم اللون يكاد يكون اسود واما جسم عوم البعوض العادي فرمادي او ضارب الى الصفرة . والظاهر ان عوّم بعوض الحمى خفيفة ثقلها كثقل الماء فلا تستطيع الغوص فيهِ الاَّ بتعب ولذلك لا تغوص فيهِ الاَّ اذا خافت

ورأس عوم البعوض العادي اكبر من رأس عوم بعوض الحمى كما ترى عن جانبي الرقم ٧ فان التي عن اليسار عومة بعوض الحمى والتي عن اليمين عومة البعوض العادي وهما صغيرتان جدًّا ويبقى هذا الفرق بينهما ولو كبرتا والاهداب التي حول الرأس مختلفة في النوع الواحد عنها في الآخر كما ترى في الاشكال المتقدمة

والعوم تستحيل الى زيزان او شرانق كما هو الحال في غيرها من الحشرات . وهذه تختلف ايضاً في النوعين اختلافاً بيناً كما ترى على جانبي الرقم ٤ فان التي الى يسار الرقم شرنقة البعوض العادي والتي الى يمينهِ شرنقة بعوض الحمى

ويختلف هذان النوعان من البعوض في شكلهما وكيفية وقوفهما على الحائط . اما

اختلاف شكليهما فيظهر عند الرقم ٩ فان البعوضة التي الى يمين الرقم انثى بعوض الحمى الملارية والبعوضة التي الى يسار الرقم انثى البعوض العادي . ومعظم الفرق في ترقيط الجناحين وفي طول القرنين اللذين على جانبي خرطومها فانهما طويلان في بعوض الحمى وقصيران في البعوض العادي

ومعلوم ان ذكر البعوض لا يمتص دماً فلا ضرر منهُ وريشتا رأسهِ طويلتا الاهداب .

وترى عند الرقم ١٠ صورة ذكر بعوض الحمى وانثاه' فالذكر الى اليسار والانثى الى اليمين فيسهل التمييز بينهما

ثم اذا وقفت بعوضة الحمى على سقف او حائط كان وقوفها عمودياً على السقف او الحائط كما ترى الى يمين الرقم ٨ واما البعوضة العادية فتقف موازية للحائط او للسقف كما ترى على يسار الرقم ٨ ورأس بعوضة الحمى يكون على استقامة بدنها كما ترى في هذا الرسم واما رأس البعوضة العادية فيكون مائلاً عليهِ كما ترى

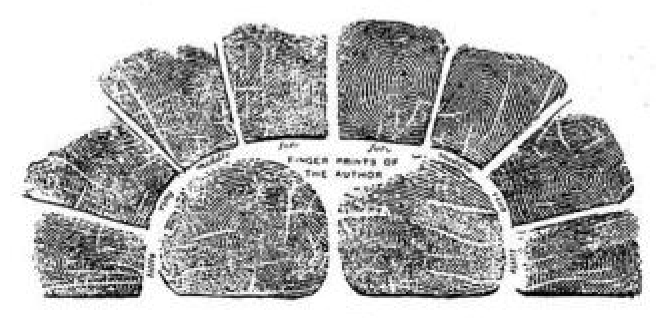
وبعوض الحمّى المرسوم ههنا هو بعوض حمى الربع والظاهر انهُ نفس بعوض بقية الحميات الملارية او ان بعوض هذه الحميات يشبههُ ويخالف البعوض العادي كما تقدَّم . وقد نقلنا الصور التي في الشكل الثاني عن جريدة السينتفك اميركان وهي واردة في مقالة للدكتور هوَرد صورها من بحثهِ الخاص في الربيع الماضي في مدينة وشنطون

واذا عرف الانسان عدوه' لم يتعذر عليهِ القاؤه' فعدو الانسان الذي يبليهِ بالحميات الملارية هو هذا النوع من البعوض وهو لا يتولد الاَّ في المستنقعات والبرك الخالية من السمك فاذا ربي السمك فيها او نُزح ماؤها حتى تجف لم يبقَ سبيل لتولد هذا البعوض وكذلك اذا صُبَّت فيها مادة تميت عومهُ كزيت البترول

والحميات الملارية كثيرة في هذا القطر والقطر الشامي وقد رأينا ان علماء الطب يغادرون بلادهم ويمضون الى اقاصي افريقية او اقاصي الهند الى البلدان التي تكثر فيها الحميات لكي يبحثوا عن علاقة البعوض بها . أفلا يهتم احد من الاطباء الشرقيين في هذا القطر والقطر الشامي بالبحث عن البعوض الذي ينقل عدوى الحمى ويدرس طبائعهُ عسى ان يكتشف طريقة تقي منهُ فيفيد ابناء نوعهِ ويخلد لنفسهِ الاسم الحسن بين العلماء الذين افادوا نوع الانسان . وقد صار اسلوب البحث سهلاً جدًّا الآن بعد كل ما اثبتهُ العلماء المحققون في هذا الموضوع فليس على الباحث الاَّ ان يقف على ما اكتشفوه' وحققوه' ثم يزيد عليهِ ما تستتب لهُ زيادتهُ

آثار الانامل

واستخدامها في مصر للدلالة على المجرمين



لم تبقَ بنا حاجة لوصف آثار الانامل وكيفية اهتداء العالم فرنسيس غالتون الى استخدامها في الدلالة على المجرمين بعد ما كتبناهُ قبلاً في هذا الموضوع . وقد عرف قرَّاء المقتطف ان هذا العالم الشهير زار القطر المصري في الشتاء الماضي وتفضَّل بزيارتنا مراراً وهو شيخ كبير السن في الثامنة والسبعين من عمره لكنهُ في همة الشبان. فلم يكد يأتي العاصمة حتى بحث عن استخدام طريقتهِ فيها للدلالة على المجرمين كما استخدمت في بلدان اخرى فوجد ان سعادة هارفي باشا حكمدار العاصمة يستخدمها لهذه الغاية وكتب في ذلك مقالةً ضافية في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية ابان فيها كيفية استعمال طريقتهِ في هذا القطر وقال فيها ما ترجمتهُ

والآن أتكلم عن المكان الذي تستعمل فيهِ هذه الطريقة في القاهرة وهو مثال في النظام والفائدة. ومما يحسن ذكرهُ في هذا المقام ان هارفي باشا ادخل هذه الطريقة ونظَّم استعمالها من تلقاء نفسهِ . والآن يُطلَب من البوليس معرفة شخصية المتهمين الذين تتعذَّر معرفة شخصيتهم وقد استخدم هذا النظام منذ سنة ١٨٩٧ مع نظام القياس ولكنهُ لم يتطرَّف فيهما

وبلغ عدد المجرمين الذين طُبِعَت آثار اناملهم ٢٠٨٣٦ نفساً سنة ١٨٩٩ وهم ١٨٥٨٢ من الرجال و٦٦١ من النساء و١٥٩٣ من الاولاد وآثار كل انسان مطبوعة على ورقة خاصةٍ بهِ وعليها قياسهُ ووصف مزاياهُ الشخصية واسمهُ وجرائمهُ . وهذه الاوراق مرتبة في ٢٤٣ درجاً واوراق كل درج رتبة حسب نوع الآثار . وهناك اربعة من المستخدمين بيدهم هذه الاوراق وهم غاية في الذكاء والهمة وقد امتحنتهم لارى في كم من الوقت يعرفون اسم انسان لو رأوا آثار انامله فكنت استخرج ورقة من الاوراق المزدوجة واريهم ما عليها من الآثار واطلب منهم

ان يجدوا اسم صاحبها فوجدت انهم كانوا يعرفون الشخص في اقل من دقيقة وعرفوهُ مرة في احدى عشرة ثانية من الزمان

وقد افادت هذه الطريقة فائدة جليلة في القطر المصري فلم يعد المجرم يستفيد من تغيير اسمهِ ولا ينضرّ غيرهُ اذا كان اسمهُ شبيهاً باسم رجل مجرم. والذين تحت مراقبة البوليس صاروا يُعرَفون اذا هربوا وبُحث عنهم بهذه الطريقة . وقد حدث في سجون مصر ان انساناً محكوماً عليهِ بالعقاب سنين كثيرة أُطلق سبيلهُ بدل انسان آخر محكوم عليهِ بالعقاب مدة قصيرة لما انتهت مدة عقاب هذا لان اسميهما متماثلان . ولم يُنصَف هذا المسكين الاَّ حينما اثبتت آثار انامله انهُ غير الرجل الذي أُطلق خطأً او عمداً مثال ذلك انهُ كان في سجن الحوض المرصود رجلان اسم كل منهما حسن محمد احدهما محكوم عليهِ بالسجن شهر ولما انقضى الشهر وذلك في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٩٨ أُطلق حسن محمد الاول المحكوم عليهِ بالسجن سنة وأُبقي الثاني في السجن . وامثال ذلك كثيرة منها ان رجلاً ارمنياً اسمهُ باغوص سنوسيان حكم عليهِ بالسجن مدة قصيرة لجريمة حقيرة فرضي ان يبقى في السجن بدل ارمني آخر اسمهُ كرنك مردنيان كان قد حكم عليهِ بالسجن مدة طويلة . ولم تعرف ادارة السجون ذلك الاَّ بعد ان قيس باغوص سنوسيان ثانية وطبعت آثار انامله حينما أُريد اخراجهُ من السجن فوجد قياسهُ مختلفاً عن قياسهِ الاول وآثار انامله مختلفة عن آثارهِ الاولى . وسُئلت ادارة تحقيق الشخصية في ذلك فوجدت ان هذه الآثار هي آثار كرنك مردنيان لا باغوص سنوسيان وفُتش عن هذا الرجل وقُبض عليهِ فوجد ان الآثار الاولى آثارهُ حقيقة لا آثار باغوص

ويستعمل هذا التحقيق الآن لمعرفة سوابق الخفراء وسوابق الخدم وفائدتهُ جلّي ولا سيما في القطر المصري حيث تتشابه الاسماء كثيراً و يسهل على الشخص الواحد ان يغير اسمهُ مراراً

و يظهر من مقالة المستر غالتون ان تحقيق الشخصية بآثار الآثار صار كثير الاستعمال في بلاد الهند فكل الذين يقبضون المعاش تحفظ آثار ناملهم حتى لا يُبدلوا بغيرهم عن خطاء او عن عمد . وكل الذين يسجلون اوراقاً تثبت شخصيتهم بآثار أناملهم بدل ختومهم حتى يستحيل عليهم انكار ما فعلوهُ . و يعتمد على آثار الانامل في كثير من دوائر الحكومة . واذا طُرد رجل من خدمة مصلحة المساحة لسوء سلوكهِ رُسمت آثار انامله بالزنكوغرافيا وطبعت على الورق ووزعت على فروع تلك المصلحة حتى اذا اتاها يطلب خدمةً عرفتهُ ولم تستخدمهُ

هذا وقد علمنا نحن من حكمدارية البوليس في العاصمة ان الرجال يقاسون وقتما تطبع آثار انامهم واما النساء فيكتفى بآثار انامهن لكي لا تعرّى ابدانهن وكذلك الصغار يكتفى

بآثار انامليهم لان قياسهم يختلف بسبب نموهم . وقد ظهرت فائدة آثار الانامل في معرفة السوابق ظهورًا جليًا مثال ذلك ان رجلاً ضُبط في سرقة بطنطا في ٢٦ مايو سنة ١٨٩٨ وادّعى ان اسمهُ علي وهبه السوداني ولكونهِ غريبًا قيس وطبعت آثار انامله وارسلت الى قلم تحقيق الشخصية في مصر للكشف عن سوابقهِ فاتضح لدى الكشف ان آثارهُ معروفة قبلاً وان الاسم الذي ادعاهُ هو غير الاسماء التي كان يدّعيها قبلاً وان لهُ خمس سوابق معروفة عند الحكومة ثلاثًا منها سرقات ادّعى في الاولى منها ان اسمهُ محمد حسن جعفر وفي الثانية ان اسمهُ جعفر عبده البربري وفي الثالثة ان اسمهُ حسن جعفر . وفي ١٩ يونيو من تلك السنة وردت من الاسكندرية اثار انامل رجل اسمهُ خليل علي وهبه ولدى البحث عنها وجد انهُ هو محمد حسن جعفر او جعفر علي البربري او علي وهبه السوداني ولم يكن يُعلَم حينئذٍ انهُ هرب من طنطا فسئلت مديرية طنطا عنهُ فورد الجواب منها انهُ هرب من السجن حقيقةً وحكم عليهِ غيابيًا وكانت المديرية آخذة في البحث عنهُ ولما أُتي بهِ الى المحاكمة انكر ان لهُ سوابق وطلبت النيابة تأجيل الدعوى وجيء بواحد من قلم المقاسات الى المحكمة لتحقيق شخصيتهِ فلما قيس ثبت بالدليل العياني انهُ هو صاحب السوابق المتقدمة وحكم عليهِ بالسجن سنة ثم استأنف فحكم عليهِ بالسجن سنتين

ولما قيس هذا الرجل في محكمة طنطا كان فيها رجل يدعي ان اسمهُ جريجيرج هرمان متهم بسرقة وكان قلم تحقيق الشخصية قد اثبت ان اسمهُ يعقوب بلال حيم وان لهُ سابقة في السرقة وحكم عليهِ بسببها في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ بمصر فانكر ذلك كلهُ فلما ثبتت شخصية الرجل الاول في المحكمة امامهُ واقترب منهُ مستخدم قلم المقاسات ليحقق شخصيتهُ قاطعهُ قائلاً لا فائدة من الاستمرار على الانكار واعترف باسمهِ الاول وسوابقهِ . وحينئذٍ طلبت المحكمة من المستخدم المشار اليهِ ان يبقى فيها حتى ختام الجلسة فاعترف كثيرون من المجرمين بسوابقهم لانهم رأوا انكارها قد صار ضربًا من العبث

ومن هذا القبيل انهُ أُفرج عن رجل اسمهُ ابرهيم حسن خضر في ٢٥ فبراير سنة ١٨٩٨ وكان مسجونًا في سجن طنطا ولم يوضع تحت مراقبة البوليس حين الافراج عنهُ وأُرسل قياسهُ وآثارهُ الى مصر فوجد حالاً ان هذا الرجل حكم عليهِ ثلاث مرات بالوضع تحت مراقبة البوليس في الاولى اربع سنوات وكان اسمهُ حينئذٍ محمد محمد الاشول وفي الثانية سنتين وكان اسمهُ ابرهيم محمد الطوخي وفي الثالثة سنتين ايضًا وكان اسمهُ ابرهيم محمد

وظهرت فائدتها ايضًا في تبرئة الابرياء من السوابق التي يحكم بها عليهم خطأً فقد قرّر

قلم السوابق القضائي لمجرم احدى عشرة سابقة لكن قلم الفحص الانثربولوجي (اي الفحص بالقياس وآثار الانامل) اثبت ان تلك السوابق ليست له بل لغيره وان الجريمة التي ارتكبها حينئذٍ هي الاولى

ومن اكبر فوائده سرعة تحقيق الشخصية فانهُ اذا قُبض على مجرم الآن في اية جهة كانت من القطر المصري وأُرسلت مقاساتهُ وآثارهُ الى قلم تحقيق الشخصية في العاصمة تعلم شخصيتهُ وما اذا كان لهُ سوابق ويرسل ذلك الى الجهة التي قُبض عليهِ فيها في مدة قصيرة جداً لا تزيد على ٤٨ ساعة بعد القبض عليهِ فلا تطول مدة الحبس التحفظي اكثر من ذلك وكان قبلاً يحبس اياماً واشهراً قبلما يعلم شيءٌ من امرهِ

وعسى ان يزيد اهتمام الحكومة المصرية بهذا القلم وتجعل لهُ فروعاً في كل المديريات وتستخدمهُ في تحقيق الشخصية في اقلام التسجيل بدل الختوم التي يلعب بها الخاتمون والمزورون حسبما يشاؤُون

هذا وقد صدَّرنا هذه المقالة بآثار انامل المستر غالتون منقولة عن كتابهِ الاول الذي نشره في هذا الموضوع سنة ١٨٩٢



كتاب المحاماة

وضعهُ حضرة الاصولي الفاضل احمد بك فتحي زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية الاهلية في المحاماة وتاريخها على تراخي الايام لهذا العهد وفيما اجتمع لها وللقضاء من الجوامع وما لزمها من الحقوق وما حق لها من الواجبات. فكان عمل المؤلف فاتحة هذا الباب بل كان هو سبَّاق غايات بمعنى انهُ لم يتقدمهُ متقدم عربي كتب في المحاماة سفراً او جلّى لها وجهاً فكأنما هو اليوم اثبت في سجل الدهر ان المحاماة برزت من ضمير الايام في بلاد العرب على الجملة وفي مصر السعيدة على التخصيص . وقد قلَّبتُ كتابهُ وتقلبت بين ابوابهِ ومطالبهِ فما وجدت الرجل الأَّ صادق العزيمة فيما جرَّد نفسهُ اليهِ اذ ترقَّت همة يراعهِ الى عهد اليونان والرومان العهيد ثم تحدَّرت برة الى هذا الجيل مجتازة وسط الاجيال غير واقفة بدار ولا مسلّمة على ديَّار وما ذاك

الاَّ لان المدى الضارب بين دولة رومية وبين دول اليوم هو مدًى اجرد برئت منهُ الحضارة ودالت فيهِ المدنيةُ الرومانية واستوت فيهِ دولة البربرة والجهل ولا محاماة الاَّ مع الحضارة. وفي عبارة اخرى ان وجود المحاماة يلزم عنهُ ولا مشاحة وجود الشرائع وقيام قسطاس العدالة ولا شرائع ولا عدالة مع ظلمات الظلم المتراكبة في ذلك الوسط من الدهر في البلدان الاوربية

وقد بوَّب حضرة المؤلف تأليفهُ تبويباً حسناً موطئاً لهُ بفاتحة اوضح فيها غرضهُ من هذا التأليف ثم شفعها بمقدمة على المحاماة من قبلُ وتمثلها علينا اليوم . وبعد هذا شرح حال المحاماة في ممالك الغرب حتى يؤتى المطالع مقارنةً بينها ومقابلة الى ان افضى بهِ الكلام الى المحاماة في البلاد المصرية فاذا هي لم تكن شيئاً قبل نشأة المحاكم المختلطة والاهلية . وكم نقَّب حضرتهُ وكم اخرج من خبايا الدفترخانات محفوظات فما زادتهُ ولا زادتنا اعتباراً للمحاماة في ولاية محمد علي وابرهيم وعباس الاول وسعيد واسماعيل . على ان المؤلف وان كان قد اخذ تاريخ المحاماة عن كتب القوم كما اشار في مقدمتهِ الاَّ انهُ حفظ لنفسهِ فضل الاختيار وفضل الرأي وما ادخل عليهِ من العظات والحكم الغوالي . والمرء بحسن اختيارهِ حتى لقد قيل ان فضل ابي تمام الشاعر الطائي المشهور كان اتمَّ واظهر في ديوان الحماسة الذي جمعهُ من اشعار العرب منهُ في ديوانهِ على نفاسة هذا الديوان وكياسة صاحبهِ وما عقد فيهِ من عقود النظم المرقصات

بقي علينا ان نطلب مواقع الرأي الذي رآهُ صاحب التأليف ومواطن النظر الذي القاهُ في المحاماة والمحامين وفي القضاء والقضاة حتى يكون لنا موضع للقول نعلقهُ على ذلك

ولا شك ولا ريب ان من قرأ اقوال المؤلف ثبت لهُ انهُ كان شريف الشعور نحو المحامين حتى انهُ انصفهم من القضاة انفسهم مع انهُ من ذوي الرئاسات فيهم فدعاهم الى اجلال المحاماة واكرامها واوصاهم بالرفق بها والارعاء عليها قائلاً ان المحاماة حلقة الخير وجسر الفائدة بين الامة والقضاء

الاَّ انهُ حمل من جهة اخرى حملة شديدة على فرقة من المحامين ساءت فعلاً وساءت مصيراً فصرفها عن مضطرب الطريق الى جادَّتهِ ودلها ابلغ الدلالة على الواجب والمفروض حتى كاد يبكيها ويستبكي عليها

وانما ذهب عن حضرتهِ الاستبلاغ في تنبيه الناس ان يصدقوا سيرةً ويستقيموا اطواراً مع المحامين وانهم اذا لم يستقيموا الى طلبات المحامين فما حلَّ لهم في شرعٍ ولا في عرفٍ ان يجعلوا حقوقهم نهباً منهوباً او سلباً مسلوباً او يحسبوا خدعة المحامي ظفراً مبيناً او ان يزين لبعضهم سوء الفهم ان يركبوا المحامي كل مركب خشنٍ في دعاويهم حسبان انهم متى صوَّروا لاقوالهم صورة

حسنة واضلوا محاميهم اضل هذا القضاء. وان هذا شر ما يقع للمحامين مع ارباب الخصومات

ثم كان الاولى بحضرتهِ ايضاً ان يستلين عرائك رجال النيابة العمومية مع المحاماة فقد كثر تحامل بعضهم على المحامين مدلين بما اعطتهم اللوائح من حق السيطرة ورفع الدعوى وان اولى الناس بمياسرة المحامين ومجاملتهم انما هم رجال النيابة لما بين الطائفتين من جامعة الصناعة ولا يقدح في هذه الجامعة ما على وظيفة النيابة من المسحة الميرية وكفى بذلك تذكرة لقوم يعقلون

ومما يُذكر للمؤلف بالحمد والثناء انهُ تحرَّج ايما تحرج في مناحي المحامي وطرق سيرهِ وما تقتضي هذه المناحي والوجهات من الطهر والشمم حتى غالى في الدعوة الى الترفُّع فقبَّح اموراً لا اخالها من مخازي المحاماة في شيء مثلاً ذكر في الصفحة ٣٨٩ في عداد ما يؤخذ على المحامي ان يعلق على باب دارهِ لوحة عليها اسمهُ واسم مهنتهِ للدلالة على مكان وجودهِ ولا اراهُ اصاب في هذه وليست المحاماة من وجوه العبادات والزهد في هذه الحياة الدنيا وانما هي حرفة شريفة من الحرف يرتزق منها اهلها وان اللوحة تهدي ذوي الحاجات القضائية الى من عساهُ ان يكشف غمتهم ويسدَّ خلتهم وعلى ذلك جرى الافرنج ايضاً والشواهد كثيرة في العاصمة والاسكندرية

وكذلك تعييبهُ المحامي لو كتب على ورق مخاطباتهِ اسمهُ ومهنتهُ ولا ارى في هذا ايضاً غضاً من قدر المحاماة. وامثال هذين المثلين كثيرة في جدول المعايب التي رتبها حضرتهُ واستنفر المحامين منها فلتطالع الصفحات ٣٨٩ و٣٩٠ و٣٩١ من الكتاب

ومن حسنات الكتاب للمصريين انهُ اشتمل على كثير من الاوامر العالية والقوانين واللوائح التي صدرت في عهد الولاية الخديوية حتى كاد تاريخ الادارة يزحم تاريخ المحاماة على ارض المحاماة اي في كتابها الموقوف عليها. وعذر المؤلف في ادخال هذا على المحاماة احكام الرابطة بين المحاماة والحكومة وانهُ لم يتيسر لهُ في مطالعاتهِ التي اتاها في دفترخانات الحكومة وفي مكاتبها الاَّ ما نقلهُ الى كتاب المحاماة على جهة العوض مما اراد ثم تنويراً للاذهان فيما كانت الدنيا عليهِ والعهد غير قريب وفيما صارت اليهِ من المساواة والعدالة والحرية والشاهد بين ايدينا. ولعلي لم أتنقَّص حق المؤلف الفاضل فيما بسطتهُ فان من الجرائم اكبر الجرائم ان تؤذى نفوس الاحرار المجتهدين على غير ما داعٍ ولا سبب ا . . .



البنوك والشركات الصناعية

نشرت غرفة التجارة البريطانية بالاسكندرية كرّاسة ذكرت فيها اسماء البنوك والشركات التجارية والصناعية التي في القطر المصري مثل البنك الاهلي المصري وبنك الانجلو اجيسيان والبنك المصري والبنك العقاري المصري والكريدي ليونه وشركة سكة حديد الدلتا وشركة سكة حديد حلوان وشركة سكة حديد الفيوم وشركة كوك وولده والشركة التوفيقية وشركة الانجلو امركان وشركة ماء القاهرة وشركة ماء الاسكندرية وهلمّ جرًّا

ووصفت كل شركة من هذه الشركات وذكرت رأس مالها ومقدار اسهمها والارباح التي وزعتها عليها وسعر اسهمها سنة ١٨٩٩ ومما يحق ذكرهُ عبرةً للمعتبر الفرق الفاحش بين اعلى ما بلغتهُ الاسعار في العام الماضي وما بلغتهُ عند كتابة هذه السطور في اوائل اغسطس

	بنس	شلن	جنيه	بنس	شلن	جنيه	اصل القيمة
السندبكات المصري	٣	١٤	١	٦	٢	١	١
اسهم الاسواق المصرية	٦	١٣	١	٩	١	١	١
معامل النسج والغزل	٦	٢	١	٠	١٠	٠	١
شركة الملح والصودا	٣	١	١	٦	١٦		١
سكة حديد الدلتا			١٧		٥	١٠	١٠

ولم تهبط اسهم كل الشركات والبنوك كذلك وبعضها لم يهبط مطلقًا او صعد قليلاً ولكن هذه هي الاسهم التي كثر التحدُّث فيها والاقبال عليها وارتفعت اسعارها عن ثمنها الاصلي ارتفاعًا فاحشًا قبلما ربحت غرشًا واحدًا

الحفر الكهربائي

لا يخفى ما في حفر الصور على الحديد والنحاس من المشقة حتى لقد يقضي الصانع الماهر اياماً واشهراً على حفر صورة واحدة . وقد استنبط رجل الماني اسمهُ ريدر اسلوباً جديداً لحفر الصور بالكهربائية نجاءِ وافياً بالمراد

ذلك انهُ اذا غطسنا صفيحتين من الحديد في مذوب كلوريد الامونيوم ووصلنا احداهما بالقطب الايجابي من بطرية كهربائية والاخرى بالقطب السلبي أُكل الحديد من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي وذاب في الكلوريد فصار منهُ كلوريد الحديد ثم رسب الحديد منهُ على الصفيحة المتصلة بالقطب السلبي . واذا غطينا جانباً من الصفيحة المتصلة بالقطب الايجابي بقليل من صمغ اللاك لم يؤكل الحديد من تحتهِ كما يؤكل من بقية الصفيحة فيمكن ان يرسم عليها هلال مثلاً بصمغ اللاك وتوضع في السائل فلا تمضي مدة طويلة حتى يصير رسم الهلال عليها ظاهراً بارزاً لان الحديد يكون قد أُكل من كل ما حولهُ

وهذا الاسلوب من الحفر الكهربائي معروف من زمان طويل ولكنهُ كان يستعمل في السطوح المستوية فقط واما اذا اريد ان يرسم في الحديد صورة بارزة او غائرة فيها مرتفعات ومنخفضات كصور الوسامات ونحوها فلا يمكن استعمالهُ . وهنا تظهر فائدة الاسلوب الذي استنبطهُ ريدر وكان اولاً يأتي باناء من الزجاج يضع فيهِ مذوب كلوريد الامونيوم و يغطس فيهِ صفيحة من الحديد (الصلب) يصلها بالقطب السلبي من بطرية كهربائية ولهذا الاناء غطاء في وسطهِ اناء صغير من الزجاج يضع فيهِ قطعةً من الجبس في اعلاها الرسم الذي يطلب نقلهُ الى الحديد وقطعة الجبس تملأُ هذا الاناء الصغير تماماً وهو مثقوب من اسفلهِ فتمتص السائل من الاناء الكبير وتترطب بهِ . وتوضع صفيحة الحديد (الصلب) التي يراد نقش الصورة عليها فوق قطعة الجبس حتى تلمس الرسم الذي عليها وتوصل هذه القطعة بالقطب الايجابي وللحال يبتدئ الحديد يذوب من قطعة الحديد المتصلة بالرسم وينزل الى السائل و يرسب على الصفيحة التي فيهِ . الاَّ ان هذا الفعل الكهربائي يجري نحو ثلث دقيقة ثم ينقطع لان سطح قطعة الحديد الملامس للرسم يكتسي مادة تمنع ايصال الكربائية فلا بد من تنظيفهِ بفرشاة ودهن الرسم بمذوب كلوريد الامونيوم الجديد . وقد صنع المخترع آلة تنظف سطح الحديد من نفسها فصارت الصور والرسوم تحفر بها على اتم المرام

الطبع المنير على الورق

اذب ١٢٥ غراماً من الجلاتين الابيض وغراماً من الغليسرين في ٥٠٠ غرام من الماء في حمَّام مائي واضف الى المذوب ٣٥٠ غراماً من كبريتيد الكلسيوم الفصفوري ممزوجاً بقليل من تحت نيترات البزموث وانت تحركهُ جيداً وادهن الورق دهنتين بهذا المزيج ثم ادهنهُ بفرنيش الكوبال او اللاك . فاذا عرض هذا الورق لنور الشمس ثم وضع في الظلام انار بنور فصفوري

الجبسين

الجبسين اسم لنوع جديد من الاجر (الطوب المشوي) يصنع من الجير والرمل والاسبستوس لا يحترق بالنار ولا يوصل حرارتها جربته جمعية منع الحريق في بلاد الانكليز فبنت بهِ جداراً طولهُ عشر اقدام واضرمت النار بجانبهِ حتى بلغت حرارتها ٢٠٥٠ درجة بميزان فارنهيت فبقي الجدار على حالهِ ولم يسخن من الجانب الآخر سخونة تكفي لاشعال عود من عيدان الكبريت



القوّة المطلوبة

مضينا بالامس من القاهرة الى بنها وكان الجو صافياً والريح بليلاً فاطللنا من كوة المركبة نستشرف مزارع القطر وقد كُسيت حلة سندسية تطرّزت بانوار الدر والكهرمان لكننا لم نكد نخرج من العاصمة حتى حسبنا انفسنا في ضواحي مدينة من مدن انكلترا لكثرة المداخن وما فوقها من قتام الدخان منظر لم تعتدهُ افريقية بلاد الراحة والسكينة لكن المزاحمة الشديدة في هذا العصر والخوف من قلّة الماء اضطرّ الناس ان يكثروا الآلات البخارية لرفع الماء من النيل وترعهِ ويوقدوا فيها الفحم الحجري على غلاء ثمنهِ . وقد ابتاع القطر المصري في الستة لاشهر الاولى من هذه السنة من الفحم الحجري ما ثمنهُ ٥٤٢٩٩١ جنيهاً بحسب تقدير الجمارك حرق اكثرها لتوليد قوة بخارية ترفع الماء لري القطان

حينما يرى الناس ذلك يخطر لهم ان يستعيضوا عن قوة البخار بقوة اخرى . وذلك ليس بالامر العسير اذا كان الماء قريباً والمقدار المطلوب منهُ غير كثير فتستعمل السواقي والطنابير والبدالات والشواديف وما اشبه ولكن اذا كان الماء عميقاً و يطلب منهُ شيءٌ كثير في وقت قليل كما اذا اضطرَّ انسان ان يروي مئتي فدان في خمسة ايام وكانت المناوبة لا تسمح لهُ باكثر من خمسة ايام وقد لا يجد الماء الكافي فيها كلها فلا سبيل لهُ لارواثها الاَّ بآلة بخارية كبيرة ترفع الماء الكافي في تلك الايام . نعم ان الآلة البخارية مهما كانت متقنة لا يستخدم بها اكثر من ١٤ في المئة من القوّة التي كانت في الفحم المحروق فيها ولكن لا توجد واسطة

اخرى حتى الآن لاستخدام كل القوَّة التي في الفحم او لاستخدام اكثر من ١٤ في المئة من قوته

ولو كان ماء النيل متحدرًا لسهل عمل آلات تدور بحركة الماء وترفعهُ بدورانها ولكن لو كان تحدُّر ماء النيل اكثر مما هو الآن لعُملت التدابير الكافية لجعل الري كلهِ بالراحة من غير آلات وذلك برفع مآخذ الترع

اما اذا كان الماء قريباً او كان المقدار المطلوب منهُ غير كثير كأن يكون المطلوب ارواء بضعة افدنة فالسواقي المتقنة العمل التي لا يضيع فيها كثير من القوة تفي بالمراد لاسيما وان الحيوان الذي يديرها يستخدم لاعمال أُخرى حينما لا يراد ادارتها . قلنا السواقي المتقنة العمل لان اكثر السواقي التي رأيناها ولاسيما الاشكال القديمة منها مصنوعة على اسلوب يضيع فيهِ اكثر القوَّة بالاحتكاك ويرفع الماء بها بالعناء الشديد وينصبُّ جانب كبير منهُ قبل بلوغهِ المجرى الذي يراد صبُّهُ فيهِ فتضيع بهِ قوة أُخرى. ومن الغريب ان بقيت هذه السواقي مستعملة حتى الآن في قطر استنبطت فيهِ اول الآلات المائية وابدعها صنعاً وهي التابوت المعروف او لولب الفيلسوف ارخميدس . ولكن اذا جرت الاعمال من غير ان يساعدها العلم قلَّ تقدُّمها او زادت تأخرًا . ولو كان اصحاب الآلات الرافعة يعرفون ما هي القوة وماذا يضيع منها وماذا يستعمل لرأيتهم يتسابقون الى اتقانها واستخدام اقلها نفقةً واكثرها فائدةً

البغال في الزراعة

البغل من انفع الحيوانات واكثرها ربحاً ولا بدَّ منهُ لكل بلاد زراعية كما لا بدَّ منهُ لنقل المهمات وجر المدافع والمركبات في الحرب . وهو متولد بين الحمار والفرس كما لا يخفى لكن التوليد بينهما على غير رضى الفرس فلا تقبل ان يدنو الحمار منها باختيارها ولا يتمُّ تلقيحها منهُ بسهولة لانهُ اذا صحَّ التلقيح ثلاث مرات من كل اربع مرات اذا كان الذكر حصانًا لا يصحُّ الاَّ مرتين اذا كان الذكر حمارًا . ثم ان مدة حمل الفرس حينئذٍ ٣٧٥ يوماً اي انها اطول مما لو لقحت من حصان . وهي معرَّضة للاسقاط اكثر مما لو لقحت من حصان

ولا بدَّ من الاعتناء بانتقاء الفرس في توليد البغال حتى تصلح بها عيوب الحمير فان الحمار يكون كبير الرأس قصير العنق منبسط الخاصرين واطيء الكتفين ضيق الكفل دقيق القوائم والافخاذ والحوافر فتختار الفرس صغيرة الرأس مستديرة الجسم قصيرة الظهر واسعة الكفل كبيرة الافخاذ والقوائم طويلة العنق مستديرة الحوافر. ويحسن ان يكون ارتفاع الحمار ١٣ قبضة الى ١٤ . والبغال ترث شكلها ومزاياها من ابيها وترث حجمها من امها ولكنها لا ترث عيوب

امها اذا كان في خلقتها عيب ولذلك فالافراس التي لا تصلح لانتاج الخيل تصلح لانتاج البغال

وفلو البغل اضعف من فلو الحصان وابطأ منهُ نموًّا ولا يبلغ اشدَّهُ قبلما يصير عمرهُ اربع سنوات ولكن مدة خدمتهِ اطول كثيرًا من مدة خدمة الحصان فيستخدم ثلاثين سنة او اربعين وهو اذا بلغ اشدَّهُ صار علوهُ من ١٣ قبضة الى ١٥ او ١٦ ويفضَّل ما كان علوهُ بين ١٤ و١٥

ويرث البغل مزاياهُ من ابيهِ كما تقدَّم فان قصر رأسهِ وضخامتهُ وطول اذنيهِ ودقة قوائمهِ وصغر حوافرهِ وقصر عرفهِ وخلو اعلى ذنبهِ من الشعر الطويل كل ذلك موروث من الحمار . واما علوهُ وشكل عنقهِ وكفلهِ واسنانهِ فمن امهِ . وشحيج البغل (اي صوتهُ) يخالف صهيل الخيل ونهيق الحمير لكنهُ اقرب الى الاول منهُ الى الثاني . ولون البغال تختلف من الاسود الى الرمادي والابيض وقد يكون فيها مسحة من اللون الاشقر. وهي في الصبر والثبات ورسوخ القدم كالحمير وفي القوة والنشاط والهمة كالخيل وتفضل على الخيل لنقل الاثقال وجرها لان جلدها اصلب واقل حساسة من جلد الخيل . وهي ايضًا اشد احتمالاً للحر والبرد من الخيل . واكلها قليل وعلفها سهل وقدمها ثابتة فتسير في اضيق الشعاب واكثرها تحدُّرًا من غير ان تزلق كأنها المعزى ولذلك تفضَّل على كل حيوانات النقل في البلدان الحارَّة الجافَّة اذا كانت جبلية وهي اقل من الخيل تعرُّضًا للامراض. فبعد دخول الانكليز الى القطر المصري سنة ١٨٨٢ اصيبت خيلهم بنوع من الحمَّى الملاريبة واما البغال فلم تصب بها . ولكن الادواء التي تصيب الحمير كالسقاية تصيب البغال ايضًا وتفتك بها سريعًا

وقد كتب بعضهم منذ مدة الى جريدة الزارع الاميركية " انهُ كان يربي البغال والخيل ويطعم افلاء الخيل اجود انواع العلف وافلاء البغال اردأهُ ومع ذلك كانت البغال تكبر وتقوى اكثر من الخيل وتباع بثمن اكثر من ثمن الخيل فخطر لهُ ان يحسب ذلك حسابًا مدققًا فجعل يكتب ثمن العلف في دفتر يوميًا فوجد ان ثمن العلف الكافي لفلو البغل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ ستة جنيهات وثمن العلف الكافي لمهر الخيل في السنوات الثلاث الاولى من عمرهِ اثنا عشر ريالاً . وانهُ اذا أُطلقت الخيل والبغال في المراعي القليلة الكلاءِ فالبغال تعيش جيدًا حيث تموت الخيل من قلة المرعى . وكانت الخيل تعود الى بيتهِ في طلب العلف واما البغال فتبقى في المراعي مهما كانت قليلة العشب وتوغل فيها حتى انهُ لم يكن يهتدي اليها الاَّ بتعليق الاجراس في اعناقها . ثم اذا أراد بيعها وجد ان متوسط ثمن البغل اكثر من متوسط ثمن الحصان عشرة جنيهات او اكثر . وثبت لهُ بعد طول الاختبار ان البغل

يعمل في حياتهِ مضاعف ما يعملهُ الحصان ونفقاتهُ نصف نفقات الحصان فهو في عملهِ مثل حصانين وفي نفقاتهِ مثل نصف حصان

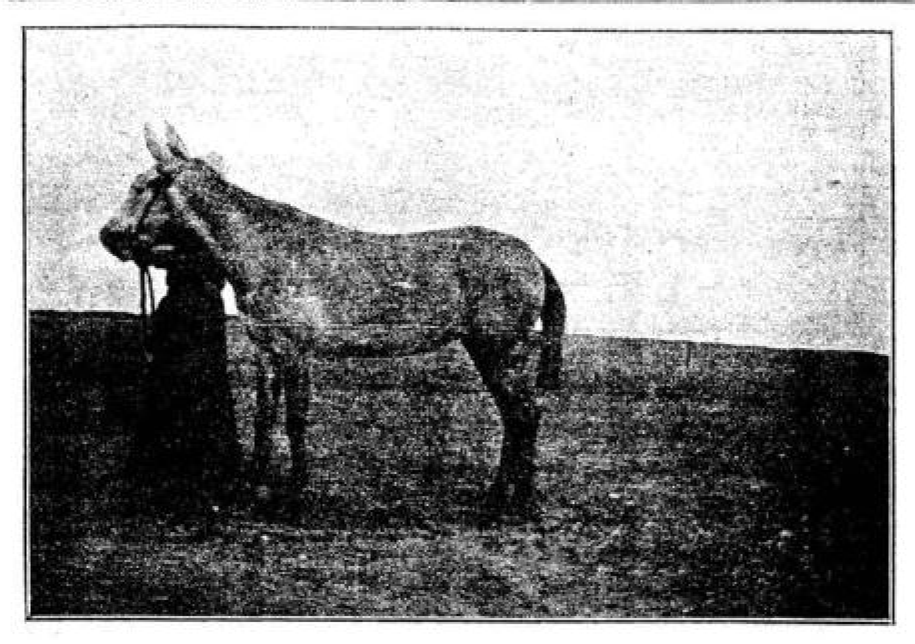
اما البغال التي ترفس فقد تعلمت ذلك تعلمًا وهي صغيرة. واذا اعتني بتربية البغال من صغرها كانت اليفة الى الغاية القصوى . ومعلوم ان البغل جامع لصفات امهِ الفرس من حيث الجرم والشكل والفطنة ولصفات ابيهِ الحمار من حيث القوة والصبر وطول العمر وتحمل المشاق. ويوصف البغل بالعناد وهي الصفة التي تجعلهُ انفع البهائم لجرّ الاثقال لانهُ يبقى يجرُّ ويشد حتى يقع على الارض عياءً

ويُعمَّرُ البغل عمرًا طويلاً وقلما يمرض فيعمل على الدوام من حين يكون عمرهُ ثلاث سنوات الى ان يبلغ اربعين سنة من العمر . وقد عرفت بغال عملت خمسين سنة متوالية ولم تمرض قط ولا طلبت الراحة . وهضم البغال جيد جدًّا وطلبها للطعام غير كثير فتكتفي بالقليل منهُ ولا تسأل عن نوع العلف فان لم تطعم علفها العادي اكلت مما يقدم لها بل قد تكتفي بتقشير الاشجار واكل لحاها

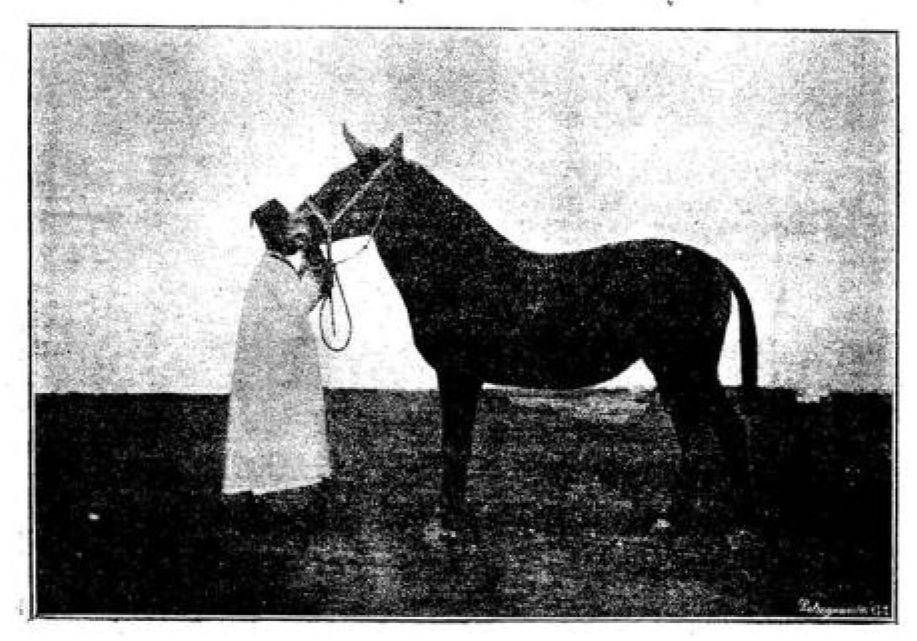
والبغال لا تسير عدوًا كالخيل ولكنها تمشي بسرعة وتستمرّ عليها اثنتي عشر ساعة متوالية وجملة القول ان البغال تعمر اكثر من الخيل وهي اصبر منها واقدر على العمل وثمن علفها نصف ثمن علف الخيل "

والبغل معروف من قديم الزمان من عهد بني اسرائيل وعهد اليونان والرومان وهو موجود الآن في كل الاقطار ولاسيما في فرنسا واسبانيا وايطاليا . وبغال اسيا الصغرى وسورية وقبرص ومصر والجزائر موصوفة بجودتها وكذلك بغال البلاد التي بين دجلة وبلاد فارس وشمالي الصين وبلاد البنجاب في الهند واميركا الشمالية ولاسيما ولاية كنتكي وبلاد المكسيك

ولا بد من البغال لكل بلاد زراعية وكان المنتظر ان تكون البغال كثيرة في القطر المصري حتى لا تجلب اليهِ من بلدان أُخرى او حتى تصدر منهُ الى البلدان الاخرى لكن الامر ليس كذلك والبغال المصرية قليلة جدًّا حتى الآن . لما فتح المعرض الزراعي في الربيع الماضي عُرِضت فيهِ البغال مع ما عرض من الحيوانات فحازت الجائزة الاولى بغلة مصرية لسعادة مصطفى باشا وهبي مدير الدقهلية وبغلة أُخرى شامية لمصلحة التنظيم وهما مرسومتان في الشكلين المقابلين . وقد حكم المستر لتلود الطبيب البيطري المشهور " ان البغلة المصرية تشابه البغلة الشامية ولو كانت دونها في كثير من الامور التي ينظر اليها في تأصيل الحيوانات وانهُ لا بدَّ من زيادة الاهتمام بتوليد البغال وتربيتها في هذا القطر بزيادة حاجة الزراعة اليها "



بغلة شامية ملك مصلحة التنظيم (جائزة اولى)



بغلة بلدية ملك سعادة مصطفى باشا وهبي (جائزة اولى)

صادرات ستة اشهر

زادت قيمة الصادرات من القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة عما كانت عليهِ في السنة الماضية ١٩٢٠-٢١ اي نحو مليونين من الجنيهات . وهاك اهم المواد الزراعية التي صدرت وقيمتها بالجنيهات المصرية

	هذا العام	العام الماضي	الزيادة	النقصان
بيض	٨١٠٠٩	٢٩٣٦٣	٥١٦٤٦	
شعير	٥٠٦٨٠	٤٩٧٣٤	٩٤٦	
فول	١٣٦٢٩٥	٢٨١٦٩٠		١٤٥٣٩٥
بزرة قطن	٩٢٩٠٨٤	٦٣٥٥٠٣	٢٩٣٥٨١	
بصل	١٥٢١٠٤	٢٢٧٣٧٤		٧٥٢٧٠
سكر	٤٨١٣٢٣	٦١٦٦٦٢		١٣٥٣٣٩
قطن	٦٨٤٢١٦٥	٤٨٨٨٤٣٨	١٩٥٣٧٢٧	

ويظهر من ذلك ان الزيادة في ثمن القطن في الستة الاشهر الاولى من هذا العام هي اكثر من مجموع الزيادة في كل صادرات القطر لان بعضها كالفول والبصل والسكر قد نقص كثيراً هذا العام . والظاهر ان تجارة البصل ليست رابحة كما كان يظن

محصول القمح الاميركي

قدّر القمح الموجود الآن للقطوعية في الولايات المتحدة الاميركية وكندا واوربا والآتي من استراليا وارجنتينا ١٣٩١٨٦٠٠٠ بشل وكان في العام الماضي ١٤٣٥٨٣٠٠٠ بشل اما الموسم الجديد فالاميركي منهُ اقل من موسم العام الماضي بمئة مليون بشل . والمحقق الآن ان القمح سيكون في العام المقبل اقل مما كان هذا العام

موسم القطن

وردت الينا تباشير القطن في ٨ اغسطس من زراعة حضرة شريف بك عمر بصهرجت الكبرى بمركز ميت غمر وهي ناعمة الملمس دقيقة الشعر متينتهُ . ويظهر لنا من استقراء البحث ان الذين بكروا في زراعتهم اصاب قطنهم العطش قبل ورود ماء الفيضان فاصابهُ شيء من الضرر بسبب ذلك اما الذين تأخروا في زرع القطن فاحتمل قطنهم العطش بسهولة وهو صغير

ثم لما كبر كانت مياه الفيضان قد زادت فنما بها جيدًا ونموهُ حتى الآن احسن من نمو القطن المبكر ولكن القطن المبكر كاد ينجو من كل الآفات التي يمكن ان تصيبهُ واما القطن المؤخر فلم يزل معرَّضًا لشيء من الخطر اذا برد الهواء كثيرًا في هذا الشهر والشهر التالي. ويقال جملة ان الموسم متوسط اذا سلم من الافات الجوية فقد يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون بالة او يزيد عليها

امراض المواشي

كتب المستر لتاود المفتش البيطري في القطر المصري تقريرًا عن امراض المواشي في القطر المصري يظهر منهُ انهُ أُصيب بداء السقاوة والسراجة ٤٢ حيوانًا فقط في القاهرة والاسكندرية في غضون العام الماضي واصيب ١٠٢ من الخرفان بداء الجدري في مديرية البحيرة في شهري اكتوبر ونوفمبر وهذا الداء يفد من بلاد الصحراء الغربية مع القطعان التي ترد منها ولم ينتبه اليهِ في القطر المصري قبل سنة ١٨٩٥ . وقد طعم المستر برافتش الغنم بطعم الجدري البقري فوجدهُ يقيها من الجدري

اما الحمى القلاعية فشوهدت اولاً في شهر يوليو من العام الماضي في البقر والجواميس في الوجه البحري وامتدَّت الى الوجه القبلي بواسطة حيوانات اشترتها الدائرة السنية من الوجه البحري . وقد دخل هذا الداء القطر المصري بعد جلب المواشي الروسية اليهِ والظاهر انهُ منها. وكانت وطأة الداء خفيفة ولا نظن انهُ مات بهِ من المواشي عشر ما انضرَّت البلاد باقفال اسواقها بسببهِ او عشر ما انفق على الاطباء لمقاومتهِ ولكن يحتمل انهُ لو لم يتدارك بالهمة لانتشر في البلاد وفتك بمواشيها

وقد ظهر طاعون المواشي في السودان اتاها من مواشٍ أُتي بها من الجدين التابعة لايطاليا وأُتي بالمصل لتلقيح المواشي بهِ من بلاد الراس فأفاد كثيرًا وكانت الاصابات بهِ كما يأتي

السودان الشرقي	يناير	٥٦٦
	فبراير	١٣٠
	مارس	٠٥٠
	ابريل	٢٧
الانبرة	ابريل	١٩
بربر	مايو	١٠
كسلا	سبتمبر	٤٨
المجموع		٨٥٠



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الانجيل بلغة البرابرة

سادتي الافاضل اصحاب المقتطف

عثرت على نسخة من انجيل "مرقص" مكتوبة بالخط العربي بلغة البرابرة العامة سكان الاقاليم التي بين كرسكو ودنقله اي بطن الحجر وسكوت ومحص . وهي تشبه جزءا من القرآن اي انها مطبوعة على حدة على ورق نباتي . وقد بلغني ان الذين طبعوها من جمعية انكليزية دينية وما قصدوا بطبعها الاَّ نشر الدين المسيحي فارجو ان تفيدوني عن هذه الجمعية وتاريخها وبكم لغة طبعت الانجيل حتى الآن لكي اذكر ذلك في كتابي الذي عزمتُ على طبعهِ قريباً ولكم الفضل . ثم ارجو من فضلكم ان تخبروني ما هو السبب الحقيقي لان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي واما علماؤنا فلا يهتمون الاَّ بمثل صرف عمر وتحقيق معاني بعض الابيات الشعرية

مصر محمد عمر

[المقتطف] لا نعلم اية جمعية طبعت انجيل مرقص بلغة البرابرة ولكننا نرجح انها جمعية نشر التوراة البريطانية والاجنبية "British and Foreign Bible Society" فاذا كان الامر كذلك فهذه الجمعية انشئت سنة ١٨٠٤ وغرضها نشر التوراة والانجيل وقد وزعت حتى سنة ١٨٩٩ مئة وستين مليون نسخة بثلثمئة واربع وستين لغة ونفقاتها السنوية الآن نحو ٢٣٠ الف جنيه تجمعها من اهل المبرَّات . ثم ان علماء الدين المسيحي يتجادلون ويتناقشون في امور لا طائل تحتها مثل غيرهم واذا اراد الله بقوم شرًّا اعطاهم الجدَل ومنعهم العمل . واهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين . وعندنا انهُ لو اهتمت الجمعيات الدينية المسيحية بنشر الانجيل في اللغة الانكليزية وعلَّمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير ان يترجموهُ

لكان نجاحهم اتم لكنهم جروا على ضد ذلك وقد رأينا المرسلين الاميركيين في سورية يمنعون تلامذتهم من تعلم اللغة الانكليزية بين سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٥ ونظن انهم يفعلون ذلك في اكثر البلدان التي يمضون اليها فيتعلمون لغة اهلها ويترجمون الكتاب المقدس اليها وهم لو علموهم اللغة الانكليزية لقرأوا الكتاب المقدس بها واستفادوا من معرفتها اضعاف ما يمكن ان يفيدهم بهِ المرسلون بلغتهم

نسيم بشور

سيدي الفاضلين منشئي المقتطف المحترمين

بملء الاسف والحزن انقل اليكما خبر وفاة الوجيه الفاضل المرحوم نسيم افندي بشور احد اعيان هذه البلاد ورئيس الطائفة المسيحية فيها عزيز قومهِ ووجيه بلادهِ نصير الفضل وخادم الانسانية. ما تأسَّت الافئدة بهِ بعد وفاة المرحوم والدهِ خادماً للوطن وحليفاً للانسانية يُشدُّ بهِ الأزر ويُشفى بهِ الغليل. لكن وأسفاه شاطرتنا الأيام شخصهُ ونازعتنا المنون شبابهُ واخذتهُ منا كهلاً فيهِ حكمة الشيوخ وقوَّة الشبان وطاعة الفتيان ملآن معرفةً وحكمةً ومحبةً وحنوًا وشفقة ورفقا

ذا غصنُ فضلٍ زهت اثمارهُ ونمت قبلَ اكتهالٍ فزادَ الحملُ فانقصفا

فحلت هذه المصيبة حلولاً ثقيلاً بقلوب لا طاقة لها على احتمالها

توفي الفقيد الكريم أصيل يوم الجمعة في ١٣ تموز (يوليو) ولهُ من العمر ٤٦ عاماً قضى أكثرها في خدمة الوطن ولم ينتشر خبر نعيهِ في هذه الجهات الأ وتقاطر وجوه البلاد على اختلاف الطوائف والمشارب لمشاطرة اسرتهِ الكريمة الاسى والاحزان والجميع يندبون وطنياً عزيزاً ووجيهاً غيوراً ولسان حالهم يقول

نعاهُ لنا الناعي ففي كلِّ مدمعٍ دموعٌ ولكن في الاضالعِ أسهمُ

وقبل غياب شمس يوم السبت حُمل ذاك الجسم اللطيف على الاكف ووارَوهُ التراب على رجاء القيامة والخلود وقام بصلاة الجنازة غبطة المطران نيقوديمس رئيس كهنة الملة الارثوذكسية في عكار وما يليها وعدد كبير من الكهنة وأبَّنهُ الشعراء والادباء وعدَّدوا ما لهُ ولابيهِ من الصفات الحميدة والفعال الكريمة فكان المشهد مؤثرًا والمأتم محزنًا وما كنت ترى الأ عيناً تدمع وقلباً يصدع

نسألهُ تعالى ان يعزي قلوب عائلتهِ الكريمة ويتغمد الفقيد برحمتهِ ورضوانهِ

برج صافيتا سليمان الحلو

الدقائق العربية

اطلعت على ما كتبهُ الاستاذ الشرتوني في الدقائق العربية وكنت كما قرأت دقيقة منها ورأيت شواهدها اقول في نفسي ترى هل يجوز ان نأخذ مأخذ بعض الكتّاب النابغين من المحدثين ونحذو حذوهم في ما خالفوا بهِ المتقدمين. وان كان ذلك غير جائز ما دام الكاتب منهم في قيد الحياة ولا اذا مرَّ عليهِ قرن او قرنان فكم هي السنون الشرعية التي يجب ان تمرَّ حتى يصير قول الكاتب حجةً يؤخذ بها كقول الاشموني مثلاً في "عوض عن حرف" اوحتى يصير كلام من كان مثل الجبرتي حجة مثل كلام ابن الاثير من حيث اللغة. واني اطرح هذا السؤال على حضرة الاستاذ الشرتوني ومَن حذا حذوهُ من علماء اللغة عسى ان يتوسعوا فيهِ ويدلونا على الحد الذي نقف عندهُ الآن في الاعتماد على الكتّاب الاقدمين ويضعوا لنا قاعدة نعرف بها مقدار السنين التي يرجع فيها في المستقبل الى ما مضى من هذا القبيل فنعلم منها عدد السنين التي يجب ان تمر حتى يصير استعمال الكتّاب في عصرنا هذا قاعدةً يُجرى عليها

مصر مستفيد

مدينة الخنساء

حضرات منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما كتبهُ الكاتب المحقق الامير شكيب ارسلان عن الصين في الجزء الاخير من المقتطف الى ان وصلت الى استشهادهِ بابن بطوطة فاستغربت تصديقهُ لما يكتبهُ ابن بطوطة في هذا الشأن وكلامهُ في رحلتهِ مضطرب اشد الاضطراب لا يستدلُّ منهُ على انهُ كان يفرق الصين الاصلية عن غيرها من بلدان الهند الشرقية نعم انهُ سمَّى مدينة الصين الكبرى بالخنساء وهو قريب من الاسم الذي سماها بهِ ماركو بولو "كنساي" ومن الاسم الصيني كنغ ساي اي العاصمة وهو الاسم او اللقب الذي يُطلق على بكين الآن ولكن ذلك وانطباق بعض وصفهِ على احوال اهل الصين لا يدل على انهُ دخل تلك البلاد بنفسهِ بل نقل ما نقل عن غيرهِ وذلك اسلم لسمعتهِ من ارتكابهِ ما ارتكبهُ في القصص التي اوردها كقصة المشعوذ الذي طار في الهواء هو وغلامهُ وقطع الغلام ورماهُ الى الارض قطعاً "ثم هبط وهو ينفخ وثيابهُ ملطخة بالدم فقبَّل الارض بين يدي الامير وكلمهُ بالصيني ثم اخذ اعضاء الصبي فالصق بعضها ببعض ورفسهُ برجلهِ فقام سوياً" وقد استدرك ابن بطوطة بما اخبرهُ بهِ القاضي من ان ما رآهُ شعوذة ولكن ذلك لا ينفي ادعاءهُ رؤية امور ترجح انهُ سمع بها ولم يرَها

مصر امين احمد

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البنات والعلوم العالية

مما يطيب نشره ان خمساً من البنات جزن امتحان الشهادة الابتدائية في نظارة المعارف وكانت درجاتهنَّ عالية بين الشبان الذين نالوا هذه الشهادة فان كل الذين نالوا الشهادة ٧١٢ والبنات اللواتي نلن الشهادة درجة الاولى منهنَّ ١٧ وهي من قسم البنات في مدرسة عباس والثانية درجتها ٢٦٦ وهي من مدرسة عباس ايضاً والثالثة درجتها ٣٧٣ وهي من مدرسة عباس والرابعة درجتها ٤١٢ من المدرسة السنية والخامسة درجتها ٦٤٥ من المدرسة السنية ايضاً. فمتوسط درجاتهنَّ ٣٤٢ اي اعلى من متوسط درجات الفتيان الذين نالوا الشهادة معهنَّ. وهذه بداءة حسنة. ونحن نعلم عن ثقة ان كثيرات ينلن من المدارس الاميركية والفرنسوية والايطالية وغيرها شهادات لا تقل عن شهادة نظارة المعارف بل قد تزيد عليها من بعض الوجوه وسمعنا بعضهنَّ يجبن عن مسائل عويصة في الصرف والنحو والبيان والحساب والطبيعة والميكانيك والفزيولوجيا والنبات اجوبة صحيحة صريحة تدلُّ على انهنَّ درسنَ مبادئ هذه العلوم وبرعنَ فيها. لكن عدد البنات اللواتي درسنَ هذا الدرس قليل جداً نحو خمس بنات وعشر بنات ومئة بنت والف بنت لا يُحسب شيئاً في بلاد فيها خمسة ملايين من الاناث وعليهنَّ المعوَّل في تعليم الاطفال لانهُ لا يشيع التعليم في هذا القطر ما لم يتولَّ النساء تعليم الاطفال في البيت وفي المدرسة ايضاً

ثم انهُ ليس في القطر المصري حتى الآن مدرسة عالية يتعلم فيها البنات علم التعليم والعلوم اللازمة لهُ حتى يستطعنَ ادارة المدارس وتعليم البنات وتهذيبهنَّ. ويظهر لنا ان الحكومة والامة مغضيتان عن ذلك او لا تستطيعانهِ لان المعلمة لا تفلح في تعليم غيرها ما لم تنقطع لهذا العمل اي تكون مثل الراهبات اللواتي لا همَّ لهنَّ الاَّ التعليم. فاذا بقيت حالة المرأة في الشرق على ما هي عليهِ الآن فالامل بانتشار التعليم فيهِ ضعيف جداً

شراب الليمون

ضع رطلاً من السكر في اناء مدهون بالخزف وصبَّ عليهِ رطلاً من الماء واغلهِ على النار قدر عشر دقائق ثم صبهُ في اناءٍ آخر ودعهُ حتى يبرد وصفّهِ واضف اليهِ عصير اربع ليمونات كبيرة من الليمون الحامض وعشرين نقطة من روح الليمون وحرّك السائل جيداً وصبهُ في قناني ناشفة وسدها سدًّا محكمًا وضعها في مكان بارد . ملعقة من هذا الشراب في كاس من الماء البارد شراب منعش مبرد للدم

فساد الاطعمة

تضطر ربة البيت احيانًا كثيرة ان تبقي جانبًا من اللحم من يوم الى آخر فاذا كان الفصل بارداً فالغالب انها تجدهُ سليمًا ولكن اذا كان الفصل حارًّا فالغالب انها تجدهُ قد فسد واذا طبختهُ فقلما يسلم من يأكلهُ من الضرر. فلماذا يسلم اللحم في الفصل البارد وينتن في الفصل الحار. يظن لاول وهلة ان الحرارة نفسهُ يفسدهُ لكن ذلك غير صحيح كما يظهر باقل نظر فان اللحم يشوى على النار ولا يفسد و يطرح في الصحراء المحرقة فيجف وييبس ولا يفسد ايضًا فليس الحر سبب فسادهِ وكذلك قد يفسد اللحم ولو كان الفصل بارداً فما هو اذًا سبب الفساد

خذ اللحم الجديد وضعهُ في اناء من الصفيح والحمهُ حالاً بعد ان تسخنهُ واتركهُ يومًا او يومين وشهرًا بل شهرين فلا يفسد ثم افتح الاناء وعرضهُ للهواء يومًا او يومين فالغالب انهُ يفسد. و يظهر من ذلك كأن الفساد اتاهُ من الهواء ولكن اذا فتحت الاناء وسددتهُ بقطعة من القطن النقي التي لا تمنع دخول الهواء اليهِ فانهُ لا يفسد فالفساد ليس من الهواء نفسهِ بل هو من شيء في الهواء علق بين الياف القطن . وهذا هو الصحيح . وكما يفسد اللحم من شيءٍ في الهواء يفسد من اتصال لحم فاسد بهِ وسبب الفساد في الحالين واحد وهو ميكروب الفساد فان هذا الميكروب يكون في الهواء عادة ويلصق بجوانب الآنية والاقفاص التي يوضع اللحم فيها ولاسيما اذا لصق بها قليل من اللحم فاذا كان الفصل بارداً جدًّا تأخر نموهُ كثيرًا لان الحرارة المعتدلة لازمة لنموهِ مقوية لهُ واما البرد الشديد فيوقف نموهُ او يمنعهُ ولهذا ينقل اللحم الآن من استراليا او من اميركا الى بلاد الانكليز من غير ان يفسد لانهم يضعونهُ في غرف مبرَّدة جدًّا حتى يصير ما فيها كالثلج او ابرد فلا تعيش فيها الميكروبات ويبقى اللحم سليمًا منها

ولا تستطيع ربة البيت ان تبرد هواء بيتها الى درجة تمنع فساد اللحم ولا تستطيع ايضًا ان تمنع الهواء عن اللحم ولكنها تستطيع منع الفساد من جهة أُخرى وهي نظافة الاقفاص

والآنية التي يوضع فيها اللحم فانها اذا كانت نظيفة جدًّا خالية من كل آثار اللحم المنتن بقي اللحم فيها يومًا او يومين من غير ان ينتن ولو كان الفصل حارًّا واما اذا كان فيها اثر من اللحم الفاسد اتصل ميكروب الفساد منهُ الى اللحم الذي يوضع فيها وافسدهُ حالاً

السمك القديم

جرت عادة الذين يشترون السمك ان يجسُّوهُ بايديهم فاذا وجدوهُ صلبًا حسبوهُ جديدًا واشتروهُ واذا وجدوهُ لينًا حسبوهُ قديمًا ورفضوهُ . وهذا الحكم صحيح وسببهُ ان السمك الذي يبتدئ فيهِ الفساد تنحلُّ بعض اليافهِ لان ميكروبات الفساد تأكلها وتهضمها فتلين واما السمك الجديد الذي لم يحلَّ فيهِ الفساد فتكون اليافهُ لم تزل على حالها الطبيعي من المتانة والصلابة . والسمك الذي حلَّ فيهِ الفساد يسودُّ لحمهُ تحت سلسلة ظهرهِ مما يلي بطنهُ ويصير لحمهُ سريع التفتت اذا قلي او شوي وقلما يخلو اكلهُ من الضرر ولا سيما اذا اكلهُ من لم يعتد اكل السمك الفاسد فلا يجوز ان يؤكل مهما كانت الحال لان ضررهُ مرجح ولو لم يكن مؤكدًا. وقد يظن ان قليهُ يزيل الضرر منهُ لانهُ يقتل الميكروبات وذلك صحيح من حيث قتل الميكروبات ولكن ضرر السمك الفاسد واللحم الفاسد ليس من الميكروبات نفسها وان كانت هي سبب الضرر بل من بعض المواد الكيماوية السامَّة التي تولدها هذه الميكروبات في اللحم والسمك . فهذه المواد الكيماوية قد تحلها الحرارة وتبطل ضررها وقد لا تحلها ولا تبطل ضررها بدليل ان اللحم المنتن يبقى منتنًا مهما طبخته . ولو كانت حرارة الطبخ تغير تركيب المادة الكيماوية المنتنة لازالت نتانتها اما اذا كانت الحرارة اشد من حرارة الطبخ كما اذا استقطرت المواد الفاسدة استقطارًا جافًا فالغالب ان المواد السامَّة التي فيها تنحل وتخرج منها مواد اخرى غير سامة

الزكام في الصيف

اذا اعتنى الانسان بنفسهِ في فصل الصيف في بلاد مثل القطر المصري استحال ان يصاب بالزكام . ونريد بهذا الاعتناء ان لا يعرق ويتعرَّض لمجاري الهواء وهو عرقان حتى يبرد سطح جسمهِ فيندفع دمهُ الى الاوعية الباطنة ويحتقن في الاغشية المخاطية . فاذا انتبه حتى لا يجلس في مجاري الهواء وهو عرقان او اذا خلع قميصهُ حالما يصل الى بيتهِ وابدلهُ بقميص جاف أمن الزكام كلَّ فصل الصيف . ويسهل عليهِ ان يأمن الزكام السنة كلها اذا اهتمَّ حتى لا يبرد سطح جسمهِ بغتةً ويبقى باردًا مدة طويلة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اول نظم الاشعار

امبابه . اسكندر افندي نبيه . مَن ابتدع بنظم الاشعار باللغة الافرنسية وكذا بالانكليزية

ج يستحيل ان يعرف احد مَن اول مَن قال الشعر في لغة من اللغات كما يستحيل ان يُعرف من اول مَن نطق بها اذ الكلام الموزون الذي يُطلَق عليهِ اسم الشعر نطق بهِ الناس في البداوة او قبل ان وُجدت عندهم الكتابة وتدوين الاخبار . وكل قول يعبر بهِ الانسان عن عواطفهِ بعبارات معقولة موزونة هو شعر سواء قالتهُ نادبة تندب ابنها او عشيقة تشكو فراق الفها او مملك يتغنى بفضائل مليكهِ . وهذا الشعر يقال ارتجالاً فلا ينتظر ان يحفظ دائمًا ولذلك فالقول بان فلانًا اول مَن قال الشعر في اللغة الفلانية دعوى لا دليل عليها

(٢) ملك مصر في عصر ابرهيم

ومنهُ . من كان ملك مصر لما دخلها ابرهيم الخليل

ج لا يعلم ذلك لان تواريخ الملوك المصريين غير محققة وكذلك تواريخ التوراة والفرق بين العلماء الباحثين في التواريخ المصرية يصل احيانًا الى اكثر من الف سنة

---

(٣) الاتقاء من المسكرات

سنورس . عزيز افندي وهبي . قرأت في بعض المجلات المصرية ان الاطباء سابيليه وتبولت وبروكا من اطباء فرنسا اخترعوا مصلاً مصنوعًا من مادة مجهولة سماها الدكتور مشنيكوف "ستيموليني" اذا حقن بهِ السكير تحت الجلد احدث فيهِ نفورًا من المسكرات واضعف ميلهُ اليها وقد جرَّبوهُ فوجدوهُ صحيح الفعل فهل يوجد مصل آخر يحدث نفورًا من الدخان للمدخنين

ج لم يثبت ما قيل عن هذا المصل حتى الآن ثبوتًا علميًا اذ يرجح قوم ان فعلهُ وهمي اي ان الذي يعالج بهِ يتوهم انهُ لم يعد يستطيع شرب المسكرات . وقد قال الدكتور سابيليه انهُ عالج بهِ ٥٧ سكيرًا فنجح في ٣٢

منهم وافاد قليلاً في ٨ ولم يفد شيئًا في الباقين وهذا يدلُّ على ان منهُ نفعًا ولو كان وهميًا. ولم نقرأ حتى الآن انهُ وجد مصل يحدث نفورًا من الدخان ولكننا قرأنا انهُ تصنع سجاير من ورق البن فتمنع ضرر التبغ . والانسان يستعمل لقاح الجدري ومصل الدفتيريا ونحو ذلك من مضادات الامراض لا لكي يعرض نفسهُ لها فيبقى سليمًا بل لانهُ تعرَّض لها خطأً او يخشى ان يتعرَّض لها خطأً فيداويها او يتقي شرها واما التدخين فدواؤُهُ معلوم اذا اضرَّ بصاحبهِ وهو ابطالهُ او تقليلهُ فيزول ضررهُ او يقل . هذا هو المصل الشافي او الواقي

---

(٤) البن في السودان

مصر . حسين افندي فهمي . هل تصلح اراضي السودان لزرع البن وما كيفية زراعتهِ اذا كانت تصلح لذلك

ج يظهر لنا ان البن لا يجود كثيرًا فيها لشدَّة حرارتها وتعرُّضها للرياح . اما كيفية زرع البن فقد كتبنا فيها مقالة مسهبة في الجزء العاشر من المجلد السابع عشر فراجعوها فيهِ

---

(٥) مساحة الصين

مصر . امين افندي يوسف . ترجوان تذكروا لنا كم مساحة بلاد الصين وكم عدد سكانها

ج ترون ذلك في هذا الجدول

الاسم	المساحة	السكان
الصين الاصلية	١٣٣٦٨٤١	٣٨٦٠٠٠٠٠٠
منشوريا	٠٣٦٢٣١٠	٠٠٧٥٠٠٠٠٠
مغوليا	١٢٨٨٠٠٠	٠٠٢٠٠٠٠٠٠
تبت	٠٦٥١٥٠٠	٠٠٦٠٠٠٠٠٠
جنغاريا	٠١٤٧٩٥٠	٠٠٠٦٠٠٠٠٠
تركستان الشرقية	٠٤٣١٨٠٠	٠٠٠٥٨٠٠٠٠
والجملة	٤٢١٨٤٠١	٤٠٢٦٨٠٠٠٠

هذا حسب احدث التقادير اي حسب قول الحكومة الصينية سنة ١٨٧٩ وسنة ١٨٨٢ . وقد قيل في التقادير الصينية الرسمية سنة ١٨٤٢ ان اهالي ١٨ ولاية من ولايات الصين الاصلية وفرموسا كانوا حينئذٍ ٤١٣ مليون نفس . لكن مزاعم الصينيين كثيرة والمظنون ان سكان الصين لا يزيدون على ٣٥٠ مليون نفس

(٦) ما اخذ من الصين

ومنهُ . ما هي التغييرات الحديثة التي حدثت في بلاد الصين على اثر حربها مع اليابان والتي يظن انها كانت من الاسباب التي هاجت الصينيين ضد الاجانب

ج اهم هذه التغيرات امتلاك الاوربيين لمرافئِ الصينية وتضييق خناق الصينيين وذلك ان اليابان اخذت جزيرة فرموسا مع نفقات الحرب واستلمتها في ٢ يونيو سنة ١٨٩٥

وفي نوفمبر سنة ١٨٩٧ اخذت المانيا مرفأ كياو شو اجرة توسطها في الصلح بين الصين واليابان . وفي شهر يناير من السنة التالية استأجرت من الصين المدينة التي هناك وضواحيها لمدة ٩٩ سنة . وفي ٢٧ مارس من تلك السنة استأجرت روسيا بورت ارثر وتالينوان والبلاد المجاورة لها والانهر المتصلة بهما لمدة ٢٥ سنة يجوز اطالتها باتفاق الفريقين ويحق لروسيا ان تبني الحصون والمعاقل والثكنات في البلاد التي استأجرتها ويكون لها وحدها السلطة الحربية عليها براً وبحراً . ولما رأت انكلترا ما فعلتهُ روسيا اتفقت مع الصين في ٢ ابريل سنة ١٨٩٨ على اخذ واي هاي واي ثم استأجرت في السنة التالية البلاد المجاورة لجزيرة هونغ كونغ لمدة ٩٩ سنة. واستأجرت منها فرنسا ايضاً خليج كوانغ شو وانغ امام جزيرة هينان في ابريل سنة ١٨٩٨ واخذت في السنة التالية الجزيرتين اللتين عند مدخل هذا الخليج

(٧) عدد الاجانب في الصين

ومنهُ . كم عدد الاجانب في بلاد الصين

ج كان عدد الساكنين منهم في المدن التي يجوز سكنهم فيها ١٣٤٢١ سنة ١٨٩٨ وهم ٥١٤٨ من الانكليز و ٢٠٥٦ من الاميركان و ١٦٩٤ من اليابانيين و ١٠٤٣ من الالمانيين و ١٠٨٢ من البرتغاليين و ٩٢٠ من الفرنسويين و ٣٩٥ من الاسبانيين و ٢٠٠ من الاسوجيين والنروجيين . ونحو نصف هؤلاء كلهم في شنغاي

(٨) جنود الصين

ومنهُ . كم عدد جنود الصين

ج ان جنود الصين هي . (١) الثمانية الالوية وعددها ٣٠٠٠٠٠ واكثرهم من اهالي منشو الذين فتحوا بلاد الصين وملكوها لكن الجيش العامل منهم لا يزيد على مئة الف نفس و (٢) الجيش الوطني او الاعلام الخضراء والمعسكرات الخمس وعددهُ من ٥٤٠ الفاً الى ٦٦٠ الفاً والجيش العامل منها نحو مئتي الف (٣) جيش الرديف والباش بزق وعددهُ نحو مئتي الف

ومجموع الجيش الصيني وقت السلم نحو ٣٠٠ الف ووقت الحرب نحو مليون

(٩) تجارة روسيا مع الصين

ومنهُ . ما هي نسبة تجارة روسيا مع الصين الى غيرها من الممالك الاوربية

ج ترون ذلك في هذا الجدول وهو محسوب بالريال الصيني الذي يساوي اربعة عشر غرشاً مصرياً

روسيا	٢٩٥ ٥٥٢ ١٩ ٠
الولايات المتحدة	٠٨٣ ١٥٠ ٢٩ ٠
اليابان	٨٤١ ٤٦٨ ٤٣ ٠
انكلترا ومستعمراتها	٦٣٦ ٤٣٥ ٢٢٥
بقية اوربا	٩٠٦ ٣٢٦ ٣٥ ٠

اي ان ثلثي تجارة الصين بيد انكلترا وثلثها بيد بقية دول الارض واقلها مع روسيا



نجم جديد

اكتشفت مدام سراسكي زوجة الاستاذ سراسكي الروسي نجماً جديداً متغيراً يختلف اشراقهُ بين القدر الثامن والثاني عشر . وقد كان نوره آخذاً في الازدياد في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٦ واخذ في النقصان في اكتوبر سنة ١٨٩٧ وبلغ اقلهُ في مايو سنة ١٨٩٨ وفي ابريل سنة ١٨٩٩ واول مايو ١٩٠٠ كما ظهر لها من صوره في الصور الفوتوغراف الفلكية

نجم آخر جديد

قال الاستاذ بكرنج ان زوجة الاستاذ فلمنغ اكتشفت نجماً جديداً من البحث في صور درابر الفوتوغرافية في كوكبة النسر الطائر وقد ظهر في الصورة التي صوّرت في ٢١ ابريل و٢٧ اكتوبر سنة ١٨٩٩ وكان في ابريل من القدر السابع وفي اكتوبر من العاشر وظهر في صورتين صوّرتا في ٦ يوليو و٩ يوليو سنة ١٩٠٠ . ورآهُ المستر وندل في ٩ يوليو سنة ١٩٠٠ بتلسكوب قطره ١٥ عقدة وحسب انهُ من القدر الثاني عشر

الطب الروحاني

يقال ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني . واطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها . وبالامس اصيب نحو عشرين ولداً بالدفتيريا في شارع اهلهُ يعتقدون بالطب الروحاني اسمهُ سوق صهيون فمنعوا ضباط الصحة من الدخول اليهم فوضع هؤلاء حولهم نطاقاً صحياً فمات اكثرهم مع ان الذين يعالجون الآن بالمصل المضاد للدفتيريا يشفى اكثرهم. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق والتعصب الديني نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشد منهُ ضرراً بنوع الانسان

الجذام في كريت

قرَّر زمباكو باشا مرةً ان في جزيرة كريت اربعة آلاف مجذوم . وقد عين البرنس جورج والي كريت اثنين من مشاهير الاطباء ليبحثا عن المجذومين فيها فوجدا ان عددهم لا يزيد على ثمانمئة وقد لا يكون اكثر من ستمئة ولكن الجذام على ازدياد في الجزيرة

فامر البرنس جورج باتخاذ الوسائل الكافية لفرز المجذومين عن غيرهم حتى يمتنع انتشار هذا الداء الخبيث

المجاعة في الهند

بلغ عدد المصابين بالمجاعة في الهند الذين تصل اليهم المساعدة من الاموال التي تصدَّق بها الاوربيون والاميركيون خمسة ملايين وسبع مئة الف نفس وقد فتكت الامراض والاوبئة بالجياع فتكاً ذريعاً. وكانت الاوبئة تنتاب بلاد الهند في الازمنة الغابرة وتفتك بالملايين من سكانها فلا يزيد عددهم عن مقدار الطعام الذي يستخرج من بلادهم عادةً اما الآن فصارت عناية الحكومة الانكليزية تقلل فتك المجاعات وتضعف هذا العلاج الذي تعالج بهِ الطبيعة كثرة السكان فصار لا بد من ان تتوالى المجاعات و يزيد فتكها

علاج السل بالهواء

اتضح من احصاء المستشفيات التي يعالج فيها المسلولون بالهواء النقي والغذاء في برلين وضواحيها ان المسلولين الذين عولجوا واقاموا في المستشفى اكثر من ١٤ يوماً كانوا ٥٥٨١ وهم ينقسمون الى فريقين فريق وُجد فيهِ ميكروب السل وفريق لم يوجد فيهِ فالفريق الاول عددهُ ٢٥١٩ نفساً و١٠٤٧ من هؤلاء تحسنت صحتهم جدًّا . و١١٧١ تحسنت صحتهم ايضاً و٢٥٩ لم يظهر فيهم تحسن او ساءت حالهم و٦ ماتوا . والفريق الثاني عددهُ ١٢٤٥ نفساً و٨٧٦ منهم تحسنت صحتهم جدًّا ولم يبقَ اثر ظاهر للمرض في رئاتهم و٣٥٩ بقيت الاعراض فيهم ولكنهم استطاعوا ان يعودوا الى اعمالهم و٤٠ لم تحسن حالهم وكان فيهم مضاعفات اخرى . وبلغ متوسط ما زادهُ ثقل كل منهم اربعة كيلوغرامات و٨٠٠ غرام

عبدة العرش

ظهر من البحث في التحف التي وجدت في خرائب مسيني ووصفناها في المجلد الاول من المقتطف ان الناس كانوا يعبدون عرش الله حينئذٍ وهذا يفسّر وجود الكراسي او العروش الصغيرة بين خرائب الاولين . والظاهر ان زركسيس كان يأخذ معهُ عرشاً من هذه العروش في غزواتهِ حاسباً ان روح الله يجلس عليهِ

المدافع الطويلة

يصنع الانكليز الآن مدافع للدفاع طول المدفع منها اربعون قدماً وقطر فيهِ ثلاثة ارباع القدم ومداهُ ١٢ ميلاً وستوضع ستة من هذه المدافع في حصون مدينة دوفر امام سواحل فرنسا

اموال الالمان

يظهر من تقارير قناصل المانيا ان للالمانيين اموالاً ومتاجر في اقطار المسكونة

تبلغ قيمتها ألفاً ومئتين وخمسين مليوناً من الجنيهات فلهم في بلاد المكسيك خمسون مليوناً وفي اميركا المتوسطة ٦٣ مليوناً وفي جزائر الهند الغربية ٦٣ مليوناً ايضاً وفي فنزويلا ٥٠ مليوناً وفي شيلي ٦٨ الى ٧٥ مليوناً وفي جمهورية ارجنتين ١٥٠ مليوناً وفي برازيل ١٥٠ مليوناً. هذا عدا ما لهم من الاموال والمتاجر في اوربا نفسها

كهربائية الجو

ابان بعض علماء الانكليز الآن ان نور الشمس ولاسيما الاشعة التي فوق البنفسجي تولّد في الهواء نقطاً مكهربة سلباً ونقطاً مكهربة ايجاباً على مبدإ الحل الكهربائي فاذا كثر البخار في الهواء اجتمعت دقائقهُ حول النقط المكهربة سلباً فثقلت ونزلت مطراً فتبقى النقط المكهربة ايجاباً في الجو وتزول بها موازنة كهربائية الهواء فتحدث كل الحوادث الكهربائية الناتجة من فقد الموازنة الكهربائية

اعمى واخرس واطرش

في مدينة نيويورك ولد اعمى واخرس واطرش اعتُني بتعليمهِ فصار يتكلم بالنطق وبالاشارات ويفهم كلام غيرهِ باللمس ويقرأ باللمس ايضاً وتعلم التاريخ والجغرافيا والحساب والنجارة وعمل الكراسي . ولا ندري لماذا يُبذَل هذا المقدار من الاعتناء على ولد واحد وهو لو بذل في تعليم مئة ولد من المبصرين الناطقين السامعين الذين يُترَكون الآن في حمأة الجهل لكفى لتعليمهم وتهذيبهم وصيرورتهم من نخبة الناس

فتك داء السل

توفي ٤٦٩٨٨ نفساً في مدينة باريس سنة ١٨٩٩ وقد ثبت ان ١٢٣١٤ منهم توفوا بداء السل اي اكثر من ربعهم . والذين ماتوا بين سن سنة و ٢٠ سنة مات منهم بالسل ٣٧ في المئة . والذين ماتوا بين سن ٢٠ و ٤٠ مات منهم بالسل ستون في المئة . والذين ماتوا بين سن ٤٠ و ٦٠ مات منهم بالسل ثلاثون في المئة والذين ماتوا من سن الستين فصاعداً مات منهم بالسل ثلاثة في المئة فقط . فاكثر فتك السل بين السنة العشرين والاربعين وفتكهُ حينئذٍ ذريع جداً لان ستين في المئة من الذين يموتون في ذلك السن يكون السل سبب موتهم

احتكار الحنطة

نوت الحكومة الروسية منذ اربع سنوات ان تحتكر الحنطة هي والولايات المتحدة الاميركية لكي ترفع ثمنها وتغني فلاحيها لكن حكومة الولايات المتحدة الاميركية رفضت ذلك حينئذٍ . وقد بلغت غلة الحنطة في المسكونة كلها منذ سنتين ٢٨٧٩ مليون بشل وغلة اميركا منها ٧٠٠ مليون بشل وغلة روسيا ٤٠٠ مليون بشل وكان غرض

روسيا ان تزيد ثمن البشل عشرة غروش فلو أُجيب طلبها لربح الفلاح الاميركي من ذلك ٧٠ مليون جنيه كل سنة والفلاح الروسي اربعين مليون جنيه وتكون الخسارة على البلدان التي تشتري الحنطة

الاسلحة القديمة في المعرض

يقال ان فيهِ بندقية كانت للقيصر بولس الاول والسيف الذي كان مع بونابرت في تلست واهداه الى القيصر اسكندر الاول وغدّارة كانت للملك هنري الثالث من ملوك فرنسا وبندقية من عهد الملك لويس الخامس عشر

سكك الحديد في اميركا

كان في الولايات المتحدة الاميركية ١٨٩ ٨٩٥ ميلاً من خطوط سكك الحديد المفردة منذ سنة من الزمان وكان عدد قواطرها ٣٦٧٠٣ وعدد مركباتها ١٣٧٥٩١٦ وعدد المستخدمين فيها ٩٢٨ ٩٢٤ ورأس مالها ١١٠٠٠ مليون ريال فقيمة الميل الواحد مع ما يخصهُ من المركبات ونحوها ٥٦٦ ٦٠ ريالاً وبلغ الربح الذي وزعتهُ في العام الماضي ٩٠٠ ٨٢٢ ١١١ ريالاً اي نحو خمسة في المئة . وبلغ الدخل كلهُ قبل طرح النفقات ٦١٠ ١١٨ ١٣١٣ ريالاً

وقتل بهذه السكك في العام الماضي ٧١٢٣ نفساً وأُوذي ٦٢٠ ٤٤ . لكن المسافرين منهم قليلون فقد قتل من المسافرين ٢٣٩ نفساً وأُوذي ٤٠٤٠ والباقون من عابري الطريق

الحلزون والصخور

يُرى الحلزون احياناً كثيرة في ثقوب غائرة في الصخور وهذه الثقوب اسطوانية الشكل يختلف قطرها من خمسة سنتمترات الى نصف سنتمتر حسب كبر الحلزونة وصغرها ويقول الفلاحون الذين يرونها ان الحلزون يثقبها في الصخر ولكن لم يثبت ذلك الاَّ بعد ان راقبهُ العلماء ووجدوه صحيحاً فان الحلزون يثقب الصخور الكلسية الصلبة على اسلوب غير معروف حتى الآن وقد تكون هذه الثقوب كثيرة جدًّا حتى يصير الصخر بها كالاسفنج ويتصل بعضها ببعض كما يشاهد على شاطىء البحر عند مينا الحسن في مدينة بيروت

التلسكوب واللصوص

يستعمل التلسكوب لرصد الافلاك لا لكشف اللصوص ولكن كان واحد في معمل الآلات البصرية باميركا يمتحن تلسكوباً بالامس فاداره الى مكان قريب فرأى ولداً يسرق اناءً من الزبدة من عربة مارة امامهُ فاخبر رجال البوليس بالتلفون حالاً فقبضوا على السارق وفتشوهُ فوجدوا الزبدة معهُ

الفطر الكبير

الفطر المعروف في القطر المصري يعيش الغراب لا يكبر كثيراً فاذا بلغ قطر القرص

منهُ شبراً حسب من اكبر انواع الفطر وهذا اكبر ما رأيناه . لكن بعضهم وجد فطراً في اميركا قطره نحو متر ووزنهُ نحو كيلو غرام

حرير الرتيلاء

ذكرنا غير مرة ان الفرنسويين ربّوا نوعاً من الرتيلاء في استراليا واستخرجوا منها خيوطاً حريرية متينة غزلوها ونسجوها وعرضوا منسوجاتها في معرض باريس . وقد وقفنا الآن على وصف طبائع هذه الرتيلاء وكيفية تربيتها واخراج الحرير منها وهي كبيرة الجسم اناثها اكبر من ذكورها مثل سائر العناكب والانثى شكسة الطباع شرسة الاخلاق واما الذكر فعلى غاية الضعف والانكسار واذا حان زمن المزاوجة لزم الحذر التام لانهُ اذا دنا منها حينئذٍ ولم تستحسنهُ وثبت عليهِ ودقت عنقهُ وافترستهُ

واذاحان وقت ولادتها مضت الى حراج المنجو حيث تجد غذاء كافياً لها ولصغارها . واذا قلّ الغذاء لسبب من الاسباب لجأت الى ناموس الطبيعة الاول ناموس الجهاد لبقاء الاصلح فتخرج هائمة على وجهها الى ان تجد واحدة من جنسها فتصارعها وتكافحها الى ان تقهر احداها الأخرى وتفترسها فتشبع ويبقى اشدها بأساً فهي احكم من البشر الذين لا يستفيدون من اعدائهم بعد قتلهم بل يتركون اشلاءهم تنتن وتفسد الهواء

ويظهر من اخبار مدغسكر ان الفرنسويين مهتمون اهتماماً شديداً بحرير العناكب يحسبون انهُ يكون منهُ نفع كبير للبلاد وقد انشأوا مدارس يعلمون فيها الوطنيين كيفية تربيتها واستخراج الحرير منها وغزلهُ ونسجهُ . والفضل في انشاء هذه المدارس للجنرال غالياني . وهي من افضل المنشآت التي انشأها الفرنسويون في مدغسكر لانها اساس لعمل مفيد قد يكون منهُ ثروة كبيرة للبلاد

ولا تزال هذه العناكب شرسة جدًّا تعسر تربيتها ولكن يحتمل ان استمرار التربية والتوليد يغيّر طباعها فتصير تربيتها سهلة مثل تربية دود الحرير . والآن يُفتش النساء الوطنيات عن العناكب في حراج المنجو ويأتين بها الى المدرسة في سلال ولا يتركنها زمناً طويلاً في السلال لئلا يفترس بعضها بعضاً . ثم توضع كل عنكبوتة في بيت صغير خاص بها و يضغط على جسمها بقطعة من الخشب حتى لا تستطيع الحراك . وبجانب هذا البيت بيوت اخرى صغيرة عدتها ثلاثون بيتاً ويكون في كل بيت عنكبوتة . ولبنات مدغسكر مهارة غريبة في استخراج الخيط الحريري من بطن العنكبوت فتضع الواحدة منهنَّ اصبعها على العنكبوتة وتضغط عليها قليلاً ثم تخرج اصبعها والخيط لاصق بها وتجمع الخيوط من العناكب الثلاثين وتصلها بوشيع دائر فتلتف عليهِ كما تلتف خيوط الحرير من فيالج دود الحرير .

ويستخرج الحرير من العنكبوتة اربع مرات في الشهر فيكون طولهُ ١٢ الف متر ثم تموت العنكبوتة عياءً. والعنكبوتة التي يستخرج حريرها تُخرج من بيتها وترسل الى مكان تسترجع قوّتها فيهِ حتى اذا عادت اليها الصحة والقوة اعيدت الى البيت واستخرج الحرير منها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تموت

وحرير العنكبوت اصفر ذهبي دقيق متين جدًّا فهو ادق من حرير القز وامتن منهُ

واول من حاول نسج خيوط العناكب العالم ريومر سنة ١٧١٠ وذلك من عناكب فرنسا الصغيرة. ويقال ان اهالي الصين يستخرجون حرير العناكب وينسجونهُ. اما اول من استخرج حرير العناكب من مدغسكر فهو الاب كمبوى المرسل الكاثوليكي فانهُ شاهد خيوطها بين اشجار المنجو وجمعها وغزلها ونسجها فكان نسيجها متيناً جدًّا ولكنهُ كان غير منتظم الخيوط فبعضها دقيق وبعضها غليظ وبعد عناء شديد رأى ان يستخرج الخيوط من العنكبوت مباشرةً كما تقدَّم

موسم القطن الماضي

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن المصري من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٦٤٣٣٣٨٣ قنطاراً اي نحو ستة ملايين ونصف مليون قنطار صدر منها ٣١٠٦٥١٦٥ قنطاراً الى البلاد الانكليزية و٢٧١٧١٣٨ قنطاراً الى سائر الممالك الاوربية وصدر الى الولايات المتحدة الاميركية ١٩٦٦٠٥ قنطاراً وبلغ الصادر اليها في العام السابق ٣٨٩١٦٤ قنطاراً فقط

وبلغ الوارد الى الاسكندرية من البزرة من اول سبتمبر الماضي الى ١٠ اغسطس ٣٧٨٦٥٥٨ اردبًّا صدر منها ٣٠٨٤٤٣٨ اردبًّا الى انكلترا و٣٥٧٦٧٨ الى سائر الممالك

التلغراف بين الارض والبالون

ثبت بالامتحان في فرنسا انهُ اذا طار بالون في الجو وكان فيهِ آلة من آلات ماركوني وكان على الارض آلة مثلها امكن التخاطب بين الارض والبالون من غير موصل

ازدياد تجارة القطر

بلغ ثمن الفحم الحجري الذي ورد الى القطر المصري هذا العام حتى آخر يونيو الماضي ٩٩١ ٥٤٣ جنيهاً وكان في العام الماضي الى آخر يونيو ٦١٥ ٤٣٠ فالزيادة هذا العام ٣٧٤ ١١٢ جنيهاً

وبلغ ثمن الحديد والمواد الحديدية التي وردت هذا العام ٥١٩٦٥٩ وكان في العام الماضي ١٧٤ ٣٣٦ فالزيادة هذا العام ٩٤٥ ١٨٢ جنيهاً

وبلغ ثمن المنسوجات القطنية التي وردت هذا العام ٢٢٦ ٩٣٠ وكان في العام الماضي ٢٢٧ ٧٨٦ فالزيادة هذا العام ٩٩٩ ١٤٣ جنيهاً

عدد الحجاج

بلغ عدد الحجاج الذين حجوا هذه السنة الى مكة المكرمة عن طريق قنال السويس ١٥٩٢٧ حاجًا وبلغ ١٢٠٧٢ حاجًا في سنة ١٨٩٩ و ١٦٧١٧ حاجًا في سنة ١٨٩٨ و١٣٧٠٤ في سنة ١٨٩٧ و١٤١٠٢ في سنة ١٨٩٦ و١٤٧٣٧ في سنة ١٨٩٥ و١٤٨٣٤ في سنة ١٨٩٤ و١٧٩٠٩ في سنة ١٨٩٣ و١٣٠٠٤ في سنة ١٨٩٢ و١١٠١٣ في سنة ١٨٩١ و١٠٨٧٧ في سنة ١٨٩٠

انشقاق المريء بالقيء

ذكر الدكتور بولس لجمعية الطب والجراحة الملكية حادثة امرأة عمرها ٦٣ سنة اخذت مقدارًا كبيرًا من الصبر والراوند ثم شربت لبنًا وكاسًا من الماء والملح لكي تستفرغ فاصابها قيء شديد وألم في القسم الشراسيفي وتهوُّر . ولما اصابها التهوُّر بطل القيء وأُعطيت المورفين لتخفيف الالم ولكنها تقيأته وعاودها الالم واخيرًا اسلمت الروح بعد ابتداء القيء باثنتين وعشرين ساعة وظهر لدى البحث في رمتها ان مريئها انشق وهي تتقيأ. وهذه الحادثة من الحوادث النادرة جدًا

السالول في الجدري

وجد بعض الاطباء انهُ اذا عولج المجدور بالسالول لم يعد يشعر بالحكة ولم يعد يحك البثور في جسمهِ فتسير سيرها وتبرأ قبل ان تنضج ولا يبقى مكانها ندوب . ولا ضرر من اخذ درهم من السالول كل يوم واذا حدث منهُ انحطاط عقلي زال حالاً بعد زوال فعلهِ

مدرسة برمنهام

لم يكتفِ المستر تشمبرلين وزير انكلترا بالمال الذي جمعهُ لمدرسة برمنهام مع انهُ فاق ما طلبهُ قبلاً بل طلب ان يزاد ايضًا فلبَّى طلبهُ السر جمس تشانس ووهبها خمسين الف جنيه فصار مالها اربع مئة الف جنيه . هذا هو الطمع الحميد في خدمة العلم

سمك النيل

بعث المستر لوت الفين ومئتي مثال من اسماك النيل الى متحف التاريخ الطبيعي في بلاد الانكليز ليُبحَث عنها فيهِ . وعسى ان يكون من وراء هذا البحث في اسماك النيل والمال الذي انفقتهُ الحكومة المصرية على ذلك ان تبذل الوسائل لتكثير السمك في البرك والمستنقعات فيصلح هواؤها ويكثر الغذاء النيتروجيني منها لسكان هذا القطر

العفن في المعدة

قرأ الاستاذ مكس اينهورن مقالة في مجمع امراض المعدة والامعاء في شهر مايو الماضي وصف فيها العفن الذي ينمو في المعدة فيسبب تعبًا كثيرًا لا يُعرَف اصلهُ عادةً ولا يعرف علاجهُ الاَّ اذا عُرِف ان سببهُ هذا العفن وعولج علاجًا يزيلهُ . والشائع ان عصارة

المعدة تميت كل المواد النباتية فيستحيل ان ينمو العفن فيها ولكن الامر ليس كذلك بل قد ثبت بالمشاهدة وجود العفن حيًّا ناميًا فيها ويمكن ان ينمو خارج المعدة في سائل مثل سائل المعدة . وذكر اناسًا كثيرين وُجد العفن في معدهم وعالجهم منهُ فشفوا . من ذلك شاب عمرهُ ٢٢ سنة اصيب بسوء الهضم منذ ست سنوات وكان لسانهُ مغطًّى دائمًا بفروة وطعم فيهِ رديئًا في الصباح وكان يشعر بعد الطعام بساعتين بحرقة اسفل المعدة وقد يتجشأُ ويقيءُ قليلاً وكانت قابليتهُ جيدة وجسمهُ معتدلاً وكل الاعراض تدل على ان جسمهُ سليم لاعلة فيهِ لكنهُ استخرج قليلاً من العصارة من معدتهِ قبل الطعام وبعد الطعام بساعة فثبت لهُ بالبحث الميكرسكوبي ان فيها عفنًا ناميًا فعالجهُ بي كربونات الصودا وبغسل المعدة ورشاش نترات الفضة فشفي تمامًا بعد اربعة عشر يومًا وزال العفن من معدتهِ

سبب الطاعون

وضع الدكتور منتينغرو الاسباني كتابًا في هذا الموضوع ذهب فيهِ الى ان الطاعون مرض من امراض الجرذان ينتشر في الدنيا بانتشارها فيها وينتقل منها الى الانسان مباشرة او بواسطة براغيث الجرذان التي تكثر عليها حينما تمرض وتفارقها بعد ان تموت وتبرد. ولا يظهر ان الطاعون يعدي باللمس ولكنهُ يعدي بالتلقيح من جرح في البدن او بالتنفس ودخول الميكروب مع الهواء الذي يتنفسهُ الانسان ولم يثبت حتى الآن انهُ يعدي عن طريق المعدة كالحمى التيفوىدية لان الحيوانات التي أُطعمت مواد فيها ميكروب الطاعون لم تصب بهِ

رضاع الاطفال

قرأ الدكتور اسكندر مكلستر مقالةً في هذا الموضوع في مجمع الطب الاميركي ابان فيها ان الطفل الذي ترضعهُ امهُ او ترضعهُ امرأة أُخرى مثل امهِ يكون اسلم بنية من الطفل الذي يغذَّى باللبن الصناعي واقل تعرُّضًا للامراض منهُ . وان لبن البقر يبقى معرَّضًا لجراثيم الامراض المعدية من حين حلبهِ الى ان يشربهُ الطفل. واذا كانت الام شابةً ولبنها قليلاً وجب ان تعالج حتى يكثر لبنها وان تأكل كثيرًا من لبن البقر والمواد الدهنية لكي يغزر لبنها. واذا كان لبنها قليلاً جدًّا وتعذَّر وجود مرضع غيرها فيحسن ان ترضع طفلها كل ما يمكنها ارضاعهُ من لبنها ولو مرةً في اليوم وتسقيهُ لبن البقر بقية الوقت بعد اغلائهِ . وابان غيرهُ ان اغلاء اللبن يغير تركيبهُ وانهُ يقتل الميكروبات التي يمكن ان تكون في اللبن ولكنهُ لا يزيل السموم المفرزة منها فيهِ . وجملة القول ان لبن الوالدة هو الغذاء الطبيعي الصالح لطفلها ولا يجوز ابدالهُ بغيرهِ الاَّ عند الضرورة الشديدة

تيفويد الاجنّة

ابان الدكتور لوفت مورس ان ميكروب الحمّى التيفويدية ينتقل من الحامل الى جنينها . وقد كان ذلك مظنوناً ظناً قبل اكتشاف ميكروب التيفويد اما الآن فثبت بالامتحان في الحيوانات وبالبحث الميكروسكوبي في الانسان

عدد النجوم

تقسم النجوم حسب اشراقها الى اقدار فيقال هذا النجم من القدر الاول وذاك من القدر الثاني . وهاك عدد النجوم من القدر الاول الى السادس

الاول	٢١
الثاني	٥٢
الثالث	١٥٧
الرابع	٥٠٦
الخامس	١٧٤٠
السادس	٥١٧١
والجملة	٧٦٤٧

ويظهر من ذلك ان نجوم كل قدر نحو ثلاثة اضعاف القدر الذي فوقهُ او اكثر من ثلاثة اضعافهِ . وقد حسبت النجوم في زيج اجلندر الى القدر التاسع فبلغت ٦٣٠ الفاً والى القدر العاشر في زيج تمس كرديا فبلغت ٢٣١١٠٠٠ واذا جرينا على نسبة الثلاثة اي ان نجوم كل قدر اكثر من القدر الذي فوقهُ ثلاثة اضعاف فعدد النجوم الى آخر القدر الرابع عشر نحو مئتي مليون نجم على ما اثبتهُ الاستاذ نيوكم

النقود الواردة الى مصر

ورد الى القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ما قيمتهُ ٤٤٦٧٨٢٩ جنيهاً مصرياً ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠٨٨ جنيهاً مصرياً والجملة ٤٥١٥٩١٧ جنيهاً مصرياً وهي واردة من البلدان المختلفة على ما في هذا الجدول

	ذهب	فضة
انكلترا	١٦٤١٥٤٦	١٠
فرنسا	٠٩٨٦٨٢٨	١٩
املاك انكلترا	١٩٢	
النمسا	٠٣٣٨٨٩٧	٥٢
ايطاليا	٠١٣٧٧٦٤	١٢٢٨
تركيا	١٣٠٨٩٨٣	٤١٨٢
اليونان	٠٠٥٣٥٢٢	١٤
بقية البلدان	٠٠٠٠٠٩٧	٤٢٥٨٣
والجملة	٤٤٦٧٨٢٩	٤٨٠٨٨

فاكثر الذهب وارد من انكلترا وتركيا اما انكلترا فقد اشترت من القطر المصري في السنة الماضية ما قيمتهُ ٨٢٢٧٢٧٤ جنيهاً اي بنحو ثمانية ملايين وربع مليون من الجنيهات ولذلك لا عجب اذا بعثت اليهِ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات لا سيما وان

القطر المصري اشترى منها في العام الماضي ما قيمتهُ اربعة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فقط فكانها بعثت لهُ بضائع ونقوداً واوفت عنهُ جانباً كبيراً من ربا دينهِ . واما تركيا فلا ندري لماذا ترسل الى القطر المصري هذا القدر الطائل من الذهب لان البضاعة التي اشترتها من القطر المصري قيمتها نحو ٣٤٠ الف جنيه لا غير وهو اشترى منها بضائع قيمتها مليون ومئتا الف جنيه فكان يجب ان يرسل اليها نقوداً اكثر مما ترسل اليهِ . ولا يفسر ذلك الآن بان بعض اصحاب الاموال صاروا يأتون باموالهم الى القطر المصري ليستثمروها فيهِ

النقود الصادرة من مصر

صدر من القطر المصري في العام الماضي من النقود الذهبية ما قيمتهُ ١٤٥٤٤٧٠ جنيهاً ومن النقود الفضية ما قيمتهُ ٤٨٠١٥ وهي صادرة الى البلدان المختلفة كما ترى في هذا الجدول

	ذهب	فضه
انكلترا	٤٠٥ ٦٢٥	٠٣٨٤٤
فرنسا	٤٨١ ٥٤٣	٠٢٩٩٩
املاك انكلترا	٣١٧ ٦٦١	٠٠٧١٦
النمسا	٠٠٠ ١٠٢	٠٠٥٣٨
تركيا	٢٤٧ ٨٩١	٢٤٧١٨
اليونان	٠٠١ ٦٢٣	
بقية البلدان	٠٠٠ ٠١٩	١٥٢٠٠
والجملة	١٤٥٤ ٤٧٠	٤٨٠١٥

ومجموع النقود الذهبية والفضية الصادرة من هذا القطر في العام الماضي ١٤٤٩٢٨٠ ومجموع النقود الذهبية والفضية الواردة اليهِ ٤٥١٥٩١٧ فالواردة اكثر من الصادرة ٣٠٦٦٦٣٧ اي ثلاثة ملايين و ٦٦ الف جنيه و٦٣٧ جنيهاً . فاين ذهبت هذه الثلاثة الملايين وهل هي باقية في القطر المصري وهل هي لاهلهِ او للشركات الاجنبية التي انشئت فيهِ واهلهُ استدانوها منهم بالربا . هذه مسائل هامة تستحق ان يبحث فيها ليعلم مصير البلاد أإلى التقدم هو ام الى التأخر

دار للتحف في القدس

ابتاع الاسرائيليون ارضاً غربي اورشليم ليبنوا فيها داراً يضعون فيها الكتب والآثار المتعلقة بالارض المقدسة فستكون اول متحف في سوريا بعد متاحف المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

باخرة في بحيرة لوط

أُتي بسفينة بخارية الى بحيرة لوط طولها ٢٥ متراً ولعلَّ الغرض الوحيد منها استعمال السياح لها

رجمة في فلسطين

لرجم الحجارة القديمة شأن كبير عند علماء الآثار وهي حجارة كبيرة كان الناس في سالف عهدهم ينصبونها حول موتاهم وقد وجد المستر ستورت مكلستر الآن رجمة منها في

فلسطين بقرب بيت جبرين غربي الاردن وهي اول رجمة وجدت في تلك البلاد فيها ثمانية حجارة كبيرة خمسة منها في صفين متقابلين والثلاثة الباقية واقعة بينها ولعلها كانت غطاء لها وتمتاز هذه الرجمة عن غيرها من الرجم في انها منصوبة على الصخر لا على التراب كأن الميت الذي نصبت له كان ملقى على الصخر

شبابيك لا تحترق

صنع الاميركيون اغلاق الشبابيك من صفائح الحديد بدل الواح الخشب فجاءت خفيفة كالخشب او اخف ومتينة جدًّا وهي لا تحترق فاذا كان البيت مبنيًّا من غير خشب ومسقوفًا من غير خشب وابوابهُ وشبابيكهُ من صفائح الحديد زال كل خطر من النار

سكك الحديد في انكلترا

بلغ رأس مال سكك الحديد في البلاد الانكليزية حتى آخر العام الماضي ١١٥٢٢١٨٠٠٠ جنيه فزاد ١٧٨٥٠٠٠٠ عما كان عليهِ في العام الذي قبلهُ وزاد نحو ٥٥ مليون جنيه عما كان عليهِ عام ١٨٩٧ وبلغ صافي الربح الذي وزع على المساهمين ٤١٥٧٦٠٠٠ جنيه . وكان الربح كلهُ ١٠١٦٦٧٠٠٠ جنيه وكانت النفقات ٦٠٠٩١٠٠٠ ويقال بالاجمال ان راس مال سكك الحديد في بلاد الانكليز يبلغ الف مليون جنيه ودخلها السنوي يبلغ مئة مليون جنيه اي عشرة في المئة بالنسبة الى رأس المال والنفقات تبلغ ستين مليون جنيه فيكون صافي الارباح اربعين مليون جنيه اي نحو اربعة في المئة بالنسبة الى رأس المال والربح اكثر من ذلك قليلاً لان راس المال لم يدفع كلهُ بل دُفع منهُ ٩٦٧ مليون جنيه

غرائب النمل

النظر في طبائع النمل قديم جدا وكأن البشر انتبهوا منذ زمن طويل الى ما بين هذه الطائفة والبشر من المشابهة في السعي والكدّ والتدبير والحكمة . وفي الاقوال المأثورة عن حكيم العبرانيين ما يدلّ على وقوفهِ على كثير من اعمالها

وقد رأينا في جريدة السينتفك اميركان نبذة لتاجر اميركي وصف بها بعض ما شهدهُ بعينهِ من غرائب النمل مما يظهر ما طبعت عليهِ من حسن التدبير قال رأيت نحو اثنتي عشرة نملة من الصنف الاحمر تجرّ جثة رتيلاء وكان في ارجلها شعر يعلق بما في طريقها ويعيق النمل عن جرّها ولما اعياهنّ الامر وقفن كأنهنّ يتشاورن في ما ينبغي فعلهُ وكان هناك ورقة يابسة فنقلن غنيمتهنّ اليها وامسكن باطرافها وسرن كالاول حتى بلغن قريتهنّ

ورأيت في مرة أُخرى نملاً كثيرًا يسير من قريتهِ منظمًا كجيش وقد اطاف بهِ

الجواسيس ولما صار على بضع اقدام من وكره انقسم شطرين تابع احدهما السير ولم يلبث حتى اشتبك مع العدوّ ودار الآخر من الوراء وهجم على ساقة العدو فاوقع به

نفقات حرب الترنسفال

قدرت جريدة الايكونمست نفقات حرب الترنسفال كما يأتي بالجنيهات الانكليزية

الزيادة التي طلبت في اكتوبر الماضي	١٠٠٠٠٠٠٠
" " " " مارس	١٣٠٠٠٠٠٠
" " " اغسطس	٠٧٤٤٠٠٠٠
ميزانية الحربية لسنة	٣٧٧٩٧٠٠٠
فوائد	٠١٠٨٦٠٠٠
والجملة	٦٩٣٢٣٠٠٠

او نحو سبعين مليونًا من الجنيهات تنفق في سنة على الجيوش وسيعود نفعها على سكان تلك البلاد وعلى الذين يستوطنونها معهم ولكن الماليين اصحاب اسهم المناجم يجنون منها النفع الاكبر

صناعة النسج في اميركا

يزيد القطن الاميركي فتزيد معامله عامًا بعد عام فقد كان في الولايات المتحدة ١٤ مليون مغزل سنة ١٨٩٠ فصار فيها الآن ٢١ مليون مغزل فالزيادة خمسون في المئة وكان فيها ٣٢٤٨٦٦ نولاً فصار فيها الآن ٤٩٠٣٩٨ فالزيادة اكثر من خمسين في المئة وكان فيها ٣٦٤٦٢ من آلات الحبك فصار فيها ٧٥٧٢١ فالزيادة اكثر من مئة في المئة وكان فيها ٧١٨٣٦٠ آلة لغزل الحرير وفتله فصار فيها الآن ١٤٢٦٢٤٥ آلة فالزيادة نحو مئة في المئة وكان فيها ٢٠٨٢٢ نولاً لنسج الحرير فصار فيها ٤٨٢٤٦ نولاً والزيادة اكثر من ١٣٠ في المئة . وقد تمت هذه الزيادة كلها في عشر سنوات

فيضان النيل

تدل الدلائل كلها على ان فيضان النيل هذا العام سيبلغ حدًّا عظيمًا جدًّا فيفوق فيضان سنة ١٨٩٨ وربما فاق فيضان سنة ١٨٧٨ الذي وصل فيه النيل الى حد لم يصله من قبل فكان ارتفاعه في اصوان في ٣١ يوليو ٦ اذرع و ٢٣ قيراطًا فبلغ في ٥ اغسطس ١٠ اذرع و ٢٠ قيراطًا وفي ١٥ اغسطس ١٦ ذراعًا ولم يبلغ هذا الحد سنة ١٨٧٨ كما ترى من هذا الجدول

	١٨٧٨		١٩٠٠	
	ذراع	قيراط	ذراع	قيراط
١٥ يوليو	٤	٢	٤	٠
٢٠ يوليو	٦	٤	٥	١٢
٢٥ يوليو	٨	١٤	٦	٨
٣١ يوليو	١٠	٢٠	٦	٢٣
٥ اغسطس	١١	١٣	١٠	٢٠
١٠ اغسطس	١٣	٥	١٥	١
١٥ اغسطس	١٤	٢١	١٥	١٥

فالزيادة في فيضان هذا العام متسارعة جداً ولا يزال الماء يزيد في مقياس سنار حتى الآن فينتظر ان تستمر الزيادة في اصوان ثلاثين او اربعين يوماً. اما متوسط قياس الفيضان في اصوان في السنوات العشرين الماضية فعلى ما ترى في هذا الجدول

قيراط	ذراع	
٣	٤	٥ يوليو
٢١	٤	١٠ "
٢٠	٥	١٥ "
٢٢	٦	٢٠ "
١٠	٨	٢٥ "
٢٠	١٠	٣١ "
٠٣	١٢	٠٥ اغسطس
١٩	١٣	٠١ "
١٢	١٤	١٥ "
٠٢	١٥	٢٠ "
١٥	١٥	٢٥ "
٠٠	١٦	٣١ "
٥	١٦	٠٥ سبتمبر
٥	١٦	١٠ "
١٩	١٥	١٥ "
١٥	١٥	٢٠ "

ويتضح من ذلك ان النيل لم يكن يبلغ في اصوان ١٦ ذراعاً الا بعد اليوم ٢٥ من اغسطس وقد بلغ الآن هذا الحد ولم نزل في الخامس عشر من اغسطس فاذا استمرت الزيادة عشرين يوماً اخرى خيف من الغرق قدر ما خيف من الشرق في العام الماضي

حشرات التين

بحث المستر فرغات في الحشرات الصغيرة التي تكون في التين البري فوجد اناثها مجنحة وذكورها خالية من الاجنحة على ضد ما تكون عليه الحشرات والغالب ان تكون هذه الذكور عمياء قصيرة القوائم والقرون

مجمع ترقية العلوم البريطاني

يلتئم في مدينة برادفورد من ٥ سبتمبر الى ١٣ منهُ فيخطب رئيسهُ خطبة الرئاسة في اليوم الاول ويستقبل الاعضاء في اليوم الثاني في مدرسة الصناعة ويخطب الاستاذ غوتش في اليوم الثالث في الكهربائية الحيوانية

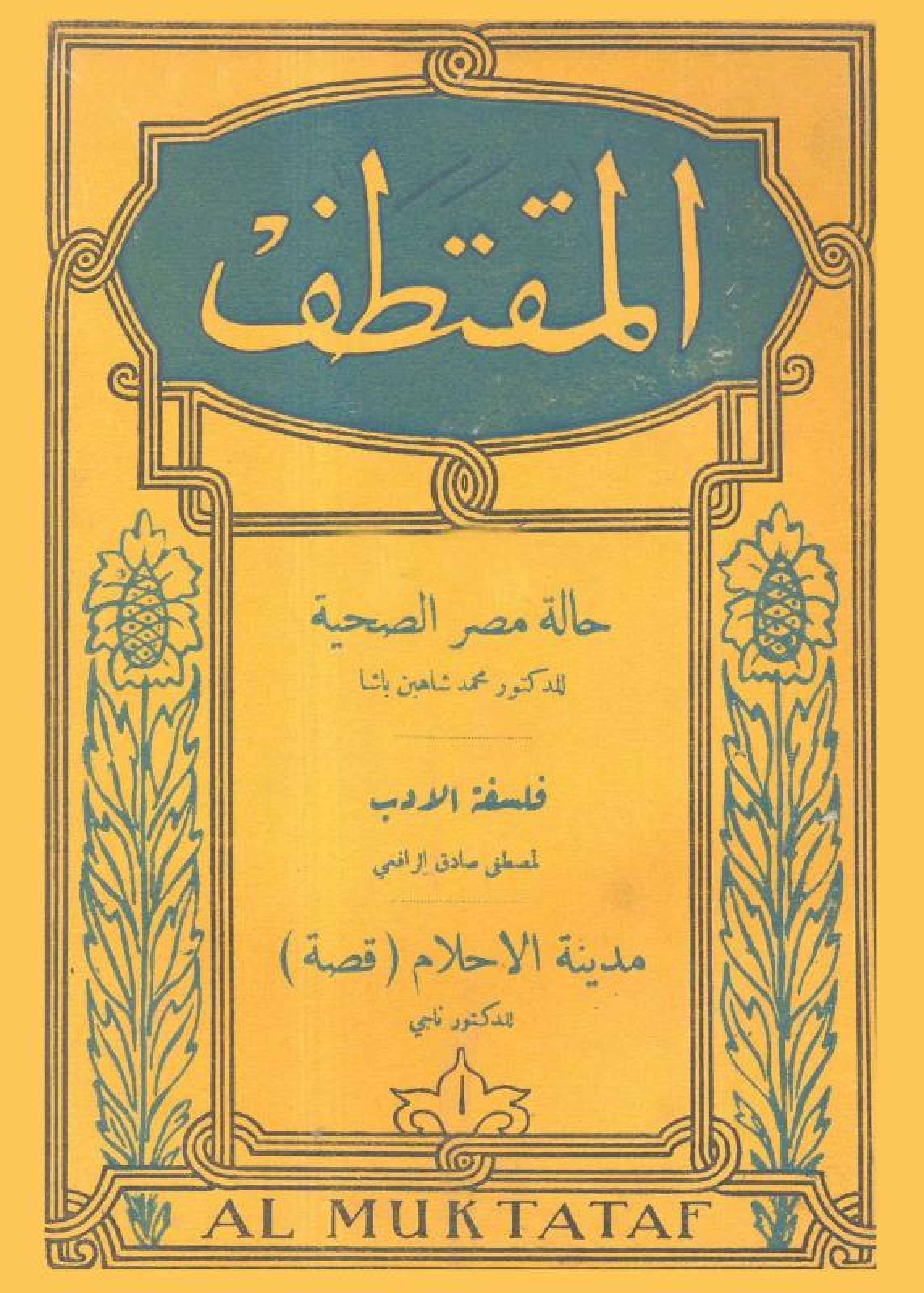
الطاعون

زال الطاعون من بورت سعيد منذ ايام كثيرة ولكنهُ عاد الى الاسكندرية فيصاب بهِ واحد كل يومين او ثلاثة

اعلان لحضرات المشتركين

اصدرنا جزء سبتمبر (ايلول) هذا في منتصف اغسطس (آب) لكي نتمكن من الذهاب الى معرض باريس وقد يتأخر صدور الجزء التالي عن ميعادهِ بضعة ايام لان غرضنا ان نصف فيهِ المعرض بعد مشاهدتهِ

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والعشرين


المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٧ جمادى الثانية سنة ١٣١٨

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

"ودَّعتُ باريس مفتونًا بمرآها ... وآيِ حسنٍ تجلَّى من محيَّاها
وجاوِ ملاكٍ رفيعِ الشان جاورها ... دهرًا طويلًا ولم يبرح بمغناها
رواقهُ مسبطرٌ في معالمها ... وبدرهُ مشرقٌ في اوج علياها
مرسومة في جبين الدهر صولتهُ ... تتيهُ عجبًا بأُولاها وأُخراها
وعصبةٍ عصمتهم في صناعتهم ... المةُ الحسنِ فاستهدوا بسيماها
وخلَّدوا ذكر ارباب السيوف ومن ... فاق الورى حجةً او فاقهم جاها
اوخاض بحر المعاني فاجتنى دررًا ... وصاغ منها حلى حسنٍ بها باهى
او غاص في لج بحر العلم مجتليًا ... غوامضَ الكون تعميمًا لجدواها
وآلِ علمٍ وفضلٍ طار صيتهم ... فطبَّق الارض اقصاها وادناها
بستورِ ماري فلامريون كلهمُ ... وبرتْون سيكار ممن فاق اشباها
هم الأُولى في سماء المجد قد رفعوا ... لها منارًا وأعلوهُ فأعلاها"

هذه كُلَيماتُ صدقٍ صغتها قدمًا ... في وصفها قبل ان تجلي خباياها[1]
وقبلما تجلَّى في مرابعها ... آيات حسنٍ يهيج الشوق ذكراها
وقبلما تتبارى في معارضها ... ممالك الارض اقصاها وادناها
نثرًا ونظمًا قصدتُ الوصف فامتلكتْ ... يراعتي مدهشات لستُ انساها

(١) الابيات المتقدمة قلتها في وداع باريس في رحلتي الاولى اليها وهي منشورة في غرة سنة ١٨٩٤

والمرء يحصر والاقلام يودي بها في موقف المجد روعٌ ان تولاها
فكيف استطيع وصفاً بعد ما نشرت يبارق المجد اعلاها وادناها
وبعد ما مُلئت من كل مفخرة من واسع الارض اعيانًا واشباها

واي وصف وان جاد اليراع بهِ يقفي لبانة من يبغي ذكر الحقائق ويكره ان يبخس الناس اشياءهم بعد ان يرى الامة الفرنسوية العظيمة الشان الراقية اعلى ذرى المجد المشهورة قديمًا وحديثًا بامتلاكها ناصية الصناعة وقياد التجارة وبلوغها الشأو الابعد في العلوم والفنون ووقوفها موقفًا لا يجاريها فيهِ احد من حيث التفنن في اظهار عظمة الكون ومقدرة الانسان — بعد ان يراها قد افرغت الجهد لاظهار ما بلغتهُ عقول رجالها وقرائح النابغين فيها من التفنن في العلم والعمل والاختراع والاستنباط ودعت امم الارض جمعاء الى معرضها العام غير هيَّابة ولا وجلة تقول لهنَّ هذه مزاياي وهذا اقصى ما بلغتهُ فهلمَّ اليَّ بما عندكنَّ من بدائع الفنون وغرائب المخترعات ومتقن الاعمال وقابلنهُ بما عندي واعرضنهُ لنقد النقَّاد وحكم القضاة . ولنتبارَ كلنا في هذا المضمار مضمار العمران والرفاهة . وقد اعددتُ لي ولكنَّ اجمل مدينة من مدائني بل من مدائن العالم واوسعها شوارع وارحبها ساحات واخترت اطيب بقاعها وشدتُ فيها من المباني اجملها ومن المصانع اوسعها وفسحتُ لكنَّ المجال لتشدنَ ما تباهين بهِ من فاخر البناء وتعرضنَ ما تشأنَ ويشاء رجالكنَّ من آثار بلدانكنَّ واعمال اهاليها من مبتكرات عقولهم ومصنوعات اياديهم من قديم وحديث . فلبَّين دعوتها عن طيب نفس وجئنها خفافًا ثقالاً من اقاصي المسكونة من اوربا واسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر من كل مملكة على وجه البسيطة وكل مستعمرة فيها وانفقن الاموال الطائلة على عرض مصنوعاتهنَّ وثمار حضارتهنَّ لا قصد المباهاة والمغالاة بل لغرض اسمى واعظم قلَّما يسعى العقلاء الاَّ اليهِ الآن وهو الفائدة المادية والادبية اي اتقان الصناعة وترويج التجارة وترقية العلوم والفنون والآداب لتزيد راحة الانسان وتتوفر لهُ اساليب الرفاهة

هذا هو المعرض الذي اتوخَّى وصفهُ في هذه الصفحات ويستحيل عليَّ ان اصف كل ما فيهِ او ان اوفي الوصف حقهُ في ما اصفهُ منهُ لانني لم استطع ان امعن النظر الاَّ في القليل مما حواهُ ولأن من هذا القليل ما تقصر عن وصفهِ كلمات اللغة . فان النعوت المألوفة عندنا من مثل العظيم والفخيم والجميل والبديع لا تصوّر في الذهن صورًا تنطبق على ما لم ترَهُ العين ولا رأت ما يدانيهِ لكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ وغاية ما اتوخاهُ في هذه السطور ان ابسط للقارىء الكريم بعض ما علق بالذهن مما رأيتهُ في هذا المعرض او ما علقتهُ في مفكرتي

حينئذٍ وشيئاً مما استفدتهُ من مشاهدتهِ او قرأتهُ في ما كتبهُ غيري عنهُ وبعض ما كان يخطر لي من الخواطر حين وقوفي في عرصاتهِ وقيامي امام معروضاتهِ . وقد سبقني رصيفي الفاضل الدكتور فارس نمر الى هذا المعرض والى وصفهِ في المقطم فلم ارَ لي بدًّا من ان اقتفي خطواتهِ وآخذ بعض ما كتبهُ وازيد عليهِ ما كان يثبتهُ هو فيهِ لو قصد نشرهُ في المقتطف . ورأيت اتماماً للفائدة ان استعين بالصور ليسهل على القارىء تصوُّر ما يقصر القلم عن وصفهِ

(١) وصف المعرض بنوع عام

لا مشاحة في ان هذا المعرض اوسع المعارض التي أُنشئت حتى الآن واجملها ولا يشاركهُ في هذا الوصف الاَّ معرض شيكاغو . لكنهُ يمتاز على معرض شيكاغو وعلى كل المعارض التي أُقيمت او تقام في غير باريس من العواصم ان المدينة التي اقيم فيها هي معرض للعلوم والفنون ومتنزه لاهل الثروة وطلاَّب الرفاهة . كيفما جلتَ فيها رأيتَ العظامة والجمال والجلال رأيت صنَّاعها وبنَّاءها ومهندسيها ومخططيها قد بذلوا الجهد في ترصيعها بكل ما هو جميل يستوقف البصر ومتين يقاوي الدهر . رأيتَ كأنَّ حب الوطن وحب الجمال وحب الطبيعة وحب الرفاهة تعاونت كلها حتى تجعل باريس عاصمة العواصم ونزهة الدنيا ومقصد القصَّاد . فكيف وقد فتحت صدرها الرحيب لهذا المعرض واحلَّتهُ محل سويداء قلبها وتبارى مهندسوها ومهندسو المسكونة في إحكام وضعهِ وزخرفة مبانيهِ بما لا تكاد العين تملُّ من النظر اليهِ حتى نقول لها مادة بنائهِ واوضاع معروضاتهِ كل ما عليها فانٍ وهذه سنَّة الطبيعة توجد فيها بدائع الموجودات من اشكال الحيوان والنبات ثم تزول وتمحى صورها ليتلوها غيرها مما هو اكمل منها وارق

فاعيدي النظر اليَّ والاستبصار وودعيني وداع الف مفارق

الاَّ ان امتياز هذا المعرض بالسعة والجمال كثيرًا ما يدعو الى الشكوى والملال لانهُ "مهما جدَّ زائرهُ في الاحاطة بهِ وبمحاسنهِ يشعر دائماً بقصورهِ ويتألم من تقصيرهِ عن اخذهِ بمجذافيرهِ فتضيع لذة التمتع برؤية ما فيهِ بين ألم الشعور بالتقصير او القصور وبين تعب الجسد من الجولان وتعب الباصرة من البصر وكلال العقل عن الادراك" كما قال اخي الدكتور نمر واصاب . اضفْ الى ذلك ما تجدهُ النفس من الانقباض حينما تعلم ان كل تلك المباني الفخيمة تُنقض بعد ايام قلائل ولا يبقى منها غير قصرين من قصورها . وما تراهُ العين من تعدُّد المعروضات من النوع الواحد في قسم واحد من المعرض او في اقسام مختلفة منهُ حتى كأنَّ جانباً كبيرًا منهُ مخزن بضائع اذا رأى المرء بعضها لم يعد يسرُّ برؤية ما يماثلهُ او ما يراهُ دونهُ . وهذا مما لا بدَّ منهُ في كل المعارض الكبيرة . والشرقي مثلنا يجد فيهِ اسباباً اخرى لانقباض

النفس لا لعيب ينسبهُ اليهِ بل لعيب فينا فانهُ يرينا قصورنا وتقصيرنا وانحطاطنا عن كل امة من امم الارض. وسواءٌ دخل القصر التركيّ والمصريّ ورأى عظامة ظاهرة ولا لبابٌ فيها او دخل معارض الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا بالامس مثل السرب والبلغار او الممالك الحديثة العمران مثل بيرو واليابان لا يشعر الاَّ بالحياء والخجل . وقد افاض اخي الدكتور نمر في وصف ما شعر بهِ حين دخولهِ القصر التركي قال

"وقد اشتدَّت هذه الكآبة عليَّ وضاقت الدنيا في عينيَّ لما ايقنت ان معروضات جميع الامم الدانية والقاصية والمتمدنة والمتأبدة تفوق معروضات امتي العثمانية وان كل دولة من دول الارض قد عنيت بعرض ما يظهر مجدها وقوتها وتقدمها وثروتها وتمدنها وانتظام حكومتها الاَّ دولتنا العلية فانها اكتفت بالتشبه بالدول الاخرى في الظاهر فاقتصرت على بناء قصر باذخ لها على مثال بعض القصور والجوامع والاسواق في الاستانة ولكنها تركتهُ فارغاً من تحفها وكنوزها ونفائسها ولم تكد تعرض شيئاً فيهِ ولا في سائر اقسام المعرض غير ازياء جنودها في معرض جيوش البر وجيوش البحر . وكأنها خافت ان يتوهم الناس ان ملابس جنودها تُنسج في معامل بلادها لا في المعامل الاجنبية فعرضت معها مثال نسافة تصنع لها الآن في معمل اجنبي اظنهُ معملاً المانيًّا وكذلك حكًّا يوضع في النسافة لتسترشد بابرتهِ المغنطيسية في سيرها واوقفت حاجباً على هذه المعروضات التي يخجل العثماني من ذكرها بجانب ما قربها من ازياء جنود روسيا والمانيا وفرنسا فسألت هذا الحاجب بالفرنسوية قائلاً أهذه كلها صُنع بلادكم فاجابني وهو يحسبني اوربياً نعم ان هذه تصنع عندنا في الاستانة . فتبسمتُ واشرت الى مثال النسافة والى الطربيد والحك اللذين بجانبها وقلت لهُ أتقول ان معامل الاستانة تصنع هذه ايضاً . فداخلهُ الريب لما رآني أتبسم وأعيد السؤال متعجباً وكأنهُ ادرك اني لست اوربياً كما توهم فاجابني لا بل هذه وغيرها تصنع خارجاً ولكنها ملك الدولة . ثم صمت وتنهد فحوَّلت وجهي عنهُ وسرت في طريقي وانا اتنهد

"وقد سألت كثيرين من العثمانيين الذين لقيتهم في المعرض عن سبب هذا الاهمال الغريب من الدولة العلية وقلت انا مهما شكونا من قصورنا وتقصيرنا فليس منا مَن يُنكر ان عند الدولة العلية وفي السلطنة العثمانية من النفائس والمصنوعات والحاصلات والادوات ما لو عرض في القصر العثماني لفاق معروضات اليونان وولايات البلقان على الاقل اذا لم نقل انهُ يفوق معروضات ايران والتركمان فما الذي جرى حتى ان دولتنا اكتفت ببناء قصر فخيم من الخارج وترك بعض الباعة يعرضون البسط والسجادات العثمانية والحلى الكاذبة والبضائع المزوقة

البار يزية ورضيت ان يخص باقيهُ بالملاهي والقهوات ومحلات الرقص والخلاعة حتى ان كل من يأتي هذا المعرض من امم الخافقين يظن ان الامة العثمانية احقر امم الارض شأناً واحطها آداباً واقلها علماً وادناها صناعة وزراعة وانها مؤلفة من شعوب غائصة في بحار الجهل والغباوة بعيدة عن التمدن والعمران لان كل دولة من الدول وكل امة من الامم بل كل مستعمرة حتى المستعمرات الافريقية قد امتازت معروضاتها في هذا المعرض على المعروضات العثمانية كما لا ينكر ذلك احد . فلو كانت الدولة العلية لم تشارك سائر الدول في هذا المعرض لصانت كرامتها وحفظت حرمة تبعتها . اما وقد بادرت الى تشييد قصر فخيم بين قصر ايطاليا وقصر الولايات المتحدة وزانتهُ وزخرفتهُ حتى يخالهُ الرائي من جملة تلك القصور البديعة فكان الواجب ان تحفظ مقامها ومقام الامة العثمانية في اعتبار سائر الامم وتعرض بعض ما في قصور سلاطينها من الكنوز والنفائس وبعض ما في بلادها من الاشياء الفاخرة لا سيما وان بلادها تفوق سائر البلدان في كثير من حاصلات اراضيها الخصيبة وتربتها الجيدة وتمتاز عن غيرها بكثير مما جاد الله بهِ عليها من الجماد والنبات والحيوان . وفيها من المصنوعات ما لا يصنع مثلهُ في اكثر البلاد الشرقية التي سمت عليها في المعرض سموًّا عظيماً واوهمت الالوف والملايين من الذين يترددون عليهِ من جميع الامصار والاصقاع انها سابقة للبلاد العثمانية بمراحل فائقة لها في الحضارة والتمدن بمراتب"

وازيد على ذلك ان الحكومة العثمانية دفعت لانشاء القصر الخاص بها وعرض معروضاتها فيهِ اكثر مما دفعهُ كثير من الدول الاوربية كما ترى في هذا الجدول

دفعت حكومة	النمسا	٧٥٠٠٠٠٠	فرنك
" "	المانيا	٦٦٠٩٠٠٠	"
" "	الولايات المتحدة	٥٠٥٠٠٠٠	"
" "	المجر	٢٥٠٠٠٠٠	"
" "	بريطانيا	١٨٧٥٠٠٠	"
" "	تركيا	١١٥٠٠٠٠	"
" "	البلجيك	١٠٠٠٠٠٠	"
" "	اليونان	١٠٠٠٠٠٠	"
" "	ايطاليا	٠٩٠٠٠٠٠	"
" "	اسوج	٠٨٠٥٠٠٠	"

دفعت حكومة نروج		٥٦٠٠٠٠	فرنك
" "	رومانيا	٣٠٠٠٠٠	"
" "	البلغار	٣٠٠٠٠٠	"
" "	بيرو	٢٠٠٠٠٠	"

لكنَّ الذين ائتمنتهم الحكومة العثمانية على اظهار عظمتها في المعرض وعرض بضائع بلادها فيهِ اكتفوا بتشييد قصر فخيم من اعظم قصور الدول واجملها على ما تقدم بيانهُ وكانوا يستطيعون ان يتشبهوا بسائر الدول في عرض خيرات بلادهم ومصنوعات اهاليها ولكنهم لا يستطيعون ان يجاروا اصغرهنَّ واحدثهنَّ عمرانًا في غير المواد الطبيعية فاين نظام المدارس في بلادنا العثمانية الذي يقابل بنظامها في بلاد يابان بل اين جرائدها التي تقابل بجرائد فنلندا اصغر ممالك روسيا واين شركاتها التجارية والصناعية التي تطمع في مزاحمة غيرها لعرض بضاعتها وترويج تجارتها

وكما عرَّج الدكتور نمر على القصر العثماني عند اول دخوله المعرض عرَّجت انا على القصر المصري فرأيت ان الشركة المصرية فعلت اكثر مما يطلب منها وبالغت في الكرم كما بالغت الحكومة المصرية في البخل فاضرَّت نفسها وكل المشتركين معها لانها شادت بناء مصريًّا عربيًّا من اعظم المباني التي شادتها الدول العظمى واجملها لكنها وقفت عند هذا الحد من حيث حقيقة المعرض وكيف لا تقف عندهُ فليس في القطر المصري شركات صناعية حتى تعرض فيهِ مصنوعاتها من الآلات التجارية والكهربائية والهندسية والبصرية ترغيبًا للناس في ابتياعها ولا فيهِ معامل كبيرة تستطيع ان تنفق الوف الجنيهات على عرض بضائعها طمعًا بالربح الكثير من وراء ما يطلب منها لان كل ما في القطر المصري من الانوال والمصابن والمسابك وما اشبه لا يفي بالجزء الصغير من حاجة سكانهِ . وحاصلاتهُ التي تصدر منهُ وهي القطن والسكر والبصل والفول معروفة مشهورة في كل الاسواق التي تتجر بها. نعم لو ارادت الحكومة المصرية ان تجامل الحكومة الفرنسوية وتجود بقدر من المال تشبهاً بغيرها من البلدان لوجدت في بلادها ما لا تخجل من عرضهِ في كثير من اقسام المعرض فان في مدرسة قصر العيني الطبية من المجاميع الجمادية والنباتية والحيوانية والجراحية وفي دار المساحة الجيولوجية من الحجارة والمعادن والجواهر وفي حكمدارية مصر من الحقائق الاحصائية وفي مدرسة الصناعة من الاشغال والمصنوعات وفي مدرسة الزراعة من الحبوب والبزور وفي سائر مدارس الحكومة من اشغال التلامذة والاحصاءات وعند النساجين في المحلة وغيرها وعند الخراطين وعمَّال المشربيَّة في القاهرة واسيوط ما لا تخجل مصر بعرضهِ وفي متاحفها ما لا مثيل لهُ في الخافقين من آثار المصريين واليونانيين والعرب حتى

لو عرضت جزءا صغيرًا منهُ لاستوقف الابصار ورأيت الوفاً من الناس يتقاطرون الى القطر المصري بعد ذلك يطلبون المزيد من رؤية ما رأوا بعضهُ في معرض باريس

ولا بدَّ من ان تعتذر الحكومة المصرية عن بخلها هذا بان في متاحف اوربا من الآثار المصرية اكثر كثيرًا مما يمكنها ان تعرضهُ في هذا المعرض فيراه الاوربيون كل يوم وان ما سوى ذلك من مصنوعات البلاد لا يقاس بمصنوعات غيرها من البلدان ولا هو زائد عن حاجة اهلها وان حاصلاتها الزراعية قليلة الانواع يعرفها كل من يتعاطى الاتجار بها كما سبق بيانهُ فلا داعي لانفاق النفقات الطائلة على ما لا فائدة كبيرة منهُ وان اظهار عظمة البلاد ومجدها من الكماليَّات والقطر المصري لم يكتفِ من الحاجيات حتى الآن فلا يليق بهِ ان يثب الى الكماليات وثوبًا . هذا عذر الحكومة المصرية في ما نظن وهو احفظ لكرامتها مما فعلتهُ الحكومة العثمانية التي انفقت خمسين الف ليرة لكي تقنع الملا ان ليس في بلادها شيء يستحق العرض غير القهاوي والراقصات

ومساحة ارض المعرض ١٠٨٠٠٠٠ متر مربع او نحو ٢٦٠ فدانًا اقيم في نصفها مبانٍ فخيمة بديعة بعضها طبقة واحدة وبعضها طبقتان او ثلاث وترك النصف الآخر طرقًا ومسالك وحدائق وخمائل . ولما تعذر وجود بقعة واحدة في باريس تكفي هذه المباني كلها شادوها في بقعتين كبيرتين الواحدة في الروض المعروف بشان دو مارس (روض المريخ) والثانية في الساحة الكبيرة المعروفة بساحة الانفاليد التي امام مدفن بونابرت وملجإِ الجنود المصابة واضافوا اليهما ضفتي نهر السين اللتين بينهما وقصر التروكادرو وما حولهُ وحول برج ايفل من البقاع وجانبًا مما يلي ساحة الكونكورد بنوا فيهِ قصرين ثابتين للفنون. ثم رأوا ان هذه البقاع كلها لا تكفي لعرض المعروضات ولا تشبع مطامع العارضين فاضافوا اليها جنان فانسان حيث اقترح البعض ان ينشأ المعرض كلهُ . وحوَّطوا البقاع الاولى بدرابزين من الخشب فتحوا فيهِ ٣٦ بابًا في جهات مختلفة منهُ حتى يسهل البلوغ اليهِ من كل انحاء المدينة لا يدخل منها احد الاَّ وفي يدهِ ورقة للدخول وثمن الورقة اصلاً فرنك ولكنهُ هبط في اثناء المعرض حتى بلغ اربعين سنتيماً او ثلاثين عدا ما يدفعهُ الزائر للدخول الى الملاهي ونحوها كقصر الازياء والكرة الفلكية وقصر البصريات وقصر الزجاج ومناجم المعادن . واختلف عدد الداخلين من هذه الابواب فصعد في بعض الايام الى ستمئة الف نفس وهبط في غيرها الى مئتي الف او اقل . وكان الازدحام يشتدُّ في بعض الاوقات وبعض الاماكن حتى يضطر المرء ان يقف في مكانهِ دقائق كثيرة لا يستطيع ان يخطو فيها خطوة واحدة لكننا لم نرَ ولم نسمع ان احدًا اصيب

بكرومهِ من جراء ذلك لان لجنة المعرض عنيت بكل ما يحفظ نظامهُ ويجعلهُ مثالاً في الراحة والنظافة والاتقان فاولاً وضعت فيهِ اكثر من الفين من الحرَّاس ورجال البوليس لحفظ الامن والنظام فيهِ ومنع كل اعتداء واختلاس وعينت جماعة من ركَّاب الدرَّاجات ليطوفوا حولهُ ليلاً ويغيثوا كل من يستغيث او يقع في ضيق. ولما كان نهر السين يخترق المعرض عينت جماعة من الغواصين لينتشلوا من يقع فيهِ

ثانياً. عينت ادارة طبيَّة خاصَّة بالمعرض واقامت فيها كثيرين من الاطباء والجرَّاحين وعينت لها ثلاثة اماكن فيهِ وجعلت لكل نقطة من نقط البوليس نقطة طبيَّة ايضاً وذلك للمبادرة الى اغاثة كل من يصاب بآفة

ثالثاً. فتحت فيهِ سبعة مكاتب للبوسطة والتلغراف والتلفون وخمسين مكتباً عمومياً للتلفون متفرقة في جوانبهِ عدا بعض المكاتب الخصوصية للبوسطة والتلغراف والتلفون لكي يسهل على زوارهِ والعارضين فيهِ ان يتكاتبوا ويتخاطبوا ويكاتبوا غيرهم او يخاطبوهُ من غير ان يتجشموا مشقة الخروج منهُ الى اماكن البوسطة والتلغراف والتلفون

رابعاً. جعلت وسائط الانتقال فيهِ من احدث المخترعات او اعظمها اتقاناً فمنها الروافع التي يرتفع بها الناس في المباني العالية كما في بعض الفنادق الكبيرة في مصر ومنها السيور المتحركة على سطح مائل فيقف الانسان على السير منها في الطبقة السفلى فيرتفع بهِ الى الطبقة العليا ويغنيهِ عن الصعود على الدرج. وفي المعرض ٢٨ سيراً من هذه السيور المتحركة متفرقة في جهاتهِ المختلفة. ومنها السكة الحديدية الكهربائية ولها قطرات عديدة تتوالى كل دقيقتين او ثلاث فتسير بالراكب داخل المعرض من القسم المسمَّى اسبلاناد الانفاليد الى القسم المسمى شان دو مارس ثم تدور من عند برج ايفل وقصور الدول الى ان ترجع الى اسبلاناد الانفاليد بعد ان تقف قليلاً في محطاتها الخمس داخل المعرض. ومنها المساطب الدوَّارة وهي ثلاث مماشٍ من الخشب موضوعة احدها الى جانب الآخر الاول منها ثابت والثاني بطيء السير والثالث سريع والممشيان الاخيران يدوران بالكهربائية. ويوصل الى هذه المماشي من احدى عشرة محطة وجعل الدخول اليها نصف فرنك فاذا صعد الانسان اليها فاما ان يقف على الممشى الثابت منها او ينتقل الى الممشى البطيء الحركة فيدور بهِ بسرعة اربعة كيلو مترات وربع كيلو متر في الساعة او الى الممشى السريع فيسير بهِ بسرعة ثمانية كيلومترات في الساعة. ولو لم يكن هذا الاسلوب جديداً ما ظهرت لهُ مزية على غيرهِ من طرق الانتقال لاسيما في ايام الحر واوقات شروق الشمس اذ يضطر السائر بهِ ان يقف على قصب رجليهِ في عين الشمس الى ان يصل الى الباب الذي يريد الخروج

منهُ واذا لم يسرع الى الخروج حالاً اضطرَّ ان ينزل بعيداً عنهُ ويعود اليهِ ماشياً ولذلك قلَّ استعمالهُ وافلس اصحابهُ مراراً . وفي المعرض مركبات صغيرة مثل مركبات العجزة والمفلوجين يركبها التعابى والطاعنون في السن ويذهب بهم الذين يجرُّونها الى حيث شاؤُوا داخل قصور المعرض ومتاحفهِ او خارجها واجرة الساعة في المركبة منها فرنكان ونصف فرنك

خامساً . انشأ الصيارفة في المعرض مصارف عديدة وفتحت البنوك فروعاً لها فيهِ لقضاء الاشغال المالية التي تقضيها المصارف والبنوك في سائر المدن ولا غرابة في ذلك لانهُ مدينة كبيرة قلما يكون الذين فيها اقل من مئتي الف نفس

سادساً . اتقنت لجنتهُ اسباب النظافة من كنس ورش واقامت في جهات عديدة منهُ مباول مجانية يجري الماء دائماً فيها فيغسلها وبنت مراحيض كثيرة محكمة الصنع والوضع في كل ناحية منهُ واتبعت بعضها بمغاسل فيها ماء بارد وحارٌ وجعلت اجرة الدخول اليها من عشر الفرنك الى ثلاثة ارباعهِ وجعلت لها كلها مصارف تنزح اليها فتبقى نظيفة لا رائحة لها يختلف الناس اليها رجالاً او نساء على غاية الحشمة والوقار كانهم اخوة واخوات اولاد عائلة واحدة. او كأن كلاً منهم مشغول بمطالب عقلية سامية فلا يلتفت الى ما سواها

وقد أُنشئ فيهِ كثير من المطاعم تطبخ كل يوم ما يقوت مئتي الف نفس . ويجلس فقراء الزوّار على الكراسي المبثوثة في عرصاتهِ يفتحون مزاودهم ويأكلون مما معهم من خبز ولحم وفاكهة . ومع ذلك كلهِ لا ترى اثراً لفضلات الطعام وقشور الفاكهة ولا لنفاية الآلات الكثيرة الدائرة فيهِ حتى الذبان الذي يعمي عيوننا في القطر المصري لم نرَ شيئاً منهُ في هذا المعرض ولا في باريس كلها . ويقال ان لجنة المعرض حظرت على الناس البصق في ساحاتهِ ومسالكهِ فاستهجنوا ذلك منها لكنهم عملوا بهِ على ما يظهر . وكثيراً ما كنا نقف في مكان يشرف على جماهير كثيرة من الزوار نرقب حركاتهم وسكناتهم فنراهم يموجون كالبحر الزاخر واذا زحم احد غيرهُ التفت اليهِ واعتذر بكل ادب ووقار. ولم نرَ احداً لابساً ملابس وسخة او رثة ولا احداً تأنف من الوقوف معهُ او الجلوس اليهِ . وكأن الناس فقدوا قوة النطق فلا تسمع الاّ صوت انفاسهم ووقع خطاهم واذا كلَّم احد غيرهُ كلمهُ همساً حتى لا يزعج غيرهُ بصوتهِ

والحرّاس غاية في اللطف والدعة والتيقظ رآني احدهم مرةً اتطاول الى قراءة ما كُتب تحت صورة في قصر مدينة باريس وهو احد ابنية المعرض كما سيجيء وانا لا استطيع قراءتهُ لبعد الصورة ودقة الخط فدنا مني واعطاني كتاباً فيهِ اسماء المعروضات في ذلك القصر ولما التفتُّ اليهِ لاشكرهُ رأيتهُ عاد الى مكانهِ بين الحراس كأنهُ لا ينتظر اجراً ولا شكوراً . ورآني

حارس آخر اتعب في البحث عن معروضات مدغسكر فدنا مني وقال إن تسمح شرحتُها لك كلها فقلت حسناً فقال أبالفرنسوية ام بالانكليزية قلت الانكليزية اسهل عليَّ فهما فاخذ يشرح لي معروضاتها ومناظرها واحداً واحداً وبقي نحو ساعة على هذا النمط

والخلاصة ان المعرض وما فيهِ آية في الجمال والاتقان والنظافة وكل ما يفيد ويسرّ ويبهج. وعسى ان يكون هذا رأي كل اخواني الشرقيين الذين زاروهُ وان يبثوا ذلك بين قومهم لكي نقتدي بالاوربيين في اتقان اعمالنا ونجتنب كل ما يُعدُّ من الشوائب في مرائع العمران

(٣) اقسام المعروضات

ان اللجنة التي تولَّت انشاء هذا المعرض وتنظيمهُ قسمت الاشياء التي اريد عرضها فيهِ الى ١٨ باباً وقسمت هذه الابواب الى ١٢١ فصلاً وعينت لهذه الابواب والفصول اماكن خاصَّة في اقسامهِ المختلفة وتركت جانباً كبيراً منهُ لبقية الدول تجاريها في تقسيم معروضاتهنَّ على قدر الامكان فعرضت بريطانيا العظمى معروضاتها في ٢١ مكاناً من امكنة المعرض والولايات المتحدة الاميركية في عشرين مكاناً والنمسا والمانيا كلٌّ منهما في ١٩ مكاناً وبلجكا في ١٧ مكاناً وايطاليا في ١٥ مكاناً واسبانيا في ١٣ مكاناً واسوج في ١٢ مكاناً ونروج في ثمانية امكنة واليونان في مكان واحد

والباب الاول من الابواب المشار اليها يشمل كل ما يختص بالتعليم والتهذيب وفصولهُ ستة وهي التعليم الابتدائي والتعليم الثانوي والتعليم العالي وتعليم الفنون كالتصوير والنقش والموسيقى وتعليم الزراعة وتعليم الصناعة والتجارة

والمعروضات الفرنسوية التي من هذا الباب تشغل مكاناً واسعاً جدًّا من الجناح الايسر من معرض شان دو مارس ومن قصر مدينة باريس ومن معارض بعض المستعمرات الفرنسوية "وفي جملة ذلك ما عرضتهُ نظارة المعارف الفرنسوية من الاوراق والدفاتر والرسوم ونحوها مما يستعمل في تعليم الاطفال وعرضت مثال مدرسة من مدارس الاطفال مستوفياً كل ما يكون فيها من كرسي المعلم ومقاعد التلامذة التي يجلسون عليها والالواح الحجرية والخشبية والصور والخرائط المعلقة على جدرانها ومكتبتها وكتبها الى غير ذلك. ودفاتر التلامذة حاوية خطوطاهم وانشاءهم وما يرسمونهُ وما يصورونهُ وهلمَّ جرًّا . ثم ما يعملهُ تلامذة المدارس الابتدائية والعليا مثل المصنوعات الخشبية والحديدية في مدارس الصبيان واعمال الابرة والصنارة والوشي والتطريز وما اشبه في مدارس البنات . ويتلو ذلك معروضات مدارس المعلمين والمعلمات مثل رسوم تلك المدارس وصورها وصور فرق التلامذة فيها وتقارير مفتشيها عنها. وتتلوها معروضات

المدارس الليلية مثل صورها ورسومها ومكاتبها وما يشترك فيهِ تلامذتها كبنوك الاقتصاد الخاصة بها وجمعيات التعاون وجمعيات التلامذة الذين تخرَّجوا فيها . وبجانب معروضات نظارة المعارف الفرنسوية معروضات المدارس المستقلة عن الحكومة وهي كثيرة مثلها ومعروضات المدارس القديمة مثل الكتب التي كانت تُدرَّس فيها والاشغال التي كان التلامذة يشتغلونها فيها وطرق تعليمها وامثلة تُظهر شكل بنائها وكيفية ترتيبها والملابس التي كان التلامذة يلبسونها ونحو ذلك

هذا بعض ما عرضتهُ فرنسا في شان دو مارس مما يتعلق بالتعليم الابتدائي اي بالفصل الاول من الفصول الستة المدرجة في الباب الاول " . وقد جرت هذا المجرى في سائر فصول هذا الباب وجارتها الدول الاوربية بنوع عام والولايات المتحدة الاميركية بنوع خاص. ولم تكتفِ الولايات المتحدة بوصف مدارسها وطرق التدريس فيها وعرض اشغال التلامذة ومصنوعاتهم بل اقترحت على علمائها انشاء تسعة عشر تقريرًا مسهبًا عن مدارسها المختلفة الانواع واحوال التعليم فيها كمدارس الاطفال والمدارس الابتدائية والمدارس العالية والمدارس الكلية والمدارس الجامعة ومدارس الزراعة ومدارس الصناعة ومدارس المعتوهين ومدارس الصيف والجمعيات العلمية ومدارس السود ومدارس تعليم هنود اميركا. وطبعت من كل تقرير الوفًا والوف الوف من النسخ وهي توزّع مجانًا على من يطلبها ليقف كل احد على احوال التعليم في اميركا. ولابدّ من ان تكون قد انفقت نفقات طائلة على انشاء هذه التقارير وطبعها ونشرها لان بعضها اكبر من المقتطف . وقد لخصتُ واحدًا منها في باب الزراعة في هذا الجزء

ولم أُطل الوقوف في القسم الفرنسوي الخاص بهذا الباب ولا في اقسام الدول الاوربية الكبرى لعلمي ان التعليم فيها كلها قد بلغ من الدرجات اسماها لكنني اطلت الوقوف في قسم روسيا لانها دولة اسيوية كما هي اوربية ولأن الشائع بين ظهرانينا ان شعوبها لا يزالون في حالة الهمجية والجهل وان مدارسها مقيدة بقيود من حديد حتى يضطر تلامذتها ان يجاهروا بالعصيان من وقت الى آخر فلما نظرت الى معروضات مدارسها وما يتعلق بها اتضح لي انها سائرة سيرًا حثيثًا في سبيل الارتقاء سيرًا يدهش الشرقي الذي اعتاد بطء الحركة وبطء السعي وبطء الارتقاء . أوَ يُصدّق انهُ لم يكن في روسيا سنة ١٨٨٩ سوى خمس مدارس للتجارة مثلاً فصار فيها سنة ١٨٩٩ خمس وستون مدرسة اي زاد عددها ثلاثة عشر ضعفًا في عشر سنوات وكان عدد تلامذتها الفًا فصار اربعة عشر الفًا اي زاد اربعة عشر ضعفًا في عشر سنوات. فاذا

جرت بلاد الروس كلها على هذا النمط من الارتقاء مع ما هو معلوم من نمو شعوبها وازدياد فتوحها حقَّ الانكليز ولدول اوربا واسيا ان توجس خيفةً من تقدمها وحقَّ لعلماء الاجتماع ان يقولوا انهُ ان لم يكن مستقبل الارض للانكليز ولغتهم فهو للروس ولغتهم. وقس على مدارس التجارة مدارس الزراعة والصناعة والعلوم والفنون . والظاهر ان الروسيين قصدوا ان لا يبقوا مزية لجيرانهم الأَّ اقتبسوها منهم وزاحموهم عليها فترى السجاجيد العجمية بين مصنوعات بناتهم والشرانق والحرير والقطن مما يُجنى في مدارسهم الزراعية . واشغال البنات في التصوير والرسم والتطريز والخياطة والحبك بالغة غاية الاتقان وعلماء الجيولوجيا والمعادن والحشرات لم تثبط هممتهم سعة البلاد فرادوها ودرسوا طبائعها وطبائع ما فيها وعرضوا مجموعات كثيرة منها

ثم انتقلتُ من معرض بلاد الروس الى معرض بلاد اليابان وقلت هذه دولة شرقية محفة وقد ولجت ربوع العمران الاوربي حديثًا بعد ما ولجهُ اهالي مصر والشام فلما وقع نظري على احصاء مدارسها واعمال تلامذتها اطرقت خجلاً وحياء فقد كان عدد المدرسين في مدارسها الابتدائية ٤٩١ ١٥٧ سنة ١٨٨٢ فصار ١٤٣ ٦٢٦ سنة ١٨٩٨ وكان عدد تلامذتها ٣٠٨٩١٠٠ فصار ٤٣٤٧٣٤١ واعمال التلامذة في الرسم والتصوير والنقش واعمال مدارس الصناعة ومدارس الزراعة ومدارس البنات ومجموعات الباحثين عن جغرافية البلاد وجيولوجيتها ومعادنها وحشراتها وحيواناتها واسماكها والآلات العلمية التي صنعت فيها ولاسيما مقاييس الزلازل والآلات الكهربائية كل ذلك مما يقضي بالعجب العجاب ويوقف الاوربيين موقف الحيرة مخافة ان تنهض امم المشرق كلها نهضة اليابان فتزاحمهم في اسواق التجارة وتحرمهم من الربح الكثير الذي يربحونهُ الآن منها ومن غيرها . ولا يبعد ان يكون هذا من جملة الاسباب التي حرَّكت الامم الاوربية او بعض زعمائها لمعاجلة الصين قبلما تستتمُّ نهضتها وتتسنَّم غارب العمران

والباب الثاني في الفنون الجميلة وفصولهُ اربعة وهي (١) التصوير والتمثيل والرسم (٢) الحفر وطبع الحجر (٣) عمل التماثيل ونقش النياشين والنقش على الحجارة الكريمة (٤) صناعة البناء

ومعروضات هذا الباب متفرقة في اماكن كثيرة من المعرض واكثرها مجموع في قصرين كبيرين شادتهما فرنسا من الحجر والمرمر وقد رأيت ان اسهب الكلام عليهما هنا فاقول

قصرا الفنون

كلما انشئ معرض عامٌّ في باريس بقي منهُ اثر راسخ يدلُّ عليهِ والاثر الباقي من المعرض السابق برج ايفل وهو كالشهرة واسع المدى قليل النفع فاراد الفرنسويون ان يبقوا لهذا المعرض اثرًا يليق بهِ من حيث المهارة في اتقان الصناعة ويكون منهُ نفع دائم فاقاموا جسر الاسكندر

وسيأتي وصفهُ في الكلام على ابنية المعرض وانشأوا هذين القصرين ووثّقوا اركانهما واحكموا بنيانهما وزينوهما بمنتهى ما وصلت اليهِ صناعة البناءِ والنقش . احدهما اكبر من اخيهِ كثيرًا وبينهما شارع كبير وخمائل نضرة واتموا بناءَهما في سنتين من الزمان وانفقوا عليهما مليونًا من الجنيهات. والصغير منهما جُمعت فيهِ بقايا الفنون الفرنسوية من اقدم عهدها الى سنة ١٨٠٠ وهو مثلَّث الشكل واجهتهُ مزدانة بالاعمدة الكبيرة ذات التيجان الايونية وبابهُ الكبير شاهق فوقهُ قناطر متراكزة ونقوش بارزة وتماثيل قائمة على اوضاع شتى وعلى جانبيهِ مجموعان من التماثيل البديعة وغلقا الباب من النحاس المشبك كأنهُ اغصان واوراق وازهار نُظمت بعضها مع بعض على اشكال جميلة . والداخل من هذا الباب يرى اولاً بهوًا كبيرًا فوقهُ قبَّة شاهقة والجدران التي حول هذا البهو اسفلها من المرمر الاصفر وفوقها صفائح من المرمر المعرَّق الذي يغلب فيهِ اللون الاحمر . والى اليمين واليسار سُلَّمان عريضان يوصل منهما الى غرف ومقاصير كبيرة تدور حول القصر ورواقين امامها ووراءَها وفي هذه الغرف والمقاصير ورواقيها بدائع الصور والتماثيل والخزائن والموائد والكراسي والمقاعد والبسط والستائر والساعات والصحاف والاسلحة وكتب الخط والموشيات والمطرَّزات وآنية الكنائس كاللبان والكؤوس والمذابح والاشعة وذلك كلهُ من اقدم عهد الحضارة في فرنسا من عهد الرومان الى سنة ١٨٠٠. ومما يستوقف النظر بنوع خاص الاسلحة القديمة وصور ملوك فرنسا وملكاتها وربات الجمال فيها والحلى القديمة والساعات والمراوح والآنية الذهبية والفضية ومنسوجات الغوبلين وانواع الخزف المشهور مثل خزف بالسي وخزف سفر وخزف مرسيليا . والمصنوعات التي صُنعت بين سنة ١٦٠٠ و ١٨٠٠ من اجمل ما رأتهُ عيني حتى لا اكاد اصدّق ان صنَّاع القرن التاسع عشر فاقوا صنَّاع القرن الثامن عشر والسابع عشر في شيءٍ من ذلك

وسيُعطى هذا القصر لمدينة باريس بعد انتهاء المعرض فتبقيهِ دارًا للتحف بدل العشرين مليونًا من الفرنكات التي ساعدت بها لجنة المعرض . ومن العجب ان مدينة فيها متحف اللوفر ومتحف لكسمبرج والتروكادرو ومتاحف اخرى غيرها لا تكتفي بها بل تطلب المزيد دوامًا لكي يرتقي الذوق الصناعي في اهلها و يرغب الغرباءُ في المجيءِ اليها وإنفاق الاموال فيها . فكأنها تتاجر بمعارضها لتربح تقدُّم اهلها وازدياد ثروتهم وهذا هو الاتجار النافع والسعي الحميد

والقصر الكبير الى الغرب من القصر الصغير وهو معرض لما صنعهُ ارباب الفنون في العشر السنوات الاخيرة مساحتهُ ٤٠٠٠٠ متر مربع اي نحو عشرة افدنة وهو جامع بين نخافة البناء ودقَّة الصناعة وكثرة الزخرفة . ولم ينهج مهندسوهُ منهجًا واحدًا في بنائهِ بل جمعوا فيهِ بين

الاساليب اليونانية والرنسنس (التجديدية) التي من عهد لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر ولم يكتفِ الصنّاع بتضليع الاعمدة المحيطة بهِ وزخرفة تيجانها بل ادخلوا بين اضلاعها اوراق السندبان وثمرهُ لزيادة الزخرفة والتفنن في النقش

ومدخل هذا القصر من الجهة الغربية قائم بين اعمدة مزدوجة داخلها كوًى كبيرة فوقها صور بارزة من الخزف المدهون الملوَّن تمثل تاريخ الفرنسو بين وطرقهم الماشية من اقدم عهدهم الى الآن وهي محيطة بالقصر كلهِ تحت افريز سطحهِ . وعند الزاوية اليمنى امام الداخل تمثال الصناعة وهو رجل في يدهِ اكليل وفوقهُ ملائكة تتوّجهُ والى اليسار تمثال العلم وهو امرأة على جواد في يدها مصباح المعرفة (والصناعة مذكر في اللغة الفرنسوية والعلم موَّنث ولذلك تمثَّل الصناعة بصورة رجل والعلم بصورة امرأة) وفوق الباب امرأة عارية خارجة من صدفة وتماثيل كثيرة من البرنز . وغلقا الباب كانهما غاب من الاغصان والازهار وداخلهُ بهو كبير على هذا النمط من النقش والزخرفة وعلى عضائدهِ صفائح من حجر السليماني عليها رسوم من النحاس

ولما كان هذا القصر معرضاً لما صُنع في العشر السنوات الاخيرة من الصور والتماثيل والرسوم والنقوش وكل ما تفنَّن الصنّاع في عملهِ ونقشهِ كالبسط والستائر والكراسي والموائد والمقاعد والخزائن والكؤوس وآنية الزجاج والخزف والخشب ترى غرفهُ ومقاصيرهُ واروقتهُ ودارهُ الكبيرة مشحونة بهذه المعروضات وترى الناس يموجون فيهِ افواجاً افواجاً ذهاباً واياباً رجالاً ونساء من كل اقطار المسكونة كما ان ما هو معروض فيهِ منتقى من كل البلدان والممالك من فرنسا والمانيا وبريطانيا واسبانيا وايطاليا وروسيا واميركا وسائر الممالك الاوربية

وتبلغ المعروضات الفرنسوية فيهِ	٢٦١٢
والاميركية	٠٤٢١
والروسية	٠٤٢٠
والبريطانية	٠٣٤١
والالمانية	٠٢٤٠
والسويسرية	٠٢٣٥
والنمسوية	٠٢٢١
والايطالية	٠٢١٦
والدنمركية	٠١٨٦
والاسبانية	٠١٦٣

والبرتغالية ٠١٦١

والبلجية ٠١٥٤

وقس على ذلك معروضات سائر الممالك حتى تركيا عرضت ١٣ صورة لمصوّرة وستة مصورين . والمصورة اجنبية كما يظهر من اسمها والمصورون الستة تدل اسماؤهم على ان ثلاثة منهم ارمن وواحداً ايطالي وواحداً اسرائيلي والسادس اسمهُ ادغار شاهين . اما البلدان التي انفصلت عنا فقد عرضت اكثر منا كثيراً فالسرب عرضت ٤٦ صورة و ٩ تماثيل واليونان عرضت ٥ صور و ٣٦ تمثالاً والبلغار عرضت ٢٥ صورة و ١٨ تمثالاً

وقد تفنَّن النقاشون في نحت بعض التماثيل فنحتوا بدن التمثال من رخام ابيض وشعرهُ من رخام اشقر وثيابهُ من رخام ملوَّن مثال ذلك تمثال الطبيعة وهي كاشفة ستارها وسافرة عن وجهها بدنها من الرخام الابيض وثوبها من الرخام المعرَّق بالاحمر والاصفر وشعرها من الرخام الاشقر الذهبي ورداؤها من المرمر الضارب الى الصفرة

ووصف ما في هذا القصر من الصور والتماثيل يملأُ مجلداً كبيراً ولا يستطيعهُ الاَّ المصور الماهر والنحات البارع اذا امتلكا ناصية الانشاء وأُعطيا موهبة الاجادة في الوصف ولذلك لم احاول الجري في هذا المضمار

ولا يسع الشرقي الاَّ ان يندهش من تطرُّف الاوربيين في تصوير النساء وتمثيلهنَّ عاريات على اوضاع مختلفة لا لان جسم الانسان قبيح يجب سترهُ كما يزعم الجمهور بل لان بعض تلك الصور والتماثيل لا يقتضي ان يكون عارياً . فاي امرأة تلاعب طفلها وهي عارية او تقيم في الفلاة ولا ثوب يسترها او يقيها من الحر والبرد واي غانية تقابل حبيبها عارية . فلو اكتفى الصناع بتعرية ابدان المستحمات والمغتسلات والسابحات والتماثيل المراد بها تمثيل معنىً من المعاني كالفضيلة والحقيقة والمحبة لالتُمس لهم عذر اما مبالغتهم في تعرية صوَر النساء والرجال ايضاً فيما تصلح التعرية لهُ وما لا تصلح فغلوٌّ لا مسوّغ لهُ . وقد أَلفت عيون اكثر الاوربيين ذلك فترى نساءهم يقفنَ امام صور الرجال العراة والنساء العاريات غير مباليات الاَّ الانكليزيات والاميركيات فاني رأَيت بعضهنَّ يغضضن الطرف اذا رأَينَ صورة عارية ويتجاوزنها مسرعات

ودار هذا القصر فسيحة جداً على شكل صليب وهي مسقوفة بالزجاج وبعض الواحه كبير طولهُ ثلاثة امتار ونصف متر وعرضهُ متر وسمكهُ سنتيمتر وهو منحنٍ حسب شكل السقف المحدب ومنظر هذا السقف من الخارج غير جميل يكاد يشوّه منظر القصر كلهِ ولكن الضرورة دعت اليهِ وللضرورة احكام . وستكون هذه الدار معرضاً للتماثيل والخيل والحاصلات الزراعية

اما الآن فهي مملوءة بالتماثيل تراها فيها كغاب من الاشجار يحار المرء امام ايها يقف وفي ايها يمعن نظره ولاسيما اذا كان وقته محدودًا مثلنا . وهي مختلفة الاقدار والاشكال والاوضاع من الرخام الابيض الناصع البياض الذي يكاد يشف عما وراءه الى الرمادي فالضارب الى الصفرة فالضارب الى الزرقة فالاسود ومن البرنز والجبس وهلم جرًّا . وكثيرًا ما ترى تمثالاً من اجمل انواع المرمر او البرنز ولم ينل الاَّ نشان النحاس والى جانبهِ تمثال من الجبس وقد نال الجائزة العظمى او نشان الذهب لان العبرة في اتقان الصنعة لا في نوع المادة

ولقد كنا نودُّ ان نرى مصوّرينا البارعين من مصر والشام يتبارون مع غيرهم من المصورين ويعرضون بعض صورهم في هذا القصر ولكن أنّى يكون لهم ذلك وهم يعجزون في الغالب عن دفع نفقات السفر واموال الحكومة التي هي اموال الامة يُبخل عليهم بها

وما كنت اشعر بهِ من الكآبة حينما ارى بقية مباني المعرض وافكر في انها زائلة كلها مع ما فيها من الجمال وحسن الصنعة ومع ما أُنفق عليها من النفقات الطائلة لم اشعر بشيء منهُ لما رأيت هذين القصرين لانهما مبنيان من الحجر والمرمر والمعدن فلا تزيدهما الايام الاَّ جمالاً ومهابةً ولا يضيع درهم انفق على تشييدهما

وقد رأت فرنسا ان تعرض بعض ما صنعهُ مصوروها ونحاتوها بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٩٠ فعرضتهُ في جانب من القصر الكبير فملأ القسم الغربيّ منهُ من ذلك تمثال بونابرت والنحل على حلتهِ وهي مبطَّنة بالفرو لكن مادتها ومادة فروها من الرخام الابيض . وتمثال ايوب الصديق وكثير من الصور الصغيرة والكراسي والمقاعد والاسرَّة وسرير ابن بونابرت وخزانة جواهر جوزفين ومصنوعات كثيرة من الزجاج الملوَّن والخشب المرصَّع والخزف المنقوش . وترى على بعض الصور شيئًا كالضباب كأنها تُرى من وراء زجاج يغشيها او كأنها ترى في الليل

ولم تكتفِ فرنسا ولا الدول العارضات معها بما عرضتهُ في هذا القصر بل عرضنَ معروضات كثيرة من هذا القبيل في شان دو مارس والانفاليد وقصور الدول بعضها قديم جدًّا وبعضها حديث حتى لم يخلُ قصر من قصور الدول من الصور والتماثيل وما اشبه من المصنوعات الفنيَّة واكثرها ثمين جدًّا مما يفاخر بهِ الملوك كاسلحة بعض سلاطين العرب وكالصور التي عرضها امبراطور المانيا وكالتحف الكثيرة التي عُرضت في قصر مدينة باريس وقصر اسبانيا والمجر وبلجيكا واليونان

وقد فتشتُ بنوع خاص عما عرضتهُ الدول الشرقية كالصين واليابان وبعض الممالك الاوربية الصغيرة وبعض البلدان الاميركية القاصية فرأيتها كلها تفوقنا في تفنُّن صنَّاعها ولا

تحجم عن عرض صورها وتماثيلها ازاء المصنوعات الفرنسوية . وقد فاق الهنود والصينيون واليابانيون امم الارض في نقش العاج والخشب كما يظهر مما عرضوه في معارضهم المختلفة وبلغ اليابانيون حدًّا يندر ان يفوقهم فيهِ احد في عمل التماثيل وسبكها حتى كأن صناعهم قد اتقنوا علم التشريح تمام الاتقان قبلما حاولوا تمثيل جسد الانسان . وجاروا الاوربيين في تصوير الناس عراةً ان لم يكونوا قد سبقوهم الى ذلك لان بعض صورهم قديم من القرن السابع عشر

ومن ينظر الى الصور المختلفة المعروضة في القصر الكبير من قصري الفنون وفي اماكن مختلفة من المعرض يجد بينها صورًا كثيرة شاذة عما اعتاد رؤيته واوجه شذوذها في الخطوط الغليظة التي تفصل بين الصورة وما حولها وفي قلة الظلال اللازمة لتجسيم الصورة وفي اطلاق العنان للقلم ليتصرَّف في ما يمكنهُ التصرُّف فيهِ كغدائر الشعر وذيول الاثواب حتى كأنَّ المصور شاعرٌ يرسم صوَر الخيال على القرطاس لا صوَر ما يراهُ بعينيهِ. وهذا النوع من التصوير قديم جدًّا جرى عليهِ المصريون القدماء كما يظهر من الصور التي اكتشفها الدكتور بتري بين الآثار المصرية القديمة . وبقي المصورون يلجأون اليهِ كلما ارادوا الاستعاضة عن الحقيقة بالمجاز إما تخلُّصاً من قيود التدقيق او مجاراةً لصور الخيال الى ان قام المصور موخا النمسوي حديثًا فاحياهُ وعزَّز شأنهُ بالصور الكثيرة التي ابتدعها فشاع اسلوبهُ حالاً وجاراهُ كثيرون من المصورين . ومن صورهِ البديعة التي يغالى بها وقد كثر عرضها في المعرض صورة الريشة وصورة الزهرة وصورة الرقص وصورة الغناء وصورة الشعر وصورة التصوير وصورة الزنبق وصورة الورد

وصورة الريشة فتاة مسكت ريشة زرقاء بيسارها ووقفت حتى تُرى من جانبها وعقصت شعرها في اعلى رأسها وهو غدائر ملتفَّة بعضها على بعض كالافاعي والاهلَّة تجمعها عصابة من الذهب مرصَّعة بالحجارة الكريمة وصنيجان مرصعتان تغطيان اذنيها كما في بعض الصور المصرية القديمة وهي لابسة قميصاً يغطي بدنها ومنكبيها . وعلى وسطها منطقة تتدلى منها حمائل كثيرة وحول رأسها دائرة كبيرة كانها اعلى كوَّة عربية

وصورة الزهرة فتاة عقصت شعرها فوق قذالها واسدلت بعض غدائره على جبينها ووجهها وعنقها حتى غطت اذنيها ملتفة تحتهما وامسكت بيمينها عرقاً فيهِ ازهار جميلة تشمُّ رائحتها وحول رأسها دائرة من الازهار والرياحين

وصورة الرقص غانية التحفت بازار طويل الاذيال يشفُّ عن بدنها امسكت بهِ وهي تدور راقصةً فطار حولها كذنب الطاووس وعبث النسيم بشعرها فتموَّج وابعد عنها ثم التفَّ ودار اليها . وحولها هلال بديع النقش يكاد يلتف عليها . وقس على ذلك باقي الصور

والوانها كلها من ازهى ما صنعهُ المصورون او استنبطهُ الكيماويون ولا ارى وصفاً لها اقرب من القول بان نسبتها الى الصور العادية نسبة الشعر الى النثر فكما تسرُّ النفس باكتشاف معاني الشعر المخبوءة تحت الفاظهِ واستعاراتهِ سرور من ظفر بشيءٍ بعد البحث عنهُ تسرُّ ايضاً برؤية هذه الصور واكتشافها اشكال الاعضاء ومعاني الوجه من بين قليل من الخطوط . وكما يتصرف الشاعر في معاني الالفاظ ويحوّلها عمَّا وضعت لهُ يتصرَّف مصور هذه الصور في الخطوط والاشكال على حسب ما يرشدهُ الخيال . ومع ذلك لا يفسَّر تهافت الاوربيين على استحسان هذا التصوير وتفضيلهم اياهُ على التصوير الطبيعي الذي تماثل صورهُ الحقيقة تماماً الاَّ على مبدإِ اندفاعهم وراء كل جديد وحبهم للتغيير والتبديل على ما ترى في تغييرهم لازياء النساء

وتفنَّن الفرنسيون هم وغيرهم في ما عرضوهُ من الطبع على الحجر موضحين بهِ تاريخ هذه الصناعة من اول عهدها الى الآن ودرجات ارتقائها وما يُصنع بها من الصور الملوَّنة التي تحاكي الصور الزيتية في امتزاج الوانها

اما صناعة البناء فالمعرض كلهُ باقسامهِ المختلفة خير معرض لها فانك ترى فيهِ اشكال البناء المختلفة من عهد المصريين القدماء فاليونان فالرومان فالفرس فالعرب فالقوط فعصر التجديد فالعصر الحاضر . واشكالهُ المختلفة في ممالك اوربا واسيا وافريقية واميركا فيستغني بهِ زائرهُ عن تطواف المسكونة كلها اذا اراد مشاهدة مبانيها واساليب بنائها الشائعة فيها من هياكل المصريين والصينيين واليابانيين والهنود الى كنائس المسيحيين ومساجد المسلمين الى قصور الاوربيين والاميركيين . ومن اكواخ الاسكيمو واللابلنديين والتركمان في اقاصي الشمال الى اكواخ الافريقيين وخصاص الاستراليين في اقاصي الجنوب . وقد مثلوا فيهِ مدناً وقرى كاملة فترى فيهِ مدينة باريس القديمة بقصورها وحصونها وابراجها وكنائسها وشوارعها والناس فيها يجولون يبيعون ويشترون وهم بازيائهم القديمة التي كانوا يلبسونها منذ مئات من السنين . وترى فيهِ قرية من قرى بلاد سويسرا بجبالها وصخورها وبيوتها وشوارعها وابراجها ومذاودها وحظائرها وبقرها ودوابها ورعاتها وملابس اهلها . ومساكن اهالي الترنسفال نقرائهم واغنيائهم ومساكن اهالي مدغسكر وبلدان اخرى كثيرة في اسيا وافريقية . وما لم يعرضوهُ بنفسهِ عرضوا صورهُ اما رسوماً صغيرة لهُ او صوراً كبيرة يقع النور عليها في مكان يحجب ما حولها فترى كأنها اماكن حقيقية وهو ما يسمى بالبانوراما وقد شاهدتهُ في المكان المعروف بالطواف حول الارض وفي بناء مدغسكر وفي رحلة مرشان وسآتي على وصفهِ في فصل آخر

ومما يستوقف النظر في فصل البناء رسوم المباني الاميركية الحديثة التي اعلوها حتى بلغوا

اعالي السحاب . وترى امثلتها من قضبان الحديد قائمة كالاقفاص وبجانبها قطع الاجر التي يملأ ما بين القضبان بها كأن القضبان هيكل العظام في جسم الحيوان والاجر لحمهُ واعصابهُ . وقد بلغوا في بعض هذه المباني عشرين طبقة او اكثر حتى بلغ ارتفاعها اكثر من مئة متر اقتصاداً في الارض حيث الارض ثمينة . ويصعد اليها كلها بالروافع فلا يشكو سكانها من مشقة الصعود على السلالم . وهناك قطع من الحديد الذي تبنى منهُ تلك المباني وهي كروافد الخشب التي تسقف بها البيوت عندنا او اغلظ منها لكنها من الصلب (الفولاذ) المتين فلا تنكسر ولا يختل وضعها مهما علا البناء وزاد ثقلهُ وضغطهُ

وللبناء العربي حظٌّ وافر من هذا المعرض وشأن عظيم فيهِ فتراهُ ممثَّلاً في قصر مصر وقصر تركيا وقصر ايران وقصر تونس وقصر الجزائر وقصر تركستان واجملهُ في قسم اسبانيا داخل معرض شان دومارس فترى هناك الاروقة والمقاصير والابواب والكوى والشرفات والحنايا والاعمدة وهي مختلفة الاشكال بديعة النقش زاهية الالوان كأن صورها منقولة عن الحمراء والزهراء وكل قصور الاندلس الفاخرة

ذهب المُلك من العرب وزال جاههُ من بلادهم ولم يبقَ من تلك الامة العظيمة مَن يعني بحفظ معالمها لكن الاوربيين لم ينسوا فضلها عليهم فتراهم يذكرون جميلها ويحيون آثارها ومآثرها ولولاهم لضاع اكثر ما بقي الى الآن من كتب العرب ومصنوعاتهم ولجهلنا قدرهم وكل ما يعرف عن عمرانهم

ويدخل في هذا الباب نقش المعادن وعمل النياشين والوسامات ونقش الحجارة الكريمة وقد عرضت نياشين الدول والجمعيات العلمية والادبية والصناعية ونحوها في اماكن مختلفة من المعرض وقصور الدول التي فيهِ فيقف الرجال المتباهون بالنياشين امامها كما يقف النساء امام الحلى والمجوهرات الاَّ ان الرجال يقفون لحظة ثم ينصرفون كأنهم يخشون ان يراهم احد معارفهم فيلومهم على اضاعة الوقت في النظر الى زخارف يترفع عقل الرجل عنها . واما النساء فيقفنَ هنَّ ورجالهنَّ امام الحلى يقدرنَ اثمانها ويعجبنَ من بديع اشكالها ولا يلومهنَّ احد كأنَّ الحلى خُلقت لهنَّ وخلقنَ لها . ولا مشاحة في ان صنَّاعها بلغوا حد الاعجاز في رسم اشكالها ولم يتركوا جوهراً في جوف البحر وقلب الارض ولا حجراً كريماً الاَّ جلبوهُ وقطعوهُ وصقلوهُ وصاغوهُ . وكأن كلَّ جوهري منهم ظنَّ نفسهُ وحيداً في المعرض فعرض فيهِ شيئاً كثيراً من انخر الحلي واثمنها حتى ان من عقود اللؤلؤ ما يساوي مئة الف جنيه

وفي المعرض آلات فرنسوية واميركية لضرب النقود والنياشين والوسامات تمرُّ فيها قدد

المعدن فتقطع منها قطعاً مستديرة وتسكها في طرفة عين وكأن لسان حالها يقول ان كل شيء صار يعمل بالآلات حتى وسامات الشرف والمجد . اما الجواهر فلا تجلب الاَّ بالغوص في لجج البحر والتعمق في طبقات الارض. وقد عرضت فرنسا والولايات المتحدة الاميركية مجموعات كاملة من الحجارة الكريمة والمجموع الاميركي من محل تفني الجوهري الاميركي المشهور وفيهِ الحجارة الكريمة في حالتها الطبيعية وفي اشكالها بعد قطعها وصقلها فالصفير مثلاً ازرق او اخضر او اصفر والطبيعي منهُ بلورات متفرقة في حجر اصفر . والياقوت احمر والطبيعي منهُ احمر ايضاً ولكنهُ كحصى العقيق وقد يكون في حجارة رمادية محمرة او مصفرة . والماس الطبيعي مدملك الحروف والزوايا كحصى البلور الابيض . وقس على ذلك سائر الحجارة الكريمة وسأعود الى الكلام عليها وعلى الحلى في فصل آخر

الباب الثالث في ما يستعمل في العلوم والفنون من الصناعات والادوات وفصولهُ ثمانية وهي (١) الطباعة على اختلاف طرقها واساليبها . و (٢) التصوير الشمسي. و (٣) طبع الكتب وتجليدها والصحافة والاعلانات وكتب الموسيقى. و (٤) عمل الخرائط والكرات والآلات التي تستعمل في الجغرافيا والكوسموغرافيا والطوبوغرافيا . و (٥) الآلات الرياضية والعلمية والنقود والمداليات . و (٦) الطب والجراحة. و (٧) الآلات الموسيقية . و (٨) الآلات والرسوم التي تستعمل في المراسح

"وكل فصل من هذه الفصول معرض عظيم في بابهِ ففصل الطباعة مؤلف من معروضات ٤٠٠ عارض منهم اصحاب المطابع الكبرى ومعروضاتهم تشغل اكثر من ٢٠ قاعة واسعة ومنهم اصحاب المحلات الشهيرة التي تصنع آلات الطباعة في فرنسا وغيرها ومن جملة معروضاتهم آلات تطبع سبعين الف نسخة في الساعة الواحدة وآلات تصف الحروف وآلات تطبع باحبار مختلفة الالوان الى حد سبعة في وقت واحد وآلات تطبع ورق الجرائد وتقصهُ وتلصق بعضهُ داخل بعض وتطويهِ من نفسها وهناك مساكب كثيرة لمحلات سكب الحروف المشهورة ومعروضات مطبعة الحكومة الفرنسوية بانواع حروفها العديدة من قديمة وحديثة غربية وشرقية"

ولا ادري اي فصول هذا الباب اخلق بالوصف من غيرهِ ولا كيف اوفي هذا الفصل حقهُ من الوصف فان المطابع الكبيرة بلغت حد الاعجاز حتى صارت نسبة مطابعنا الشرقية اليها نسبة العربة التي يجرها الثور الى قواطر سكك الحديد او نسبة اكواخ السودانيين الى قصور الملوك . توضع لفة من الورق كالبرميل الكبير في المطبعة من هذه المطابع وتدار آلاتها بالكهربائية فينفك الورق من نفسهِ ويجري بين اساطين الآلة صاعداً نازلاً جارياً ملتفاً وتنهال الصحف

منها كالماء الجاري مطبوعة مطوية ثلاثين الفًا او اربعين الفًا او خمسين الفًا او ستين الفًا او سبعين الفًا في الساعة الواحدة ولا يشعر المرء بحركة المطبعة الأ من صوتها لان دوران اساطينها اسرع من ان تتبينهُ العين

ومن اغرب هذه المطابع مطبعة البتي جُرنال وهي صغيرة جدًّا طولها اقل من مترين وعرضها اقل من متر ونصف وعلوها نحو متر ونصف لكنها تطبع نحو خمسة عشر الف نسخة من تلك الجريدة في الساعة الواحدة وبجانبها مطبعة اخرى وهي آ كبر منها قليلاً لكنها تطبع ٣٦ الف نسخة في الساعة من جريدة فيها ست صفحات ونقص الورق وتلصق الورقة المفردة بالورقة المزدوجة وتطوي الاثنتين معًا ولا وقت لها تخرج النسخ نسخة نسخة فتخرجها عشرات عشرات باسرع من لمح البصر

وتجمع حروف هذه الصحف الآن بآلة لها مفاتيح كآلة الخط يضرب عليها جامع الحروف باصابعهِ فتجمع فيها الامهات بعضها بجانب بعض الى ان يصير منها سطر فيصب الرصاص عليهِ من الآلة نفسها ويرفع ويوضع مع السطور التي سبكت قبلهُ وتفرق الامهات في اماكنها ثم يجمع سطر آخر وهلمَّ جرًّا وهذه الاعمال كلها تعملها الآلة من نفسها ومتى تمَّ جمع الصفحة الواحدة تبلُّ وتوضع عليها صفيحة من القرطاس وتضرب حتى تنطبع الحروف فيها طبعًا غائرًا ثم توضع في قالب كنصف الاسطوانة ويصب عليها الرصاص المصهور فيكون من ذلك نصف اسطوانة مجوَّفة والحروف على ظاهرهِ ثم يسبك نصف اسطوانة أُخرى من الصفحة الثانية ويجمع بين الاثنين بعد ان تهذَّب حواشيهما فيكون من ذلك اسطوانة كاملة عليها صفحتان من صفحات الجريدة. وقد اتموا هذا كلهُ امامي في مطبعة البتي جرنال في اقل من ربع ساعة. ولا يمكن طبع نسخ كثيرة من ستة آلاف فصاعدًا في الساعة الأ اذا كانت الحروف مسبوكة على اساطين كما تقدَّم اما المطابع التي تطبع عن الحروف رأسًا وهي مجموعة على سطح مستوٍ فاكثرها اتقانًا لا يطبع اكثر من خمسة آلاف نسخة في الساعة

ومن المطابع المعروضة هناك مطبعة اورلوف التي تطبع سبعة الوان دفعةً واحدةً ومطابع مرنوني والبزه ومطبعة تيمس نيويورك وهي تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا وكذلك مطبعة البتي جرنال تطبعهُ وتوزعهُ مجانًا

وعرضت اميركا والمانيا وانكلترا مطابع مختلفة وشاركنَ فرنسا هنَّ وغيرهن في عرض الكتب القديمة والحديثة المصورة وغير المصورة لاظهار اشكال طبعها وتجليدها . والكتب المصورة المطبوعة منذ القرن الخامس عشر تفوق صورها صور الكتب التي تطبع الآن في مصر

والشام اي اننا متأخرون عن اوربا من هذا القبيل نحو اربع مئة سنة . ومن الكتب القديمة المعروضة نسخة من جغرافية بطليموس طبعت في نورنبرج سنة ١٥٢٤ وكتاب جغرافي طبع في تورين سنة ١٦٤٩

اما الكتب الحديثة فلا تسأل عن انواعها واشكالها وطرق تجليدها واتقان تصويرها لان ذلك يفوق كل حصر ويقصر عنهُ كل وصف . وقد بلغ التصوير في جرائد الازياء جدًّا يفوق التصوُّر ولا يفوقهُ في دقة النقش الا نقش اوراق البنوك وطوابع البريد واسهم الشركات. وهناك معروضات كثيرة من هذا القبيل ومنها مجموعة انكليزية كبيرة رأيتُ فيها اوراق البنك الاهلي المصري واسهمهُ واسهم شركة الدلتا وميناء البصل والاسواق واوراق البنوك من كل اقطار المسكونة من اوربا واميركا واسيا وافريقية واستراليا . ومجموعة اميركية لاوراق البنوك نالت الجائزة الكبرى لاتساعها واتقانها. ومن الممالك الصغيرة التي ابدعت في ماعرضتهُ في هذا الباب هولندا وبلجكا فترى في معرض هولندا مجموعة كبيرة من الكتب والخرائط والآلات الموسيقية وخريطة كبيرة لجزيرة جاوى مقاسها $\frac{1}{100000}$ ومطبوعات مصورة بصور ليثوغرافية كانها فوتوغرافية لدقتها . وفي معرض بلجكا مطبوعات كثيرة قديمة وحديثة وكرات ارضية وخرائط وصور فوتوغرافية كبيرة بالقطع الطبيعي علو الصورة منها متران

اما الصور الشمسية التي عرضتها فرنسا وكل دولة من دول الارض وآلات التصوير الشمسي وما يتعلق بهِ فالقول بانها كثيرة متنوعة تحصيل حاصل لانها تعد بالالوف والوف الوف وغاية ما يقال فيها ان الفوتوغرافيين صاروا يستطيعون الآن ان يصوّروا الانسان بحجمهِ الطبيعي ويتصرفوا في لون صورتهِ على ضروب شتى لا حصر لها . ولكنني لم أرَ لهم صورة فوتوغرافية مختلفة الالوان من اصلها وبلغني بعد مغادرتي باريس انهُ عُرضت فيهِ صور فوتوغرافية ملونة من اصلها بالوان الجسم الطبيعي اما انا فلم أرها . ولا تقتصر المهارة في الفوتوغرافيا على مصوري فرنسا وما جاورها من الممالك والولايات المتحدة الاميركية بل جاراهم فيها مصورو بعض البلدان الصغيرة النائية كبلاد بيرو فان صورها الفوتوغرافية بالغة حد الدقة والجمال وقد نال مصوروها نياشين الذهب

وامثلة الجرائد السياسية والعلمية والادبية القديمة والحديثة كثيرة ففي قصر النمسا وحدهُ الف ومئتا جريدة مختلفة فكم تكون معروضات فرنسا وانكلترا واميركا وكذلك الخرائط والكرات الارضية والسموية . ومن الكرات الارضية التي عرضتها فرنسا كرة قطرها نحو مترين تظهر فيها جبال الارض كالتضاريس على سطحها فيظهر ارتفاع اعلى جبال حملايا نحو ثلاثة مليمترات

وارتفاع اعلى جبال الالب نحو مليمتر ونصف وقس على ذلك الخرائط البارزة وهي كثيرة في فرنسا واقسام سائر الدول . والخرائط الجيولوجية والمعدنية كثيرة في اقسام كل مملكة من الممالك حتى في قسم يابان

والآلات الرياضية والعلمية تعدُّ بالالوف الكثيرة من البياكير والمساطر والزوايا والاقواس والارباع وكل آلات الرسم والمساحة والتسهيل وقياس الابعاد كالاسطرلاب والسدس والثيودوليت وآلات قياس الجاذبية والموازين الكيماوية ومفرّغات الهواء وكل الآلات الميكانيكية والهوائية والمائية والصوتية والكهربائية والمغنطيسية والبصرية والنظارات على اختلاف انواعها واشكالها واقدارها ومنها نظارة فلكية قطر بلورتها ٤٠ سنتيمترًا وبعد محترقها خمسة اقدام ونظارة اخرى كبيرة لتصوير النجوم بالفوتوغرافيا (استرو فوتوغرافيا) . وبين معروضات المانيا بلورة قطرها متر و٢٥ سنتيمترًا وبين معروضات فرنسا بلورة محدبة مقعرة واخرى محدبة الوجهين قطر كلٍّ منهما متر ووزن الاولى ٥٢٠ كيلوغرامًا ووزن الثانية ٣٨١ كيلو غرامًا . وهناك الآلات الحاسبة وآلات اشعة رنتجن وآلات الفونوغراف والميكروسكوب والپكولارسكوب والسپكتروسكوب والسكريمتر والبولاريمتر والخرونومتر وآلات اخرى كثيرة من هذا القبيل . ولا اظن انهُ توجد آلة رياضية او علمية لا يوجد منها في هذا المعرض حتى الآلات الحديثة التي لم تتقن الى الآن كالتليفون الذي يكتب الالفاظ ويبقيها على اسطوانة او قدةٍ معدنية في غيبة صاحبهِ حتى اذا عاد قرأها ثم ازالها عن الاسطوانة او القدة بازالة الاثر المغنيسطي عنها فانهُ قد عُرِض في باب الكهربائية من هذا المعرض وتكلمتُ فيهِ كلامًا عربيًا ثم اعادهُ على مسمعي كما نطقتُ بهِ تقريبًا . ومن ذلك محلالة اتفاق الانغام التي اكتشفها اساتذة مدرسة شيكاغو سنة ١٨٩٧ . ولو وسعني الوقت لارى انواع هذه الآلات العلمية كلها واشرحها الشرح الوافي لملأتُ بشرحها مجلدًا كبيرًا مثل المقتطف

ومن فصول هذا الباب مجموعات النقود والمداليات واول ما يدخل الزائر الجناح الايمن من الشان دومارس يرى جمهورًا غفيرًا من الناس رجالاً ونساء مجتمعين حول آلة كبيرة تسك النقود وآلة أُخرى تسك المداليات فيقع من كل واحدة قطعة مسكوكة في اقل من ثانية من الزمان . واذا كان سك النقود سهلاً بهذا المقدار فلا ادري لماذا لا تُسك النقود المصرية في مصر بل تسك في بلاد النمسا وقد اشرت الى مجموعات النقود والمداليات في الكلام على الباب السابق

وكما تبارت الدول الكبرى في ما تقدَّم ذكرهُ من المعروضات تبارت في عرض الآلات الجراحية والوسائل الطبية وكل ما يتعلق بفن الطب والجراحة من اقدم الآلات التي استعملها

الاطباء والجراحون الى احدثها فترى هناك بعض الآلات المصرية القديمة المستخرجة من مدافن مصر وخرائب مبانيها وبعض الآلات الرومانية المستخرجة من خرائب هركولانيوم التي طمرها بركان يزوف في القرن الاول المسيحي وما لا يحصى من الآلات الجراحية الحديثة التي تستعمل في البتر والشق والسبر واستخراج الحصى والاورام وجبر العظام واصلاح العاهات كاصلاح الاقدام الفدعاء وتقويم الاظهر المنحنية وآلات التعقيم والغسل والتصوير باشعة رنتجن وقلع الاسنان وحشوها واصلاحها وعمل الاسنان واللثث الصناعية وكل ما يتعلق بامراض العين وآفاتها وعملياتها . ولا اظن ان طبيباً دخل هذا المعرض الأَّ وقف ساعات كثيرة امام المعروضات الطبية والجراحية يتفحصها ويعجب بمهارة الفرنسويين والاميركيين والالمانيين والانكليز وغيرهم من الامم في اتقان الوسائل التي تزيل الآفات والآلام . ومن هذه المعروضات ما يفيد الناظر اليهِ فوائد علمية جمة ولو لم يكن طبيباً كالامثلة التشريحية والباثولوجية والجراحية واطوار تكوُّن الاجنة وما اشبه مما يطول شرحه' ويشعر الناظر اليهِ انهُ في مدرسة يدرس فيها طبائع الاجسام الحية وكيفية بنائها ونموها والعوارض التي تعرض لها والاساليب التي تستعمل لحفظ صحتها موجودة وردها مفقودة وهي الاساليب التي قلت بها وفيات الاوربيين وزاد عددهم رغماً عن قلة مواليدهم

ومن فصول هذا الباب الآلات الموسيقية ووجه' وضعهِ هنا في ما نظن ان الموسيقى قسم من العلوم الرياضية . والآلات الموسيقية الكبيرة والصغيرة من ذوات الاوتار وذوات النفخ وذوات الصفائح من اعظم ما عرض في هذا المعرض ولاسيما البيانات منها وقد تبارت معاملها الكبيرة في فرنسا وانكلترا والمانيا واميركا وروسيا وايطاليا وحاول كل معمل منها ان يفوق غيره' في تفخيم معروضاتهِ وتنويعها واتقانها عالماً ان الاوربيين يؤلهون الموسيقى كما يؤلهون التصوير وان اغنياء الارض واهل الجاه فيها لا يبخلون بثمن على آلة موسيقية مهما كانت ثمينة وان هذه الآلات قد صارت الآن من الحاجيات في البلدان الاوربية والاميركية فلا تجد بيتاً من بيوت الاغنياء والاواسط خالياً منها حتى الملوك الذين لم يذهبوا الى هذا المعرض ارسلوا نوابهم يبتاعون لهم من آلاتهِ الموسيقية التي حكم المحكمون انها تفوق غيرها كما فعل مولانا السلطان فقد رأينا واحداً من البيانات كتب عليهِ ان جلالة السلطان اشتراه' . ولم يقتصر الصناع على اجادة آلات هذه المعروضات حتى تكون اصواتها على اصحها واشدها إطراباً بل بالغوا في دهن خشبها حتى صار كالمرآة في صقله وكطاقات الازهار في نقشهِ . وقس على ذلك الآلات الموسيقية الصغيرة كالكمنجا والفلوت والمزمار . واستنبط الاميركيون آلة ذات اصابع توضع على

البيانو وتدار فتضرب عليهِ الانغام من نفسها باصابعها . وعرض واحد آلة موسيقية كالارغن الصغير يديرها بدولاب فتخرج منها اصوات موسيقية مختلفة متفقة كأنها اوركسترا او موسيق عسكرية كثيرة الآلات فيها من ذوات الاوتار وذوات النفخ والصنوج والطبول وما اشبه

اما رسوم التمثيل ويراد بها الرسوم التي تنصب في اماكن التمثيل كأنها صور الاماكن التي جرت فيها حوادث الروايات فقد ابدع الفرنسويون في عرضها مصغَّرة وعرضوا معها مشاهير الممثلين والممثلات بالثياب التي يلبسونها وقت التمثيل حتى اذا نظرت اليها حسبت نفسك جالساً في اوبرا باريس او مرسح آخر من مراسحها ترى الروايات الشهيرة تمثل فيها

ولما رأيت الخرائط والكرات والآلات الجراحية والموسيقية والفلكية قلت هذا ميدان جرى فيهِ علماء العرب ومن انضمَّ اليهم من الروم والفرس والسريان وكان لهم فيهِ الباع الاطول والقدح المعلَّى فعلى مَ لم يعرَض لهم شيء فيهِ . اين خريطة الشريف الادريسي وكرة هرون الرشيد ومشارط الامام الرازي وعود ابرهيم الموصلي ومزولة ابن الهيثم وزيج ابي عبد الله البتاني واين كتبهم في الطب والتعاليم في الطبيعيات والرياضيات والبصريات . اين الميازين التي عرفوا بها الثقل النوعي والآلات التي قاسوا بها علوَّ الهواء ومحيط الارض وانكسار النور بل اين الامم التي سكنت مصر والشام والعراق منذ اربعة آلاف سنة فما فوقها الى سبعة آلاف سنة. لو بعثت الآن كما كانت في عهدها او لو انشئ هذا المعرض في عصرها لاشتركت فيهِ ولم تخجل وعرضت من آلاتها الهندسيَّة والفلكية ما تفاخر بهِ غيرها من امم هذا العصر . اما نحن ابناء مصر والشام والعراق ابناء هذا العصر خاتمة القرن التاسع عشر فليس عندنا شيء نستطيع عرضهُ في هذا الباب غير ما نجدهُ في مدافن اسلافنا وخرائب مدائنهم ومتاحف الممالك الاوربية ومكاتبها مما اكتشفهُ علماء اوربا في انقاض الهياكل وخزائن الجوامع والكنائس من التحف والنفائس . وقد بلغ من انحطاطنا اننا لم نعد نفهم كتب اسلافنا ولا نعنى بحفظ شيء من آثارهم فنبيعها لاول طالب من الاوربيين او نذيبها اذا كانت من الذهب والفضة ولو فاقت قيمتها ما فيها من المعدن الف ضعف. ولا اقول ان الكتب القديمة والادوات القديمة تغني عن شيء جديدة ولكن لو احتفظنا بذلك القديم منذ الف سنة او الفي سنة واتَّبعنا سنَّة الارتقاء التي اتبعها الاوربيون لكنَّا نفضلهم الآن اكثر مما يفضلوننا والاَّ ففي عقولنا نقص وفي اجسامنا خلل وهذا ما لا نسلم بهِ ولو جدلاً ولا دليل على صحتهِ بل الادلة متوفرة على ضده لان ابناءنا الذين يدرسون في مدارس الاوربيين يساوونهم او يفوقونهم فلا بدَّ من عوارض اخرى عرضت على البلدان الشرقية محقت عمرانها ومنعت شعبها من الارتقاء

وجملة القول اني خرجت من هذا الباب كئيباً كاسف البال كما خرجت من اكثر ابواب المعرض لما رأيتهُ من الفرق الكبير بيننا وبين غيرنا من امم الارض

والباب الرابع في الهندسة الميكانيكية وهو اربعة فصول (١) فصل الآلات البخارية و(٢) فصل الآلات المحركة بقوة طبيعية مثل مطاحن الهواء والماء والآلات التي تدار بالهواء السخن والغاز والنشادر والحامض الكربونيك واللوالب والاثقال وما شاكل ذلك و(٣) الآلات التي يحركها غيرها كالسيور والسلاسل والطلمبات والمطافىء والمضاغط والمخارط

وغنيٌّ عن البيان ان هذا الباب من اوسع ابواب المعرض لاننا في عصر الآلات من بخارية وغير بخارية وللآلات البخارية الشأن الاكبر فيهِ وهي قوة المحركة لآلاتهِ المختلفة إما مباشرة وإما بعد تحويل قوتها الى كهربائية . وكانت قوَّة البخار الذي ادار آلات معرض باريس السابق خمسة آلاف حصان فوضع في هذا المعرض آلات قوتها عشرون الف حصان واذا دعت الضرورة اداروها بقوة اربعين الف حصان . ومن هذه العشرين الف حصان خمسة عشر الفاً تستعمل في توليد النور الكهربائي لانارة المعرض وخمسة آلاف حصان لادارة آلاتهِ

ومراجل الآلات البخارية منتظمة في بنائين كبيرين داخل المعرض طول كلٍّ منهما ١١٧ متراً وعرضهُ ٤٠ متراً الايسر منها لادارة الآلات الفرنسوية والايمن لادارة الآلات الاجنبية وفيهما المراجل الكبيرة لتوليد البخار والى جانبيهما مدخنتان كبيرتان شاهقتان مزخرفتا البناء صُنعتا لتكونا مثل سائر ما في المعرض آية في الجمال والاتقان لكنك ترى قتام الدخان يتفجر منهما في اكثر ساعات النهار و يسردق فوق المعرض والمدينة فيكمدُ لهُ قلب مَن اعتاد صفاء الجو في بلاد النور والصفاء. وقد أُنفق على بناء كل مدخنة منهما اكثر من مئتي الف فرنك . وهناك سكة حديدية تمر امام المراجل كلها لجلب الوقود اليها

وقوة هذه الآلات البخارية تحوَّل الى قوَّة كهربائية قبل توزيعها على آلات المعرض المختلفة لادارتها بها فتراها تدور كلها بالكهربائية من مطابع ومخارط ومغازل وانوال وآلات لصك النقود وضرب النياشين وعمل الريش والبرانيط والجزم وما اشبه ولولا ذلك لتعذَّر وضع هذه الآلات كلها في المعرض وادارتها بالبخار فيهِ وهذا لا ينفي ان بعض آلاتهِ يدار بالهواء المضغط او غاز النشادر او غاز الحامض الكربونيك او زيت البترول

ومن الغريب ان الدول الصغيرة مثل سويسرا وبلجكا ناظرت الدول الكبيرة في هذا الباب فترى في قسم سويسرا آلة بخارية صغيرة طولها نحو متر وعلوها متر ونصف وعرضها اقل

من متر وقوتها مئة وثلاثون حصاناً . ولم اكن اتصوَّر انهُ يمكن عمل آلة قوية بهذا المقدار وهي صغيرة الى هذا الحد . وفيهِ آلة بخارية كبيرة قوتها ١٧٠٠ حصان وأُخرى قوتها ١٢٠٠ حصان وقطر دولابها ستة امتار وهو يدور مئة دورة في الدقيقة فيقطع محيطهُ اكثر من ميل كل دقيقة من الزمان . ومن الآلات البخارية الكبيرة التي عرضتها البجكا آلة رابضة في قسمها كالجبل قوتها الفا حصان وقطر دولابها سبعة امتار وآلات كثيرة من انواع مختلفة

والظاهر من هذا الباب ان الاوربيين لا يقصرون صنائعهم على ما تنتجهُ ارضهم بل يجلبون اليها الحديد والوقود اذا لم يكونا فيها و يصنعون كل ما يصنعهُ غيرهم من الآلات والادوات . والادوات المصنوعة في البلاد لاهلها تفضل الادوات التي تجلب اليها من بلاد أُخرى، لان التجارة تتلف الصناعة غالباً اي ان التجار يطلبون البضائع الرخيصة الثمن لكي يسهل عليهم بيعها ويكثر ربحهم منها . وقد اذهلني الفرق الكبير بين الادوات التي يستعملها الاوربيون في بيوتهم والادوات التي يجلبها تجارنا من بلادهم فان الاولى تفضل الثانية من كل وجهٍ كأنَّ التجار لا يجلبون الاَّ اخس المصنوعات او كأنَّ المعامل تستخف بالبلدان الشرقية فترسل اليها نفاية مصنوعاتها او تصنع لها ما يسرع تلفهُ وبذلك تُستنزَف ثروة البلاد فاذا لم يكن لإدخال المعامل الصناعية الى بلاد المشرق غير هذا السبب فكفى بهِ سبباً ليحمل فضلاء بلادنا على الاهتمام بامر الصناعة ويحمل الحكومة على تسهيل انشاء المعامل الصناعية ولو اضطرَّت ان تعفيها من الرسوم وتساعدها بالاموال

والباب الخامس في الكهربائية وفيهِ خمسة فصول وهي (١) فصل الآلات المولدة للكهربائية والدائرة بها و (٢) فصل استعمال الكهربائية في الكيمياء و (٣) فصل النور الكهربائي و (٤) فصل التلغراف والتلفون و (٥) فصل بقية ما تستعمل فيهِ الكهربائية

واذا كان البخار اقوى قوات الطبيعة فالكهربائية اعجبها واعظمها نفعاً وقد تفنن الاوربيون في طرق استعمالها على حداثة عهدهم بها حتى بلغوا شأْواً يدهش كل من ينظر الى اعمال الناس بالامعان ويقدرها قدرها . فمن حك قطعة الكهرباء على ثوب من الصوف واظهار قوة تكفي لجذب قصاصة الورق ومن وضع صفيحتين صغيرتين من المعدن في سائل حامض واظهار قوة تكفي لتوليد شرارة صغيرة انتقل الاوربيون والاميركيون الى عمل آلات تحوّل قوة البخار بل قوة الشمس العظيمة الى قوة كهربائية . واذا لم يكن من هذه الآلات غير ما عرض منها في هذا المعرض فكفى بها دليلاً على مقدرة الاوربيين وعلو همتهم كما ترى في هذا الجدول

عرضت فرنسا	١٧	آلة	مجموع قواتها	١٤٥٠٠	حصان
وعرضت المانيا	٤	آلات	"	٠٧٥٠٠	"
" النمسا	٤	"	"	٠٤٧٠٠	"
" انكلترا	٣	"	"	٠٣٥٠٠	"
" بلجكا	آلتين		"	٠٢٢٠٠	"
" ايطاليا	"		"	٠١٨٠٠	"
" سويسرا	٣	آلات	"	٠١٧٠٠	"

لكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل استخدموا مجاري الانهار ومحادر الشلالات وحوَّلوا قوة جري الانهار ومدّ البحار الى كهربائية فاداروا بها المعامل وولدوا النور الكهربائي واستفادوا مما كان يذهب هدراً

وقد تقدم ان كل الآلات والادوات التي في هذا المعرض من مطابع ومساكب ومخارط ومغازل وانوال وما اشبه تدار بالكهربائية اي بقوة البخار التي تحول الى كهربائية في الآلات الكهربائية المغنطيسية وتجري على الاسلاك المعدنية ومعلوم ان قوة البخار تحصل من احتراق الفحم الحجري في الآلات البخارية وقد وصلت القوة الى الفحم من نور الشمس الذي اجتمعت بهِ دقائقهُ في خشب النباتات القديمة التي نمت على وجه الارض في العصور الجيولوجية . نور الشمس الذي بزغ منها منذ ملايين من السنين ووصل الى الارض مع حرارتهِ خُزنت قوتهُ في الفحم الحجري وهي تظهر الآن في تمديد بخار الماء وتحريك الآلات المختلفة وانارة مقاصير هذا المعرض وابراجهِ بشموس كهربائية تماثل شمس السماء سطعاناً

ومماَّ يستوقف النظر ويدعو الى الاستعبار في هذا الباب الآلات القديمة التي استنبطها كبار العلماء لاكتشاف نواميس الكهربائية والآلات الكهربائية التي صنعت اولاً ثم تدرجت في الاتقان حتى بلغت ما بلغتهُ الآن فيرى منها تاريخ ارتقاء هذا العلم في مراقي الكمال من آلات تلغرافية قديمة من ذوات العقارب ومصابيح كهربائية صنعت سنة ١٨٧٤ وآلة تلغرافية تكتب الاشارات كتابة على ورق كيماوي صنعت سنة ١٨٥٢ وآلات لتوليد الكهربائية بالفرك ونحو ذلك من الآلات التي صنعها علماء الكهربائية انفسهم مثل امبر ورمكرف والكتب القديمة في الكهربائية والمغنطيسية مثل مقالات جلبرت على المغنطيس باللاتينية وتاريخ طبعها ١٦٠٠ وهي اقدمها ومقالات كرخر وهي من اواسط القرن السابع عشر وترجمة كتب فرنكلين العالم الاميركي وهي من القرن الثامن عشر فانها طبعت في باريس سنة ١٧٥٢

وكتب ارستد وبكرل وده لاريف واراغو واوهم وكلها من هذا القرن

تاريخ حديث جدًّا لكنهُ مشحون بالعجائب واعجب ما فيهِ ما حدث في النصف الاخير من هذا القرن ولم تزل عجائبهُ تتوالى واحدثها الفونوغراف او التلفون الذي اشرت اليهِ سابقًا وهو من مخترعات مهندس دنمركي اسمهُ فلدمار بولسن . والدنمرك من اصغر ممالك اوربا واضعفها لكن العلم مستقلٌّ عن قوَّة الملك وسعة الممالك ورجالهُ ينبغون من كل البلدان ولكنهم لا يستطيعون ان يظهروا قواهم ويمرّنوها وينفعوا بها الاَّ حيث كثرت المعدَّات وعرف الناس فوائد المخترعات

وقد عرضت الآلات التي تستعمل فيها الكهربائية للاعمال الكيماوية كاستخراج الاليومنيوم من مركباته على اسلوب رخص بهِ ثمنهُ وكثرت الآنية والادوات المصنوعة منهُ حتى ان آنيتهُ تباع الآن في اسواق القاهرة ارخص مما يساوي حجمها من الآنية النحاسية وهي تفضل الآنية النحاسية في انها لا تحتاج الى تبييض ولا تتولَّد منها املاح سامَّة . وكتطهير الماء بالاوزون المتولد من الشرار الكهربائي وكاستحضار الفلور وبعض العناصر النادرة . كما عرضت اساليب التنوير الكهربائي وانواع التلغراف والتلفون وكل ما تستعمل الكهربائية فيهِ كالعلاج والتدفئة والتطبيب والتطهير . ويكاد المعرض كلهُ يكون معرضًا للكهربائية وآلاتها وما تستخدم فيهِ كما هو معرض للبناء والنقش . فان كل ما فيهِ من الآلات والادوات يدار بالكهربائية ومصابيحهُ تنار بالكهربائية والناس ينتقلون فيهِ من جهة الى اخرى بالسكة الكهربائية او بالمصاطب التي تدور بالكهربائية ويصعدون على طبقاتهِ بالروافع والسيور الكهربائية ويجولون في شوارع باريس حولهُ بمركبات يسير الكثير منها بالكهربائية . وقد كان لالمانيا النصيب الاوفر من المعروضات الكهربائية كما لها النصيب الاوفر في سائر الابواب والربح الاكبر من هذا المعرض حتى يقال انها ربحت منهُ كما ربحت فرنسا او اكثر

وليس لمملكة من الممالك الشرقية نصيب من هذا الباب الاَّ اليابان فانها عرضت بعض الآلات الكهربائية وهي تدلُّ على براعة مطلع تنبىء بحسن الختام . وقد رأيتُ قُبيل ذهابي الى المعرض آلة كهربائية استنبطها احد المستخدمين في التلغراف المصري لاقفال الابواب وفتحها وكنت اود ان اراها معروضةً ولو في زاوية من زواياهُ حتى يقال ان لابناء الشرق شيئًا يستحق العرض فيهِ لكن الرجل ايطالي الاصل مولود في هذا القطر فيتبرأ الوطنيون منهُ ولو حازت آلتهُ اسمى وسامات الشرف

والباب السادس في الهندسة المدنيَّة والنقل وفصولهُ سبعة الاول في المواد والرسوم والاساليب المتعلقة بالهندسة المدنيَّة . والثاني في الرسوم والامثلة المتعلقة بالمباني العمومية .

والثالث في العربات والمركبات غير مركبات سكك الحديد . والرابع في العدد والسروج وما يتعلق بها . والخامس في سكك الحديد والترامواي . والسادس في الوسائل اللازمة للتجارة البحرية والسابع في البالونات وطرق السير في الهواء

وقد ضاق المعرض عن هذا الباب فعُرض جانب كبير منهُ في اماكن اخرى كما سيجيء.

قال الدكتور نمر في ما كتب بهِ الى المقطم " امَّا القصر الذي في شان دومارس (لمعروضات هذا الباب) فقد رأيت على واجهتهِ افريزًا من ابدع ما صنع الصنَّاع زانهُ مزخرفهُ بنقوش وصور كثيرة نافرة منسوقة عليهِ نسقًا واحدًا يصوّر للرائي جميع الصور والاطوار التي تقلَّبت وسائط النقل عليها من اول تاريخ الانسان الى الآن فهناك صورة رجال من المصريين القدماء ينقلون تمثالاً لابي الهول بجانب الاهرام وصور الجمال والهجن تضرب في الصحراء. وصور الفيَلَة تحمل الجنود على ظهورها وتسير بها من مكان الى مكان . وصور حيوان الرنة يجرُّ المركبات التي يركبها اهالي الاصقاع الشمالية . وصورة اول راكب للماء في زورق وصورة اول هودج تحملهُ الدواب وصورة اول مركبة تسير بالبخار "

وكل فصل من فصول هذا الباب معرض كبير اشتركت فيهِ ممالك الارض وفاقتهنَّ روسيا في رسوم سكتها الحديدية التي خرقت بها بلاد سيبيريا من طرف الى طرف ووصلت الى آخر بلاد الصين مما يلي المشرق حتى يتيسَّر لها ارسال جنودها اليها ونشر تجارتها فيها . ومن يمعن نظرهُ في رسوم هذه السكة وامثلتها في قصر روسيا الخاص باملاكها الاسيوية يقف مدهوشًا من مهارة الروس وعلو همتهم فان الجبال والاودية والانهار والبحيرات والثلوج والرمال لم تثبط عزائمهم ولا وقفت في سبيل تقدُّمهم

وفصل العربات والمركبات حافل بما تفنن الصناع في عملهِ وزخرفتهِ لان ما يستعمل مراكب للملوك والامراء والاغنياء لا يضنُّ بشيء على اتقانهِ . ففيهِ بعض المركبات القديمة مما كان يركبهُ ملوك اوربا وهي مطلية بالذهب مشمولة بالنقوش والزخارف على ما فيها من ضخامة العجل وخشونة المحاور . ولا نظن ان ملكًا من ملوك هذا الزمان يفضل ركوبها على ركوب مركبة ساذجة عجلها من الكاوتشوك ومحاورها تدور على الكرات لان وجهة الناس الآن نحو الراحة والرفاهة كما كانت منذ مئة سنة نحو العظمة والابهة . وقد يركب الملوك والعظماء المركبات المزخرفة الآن لكنهم يفعلون ذلك في اوقات خاصة جريًا على العوائد القديمة واتباعًا للتقاليد المرعية التي يعسر اهمالها دفعة واحدة

" وقد عرض ٤٠٠ عارض ما لا يوصف من مركبات الركوب وعربات النقل وانواع

الدرّاجات والمركبات التي تجري بقوة الحرارة او الكهربائية والمركبات الكبيرة المعروفة بالامنيبوس مما تجرّهُ الخيل او يساق بقوة الحرارة . ولكثرة ما عُرض في هذا الفصل أُلحق بهِ فصل اضافي في جنان فنسان حيث يجد الانسان معرضاً عظيماً من الدراجات والمركبات المتحركة بقوة الحرارة او الكهربائية من فرنسوية وغير فرنسوية "

وفصل السروج والعدد وكل يلزم للخيل والمركبات جميل بديع يريك غرام الاوربيين بالصافنات الجياد حتى كأنهم ولدوا على صهواتها . وقد رأيت في رحلتي الماضية الى باريس بعض السروج التي كان امراء المماليك يسرجون جيادهم بها واخذها الفرنسويون من مصر وكنت احسبها من افخر ما صنعهُ الصناع فاذا في هذا المعرض ما هو افخر منها واثمن ولا تندر العدد الذهبية فيهِ. وغرض الناس الآن في ما يصنعون من العدد والمركبات راحة الراكب وركوبتهِ كما تقدَّم وقد بلغوا الغايتين معاً في العجل الذي يحيط بهِ اطار من الكاوتشوك وبمحورهِ كرات صغيرة او اساطين دقيقة يدور عليها فتزيل الفرك ولم يقفوا عند هذا الحد بل رأوا ان يريحوا الخيل من خدمة الانسان بعد ان حملتهُ وحملت امتعتهُ منذ الوف من الاعوام فصنعوا المركبات التي تسير بالبخار او بالكهربائية وهم يفكرون الآن في استخدامها في ساحات القتال كما تستخدم في شوارع المدن

ومعروضات السكك الحديدية ملأَت جانباً كبيراً من شان دومارس والمباني المتصلة بقصر التروكادرو ومن جنان فنسان . ومن اول ما يستوقف النظر منها القاطرة البخارية التي صنعها جورج ستفنصن سنة ١٨٣٠ وهي اول قاطرة بخارية سارت على سكة حديدية عمومية وفتح الخط الذي صنعت لهُ سنة ١٨٣١ تراها صغيرة بسيطة وقد عرضها السر دافد سالومنص وعرضت بجانبها قاطرة اخرى صنعت سنة ١٨٤٤ وهي اكبر منها واصلح كثيراً . ومن ثم والقواطر تزيد حجماً واتقاناً حتى بلغت ما بلغتهُ في قاطرة اميركية كبيرة جدًّا عرضت في جنان فنسان قطر العجلة من عجلها سبع اقدام . وهناك مركبات تسير بالكهربائية وتقطع نحو مئة ميل في الساعة وقطرات لشركات عديدية وكلها فاخرة الاثاث والرياش وبينها مركبات نقل لسكة الحديد المصرية صُنعت في اميركا وروعيت فيها المتانة لاغير لانها من الصلب وهي مزدوجة العجل ثقيلة جدًّا لا ندري ما وجه تفضيلها على غيرها من المركبات

اذا اعتبر المرء ان قوَّة البخار عُرفت من ايام هيرون الاسكندري الذي نشأ في القرن الثالث قبل المسيح فبقي اكتشافهُ مدفوناً في بطون الاوراق اكثر من الفي عام ولم يُستفد منهُ الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن عجب من التقدُّم السريع الذي تقدمهُ البشر في

القرن التاسع عشر ورأى انهُ يفوق تقدُّمهم في خمسين قرناً قبلهُ

والفصل المتعلق بالتجارة البحرية " أُفرِد لهُ قصر عظيم قائم برأسهِ على ضفة نهر السين يعرف بقصر الملاحة وفيهِ ما يفوق الحصر من المواد والعدد التي تبنى بها السفن وتجهز والآلات والعدد المستعملة في الترسانات والحياض التي تبنى السفن فيها والمستعملة لصنع عدد البواخر وما لا يحصى من مثُل السفن الصغيرة والكبيرة على اختلاف انواعها من بخارية وشراعية وقوارب تسير بالمجاذيف . ومن المثل التي يرى بها الناظر تركيب تلك السفن وترتيب داخلها بما فيهِ من الآلات والادوات والاثاث والرياش وهلمَّ جرًّا . وهناك ايضاً كثير من الكرَّاكات والمراجل والآنية التي يسخن الماء ويبخر فيها والمرشحات والمصافي والرواويق والمقطرات والمكثفات (كندنسر) والطلمبات والعدَّادات والزناجير والمراسي والروافع والاعلام والرايات وآلات التنوير والتهوية والتسخين والتجميد والكهربائية والساعات والحكوك والاسطرلابات وسائر الآلات الفلكية والجوية التي تستعمل في الملاحة . وقس على ذلك كثيراً من سفن النزهة كاليخوت والزوارق البخارية والقوارب التي تساق بالمجاذيف ومنها ما يدهش العقول بحسن ترتيبهِ ونفيس اثاثهِ ولطف منظرهِ . وماذا اقول عما هناك من اجهزة الغوص والعوم وانقاذ الغرق وانتشال ما يغوص الى قعر الماء واغاثة السفن المشرفة على الغرق وآنية صب الزيت على الامواج الهائجة لتسكينها ورفع السفن التي غرقت من تحت الماء والرسوم والجداول والخرائط والمطبوعات المختصة بالملاحة . فانهُ ان كان الناظر يمل والباصرة تكل من رؤيتها فكيف يستطيع القلم وصفها . ولذلك اختم كلامي عنها بذكر خريطة نافرة رأيتها هناك تمثيل ترعة السويس ومعها الرسوم والمقاسات التي كان دولسبس يتبعها في حفر تلك الترعة وكذلك كرَّاكات وسفن صغيرة على مثال الكراكات التي تطهر الترعة الآن ومثال السفن التي تسير فيها

وفصل الطيران في الهواء ومعروضاتهُ تهم المشتغلين بهذه الصناعة على الخصوص ويرى الناظر هناك آلة على صورة خفاش كبير طولهُ من طرف جناحهِ الايمن الى طرف جناحهِ الايسر ١٥ متراً يجلس الانسان في قفص داخل بدنهِ ويطير بقوة آلة تدور في اعلاهُ وقد جرب هذا الخفاش سنة ١٨٩٧ فبدا فيهِ نقص أخر تجربتهُ بعد ذلك ولكن مخترعهُ الموسيو آدر لا يزال يزيدهُ اتقاناً واحكاماً . وهناك صور آلات اخرى للطيران ومجموعة تمثل تاريخ الطيران من عهد اكتشاف البلون وصور جماعة من الذين اشتهروا في ركوب الهواء . وبذكرني هذا الفصل ببلونين مقيدين بحبال يطيران كل يوم من جوار المعرض ويركبها من شاء بالاجرة . ولا اظنها يعلوان عن برج ايفل الا نادراً "

وفصل الطيران من اخف الفصول واقلها جدوى لان الطيران غاية لا ينالها الانسان وقد عاد طلاّبهُ بخفي حنين حتى اضطرَّ المخترع مكسيم ان يهملهُ بعد ان انفق عليهِ ستة عشر الفاً من الجنيهات ولكن سائر فصول هذا الباب من اهم ما اشتغل بهِ البشر كما هو من اقدم ما استعملوهُ . ولو بُعث الاشوريون والمصريون والفينيقيون ورأوا هذا المعرض ولم يروا فيهِ شيئاً لابنائهم لا عَرَبةً ولا مركبةً ولا مركباً ولا اسلوباً من الاساليب التي استعملوها في نقل المسلاَّت من اصوان الى الاسكندرية والارز من لبنان الى اشور والذهب من اوفير الى اورشليم والطرق الهندسية التي بنوا بها اهرام مصر وقصور بابل وهيكل سليمان وايوان كسرى — لو بُعثوا ورأوا ان العمران الذي وضعوا اركانهُ وشادوا بنيانهُ بقي حيث تركوهُ ثم عاد القهقرى الى ان اضمحلَّ ولم تبقَ الاَّ آثارهُ وابناؤهم لا يفقهون لها معنًى ولا يدركون لها مغزى — لو بُعثوا ورأوا ذلك لفاضت عيونهم دماً وفضلوا سكنى القبور على مشاهدة ما اصاب ابناءهم من الذل والصغار وما حلَّ ببلادهم من البوار والدمار . هذا وقد ملَّ القارئ من الاطالة في وصف هذه الابواب فارجئ الكلام على باقيها الى الاجزاء التالية

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الزراعة في الصين

العضو الثاني من الاعضاء الرئيسة الممتلئة سلامةً وحياةً من جسم هذه المملكة هو الزراعة ولعمري مهما علا كعب الصينيين في الصناعة وفضلوا فيها سواهم واطاعتهم اياديهم في تذليل الجماد لخواطرهم وتسخيرهم المعادن لتصوراتهم فان اياديهم في حراثة الارض اطول وملكتهم في الزراعة لا تقل رسوخاً عن ملكتهم الصناعية وبالاجمال فان لم تجاوز الزراعة عندهم شأو الصناعة فانهما في وزن واحد من الاتقان وتقدير واحد من الايفاء وعليهما معول سكان هاتيك المملكة في معايشهم وبهما قوام وجودهم. والزراعة محترمة جداً عند الصينيين يشوبها لديهم شيءٌ من التقديس ويمازج اكرامها عندهم ذروٌ من الاعتقاد اجتهاداً بان الزارع عندهم هو الذي يغذي الناس ويكفل لهم اقواتهم حتى ان السلطان نفسهُ ليسمونهُ بالزارع الاكبر لانهُ هو العائل الاعظم للمملكة والمملكة معولة بهِ. وكان من جملة عوائدهم التي نسخت ان يحرث الارض بيدهِ ثلاثة ايام متوالية في اواخر شهر آذار وهو مرتدٍ ثوب اكّار وكفى بذلك حرمة لمقام الزراعة واكباراً لقدرها في اعينهم

وما زالت تروى في هذا الموضوع عن سلاطينهم النكات حتى لقد تناقل الخلف عن السلف منهم انهُ في جوار مدينة (نينغبو) حذاء الجبال المسماة بالجبال الزرق في سهل افيح هناك كان السلطان (تشين) منذ اربعين قرناً ماسكاً بسكة حراثة يحرث الارض على فيل

ومما فرضهُ القانون الصيني قيام صاحب الملك دائباً بحراثة ارضهِ واصلاحها فاذا اهملها مدة ثلاث سنين فقط حق للحكومة نزعها من يدهِ وتسليمها لآخر. واغرب من ذلك ان شيخ القرية ولقرام شيوخ كما في سائر البلاد مسؤُول هو نفسهُ عن اراضي قريتهِ مطالب بتعاطيها بالعمل فاذا وُجدت مهملة او وُجد بعضها مهملاً جوزي الشيخ على ذلك بجلدهِ مائة سوط وبالجملة فاهمال الارض عندهم حوب كبير وهو منكر في جميع البلدان الاَّ ان ربط هذا الانكار في الصين بمادة قانونية وتحقيقهُ بجزاء لما يدل على غلو تلك الامة بحب الزراعة وانهم يقدرونها قدرها ويعرفون مكانها من عمارة البلاد وما غلت امة احتاطت بالقوانين لتوثيق اسباب المعيشة وتأمين دعائم العمران

وقد ساعد الصينيين في اتقان زراعتهم فضلاً عن قوانينهم ومشرب حكومتهم خلقهم المشهور في الصبر وسجيتهم المعروفة في الثبات مع بصرهم النافذ بهذا الفن وممارستهم الطويلة له وان كان الصبر رائد كل نجاح وطليعة كل نصر فهو لهذا الامر الزم وبهِ اخلق والصيني يسقي اشجارهُ وبقولهُ بيدهِ كما يسقي البستاني حديقة قصر ويُدلل ازاهر روضٍ وهو يحنو على اغراسهِ ونبات ارضهِ حنو الظئر على الفطيم. ومع الثبات وطول الاناة وتكرر التجربة صار الصيني يستثمر من ارضهِ اضعاف ما يستثمر سواهُ ويستدر من اضراعها ما لا يستدرهُ الفلاح الاوربي لو قام مقامهُ وناهيك انهم بلغوا من درجة الاستثمار ان العشرين شخصاً من الصينيين يعيشون طول السنة بمحصول هكتار واحد من الارض في بعض الاماكن كذا رواهُ الثقات من سياح الافرنج فكأن الفدان الواحد يقوم بمؤُونة ثمانية اشخاص تقريباً وهذا شأْوٌ متناهٍ. وقد روى ابو القاسم بن حوقل في المسالك والممالك عن عمارة صقع بخارا : ان الرجل ربما قام على الجريب الواحد فيكون منهُ معاشهُ . وقد اختُلف في الجريب فعلى روايةٍ هو اربعة اقفزة والقفيز ستة عشر رطلاً وعلى روايةٍ هو عشرة اقفزة وربما وقع الاختلاف باختلاف البلدان كما هو في سائر المكاييل والمقاييس لكن ذكر قدامة في كتاب الخراج ان الاسهل اذا ضرب في مثلهِ فهو الجريب والاسهل طول ستين ذراعاً فاذا ضربنا ستين في ستين حصل معنا ثلاثة آلاف وستمائة ذراع هذا هو الاصح في الجريب وهو منقول عن المكيال وكيف كان الامر فما ذكر عن الصين ابلغ لأن ما ذكرهُ ابن حوقل عن الجريب البخاري وان كان غايةً في العمارة

فهو دون ما يرويهِ بعض جغرافيي الافرنجة عن بعض اراضي شنغاي مثلاً كما ترى من نسبة الجريب الى الفدان ونسبة الواحد الى الثانية

نعم ان الفلاح الصيني لا يعرف تحليل الارض كياويًا معرفة الفلاح الاوربي ولم يأخذ علم خواص الاتربة عن كتب الفن ولكن التجربة كفتهُ مؤونة النظريات فصار يعرف خاصة كل تربة وماذا يجب ان يعاقب على ارضهِ من الزروع واصناف البذور وماذا يلزمها من السماد وهو يدهِ يحرثها ويكروها و يزرعها وينقيها من الاعشاب وبيدهِ يفتّت ما غلظ وما تلع من التراب ولهُ معرفة بتربية الحيوانات وتدجينها تأنيس شواردها وتذليلها لخدمتهِ ولهُ مسكة ايضاً في تربية الطير. ومن غريب ما يحكى من عناية الصينيين بذلك انهم يدعون بين اجنحة الحمام صفارة صغيرة من قشر البامبو في لطافة الورقة بحيث تحتملها الحمائم بين ريشها فتقيها بصفيرها من انقضاض الجوارح عليها وانهم يعلمون بعض الطيور الصياح في ساعات معينات من النهار فاذا شاهدوا اغنام الطائر عن الساعة المعلقة. وقد بلغ من شدة حذقهم وحيلتهم انهم يصيدون احيانًا بايديهم الاسماك التي تعصي على الشباك والخطاطيف ومن كانت هذه حالهم في الصبر على الطبيعة فلا غرو اذا جاؤوا زرّاعًا ماهرين وأكرة حاذقين

وقلّ ان يوجد في الصين اراضٍ غفلاً من وسم الزراعة فان الارض عندهم محروثة مغروسة مذللة للسكك غورًا ونجدًا حتى انك تجد الغراس والحرث فيها على علو ثلاثة آلاف متر من سطح البحر وهذا نادر او غير معهود في غير بلادهم ولذلك قامت تلك البلاد بميرة اربعمائة مليون من الآدميين واحسّت بفضلة فان قيل ان مساحتها متسعة فهي وان اتسعت ضيقة بهذه الاعداد الهائلة ولولا حسن استثمار الارض ما كفتهم مؤونتهم بل كانت المساغب والمجاعات عندهم اكثر مرارًا مما هي الآن واغرب من كون محاصيلهم كافية لهم وانهم لا يجلبون الا ما ندر من الخارج ان الفاضل فوق كفايتهم قد يبنى عليهِ تجارة مهمة مع الغريب واهم زراعة عندهم هي زراعة الارز فالارز سيد طعامهم والارض المزروعة ارزًا هي ثمن مجموع اراضي الصين على الاطلاق

ومن اهم محاصيل الصين الشاي والقطن وقصب السكر والقنب وعندهم انواع من الفاكهة وقد دخلت بلادهم الذرة والبطاطة. ومحصول الحرير من الصين يزيد على نصف محصول الدنيا باسرها

واقوم اهل الصين على الزراعة والصناعة هم سكان ايالات سانشوان وفوكين كما ان قدرهم على التجارة هم اهل شانسي

التجارة في الصين

اما التجارة في الصين فهي غير متناسبة مع الزراعة والصناعة وشأنها عند الصينيين دون

شأنهما وقد اتسعت مؤخرًا بدخول الاجانب ولكنها لا تزال دون جسامة هاتيك المملكة وقد عدلت قيمة البضائع التي تدخل وتخرج في موانئ الصين سنويًا وذلك منذ سنوات فبلغت ثلاثة مليارات من الفرنكات والزيادة واقعة سنة فسنة . وقد كانت واردات كانتون سنة ١٨٧٩ نحو ٠٠٠ ٩٥١ ٦٣ فرنكًا وصادراتها ٩٧٥ ٣١٥ ١٢١ فرنكًا فبلغت الواردات والصادرات سنة ١٨٨٢ نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٨ فرنك وهي زيادة ثلاث سنوات فقط [١]

واهم تجارة الصين الى الخارج بصنف الشاي لكن المقطوع من الشاي في داخل الصين اكثر منهُ في سائر المعمور وقد ادخل الاوربيون سلعهم وبضائعهم في الصين رغمًا عن اهلها وقسروهم على التجارة معهم قسرًا واعتسارًا فزادوهم بذلك كراهية لهم ونفورًا منهم مع ان الصينيين لم يكونوا يكرهون الغريب في بادىء الامر وقد اقرَّ مؤرخو الافرنج انهُ لما دخل العرب والهنود الى الصين في اوائل ظهور الاسلام بقصد التجارة تلقاهم الصينيون بالترحاب ولم يروهم ادنى شيء يريبهم كذلك البرتغال في اوائل سلطانهم في البحار لم يلاقوا اقل جفاء من الصينيين وما زال الامر كذلك حتى ازدحم الاوربيون من كل الاصناف على ابواب المملكة الوسطى وجاءوها بالمدافع والاسلحة والمحرقات وقامت المنازعات فيما بينهم فنظر اليهم الصينيون نظرهم الى قوم برابرة سفاكين للدماء ثم انهم داخلوهم في بعض المتاجر والجالب خصوصًا الافيون فلم يقبلوا بدخولها فغمزوا قناتهم او يستقيموا معهم على قبول الافيون فشهرت انكلترا عليهم حرب الافيون سنة ١٨٤١ ووضعت الحرب اوزارها عن فتح خمس موانئ للتجارة وهي كانتون واموي وفوتشو ونينغبو وشنغاي

ثم اختلّت المعاهدة فجرت حرب ثانية اشتركت فيها انكلترا وفرنسا وذلك سنة ١٨٥٧ واحتل الاوربيون كانتون وعقدت السلم ثم انكثت عقدتها وتجددت الحرب ثالثة سنة ١٨٦٠ ودخل الانكليز والفرنسيس باكين عاصمة الصين في بضعة عشر الفًا وانتهبوا قصر الصيف الشهير واحتووا على ما فيهِ وفي هيعة ذلك ثار ثائر (التايبينغ) فاضطرت الحكومة الصينية ان تستعين بالاجانب على الثوار ثم ما زالت تنفتح الثغور للتجارة والصينيون ينفرون من هتك هذه الحجب والدول تتمادى في الامر شيئًا فشيئًا حتى اصطلت الحرب بين الصين واليابان فانفتح نقص الدولة الصينية وظهر عجزها ظهورًا بيّنًا هفا اليها بالاطماع وامال نحوها الرقاب وقيل لها حينئذٍ « الباب المفتوح » فتسارعت الدول الغربية للولوج منهُ وخشية ان يبعث الفتوح بالسيف بينها الى النزاع عمدت الى طريقة استئجار الاراضي على مدات طويلة وتهافت القوم على البلاد من

(١) (المقتطف) . وبلغت قيمة كل الواردات والصادرات سنة ١٨٩٨ نحو ١٢٠٠ مليون من الفرنكات

كل جهة فكانت الثورة الحالية المعروفة بثورة (البوكسر) وظهر ان للامبراطورة الكافلة يدًا فيها

واعظم التجارة في الصين هي طبعًا بيد الانكليز من الاجانب ثم الاميركان ثم الالمان فالفرنسيس فاليابان الا ان اليابانيين في السنين الاخيرة قد سبقوا الفرنسيس كما ان الصينيين منذ دخول الاجانب قد اقتدوا بهم في حب التجارة واخذوا يزاحمونهم مزاحمة الفائز خصوصًا وان الصيني غير موصوف بالشره ورغابة البطن بل هو قانع راضٍ بما قسم لهُ والقناعة مع الثبات اجمع من الاقدام مع المخاطرة. وقد ذكر بعض كتاب الافرنجة ان التاجر الصيني اعظم امانةً واشد محافظة على القول من التاجر الاوربي وعندهُ من الروية وطول الاناة في الاشغال ما ليس عند هذا ولذلك كان الاجانب قد افادوا الصين في ادخال التجارة بينهم لأن عدد التجار منهم قد ازداد جدًّا بعد قدوم الغربيين ديارهم حتى لم يبقَ في بعض الموانئ تجارة الاَّ في ايدي الصينيين

وبسبب مزاحمة الاجانب التجارية ازدادت عناية الصين بالملاحة وبناء السفن البخارية وانت ادرى ان الصينيين يرجعون في هذا الامر الى نصاب صدق وانهم هم الذين اخترعوا ابرة المغنطيس (البوصلة) لهداية السفن بعد ان كانت تهتدي بنجوم السماء وقد شاهد السياح الذين دخلوا الى الصين في القرون الوسطى من احتفالهم بالملاحة ما ادهشهم قال السائح الشهير ماركو بولو : " ان في مياه كيان من الصين في نهر واحد من السفن والمراكب الحاملة للمتاجر والبضائع اكثر مما يخفق في بحار وانهار النصرانية مجتمعة " . ولم يزل هذا النهر مرسى ومجالاً للالوف من السفن والزوارق الى يومنا هذا . وفي سنة ١٨٥٠ حدث حريق هائل في ثغر او تشانغ فاتلف سبعمائة سفينة كبيرة وبضعة آلاف من الزوارق دفعة واحدة فهلك خمسون الف نواتيّ بين الحَرَق والغَرَق وان تاجرًا فردًا من اهل البلدة اوصى بعمل عشرة آلاف تابوت من ماله الخاص يومئذٍ وورد في جغرافية اليزه ركلوس الفرنسوي قولهُ " فكان في حريق ميناء واحد من موانئ الصين قد هلك من النواتية اكثر ممن يوجد من النواتية في موانئ فرنسا كلها "

الا ان هناك عائقًا مهمًا في طريق تقدم التجارة الى الغاية التي بلغتها في بلاد الغرب ألاَ وهو اعواز السكك الحديدية التي لا تزال في الصين نادرة مع وجود الطرق العادية خربة والمواصلات صعبة نعم في الصين ٢١ طريقًا سلطانيًا من بقايا الاولين قد تأنقوا فيها وحفروا لها الانفاق في بطون الانجاد وعقدوا الحنايا بين الوهاد واشتقوا لها المخالص من مكان الى آخر ورصفوها بالبلاط ونظموا بلبأتها الاشجار وجعلوها في عرض كافٍ من ٢٠ الى ٢٥ مترًا

واقاموا عندنهاية كل خمسة آلاف متر ابراجاً للاشارات و بنوا فنادق للنزول والتعريس وحياضاً للورود ومخافر للجند تأميناً لابناء السبيل وتسهيلاً للسفر فكانت الطرق عندهم آمن مما هي في سائر البلاد والصينيون لهم الحرية التامة يسافرون في كل انحاء المملكة بدون حرج ولا تذاكر للجواز عندهم ويحترفون بكل حرفة بدون رسم تمتع . ولما دخل ابن بطوطة الصين رأى من الأمنة في السوابل وراحة المسافر ماقضي بعجبهِ كذلك سياح الافرنج من اهل القرون الماضية قالوا مثل قوله. ومما تحدثوا بهِ عن اقتدار الصين ولا يزال الى الآن قائماً جسر في (شاوهينغ) بناهُ الصينيون منذ نحو الف سنة طولهُ مائة واربعة واربعون كيلو متراً يمتد فوق منخفضات من الارض ومسايل مياه وفيهِ اربعون الف عقد وعرضهُ متر ونصف متر ولهُ رصيف . وهو جسر لم يبن بطولهِ الاوربيون الى الآن . الا ان اكثر تلك الطرق قد تعطل ولم يتجدد مكانهُ فقصر الصينيون عن شأو آبائهم ولم يشاؤوا لاقتداء بالاوربيين فكانت طرقهم الحديثة صعبة السلوك واضرَّ ذلك بتقدم التجارة . ويقال ان الصينيين يدركون فوائد السكك ولكنهم آثروا بقاءها على حالها من الخراب ونفروا من مدّ قضبان الحديد في بلادهم فراراً من نفوذ الاوربيين وقصراً من مداخلتهم فزاد ذلك في اسباب ضعفهم ولم يجدهم في دفع الاجانب فتيلاً واذا سألت رجال الحكومة عن اغفالها هذا الامر الجليل اجابوك انهُ رحمة بالفقراء من المكاريين والصحيح ما قدمناه لك

بقي علينا ان نتكلم في باب التجارة عن تجارة الافيون التي هي من اهم ما يرد الى الصين والتي لاجلها صارت الحرب فقد كانت واردات الافيون من الهند على الصين منذ سنوات من ١٥٠ مليوناً الى ٢٠٠ مليون ولا شك ان الافيون هذا مضر جداً باهل الصين لكن الناس يبالغون في درجة مضرتهِ بهم وينسبون كل تأخر في احوالهم وقعود في عزائمهم الى تأثيرهِ فيتجاوزون بذلك حدود الحقائق وليس كل ما يقولونهُ صحيحاً وذلك لان الاذكياء والمتعلمين من اهل الصين لا يتناولون منهُ الاَّ قليلاً ولا يظهر انهُ يؤثر في حالتهم العقلية كما يقال والتأثير انما هو في المدمنين وهؤلاء ليسوا من الزراع ولا من الصناع الذين منهم سواد الامة واكثر الذين يتعاطون الافيون يأخذون منهُ نتفاً وفي الاحايين. ومن الغريب ان الولاية التي يمتاز اهلها بشرب الافيون وهي ولاية (ستشوان) تجد اهاليها احد اذهاناً واعظم اقداماً من اهالي سائر البلاد واذا وزعت الحشيشة على الاهالي لم يصب الواحد اكثر من ٢٠ غراماً طول السنة والبلدي من الافيون اقل فعلاً من الهندي والتبغ هناك على رواية لهُ نتائج ليست نتائج الافيون باعظم منها ويقال ان اليسوعيين هم الذين علموا اهل الصين فتهُ ثم قال

بعض علماء الافرنج اما السكر الذي يسكرهُ الاوربيون بالخمر ويضيعون بهِ رشدهم فهو غير معروف في الصين بل قلما تجد هناك رجلاً سكران

المؤتمر الطبي الدولي الثالث عشر

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود

اجتمع في باريز عاصمة فرنسا في يونيو ويوليه واغسطس وسبتمبر من هذه السنة مائة وسبعة وعشرون مؤتمرًا في أوقات مختلفة والقصد من اجتماع أعضاء كل مؤتمر عرض ما اشتغل بهِ كل عضو في العلوم والاكتشافات في فن الطب والزراعة والتجارة والصنائع المختلفة وكافة ما تعملهُ الانسان

وقد تقرر في سنة ٩٧ في المؤتمر الطبي الدولي الثاني عشر الذي عقد في موسكو احدى المدن الروسية ان يجتمع المؤتمر الطبي في باريس سنة ١٩٠٠ وبناء على ذلك تألفت لجنة من مشاهير اطباء باريز يبلغ عدد اعضائها اثني عشر عضوًا وانتخبت جناب الدكتور لانيلونج رئيسًا لها وجناب الدكتور شوفار كاتبًا لاعمالها مع كتاب آخرين وامين صندوق ومن هؤلاء شكلت لجنة ادارة المؤتمر وقد اعتمدتها حكومة فرنسا ثم كاتبت حكومات الدول المختلفة وفي جملتها الحكومة المصرية وارسلت خطابات الى مشاهير اطباء الدنيا وانتخبت منهم رؤساء للجان الاطباء ببلادهم وبالجملة انتخبت كاتب هذه السطور رئيسًا للجنة الطبية المصرية وانتخبت حضرة الدكتور عيد كاتب سر لها فقيامًا بخدمة الوطن والانسانية قبلنا هذه المأمورية وارسل لنا رئيس لجنة ادارة المؤتمر اللوائح ودفتر القسائم المتعلق بالمؤتمر واعلنا عن ذلك في الجرائد العربية والافرنكية فاشترك في هذا المؤتمر من اطباء مصر ستة وثلاثون عضوًا خمسة عشر من المصريين أو المستوطنين والباقون من الاجانب المقيمين في القطر المصري ودفع كل واحد منهم ٢٥ فرنكًا قيمة رسم الاشتراك

وفي ٣٠ يوليه وزعت أوراق المؤتمر والمدالية على الاعضاء ثم وزعت اوراق الدعوات وعملت محلات اجتماع اعضاء كل قسم ومحلات اجتماع اعضاء كل لجنة وكان محل اللجنة الطبية المصرية والتركية في قاعة واحدة نظرًا لعدم وجود محلات كافية لكل لجنة وحدها وكان محل لجنة الادارة في المدرسة العملية

وقد انتخب رؤساء شرف للمؤتمر وكان انتخابهم من اطباء الممالك المختلفة وبلغ عددهم مائة وثمانين رئيسًا واما عدد المشتركين في المؤتمر فبلغ ستة آلاف ومائة وسبعين ومنهم رؤساء الشرف ومندوبو الدول . وهاك بيان الدول التي اشتركت في المؤتمر مرتبة على حروف الهجاء

الارجنتين
اسبانيا
المانيا وتوابعها
استراليا
اميركا
ايطاليا
البرازيل
البرتغال
بريطانيا العظمى
البلجيك
بلغاريا
البوسنه والهرسك
بولونيا
بوهيميا
البويرو
تركيا
جمهوريات اميركا الوسطى
الدنمارك
الروسيا
رومانيا
السويد والنرويج
السويسرا
الصرب
فرنسا وتوابعها
فنزويلا
كندا
كولومبيا
لكسمبورج
المجر
مصر
المكسيك
هولانده
اليابان
اليونان

وكانت الاجتماعات عمومية وخصوصية واول الاجتماعات العمومية كان في ٢ اغسطس في قاعة اعياد المعرض العمومي تحت رئاسة جناب المسيو لوبيه رئيس جمهورية فرنسا وكان ثانيها في مدرسة السربون في ٦ اغسطس والثالث فيها ايضاً في ٩ منهُ وكانا برئاسة رئيس المؤتمر وتليت فيها خطب ومقالات طبية سنشرحها في وقت آخر

اما الاجتماعات الخصوصية فكانت كثيرة العدد ولذلك قسموها الى اقسام اصلية وفرعية وكانت تجتمع قبل وبعد ظهر كل يوم من ايام المؤتمر في محلات مختلفة وهي كما يأتي

(١) قسم التشريح وفروعهِ (٢) قسم الفسيولوجيا والطبيعة والكميا الطبيعية (٣) قسم الباثولوجيا العمومية الامتحانية (٤) قسم التشريح المرضي (٥) قسم طب الاطفال (٦) قسم فن العلاج والمادة الطبية (٧) قسم الامراض العصبية (٨) امراض الجلد والداء الزهري (٩) قسم الجراحة العامة وفروع الجراحة (١٠) قسم الرمد (١١) قسم امراض الانف والحلق والاذن (١٢) قسم الامراض الباطنية وفروعها (وكنت من اعضاء هذا القسم وقدمت فيهِ مقالة في معالجة الرمل والحصاوات الكلوية) (١٣) قسم الحمل والولادة وفروعهما (١٤) الطب الشرعي (١٥) قانون الصحة ومتعلقاتهُ

وقد تقرر اجتماع المؤتمر الطبي الدولي الرابع عشر في مدينة مدريد عاصمة اسبانيا سنة ١٩٠٣ افرنكية اي بعد ثلاث سنوات

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل الخامس

لما وقعت عين حواء على هذين الضيفين وعرفت من هما ابعدت عن ابيها وعادت الى مكانها الاول فلم تسمع ما دار بينهُ وبينهما من الحديث . اما ابوها فرحب بتنكرد وقال لهُ اهلاً وسهلاً بضيفنا الكريم فقد اخبرني الامير فخر الدين انك لا تأنف من مشاركتنا في هذا العيد فدعوناك اليهِ فقال تنكرد اني اودُّ ان اغنم كل فرصة لتقديم احترامي لكم وهذه خير الفرص واسرُّها لي . فقال بسو متى قدمت ايها الامير الى الشام

فاجاب تنكرد هذا الصباح اتيناها من حاصبيا

ثم سألهُ عن حواء فامسك بيدهِ وسار بهِ الى حيث كانت . وكان الحضور قد عرفوا بقدوم الاميرين وسروا بذلك ولا سيما ابنتا لورلا فانهما كانتا تودَّان ان تريا اميراً من بيت شهاب وتحسبان رؤية امير اوروبي مسيحي بارع في كل اساليب التمدن التي ربيتا عليها غاية في البهجة . فلما وقع نظرها عليهِ ورأيتا ربطة عنقهِ البيضاء وحذاءهُ اللامع سُرتا كمن رأى ينبوع ماء قراح في قفر قاحل

ونظرت حواء الى تنكرد وسعف النخل في يدها وقالت لهُ " هذا عيد من اعيادنا عيد المظال المشهور وقت الاحتفال بنتاج الكروم "

زالت كروم بني اسرائيل لكن الشريعة التي تفرض عليهم عيد الكروم لم تزل حيةً وهم لها خاضعون . شريعة لاتنقض وشعب لا يعرف الارتداد عن شريعتهِ وقد يسهل على الذين لم يزالوا في فلسطين والبلاد المجاورة لها ان يعيدوا هذا العيد ولو لم تبقَ لهم كروم فيها ولكن القاطنين منهم في مدن الشمال في شوارع علاها الدخان والقتام لا ترى الشمس الاَّ نادراً ولا شمس فيها لانضاج الكروم لا يزالون مضطرين الى اقامة هذا العيد والقيام في المظال سبعة ايام كأنهم في مدن المشرق وكان ما حولهم من الاشجار الغيباء نخيل وآس وصفصاف . فتحوا بلاد كنعان منذ ثلاثة آلاف عام ولا يزالون الى الآن يعيدون عيد فتحها واجتنائهم باكورة ثمارها ولو شطَّت بهم النوى الى اطراف بلاد السلاف والسكسون . شريعة ابدية واجبة الرعاية في كل زمان ومكان

مثّل لنفسك رجلاً وُلد في حيّ من احياء اليهود في مدينة همبرج او فرنكفورت او لندن

او غيرها من المدن الشمالية . ولد للاهانة والازدراء لا تعليم ولا تهذيب ولا شيء يحيي الاخلاق ويهذّب الاذواق لا يرى حولهُ الأ المرابين او المتعاطين ادنى الحرف . رجلاً تكرههُ وتزدريهِ وتجتنبهُ يأتي عيد المظال فتسمو نفسهُ ويمتلئ فؤادهُ من امجد الآمال واسماها وأسرها وابهاها الآمال التي اوقدت نار الذكاء في قرائح الشعراء وأرت النفوس بهاء الآلهة ينهض في الصباح ويمضي الى سوق الخضر ويبتاع اغصاناً من الصفصاف اوهي بها منذ ايام ويعود بها الى بيتهِ ويكنس ساحتهُ وينصب فيها خيمة يحفّها بالازهار والاثمار ويضع فيها الآس والنارنج ويعلق المصابيح ويتعشى فيها مع زوجتهِ واولادهِ كانهُ في قرية من قرى الجليل . ولا يندر انهُ وهو يبارك الخبز حسب عادة اليهود ويكسره ويفرقهُ على اولادهِ ويملي على كاس الخمر كما فعل الملك الذي جاء من نسل داود منذ نحو الفي سنة وقت اكبر عيد من اعياد اليهود او وهو يشكر الله على نتاج الكرمة الذي لم يعد يقطفهُ ولكنهُ موعود بقطفهِ يوماً ما ولا يخلف الله وعدهُ وزوجتهُ واولادهُ يشاركونهُ قائلين اوصنا يمرّ جماعة من الانكليز بقرب بيتهِ فيقول احدهم للآخر ما هذا الصوت وهذه الجلبة فيقول الآخر هذه جلبة هؤلاء اليهود الملاعين عندنا كثير منهم وهم الآن في عيد من اعيادهم القبيحة يجب على والي المدينة ان يمنع مثل هذه الضوضاء ولكن الحال الآن اصلح كثيراً مما كانت قبلاً فانهم كانوا يخطفون الاولاد و يصلبونهم . اما الآن فصاروا يكتفون باكل المقانق المصنوعة من لحم الخنزير . فيقول الاول اصبت والدنيا كلها سائرة نحو الاصلاح

هذا ولنعد الى بيت بسو فنقول انهُ لم يكد تنكرد يرى حواء حتى صدحت الموسيقى ونقدم بسو الى تنكرد والامير فخر الدين واشار اليهما ليتبعاه فتبعهُ الرجال اولاً وسار النساء وراءهم وخرجوا الى الحديقة المحدقة بالبيت وهي فسيحة جداً لا يرى لها آخر والبيت قائم في وسطها وهو طبقة واحدة لكنهُ كثير الارتفاع وامامهُ سلم مزدوج يصعد بهِ الى سطحهِ وطاف الجمع في الحديقة اولاً ثم عادوا الى السلم وصعدوا عليهِ الى السطح فرأوا انفسهم في جنة أخرى يحيط بها الآس والياسمين في زواياها الاربع اروقة قائمة على اعمدة من المرمر نظمت حولها الازهار والرياحين وهي تطلّ على احياء دمشق والبساتين المحدقة بها وما وراءها من الصحاري والجبال . وكان في وسط السطح خيمة غريبة الشكل طولها اربعون قدماً وعرضها عشرون قائمة على اثنتي عشرة نخلة تدلت القنوان منها واحاطت الرياحين بها وامتدت بينها اغصان تدلّت منها قطوف الاثمار الشهية من العنب والليمون والرمان والتين والموز والبطيخ وبين النخل اشجار صغيرة من البرتقال دانية القطوف امتزج زهرها بثمرها وبين الاشجار ابواب قوائمها من ابهى الازهار

واطيبها ارجاً . وفي وسط الخيمة مائدة كبيرة عليها سماط من الدمقس حواشيهِ من الذهب وفوقهُ آثار الغنى والمجد صحاف من افخر انواع الخزف الفرنسي وكؤوس من الذهب الابريز منقوشة في بلاد الانكليز واباريق من البلور البوهيمي وسكاكين من افخر ما صنعهُ صنّاع شفيلد تبرق في المدينة التي تضرب الامثال بلمعان سيوفها . وحول المائدة ارائك من الدمقس الاصفر . هذه خيمة بسو اقامها للاحتفال باليوم السابع من عيد المظال

الفصل السادس

جلس تنكرد عن يمين بسو وجلس سائر الضيوف حولها ولما استقرَّ بهم المجلس قال تنكرد لبسو كان يجب ان نلتقي في القدس ولكن قدّر ان اقوم بالشكر لك في دمشق

بسو — اخبرتني ابنتي انك لا تكره شعبنا ولهذا تجاسرت ودعوتك الينا

تنكرد — لا استطيع ان افهم كيف يكره النصارى شعباً تسلموا منهُ الكتاب المقدَّس

بسو — ليس كل الناس مثلك ايها الامير الكريم يعترفون بالفضل لذويهِ

تنكرد — ولكن مَن هم الناس اهم سكان اوربا وهي غياض لا يزال اكثرها موحشاً ام سكان اسيا وهي خراب ودمار

بسو - ولكن سكك الحديد تقطع الاشجار من الغياض وتجعل الموحش آنساً

تنكرد — وما تفعل بالخراب

بسو — لا ينسى الله ارضهُ

تنكرد — اصبتَ والملك لله . من اسيا خرجت الشريعة ومنها يخرج الحق

وسمع القنصل لورلاً بعض ما دار من الحديث بين بسو وتنكرد وكان جالساً امامهما على المائدة فقال لتنكرد آه لو كانت بلادك تفهم المسألة الشرقية كما يجب وهي ابسط مما تظنون ولا بدَّ لي من ان اراك قبلما تعود الى بلادك وابسط لك ما اعرفهُ من هذا القبيل . فاحنى تنكرد لهُ رأسهُ ولم يقل شيئاً . فالتفت هلال بسو الى القنصل وقال لهُ ان مسألتك الشرقية وهمٌ لا وجود لهُ الاَّ في المجالس السياسية . ما لهم وللشرق لا اظن انهم يفيدوننا شيئاً والراجح عندي انهم يضروننا بتعرُّضهم لشؤوننا

والتفت فخر الدين الى مدام مراد فارحي وكانت جالسة بجانبهِ وقال لها ما احسن ان يكون الانسان بين اهلهِ واصدقائهِ فاني احسب بسوْ مثل ابي واعدُّكم كلكم مثل اهلي ثم سألها عن زوجها وقال انهُ يحبهُ ويحترمهُ وطلب منها ان تخبرهُ بذلك

وقالت ترازه لورلاً لاختها (مشيرة الى تنكرد) ما اجمل هذا اللابس وهذه القامة فقد

تعبنا من رؤية القفاطين والعمائم . هذا هو اللبس الذي يليق بالرجال واما اللبس الذي تراهُ حولنا فمثل ثياب الممثلين في المراسح

وقال موسى لورلاً لاختها صوفيا انا احب الافرنج واودُّ ان يقتدي بهم اهالي بلادنا في امور كثيرة ولكن لا اظن ان لبسهم احسن من لبسنا . فاجابتهُ تريزا قائلةً كيف تقابل لبسنا بلبس الافرنج يا عمي أعندنا شيء مثل هذه الربطة البيضاء وهل تقابل بوابيجنا ولو كانت مزركشة بالقصب باحذيتهم اللامعة . ثم التفتت الى اختها وقالت لها لا بدَّ من ان يكون هذا الامير قد سئم الاقامة في هذه البلاد . فاجابتها نعم فانهُ لا بالات عندنا ولا مراسح للتمثيل ولا ادري ما حملهُ على المجيء الى هذه البلاد

تريزا — اظنهُ يحب واحدةً لانني اراهُ كاسف البال

صوفيا — كاسف البال لانهُ لا يرى احدًا يقدر ان يكلمهُ كلمةً

تريزا — لا احد يستطيع الكلام معهُ الاَّ هلال بسو فانهُ رجل مفنَّع وقد تكلمت معهُ قبل العشاء فاخبرني انهُ قضى فصل الشتاء في بيرا ومضى الى كل البالات

القنصل لورلاً — ان اللورد بامرستون يعرف المسألة الشرقية الى حد محدود ولو كنت في خدمة الملكة لاخبرتهُ اموراً أُخرى عنها

فخر الدين — انا لا اطيق ان يذكر احد اسم بامرستون أليس في الدنيا وزير غيرهُ . وماذا يعرف عن المسألة الشرقية وهو لم يأتِ قط الى بلاد الشرق

القنصل — لا يخفى عليك ايها الامير ان الوزراء يعرفون كثيرًا عن المسائل الهامة مثل المسألة الشرقية ولكنهم لا يتذاكرون فيها الاَّ في مجالسهم الخاصَّة

فخر الدين — يمكنني ان احلَّ المسألة الشرقية في شبر من الزمان اذا اردت

فضحك القنصل لورلاً وقال "ولكن ما هي المسألة الشرقية"

وقال هلال بسو انا ارى انهُ الافضل لنا ان لا يحلَّ شيء بل تبقى الامور على حالها

فخر الدين — يراد بالمسألة الشرقية مَن يستولي على البحر المتوسط وهناك بلادان فقط تستطيعان ذلك سورية ومصر . اما الانكليز والروس والفرنسويون والنمسويون فكلهم غرباء عن هذه البلاد يأتون ويمضون . وسورية ومصر باقيتان في مكانهما

القنصل — ولكن مصر جرَّبت فما نجحت

فخر الدين — والآن دور سورية ولا بد من النجاح

فالتفت بسو الى تنكرد وقال لهُ هل تزور مصر بعد عودتك من الارض المقدسة

تنكرد — لست عازماً على العودة من هذه البلاد ولكنني اريد ان ازور مصر فانها بلاد حيّرتنا في اوربا وقد تغيرت كثيرًا منذ عهد قريب

فهزّ بسو رأسهُ وقال ان مصر لا تتغير ابدًا وهي الآن كما كانت في ايام الفراعنة في ادارتها واحكامها ووزيرها من اليهود

تنكرد — أفيها وزير يهودي

بسو — نعم وهو ارتين بك الوزير الحالي وقد كان سفيرًا لمحمد علي في باريس وهو امهر رجال السياسة في بلاد المشرق واشدهم دهاء هذا الرجل خلف يوسف وهو من ذريتهِ

تنكرد — اذًا هو من جملة الوزراء الذين يعدّهم صاحبك الصيدوني من اليهود

بسو — نعم ولسنا غرباء عن حكومات العالم بل لنا نصيبنا منها

تنكرد — يظهر لي انكم تحكمون الدنيا كلها ما عدا بلادكم

بسو — وكان يمكننا ان نحكمها منذ سنتين ولكن ما لنا ولهذا الموضوع وهو ليس مما يهمك

تنكرد — مَن قال انهُ لا يهمني واي موضوع يهمني اكثر منهُ فان حكومة هذه البلاد همّت واحدٌ من اسلافي منذ ثمنمئة سنة حتى استلّ سيفهُ واتاها

وكانت الكواكب تتلألأ فلا يرى بريقها بين مئات المصابيح المتألقة في الخيمة والاروقة التي حولها واتكأ الضيوف على البسط بعد الطعام وجعلوا يدخنون التنباك المطيَّب بالندّ والعود وتقدّم القنصل لورلاً الى تنكرد وعرّفهُ بابنتيهِ فجعلتا تكلمانهِ عن المراقص والمراسح لكي لا يحسب ان دمشق خالية من كل آثار التمدُّن وقبل ان يُحصر عن مجاراتهما في الحديث طُلب منهما ان يتحفا الجمع بشيء من غنائهما فاعتذرتا اولاً بانهما لم تغنّيا قط خارج البيت ثم اجابتا الطلب واغتنم تنكرد هذه الفرصة ودنا من حواء فرآها تتكلم مع اخت هلال ومدام نسيم فارحي فقال لهنّ ان ابنتي لورلاً على غاية من الظرف والتهذيب ولكنني افضل سماع التراتيل والتسابيح في دمشق على سماع الاغاني

حواء — وفي اوربا ايضاً افضلُ غنائكم متعلّق بتاريخنا

تنكرد — نعم ولا شيء يُعبَّر بهِ عن تلك المواضيع السامية غير الشعر ولا قلم يصفها ما لم يؤيد بالالهام

مداموازل فارحي — عندنا صلاة اسمها صلاة موسى في مصر سمعتُ بنتي لورلاً تنشدانها مرةً ولا احلى منها

حواء — يا حبذا لو اتحفتانا بها ساقول لهلال لكي يطلب ذلك منهما . ثم اشارت اليهِ

فدنا منها ولما سمع ما قالت ضحك وقال انهما ستحفاننا الآن بدور بديع من دون باسكل . ولا بأس بالصلاة ولكن الغناء المعروف بالسرنياد اليق بنا الآن

والتفتت حواء الى تنكرد بعد حين وقالت له كيف رأيت ابي فقال لها هو عين الرجل الذي وصفهُ لي الصيدوني يستحق ان يكون ابًا لكِ بل ابًا للناس كلهم

حواء — ودّ كثيرًا ان يراك وقد سُرَّ برؤيتك سرورًا عظيمًا

تنكرد — كان يجب ان اتعرّف بهِ قبل الآن وان امضي الى بيتكم حالما وصلت الى القدس واتعرّف بكم ولكن اللوم عليّ لانني لم افعل ذلك

حواء — نشكر الله لاننا التقينا كلنا الآن ولانك صرت تعرفنا ولو قليلاً حتى اذا رجعت الى بلادك تستطيع ان تدافع عنا اذا اساء الناس ظنهم بنا واضطهدونا زاعمين اننا نصلب اولادهم في عيد الفصح كما فعلوا منذ سنين قليلة

تنكرد — لستُ عازمًا على الرجوع الى بلادي واذا اضطهدوكم فارجو انني استطيع الدفاع عنكم ولو كنتُ هنا

جوٌّ صافٍ ونسيم بليل وازهار زاهرة وثياب فاخرة وجواهر متألقة ووجوه متأنقة وكل مجالي العظمة والجلال والتيه والدلال كل ذلك ادهش تنكرد فوقف مبهوتًا ثم التفت الى اخت هلال وقال لا ينقصنا لاتمام بهجة هذه الليلة الأ جمال اولادكِ فاين هم

قالت هم نيام ولم يفقدوا شيئًا لانهم يحلمون الآن بالاغاني والازهار كما كانت ملكة سبا تحلم بها

وقالت حواء يقال ان اولادنا يكونون في صغرهم من اجمل الناس ولكنهم متى كبروا فقدوا كثيرًا من جمال الصبا لاننا نرسخ في اذهانهم انهم شعب مهان فتظلم عيونهم و يعتاضون عن البهجة والحبور بالهموم والغموم لعلمهم انهم مطرودون من بلادهم مشتتون في اقطار المسكونة مضطهدون من كل الشعوب ولكن لو رفعنا قلوبهم عن حطام هذه الدنيا وعلمناهم ان يحترموا انفسهم لبقيت وجوههم طالقة عليها سيماء البشر والسرور

خرج هذا الكلام الفريد بل هذا الدر النضيد من فم زانهُ محيًا كلهُ بشر ومهابة فنظر تنكرد اليها وقد جمعت افكارهُ حولها كل ما رآهُ منها من اول ساعة اكتحلت عينهُ برآها الى الآن في بيت عنيا وفي قفار بلاد العرب لما وقفت امامهُ تنظر اليهِ نظر الحنو والشفقة بعد ان شفتهُ بدوائها واعتنائها وكلمتهُ في اسمى المواضيع واقربها الى فؤادهِ . نظر اليها الآن فصعد الدم الى رأسهِ وحصر عن الكلام ولكنهُ تنهد من كبد حرّى

وحينئذٍ جاء هلال وفخر الدين وهما يكادان يرقصان طرباً ومدَّ هلال يدهُ الى حواء وقال اذا اردتنَّ ايتها السيدات ان ترين سلَّة العرس التي وصلت الآن من مرسيليا فاتبعننا فقد اختارتها لي زوجة سفير النمسا المقيم الآن في باريس وما هو نفع السفراء اذا كانوا لا يقضون حوائجنا

وسار هلال مع حواء وتبعتهما اختهُ ومدام نسيم وبقي تنكرد وفخر الدين وراءهما فقال تنكرد مَن هذا الشاب . فاجابهُ فخر الدين هو خطيب حواء الذي سلبني اياها ولكني ارجو ان يتبناني ابوها بعد زواجها وانا ابنهُ على نوع ما لان زوجتهُ ارضعتني وربتني . واذا لم يتبنَّني فلا اقلَّ من ان يوفي ديوني . ولما قال ذلك سمعوا ضحكاً وقهقهة في الجانب الآخر من الخيمة فقال فخر الدين لتنكرد انظر كيف اجتمعوا حول سلة العرس حتى نسيم فارحي اجتمع معهم ولا بدَّ لي من ان اكلم هذا الرجل فانهُ ليس مثل اخيهِ مراد الذي لا يفرق عن الحجر ولا نقدر ان نقنعهُ بشيءٍ ولا اتخذتَ زوجتهُ واسطة لاقناعهِ . تعال معي

تنكرد — اذهب وسأتبعك . قال تنكرد ذلك وخرج الى رواق من الاروقة القائمة فوق زوايا السطح ونظر الى ما حولهُ وكان القمر قد طلع من الافق واستطارت اشعتهُ على رؤُوس المآذن وقباب الجوامع فشملت بعضها بوشاح من اللجين وبقي البعض الآخر ملتحفاً بدياجير الدجى ووراء المدينة غوطة الشام باشجارها البواسق وقصورها الشواهق ووراء الكل بادية الشام منبسطة كبحرٍ لهُ اول وليس لهُ آخر

وقف تنكرد هناك وقد علت جبينهُ سحابة من الكآبة فاستند الى عمود من اعمدة الرواق وتنفَّس الصعداء وهو يقول في نفسهِ اواهُ يا دمشق لو كنتُ مكانكِ ما تركت حلب تسلبني هذه الجوهرة ولكن لا بدَّ من ان انزع ذلك من قلبي لانني مخلوق لامورٍ أُخرى

الفصل السابع

لما وصل باروني الى دمشق اغتسل وهذَّب لحيتهُ واعتمَّ بعمامة بيضاء واستأجر حماراً وسار في اسواق المدينة من سوق الى آخر كأنَّهُ سائر في طريق بيتهِ . والاسواق ضيقة مزدحمة باقدام المارَّة ودكاكينها مشحونة بالبضائع الشرقية والغربية من الاسلحة والاقمشة الحريرية والقطنية من الهند ومنشستر عدا البضائع الشامية المختلفة . وما زال يسير الى ان بلغ سوقاً قليلة الازدحام عالية السقف وهي سوق العطَّارين حيث تباع العقاقير والطيوب والاصباغ وهناك رجل لابس ثوباً احمر عنابياً اطرافهُ مبطنة بالفرو وعلى رأسهِ عمامة قاتمة اللون وهو اقنى الانف ازرق العينين. فلمَّا وقعت عينهُ على باروني سلَّم عليهِ ورحَّب بهِ واجلسهُ معهُ وسألهُ عن

سلامته وعمّا اذا كان قد عاد الى الشام منذ زمن طويل . فقال باروني كلاَّ وهل انت باقٍ هنا منذ افترقنا آخر مرة فقال كلاَّ ولكنني كنت اتردد على الشام . فقال باروني وكيف اصحابك في الجبال . فقال بين بين . فقال باروني اذًا الحال ليست على ما يرام . فقال وانتَ هل مضيت الى بلاد الافرنج . فقال باروني انا دائمًا في بلاد الافرنج وماذا تريد من ذلك فقال الرجل ألاَ تعرف احدًا يشتري مني رزمة من اجود انواع السقمونيا [1] فقال باروني أليس فيها نشاء ولا مرّ . فقال الرجل اتظن انني يهودي . فقال باروني اني لا اعرف من اي امةّ انت يا صاحبي دركوش اما من جهة السقمونيا فاظن انني اجد من يشتريها منك ويشتري ايضًا كل ما عندك من الكثيراء والعفص . فقال دركوش اما الكثيراء فلا احد في الشام عندهُ كثيراء نقية غيري واما العفص فكل احد يظن انهُ تاجر عفص ولكن هل عفصهم من حلب مثل عفصي

باروني — اصبتَ يا دركوش وانا اعلم انك لا تتكلم الاَّ الصدق ويمكنني ان اشير على كل احد ان يبتاع البضائع منك بضمير صالح وقد حلمتُ امس اننا سنتعامل معاملة ماليَّة اليوم

دركوش — وانفع الاصدقاء اذا كانوا لا ينفعون بعضهم بعضًا فقد قيل ان الصديق لوقت الضيق

باروني — لا فُضَّ فوك وانا الآن في اشد الضيق فاني مسافر مع امير انكليزي وقد اقسم ان يمحوا اثري ما لم اجد لهُ سبيلاً لزيارة بلاد النصيرية

دركوش — دعهُ يزرْ سليمان الحكيم في بلاد الجان قبلما يزور بلادنا

باروني — اظن انهُ يزورهُ ويزورها لانهُ رجل عنيد يفعل كل ما يريد ولكن لنرجع الى السقمونيا اظن ان اجود انواعها في بلادكم ويمكننا ان نستبضع منها قدر ما نريد ولكن اذا كانت زيارتها غير ممكنة فما في اليد حيلة

دركوش — غير ممكنة

باروني — لنرجع الى السقمونيا ألاَ تتذكر سيدي القديم يا دركوش

دركوش — نعم اتذكرهُ مع انني كثير النسيان

باروني — وهذا الامير الذي انا مسافر معهُ الآن هو صديق لسيدي القديم فاذا كنت تخدم هذا فكأنك خدمت ذاك

دركوش — من الامور ما يمكن ومنها ما لا يمكن

باروني — لنرجع الى السقمونيا ولكن لما كان سيدي ذاك عازمًا على زيارة بلادكم منذ

(1) السقمونيا نوع من النبات المخدّر

خمس عشرة سنة لم تكن تقول لا. ولولا الطاعون لزارها

دركوش — سبحان من يغيّر ولا يتغير

باروني — سبحانهُ على كل حال . فلنرجع الى السقمونيا ان للنصيرية اصدقاء كثيرين في غير هذه البلاد فاذا لم تسمعوا لهم خسرتم كثيرًا ومهما يكن الحال فانا مضطر ان اسهّل لهُ هذه الزيارة ولو دفعتُ الف غرش والاّ قطع رأسي

دركوش — امراء الافرنج لا يقطعون الرؤوس بل ينفون اعداءهم الى الجزائر التي تسكنها الشياطين

باروني — ولكن هذا الامير هو اخو ملكة الانكليز على ما يقال

دركوش — فاذًا انت من خدّام الملكة

باروني — نعم وانت ايضًا من خدّام ملكة على ما اسمع

دركوش — نعم وهذا هو السبب في امتناعي عن اعطائكم الجواز الذي لم امتنع عن اعطائهِ في عهد ابيها

باروني — وهل هي صارمة الى هذا الحد

دركوش — نعم ولا تريد ان ترى المسلمين ولا النصارى وهي الآن في حرب مع الاثنين وستبقى في حرب مدى العمر لان هذه الحرب لا يستطيع احد ان يزيل اسبابها

باروني — وما هي هذه الاسباب

دركوش — انما تعلمها في جبال النصيرية

فاخذ باروني يفكر في الامر ثم قال لهُ الآن فهمتُ ما لم افهمهُ قبلاً فان الامير الذي انا في خدمتهِ صديق لقومك ويعلم لماذا انتم في حرب مع المسلمين والنصارى وهو قليل الكلام غامض الافكار صعب المراس جدًّا لم اتجاسر ان اسألهُ لماذا يريد ان يزور بلادكم ولكن الآن فهمتُ مما سقط منك انهُ واحد منكم وقد جاء من بلاد بعيدة ليزور ابناء جنسهِ .وهو عظيم بين قومهِ ترى الدنانير في يدهِ كالماء ولا شبهة عندي في ان لهُ شأنًا كبيرًا مع ملكتكم ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة فلنتركها ونرجع الى السقمونيا

فقال دركوش بصوت منخفض أتظن انهُ واحد منا . فقال باروني نعم هذا ظني .فقال دركوش لا سبيل الى الجواز ولكن اذا كان هذا الرجل واحدًا منا فلا بدَّ لي من ان اراهُ فاين يمكنني ان اقابلهُ

باروني — هذا كلام لا يمكنني ان اقولهُ لهُ . فقد اشرتُ اشارة خفيفة الى المجيء الى

هنا فقطب جبينهُ وعبس كأنهُ ابليس اللعين وكاد الشرر يتطاير من عينيهِ . ولكن اذا كانت زيارتهُ غير ممكنة فما في اليد حيلة ولا بدَّ لهُ من العودة الى بلادهِ من غير ان يرى ملكتكم مع انهُ قد يكون اخاها وسيبقى عمرهُ كلهُ كارهًا للمسلمين والنصارى ولكن لا بدَّ لهُ من ان ينفيني الى جزيرة تسكنها الابالسة

دركوش — لا بدَّ من اطلاع الملكة على هذه الامور كلها وانتظار اوامرها

باروني — انتظار اوامرها ماذا تعني يا رجل انت لا تعرف طبع سيدي فانهُ احمى من النار ولذلك قلت انهُ منكم فكيف يصبر حتى يمضي الرسول و يرجع مسافة ثلاث مئة ميل فضلاً عن التأخر الذي يتأتى من تردُّد امرأة وملكة

دركوش — غدًا اخبرك باوامرها قبلما تغيب الشمس والآن هات اخبرني كم اقة تريد من السقمونيا

باروني — كل ما تقدر ان تبيعني اياهُ والثمن نقدًا ادفعهُ لك غدًا وابقِ البرش عندك الى ان ازور الشام مرةً اخرى

فوضع دركوش النار جيلة جانبًا واخرج حمامة من جيبهِ واوقفها على يدهِ وقال لباروني غدًا يأتينا الجواب من الملكة وسارسل اليك الجواب الى الخان عند غروب الشمس

القسم الخامس

الفصل الاول

فارسان في شعب بين الجبال لابسان لباس الاكراد مع كلٍّ منهما رمح طويل وسيف احدب وفي منطقتهِ فردان وامامهما سهل ضيق ووراءهما نجود فسيحة تصل الى جبال شاهقة . البلاد كلها موحشة لا انيس فيها غير الصخور السوداء والتلال الجدباء تطل عليها قنن شاهقة كلل الثلج هاماتها فزاد منظرها رهبةً ووقارًا . لكنَّ الموغل في هذه البلاد يرى فيها اودية كثيرة الجداول حولها الحدائق والبساتين وهي كثيرة الزرع والضرع حتى جوانب الجبال والآكام لا تخلو من اغراس الزيتون والعنب والتين وفيها القرى الكثيرة السكان وهم اهل زراعة يزرعون القطن ويحلجونهُ و يغزلونهُ و ينسجونهُ و يصنعون ثيابهم منهُ و يصدرون من بلادهم كثيرًا من الحبوب والصموغ والشمع والصوف . دار بين هذين الفارسين الحديث الآتي

قال احدهما " رأيت نسرين على جبل كفلس هذا الصباح فما مفاد ذلك " فاجابهُ الآخر

" مفاده الفوز لملكتنا فان كان هؤلاء الافرنج يدفعون الاموال الطائلة لمن يريهم بعض الاعمدة في برية تدمر فلا يبعد ان يعطونا مفاتيح خزائنهم اذا ادخلناهم بلاداً لم يدخلها احد قبلهم "

" ولكن يقال ان احدهما واحد منا "

" لم يقل احد قبل الآن انهُ يوجد احد منا في بلاد الافرنج لان الافرنج كلهم نصارى وكانوا متوحشين قبلما تنصروا "

" ولكن الوزير كفرنيس امر بان يحرَس هذان الرجلان كأنهما الملكة نفسها وقال ان احدهما امير افرنجي وانهُ واحد منا "

" عاش ابي مئة سنة وعشر سنوات وكان لهُ اربعة وعشرون ولداً ولما حضرتهُ الوفاة قال لنا شيئين الاول ان لا ننسى اصلنا والثاني انهُ لم يدخل بلادنا اجنبي في زمانهِ "

" هوذا النسران طائران فوق جبل كفلس فلا بد من ان يكون هذان الغريبان قد صارا قريبين منا "

" عسى ان لا يلحق بنا ضرر من زيارتهما "

" هل ترتاب فيهما "

" نعم وقد كنا وحدنا وخير لنا ان نبقى وحدنا "

" صدقتَ وقد ذهبتُ مرةً الى حلب ولا اريد الذهاب اليها مرةً اخرى،

لا شيء مثل الجبال جبال آبائنا واجدادنا وما فيها من الطيبات لا مثيل لها في اسواق حلب ولا في جنائن الشام

" نعم ولا مثل ملكتنا ولا شبيه لها الا . . . لكنني لا اسميهِ وانت تعرفهُ "

" نعم وعندنا اشياء لا تُعرَف في اسواق حلب ولا توجد في جنائن الشام "

وكانت الحمامة قد وصلت الى ملكة النصيرة ببطاقة من دركوش يقول لها فيها انهُ رأى اميرين احدهما من لبنان والآخر من بلاد الافرنج وهما يرغبان في دخول بلادها والمذاكرة معها في بعض المهام وانهُ يعتقد ان الافرنجي منهما واحد من النصيرية انفسهم. وفي مساء اليوم التالي عادت حمامة اخرى بجواب الملكة وهي تأمر دركوش ليجيز لهما الدخول الى بلادها ومعهما اثنان من اتباعهما لا غير. فقاما من دمشق ومضى معهما باروني وسارا نحو جبال النصيرية وعرّجا على حماه وحلب اولاً لان تنكرد كان يريد مشاهدتها قبل ان يضطر الى مغادرة البلاد . ثم سارا من حلب وعبرا نهر الكويك . وكان الجفاء مستحكماً بين والي حلب وملكة النصيرية لان الوالي طلب الجزية من بعض القرى التي يدّعي النصيرية انها من قراهم وانها

داخلة في العهدة التي عُفي النصيرية بموجبها من دفع الجزية للحكومة العثمانية فجعل النصيرية يشنون الغارة على سهول حلب واتحدوا مع الاكراد على مناوأة الاتراك لكن دركوش اعطى باروني رسالة الى عميل النصيرية في حلب وهو رجل داهية فسهَّل لتنكرد ورفاقهِ الوصول الى جبال النصيرية فوصلوها سالمين بعد أن لقوا في طريقهم من المخاطر ما ايقظ نخوتهم وبسالتهم وزاد بهجتهم وطلاقتهم . وهذا شأن اولي الهمم والعزائم فان سيف العزيمة يصدأ ان لم يجرَّد من غمدهِ . وكان تنكرد وفخر الدين راكبين جوادين كريمين يخطران بهما تيهاً ودلالاً وقد لعبت برأسيهما نخوة الشباب فلما دخلا الشعب قال تنكرد ما احصن هذا الموقع فقال فخر الدين نعم ولا تدري ما وراءهُ . وكان الشعب قصيرًا فقطعاهُ سريعاً وبلغا نجداً تحدق بهِ الجبال الصخرية من كل ناحية وعلى واحد منها حصن كبير وكانت طريقهما توصل اليهِ كما قربا منهُ وجدا اكثرهُ منقورًا في الصخر حتى ابراجهُ ومتاريسهُ والطريق اليهِ متعرجة فوصلا اولاً الى باب كبير غلقاهُ من الحديد ففتح لهما ودخلا منهُ الى سرداب طويل مظلم لا يسع الاَّ فارسين يمران فيهِ وسار امامهما اناس بالمشاعل الى ان بلغا ساحة كبيرة مكشوفة تنصب عليها اشعَّة الشمس وحولها ابنية كثيرة مختلفة الاشكال والاقدار والمقابل منها للسرداب برج رفيع . وكان في الساحة قليل من الفرسان وكثير من الخدم والحشم فاقبلوا على تنكرد وفخر الدين وساعدوهما على الترجُّل . وداخل تنكرد بعض الشك ونظر الى فخر الدين فرآهُ مرتاباً مثلهُ لكنهما سلَّما امرهما للاقدار وسار بهما الخدم من غرفة الى اخرى ومن رواق الى آخر الى ان بلغا دارًا داخلية غرس فيها شجر السنط وادخلوهما مقصورة تطل عليها وقدَّموا لهما الشبقات والقهوة وبقي باروني مع الاتباع في الدار الخارجية . وجاءهما رجل طويل القامة نحيف الجسم يمشي الهوينا فدخل المقصورة وحياهما ورحَّب بهما وجلس معهما . وكانت لوائح العظمة والمهابة تلوح على وجههِ وتظهر من كلامهِ كأنهُ ربُّ المكان . فقال لهُ تنكرد "اظن انني انا والامير فخر الدين مشرفان الآن بالكلام مع الوزير كفرنيس" . فاحنى لهما رأسهُ وقال "عسى ان لا ينتظر امير انكلترا في هذه الجبال شيئاً من الملاذ التي يراها في بلادهِ حيث يكثر العبيد فيقضون الاعمال كلها على اتم المراد وهذا امر تمتازون بهِ علينا نحن سكان هذه الجبال ولا سيما بعد ان حُرمنا من الموانئ البحرية ولم نعد نستطيع ابتياع العبيد من التركمان والاكراد

فقال فخر الدين "اظن ان الروس ناظروكم في ذلك وغلبوكم" . فقال كفرنيس لقد اصاب الامير في ما قال فان الروس ملأوا دورهم الآن بالعبيد والجواري من شمالي اسيا

تنكرد — يظهر ان الوزير كفرنيس سافر اسفارًا طويلة

كفرنيس — لقد اصاب الامير الانكليزي في ما قال فاني قد زرت كل مدن الشام ما عدا القدس التي لا اريد ان اراها ولا تصلح الاَّ ان تكون مزربًا للخنازير

فاضطرب تنكرد من هذا الكلام ولكنهُ ملك نفسهُ ولم يفه بكلمة

فخر الدين — وهل اتيتَ جبل لبنان

كفرنيس — نعم ايها الامير وكنت ضيفاً على الامير بشير وتذاكرنا في امور ذات شأن ولو تمَّ ما كنَّا ننوبهِ ما كان الامير اسيرًا الآن في استانبول

فخر الدين — ولماذا لم يتم الاتفاق بينكم فانكم لو اتفقتم لملكتم اسيا كلها

كفرنيس — لقد اصاب الامير الكريم في ما قال فان قوة النصيرية عظيمة جدًّا

تنكرد — يقال ان عند ملكتكم خمسة وعشرين الف فارس فهل ذلك صحيح

كفرنيس — نعم خمسة وعشرون الف فارس وكل واحد منهم بمقام ثلاثة من الدروز او تسعة من الموارنة

فاستشاط فخر الدين غضباً من هذه المضاهاة وقال لهُ ان رجالكم لا يساوون قشرة بصلة ولكن دخل حينئذٍ اربعة عبيد واربع جواري ومعهم كؤُوس الشراب من عند الملكة فلم يسمع كفرنيس ما قالهُ فخر الدين وتقدم العبيد والجواري وقدموا كؤُوس الشراب وهو مبرَّد بالثلج ثم عادوا من حيث اتوا . وذُكِرَت الملكة فقال كفرنيس انها لا تراها ذلك اليوم وقد لا تراها في ذلك الاسبوع بل في الاسبوع التالي . فقال تنكرد أهي اول ملكة ملكت على النصيرية . فاجابهُ كفرنيس نعم هي اول ملكة بعد احتلالنا هذه الجبال . فقال فخر الدين واين كنتم قبل ذلك . فقال كفرنيس كنا في مدن لا يمكن ان ننساها ولذلك لا يمكننا ان نذكر اسماءها

وكان تنكرد وفخر الدين يودَّان ان يعرفا اسم الملكة ولكنهما لم يريا من الكياسة ان يسألا وزيرها عنهُ . وحاولا وهما آتيان الى جبال النصيرية ان يعرفا اخبارهم فكان كل احد يقصُّ عليهما من الاخبار ما يناقض ما قصَّهُ غيرهُ حتى تعذَّر عليهما معرفة الحقيقة وقد كلمهما الوزير كفرنيس كلاماً طويلاً ولكنهُ حشاهُ بالتجمُّل والتفخيم حتى لم يفهما شيئاً منهُ ولم يعرفا من امر النصيرية شيئاً

الفصل الثاني

"قومي نذهب من هنا يا شبرا فقد ضاق صدري واضطرب فؤَادي"

"لا بأس عليكِ يا مولاتي فما هي الاَّ بغتة ثمَّ تمضي"

"بغتة اهكذا تكون البغتة اذًا لم أبغَت في حياتي"

" ويظهر لي انها انبغتت كما انبغتنا "

" اصمت يا شبرا ولا تضحك لئلا يسمعا صوتك "

" اتسمين هذا ضحكاً يا مولاتي اذاً لم اضحك في حياتي "

" عسى ان لا يريانا ولا يسمعانا "

كانت المتكلمة ملكة النصيرية نفسها وهي فتاة في الثامنة عشرة من عمرها اسيلة الخد واضحة الجبين سوداء الشعر بعينين مكحولتين كالبنفسج . وقد سدلت على وجهها نقاباً يحجبهُ عن الانظار . تكلمت بذلك وهي سائرة مع واحدة من جواريها بعد ان اطلّتا على المقصورة التي فيها تنكرد وفخر الدين من حيث تَرَيان ولا تُرَيان . واتفق ان فخر الدين نهض من مجلسهِ فذعرتا وهربتا وسارتا في رواق طويل يؤدي الى غرف كثيرة ومنها الى رواق آخر يطل على حديقة غناء زرع فيها الآس والياسمين فلما بلغتاهُ جلست الملكة على ديوان فيهِ وتنفست الصعداء وهي تقول لا بدَّ من انهم رأونا يا شبرا . فقالت شبرا كلاَّ مولاتي ولا يمكن ان يكون قد رآنا احد . فقالت الملكة ولكن لا بدَّ لهما من ان يريانا ولا ادري كيف اقابلهما اذا كان فؤادي يضطرب كذلك . فقالت شبرا دعيهما ينتظرا بضعة ايام حتى تألفي منظرهما . فقالت لا يمكن ان آلف منظرهما ولا يليق ان ندعهما ينتظران طويلاً . وقد كان عذرنا امس انهما متعبان من وعثاء السفر ولكن اي عذر نجدهُ اليوم يا شبرا

شبرا — اذا كنتِ اليوم تعينين الوقت الذي تقابلينهم فيهِ فلا اظنهما يكونان غير راضيين

الملكة — ولكنني انا لا اكون راضية لانني لم اعُد استطيع صبراً بل لا بدَّ لي من رؤيتهما

شبرا . اذاً مُري كفرنيس باحضارهما

الملكة — اسمعي ما هذا الصوت

شبرا — هذا صوت الغزال في الحديقة فلا تجزعي

الملكة — يا حبذا لو كنتُ اياكِ ولكن هاتِ اخبريني مَن منهما تظنين انهُ منا

شبرا — كلاهما غاية في الجمال والظرف ولكن الاشقر منهما يشبهكِ يا مولاتي في ملامحهِ

الملكة — ولذلك تظنين انهُ هو الذي منا

شبرا — اود ان يكون كلاهما منا يا مولاتي

الملكة — ولكن ألا يخطر لكِ يا شبرا انكِ رأيتِ صورة هذا الشاب قبلاً . راجعي فكركِ

شبرا — بلى يا مولاتي

الملكة — مَن هو اذكري اسمهُ في اذني

فتقدمت شبرا الى مولاتها واسرَّت في اذنها . فعلت وجه الملكة حمرة الخجل وتبسمت وقالت نعم فهو اذاً واحد منا

الفصل الثالث

بينا كان تنكرد وفخر الدين يفكران في ما يفعلان مدة اسبوع الى ان تأذن لهما الملكة في مقابلتها اتاهما الوزير كفرنيس وقال لهما ان الملكة اذنت في ان يقابلاها ظهر اليوم التالي . وفي الوقت المعين جاء بهما ومعهُ بعض الحاشية وصعدوا بهما على سلّم رفيع وساروا في رواق من الخشب ثم نزلوا على سلّم آخر ودخلوا مقصورة كبيرة فلقيهم الغلمان ودخلوا بهما مقصورة أُخرى اكبر من الاولى انتظرا فيها مدة وجيزة ثم أُذن لهما في الدخول الى حضرة الملكة

وكانت جالسةً في ديوانها لابسةً حلة من الارجوان وشعرها الاسود الطويل مسدول على كتفيها وفوق جبينها اكليل من الذهب وكان عن يمينها وزيرها كفرنيس ورئيس الحرس الخاص ورجل آخر طويل اللحية ابيضها كانهُ كاهن عظيم الشان ووراءهم كثير من رجال الحاشية وعن يسارها ثلاث من جواريها ووراءهنَّ كثيرات من الجواري الحسان ووراء الجميع جمهور من الرجال بالعمائم البيضاء والثياب السوداء

ولما مثل تنكرد وفخر الدين في حضرة الملكة خاطبهما الوزير كفرنيس قائلاً " ان جلالة الملكة العظيمة الشان تطلب من حضرة الزائرين الكريمين ان يجلسا في المجلسين المعدين لهما " وللحال اشير الى تنكرد فتقدم الى مجلس عن يمين الملكة مقابل لها وجلس فيهِ وتقدم فخر الدين الى مجلس آخر عن يسارها وجلس فيهِ وكان فخر الدين لابساً ثيابهُ الشامية المقصبة ومتقلداً اسلحتهُ المذهبة وتنكرد لابساً ثياباً اوربية مقصبة ايضاً وعلى رأسهِ الريشة الكبيرة التي يلبسها فرسان اليومنري

والتفتت الملكة الى تنكرد وقالت لهُ انت من امراء الانكليز فقال نعم انا من الانكليز ومن رعايا الملكة لاننا نحن خاضعون لملكة مثل جلالتك

ثم التفتت الى الامير فخر الدين وقالت ان آبائي وبيت شهاب كانوا دائماً اصدقاء فقال فخر الدين وعسى ان تدوم هذه الصداقة ابد الدهر لانهُ اذا اتفق الشهابيون والنصيرية صارت بلادنا جنة من الجنان

والتفتت الى تنكرد وقالت انتم تقضون جانباً من العمر في السفن . فقال نعم نحن نسكن جزيرة وحصر عن الكلام فقال الوزير ان الانكليز يقيمون في السفن ستة اشهر فقط من السنة

ولا سيما حينما يمضون الى الهند واما بقية شهور السنة فيقضونها في بيوتهم

فقالت الملكة اذاً انتم تمضون الى الهند في السفن. فاحنى تنكرد رأسهُ فقالت وهل ملكتكم من عمري . فقال كانت من عمر جلالتك لما ملكت. فقالت وكم مضى عليها مالكة . فقال سبع سنوات . فقالت وهل تسكن في قلعة فقال نعم ان جلالتها تقيم غالباً في قلعة شهيرة . فقالت ولا بدَّ من ان تكون منيعة فقال نعم

والتفتت الى فخر الدين وقالت لا يزال الامير بشير في استانبول فقال اظنهُ الآن في بورصة . فقالت وهل هو مبسوط هناك . فقال ليس كما كان في استانبول. فقالت وهل استانبول اكبر المدن فقال لا اظن . فقالت اي مدينة اكبر منها . فقال مدينة لندرا اكبر منها وهي عاصمة الانكليز وتتلوها مدينة باريس عاصمة الفرنسويين . فقالت كم عدد سكان استانبول فقال خمس مئة الف

والتفتت الى تنكرد وقالت لهُ هل رأيت انطاكية فقال لم أرها حتى الآن . فقالت وهل رأيت بيروت . فقال نعم . فقالت ان انطاكية تظهر الآن اصغر من بيروت ولكنها كانت قديماً اكبر من استانبول ولا يبعد انها كانت اكبر من عاصمتكم الآن . فقال نعم وكانت اجمل منها كثيراً . فتنهدت وقالت اذاً انت عارف بهذه الامور فاخبرني لماذا لم تبقَ انطاكية كما كانت كبيرة مثل استانبول ولندرا واجمل منهما كثيراً . فقال هذه مسألة يحار في حلها الحكماء . فقالت انا لست من الحكماء ولكنني اعرف حلها . فقال حبذا لو تكرمت جلالتك بحلها لنا . فقالت ما كل ما يُخال يُقال . ونظرت الى كفرنيس كأنها تطلب منهُ ان يصدق لكلامها فقال كفرنيس لقد اصابت جلالتها في ما قالت ونطقت بالحق والصواب

وصمتت الملكة مدة وجيزة ثم اشارت بيدها فخرج الجميع من المقصورة ولم يبقَ فيها غير الوزير وتنكرد وفخر الدين وكان الوزير واقفاً فامرتهُ بالجلوس فجلس امامها متربعاً . فنظرت الى الاميرين وقالت لهما اهلاً وسهلاً بكما ايها الاميران فقد دخلتما حصناً لم يدخلهُ احد قبلكما من غير شعبنا لاننا قوم نحب الانفراد نحن لا نرى ولا نرى ولا مطمع لنا في شيء وغاية ما نطلبهُ ان نبقى مستقلين ونعيش كما عاش آباؤنا من قبلنا .جبالنا وعرة قاحلة واوديتنا لا تنبت شيئاً الاَّ بعد التعب الشديد ولا ذهب عندنا ولا فضة ولا جواهر ولكن عندنا اشياء تعزينا وتسلينا وهي امور يشترك فيها كل واحد منا . ولما بعث الينا دركوش خادمنا الامين يقول ان اميرين من الامراء يرغبان في المجيء الينا والتكلم معنا في بعض المهام كان يعلم اننا لا نسمح بدخول احد بكلمنا في امر الانكليز والمصريين والترك والافرنج لانهُ لا قيمة عندنا لشيء من

ذلك . ونحن النصيرية كنا قبل ان عُرف اسم الاتراك والافرنج في بلاد الشام ونبق كما نحن ولذلك اقول لكما صريحاً ان دركوش خادمنا الامين اخبرنا انكما لا تطلبان الكلام معنا في المهام السياسية ولا في الامور التجارية ونحوهما من حطام الدنيا الفانية بل في امور اخرى اسمى منها بما لا يقدَّر فبعثنا اليهِ نسمح لكما بالمجيء الينا راجين ان لا تذكرا لنا شيئاً من امور السياسة والتجارة لانها محتقرة في اعيننا ولا قيمة عندنا الاَّ لكلام الحق

ولما اتمت كلامها نظرت الى كفرنيس فاحنى لها رأسهُ كأَنهُ يؤْمن على كل كلمة قالتها ونظر فخر الدين الى تنكرد يطلب منهُ ان يجيبها على كلامها فتردَّد تنكرد عن الجواب اولاً ثم قال

يظهر لي ولصديقي امير لبنان اننا كنا نصغي الآن الى كلام كلهُ حكمة ونحن نعرف دركوش ولكن الذي اخبرهُ عنا اخبرهُ الصدق فصدق في ما بعث بهِ الى جلالتكِ وهو ان ليس لنا مقاصد سياسية ولا تجارية ولا نحن آتون الى هذه البلاد لمجرد رؤْيتها كما يفعل اهل السياحة وانما لنا غرض في الدنيا ونحن نسعى وراءهُ فان العالم استنار من اسيا منذ اول وجوده ولا غرابة في ذلك لان الخالق سبحانهُ حلَّ فيها وكلم اهلها لكنها وا اسفاهُ قد ضعف يقينها الآن بتلك الحقائق السامية التي خضع لها نوع الانسان ولذلك نظن انهُ قد حان الوقت لتنهض من سباتها وتثبت سلطانها على المسكونة ونحن واثقون اننا نفعل ما نفعل بالارشاد الالهي ولكن لا بدَّ لنا من اختيار اصلح الناس لهذا العمل السموي وقد ظننا ان سورية وبلاد العرب البلادين اللتين حلَّ الله فيهما وكلم اهلهما من قديم الزمان تأْخذان في هذا العمل المجيد وتقومان بهِ فان فيهما امتين لم تزالا على بساطة الفطرة اهالي القفر واهالي الجبال لم تخالطهم شرور الحضارة ولا افسدت عقولهم مفاسد المدن . في الامة الواحدة فرسان لا يشق لهم غبار وفي الثانية مشاة لا تضنيهم المشاق وذلك دليل على ان غلاَّب العالم يكونون من هاتين الامتين معاً . ونودُّ ان نغلب العالم وقوَّادنا الملائكة لكي يخضع الناس للسلطة الالهية فتستتبُّ لهم السعادة ويمحق الالحاد السياسي الذي خرب الدنيا"

وأَصغت الملكة الى تنكرد وقد كاد الوجد يغلبها الى ان اتمَّ كلامهُ فاجابتهُ قائلة "وانا اعتقدُ مثلك بانهُ لا بدَّ من ان تسمو اسيا على غيرها روحياً لانها من حين انحطَّت عن مرتبتها لم تعدْ الحياة نبيلة ولا جميلة كما كانت . وقد ثبت لي مما قلتهُ انكما احسنتما بمجيئكما الى هنا ولكن من تعني بالله وانتَ تكلم عن بلاد العرب". فقال "اعني بهِ الاله الحي القيّوم الذي كلم موسى عن جبل سينا في بلاد العرب ومحا آثام الناس على جبل الجلجلة في بلاد الشام"

فقالت وعندنا جبل آخر جبل اولمبس في بر الاناطول هناك اقامت الآلهة وقتاً ما . فقال

اولئك آلهة الشعراء . فقالت كلاَّ بل آلهة الشعب الذين احبوا الشعب واحبهم الشعب

وصمت الجميع برهةً ثم التفتت الى وزيرها وقالت لهُ ان افكار هذين الاميرين دينية طاهرة أفلا يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا الجليل الطاهر . فقال بلى ايتها الملكة العظيمة يجوز لنا ان نفتح لهما ابواب هيكلنا . فقالت ليأتونا اذاً بالاكاليل والآن ستريان ايها الاميران ما لم يرهُ اجنبيٌّ قبلكما وهذا ايضاً من اسيا وهو روحي الحي

ولما قالت ذلك نهضت فنهض الاميران وجاءت الجواري بالاكاليل ووضعن اكليلاً على رأسها واكاليل على رأس تنكرد وفخر الدين وكفرنيس وبعض الخواص ومشت شبرا ورفيقاتها اولاً ثم كفرنيس ورجل آخر ثم الملكة وتنكرد وفخر الدين عن يمينها وعن يسارها ووراءهم جمهور من الحاشية وساروا على هذا النمط الى ان وصلوا الى باب نحاسي قديم الصنعة فانفتح لهم واذا امامهُ سرداب طويل مثل السرداب الذي دخلوا منهُ الى الحصن . ووصلوا من السرداب الى ساحة كبيرة منقورة في الصخر تحيط بها صخور شاهقة من الجهات الاربع ومشوا في هذه الساحة الى ان وصلوا الى رواق قائم على اعمدة ايونية وسلَّم منقور في الصخر فصعدوا عليهِ واذا امامهم كهوف كبيرة هذَّبتها يد الصناعة فصارت منها مقاصير رحيبة ولما بلغوا اعلى السلم رفعت الملكة ومن معها الاكاليل الى السماء واشترك الجميع في الترنيم بصوت رخيم وكانهم كانوا يلفظون الفاظاً تخالف اللغات السورية المعروفة ثم ساروا في الرواق الذي فوق السلم فبلغوا بهواً كبيراً فيهِ من الصور والتماثيل ما يدهش العقول

رأى تنكرد هناك التماثيل البديعة التي قرأ عنها منذ طفوليتهِ في تواريخ اليونان والرومان رأى تمثال المشتري ولحيتهُ البيضاء منبسطة على صدرهِ وقصائب شعرهِ مسدولة على كتفيهِ وهو جالس على عرش من العاج وممسك صاعقةً باحدى يديهِ وصولجاناً بالاخرى والنسر عند قدميهِ باسط جناحيهِ . وهناك تماثيل الاهات الجمال وعرائس البحر وكل ما تفنَّنت في صنعهِ يد النقاشين والممثلين واخترعتهُ مخيلة العبَّاد والمتزهدين عباد الفضيلة والجمال . فلما امعن نظرهُ فيها صرخ قائلاً "آلهة اليونان" . فقالت الملكة آلهة الصيرية آلهة اجدادي . ثم قال تنكرد لقد ادهشتني ايتها الملكة حقاً ان في الدنيا غرائب عجائب لا ابدع من هذه المناظر ولا اجمل منها

الملكة — انت تعرف انها آلهة واما رفيقك فلا يعرف ذلك

فخر الدين — اني اشعر الآن كأنها آلهة

الملكة — كيف تعرف ايها الامير انها آلهة وقد ولدت في جزيرة بعيدة في اقصى بلاد الشمال

تنكرد — لقد تعلمت ذلك منذ طفوليتي

الملكة — اذاً اصاب دركوش بقوله انك واحد منا . هذا كل ما بقي من انطاكية العظيمة من ابراجها الشاهقة وحراجها المقدسة وجمالها الباهر فانهُ لما ابطل الشعب تقديم الذبائح للآلهة اغتاظت الآلهة منهم وتركت الارض وبقيت بقية منهم على ولاء آلهتها فلجأت الى هذه الجبال وتماثيلها المقدسة معها وهي هنا الى الآن . هذه هي الاشياء التي تعزينا وتسلينا كما قلت لكما قبلاً . وقد فقدنا كل شيء سواها الغنى والمجد والعلوم والفنون زالت كلها من بلادنا ولا تكاد الارض تنبت ما يقوم بمعيشتنا . نلبس لبس الاكراد ولا نكاد نشبع الطعام مثلهم . ولكن اذا تركنا هذه الجبال وضربنا في السهول مثلهم فقدنا هذه الصور والتماثيل وخسرنا كل ما يرفع نفوسنا الى مصدر الخير والسعادة ويحيي فيها روح الامل باننا سنعود يوماً ما الى مجدنا السابق ويقيننا انهُ متى تمَّ انحطاط اسيا ومُلئت كأس مصائبها واستوفت ما تستحقهُ من القصاص والنقمة يعود الناس الى هذه الآلهة التي جملت الارض واسعدتها . ولا بدَّ من ان ترجع العباد ثانيةً وتعود الى الارض التي امست بدونها خراباً . ثم التفتت الى تنكرد وقالت لهُ بصوت رخيم هلمَّ معي ودخلت امامهُ الى غرفة فيها تمثالان صغيران قامتهما كقامة الانسان ووقفت امام واحد منهما وهو مصنوع من العاج والذهب وقالت لهُ أتعرف من هذا . فتفرَّس فيهِ وقال هذا اله الشعر والنور ابلوس فيبوس . فقالت هذا تمثال الهنا اله انطاكية اله الحراج المقدسة من يستطيع ان ينظر اليهِ ويرتاب في الوهيتهِ

فقال نعم هذا تمثال ابلو الذي كانت تُذبح لهُ الذبائح من الثيران وتسكب السكائب من الخمر والعسل وتقرَّب القرابين من المرّ واللبان . فقالت نعم وانت عارف بذلك كلهِ . ثم قال ومن هذه . فقالت تمثال الهة السوريين تمثال الزهرة المجيدة المعروفة في بلادنا باسم استرتي (عشتروث) وباسمها سموني تبركاً (ستأتي البقية)

نظرٌ

في عناية الأعاجم باللسان العربي

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

هذا بحثٌ لا أتذكَّر أني رأيت احداً قد نحا نحوهُ او فتح بابهُ في الصحف السيَّارة والمجلاَّت الجوَّالة على ما لهُ من خطارة الشان وما وراءهُ للقارىء من الفائدة واللذَّة وما فيهِ

من زحزحة الستار عن حقيقة تاريخيَّة لغويَّة تخفى على معظم الناشئة فوجَّهت النظر صوبهُ فرأيت فاذا الأعاجم الأُلى خدموا هذا اللسان الشريف خدمة تضيق عنها وُسعَى عبارات الشاكرين ويقصِّر عن وفاء حقها أبلغ كلام المقرّظين فريقان اقدمهما خدمةً وأعلاهما صنعاً وأشرفهما يداً العجم المسلمون الذين ربوا في اللسان العربيّ من مثل سيبويه وابي عليّ الفارسيّ وابي اسحق الزجّاج من اهل النحو والازهريّ والجوهريّ من اهل اللغة الذين عنوا بالتدوين والتأليف لما طرأ على اللغة الفساد كما سترى

واعلم ان الذي دفعهم الى بذل هذا الجهد وحملهم على هذا الصنع الحافظ لسلامة اللسان العربي يدَ الدهر انما هو الحرص على كتاب الديانة الاسلامية ان يتغلق على المفهوم. ومن هنا يعلم ان ليس في اللسان العربيّ من علم الأّ وللقرآن فضل في استنباطهِ واجتلابهِ

والفريق الآخر الافرنج فهؤلاء وان كانوا بعداء عن العرب وطناً ومنفصلين عنهم لغةً وليس الاسلام دينهم فقد قلَّدوا جيد هذه اللغة بقلائد العوارف الغالية

على ان خدمتهم ليست من جنس خدمة اولئك والاختلاف بينهما بالغ حدًّا لا تصح عندهُ مفاضلةٌ ولا موازنة فهذه الخدمة وان جلت لا تعدَّى أن تكون عملاً احتفاظياً كل فائدتهِ حفظ اجلّ ما في العربية من التصانيف وافضل ما فيها من التآليف التي أسهرت في تسويدها النواظر وأنضيت في انشائها جياد الخواطر وذلك بنشرها مطبوعةً مستوفيةً من التدقيق في التطبيق على الاصل جهد ما عندهم من الامكان فيتنزَّل صنيع الافرنج من صنيع العجم في في هذا الباب منزلة القشر من اللباب فلولا القشر ما حُفظ اللباب ولولا الافرنج لفقد كثير من نفائس المصنَّفات ولأصبح اللسان العربيّ من بعد تلك الثروة العلمية مُعدماً أولا لقرَّت مخبوءة في بعض الخزائن عرضةً لأن يلحسها العثُّ . فأتاح الله لها هؤلاء المتطالّين للاطلاع على تواريخ الأُمم وأخلاقهم وعاداتهم وعلومهم فوقوها عوادي الزمان ودواهي الحدثان

وأما اشتغال الافرنج بالعربية فقد ابتدأ في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . وأوَّل كتاب عربيّ طُبع في الديار الأُوربية لا يتقدَّم تاريخ طبعهِ سنة ١٥١٤. واعلم أن للأحبار الرومانيين في ادخال العربية الى الديار الافرنجية أو في تكثير سواد المقبلين عليها من الافرنج يداً لا تنكر وذلك أن البابا غريغوريوس الثالث عشر أنشأ مدرسةً للموارنة في مدينة رومة سنة ١٥٨٤ للميلاد وقد خرج من تلك المدرسة خلقٌ كثير من اهل العلم وأرباب القلم فألفوا وترجموا وعلموا في اوربا وفي هؤلاء جبرائيل الصهيوني الإهدنيّ الذي اقرأ العربية والسريانية في مدرسة باريز الملكية وطبع ثمة كتاب قواعد العربية سنة ١٦١٦ وفي رواية

فكانهم كانوا على الفطرة الاولى . وكانوا يجهلون قواعد الزراعة والتسميد فيحرثون الارض الواحدة و يزرعونها سنة بعد سنة الى ان تمحل ولا تعود تأتي بغلة فينتقلون الى غيرها و يزرعونها وهلمّ جرًّا

ولم يهتمّ احد من سكان اميركا بعلم الزراعة والقواعد الزراعية الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن وكان السابق الى هذا الاهتمام وشنطون محرر اميركا . قال في رسالة بعث بها الى مجلس الامة في ٨ يناير سنة ١٧٩٠ ان ترقية الزراعة والتجارة والصناعة بالوسائل الصالحة لذلك مما لا حاجة بي الى الحث عليهِ لاني واثق انكم توافقونني على انهُ لاشيء اجدر باهتمامكم من ترقية العلوم والفنون إما بمد يد المساعدة للمدارس العالية الموجودة الآن في البلاد او بانشاء مدرسة جامعة وطنية او بما يماثل ذلك مما يليق ان تبحثوا فيهِ . ثم عاد الى هذا الموضوع مرارًا وقال في رسالتهِ الثامنة التي بعث بها الى مجلس الامة " لا يرتاب احدٌ في ما للزراعة من الاهمية الكبرى من حيث مصلحة الافراد ومن حيث مصلحة الامة وتزيد هذه الحقيقة ظهورًا بارتقاء الامة وازدياد عددها فتصير الزراعة من اهم ما تبحث فيهِ وتنشئه لهُ ما يرقيهِ واي شيء اجدر من ذلك لتنفق عليهِ اموال الامة . ولا شيء مما ينشأ لترقية الزراعة اقرب الى النجاح من المجالس الزراعية التي تجمع المعارف وتنشرها وتعطي الجوائز المالية لتساعد وتقوي الميل الى الاكتشاف والاصلاح . وقد دلّ الاختبار على انها من اقل الوسائل نفقةً بالنسبة الى كثرة فوائدها للامة . فاتّبع مجلس الأمة مشورة رئيسها الاول وانشأ مجلسًا للزراعة

جمعية الزراعة ومعارضها

والظاهر ان وشنطون انتبه الى فائدة المجالس الزراعية من رؤية الجمعيات الزراعية التي انشئت قبيل ذلك في البلاد فقد أُنشئت اول جمعية زراعية فيها في غرة مارس سنة ١٧٨٥ في مدينة فيلادلفيا وانتخب وشنطون وفرنكلين عضوين فيها . وكذلك انشئت جمعية زراعية مثلها في كرولينا الجنوبية واهتمت بانشاء مكان للتجارب الزراعية . ثم انشئت جمعية نيويورك الزراعية سنة ١٧٩١ ونشرت كتاب اعمالها في السنة التالية . وانشئت جمعية مستشوستس الزراعية سنة ١٧٩٢ وابتدأت في نشر اعمالها سنة ١٨٠٢ و يراد بالاعمال الكتاب الذي تنشر فيهِ خلاصة اعمال الجمعية والمقالات التي تُتلى فيها ونحو ذلك . وكان وشنطون عارفًا بهذه الجمعيات وبالجمعيات الانكليزية التي أُنشئت في ذلك الحين لترقية علم الزراعة وما يتعلق بهِ

ثم ان الجمعيات الزراعية دعت الى اقامة المعارض الزراعية فانشئ اول معرض وجمع المال لاعطاء الجوائز للعارضين فيهِ . واول مال جمع لتعطى منهُ الجوائز كان خمسين ريالاً اي

كتبها وطبعها بعد تكرار المراجعة وإحكام المقابلة . ولتفصيل هذا الاجمال نأتي بفصلين نستطرد منهما الى خاتمة تناسب هذا البحث الجليل الفائدة

الفصل الاول

في أخصّ من خدم العربية من العجم

ان الذين استأثروا بالامامة في علم العربية وذهبوا بفضل السبق في التأليف هم العجم فقد أجمع المؤرخون من افاضل علماء المسلمين واكابرهم على أن هذا اللسان العربيَّ قد استمرَّ مع كرور الدهور على صحة اوضاعهِ وفصاحة تراكيبهِ وبلاغة اساليبهِ بريئاً من آفة الهُجنة واللحن سليماً من الفساد من لدن جرت بهِ الالسنة الى ما قبل ظهور الاسلام بمدةٍ ثمَّ تزايد انتشار الفساد فيهِ وذلك أن العرب الخُلَّص كانوا الى ذلك اليوم بمعزلٍ عن مخالطة المتعرّبين لاتقرع آذان صبيانهم الاَّ اللغة الفصحى فتنغرس الفصاحة بالسمع ملكةً في ألسنتهم. والسمع أبو الملكات اللسانية . فقد كان الصبيُّ في الحجاز يسمع اهل بلادهِ كلهم أجمع ينطقون بالفصح فيقولون في هذه الالفاظ التي ينطق بها البيروتيون واهل بعض الجهات اللبنانية (إجَا وإجِتْ وكِيْفْ ومِينْ وهَيْكْ) مثلاً (جاء وجاءت وكَيْفَ ومَنْ وهكذا) واما صور هذه الالفاظ من كسروان الى آخر شمالي لبنان فهي كما ترى (جَا وجَاتْ ومَانْ وهَيْكِذْ) فلا ريب ان كلاًّ من الصبيان يأخذ لغة ابيهِ وعصرهِ وبلدهِ كما يأخذ دين والدهِ وعادات اهلهِ ووطنهِ . و يصير السمع على تلك الكيفية حائلاً يمنع اللسان عن الخروج بتلك الكلمات عن الصيغ التي تلقَّاها منذ حداثتهِ فما باحدٍ من صبيان الحجاز وبيروت وكسروان مثلاً حاجةٌ الى علم يستعين بهِ على اتباع لغة بلدهِ بل ذلك ملكةٌ ربي عليها كما هو مشاهدٌ لكل احدٍ وليس واحد منهم يطاوعهُ لسانهُ ان ينطق بتلك الكلمات بغير الصورة التي تعوَّدها الاَّ عند إرادة المحاكاة والتقليد

ولما خرج العرب من الحجاز في طلب ما في أيدي الامم من الملك ودوَّخوهم ونزعوا الملك من ايديهم وتوالت لهم الفتوح ومصَّروا الامصار ومدَّنوا المدائن وخالطت الأمة الغالبة الأمم المغلوبة استشرى الفساد في العربية وكانت المخالطة مدبَّةً اليها فصار الصبيان يسمعون الفصيح والمستهجن واخذت الملكة اللسانية تضعف فيهم وخُشي أن يُغلَق دون أفهامهم باب القرآن والحديث فعندئذٍ استنبطت العلوم اللغوية وكان العجم هم المشتغلين بتدوينها وتقييدها وتهذيبها وتفريعها دون العرب . ولم تقف بهم تلك الهمة العالية عند علوم الادب بل سمت بهم الى ما هو اعلى وأبعد حتى نصبوا علَمَ اللسان العربيّ فوق كل علمٍ استنبطهُ بشرٌ وادارو سورهُ بكل فنٍ اخترعهُ انسانٌ الى ذلك العهد بحيث أغنى الناطق بالضاد وما يحتاج في

الوصول الى علمٍ من العلوم الى ان يتكلف تعلُّم لغةٍ أعجمية

واذ علمت ان الفساد قد أصاب اللسان العربيّ قبل استنباط علومهِ التي أركانها اللغة والنحو والبيان والأدب صرتَ تتشوَّف الى معرفة القبائل التي اتخذت لغتها قاعدةً يبنى عليها . فاعلم ان هذا الوباء اللغويّ كان عند استنباط النحو وجمع اللغة وتفسيرها قد وقف دون قيس وتميم وأسد ولم يصل الى هُذَيلٍ وبعض كنانة وبعض الطائيين فكانت عربيتهم حين ذلك على سلامتها فعنهم اكثر ما أُخذ ومعظمهُ . وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ولم يؤخذ عن حَضَريّ قطّ ولم يُؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم اهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسّان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأنّ الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأُوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأُمم وفسدت السنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العربيّ عن هؤلاء وأثبتها في كتابٍ فصيرها علماً وصناعةً هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب (عن المزهر ببعض حذفٍ)

قلت ومن لا يلتفت الى ان الأمية كانت يوم ذاك فاشية في العرب بل يقصر النظر على ما في اوضاع هذه اللغة من الشواهد الناطقة بما فُطروا عليهِ من الحذق والادلَّة المصرّحة بما رزقوهُ من ثقابة النهم يتولاهُ العجب من اقبال العجم على خدمتها واعراض العرب عنها لكن من يعطف نظرهُ الى هذه الحيثية يظهر لهُ السبب فيبطل عندهُ العجب

واما البحث في خصائصها التي اذا قُوبلت اللغات وعُورضت محاسن الواحدة بمحاسن الاخرى فلا أقلّ من ان تكون بينها في الطبقة الاولى فمن اشرف المباحث النظرية لكنهُ بحث لا يوفيهِ حقهُ من اقامة الدليل الأ مضطلعٌ منها ومن لغات شتى شرقية وغربية او لجنةٌ من العلماء الاذكياء كلٌّ منهم متبحر فيها وفي لغة من اللغات الاعجمية ولا يخفى ما وراء ذلك من سَبْر الطبائع وكشف الغرائز ولو كنت ممن يستطيعهُ خارجاً على مثل ما أشرت اليهِ لأقبلت عليهِ لفائدتهِ تلك وان كان ليس من مذهبي في اللغة الأ الاشتغال بما يسهل سبيل القلم ويوفر دواعي البلاغة

ذلك ولنرجع الى سرد اسماء أخصّ اولئك العجم ذوي الهمم القعساء والبصائر المتألقة

الضياء الذين لولاهم لهُدِمت اركان العربية وضاعت اوضاعها وفسدت احكامها وتشوَّه جمالها وترامى الى النقص كالها مقتصرين على ذكر اعيان اهل النحو واللغة والبيان واما اهل الفقه والتفسير والعلوم العقلية فنعرض عن ذكرهم خوف التطويل

المؤلفون في النحو

أخص المؤلفين في النحو بين الاوائل والاواخر واعلاهم كعباً في هذه الصناعة في الغابر والحاضر ومُصنّفهُ بحر هذا العلم الزاخر رجلٌ فارسيٌّ يقال لهُ سيبويه نشأ في البصرة وأقام ببغداد وعاش اربعين سنةً . وُلد سنة ١٢١ هجرية وقُبض بقرية من قرى شيراز سنة ١٦١ هجرية

وأبو عليّ الفارسيّ ألف كتباً مختصرة للمتعلمين اقتصَّ فيها اثر سيبويه امام النحاة ومن كتبهِ في النحو (الايضاح والتكملة) ألفهُ لعضد الدولة وهو من معاصري المتنبي وجرت بينهما مجالس ايام اقامتهِ عند سيف الدولة بحلب

وابو اسحق الزجاج صنف في النحو عدَّة مختصرات نهج فيها منهج الامام . وكانت ولادتهُ سنة ٢٣٠ هجرية ووفاتهُ سنة ٣١١ هجرية

والسيرافيُّ وهو مولود في سيراف سنة ٢٨٤ هـ لهُ شرح جيد على كتاب سيبويه

والزمخشريّ مؤلف المفصل والأنموذج في النحو وُلد بزمخشر قريةٍ بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ وقُبض بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ فرثاهُ بعضهم بابيات منها

فأرضُ مكةَ تذري الدمعَ مُقلتُها حزناً لفرقة جار الله محمودِ

وابن الحاجب وهو ابو عمرو عثمان كرديٌّ كان ابوهُ حاجب الامير عزّ الدين الصلاحي توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ألف في النحو الكافية وصنف في الصرف الشافية وشرحهما

والرضي الاستراباديّ المتوفى سنة ٦٨٦ هـ شرح الكافية شرحاً مطولاً

اخصُّ المؤلفين في اللغة

الخليل بن احمد الفراهيدي البصريّ الازديّ هذا اول من جمع اللغة في كتاب سماهُ كتاب العين ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٤ هـ وهو فيما ارى عجمي في مرباهُ عربي في نسبهِ وحملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم الاَّ في القليل النادر وان كان منهم العربيُّ في نسبتهِ فهو عجميٌّ في لغتهِ ومرباهُ ومشيختهِ كما جاء في مقدمة ابن خلدون . وكتاب العين فُقِد قبل ان تبلّ بهِ ايدي الافرنج فحفظهُ من آفات الدهر

والازهريّ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ بمدينة هراة هو صاحب التهذيب الذي ادخلهُ ابن

منظور فيما ادخل من المعجمات التي جعلها قوام تأليفهِ الكبير المسمى لسان العرب

والصاحب بن عباد وهو موءلف المحيط في اللغة وُلد في اصطخر سنة ٣٢٤ هـ وتوفى في الري سنة ٣٨٥ هـ ومن صفات محيطهِ انهُ غزير المواد قليل الشواهد

والجوهريّ وهو ابو النصر اسماعيل بن حماد من مدينة فاراب من عشيرة تركية ساح رغبة في العربية وهياماً بمحاسن اوضاعها بين البدو في جزيرة العرب وشافههم ووقف على لغتهم ثم عاد الى وطنهِ ووضع كتاب الصحاح وقال خذوا لغتكم من رجلٍ اعجميّ وكانت وفاتهُ سنة ٣٩٣ هـ وقد قيل في صحاحهِ

من قال قد بطلت صحاح الجوهري لمَّا اتى القاموس فهو المفتري

قلتُ اسمهُ القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهرِ

وابن فارس بن زكريا الرازي صاحب المجمل في اللغة وُلد سنة ٣٢٩ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ وكان مقيماً بهمذان . وعليهِ اشتغل بديع الزمان

والثعالبيّ النيسابوري وُلد في نيسابور سنة ٣٥٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ ولهُ كتاب فقه اللغة وهو متداول لوقتنا بين طلبة العلم والخاصة من اهل البلاد

والزمخشري وهو من أشهر كتَّاب العربية ولهُ الطبقة العالية بين أئمتها في التحقيق وجودة التأليف واناقة الترصيف وضع في متن اللغة الاساس وهو انفع المعجمات للمنشيء بحيث اكثر فيهِ من الامثلة المبينة لوجوه الاستعمال وقد مرَّ ذكرهُ بين موءلفي النحو

والفيروزابادي وهو اشهر من ان يعرَّف ولد سنة ٧٣٠ هـ في فارسين وهي كازرون قرب شيراز وتوفي سنة ٨٢٠ هـ لهُ في اللغة القاموس المحيط والقابوس الوسيط واسم الفيروزابادي في بلاد الشام مرادف لاسم القاموس عند علماء العربية وقد شاع على الالسنة في بلادنا اسم هذا الكتاب حتى صار اسماً لكل معجم من معجمات اللغة يقال هذا قاموس فلان وهذا قاموس فلان وقواميس اللغة كثيرة وممَّا امتاز بهِ هذا الكتاب الضبط بالنص والمثال وهو في تقويم النطق امرٌ جليل ذو بال

الموءلفون في البيان

ابو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ هو الذي نخض زبدة البيان وهذَّب مسائلهُ ورتب ابوابهُ وألَّف كتابهُ المفتوح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفنَّ من بعض أجزائهِ

وجلال الدين محمود القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ اختصر جزء البيان من كتاب المفتاح وسمي مختصرهُ تلخيص المفتاح

والتفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ ه لهُ شرح التلخيص

والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ه لهُ حواشي على شرح التفتازاني

هذا وتفادياً من الاطالة نأثر ما قالهُ المؤرخ الفيلسوف والكاتب الموصوف العلأمة ابن خلدون الحضرمي في مقدمتهِ المشهورة فقد أجمل هذا المبحث واتى على اطرافهِ مع البيان الكافي والتعليل الوافي قال " فصارت العلوم حضريةً وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم اومن في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبعٌ للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس " الى ان يقول " وكذا حملة الحديث الذين حفظوهُ عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى . وكان علماء اصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينهِ الاّ الاعاجم وظهر مصداق قولهِ صلى الله عليهِ وسلم لو تعلق العلم باكناف السماء لنالهُ قوم من فارس . واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليهِ من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيهِ فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذٍ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرُّ اليها ودفعوا ذلك الى من قام بهِ من العجم والمولدين " الى ان يقول " واما العلوم العقلية ايضاً فلم تظهر في الملة الاّ بعد ان تميز حملة العلم ومؤلفوهُ واستقر العلم كلهُ صناعةً فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الاّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناهُ اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت الحضارة في العجم. وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر . ولما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملةً لما شملهم من البداوة واختصَّ العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أمُّ العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع . وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها . فلهم بذلك حصةٌ من العلوم والصنائع لا تُنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تآليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني . واما غيرهُ من العجم فلم نرَ لهم من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعوَّل على نهايتهِ في الإصابة "

قلت ليت شعري ما كان يقول هذا المؤرخ الفيلسوف في مصر لو قدمها في مثل هذا العهد وفيها المطابع التي اخصُّها مطبعة بولاق الشهيرة مطلع انوار العلوم اللسانيَّة والشرعيَّة والتاريخيَّة والرياضية والطبية وقد بلغ ما طُبع فيها من نفائس المصنَّفات العربية مائةً وستين مصنفاً وبلغ ما طبع في سائر مطابع القاهرة من تلك الكتب القديمة مائتين وواحداً وعشرين كتاباً على ان بعض ما طُبع في بولاق قد تكرَّر طبعهُ في بعض مطابع القاهرة وذلك من لدن أُنشئت تلك المطابع الى سنة ١٨٩٧ م

بل ليت شعري الى ايّما حدّ كان يبلغ في تقريظها لو وطىء أرضها اليوم ورأى ما حدث فيها من المدارس ولا سيما المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني التي أحيت الطبَّ والحساب والجبر والهندسة والمساحة وعلم النبات والصيدليَّة وعلم الفلك وملأ اساتذتها الارض كتباً في تلك العلوم الجزيلة الفوائد الملازمة لاتساع العمران وانبساط الحضارة ثم رأى ما يُنشر فيها من الجرائد الموزَّعة الجوائب في الارجاء والمجلاَّت العلمية المرسلة من سواد سطورها الضياء. وماذا كان يقول في بعض الجرائد والمجلاَّت التي بلغت من تحرّي الصواب والحرص على صحة الآداب وتوفير الفوائد وتخيُّر المباحث ما جعل اقوالها كالاحكام المبرمة متانةً والانهار المتدفقة فائدةً

الفصل الثاني

في خدمة الافرنج للعربية

قد تقدَّم لنا كلام مجملٌ في هذا الشأن وقبل ان نأتي بتفصيلهِ يقضي علينا اشباع البيان ان نذكر داعية هذه الخدمة فنقول

ما ضربت الحضارة اطنابها في أُمة الأَّ سمت هِمَم علمائها الى الوقوف على ما عند سائر الأُمم من العلوم والصنائع واشتدَّت رغبتهم في كشف الغطاء عن تواريخهم واستطلاع احوالهم في مبادئهم ومصايرهم وتقلب الدهر عليهم عابساً وضاحكاً ولو كانت آجال مجدهم قد انقضت بل ولو كانوا هم قد انقرضوا وبادوا واصبحوا وليس لهم من الوجود الاَّ قدر ما أَبقت لهم أَقلام المؤرخين من الذكر اذ لا يخفى على عاقلٍ ما غبَّ ذلك الاطلاع من الفوائد التي ترخص في جنبها قلائد الدرّ والياقوت . وما ينقع للراغبين غليلاً ولا يبرّد لهم شوقاً كمعرفة لغات تلك الأُمم وقراءة كتبهم وهذا هو الذي بعث الافرنج الاقبال على العربية والتجوُّل في الآفاق لجمع كتبها وطبعها وبذل الكلف الطائلة في اظهار تلك الكنوز المدفونة وهنذا اذكر لك بعض ما طبعوا من كتب النحو واللغة ودواوين الشعر وكتب الدين والفقه والطبّ والجبر

والهندسة والجغرافية لتعلم ان تلك التآليف التي قضت الايام على الشرقيين ان يحرموا الانتفاع بها مع انها من ثمرات رياضهم وغلاَّت ضياعهم وقد حُفظت في لغتهم حفظ الدرّ في صدفهِ قد بعث الله لها من يقيها الهلاك وينشرها في الآفاق فلو انها وايك من ذوات الحسّ والنطق لذاقت لذَّة اطلاق السبيل بعد الحبس الطويل بل لذاقت حلاوة النجاة بعد مشارفة البوار

مطبوعات نحوية

من مطبوعات النحو كتاب سيبويهِ طبعهُ في باريز سنة ١٨٨٩ م الفاضل درانبورغ وبذل ما في طوقهِ في معارضة هذه النسخة بخمس نسخ مخطوطة واحدة في فيانَّا وواحدة في بطرسبورج وواحدة في باريز وواحدة في اكسفورد وواحدة في الاسكوريال باسبانيا فجاءت الطبعة على ما يرام من الاتقان والضبط ونظافة الطبع حتى كأنما راعى في ذلك كلهِ قدر الكتاب والمدينة التي طبع فيها ومقام طابعهِ . وقد طبعت الكتاب ايضاً جريدة الجمعية الشرقية الالمانية

والمفصل للزمخشري في صناعة الاعراب طبعهُ في كريستيانا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٨٩م الفاضل بروخ والانموذج في النحو للزمخشري طُبع في كريستيانا سنة ١٨٥٩ م

وشرح ابن يعيش الحلبيّ المعروف بابن الصائغ على مفصل الزمخشريّ طبعهُ في ليبسك سنة ١٨٨٦ م الفاضل ياهل ولم يألُ جهداً في تطبيقهِ على الاصل . وتوفيّ ابن يعيش هذا سنة ٦٤٣ هـ وألفية ابن مالك المتوفَّى في دمشق سنة ٦٧٢ هـ المولود في جيَّان الحرير من اعمال الأندلس سنة ٦٠٠ هـ طبعها في باريز الفاضل سلفستر دي ساسي سنة ١٨٣٣ م الى كتب أُخرى كثيرة نضرب عن ذكرها اختصاراً

مطبوعات لغوية

من مطبوعات كتب اللغة مثلَّثات قطرب المتوفى سنة ٢٠٩ هـ طبعها في ماربورغ الفاضل فلار وكتاب الفروق للاصمعي المتوفى سنة ٢١٦ هـ طبع في قاعدة مملكة النمسا فيانَّا سنة ١٨٧٦ م وضمَّ اليهِ فهرس على ترتيب حروف المعجم

وكتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن الأنباري المتوفى ببغداد سنة ٣٢٨ هـ طُبع في ليدن سنة ١٨٨١ م

مطبوعات من دواوين الشعر العربي

من الكتب الشعرية المطبوعة في بلاد الافرنج شرح الحماسة مع فهرست على ترتيب حروف الهجاء للاعلام وسائر الألفاظ طبعهُ الفاضل فريتغ صاحب المعجم العربي اللاتيني المشهور في مدينة بون مرتين سنة ١٨٤٧ و ١٨٥١ م

والمعلَّقات السبع . طبعها في ليبك الفاضل ارنولد سنة ١٨٥٠ م وافرغ كنانة الجهد في تطبيقها على الاصل ثم طبعها الفاضل آبل في برلين سنة ١٨٩١ م

وديوان لبيد . طُبع في مدينة فيانا سنة ١٨٨٠ م . وطُبعت معلَّقتهُ مع شرح الزوزني في مدينة برسلاو سنة ١٨٢٨ م

وديوان عنترة . طبعهُ الفاضل آهلوارت في لندن سنة ١٨٧٠ م

ومعلَّقتهُ . طُبعت في ليدن مع شرح الزوزني لها سنة ١٨١٦ م

وديوان طرفة ابن العبد. طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غريفا سوالد

ومعلَّقتهُ . طُبعت سنة ١٨٢٩ م في مدينة بون مع شرح عليها للزوزني

وديوان زُهَير . طُبع في ليدن سنة ١٨٨٩ . ومعلَّقتهُ وهذه طُبعت سنة ١٧٩٢ في ليبسك مذيلة بشروح وضمَّ اليها ترجمتها باللاتينية

وديوان امرىء القيس طُبع سنة ١٨٣٧ م في مدينة باريس مشروحاً وملحقةً بهِ ترجمةٌ بالفرنسوية

وديوان النابغة الذبياني طبعهُ في باريز سنة ١٨٦٩ م الفاضل درانبورغ ومعلَّقة عمرو بن كلثوم طبعها في مدينة يانا سنة ١٨١٩ م الفاضل كوزغارتن

ومنها ديوان الشعراء الهذليين وقد طبعهُ سنة ١٨٥٤ الفاضل كورغارتن في مدينة لندن

وديوان عروة بن الورد وقد طبعهُ سنة ١٨٦٣ الفاضل نولدكي في مدينة غوتنغن

الى دواوين وقصائد مشهورة وفي اطايب الشعر معدودة نعرض عن ذكرها اختصارًا

مطبوعات دينية وفقهية

من هذه المطبوعات القرآن فقد طبع طبعات كثيرة اولها في هامبورغ سنة ١٦٤٩ م وطُبع في ليسبك ثلاث مرَّات ما بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٧٠ م وقد ضُمَّ اليهِ فهرست مرتب على حروف المعجم يُقال لهُ نجوم الفرقان

والكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري طبعهُ الفاضل لي الانكليزي في كلكته سنة ١٢٨١ هـ قبل ان يُطبع في بولاق بخمس سنين

وانوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي طبعهُ الفاضل فليشر الألماني في ليبسك سنة ١٨٤٨ م وقد خدم هذا التفسير بفهارس مستوفية تجعل فوائدهُ للمطالع على طرف الثمام الفاضل فل الالماني وطبعها في ليبسك

والمختصر في الفقه لأبي الضياء خليل بن اسحق المالكي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ . طبع في باريز اربع طبعات افضلهنَّ الاخيرة

وكتاب المنقذ في التوحيد للغزالي طبعهُ في باريز الفاضل شمولدرس سنة ١٨٤٢ م

والأحكام السلطانية والولايات الدينية . طبع في بون سنة ١٨٥٣ م

مطبوعات من كتب الطب والجبر والهندسة والجغرافية والفلاحة

من تلك المطبوعات القانون لابن سينا طُبع مع كتاب النجاة لهُ في رومة سنة ١٥٩٣ وتذكرة الكحالين وهو مختصرٌ في علاج امراض العين . طُبع سنة ١٨٤٥ في مدينة درسدن على يد الفاضل هل . وطبعت معهُ ترجمتهُ باللاتينية

وكتاب الفلاحة لابن العوّام الاندلسيّ الاشبيلي من اهل المائة السادسة للهجرة طبعهُ في مادريد سنة ١٨٠٢ م الفاضل بنكويري

وكتاب في الجبر لأبي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر طبعهُ في لندن سنة ١٨٣١ الفاضل روزن . وكتابٌ آخر في الجبر لعمر بن ابرهيم الخيالي النيسابوري طبعهُ في باريز سنة ١٨٥١ م الفاضل ووبكه

وتحرير اصول اقليدس . وهو تعريب هندسة اقليدس لنصير الدين الطوسيّ المتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ هـ طُبع في رومة سنة ١٥٩٤ م وطبع في لندن سنة ١٦٥٧ م

والمسالك والممالك لابن خردازبه المتوفَّى سنة ٣٠٠ هـ طُبع في ليدن سنة ١٨٨٩ في المجموعة المسماة الجغرافيَّة العربية

ومعجم البلدان لياقوت الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٧ م على مقربة من حلب اعظم كتاب في الجغرافية عند العرب طبعهُ الفاضل ووستنفلد الألماني سنة ١٨٧٣ في ليبسك

والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت ايضاً طبعهُ الفاضل ووستنفلد المشار اليهِ في مدينة غوتنغن

والمسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل الرحّالة الشهير طُبعت منهُ عدَّة أجزاء في ليدن وبُون سنة ١٨٧١ م

وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي طُبع في ليدن في جملة المجموعة المسماة المكتبة الجغرافية

وعجائب الهند للبيروني الخوارزمي الحكيم المشهور المتوفَّى سنة ١٣٠٨ م طبعهُ الفاضل ساخاو الألماني في لندن سنة ١٨٨٨ م

وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري طُبع في ليدن سنة ١٨٥٦ م

وكتاب الشريف الادرسي في وصف افريقية واسبانيا طبعهُ الفاضل دوزي ودي جويه في ليدن مع ترجمة فرنسوية وشروح سنة ١٨٦٦ . الى غير ذلك من الكتب النفيسة مما لا يسمح الغرض من هذه المقالة باثبات اسمائها فنجتزئ عنهُ بذكر اسماء المدن الاعجمية وعدد ما طبع فيها من الاسفار العربية العتيقة الى تاريخ سنة ١٨٩٧ بقدر ما وصل اليهِ استقصاؤنا كما ترى في هذا الجدول

اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع
أُبسالا	٣	جوجنفيا	١	كنفور	١٠
استراسبورج	٢	جوتا	٣	كوبنهاغن	٥
ادنبرغ	١	الجزائر	٤	لكناهور	١٧
أكسفُرد	١٣	درسدن	٣	ليسبون	١
امستردام	١	دلهي	١١	ليبسك	٥١
أُوترخت	١	رومة	٧	ليدن	٧٥
باسل	٣	طهران	٦	لاهور	٢
باريز	٤٨	غرايفوالد	٤	لودبانج	١
برلين	١١	غوتنغن	٦	لندن	١٤
بادوا	١	فرانكفورت	١	مادريد	٤
برسلاو	٤	فرايبورغ	١	مونيخ	٣
بطرسبورج	٦	فلورنسا	٢	ميلان	١
بمباي	١٨	فيانا	١٢	ماربورغ	١
بتافيا	١	قازان	٢٢	مرسيليا	١
بهوبال	٢	قسطنطينية	٨٩	نورمبورج	١
بون	١٦	كامبردج	١	هلي	٤
البندقية	٩	كريستيانا	١	هايدلبرغ	١
بيزا	١	كونغز بورج	١	دايمار	١
تبريز	٣	كاستان كشمير	١	يانا	٢
تونس	٥	كلكته	٥٨	ومجموع ذلك ٥٧٨ كتاباً	

قلَّ من يرى تلك الكتب العربية مطبوعة في رومة وباريز وليدن ولندن وليبسك وبرلين وجوتا وكوبنهاغن وغوتنغن وغيرها مما اثبتناهُ في هذا الجدول فيكون مثلهُ مَثَل من يرى السمك يعيش في القفر . او الطير تطير تحت لجج البحر او مثل من ينظر الضرير يهدي البصير اذ يُخيَّل اليهِ ان البصرة والكوفة قد ظهرتا في هذا العصر باسم هولاندا والمانيا وان ابن عقيل وابن مالك وابن هشام قد عادوا الى الدنيا باسم سلفستر دي ساسي الفرنسوي وفليشر وفريتغ فيكاد يُدخل عليهِ ولا يزال في بيداء تحيرهِ حتى يتراءى لهُ من التاريخ بنادر يقول لهُ أفق واسمع يرتفع عن بصيرتك برقع الجهل واعلم أن الأمم التي نفقت اسواق العلم عندها واستبحر العمران فيها تمتليءُ حياةً ونوراً فتُجلِّي آثار العلم وتطلبها في كل لغةٍ وتنشدها عند كل أمةٍ . والاَّ فاين ما عانتهُ اوربا وانفقتهُ في سبيل العربية مما قاستهُ وتكلفتهُ في حلّ الكتابات المسمارية والخطوط الهيروغليفية واعادتها الى الحياة بعد موتها

الخاتمة

قد عرفتَ مما ذكرت لك ان العربية قد ضربت خيامها في الممالك الاوربية ونُصبت لاساتذتها المنابر في المدارس الكلية وسُبك لها حروف في المطابع العظيمة البهية وسخا أنصارها الافرنج على نشر ما كان مخبوءا في الخزائن من النفائس التي جعلها حوّل الدهر كالرمائن فلو انتصب العدل يوزّع الجوائز على من خدموا العربية لأصاب العجم جائزة الايجاد والافرنج جائزة الحراسة والحفظ

هذا ولا يذهب على عاقلٍ مهما ضعفت بصيرتهُ ان شجرة اللغة لا تستوفي حقها من الاخضرار والايراق وبسوق الافنان وتفتّح الازهار واستواء الاثمار ولا يجتمع لها رونق الحياة والنضارة ما لم تكن لغة المخاطبة والمكاتبة في الشؤون الانسانية ولغة العلوم البشرية قاطبةً تلقيناً وتدويناً . والاّ فان الاقتصار على تعلم اصول النحو والبيان وطبع الكتب القديمة كما هو دأب علماء المشرقيات من الافرنج لهذا الوقت جزاهم الله خيراً واقتصار المدارس في الديار السورية وغيرها من البلاد العربية اللغة على تعليم النحو والبيان والعروض ومطالعة بعض كتب الأدب من نظم ونثر مع كثرة نفعهِ لأقلّ من ان يكون الغذاء الذي تنمو عليهِ وتبسق أغصانها بهِ وتكثر ثمارها . فلو تمثلت اللغة فتاةً ما صبرت عن أن تطلب طعاماً يشبعها من جوعٍ . ويحفظها من شحوب ولا أغفلت المطالبة بأن تكون لغة العلوم الرياضية والطبية والفلسفية كما هي الفرنسوية عند الفرنسويين والانكليزية عند الانكليز ولعانت الكلية الانجيلية البيروتية على الاعراض بعد الاقبال والهجر بعد الوصال فقد كانت لغة الطبّ فيها الى سنة ١٨٨٤ ولقالت لذويها

ما عهدت المرسلين الأذوي برّ بي وحفاوة ألا وهم الذين انشأوا لخدمتي سنة ١٨٣٤م مطبعة موفورة الآلات متينة الأدوات ناصعة المطبوعات واستعملوني في العلوم الرياضية في مدارسهم كافة وأذاعوا كتباً في تلك العلوم لابسة حلتي الجميلة البهية فعلى م قاطعوني وقد عاودتني سحة من نضارتي ولقالت ليتني اكون عند هذه الكلية العامرة كالنقاوي عند القائل

لم يرق لي منزل بعد النقا لا ولا مستحسن من بعد مي

وما احسبها كانت تعفي الطبية الفرنسوية البيروتية من معاتبة تسلّط على قلبها ما يأخذ المعاتب وقد غلبته الحجة . واما الكليتان فتتلقيان ذلك العتاب باعتذار لا إخاله يضعف الحكم عليها بجفائها او يصرفها عن أن تنشدها

تمرّون الديار ولم تعوجوا كلامكمُ عليَّ اذن حرامُ

فاذا لاحظت ذلك كله علمت ان انجع ما تغتذي به العربية اليوم انما هو المجلات الجوالة والصحف السيارة وذلك انها تستعمل اللغة في كل مطلب ومبحث وقد شعر كل من المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ان الجرائد العربية قد بثت اللغة الفصيحة في كل طرف من الأطراف وعلّمت العامة كثيراً من فرائد العربية مما لم يكن يعرفه الا الخاصة وفتحت باب الكتابة انشاء وترجمة وردّت الى اللسان العربي من قديم رونقه فكلّ منها حريّ بأن ينال من الثناء ما هو كفاء خدمته وجزاء فائدته

فيا ايها الناطقون بالضاد كرّموا الجرائد والمجلات وعظّموها بالاقبال عليها فهي اعظم الاركان في حياة لسانكم وحياة الانشاء بينكم فلم يبق لاعتزاز العربية ونضارتها سند اقوى منها فهي بغزارة موادّها ووفارة أبحاثها وتعدّد مطالبها وتشعب ابوابها تعزّز العلم واللغة معاً بما تبث من الأنوار العلمية وتذيع من الكلمات العرفية مما لا سبيل الى الوصول اليه بدونها

اوهام الخواص

تمهيد

قد يظن قارئ هذا العنوان اننا نقصد مجاراة الحريري في البحث عن اوهام الخاصة من حيث اللغة والانشاء . وهذا ليس من غرضنا في شيء وانما غرضنا البحث عن بعض الاوهام التي وجدناها متسلطة على عقول بعض الخاصة في عاصمة العلم والعمران في مدينة باريس التي نشأ منها مثل ده كارت وبسكال وكونت وفولتر ولافوازيه وباستور. نعم ان الذين لقيناهم

وحادثناهم في مثل هذه المواضيع اكثرهم من غير الفرنسويين ولكنهم مقيمون في فرنسا وهم من شعوب مرتقية مثل الشعب الفرنسوي ان لم تكن ارقى منهُ . والامور التي رأيناهم يعتقدونها هي التناسخ والوهية المعبودات القديمة وصحة الاحلام والطب الروحاني ومناجاة الارواح . وهاك بعض ما سمعناهُ منهم وما دار بيننا وبينهم من الحديث في كل هذه المواضيع

(١) التناسخ — هذا ابعد ما كنا ننتظر ان احداً من خواص الاوربيين يعتقدهُ لكننا لقينا غير واحد منهم يعتقد التناسخ ويدَّعي انهُ يتذكر الحالة التي كان فيها منذ الوف من السنين قالت لنا سيدة مشهورة بالعلم والفضل والجمال انها تتذكر الحالة التي كانت فيها منذ نحو ثلاثة آلاف سنة لمَّا كانت كاهنة في مصر على عهد الفراعنة. وقوي اعتقاد هذه الجماعة بامر غريب حدث في اجتماع مؤتمر المباحث النفسية . ذلك ان الاستاذ شارل ريشه الشهير عرض في هذا المؤتمر طفلاً اسبانياً عمرهُ ثلاث سنوات ونصف سنة لا غير اسمهُ بيبتو وُذَرِيغوس اريولا لا يزال يلبس لبس البنات لصغر سنهِ حتى ظنهُ كثيرون بنتاً وهو مع ذلك يلعب على البيانو مثل كبار الموسيقيين ويؤلف الانغام الموسيقية ويوقع الانغام الجديدة التي يسمعها ويتصرف فيها

لما كان عمر هذا الطفل سنتين ونصف سنة مارست امهُ ذات يوم قطعةً من الموسيقى القديمة (الكلاسيك) على البيانو ثم اغلقتهُ وخرجت الى غرفة أُخرى لبعض امرها فسمعت واحداً يلعب على البيانو القطعة التي كانت تمارسها فاسرعت اليهِ فوجدت طفلها هذا جالساً امامهُ يلعب عليهِ تلك القطعة من غير كتاب يلعبها بيدهِ اليمنى ويرفقها باليسرى . ومن ثمَّ عكف هذا الطفل على ذلك البيانو من غير معلم فبرع في اللعب عليهِ براعةً تذهل العقول

وقد جلس امام هذا البيانو عينهِ في مؤتمر العلوم النفسية في محفل حافل بكثيرين من اشهر علماء الارض واكبر موسيقييها ولعب امامهم ادواراً كثيرة معروفة وادواراً أُخرى مما الفهُ ارتجالاً وكفاهُ صغيرتان فلا تصل اصابعهُ الى اكثر من خمسة مفاتيح لكنهُ كان ينقلها بسرعة فائقة حتى تصل الى مفاتيح السلم كلها وكان لعبهُ غاية في الصحة والدقة وحركاتهُ مطابقةً للعبهِ كأن الانغام الموسيقية خارجة من اعماق نفسهِ وهو لا يكتفي بلعب الانغام التي سمعها او مارسها او نظمها بل اذا سمع نغماً جديداً لعبهُ ايضاً ونوَّعهُ وقت ايقاعهِ وحسَّنهُ كثيراً . واذا ارتجل صوتاً جديداً ضمنهُ من الانغام ما يحرك الشجون ويأخذ بمجامع القلوب كأنهُ سلك مسالك العشاق وذاق تباريح الوجد والفراق او كأنهُ حلب اشطر الدهر وذاق ما فيهِ من الخل والخمر. وقد اخترع اسلوباً (تكنيك) خاصاً بهِ لم يجد فيهِ امهر علماء التوقيع الاَّ مواقع قليلة للانتقاد

وكان اذا اتمَّ اللعب يشارك الجمهور في تصفيقهِ لهُ ويضحك ويقهقه ويمدُّ لسانهُ كما يفعل الاطفال عادةً . فهو طفل في كل شيءٍ الاَّ في الموسيقى ولا يستطيع اللعب الاَّ على البيانو الذي لعب عليهِ اول مرة . وهو قديم لم يُدَوَّن منذ زمن طويل ولم يستطع احد ان يدوزنهُ ولكنهُ يلعب عليهِ اجود لعب ولا يستطيع ان يلعب على غيره

هذا الطفل قوَّى حجة اصحاب التناسخ كما تقدَّم فقالوا ان نفسهُ نفس موسيقي ماهر تقمصت فيهِ ولا يفسَّر اتقانهُ للموسيقى على صغر سنهِ بغير ذلك . وفاتهم ان نفس ذلك الموسيقي الماهر اكتسبت اموراً أُخرى غير البراعة في الموسيقى فلماذا تركتها كلها وابقت على الموسيقى وحدها . فهذا التفسير يخلصهم من مشكل ويوقعهم في ما هو اشدُّ اشكالاً منهُ

ولا ينكر ان امر هذا الطفل غريب جدًّا لا يفسر بحقائق العلم المعروفة كما قال الاستاذ ريشه ولكن قد يمكن تفسيرهُ بالوراثة من امهِ او احد اسلافهِ فان للموسيقى مركزاً خاصاً في الدماغ ينمو ويرتقي بالممارسة ولا يَبعد ان يكون هذا المركز قد وُلد فيهِ نامياً مرتقياً من اصلهِ كما يولد بعض الاطفال وفي افواههم اسنان ظاهرة او تظهر اسنانهم وهم في الشهر الثالث او الرابع . واذا صحَّ ما نقلناهُ غير مرة وهو ان المرأة اذا اهتمت بموضوع ما وهي حامل فقد يولد طفلها شديد الميل الى ذلك الموضوع كأن دمها الذي يغذي المركز الدماغي المتعلق بهِ وينميهِ يغذي ما يقابلهُ في دماغ الطفل وينميهِ ايضاً ساعد ذلك على هذا التفسير ولكنهُ لا يكون قاطعاً لان هذا الطفل وحيد في بابهِ

وغاية ما يقال في هذا الموضوع وامثالهِ ان انتظار المكتشفات العلمية التي تفسرهُ خير من تمحّل تفسير لم يقم دليل علمي على صحتهِ

وكان في المؤتمر عالم هندي فاطنب في الكلام على التناسخ لما رأى هذا الطفل وافعالهُ . وهو معذور لانهُ أَلِفَ هذا المعتقد منذ نعومة اظفارهِ اما الاوربيون والاميركيون فلا ندري كيف يبنون معتقداً كبيراً على اساس واهن مثل هذا . ومن غريب امرهم انك تجد اخوين منهم على طرفي نقيض الواحد يعتقد بالتناسخ والآخر يعتقد بالفناء ويقول مع ابي العلاء

تحطمنا الايامُ حتى كأنَّنا زجاجٌ ولكن لا يعادُ لهُ سَبْكُ

(٢) الوهية المعبودات القديمة — قرأْنا ونحن في مصر ان الكونت ماكر يجور الاسكتلندي الاصل اعاد عبادة ايسس الهة المصريين القدماء وبنى لها هيكلاً في مدينة باريس . وقد زارنا هو والكونتس زوجتهُ وزرناهما فوجدناهما على غاية الرقة والظرف وسألانا عما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد في رواية تنكرد عن النصيرية وعبادتهم لالهة اليونانيين القدماء فاخبرناهم اننا زرنا

بلادهم ولم نرَ فيها شيئاً يدلُّ على صحة ما ذكرهُ اللورد بيكنسفيلد . والراسخ في ذهننا انهُ اخترعهُ اختراعاً فابدع فيهِ ثم ارياناً غرفة في منزلها وضعا فيها تمثالاً لايسس داخل محراب واوقدا امامهُ مصباحاً صغيراً وهما يحتفلان بعبادتها فيلبس الكونت لبس كاهن مصري ويضع جلد النمر على ظهرهِ وتلبس زوجتهُ لبس كاهنة مصرية ويلتفُّ حولها بعض المعتقدين اعتقادهما

ويذكر الذين سمعوا رواية عايدة تمثَّل في الاوبرا الخديوية ان العذارى الكاهنات اذا قمنَ للعبادة والرقص والانشاد تمثل للمرء انهُ في هيكل ديني يعبد من فيهِ معبودهم على غاية الوقار والورع وعاد بهِ ائتلاف الافكار الى تلك العصور المتوالية التي سادت فيها الديانة المصرية القديمة على اخلاق اهلها وآدابهم فأبلغتهم اعلى مدارج العمران وطبعت في نفوسهم اسمى الآداب واكملها كما يظهر من اجوبة النفس المسطورة في كتاب الاموات لكن الرجوع الى عبادة الله بالتماثيل من اغرب ما كنا ننتظرهُ من خاصة الاوربيين واغرب منهُ حسبانهم المعبود اثنين ذكراً يعبد باسم اوسيرس وانثى باسم ايسس ولله في خلقهِ شؤُون

(٣) صحة الاحلام — الاعتقاد بصحة الاحلام قديم جدًّا والذين يعتقدون صحتها يعبّرونها على اساليب شتَّى لا ضابط لها فاذا حدث ما يطابق تعبيرهم ولو قليلاً حفظوهُ ونسوا كل ما سواهُ طبَّقوا الحلم على ما حدث فحذفوا منهُ وزادوا عليهِ ما تقوى بهِ المطابقة . وقد كنا نظن ان اهل العلم والعرفان الذين درسوا العلوم الطبيعية وعرفوا ان الاحلام لا تفرق من الخواطر التي تخطر على بال الانسان في اليقظة الاَّ في كونها اضغاثاً غير منظمة وما يصدق عنها لا يخرج عن حد النتائج العقلية التي يستنتجها المرء في يقظتهِ والافكار التي يفكّر فيها وهو يقظان او هاجس بين النوم واليقظة بل هذه اقرب الى الحقيقة من كل الاحلام — كنا نظن ان هؤُلاء لا يلتفتون الى الاحلام ولا يثقون بشيءٍ مما تشير اليهِ حتى لقينا بعضهم في اثناء سياحتنا في الشهر الماضي ومنهم كاتب شهير يحسب ان ارلندا ستستقلُّ قريباً طبقاً لحلم تمَّ بعضهُ وسيتمُّ البعض الآخر . والظاهر ان هذا الحلم مشهور عند المهتمين باستقلال ارلندا حتى قالت لنا سيدة منهم ان الزوبعة التي حدثت حديثاً في اميركا وخرَّبت مدينة جالفستون يُشار اليها في هذا الحلم . ولما قلنا لها ان الزوابع تحدث كل عام في اميركا وبعضها اشد فتكاً واوسع نطاقاً من هذه الزوبعة اسفت لاننا لا نصدّق ما صدقهُ ظاهر وحجتهُ قاطعة

واذا سألتَ مصدقي الاحلام لماذا يكاشَف بعض الناس بما لا طائل تحتهُ من حوادث المستقبل ولا يكاشفون بالامور الهامَّة العامة مثل حدوث الحروب والاوبئة والمجاعات حتى يتقوها ويأمنوا غوائلها . لماذا لم يكاشف احد من الفرنسويين بان حربهم مع المانيا تفقدهم الالزاس

واللورين ولماذا لم يكاشف احد من الاسبانيين بان حربهم مع الولايات المتحدة تُفقدهم اسطولهم ومستعمراتهم كلها. ولماذا لم يكاشف احد من الانكليز بان البوير مستعدون لهذه الحرب اكثر منهم . ولماذا لم يكاشف البوير بان حربهم مع انكلترا تنزع استقلالهم. ولماذا لم يكاشف احد من قديم الزمان الى الآن بعلاج يشفي من الطاعون والهواء الاصفر والسل. ولماذا لا يكاشف احد بما يحدث من الزوابع والعواصف والانواء التي تخرب البلدان وتكسر السفن وتهلك الالوف اجابوك عن ذلك ان الارواح التي تسبب الاحلام غير خاضعة لارادتنا ولا لارادة مخلوق فتفعل ما تشاء من غير حساب . هذا ولا ندري كيف تسلّم عقولهم بوجود ارواح عاقلة متسلطة على عقول الناس تهتمّ بإخبار واحد من الف عما يحدث لكلب في داره ولا تهتم باخباره عن باقي ما يحدث له مدى عمره ولا عما يحدث لالوف والوف الوف من الناس ولكن

سبحان من قسم العقولَ فلا عتابٌ ولا ملامة

(٤) الطب الروحاني — ذكرنا في الجزء الماضي من المقتطف ان في مدارس الطب الروحاني باميركا من التلامذة اكثر مما في مدارس الطب القانوني وان اطباء الطب الروحاني يعالجون المرضى بالصلاة او بالتدجيل على صور شتى فيشفون كل الامراض التي تشفى من نفسها من غير علاج واما الامراض التي لا تشفى من غير علاج فتسير سيرها الى ان تقتل اصحابها. ومتى اختلط الجهل بالدعوى والحمق بالتعصب نتج من خليطها نوع من الجنون المستعصي لا اشدَّ منهُ ضرراً بنوع الانسان. ولم يخطر لنا لما كتبنا تلك السطور اننا نلقى بعض المعتقدين صحة الطب الروحاني في عاصمة البلاد الفرنسوية قبلما يمضي شهر على كتابتها . قالت لنا سيدة راسخة في هذا الاعتقاد انها تعرف مسلولاً قطع الاطباء الامل من شفائهِ ثم شفي بالطب الروحاني فقلنا لها ونحن نعرف مسلولاً آخر كان في الدرجة الثالثة وقطع الاطباء الامل من شفائهِ وانذرهُ المرحوم الدكتور فان ديك بالموت القريب وذلك منذ نحو ثلاثين سنة لكن رئته تكلست وشفي ولم يزل حياً يرزق ولذلك نرجح ان المسلول الذي تشيرين اليهِ شفي من غير علاج كما شفي هذا واذا استنبط احد طريقة جديدة لعلاج مرض من الامراض لا يُحكم بصحتها وتفضيلها على غيرها الاَّ اذا امتحنت مراراً كثيرة فوُجد انها تشفي اكثر من غيرها من الطرق لنفرض ان خير الطرق المعروفة لعلاج الطاعون يشفى بها ستون في المئة من المطعونين ويموت اربعون فاذا اكتشفت طريقة جديدة روحية كانت او مادية يشفى بها سبعون في المئة من المطعونين ويموت ثلاثون فقط فهي خير من غيرها من الطرق المعروفة على شرط ان يثبت فعلها في مئات من المطعونين . ولكن اذا كان ثلاثون في المئة من المطعونين يشفون من غير

علاج فكل الوسائل التي يشفى بها ثلاثون في المئة او اقل هي كالعدم لا تفيد شيئًا . ومعلوم ان الامراض لا تميت كلها فاذا تُركت من غير علاج مطلقًا او اذا استعملت فيها الراحة والحمية والنظافة فالغالب ان كثيرًا منها يشفى من نفسهِ فان كان اهل المريض قد استشاروا طبيبًا من الاطباء الروحانيين توهموا ان الشفاء من علاجهِ وهو ليس كذلك . ولا تثبت فائدة الطب الروحاني الاَّ اذا قام اناس من العلماء الاكفاء ورأوا جمهورًا من المرضى وفحصوا امراضهم جيدًا ثم ترقبوا فعل الطب الروحاني بهم فوجدوهُ مفيدًا لهم . ويحدث احيانًا كثيرة ان يكون المرض وهميًا فيزول بالوهم ايضًا وهنا يكون مجال الطب الروحاني واسعًا وقد يلجأ الاطباء الى ما يماثلهُ في معالجتهم المصابين بامراض وهمية

قالت السيدة المشار اليها ان نجاح الطب الروحاني لا يقتصر على الامراض الباطنة بل يتناول الامراض الجراحية الظاهرة وذكرت لنا امرأة اصيبت بخرَّاج كبير في احد ثدييها اشار الطبيب ببطهِ لكنها شُفيت منهُ بالطب الروحاني من غير بط . فقلنا ونحن نعرف امرأة اصيبت بخرَّاج في ثدييها معًا وشُفيا كلاهما من غير بط ولا علاج روحي بل نعرف نساء كثيرات أُصبنَ بخراجات في ثديهنَّ وشفين منها من غير بط ولا علاج آخر غير الوسائط العادية التي يستعملها العجائز والقوابل في بلاد الشام ولو كان الطبُّ الروحاني خاليًا من الضرر كما هو خالٍ من النفع لتركنا اصحابهُ وشأنهم ولكنهُ كثير المضار كما لا يخفى وكما سنبينهُ في فرصة اخرى

(٥) مناجاة الارواح — يزعم المعتقدون مناجاة الارواح ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء ولكنها لا تؤثر الاَّ في القليلين منهم. والذي تؤثر فيهِ يسمى واسطة وهو مثل المستخدم الذي يستخدم الجان في اقاصيص الاولين. حكى لنا بعضهم وهو من خاصة الانكليز انهُ يعرف سيدة مشهورة في باريس جلست معهُ مرةً في غرفة واستدعت هذه الارواح فحضرت جماعة كبيرة حتى ملأَت الغرفة وهو لا يراها . اما هي فضاقت بها ذرعًا من كثرتها واضطرَّت ان تخرج من الغرفة . فذكَّرنا قولهُ قصة سمعناها في حداثتنا وهي . ان رجلًا مستخدمًا للجان استدعاهنَّ ذات ليلة فحضرنَ جمًا غفيرًا جدًا حتى امتلأَت بهنَّ غرفتهُ ولم يرَ سبيلًا لصرفهنَّ الاَّ ان اعطاهنَّ بلاسة سوداء وقال لهنَّ امضينَ واغسلنها حتى تبيض فمضينَ ولم يعدنَ . فقصصنا عليهِ هذه القصة وقلنا لهُ ان المستخدمين عندنا امهر من المستخدمين عندكم فصدق القصة واطفالنا يعدونها من الخرافات ويزعم معتقدو المناجاة ان هذه الارواح تنبئ بالمستقبلات بواسطة القرع على الباب او النقر على المائدة . وان غالبها ارواح شريرة ولذلك تكذب على الناس وتسخر بهم

قلنا لواحد منهم على مرّ لا تستخدم هذه الارواح للانباء بالمستقبلات فتخبر مثلاً عما يبلغهُ ثمن القطن بعد شهر او شهرين او ما تأول اليهِ حرب الترنسفال واسهم مناجم الذهب فيصير الواسطة من اغنى اهل الارض واقدرهم على اذاعة مذهبهِ وآرائهِ بواسطة الكتب والجرائد فقال لاننا لا نعرف حتى الآن نواميس العالم الروحي ولا نعلم حدَّ علم الارواح ولا متى تصدق ولا متى تكذب

واتفق ان كان في معرض باريس مشعوذ يدَّعي انهُ يوصل افكارهُ بقوَّة روحية الى ذهن فتاة مغمضة العينين وكان المدَّعون مناجاة الارواح يحسبونهُ من الادلة على صدق دعواهم مع انهُ هو لا يدَّعي ذلك فذهبنا الى حيث يظهر قوتهُ في المكان المعروف " بالطواف حول العالم " فحضر مع فتاة اوقفها امامنا وادَّعى انهُ نوَّمها النوم المغنطيسي وعصب عينيها بعصابة سوداء ثم دار على الحضور يسألهم عما يريدون ان تعرفهُ فكان الواحد منهم يخبره باسمهِ همساً في اذنهِ فيلتفت اليها فتلفظ الاسم حالاً من غير تردد. ويريهِ آخر عدداً فيهِ كثير من الارقام فيلتفت اليها فتنطق بهِ كأنها رأتهُ مكتوباً امام عينيها . ولما وصل الدور الينا أريناه ورقة بنك فيها عددان الواحد فيهِ اربعة ارقام والثاني فيهِ ثلاثة فالتفت اليهما ثم التفت اليها فنطقت بالعددين حالاً

وهذه الفتاة تستخدم قوتها في قراءة افكار الغير لا للشهرة بل للكسب . ولكن أيصدّق احد انها تقف ساعة زمانية امام عشرة من الناس ليعطيها كلٌّ منهم عشرة سنتيمات او عشرين سنتيماً فلا يزيد المجموع على خمسة غروش الى ثمانية تقتسمها هي والرجل . فلو كانت تستطيع ان تقرأ الافكار حقيقة لاستخدمها ملوك الارض ووزراؤُها وعظماؤُها واعطوها الف جنيه كل يوم على الاقل . ثم ان اختبار الناس في هذا العصر والعصور الغابرة كلها ينفي انتقال الافكار على هذه الصورة . أفننقض اختبار ألوف من السنين وملايين الملايين من الناس بقول رجل يتسوَّل غرشاً من زيد ونصف غرش من عمرو وهو لو اراد لملك كنوز الدنيا

قبل ان وصل المشعوذ الينا كنا نظن انهُ يفعل ما يفعل بتواطوءِ مع بعض الحضور ولكننا لما رأينا الفتاة عرفت ما في الورقة التي أريناه اياها جعلنا نتفرَّس فيهِ ولم نعد نلتفت الى الحضور فاكتشفنا حالاً سرَّ صناعتهِ وهو انهُ يشير باصابعهِ وعينيهِ وحاجبيهِ اشارات تدلُّ على الحروف والارقام فكأنهُ يتكلم مع الفتاة بلغة الخرس . والظاهر ان في العصابة السوداء زجاجتين سوداوين شفافتين تراهُ الفتاة منهما وترى اشاراتهِ فتفهمها ولا غرابة في ذلك . وطلبنا منهُ ان يبطل الاشارات المذكورة فابى ثم صرَّح لنا على انفراد ان كل ما يفعلهُ آليٌّ

(ميكانيكي) لا واسطة روحية فيهِ . وكان واحد من المعتقدين مناجاة الارواح يتخذهُ دليلاً لهُ على صدق اعتقادهِ فلما كشف لهُ سرّهُ قال ما يقولهُ غيرهُ من اهل هذه البدعة وهو ان كذب شاهد واحد لا يثبت كذب الشهود كلهم . ومن الغريب اننا رأينا المعتقدين مناجاة الارواح يجرون في اعمالهم كلها كما يجري سائر الناس لا يعتمدون الأعلى شهادة مشاعرهم واخبارهم الآتي عن طريق الحس المادي واخبار غيرهم من الماديين فهم ماديون فعلاً ولو كانوا روحيين قولاً





كيف ترتقي الزراعة

تمهيد

اذا لاق باهالي القطر المصري ان يتمثلوا بامة من الامم الراقية مراقي الفلاح تمثلاً تجيزهُ احوال بلادهم وطبيعة ارضهم فلا اصلح لذلك من الأمة الاميركية فان بلادها زراعية مثل القطر المصري وحاصلات القطر المصري التي يعتمد اهلهُ عليها وهي القطن والحبوب تنتج من اميركا ايضاً وارتقاء الامة الاميركية حديث اخذت فيهِ منذ نحو مئة سنة اي حين ابتدأت ولاية العائلة العلوية على القطر المصري ولكن شتان بين ارتقاء تلك الأمة الاميركية وارتقاء الامة المصرية في هذه المدّة

وارتقاء الامة الاميركية عامٌ شامل كل شيء ولكن ينبوع ثروتها الاوسع الزراعة وعليها اكثر اعتمادها ومنها اكثر ربحها . وقد وزّعت في معرض باريس كراريس مختلفة شرحت فيها تاريخ ارتقائها في العلوم والفنون والصنائع ومنها كراسة في ارتقاء التعليم الزراعي وما يتعلق بهِ للاستاذ دابني رئيس مدرسة تنسي الجامعة فرأينا ان نلخص منها ما تفيد معرفتهُ ابناء هذا القطر وسائر الاقطار الشرقية الزراعية وما يكون عبرةً لهم وذكرى فنقول

لما هاجر الاوربيون الى الولايات المتحدة الاميركية بعد اكتشافها كانت حراجاً غبياء كثيرة الوحوش يسكنها اقوام همج ناصبوا الاوربيين العداوة وفتكوا بكل من وصلوا اليهِ منهم ولم يكن عند هؤلاء المهاجرين ادوات للزراعة غير ما صنعوهُ بايديهم من المحاريث الخشبية

فكأنهم كانوا على الفطرة الاولى . وكانوا يجهلون قواعد الزراعة والتسميد فيحرثون الارض الواحدة ويزرعونها سنة بعد سنة الى ان تمحل ولا تعود تأتي بغلة فينتقلون الى غيرها و يزرعونها وهلمَّ جرًّا

ولم يهتمَّ احد من سكان اميركا بعلم الزراعة والقواعد الزراعية الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن وكان السابق الى هذا الاهتمام وشنطون محرر اميركا . قال في رسالة بعث بها الى مجلس الامة في ٨ يناير سنة ١٧٩٠ ان ترقية الزراعة والتجارة والصناعة بالوسائل الصالحة لذلك مما لا حاجة بي الى الحث عليهِ لاني واثق انكم توافقونني على انهُ لاشيء اجدر باهتمامكم من ترقية العلوم والفنون إما بمد يد المساعدة للمدارس العالية الموجودة الآن في البلاد او بانشاء مدرسة جامعة وطنية او بما يماثل ذلك مما يليق ان تبحثوا فيهِ . ثم عاد الى هذا الموضوع مرارًا وقال في رسالتهِ الثامنة التي بعث بها الى مجلس الامة " لا يرتاب احدٌ في ما للزراعة من الاهمية الكبرى من حيث مصلحة الافراد ومن حيث مصلحة الامة وتزيد هذه الحقيقة ظهورًا بارتقاء الامة وازدياد عددها فتصير الزراعة من اهم ما تُبحث فيهِ وتنشىء لهُ ما يرقيهِ واي شيء اجدر من ذلك لتنفق عليهِ اموال الامة . ولا شيء مما ينشأ لترقية الزراعة اقرب الى النجاح من المجالس الزراعية التي تجمع المعارف وتنشرها وتعطي الجوائز المالية لتساعد وتقوي الميل الى الاكتشاف والاصلاح . وقد دلَّ الاختبار على انها من اقل الوسائل نفقةً بالنسبة الى كثرة فوائدها للامة . فاتَّبع مجلس الامة مشورة رئيسها الاول وانشأ مجلسًا للزراعة

جمعية الزراعة ومعارضها

والظاهر ان وشنطون انتبه الى فائدة المجالس الزراعية من رؤْية الجمعيات الزراعية التي انشئت قبل ذلك في البلاد فقد أُنشئت اول جمعية زراعية فيها في غرة مارس سنة ١٧٨٥ في مدينة فيلادلفيا وانتخب وشنطون وفرنكلين عضوين فيها . وكذلك انشئت جمعية زراعية مثلها في كرولينا الجنوبية واهتمت بانشاء مكان للتجارب الزراعية . ثم انشئت جمعية نيويورك الزراعية سنة ١٧٩١ ونشرت كتاب اعمالها في السنة التالية . وانشئت جمعية مستشوستس الزراعية سنة ١٧٩٢ وابتدأت في نشر اعمالها سنة ١٨٠٢ و يراد بالاعمال الكتاب الذي تنشر فيهِ خلاصة اعمال الجمعية والمقالات التي تُتلى فيها ونحو ذلك . وكان وشنطون عارفًا بهذه الجمعيات وبالجمعيات الانكليزية التي أُنشئت في ذلك الحين لترقية علم الزراعة وما يتعلق بهِ

ثم ان الجمعيات الزراعية دعت الى اقامة المعارض الزراعية فانشئ اول معرض وجمع المال لاعطاء الجوائز للعارضين فيهِ . واول مال جمع لتعطى منهُ الجوائز كان خمسين ريالاً اي

عشرة جنيهات مصرية لا غير وذلك سنة ١٨٠٥ . وهي بداءة صغيرة جدًّا ولكنها نمت لان اخلاق الامة وعاداتها تساعد على نموها فانشئت الجمعيات الزراعية في كل الولايات الاميركية وصارت المعارض الزراعية وسيلة لنشر المعارف فيها وانشئت فيها مجالس للزراعة تهتم بجمع الاحصاءات الزراعية وامتحان انواع العلف والسماد وما اشبه وبعضها يدير المدارس الزراعية وينشئ المعارض ويعطي الجوائز وينشر المعارف والفوائد الزراعية في البلاد

ثم تنوَّعت الجمعيات الزراعية حسب فروع الزراعة المختلفة فاختصَّ بعضها بتربية البقر وبعضها بتربية الغنم وبعضها بتربية الخيل وبعضها بعمل الجبن والزبدة . فلعمل الجبن والزبدة ٥٦ جمعية ولتربية البقر ١٤ جمعية ولتربية الخيل ١٨ جمعية ولتربية الغنم ٢٩ جمعية ولتربية الخنازير ١٧ جمعية . وفي كل ولاية مجلس يهتم بامراض المواشي ومعالجتها هذا عدا ما في البلاد من الجمعيات لاصلاح الطرق ووقاية الغابات وزرع البساتين والجنائن

ولا بدَّ من ان يقف القارئ هنا ويقول كيف اهتمَّ الاميركيون بانشاء الجمعيات الزراعية منذ نحو مئة سنة فزاد عددها وتنوَّعت اشكالها عاماً بعد عام على حداثة عمرانهم ونحن سكان هذا القطر اهتمَّ والينا الطيب الذكر محمد علي باشا بترقية الزراعة في بلادنا كما اهتمَّ وشنطون بترقية الزراعة في بلادهِ لكن اهتمامهُ لم يثمر فينا كما اثمر اهتمام وشنطون في بلادهِ . والجواب ان الجمهور الاكبر من الاميركيين متعلم يعرف القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الطبيعية والادبية فيقرأُ ما يكتب في المواضيع الزراعية ويفهمهُ لانهُ تعلم مبادئ العلوم والفنون. اما نحن فالذين يعرفون القراءة منا قلال جدًّا كما ظهر من الاحصاء الاخير والذين يفهمون ما يقرأُون في المواضيع العلمية لا يبلغون واحداً في الالف من السكان كلهم هذا في آخر القرن التاسع عشر فكم كانوا اقل من ذلك في غرتهِ ولذلك ضاعت كل الوسائل التي بُذلت في اوائل هذا القرن لنشر المعارف الزراعية حتى ان الكتاب الزراعي الذي ترجم الى العربية وطبع في القطر المصري منذ سنين كثيرة لم نرَ منهُ نسخةً في بلاد الشام ولم نرَ منهُ الاَّ نسخةً واحدةً في القطر المصري ولم نرَ احداً عارفاً بهِ غير واحد . ولا تزال الرغبة في العلوم والمعارف قليلة جدًّا عندنا حتى ان كثيرين من تلامذة المدارس الاميرية يبيعون الكتب التي يُعطَونها من نظارة المعارف بابخس ثمن كأَنهم يحسبون العلم والكتب العلمية من سقط المتاع . وقد انشئت جمعية زراعية في القطر المصري منذ اكثر من عشرين سنة فلم تعش طويلاً لانها كانت كالحب الذي يبذر في ارض غير معدة لهُ او لأَن الذين انشأُوها كانوا طامعين بمساعدة الحكومة المالية فلما انقطعت هذه المساعدة او لم تُنل حسب المنتظر ماتت الجمعية وعفي اثرها

المدارس الزراعية

لما قام ليبغ الكيماوي في المانيا ونشر رسائلهُ المتعلقة بالكيمياء والزراعة تلقفها القراء في اميركا من المشتغلين بالزراعة تلقُّف العطاش للماء . وكانت الامة الاميركية قد شعرت بحاجتها الى العلوم العالية التي تستخدم في الصنائع والاعمال كالكيمياء والمساحة وعلم المعادن والآلات والى تعليم العلوم الزراعية فعينت مدرسة كولمبيا واحدًا من اساتذتها استاذًا للتاريخ الطبيعي والكيمياء والزراعة . وبعد سنتين عينت جمعية فيلادلفيا الزراعية لجنة للبحث عن اسلوب لتعليم الشبان علم الزراعة وتخريجهم فيهِ فاشارت هذه اللجنة باساليب مختلفة لذلك وفي جملتها انشاء فروع لتعليم الزراعة في بعض المدارس الجامعة او تعليم معلمي المدارس الابتدائية العلوم الزراعية وجعلهم يعلمونها للفلاحين كأن تعليمهم اياها قسم مما يُطلَب منهم

وزاد شعور الناس بالحاجة الى المدارس الزراعية رويدًا رويدًا وكثر الحث على انشائها سنة بعد سنة ولكن على غير طائل الى ان قام ستة آلاف نفس سنة ١٨٣٨ وقدَّموا عريضة الى الحكومة طلبوا منها ان تعين المال اللازم لمساعدة المدارس الزراعية فاحالت الحكومة هذه العريضة على لجنة تنظر فيها فنظرت مليًّا وقرَّرت انهُ ليس في البلاد كلها مدرسة تُعلَّم فيها العلوم الزراعية ولكن الحكومة لم تفعل شيئًا آخر وبقي امر المدارس الزراعية مهملاً الى سنة ١٨٥٠ وما بعدها حتى ان اول مدرسة زراعية في ولاية نيويورك لم تنشأ الاَّ سنة ١٨٦٠ . ثم نشبت الحرب الاهلية فذهب رئيس المدرسة وتلامذتهُ الى الحرب فأُقفلت المدرسة ولم تفتح بعد ذلك . ولم ترَ الحكومة الاميركية سبيلاً الى انشاء المدارس الزراعية والانفاق عليها مع حاجة البلاد اليها وشدَّة طلبها لها الاَّ سنة ١٨٦٢ حين اقرَّ مجلس النواب ومجلس الشيوخ والرئيس لتكان على ان يوهب كل عضوٍ من النواب والشيوخ ثلاثين الف فدان من الاراضي الاميرية لمدرسة زراعية في بلادهِ فالولاية التي منها خمسة اعضاء توهب مئة وخمسين الف فدان هبة لمدرسة زراعية تنشأ فيها فبلغت مساحة الاراضي الاميرية التي وهبتها الحكومة الاميركية لانشاء المدارس الزراعية ثلاثة عشر مليون فدان اي اكثر من مضاعف كل الاراضي الزراعية في القطر المصري الاَّ ان قرار الحكومة الاميركية لم يجعل تلك المدارس تقتصر على تعليم الزراعة دون غيرها بل اباحت لها تعليم كل العلوم الصناعية

لكن المهتمين بامر التعليم الزراعي لم يكتفوا بذلك بل طلبوا من الحكومة ان تساعد المدارس الزراعية بالمال ايضاً وما زالوا يلحون في الطلب حتى اجابت طلبهم سنة ١٨٩٠ واقرَّت على ان تعطي كل ولاية خمسة عشر الف ريال من ثمن الاراضي الاميرية التي تبيعها

الضياء الذين لولاهم لهُدِمت اركان العربية وضاعت اوضاعها وفسدت احكامها وتشوَّه جمالها وترامى الى النقص كمالها مقتصرين على ذكر اعيان اهل النحو واللغة والبيان واما اهل الفقه والتفسير والعلوم العقلية فنعرض عن ذكرهم خوفَ التطويل

المؤلفون في النحو

أخص المؤلفين في النحو بين الاوائل والاواخر واعلاهم كعباً في هذه الصناعة في الغابر والحاضر ومُصَنِّفُهُ بحر هذا العلم الزاخر رجلٌ فارسيٌّ يقال لهُ سيبويه نشأَ في البصرة وأقام ببغداد وعاش اربعين سنة . وُلد سنة ١٢١ هجرية وقُبض بقرية من قرى شيراز سنة ١٦١ هجرية

وأبو عليّ الفارسيّ ألف كتباً مختصرة للمتعلمين اقتصَّ فيها اثر سيبويه امام النحاة ومن كتبهِ في النحو (الايضاح والتكملة) ألفهُ لعضد الدولة وهو من معاصري المتنبي وجرت بينهما مجالس ايام اقامتهِ عند سيف الدولة بحلب

وابو اسحق الزجاج صنف في النحو عدَّة مختصرات نهج فيها منهج الامام . وكانت ولادتهُ سنة ٢٣٠ هجرية ووفاتهُ سنة ٣١١ هجرية

والسيرافيُّ وهو مولود في سيراف سنة ٢٨٤ ه لهُ شرح جيد على كتاب سيبويه

والزمخشريّ مؤلف المفصل والأُنموذج في النحو وُلد بزمخشر قريةٍ بخوارزم سنة ٤٦٧ ه وقُبض بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ ه فرثاهُ بعضهم بابيات منها

فأرضُ مكةَ تذري الدمعَ مُقلتُها حزناً لفرقة جار الله محمودِ

وابن الحاجب وهو ابو عمرٍو عثمان كرديٌّ كان ابوهُ حاجب الامير عزّ الدين الصلاحي توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦ ه ألَّف في النحو الكافية وصنف في الصرف الشافية وشرحهما

والرضي الاستراباديّ المتوفى سنة ٦٨٦ ه شرح الكافية شرحاً مطولاً

اخصُّ المؤلفين في اللغة

الخليل بن احمد الفراهيدي البصريّ الازديّ هذا اول من جمع اللغة في كتاب سماهُ كتاب العين ولد سنة ١٠٠ ه وتوفي سنة ١٧٤ ه وهو فيما ارى عجميٌّ في مرباهُ عربيٌّ في نسبهِ وحملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم الاَّ في القليل النادر وان كان منهم العربيّ في نسبتهِ فهو عجميٌّ في لغتهِ ومرباهُ ومشيختهِ كما جاء في مقدمة ابن خلدون . وكتاب العين فُقِد قبل ان تبلَّ بهِ ايدي الافرنج فتحفظهُ من آفات الدهر

والازهريّ المتوفى سنة ٣٧٠ ه بمدينة هراة هو صاحب التهذيب الذي ادخلهُ ابن

البحث عن العلوم التي يجب ان تعلّم والساعات التي يعلّم كل علم منها سواء كانت من العلوم الاستعدادية او العلوم العالية على ان يخصص الطالب ١٥ ساعة كل اسبوع للدرس اي لاستماع الخطب والتسميع وعشر ساعات للاعمال المختلفة ليقرن العلم بالعمل فتقسم الساعات في الدروس الاستعدادية هكذا

٧٥	ساعة	لعلم الجبر والمقابلة
٤٠	"	للهندسة
٤٠	"	لحساب المثلثات
٧٥	"	لعلم الطبيعة
٧٥	"	للعمل بعلم الطبيعة
٧٥	"	لعلم الكيمياء
٧٥	"	للعمل بالكيمياء
٢٠٠	"	لتعلم اللغة الانكليزية وآدابها
٣٤٠	"	لتعلم لغة حديثة
٦٠	"	للعلوم العقلية
٤٠	"	لعلم المنطق
٦٠	"	لعلم الاقتصاد
٨٠	"	لعلم التاريخ العام
٥٠	"	لعلم دستور البلاد
١٢٨٥	ساعة	والجملة وهي الدروس الاستعدادية
٤٨٦	ساعة	لعلم الزراعة
١٨٠	"	لعلم البساتين والحراج
١٨٠	"	لعلم التشريح وامراض الحيوان
١٨٠	"	لعلم الكيمياء الزراعية
١٨٠	"	لعلم النبات والفزيولوجيا النباتية وامراض النبات
١٢٠	"	لعلم الحيوان والحشرات
١٨٠	"	لعلم الفزيولوجيا
١٢٠	"	لعلم الجيولوجيا

	٠٦٠ ساعة	لعلم المتيورولوجيا
١٧٤٦	٠٦٠ "	لعلم الرسم
٣٠٣١		والمجموع الكلي

فاذا كانت السنة المدرسية ٣٦ اسبوعاً فقط وحُسبت ساعات العمل العشر بمقام خمس ساعات من ساعات التعلم بلغت الساعات في الاسبوع عشرين ساعة فقط وفي السنة المدرسية ٧٢٠ ساعة وفي السنوات الاربع ٢٨٨٠ اي ما يقارب مجموع الساعات في الجدولين السابقين والساعات المعينة لعلم الزراعة وهي ٤٨٦ ساعة تقسم هكذا

١٣٢ ساعة	لعلم الاستنبات (اغرونوميا)
١٦٢ "	لعلم تربية المواشي (زوتكنيا)
٠٧٢ "	لعلم الصناعة الزراعية (اغروتكنيا)
٠٦٠ "	لعلم الهندسة الزراعية
٠٦٠ "	لعلم الاقتصاد الزراعي او تدبير الاباعد
٤٨٦	

ويتضمن علم الاستنبات علم الاقليم وعلم التربة وعلم الحرث والصرف والري وعلم التسميد وعلم الزرع وعلم الحصد والجني . ويتضمن علم تربية المواشي مبادىء تأصيل الحيوانات وتجنيسها وعلم تعليفها وتدبيرها . ويتضمن علم الصناعة الزراعية استخراج الزبدة وعمل الجبن وعصر الزيت والخمر واستخراج السكر . وتتضمن الهندسة الزراعية عمل الطرق والمصارف والترع واساليب الري وبناء العزب وتركيب الآلات الزراعية . ويتضمن الاقتصاد الزراعي تاريخ الزراعة وتدبير الاباعد وقوانين الزراعة وحساب الزراعة

هذا وسنستطرد الكلام في الجزء التالي الى تنقلات التلامذة في المدارس الزراعية وادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية وانشاء ديوان خاص بالزراعة الى غير ذلك مما نرى تفصيله مفيداً لنا لعلنا نقتفي الخطوات الاميركية في نشر العلوم الزراعية في هذا القطر وحث الحكومة على مساعدتنا في ذلك

زراعة النيل في الهند

يعلم المشتغلون بالزراعة في القطر المصري ان زراعة القطن فيه بلغت حدها من الاتساع فاذا زاد اتساعها حتى بلغ محصول القطن سبعة ملايين قنطار او ثمانية ملايين هبط سعر

القطن المصري حتى كاد يساوي سعر القطن الاميركاني فلم يعُد منهُ ربح كافٍ بل ان ربح القطر من موسم جيد لا يزيد على خمسة ملايين قنطار قد يكون اكثر من ربحهِ من موسم غير جيد يبلغ سبعة ملايين قنطار فيجب ان يبذل الاهتمام من الآن فصاعداً في اجادة نوع القطن لا في توسيع زراعتهِ

ومعلوم ان الاراضي الزراعية آخذة في الاتساع عاماً بعد عام ومتى تمَّ الخزان زاد اتساعها كثيراً فضلاً عما يصير يزرع زراعة صيفية مما لا يزرع الآن الاَّ زراعة شتوية فما هي المزروعات التي تزرع فيهِ غير القطن وتكون سوقها رائجة في اوربا . ويظهر لنا ان لزراعة النيلة مستقبلاً في بعض اراضيهِ الرخيصة وقد اطلعنا الآن على مقالة في الجزء الاخير من جريدة بيرصن الشهرية توصف فيها طريقة زرع النيلة في بلاد الهند واستخراجها فرأينا ان نلخصها عنها فنقول : كان اليونان والرومان يجلبون النيلة من بلاد الهند ولا يزال اهالي اوربا يجلبون النيلة من الهند حتى الآن لصبغ ثياب الجنود البرية والبحرية وثياب رجال البوليس والبوسطة لان صبغها ثابت لا ينفض بالهواء والمطر ولا يؤثر فيهِ ماء البحر مثل غيرهِ من الاصباغ وهي مستعملة لذلك في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا

ولا يُنتظر ان تنتشر زراعة النيلة في القطر المصري انتشاراً كبيراً لغلاء اطيانهِ وكثرة ضرائبها ولكن يمكن ان تزرع منها الوف من الفدادين لان زراعتها منتشرة في كل بلاد الهند يشتغل بها ملايين من الاهالي والانكليز في ثلاث ولايات منها ما مساحتهُ ٣٧٠ الف فدان يعمل فيها مليون ونصف من الاهالي وسبع مئة نفس من الانكليز ورأس المال الذي أُنفق في زراعة هذه الارض وحدها ومعامل استخراج النيلة منها خمسة ملايين من الجنيهات . فاذا ثبت ان زراعة النيلة رابحة في القطر المصري كما اكد لنا بعض الثقات الذين يزرعونها حتى الآن في مديرية الفيوم وانتشرت زراعتها في خمسين الف فدان لم يؤثر ذلك في سوقها تأثيراً يذكر فيستخدم في زراعتها مئتا الف نفس من الاهالي

وتقسم الاراضي التي يزرعها الانكليز نيلة في بلاد الهند الى اقسام كبيرة في القسم منها من الف فدان الى عشرة آلاف وتبلغ غلة الفدان منها من ١٥ رطلاً الى ٢٠ رطلاً

ولا بدَّ من ان تحرث جيداً كانها معدَّة لزرع الازهار وذلك بان تعزق اولاً عزقاً عميقاً باداة كالرفش ثم تحرث ثلاث مرات او اربعاً وتمهَّد جيداً حتى يصير ترابها ناعماً وتخطط ويزرع بزر النيلة فيها كما يزرع بزر اللفت فتظهر اوراقها الاولى بعد يومين او ثلاثة وتنمو رويداً رويداً الى ان يبلغ ارتفاعها من ثلاث اقدام الى خمس. ومادة الصبغ موجودة في الاوراق وتكون فيها

على اكثرها حينما تظهر الازهار وتكاد تنفتح . ولون الاوراق اخضر ضارب الى الصفرة ولكن يستخرج منها الصبغ الازرق

ونبات النيلة سريع العطب فاذا كثر المطر وهو صغير تلف واذا قلَّ المطر مدة نموهِ تلف ايضاً واذا بلغ جذرهُ ارضاً جافة ذوى ويبس . وكذلك يتلفهُ الدود والجراد والعشب فلا بدَّ من مقاومتها كلها

ويزرع نبات النيلة في كل بلاد الهند تقريباً ولذلك تختلف طرق زرعهِ واوقاتها باختلاف الاماكن التي يزرع فيها ففي ولاية بهار يزرع في فبراير ومارس حتى اذا اشتدَّ الحرُّ في مايو ويونيو ويبست الاعشاب كلها بقيت مزارع النيلة خضراء كاجود ما يكون واما في بنغالا السفلى حيث تغمر مياه نهر الكنك الارض سنوياً فلا تزرع الارض الا بعد ان تنضب المياه عنها وتزرع الارض حينئذٍ ملقاً اي تبذر بزور النيلة فيها من غير حرث بل تمزج بالطين بواسطة الخوض فيهِ ولكن تنبت الحشائش الكثيرة مع نبات النيلة فلا بدَّ من استئصالها بالتعب الكثير والاَّ اماتتهُ

ومعامل استخراج النيلة متفرقة بين مزارعهِ حتى لا تدعو الحال الى نقل النبات مسافات طويلة . ويقطع النبات في اواخر شهر يونيو في بلاد بهار او حالما تبتدئ ريح الموسم الحارَّة تهبُّ على الارض ويشرع حالاً في استخراج النيلة وحينما يتمُّ استخراجها في اواسط اغسطس يكون النبات قد نما وبلغ ثانية فيقطع في اوائل سبتمبر وقد ينمو ويقطع ثالثةً بعد ذلك

وفي معامل النيلة حياض واسعة توضع حزم النبات فيها واقفةً لكي يتخللها الهواء بسهولة ثم يجري الماء اليها ولا تملأ بالنبات لانهُ يتشرَّب الماء وينتفخ كثيراً فيشقق جوانب الحوض اذا كان مملوًّا بهِ . ولا تمضي ثلاث ساعات حتى يبتلَّ ورق النبات بالماء ويطفو الزبد على وجههِ وبعد سبع ساعات اخرى تكون المادة النيلية قد خرجت من الورق وامتزجت بالماء . واذا أُشعلت شمعة حينئذٍ وأُدنيت من الحوض التهبت الغازات الخارجة منهُ وامتدَّ لهيبها اذرعاً كثيرة

ويصب الماء من هذا الحوض الى حوض آخر تحتهُ ويستخرج النبات منهُ ويحفظ ليستعمل سماداً للارض التي تزرع نيلةً ويختلف لون الماء من البرتقالي القاتم الى الاخضر الزيتوني ولا بدَّ من تحريكهِ تحريكاً دائماً حينئذٍ لكي تتعرَّض كل دقيقة للهواء . والهنود يضربونهُ بعصي من القنا الهندي ساعتين او ثلاثاً ثم يدورون حولهُ سريعاً حتى يتحرَّك حركة رحويَّة وترسب الرواسب منهُ هذا حيث الاعمال باقية على كيفيتها القديمة واما المعامل الحديثة ففيها دواليب

كدواليب السفن تدور في الحياض فتغني عن خبطها بالخابط ولكن لا بدَّ من رجل يلقي ملاءة على الزبد الذي يطفو على الماء ويغوص بهِ الى اسفل الحوض لكي يمتزج بسائر الماء

ويكون الزبد ازرق في اول الامر ثم يصير ابيض ثم يزول . ويتغير لون السائل كثيراً الى ان يصير ازرق غامقاً . ويُعلَم ما اذا كان خبط الماء كافياً بصب قليل منهُ في صحفة فاذا رسبت النيلة منهُ حالاً وصار الماء صافياً فالخبط صار كافياً وحينئذٍ يخرج الخابطون من الحوض او يقف الدولاب عن الدوران . ثم يترك الماء في الحوض ساعتين او ثلاثاً فترسب النيلة منهُ ويصب في حوض آخر وتصفَّى النيلة في مصافٍ مختلفة ثم توضع في اناء من الحديد وتغلى حتى يقف الاختمار وتصفى ثانيةً الى ان تصير كالزبدة قواماً ثم تضغط وتقطع وتلقى على اطباق من القنا لكي تجف

وقد هبط ثمن النيلة كثيراً بسبب استعمال النيل الصناعي لكن النيل الصناعي لا يقوم مقام النيل الطبيعي ولا هو ثابت مثلهُ وهو يصنع في المانيا لكن الحكومة الالمانية منعت صبغ ثياب جنودها وبحارتها بالنيل الصناعي لانهُ غير ثابت واوجبت صبغها بالنيل الطبيعي لان لونهُ ثابت

القطن

عاد ثمن القطن الى الارتفاع فبعد ان بلغ ثمن القنطار في القونترااتات نحو عشرة ريالات ارتفع الى خمسة عشر ريالاً لان موسم القطن الاميركي يقل عن المتوسط نحو مليون ونصف مليون بالة ولان موسم القطن المصري لا يظهر انهُ يبلغ خمسة ملايين قنطار فقلة الموسم في اميركا ومصر وقلة المتأخرات من العام الماضي توجب ارتفاع ثمن القطن كما ارتفع او اكثر ولذلك لا نعجب اذا زاد ارتفاعهُ في الشهور التالية الاَّ اذا قضت المضاربات بهبوط ثمنهِ

اثمن الازهار

لا أجمل من الازهار البرية ولا اكثر منها انتشاراً ولا ارخص منها ثمناً. ترى قطعان الغنم واسراب البقر تسرح في المروج والرياض ترعاها او تدوسها بارجلها من غير حساب لكن اغنياء الافرنج حاروا في ايجاد شيء نادر يغالون بهِ فرأوا ازهار النباتات السحلبية تتغير على صور شتى وتتلوَّن بالوان مختلفة فاخذوا النادر منها شكلاً ولوناً وغالوا فيهِ حتى صاروا يبيعون الواحدة منهُ بألف جنيه وأمثلة ذلك كثيرة عندهم . وقد جلبوا نوعاً نادراً من السحالب من بلاد الهند سنة ١٨٥٧ ثم يبس عندهم ولم يعودوا يعثرون على مثلهِ . وقد انفقوا حتى الآن الفين وخمس مئة جنيه وهم يفتشون عن نبات مثلهُ فلم يجدوا . ولا تقتصر المغالاة على السحالب بل تتناول نباتات

كثيرة فقد رأينا صورة نبات من الزنجبيل ثمنهُ خمس مئة جنيه وصورة نبات آخر فيهِ ثلاث اوراق لا غير ثمنهُ مئة جنيه وصورة نخلة صغيرة دقيقة الخوص ثمنها اربعون جنيهاً

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الاعتناء بالعين

يجب الاعتناء بالعين من حين ولادة الطفل فانهُ قد يصيب عينيهِ في الاسبوع الاول بعد ولادتهِ مرض يعميهما . وهو يظهر باحمرار الجفنين وافراز مادَّة قيحية غزيرة . ولا بدَّ من المبادرة الى علاجهِ حالاً والاَّ ذهب بالبصر . ولا تفيد فيهِ الوسائط البسيطة التي يصفها العجائز مثل لبن الام ومغلي البابونج بل انها قد تضرُّ كثيرًا لانها تؤخر استعمال الوسائط الفعَّالة التي يشير بها الطبيب . ويجب على من يلمس عيني الطفل حينئذٍ او شيئًا كان ملامسًا لها ان يغسل يديهِ جيدًا بالماء السخن والصابون والاَّ نقل العدوى الى نفسهِ وغيرهِ فان نقطة صغيرة من القيح الذي تفرزهُ العين المصابة اذا دخلت عين انسان عمتها . وكل نزيف دموي ينزف من البدن مهما كان نوعهُ يجب ان توقى العين منهُ فلا يجوز لاحد ان يلمس نزيفًا يدوي ثم يلمس عينيهِ بها قبل غسلها

وتوقى عيون الاطفال من النور الساطع في البيت وخارج البيت . وحينما يراد ادخالهم المدرسة تفحص عيونهم لئلا يكون فيها خلل فاذا وُجد فيها خلل تفحص من وقت الى آخر ليرى ما اذا كان خللها آخذًا في الزيادة او في النقصان . وقد يقاصُّ الصغار لانهم يكرهون الدرس ويكون سبب كراهتهم لهُ خلل في عيونهم يجعل الدرس متعبًا لهم . واذا وجد خلل في العين وجب ان يعالج بالنظارات التي تصلحهُ . وهاك بعض القوانين التي يجب اتباعها في كل المدارس من قبيل صحة العيون

اولاً لا بدَّ من ان يكون النور كافيًا في غرف الدرس وان يدخل عن يسار التلميذ وان لا تكون مساحة الشبابيك اقل من خمس مساحة ارض الغرفة اي ان الغرفة التي مساحة ارضها خمسون مترًا مربعًا يجب ان تكون مساحة شبابيكها عشرة امتار مربعة على الاقل. واذا

كان اكثر الشبابيك الى الجهة الشمالية وجب ان تكون مساحتها اكثر من خمس مساحة ارض الغرفة لان النور الداخل من الجهة الشمالية لا يكون ساطعاً

ثانياً يجب ان تكون المكاتب مما يمكن ان يرتفع وينخفض حسب علو التلميذ لكي يبقى منتصباً ولا يلتزم ان ينحني

ثالثاً يجب ان يتم التدريس بواسطة الالواح السوداء والخرائط الكبيرة والكلام الشفاهي لا بواسطة القلم والقرطاس . واذا كان لا بدَّ من استعمال القلم والقرطاس وجب ان يعتمد على الحبر الاسود لا على قلم الرصاص ولا على لوح الحجر لان كتابة لوح الحجر وكتابة اقلام الرصاص غير ظاهرة جيداً فتتعب العين باستجلائها

رابعاً يجب ان لا يعطى التلامذة دروساً يضطرون الى تحضيرها في بيوتهم او ان يقلل منها على قدر الامكان لان الدرس ليلاً يتعب العينين كثيراً

خامساً اذا كانت عينا الولد ضعيفتين وجب ان تقلل دروسهُ كثيراً وكذا اذا كان نحيف البدن

سادساً لا يجوز ان تطبع كتب التدريس الا بحروف كبيرة واضحة من الجنس الاول وعلى ورق جيد . ويكون في الصفحة الواحدة حقلان بدلاً من حقل واحد حتى تكون السطور قصيرة فلا تتعب العين بانتقالها من سطر الى الذي تحتهُ كما اذا كان السطر طويلاً ويجب ان تكون السطور بعيدة بعضها عن بعض فيكون بين السطر والذي تحتهُ مليمتران

اما الكتب التي تطبع في المطبعة الاميرية المصرية فلا تصلح مطلقاً للتعليم ولعلها العلة الكبرى لما يرى من قصر البصر وضعف العيون في القطر المصري

واذا اصيب الطفل بالحوَل امكن اصلاح خلل عينهِ الحولاء احياناً كثيرة بنظارة يلبسها لان الحوَل ينتج غالباً من خطإٍ يُصلَح بالنظارات (العوينات) . واذا ازمن فلا بدَّ لاصلاحه من عملية جراحية وهي بسيطة جداً لا يجوز اهمالها لان الحوَل عيب كبير قبيح والعملية بسيطة لا ضرر منها

اذا وقعت القذى في العين استقرَّت غالباً تحت الجفن الاعلى ويمكن ان تزال بسهولة بان يُقلَب جفن العين الاعلى وتمسح القذى مسحاً بمنديل ناعم فتزول واذا لم تزل فالغالب ان العين تدفعها الى الموق الذي يلي الانف فلا تعود العين تشعر بها وتزول من نفسها مع الرمص واما اذا غرزت القذى في العين فلا بدَّ من الاستعانة بالطبيب على ازالتها

مقام المرأة

دخلنا امس الدار التي اقامت فيها مدام ده ستايل في ضواحي جنيفا ورأينا المكتبة الكبيرة التي كانت تجلس فيها وتنظم عقود البيان . تؤلف الكتب والروايات وتكاتب الجرائد بمقالات

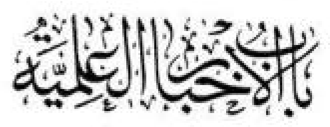
تقيم الامبراطور بونابرت وتقعده . ولم نكد نصل الى تلك الدار حتى تقاطر وراءنا الزوار واكثرهم من الاميركيين والانكليز الذين قرأوا كتب هذه المرأة الشهيرة واتوا لزيارة الدار التي سكنتها والتطواف في الغاب الذي كانت تمشي فيهِ . ورأينا هناك صور كثيرين من الملوك والعظماء ولكن ما منهم من يذكر اسمهُ الآن كما يذكر اسمها او لهُ مقام في اندية الادب ودواوين الانشاء كما لها. ولم تزل هذه الدار على اتساعها مفروشة محفوظة معتنًى بها كما كانت في عهد تلك الكاتبة الشهيرة خزائن كتبها مملوءة بنفائس الكتب وفاخر التحف والهدايا وكرسيها والمكتبة التي كانت عليها والغرفة التي كانت تقيم فيها وسريرها الذي كانت تنام فيهِ وصورها وصور زوجها وابنتها وابيها وامها وتماثيلهم. وقفنا في تلك الدار ساعة زمانية ونحن نفكر في مايولي الانسان العظمة الحقيقية سواء كان رجلاً او امرأة فقلنا كما قال غيرنا انما هو العلم والفضل ولكن لا يعرف الفضل الا ذووهُ فلو قامت مدام ده ستايل في بلاد المشرق لنسي اسمها الآن وعفي اثرها

الاثاث الغالي هو الرخيص

من يزر معارض اوربا يعجب من اعتناء الاوربيين باقتناء الاثاث المتين الذي يفني الدهر ولا يفنى من الخزائن والموائد والكراسي والاسرَّة وما اشبه . فلا يندر ان تجد في معارضهم وبيوتهم اثاثًا مضى عليهِ مئة سنة او مئتا سنة وهو على حالهِ من المتانة والبهاء كأنهُ صُنع امس لان صنَّاعهُ صنعوهُ من خشب يابس متين واتقنوا صنعهُ حتى لا يستحقّ احد اتلافهُ . ولم يبخل اصحابهُ على الصناع بدفع الثمن الذي يستحقهُ فاستخدموهُ هم واولادهم واولاد اولادهم ولم يزل محفوظًا بين التحف التي تتنافس بها البلاد وكل من ينظر اليهِ يقول الغالي هو الرخيص

خبز الزنجبيل

خذ ثلاثة دراهم من كبش القرنفل وثلاثة دراهم من البهارات (وهي تكون مجموعة ومدقوقة وتباع كذلك في قناني صغيرة باسم Allspice.) وملعقة من الزنجبيل ودق الجميع معًا في هاون واضف اليهِ عصارة نصف ليمونة حامضة وقشرها بعد تقطيعهِ قطعًا صغيرة وربع ليبرة من الزبدة واخلطها جيدًا واضف اليها نصف ليبرة من السكر المدقوق ونصف ليبرة من الدقيق ثم نصف ليبرة من الشراب وصب المزيج في اناء من الصفيح واخبزهُ عشر دقائق ثم قطعهُ بسكين سيورًا دقيقة ولفهُ حتى يصير كاللوالب



التلغراف الاثيري

لما استنبط مركوني تلغرافهُ الاثيري اي الذي تصل بهِ الاشارات التلغرافية من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية قلنا ان لا بدَّ لهُ ان يتصرَّف في عمل الآتهِ على طريقة تمتنع بها سرقة اخبارها بآلات توضع بينها . وقد نجح الآن في ذلك على ما قالهُ الاستاذ فلنغ فقد صنع آلات توقَّع كما توقَّع الآلات الموسيقية حتى فلا يمكن لآلات غيرها ان تتأثر باشاراتها . وزاد على ذلك انهُ صار يرسل رسالتين بآلة واحدة في وقت واحد فتصلان معاً . وقد امتحن الاستاذ فلنغ هذه الآلة فطلب ان ترسل بها رسالتان واحدة انكليزية وواحدة فرنسوية فارسلتا مسافة ثلاثين ميلاً ووصلتا معاً

تجارة البلاد العثمانية

نشرت ادارة الجمارك العثمانية تقريرها عن الصادرات من البلاد العثمانية والواردات اليها من اول شهر مارس سنة ١٨٩٦ الى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٧ فاذا قيمة الصادرات منها والواردات اليها على ما في هذين الجدولين

الى انكلترا	٦٣١٣١٥٨٨٨	غرشاً
« فرنسا	٤٦٠٦٦٤٥٥٦	«
الى النمسا	١٤٩٦٦٧٧٧٧٦	غرشاً
« ايطاليا	٠٤٦٩١٦٣٣١	«
« روسيا	٠٣٨٢٧٧٢٢٢	«
« هولندا	٠٣٧٤٦١٧٧٧	«
« بلغاريا	٠٣٦٩٢٨٠٠١	«
« اليونان	٠٣٢٩٣٠٢٢٢	«
« الولايات المتحدة	٠٢٨٩٢٢١١٠	«
« المانيا	٠٢٦٩٦٤٤٤٣	«
« بلجكا	٠٢٢٩٠٣٤٤٤	«
« رومانيا	٠٢٢٠٩٣٤٤٤	«
بلدان أُخرى	٠٠٧٧٩٠٥٨٠	«
والجملة	١٥٤٢٨٤٥٧٩٤	

وهي تساوي ١٣٥٣٨٤٧٢ جنيهاً مصرياً اي انها اقل من قيمة الصادرات من القطر المصري وحدهُ

وقيمة الواردات

من انكلترا	٨٥٦٧٧٣٨٨٤	غرشاً
« النمسا	٤٢٠٢٩٩٠٨٢	«
« فرنسا	٢١٠٠٩٣٩٥٩	«
« روسيا	١٧٥٢٢٩٩٥٨	«
« ايطاليا	٠٦٩٨٨٢٩١٧	«
« رومانيا	٠٦٧٥٥٣٩١٧	«
« بلغاريا	٠٦٧٢٦٧٦٦٧	«
« مصر	٠٦٤٩١٧٣٣١	«

من ايران	٠٥٨١٧١٧٩٣ غرشاً
" بلجكا	٠٤٩٣٥٧١٦٧ "
" اليونان	٠٣٩٣٠١٩٨٧ "
" المانيا	٠٢٠٩١٤٢٦٣ "
" هولندا	٠١٧٥٠٤١١١ "
" بلدان اخرى	٠١٨٧٠٢٥٩٥ "
والجملة	٢١٣٥٩٧٠٦٣١

وهي تعادل ١٨٧٤٣٠٥٠ جنيهاً مصريا اي انها اكثر من قيمة الصادرات بنحو ثلاثة ملايين وثلث من الجنيهات المصرية فكيف لا تستنزف ثروة البلاد وقيمة الواردات اليها تزيد على قيمة الصادرات منها

غلاَّت اميركا

قدرت غلات الولايات المتحدة الاميركية الآن هكذا

	هذا العام	العام الماضي
القمح	٤٩٠ مليون بشل	٥٥٠ مليون بشل
الذرة	١٩٩٨ " "	٢١٠٠ " "
الاوت	٠٧٢٠ " "	٠٧٩٦ " "

ولذلك فموسم الحبوب في محلّ هذا العام بالنسبة الى ما كان عليهِ في العام الماضي وهذا يقتضي ان ترتفع اسعارها

فنون السفر الى المعرض

للافرنج فنون من الجنون يستغربها المرء ولو لم يحكم على صاحبها بالجنون المطبق . من ذلك تباريهم في الذهاب الى معرض باريس على اساليب كثيرة المشقة قليلة النفع فان فتاة زوجيَّة اخذت على نفسها ان تمضي الى المعرض من غير ان تأخذ معها زاداً او نقوداً فكانت تخدم في اثناء الطريق وتغسل الثياب وتكاتب الجرائد لكي تكتسب ما يقوم بنفقاتها لا عن حاجة بل لانها اخذت على نفسها ان تفعل ذلك

ومن ذلك ان عائلة من اميين رجلاً وامرأتهُ وابنيهِ وابنتيهِ ساروا الى المعرض لابسين في ارجلهم قباقيب ذات بكرات فوصلوهُ ماشين على هذه الصورة

ومنهُ . ان رجلاً انكليزيًّا ساكنًا في اوبرتو قصد المعرض دبًّا على يديهِ ورجليهِ فوصل الى باب المدينة على هذه الصورة وهناك لقيهُ رجال البوليس ومنعوهُ عن السير كذلك

ومن هذا القبيل رجل من فينا قصد المعرض ماشيًا الى الوراء فلما سار ٢٥ ميلاً التقى بهِ رجال البوليس وحسبوهُ مختل الشعور فقبضوا عليهِ

ومنهُ . رجل حدادمن برلين قصد المعرض حجلاً على احدى رجليهِ فسار خمسين ميلاً كذلك لكنهُ عثر حينئذٍ ووقع فكسر رجلهُ . والجنون فنون

الاوتوموبيل

قرب الزمن الذي يحرَّر فيهِ الفرس من استعبادهِ للانسان فقد رأينا مركبات الاوتوموبيل شائعة في اوربا حتى في البلدان

الجبلية منها . ويراد الآن استعمالها في الحرب بدل المركبات التي تجرها الخيل والبغال لنقل الزاد للجنود . وسيزيد استعمالها كثيرًا متى رخص ثمنها لان ثمن المركبة الكبيرة التي تسع اربعة لا يزال كثيرًا نحو مئتي جنيه والكثير الاتقان منها غالٍ جدًّا

فالمركبة التي سارت من باريس الى بردو ونالت قصب السبق بلغ ثمنها الفًا وخمس مئة جنيه ودُفع لصاحبها فيها الف جنيه فلم يبعها . وعند ارل كرنارفون مركبة ثمنها ١٢٠٠ جنيه وعند المستر لوسن الانكليزي مركبة دفع ثمنها الف جنيه . ولكن الثمن يرخص بكثرة الاستعمال كما يكثر الاستعمال برخص الثمن . ولا يبعد ان نرى مركبة الاوتوموبيل تباع بمئة جنيه او حواليها كما تباع مركبة الخيل العادية

القياس الاطول

ينوي المستر داود جل مدير المرصد الفلكي في رأس الرجاء الصالح ان يقيس خط الهاجرة من القاهرة الى رأس الرجاء الصالح وطولهُ ١٠٤ درجات فاذا علم قياسهُ حلَّت مسائل كثيرة في جغرافية افريقية

الروافع وفرش الريش

شاعت الروافع في كل المباني العالية فتغني الناس عن السلالم وما يجدونهُ من المشقة في الصعود عليها . ويخشى على الروافع ان تنقطع حبالها وتقع بمن فيها وذلك نادر جدًّا ولا نظنهُ ممكنًا لثخن الحبال التي تعلق بها ولكن الاميركيين تلافوا ضرر سقوطها بان وضعوا فرشًا من الريش في البئر التي تحتها حتى اذا انقطعت حبالها ووقعت لم يُصَبْ مَن فيها بمكروه

الازهار العطرية

في اوربا ٤٢٠٠ نوعًا من الازهار التي تقطف وتستعمل في التجارة اكثرها ابيض اللون وبعضها اصفر وبعضها احمر . ومنها ما رائحتهُ عطرية ومنها ما لا رائحة طيبة لهُ كما ترى في هذا الجدول

الابيض	١١٢٤	نوعًا	والعطري منها	١٨٧
الاصفر	٠٩٥١	"	" "	٠٧٧
الاحمر	٠٨٢٣	"	" "	٠٨٤
الازرق	٠٥٩٤	"	" "	٠٣٤
البنفسجي	٠٣٠٨	"	" "	٠١٣
الوان اخرى	٠٤٠٠	"	" "	٠٢٥
والجملة	٤٢٠٠			٤٣٠

فعشر الازهار الاوربية طيب الرائحة وكلها تستعمل ويستفاد منها

ربح المصورين

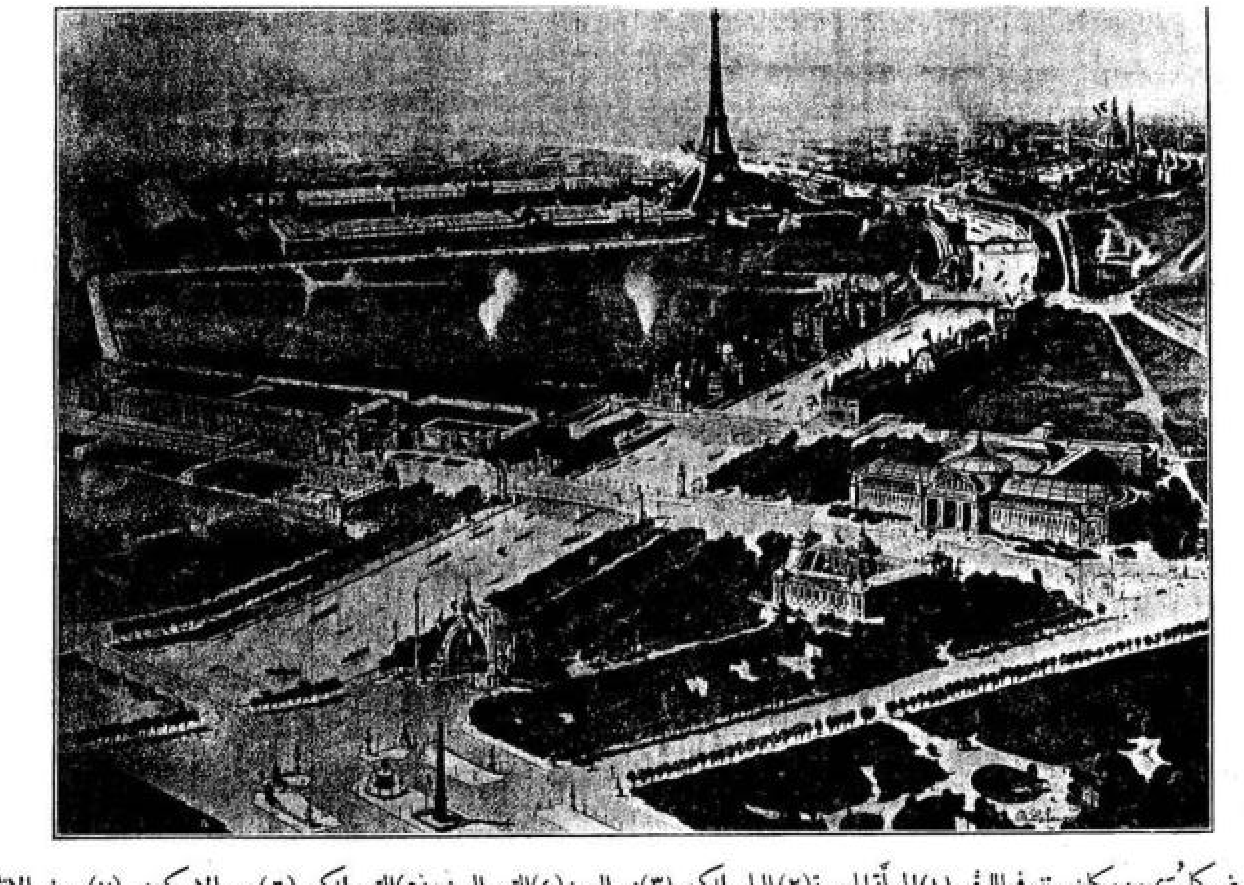
لما شرع ميلايز المصور الانكليزي في تصوير الاشخاص كان يأخذ اجرة الصورة ثلاثة جنيهات ثم اشتهر امرهُ رويدًا رويدًا فارتفع ثمن صوره حتى صار يأخذ اجرة الصورة الواحدة من صور الاشخاص ثلاثة

آلاف جنيه . وتوفي المصور لندسير الانكليزي سنة ١٨٧٣ فبلغت قيمة ما تركهُ مما اكتسبهُ بالتصوير ١٦٠ الف جنيه وبيعت الصور الباقية عندهُ من تصويره بسبعين الف جنيه . ولما اشتهر امر المصور الفرنسوي ميسونية صوَّر صورة مسز ماكي الغني الاميركي فاخذ ثمنها عشرة آلاف جنيه . ونظرت مسز ماكي الى الصورة فلم تعجبها فمزقتها فاغتاظ ميسونيه منها ومزَّق السفتجة التي اعطتهُ اياها وقيمتها عشرة آلاف جنيه . ودُفع الى المصور اميل ديران الفرنسوي اربعة آلاف جنيه ليذهب الى اميركا ويصور المستر فندربلت ودُفِعَت اليهِ ايضاً نفقات سفرهِ ذهاباً واياباً

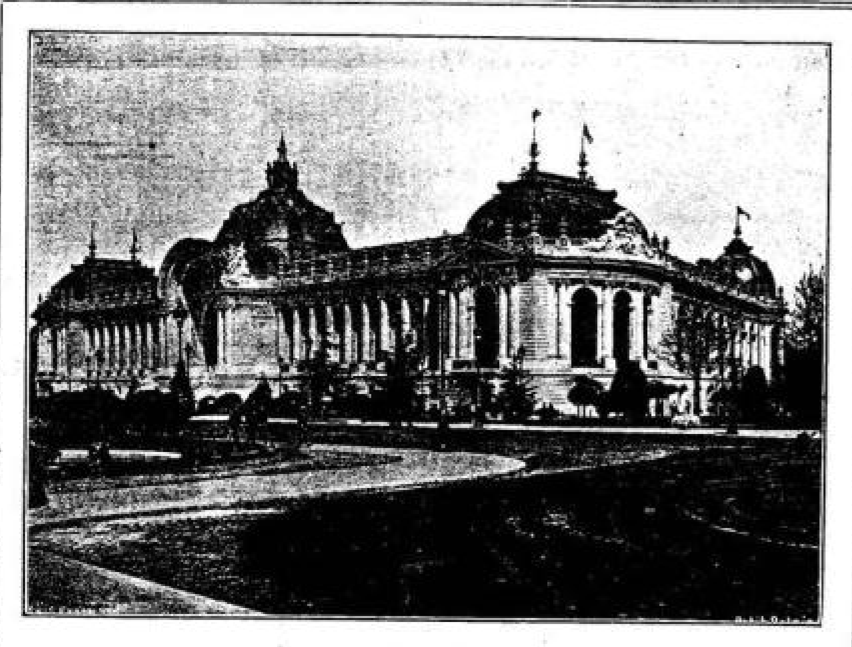
قلب كبير

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز من مرض قلبي وفتح جرَّاح رمتهُ فوجد قلبهُ كبيراً جدًّا مثل قلب الثور فان ثقل قلب الانسان عادةً احدى عشرة اوقية اي نحو رطل مصري واما قلب هذا الرجل فكان ٣٢ اوقية اي نحو اقة

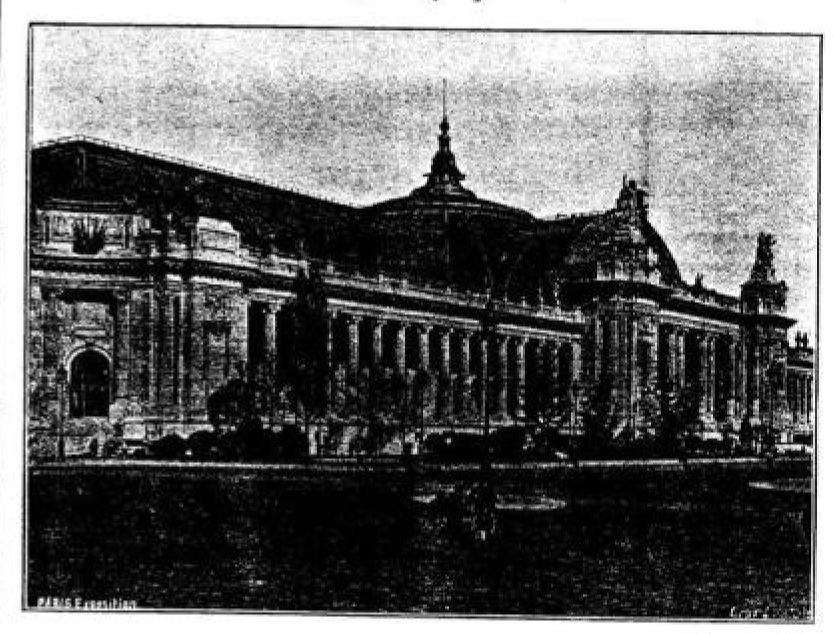
فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والعشرين



صورة مجملة للمعرض كما يُرى من مكان مرتفع في اللوفر. (١) المسلّة المصرية (٢) الباب الكبير (٣) نهر السين (٤) القصر الصغير (٥) القصر الكبير (٦) جسر الاسكندر (٧) معرض الاتقاليد (٨) قصر مدينة باريس (٩) المعرض الزراعي (١٠) نادي المؤتمرات (١١) قصور الدول (١٢) التروكاديرو (١٣) برج ايفل (١٤) معرض شان دو مارس (١٥) دار الآلات (١٦) الدولاب الكبير



قصر الفنون الصغير



قصر الفنون الكبير



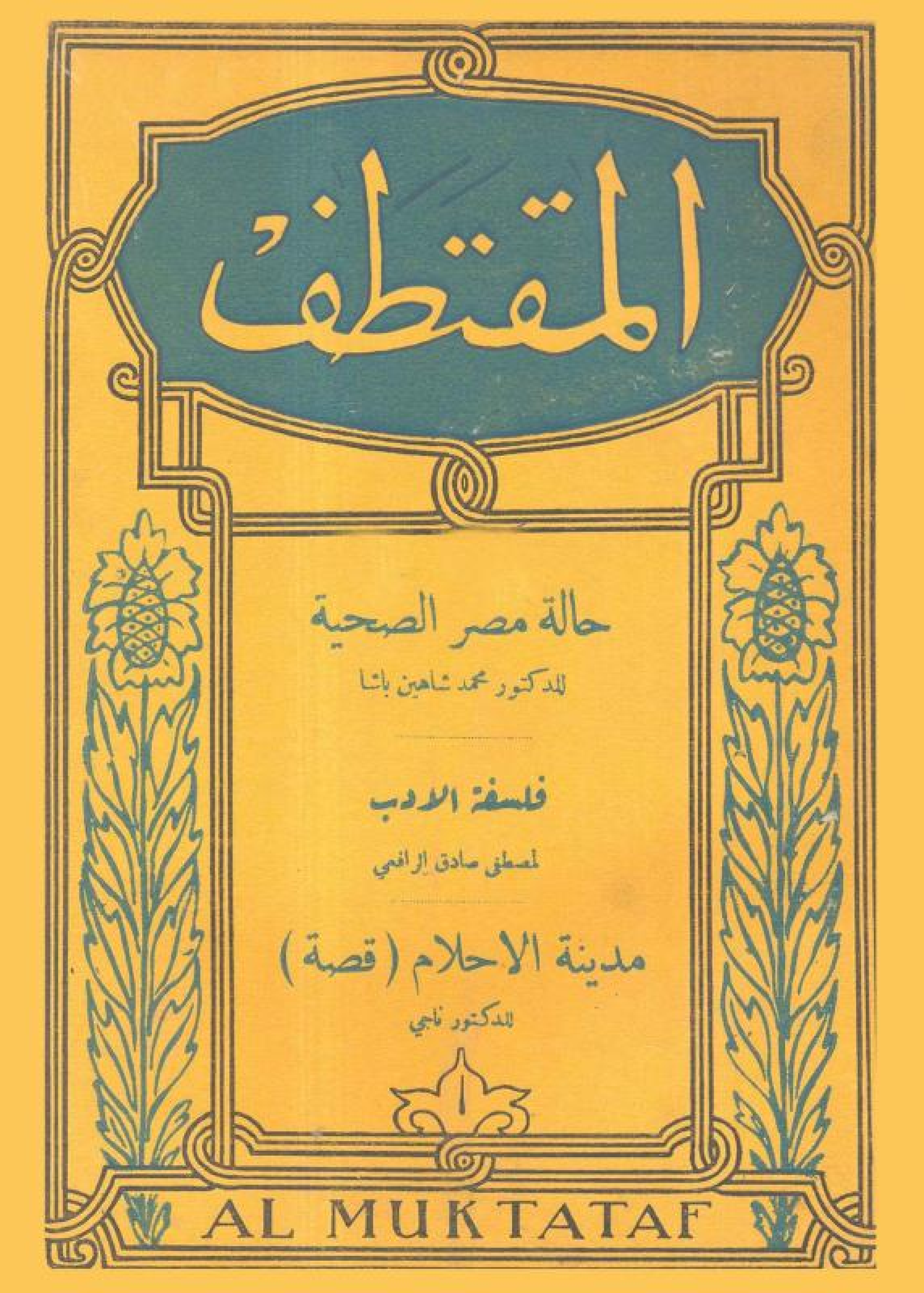
دار قصر الفنون الكبير



صورة الريشة



صورة الزهرة



المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والعشرين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٨ رجب سنة ١٣١٨

السر جون لوز
Sir JOHN LAWES.

طالما ذكرنا اسم هذا الرجل العظيم مقروناً بمباحثهِ الزراعية والنفع الكبير الذي جناهُ ارباب الزراعة من تجاربهِ الكثيرة . وقد نعاهُ البرق ونحن مسافرون في اوربا ليس لدينا شيء من الكتب والجرائد فاضطررنا ان نؤخر ترجمتهُ الى الآن

ولد سنة ١٨١٤ فعاش الجانب الاكبر من القرن التاسع عشر قرن العلوم والفنون قرن التقدُّم والارتقاء . واذا عدَّ عظماء هذا القرن الذين نفعوا نوع الانسان بعلمهم وفضلهم فصاحب الترجمة في مقدمتهم . كان وحيداً لوالديهِ وتوفي ابوهُ وعمرهُ ثماني سنوات فقامت امهُ على تربيتهِ وعلَّمتهُ في مدرسة ايتن ومدرسة اكسفرد . وخلَّف لهُ ابوهُ املاكاً واسعةً نحو خمس مئة فدان وهي ليست شيئاً يذكر في جانب ما يخلّفهُ اغنياء مصر لاولادهم ولا ريع الفدان هناك مثل ريعهِ في الديار المصرية لكن ريع هذه الارض كان كافياً لهُ ليعيش في الراحة والرفاهة . ولو جرى مجرى الكثيرين من ابناء اغنيائنا لاقتصر عليها او لاضاعها في سنوات قلائل لكنهُ لم يفعل هذا ولا ذاك بل عكف على تدبير هذه الارض وهو في العشرين من عمرهِ

وكان مغرماً بعلم الكيمياء فجعل يزرع بعض النباتات الطبية كالخشخاش والشوكران والبنج ويستخرج الاصول الفعَّالة منها وانشأ معملاً كيماويًّا لهذا الغرض . ثم جعل يمتحن فعل الاسمدة المختلفة بالمزروعات فرأى ان العظام تفيد اللفت اذا كان مزروعاً في ارض ضعيفة ولكنها لا تفيدهُ اذا كان مزروعاً في ارض قوية فعالج العظام بزيت الزاج (الحامض الكبريتيك) فزادت فائدتها للارض ثم عالج الاتربة الفصفورية بزيت الزاج فصارت سماداً كبير الفائدة . ولما ثبت

لهُ هذا الامر بالتجارب المتوالية انشأ معملاً كبيرًا لمعالجة الاتربة الفصفورية بزيت الزاج وعمل السماد الصناعي منها واخذ امتيازًا من الحكومة بذلك سنة ١٨٤٢ ونجح هذا العمل نجاحاً عظيمًا جدًا حتى بلغ ما يُصنع من السماد الآن في البلاد الانكليزية وحدها تسع مئة الف طن في السنة وفي غيرها من البلدان اضعاف اضعاف ذلك . ولا تسل عن النفع العظيم الذي جناهُ اهالي اوربا واميركا من السماد الصناعي والفضل فيهِ لصاحب الترجمة. وبقيت ادارة هذا المعمل في يدهِ الى سنة ١٨٧٢ فباعهُ حينئذٍ بثلاثمئة الف جنيه اي ان عقلهُ الراجح واجتهادهُ الكثير اكسباهُ ثلثمئة الف جنيه في ثلاثين سنة فوق نفقاتهِ

لكن عمل السماد الصناعي والمتاجرة بهِ لم يصرفاهُ عن اعمال اخرى لا يقل نفعها لنوع الانسان عن نفع السماد للمزروعات فانهُ انشأ معملاً آخر سنة ١٨٦٧ لاستخراج الحامض الطرطريك والحامض الليمونيك فصار في مقدمة صنَّاع العقاقير الطبية وبقي عمرهُ كلهُ مشتغلاً بالصناعة والتجارة ناجحاً فيهما كليهما وهذا لا يكاد يُذكر مع اسمهِ لان نفعهُ الاكبر لنوع الانسان لم يكن متعلقاً بهِ بل بامر آخر يعلمهُ كل قرَّاء المقتطف وهو تجاربهُ الزراعية التي اشتغل بها نحو ستين سنة متوالية

شابٌ ولد في نعمة وافرة فلم يبطر ولم يكسل بل اشتغل بالصناعة والتجارة وعكف عليهما كليهما فجمع ثروةً طائلة. ولم يصرفهُ اشتغالهُ بهما عن الاشتغال بغيرهما مما منهُ نفع كبير لوطنهِ وابناء نوعهِ ولا انفق ثروتهُ الطائلة في ملذاتهِ بل انفقها في ما يفيد ويخلّد الذكر فانهُ انشأ دارًا للامتحان الزراعي قبل كل دار أُنشئت لهذا الغرض في المسكونة انشأها منذ سنة ١٨٤٣ واستعان على الامتحانات الكيماوية فيها بشابٍ نابغ في علم الكيمياء اسمهُ غلبرت وبقي الى آخر سنة من عمرهِ يشتغل معهُ فيها كلما فرغ من اشغالهِ الصناعية والتجارية ثم وهب هذه الدار مئة الف جنيه لتكون نفقاتها من ريعها . وانظر كيف جازتهُ البلاد الانكليزية على هذا الكرم الحاتمي على ما هو مذكور في المجلد السابع عشر من المقتطف فقد قلنا هناك انهُ اجتمع جمهور عظيم من نخبة رجال العلم ورجال السياسة في البلاد الانكليزية في غرة مارس (سنة ١٨٩٣) برئاسة ولي العهد (برنس اوف ويلس) لكي يتذاكروا في انشاء تذكار لهذا الرجل الفاضل وللفوائد الجزيلة التي افاد بها علم الزراعة وعملها . فوقف سموّ ولي العهد وخطب فيهم قائلاً

قد اجتمعنا اليوم لكي نُعِدَّ المعدَّات اللازمة لاظهار الاكرام الواجب علينا لاعظم رجل بين ارباب الزراعة والباحثين فيها . ويعلم كل الراغبين في تقدُّم هذه الصناعة ولا سيما في تطبيق علم الكيمياء على زراعة المزروعات وتربية المواشي ماهي فائدة التجارب التي جرَّبها السر جون

لوز مدة سنين كثيرة فانهُ شرع في ذلك منذ سنة ١٨٤٣ وقد مضى عليهِ الآن خمسون سنة منذ اخذ في هذه التجارب . وكان الدكتور غلبرت مساعداً لهُ فيها كل هذه المدة ولا يخفى عليكم ان هذه التجارب مستقلة تمام الاستقلال عن كل الدوائر العلمية والسياسية ونفقاتها كلها من السرجون لوز نفسهِ وقد وقف مئة الف جنيه لينفق ريعها على هذه التجارب بعد وفاته عدا معملهُ الشهير والارض التي تجري التجارب فيها . وعيَّن اناساً من اشهر علماء العصر ليقوموا



السرجون لوز

بشروط هذا الوقف بعد وفاتهِ . فمن الواجب على البلاد الانكليزية ان تعترف علناً بالفوائد الجلّى التي استفادها علم الزراعة من هذا الرجل الفاضل ومساعدهِ الشهير الدكتور غلبرت لما لهذه الفوائد من النفع العام للبلاد كلها . ولا تدعو الاحوال الحاضرة لاقامة تذكار غالي الثمن وانما يجب على اهل العلم واهل الزراعة ان يبدوا علامةً ظاهرة تدلُّ على اعترافهم بفائدة هذه التجارب . وعندي ان ذلك يجب ان يكون على اسلوب موافق للاحوال الحاضرة ومرضٍ للسر

جون لوز نفسهِ . واني اجتزي بما تقدَّم واطلب من دوق وستمنستر ان يقدم الطلب الاول

فقام دوق وستمنستر وقال انهُ يتمنى للسرجون لوز عمرًا طويلاً لكي يواظب على هذه التجارب افادةً للزراعة ويسرُّهُ ان يعرض الطلب الآتي وهو

انهُ نظرًا الى ما للتجارب المتوالية التي قام بها السرجون لوز مدة خمسين سنة من عظيم الفائدة لدى الامة كلها رغبنا في الاعتراف بالمنافع الفائقة القيمة التي نالتها صناعة الزراعة منهُ ومن الدكتور غلبرت الذي كان مساعدًا لهُ في هذه التجارب كل هذه المدة ولذلك فكل من يهمهُ نجاح الزراعة علمًا او عملاً مدعوٌّ للاكتتاب بمبلغ لا يزيد على جنيهين لانشاء شيءٍ يقام تذكارًا لذلك

ثم قام احد العلماء (المستر دير) وصادق على هذا الطلب وقال انهُ يصادق عليهِ لا لانهُ من ارباب الزراعة بل لانهُ قد اهتمَّ كل حياتهِ بعلم النبات ومتعلقاتهِ . ثم وصف التجارب المشار اليها وعدَّد منافعها وقال انهُ لا يعرف شيئًا في تاريخ المعارف يعود بالفخر على البلاد الانكليزية اكثر من هذه التجارب التي توالت خمسين سنة بهمة لا تعرف الملل

وقام السرجون اقانس وقال ان التذكار يكون اولاً نصبًا من الحجر المحبب (الغرانيت) تكتب عليهِ كتابة مناسبة المقام وينصب في الاراضي التي جرت فيها هذه التجارب . ثانيًا خطبًا تقدَّم للسرجون لوز والدكتور غلبرت مصحوبة بشيءٍ من الآنية الفضية

وشكر دوق وستمنستر سموَّ ولي العهد لانهُ رأس هذا الاجتماع فاجابهُ وليُّ العهد انهُ قد سرَّ جدًّا برئاسة هذا الاجتماع لانهُ اتاح لهُ ان يبدي ما يكنهُ ضميرهُ من الشكر للسرجون لوز على ما افاد الزراعة بهِ . انتهى

وتم الاكتتاب واقيم النصب وصنعت الصورة واجتمع خلق كثير امام هذه الدار في التاسع والعشرين من شهر يوليو سنة ١٨٩٣ برئاسة وزير الزراعة وقدموا للسرجون لوز كتابًا من ولي العهد يقول فيهِ ما ترجمتهُ

" انني اهنئك من صميم الفؤَاد بالنيابة عن اللجنة التي قامت بهذا اليوبيل وعن الذين اكتتبوا فيهِ في اقطار المسكونة باتمامك خمسين سنة في التجارب الزراعية الفائقة النفع

وهذه التجارب لا تقتصر على زرع الحبوب وغيرها من المزروعات في احوال مختلفة جدًّا بل تتناول ايضًا فائدة العلف للمواشي وتأثيرهُ في نموها ومباحث اخرى جمة من حيث تركيب الارض الكيماوي ومقدار المطر وانشاء المصارف والمصادر التي يستمد النبات نيتروجينهُ منها

ولقد شاركك في هذه التجارب صديقك الدكتور غلبرت الذي يبقى اسمهُ مقترنًا باسمك ونودُّ ان نقدم لهُ التهانيء معك

ولم نقتصر على الانفاق على هذه التجارب مدة الخمسين سنة الماضية بل وقفت لها من كرمك مالاً كافياً للانفاق عليها حتى يستفيد خلفاؤنا منها كما استفدنا نحن واكثر وانا لنرجو ان التذكار الذي اقمناهُ الآن لك ولشريكك يخلد اسميكما مدى الادهار والصورة التي اهديناها اليك تبق لعائلتك من بعدك تذكاراً لرجل من اكرم رجال عصرنا واوسعهم علماً"

وكما اكرمتهُ الامة الانكليزية بنوع عام اكرمهُ علماؤها بنوع خاص فمنحتهُ مدارسها الجامعة رتبها العلمية واهدت اليهِ جمعياتها نياشينها وبقي الى آخر عمرهِ بشوش الوجه انيس المحضر يقابل زوارهُ بوجه طلق و يشرح لهم اعمالهُ وتجاربهُ ونتائجها بعبارة منسجمة مملحة بالنكت الادبية. وكتب مقالات شتَّى وتقارير عديدة عن تجاربهِ الزراعية لخصنا كثيراً منها في المقتطف. وقد جمع هذه المقالات والتقارير في تسعة مجلدات كبيرة واهدى نسخها الى المدارس والمكاتب في المسكونة كلها. وتوفاهُ الله في الحادي والثلاثين من اغسطس الماضي وهو في السادسة والثمانين من عمرهِ

هذا واذا اراد الباحث ان يعرف سبب تقدم الممالك الاوربية بنوع عام والمملكة الانكليزية بنوع خاص رأَى ان من الاسباب الكثيرة لذلك بل من اعظمها رفع الملوك والامراء لقدر رجال العلم والمشتغلين بنفع العباد واهتمام الامة كلها باحياء ذكر علمائها وعظمائها. فكيفما جال الانسان في مدينة لندن او غيرها من عواصم اوربا وامهات مدنها رأَى الانصاب الباذخة والتماثيل العظيمة والمدافن الفخيمة المقامة تذكاراً لرجال العلم والعرفان وقوَّاد الامة وعظمائها الذين رفعوا شأنها واعلوا كلمتها

العلاَّمة اللغوي مكس مُلر

Prof. MAX-MULLER.

لم نكد نتمُّ السطور المتقدمة عن السرجون لوز حتى نعت الينا الصحف الاوربية عالماً آخر من شيوخ العلماء واستاذاً جليل الشأن طبَّقت شهرتهُ الخافقين وكان لهُ اليد الطولى في وضع علم اللغات وتسهيل الاطلاع على عقائد الامم الشرقية. وهو الماني المولد انكليزي الموطن وُلد بدساو من دوقية انهلت سنة ١٨٢٣ وابوهُ شاعر الماني اورثهُ قريحتهُ ومخيلتهُ فامتاز من صغرهِ بالنباهة وسرعة الخاطر وقوَّة الخيال حتى يكاد نثرهُ يكون شعراً لما فيهِ من الصور الخيالية. وقد قال في هذا الصدد" اني ابن شاعر وقد بذلتُ جهدي العمر كلهُ لكي لا اكون شاعراً" لكن الطبيعة لا تغلَب ولله درُّ من قال

تكلّف شيء في طباعك ضدهُ واسرعُ مفعولٍ فعلتَ تغيُّرًا

وكيف تغلب وقد ربي على ما يتمها ويقويها فقد كان بيت ابيهِ ناديًا لرجال الادب من الشعراء والمغنين حتى انهُ علق صناعة الغناء وصار غرضهُ الاكبر ان يصير من كبار الموسيقيين وبقي على حبهِ لها العمر كلهُ

درس في ليبسك وبرلين وباريس وامتاز وهو في كلية برلين بالاجتهاد وسرعة التحصيل وذهب مذهب كنت الفيلسوف الالماني ولم يحِل عنهُ . ثم مال الى درس اللغات الشرقية فنال منها النصيب الاوفر وبرع في السنسكريتية والفارسية وترجم الهيتوباديسا (كتاب قصص الهنود) من السنسكريتية ونشرها وهو في العشرين من عمرهِ ثم انتقل الى باريس ودرس على العلاَّمة المستشرق الاستاذ اوجين برنوف ولم يكن على سعة من العيش لكن كان من حسن بختهِ ان صادقهُ البارون بنصن العالم الكبير فمدَّ اليهِ يد المساعدة وكتب عنهُ الى الارتشديكن كارل الانكليزي يقول

" لقد اوصاني بعض ذوي المقامات العليا بشاب عمرهُ اثنتان وعشرون سنة لهُ مقام كبير في عيني شلنغ (فيلسوف الماني) اشهر نفسهُ بترجمتهِ الهيتوبادسا من السنسكريت وهو واسع الاطلاع بارع في كل شيء ويود ان يقيم في انكلترا بضع سنوات .. وهو ابن الشاعر اللغوي المشهور وليم ملر والذي اعلمهُ من امرهِ انهُ رائع الآداب رزين العقل"

ويقال ان اعظم اكتشاف اكتشفهُ البارون بنصن لفائدة اللغات الشرقية هو اكتشافهُ مكس ملر . وقد ساعدهُ البارون بنصن والاستاذ ولسن على الشروع في العمل الذي بقي عاكفًا عليهِ الى ان ادركتهُ الوفاة فوكلت اليهِ شركة الهند الشرقية ترجمة الرغ فيدا كتاب ترانيم البراهمة وهو اساس الآداب السنسكريتية وقال لهُ بنصن حينئذٍ لقد وكلتَ بعمل يكفيك العمر كلهُ قطعةٍ كبيرة لا تُنحت ولا تصقل الاَّ في سنوات كثيرة لكن لا بدَّ لك من ان تعطينا تتفًا منها من وقت الى آخر" فجعلت هذه النتف تنهال من قلمهِ كالمطر . وبقي عشرين سنة في تحرير الرغ فيدا لكنهُ لم يقتصر عليهِ بل اشتغل بمواضيع كثيرة وبرع فيها كلها فدرس اللغة الانكليزية وصار من البلغاء فيها كلامًا وانشاء ولهُ الخطب الرنانة التي كان الناس يتقاطرون لاستماعها ولو كانت في اعوص المواضيع اللغوية والفلسفية لبلاغة عباراتها وسهولة مأخذها والكتب الكثيرة التي اعيد طبعها مرارًا لرغبة الناس فيها ومن هذه الكتب لغات دار الحرب (اي بلاد الهند) طبعهُ سنة ١٨٥٤ . وعقائد الامم طبعهُ سنة ١٨٥٦ وتاريخ الآداب السنسكريتية طبعهُ سنة ١٨٥٩ وخطب في علم اللغات طبعها بين سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ وخطب في علم الدين طبعها سنة ١٨٧٠ وكتاب النتف في اربعة مجلدات طبعت بين سنة ١٨٦٨ و١٨٧٥ وخطب

في اصل الدين ونحوهِ طبعت سنة ١٨٧٨ ومقالات مختارة طبعت سنة ١٨٨١ . ومقالات في ترجمات المشاهير من اصدقائهِ ومن معلمي بلاد الهند طبعت سنة ١٨٨٣ وكتاب في الدين الطبيعي طبع سنة ١٨٨٩ وحرّر الرِغ فيدا في ستة مجلدات كبيرة فيها ثمانية الاف صفحة متناً وشرحاً وقد فحصهُ سبع مئة من البراهمة فحكموا انهُ افضل نسخة واصلحوا نسخهم عليهِ. وحرر كتب المشرق الدينية وهي خمسون مجلداً . ولهُ غير ذلك من الكتب والمقالات . ومن آخر مقالاتهِ



العلامة اللغوي مكس ملر

مقالة في اديان اهالي الصين نشرت في جزء هذا الشهر (نوفمبر) من مجلة القرن التاسع عشر

وحالما ظهرت مقدرتهُ في علم اللغات اختير استاذاً فيهِ في مدرسة اكسفرد الجامعة فظلَّ فيها نحو خمسين سنة. ولبعض العلماء مثل هكسلي وتندل وفوستر مقدرة فائقة على بسط المواضيع العلمية وهم يخطبون فيها حتى ترى الناس يتقاطرون الى نوادي الخطابة عن طيب نفس ولو

كان الموضوع من المسائل الطبيعية العويصة فجرى مكس ملر مجراهم وبلغ الطبقة العليا بينهم فكان يخطب في علم اللغات وقد لا يقول شيئاً جديداً او شيئاً لم يذكره احد قبله ولكنهُ كان يفصح عنهُ على اسلوب يخلب الالباب لم يسبقهُ احد اليهِ حتى ذاع اسمهُ في البلاد الانكليزية كلها وصارت خطبهُ من المواضيع التي يتحدث الناس بها في مجتمعاتهم وولائمهم وذهب كثير من اقوالهِ امثالاً

ولم تكن آراؤهُ كلها مما يقوى على النقد والتمحيص ولا لقي الطاعة العمياء في معاصريهِ والتسليم التام لمقدماتهِ ونتائجهِ بل لقي من علماء عصرهِ كل منتقد عنيد كما ترى في ما ذكرناهُ في المجلد السادس عن رأيهِ في اصل اللغات وانتقاد الاستاذ هوتني عليهِ . وكذا مذهبهُ في اشتقاق الشعوب الاوربية من الشعوب الآرية وتولد الاوربيين والهنود من اصل واحد ومهاجرة الاوربيين الى اوربا من قلب اسيا فان كثيرين من نخبة العلماء يخالفونهُ الآن في هذا المذهب. ويقال بنوع عام انهُ كان متطرفاً في مذاهبهِ متسرعاً في احكامهِ لكن لا ينكر احد ان علم اللغات (الفيلولوجيا) الذي وضعهُ الاستاذ بوب سنة ١٨٣٥ لم يوسعهُ احد مثل تلميذهِ مكس ملر. وكتابهُ في عقائد الامم لا يخلو من آراء غير سديدة ولكنهُ هدى العلماء الى مكتشفات عديدة في هذا الموضوع واوضح كثيراً من الغوامض بذكاء عقلهِ وقوة بداهتهِ

ولا شبهة عندنا في انهُ وسَّع نطاق علم اللغات ورغَّب الناس في درسهِ وعلَّم الاوربيين والمشارقة انفسهم كثيراً مما لم يكونوا يعلمونهُ من تاريخ لغاتهم ومعتقداتهم ولكننا نرتاب كثيراً في ان ذلك افاد سكان المشرق سياسياً فقد بذل جهدهُ مدة خمسين سنة ليقنع الانكليز ان الهنود ابناء اعمامهم لكن هذا لم يغير رأي الانكليز في الهنود ولا افاد الهنود مثقال ذرَّة. ومن لا يقنعهُ قول الكتاب ان الناس كلهم من اب واحد وام واحدة لا تقنعهُ آراء العلماء واقوال الفلاسفة

وكان رضيَّ الاخلاق كثير الاصدقاء يقصدهُ الزوار من اقطار المسكونة ويكاتبهُ الناس بلغات شتَّى . اختار انكلترا وطناً لهُ لكن حب المانيا وطنهِ الاصلي لم يهجر فؤادهُ فلما نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ نشر خمس مقالات في جريدة التيمس دافع فيها عن سياسة بسمارك واقام الادلة على انهُ كان يقصد بها السلم لا الحرب وبقي العمر كلهُ عالماً المانياً بين العلماء الانكليز وقد بذل الانكليز جهدهم في اكرام مثواهُ وخلقوا لهُ منصب استاذية اللغات الاجنبية خلقةً لكي لا يحرموا فوائدهُ ولا يدعوهُ يهجر بلادهم ثم ابدلوها باستاذية علم اللغات (الفيلولوجيا) ولما كثرت اشغالهُ وودَّ ان يعفى من هذا المنصب لانهُ لم يعد قادراً

على القيام بهِ عينت المدرسة استاذاً آخر نائباً عنهُ يقوم باعبائهِ وابقت الاستاذية لهُ ولكن لما خلت كرسي استاذ السنسكريت وترشح لها هو والاستاذ الانكليزي مونير وليمس فضل المنتخبون الاستاذ مونير وليمس عليهِ لا لانهُ اكفى منهُ لهذا المنصب بل لانهُ انكليزي ومكس ملر الماني فاستاء من ذلك لكنهُ لم يحقد على الذين فضلوا غيرهُ عليهِ . وودَّ مراراً ان يترك اكسفرد واما اكسفرد فلم تتركهُ وقد اكرمتهُ كما اكرمت اشهر تلامذتها واعظم اساتذتها وكان الدلة المتينة بينها وبين علماء اوربا ولاسيما علماء المانيا حتى ان امبراطور المانيا كان يبعث اليهِ بتلغراف التهنئة كلما فازت اكسفرد في سباق او نحوهِ

توفي في الثامن والعشرين من اكتوبر في بيتهِ باكسفرد على اثر مرض عقام في كبدهِ واحتفل بدفنهِ في غرة نوفمبر وحضر الاحتفال الجنرال غودفراي كلارك من قبل جلالة الملكة والمرشلز ستينورتز من قبل جلالة امبراطور المانيا وبعث الامبراطور باكليل فاخر من الازهار البيضاء وضع على النعش وقد كتب عليهِ "لصديقي العزيز" وبعث ملك اسوج اكليلاً من الزنابق . وحضر الاحتفال ايضاً ولي عهد سيام ونواب المدارس الجامعة والجمعيات العلمية

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

وصفنا في الجزء الماضي ستة ابواب من ابواب المعروضات موجزين فيها على ما يقتضيهِ ضيق المقام اذ ليس غرضنا انشاء كتاب عن المعرض وما فيولان الفرنسويين سبقوا كل احد الى ذلك ووضعوا كتاباً كبيراً في ثلاثة مجلدات ضخمة وصفوا فيهِ كل ما في المعرض . وانما غرضنا ان نصف ما نرى في وصفهِ فائدة لابناء المشرق اما لانهُ جديد في بابهِ او لان في الكلام عنهُ حثاً لهم وتحريضاً على انضاء عزيمتهم نحو مراقي الفلاح مجاراة للامم التي لم نكن نتوقع انها تفضلنا في امرٍ من الامور . هذا هو الغرض الاول الذي نرمي اليهِ كما ظهر للقارىء الكريم مما تقدم في الجزء الماضي . والكلام على سائر ابواب المعرض لا يخرج عن مثل ذلك كما سيجيء

"الباب السابع يشمل كل ما يختص بالزراعة وفيهِ ثمانية فصول (من ٣٥ الى ٤٢) وهي فصل في الآلات الزراعية وما يتعلق بالفلح والحرث والزرع وتجفيف الاراضي ونزح الماء عنها والسماد والداب البيطري . ومن جملة معروضاتهِ اشكال كثيرة للعزب والاباعد وحظائر الغنم

والبقر وغيرها من المواشي وصيَر ومذاود لتوليد المواشي وتربية نتاجها وطرق لتسمينها. واشكال عديدة من السكك والمحاريث وآلات البذر والغرس والحصاد والدرس وغيرها من الآلات الزراعية التي تديرها المواشي والدواب او تدار بالريح او بالماء او بالبخار او بالكهربائية . ومن معروضاتهِ ايضاً اشكال كثيرة من الاصطبلات والمخازن وعدد الدواب وادوات البيطرة وغير ذلك من وسائط العناية بالدواب والمواشي ومما يستعملهُ الطبيب البيطاري في علاجها وطرق تدبير السماد وحفظهِ والسماد الصناعي وتسميد الارض بما ينزح من المراحيض والمدارف الى غير ذلك

وفصل في ما يختص بزراعة الكرم مثل نصب الدقران لتعريش الكرم عليها والمحاريث التي يحرث بها الاوربيون اراضي كرمهم والآلات التي يطعّمون بها الكرم و يقضبونهُ ويقطفونهُ وطرق عصر العنب وعمل الخمر وحفظهِ والآفات التي تصيب الكرم وطرق وقايتهِ منها. ومواد هذا الفصل معروضة مع مواد فصل الخمر من فصول الباب العاشر

وفصل يختص بالآلات والمعامل والطرق التي تصنع بها الزبدة والجبن والقشدة والنشا ونحوها والمعاصر ومعامل التقطير والاستخراج وما شاكلها فهناك يرى الانسان امثلة احدث المعامل المختصة بصنع المصنوعات من الالبان كالجبن والزبدة الخ ويرى ايضاً اقنان الدجاج واوكار الحمام ومآوي الطير والمفارخ الصناعية وطرق تسمين الفراخ وما شابه ذلك

وفصل يختص بعلم الزراعة والاحصاء الزراعي . ومعروضاتهُ خرائط واوراق يبحث فيها عن التربة والماء وتقلبات الهواء وجداول لاحصاء الاراضي الزراعية والبائرة وتعداد المواشي وتقلبات اجارة الاراضي واثمانها واجرة العمال والجمعيات الزراعية والبنوك الزراعية والمطبوعات الزراعية ومحلات التجارب الزراعية والمعامل الزراعية ونحو ذلك

وفصل يختص بما يؤكل من الحاصلات النباتية ومعروضاتهُ الحبوب والقطاني بانواعها والنباتات السكرية كقصب السكر والبنجر ونحوها والزيتون والزيوت والبن الخ. وفصل يختص بما يؤكل من الحاصلات الحيوانية مثل اللبن والزبدة والجبن والبيض والدهن الخ . وفصل يختص بما لا يؤكل من الحاصلات الزراعية كالياف النباتات التي تنسج مثل القطن والقنب والكتان ونحوها. والزيوت التي تعصر ولا تؤكل والدخان والتنباك والاصباغ ويتبع هذا الفصل الصوف بانواعهِ والشعر والهلب والوبر بانواعها والريش بانواعهِ

وفصل يختص بالحشرات النافعة وجناها والحشرات الضارة والنباتات الحلمية ويرى الانسان بين معروضاتهِ كثيرًا من النحل وخلاياهُ ودود القز ودودة القرمز والطرق المستعملة

لتربية النحل ودودة القز وكثيراً من العسل والشمع والفيالج (الشرانق) . وتفنن العارضون تفنناً عظيماً في عرض معروضاتهم هنا كما في سائر اقسام المعرض حتى ان بعض الشركات التي تربي هذه الحشرات كتب اسمها بشهد العسل وبفيالج دود الحرير وبالحشرات ايضاً "

وقد تبارت الدول الاوربية ومستعمراتها في هذا الباب وجارتهنَّ او فاقتهنَّ فيهِ الولايات المتحدة الاميركية بلاد الزراعة والصناعة وغرضها من ذلك ليس اظهار عظمتها الزراعية وعرض ما تفاخر بهِ حكومتها حكومات الارض بل ترويج آلاتها وادواتها الزراعية في اقطار المسكونة فعرضت في بناء المعرض امثلة آلات الحرث والزرع والحصد والدرس والنقل — امثلة صغيرة مختلفة الاشكال والاقدار تدور بالكهربائية امام عين الرائي فيرى كيف تدور في الحقل وتُعمل بها اعمال الزراعة المختلفة . وعرضت جانباً من هذه الآلات نفسها في ملحق بلي المعرض وجانباً آخر كبيراً في فنسان وما لم تستطع عرضهُ كبيراً وهو يدار في موضعهِ كالمحاريث الكهربائية والروافع ونحوها عرضتهُ صغيراً ومثلت لهُ الاراضي سهولها واكامها تمثيلاً فتراهُ يجري فيها من جهة الى أُخرى يعمل ما تعملهُ الآلات الكبيرة في الاراضي الزراعية

لكن ما يصلح في البلاد الاميركية لا يصلح كلهُ في بلادنا لان اجرة العامل فيها تساوي اجرة عشرة عمال عندنا فاذا استنبط الاميركيون آلة زراعية بخارية او كهربائية نفقاتها في اليوم مئة غرش وهي تغنيهم عن عشرة عمال ربحوا بها مئة غرش في اليوم اما نحو فالعشرة العمال لا تبلغ اجرتهم عندنا اكثر من عشرين او ثلاثين غرشاً فنخسر بهذه الآلة سبعين او ثمانين غرشاً في اليوم ولذلك ترى الاراضي التي لا تبعد نصف مرحلة عن المعرض تحرث حتى هذه الساعة كما تحرث الارض في القطر المصري مع اصلاح قليل في المحراث

ولو ارادت تركيا ومصر ان تباريا غيرهما في هذا الباب لفازتا بكثير من الجوائز والنياشين ولا سيما في الفصول الاربعة الاخيرة منهُ ولفاقتا مدغسكر على الاقل تلك الجزيرة النائية التي ارتفع فيها العلَم الفرنسوي منذ عهد قريب فنزلها نفر قليل من الفرنسويين واستغلوا خيراتها واستخرجوا الحرير من عناكبها . أفلم يكن في الامكان عرض التبغ والحرير والقطن والقنّب والرامي والقرمز والعفص والعسل والشمع والزيتون والزبيب والقشمش والحبوب على انواعها . لماذا تعرض اسبانيا الوفاً من قناني الزيتون المملح والمخلل واليابان ابنة امس الوفاً من قناني المربيات والاثمار المخلّلة ونحن لا نعرض شيئاً من ذلك لترويج بضائعنا في الاسواق الاوربية . لكن وا حسرتاه لقد اضعنا كل شيء حتى التجارة التي وضع اساسها اسلافها

" والباب الثامن يشمل كل ما ينشرح لهُ الصدر وتقرُّ برؤيتهِ العين في المعرض من

الاشجار والرياحين والازهار والرياض الغنّاء والحدائق الخضراء والجنات الفيحاء وفصوله ستة فحالما يدخل الانسان الى المعرض من الباب الكبير يجد عن جانبيهِ ما لا يوصف من اشكال الرياحين والانوار والاعشاب والازهار تدبج الارض بالوانها وتعطر الارجاء بشذاها . وكيف اتجه في المعرض يجد كل ارض خلت من البناء قد حوّلت الى رياض نضرة وجنات غناء منظمة ابدع تنظيم ومنسقة الطف تنسيق مساحتها تزيد على ٢٧ فدانًا وعدد اشجارها يفوق اربعة آلاف شجرة وانجمها ٢٨ الف نجم وباقي رياحينها وانبتتها ١٠٠ الف نبت حتى استغرق ما بينها من الطرق والماشي ٢٠٠٠ متر مكعب من الحصى و٧ آلاف متر مكعب من الرمل وهي لا تُروَى باقل من ٣٠٠ متر مكعب من الماء كل يوم. وكل فصل من فصول هذا الباب معرض يساوي اضعاف اضعاف معرض الازهار والمعرض الزراعي معًا من معارض مصر القاهرة ففصل الازهار والرياحين ونحوها من نبات التزيين يعم اراضي مساحتها ١٧ الف متر مربع (٤ افدنة منها ٣ آلاف متر مربع للورود وحدها على اختلاف اصنافها واشكالها. ولم ترَ عيني منظرًا الطف من منظر الرياض التي يراها الانسان من برج ايفل مبسوطة في الشان دومارس وامام قصر التروكاديرو فانها تحكي باشكالها الهندسية والوانها البهية واواسطها المخملة وحواشيها المدبجة المنسقة اجمل ما صنع الصناع من البسط والطنافس وابهج ما يباهى بهِ من الطراز والنمارق . وقد شعرت بما لا يوصف من البسط والانشراح لما سرَّحت نظري في الحدائق المجاورة لقصري الفنون الجميلة وجسر (كبري) اسكندر الثاني ورأيت ما هناك من الاشجار النادرة المثال الغريبة الاشكال بعضها يحكي الاشكال الهندسية وبعضها يحكي المظال الى غير ذلك من فنون البستانيين هذا.

ولم يقتصروا في عرض فصول هذا الباب على رياض المعرض وجنان فنسان بل انهم اقاموا لها قصرين نخيمين على الضفة الشمالية من نهر السين معقودين بالزجاج طول كلّ منهما ٨٣ مترًا وعرضهُ ٣٢ وعلوهُ ٢١ تفصل بينهما جنة بديعة مقطعة على اشكال هندسية وخصوا احدها بالمعروضات الفرنسوية والآخر بالمعروضات الاجنبية . فالداخل الى قصر فرنسا يجد فيهِ ما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط بهِ وصف من الرياحين والازهار والانجم والاشجار ذات الاوراق وذات الانوار مصفوفة ومرتبة في جوانبهِ ترتيبًا يزينهُ اجمل زينة . ويجد فيهِ ايضًا الخضر المزروعة والاثمار المجموعة على وجه يشهد لبستاني فرنسا بحسن الذوق والسبق في ميدان البستنة. والداخل الى قصر المعروضات الاجنبية يجدهُ مقسمًا اقسامًا على عدد الامم العارضة رياحينها وازهارها واثمارها فيها . واعظم ما يستوقف بصرهُ منها فواكه الولايات المتحدة الاميركية واثمارها الرطبة والمخللة وقد اطلت نظري فيها فوجدتها كثيرة المشابهة لفواكه سورية والثمار

المصرية غير انها تفوقها جودةً في تفاحها وكمثراها وبرقوقها (خوخها) وخوخها (دراقها) ولكن ثمار سورية ومصر تفوقها في البواقي كالبرتقال والليمون والنارنج بانواعها والعنب والرمان باصنافهما. ولاشك عندي انهُ لو احسن بستانيو مصر وسورية العناية باشجارهم المثمرة كالاميركيين والاوربيين لكانت اثمارهم وفواكههم تفوق اثمار سائر البلدان جودة وطعماً ولذة . ورأيي هذا مبنيٌّ على ما رأيت وعرفت بعد الاختبار والمقابلة . ويرى الانسان في هذا القصر كثيرًا من الاثمار الفاخرة والخضر النضرة عرضتها المانيا والمجر وغيرهما ولكنها امثلة صناعية لاثمار وخضر طبيعية . وهناك نباتات وازهار مكسيكية من الفصيلة المعروفة عند النباتيين بالفصيلة الصحلبية جاؤُوا بها حية من بلاد المكسيك . ورأيت كثيرًا من هذه الانبتة والازهار الصحلبية معروضاً في بيوت حارة وبيوت زجاجية متفرقة في جهات شتى من المعرض وهي تدهش الابصار بجمالها وتحير العقول باشكالها . وفي اسفل هذين القصرين شيءٌ كثيرٌ من ادوات السقي والتسخين والسلالم والمواد التي تصنع منها مساكات الماء الى غير ذلك ووراءهما بناءٌ عرضت فيهِ ادوات البستاني القاطعة والحبوب والاعشاب والحشائش مصفوفة على اشكال جميلة وصور الحبوب والازهار والخضر وغيرها مما لا يستوفي وصفهُ قلم ولا لسان . فحسبي ان اقول ان معروضات هذا الباب لاتترك حاجة في النفس الاَّ قضتها من حيث الرياحين والاشجار والازهار والاثمار "

هذا ما قالهُ الدكتور نمر في هذا الباب وغنيٌّ عن البيان ان الاثمار كانت بريَّة كلها وكان غالبها صغيرًا دميمًا ثم نقلها الانسان الى بساتينهِ واعتنى بها عاماً بعد عام وقرناً بعد آخر فكبرت اثمارها وجادت انواعها وتنوَّعت اصنافها حتى لقد اخبرنا بستاني في سويسرا ان عندهُ اكثر من مئة صنف منها وارانا بعض هذه الاصناف فاذا هي تختلف حجماً من الجوزة الى ما يبلغ وزنهُ رطلاً مصرياً ولوناً من الابيض اليقق الى الاحمر القانيء . ويقول الثقات ان في البلاد الانكليزية وحدها اكثر من الفي صنف من التفاح

ولقد اعتنى اهالي الشام والعراق من قديم الزمان بنقل الفاكهة من الحالة البرية الى الحالة البستانية واستمرُّوا على ذلك اعقاباً كثيرة فجاد عندهم العنب والتين والرمان والكمثرى (الاجاص) والخوخ (الدراقن) والمشمش وتنوَّعت اصنافها كثيرًا حتى انهُ ينبت منها الآن في بساتين دمشق ما لا مثيل لهُ الاَّ في ما بقي من البساتين في العراق . واخبرنا شاهد عدل انهُ رأى هناك عنقود العنب يحمل بالعتل كما حملهُ الجواسيس في ايام موسى

فانواع الفاكهة التي تزرع الآن في الشام من اجود ما في المسكونة كلها دلالة على ان تربتهُ واقليمهُ صالحان لذلك وهو على مقربة من اوربا ومصر ومع ذلك لا ترى لاهلهِ همة في

مناظرة غيرهم حتى ان اهالي كاليفورنيا في الطرف الاقصى من اميركا الشمالية سبقونا الى الاسواق الاوربية ولا يبعد ان نصير نبتاع منهم التين والزبيب وسائر الفواكه المقدَّدة لانهم اهل سعي وإقدام ونحن اهل كسل واحجام . ولقد خرجنا من هذا المعرض مقتنعين ان بلادنا من اطيب البلدان تربةً واحسنها اقليماً كما يظهر من مقابلة الاثمار المعروضة فيهِ باثمار بلادنا وان اسلافنا الذين ربّوا الاثمار ونقلوها من الحالة البرية الى الحالة البستانية كانوا من اكبر الناس همةً واشدهم اعتناء فلا لوم عليها ولا عليهم وانما اللوم علينا لاننا لم نقم بما ورثناهُ حق القيام

" الباب التاسع يشمل المعروضات المتعلقة بالحراج والآجام والصيد والقنص والحاصلات البرية وفصولهُ ستة معروضة كلها في قصر عظيم على ضفة نهر السين الجنوبية طولهُ مما يلي السين ١٨٥ متراً وامامهُ ووراءهُ قطع كثيرة من الاشجار الكبيرة بعضها يكاد قطرهُ يبلغ مترين وطولهُ بضعة امتار وهو رزين لا شق فيهِ ولا نخر

وفصل من معروضات هذا الباب خاص بانشاء الحراج والغياض وبحفظها بعد انشائها مثل بزور الاشجار التي تنمو في حراج كل قطر من الاقطار . والآلات والادوات والامتعة والآنية التي تجمع بها تلك البزور وتجفف وتحفظ من التلف والبيوت التي تجفف فيها . والمغارس التي تبذر فيها البزور وتغرس فيها الفسائل ثم تنقل منها وتغرس في الحراج والغياض بدلاً من الاشجار التي تقطع منها . وامثلة كثبان الرمال التي تغرس فيها الاشجار لتمسك رمالها فلا تسفيها الرياح على ما يليها من الاراضي الزراعية . وامثلة سدود وجسور لمنع مياه البحر وامواجهِ عن الطغيان على الارض التي بجانبها . وامثلة المناشير المختلفة التي ينشر بها الخشب والمناظر التي يسكن نواطير الحراج فيها . وبين معروضات هذا الفصل صورة بديعة كبيرة للاعمال المتعلقة بغرس الحراج على بعض مسايل الماء في سافوى ببلاد فرنسا

وفصل يشمل حاصلات اشجار الحراج مثل الخشب على اختلاف انواعهِ من خشب النجارة وخشب الخراطة وخشب البراميل وخشب الصباغة واللحاء والقشور المستعملة في الدباغة والالياف التي تستخرج منها والفلين والصموغ والعطور . وكذلك ما يصنع من خشب الشجر وقضبانهِ كالاشياء المخروطة على اختلاف اشكالها واحذية الخشب والسلال والفحم الى غير ذلك

وفصل يشمل جميع العدد والآلات والاجهزة المستعملة في صيد الوحش والطير والآلات والادوات التي تصنع تلك العدد بها . اما عدد الصيد فكالاسلحة على اختلاف انواعها واشكالها من قديمة وحديثة وهي معروضة على وجهٍ يعلم منهُ الناظر كيف ارتقى السلاح وتفنن الانسان في صنعهِ من المقلاع والقوس والنبل والمجانيق والبندق الذي يرمى بهِ الى عهد البنادق والبارود

حتى يصل الى البندقية الكثيرة الطلقات . وكذلك انواع السلاح الابيض وانواع رصاص البنادق من مصمت يبقى على شكلهِ او يتسع وينبسط بعد اطلاقهِ ومجوف يفرقع وينتشر بعد اطلاقهِ وكبسول وذخيرة وخرطوش الى غير ذلك

واما الآلات والادوات التي تصنع بها عدد الصيد فكالمخارط التي تخرط خشب البنادق بسرعة عظيمة والآلات التي تسوي حدائد البنادق من داخلها وتحكم صنعها وآلات ثقب الاسلحة وآلات نشر ما ينشر منها وآلات صقلها وتقويمها وآلات صنع الكبسول والذخيرة وهلم جرًّا ويتلو ذلك الالعاب النارية على اختلاف الوانها واشكالها واسلحة المتبارزين بانواعها

وفصل يشمل حاصلات الصيد والقنص واعني بذلك ما يصاد من الوحش والطير وما ينتفع بهِ من صيدها . وهذا معرض يبهج المولعين بالصيد وبعلم الحيوان ايضاً لما حوى من الوحوش والطيور المصبرة وابدانها اي جلودها المحشوة بحيث يشبه منظرها منظر تلك الحيوانات وهي حية في البرية . وقد تفننوا في حشوها وعرضها حتى يتوهم الناظر اليها انهُ يرى ضواريها وكواسرها تطارد فرائسها او تتنازع وتتصارع وسط الاجام وعلى قنن المعاقل الى غير ذلك من المناظر التي يصفها الصيادون او تركبها مخيلات المصورين . وهناك كثير من جلود هذه الحيوانات بين اديم ودبيغ ومن شعرها وهلبها ووبرها وريشها وعظامها وقرونها الكبيرة والصغيرة ومن الفيل وبيض الطيور والزباد والمسك . وقد ابدعوا في عرض المسك فعرضوا بجانب نوافجهِ بوَّ ظبيٍ من ظباء المسك الصيني ومثال رجل من الشمع يستخرج نافجة المسك من بطن ذلك الظبي بحيث يعلم الناظر كيف يستخرج المسك على اسهل سبيل

ولعل اثمن ما بين هذه المعروضات ان لم يكن اجملها ايضاً معرض الفراء ولا سيما الفراء التي يصنعها الفرَّاؤون الفرنسويون من جلود الحيوانات التي تقطن الاصقاع الشمالية كروسيا وكندا وغيرها . وقد ابدعوا في عرضها فصنعوا لها اشخاص الناس من رجال ونساء والبسوها الفراء مفصلة على اختلاف الازياء . فترى بينها اشخاص الرجال والنساء لابسة ملابس الركوب والخروج للنزهة في الفضاء وكلها من الفراء وكذلك ملابس الجلوس في البيوت للاستقبال من الفراء ورأيت شخص امرأة لابسة الرداء الذي يلبس حين الخروج من حفلات الرقص وهو رداء ضافي الاذيال يمتد وراء لابستهِ ذراعاً ويثمن باضعاف وزنهِ من الذهب

وكنت قد قرأت قبل ذهابي الى المعرض ان فيهِ جلد ثعلب اسود يثمن بالف جنيه فاستعظمت قيمتهُ وبينما انا أبحث عنهُ في خزائن الفراء الروسية حيث عرضوا اندر الجلود واثمنها مثل جلود الثعالب وكلاب الماء التي تعيش في شمال سيبيريا ويصنع الافرنج منها البرانيط التي

يتنافسون في لبسها وقعت عيني على فروة سمور سوداء لم ارَ احلك من سوادها او انعم من وبرها او اجمل من لمعانها وبينما انا اقلب ظرفي فيها وجدت عارضها قد كتب عليها " ٧٥٠٠٠ فرنك " يعني انهُ يبيعها بثلاثة آلاف جنيه . ولم أبعد الاَّ قليلاً حتى استوقفت صورةٌ بصري وهي معلقة فوق خزانة من خزانات الفراء التي عرضها محل باريزي يسمى جنجناس فتوسمتها فاذا هي صورة المسيو لوبه رئيس الجمهورية الفرنسوية من رأسهِ الى وسطهِ . سترتهُ سوداء وقيصهُ ابيض وحول طوقهِ ربطة بيضاء وشعر رأسهِ اشمط وكذلك لحيتهُ شمطاء وعيناهُ وحاجباهُ ولون وجههِ كلها طبيعية وحولهُ شبه اكليل مضفور من الاوراق والرياحين وفوق رأسهِ شعارهُ وتحتهُ في اسفل الصورة " ١٩٠٠ " وعن جانبيهِ الحرفان R.F وهما الحرفان الاولان في كلمتي الجمهورية الفرنسوية ثم انعمت نظري في هذه الصورة فوجدتها مصنوعة كلها من الفراء صنعاً يزري بالصور الزيتية . ويطول بي المقام لو شئت استيفاء الكلام على ما في هذا الفصل من جلود الادباب البيضاء القطبية وغيرها مما لا يستوفي وصفهُ الاَّ في مجلد كبير

وفصل الآلات والادوات المستعملة في صيد السمك وتربيتهِ وتربية الصدف والتراق في الماء فتجد بينها جميع اشكال قصب الصيد من القصبة التي تباع بغرش الى القصبة التي لاتباع بالف ومئتي غرش لدقة صنعتها وحسن زخرفتها . وهناك ما لا يحصى من الصنانير والشباك والشراك والادوات التي يصاد بها السمك من البحر او من الماء العذب . وامثلة الاماكن التي يبنونها لبيض السمك فيها والوسائط التي يستعملونها لتقف بيضهِ ولتربية صغارهِ حتى تكبر . ومن اغرب ما هو معروض بينها امثلة السلالم التي ينصبونها في الماء فيصعد السمك عليها ويجتاز الشلالات وينتقل من المياه الواطئة الى المياه العالية واشكال عديدة من الحياض داخلها سمك حيٌّ من الانواع النادرة او المجلوبة من الاقطار البعيدة . ومكان واسع يربُّون فيهِ التراق (البطلينس) ومكان اخر يربون فيهِ العلق (الدود) . وما لا يوصف من انواع السمك المصبر او من امثلة السمك الصناعيَّة وامثلة طعومهِ ايضاً ومن انواع الصدف وعرق اللؤلوء واللؤلوء وهناك اصداف كثيرة لا تزال اللآلئ داخلها في درجات مختلفة من درجات تكوُّنها وبين اللآلئ المعروضة فرائد كثيرة بيضاء وسوداء لم ارَ اعظم منها الاَّ بين الفرائد المعروضة مع الحلى والجواهر وسيأتي الكلام عليها في محلها . واشكال كثيرة من المرجان والاسفنج والذبل (جلد السلحفاة) والمادة القرنية التي تستخرج من فم الحوت وتصنع منها الامشاط ونحوها والكهرباء وزيت السمك ودهنهِ " . وسيأتي الكلام على تتمة هذا الباب في الجزء التالي

مستقبل الصين

لجناب الامير شكيب ارسلان

الحكومة في الصين

الصينيون يسمون بلادهم "المملكة الوسطى" لانهم يعتقدون انها وسط الارض ويقولون لها ايضاً "المملكة الزاهرة" وقول الاوربيين "المملكة السماوية" وهو ما يكررونهُ ابداً غلط مشهور مشوا عليهِ ولم يتأملوا في اصلهِ والحال ان قول شعراء الصين عن البلاد "تيان هيا" اي ما تحت السماء يشمل عندهم الصين وغير الصين

والسلطة كلها في يد الامبراطور او السلطان ولهُ عندهم اسماء والقاب متعددة فيقال لهُ احياناً هوانغ تي (Houang-ti) واحياناً (Houang-tchang) هوانغ تشانغ او تشانغ فقط وقولهم (تيان تسيو) اي ابن السماء لقب تعظيم ولهُ لقب يتخذهُ عند ولايتهِ وهو نيان هاو (Nien-Hau) وللامبراطورة القاب ايضاً فمنها هوانغ هيو (Houang-Héou) و كوو مو (Koo-mou) ومعناهُ ام المملكة. والعامة تقول لها تشونغ كونغ (Tchong-Kong)

وذات السلطان عندهم مقدسة وغير مسئولة حتى لو كان سلطانهم غشوماً او فاجراً لوجبت عليهم طاعتهُ وتعظيمهُ. قال كنفوشيوس: مهما تكن القلنسوة بالية فمكانها الراس ومهما تكن الاحذية نظيفة فمكانها الارجل

والسلطان هو ابو الامة بل هو ابوها وامها والامة كلها عيالهُ وهو سلطان الابحر الاربعة وسلطان العشرة آلاف امة ولهُ وحدهُ حق القربان لعاليي السماء والارض معبودي الصينيين وللارواح. وتعظيم هؤلاء الاقوام لهُ نوع من العبادة فانهم يسجدون لهُ ويسجدون لكرسيهِ ولو كان غائباً عنهُ ويجثون لقصرهِ ولو لم يكن فيهِ واذا ولوا وجوههم شطر باكين ركعوا اجلالاً وتكرمةً واذا ورد امرهُ على احد الوزراء او الولاة احرق لهُ البخور. والاحرف التي يتركب منها اسمهُ لا يجوز ان يركب منها اسم آخر. وتفرق عن غيرها بحركات فاسمهُ ايضاً حرَم على الالفاظ وطاعتهُ من طاعة الالهة والامة جميعها عبيدهُ واحترام الابناء لآبائهم انما هو لنيابتهم عنهُ في ابوّة العيال الجزئية التي تتألف منها العائلة الكبرى الصينية فطاعة الرعية للسلطان تسمى بالطاعة البنوية. واكثر الكتابات المحفورة على ابواب المدن والابنية العمومية والكلم الجوامع التي تتداولها الالسن تشير الى هذا المعنى وناهيك ان في الصين اشتراكيين وان الاشتراكيين انفسهم لم يجسروا ان يخلّوا بمبدإ ابوّة الامبراطور وبنوّة الرعية لهُ

واذا ماتَ الامبراطور عمَّ الحداد جميع المملكة ومدة الحداد الرسمي سنة واحدة وتبطل حينئذٍ الاعراس والافراح والولائم والمواسم وتبطل حرفة المزينين لاعفاء الناس جميعاً شعورهم مدة الحداد فتلتزم الدولة ان تقوم بمعاشهم. وام الامبراطور محترمة كالامبراطور لأن مبدأ الحرمة كما قلنا هو الاب والام ولا بد من ان يزورها الامبراطور كل خمسة ايام مرة ويجثو امامها. وكما كان الامبراطور صاحب هذه الحقوق العظيمة كلها على رعيتهِ كانت عليهِ واجبات نظيرها لهم وهو مسؤُول عن رضاهم وسعادة احوالهم. قال كنفوشيوس : اكسب قلوب الامة تنل السلطنة . اخسر محاب الامة تخسر السلطنة . ولكنفوشيوس وصايا تسع على السلطان اتباعها وهي : احترام الحكماء ورعاية ذوي الارحام واكرام العمال وتوقير القضاة وحب الرعية محبة الاب وتعاهد العلماء والبحث عن الصناع وايناس الغرباء ومكارمة الحلفاء

وهذه القواعد لا بد للسلطان من اناس يذكرونهُ بها ويتلونها عليهِ واحدة بعد اخرى ويتلون عليهِ اصولاً اخرى وآداباً وحكماً ربما استغرقت المجلدات ويقيدون لهُ جميع حركاتهِ وسكناتهِ لتكون محفوظة على الاحقاب و يطلع عليها الاعقاب واعقاب الاعقاب. ومن هذه الجهة تراهُ شخصاً غير مستقل بل هو آلة في يد الامة وانهُ لكونهِ يمثل الامة يُسأَل عندهم عن سعادتها وشقائها وسرورها وغمها ورخائها وشدتها ولو لم يكن هو سبباً في شيءٍ من ذلك. قال الامبراطور ياو ان اصاب الشعب برد فانا السبب فيهِ وان مسَّهُ جوع فانا المخطئ ومهما يمسهُ من ضرر فعليَّ التبعة وحدي . وكان الامبراطور تشينغ تانغ يقول عند حصول بعض الشدائد : المجرم الوحيد انا لا يستحق الموت سواي . وكان منغتز يقول : لا فرق بين قتل بالسيف وقتلٍ بادارة ظالمة . ولهم كلمات في معنى الابوة والحنان على الرعية من اعلى ما روي عن الملوك . وجدير بملوك قرنوا هذه الاقوال بالافعال ان تتعلق بهم قلوب رعيتهم

والسلطان مطلق السلطة ولكنهُ يعتضد في حكومتهِ بجملة دواوين اهمها المجلس الاعظم (Kioum-Kitchou) وعدد اعضائهِ غير معين وكان تأْسيسهُ سنة ١٧٣٠ والتئامهُ يقع كل يوم وفيهِ ستون كاتباً للضبط. ثم قلم كتابة السرّ السلطاني (Nei-kou) وكان لهُ شأن خطير في السابق قد زال الآن. وللسلطان اربعة كتبة اسرار اثنان من الصينيين واثنان من المندشوريين وتكون رتبة كاتب السلطان على احد الوزراء او الولاة تشريفاً لهُ باللقب ولو لم يستعمل في هذه الخدمة مثال ذلك لي هنغ تشنغ بسمارك الصين الذي اشتهر ذكرهُ هذه المدة خصوصاً فانهُ وهو والي ايالة " تشيلي " صاحب رتبة باشكاتب السلطنة . وفي المملكة ست نظارات وهي الداخلية وفيها اربعة اقلام واليها مرجع امور الولاة والعمال والمأْمورين. والمالية

وهي مرجع الضرائب والجبايات والمكوس. ونظارة الطرق والاحتفالات الدينية وتنطوي تحتها الموسيقى السلطانية. ونظارة الحرب وهي تشمل البرية والبحرية. ونظارة العدلية او العقوبات ونظارة الاشغال العمومية . وسنة ١٨٦١ انشأت دولة الصين نظارة الخارجية المسماة تسونغ لي يامن (Tsong-li-Yamen) وذلك لمعاطاة اشغال الاجانب حينما كثرت علائقهم بها و يضاف الى الخارجية نظارة اخرى هي من نوع الخارجية لكنها مستقلة عنها وهي ادارة مغوليا واليها رجوع المخاطبات مع الروسية واسم النظارة عندهم پو (pou) ولكل منها ناظران احدهما صيني والآخر منشوري واربعة معاونين هم من الفريقين كذلك . وهناك قلم مراقبة لاعمال جميع العمال وقد تُرقَّى خدمتهُ حتى تتناول اشغال الامبراطور نفسهِ في الجملة. وللعمال سلطة عظيمة في تلك البلاد فالعامل هو المدير وهو القائد وهو القاضي وهو مأمور السياسة مع الاجانب وهم معتبرون بحسب نيابتهم عن السلطان آباء وامهات للرعية ابوتهم وامومتهم مستمدتان من ابوة السلطان وامومتهِ وقد يسمونهم "الغمام" لانهم بمثابة الغمام الذي يمطر الارض رحمة. وكما كانت لهم هذه الحقوق الكبيرة والالقاب الطنّانة فعليهم ايضاً مسؤولية ثقيلة عامة في جميع ما يقع في عملهم. وقد خفَّ نفوذ العمال اليوم بسبب رفض الاجانب المفاوضة في الامور الا مع مركز السلطنة. والاوربيون يسمون العامل "مندارين" (Mandarin) من كلمة (Mandar) بالبرتغالي وحقيقة اسمهِ "كوانغ"

والعمال تسع طبقات لا فارق بينها بغير الزر الموضوع على القبعة وحلية القصب على الصدر وعروة النطاق. وهم الى حد رتبة (tao-tai) "تاوتاي" يخاطبون بلقب السعادة (ta-jen) ومن جملة القابهم "تشيغو" و "تشيهيان" و "تالاويي" ومن علاماتهم الرسمية ريشة الطاووس يجعلونها في اعلى قبعاتهم بعين واحدة او عينين او ثلاث اعين والجناح الازرق من الغراب هذا في الملكية واما العسكرية فعلاماتهم ذيول الثعالب وهي اشبه بذيول البراذين المستعملة في بلادنا قبلاً فكان هذا الباشا ذا طوخ وهذا ذا طوخين وهذا ذا ثلاثة اطواخ. وعندهم تسعة القاب تشريفية هي بمقام الدوق والكونت والمركيس والبارون الخ وهي "كونغ" و"هيو" و"يي" و"تسو" و"نان" وجميع الأسر الشريفة ذات الامارة الموروثة عندهم ثمان وبقية من بقي فشرفهم بالعلم ليس الا. وما عدا اسرة السلطان فاشرف الشرف عندهم سلالة حكيمهم الاكبر كنفوشيوس ولكن لا ذرية السلاطين ولا سلالة كنفوشيوس ينالون شيئاً من الحكم الا بعد التعلم والامتحان. وجميع امتيازات ابناء السلاطين عبارة عن رواتب تؤدى لهم من الدولة ونطق حمراء وصفراء يشدون بها اوساطهم وزينة قلانسهم بريشة الطاووس المار ذكرها

واذا خرجوا خرجوا في محفة تحملها ثمانية اشخاص ومع هذه المحفة وسائر الاعتبار الذي يحفهم فللعمال اذا اذنبوا ان يعزروهم ويجازوهم بل يضربوهم بالمقرعة كسائر الناس

وقد يتقادم الشرف العلي في بيت فيخرج منهُ رجال قلّ على عدة اجيال فيعد البيت شريفاً جدًّا ويبلغ من حرمة اهل الصين لهُ انهم يقدسونهُ وان المذنب من ابنائهِ لا يؤدبهُ الأَّ حاكم من انفسهم واحياناً يحضر ذلك الشريف المذنب من تلقاء نفسهِ لدى الحاكم ويطلب منهُ قصاص نفسهِ وقد تجد امامهُ منتظرًا امرهُ فيقول لهُ الحاكم: اصنع ما يوافق. فيقتل الرجل نفسهُ ويمضي قصاص ذاتهِ بيدهِ

وقد يتناول الشرف عندهم ما خلفهُ بمعنى ان حائز الشرف الجديد تُشرَّف بهِ اجدادهُ خلافاً للمعهود من ان الذي يحصل على لقب شرف او رتبة سنية يترك من ذلك لذريتهِ. وممن حصل على هذا النوع من التشريف الى الوراء السير روبرت هارت الانكليزي مدير الجمارك الصينية

اما الاحكام في الصين فمناطها العلم وحدهُ ولا ينال احد عملاً في الحكومة من كلي وجزئي الاَّ بالامتحان واخذ الشهادة. ومكتوب على باب مدرسة "دار العلوم" الكبرى في باكين "هنا علم حكومة البلاد" وكل ارتقاء في المناصب لا بدَّ لهُ من امتحان جديد فكلما ازداد العامل علماً أُوتي حكماً. وفي جميع المدن الكبرى تجد بناء كبيرًا هي دار الامتحان مركبة من غرف صغار متحاذية يدخل اليها طلاب الامتحان ليس معهم غير الدواة والقرطاس والقلم ويمنع الخفراء بينهم كل اتصال فيبقون هناك اياماً في كتابة الاجوبة على ما يلقى اليهم من الاسئلة حتى ربما مات الواحد منهم وهو على هذه الحالة حبيس يودي بهِ التعب وحبس النفس فيخرقون لهُ حائط الغرفة ويخرجون منها جثتهُ كيلا يشعر رفاقهُ بموتهِ فينذعروا. والامتحان شاق معضل يكاد يكون محنة بالفعل ولذلك فالفائزون بالشهادة غالباً اقل من العشر ممن يتقدم للامتحان واسم الشهادة "سيوتساي" ومعناهُ "البراعة المزينة" ومن هؤلاء من يتقدم كل ثلاث سنوات لامتحان اصعب واوسع فيحبس ثانية ويبقى اياماً عديدة في كتابة القضايا الفلسفية والتاريخية والادبية الخ فاذا نفذ من امتحانهِ كان لذلك طنطنة ورنَّة وتقدمت لهُ التهاني وقيل لهُ "كيوجن" اي الرجل المترقي وليس من طبقة كيوجن هذه في جميع الصين الا الف وثلاثمائة شخص وبعد ثلاث سنوات من نيل هذه الرتبة يحضر الى امتحان اعلى يجرى في قصر السلطان نفسهِ وهو آخر الامتحانات فاذا نفذ فيهِ حصل على لقب "العلاَّمة الواصل" وهذا الاصطلاح في نيل الدنيا بالعلم والامتحان على العلوم اولاً وثانياً وثالثاً على هذا النمط

معروف في الصين منذ اكثر من الف سنة حال كونهِ في اوربا حديث العهد

فقد تقرر ان العلم هو سلم الترقي ومفتاح الحكومة وعليهِ فقد يوجد العامل العالم ولا رأي لهُ ولا حزم عندهُ ويفضل على العامل غير العالم ولو ملك الصواب باجمعهِ والسداد بحذافيرهِ بصفاء طبعهِ وقوة عقلهِ وذلك لأن هذا غير حاصل على الشهادة وذاك حاصل عليها . والملكية اصحاب القلم مكانهم على اليمين حال كون العسكرية او رجال السيف مقعدهم على الشمال واكثر العسكريين من امة المندشو وهؤلاء ولو كانوا هم الغالبين على الصين والسلطان منهم فانهم يعظّمون الصينيين اكثر من انفسهم ويقولون ان آلات السلم مقدَّمة على آلات الحرب وكلام الصينيين على السلم كثير مستفيض وحيث تطلعت وجدت مكتوبًا على الابواب عبارات تشير الى هذا المعنى مثل قولهم : للمملكة التي تحت السماء سلام . وما اشبه ذلك

الاَّ ان العقوبات في الصين صارمة والتدقيق والدرء بالشبهات منقودان فيها وقد تقبل الشهادة جزافًا ولا يقام وكلاء عن المتهم وقد يوكل القاضي في الحكم ويُعذَّب الشهود والمتهمون بقلع الاظفار والجلد والضرب وانواع اخرى من التعذيب مثل كشط الجلد وسلخهِ وهم يتفنَّنون في هذه الفظائع تفنُّنًا ولكن يظهر ان الجهاز العصبي عند الصينيين اقل احساسًا مما هو عندنا بكثير والاطباء الاوربيون في مستشفيات شنغاي وهونكونغ يذكرون مع التعجب البليغ عدم تأثر الصينيين تحت آلات الجراحة

اما القتل فيقع بالخنق وضربًا بالسيف بعد التعذيب الذي ذكرناهُ وانما الغت المحاكم المختلطة في شنغاي تعذيب المجرمين وخف استعمال هذه الامور في جميع الجهات شيئًا فشيئًا واما الضرب فكان جزاء اصغر الجرائم ومثلهُ الحبس والسجون هناك ظلمات بعضها فوق بعض

وقانون الجزاء عند الصينيين العين بالعين والاذن بالاذن ولكن يُقبل التوكيل في تلقي القصاص فالغنيّ يستأجر من يحتمل عنهُ العذاب بمالهِ والفقراء يتراكضون عند وقوع الفُرَص لاجل ان يتوكلوا عن المحكوم عليهم فهم يؤجرون اجسادهم وجلودهم بدنانير معدودات حتى قال لويس لكونت في كلامهِ على الصين الحاضرة ان كثيرًا من اهل الصين عائشون من ضرب العصي . والمرأة لا تُجزى وانما يجزى ولدها او زوجها عنها ولذلك فالاصل الشريف الذي تمتاز بهِ الشريعة المحمدية وهو "ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرى" غير مجزوم بهِ في الصين . وقد ترى اثر ذلك في جميع سياستهم فهم يقتلون الوالي اذا حدثت في ايالتهِ فتنة ولو كان طاهر اليد منها وهم يجزون رئيس العائلة عن وزر اقترفهُ احد ابنائها ولو بدون علمهِ وهم يهلكون قائد جيش انهزم ولو لم تكن عليهِ تبعة تلك الهزيمة وهلم جرًّا . واذا اختصم اثنان وقتل احدهما نفسهُ انقضت

صواعق الغضب كلها على قمة رأس خصمهِ مسبب هذا اليأس ولو صادف ان قاتل نفسهِ هو المخطىء . ولا يزال الناس بالخصم الباقي حياً حتى يهلكوهُ . ومن عادتهم انهم يضعون في يد قاتل نفسهِ بسبب الخصومة مكنسةً ويحركونها يمنةً ويسرةً كأنها تومىء الى كنس سعادة خصمهِ كنساً ولهم في هذا الباب غرائب

على ان اجراء القصاص (القتل) كما في سائر البلدان لا بد لهُ من امر السلطان وانما يمتاز سلطان الصين عن غيرهِ بانهُ يوقع انفاذ اكثر هذه الاوامر في فصل الخريف فهو عندهُ موسم حصد الرقاب

وقد ساءت احوال العمال والقضاة في بلاد الصين فلا تنظرن الى تدقيقهم فيما قدمنا من بعض الاصول الكافلة للعدل فمن يسمع يخلْ وانما احوالهم احوال اكثر البلاد الشرقية والظلم فاشٍ عندهم والرشوة افشى ومجالس الحكام مآسد يخاف انتيابها الناس ولا تطمئن اليها القلوب وانما أوَّلَ هذه الحال الامبراطور " كانغي " سلطان الصين تأويلاً لا بأس بهِ على علاتهِ فقال : لا يضر خوف العامة من القضاة واود لو ان جميع المتقاضين يعاملون بالقسوة كي يخاف الكل غشيان مجالس الحكم و يضطر ابناء الوطن الى انصاف بعضهم بعضاً وتحكيم شيوخهم فاما المتعنتون اللداد والمشغوفون بالخصومات فليستبد بهم القضاة ما شاءوا . كأنهُ يقول انهُ يلزم تأديب الظلم بالظلم وفيهِ شيءٌ مما كان يقولهُ السيد علي بن ميمون المغربي الولي من ان العامة فيران والحكام سنانير ولا بد لهذا من هذا

الجيش في الصين

اما الجيش في الصين فهو قاصر جداً عن حاجة المملكة سواء في العدد او في العلم او في الاقدام وخَلَقَ الله للحروب رجالاً . وهو عندهم جيشان احدهما الجيش المندشوري القديم وهو المعروف بالرايات الثمان ومؤلف من المندشوريين والمغول ومن بعض الصينيين وكل راية منها تنقسم الى ثلاثة الوية فتصير الجملة اربعة وعشرين لواء وكل لواء منها يقودهُ قائد اسمهُ (توتونغ) وهذا هو جيش العاصمة

واما الجيش المنتشر في الولايات فيعرف بالراية الزرقاء (لو ينغ) وينقسم الى قسمين برّي وبحري واسم البرّي (لولو) والبحري (شويش) وكبار القواد فيهِ من اصحاب رتبة فريق يقال لهم (تيتو) او (تيتاي) ثم يأتي بعدهم امراء الالوية ويقال لهم (تسونغ بينغ) وامراء الآلايات واسمهم (فوتسيانغ) وهلم جرًّا الى رتبة جاويش وكلها القاب مملكة في غير موضعها لانهم لا يتعلمون ولا يتدربون ولا يعرفون التمرينات الحربية وانما يشتغلون اوقات السلم باصلاح الانهار

وسد الترع وهم موزعون على ولايات المملكة وكل فرقة منهم لا تخرج من الولاية التي هي فيها ومع ذلك فجميع عددهم لا يتجاوز خمسمائة الف على رأي الانسيكلوبيديا الفرنسوية الكبرى ور كلوس في جغرافيته يقول ستمائة الف وانهُ مقسوم الى ثمانية عشر معسكرًا وان الجيش الاول المعروف بالرايات الثمان عدده مائتان وثلثون الفًا . ولقد كان هذا الجيش في الماضي عمدة الصين فاصبح الآن كلاً على عاتقها وفقدت من المنشوريين والمغول الحماسة القديمة فضلاً عن كون الحرب اصبح بالعلم وصارت لا تنفع معهُ الحماسة على فرض وجودها

اما القوة البحرية فهي وان تكن غير كافية ايضًا اوفى جدًا من القوة البرية وملاَّحة الصين مدربون قوامون على البحر ولا يهزأُ بهم في القتال وقد كان عند الصين سنة ١٨٨٠ اسطول مؤَلف من ٤٠ بارجة محمولها ٢٠ الف طن وفيها ٢٣٨ مدفعًا وعلى سواحل الصين حصون عديدة مثل حصون كنتون وشنغاي وتاكو التي استولى عليها الجيش الاوربي المتحد هذه المرة وعندهم دار صناعة بحرية في فوتشو ودار اخرى في كاوتشانغ ولو كان الصينيون معتنين بامور الحرب لابقوا القبطان لانغ الانكليزي الذي كان عندهم في خدمة الاسطول اذ افادهم فيهِ فائدة عظيمة لكنهُ من كثرة ما كان يلقى من المقاومة في ادخال الاصلاحات استعفى من منصبهِ فقبلوا استعفاءه وحرموا بلادهم فوائده كذلك لا تجد لهم عناية كافية في اصلاح جيشهم البريّ فهو باق على اصول الحرب القديمة التي نسخها هذا العصر كما ينسخ الظلام الضياء وبهذا صارت الشرذمة من الجنود الغربية تفي بالجيش الكثيف من رجالهم ولم يكن ذلك لخاصة نزلت في دماء الغربيين وانما هي نتيجة العلم وهؤلاء اليابانيون شرقيون كالصينيين واعرق منهم في التشريق اصبح لهم جيش يباري جميع الجيوش الاوربية صولةً وبطشًا مع صغر اجسامهم ودقة عضلهم وقد ظهر اثر ذلك في حرب الصين مع اليابان اذ والوا عليهم الهزائم واحدة بعد اخرى ولم يقف الصينيون في وجههم ولا في موقف وذلك لان الجهل لا يثبت لحظة في وجه العلم. وقد تحققت مباراة اليابانيين الاوربيين في الحرب الحاضرة فلم يكن من اصناف الجيش المتحد من فاق اليابانيين في اقدام ولا في حسن تدريب وكانت لهم اليد الطولى في استفتاح مغالق تاكو. والكفة الراجحة في دخول باكين . والصينيون انفسهم الذين صاروا مثلاً في الجبن وخوَر العزيمة لو نظموا جيشهم على نمط جيوش اوربا لحرروا بلادهم بل ربما اندفقوا على بلاد غيرهم والتزمت سائر الدول ان تتحد عصبة لترد عاديتهم. وانت ترى الآن الفرق الشاسع بين حربهم سنة ١٨٦٠ مع الاوربيين وحربهم اليوم اذ اشتروا عدة من الاسلحة الجديدة والمدافع بل حربهم الاخيرة مع اليابان فانهم هذه المرة ثبتوا ثباتًا غير معهود لهم من

قبل هذه المدة . او ليس المغول الذين تراهم الآن رائمين الذل هم ابناء المغول الذين دوخوا الارض وملكوا نصف المعمور ولم يقف احد امامهم او ليست دماء اولئك الابطال من قوم جنكيز تجري في عروق هؤلاء الانذال من قوم السلطانة شي ؟ بلى وانما ولد اولئك على صهوات الخيول وعاشوا تحت ظلال السيوف فعظمت ملكتهم في القتال واعانهم عديدهم فسحقوا كل قوة صادمتهم وانغمس هؤلاء في الدعة واسترسلوا الى السلام وظنت الصين منذ قرون انها اكتفت قوةً ومجداً وبسطة في العلم والجسم فالغت الحرب ونوت ان لا تقاتل غريباً ودرج على ذلك الصينيون مدة اجيال حتى نسوا معنى الحرب وحتى صارت دولتهم تقاتل في عُقر دارها وتستباح قاعدة سلطانها وهم لا يهتزّون ولا يكادون يشعرون ومن شدة ميلهم الى السلم وقعوا في الحرب نعم هؤلاء ابناء اولئك ولكن الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم . واخذُ الصين بمبادىء السلام واعتمادها على ما يقوّي جسم المملكة من اركان العمارة من نحو صناعة وزراعة وتجارة مما لا ينكر في حياة الممالك ولكن ذلك لا يغني عن ارهاف الحدّ . والجسم الانسانيّ لا تغنيهِ الكريّات الحمراء التي في الدم وبها قوام الجسم عن الكريّات البيضاء التي تقاوم الميكروب العادي عليهِ فالمملكة الصينية غير قليلة الكريّات الحمر ولكنها تقريباً معدومة الكريّات البيض ومهما تناهى العمران وعظمت الثروة وتوفرت الاعداد واتسعت البلاد فلا يغني ذلك عن السيف وانما يُدرأُ الشرّ بالشر ويصان الدم بالدم ورحم الله القائل الذي لا تخلق ديباجتهُ

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

تيقُّظ اليابان

تعجبنا من اليابانيين تيقظهم واعتبارهم بكل شيء واستفادتهم من كل حادثة مثال ذلك انهم يطعمون جنودهم الارزَّ مطبوخاً فلما اعوزهم الماء للشرب في حربهم الاخيرة مع الصين ولم يجدوا ماء لطبخ الارز اضطروا ان يحاربوا على الطوى ولذلك عزمت حكومتهم ان تغير جرايتهم وتبدل الارز بغيرهِ من الاطعمة التي لا تحتاج في طبخها الى كثير من الماء . ويلبسون جنودهم ثياباً بيضاء فرأوا انهم يرَون بها عن بُعدٍ فتسهل اصابتهم بالرصاص ولذلك عزموا ان يجعلوا لون ثياب الجنود اصفر ترابياً حتى لا يظهروا بهِ عن بُعد وان يغيروا لبس الرأس حتى يقيهُ من الشمس . ويقال انهم لما هجموا على بكين وفتحوا احد ابوابها بالديناميت كان مع قوّادهم قناديل كهربائية يحملونها بايديهم

جون هورد واصلاح السجون

بقلم جناب ديمتري افندي قندلفت

لا شيء ادعى الى اطمئنان قلب العاقل وانشراح صدرهِ من نظرهِ الى عالمَي الطبيعة والادب نظر المتأمل البصير فيجمع بين شرائعهما بجامعة الاخاء والاتحاد ويربطهما برابطة الوفاق والوئام حتى تتطابق الدائرتان ويتحد المركزان فيدوران على نقطة واحدة هي وحدة الوضع الازلي مع خير الانسان

ومن اوضح الادلة على وحدة الاصول والمبادىء في العالمَين ان ناموس تشابه الاسباب والنتائج وتناسب العلل والمعلولات واحد فيهما بلا تخلُّف ولا انثلام فالنتيجة مجانسة لقوَّتها ابدًا . وما ناموس ردّ الفعل في الطبيعيات باجلى حقيقةً منهُ في الادبيات . فان قوَّة العنف والقسوة لا تنتج الاَّ مثيلها من العناد والاصرار والعسف لا يولد غير الصلف والتمادي في ميدان العصيان . وقس على ذلك ناموس تنازع البقاء او بقاء الانسب وما شاكلهُ مما قد تكون حقيقتهُ في عالم الادب اوطد ركنًا واجلّ شأنًا واوضح برهانًا

وكما كان من شأن الشرائع الطبيعية ان تُكشَف حقائقها تدريجًا على تراخي الايام وبعد طول التجربة والاختبار كذلك كان من نصيب المبادىء الادبية العائدة على صلاح هيئة الاجتماع ان لا تظهر كواكبها اللاَّمعة لاهل السيادة والاحكام الاَّ بعد ان مرَّت شعوب المعمور في اطوارٍ من ظلمة الجهل والوحشية وبعد ان أنَّت الارض من ظلم ساكنيها قرونًا مديدةً حتى لم تعد تُطيق الاحتمال

وغير خافٍ ان اكثر الناس يزعمون لاول نظرةٍ ان غرض الشرع من فرض العقاب والحد على المجرم مجرَّد ايقاع الاذى عليهِ من طريق الاقتصاص والانتقام محتجين بأن الإرهاب هو الذي يُلزم المذنب جادَّة العدل وحسن المسلك وان القوَّة القاهرة هي التي تقف بهِ عند حدود الاستقامة وتردُّهُ الى سبيل الصواب وان بذلك يُصان نظام عقد الاجتماع وتحفظ الحقوق المتبادلة بين افراد الأُمة والقبيل . وقد غفل ارباب هذا المذهب على كثرة عديدهم عن أنَّ اصلاح الجاني وردَّهُ الى سواء السبيل بالتي هي اقرب الى شرعة الحكمة والخير العامّ من اجلّ غايات العقاب المقصودة بالذات . فاذا صحب عقاب المجرم ما يدلُّ على رجاء الخير فيهِ كان ذلك أضمن لتلافي شرّهِ وأعون على راحة العباد والبلاد بما يهيج في صدرهِ وحينئذٍ من بقية الشهامة التي تحيا في الرجاء وحسن الثقة وتموت في اليأس ومطلق الخذلان

ومن الغريب ان البشر لم يتنبَّهوا الى ما في رأي القهر والانتقام من النقص والتقصير عن ادراك الغاية القصوى من القصاص الاَّ لعهد قريب من ادوار المدنية والعمران . هذه اوروبا التي طلعت عليها انوار المدنيَّة منذ اربعة قرون فاضحت قرَّة عين التمدُّن وغرَّة جبين الانسانية كانت سجونها لاواخر القرن الثامن عشر من شرّ ما بقي فيها من آثار الهمجية وافبح ما خلَّفت لها عصور البربرية وقرون الظلام

ومع ما بلغت شرائعها واحكامُها لذلك العهد القريب من مراقي العدل والرحمة ومحاسن الانصاف والاشفاق وما تجلى لحكاَّمها من اثمار العلم الكاشفة للحقوق الفردية والاجتماعية كانوا في معاملتهم للمجرمين والمذنبين كأنهم لم يعرفوا للحق دستوراً ولا شاموا الانسانية نوراً. ولو لم يقم من افراد الامة الانكليزية من تنبَّه لويلات اهل السجون حتى وقف الذات والحياة على تبصير الحكام بشقاء احوالهم واستصراخ الشعب استنجاداً لكشف ذلك الضرّ لظلَّت السجون الى ما شاء الله مدافن سكَّانها هم في عالم الظلام والشقاء والناس فوقهم في عالم النور والنعيم لا يعلمون من امرهم شيئاً كأنهم عميٌ صمٌ لا يبصرون ولا يسمعون

وان كان العقلاء من عشاق التاريخ تروق لهم اساطير السلف من اخبار الحروب الصادعة للقلوب ويُعجبون بابطال الفتوح والغزوات التي راح فيها ما لا يحصى من النفوس البشرية على مذابح الاطماع السافلة فما أمثل بهم ان يطربوا لسيَر ابطال الاصلاح الانساني الذين تفانوا في احياء العدل والحق العامّ واختطفوا بني التعاسة والويل من مخالب الظلم بما قاسوا من ذلّ الجهاد والعناء وما رفعوا منار الانسانية الاَّ بما كابدوا من ضروب الخسف وجهد البلاء

فما اخلق بمثل المقتطف الاغرّ كوكب الشرق الساري ان يضمّ في صفحاتهِ الى ما سبق من تراجم عظماء الارض من فلاسفة وعلماء وقوَّاد وفاتحين ومكتشفين ومخترعين ومحسنين سيَر اخوانهم المصلحين كماة الانسانية الذين احسنوا اليها بما هو ابقى ذكراً واطيب نشراً واعظم فخراً وأجراً

ونحن الآن موردون خلاصةً تاريخية لما كان من سوء حال السجون الاوروبية وتعاسة حظ سكانها من بني الانسان مع الالماع الى بداية اصلاح الحالتين تبصرةً لقوم وتذكرةً لآخرين

اوَّلُ من تنبَّه لحال السجون وشقاء المساجين جون هَوَرْد الانكليزي من نوابغ المحسنين المصلحين في اواخر القرن الثامن عشر ذلك انهُ فيما كان مسافراً بحراً من انكلترا الى البورتغال داهمتهُ سفينةٌ للقرصان الفرنساويين فأُخذ اسيراً مع رفاقهِ فيها ونالهم من ضروب القهر والإعنات والتعذيب النصيب الوافر حتى انهم حرموا الخبز والماء ثمانياً واربعين ساعةً . ولما اوصلهم نكد الطالع الى احدى المدن سجنوا هناك في احدى سجون القلعة الطافحة بالاقذار زمناً غير يسير

لم يدخل اجوافهم فيهِ طعام الى ان أُلقي لهم ذات يوم قطعة من اللحم النيّ فتكالبوا عليها نهشاً كجياع الذئاب . ولم يكن بقي ابدانهم في تلك الزريبة الوحشية من رطوبة الارض ووبالة الاقذار سوى شيء قليل من القش . ولمَّا نال هورد صاحب الترجمة رحمة الاطلاق اسرع الى انكلترا ولم يهدأ لهُ بال حتى فاز بنعمة الإفراج لرفاقهِ الاسرى المساكين

فتنبَّه من ذلك السجن وعقد النفس على اصلاح سجون الارض حتى صار قُبلة آمالهِ وكعبة مساعيهِ واعمالهِ بل غرض حياتهِ الوحيد العزيز . فشرع اولاً يكاتب سجناء الانكليز في قلاع اوروبا وسجونها وقوفاً على احوالهم . فوجد انهم كانوا اسوأ حالاً من حالهِ في ذلك السجن فلاح لهُ ان يبتدئ باصلاح سجون بلادهِ الانكليزية فوُفِّق الى استطلاع احوال سجونها وساكنيها بما كان لهُ من وجاهة المنصب في عضوية بعض المجالس فكان يقف على دعوى المجرمين بعين المفتش الرقيب ويرافقهم بعد صدور الاحكام عليهم الى سجونهم فبدا لهُ من احوال تلك السجون ما يفتت الاكباد ويثير الشجون

فان السجناء في سجون انكلترا وغيرها من ممالك اوربا لذلك العهد كانوا يُزجُّون في اقبيتها المظلمة جماعات مزدحمة الصفوف بجانب الصفوف لا يفرّق بينهم اختلاف الجرائم والذنوب من الجائع الملهوف خاطف الرغيف الى قاطع الطريق وسفّاك الدماء . وقد تبين لهُ بعد البحث انهُ كان في جملة اولئك الاشقياء من ظهرت براءة ساحتهِ بعد ان سجن زمناً طويلاً وان بعضهم لم تظهر عليهِ اقل شبهة لقيام الدعوى عليهِ وان غيرهم لم يبرز لهم خصوم بعد ان سجنوا شهوراً افردوا الى السجن حتى يوفوا آخر فلس للسجان ولمجلس القضاء عدا من اكلت ابدانهم الامراض المختلفة الناشئة من رطوبة السجون وقذارتها ومن راحوا على المشنقة ضحايا الظلم ومن ماتوا فرائس الجوع

ولما كانت رواتب السجّانين والحراس تستوفى من المتّهمين والابرياء لا من الحكومة قام هوَرْد والتمس اولاً ان تُقضى من صندوق العدلية فعاد بخيبة الامل ولكنهُ ازداد حمية وعزماً في مسعاهُ الجليل اريد بهِ اصلاح السجون في جميع ممالك الارض

فانهُ وجد بازدياد البحث في بعض الاماكن ان قلاع السجون على اسوإ ما يتصوَّر الخيال من سوء الحال . وكانت توضع النساء والرجال في قبوٍ واحدٍ ولم يكن لبعض الغُرَف منافذ للهواء والضياء حتى كانت الحمى تجرف من جموعهم العشرات بعد العشرات ولم يكن للمديون البائس ما يسدُّ بهِ الرمق او يبلُّ الريق واما عن المكبلين بالقيود والاغلال فحدّث ولا حرج بعد ان تطلق لخيالك السراح

وبعد ان تيسر لهذا الانسان العظيم الوقوف على مساوىء السجون ومخازيها في بعض بلادهِ

جعل يطوف انحاء انكلترا تفقدًا لشؤُون السجون لا يثنيهِ عناء الاسفار ولا اهوال الاخطار وقصدًا لتفريج الكروب عن بنيها فتسنَّى لهُ الافراج عن كثيرين من الابرياء واخراجهم من مدافن الاحياء. وعند ما تمَّ لهُ الفحص عن سجون بلادهِ وشاع امرهُ وذاع قرَّر مجلس العموم ان تعين لجنة لتحقيق الواقع فقصدهورد بذاتهِ تلك اللجنة حاملاً رزم التقارير والاحصاءات الناطقة بصدق ابحاثهِ وتحقيقاتهِ ولما سألهُ عضو من اللجنة على نفقة مَن قام بهذا العمل العظيم خنقتهُ العبرات على ان هذه اللجنة ألهبت همتهُ نشاطًا بشكرها والالتفات الى بيانهِ والعناية بمطالبهِ فاصدرت الاوامر اولاً بالغاء نقد الجزاء او جزاء النقد الجائر وتعيين رواتب ضباط السجون من صندوق الدولة مع السرعة باطلاق المتهمين الابرياء ثم الحقت ذلك بتطهير السجون وتبييضها وفتح منافذ للهواء والنور. وقررت ان تبنى ملاجيء ومستشفيات للعجزة والمرضى من المساجين

وكان هورد اثناء انفاذ هذه الاوامر طريح الفراش من مشاق ذلك السفر الشاق على انهُ لما تعافى قام يطوف اسكوتلاندا وايرلاندا يتفقد سجونها وشؤُونها فوجد في البلادين ما وصفناهُ من احوال سجون انكلترا فنشر نتائج ابحاثهِ فيهما فنالت من النجاح ما نالت منشوراتهُ في اختهما انكلترا

وبعد ان تمَّ لهُ ما سبق من بلوغ الاماني في اصلاح سجون بلادهِ على قدر ما أذنت بهِ الاحوال وجَّه زمام العزيمة الى سائر ممالك اوربا في ذلك المقصد النبيل فقصد اولاً فرنسا ولما دخل باريس وطلب الدخول الى سجن الباستيل المشهور أُغلقت في وجههِ ابوابهُ ولكنهُ وُفّق الى دخول بعض السجون غيرهِ فوجدها على فسادها احسن حالاً من سجون الانكليز غير انهُ لما اتصل بالحكومة انهُ طلب دخول الباستيل اصدرت الامر بالقاء القبض عليهِ وطرحهِ في السجن لكنهُ ركن الى الفرار وكان من جراء ذلك الحكم انهُ نشر تقريرًا في حالة سجون فرنسا بعد ان لقي في ذلك العناء الثقيل

ولما نالَ بغيتهُ من فرنسا قصد بلاد البلجيك وهولاندا والمانيا يغشى السجون ويستطلع طلع احوالها حتى تجمَّع لديهِ من القوائم والتقارير مجموع ثقيل الحمل. وبعد ان عاد الى انكلترا ليشاهد ما جدَّ فيها من الاصلاح توجه الى سويسرا فوجد ان مسألة السجون شاغلة للمجالس والدوائر وان الاوامر قد صدرت بتشغيل السجناء معاونة على نفقاتهم وتخفيفًا لحمل الضرائب التي كانوا يغرمون بها ارغامًا مدة الاقامة في السجون

وبعد ان تقضي عليهِ ثلاثة اعوام سافر فيها ثلاثة عشر الف ميل نشر مؤلفًا ضخمًا في حالة السجون كانت لهُ هزَّة في انحاء البلاد وكان من نتائجهِ ان مجلس العموم استدعاهُ ثانية واستأنف المفاوضة معهُ وعاود النظر والبحث في احوال السجون بغية الزيادة في الاصلاح

والتحسين . فاشار هورد بان تبنى دارٌ للاصلاح (اصلاحخانه) لتشغيل المساجين على مثل ما رأى في امستردام ولما آنس من المجلس قبولاً لمشورتهِ خفَّ الى تلك المدينة ثانية اتماماً لوقوفهِ على طريقة تلك الدار

ولما قضى الوطر من تلك الزيارة القصيرة سافر الى بروسيا والنمسا ملاقياً في طريقهِ معارضات جمة من جندية المملكتين . وبعد ان انفق مدة يسيرة في فينَّا عرَّج على ايطاليا ولما بلغ رومية التمس الدخول الى سجون ديوان التفتيش فاخفق مسعاهُ كما ردَّ في باريس فعاد الى انكلترا وحانهِ وقطع في طريقهِ هذا اربعة آلاف وستمائة ميل وكان حيثما حلَّت ركابهُ وألقى خطابهُ يلقى جزيل الترحيب والاكرام و يطرب للاذعان الى مشوراتهِ باصلاح السجون واسعاد سكانها . وكان مع بذل اتعابهِ في الاسفار والبحث والتقرير والتحرير يبسط كفهُ في اسعاف المحتاجين واغاثة الملهوفين وينهض بهذه المكارم الرائعة همم ذوي الاريحية والسخاء فتفتحت ابصار المبصرين من اهل الاحسان في جميع البلدان وتشوفوا الى حديث سكان السجون وكان مدُّ الاكف يتبع سماع الآذان

على ان هذا البطل الهمام والاسد الضرغام لم تتعد بهِ الهمة عند هذا الحد من السعي والجد بل عاد ثالثةً الى زيارة سجون بريطانيا العظمى وقطع هذه المرة زهاء سبعة آلاف ميل فقرَّت عينهُ بما شاهدت من مستحدثات الاصلاح الناجمة عن مساعيهِ السابقة من تحسين بناء السجون على مقتضيات الصحة

ولما اطمأن خاطرهُ تمام الاطمئنان من امر سجون بلادهِ وما جاورها من ممالك جنوبي اوربا نهضت بهِ العزيمة الى زيارة شمالي اوربا فقصد بلاد روسيا ودخل بطرسبرج منفرداً سعياً على الاقدام . ولما ابصر بهِ البوليس واوصل خبرهُ الى الامبراطورة كاترينا استدعتهُ الى مقابلتها في بلاطها الباذخ الشان فرد دعوتها متلطفاً بقولهِ انهُ اتى روسيا لا لمشاهدة صروح الملوك والملكات بل لزيارة السجون وسكانها التعساء . وبعد ان فاز باجازة زيارة السجون مصحوباً بقوة عسكرية شاهد في جملة ما وقع لنظرهِ من احوال اولئك السجناء بني الذل والشقاء ما يبكي الحجر الاصم . وتحرير الحكاية

انهُ أُخرج يوماً في حضرتهِ من بعض السجون رجلٌ وامرأة ليجلدا بالسوط الروسي المشهور بثقلهِ وشدتهِ فأطعم الرجل من ذلك السوط الحلو المذاق ستاً وعشرين جلدةً شهية الطعم والمرأة خمساً وعشرين اوهت منها الجلد والعظم . ولشدة انفعالهِ من تلك القسوة البربرية رام الوقوف على مصير هذين الشقيين فزار الجلاَّد بعد بضعة ايام وسألهُ "هل يمكنك ان تضرب

بالسوط ضرباً يزور المضروب بهِ القبر" اجاب " نعم " قال هورد " بعدكم يوم يموت المجلود السعيد الحظ " أجاب الجلاد " في يوم واحد ان لم يكن في يومين " قال هورد " وهل سبق لك مثل هذا الضرب " أجاب " نعم . والرجل الذي جلدتهُ منذ وقت قصير مات من ذلك الضرب " فسأله هورد ايضاً " وكيف يمكنك ذلك " اجاب " اهوي بالسوط على جانبيهِ بضربة او ضربتين فيفترق اللحم عن العظم " .ومن آخر سؤالاتهِ تحقق ان الجلاد انما يفعل ذلك الفعل الشيطاني بامر الآمرين . وقد كتب من موسكو انهُ قد مات في المستشفيات العسكرية من جرَّاء القسوة والظلم لا اقل من سبعين الف جنديّ في سنة واحدة

وبعد ان قضى زيارتهُ الى روسيا عاد الى انكلترا رابعةً ماراً في بولاندا فاستريا. وفي سنة ١٧٨٣ سافر لاجل هذا المأرب الشريف الى اسبانيا والبورتغال ونشر نتائج مشاهداتهِ في ملحقٍ لذلك المجلد الكبير الآنف الذكر

هذا وبعد ان تقضي على هورد اثنا عشر عاماً في الاسفار البحرية والبرية يتفقد سجون اوربا قطع في مداها اثنين واربعين الف ميل وانفق من جيبهِ الخاص في اغاثة المكروبين والمعوزين ثلاثين الف ليرة انكليزية لم يكتفِ باصلاح السجون بل سمت همتهُ بعد ذلك الى ان يطوف الاماكن التي تفشت فيها يومئذ الاوباء طلباً لتخفيف بلايا الموبوئين وسعياً في ايجاد علاج لتلك العلل التي فنيت فيها حيل رجال العلم والطب منذ عرف معنىً للطب

فقصد سنة ١٧٨٥ باريس ولتذكرهِ ما جرى لهُ في زيارتهِ الاولى لما عند ما طلب الدخول الى الباستيل دخل الآن باريس متنكراً غير انهُ ليلة وصولهِ اليها اهتدى البوليس الى منزلهِ ففتقت لهُ حيلة الخوف ان نهض وسط الليل وفرَّ من المنزل ولما بلغ مرسيليا اتاح لهُ الحظ الدخول الى احد السجون فادرك بغيتهُ من نيل المعلومات التي اراد ومن هناك قصد ازمير حيث كان الوباء على اشد حالهِ ومنها ركب باخرة موبؤة قاصداً قضاء مدة الحجر واختبار احوالهِ . ولما منَّ الله عليهِ بالشفاء عاد الى انكلترا وطنهِ المحبوب يطوف مزارعها وقراها يسعف المسكين ويرد لهفة الملهوف . وكان ابتعادهُ هذا عن اهل السجون ابتعاد الوالد عن اولادهِ ساكني فؤادهِ

وبعد ان لبث مدةً غير يسيرة على تلك الحال جدَّ بهِ الشوق الى اتمام مقصدهِ من زيارة اماكن الوباء . فقصد سنة ١٧٨٩ بلاد هولاندا والمانيا وروسيا وفي نفسهِ ان يوصل سفراتهِ هذه الى تركيا ومصر وتونس وملحقاتها من ولايات بلاد الغرب الآن آمالهُ هذه انقطعت بانصرام حبل الاجل في خراسان من بلاد التتر الروسية . فانهُ في زيارتهِ السجون على عادتهِ

علقت بهِ الحمى فمرض غريباً وهناك ارسل انفاسهُ الاخيرة واسلم تلك الروح الطاهرة لتنال جزاءها الخلد وعزاءها المقيم وقد اوصى ان يدفن هناك في مقبرةٍ لاحدى الكنائس وقال واروا جسدي البالي تحت اطباق من التراب وانصبوا فوق لحدي ساعةً شمسية فالحق ان طوى ذكرهم الزمان

غير ان اسم مثل هذا المحسن العظيم والمصلح الكريم لن تقوى على محوهِ الايام وكيف ينسى ذكر من احسن الى الانسانية وكان خليل البائس المظلوم ونصير اهل التعاسة والذل والبلاء وهو الذي لولاهُ لظلّت السجون قبور سكانها الى يوم يبعثون . اجل انهُ مات بعد ان ادرك بعض مناهُ غير ان مقصدهُ النبيل لم يمت معهُ شأن كل مقاصد الاصلاح والصلاح . بل ما انفكت آثارهُ لتنطق عنهُ بافصح لسان تنهض بذوي الهمم وتحيي موات الشهامة والنخوة والكرم في جميع الامم المتمدنة الى اليوم فبمثالهِ ليقتدِ المحسنون وعلى منوالهِ فلينسج المصلحون

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بكنسفيلد

الفصل الرابع

فخر الدين — متى ابطل الناس عبادة هذه الاوثان

تنكرد — لما اعلن الله دين الحق يسوع المسيح

فخر الدين — ولكن الله اعلن دين الحق قبل المسيح لمَّا كلَّم موسى على جبل سينا وكلَّم الانبياء وملوك اسرائيل بعدهُ

تنكرد — والمسيح واحدٌ منهم وهو آخر ملك قام من بيت داود وقد شاء الله ان تخضع لهُ امم الارض وهذا هو الفرق بينهُ وبين من تقدَّمهُ من الانبياء . والديانة المسيحية هي الديانة اليهودية بعد ما جُعلت عامة لجميع الامم فظهورها امات الاديان الوثنية

فخر الدين — ومن هم الامم ألست انت منهم

تنكرد — نعم انا منهم من قبائل القرصان الذين مرَّت القرون الكثيرة ولم يسمع احد عنهم شيئاً . ولا اعلم ماذا كان حالنا الآن لو لم تترعرع عقولنا بتعاليم الديانة العربية السورية . لكن هذه الديانة بلغتنا حديثاً فعلا بها شأننا وصار منا الملوك والامراء

فخر الدين — ما اعجب التاريخ وما اكبر فوائدهُ لو تعلمتهُ لتمَّت معارفي . ولكن هل أُعدُّ انا ايضاً من الامم

تنكرد — انا مرتاب في ذلك والراجح عندي ان نسل اسمعيل من شعب الله الخاص وهذا امرٌ كبير لا يستهان بهِ

فخر الدين — وهل كان يوليوس قيصر من الامم

تنكرد — بلا ريب

فخر الدين — والاسكندر المكدوني

تنكرد — نعم الاثنان من الامم واعظم قوّاد الامم وهما يمثلان الامتين العظيمتين اللتين اهتمَّ الرسل بتنصيرهما اولاً

فخر الدين — وقد انشأا الممالك العظيمة ولو كانا من الامم

تنكرد — غير ان ممالكهما لا تقاس بممالك المسيح . اين نسلهما الآن واين رعاياهما . من يوقد لهما البخور . كل نسل الرومان واليونان خضع لابن داود وهو يُعبَد الآن في مدينة رومية كرسي القياصرة وفي لندن وبطرس برج ونيويورك . ولا يُجهل اسمهُ الاَّ في اسيا مسقط رأسهِ التي اجتاحها الترك والتتار واستعبدوا اهلها منذ ستمئة سنة الى الآن فقيدوا العقل الشرقي بقيود الاستعباد ولم يُفلت من يدهم الاَّ بلاد العرب فبقي العقل فيها حرًّا مطلقاً . فمنها يُنتظر ان يقوم مَن يعفي آثار من اضرَّ اسيا ويعيد الى الشرق حرية العقل وحينئذٍ يعود الملائكة الى مخالطة الناس وتعود الى البلاد طهارتها الاولى فيمتد تأثيرها الى ممالك اوربا وتصلح معتقداتها التي اصبحت كالخرق البالية

فخر الدين — وما قولك لو زالت سلطة التتار وعادت اسيا الى عبادة المعبودات الجميلة التي رأيناها هذا الصباح

جرى هذا الحديث بين تنكرد وفخر الدين بعد ان عادا من زيارة الهيكل ورأيا ما فيهِ من التماثيل البديعة. وقد عادا من هذه الزيارة مدهوشَيْن قليلي الكلام كأن كلاًّ منهما يفكر في موضوع غير ما يفكر فيهِ الآخر فلم يتذاكرا كثيرًا في ما رأياه ولم يشيرا في حديثهما الى الملكة . وتغدَّيا ذلك اليوم مع كفرنيس ولم يكن الطعام مما يلذُّ اكلهُ ولكنهما لم يكونا متأنقين في طعامهما يأكلان مما حضر من غير سؤَال . وقدَّم لهما كفرنيس شيئاً من الخمر فابى فخر الدين شربها لانهُ كان يتظاهر بالاسلام حينئذٍ واما تنكرد فشرب على ذكر الملكة . وقال لهُ كفرنيس بلغني ان الرجال عندكم يشربون دائماً على ذكر النساء وفي سائر بلاد الافرنج يشربون على ذكر الرجال اما نحن فنكره ادماننا للمسكرات على كل حال . فقال لهُ تنكرد ولكنني رأيتكم تعبدون باخوس اله الخمر وهوذا تمثالهُ في هيكلكم فضحك كفرنيس وقال اني

لم اسمع هذا الاسم قبلاً وكل الهتنا كانت في انطاكية قبل ان وجد الترك والانكليز . واسماؤها سرٌّ مكتوم عندنا لا يمكننا ان نبوح بهِ لاحد من الغرباء فمن اين اتيت بهذا الاسم . فلم يجبهُ تنكرد عالماً انهُ يجهل ما يقول ويجهل جهلهُ

واتفقوا على ان يمضوا الى الصيد بعد الغداء وكان فخر الدين اشد الاثنين اندهاشاً لانهُ لم يكن قد سمع شيئاً عن آلهة اليونان وحراج دفنة . اما تنكرد فاستغرب ما رآهُ من الملكة لكنهُ سرَّ بما بدا منها من الشعور بانها تخدم الآلهة وقال في نفسهِ انها تساعدهُ على ما ينويهِ من الدعوة الدينية حاسباً ان للنساء اليد الطولى في نشر الاديان وبث الحقائق الدينية فان الممالك المسيحية الثلاث فرنسا وانكلترا وروسيا تنصرت بواسطة النساء بواسطة كلوتلدا وبرتا واخت الامبراطور باسيليوس وكذلك بلاد المجر وبولندا . اما فخر الدين الامير العربي الاصلي فلم يكن يعتقد ان ديانة عربية الاصل تقدر ان تتسلط على ملكة النصيرية ولم يخطر لهُ ان يصيرها مثلهُ بل مال الى اتباع مذهبها لانهُ احبها ونما حبها في قلبهِ سريعاً حتى تيمهُ . وكان قلبهُ خالياً لم يدخلهُ حبُّ فتاة الا حبُّ حواء لكنهُ كان ينظر اليها كما ينظر الاخ الى اختهِ اما ملكة النصيرية فاحبها من حين رآها ثم لما تجلّت لهُ بمجالي الآلهة سلبت لبهُ فلم يعد يفكر الاَّ بها وبآلهتها التي علم من تنكرد انها آلهة اليونانيين والرومانيين آلهة الملوك والقياصرة الآلهة التي عزَّزت اسيا واغدقت لها ينابيع السعادة فاتسعت مدنها وكثر شعبها ووفرت لهم الخيرات فقال في نفسهِ لا عجب اذا بقي النصيرية امناء لها بل العجب من ان الناس ارتدُّوا عن عبادتها وهجروا هياكلها ولذلك خربت البلاد وساء حال العباد . ثم قال هذا سرُّ ما اراهُ من الكآبة المستولية على اهالي الشام حتى اليهود ولا يستثنى الاوربيون من ذلك لان هذا الامير الانكليزي جاء يخبرنا ان الافرنج ليسوا اسعد حالاً منا فلا يبعد ان يكون ذلك ناتجاً عن هجرهم هذه الآلهة وابتعادهم عنها . وان كانت نجاة العالم متوقفة على الديانة فلماذا لا نجرّب الرجوع الى هذه الديانة القديمة الديانة التي كانت شائعة في بلاد الشام . وهوذا ملكة النصيرية تعقد لواءها على خمسة وعشرين الفاً من الابطال وانا استطيع ان أُخرج اضعافهم من جبل لبنان فعلى مَ لا ننشئ مملكة جديدة عظيمة الشان ونعيد الديانة اليونانية الى ما كانت عليهِ . وكان يحسب ان الدروز يوافقونهُ ويشدون ازرهُ حالاً فيجعل بطريرك الموارنة حبراً اعظم على انطاكية اما اليهود فلا يحولون عن ديانتهم ولكنهُ اذا استدان منهم مبلغاً طائلاً من المال واغراهم بالربا الفاحش لم يحركوا ساكناً بل ظاهروهُ وشدوا ازرهُ فينشئ في البلاد السورية دولة جديدة

الفصل الخامس

لما ودَّع فخر الدين تنكرد في المساء ومضى لينام لم تكن نغمة صوتهِ كما كانت من قبلُ وكأنهُ سُرَّ بابتعادهِ عن تنكرد اما تنكرد فلم ينتبه لذلك ولا انتبه الى ان فخر الدين كان قليل الكلام ذلك اليوم على خلاف عادتهِ لانهُ هو نفسهُ كان قليل الكلام كثير الصمت والتفكير وكان على غاية الوداعة والبساطة لا يسيء الظن باحد ولا يؤلم احدًا بكلمة واذا فعل ذلك سهوًا عاد على نفسهِ بالملامة. وكان شديد الفراسة لكن اشتغالهُ بامر نفسهِ كان يصرفهُ عن النظر في امر غيرهِ واذا احبَّ انسانًا حسب انهُ مثلهُ كريم الاخلاق سليم النية ولذلك لم يخطر على بالهِ انهُ يمكن فخر الدين ان يضمر لهُ شرًّا او ان تفتر محبتهُ لهُ فلم ينتبه لما بدا منهُ من التغير

ودعتهما الملكة في اليوم التالي للذهاب الى الصيد وخرجت معهما ببزاتها فنزلوا الى سهل كثير الزرع وجدوا فيهِ صيدًا كثيرًا وكان فخر الدين امهر من تنكرد في الصيد بالبزاة وارادت الملكة ان يمرّن تنكرد مثلهُ فغار فخر الدين منهُ وكانت تعامل فخر الدين بالمجاملة التامة كما يليق بامير كريم ولم يبدُ منها اقلُّ شيء يغيظهُ من حيث اكرامها لهُ ولكنهُ رآها تنظر الى تنكرد بعين اخرى تنظر اليهِ بعين الحب مع الاكرام على ان تنكرد لم يلتفت الى ذلك لان افكارهُ كانت مشغولة بامور اخرى ولا يئس فخر الدين من اجتذاب قلبها لانهُ كان يرى اكرامها لهُ ويعتقد انهُ قادر على اجتذاب القلوب ولان خصمهُ لم يكن يعبأُ بن عليها المخاصمة او لم يكن يهمهُ امتلاك قلبها وزد على ذلك انهُ هو (اي فخر الدين) لم يكن يأنف من استعمال اية حيلة كانت لنيل غرضهِ

وصادق فخر الدين كفرنيس وتملَّقهُ كثيرًا واطنب في مدح سياستهِ وحكمتهِ واستشارهُ في حل مشاكل كثيرة اخترعها اختراعًا او فرض حدوثها وهي من بنات افكارهِ وقال لهُ ان الامير بشيرًا اوصاهُ في صباهُ ان يحالف وزير النصيرية ويظاهرهُ ويستعين بهِ ثم اعطاهُ ما معهُ من الجواهر ووعدهُ باكثر منها

وفي اليوم الرابع كان فخر الدين ذاهبًا الى ديوان الملكة مع كفرنيس فتأخر كفرنيس لبعض امورهِ فدخل فخر الدين وحدهُ ولما استقرَّ بهِ الجلوس جعل يشرح للملكة احوال لبنان ويصف لها قصرهُ في قنوبين وقال لها انهُ يتمنى ان تشرفهُ بزيارتها يومًا من الايام فاصغت اليهِ ثم قالت بصوت منخفض اني مستغربة جدًّا كيف ان خادمنا دركوش بعث الينا يقول ان واحدًا من الاميرين على ديننا فان الامير الانكليزي قد اكد لي ان اهل بلادهِ لم يدينوا بديننا قط وانهُ هو يعرف ما يعرفهُ عنهُ لان اهل بلادهِ اعتادوا ان يعلموا اولادهم اشعار

اليونان الاشعار التي نجهلها نحن ولكن فيها كل اخبار ديننا وتعاليمهُ . وهذا من اعجب العجب

فقال فخر الدين لا تستغربي شيئاً يفعلهُ الانكليز لان كل افعالهم في حد الغرابة وهم قوم همج وبلادهم جزيرة قاحلة لا تنبت شيئاً ولذلك يجلبون طعامهم من سواها يأخذون القمح من اودسا والخمر من اسبانيا وقد علمت في بيروت انهم لا يزرعون القطن الذي ينسجونهُ وهذا لا اكاد اصدقهُ . ودينهم غريب عنهم اخذوهُ من السوريين ولذلك لا يبعد ان يكونوا قد اقتبسوا علومهم من اليونان

الملكة — وهم مع ذلك يحبون الاسفار ويهتمون بما يرقي بلادهم

فخر الدين — ولكن دركوش كان مديباً فان احد الاميرين يدين بدين النصيرية ولو لم يكن الامير الانكليزي

الملكة — ما معنى هذا الكلام

فخر الدين — لو عرفت امي ايتها الملكة البديعة الجمال ما استغربت كلامي

الملكة — كيف اعرف امك وانا لم اخرج من هذه الجبال ولم ارَ في حياتي امرأة من الموارنة ولا من الدروز

فخر الدين — اسألي كفرنيس فانهُ ذهب الى بيت الدين قصر الامير بشير فهو يعرف امي ولو بالاسم لانها كانت من النصيرية

الملكة — أحقيق ذلك أكانت امك من النصيرية ابنة من هي

فخر الدين — اواهُ ايتها الملكة هذا هو السؤال الذي لا استطيع عنهُ جواباً فان ابي وامي ماتا وانا طفل صغير وقد اتيت الى هنا لاكتشف ابنة من كانت ولقد طالما حلمت بشعبها ودينها وددتُ ان اعود اليهما

الملكة — هذا من اغرب ما طرق مسامعي

فخر الدين — لا تستغربي ذلك ايتها الملكة البديعة الجمال. ولو كنتِ تدرين كم تحسَّرتُ لانني ربيت بعيداً عن آلهة امي لرثيتِ لحالي . قال ذلك وجالت الدموع في عينيهِ

الملكة — ومع ذلك اراك قد اتيت الى هنا لتدعونا الى ديانة أُخرى

فخر الدين — مَن أأنا معاذ الله . هذا الانكليزي المجنون اتى ليدعوكم الى ديانة اخرى وهو من ابعد الناس عنكم كما ان الانكليز من ابعد الناس عن الديانة التي يتظاهرون بها . وهم يعترفون ان الله لم يحلَّ في ارضهم ولم يكلم احداً من قومهم

الملكة — لقد كنتُ اظن انكما على رأي واحد ومذهب واحد

فخر الدين — اظن انك علمتِ ذلك من دركوش اما انا فلم أرَ ذلك الرجل والذي رآهُ خادم رفيقي ومنهُ علم ما علم عنّا وما نقلهُ اليكِ . ورفيقي هو الذي سعى في هذه الزيارة فلما رأيتُ انهُ نال ما لم استطع نيلهُ غنمت الفرصة واتيت معهُ ولم اتعرّض لمخالفتهِ في آرائهِ لانني حسبت ان هذه الزيارة قد تحوّلهُ عن امر قصدهُ وانا اخاف ان يعود عليهِ بالعار والخذلان

الملكة — مهما كان قصدهُ فلا يظهر انهُ من الناس الذين يفعلون فعلاً يعود عليهم بالعار

فخر الدين — كلاّ كلاّ لم اقصد ذلك فانهُ شاب ابيّ النفس كامل المروءة لا يفعل شيئًا يستحق ان يعاب عليهِ كلاّ وانما اعني انهُ مشتبك مع اناس قد يضرونهُ ويتلفون صيتهُ . مثال ذلك ان اليهود ممنوعون من الدخول الى بلاد الانكليز ولو جازت لهم الاقامة في جبل طارق . ومن المقرَّر الآن ان هذا الامير ساح هذه السياحة الدينية السياسية لانهُ عشق فتاة يهودية في الشام وهو لا يستطيع ان يعود بها الى بلادهِ زوجةً لهُ

الملكة — "أعشق فتاة يهودية ماذا تقول" قالت ذلك وعلتها صفرة الوجل

فخر الدين — نعم فتاة يهودية وقد استهوتهُ ووضعت في عقلهِ انهُ يستطيع ان يتغلّب على قارَّة اسيا كلها بسيوف اهل الشام

الملكة — ولكن أتسمح ملكة الانكليز لواحد من رعاياها ان يتزوج يهودية

فخر الدين — كلاّ وان تزوَّجها قطعت رأسهُ وحرقت زوجتهُ حية ولكن قد يمكننا ان نداوي العلة قبل تمكنها

الملكة — نعم لا بد لنا من ذلك

فخر الدين — والذي يذهلني من امر هذا الرجل انهُ يكلمني ويكلمكِ كأنهُ يريد ان يستعملنا آلة لاغراضهِ وكأن سورية صفرٌ في عينيهِ مع ان سورية هي الاصل ونحن يمكننا ان نفعل كثيرًا اذا اتحدنا . اذا اتحد اهالي جبل لبنان واهالي جبال النصيرية كسروا نير الاتراك ولم يقف احد في وجههم ولا ملوك الافرنج . ولا شيء اتمنّاهُ مثل ان اقهر غيزو وزير فرنسا وابردين وزير انكلترا . وقد بعثت اليهما بالاسقف مراد في العام الماضي فلعبهما لعب السعادين وكادا يملكاني جبل لبنان لأزيل القلاقل منهُ وهي لا وجود لها الاَّ في التلفيقات التي سمعاها

الملكة — ما اغرب هذه الامور ولكن لا بدَّ من ان تكون هذه اليهودية جميلة جدًا

فخر الدين — كذا يقول وهو هائم بها ويتكلم عنها في نومهِ

الملكة — اصبتَ في انهُ لا يليق بنا ان نستل سيوفنا لاجل يهودية . ولكن أسمراء هي ام بيضاء

فخر الدين — قرأت بعض الاشعار التي نظمها متغزلاً بها فرأيته يشبهها بالبدر والنجم من كواكب الليل وهذا يدل على انها سمراء

الملكة — اني اكره اليهود جداً ولكنني اسمع ان نساءهم جميلات

فخر الدين — متى ملكنا سورية ننفيهم كلهم منها

الملكة — نعم كانت سورية مملكة بل كانت ممالك

فخر الدين — وستعود مملكة وتملكين عليها ايتها الملكة ويتم ما اتمناه وهو غرض حياتي

الملكة — وما هو

فخر الدين — هو وصية امي التي اوصتني بها قبل موتها ولم ابح بها الى مخلوق قبل الآن

الملكة — اذاً انت تتذكر امك

فخر الدين — كلاً ولكنها تركت وصيتها مع مرضعتي وهي اخبرتني بها لما بلغت سن التمييز

الملكة — وما هي وصيتها

فخر الدين — ان ابني هيكلاً من الرخام في دير القمر لآلهة السوريين

فتهلل وجه الملكة وقالت ما اجمل ذلك

فخر الدين — فيعود اهالي لبنان الى دينهم القديم

الملكة — وما يفعل بك الكهنة الذين كنت تعتمد عليهم

فخر الدين — ماذا فعل الكهنة والكاهنات لما تنصر اهالي سورية . صاروا قسوساً وراهبات فيعودون الآن الى ما كانوا عليه

الفصل السادس

مضى تنكرد وفخر الدين وطافا في البلاد المجاورة وتعرَّفا بامرائها ومشايخها لكي يكونوا ظهراء لها . وكأنَّ هواء الجبال اعاد البهجة والسرور الى نفس فخر الدين فعاد ينظر الى تنكرد نظر الصداقة والوداد. وقضيا في التطواف ثلاثة ايام ثم عادا الى الحصن حيث تقيم الملكة ولما بلغا دارهُ الخارجية رأيا فيها جنوداً من الاتراك مجرَّدين من سلاحهم وجمالا وامتعة مختلفة وكثيرين من النصيرية بالاسلحة الكاملة . فسأل فخر الدين ما هذا فقيل لهُ انهم اسروا حريم والي حلب . فنظر الى تنكرد وقد ابرقت اسرَّتهُ وقال لهُ لقد نشبت نار الحرب

وما كادا يستريحان من وعثاء السفر حتى اتاهما الوزير كفرنيس وسلَّم عليهما وحدثهما حديثاً طويلاً مبهما لم يفهما منهُ غير ان رجالهُ اسروا حريم والي حلب . فقال لهُ فخر الدين ان اسر حريم الوالي ليس بالامر السهل ولا بدَّ من مشاكل كثيرة تتلوهُ فقال الوزير ان علم المستقبل

ليس في يدنا حتى علم الماضي يجهله اكثر الناس فكيف يعملون المستقبل. ثم سأله فخر الدين عن صحة الملكة فقال انها كثيرة المشاغل في هذه الايام فقال فخر الدين اذا احتجتم الى نجدة فكل اهالي لبنان تحت امركم

فاحنى كنرنيس رأسهُ وقال . لا شك ان من المشاكل ما لا ينفض الاَّ بالسيف ولقد احسن الامير الكريم في ما قال واصاب كبد الصواب ولكن من المشاكل ما ينفض بالكلام وحسن السياسة . ولا يظهر مما حدث حتى الآن انهُ لا بدَّ من امتشاق الحسام وايقاد نار الحرب بين رعيَّة ملكتنا المجيدة وسكان مدن الساحل كما انهُ لا ينكر ان الحرب تكون احياناً كثيرة احسن فيصل في حل المشاكل. ولا تخلو المجاملة من الفائدة ولو مع الاتراك كما انهُ لا ينكر ان باشوات الاتراك من اكره الناس الينا

فقال فخر الدين لو كنتُ مكان الملكة ما ارجعت حريم الباشا اليهِ بل كنت اضرم نار هذه الحرب حالاً لان حامية حلب ضعيفة جدًّا وقد اضطرَّت الدولة ان ترسل ست اورط منها الى دير القمر . والناس في لبنان خالدون الى السكينة ولكن اذا ارسلتُ رسالة واحدة الى الشيخ فرنسيس الخازن قام اهل الجبل واضرموا خمسين نارًا حوالي بيروت فيبعث الكولونل روز الى السر كننغ يقول لهُ ان الجبل قد ثار كلهُ ويبعث رسالة الى الوزير ابردين يملأها باخبار حرق القرى وذبح النساء

وعند الغروب ارسلت الملكة الى الاميرين تقول انها تسمح لهما بمقابلتها ولماَّ مثلا بين يديها هنأتها برجوعهما سالمين وسألتهما عما رأيا في سياحتهما وعما فعلا وعمَّن شاهدا واشارت في اثناء الحديث الى ما حدث عندها وان رجالها اسروا حريم والي حلب فقال فخر الدين انني كنتُ اتكلم الآن مع حضرة الوزير وقلتُ لهُ ان كل رجال لبنان تحت امر جلالتك

فقالت عندنا العدد الكافي من الرجال ايها الامير الكريم وهذا ليس مرادي ولا غرض لي بالحرب فان كان الوالي يتنازل عن خراج القرى التي طلب خراجها فانا ارد اليهِ حريمهُ عن طيب نفس وان ابي عدنا الى البحث في هذا الموضوع . واكره ان تمتزج مسألة الحريم بالمسائل السابقة لها . ومع الحريم امرأة بارعة الجمال وهي ليست تركية واظنها نصرانية من سكان المدن لكنها غائصة في بحار الحزن ولا تجف لها دمعة حتى كدتُ اشاركها في حزنها . وهي لا تبكي لانها اسيرة بل لان عزيزًا لها قتل. وقد زرتها وحاولتُ تعزيتها وطلبتُ منها ان تنسى حزنها وتبقى عندي رفيقةً لي ولكن لم يفد الكلام معها شيئاً ولا تزال تسكب العبرات من عينين لم ارَ احلى منهما

وحينئذٍ دخلت شبرا وعلى وجهها علامات الاضطراب ودنت من الملكة وكلمتها بصوت منخفض وظهر من كلامها ان الاسيرة طلبت انْ ترى الملكة وخافت شبرا ان تدخلها الى مولاتها في حضرة الاميرين لانها كانت تعلم ان نساء الدروز والموارنة لا يدخلون مجالس الرجال مثل نساء النصيرية فقالت لها الاسيرة انها لا تأنف من دخول مجالس الرجال فاتت لتخبر مولاتها وتستأذنها . فكلمت الملكة كفرنيس في ذلك فقال انهُ لا يرى مانعاً من دخولها فاذنت لها في الدخول . وكان كفرنيس جالساً الى جانب الامير فخر الدين فاغتنم فرصة كلام الملكة مع شبرا وجعل يكلم فخر الدين في امر آخر وكان قد ملأ اذن الملكة من مدحهِ والاطناب في شهامتهِ وبسالتهِ وفائدة المحالفة معهُ لانهُ اذا تحالف النصيرية واهالي لبنان وكانوا يداً واحدة فلا يبعد انْ تنحلّ مملكة آل عثمان قريباً فيسهل عليهم انشاء مملكة قوية في بلاد الشام . فاخبر فخر الدين بما دار بينهُ وبين الملكة من الحديث فابرقت اسرّة فخر الدين وجعل يثنيهِ ويقول لهُ انا نبني هيكلاً لآلهة سورية في دير القمر ونخلص من الاساقفة والرهبان الذين يشربون خمري ويدخنون تبغي ولا يفيدونني شيئاً. وانت ذهبت الى بيت الدين ولم تذهب الى قنوبين ولكن نسبة بيت الدين الى قنوبين كنسبة السعي الى القمر فان الرخام الذي فيها وحدهُ كلّف عشرة آلاف كيس فتمّ لي هذا الامر وقصر قنوبين لك

ولما كان كفرنيس يتكلم مع فخر الدين اشارت الملكة الى تنكرد ليدنو منها فدنا فقالت لهُ أتحلم وانت نائم . فقال ان الحياة كلها حلم في ما يقال . فقالت يا حبذا لو كانت حلماً ولكني ارى فيها من الالم ما لا يكون في الحلم . فقد حلمتُ منذ ليلتين ان اليهود استولوا على هذا الحصن واظن انك ذكرتهم لي كثيراً حتى صرتُ احلم بهم في نومي . فقال ان ذكرهم امر لا بدَّ منهُ لان الشريعة التي سنها واحد منهم لا بدَّ من ان تشمل العالم . فقالت ولكن ذلك لا يسرني واستاء كثيراً اذا تمَّ الحلم الذي حلمتهُ . فقال لتكن احلامكِ كلها فرحاً وسروراً ايتها الملكة الجليلة . فقالت كنتُ احسب الحياة فرحاً وسروراً ولكنني لا اجدها كذلك الآن . فقال ولماذا . فقالت يا حبذا لو كنتَ تحلم حلماً مثلي فتعلم لماذا ولكن الحياة كلها بافراحها واتراحها ظل زائل تأتي وتمضي كالطيور القواطع . فقال كالحمامة التي بعثتِ بها الى خادمكِ في دمشق . فقالت يا حبذا لو لم ارسلها . فقال متى تمت الاعمال العظيمة المترتبة على زيارتنا لا تعودين تندمين على ارسالها . فقالت انا امرأة والنساء لم يُخلقن للاعمال العظيمة بل للاعمال الجميلة . فقال اظنكِ لا تزالين تفكرين بالهة السوريين . فقالت كلاَّ ولكن هات أخبرني أصحيح ما يقال من ان النساء اليهوديات جميلات جدًا . فقال كذا يقال عنهنَّ . فقالت ولكن ماذا تقول انت .

فقال اني رأيت منهن نساء جميلات جدًّا . فقالت ايشبهنَ التماثيل التي في هيكلنا . فقال كلاَّ لان الشكل اليهودي غير الشكل اليوناني ولكن الفريقين من اجمل طوائف الناس . فقالت ولكني اراك تفضّل الجمال اليهودي على اليوناني . فقال انا لستُ ثقةً في هذا الموضوع مع اني احب رؤية الجمال . ولما قال ذلك سمعت الملكة صوت شبرا داخلة فقالت لهُ هذه اسيرتنا آتية ولكَ ان تطلق سبيلها اذا اردت اظنها شركسية ولم أرَ اجمل منها في حياتي واظنها اجمل من تلك اليهودية التي بلغني انك مغرم بها . ولما قالت ذلك اضطرب تنكرد وقبل ان يجيبها بكلمة دخلت شبرا ومعها الاسيرة فازاحت النقاب عن وجهها فاذا هي حواء

الفصل السابع

يتصل بحصن ملكة النصيرية غُرَف كثيرة قديمة العهد منقورة في الصخر الاصم تحفظ فيها الكنوز او يسجن الاسرى . في غرفة منها باردة مظلمة لا يصل اليها النور الاَّ من ثقب صغير في سقفها فتاة بديعة الجمال ملقاة على فراش من القش . حواء بنت بسو فتاة ربيت في الرفاهة والنعيم مطلقة القياد تفعل ما تشاء وتعمل ما تريد متمتعة بحرية لم يتمتع بها بنات المشرق ولا بنات المغرب طُرحت في هذا السجن السحيق في حالة يرثي لها الجماد

توالت الكوارث عليها في اسبوع من الزمان على اسلوب ادهشتها غرابتهُ فانهُ منذ اقل من عشرة ايام قام بها ابوها من دمشق ذاهبًا الى حلب لتزفَّ فيها الى خطيبها فلما وصلا الى حمص لقيتهما فرقة من الجنود التركية ارسلها والي حلب بطلب خطيبها هلال بسو تحرسهما في الطريق خوفًا من النصيرية لكنَّ هذا الحذر لم يجدِ نفعًا لان النصيرية باغتوا الجنود على نصف مرحلة من حلب واثخنوا فيهم وجرح ابو حواء وهو يدافع عن ابنتهِ وأُسرت هي وجواريها وأُتي بهنَّ الى حصن ملكة النصيرية

وظنّت حواء ان اباها وقع قتيلاً فشغلها حزنها عليهِ عن امر نفسها حتى فقدت صوابها وبقيت مدَّة لا تعي شيئًا . ثم لما افاقت من دهشتها واخذت تفكر في امر نفسها سمعت من شبرا ان تنكرد وفخر الدين في ذلك الحصن وتذكرت ما ابدتهُ لها الملكة من دلائل الحب والوداد لما عرضتهُ عليها من ان تكون رفيقة لها لا اسيرة عندها فطلبت من شبرا ان تستأذن لها في مقابلتها عساها تجد سبيلاً للكلام مع صديقيها تنكرد وفخر الدين فتستشيرهما في البحث عن ابيها وعما يجب عليها فعلهُ لكن جاء الامر على ضدّ ما تريد لانهُ لما رأت الملكة ان تنكرد وفخر الدين عرفا اسيرتها واندهشا من رؤيتها واظهرا العطف عليها والحب لها غارت منها واغتاظت واشارت الى فخر الدين فدنا منها وسألتهُ بعض المسائل ثم نهضت من مجلسها وانصرفت

من غير ان تحييها تحيةَ الوداع على جاري عادتها . وكانت حواء نازلة في غرفة من غرف الملكة اما الآن فقادوها الى السجن فباتت فيهِ تلك الليلة وجانباً من النهار التالي وهي لا ترى احداً الاَّ شبرا وكانت تسألها عن سبب غيظ الملكة فلا تجيبها بشيء بل تشير اليها بانها ممنوعة من الكلام معها

حالة تحار فيها الافهام و يهجر المرء ذكاؤُهُ . ومن لا يحار بليَّة تقع بهِ بغتةً وهو لا يدرى لها سبباً ولا يجد من يرشده الى مغزاها . مصاب عظيم وسرٌ غامض ضاقت بها ذرعاً فغاصت في بحار الحزن والهم ولم تعدْ ترى امام عينيها الاَّ النظرة الاخيرة من ابيها وهو على الارض متمرغ بدمائهِ . و بينما هي على هذه الحال واذا بصوت يناديها باسمها و يقول حواء حواء . فقالت من انت ولما قالت ذلك رأت شبحاً يتقدَّم منها ثم طرح عنهُ عباءة كبيرة كان ملتحفاً بها فصرخت فخر الدين ما هذا وماذا جرى . وكان فخر الدين مضطرباً فقال لها هلمَّ معي حالاً ولا يمكننا ان نتأخر دقيقةً واحدة

حواء — لماذا والى اين فقد كان قصدهم السلب لا غير وقد سلبونا فماذا غيَّر افكارهم الآن . وامس اظهرت الملكة لي مزيد الحب والاكرام ولم ارتضِ بما فعلتهُ معي حينئذٍ لان الحزن على ابي كان غالباً عليَّ . ثم لما رأيت انني صرت بين اعز اصدقائي الذين يحق لي ان اعتمد عليهم في الشدة وكنتُ اتمنى ان يتصل بهم خبري تغيرت الحال بغتةً والآن انا سجينة في هذا السجن المظلم وانت تكلمني كأن حياتي في خطر

فخر الدين — نعم في اشد الخطر

حواء — ولماذا

ففرك كفيهِ وقال في اشد الخطر قومي حالاً واتبعيني

حواء — انا لا يهمني امر نفسي ولا امشي خطوة من هنا ما لم تخبرني عن سبب هذا الانقلاب

فخر الدين — الملكة غيرى منكِ لانها تحب الامير الانكليزي وهو سبب كل ما جرى

حواء — أهو سبب كل ما جرى والملكة غيرى مني كيف تغار مني وانا لم اكلها عشر كلمات وامس طلبتْ مني ان اكون رفيقةً لها . هذا امر لا اصدقهُ يا فخر الدين

فخر الدين — ولكنهُ صدق فانها غيرى منكِ وهي محبة لعنة الله عليهِ وعليها وقد أُخبرتْ انهُ يحبك

حواء — من اخبرها ومتى كان ذلك

فخر الدين — أُخبرتُ انهُ يحبُّ ابنة رجل يهودي من دمشق اسمهُ بسو فلما تقابلتها واظهر انهُ يعرفكِ جرى ما جرى وقد بذلتُ جهدي لكي اقنعها انكِ لست الابنة التي يحبها بل ابنة عمها فلم تقتنع وبذلتُ جهدي لكي انجيك فلم افلح والآن انتِ في اشد الخطر

فاطرقت حواء قليلاً ثم التفتت اليهِ وقالت انتَ الذي اخبر الملكة بهذه القصة الملفقة انت اخترعتها واخبرتها بها وليس غيرك ولا يهمني ان اعرف ما هو الحامل لك على ذلك لانني اعلم انك تستحلُّ كل شيء في سبيل اغراضك . اليكَ عني ولا بدَّ لي من ان اقابل الملكة بنفسي واقص عليها واقعة الحال كما هي وانا واثقة انها تصدقني وان الصدق يغلب الكذب وان لم يغلبهُ فلا مأرب لي في الحياة . ولا بدَّ من ان افعل ذلك بنفسي لانني لا اقدر ان أئتمنك على شيء

ولمَّا قالت ذلك اخذ فخر الدين يبكي وينتحب ويتوسل اليها ويقول — يا حواء يا اختي يا حبيبتي انا اخبرتها بذلك نعم انا اخبرتها بجهلي وطيشي وقد نلتُ جزاء ما فعلتُ وخربت مستقبلي بيدي فان هذا الافرنجي كان الحاجز الوحيد بيني وبين الاقتران بهذه الملكة وهي على ما ترين من الجمال وعلو الشان ولو اقترنتُ بها وانضمت بلادها الى بلادي لصار منهما مملكة قوية منيعة وذلك غرضي من الدنيا . نعم انني احببتها واردتُ ان اقترن بها ولا اخالك تلومينني على ذلك يا حواء لانكِ تعلمين انكِ لو رضيتِ ان تقترني بي انتِ ما كنا وصلنا الى ما وصلنا اليهِ الآن وكنا الآن عائشين في اتم الرفاهة لكن مضى ما مضى وانا اتعس خلق الله.

ولما رأيتُ انها تحب هذا الامير الانكليزي اردت ان اقنعها بانهُ يحب غيرها فذكرتُ اسمكِ لها إما لانهُ اول اسم خطر ببالي او لانني اظن انهُ يحبكِ حقيقة فنجحتُ في ذلك ورشيتُ وزيرها فجعل يحسّن اموري في عينيها . فكيف كان يمكن ان يخطر ببالي انكِ تأتين الى هنا . ولما رأيتكِ في مجلسها شعرت ان كل ما بنيتهُ هُدِم وبذلتُ جهدي لاصلح الامور فلم افلح لان تنكرد ارعن لا يعرف كيف يداري والملكة فتية قليلة الخبرة وهي الآن كاللبوة الفاقدة اشبالها

حواء — لا يزال النحس طالعك وطالع كل من يصاحبك فكيف اتبعك الآن

فخر الدين — اكدي اني ما عدتُ اهتمُّ بامر نفسي مطلقاً ولا يهمني الاَّ نجاتكِ فسامحيني عمَّا مضى كما سامحتني مراراً كثيرة من قبل . وانا ليس لي الآن صديق في الدنيا غيركِ ولا يهمني الاَّ نجاتكِ

حواء — أصحيح ان حياتي في خطر اكيد او انتَ تبالغ في ذلك

فخر — نعم في خطر اكيد

حواء — انتَ لا تعرف قيمة الصدق ولم تجرب ما يفعلهُ دعني ارَ الملكة واخبرها بواقعة الحال

فخر الدين — يستحيل ذلك لانها الآن كالمجنونة حتى ان الوزير كفرنيس اخبرني هذه الدقيقة انهُ لا يستطيع ان يقف امامها من شدَّة غيظها . ولا فائدة من ذهابكِ اليها لانها ولا اخفي عليكِ تحسبكِ الآن في عداد الاموات

حواء — في عداد الاموات كيف ذلك واين صديقك وهل يعرف هو ذلك

فخر الدين — كلاَّ لا احد يعرف ذلك غيري فان الملكة استدعتني البارحة فرأيت انهُ من المحال ان احاول صرفها عن عزمها لئلا تظن السوء فينا كلنا ولا تصدقني لو صدقتُها ورأيت انها صممت النية على قتلكِ فلم ارَ لي سبيلاً الاَّ تصويب رأيها ومجاراتها على عزمها وقلتُ لها ان اباك خرب بيتي وان هذه هي اول فرصة لاحتْ لي لانتقم منهُ وقد مضت السنون وانا في انتظار هذه الفرصة وطلبت منها ان تكل قتلكِ اليَّ لاشفي غليلي ولو لم اطلب منها ذلك لوكلت غيري بقتلكِ وقضي الامر

حواء — أَإِليكَ وكلت امر قتلي

فخر الدين — نعم وقد طلبتُ ذلك منها لكي اتمكن من انقاذك

حواء — لا تنقذني فاني صرتُ اكره الحياة بعد ان فقدت من اعطاني الحياة

فخر الدين — ما هذا الجنون أهلكتُ نفسي لكي اخلصكِ واغضيت عن مملكة لكي اردك الى ابيكِ سالمة وانت تعاملينني هذه المعاملة . وقد رشيت كفرنيس واخذتُ منهُ جوازاً لفتح الباب وثوبين من اثواب المماليك لي ولكِ واعددتُ جوادين لنا وهما امامَ الباب الآن وفي اقل من يومين نصير في بلاد الامان

حواء — لا اهرب هرباً ولا يحل لك ان تهرب وتترك رفيقك الذي قدتهُ الى هذه التهلكة

فخر الدين — هو ادرى منكِ ومني بامر نفسهِ وقد تبقيهِ الملكة اسيراً عندها ولكن لا يمكن ان تقتلهُ لانها تحبهُ ولا تمتلك القلوب بقطع الرؤوس . والآن فات الوقت علينا فقومي معي يا حواء قومي يا اختي والاَّ فات الوقت ولم استطع تخليصكِ . قومي وافتكري بابيك وبجزعهِ عليكِ وشوقهِ اليكِ . ولما قال ذلك اعولت حواء في البكاء وقالت اوَّاهُ قتلوهُ فاين اراهُ . فقال لها كلاَّ بل هو حي وقد اخبرني واحد من الجنود انهُ جُرح جرحاً طفيفاً وحملوهُ وساروا بهِ وهو الآن في حلب من غير شك

حواء — حملوهُ حياً من قال ذلك

فخر الدين — نعم حملوهُ حيًّا وقد اخبرني واحد من الجنود المأسورين هنا ان جرحهُ غير ذي خطر وانهُ تكلم معهُ

فركعت حواء على ركبتيها ورفعت يديها الى السماء وقالت يا اله آبائي الجالس على عرش الرحمة

فقال فخر الدين نعم ليس غير اله آبائكِ ولو كنتِ تعرفين ماذا يعبدون في هذه المغاير لهربتِ منها من نفسكِ فانهم يعبدون الاصنام والملكة عشقت هذا الامير الانكليزي لانهُ يشبه صنمًا من اصنامها فقومي بنا قبل فوات الفرصة

حواء — وكيف عرف هذا الرجل ان جرح ابي غير ذي خطر

فخر الدين — ستربنهُ بنفسكِ وهو يخبركِ لانهُ مع خيلنا الآن فقومي والبسي هذه الثياب وكل دقيقة تمضي لا يمكننا التعويض عنها

حواء — ألا ترى انهُ من العار علينا ان نترك هذا الامير هنا بعد ان اكل معنا الخبز والملح فيكون دمهُ على رؤوسنا

فخر الدين — ان كان امرهُ يهمكِ بهذا المقدار فاهربي لاجلهِ لانكِ اذا هربتِ تصيرين قادرة على مساعدتهِ بالف طريقة كأن اعود انا مثلاً وانقذهُ او ندبر طريقة اخرى لانقاذهِ واما ما دمتِ هنا فانت وهو تحت الخطر

حواء — اقسم لي بشرفك اننا اذا اجتزنا حدود هذه البلاد تعود الى هذا الامير وتنقذهُ

فخر الدين — نعم اقسم بشرفي وديني وكل عزيز لديَّ

الفصل الثامن

لما رأى تنكرد حواء في مجلس الملكة على ما تقدَّم وعلم انها اسيرةٌ في قبضة يدها طار صوابهُ واقبل على فخر الدين بعد خروجهما من مجلسها يسألهُ عما يعلمهُ من امرها وعن الوسائل التي يجب ان يستعملاها لنجاتها فرآهُ اسِفًا مضطرب الافكار غائصًا في بحار اليأس لا يدري ما يقول ولا بما يشير. فعزا اسفهُ وحزنهُ الى رؤيتهِ حواء في الاسر ولكنهُ لم يفهم سبب اضطرابهِ لانهُ كان يعلمهُ واسع الحيلة لا تصدهُ المصاعب ولا تقعدهُ المتاعب . حتى اذا بلغا غرفتيهما انطرح فخر الدين على سريرهِ وهو يتأوَّه ويتململ كمن ضاقت الدنيا في عينيهِ ثم نهض وجعل يمشي في غرفتهِ ذهابًا وايابًا ويفرك كفيهِ . ولم يجب تنكرد الاَّ بما يشفُّ عن خوفهِ على حواء لانها وقعت في يد اناس لا يشفقون ولا يرحمون

وحاول تنكرد ان يقابل كفرنيس و يسألهُ عن جلية الامر فلم يحظَ بهِ ومضى ذلك الليل ولم يغمض لهُ جفن ونهض في الصباح باكرًا وجاء الى غرفة فخر الدين فلم يجدهُ فيها وكان من

عادة كنفرنيس ان يزورها في الصباح فلم يزرها ذلك اليوم ومضى باروني ليسأل عن حواء ويقف على ما يمكنهُ الوقوف عليهِ من امرها فشعر تنكرد كأنهُ صار وحيداً في هذه الدنيا وعزم ان يقابل الملكة ويسألها عن حواء ويطلب منها ان تطلق سبيلها بناء على بينها وبين الامير فخر من رابطة القرابة وعلى فضلها عليهِ نفسهِ وعلى آدابها وفضائلها لكنهُ لم يجد من يستأذن لهُ في الدخول على الملكة

وقبل الظهر بساعتين جاءهُ باروني يقول لهُ ان الملكة دخلت الى الهيكل الاعظم هيكل الآلهة . فعزم ان يتبعها اليهِ وسار من ساعتهِ من غرفة الى أُخرى الى ان وصل الى باب النحاس فوجدهُ مقفلاً فوقف لا يدري ما يفعل وبينما هو واقف سمع صوت المرنمين في الدهليز ثم انفتح الباب في وجههِ فحجبهُ احد مصراعيهِ عن الانظار وخرج منهُ موكب عظيم من الغلمان والجواري والكهان وهم ينشدون نشيداً رخيماً ولم تكن الملكة معهم ولما خرجوا كلهم دخل من الباب فلم يلتفت اليهِ احد وأُقفل الباب وراءهُ فامسى في ظلام دامس لكن الظلام قلَّ رويداً رويداً فسار في السرداب والنور يزيد اشراقاً الى ان دخل الى الدكة المكشوفة التي امام باب الهيكل آخر ملجإٍ لجأَت اليهِ الهة اليونان بنات عقولهم ونتائج فنونهم الراسخة في الرخام والمرمر في جوف الارض وصلد الصخر . فدخل كمن يدخل هيكلاً قدسياً بالرهبة والوقار ومشى رويداً رويداً الى ان دنا من تمثال ابلُّو معبود اهالي انطاكية فرأى الملكة جاثية امامهُ على ركبتيها شاخصة اليهِ لا حراك بها كأنها في حلم او ذهول

وكانت الشمس قد تكبدت السماء والقت اشعتها على هذا التمثال فجللتهُ بالبهاء وحوَّطتهُ بهالة ذهبية من الضياء فلما وقعت عينهُ عليها احجم الى الوراء فوقع خيالهُ على الجدار امامها كأنهُ تمثال آخر تجلَّى لها فذعرت ونهضت على قدميها والتفتت الى ما وراءها حتى اذا وقعت عينها على عينيهِ اطرقت الى الارض وقد علت وجنتيها حمرة الخجل

فقال بصوت منخفض كنتُ عازماً على الرجوع من حيث اتيت

فنظرت اليهِ بانكسار وقالت بصوت رخيم ولماذا ترجع

فقال لاني لم اكن اعلم انكِ وحدكِ في هذا المكان

فقالت نعم انا وحدي وقد طالت وحدتي حتى كرهتُ الوحدة . ثم مشت في الهيكل ومشى تنكرد معها الى ان وصلت الى الرواق المكشوف فوقفت . ورأَى تنكرد انها لا تنوي التقدم الى الامام فقال هذه فرصة للكلام معها في امر حواء فابتدرها بالكلام عنها وافاض في وصف فضائل ابيها بسو ومكارم اخلاقهِ ثم استطرد الى حواء وبالغ في اطرائها حسبما املى

عليهِ قلبهُ فذكر ادبها ولطفها وشهامتها وشجاعتها الى ان قال ومن ثمَّ لا تستغربين ما اصابني من الدهشة لما رأيتها امس اسيرة ولكنني تعزيت لانها في اسرك لا في اسر سواك ولذلك بادرت لاعرض امرها على جلالتك واتوسَّل اليك لتطلقي سبيلها وتعامليها بما تستحق من الاكرام

فقالت نعم اني لا استغرب شيئًا من ذلك

فنظر اليها لانها قالت ما قالت بصوت الغيظ فرأى وجهها قد تغير من السكينة والبشاشة الى الاضطراب والعبوسة . ثم قالت اني لا استغرب ذلك ولكني لا اساعدك على العبث بشرائع بلادك وقوانين امتك

فقال لها ما معنى ذلك

فقالت أَوَيخفى عليَّ امرك فانك تريد ان تستخدمنا آلة لاغراضك حتى تنصب على عرش بلاد الشام فتاة لا تجوز لها السكنى في بلادك

فقال لها مَن تعنين

فقالت اعني هذه اليهودية التي مرادك ان تتزوج بها رغمًا من كل الشرائع والقوانين الارضية والسموية

فقال . أَصحيح انك تظنين ذلك أَتصدقين اني انا الذي اتيت الى هذه البلاد بامر ديني ولا غرض لي غير دعوة الناس الى دين الحق اقصد من وراء ذلك ان اقترن بابنة يسو ولكن هي اني معجبٌ بمحاسنها وفضائلها فكيف اطمع بالاقتران بها وهي مخطوبة لابن عمها وليس عندي اقل دليل على انها لا تحبهُ

أَمخطوبة هي

نعم مخطوبة وكانت ذاهبة الى حلب مع ابيها لما التقى بها رجالك لكي تزف الى خطيبها

فتغير وجه الملكة وصمتت برهة ثم قالت أَصحيح ذلك

فقال نعم وهل اخبرك احد بما يخالفهُ

فقالت ان عدوًّا لها وليت ابيها اخبرني عنها ما ينافي ذلك . قالت هذا ونظرت الى تنكرد بملء عينيها كأنها تريد ان تستطلع ما في قلبهِ . ثم قالت ومع هذا لا أَرى في وجهك غير سمات الصدق

فقال وعلى مَ لا اصدقك الخبر واي علاقة لي بهذه الامور كلها

فقالت اصبت لا علاقة لك بها ولا يهمك شيءٌ من امرنا. ولما قالت ذلك جالت الدموع في عينيها

فقال انهُ ليسوءني ايتها الملكة المجيدة ان اراك حزينة

فقالت اني حزينة جداً لان هذه الفتاة المسكينة — ثم خنقتها العبرات فلم تعد تستطيع الكلام

فقال لا اسهل من اصلاح ما مضى اذا ارسلتها مكرمةً الى اهلها فقد بلغني ان اباها لم يزل في قيد الحياة فاذا رآها زال ما حلَّ بهم من الكرب ونسوهُ سريعاً وسررتِ انتِ بانكِ فعلت ما امتزتِ بهِ من كرم الاخلاق وطيب الاعراق وهي تنسى ما حلَّ بها سريعاً حالما تعود الى ابيها وعريسها

فقالت هيهات ثم هيات فقد نفذ المقدور

فقال ما تقولين

فقالت قضي عليها وصارت في عداد الاموات

فذعر تنكرد وقال معاذ الله معاذ الله

فقالت قضي عليها ولا شبهة عندي الان في انك كنت تحبها

فتأوَّهَ من كبد حرَّى وقال وا حسرتاهُ وا مصيبتاهُ نعم كنتُ احبها كنتُ احبها كما احبُّ كواكب السماء وشعاع الشمس لعنة الله على هذا المكان وعلى الساعة التي دخلتهُ فيها

فامسكت بيدهِ وقالت لا تلعن. فقال اذاً لم تزل حية ولا يمكن ان تكوني قد امرتِ بقتلها

فقالت يا حبذا ذلك ان كان قتلها يجلب علينا اللعنات

فقال . متى حدث ذلك

فقالت منذ ساعة من الزمان

فقال لا اصدّق ولا يجسر احد ان يمد اليها يداً. هلمي نذهب اليها

فقالت هيهات فان الموكل بقتلها عدو الدّ لها

فقال عدوٌ الدُّ . من يمكن ان يكون عدوًّا لها بين قومك

فقالت عدوٌ الد كان يتوقع الانتقام منها ومن اهلها منذ سنين كثيرة

فقال هذا من اغرب ما طرق مسامعي ومن هو هذا العدو

فقالت هو صاحبك الامير الشهابي

فصرخ قائلاً " ألقاتل سفاك الدماء عدو حواء . ولكني لا اصدّق . لا بدَّ من سرٍ غامض في هذا الامر هلمَّ بنا هلمَّ نسرع لانقاذها

فقالت هو طلب مني ان يقتلها بيدهِ اخذاً بثأرهِ من عائلتها

فقال تنكرد أيقتل بيدهِ اختهُ في الرضاع وصديقتهُ الوحيدة التي رضع معها ثدياً واحداً

وكان يود الاقتران بها ولولا الاختلاف الديني بينهُ وبينها لاقترن بهِ

فقالت الملكة أتقول انها اختهُ في الرضاع . وقبل ان تتم كلامها دخلت شبرا وعلى وجهها امارات الاضطراب الشديد وقالت مضيت لارى الامير فخر الدين كما امرتني يا مولاتي فوجدتهُ انهُ خرج من الحصن ثم مضيت لارى الاميرة فوجدت انها هربت وثيابها التي كانت عليها ملقاة في ارض سجنها

فقالت الملكة اذًا هربت مع هذا الرجل الذي غشَّنا كلنا الذي اخبرني منذ ساعة من الزمان انها مخطوبة لك وحذرني منك ومنها لئلا تستعين بنا على امرٍ تحظرهُ عليك شرائع بلادك

فقال تنكرد قبحهُ الله ما اعظم دهاءهُ واكثر دسائسهُ

فقالت الملكة لا بأس بما جرى فقد اطمأن بالي الآن

فقال يا حبذا لو كانت مع رجل آخر غيرهُ ايًا كان

فقالت اراك تود ان تكون انت معها وترجعها الى اهلها

فنظر اليها واذا على وجهها علامات الاسف ممزوجة بالحنو والشفقة فقال نعم لقد حان لي ان اختم هذه الزيارة التي كدرت صفو عيشك ايتها الملكة

فاجهشت بالبكاء ثم قالت بصوت متقطع انت تطلب عرشًا تملك عليهِ فعلى مَ لا تقبل هذا العرش وتطلب انصارًا تحارب بهم والنصيرية اشد الناس بأسًا وحصني هذا ليس مثل قصور انطاكية التي تعرف تاريخها ولكنهُ حصين جدًّا لا ينالهُ طالب فتستطيع ان تجعلهُ مباءة لك تجري منهُ اعمالك وتصدر منهُ اوامرك

فقال اراني كنتُ سببًا في امور لا يد لي فيها ولا بدَّ لي من العود الى القفار الى قفار بلاد العرب استنشق نسيمها النقي فاجلي بهِ هذا الصدأ من نفسي

وكانت شبرا واقفة تنظر الى السماء فصرخت قائلة ها رسولنا الامين فالتفتت الملكة وتنكرد الى حيث اشارت واذا بقعة صغيرة في السماء ثم اخذت تزيد شيئًا فشيئًا الى ان انجلت عن حمامة من حمام الزاجل فوقعت على يد الملكة ففتشت تحت جناحها واذا بطاقة صغيرة يقال فيها "يقوم الوالي غدًا بخمسة آلاف من النظام قاصدًا بلادنا"

ولما قرأتها التفتت الى تنكرد وقالت لهُ امضِ بسلام لان بقاءك هنا الآن لا يخلو من الخطر عليك ولم يزل لك وقت للخروج من البلاد التي احببتك فاحتقرتها

فقال معاذ الله ان اتركها في ساعة الخطر ولا بدَّ لي من الخروج الى لقاء الاعداء في مقدمة جنودك

(البقية في الجزء التالي)

بناء الاجسام الحية

خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة برادفورد ببلاد الانكليز في ٥ سبتمبر الماضي برئاسة السر وليم ترنر استاذ التشريح في مدرسة ادنبرج الجامعة فخطب فيهِ خطبة الرئاسة وقال فيها بعد ديباجة وجيزة ما ترجمتهُ

الاسلوب العلمي

قال ادورد غبن المؤرخ ان الاجتهاد والتدقيق هما الصفتان اللتان يودُّ المؤرخ ان يُوصف بهما . ولا شبهة في انهما مزيتان لازمتان للبحث التاريخي ولكن لا تنتج منهما النتائج المطلوبة ما لم يكن لصاحبهما عقل راجح يؤهلهُ للبحث في المسائل التي يجمعها باجتهادهِ والتمييز بين صحيحها وفاسدها وادراك الاميال التي تتسلط على افعال الناس ومعرفة الامور التي تؤثر في احوال الامم تأثيرًا جوهريًا او ثانويًا

والاجتهاد والتدقيق صفتان جوهريتان في البحث العلمي ايضًا بهما تكشف امور جديدة وتُبوَّب وتُعلَم نسبتها بعضها الى بعض فتزيد معرفتنا بافعال الطبيعة . ولكن لا بدَّ من عقل راجح لمعرفة قيمة هذه الامور ودلالتها . اخبرنا وليم هارفي ابو المباحث الدقيقة في علم الفسيولوجيا في رسالة نشرها منذ اكثر من مئتي سنة عما كان يبذلهُ من الجهد يومًا بعد يوم مدة بحثهِ وعن التجارب الكثيرة التي جرَّبها واعاد تجربتها مرارًا . وقد اشار تكرارًا الى تفكيرهِ في مفاد ما كان يراهُ ويراقبهُ وبغير ذلك ما كان تسنَّى لهُ ان يعرف حركات القلب المختلفة ويثبت دورة الدم في الجسم كلهِ . وقد ابان كارل ارنست فون بير ابو علم الاجنة ضرورة قرن المشاهدة بالتبصُّر حينما قرن بين هاتين الكلمتين في فاتحة كتابهِ المشهور

وقرن المشاهدة بالتبصر واجب في كل العلوم كما هو واجب في علم الاحياء . واذا قرنا ايضًا بشيءٍ من التصوُّر والفراسة وحسن النظر في العواقب قادا الى اكتشاف حقائق جديدة ونواميس جديدة

فمدار الاسلوب العلمي على المشاهدة الدقيقة التي تتكرَّر مرارًا حتى لا يبقى فيها محلٌّ للخطاءِ وعلى التجارب التي تُنفى منها كل ما يمكن ان يقع فيهِ خطأ وعلى التبصُّر واعمال النظر للوصول الى النتائج المنطقية المترتبة على المشاهدات . ولو جرى كل الباحثين هذا المجرى لكنا في غنى عن اضاعة الوقت والتعب لاصلاح ما يقع في مباحثهم من الخطاءِ ولكانت الكتب التي تؤلف

سنوياً في تاريخ العلم اصغر مما هي الآن . ولو جرينا هذا المجرى في امورنا المعاشية ايضاً لنجونا من كثير من المشاكل فقد علمتنا التجارب الحديثة ان الحكمة والنظر في العواقب لازمان في تدبير امور العباد كما هما لازمان في المباحث العلمية واذا جرينا عليهما بلغنا الغاية التي نتوخاها

اصلاح وسائل البحث

ان بعض الوسائل لازم للبحث في كل العلوم على حدٍّ سوى ولكن لا بدَّ لكل فرع كبير من فروع العلم من وسائل خاصَّة للبحث فيهِ . ولا شيء تتقدَّم بهِ المعارف مثل اصلاح منهاج الفحص إما باكتشاف وسائل جديدة للبحث واما باستعمال الوسائل القديمة على اساليب جديدة. فالصنائع مثلاً يتسع نطاقها ويعتز شأنها باكتشاف مواد جديدة لها وتركيب مركبات لم تكن تستعمل من قبل واستنباط اساليب جديدة لمعالجة المواد التي تستعمل في الصنائع واختراع آلات جديدة . وكذلك العلم يتسع نطاقهُ ويزيد ايضاحهُ لاسرار الطبيعة باختراع الآلات والادوات الجديدة التي تكشف بها حقائق جديدة لم تكن مكشوفة من قبلُ او توضَّح بها حقائق كانت غامضة فيتجه تاريخ العلم وجهة جديدة ويصير لهُ سَنَد جديد يستند اليهِ في تقدُّمهِ وارتقائهِ

وليس من قصدي ان اشرح لكم الآن تاريخ تقدُّم العلوم التي يبحث فيها المجمع البريطاني ولا انا استطيع ذلك لو قصدتهُ . غير ان عملي الذي اشتغلت بهِ العمر كلهُ دعاني للبحث في العلم المتعلق ببناء الاعضاء التي في جسم الانسان واجسام الحيوانات وهذا العلم يشمل تشريح المقابلة وعلم الاجنَّة وعلم بناء الاجسام وعلم الحيوان وعلم الفسيولوجيا وعلم الانثروبولوجيا . وساحاول ان القي على مسامعكم بعض الامور الجوهرية والنتائج المهمَّة التي عُرفت في هذا الموضوع . ولما كانت هذه السنة هي خاتمة القرن التاسع عشر رأيتُ انهُ يليق بنا ان ننظر الى التغير الجوهري الذي حدث في ما نعرفهُ عن بناء الحيوان مدة هذا القرن لانهُ يخلق باهل العلم ان يقتدوا بالتجَّار في مراجعة اعمالهم وحساباتهم في ختام كل مدة ليروا مبلغ ما كسبوهُ وما خسروهُ

عُلِم من ايام اليونان القدماء ان جسم الانسان واجسام الحيوانات العليا مؤلفة من اعضاء مختلفة شكلاً ولوناً وبناء وقواماً وخواصَّ وهي العظام والعضلات والاوتار والاوعية الدموية والغدد والدماغ والاعصاب وهلمَّ جرًّا . ومع تراخي العصور وتكاثر الباحثين زادت معارف الناس بهذه الاعضاء وحاول البعض تقسيم الحيوانات حسب اختلاف اعضائها. وقام في اواخر القرن الماضي واوائل القرن الحاضر وليم هنتر وجون هنتر في هذه البلاد وعائلة مكل في المانيا وكڤيه وسنت هيلر في فرنسا ووسَّعوا نطاق علم التشريح واضافوا كثيرًا الى ما يُعرَف من بناء

اجسام الحيوانات لكنهم هم وغيرهم قصروا بحثهم على الاعضاء الكبيرة من جسم الحيوان واما بناء هذه الاعضاء فقلما نظروا فيهِ لانهم لم يستطيعوا ان يبحثوا في غير ما يُرى بالعين اوبالبلورة المكبرة فعرفوا ان العضلات والاعصاب والاوتار مؤلفة كلها من خيوط او الياف وان الاوعية الدموية واللمفاوية انابيب وان الاجزاء التي نسميها صفاقات ولفائف اغشية رقيقة وهلمَّ جرًّا

وقام في اوائل هذا القرن العلاَّمة بيشات الذي اشتهر في عصر بونابرت والَّف كتابهُ في التشريح العام ووضع فيهِ بعض المبادىء العمومية الجوهرية مثل ان كل حيوان مجموع من اعضاء مختلفة ولكل عضوٍ منها وظيفة خاصة بهِ وهي تفعل معاً لحفظ ذلك الحيوان . وهذه الاعضاء آلات خاصةٌ يتألف منها بناء الجسم العام . وكل عضوٍ منها مؤلف من انسجة لها صفات خاصة مختلفة. بعضها منتشر في الجسم كلهِ كالاوعية الدموية والشرايين والانسجة الليفية. وبعضها محصور في اماكن محدودة كالعظام والعضلات والغضاريف. فعرفت المبدأ العام في بناء جسم الحيوان ولكنهُ لم يعرف هو ولا تلميذهُ بكلار ماهية المواد التي تتألف منها اجزاء الجسم لان الوسائل التي كانت معروفة عندهما وعند غيرهما من العلماء لم تكن تكفي للوصول الى ذلك

وفي العقد الثالث من هذا القرن (اي بين سنة ١٨٢٠ وسنة ١٨٣٠) حاول البعض اصلاح طرق البحث عن دقائق الجسم الحي بعمل البلورات المركَّبة واصلاح ما فيها من الخطاءِ الكروي واللوني لكي تتكبَّر بها صور الاجسام ولا يكون في رؤيتها خطأٌ بل ترى واضحة جلية . ولمَّا قرأ جوزف جكسن لستر (ابو لورد لستر) مقالتهُ عن البلورات المركبة الخالية من الخطاءِ اللوني في الجمعية الملكية في شهر يناير سنة ١٨٣٠ ابان المبدأ الذي تتركَّب عليهِ هذه البلورات. وأُصلح الميكرسكوب بحذق صنَّاعهِ وتقدمت بهِ العلوم البيولوجية كما تقدَّم علم الفلك بواسطة اصلاح التلسكوب

ثم ان درس الدقائق التي في بناء النبات والحيوان يقتضي درس انسجةٍ واعضاء دقيقة لطيفة جدًّا يعسر الفرق بينها وتمييزها بعضها من بعض ولو كان الميكرسكوب بالغاً غاية الاتقان ولذلك اقتضت الحال ان توجد وسائل اخرى يسهل بها درس ابنية الاجسام الحية بالدقة التامة . ومن كان من ابناء هذا العصر وهو يرى نفسهُ في معمل بيولوجي كثير الادوات ومعهُ استاذ يرشدهُ في عملهِ وكتب توصف فيها اساليب البحث بالتدقيق والتوضيح — مَن كان كذلك يصعب عليهِ ان يتصوَّر ما كان يجدهُ سلفاؤُهُ من المشقة في مثل هذا البحث منذ خمسين عاماً فلم يكن عندهم معامل مجهزة للبحث البيولوجي الدقيق ولا كان احد يعلم علم الانسجة وعلم الاجنة بالعمل ولا كانت التجارب كثيرة بل كان كل احد متروكاً لسعيهِ واجتهادهِ يتلمَّس في

ظلام دامس . ولم تكن وسائل التلوين والتصليب معروفة . وكان العلماء يقطعون الرواميز الميكروسكوبية الدقيقة بالموسى ثم استنبط فالنتين السكين ذات الحدين فعُدَّ استنباطهُ من اعظم المسهّلات للبحث الميكرسكوبي اما آلات القطع المستعملة الآن فلم تكن معروفة حينئذٍ . وكل آلات البحث كانت محصورة في السكاكين والملاقط والمقاريض والابر مع الغليسرين وبلسم كندا . لكن الميكروسكوب المركّب الخالي من الخطإِ اللوني (اكروميتيك) كان في يد علماء التشريح آلة جزيلة الفائدة رغماً عن هذه المصاعب كلها فاستعملهُ كثيرون منهم بين سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٥٠ للبحث عن دقائق الاجسام الحية في النبات والحيوان

الرأي الخلوي

وقد عُرف منذ زمن طويل ان ابنية النبات مؤلف اكثرها من اجسام خلوية صغيرة سُميت خلايا او حويصلات . واكتشف روبرت برون النباتي المشهور سنة ١٨٢١ ان في كل خلية من خلايا النبات نقطة صغيرة مستديرة سماها نواة . ثم اكتشف شليدن ان هذه النواة عضو عام في النبات ورأى العلماء في انسجة الحيوان ما يشبه الخلية والنواة. ثم ابان العالم شوان سنة ١٨٣٩ ان اجزاء الحي الاصلية تجري في نموها على اسلوب واحد مهما اختلف شكلها الظاهر وهذا الاسلوب هو تكوُّن الخلايا فيها. واكتشاف هذا الامر اي ان الانسجة الاصلية مؤلفة من خلايا مزية كبيرة لهذا العصر مثل اعظم المكتشفات في العلوم الطبيعية لانهُ ارى علماء البيولوجيا الدقائق التشريحية التي هي ميدان الفواعل الخارجية الفاعلة بالاجسام الحية ونفى الاوهام السابقة التي تنسب انفعال الاجسام الحية الى الابخرة والارواح وارى علماء الفسيولوجيا والباثولوجيا الابنية الخاصة التي تتم فيها وظائف الاعضاء في الصحة والمرض. فتقدمت بهِ صناعة الطب تقدُّماً عظيماً ولذلك يليق بي ان اراجع لكم تاريخ ما نعرفهُ من امر هذه الخلايا

بناء الخلايا

الخليَّة دقيقة حية صغيرة جدًّا لا تُستوضَح الاَّ بالميكرسكوب . تكبر حجماً وتفعل وتنفعل بالفواعل القوية وتولّد خلايا من نوعها ثم تضعف مع الزمان وتموت

ولا بدَّ من النظر الى بنائها لمعرفة اجزائها وما يفعلهُ كل جزء منها في اتمام وظيفتها فقد ظُنَّ اولاً بناء على ما شوهد في خلايا النبات ان الخلية زق صغير مختوم جدارهُ المحيط بهِ فعَلَ افعالاً كياوية وحيوية بالمواد التي حولهُ وافرز ما في الخلية . ولكن ظهر بتوالي البحث ان كثيرًا من الدقائق الاصلية كان خلايا ولم يكن لهُ جدار يحيط بهِ ولذلك لم يعد الجدار شيئًا جوهريًا في بناء الخليَّة

ومن اجزاء الخلية الجوهرية السائل الذي فيها والنواة التي فيهِ . والنواة صغيرة جدًّا لا يزيد قطرها في اكبر الخلايا على جزء من خمس مئة جزء من العقدة وشكلها واحدٌ في الغالب ولا تفعل بها الفواعل الكيماوية حتى اقواها لكن علماء الانسجة لم يمنعهم صغرها عن البحث فيها من ايام مكتشفها روبرت برون فبحثوا عن بنائها وتركيبها الكيماوي وتكوّنها وما تفعلهُ في تكوّن الخلايا الجديدة ووظيفتها في التغذية والافراز

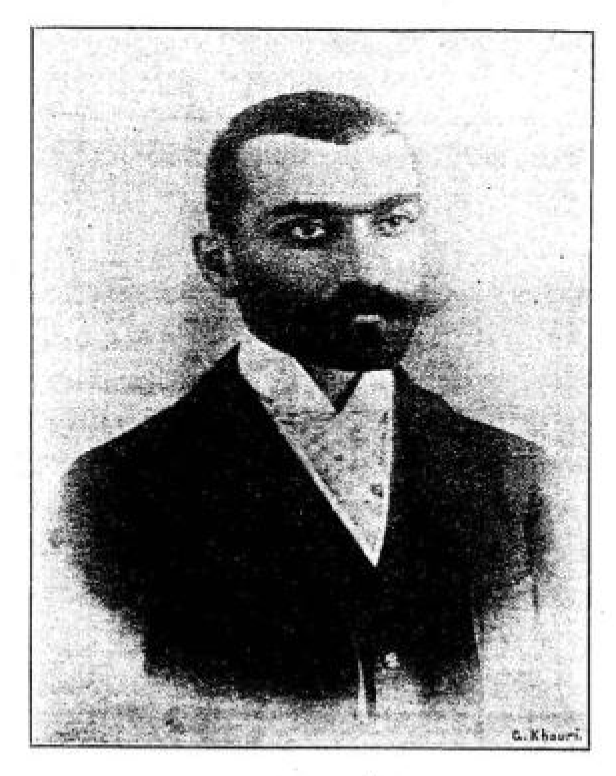
واذا نُظر الى النواة وهي في حالة السكون ظهرت مشمولة بغشاء يفصل بينها وبين السائل الذي في الخلية . وفي هذا الغشاء مادة فيها نويَّة او نويتان او اكثر وخطوط او الياف دقيقة جدًّا لها شأن في تكوين النويَّات الجديدة داخل النواة . والمادة التي في النواة مركبة كيماويًّا من سائل زلالي ومادة حُبيبية ومادة اخرى خاصة تسمَّى بالنكلاين كثيرة الفصفور تفعل فعل الحوامض . والظاهر ان الخيوط المذكورة مؤلفة من النكلاين ايضًا وهذا النكلاين يتلوَّن بالالعل ونحوهِ من الاصباغ فيظهر ما يحدث فيهِ من التغيرات وقت تكوُّن الخلايا الجديدة .

وقد كثر الخلاف في اصل النُّوَيَّات وما تفعلهُ في تكوين الخلايا الجديدة فان العالم شليدن الذي نشر مباحثهُ سنة ١٨٣٨ بحث في خلايا النبات وقال ان النويَّة لا تكون الاَّ في قلب الخلية واما العالم شوان الذي بحث في خلايا الحيوان فقال انهُ توجد في الاجسام العصبية مادة لاشكل خاص لها تسمى سيتوبلازتيا ومنها ما في الخلايا ولكنها قد تكون خارج الخلايا وقد شبهها بسائل الام الذي تتولد فيهِ البلورات . وان النويَّات تتكوَّن في هذه المادة إما في الخلايا او خارجًا عنها ومتى تكوَّنت النوية انضمت اليها الدقائق النووية وتألفت منها خلية جديدة . فاعتبر ان النويَّات والخلايا تتكوَّن إما داخل الخلايا او خارجًا عنها والاول قليل في الحيوان والثاني كثير فيهِ . وقد اتفق شليدن وشوان على انهُ ليس للنوية فعل دائم فتختفي غالبًا بعد تكوُّن الخلية

وذاع القول بان الخلايا تتولد في السوائل من نفسها بمباحث هنل استاذ التشريح في مدرسة غوتنجن الجامعة حتى غضَّ الطرف عن تولدها من الخلايا السابقة لها. وهذا سبب ما اعتقدهُ كثيرون ولا يزال البعض يعتقدونهُ من ان الخلايا الحية قد تتولد من غير خلايا حية سابقة لها اي ان الحي يتولد من غير الحي . ولا يمكن ان يقام دليل على فساد هذا المعتقد ولكن لم يقم دليل حتى الآن على صحتهِ فالدليل العقلي مؤيد لهُ ولكن الشواهد العملية تخالفهُ

(ستأتي البقية)

ميشال بسترس



لما انشبت المنية اظفارها بالحميد الذكر المرحوم ميشيل بسترس في الربيع الماضي اقترحنا على احد اصدقائهِ في بيروت الدكتور نقولا فياض ان يوافينا بشيءٍ من ترجمتهِ لما اشتهر عنهُ من اكرامهِ لرجال العلم وسعيهِ في اغاثة الفقراء والمساكين . وكتبنا الى وكيلنا فيها ان يبعث الينا برسم واضح لهُ لكن سفرنا الى اوربا منعنا من نشر الترجمة والرسم حينئذٍ فنشرناهما الآن لان الترجمات لا تعتق والفوائد لا تخلق ديباجتها . قال كاتب الترجمة

في ٢١ نيسان (ابريل) من هذا العام حدث في بيروت حادث مفجع مات فيهِ البعض من وجهاء البلدة وشبانها . وقد ذكرت الجرائد اليومية ذلك الحادث في حينهِ واظهرت كلها شديد

الاسف الذي اخلفهُ في القلوب انفجار البارجة سهام وما نسي الناس اسماء اولئك الشهداء الذين ذهبت ارواحهم ضحايا بين الماء والنار ولا سيما الشاب الرحاب العود وجيه قومهِ وبلادهِ المرحوم ميشال حبيب بسترس

ولد الفقيد في مدينة بيروت سنة ١٨٦٥ وجلس للتعلُّم في التاسعة من عمرهِ فدخل مدارس مختلفة وزار عواصم اوربا مرارًا واتى الاسكندرية وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمرهِ فأسس محلاً تجاريًا بعنوان ميشال بسترس وشركائهِ ثم عاد الى بيروت لاشغال لهُ فيها وهناك انتخب عضوًا في جمعية المستشفى الارثوذكسي ثم رئيسًا لها وكان عمرهُ اذ ذاك ٣١ سنة فما مضى مدة على توليهِ الرئاسة حتى تبدلت احوال المستشفى التي كانت لا ترضي الصديق ونجح نجاحًا بينًا فصارت غرفهُ على ازدياد ومرضاهُ على ازدياد ودخلهُ على ازدياد واصبح عدد اسرَّتهِ اربعين بعد ان كان ١٢ وبنيت فيهِ قاعتان كبيرتان الواحدة للعمليات الجراحية والثانية للاستقبال وصار لهُ املاك في الخارج منها بيتان في حي مار نقولا لا يقل ريعهما عن اثني عشر الف غرش. وقد بلغ مجموع ما دخل صندوق المستشفى في ايامهِ ٦ آلاف ليرة كل ذلك بسعيهِ وهمتهِ وحسن ادارتهِ. ولم ينحصر سعيهُ في مساعدة ابناء ملتهِ بل كان يمتد الى غيرها . وكثيرًا ما سمعنا الغرباء يذكرون احسانهُ و يشكرون حنانهُ . وكم من الاعمال الحميدة التي اتاها مما بقي مجهولاً الى يوم وفاتهِ حتى من اقربائهِ الادنين فكنا نسمع عنها من افواه الناس الذين احسن اليهم ولولاهم لبقيت مخفية عنا

وقد تقلَّب الفقيد في خدمة وطنهِ فكان عضوًا في المجلس البلدي ثم في الادارة الى ساعة موتهِ وكان في كل اعمالهِ مثال النشاط والنجدة التي قلما نجدها في الاوساط من قومنا فكيف بمن تغنيهم احوالهم المالية عن الافتكار بالغير . ولم يكن من اهل العلم ولكنهُ كان يكرم ذويهِ يحترم المشتغلين بهِ و يسعى في خدمة من يتعرف بهم منهم . ويكفيهِ ذكرًا حسنًا انهُ اول رجل في الشرق اظهر للعيان فضل اهل الاحسان وسعى في تشييد اثر خالد لرجل غريب فضلهُ كبير على سورية وهو نصْب تمثال للمرحوم كرنيليوس فان ديك في حديقة المستشفى في يوم مشهود حضرهُ رؤساء الاديان والعلماء والوجهاء وخطب فيهِ كثيرون من الاطباء والادباء. وقد كان في المدة الاخيرة محط الانظار وموضوع آمال الارثوذكس خصوصًا والبيروتيين عمومًا ففاجأهُ القضاء نهار السبت المسمى سبت النور ليلة عيد الفصح اذ خرج صباحًا من البيت وزار المستشفى كعادتهِ واشترى كتبًا وصورًا لكنيسة عاليه التي قامت بسعيهِ ثم سار الى البحر في شغل لهُ وهناك حدث حادث غريب اودى بحياتهِ كما هو معلوم

هذه نتفٌ من ترجمة هذا الرجل القدير العمر الكبير القدر الكثير النفع يظهر من خلالها النفس الكبيرة التي كانت بين جنبيهِ ويستشف من ورائها مقدار النفع الذي كان ينتظر منهُ لو فسح الله في اجلهِ ويبكي من بعدها على هيكل شريف كان متقداً بنار الغيرة ونار النخوة ونار الشباب

وقد كان مأتمهُ عظيماً لم تشهد مثلهُ بيروت في ما سلف من الازمان وللآن لا تزال ترد على أُسرتهِ رسائل التعزية من اقطار البلاد وكلها مشحون بالاسف الحي الصادق وهذا اكبر دليل على واسع شهرتهِ مع حداثة سنهِ وامتلاكهِ القلوب باعمالهِ الكريمة. عزى الله آلهُ وانسباءهُ وجعل مثالهُ قدوة لسواهُ

الحب يغلبُ الملك

جرت عادة بعض الكتّاب في القطر المصري ان يتهموا الاوربيين بانهم هتكوا حرمة العفة ولم يعُد للزواج الشرعي شأن عندهم بانين حكمهم هذا على ما يرونهُ في شوارع بعض المدن الاوربية الكبيرة من دلائل التهتك . ويظهر لنا مما عرفناهُ بالخُبر والخبَر ان شروط العفة والصيانة والحب العائلي مرعية عند الاوربيين كما هي مرعية عند غيرهم او اكثر حتى ان ابناء الملوك يتركون احياناً حقهم في عرش الملك ليتزوجوا نساء لسنَ من بنات الملوك ويعيشوا معهنَّ عيشة الصيانة والعفاف . مثال ذلك ان الارشدوق فرنز فردينند النمسوي وريث عرش النمسا والمجر اقترن بالكونتس صوفيا فون تشوتك وهي من رعايا عمهِ امبراطور النمسا . التقى بها في قصر الارشدوق فردرك فاحبها وكانت من نساء الشرف في ذلك القصر فلما درت بحبهِ لها تركت المنصب الذي كانت فيهِ ومضت الى بيت اختها . وفي الخريف الماضي طلب الارشدوق من عمهِ الامبراطور ان يأذن لهُ في الاقتران بها فاستصعب الامبراطور ذلك لان اقترانهُ بها يحرم نسلهُ من وراثة الملك حسب شريعة البلاد وقال لهُ امهلني ستة اشهر فاذا بقيتَ مصرًّا على عزمك نظرتُ في الامر حينئذٍ . ولما مضت الستة الاشهر عاود عمهُ فاذن لهُ مشترطاً عليهِ ان نسلهُ منها لا يرث الملك بعدهُ وانهُ يقسم الايمان المغلظة بانهُ اذا رقي الى سدَّة الملك لا يرقي زوجتهُ الى رتبة الامبراطورية ولا الى رتبة الملكية وان الاولاد الذين يولدون لها تكون رتبتهم مثل رتبتها فقط ولا يكون لهم حق بالملك مثل غيرهم من اولاد العائلة الامبراطورية . فاقسم حسب طلب عمهِ واقترن بهذه الاميرة في غرة يوليو الماضي . ولما تمت صلاة الاكليل تقدم

احد الضباط واعطاها هدية الامبراطور لها وهي لقب برنسس هوهنبرج. ويقال انها من اجمل النساء واكثرهنَّ ادباً . واذا توفي زوجها بعد ارتقائهِ الى عرش الملك خلفهُ اخوهُ واولاد اخيهِ لان اخاهُ مقترن باميرة من عائلة مالكة

ومن قبيل ذلك ان البرنس اوسكار ابن ملك اسوج وتروج احبَّ فتاةً من نساء الشرف اللواتي كنَّ في خدمة امهِ احبها لما رآهُ من ادبها وبراعتها في فن الموسيقى واطلع امهُ على ذلك فصوَّبت رأيهُ لانها هي ايضاً كانت تحب تلك الفتاة وتكرمها لادبها وظرفها وتعقلها واخبرت اباهُ الملك بذلك فلم يرضَ بهِ حاسباً ان ابنهُ يعدل عن عزمهِ بعد حين ويقترن باميرة من مرتبتهِ . ثم مرضت الملكة واشتدَّ المرض عليها حتى خيف انها لا تقوم منهُ فعاودت زوجها في امر ابنها فاجاب طلبها على غير رضاهُ. واقترن البرنس اوسكار بهذه الفتاة في ١٥ مارس سنة ١٨٨٨ بعد ان تخلى عن حقوقهِ في الملك لاخيهِ وعاش معها عيشة يحسدهُ عليها الملوك . وهما يقضيان اكثر اوقاتهما في مساعدة الفقراء وحضور المجتمعات الادبية والدينية والبرنس يخطب فيها ويعظ كانهُ من خدمة الدين . وقد اعطاهُ عمهُ غران دوق لكسمبرج لقب كونت وسبورج فصارت زوجتهُ تلقب بهذا اللقب ولها الآن المكانة الاولى في بلاط حميها وفي عائلتهِ كما لها المكانة الاولى في قلوب الفقراء والمساكين حتى يقال انهم يعبدونها عبادةً

ومن هذا القبيل ايضاً اقتران الغران دوق ميخائيل الروسي بالكونتس توربي وهي ابنة امير ولكن امها ليست من بيت الملك فلا يحسب اولادها من بيت الملك . التقى بها الغران دوق في مدينة كان بفرنسا فاحبها وكان يعلم ان القيصر لا يأذن لهُ في الاقتران بها فاقترن بها من غير ان يستشيرهُ فاغتاظ القيصر من ذلك وحتى الآن لم يؤذَن لها في الدخول رسمياً الى بلاط روسيا ولا الى بلاط دولة اخرى غيرها لكنها قابلت ملكة انكلترا على طريقة غير رسمية فانست بها واكرمت مثواها . ويقول كل من رأى جمالها وعطفها على اولادها وحبها لزوجها انهُ احسن في ما فعل وان الزوجة الفاضلة خير من سرير الملك

ومما يُذكر في هذا الصدد اقتران ملك السرب حديثاً بامرأة ارملة تكبرهُ تسع سنوات فان عمرهُ ٢٤ سنة وعمرها ٣٣ سنة كانت عند امهِ فاحبها لما رآهُ من حسن ادبها وفرط ذكائها واخبر امهُ بذلك فاغتاظت منها وابعدتها عنها فعادت الى بلغراد وصارت مشيرة لهُ يعتمد عليها في اموره ثم اعلن انهُ عازم على الاقتران بها فاستعفى وزراؤهُ حالاً دلالةً على انهم غير راضين بهذا الاقتران اما هو فلم يعبأ باستعفائهم بل اقترن بها وسرَّ قيصر الروس بهذا الاقتران وبعث اليهِ يهنئهُ وبعث الى زوجتهِ هدية نفيسة . ولا تقضي شريعة السرب بحرمان اولاد الملك من

الملك اذا اقترن بواحدة من رعاياه ولذلك صارت هذه المرأة ملكة واذا رزقت اولاداً ورثوا اباهم

فيرى القارئ من هذه الامثلة الوجيزة ان الملوك وابناء الملوك الذين قلما ينتظر منهم ان يراعوا شروط الصيانة والعفاف قد يفضلون الحب العائلي على سرير الملك لعفتهم وصيانتهم

باب الزراعة

المواشي في القطر المصري

لا شبهة في ان المواشي قليلة جداً في هذا القطر بالنسبة الى عدد سكانهِ والسبب الاكبر لذلك قلة المراعي فيهِ وغلاء الاراضي الزراعية وكثرة ضرائبها حتى لا يرى ارباب الزراعة من الحكمة زرع اطيانهم علفاً لما وهم يستطيعون ان يزرعوها حنطة وقطناً . لكنَّ الغزير اللبن من البقر والجيد اللحم من العجول والناعم الصوف من الغنم والقوي الجسم من الثيران كل هذه من تربيتها ربح وافر . وقد احسن ارباب الدوائر الكبيرة كدائرة الخاصة الخديوية ودائرة القصر العالي والمدرسة الزراعية بجلبها البقر من اوربا وتجنيس البقر المصرية بها كما ترى في الشكل الاول والثاني والثالث والرابع المرسومة ههنا فان الشكل الاول صورة ثور من بقر سويسرا للخاصة الخديوية وهو من البقر المشهورة في تلك البلاد وفي اوربا كلها بغزارة لبنها وطيب لحمها لكنها ليست اكبر من البقر المنوفية ولا اقوى منها على اعمال الزراعة . وهذه البقر أنيسة جداً في بلادها تذهب اسراباً كبيرة في الجبال ترعى نبات الصيف وتنام في المراعي وقد لا يكون معها احد مطلقاً فيمضي عليها بضعة اشهر على هذه الصورة حتى اذا توسط شهر سبتمبر وبرد الهواء ذهب الرعاة وعادوا بها الى منازل اصحابها فتنزل من المراعي اسراباً وقد علقوا لها اجراساً كبيرة في اعناقها حتى اذا وصلت ساحة البلد تقاطر حولها باعة المواشي من المدن المختلفة يبتاعون البقرة منها بعشرة جنيهات الى خمسين جنيهاً حسب شكلها وغزارة لبنها . وقلما تجد بينها بقرة عجفاء ولكن عيونها شهلاء او برصاء في الغالب ليس فيها شيء من ملاحة عيون البقر في هذا القطر والقطر الشامي . وقد نال الثور المرسوم في الشكل الاول الجائزة الاولى في المعرض الزراعي المصري الاخير

والشكل الثاني صورة بقرة من البقر الانكليزية المعروفة بقصيرة القرن (شورت هورن)

وهي اشهر اصناف البقر الانكليزية واكثرها وجوداً وانتشاراً في بلاد الانكليز وهي قديمة فيها وقد أُصلحت حديثاً بالتربية اصلحها تشارلس كولنج واخوهُ فزاد اتساع صدرها واعتدال قوامها وقصر قوائمها وصغر حجمها قليلاً وزاد لحمها وصارت تبلغ باكرًا وتسمن سريعاً. وقد رسّخا فيها هذه الاوصاف بانتقاء الثيران والبقر التي ظهرت فيها على اتمها والاقتصار على نتاجها . واشتهر ما فعلهُ هذان الرجلان حالاً حتى صارا يبيعان البقرة او الثور باكثر من مئة جنيه وصارا يؤجران الثور للضراب بخمسين جنيهاً الى مئة جنيه في السنة . وباع تشارلس كولنج ٢٩ بقرة سنة ١٨١٠ بالمزاد فبلغ متوسط ثمن البقرة منها ١٤٠ جنيهاً ونحو ٥ شلنات وباع ١٨ ثوراً فبلغ متوسط ثمن الثور منها ١٦٩ جنيهاً و ٨ شلنات . وبعد ثماني سنوات اشتد الضيق في انكلترا وقلت النقود في ايدي الناس فباع ٦١ بقرة بلغ متوسط ثمن البقرة منها ١٢٨ جنيهاً ونحو ١٠ شلنات . ثم بيع ثور واحد من هذه الثيران بالف جنيه والف شلن

ويقال انهُ ليس بين اصناف البقر ما هو اسرع بلوغاً من هذا الصنف ولا اكثر منهُ لحماً ولا اوفر منهُ نفعاً . وقد انتشر الآن في اوربا واميركا الشمالية والجنوبية واستراليا وزيلندا الجديدة واصلح اصناف البقر الوطنية فيها بالتجنيس . والبقرة الحلوب من هذا البقر تحلب في السنة من ٧٠٠ جالون الى ١٠٠٠ جالون وقد بلغ متوسط وزن العجل منها الذي عمرهُ ٦٧٠ يوماً نحو ١٣٩٦ رطلاً (ليبرة) والذي عمرهُ ٩٨٨ يوماً ١٨٧٠ رطلاً والذي عمرهُ ١٣٢١ يوماً ٢١١٦ رطلاً

ومن يعتبر هذه المزايا كلها لا بدَّ وان ينطلق لسانهُ بالشكر للجناب الخديوي لانهُ ادخل هذا الصنف والصنف الاول من البقر الى القطر المصري لتصلح بهما بقرهُ والبقرة المرسومة هنا نالت الجائزة الاولى في المعرض الزراعي المصري الاخير

والشكل الثالث صورة ثور مجنس بين الصنف السويسري والصنف الوطني وهو لدائرة القصر العالي وقد نال الجائزة الاولى في المعرض الزراعي الاخير

والشكل الرابع صورة بقرة مجنسة للمدرسة الزراعية بين البقر الوطنية والصنف الانكليزي المعروف بالانجس نالت الجائزة الاولى في المعرض الزراعي الاخير . والانجس بقر اسكتلندي مشهور بكثرة لحمهِ وقد نال الجائزة الاولى في معرض باريس سنة ١٨٧٨ حيث عُرض ستون صنفاً مختلفاً من البقر . ومن ثم اشتهر بغزارة لحمهِ ثم نال الجوائز في انكلترا سنة ١٨٨١ و١٨٨٥ و١٨٨٧ لغزارة لحمهِ وطيب طعمهِ . وكانت اناث هذا الصنف تدرُّ لبناً غزيرًا لكن اقتصار المربين على ما يجيد اللحم قلل لبنها فصار معتدلاً في كميتهِ . اما لحمها فيزيد وزناً ويجود طعماً

عاماً بعد عام وقد وجد سنة ١٨٨٧ ان العجل الذي متوسط عمرهِ ٦٦٧ يوماً يبلغ متوسط ثقلهِ ١٤٧٥ رطلاً والعجل الذي متوسط عمرهِ ٩٨٤ يوماً يبلغ متوسط ثقلهِ ١٨٧٤ رطلاً. واللون الغالب فيها الاسود وهي جمَّاء اي لا قرون لها . فيجب ان يكثر تجنيس البقر المصرية بهذا الجنس اذا اريد ان يكثر اللحم الجيد في هذا القطر كما يجب ان يكثر التجنيس بالقصيرة القرون اذا اريد غزارة اللبن

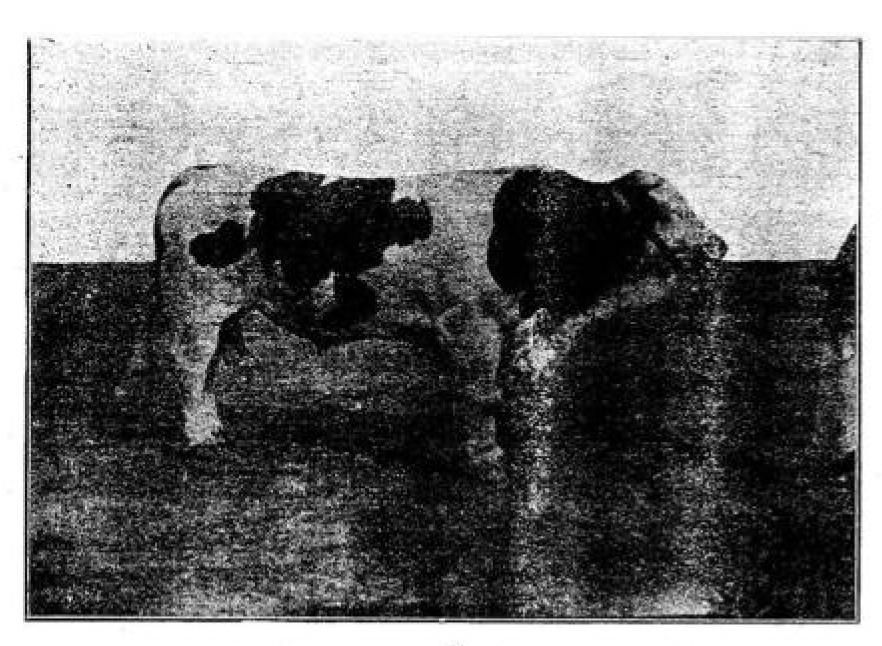
وقد استعرنا هذه الصور الاربع من جناب المستر فودن مدير مجلة الشركة الزراعية الخديوية

كيف ترتقي الزراعة

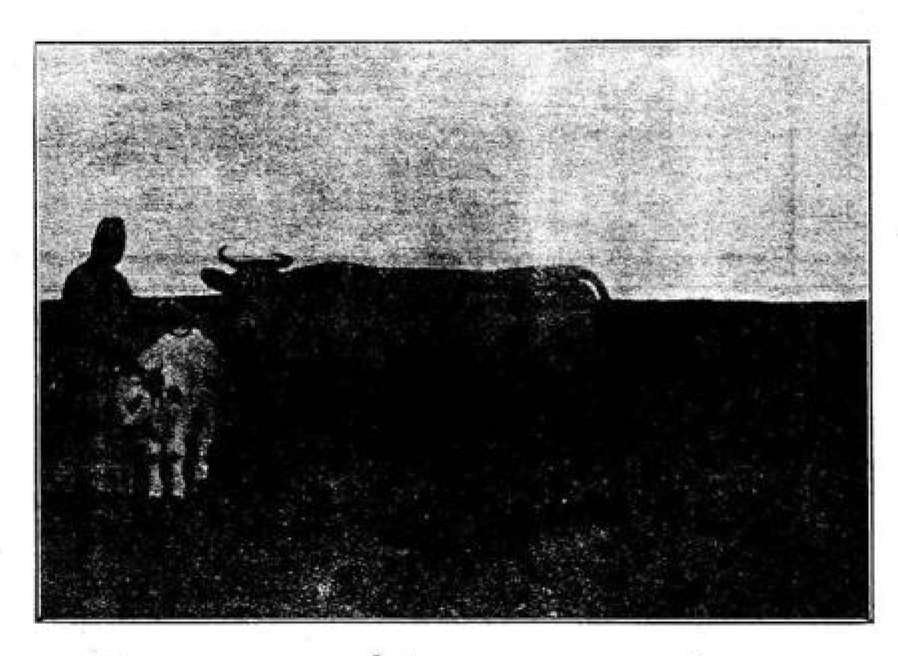
ذكرنا في الجزء الماضي كلاماً عاماً عن الاهتمام بالزراعة في الولايات المتحدة الاميركية وعن جمعياتها الزراعية ومدارسها الزراعية ملخصين ذلك من رسالة وضعها بعض علمائها في هذا الموضوع . وفي هذه الرسالة فوائد اخرى مما يحسن سوقهُ هنا فلخصنا بعضهُ في ما يلي

نفقات التعليم الزراعي — التعليم الزراعي مجانيٌّ في الولايات المتحدة الاميركية فلا يُطلب من التلميذ الاَّ ثمن بعض المواد التي يستعملها في المعامل الكيماوية والزراعية . اما نفقات اكلهِ وشربهِ ومنامتهِ فمن جيبهِ . وكثيراً ان يعطى مكاناً ينام فيهِ ولا يطالب منهُ الاَّ دفع ثمن النور والفحم . وبعض المدارس يدفع للتلميذ اجرة ما يعملهُ فيكتسب من ذلك ما يفي بطعامهِ . والمعيشة غالية جداً في البلدان الاميركية فلا تقلُّ نفقة التلميذ عن ثلاثين جنيهاً في السنة المدرسيَّة وهي تسعة اشهر وقد تبلغ مئة جنيه حسب البلد الذي فيهِ المدرسة . لكن تلامذة المدارس الزراعية يجدون ابواباً كثيرة للكسب فيكسبون ما يقوم بنفقاتهم كلها او اكثرها . وحبذا لو فعلت الحكومة المصرية مثل ذلك بمدرستها الزراعية فجعلت التعليم فيها مجانياً وقدَّمت الطعام والمنام مجاناً لفقراء التلامذة . لان التلميذ الفقير المجتهد النابغ قد يفيد بلادهُ وامتهُ اكثر من مئة تلميذ من الاغنياء

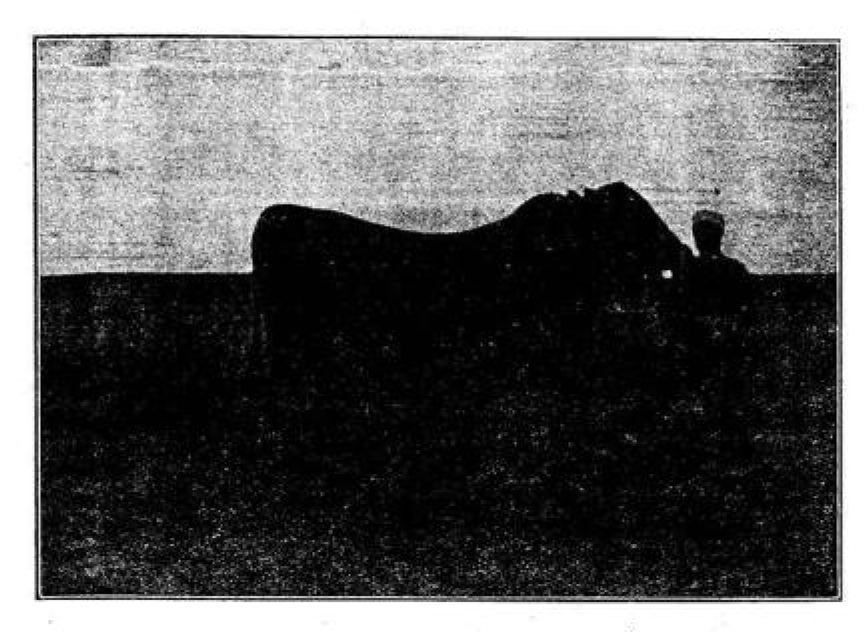
اندية الزراعة — وفي البلاد الاميركية اندية يجتمع فيها الفلاحون وارباب الزراعة عموماً ويجتمع معهم جمهور من علماء الزراعة يبحثون في المسائل الزراعية . وهذه الاندية لهم مثل المدارس للتلامذة فيستفيد الزارع من علم العالم ويستفيد العالم من اختبار الزارع . وهي مختلفة جداً فبعضها يديرهُ مندوبون من قبل الحكومة او من قبل مجالس الزراعة فيها او من قبل مدارس الزراعة وبعضها مستقلٌّ قائم بنفسهِ . وبعض الولايات يعين مالاً مخصوصاً في ميزانيتهِ الانفاق على هذه الاندية وبعضها ينفق عليهِ من مال المجالس الزراعية او المدارس الزراعية



(١) ثور سويسري للخاصّة الخديوية نال الجائزة الاولى



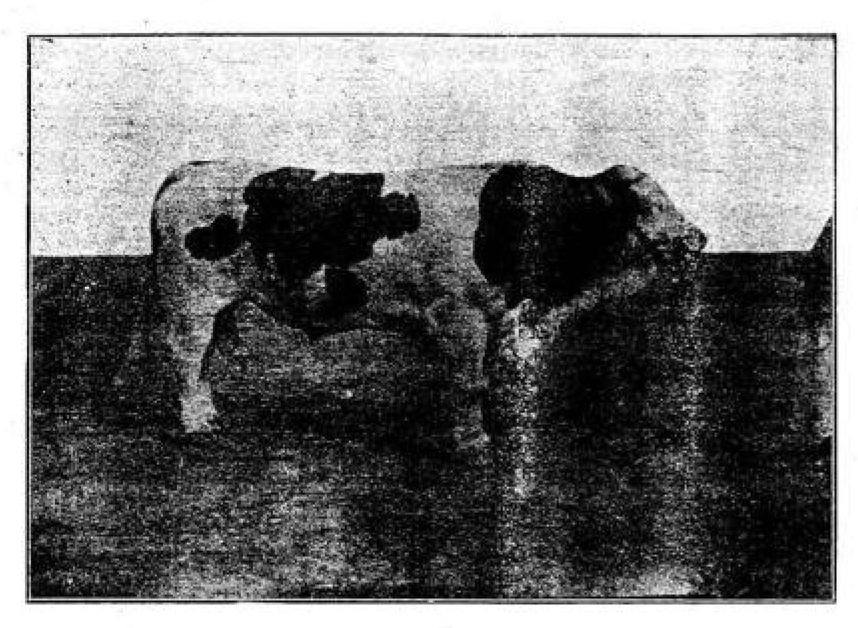
(٢) بقرة انكليزية من صنف قصير القرون للخاصّة الخديوية نالت الجائزة الاولى



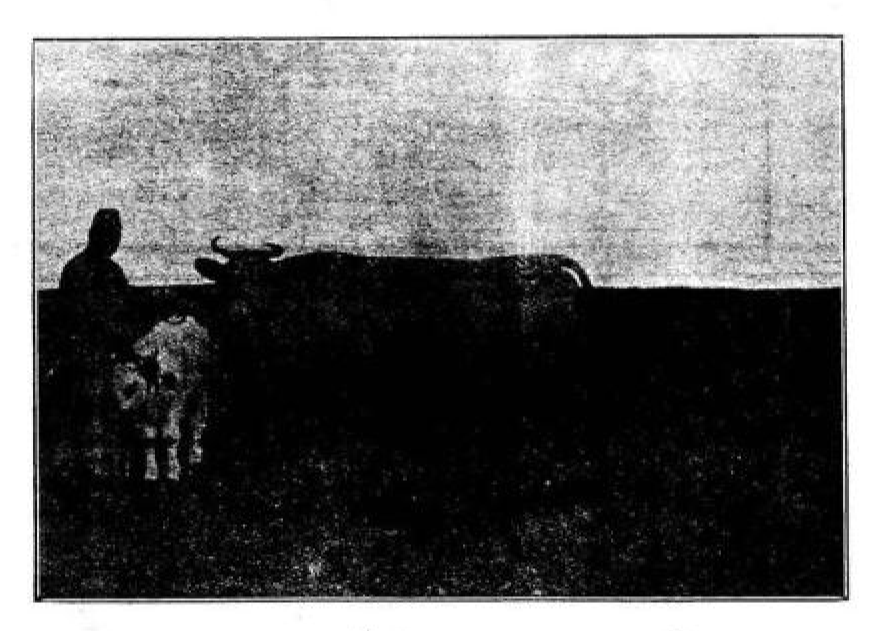
(٣) ثور مجنّس سويسري وطني لدائرة القصر العالي نال الجائزة الاولى



(٤) بقرة مجنّسة (انجس وطني) لمدرسة الزراعة نالت الجائزة الاولى



(١) ثور سويسري للخاصة الخديوية نال الجائزة الاولى



(٢) بقرة انكليزية من صنف قصير القرون للخاصة الخديوية نالت الجائزة الاولى

وتجتمع هذه الاندية في الشتاء او بعد الحصاد حينما يكون الفلاَّح قادراً على ترك اعمالهِ . ومدة الاجتماع من ثلاثة ايام الى اربعة يدور البحث فيها على كل المواضيع الزراعية فيتلو العلماء والباحثون خطباً مختلفة ثم يفتح باب البحث والجدال فيها بين الحضور ويبدي كلٌّ ما عندهُ من الاقوال والاراء ويُعرب عما عملهُ بالاختبار . ولا تقتصر الخطب على المواضيع الزراعية المحضة بل تتناول كل ما لهُ علاقة بالزراعة كاصلاح الطرق ونشر التعليم وتدبير المنزل

توسيع المعارف الزراعية — عند الاميركيين والاوربيين اسلوب يسمونهُ توسيع نطاق التعلم وهم يريدون بهِ الوسائل التي يستعملها الناس لهذا الغرض غير المدارس كفتح مكاتب القراءة وتأليف جمعيات المطالعة . ومن اغرب هذه الوسائل التعلُّم بالمكاتبة كأن يتفق اثنان في بلدين مختلفين احدهما يعرف الفرنسوية والآخر يعرف الالمانية على ان كلاًّ منهما يعلّم الآخر اللغة التي يعرفها بالمكاتبة فيكتب الاول الى الثاني باللغة الالمانية وهو لا يعرفها جيداً كما يعرفها الثاني فيصلح هذا مكتوب الاول ويبين لهُ ما فيهِ من الخطإ وقواعد اصلاحهِ . ويكتب اليومكتوباً آخر باللغة الفرنسوية وهو لا يعرفها جيداً كما يعرفها الاول فيصلح لهُ الاول المكتوب ويبين اوجه الخطإ فيهِ وهلمَّ جرّاً فيستفيد الاثنان فائدة متبادلة

ومن طرق توسيع المعارف الزراعية عندهم اجراء التجارب الزراعية التي يطلب اساتذة المدارس اجراءها مثال ذلك ان يطلب استاذ امتحان نوع جديد من السماد في زرع القطن فيحضر السماد ويكتب الارشادات اللازمة لاستعمالهِ ويوزعها على الفلاحين الذين يريدون ان يشاركوهُ في هذا الامتحان فيزرع كلٌّ منهم جانباً من القطن يسمدهُ بهذا السماد ويخدمهُ على الاسلوب الذي عينهُ الاستاذ لهُ ومتى جناهُ يكتب اليهِ يخبرهُ عن مقدار ما جناهُ منهُ وسائر احوالهِ حسب المسائل التي سألهُ اياها فيجتمع عند الاستاذ اختبار الوف من الفلاحين كأنهُ جرَّب السماد المشار اليهِ في الف قطعة من الارض وتحقق المعارف الزراعية بالاستقراء الواسع . وقس على ذلك التجارب في الانواع الجديدة من النبات وفي قاتلات الحشرات . وقد اتسع علم الزراعة بهذا الاسلوب وزادت معارف الفلاحين وقويت فيهم قوة الملاحظة والانتباه

ومن هذا القبيل نشر الكتب الزراعية وترخيص ثمنها حتى يستطيع كل احد ان يشتريها واقامة اناس مثل اساتذة يسألهم الفلاحون كتابة مما غمض عنهم وعسر عليهم فهمهُ منها ومتى اتموا درسها يمتحنون فيها ويُعطَون شهادات حسب درجتهم فيها . وتشمل هذه الكتب الآن خمسة مواضيع الاول زرع المزروعات التي منها مواسم البلاد كالقمح والذرة والقطن . والثاني تربية المواشي . والثالث زرع الجنائن . والرابع عمل الجبن والزبدة . والخامس تدبير المنزل.

ولهذه المواضيع الخمسة خمسة كتب تبحث فيها بالتفصيل فيطالعها الفلاحون ويقرنون العلم بالعمل واذا غمض عليهم شيء سألوا الاستاذ عنهُ ثم يمتحنون فيها كأنهم درسوها في المدرسة . ويرشدهم الاساتذة الى كتب اخرى يطالعونها لتوسيع معارفهم الزراعية . وقد تختار الدروس يوماً بعد يوم وتطبع على اوراق منفصلة وترسل مجاناً الى الفلاحين الذين يطلبونها ومع كل درس ورقة فيها مسائل فيجيب عنها الفلاح بعد ان يدرس الدرس ويتعلمهُ جيداً ويرسل ورقة الاجوبة الى الاستاذ

المدارس الطوَّافة — ومن الاساليب الاميركية الجديدة لتوسيع نطاق المعارف الزراعية اسلوب يسمونهُ المدارس الطوَّافة نشأ في نيويورك حديثاً وخصصت لهُ حكومة نيويورك سبعة آلاف جنيه لتنفق عليهِ في العام الماضي وفي هذا العام والمراد بهِ ان ينتقل اساتذة المدارس الزراعية من مكان الى آخر لالقاء الخطب والمباحثة في المواضيع الزراعية

وسيأتي الكلام على بقية ما في هذه الرسالة من الفوائد الزراعية عسى ان يستفيد القراء من مطالعتها

البيطرة عند العرب

لداود الضرير الانطاكي الذي نشأ في القرن العاشر للهجرة كتاب كبير اسمهُ "تذكرة اولي الالباب" وهو المعروف بتذكرة داود البصير جمع فيهِ اكثر ما كان يعرف في عصرهِ من الامور الطبية لكنهُ خلط بين الغث والسمين والصحيح والفاسد من غير تمحيص . ولهُ كلام حسن جداً في البيطرة رأينا ان ننقلهُ عنهُ بعد تجريدهِ مما لا فائدة كبيرة بذكرهِ

قال " البيطرة علم باحوال بدن المواشي من جهة ما يصلحها وما يحفظ عليها الصحة . وهي من العلوم المحتاجة الى الطب قطعاً والكلام فيها يستدعي فصولاً

الاول في صفة البيطار — ويجب ان يكون صحيح النظر مطلقاً قوي الذراعين عبل البدن (اي ضخمهُ) خفيف الحركة نصوحاً صدوقاً وان تكون آلتهُ نقية محكمة وان يتعاهد الكفَّة والمباضع بالتنظيف والدهن لئلاً يعدي بها . وان تكون نفسهُ قوية على الاقدام غير نفورة من القاذورات شفوقاً بالطبع او التطبُّع عالماً بان الحيوانات تتألم كالانسان فيتقي الله فيها

الثاني في آلتهِ — اقل ما يجب ان يكون عندهُ ثلاث مطارق كبرى زنة سبعمائة وخمسين درهماً يقوّم بها ما اعوجَّ من المسامير والتطابيق (النعال) وسائر الآلات . ووسطى للدقوقات الاوائل وبعض التقويم وبها تُعدَّل غالب الآلات . وصغرى لاجل التبشيم وتقويم المباضع

واقل ما تكون زنتها مئة درهم. ولا يجوز التبشيم بالوسطى فضلاً عن الكبرى فانهُ يفضي الى خرق الحافر وفساد الظفر. واقل ما يكون عنده من المباضع تسعة واحد للعين وهو ادقها والطفها. وثانٍ للراس . وثالث للسان وحدهُ يقارب مبضع العين . ورابع لما تحت الجبين املأ من الذي قبله . وخامس للمخزين ونحو الظفر . وسادس لفصد الذراع عند ثقله كما في الحمر ويجب ان يكون هذا احدها . وسابع للكشط يكون فيهِ عرض ما . وثامن يسمى المسبر يختبر بهِ عمق الجروح وكيفية غورها . وبعض البياطرة يكتفي عن هذا بالميل وهو خطأ لانهُ يأول الى فساد العين . وتاسع يرفع بهِ الاوساخ وبقايا اللبوص ويجب كونهُ غير محدد الرأس . وثلاث كفات واحدة لذوات الاخفاف واخرى للخيل خاصة واخرى لباقي المواشي تكون اصغر الكل. ومن الماسك كذلك لقلع ما تفاوت تمكناً وحجماً. والمبارد لم تحصر في ماعرفناه. وكذا المسنات والطرايق . ومن السنادين اربعة تختلف بالثقل والطول وضدها وكذا القرم والشنغ والمكاوي والكلبات والاميال . ويستصحب مقراضين كبيراً للشعر وصغيراً للجلد واللحم الواجبي القص وموسى لحلق ما على نحو السلع . ومن آلاتهِ ايضاً الابر والسلوكات المختلفة واللنصة وهي آلة صغيرة معوجة حادَّة نحو نصف شبر لتقطيع الفلواميت في بطن امهِ

الثالث في موضوع هذه الصناعة ومباديها وما يجب ان يعرفهُ حتى يتأهل لتعاطيها — لا شبهة في ان موضوعها ابدان الحيوانات من جهة ما تصح وتمرض . ومباديها الامور الطبيعية والاسباب الضرورية كالمأكول والمشروب والهواء خاصة وغير الضرورية كالنوم واليقظة. اما الصحة والمرض فيعرفان بالافعال والاكل والشرب وصقالة الجلد وحال ما يثبت عليهِ قلةً ورونقاً وثبوتاً ونحوها. وللسحنة هنا دخل عظيم وكذا حركة المشي وجس عرقي اللبة (النحر) والاكتاد (بين الكتفين) وما يلي الحرقفة (رأس الورك) . ومن اجلّ العلامات في ذوات الاظلاف البراز وكذا ذوات الخف . فان سلحت الغنم والجمال (اي كان برازها رخواً) ولم يتقدم اكل نبات اخضر فمغشوشة البطون قطعاً . فان كان الخارج كريه الرائحة فعن حرارة او كان الى الخضرة فعن ضعف الكبد او البياض فالامعاء او معهُ ريح فعن مغلة (وجع البطن) . او بعرَ البقر (اي كان برازها بعراً) ولم يتقدمهُ اكل نحو البلوط فكذلك اي ان في بطونها اختلالاً . وقد يستدلّ من اللبن فان كان احمر او ممزوجاً بالدم فعن فرط حرارة وفساد في الكلي او اصفر فعن استيلاء فساد في الكبد والدماغ او لم يربّ فلضعف الهضم . او قلّت مائيتهُ وسمينتهُ فلفرط البرد هذا بعد اعتبار الغذاء اذ قد تكون الدابة لا تعتلف الا التبن وحدهُ فلا يكون قلة السمن حينئذٍ دليل البرد"

هذا ويرى القارئ في ما تقدَّم ان الكاتب كان على معرفة تامة بما كتب وانهُ لم يكن مقيدًا بقيود اللغة على بلاغتهِ فيها فيستعمل الكلمات الفارسية مثل التبشيم واللاتينية مثل النصة وستجد في ما سننقلهُ عنهُ فوائد كثيرة في تربية المواشي ومعالجة امراضها

بساتين المدارس

نشرنا مقالة مسهبة في هذا الموضوع في المجلد الثاني والعشرين من المقتطف كان لها احسن وقع عند نظار المدارس ولا نزال نرغب اليهم في مطالعتها والعمل بما فيها . وكنا نودُّ ان نرى الحكومة المصرية مهتمة بهذا الموضوع اهتمام غيرها من الحكومات التي بلدانها زراعية لكن ما كل يتمنى المرء يدركهُ

ومن اشد البلدان اهتمامًا بالزراعة الولايات المتحدة الاميركية وقد طلبت من سفرائها وقناصلها في اوربا بالامس ان يخبروها عن بساتين الزراعة فيها وكيفية ادارتها ومقدار نجاحها حتى اذا رأت شيئًا منها يفوق ما عندها نُسِجت على منوالهِ. ويظهر من تقاريرهم ان بلاد اسوج تفوق غيرها في بساتين المدارس وفيها الفا بستان منها . وان فرنسا مهتمة اهتمامًا شديدًا بها وقد اخذت تهتم بمسألة التعليم الزراعي من ايام الثورة ولم تساعدها احوال البلاد على ذلك حينئذٍ ولكن بعض فضلائها انشأُوا المدارس الزراعية ودور الامتحان الزراعي من ذلك الحين من غير مساعدة الحكومة . وسنة ١٨٤٨ اقرَّت الجمهورية الفرنسوية على جعل التعليم الزراعي جزءًا من التعليم العام وبلغت حقول المدارس سبعين سنة ١٨٥٢ وهو غاية ما أُريد ايصالها اليهِ . ثم اخذت تنحطُّ من ذلك الحين الى ايام الحرب الاخيرة بين فرنسا وروسيا . ولما قامت الجمهورية الثالثة عادت الى الاهتمام بالتعليم الزراعي . والآن يوجد في المدارس الابتدائية والثانوية ١٧٢ استاذًا للزراعة ٩٠ استاذًا منهم لتعليم الزراعة و٤٢ استاذًا لادارة حقول الامتحان والمعامل الكيماوية الزراعية. عدا مدارس الطب البيطري ومدارس الحراج والمدارس الزراعية الوطنية ومدارس اللبن والجبن ومدارس الزراعة العملية البالغة ٣٤ ومدارس الري والصرف ومدارس علم زراعة الكرم وزراعة الجنائن ومدارس تربية الغنم ومدارس تربية دود الحرير ومدارس زرع الفاكهة والاماكن التي تدرس فيها طبائع البذور وعلم الحشرات والفسيولوجيا النباتية والباثولوجيا النباتية والمعامل التي يدرس فيها الاختمار وهلمَّ جرًّا . وقد انفقت الحكومة الفرنسوية سنة ١٨٩٣ نحو ١٦٦٠٠٠ جنيه على التعليم الزراعي . وفي مدرسة باريس الزراعية ٢٢ استاذًا ومدة التدريس سنتان والاجانب يتعلمون فيها كما يتعلم الوطنيون

والاهتمام في المانيا بالتعليم الزراعي غير قليل ولاسيما بزرع الخضر . وقد شاعت فيها بساتين المدارس اكثر مما شاعت في غيرها من البلدان وفي جوار درسون مدرسة يتعلم فيها التلامذة غرس الحراج والاشجار المثمرة التي تنمو في مملكة سكسونيا و يتعلم التلميذات زرع الخضر. ويراد ببساتين المدارس في المانيا مساعدة التلامذة على فهم العلوم النباتية التي يدرسونها . وينشر ديوان المدارس نشرة مرتين في الاسبوع يذكر فيها اسماء النباتات المزهرة و يُرغّب التلامذة في زرع المزروعات في بيوتهم . وترى البساتين ملحقة بنصف المدارس في المانيا

وحكومة سويسرا تهب مئة جنيه في السنة لكل بستان من بساتين مدارسها وتعطي جوائز لكل امرأة تعتني بتربية الازهار امام شبابيك بيتها



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وانهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوَّلة

نظر ثانٍ

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

طالعت ما خطهُ يراع الاستاذ الفاضل سعيد الشرتوني وادرجتموهُ في مقتطفكم الاغر عن عناية الاعاجم باللسان العربي . وقد كنت احسب قبل مطالعتهِ ان اكثر اشتغال الاعاجم كان بنقل العلوم والفنون الى اللسان العربي والتأليف في هذه المواضيع فاذا الاستاذ ينبئنا ان الاعاجم اشتغلوا بعلوم اللسان العربي نفسهِ ونشر كتبهِ كما اشتغل اهلهُ بهِ او اكثر فصحَّ فيَّ قول الشاعر

قد كنتُ قبلكَ من دهري على حنقٍ فزاد ما بك في غيظي على الزمنِ

اما الاعاجم الذين لهم الفضل الاكبر على العربية لنقلهم العلوم اليها وتآليفهم الكتب فيها

فاكثر من ان يذكروا ومنهم البتّاني شيخ علماء العرب في القرن التاسع ألَّف اربعة ارصاد في الشمس والقمر ورسالةً في الفلك ورصد السماء بالرقَّة سنة ٨٨٠ للميلاد وجمع كلّيات المعارف المكتسبة في عصرهِ . وقالت الافرنج عنهُ انهُ بين المسلمين كبطليموس بين اليونان . ومحمد بن محمد يوسف السمرقندي وابن اماجور واخوهُ اللذان رصدا السماء من سنة ٨٨٥ الى سنة ٩٣٣ ودوَّنا زيجاً عجيباً واكتشفا فروقاً جديدة في حركات القمر . وابو الوفاء المتبحر في علم الميكانيكا الذي رصد ميل دائرة البروج سنة ٩٩٥ ميلادية والف معادلة المركز والاختلاف القمري الذي يحصل كل سنة في سيرهِ واظهر في حساب سير القمر اختلافاً ثالثاً وهو ما حسبهُ تيخو براهي الفلكي بعدهُ بستمئة سنة . وابن الشاطر الذي خلف الطوسي في الشهرة بعلم الفلك. وابو موسى جعفر الكوفي المشهور بعلم الكيمياء والقزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات وابن عباس الفارسي المجوسي الطبيب المشهور وابو تمام النيسابوري وشمس الدين الاصفهاني واحمد ابن حسين الهمذاني المتوفى سنة ١٠٠٧ للميلاد وغيرهم كثير

اما الامر الذي اريدهُ بالذات من هذه السطور فهو مقابلة ما يفعلهُ الاعاجم لابناء اللغة العربية بما يفعلهُ ابناؤها فقد اخذت منذ مدة في جمع كتاب مسهب عن احوال هذا القطر وانتشار المعارف فيهِ واسباب تأخر اهلهِ واردت ان اعرف عدد الكتب التي أُلّفت وطبعت فيهِ في خلال السنوات الخمس الاخيرة فجمعتها وبوَّبتها حسب ابوابها فكانت كما ترون في هذا الجدول

عدد الكتب	
٧٥	روايات وقصص مختلفة
١٩	كتب تاريخية واكثرها من موضوع واحد
١٥	كتب ادبية
٩	كتب مجون ونفاق مثل كتاب المسامير وسهام التدمير وانقاذ الاخوان
٤	كتب سياسية
٣	كتب حساب بسيطة
٢	في التربية
٢	في الامثال واصل الكلمات العامية
٣	في العلوم الفنية
٦	في المواضيع الدينية
٤	في اللغة القبطية والهيروجليف

٢ في الزراعة

٦ في الرثاء

٤ دواوين

٢ في الانشاء

٣ في التراجم

٢ في الحقوق

٢ في الطب

٢ في علم الآثار

ويظهر من ذلك باجلي بيان ان الكتب المفيدة قليلة جداً واكثر ما يُطبع ويروج في القطر المصري هو الروايات القليلة النفع . ولعلَّ الحال في بلاد الشام اصلح منها عندنا ولكنها لا ترضي من يغار على امتهِ ووطنهِ. فما اعظم الفرق بيننا وبين الاوربيين الذين طبعوا لنا اكثر كتب اسلافنا العلمية والادبية

مصر محمد عمر

دعاة الدين

حضرات الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

سألكم احد الافاضل في مقتطف الشهر الماضي (سبتمبر) عن سبب اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اذ قال "ثم ارجو من فضلكم ان تخبروني ما هو السبب الحقيقي لان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي واما علماؤنا فلا يهتمون الا بمثل صَرْف عمر وتحقيق معاني بعض الابيات الشعرية"

فذكرتم في عرض جوابكم هذه العبارة "واهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين" الخ

ولكننا نرى ان التاريخ (لاسيما تاريخ الارساليات وتاريخ الكنيسة) والمجلات والجرائد الدينية والادبية والعلمية تبين اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اهتماماً زائداً وتثبت نجاحهم المتواصل الذي يفوق نجاح اي امة اخرى بنشر دينها . وكثيراً ما ذكرتم في مقتطفكم الاغر ومقطمكم الزاهر طرفاً من اعمال المرسلين واظهرتم اهتمامهم ونجاحهم ولذلك اتيتكم الان راجياً من افضالكم ان تزيدوا هذا الموضوع ايضاحاً لكي ينكشف اللثام من محيا الحقيقة

انَّا نرى المرسلين المسيحيين انتشروا في العالم كلهِ ذهبوا الى اليابان والهند والصين واوستراليا

وافريقية وجزائر الاوقيانوس واغلب اجزاء المعمورة واسسوا هناك المدارس والكنائس والمستشفيات والبيمارستانات وبنوا بيوتاً للعجزة والايتام والمساكين وهدوا الالوف والملايين الى الدين المسيحي فزاد عدد المسيحيين كل جيل زيادة واضحة وهاكم جدولاً يبين ذلك

كان عدد المسيحيين سنة	١٠٠٠ ب . م .	٥٠	مليون نفس
" " "	" " ١٥٠٠	١٠٠	" "
" " "	" " ١٨٠٠	٢٠٠	" "
" " "	" " ١٨٨٠	٤١٥	" "

اعني ان عدد المسيحيين تضاعف اولاً في ٥٠٠ سنة ثم في ٣٠٠ سنة ثم في ٨٠ سنة وما هذا الا من اهتمام المسيحيين بنشر دينهم اهتماماً عظيماً وملازمة الارساليات للفتوحات . فهل تضاعف عدد المسلمين هكذا وهل ازدادوا من جيل الى جيل بهذه الكيفية . ارجوكم ان تخبرونا كم عدد الارساليات الاسلامية في البلاد الوثنية . وكم عدد المرسلين المسلمين في بلاد الانكليز . وكم عدد المرسلات منهم . وكم عدد مدارسهم وجوامعهم ومستشفياتهم في جزائر الاوقيانوس وفي الاقطار المتوحشة فان " الاهتمام " " والنجاح " يظهران من هذه الامور. نعم لا انكر ان المسلمين اهتموا كثيراً بنشر دينهم في عصر الخلفاء الراشدين ولكن ارجوكم ان تبينوا لنا اهتمامهم الآن. ولقد صدق حضرة محمد افندي عمر اذ قال " ان علماء المسيحيين لا يفترون عن الاهتمام بنشر الدين المسيحي " فان التاريخ والاستقراء والمشاهدة تثبت ذلك جلياً

قلتم ايضاً " وعندنا انهُ لو اهتمت الجمعيات الدينية المسيحية بنشر الانجيل في اللغة الانكليزية وعلمت الناس لغتها كما يفعل المسلمون بنشر القرآن باللغة العربية من غير أن يترجموهُ لكان نجاحهم اتم "

فلماذا فضلتم اللغة الانكليزية على سائر اللغات لنشر الدين المسيحي والانجيل هل لانها اكثر انتشاراً عن غيرها او لانها غنية في العلوم والفنون والآداب (literature) كما يظهر من جوابكم. ان كان هذا يجعلها انسب وافضل لغة لنشر الدين المسيحي يجعلها ايضاً انسب وافضل لغة لنشر الدين الاسلامي

وهناك صعوبات كثيرة تصادف المسيحيين في نشر دينهم وانجيلهم باللغة الانكليزية . فكيف يتسنى للمرسلين الفرنساويين والالمانيين مثلاً ان ينشروا دينهم باللغة الانكليزية .عليهم اولاً ان يصرفوا وقتاً طويلاً في تعلم هذه اللغة وعليهم ايضاً ان يصرفوا وقتاً اطول في تعليم

الناس اياها فيكون المرسل والحالة هذه صرف اغلب ايامهِ ولم يعمل عملاً يذكر

ولنفرض ان عدد المرسلين الانكليز في الصين مئة وان عدد سكان الصين اربعمئة مليون افليس الانسب والاسهل ان يتعلم المئة مرسل لغة الصينيين ثم يترجموا الانجيل الى لغتهم فيمكن لكل صيني ان يدرسهُ ويستطيع كلٌّ من المرسلين المئة ان يشتغل في جهة وان يكلم كل صيني ويعلمهُ ويهذبهُ . واما اذا اراد هؤُلاء المرسلون ان ينشروا انجيلهم في اللغة الانكليزية فعليهم اولاً ان يعلموا الصينيين هذه اللغة . فكم من الصينيين يريد ان يتعلمها . وكم منهم ينجح في تعلمها . وكم من الزمن يكفي لتعليمهم اياها . وكم من المرسلين يحتاجهم هذا العمل . وكم من النفقات والمدارس تلزم لذلك . ان تعلم المئة مرسل اللغة الصينية بمثابة تعلم الاربعمئة مليون صيني اللغة الانكليزية . وزيادة على ذلك ان الصينيين والهنود والمصريين والانكليز يفهمون الحقائق في لغاتهم اكثر مما يفهمونها في اللغات الاجنبية . وهناك صعوبات سياسية اخرى تقف في طريق نشر الانجيل والدين المسيحي في اللغة الانكليزية

قلتم ايضاً " ان علماء الدين المسيحي يتجادلون ويتناقشون في امور لا طائل تحتها واذا اراد الله بقوم شرًّا اعطاهم الجدل ومنعهم عن العمل "

فهل هذه " المناقشات " " والمجادلات " بين طوائف المسيحيين منعتهم او اخرتهم عن نشر دينهم والحال اننا نرى ان كل طائفة تسعى من جهة في نشر الدين وتوزيع الكتاب وتأسيس المدارس والمستشفيات واماكن الخير والاحسان كما يفعل المرسلون الامريكان واليسوعيون في الديار الشامية . فان المرحوم الدكتور فان ديك لما كان يقصد فتح مدرسة كان يقول " سأفتح مدرستين " لعلمهِ ان الاباء اليسوعيين لا بدَّ ان يفتحوا مدرسة نظير مدرستهِ وهكذا كان يقول رئيس الاباء اليسوعيين كما ذكر حضرة الفاضل صاحب " الجامعة "

هذا وارجو لطفكم المعذرة على هذا الانتقاد فان لطفكم نحو القراء جرأني على كتابة ما كتبت واني اشارك الجميع في تقديم الشكر والممنونية لكم لاجل الخدَم الجليلة التي خدمتم بها البلاد ولاجل الفوائد العديدة التي جنيناها من مطالعة مقتطفكم

مصر جبرا حنا

[المقتطف] نشكر فضلكم على هذا الانتقاد وعلى انكم طرقتم فيهِ مسائل كثيرة حرية بالبحث والشرح

المسألة الاولى . قولنا ان اهتمام المسلمين بنشر الاسلام اشد من اهتمام المسيحيين بنشر الديانة المسيحية ونجاحهم اكثر من نجاح المسيحيين . وهذا القول لا ينفي اهتمام المسيحيين بنشر دينهم

ولا نجاحهم في نشره بل يؤيد الاثنين . اما كون اهتمام المسلمين اشد فمن ادلتهِ الكثيرة انهم نشروا دينهم في قلب بلاد الصين والهند وجزائر الهند الشرقية وقلب افريقية قبل المسيحيين مع انهم جاؤُوا بعدهم . واما كون نجاحهم اكثر فمن ادلتهِ الجدول الذي ذكرتموهُ وهو ان عدد المسيحيين لم يبلغ سوى مئة مليون في القرن الخامس عشر بعد المسيح ونحن الآن في بداءة القرن الرابع عشر بعد الهجرة او اواسط القرن الثالث عشر اذا حسبنا السنين شمسية ومع ذلك بلغ عدد المسلمين اكثر من مئتي مليون . وقد اهتم المسيحيون بتنصير اهالي افريقية والهند والصين منذ مئة سنة او اكثر فلم يفلحوا الاَّ في تنصير عدد قليل منهم لاسباب ليس من شأْننا البحث فيها . اما تضاعف عدد المسيحيين الآن كل نحو مئة سنة فمن نموهم الطبيعي بزيادة المواليد على الوفيات فقد كان عدد الانكليز منذ خمسين سنة ٢٧ مليونًا وهم الآن اربعون مليونًا عدا من هاجر منهم الى اميركا واستراليا وكان عدد اهالي روسيا في اوربا ٦٠ مليونًا وهم الآن اكثر من مئة مليون وكان عدد الولايات المتحدة الاميركية ٢٣ مليونًا وهم الآن نحو ٧٦ مليونًا اي انهم زادوا اكثر من ضعفين في خمسين سنة . ويظهر من تقدير عدد المواليد والوفيات انهُ من الآن الى مئة سنة يبلغ اهالي الولايات المتحدة الاميركية نحو ٣٨٦ مليونًا واهالي اوربا اكثر من الف مليون. ولا ينمو هذا النمو الاَّ الامم التي توفرت لها اسباب الحضارة واستتبَّ لها الامن مثلهم. وقد كان المسيحيون في القرون السالفة اوفر همة في نشر دينهم منهم الآن مع ما كان ينالهم من الاضطهاد وهذا لا ينفي اهتمام المرسلين من كل المذاهب المسيحية في هذا العصر بنشر الدين المسيحي كما تقدَّم

المسألة الثانية تفضيلنا اللغة الانكليزية . والجواب عن ذلك اننا لم نفضل اللغة الانكليزية على غيرها ولكننا خصصناها بالذكر لان الكلام كان على جمعية نشر التوراة الانكليزية فجاء كلامنا استطرادًا وكان يجب ان نقول " في اللغة الانكليزية مثلاً " . ولا ننكر ان في تعليم الوثنيين لغةً اوربية مشقة كبيرة ولكن العرب نشروا لغتهم في كل البلدان التي دخلوها فما كان ميسورًا لهم لا يستحيل على غيرهم . والنفع الذي تنالهُ الامم الوثنية من لغة واسعة كثيرة الكتب والجرائد والعلماء كاللغة الانكليزية كبير جدًّا يستحق عناية المرسلين وقد اهتمت بهِ الدول الاوربية الآن وحبذا لو اهتمت بهِ منذ مئة سنة فان كل من يعرف منا لغة اوربية كالانكليزية او الفرنسوية او الالمانية يشكر الله على ما يجدهُ فيها من الكتب والجرائد ووسائل التعليم والتهذيب ويحسب معرفتهُ لها نعمةً أَنعم عليهِ بها فعلى مَ لا يشترك فيها جميع اخوتنا بني البشر. وعدد الذين يمكن تعليمهم من الوثنيين في وقت معلوم لا يقلُّ عن عدد الذين يمكن تنصيرهم منهم

في ذلك الوقت كما تدلُّ التجارب فان الذين تنصَّروا من الهنود مثلاً منذ ابتدأ التبشير في بلادهم الى الآن لا يزيد على عدد الذين تعلَّموا اللغة الانكليزية منهم مع ان الاهتمام بالتبشير ابتدأ قبل الاهتمام بتعليم اللغة الانكليزية. اما فهم الحقائق بلغة اجنبية فاذا تعذر على المرء لا يتعذَّر على اولادهِ لانهم يولدون فيها فتكون الفائدة التامَّة قد تأخرت جيلاً واحداً

واما المناقشات والمجادلات فلم نذكرها لنستدلَّ منها على انها منعت المسيحيين او اخرتهم عن نشر دينهم بل لكي نبين ان عند علماء المسيحيين ما عند علماء المسلمين من هذا القبيل . ولا نعلم كم عدد الارساليات الاسلامية في البلاد الوثنية ولا نظن انهم ارسلوا دعاة الى بلاد الانكليز . ولم نذكر قط ان نجاحهم كان بالارساليات ولكننا نعلم ان سكان افريقية من البحر الاحمر شرقاً الى الاوقيانوس الاتلنتيكي غرباً ومن بحر الروم شمالاً الى خط الاستواء جنوباً كل هذه البلاد الواسعة الارجاء اسلامية ولا يثنى منها الاَّ بلاد الحبشة وبلاد الكنغو. والاسلام في بعضها قديم منذ الفتح الاول كما في مصر وتونس ولكنهُ في اكثرها حديث لا يمتدُّ تاريخهُ الى اكثر من مئة سنة الى مئتي سنة وقد انتشر فيها بالفتح وانتشرت معهُ اللغة العربية

الحركة الدائمة

حضرة منشئي المقتطف الاغر

اطلعتُ على نبذ في باب المراسلة والمناظرة اضعفتم بها هِمم الساعين في الوصول الى الحركة الدائمة بقولكم انهُ يستحيل الوصول اليها . وقد جئتكم الآن برسم آلة نفقاتها قليلة جدًّا تغني عن البخار ونفقاتهِ الكثيرة وهي عمود مجوف مثل قب الميزان راكز على نقطة في وسطهِ وفي طرفيهِ كرتان مجوفتان ايضاً من الصلب وتحت الكرتين عمودان في اعلى كل عمود صفيحتان من الصلب المرن على هيئة قوسين . فاذا مُلئ ثلثا فراغ الكرتين بالزيبق وفُرّغتا من الهواء واميلت احدى الكرتين حتى تضرب على القوس الذي تحتها ارتدَّت بالمرونة ووقع الزيبق منها الى الكرة الاخرى فسقطت على القوس الذي تحتها ثم ترتدُّ عنهُ بالمرونة وهلمَّ جرًّا فتتحرك حركة دائمة . فما قولكم في ذلك

مصر حسين فهمي

[المقتطف] لو جربتم هذه الآلة ما اتعبتم نفسكم بكتابة هذه السطور لانكم مهما اتقنتموها لا تكون حركتها دائمة ولا تدوم الاَّ دقيقة او اقل وهي تضعف رويداً رويداً الى ان تنقطع واذا حاولتم ادارة آلة بها وقفت عن الحركة سريعاً . ولو تمعنتم في قراءة ما كتبناه عن استحالة الحركة الدائمة لاقتنعتم باستحالتها ولم تعودوا تفتكرون بإمكانها . والمبدأ العام الذي تبنى عليهِ

استحالة الحركة الدائمة ان الجسم المتحرك يخسر شيئاً من حركته فتقل الى ان تزول فاذا حركنا قب الميزان بقوة ما فالقوَّة التي حركناهُ بها شيءٌ لهُ مقدار محدود ولنفرض انها عشرة ارطال مترية اي قوة ترفع عشرة ارطال مسافة متر واحد في الثانية من الزمان فالقبُّ الذي حركناهُ بهذه القوة يتحرك بها ولا يقدر من نفسهِ ان يزيدها او ينقصها لانهُ جماد لا حياة فيهِ ولا يولّد قوَّة من نفسهِ. ولنفرض ان وقوع الزيبق من كرة الى اخرى بقوة الجاذبية عند ميال القب يساوي خمسة ارطال مترية فمجموع القوة التي تقع بها احدى الكرتين ١٥ رطلاً ولنفرض ان مرونة القوس تامة فترتد الكرة عنهُ بقوة ١٥ رطلاً فيذهب ٥ ارطال منها في رفع الزيبق الى النقطة العليا التي سقط منها ولا يبقى من القوة الاً عشرة ارطال يزول قليل منها بمقاومة الهواء للكرة من الخارج و بفرك مركز القب على النقطة التي تحتهُ ولنفرض ان الذي يزول منها هو نصف رطل فقط فيقع الزيبق الى الكرة الثانية عند ارتفاع الكرة الاولى بقوة خمسة ارطال وتقع الكرة الثانية بما بقي من القوة وهو تسعة ارطال ونصف رطل ثم ترتدُّ بمرونة القوس بقوة اربعة عشر رطلاً ونصف رطل يضيع خمسة ارطال منها برفع الزيبق ونصف رطل بمقاومة الهواء والفرك فيبقى من القوة الاصلية التي حركنا القب بها تسعة ارطال فقط و يضيع منها نصف رطل تقريباً في كل حركة فتضيع كلها بعد ان يتحرك القب صعوداً ونزولاً عشرين مرة. وقيسوا على ذلك سائر الآلات التي لا تتجدَّد القوة المحركة لها . اما اذا تجددت القوة المحركة فليس من الصعب ان تدور الآلة مئات من السنين على التوالي ففي مدينة روان ساعة دقاقة صنعت سنة ١٣٨٩ ولا تزال تسير حتى الآن لانها تدوَّر كل اسبوع او اكثر اي تعطى قوة جديدة بدل القوة التي ضاعت منها

كتابة الكلمات الاعجمية

حضرة الافاضل منشئي المقتطف

نرى الانكليز وغيرهم من الاوربيين يكتبون الاعلام العربية على صورة ما تلفظ بهِ فيكتبون بدر الدين هكذا Bedr Eddeen كما تلفظ في العربية اما نحن فاذا اردنا كتابة علم اوربي حرفناهُ او كتبناهُ على صورة تلفظ على غير لفظهِ الاصلي مثال ذلك اسم القائد Gordon والقائد Gatacre فان الانكليز يلفظونهما كُوْرْدِن وكاتاكر واما نحن فنكتبهما غوردون وجاتاكر بالغين والواو بعد الدال في الاسم الاول والجيم في الاسم الثاني وحرف G يلفظ في الكلمتين كما يلفظ حرف ك التركية لا كما تلفظ الغين ولا كما تلفظ الجيم . نعم ان

المصريين يلفظون الجيم كما تلفظ الكاف التركية ولكن لفظهم هذا غير شائع في الشام والعراق وبلاد العرب وتونس والجزائر ومراكش فكان الاولى بالكتَّاب ان يستعيروا حرف الكاف من اللغة التركية وان يسمعوا لفظ الاعلام من اصحابها ويكتبوها حسب ذلك

سدني باستراليا — وديع ابو رزق



السيارات وحركاتها في شهر نوفمبر ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء حتى العشرين من الشهر الساعة ٢ صباحاً ويمرُّ حينئذٍ باقترانهِ الاسفل ثم يصير سيرهُ شرقاً . وطريقهُ بين الميزان والعقرب وتبقى حركتهُ مستقيمة حتى التاسع عشر من الشهر الساعة ٦ صباحاً ثم يثبت وتصير حركتهُ متقهقرة الى التاسع والعشرين الساعة ٩ مساء ثم يثبت. ويبقى في عقدتهِ الصاعدة حتى ١٨ الشهر الساعة ٩ مساء ويقطع نقطة الراس في ٢٣ الساعة ١١ صباحاً ويجب ان يظهر في الشفق في اوائل الشهر واطئاً في الجنوب الغربي

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كلهُ وسيرها في برج السنبلة شرقاً وتقطع نقطة الراس في ١٣ الشهر الساعة ٨ صباحاً ويستدير ثلاثة ارباع قرصها في الخامس عشر من الشهر

المريخ

المريخ نجم الصباح وسيرهُ شرقاً في برج الاسد ويمرُّ على درجة ونصف من قلب الاسد شمالاً في ١٨ منهُ ويستدير ٩ اعشار قرصهِ في ١٥ من الشهر

المشتري

المشتري نجم المساء ولكنهُ يقرب كثيرًا من الشمس في اواخر الشهر وسيرهُ شرقاً بين العقرب والرامي

زحل

زحل نجم المساء وحركتهُ مستقيمة في برج الرامي

اقترانات القمر بالسيارات

يوم	ساعة					
في ١٤	٧	مساء يقترن بالمريخ فيقع	°٧	٣٩َ	شمالاً
١٩	٣	صباحاً " بالزهرة فتقع	°٥	٥١َ	"
٢٢	٣	" " بعطارد فيقع	١	٣٩	"
٢٣	٧	مساء " بالمشتري "	°١	٣َ	جنوباً
٢٥	٢	صباحاً " بزحل "	°٢	٨َ	"

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
البدر	٧	١	٠	صباحاً
الربع الاخير	١٤	٤	٣٧	"
الهلال	٢٢	٩	١٧	"
الربع الاول	٢٩	٧	٣٥	مساء
في الاوج	٥		٦,٢	
" الحضيض	١٧		٨,٦	

تنبيه . الوقت المستعمل هنا هو وقت سكة الحديد المصرية وهو يتقدم وقت غرينوج بساعتين تماماً لا بساعتين وخمس دقائق كما كان قبلاً

الآلات الرياضيَّة

لا نكتب في موضوع من مواضيع المقتطف الآ ويخطر ببالنا معرض باريس وما فيهِ مما يتعلق بذلك الموضوع . فكلمة رياضيات تذكرنا بقسم كبير من المعرض عُرضت فيهِ الآلات الرياضية آلات القياس الدقيق التي لولاها ما تقدَّمت الصنائع الاوربية وآلات البحث والتحقيق التي لولاها ما تقدَّمت العلوم الطبيعية وما يبنى عليها — تذكرنا ذلك القسم الكبير من المعرض وفيهِ ما يقوي العزائم وهو ان الامة التي فاقت فيهِ غيرها واستحقَّت ان تأخذ نشان الامتياز على كل الامم العارضات فيهِ على فرنسا وانكلترا وايطاليا واميركا هي المانيا التي لم تهتم بعمل هذه الآلات الآ منذ خمس وعشرين سنة وقبل ذلك كان الالمانيون يمضون الى انكلترا وفرنسا لكي يتعلموا فيهما عمل الآلات الرياضية فصاروا الآن في مقدمة الامم كلها كما يظهر مما عرضوهُ ويقال انهُ

كان يصدر من بلادهم سنوياً من هذه الآلات منذ عشر سنوات ما ثمنهُ مئتا الف جنيه فصار يصدر منها الآن ما ثمنهُ سبع مئة الف جنيه . عشرون سنة كفت الأُمة الالمانية لتفوق غيرها في عمل من ادق الاعمال كلها فلا يعجز ابناء المشرق عن مجاراة الاوربيين اذا اجتهدوا اجتهادهم عشرين سنة او ثلاثين سنة وكان لهم من حكوماتهم ورؤَسائهم منشط كما كان للالمانيين

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ .

(١) برودة الماء

دمشق . محمد افندي عبد الرؤوف الرفاعي المصري . ما الحكمة في برودة ماء بعض الانهار نهاراً وسخونتها ليلاً وانما قلنا بعض الانهار بناء على تجربتنا

ج لو قستم حرارة ماء النهر بمقياس الحرارة (الترمومتر) لوجدتموها واحدة في النهار وليلهِ او تكون في الليل ابرد منها في النهار . وما تشعرون بهِ من سخونتها ليلاً وبرودتها نهاراً ناتج عن ان الهواء يكون بارداً في الليل وحاراً في النهار فاذا كان الجسم بارداً من اتصالهِ بهواء الليل وغطس في الماء شعر بهِ حاراً واذا كان حاراً من اتصالهِ بهواء النهار وغطس في الماء شعر بهِ بارداً ولو كانت حرارة الماء واحدة في الحالين .

ويمكن تجربة ما يماثل ذلك هكذا : ضعوا ماء سخناً في اناء وماء بارداً في اناء آخر وماء فاتراً في اناء ثالث ثم غطسوا كفكم اليمنى في الماء السخن واليسرى في الماء البارد نحو نصف دقيقة وارفعوهما كلتيهما معاً وغطسوهما في الماء الفاتر فتشعر بهِ الكف اليمنى بارداً واليسرى حاراً وما ذلك الاَّ لان الشعور نسبي لا مطلق فاعتياد الكف اليمنى الماء السخن جعلها تشعر بما هو احر منهُ بارداً جداً واعتياد الكف اليسرى الماء البارد جعلها تشعر بما هو احر منهُ حاراً جداً وهو واحد في الحالين . ومن هذا القبيل الشعور بالطعوم فاذا اكلتم تفاحة بعد اكل العسل شعرتم بها

حامضة واذا اكلتموها بعد اكلكم ليموناً حامضاً شعرتم بها حلوة

(٢) العقل في الانسان والحيوان

ومنهُ . هل العقل الغريزي في الانسان ارقى منهُ في الحيوان ام هما متساويان

ج عقل الانسان ارقى من عقل الحيوان كثيراً . وقوة الادراك هذه التي تسمى عقلاً تتفاوت كثيراً في انواع الحيوان وفي افراد النوع الواحد وقد بلغت ارقاها في الطوائف المرتقية من نوع الانسان كاليهود والعرب والفرس والاوربيين بنوع عام ولم تزل منحطة جداً في بعض طوائف الناس كسكان استراليا الاصليين

(٣) الكحول الخشب

ومنهُ . بلغنا ان الالكحول (السبيرتو) يحضَّر من ورق الذرة والتبن والنشارة كما يحضر من العنب والسكر فكيف يحضر منها

ج ان الالكحول يحضر من كل المواد الخشبية ولكنهُ لا يكون مثل الكحول العنب و يستحضر منها بالاستقطار في آنية من الحديد فيخرج منها سائل فيهِ مواد مختلفة اهمها الحامض الخليك والالكحول المثيلي (اي الخشبي) و يختلف مقدار الالكحول الخشبي حسب نوع الخشب ومقدار الحرارة من خمسة اعشار الخشب الجاف الى جزء من المئة منهُ . ثم يعدَّل السائل بلبن الكلس وتستقطر المواد القابلة التجخر منهُ او تستقطر السوائل راساً في آنية من النحاس فيخرج الالكحول اولاً ولا يكون نقياً فيضاف اليهِ لبن الكلس ويترك معهُ عدة ساعات لتنقيتهِ من الحوامض و يستقطر ثانية فيخرج منهُ اولاً سائل خفيف لا لون لهُ ثقلهُ النوعي ٠٫٨١٦ فيضاف اليهِ ماءٌ حتى يصير ثقلهُ النوعي ٠٫٩٣٥ فيطفو ما فيهِ من الزيوت والشوائب فتخرج منهُ ثم يستقطر ايضاً وقد يعاد استقطارهُ مراراً حتى يتنقى جيداً . و يستحيل اتمام هذه الاعمال الآن ومناظرة الاوربيين بغير الآلات المتقنة التي تستعمل لها في اوربا

---

(٤) نور الاسيتيلين

مصر . عبد الكريم افندي فهمي . هل من خطر في جهازات النور بالاسيتيلين وان كان كذلك فكيف يحدث الخطر وما هي الطرق الواقية منهُ

ج لا يخلو استعمال الاسيتيلين من الخطر لانهُ يتفرقع احياناً من نفسهِ اذا اشتدَّ عليهِ الضغط . وقد ابنَّا في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف ان المسيو برتلو والمسيو فيَل وجدا بالامتحان انهُ اذا مزج غاز الاسيتيلين بالاسيتون صار سليم العاقبة جداً بالنسبة الى ما كان قبل مزجهِ فبعد ان كان يتفرقع اذا بلغ الضغط على السنتيمتر المربع منهُ كيلوغرامين يصير لا يتفرقع الاَّ اذا بلغ الضغط عشرة كيلوغرامات

(٥) تليين قرن الجاموس

بغداد . داود افندي فتو الصيدلاني . كيف يذاب قرن الجاموس ثم يعود صلباً بعد ذوبانهِ

ج لا يذاب ولكن يليَّن حتى يلين جدًّا و يصير ينضغط في المضاغط وذلك بالتسخين في ماء غالٍ أُضيف اليهِ مادة قلوية او بتسخينهِ على النار بعد تقطيعهِ قطعاً رقيقة ومتى برد يعود اليهِ صلابتهِ و يتخذ الصورة التي تعطى لهُ حين ضغطهِ

---

(٦) العلاج بالعنب

الاسكندرية . س . س . ما هي فائدة استعمال كورة العنب وما هي شروطها والمقدار الكافي منها

ج بقينا نحو ربع ساعة نفكر في معنى قولكم كورة العنب حتى خطر لنا اخيراً انكم تريدون بالكورة الكلمة الفرنسوية او الانكليزية التي معناها الشفاء او العلاج فان كان هذا مرادكم فالعلاج بالعنب يكاد يكون خرافة كالعلاج بالماء لا لان اكل العنب لا يفيد بل لانهُ لا يفيد كل الفوائد التي تنسب اليهِ . اما الامراض التي يقال انها شفيت باكل العنب فالغالب انها شفيت من الوقاية وتغيير الهواء وفعل الوهم بالمجموع العصبي ونحو ذلك مما يجتمع في هذه المعالجة . واذا مصَّ الانسان العنب مصاً ولم يبلع قشرهُ ولا عجمهُ (بزره) امكنهُ ان ياكل منهُ ارطالاً كثيرة كل يوم و يستفيد من اكلهِ مهما كان حالهُ ولكنهُ لا يشفى من مرض فيهِ الاَّ اذا عالجهُ بعلاجهِ وكان اكل العنب مساعداً للعلاج

---

(٧) تاثير الضباب

الاسكندرية . عبد الرحمن افندي جميعي . هل للضباب تأثير نافع في الصحة

ج كلاَّ . والهواء الجاف اصلح من الهواء الرطب دائماً الاَّ في احوال نادرة

(٨) الاميبا

ومنهُ . هل يوجد حيوان صغير لا امعاء لهُ ولا اعضاء . وان وجد فكيف يتركَّب وكيف يهضم غذاءهُ وكيف يعيش

ج ان الخلايا او الحويصلات الاولى التي تتركب منها الاجسام الحية حية بنفسها وتمتص الغذاء مما حولها وتغتذي بهِ وتكبر وتتكاثر ولا اعضاء لها ولا امعاء ويمكننا ان نسميها بالحيوان الاول او الحي الاول (راجعوا خطبة السر وليم ترنر المدرجة في هذا الجزء) والاميبا وهو من ابسط انواع الحيوان المعروفة يوجد في الماء العذب والطين والارض الرطبة وقد يكبر جرمهُ حتى يرى بالعين المجرَّدة وهو زق مستدير تمتد منهُ نتوات مختلفة الاشكال كأنها اعضاء لهُ ولكنها لا تبقى على حالة واحدة بل تتغير كثيراً ولذلك سمي بالاميبا اي المتغير وبهذه النتوات ينتقل من

جهة الى اخرى واذا وصل الى دقائق الغذاء الذي يغتذي بها انعطف عليها وامتص منها ما فيها من الغذاء وطرح الفضول ومتى بلغ اشدَّهُ انسع وانشق الى اثنين يصير كلٌّ منهما حيوانًا قائمًا بنفسهِ . وانواع الاميبا مختلفة وكذلك اوصافها واطوارها مختلفة وتشترك كلها في انها خالية من الامعاء والاعضاء حسب مفهومها العادي . هذا وانا نشكركم على كتابكم الذي صدَّرتم بهِ هذين السؤالين . وغاية ما نتمناهُ ان يطالع القراء المقتطف بالامعان ويستفيدوا مما فيهِ من الفوائد التي نلتقطها من موائد العلماء ونزفها الى قرَّائهِ شهرًا بعد شهر

(٩) القصيدة الهندية

سوق الغرب . نسيم افندي نقولا بارد . طالعت المجلد الحادي عشر من مقتطفكم الاغر فلم اعثر على القصيدة الهندية التي اشرتم اليها في الجزء السادس من المجلد الرابع والعشرين فهل لكم ان تفيدونا في اي جزء واي مجلد هي

ج في الجزء العاشر من المجلد الثاني عشر ومطلعها

ارالكِ في يقظة من لوعة الالم
اني شبيهكِ مكلوم فمي كلمي

(١٠) حقائق جيولوجية

امبابه . سمعان افندي عوض يقول الراسخون في علم الجيولوجيا ان الصحراء كانت في زمان سلف قاع بحر ونزحت عنها المياه على تمادي الايام وكرور السنين . ويقول آخرون ان جزائر البلاد الانكليزية كانت ملاصقة لقارَّة اوربا وان اوربا كانت متصلة بافريقية وافريقية كانت متصلة باميركا فكيف توفقون بين القولين وكيف نزحت المياهُ من الصحراء وجفت

ج القولان صحيحان معًا وعلى صحتهما ادلة كثيرة اقربها وجود عظام حيوانات قديمة في بلاد الانكليز لا تعيش فيها الآن ولا في اوربا كلها كالاسد والفيل . وقد وجدت فيها قبل وجود الانسان وهي تدلُّ على اتصال قديم بين جزائر بريطانيا واوربا وافريقية . ووجود آثار بحرية من اصداف ونحوها في الصحراء تدل على انها كانت مغمورة بماء البحر. اما التغيُّر الذي يطرأُ على الارض فترتفع في جهة وتنخفض في اخرى فمن اسبابهِ ان الحرارة التي في جوف الارض ترفع قشرتها في بعض الاماكن رويدًا رويدًا فترتفع وتعلو عن سطح البحر اذا كان البحر غامرًا لها . وان الامطار والانهر تفتت صخور الارض وتجرفها الى قاع البحر فتنخفض الاماكن العالية على مر الزمان وترتفع الاماكن المنخفضة التي يتجمع فيها ما تجرفهُ المياهُ اليها . ولا يسهل عليكم تصوُّر هذه الامور جيدًا الاَّ اذا درستم كتابًا في مبادىء الجيولوجيا

(١١) اوجه القمر

ومنهُ . كيف يبدو الهلال دقيقاً ثم يزداد حتى يمسي بدراً كاملاً ثم يتناقص حتى يعود كما بدا

ج امسكوا برتقالةً بيدكم اليسرى تمثل كرة الارض وشكوا في اعلاها دبوساً يمثل شخصاً واقفاً عليها وضعوا عند قدميكم قنديلاً يمثل الشمس وامسكوا في يدكم اليمنى تفاحةً تمثل القمر وادبروها حول البرتقالة من الغرب الى الشرق دوراناً بطيئاً جداً فتروا انهُ حينما تكون في اعلى نقطة من دائرتها يكون الجزء المتجه منها الى القنديل اي الجزء المستنير متجهاً كلهُ الى البرتقالة ايضاً فتكون التفاحة حينئذٍ بمثابة القمر وهو بدرٌ . ثم اذا تقدَّمت الى الامام في دائرتها لا يعود نصفها المستنير يُرَى كلهُ عند مقام الشخص الواقف على الارض بل يرى بعضهُ ويقل ما يُرَى منهُ رويداً رويداً الى ان يصير هلالاً ثم لا يعود يُرَى منها الا الجزء غير المستنير . ومتى عادت الى الجانب الآخر يظهر منها اولاً جزء صغير من الوجه المستنير وهو الهلال ثم جزء اكبر منهُ وهلمَّ جرًّا الى ان يظهر وجهها المستنير كلهُ كما تقدم وهذا شأن القمر فانهُ يدور حول الارض فيرى من على الارض تارة كل وجههِ المستنير وتارةً نصفهُ وتارة ربعهُ وهلمَّ جرًّا

(١٣) واضع وجاق الانكشارية

ومنهُ . تضارب الرواة في الاهتداء الى مَن اخترع وجاق الانكشارية فذهب بعضهم ان السلطان اورخان الغازي اوجدهُ سنة ١٣٢٥ للميلاد وقال فريق بل السلطان مراد الاول سنة ١٣٦٠ فاي الروايتين اصح

ج القولان صحيحان فان السلطان اورخان اول من ابتدأ في جمع ابناء الاسرى المسيحيين وتعليمهم لتأليف وجاق الانكشارية (اي الجيش الجديد) منهم والسلطان مراد اول من نظم هذا الوجاق ووسع نطاقهُ

---

(١٢) موت النحلة

امبابه . اسكندر افندي نبيه . يقال ان النحلة عند ما تلدغ احداً تموت لوقتها فما فما سبب ذلك



ج الغالب ان حمتها تنزع منها مع جانب من احشائها وتبقى غارزة في جلد من تلدغهُ فيكون ذلك سبباً لموتها . اما بقاء الحمة في الجلد فسببهُ ان لها اسناناً متجهة الى الاعلى كما ترون في هذا الشكل (وهو صورة حمة مكبَّرة جداً) فتعلق بالجلد ويعسر خروجها منهُ

(١٤) الشعر المصري

ومنهُ . ألا يوجد شعر بالقلم البربائي وان كان فمن اول من نظمهُ ومن اشعر شعرائهم

ج رأينا ترجمة قصيدة بليغة لشاعر من شعرائهم اسمهُ بنتور كان في عهد رعمسيس الثاني وذلك يدل على ان الشعر كان مستعملاً عندهم اما التوصل الى اول من نظم الشعر والى اشعر الشعراء فليس من الممكنات في ما نظن

(١٥) سكان الجية

لبنان . الاميرة رشيدة شهاب . ان سكان الجيَّة (بلدة صغيرة على شاطىء البحر بلبنان) يموتون في سن اربعين الى خمس واربعين ويندر من يعمر منهم ستين سنة مع ان هواء الجية جيد البحر الى الغرب منها وتحيط بجهاتها الثلاث الباقية جبال مشجرة وكسل السكان يمنعهم من ممارسة الاعمال الشاقة غير انهم ممتازون بقلة النظافة وقلة اكل الاطعمة المغذية فهل هذا سبب كافٍ لقلة تعميرهم

ج نعم ان قلة الغذاء وقلة النظافة تعرّضان الجسم للضعف والمرض ولا تبقيان في دقائقهِ قوةً لمقاومة العوارض زمناً طويلاً حتى يعمر . واذا توالت اسباب قلة التعمير على قوم صارت قلة التعمير وراثية فيهم كما يكون التعمير وراثياً ايضاً فلا تفارقهم الا بعد ان يستمروا على منع اسبابها زمناً طويلاً . وحبذا لو اهتمت حكومة لبنان باحصاء المواليد والوفيات يومياً في كل انحاء الجبل واحصاء اعمار المتوفين فيصير الحكم في هذه المسألة وامثالها مبنياً على اسس وطيدة

(١٦) تاريخ السكك الحديدية المصرية

مصر . يعقوب افندي متى . ما هو تاريخ وجود السكك الحديدية في القطر المصري ومن منشئها والسبب فيها

ج حالما نجحت السكك الحديدية في انكلترا اهتمَّ الانكليز بانشاء سكة حديدية في القطر المصري تكون صلة بين البحر الاحمر وبحر الروم لاجل المتاجرة مع الهند وذاكروا محمد علي باشا في ذلك سنة ١٨٣٧ فاجابهم اليهِ وتم الاتفاق على احضار الادوات اللازمة واُحضر نصفها لكن فرنسا اعترضت على ذلك ومنعت انشاء السكة فاستعملت القضبان التي احضرت في اعمالٍ اخرى . ولما تولى عباس باشا سنة ١٨٤٨ عادت الحكومة الانكليزية تطلب انشاء هذه السكة وكانت فرنسا قد كفَّت عن المعارضة فأُذن للانكليز في انشائها بفرمان من الباب العالي وانشأُوا منها سبعين ميلاً في عهد عباس باشا و١٣٥ ميلاً في عهد سعيد باشا وتمَّ اكثرها في عهد اسمعيل باشا

(١٧) تنظيف الفضة

ومنهُ . كيف تنظف الآنية الفضية اذا وجدت عليها بقع من انصباب ماء الصودا عليها

ج تفرك بالاسبيداج جيداً فتعود الى لونها وجلائها

---

(١٨) استعمال المسكرات

مليج . حبيب افندي حنا . اصبح من المقرر ان المسكرات ممقوتة لدى رجال الصحة والادب فلماذا يستعملها الامراء والملوك على موائدهم وفي حفلاتهم الرسمية و يجعلون شربها دليلاً على ما يبديه بعضهم لبعض من الاكرام

ج اعتاد الناس شرب المسكرات منذ قرون كثيرة ولم يثبت لهم ضررها او عدم نفعها الأ منذ سنوات قليلة . وما رسخ استعماله مدة الوف من السنين لا يسهل ابطاله في بضع سنوات . ولا بدَّ من التمييز بين شرب المسكرات وبين السكر فان السكر ضار وضرره معروف منذ قرون كثيرة ولم يقل احد بجوازه واما الشرب القليل فكان المظنون انهُ نافع الى ان ثبت الآن انهُ لا ينفع الاَّ في بعض الاحوال المرضية

(١٩) ثدي الرجل

ومنهُ. لاي شيء وجد الثدي في الرجل

ج رجَّح الشهير داروِن ان الرجال كانوا يرضعون الاطفال كالنساء ثم ابطلوا ذلك فضمرت ثندواتهم بقلة الاستعمال وصار ضمورها وراثياً فيهم ولكنها لا تزال تتأثر تأثر ثدي النساء فتكون في الطفلة كما تكون في الطفل وتهيج قليلاً في مرض الحصبة وحينما يبلغ الصبي وقد تدرُّ شيئاً من اللبن حينئذٍ . وهناك فرض آخر فرضهُ داروِن وهو ان الثدي مكتسب في الاناث غير اصلي فيهنَّ فيرثهُ الذكور من نسلهنَّ كما يرثهُ الاناث لكنهُ لا ينمو فيهم كما ينمو فيهنَّ لان النساء اكتسبنهُ بعد ان انفصل جنس الذكور عن جنس الاناث . وقد رجَّح داروِن الفرض الاول لاسباب لا محل لبسطها الآن . وعليهِ يكون الثدي قد وجد في الرجال اولاً لكي يرضعوا الاطفال بهِ ثم ضمر بقلة الاستعمال

(٢٠) تنازع البقاء

ومنهُ . ان ما يسمى بجهاد الحياة او تنازع البقاء يقضي على الانسان باستخدام كل ما يراه ممكناً لنيل ما يطلبهُ سواء عمد الى القوة او الى الحيلة . وترى المخادعة وهي اهم ما يعتمد عليهِ في هذا العصر لنيل غرضهِ ممقوتة في شرع الآداب فهل يجب على الانسان ان يتبع حكم الآداب والفضائل او ناموس الحياة الذي يقتضي الجهاد والتغلُّب على الغير بكل واسطة ممكنة

ج ان ناموس التنازع لا يوجب على المرء ان ينازع ابناء نوعهِ بل يوجب عليهِ ان يستعين بابناء نوعهِ على اخذ لوازم المعيشة من الارض من جمادها ونباتها وحيوانها . وقد اخطأ الناس اولاً فهم هذا الناموس فحسبوا ان من مقتضاه ان يأكل بعضهم

بعضاً فلم يفلحوا الاَّ القليل ثم اهتدوا الى ناموس التعاون فاستفادوا منهُ كثيراً وتدمثت بهِ اخلاقهم الوحشية وقويت فيهم الغيرية وما يتصل بها من الآداب والفضائل فصار الفضلاء يؤْثرون على انفسهم ولو بهم خصاصة او يساوون غيرهم بانفسهم وما احسن ما قالهُ الشاعر العربي في هذا المعنى

اذا ما رفيقي لم يكن خلف ناقتي
له مركب فضل فلا حملت رحلي
ولم يك من زادي له نصف مزودي
فلا كنت ذا زاد ولا كنت ما رحلي
شريكين في ما نحن فيهِ وقد ارى
عليَّ لهُ فضلاً بما نال من فضلي

وما قالهُ الآخر

فلا نزلت عليَّ ولا بارضي
سحائبُ ليس تنتظم البلادا

وجملة القول انهُ يجوز للانسان ان يخادع الحيوان ويحتال على النبات لاجل معيشتهِ ولكن لا يجوز لهُ ان يخادع ابناء نوعهِ بل يجب عليهِ ان يعاونهم ويستعين بهم

(٣١) مشابهة الاولاد لوالديهم

ومنهُ . هل من الضروري وجود بعض المشابهة بين الاولاد ووالديهم في الخلقة ويمتاز الابن بمشابهتهِ اباهُ والبنت بمشابهتها امها او تنحصر هذه المشابهة في تركيب الجسم فقط

ج اذا كان في احد الوالدين او فيهما كليهما صفات قديمة راسخة ظهرت في نسلها ايضاً من غير تمييز فقد يشبه الولد اباهُ اكثر مما يشبه امهُ او يشبه امهُ اكثر مما يشبه اباهُ او يشبه اباهُ في بعض الصفات وامهُ في البعض الآخر. واذا كانت صفات الاب او صفات الام حديثة غير راسخة فالغالب انها لا تنتقل الى النسل . وكما يرث الولد من والديهِ يرث من اسلافهما ايضاً لكن ما يصل اليهِ من صفات اسلافهِ يقل رويداً رويداً ببعدهِ عنهم على حسب الناموس الذي اكتشفهُ العالم فرنسيس غلتون وذكرناهُ غير مرة

(٣٢) تكلم الاصنام

ومنهُ . يظهر من مطالعة تواريخ القرون السالفة ان الناس كانوا يستشيرون اصنامهم في امورهم فهل كانت تلك الاصنام تتكلم او كان الكهنة يخدعونهم حتى يظنوا انها تتكلم وهي بكماء

ج اما كلامها فامر غير معقول لان الجماد لا يتكلم واما خداع الكهنة فامر يقيني ولا يزال كهنة الوثنيين يخدعونهم بمثل ذلك حتى الآن . وقد يكون الكاهن مخدوعاً لا خادعاً فيتوهم توهماً انهُ سمع صوت الصنم معبودهِ ويخبر الناس بما سمعهُ في وهمهِ

(٣٣) حقيقة الرباط

ومنهُ . أصحيح ما يقال في امر الرباط فان كثيرين يقولون انهُ مثبت بالامتحان

ج الصحيح منهُ ان وهم الانسان يؤثر في افعالهِ فاذا توهم انهُ مربوط فقد يؤثر هذا

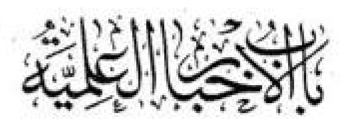
الوهم في اعصابهِ واعضائهِ عموماً ويكون حالهُ حينئذٍ حال من نوّم التنويم المغنطيسي وقيل لهُ انك مقيد الرجلين فيصير يرسف رسفاً كالمقيد بقيد من حديد او قيل لهُ ان يدهُ عسماء يابسة لا تتحرك فيصير يحاول تحريكها وهي لا تتحرك . الاَّ ان هذا النوع من الوهم لا يؤثر الاَّ في البسطاء الجهلاء او من يصدق الاوهام ولا يقدر على التمييز بينها وبين الحقائق

(٣٤) زوال المدنية الاوربية

ومنهُ . اينتظر ان تتحوَّل مدنية الغربيين الى همجية وهمجية الشرقيين الى مدنية وان كان الامر كذلك فماذا تعللونهُ

ج لا يظهر من سير التمدن الغربي انهُ يمكن ان يزول وتحل الهمجية محلهُ ولكن يحتمل او يرجح ان الاقطار الاوربية تبرد كثيراً لاسباب فلكية فلا يعود الانسان قادراً على السكن فيها فيهجرها فتخرب مدنها وتعفى آثار معالمها . اما الشرقيون او اهالي الاقاليم الحارَّة والقريبة منها فلا بدَّ من ان يقتفوا خطوات الاوربيين في اقتباس اساليب العمران ويجاروهم فيها . هذا ما تدلُّ عليهِ الدلائل الحاضرة ولكن قد تطرأ على الارض ونوع الانسان طوارئ كثيرة تغير ما يرى من سير العمران وتفضي الى ما لا ينتظر من مصير الانسان





اتقاء الحمى الملارية

اذا قُدّر لمسألة علمية ان يكون لها نفع لدى الاغنياء ورجال السياسة فلا تسل عن مقدار اهتمامهم بها واتفاقهم على تحقيقها كما حدث في مسألة الملاريا اخيراً فانهُ لم يكد يتضح ان نوعاً من البعوض ينقل عدواها من شخص الى آخر وانهُ اذا استئصل هذا البعوض من مكان مشهور بانتشار الحمى الملارية فيهِ زالت تلك الحمى منهُ حتى قام تجار الانكليز الاغنياء وقالوا اذا وجدنا طريقاً لاستئصال الحميات من البلدان الاجمية في افريقية وغيرها صار السكن فيها ممكناً للاوربيين واستثمار خيراتها ميسوراً لهم وفي ذلك من الربح ما فيهِ وانشأوا مدرستين في لندن وليربول لتعليم طب الامراض التي تفشو في البلدان الاستوائية واوفدوا وفدين الى غربي افريقية واواسطها ووفداً ثالثاً الى آجام رومية المشهورة بحمياتها

وبعثت المانيا بالدكتور كوخ الشهير الى اماكن مختلفة للبحث والتنقيب عن علة الحميات الملارية وعن طريقة اتقائها واقرّت على انشاء مدرسة في مدينة همبرج لتعليم طب الامراض التي تفشو في البلدان الحارّة

ومهما يكن غرض الاوربيين من الاهتمام بالبحث عن هذه الامراض وطرق علاجها لا يسع احدًا منا انكار الفوائد التي نالها نحن وكل سكان البلدان الحارّة من هذا البحث . فقد ثبت الآن ان بعوض الحمى الملارية الذي رسمنا صورتهُ في جزء سبتمبر الماضي ينقل العدوى من المريض الى السليم. وآخر دليل على ذلك ان الاستاذ باستيانلي الايطالي بعث الى الدكتور مانسون الانكليزي بعوضاً من هذا البعوض من رومية بعد ان ثبت لهُ انهُ لسع انسانًا مصابًا بالحمى الملارية فوصل البعوض الى مدينة لندن سالماً في شهر يوليو الماضي وللدكتور مانسون ولد لم يمضِ الى بلاد ملارية في حياتهِ فعرَّض نفسهُ لهذا البعوض حتى لسعهُ وللحال اصيب بالحمى الملارية وظهرت جراثيمها في دمهِ

وقد اختلفت آراء العلماء الباحثين في كيفية الوقاية من هذه الحمى فاشاروا اولاً بنزح المياه من المستنقعات التي يتولد فيها هذا البعوض او بطرح شيءٍ فيها من قاتلات البعوض وآخر شيءٍ قرأناهُ من هذا القبيل ان الدكتور كوخ صنع مادة مركبة من الكينا اذا طُرحت في الماء لم يعد بعوض الحمى يتولد فيهِ . اما هو فينكر ذلك ويقول ان استئصال البعوض من الآجام امر متعذر او ضرب من المحال

والمتفق عليهِ الآن عموماً استعمال الكلأت (الناموسيات) والمعالجة بالكينا زمنًا طويلاً فاذا مرض احد بالحمى الملارية يحوَّط سريرهُ بناموسية تمنع دخول البعوض اليهِ لكي لا يمتص شيئًا من دمهِ فينقل العدوى منهُ الى غيرهِ ويعطى الكينا علاجاً لهُ. واذا نزل انسان بلاداً ملارية وجب عليهِ ان يضع حول فراشهِ ناموسية تمنع دخول البعوض اليهِ ليلاً فاذا وقى نفسهُ من البعوض ليلاً سلم من الحمى . ومما يؤيد ذلك ان الدكتور مانسون اشار منذ مدة ان يبنى بيت صغير في آجام رومية يسكنهُ اناس من شهر مايو الى شهر اكتوبر ويكون حول اسرتهِ ناموسيات تمنع دخول البعوض اليها ويجب على سكانهِ ان يدخلوا الناموسيات عند الغروب قبلما يطير البعوض فبني البيت ومضى اليهِ الدكتور لو والدكتور سامبون من مدينة لندن وسكناهُ من شهر يونيو الماضي وحتى الآن لم يصابا بالحمى الملارية وذلك يؤيد ما اثبتهُ عبد الله افندي جبور في صفحات المقتطف منذ نحو سبع عشرة سنة في الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن حيث قال "من اراد ان يقي نفسهُ من الحمى الملارية فليضع لسريرهِ كلّة (ناموسية)

تمنع دخول البعوض اليهِ في بلاد المستنقعات" وذلك بعد ان قال " انهُ شاهد امتداد الحمى الملارية في راشيا مرتين في خريف سنة ١٨٧٨ وسنة ١٨٨٢ وعلم ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من نبات المستنقعات البعوض فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمى الملارية ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء وهذا الامر لاينكرهُ عاقل في قضاء راشيا "

هذا والظاهر ان الحمى الملارية افتك الامراض بنوع الانسان ولاسيما في البلدان الحارَّة حيث يموت اكثر الناس بها

ثروة ركفلر وملوك اوربا

يعلم قراء المقتطف اسم ركفلر الغني الاميركي الشهير من ذكرنا لكرمهِ الحاتمي والاموال الطائلة التي وهبها للمدارس . وثروة هذا الرجل من زيت البترول ويقدر دخلهُ السنوي بثلاثين مليونًا من الريالات او ستة ملايين من الجنيهات فهو يساوي راتب ملوك اوربا كلهم كما ترى مما يلي

(١)	راتب قيصر روسيا	١٢٠٠٠٠٠٠ ريال
(٢)	" " النمسا	٠٣٨٧٥٠٠٠ "
(٣)	" امبراطور المانيا	٠٣٨٥٢٧٧٠ "
(٤)	" ملك ايطاليا	٠٢٨٥٨٠٠٠ "
(٥)	" " اسبانيا	٠٢٠٠٠٠٠٠ "
(٦)	" ملكة الانكليز	٠١٩٢٥٠٠٠ "
(٧)	" ملك سكسونيا	٠٠٧٣٥٠٠٠ "
(٨)	" " بلجيكا	٠٠٦٦٠٠٠٠ "
(٩)	" " البرتغال	٠٠٦٣٤٤٤٠ "
(١٠)	" " اسوج ونروج	٠٠٥٧٥٥٢٥ "
(١١)	" " ورتمبرج	٠٠٤٤٩٠٠٠ "
(١٢)	" " اليونان	٠٠٢٥٠٠٠٠ "
(١٣)	" " السرب	٠٠٢٤٠٠٠٠ "
(١٤)	" " رومانيا	٠٠٢٣٧٠٠٠ "
(١٥)	" " الدنمارك	٠٠٢٢٧٧٧٥ "
	ومجموع ذلك	٣٠٥١٩٥١٠ "

هؤُلاء خمسة عشر ملكاً يخضع لهم اكثر من ثلاثمئة مليون نفس في اوربا واكثر من اربع مئة مليون نفس في اسيا وافريقية ودخلهم السنوي لا يزيد على دخل رجل واحد من اغنياء اميركا. ولولا ثروة قيصر الروس الطائلة لقصر دخلهم السنوي عن دخل هذا الغني الاميركي كثيرًا وصار دخل المستر كارنجي السنوي وهو ٢٥ مليون ريال اكثر من دخلهم. ومعلوم ان كارنجي انشأ ثروتهُ بيدهِ ولم يرث منها غرشًا واحدًا

اكبر الحجارة المقطوعة

اكبرها حجر الحبلى في بعلبك طولهُ ٧١ قدمًا وعرضهُ ١٣ قدمًا وعلوهُ ١٤ قدمًا ومساحتهُ المكعبة ١٢٩٢٢ قدمًا ويتلوهُ الحجارة الثلاثة المبنية في قلعة بعلبك ثم حجر قطع في بلاد الانكليز طولهُ ٨٠ قدمًا

وثقلهُ ٥٠٠ طن ومساحتهُ المكعبة ٦٠٠٠ قدم . ثم حجر قطع في اميركا طولهُ ٦٤ قدماً وثقلهُ ٣١٠ اطنان ومساحتهُ المكعبة ٣٥٨٤ قدماً

البارلمنت الانكليزي

ويؤلف البارلمنت الانكليزي الآن من ٦٧٠ عضواً ٤٦٥ منهم من انكلترا و١٠٣ من ارلندا و٧٢ من اسكتلندا و٣٠ من وايلس . وكان في البارلمنت الماضي ٤١١ من حزب الوزارة اي حزب المحافظين وهم ٣٤٩ من انكلترا و٣٣ من اسكتلندا و٢١ من ارلندا و٨ من وايلس وفيهِ الآن ٤٠٢ من حزب المحافظين و٢٦٨ من الاحزاب المضادة لهم. وقد تجدَّدت الانتخابات للبارلمنت في عهد جلالة الملكة ١٤ مرة قبل الآن وهذه هي المرة الخامسة عشرة وعدد الاهالي في البلاد الانكليزية الآن نحو اربعين مليوناً وعدد المنتخِبين منهم نحو ٦٧٠٠٠٠٠ نفس اي ثلث الذكور كلهم فهم اكثر من نصف البالغين . واطول مدة بقي فيها البارلمنت في عهد جلالة الملكة من غير ان يعاد انتخاب اعضائهِ كان في وزارة بامرستون فانهُ دام حينئذٍ ست سنوات و١٤١ يوماً. وقد بلغت اكثرية المحافظين الآن ١٣٤ وكانت في البارلمنت الماضي ١٥٢ ولم تزد على ذلك في عهد جلالة الملكة الاَّ سنة ١٨٨٠ حينما بلغت اكثرية الاحرار ١٨٦ . وبلغت الاكثرية مرة شخصاً واحداً. وذلك في وزارة اللورد جون رسل سنة ١٨٤٧ ولكن وزارتهُ دامت خمس سنوات ونصف سنة . وقد تولى اللورد سلسبري رئاسة الوزارة اربع مرات فصار مثل غلادستون الذي تولاها اربع مرات ولم يتولَّ احد في هذا القرن رئاسة الوزارة الانكليزية اربع مرات غيرهما

فهرس المتحف البريطاني

تمَّ الآن فهرس التحف التي في المتحف البريطاني فبلغ اربع مئة مجلد وسبعين ملحقاً وبلغت نفقات جمعهِ اربعين الفاً من الجنيهات وقضى العلماء في كتابتهِ عشرين سنة

الطعام وهواء المناجم

رُدِم منجم من المناجم ثم فتح ثانية بعد ان بقي مردوماً سنة وثلاثة اشهر فاذا ٨٤ في المئة من هوائهِ نيتروجين وما بقي اكسيد الكربون وهيدروجين مكربن . ولم تؤثر هذه الغازات بما ترك فيهِ من الطعام وسائر المواد فجفَّ الخبز ولكنهُ بقي سليماً وكذلك بقي اللحم على حالهِ وبقي الماء في مساقي الدواب لم يتبخر منهُ شيءٌ . وبقيت الثياب جافة سليمة والعلف بقي على حالهِ فاكلتهُ الدواب حالما قدّم لها. وترك هذا المنجم مفتوحاً ثلاثة اشهر فبلي مما فيهِ اكثر مما بلي منهُ في خمسة عشر شهراً وهو مسدود

المسير الى القطب الشمالي

عزم المستر وليم زجلر احد اغنياء نيويورك ان يرسل سفينتين ووفداً كبيراً الى القطب الشمالي وسيسير هذا الوفد في اوائل العام المقبل

الجبن والهضم

وضع احد علماء الالمان انواعاً مختلفة من الجبن في سائل هاضم مثل سائل المعدة فلزم لبعضها ثماني ساعات او اكثر حتى هضم ولذلك عدَّ الجبن من اصعب المواد هضماً وفاته ان في المعدة والامعاء مواد حية تساعد السوائل الكيماوية على هضم الطعام وهي ليست موجودة في معمل الكيماوي

اسرَّة ثمينة

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية ما انفقهُ احد الامركيين على السرير الذي ينام فيهِ وقد قرأنا الآن ان احد ملوك الهند صنع سريرهُ من الذهب ورصعهُ بسبع مئة حجر من الحجارة الكريمة فبلغ ما انفقهُ عليهِ سبعين الف جنيه. ويقال ان السرير الذي تنام فيهِ ساره برنارد الممثلة الشهيرة في دارها بباريس يساوي اربع مئة جنيه

جزاء الشجاعة

لما علمت بسالة الجنرال بادن بول في الدفاع عن مدينة مفكن في حرب الترنسفال بعثت اليهِ اثنتان من السيدات الانكليزيات الغنيات تعرضان عليهِ ان يقبل بان يكون وريثاً لهما فتتركان لهُ كل اموالهما من غير شرط

زراعة الارزّ في ايطاليا

اتسعت زراعة الارز في ايطاليا فكانت غلتهُ سنة ١٨٩٦ اقل من اربعة ملايين هكتولتر (نحو مليوني اردب) فبلغت في العام الماضي اكثر من ستة ملايين ونصف مليون هكتولتر اي نحو ثلاثة ملايين ونصف مليون اردب

تلغراف مركوني

ثبت بالتجارب الحديثة انهُ يمكن وضع تلغراف مركوني في السفن فيخاطب بعضها بعضاً او تخاطب البر على بعد ستين ميلاً او اكثر قليلاً وعدد الكلمات التي يمكن ارسالها في الدقيقة نحو عشرين كلمة . فاذا لم تزد سرعة هذا التلغراف عن ذلك كثيراً بقي استعمالهُ محصوراً في السفن وميادين الحرب حيث يتعذَّر مد الاسلاك المعدنية

المدافع والبرَد

شاع منذ مدة انهُ يمكن ان يمنع وقوع البرد باطلاق المدافع على السحب التي يقع البرد منها . وقد اهتمت وزارة الزراعة في بلاد النمسا بهذا الامر وامتحنتهُ فوجدت ان فعل هذه المدافع لا يعلو اكثر من اربع مئة متر في الجو فلا يؤثر في السحب التي فيها برَد الاَّ اذا كانت اوطأ من ذلك وهذا نادر ووجدت ان البرَد سقط مراراً كثيرة رغماً

عن اطلاق المدافع المتوالي عليهِ فان كانت قد منعت وقوعهُ او تكوَّنهُ مرارًا قليلة فهي لم تمنع وقوعهُ مرارًا كثيرة

دوق ابروزي ورحلتهُ

عاد دوق ابروزي الايطالي من رحلتهِ القطبية بعد ان بلغ في سفينتهِ الى ابعد مما وصلت اليهِ سفينة نَنسن وبلغ رجالهُ في سيرهم الى ابعد مما وصل اليهِ ننسن ورجالهُ فان سفينتهُ بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٤ من العرض الشمالي ورجالهُ بلغوا الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض . وسنصف ما لقيهُ من المشاق في الجزء التالي كما وصفنا ما لقيهُ ننسن . اما ننسن فرجع سالمًا معافًى واما دوق ابروزي فاضطر ان يقطع انملتين من انامله لان البرد هرأهما

زلزلة قرقاس

حدثت زلزلة عنيفة في قرقاس عاصمة فنزويلا في الثلاثين من شهر اكتوبر تخربت مدينة غواروتاس

معادن الدنيا

الحديد ارخص المعادن كلها ولكن يستخرج منهُ كل سنة ما يكاد ثمنهُ يساوي ثمن كل المعادن الاخرى التي تستخرج سنويًا كما ترى من هذا الجدول وقد ذكر فيهِ ثمن كلٍ من المعادن التي استخرجت من الارض سنة ١٨٩٨

الحديد	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ جنيه
الذهب	٠٥٧ ٥٠٠ ٠٠٠ ״
الفضة	٠٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠ ״
النحاس	٠٣١ ٧٥٠ ٠٠٠ ״
الرصاص	٠١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ״
التوتيا	٠٠٩ ٩٥٠ ٠٠٠ ״
القصدير	٠٠٨ ٠٠٠ ٠٠٠ ״
الانتيمون	٠٠١ ١٠٠ ٠٠٠ ״
الزيبق	٠٠٠ ٨١٥ ٠٠٠ ״
النكل	٠٠٠ ٧٢٥ ٠٠٠ ״
الاليومنوم	٠٠٠ ٤٤٠ ٠٠٠ ״

ومقدار المعادن التي تستخرج من الارض يزيد سنة بعد سنة وكاد يتضاعف في السنوات العشر الاخيرة كما ترى في هذا الجدول وقد ذكرنا فيهِ مقدارها سنة ١٨٨٩ وسنة ١٨٩٨ بالطن

	١٨٨٩	١٨٩٨
الحديد	٢٦٠٠٠٠٠٠	٣٦٠٠٠٠٠٠
الذهب	١٨٣	٤٣٠
الفضة	٣٩٠٠	٦٠٠٠
النحاس	٢٦٦٠٠٠	٤٣١٠٠٠
الرصاص	٥٤٩٠٠٠	٧٧٠٠٠٠
التوتيا	٣٣٥٠٠٠	٤٦٨٠٠٠
القصدير	٠٥٥٠٠٠	٠٧٧٠٠٠
الانتيمون	١١٠٠٠	٠٢٨٠٠٠
الزيبق	٣٨٣٨	٤١٠٠
النكل	١٨٣٠	٦٢٠٠
الاليومنوم	٧٠	٤٠٠٠

والانكليز اكثر الناس اشتغالاً باستخراج المعادن ولهم الجانب الاكبر من معادن الارض وقد بلغت قيمة المعادن المستخرجة من بلادهم في العام الماضي ثمانين مليونًا من الجنيهات . وبلغ عدد الشركات التي تألفت في بلادهم في العام الماضي ٥٥٩ شركة رأس نحو ٧٢ مليون جنيه واكثرها لاستخراج المعادن من البلاد الانكليزية والبلدان التابعة لها

وكانت قيمة الذهب المستخرج من الدنيا بين سنة ١٨٦٠ وسنة ١٨٩٠ لا تزيد على ٢٥ مليون جنيه كل سنة وقد تبلغ عشرين مليونًا فقط ثم زاد الذهب المستخرج زيادة بالغة في السنوات العشر الاخيرة فبلغ سنة ١٨٩٨ سبعة وخمسين مليونًا ونصف مليون كما تقدَّم نصفها من الترنسفال واستراليا واكثر من خمسها من الولايات المتحدة الاميركية ونحو عشرها من روسيا . وبلغ الذهب المستخرج في العام الماضي ٦٢ مليونًا و ٧٠٠ الف جنيه مع توقف مناجم الترنسفال

اما الفضة التي استخرجت سنة ١٨٩٨ فاربعة وثلاثون في المئة منها من بلاد المكسيك و ٣٣ في المئة من الولايات المتحدة الاميركية

والظاهر ان اهتمام الناس باستخراج الحديد يفوق كل اهتمام فقد كان المستخرج منهُ سنة ١٨٥٤ نحو ستة ملايين طن نصفها من بلاد الانكليز وثُمنها من فرنسا وثمنها من الولايات المتحدة الاميركية فبلغ المستخرج سنة ١٨٩٨ نحو ٣٦ مليون طن اي زاد ستة اضعاف في ٤٤ سنة ثلثها من الولايات المتحدة الاميركية وربعها من بلاد الانكليز وخمسها من المانيا وسبعة في المئة فقط من فرنسا

اما النحاس المستخرج سنة ١٨٩٨ فخمسة وخمسون في المئة منهُ من الولايات المتحدة الاميركية وثُمنهُ من اسبانيا والبرتغال وستة في المئة منهُ من بلاد يابان ونحو ستة في المئة من شيلي وخمسة في المئة من المانيا

بالون زبلن

وصفنا هذا البالون في جزء يوليو الماضي قبل ان تمَّ عملهُ . وقد تمَّ بعد ذلك وجُرب فطار وسار في الهواء حسب مشيئة الذين فيهِ . قال الجن ولف الذي طار فيهِ في ١٦ اكتوبر "انهُ دام في الجو ساعة وعشرين دقيقة وكان ارتفاعهُ عن الارض ثلثمئة متر وسار ضد الريح وبقي قاربهُ افقيًّا ثابتًا واذا مال الى جهة من الجهات امال من فيهِ ثقلاً فعاد الى الوضع الافقي وسرعتهُ في سيرهِ شديدة حتى انهُ سبق السفن الماخرة في البحيرة تحتهُ مع انهُ كان يسير ضد الريح . وبلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ثمانية امتار في الثانية من الزمان . وكان ملك ورتمبرج والملكة يرقبان سيرهُ من سفينة بخارية"

عمر اشجار كليفورنيا

في بلاد كليفورنيا باميركا اشجار كبيرة

جدًّا ومنها شجرة قطر ساقها ثمانية امتار كان يجتمع جماعة كبيرة على ارومة ساقها بعد قطعها ويرقصون عليها لسعتها . وقد ظنَّ قبلاً ان عمرها اربعة آلاف سنة او اكثر لكن جاء في جريدة العلم الاميركية الآن ان الاستاذ بسي عدَّ كل الحلقات التي في ساقها فوجدها ١١٤٧ حلقة وعليهِ فعمرها لا يزيد عن ١١٤٧ سنة مع ان ارتفاعها كان نحو مئة متر وقطرها ثمانية امتار

سفينة الارغنوت تحت الماء

ذكرنا هذه السفينة في بعض الاجزاء الماضية وقلنا انها تسير تحت الماء فيسهل استخدامها في الحروب البحرية وفي استخراج المواد والكنوز من قاع البحر وقد اطلعنا الآن على وصف تجربتها في اميركا بحضور احد ابناء وطننا سليم افندي حداد المصور المشهور . قالت الجريدة التي وصفت هذه التجربة ان المستر لابك مخترع هذه السفينة دعا جماعة لامتحانها في الرابع عشر من يوليو الماضي ومنهم المستر سترلنغ محافظ نيويورك والمستر سبيرس مدير شركة الاتوموبيل الاميركية والمستر هلس مدير المكتبة العمومية . وذكرت بين اسماء المدعوين اسم الخواجه سليم حداد وقالت انهُ صور السفينة والمدعوين مرارًا كثيرة صورًا فوتوغرافية . ولما بعدت السفينة عن البر ثلاثة اميال غاصت بمن فيها في قلب البحر وبقيت تحت الماء نحو ساعتين ثم عادت بهم الى سطح الماء وتناول المدعوون الغداء وهم في قلب البحر . وقد طلبنا من الخواجه حداد ان يصف لقراء المقتطف ما لقيهُ وهو في قلب البحر وما كان يشعر بهِ حينئذٍ وسننشر ذلك مع صورة هذه السفينة في الجزء التالي

التبغ في اميركا

جاء في كتاب ديوان الزراعة باميركا عن سنة ١٨٩٩ انهُ صُنع فيها تلك السنة اكثر من ٤٥٤٢ مليون سيكار واكثر من ٤٥٩٠ مليون سيكارة واستعمل فيها نحو ٢٦٧ مليون رطل من التبغ . وان دخل الحكومة الاميركية من ذلك بلغ ٥٢٠٤٣٨٥٩ ريالاً اي نحو عشرة ملايين ونصف مليون من الجنيهات

الطاعون في بلاد الانكليز

ظهر الطاعون في مدينة غلاسكو ببلاد الانكليز فمات بهِ ستة في مستشفاها حتى العاشر من اكتوبر

اسرع السفن البخارية

اسرع السفن البخارية التي تسير الآن بين اوربا واميركا السفينة المسماة دتشلند فهي اكبر السفن واسرعها واكثرها اقتصادًا في آلاتها فان طولها ٦٨٦ قدمًا وتفريغها ٢٣ الف طن وقوة آلاتها البخارية الاربع ٣٧ الف حصان وسرعتها ٢٣ ميلاً بحريًّا و٣٦ من مئة من الميل ويحرق فيها كل يوم ٥٧٢

طناً من الفحم وتسع من ركاب الدرجة الاولى ٤٥٠ ومن ركاب الدرجة الثانية ٣٠٠ ومن ومن ركاب الدرجة الثالثة ٥٥٠ وتبلغ نفقاتها في كل سفرة بين اوربا واميركا ٥٠ الف ريال وقد بلغت نفقات عملها ٣ ملايين و٣٠٠ الف ريال ولا يمكن ان يشحن فيها اكثر من ٦٠٠ طن . وقد قدّرت جريدة السينتفك اميركان انهُ اذا اريد قطع المسافة بين اوربا واميركا في اربعة ايام فقط بسفينة مثل هذه وجب ان يكون طولها ٩٥٠ قدماً وتفريغها ٤٠ الف طن وان يوضع فيها ست آلات بخارية قوتها معاً ١١٠ آلاف حصان فتكون سرعتها ٣٠ ميلاً بحرياً في الساعة وتبلغ نفقات عملها ٦ ملايين و٢٠٠ الف ريال ونفقات كل سفرة من سراتها ٨٠ الف ريال ويحرق فيها كل يوم ١٧١٠ اطنان من الفحم ويكون فيها مكان لثانمئة في الدرجة الاولى و٤٥٠ في الدرجة الثانية و٢٥٠ في الدرجة الثالثة ولا يكون فيها مكان للشحن فيكون دخلها كلهُ من الركاب والبريد . ثم استنتجت انهُ يستحيل بناء سفينة مثل هذه ولذلك لا تقطع المسافة بين اوربا واميركا في اربعة ايام الاَّ اذا أُبدلت الآلات البخارية المستعملة الآن في السفن بآلات اخرى اشد منها فعلاً واعتمد على التربين بدل اللولب فان السفن الصغيرة التي وضع فيها التربين سارت اكثر من اربعين ميلاً في الساعة

سكان الولايات المتحدة

احصي سكان الولايات المتحدة الاميركية هذا الصيف فبلغ عددهم ٧٦٢٩٥٢٢٠ اي اكثر من ٧٦ مليوناً وربع مليون من النفوس وكانوا منذ عشر سنوات ٦٣٠٦٩٧٥٦ فيكونون قد زادوا في عشر سنوات ١٣ مليوناً ونحو ربع مليون او ٢١ في المئة فالزيادة السنوية اكثر من ٢ في المئة ولذلك سيتضاعف سكان هذه الولايات كل نحو خمسين سنة . والمدن الكبرى فيها ثلاث وهي نيويورك باضافة بركلن اليها وعدد سكانها ٣٤٣٧٢٠٢ فهي ثانية لندن وشيكاغو وعدد سكانها ١٦٩٨٥٧٥ وفيلادلفيا وعدد سكانها ١٢٩٣٦٩٧

وصل مراكش باوربا

اشار المسيو برليه المهندس الفرنسوي ان يحفر سرب تحت بوغاز جبل طارق يصل بين اسبانيا ومراكش . ولما لم يجد لهُ عضداً من الجمهورية الفرنسوية ارتأى ان يعرض هذا المشروع على الجمهور ويطلب الاكتتاب فيهِ وبعث الى سلطان مراكش يستعين بهِ حاسباً انهُ اذا مُدَّت سكك الحديد في مراكش صارت من اغنى الممالك . نقول وهذا صحيح ولكن لا يكون غناها لاهلها الاَّ اذا مدوا سكك الحديد من مالهم اما اذا استدانوا مالاً من اوربا ربحوا من جهة وخسروا من اخرى لان المديون عبد للدائن

اكتشاف صورتين

زار رئيس مدرسة التصوير في البندقية رجلاً فقيراً في بيتهِ فرأى عندهُ صورتين نسجت عليهما عناكب النسيان فنظر فيهما مليًّا فوجدهما من تصوير المصورين الايطاليين فاشتراهما من صاحبهما بعشرين جنيهاً ثم نظفهما مما عليهما من الاوساخ فاذا الواحدة منها من تصوير تشيان والثانية من تصوير بسأنو ولايبعد ان يبيعهما بالفي جنيه او اكثر

العمى بالكهربائية

ذكرت جريدة السينتفك اميركان ان صندوقاً من صناديق الحديد التي توضع فيها النقود أُقفل وتعذَّر على صاحبهِ فتحهُ فخطر لهُ ان يذيب مفصلاتهِ بالكهربائية فاستعان برجل آخر ووصلا السلك الكهربائي بقطعتين من الكربون وجعلا يدنيانهما من مفاصل الصندوق حتى اذاباها وفتحاهُ لكن النور الكهربائي بهر اعينهما فشعرا بصداع شديد ثم ذهب بصرهما في وقت واحد . وظاهر اعينهما سليم ولكنهما لم يعودا يريان شيئاً

ذهب المصريين القدماء

حلَّل المسيو برتلو الكيماوي الكبير شذوراً من الذهب اعطاهُ اياهُ المسيو مسبرو مما وجد في المدافن المصرية فوجد في الشذور التي من عهد الدولة السادسة من الدول المصرية ٩٢,٣ في المئة من الذهب و ٣,٢ في المئة من الفضة و ٤,٥ في المئة من المواد الالية ونحوها . وفي الشذور التي من عهد الدولة الثانية عشرة ٩٠,٥ في المئة من الذهب و ٤,٥ في المئة من الفضة و ٥ في المئة من المواد الآلية وغيرها . واما الشذور التي من عهد الفرس فذهب صرف والظاهر ان المصريين لم يعرفوا كيفية تمحيص الذهب من الفضة الاَّ بعد ايام الدولة الثانية عشرة او في ايام الفرس

البن في افريقية

زرع احد المرسلين بزوراً قليلة من البن في بلاد اوغندا منذ بضع سنوات فوجد البلاد صالحة لهُ ومن ثم اخذت زراعتهُ تنتشر في تلك الديار حتى صدر منها في العام الماضي مئة طن من البن ويقال ان بنها جيد يضاهي بن مخا العربي او يفوقهُ

صمغ زنجبار

في بلاد زنجبار شجر لهُ ثمر كبير شكلهُ مثل الخوخ لكنهُ اكبر منهُ كثيراً يخرج من ساقهِ اذا جرحت عصار لبني اذا وضع في الماء الغالي جمد ثم اذا برد صار صلباً جدًّا كالكتابرخا ويقال انهُ يمكن استعمالهُ في ما يستعمل لهُ الكتابرخا وشجرهُ كثير جدًّا في زنجبار

انواع النبات

لما قام لينيوس النباتي الشهير ووضع علم النبات في اواخر القرن الثامن عشر كان عدد الانواع المعروفة من النبات عشرة آلاف نوع

ومن ثم الى الآن والعلماء يكتشفون انواعاً جديدة حتى بلغ عددها الآن ١٧٥٥٩٦ على ما قرَّرهُ الاستاذ فينس في مجمع ترقية العلوم البريطاني

سرطان كبير

وجد سرطان في مياه تسمانيا ثقلهُ ثلاثون رطلاً اي نحو ١١ اقة واكبر سرطان وجد هناك حتى الآن ثقلهُ ٢٢ رطلاً

غذاء القطن

حسب المستر فودن في مجلة الجمعية الزراعية ان غلة القطن في السنة تأخذ من الفدان الواحد نحو ٥٤ رطلاً من النيتروجين و١٩ رطلاً من الحامض الفصفوريك و٤٠ رطلاً من البوتاسا هذا اذا بلغت غلة القطن خمسة قناطير او ستة . وان في الفدان من الارض الى عمق ٢٥ سنتمترًا فقط ٣٠٠٠ رطل من النيتروجين و٣٠٠٠ من الحامض الفصفوريك و٦٠٠٠ رطل من البوتاسا . ولكن هذه المواد لا تكون كلها في حالة صالحة لان يغتذي النبات منها والصالح منها للتغذية قليل جداً لكنهُ يزيد بالحرث وحسن الخدمة

لبن الجاموس

وجد المسيو بابل مدير المعمل الكيماوي الخديوي ان في لبن الجاموس نحو ١٠ في المئة من السمن وان السمن في لبن الصباح اكثر منهُ في لبن المساء . واقل مقدار من السمن في لبن الجاموس ٥ ونصف في المئة وهو اكثر من السمن الذي يكون في لبن البقر الاوربية . والجبن والسكر كثيران ايضاً في لبن الجاموس . الاَّ ان اللبن الذي يباع في الاسواق عادةً لا يحتوي الاَّ قليلاً من السمن لان الباعة يخرجون قشدتهُ قبل بيعهِ والغالب انهم لا يكتفون باستخراج القشدة بل يمزجونهُ بالماء وقد يبلغ الماء الذي يمزج بهِ من ثلاثين الى خمسين في المئة . ولا يقتصر الضرر على ذلك ولكن الماء الذي يمزج بهِ اللبن لا يكون نقياً بل يكون مشحونًا بالميكروبات حتى ان اغلاء اللبن لا يكفي لتنقيتهِ منها ولا سيما اذا سقي للاطفال

لون البذار ونوعهُ

حقق المستر لنتن من اساتذة المدرسة الزراعية المصرية ان اللون الاصفر في القمح رديء وكذلك الذهبي في الشعير والاسمر القاتم في الفول . وزرع البرسيم فوجد انهُ ينبت ٩٦ في المئة مما لونهُ اخضر ضارب الى الصفرة و٨٢ في المئة فقط مما لونهُ اسمر و٩٤ في المئة مما لونهُ متوسط بين هذين الاثنين . فكلما كان البزر ضارباً الى البياض كان اصلح للبذار

تراب الفصفات في مصر

التراب الذي فيهِ فصفور سماد جيد للارض ولاسيما اذا كان مما يذوب . ويظهر

مما كتبهُ المستر بارون من قلم المساحة الجيولوجية ان بين اسنا وقنا ارضاً غنية بالمواد الفصفورية من عظام الحيوانات القديمة الباقية فيها وقد حللت عينات أُخذت من شرقي قفط فوجد فيها ٢٢ ونصف في المئة من الحامض الفصفوريك وذلك بمثابة ٤٩ في المئة من فصفات الكلسيوم الثالث . وقد ابان الدكتور هيوم ان هذه الاتربة الفصفورية تمتد الى عشرين ميلاً من قنا وهي موجودة ايضاً في كل السهل من لقصر الى دراو وتمتد حتى الواحات الداخلة وعليهِ ففي القطر المصري سماد فصفوري لا يقدَّر وليس من الحكمة ان يعالج بزيت الزاج حسب طريقة السرجون لوز التي اشرنا اليها في ترجمتهِ في هذا الجزء لان الفصفور فيهِ غير كثير بل يكفي ان يسحق سحقاً ناعماً و يضاف الى الارض كما هو فيكون منهُ سماد جيد لها ولا سيما اذا اريد زرع الحنطة فيها

القطن المصري

يختلف المقدرون في تقدير موسم هذا العام بين اربعة ملايين ونصف مليون قنطار وخمسة ملايين وربع . والظاهر ان موسم اميركا لا يزيد على تسعة ملايين بالة ونصف مليون الى عشرة ملايين بالة على الاكثر ولذلك ارتفعت اسعار القطن المصري بعد هبوطها ومضي اكثر نوفمبر وسعر القطن العفيفي من ٣٤٠ الى ٣٧٠ وسعر القطن العباسي من ٤٠٠ الى ٤٥٠ . والموسم غير جيد من حيث نوعهُ ولكن قلة محصولهِ ومحصول القطن الاميركي وقلة المتأخرات من العام الماضي دعت الى ارتفاع ثمنهِ الى هذا الحد

الوقت المصري

اقرَّت الحكومة المصرية على ان يكون الوقت فيها متقدماً على وقت غرينوتش ببلاد الانكليز ثلاثين درجة من الطول اي ساعتين فقط . وجرت على ذلك من اول سبتمبر الماضي فيعتبر الظهر في القاهرة والاسكندرية وكل مدن القطر المصري الآن قبل الظهر في مرصد غرينوتش بساعتين

النظارات الشهيرة

النظارات اما كاسرة فيها بلورة تجمع النور واما عاكسة تجمع النور بمرآة مقعرة واكبر النظارات الاولى

نظارة	معرض باريس	قطر بلورتها	٥٠	عقدة
"	ياركس باميركا	"	٤٠	"
"	لك	"	٣٦	"
"	بلكوي بروسيا	"	٣٠	"
"	نيس بفرنسا	"	٢٩,٩	"
"	باريس	"	٢٨,٩	"
"	كرينوتش بانكلترا	"	٢٨	"
"	فينا بالنمسا	"	٢٧	"

واكبر النظارات ذات المرآة العاكسة

نظارة اللورد روص قطر مرآتها ٦ اقدام
" الدكتور كمون " " ٥ "
" ملبرن " " ٤ "
" باريس " " ٤ "

الجبن السليم

حاول كثيرون عمل الجبن من اللبن المعقم اي الذي ماتت منهُ كل الميكروبات التي فيهِ فلم يفلحوا ثم ان كيماويًا من اهالي استكهلم اكتشف مادة تجبن اللبن المعقم وسمي الجبن المصنوع بهذه المادة كسيولا وهو طيب الطعم سهل المضم خالٍ من جراثيم السل وغيرها من الجراثيم المرضية

جوائز علمية

اعطي الاستاذ غراسي جائزة بالبي فاليه وهي ثلاثة آلاف فرنك جزاء اكتشافهِ علاقة البعوض بالحمى الملارية والدكتور يارسن جائزة اوديفرد وهي خمسة عشر الف فرنك لاكتشافهِ طعم الطاعون

النيل

اخذ ماء النيل يهبط كثيرًا في اعاليهِ واذا استمرَّ على ذلك خيف ان يكون العام المقبل مثل العام الماضي من حيث قلة الوفاء

ديوان الشهرة

وهبت مسز هيلانة غولد الاميركية مئة الف ريال لانشاء ديوان يسمى ديوان الشهرة تكتب على اعمدته اسماء مئة من اشهر الاميركيين في السياسة والعلم والادب والاختراع فاختير من رجال السياسة كثيرون مثل وشنطون ولنكلن وغرانت وجفرسن ومن رجال العلم اودبون وغراي وفرنكلين ومن رجال الادب وبستر وامرسن ولنغفلو ومن المخترعين مورس وهوتني وهو . وستزاد هذه الاسماء عشرين اسمًا سنة ١٨٠٢ وخمسة اسماء كل سنة بعدها تخليدًا لذكر العظماء

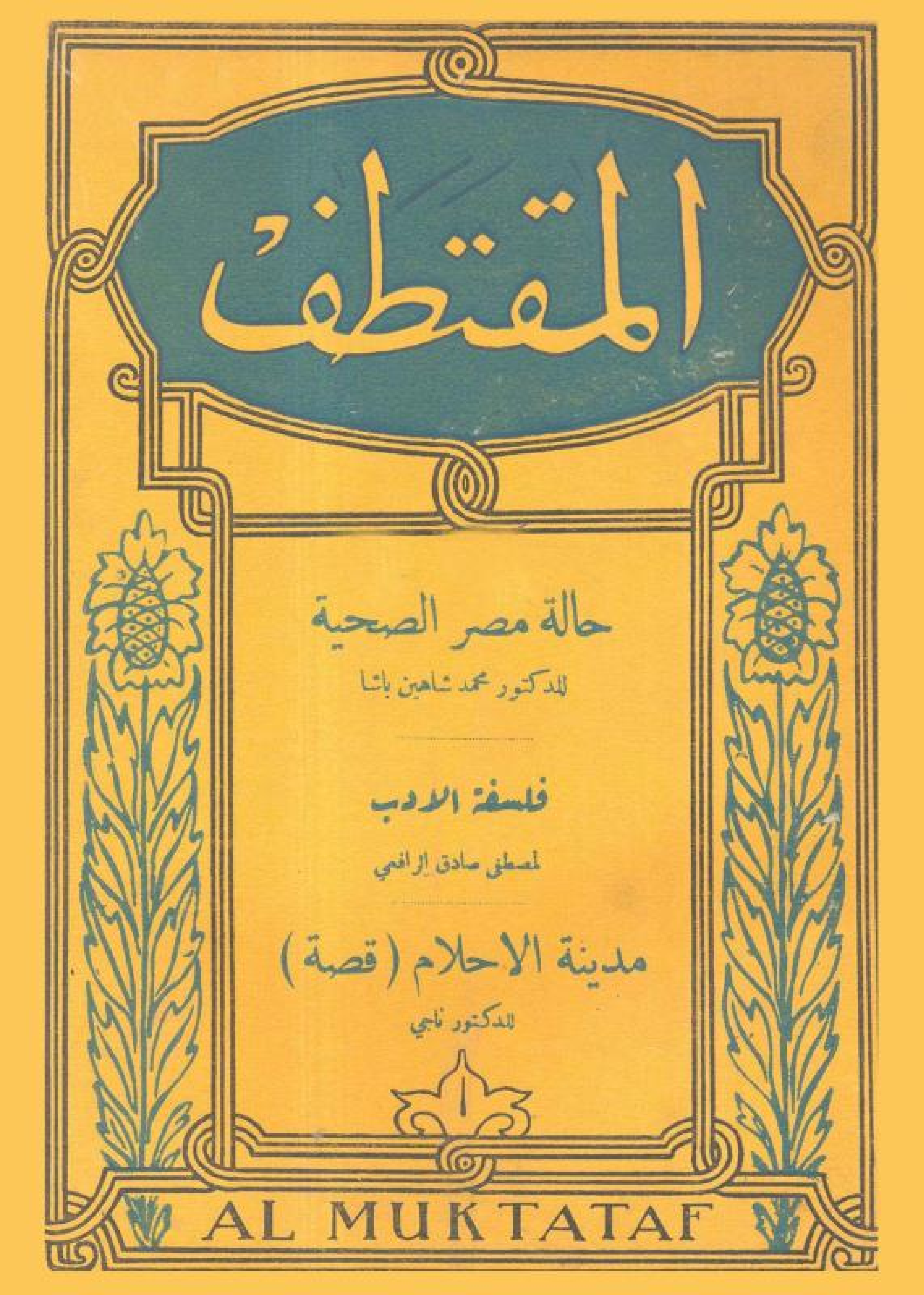
تلغراف مركوني

اتفقت شركة تلغراف مركوني مع نظارة البحرية الانكليزية على تقديم الآلات اللازمة لاثنتين وثلاثين سفينة ومحطة على شرط ان هذه الآلات تكفي لارسال الانباء البرقية مسافة ٦٥ ميلاً في البر وتسعين ميلاً في البحر. وقد جرب بعض هذه الآلات فوفى بالغرض

الصناعة في الصين واليابان

وصف بعضهم مصنوعات الصين في المجلة الشهرية الانكليزية فقال ان اليابانيين من امهر الناس في الفنون ولا يفوقهم الاَّ الصينيون فان تماثيلهم النحاسية تماثل ابدع الصور التي صوَّرها اشهر مصوري اوربا واجمل التماثيل التي صنعها نحاتوها ولم يفقهم احد من اهالي اوربا في سبك التماثيل حتى الآن . ومصنوعاتهم في الخزف الصيني تدلُّ على انهم كانوا ارباب صناعة التلوين والتزويق منذ قرون كثيرة حتى صار ذلك ملكة فيهم لا تماثلهم فيهِ امة من الامم ولا الامة اليابانية

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والعشرين


المقتطف
حالة مصر الصحية
للدكتور محمد شاهين باشا
فلسفة الادب
لمصطفى صادق الرافعي
مدينة الاحلام (قصة)
للدكتور ناجي
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٩ شعبان سنة ١٣١٨

عشرون عاماً على مصر

زرنا الديار المصرية منذ عشرين عاماً فرأينا اهلها ينظرون الى الشام نظر المعجب بنجاحهِ المقدّر لهُ قيادة الامم الشرقية ويتمنّون ان يقتدوا بهِ وينسجوا على منوالهِ . ولم نكن اقل منهم اعجاباً ببلاد الشام ولا كنا رأينا بارقةً من بوارق الفشل التي توالت عليها بعد حين . ثم اصطدمت المصالح الوطنية بالمصالح الاجنبية في هذا القطر على ما اعتادهُ اهلوهُ منذ الوف من الاعوام وتجسّمت السيادة المعنوية التي كانت لاوربا فيهِ بما اقرضتهُ اياهُ من الاموال فصارت حسيَّة وحاول التملُّص منها آونة بعد اخرى وهي تزيد استحكاماً الى ان قبض المصلحون على اداراتهِ كلها واداروها بما يعهد فيهم من الحنكة واصالة الراي فارتقت ارتقاء قلما يعهد لهُ مثيل في تواريخ الامم . وهاك خلاصة الدلائل الكثيرة على هذا الارتقاء

عدد السكان — أُحصي سكان القطر المصري سنة ١٨٨٢ فوجد عددهم ٦٨١٣٩١٩ نفساً وأُحصوا سنة ١٨٩٧ فوجد عددهم ٩٧٣٤٤٠٥ اي بلغت زيادتهم السنوية نحو ٣ في المئة . ولا مثيل لهذا النمو الا في الولايات المتحدة الاميركية منذ مئة عام حينما كان سكانها يزيدون نحو ثلاثة في المئة كل سنة من المواليد والمهاجرة معاً . وعليهِ فقد كان عدد سكان هذا القطر منذ عشرين عاماً ستة ملايين وستمئة الف نفس وهو الآن في ختام القرن التاسع عشر عشرة ملايين وخمسمئة الف نفس واذا استمرَّت الزيادة على هذا النمط ضاق القطر بسكانهِ فاضطروا ان يعمروا رحاب السودان ايضاً

دخل الحكومة — للحكومة المصرية نوعان من الدخل الواحد دخلها كحكومة تدير شؤُون شعبها والثاني دخلها كشركة تجارية تدير بعض الاعمال الكبيرة التي تديرها الشركات التجارية

في البلدان الاخرى. ودخلها الآن لحكومة من الضرائب ونحوها ٩١٧ ٣٦٥ ٨ جنيهاً وكان منذ عشرين عاماً ٨٤٩ ١٧٩ ٧ جنيهاً اي ان الضرائب زادت نحو العشر فقط مع ان عدد السكان زاد اربعة اعشار وهذا دليل قاطع على ان الحكومة ساعية الى تخفيف وطأتها عن عاتق الاهالي. وقد كان ما يدفعهُ كل نفس من سكان القطر منذ عشرين عاماً مئة وعشرة غروش ونصف غرش اما الآن فما يدفعهُ كل نفس لا يبلغ ٨٢ غرشاً . واذا اضيف الى دخل الحكومة من الضرائب دخلها من مصالحها الاخرى كمصلحة سكة الحديد بلغ مجموع دخلها في السنة ١١ مليوناً و٢٠٠ الف من الجنيهات

واكثر دخلها من اموال الاطيان . وقد كانت مساحة الاطيان الزراعية منذ عشرين عاماً ٨٣٩ ٤٧١٥ فداناً وكانت اموالها ٢٧٠ ٤٩٨٩ جنيهاً اي كان متوسط ما تجبيهِ الحكومة عن كل فدان مئة وستة غروش . وتبلغ مساحتها الآن ٨٠٠ ٥٤٩٥ فدان . وتبلغ اموالها ٩٤٢ ٤٥٩٣ جنيهاً اي نحو ٨٣ غرشاً عن كل فدان. وكذلك قلَّ المال الذي تجبيهِ عن النخيل فكان ٧٢٧ ١١٤ جنيهاً منذ عشرين سنة وهو الآن نحو ١٠٣ آلاف جنيه فقط . اما عوائد المنازل فزادت بزيادة العمارة فقد كانت نحو ٥٨ الف جنيه وهي الآن نحو ١٣٨ الف جنيه . واكثر زيادة الدخل من الجمارك فقد كان دخلها نحو ٧٢٧ الف جنيه فصار الآن مليونين ونحو ٩٠ الف جنيه نصفها من رسوم الدخان والنصف الآخر من رسوم سائر البضائع الواردة الى القطر المصري والصادرة منهُ . وكانت رسوم الدخان منذ عشرين سنة نحو ٦١ الف جنيه فقط فصارت الآن مليوناً و٦٨ الف جنيه فكأن الحكومة فرضت ضريبة على شاربي الدخان لا تقلّ على مليون جنيه في السنة . ومن شاء ان ينفق على ملذاتهِ لا تبهظهُ النفقات

نفقات الحكومة — زادت نفقات الحكومة المصرية كما زاد دخلها فهي الآن نحو عشرة ملايين من الجنيهات وكانت منذ عشرين عاماً نحو ثمانية ملايين ونصف مليون واكثر هذه الزيادة في ما ينفع البلاد و يعود على سكانها بالفوائد الجمة. اما ما لا فائدة لها منهُ كربا الدين والجزية التي تدفع الى الدولة العثمانية فقلّ بعض الشيء كانا سنة ١٨٨١ نحو اربعة ملايين وستمئة الف جنيه وبلغا سنة ١٨٨٥ خمسة ملايين و ١٥٥ الف جنيه فصارا الآن اربعة ملايين و ٣٦٥ الف جنيه اي نقص ربا الدين نحو ثمانمئة الف جنيه في ١٦ سنة وذلك بتحويل الديون وايفاء البعض منها . وهاك تفصيل الفروع التي زادت نفقاتها

المعارف العمومية — كان مربوط نظارة المعارف في العام الماضي ١٠٦ آلاف جنيه وكان منذ عشرين عاماً ٥٦١ ٥٣ جنيهاً ثم زيد سنة ١٨٨٣ وجعل ١٠٣ آلاف جنيه لكنهُ هبط

بعد ذلك حتى بلغ ٦٢٩٧١ جنيهاً فقط سنة ١٨٨٧ وليس العبرة بما تنفقهُ الحكومة على مدارسها بل بعدد التلامذة وما ينفقهُ اهلهم على تعليمهم فقد كان عددهم منذ عشرين سنة نحو خمسة آلاف تلميذ وهم الآن اكثر من عشرة آلاف ولم يكن اهاليهم يدفعون شيئاً من اجرة تعليمهم فصاروا يدفعون الآن ثلاثين الف جنيه في السنة وزاد عدد المعلمين من ثلثمئة الى اكثر من سبع مئة . والرغبة في المدارس الخارجة عن ادارة الحكومة لا تقلُّ عن الرغبة في مدارس الحكومة والمرجَّح انها تزيد عليها

الاشغال العمومية — زادت نفقات نظارة الاشغال العمومية نحو مليون جنيه في السنة وهذا تفصيلها ٤٠٠ الف جنيه لالغاء العونة (السخرة) و ٤٠٠ الف جنيه اخرى للترع والمصارف و١٦١ الف جنيه للمباني العمومية كالمستشفيات والمدارس و٣٠ الف جنيه للسكك الزراعية. والغاء السخرة وفتح الترع والمصارف من انفع الاعمال التي عملتها الحكومة المصرية لسكان هذا القطر ولا نبالغ اذا قلنا انهم يجنون منها سنوياً اضعاف ما تنفقهُ الحكومة عليها. اما السخرة فمن الغائها ربح مالي للسكان يقدَّر بثلاثة اضعاف ما تنفقهُ الحكومة على الغائها وربح ادبي لا يقدَّر بمال واما الترع والمصارف فيكفي لاظهار فوائدها ان مساحة الاراضي الزراعية زادت بها اكثر من سبع مئة الف فدان واطياناً كثيرة لم يكن الفدان منها يساوي عشرة جنيهات فصار يساوي الآن اربعين او خمسين جنيهاً

سكك الحديد — بلغ دخل سكك الحديد في العام الماضي ٢١١٢٠٦٥ جنيهاً ونفقاتها ٩٥٠٤٢٩ وكان دخلها منذ عشرين عاماً ١٢٠٤٩٨٢ ونفقاتها ٤٥٤٨٤٨ جنيهاً فزادت النفقات نحو خمس مئة الف جنيه ولكن الدخل زاد نحو تسع مئة الف جنيه. وبلغ عدد الركاب في العام الماضي احد عشر مليوناً و ٢٨٤ الف نفس وزنة البضائع المنقولة ثلاثة ملايين طن وكان عدد الركاب منذ عشرين سنة ثلاثة ملايين و ٨٦ الفاً وزنة البضائع مليوناً و ١٤٣ الف طن فزاد عدد الركاب ثلاثة اضعاف وزنة البضائع نحو ضعفين واما النفقات فزادت ضعفاً واحداً

التلغراف — كانت اجرة كل عشر كلمات او كسر منها خمسة غروش بين الاسكندرية والقاهرة وعشرة غروش بين الاسكندرية واسيوط و ١٥ غرشاً بين الاسكندرية واصوان و٢٠ غرشاً بين الاسكندرية وحلفا و٢٥ غرشاً بين الاسكندرية ودنقلة و ٣٠ غرشاً بين الاسكندرية وبربر و ٣٥ غرشاً بين الاسكندرية والخرطوم . وعُمل بهذا النظام الى آخر سنة ١٨٨٧ ثم جُعلت اجرة الكلمات العشر الاولى خمسة غروش في القطر المصري كلهِ واجرة كل كلمة فوقها نصف غرش ومنذ سنة ١٨٩١ جعلت اجرة كل كلمتين نصف غرش حتى وادي

حلفا ثم تتضاعف الاجرة الى ما فوق حلفا . وكان دخل مصلحة التلغرافات منذ عشرين سنة ٤١٠٧١ جنيهاً ونفقاتها ٣٦٦٠٨ جنيهات وطول الخطوط التلغرافية ٥٤٢٩ جنيهاً وعدد التلغرافات المرسلة في السنة ٦٥٩١٢٦ فبلغ دخلها في العام الماضي ٥٩ ٤٤٨ جنيهاً ونفقاتها ٤٤٠٠٠ جنيه وطول الخطوط التلغرافية ٩٣٢٤ وعدد التلغرافات ٢٩٩٤٣٣٢ اي زاد عدد التلغرافات اربعة اضعاف ولم يزد المال الذي دفعهُ السكان اجرة لها الاَّ اقل من خمسين في المئة

البريد — كان دخل مصلحة البريد منذ عشرين عاماً نحو ثمانين الف جنيه ونفقاتها نحو سبعين الف جنيه وعدد المراسلات الداخلية اقل من ثلاثة ملايين والخارجية ٨٣٧ الفاً فبلغ دخلها في العام الماضي ٨٧٤ ١٢٩ جنيهاً ونفقاتها ١٩٨ ١٠٨ وعدد المراسلات الداخلية نحو ١٣ مليوناً والخارجية مليونين و٦٥٩ الفاً فزاد عدد المراسلات الداخلية اكثر من ثلاثة اضعاف والخارجية اكثر من ضعفين ولم تزد النفقات ضعفاً واحداً . ولم يزد الدخل كثيراً لان اجرة المراسلات الداخلية نقصت النصف منذ سنة ١٨٩٠

هذا بعض ما نسطرهُ بمداد الشكر للرجال الذي بذلوا الجهد في اصلاح ادارة هذا القطر ولكن اذا ذكرنا اسماءهم واحداً واحداً وتحققنا نصيب كلٍّ منهم من هذا الاصلاح لنعلم مقدار الحياة القومية التي بدت من الامة المصرية في هذه الاعوام العشرين لم نجد ما يسرُّ الصديق . ولا تدلُّ دلائل الحال على ان الامة المصرية مهتمة بفتح احضانها للذين يهاجرون الى بلادها من رجال الجد والاجتهاد اوربيين وغير اوربيين حتى يمتزجوا بها و يصيروا اعضاء حية في بنائها كما فعلت بجمهور الاتراك والشراكسة الذين هاجروا اليها منذ اربعين عاماً فاكثر. ولا هؤلاء المهاجرون من الاوربيين وغيرهم راغبون في هذا الامتزاج كما يرغب فيهِ امثالهم من نزلاء الولايات المتحدة الاميركية مثلاً وعليهِ فجمهور كبير من رجال هذا الاصلاح يحسبون اجانب عن القطر المصري ولو انتظموا في حكومتهِ واقاموا فيهِ السنين الطوال

لكن اذا لم يجد الصديق ما يسرُّهُ من هذا القبيل وجد من قبيل آخر من ارتقاء شؤُون الامة بنوع عام فاصحاب الاطيان يجنون منها اليوم اكثر مما كانوا يجنون منذ عشرين عاماً او ثلاثين وجمهورهم وجمهور الفلاحين يعرف الآن ما لهُ فيتقاضاهُ وما عليهِ فيوفيهِ ولا يصبر على الضيم ولو من مدير او وزير . وقد شيدت اركان الامن وحفظت الصحة العمومية وارتفعت اثمان الاطيان لكثرة النقود في ايدي الناس . واهتمَّ الخاصة والعامة بتعليم ابنائهم بل بتعليم بناتهم ايضاً ودلائل الارتقاء بادية في كل انحاء هذا القطر

رحلة دوق ابروزي

كثيرًا ما تجشم اهل السياحة المشاق واقتحموا الاخطار وعرّضوا انفسهم لموت الزُّؤَام لاجل الوصول الى القطب الشمالي . ولهم من ذلك غرضان الواحد علمي والآخر تجاري . اما الغرض العلمي فمدارهُ الوقوف على احوال تلك الاصقاع الجرداء التي كستها الثلوج فلم تبقِ فيها من انواع الحيوان غير ذوات الفرو الكثيف او الدهن الكثير حتى تجد من كسائها الطبيعي واقيًا يقيها صبارَّة القر . واما الغرض التجاري فاكتشاف طريق يصل بين شمالي اوربا واقاصي المشرق حتى ترسل المتاجر فيهِ بدلاً من ارسالها في طريق السويس او حول افريقية . والى الآن لم يبلغوا هذا الغرض ولن يبلغوهُ لانهم لم يجدوا بحرًا خاليًا من الجليد حول القطب كما ظنوا لكنهم بلغوا كل ما راموهُ علميًا اي انهم عرفوا اكثر الظواهر الجوية والحوادث الطبيعية التي تحدث في الاقطار القطبية

واشهر الرحلات الحديثة التي قُصد بها البلوغ الى القطب الشمالي رحلة باير الذي تمكن هو ورجالهُ سنة ١٨٧٤ من الوصول الى الدرجة ٨٢ من العرض الشمالي اي بقي بينهم وبين القطب ثماني درجات او نحو ٤٥٠ ميلاً . وسنة ١٨٧٦ وصل ماركهام الى الدرجة ٨٣ والدقيقة ٢٥ . وسنة ١٨٩٥ وصل نانسن الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ . وقد وصل رجال دوق ابروزي هذا العام الى الدرجة ٨٦ والدقيقة ٣٣ فلم يبقَ بينهم وبين القطب الشمالي سوى ثلاث درجات و ٢٧ دقيقة اي نحو مئتي ميل . وهاك تفصيل هذه الرحلة ملخصًا مما كتبهُ الدكتور اولندو ملاغودي في مجلة الستراند الانكليزية

كان للسفينة ستلاً بولاري (اي نجمة القطب وهي التي سار فيها دوق ابروزي) وداع حافل يوم ابحرت من مرفإِ كرستيانا عاصمة بلاد نروج في الثاني عشر من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ قاصدةً اقاصي الشمال . ابحرت واعلام المدينة تخفق لها ومدافعها تدوي لوداعها والجماهير الكثيرة تدعو لها بالسفر الميمون والعود القريب . وكان بين المودّعين الدكتور نانسن الرحالة الشهير فوقف يزفُّ الى الراحلين نصائح الخبير المجرّب ويقوي عزائمهم ويشجعهم على اقتحام الاهوال وكان يكلمهم كمن هو واثق بنجاح رحلتهم وعودهم سالمين غانمين

اما الخطة التي كان دوق ابروزي ينوي اتباعها فلم يكن احد يعرفها غير رجالهِ وقد اسرُّوها لكي لا تصل الى اصحاب الصحف السيَّارة فيكثر اللغط فيها والايهام بها . وكان معهُ عشرة من الايطاليين وعشرة من النروجيين الآن اعتمادهُ كان على الايطاليين ولم يأخذ النروجيين معهُ

الاّ لاعتيادهم السفر في البحار الشمالية . وهو ابن دوق اوستا الذي تولّى عرش اسبانيا من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٧٥ وابن عم ملك ايطاليا الحالي . طويل القامة نحيف الجسم قليل الكلام لهُ ولع شديد باقتحام المخاطر اذا كان من اقتحامها نفع ما ولاسيما اذا كان النفع علميًّا . يلقبهُ اخوهُ بالعضو العلمي في آل سافوى . درس في مدرسة ليفورنو الحربية ولما اتمَّ دروسهُ طاف في البلدان يدرس اخلاق اهلها وعاداتهم واكثر من الصعود الى قمم الجبال العالية الى ان صعد الى قمة جبل مار الياس في اقاصي اميركا الشمالية بعد ان تعذَّر على غيرهِ البلوغ اليها كما ذكر في الصفحة ٧٩٤ من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف

والسفينة من سفن الصيد استعملها نانسن في رحلتهِ الاولى الى غرينلندا وقد مضى عليها سبع عشرة سنة تمخر في البحار لصيد الحيتان الشمالية فابتاعها دوق ابروزي ووكل اصلاحها الى رجل ماهر ببناء السفن فاصلحها وقوَّاها على احتمال ضغط الجليد وسميت نجمة القطب . طولها ١٥٠ قدماً وعرضها ٣١ قدماً وعمقها ١٦ قدماً ومحمولها ٤٩٥ طناً وفيها سوارٍ عالية وشراع واسع وآلة بخارية صغيرة تسير بها خمسة اميال في الساعة ولكنها لا تستعمل الاّ عند الحاجة الشديدة اذ لاسعة فيها للفحم الكثير . وبني على ظهرها بيت كبير يسع ١٢٠ كلباً من الكلاب التي تجر المزالق على الجليد وغرف واسعة للضباط . وقد جمع فيها دوق ابروزي كل ما يحتاج اليهِ من الزاد والادوات اخذ الاطعمة والخمور من ايطاليا والآلات من المانيا والثياب المشمعة من انكلترا والفراء من روسيا ورأى كل شيءٍ بنفسهِ حتى اذا رآهُ نانسن يفعل ذلك قال هذا شأن من يفلح في امورهِ ولا يكل اعمالهُ الى غيرهِ . وكان الزاد كثيرًا يكفي من في السفينة اكثر من ثلاثة اعوام وهو وسائر المواد في الف وخمس مئة صندوق والصناديق صغيرة حتى يستسهل الرجل حمل الواحد منها . وهي اربعة انواع حسب المواد التي فيها تمتاز بما عليها من الخطوط فصناديق الزاد خطوطها سوداء وفي كل صندوق منها شيءٌ من كل انواع الزاد كالخبز واللحم والخضر والاشربة حتى اذا ضاع بعضها لا يكون فيهِ ما ليس في غيرهِ . وقس على ذلك صناديق الثياب وصناديق الادوات وصناديق الالعاب . والغرض من الالعاب كالشطرنج والنرد ونحوهما تسلية البحارة في الشتاء حتى لا يملوا ولا يسأموا

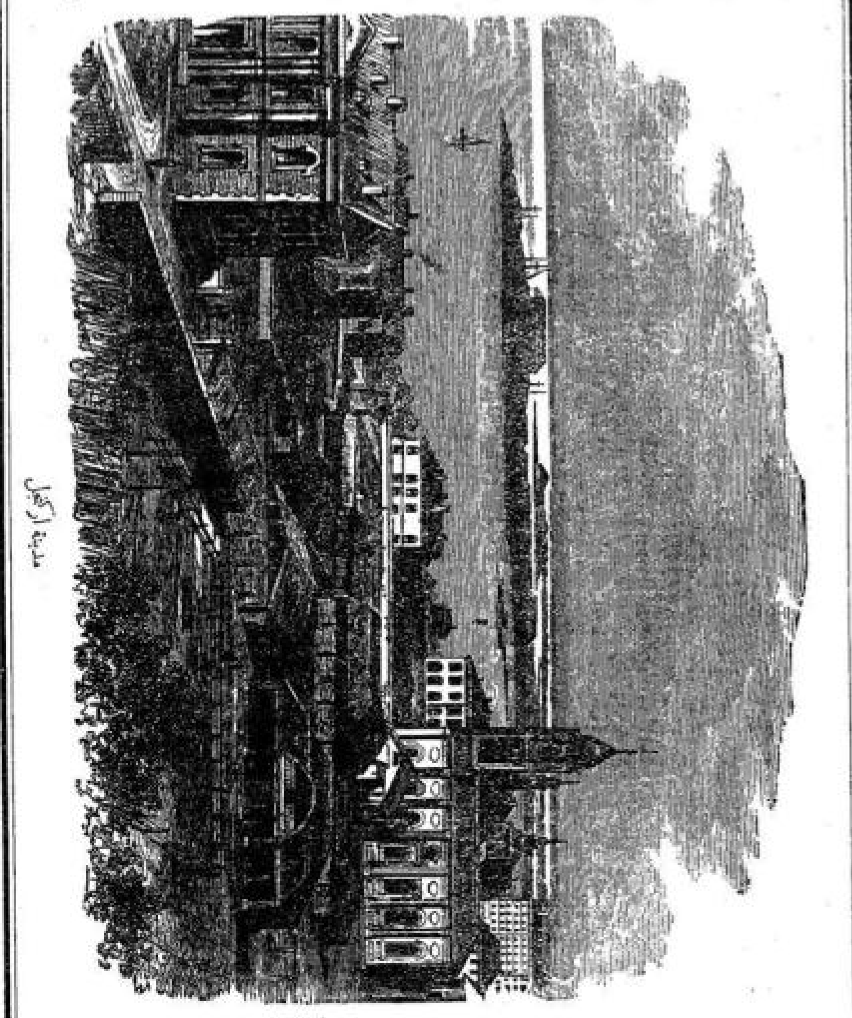
وكان غرض نانسن في رحلتهِ الاخيرة ان يصل الى القطب الشمالي بسفينتهِ معتمدًا على مجرى الجليد الذي اكتشفهُ وحسب انهُ يجري بسفينتهِ من سيبيريا الى غرينلندا فتمر على القطب الشمالي . فجرى الجليد بها كما قدَّر لكنهُ لم يمرَّ بها على القطب الشمالي بل بقيت بعيدة عنهُ فاضطرَّ ان يركب المزالق و يسير الى القطب على الجليد فبلغ الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٤ من العرض

الشمالي كما تقدَّم . اما دوق ابروزي فلم يعتمد علي مجرى الجليد بل عزم ان يصل الى القطب في المزالق واخذ السفينة معهُ ليصل بها الي ابعد ارض يسهل عليهِ الوصول اليها فيتركها هناك ويرسل منها بعثات الواحدة بعد الاخرى ويبعث معها زاداً تضعهُ في الطريق فكل بعثة تمهد السبيل للتي بعدها وتضع لها الزاد في طريقها الى ان تصل البعثة الاخيرة الى القطب . وتدرس كل بعثة احوال البلاد التي تصل اليها حتى يكون اخبارها مرشداً للبعثة التي تليها

وقامت نجمة القطب في الثاني عشر من شهر يونيو كما تقدم وبلغت مدينة اركنجل على سواحل روسيا في غرة يوليو ومن هناك اخذت المئة والعشرين كلباً المعدَّة لهذه الرحلة وكان الغران دوق فلادمير الروسي قد جاء الى اركنجل ليودع دوق ابروزي فودعهُ واقلعت السفينة من هناك في ١١ يوليو فبلغت راس فلورا في جزيرة فرنز جوزف بعد عشرة ايام ووجدت هناك كوخاً بنتهُ بعثة جكسن الرحالة وكتبت عليهِ ان كل المكاتيب التي توضع فيهِ تعود بها سفينة الصيد كابلاً الى اوربا حينما تمر من هناك في اواسط اغسطس . فوضع الدوق في ذلك الكوخ زاداً يكفي رجالهُ ثمانية اشهر حتى اذا اضطروا ان يعودوا من ذلك الطريق وجدوا فيهِ طعاماً لهم ثم سار بسفينتهِ قاصداً دخول الخليج القطبي الانكليزي وبعد عناء شديد خرقت السفينة الجليد وسمكهُ خمسة وسبعون سنتيمتراً ووصلت الى بحر لاجليد فيهِ . والتقت هناك بسفينة الصيد كابلاً وفيها ولمن الرحالة الاميركي وقد كسرت ساقهُ وفقد البعض من رفاقهِ . وبعث من في نجمة القطب مكاتيبهم مع الكابلاً وفي جملتها كتاب من دليل اسمهُ بتيغاس يقول فيهِ تمرُّ بنا الايام والاسابيع سراعاً والبرد معتدل فقلما يهبط الثرمومتر تحت الصفر وامس اشرقت الشمس ببهائها فعكس الجليد من اشعتها ما يبهر الابصار . وقد قويت سفينتنا على مقاومة هجمات الجليد وهي تمخر فيهِ وتشقهُ ولو كان ثخنهُ اربع اقدام واذا كان ثخنهُ اكثر من ذلك وعجزت عن شقهِ اطلقنا لها البخار فتثب فوقهُ وتكسرهُ كسراً مسافة اربعين متراً او خمسين ولا يفارق الدوق مَرْقَب السفينة وقد لا ينزل لتناول الطعام ولا يدع فرصةً للتقدُّم الاَّ غنمها ونحن نسرُّ بذلك لانهُ على قدر تقدُّمنا هذا العام يقل تعبنا في العام المقبل "

وظلت نجمة القطب سائرة الى ان بلغت الدرجة ٨٢ والدقيقة ٥ من العرض ولم تبلغ سفينة اخرى هذا المدى في البحر وقد جازتهُ سفينة نانسن لكنها سارت محمولة بالجليد . ثم عادت نجمة القطب من هناك لانها لم تجد مرفأً تقيم فيهِ الى ان وصلت الى حيث الدرجة ٨١ والدقيقة ٤٧ وهناك توالت عليها الكوارث فاجتمع الجليد حولها وتكاثف وضغط عليها ضغطاً شديداً حتى كاد يسحقها ثم وقعت عليها قطعة كبيرة منهُ فكسرت جانبها وللحال جعل الماء

يدخل من الكسر حتى حسب من فيها انها غارقة لا محالة ثم تحرَّك الجليد فادارها واما لها على الجانب الآخر فنجت من الغرق ولكنها لم تعُد تسكن واضطرَّ الدوق ورجاله ان يغادروها ويفقدوا



مدينة اركنجل

كل ما اعدوهُ فيها من وسائل الراحة والدفء ويخيموا على الجليد في ذلك الزمهرير . وكان معهم خيمتان فنصبوهما وغطوهما بشراع السفينة ووضعوا بينهما موقداً يطبخون عليهِ و يستدفئون

منهُ وكان مع كلٍّ منهم دثار من جلد الذئب الطويل الصوف فلم يقرهم البرد مع انهُ كان قارساً جدًّا ولاسيما في الليلة الاولى فجلد بهِ كل شيء حتى الجزم . وبنوا للكلاب زريبة من الخشب تقيها عصف الرياح . ومضى فصل الشتاء والضباط يبحثون عن مجاري الاوقيانوس والقطب المغنطيسي والنور القطبي وتكوُّن الجليد وامتدادهِ وحرارة الهواء والبحر وسمك طبقة الارض وطبائع الحيوانات القطبية ونحو ذلك من المباحث العلمية . وداموا متمتعين بالصحة التامة الى يوم عيد الميلاد وحينئذٍ مضى الدوق وثانيهِ ليمتحنا المزالق فقرَّسهما البرد وهرأَ ايديهما فابيضت اولاً ثم اسودَّت حتى ظنَّ الطبيب ان لا بدَّ من قطع احدى يدي الدوق ثم رأَى انهُ يمكن الاكتفاء بقطع اصبعين من اصابعهِ فقطعهما ومن ثمَّ انحرفت صحتهُ ولم تعد الى حالها الاولى واضطرَّ ان يلازم خيمتهُ اربعة اشهر متوالية لكنهُ اعدَّ بعثات المزالق في غضونها وحاول اولاً ارسالها في آخر فبراير فلم تستطع الذهاب لان البرد كان شديداً جدًّا ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد فماتت الكلاب من شدتهِ واضطرَّ الرجال ان يعودوا في اليوم الثاني

ثم ارسل بعثة أُخرى في ١١ مارس وفيها ثلاثة عشر رجلاً وثلاث عشرة مزلقة و١٠٨ كلاب فوجدت من المشاق في طريقها ما لا يوصف وكانت تضطر احياناً كثيرة ان تقطع جبال الثلج بالفؤوس لكي تسير بينها . ورأَى رئيسها ان الزاد الذي اخذتهُ معها قد لا يكفيها لكثرة ما كان يأْكلهُ رجالها فاعاد ثلاثة منهم في ٢١ مارس ومعهم زاد يكفيهم عشرة ايام فانقطع خبرهم من ذلك الحين ولم يُسمَع عنهم شيء حتى الآن . وفي الحادي والثلاثين من مارس ارجع ستة آخرين ومعهم زاد يكفيهم خمسة وعشرين يوماً فوصلوا الى المخيم سالمين . وبقي هو وثلاثة من الايطاليين سائرين في طريقهم والجليد كثير العراقيب مترا كم القطع الى ان بلغوا الدرجة ٨٥ من العرض ومن ثمَّ صارت حقول الجليد منبسطة فسارت مزالقهم عليها سيراً حثيثاً وقل زادهم كثيراً فاقتصروا على اكل لحم الكلاب لكن عزائمهم لم تضعف لانهم كانوا عازمين ان يبلغوا الدرجة ٨٧ حتى يقال انهم فاقوا كل من تقدم من قصاد القطب الشمالي

وفي الرابع والعشرين من ابريل وصلوا الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ٣٣ من العرض والدرجة ٦٥ من الطول ورأَوا هناك انهُ لم يبقَ لهم سبيل للتقدُّم لانهُ لم يبقَ معهم زاد فاضطروا ان يعودوا ادراجهم فاقتضى ذهابهم خمسة واربعين يوماً وايابهم تسعة وخمسين يوماً ولم يجدوا ارضاً في طريقهم وكان الجليد يغطي البحر كلهُ في ذهابهم واما في ايابهم فوجدوهُ قد تقطع وصار جزائر طافية في البحر فصاروا يضطرون ان يثبوا من جزيرة الى اخرى او يقفوا على الجزيرة ويدفعوها حتى تسير بهم كالقارب الى ان تصل الى غيرها . وتخطوا رفاقهم في رجوعهم واوغلوا

جنوباً نحو ٤٤ دقيقة ثم عادوا ادراجهم لما اكتشفوا خطأهم ووصلوا سالمين ولكن على آخر رمق لانهم اضاعوا مزالقهم كلها ولم يبقَ معهم من الكلاب الاَّ سبعة

وبذل النجارون جهدهم في اصلاح السفينة فوجدوا انها لا تستطيع البقاء هناك شتاء آخر . وفي الثامن من اغسطس انفكَّ عنها قيد الجليد فقام الدوق ورجالهُ وتركوا جانباً كبيراً من الزاد هناك للرجال الذين ضلوا الطريق يكفيهم سنتين اذا عثروا عليهِ. وعادوا بالسفينة الى الخليج الانكليزي فوصلوهُ في يوم واحد لكنهم وجدوهُ مسدوداً بالجليد فبقيت السفينة تجاهد ستة عشر يوماً واشرفت على الغرق مراراً كثيرة واخيراً وصلوا الى بحرٍ لا يغيطهِ الجليد وفي اليوم الاخير من اغسطس وصلوا الى راس فلورا فوجدوا فيهِ رسائل البريد وقد تركتها لهم سفينة الصيد كابلاً في ١٢ يوليو الماضي وفيها كتاب من الملك همبرت ملك ايطاليا . ولما اطلع الدوق عليهِ كان عمهُ قد قضي قتيلاً . ووصلت السفينة الى كرستيانا وحياها الرحالة نانسن وقال مخاطباً دوق ابرزوي . " لقد احييتم تاريخ ماركو بولو وخريستوفورس كولمبوس واوغلتم في الشمال يا ابناء الجنوب اكثر مما اوغل ابناء الشمال " . هذا ما يفعلهُ ابناء الملوك في اوربا لخدمة العلم والتجارة فكيف لا ترتقي بلادهم وتسود غيرها نجيب صروف

معرض باريس العام

سنة ١٩٠٠

(تابع ما قبلهُ)

ختمنا الكلام في الجزء الماضي بوصف قصر الحراج وقد فاتنا وصف كثير من المواد المعروضة فيهِ كالقطر وخشب الكينا وصمغ الكاوتشوك والبخور والاعشاب والاوراق والقشور والجذور والاثمار البرية التي تؤكل او تستخرج منها الاصباغ او تعصر الزيوت او يصنع الورق. فانواع القطر تعدُّ بالمئات واصنافهُ بالالوف والكاوتشوك قطعهُ في حجم البراميل الكبيرة والاعشاب والاوراق ونحوها شاملة كل ما يستعمل في الصناعة والطب وكل ما يؤكل وينتفع بهِ . وانواع الخشب والوانهُ تفوق الوصف من الاسود الى الابيض والاحمر والاصفر بكل درجاتهما وكثير منها من قلب افريقية من الكنغو الفرنسوي وغيرهِ

وقد عُرض في هذا القصر كثير من اسلحة مشاهير الرجال كاسلحة قيصر الروس والسيف الذي اهداهُ الامبراطور بونابرت الى القيصر اسكندر الاول سنة ١٨١٧ وفي صفيحة مقبضهِ

ثمانية حجارة كبيرة من الماس ومقبضهُ ذهب وغمده عاج . ومن ذلك زوجا طبنجات من بونابرت ايضاً للقيصر اسكندر الاول احدهما مقبضهُ عاج مرصع بالذهب والثاني مقبضهُ خشب مرصع بالفضة وبندقية للامبراطورة اليصابات بتروفنا مرصعة بالفضة صنعت سنة ١٧٥٠ وبندقية اخرى مرصعة بالذهب وفرد مرصع بالذهب والفضة. وفرود الامير عبد القادر الجزائري مقابضها من الذهب وخشبها مرصع معرَّق وسبع من بنادق بونابرت

لو اردنا ان نباري الامم الاوربية والاميركية في القسم الطبيعي من هذا الباب لوجدنا السبيل الى ذلك سهلاً فعندنا من الاخشاب الارز والجوز والسنديان والزيتون والخرنوب. ومن الاصباغ النيل والفوة والقرظ والسماق. ومن الصموغ الصمغ العربي واللبان والكثيراء واللاذن. ومن العقاقير الصبر والحنظل وعرق السوس. ومن الياف النبات القطن والقنب والكتان . ومن نتاج الحشرات الحرير والعفص والقرمز. ومن نتاج البحر الاسفنج واللؤلؤ وعرقهُ. لكننا اذا جاوزنا ذلك الى ما هو صناعي قصرنا عن ادراك الاوربيين بل عن ادراك اسلافنا الاولين

" الباب العاشر — في الغذاء من طعام وشراب وهو ثمانية فصول اولها في الآنية والمعامل والطرق التي تصنع بها الاطعمة والاشربة كمطاحن الدقيق ومعامل النشا والمعاجن والافران وادوات العجن ومعامل الفطائر والبقسماط ومعامل الحلاوة ومعامل الثلج وحفظهِ وحفظ اللحوم والاسماك من الفساد وحفظها وحفظ الخضر والاثمار في العلب ومعامل السكر وتكرير السكر ومعامل الشكولاته والكوكو ومحمصات البن ومقالي الحبوب والانابيق وما يتبعها من آلات التقطير ومعامل الغازوزة والخمارات الى غير ذلك من معامل الطعام والشراب. والفصل الذي بعدهُ يشمل انواع الدقيق والحبوب المقشورة ونشا البطاطس ودقيق الارز وجريش العدس واللوبياء وغيرها من القطاني والشعيرية والماكروني والسميد وطعام الاطفال ونحو ذلك

والفصل الذي يليهِ يشمل كل انواع الخبز والرقاق والفطائر وقد عرضت آلات هذا الفصل مع كثير من آلات الفصل الاوَّل من فصول هذا الباب على ضفة السين الشمالية فراراً من دخان افرانها وحرارها . فيرى الناظر هناك جميع ادوات الخبز وانواع المعاجن والافران التي تخبز الرغيف الذي يبلغ في الطول ثلاث اذرع او اربعاً من الارغفة الطويلة او يبلغ قطرهُ ذراعين من الارغفة المستديرة تارةً من العجين الخمير وطوراً من العجين الفطير . ويرى ما يفوق الوصف من اشكال الاقراص والفطائر والرقاق والطلم والبقسماط والكعك وسائر انواع الخبز التي بلغ خبازو باريس غاية التفنن فيها وفي عرضها داخل العلب المزوقة والسلال المنمقة. وقد رأيت قرب معرض " لولو " المشهور بجودة كعكهِ ولذة طعمهِ سلاًّ هائل الكبر يشبه

برانيط النساء العالية في شكلهِ مدلّى من سقف وتحتهُ صبرة بل رابية عظيمة مخروطية الشكل من انواع الكعك " والبسكويت " المختلف الاشكال والالوان كأن ذلك الكعك انهال كلهُ من السلّ وتراكم تحتهُ عالياً كالتل

والفصل الذي بعد هذا يشمل انواع الملبسات والمربيات والمعاجين والحبوب المطيبة والممسكة والهلام فكل ما يباع في اسواق القطر المصري من الملبس الافرنجي داخل العلب وخارجها ومن المربيات والمعاجين الحلوة يصنع ويعرض في المعرض. وزد على ما تقدم مشروبات القهوة والشاي والهندباء (الشيكوريا) ونحوها والملح والبهارات والتوابل والافاويه والمواد الحريفة كالخردل والكري وجميع الامراق الحريفة . ويلي هذا فصل مختص بحفظ اللحوم من الفساد إما بالثلج او بمجاري الهواء الباردة او بغيرها من الوسائط ويصنع اقراص اللحم واقراص الشوربا وخلاصات اللحوم وحفظها . وبالسراطين وبالسمك المثلج والمقدد والمكبوس في البراميل او في الزيوت والعلب وبالثمار اليابسة وغيرها

واما الفصول الثلثة الباقية فتعم جميع انواع الخمور والعصير والمشروبات الروحية والمشروبات الحلوة وقد اشترك عارضو فصل الخمور والمسكرات مع عارضي فصل الكرم وعددهم سبعة آلاف عارض وانشأوا لمعروضاتهم مباني وحانات وخمارات تسمى بمدينة الخمور فالعارضون من جهات " بورجون " في فرنسا شادوا حانات بديعة على مثال المباني الفرنسوية القديمة منذ ٦٠٠ او ٧٠٠ سنة فيها خمور بورجون مثل خمر ديجون وغيرها من خمورهم الشهيرة وآخرون بنوا قبة بديعة الزخرفة وعرضوا فيها خمر " ارمنياك " . وخمارو جهات " شارنت " اختاروا بعض الابنية القديمة التاريخية في جهاتهم وبنوا حانات على شكلها عرضوا فيها خمور الكنياك التي طارصيتها في الآفاق كما يطير سمها بعقول مدمنيها . وعارضو جهات " الجيروند " شادوا قصراً بديعاً وعرضوا فيهِ خمورهم الشهيرة كخمر مدُوك وخمر جراف وخمر برساك وغيرها . وانشأ بعض عارضي الشمبانيا حانة ذات جنات معلقة تبهج الناظرين على ان كل تلك الحانات والقصور لا تكاد تذكر بجانب القصر الذي أنشأتهُ لجنة من تجار الشمبانيا وجعلتهُ آية في الجمال والزخرفة والاتقان يتهافت المصورون على تصويرهِ لحسنهِ كما يتهافت الشريبون على شرب خمورهِ . ففيهِ حانة يباع فيها كل يوم خمر من خمور الشمبانيا التي يصنعها محل من المحلات العارضة فيهِ . وفيهِ خمارة تصنع فيها الشمبانيا امام الناظرين ثم تصب في قناني وتحلى ويسدّ عليها بالفلين . ويلي هذه الخمارة مخزن تلصق فيهِ الاوراق على ٣٠٠٠ قنينة من تلك القناني باسم الشمبانيا وصانعيها وتلبس افواهها المسدودة ورق الزنك ثم توضع في الصناديق والسلال

لتصدر الى الاقطار. وفي الطبقة العلوية من هذا القصر قاعة للاستراحة ومحل لشرب الشمبانيا تعرض فيهِ خمور واحد وثلاثين من العارضين

ويطول بي الكلام جدًّا لو اردت استيفاء وصف هذا القصر وغيرهِ من البنايات والحانات الكثيرة التي اقامها العارضون في مدينة الخمور . فاقتصر على ذكر حانة بنتها لجنة من باعة الخمور تعرف "بسنديك سومور" على عجلات تدور بها من الصباح الى المساء فتري الناظرين كل ما هو معروض فيها . وقد صنع بعضهم دنًّا لم يسبق لهُ مثيل في الكبر والاتساع لو ملئ خمرًا لوسع ٣٦٠٠ متر مكعب منها اي ما يكفي نحو اربعة ملايين نفس او مضاعف اهل باريس على ان هذا الدن الذي يوهم ظاهرهُ بانهُ وعاء للخمر ليس كذلك في الحقيقة بل ان من يدخل اليهِ يجدهُ بناية فخيمة ذات اربع طبقات تحتوي اربعة وخمسين كشكًا او حانًا لبيع الخمور وفي الطبقة الرابعة منهُ خمارة وموسيقى تطرب الشاربين

على اني اذا اقتصرت على ذكر طرف مما صنعهُ باعة الخمور ولم اذكر بعض ما صنعهُ غيرهم فانما اؤدي الى ذهن القارىء صورة ناقصة التصور فان محل مينيه المشهور بالشكولاته التي يصنعها ويصدرها الى جميع اقطار المعمور جعل معرضها مما يخلب العقول فبنى بناء عظيمًا على مثال اول سفينة شراعية جاءت بحبوب الكاكاو التي تصنع الشكولاته منها الى فرنسا في عهد الملك لويس الخامس عشر وركّب عليهِ ما كان في تلك السفينة من الطبقات والسواري والدقل والحبال وما شاكل . وجعل اسفل هذه السفينة معملاً للشكولاته ركّب فيهِ عددهُ وآلاتهِ ووضع فيهِ عالهُ يعملون الشكولاته امام عيون الناظرين ويوزعون شيئًا منها مجانًا على جماهيرهم من حين الى حين فلذلك تراها مزدحمة بالناس دائمًا ازدحامًا لا مثيل لهُ الاَّ حيث يوزع الطعام او ترى "الفُرَج" مجانًا . وجعل ظهر السفينة والطبقات التي عليهِ حوانيت يبيع فيها البائعات ما يصنع من الشكولاته مغلية او مبردة بالثلج الى غير ذلك من المشروبات والمأكولات. ووضع في وسطها بين ظهرها وقعرها صور البلاد التي ينبت فيها الكاكاو وقصب السكر وغيرهما مما تصنع الشكولاته منهُ . وقد اذكرني توزيع الشكولاته مجانًا محلاً اميركيًا يوزّع الطعام مجانًا على كل من يصعد اليهِ فوق معرض الآلات الزراعية الاميركية . وطعامهُ هذا الوان عديدة منها جامد ومنها سائل ومنها حلو ومنها مالح وكلها مصنوعة من الذرة الاميركية وقد ذقتها فاستطيبت اكثرها وقصد طابخها وموزعها مجانًا على المئات والالوف التي تقصد محلهُ في المعرض يوميًا ان يقنع الناس بانهم يستطيعون طبخ الذرة الوانًا عديدة مختلفة الطعوم بثمن بخس لا يذكر فيستغنون بها عن سواها من المآكل الثمينة . ولما كانت الذرة اشهر ما يقتات بهِ

الفلاح المصري فيخلق بالذين يهمهم امر راحتهِ ولذتهِ في معيشتهِ ان يوجهوا عنايتهم الى هذا المحل الاميركي وطبخهِ عساهم ان يهتدوا الى تحسين غذاء الفلاح المسكين بلا زيادة تذكر في نفقاتهِ

وقد نافس صانعو النبيذ من الاعشاب والحبوب كالبيرة والجعة والمزر وصانعو العصير من التفاح صانعي الخمور والارواح في خماراتهم فان صانعي البيرة من الفرنسويين اتفقوا وانشأوا بناء حسناً جداً من احدث طراز لصنع البيرة يصنعونها في طبقتهِ السفلى ويعرضونها للمزر والذوق في طبقتهِ العليا وحذا صانعو نبيذ التفاح حذو صانعي البيرة فانشأوا له محلاً جميلاً كثير الزينة والزخرفة وعرضوا فيهِ نبيذاً معتقاً منذ عشرين وثلاثين سنة

اسلفت ان بابي الزراعة والغذاء معروضان في قصر فخيم خاص بهما يسمى باسمهما . ولكن في وسط هذا القصر قاعة تعدُّ من اعظم معجزات هذا المعرض وتسمى بقاعة الاعياد قائمة على ارض قائمة الزوايا طولها ١٦٥ متراً وعرضها ١٤٢ متراً وهي معقودة عقداً مستديراً قطرة دائرتهِ ٩٠ متراً وتسع ٢٠ الف نفس . وهذا العقد قائم على ثمانية اركان عظيمة وثمانية اعمدة كلها من الحديد ووزنها ١٢٠ الف كيلوغرام (٢٦٤٠ قنطاراً مصرياً) وفيها من النقش والزخرفة والصور والمنحوتات شيء كثير ولكن الكلام على ذلك يكون عند وصف جمال المعرض لا وصف عظمتهِ وكمالهِ فلا اتعرض له هنا "

وقد اقتصرت على ما ذكرهُ اخي الدكتور نمر في هذا الباب لانهُ جمع فاوعى ولم يترك لي مجالاً لازيد عليهِ شيئاً بذكر الا الالتفات الى ما عرضتهُ البلدان الأخرى في هذه الفصول فانها كلها بارت فرنسا ولو لم تبلغ شأوها وعرضت من الآلات والادوات والمصنوعات ما يفوق الوصف فترى المطاحن الالمانية تطحن الدقيق على درجات شتى من الخشونة والنعومة وتعجنهُ وتخبزهُ وآلات التبريد السويسرية تبرد الماء وتجمدهُ . ومن اغرب ما عُرِض من هذا القبيل آلة اميركية تضغط الهواء حتى يسيل ويصير ماء فترى الآلة التي تضغطهُ تدور من غير ان تسمع لها صوتاً كأنها جبار عظيم يعتمد على قوة ذراعيهِ لا على الصوت والجلبة والهواء ينضغط فيها فتتقارب دقائقهُ بعضها من بعض حتى تتغلب قوة الجذب التي بينها على قوة الدفع فتترك النفور والنشوز وتعود الى الوفاق والوئام فتتجاذب وتتماسك وتصير مثل الماء الذي نشربهُ وتجري الى مستودع كبير وهناك رجل يقف كل يوم امام هذا المستودع ويفتح حنفية فيهِ امام الناظرين وهم مجتمعون حولهُ عشرات ومئات فينصبُّ الهواء السائل من الحنفية كأنهُ ماء تحت ضغط شديد فيملأ بهِ اناء كبيراً وهو يرغي ويزبد اولاً ما دام الاناء حارًّا بالنسبة اليهِ ولكن الاناء يبرد حالاً فيقف السائل عن الارغاء والازباد ويصفو لونهُ فتراهُ ابيض شفافاً لا

يفرق عن الماء القراح واذا لمستهُ بيدك لم تشعر الاَّ كأنك لمست ماء. واذا صُبَّ شيء منهُ في اناء آخر ارغى وازبد اولاً وصعد عنهُ بخار ابيض كثيف يملأُ الفضاء فوقهُ حتى اذا برد الاناء الذي صُبَّ فيهِ زال البخار والارغاء. وكان مع هذا الرجل ولد خبيث فجعل يأخذ الهواء السائل بيدهِ ويرمي بهِ الحضور فوقع بعضهُ في عيني واذني فذعرت من ذلك في اول الامر لا لانني خفت منهُ حقيقة بل لان اعصاب الخوف الموروث تفعل فعلاً غير خاضع للارادة. وقدَّمت اسمي الى الرجل فادخلني الى داخل الحاجز الذي بينهُ وبين الناس لكي أتمكن من استيضاح ما يفعلهُ بهذا الهواء فرأيتهُ يضع فيهِ سلك الحديد فيحترق بنور ساطع يبهر العيون ويضع فيهِ سلكين متصلين فيلتحمان معاً ويصبهُ في اناء ويضع الاناء في الماء فيجلد الماء على ظاهرهِ ثم يفرغهُ من الاناء فيقع الماء الجامد عنهُ وقد صار كاساً من الجليد. ويصبهُ في اناء لهُ ثقب ضيق يسدهُ بفلينة ويضعهُ في الماء فيتمدَّد بعضهُ داخل الاناء ويدفع الفلينة بعنف شديد فتصعد من الثقب كأنها رصاص البنادق. ويضع فيهِ طابة من الكاوتشوك فتصلب ويكسرها فتتكسر كالزجاج. واخذ برنيطتي وصبَّ فيها شيئاً منهُ فامتلأَت دخاناً ابيض كثيفاً ووضع قليلاً منهُ في برنيطة رجل آخر والبسهُ اياها فجعل الدخان يصعد من رأسهِ وحاول الرجل مسح السائل عن شعرهِ فجعل شعرهُ يتكسر كانهُ ابر الزجاج فتركهُ حتى طار الهواء السائل عنهُ فعاد الى حالهِ. وكان المراد اجراء مركبات الاتوموبيل بهذا الهواء السائل وامتحان ذلك في مدينة باريس بعد ايام لكنني اظن نفقاتهِ كثيرة تزيد على نفقات غيرهِ من المحرّكات

ولم يعرض من البلدان الشرقية في هذا الباب غير المالك الصغيرة التي انفصلت عن السلطنة العثمانية وبلاد يابان وقد اجادت كلها في عرض خمورها ومربياتها وحلوياتها ومكبوساتها ونالت الجوائز عليها. ولم تُترَك مصر وسورية من غير ممثل في هذا الباب فعرض الخواجه سليم بولاد مجموعة بديعة من خمور لبنان شهد المحكمون انها من افخر الخمور المعروضة في المعرض واعطوهُ النشان الذهبي. وكنت اتمنى ان نناظر غيرنا في غير الخمور ايضاً ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ

الباب الثامن — في المعادن والتعدين وقد وفاهُ اخي الدكتور نمر حقهُ من الوصف في رسالتهِ التي نشرت في المقطم فرأيت ان اثبتها برمتها هنا ثم اضيف اليها وصف ما منعهُ ضيق الوقت من رؤيتهِ او من وصفهِ قال: "لما دخلت قصر المعادن والتعدين في معرض باريس هذا الصيف ورأيت معجزات الافرنج في استخراج جواهر الارض وفلزاتها من معادنها وفي صهرها واذابتها وسبكها وافراغها ودقها وتقسيتها وإلانتها وسائر اساليب صناعتها قلت ان اصلب المعادن

اضحى بيد هؤلاء الاوربيين ألين واطوع من العجين . فانهم يسحبون الحديد الذكر دقيقًا كالشعر ويفتلونهُ كالحبال ويجدلون القضبان الغليظة من الفولاذ الصلب و يضفرونها كقضبان الشجر او يعقدونها اناشيد كما يعقد الخيط او الشريط ويلوون خطوط السكك الحديدية ويعصدونها كما تلوي "عصيدة" الدبس يد الحلوانية . ويفرغون الحديد صفائح عظيمة ثخينة تزن من القناطير الوفًا كثيرة و يطبعونهُ او يطبعون الفولاذ منهُ لوالب ومسامير لا تكاد ترى بالعين لصغرها ودقتها ولا يزن الكثير منها درهمًا . و يطرقون سبائك الذهب ورقًا حتى ينفذهُ شعاع الشمس لرقتهِ وتطير نسيمات السحر بهِ لخفتهِ

وأعترف للقارىء الكريم اني قصدت قصر المعادن والتعدين وانا اقدم رجلاً وأؤخر اخرى فاني كنت اعلم قبل دخولهِ ان الباب الحادي عشر معروض فيهِ وان فصولهُ ثلثة (٦٣ الى ٦٥) وهي حفر المعادن والمقالع وتعدينها اي اخراج فلزاتها وجواهرها وقلع صخورها . وصناعة تلك الجواهر (المعروفة عادة بالمعادن) الكبرى . وصناعتها الصغرى ويتضح الفرق بينهما مما يلي . فكنت كما فكرت في فصول هذا الباب اتصور الظلام والتراب والاتون والفحم والنار والكور والكير والدخان ونحو ذلك من وحشة المناجم العميقة المظلمة وسواد اماكن الفحامين ودكاكين الحدادين واقابلها بما كنت أراهُ من آيات الحسن والجمال والكمال في معارض الفصول الاخرى فأحجم عن زيارتها مع علمي بعظم فائدتها وأؤخر رؤيتها حتى افرغ من رؤية غيرها . ولم يدر في خلدي اني اجد فيها ما يسرُّ الخاطر او يقرُّ الناظر غير الاجراس المعلقة تحت قبة على قصرها وعددها ٣٢ جرسًا اصغرها يزن ٤ كيلوغرامات وقطر دائرهِ ١٩ سنتمترًا واكبرها يزن ٨٤٠ كيلوغرامًا وقطر دائرهِ مترو١٢ سنتمترًا . وهذه الاجراس تقرع كل هنيهة من الزمان قرعًا موقعًا على لحن من الالحان فتشنف باصواتها الآذان

ولكني لما دخلت قصر المعادن والتعدين من البوابة العظيمة التي تلي برج ايفل في "شان دومارس" واجلت طرفي فيهِ طولاً وعرضًا مسافة ٩٦ مترًا في ٧٦ لم اكد اصدّق ما تراهُ عيناي في طبقتهِ السفلى من الدور والغرف والحجلات والمقاصير والصوامع والقباب والبوابات والارتاج والابواب والصفاح والعُمُد والسمك والدعائم والاقواس والقناطر وكلها من من الحديد والفولاذ والنحاس مزينة ومزخرفة بما يعجز القلم عن وصفهِ من المصنوعات المعدنية . فان الفرنسويين اقاموا بوابة عظيمة من القطع الحديدية في مدخل القصر وزينوها بالمراجل (الازانات) والصفائح الفولاذية . دخلت تحتها فاذا انا بمرأى من اعمدة عالية قائمة بعضها وراء بعض صدق من شبهها بغيضة كل جذوع اشجارها معادن لامعة . فصرت كيف اتجهت

فيها اجد امامي ابوابًا وارتاجًا من الحديد او الفولاذ او النحاس او غيرهِ من المعادن قائمة على اعمدة واركان واساطين وانابيب غليظة ودقيقة فاقف امامها مذهولاً محتارًا لا ادري ايهما اشدُّ تأثيرًا في نفسي اجمال مناظرها ام قدرة صانعيها البادية دلائلها عليها

قلت ان فصول هذا الباب ثلثة اولها ما تعلق بتخطيط المعادن ومسحها وحفرها واستخراج جواهرها وبحفر المقالع وقلع حجارتها . وذلك يشمل كل ما عُرِض من انواع الحجارة والرخام والفحم الحجري والمعادن بانواعها والتراب بانواعهِ والرمل وسائر المواد التي تلزم للصناعة في كل زمان ومكان . وكذلك الادوات والآلات التي تحفر بها الارض وتستخرج تلك المواد بها منها كالآت السبر والثقب والقطع والقلع والدق والسحق والتفريق والجمع. ولما كان تعدين معادن فرنسا ومقالعها يكسبها اكثر من ٢٨ مليون جنيه في السنة عني الفرنسويون بعرض فصول هذا الباب عناية تحمد . ولم يقتصروا على عرضها في القصر المذكور بل ان بعضهم فتح شبه منجم قرب التروكاديرو وركب فيهِ العدد والآلات حتى يرى الناظرون كيف تستخرج بها المعادن . وحفر آخرون شبه مناجم للفحم الحجري والحديد والذهب والملح تحت التروكاديرو ايضًا فيرى النازل اليها كيف تكون طبقات هذه الجواهر وصخورها وكيف يستخرجها المعدنون من مناجمها . وقد منعني ضيق وقتي من رؤية هذه المناجم فاترك وصفها لمن رآها . على اني رأيت في قصر المعادن والتعدين امثلة لمناجم الفحم الحجري وسائر ما يستعمل فيها لاستخراج الفحم منها وقيل لي ان رؤيتها تغني عن رؤية ما سواها

وقد تفنن اصحاب المقالع في عرض حجارتهم فقطعوها على اشكال شتى وصقلوا ما يصقل منها وتركوا غيرهُ بلا صقل وصفُّوها او بنوها على اشكال غاية في الجمال في اماكن متعددة ليراها الناس ويعرفوا قيمتها وقد رأيت من جملة المعروض منها احجارًا كبيرة يزن الحجر منها من ٢٠ الى ٣٠ الف كيلو قطعها اهل نروج من مقالعهم وارسلوها الى المعرض ترويجًا لبضاعتهم وقد قطع اصحاب معادن الملح (الجبلي) القطع الهائلة الكبرى منهُ وعرضوها في هذا المعرض . وعرضت النمسا معبدًا او مذبحًا مصنوعًا كلهُ من الملح بهيانيهِ ومصليهِ وهو على مثال معبد شهير فيها مصنوع من الملح وقد وصف في مقتطف هذه السنة بقلم الاديب الخواجه نجيب معروف . ومن معروضات هذا الفصل ايضًا ادوات حفر الآبار الارتوازية وآلات تهوية المعادن ومصابيح الامانة التي يستنير بها المعدّنون وآلات استخراج زيت البترول والغاز والاسفلت والقار والكهرباء وزيوت البترول ومن جملتها زيت غير مكرّر تمزجهُ شركة اميركية (تسمى جالينا أويل كمباني) باكسيد الزئبق وتبيعهُ لتزييت الآلات وعدد السكك الحديدية فاقبلت عليهِ السكك الحديدية

الاميركية اقبالاً عظيماً لمارأتهُ من مزاياه. وقد عرضت هذه الشركة زيتها في جنان فنسان قرب مركبات النقل التي صنعها الاميركيون لمصلحة السكة الحديد المصرية وعرضوها هناك وولت ادارة معرضها حضرة الاديب لويس افندي بدوز فجعلت شركات السكك الحديدية الفرنسوية تبتاع زيتها لعددها وقطاراتها ولذلك رأيت ان انبه مصلحة السكك الحديدية المصرية وسائر شركات السكك الحديدية في القطر المصري الى هذا الزيت لعلها تجد فيهِ منفعة لها

ومن معروضات هذا الفصل ايضاً اللغوم والديناميت لنسف الصخور وقد عرضت في محل واسع يسير الانسان فيهِ وعيناهُ تنظران الى الديناميت وقدماهُ تسرعان للخروج فراراً من شروِ. وقد ابدع معدنو الفحم في ما عرضوهُ اشارة الى الديناميت ونسفهِ فانهم بنوا حائطاً من اقراص الفحم وقطع من حجارة الحديد وصنعوا تمثال معدّن يوقد الفتيل وتمثال امرأة خارجة من بين قطع الفحم والحديد اشارة الى انفجار الديناميت . وعرضوا وراء هذا الحائط ما عندهم من الحجارة والفلزات ومن جملتها حجر ذهب قيمتهُ نحو ١٥٠٠ جنيه وحجر شمس (او بال) قيمتهُ نحو الف جنيه . واقاموا بجانب ذلك رتاجاً مصنوعاً كلهُ من ادوات وقطع صغيرة صقيلة من الفولاذ تعد بالالوف ومن مسامير صغيرة كثيرة مصفوفة ومجموعة على شكل التروس فيقف امامها كل مارّ بها لرؤية محاسنها

والفصل الثاني من فصول هذا الباب يختص بصناعة المعادن الكبرى فيشمل كل المصنوعات الفخمة الكبيرة من معروضاتها كالاعمدة والاساطين والقباب والارتاج والابواب الهائلة التي اشرت اليها آنفاً والآلات والادوات التي تصنع بها كالاتاتين التي تصهر المعادن فيها والمنافخ والاكيار وادوات صنع الفولاذ والآلات التي يشكّل بها الحديد صبًّا ودقًّا وسحباً بجميع اشكالهِ كالإطارات والقضبان وصفائح البوارج وصفائح البناء والحديد المجعّد والمحاور والدواليب وحدائد البنادق والمدافع والقنابل والانابيب على اختلاف اشكالها الى غير ذلك من مصنوعات الحديد. وقس على آلات صناعة الحديد آلات صناعة النحاس وغيرهما من المعادن. وقد بلغت المصنوعات الفخمة من المعادن غاية في الفخامة فالمجر عرضت مقدَّم سفينة كلهُ قطعة واحدة من الحديد افرغ في قالب واحد دفعة واحدة وعرضت قالبهُ بجانبهِ . وعرضت ايطاليا قطعاً عظيمة من صفائح الحديد التي تدرّع بها البوارج طول بعضها ١٤ متراً وعلوهُ متران و ٨ سنتمترات وثخانتهُ ٣٢/٢ سنتمتر وقد افرغت كل قطعة منها دفعة واحدة وعرضت صفائح من الحديد جربت عليها قنابل المدافع فعلم مقدار مقاومتها لها من اثر غرزها فيها . على ان افخم واعظم ما عرض من هذا القبيل عرض مع مدافع شنيدر في المحل الخاص بمعروضات كروزو وسيذكر في بابهِ. وعرض

الفرنسويون صفائح من الفولاذ للابواب طولها ٩٦ مترًا وقد افرغت دفعة واحدة . وخطوطًا حديدية طولها ٥٢ مترًا قطعة واحدة وخطوطًا اخرى ملوية ومفتولة طولها ٢٠ مترًا قطعة واحدة . وقس على ذلك الاساطين العظيمة والانابيب الواسعة الطويلة. وعرض صناع البلجيك دولاب فراش قطرهُ سبعة امتار وقد صُبَّ كلهُ صبة واحدة . وعرض الروس والفرنسويون مرامي السفن الضخمة ودواليبها العظيمة الى غير ذلك مما يطول ذكرهُ و يتعذر وصفهُ

واما فصل صناعة المعادن الصغرى فيشمل معروضات ستين صناعة ونيف كالدبابيس والابر والمسامير وارياش الكتابة المعدنية والازرار على انواعها وسواعد العربات واللوالب باشكالها والملاعق والآلات القاطعة بجميع انواعها ونعال الدواب والبقر . وقد رأيت محلاً اميركيًّا يعرض نعالاً للخيل من الكاوتشوك ويقول انها اصلح من نعال الحديد كثيرًا وأحفظ للحوافر منها وربما ارسل منها الى القطر المصري اعتمادًا على مزاياها . وشريط الحديد الشائك الذي يتخذ سياجًا وجميع انواع الشريط وشباك الحديد والسلاسل والزناجير (الكتائك) التي تصنع الآن صنعًا ميكانيكيًّا محضًا بلا لحام . وكل الامتعة والآنية التي تصنع من المعادن وتستعمل في المنازل والجنائن وغيرها وخزائن الحديد التي يحفظ فيها المال وغرف الحديد التي توضع خزائن المال فيها فتقيها من الحريق ويكون لها اقفال سرية لا يعلمها غير اصحابها وهي من احدث المخترعات . وابواب الحديد التي تتسع وتضيق حسب مراد صاحبها الى غير ذلك مما لا يأخذهُ عدٌّ ولا يحيط بهِ احصاء ويصنع كثير منهُ امام الناظرين

وماذا اقول عن معروضات البلدان الاجنبية والرتاج البديع الذي عرضتهُ الولايات المتحدة من البرونز وجعلت اعمدتهُ من الرخام والبرفير وعتبتهُ من حبال الحديد ومصراعيهِ من صفائح الحديد وزينتهُ من اعلاهُ بأكر النحاس الخالص وعرضت وراءهُ معادنها . او القصر الذي صنعتهُ روسيا من الحديد وعرضت فيهِ معروضاتها الجميلة . ومعرض البلجيك العظيم والكور الذي عرضتهُ المجر وجعلت دخانهُ شرائط مشتبكة وملتفة من الحديد والقصدير والفولاذ والنحاس"

وقد دخلتُ المنجم الذي لم يدخلهُ الدكتور نمر فنزلت اليهِ بغرفة تنزل وتصعد وسيرها بطيء ولكنَّ من فيها يظن انها سائرة بهِ بسرعة فائقة وانهُ قطع مئات من الامتار وهو لم يقطع الاَّ امتارًا قليلة وذلك بحيلة انتبه لها ابني قبلي وهي انهم جعلوا احد جوانب هذه الغرفة زجاجًا ووضعوا على جانب البئر التي امامها درجًا طويلاً صوَّروا عليهِ طبقات الارض حتى اذا اخذت الغرفة تنزل اخذ الدرج يصعد فتضاف سرعتها الى سرعتهِ فاذا كانت سرعتها مترين في الثانية وسرعتهُ خمسة امتار ظنَّ من فيها انهُ نزل بسرعة سبعة امتار لكي يحسب المنجم عميقًا

كما تكون المناجم عادة وهي حيلة لطيفة ولو خدعت الرائي . وطفنا في المنجم فرأينا اماكن اقتلاع الفحم الحجري والحديد والملح كما تكون في مناجمها عادة وتماثيل المعدّنين وادواتهم ووسائل الحفر والنسف والنقل والنزح والانارة والتهوية وكلها من احدث ما استنبطوهُ واكثرهِ اتقانًا . وقد قصدوا بذلك كلهِ محاكاة الطبيعة حتى كأنَّ من يشاهد هذا المنجم الصناعي قد شاهد المناجم الحقيقية والمعدّنين يعملون فيها . واسرعتُ من هناك الى حيث مُثّلت مناجم الذهب في الترنسفال وكليفورنيا باميركا . وقد ابدع ممثلو مناجم كليفورنيا فصنعوا لها امثلة صغيرة من المعدّنين والمركبات والطلمبات والروافع والخوافض وجدارًا يمثل منجمًا كبيرًا قطع من اعلاهُ الى اسفلهِ لكي يظهر باطنهُ كلهُ ورسموا فيهِ مطحنة تطحن حجارة الصوان التي يشوبها الذهب ونقّالة تنقل المركبات التي فيها حجارة المعدن من جهة الى اخرى حتى تصل الى المطحنة . والمخازن التي يخزن فيها البارود ونحوهُ والطلمبات التي ينزح بها الماء من اسافل المناجم . والبيوت التي يأكل فيها المعدّنون والعروق التي يكون الذهب منتشرًا فيها وقد وقف المعدنون امامها او تحتها يقتلعون الحجارة الذهبية منها بمعاولهم او ينقبون الارض بالمثاقب لاكتشاف عروق جديدة او لنسف الصخور . وكل ما في هذا المثال من الرجال والآلات والادوات يتحرك بقوة الكهربائية كأنهُ في منجم حقيقي فيرى المرء بنظرة واحدة ما لا يراهُ في المنجم الحقيقي الاَّ اذا قضى فيهِ ساعات كثيرة . والمُثُل صغيرة جدًّا كما تقدَّم ولكن اذا امعن المرء نظرهُ في حركاتها ذهب عنهُ تقدير حجمها فحسب انها كبيرة وانهُ يراها عن بُعد فتظهر كذلك لشدَّة انطباقها على الحقيقة . وخرجت من هذا المنجم وانا اودُّ ان ادخل منجمًا مثلهُ في القطر المصري حيث مناجم الذهب القديمة التي كان المصريون الاقدمون والبطالسة من بعدهم يستخرجون منها ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات في السنة كما اوضحهُ الاستاذ سايس حديثًا

وممَّا التفتُّ اليهِ بنوع خاص من معروضات فرنسا في هذا الباب الحجارة الكريمة لارى اختلاف اشكالها والوانها وانطباقها على ما كتبتهُ عنها في فصول متوالية موضوعها الجواهر واقوال العرب فيها فرأيت الماس على ما يعلم من شكلهِ ولونهِ وتألقهِ والياقوت الاحمر والصفير او الياقوت الاسمانجوني وهو ازرق سماوي ولازوردي ونيلي وكحلي وسلقي . والبلخش (السبينال) وهو احمر مغلوق الى الاسود . والزمرُّد ومنهُ ذبابي مغلوق اللون وريحاني مفتوحهُ وسلقي وصابوني . والياقوت الاصفر (توباز) وهو ذهبي اللون او بنفسجيهُ . والبجادي وهو احمر كالياقوت . والزيرقون وهو اخضر واصفر واحمر . والترمالين وهو اخضر ووردي واصفر مغلوق . والفيناكيت وهو ابيض شفاف متألق كالماس . وعين الهر وهو مصفر ومخضر مخطط . والبلور وهو كالماس

لوناً وبريقاً . والكوارتس الروباسي وهو كالثلج الملون بالوان بديعة مبلور من الداخل وردي اللون واحمر وابيض واخضر ورمادي وبنفسجي واصفر . وحجر القمر وهو كالاوبال . وحجر لابرادور وهو كعرق اللؤلؤ الضارب الى الزرقة والخضرة . وعين الهر وهو ضارب الى الصفرة وفيهِ بقعة مستديرة تمتد منها اشعة تحيط بها . والخلكدوني وهو اصفر كهرماني واخضر فيروزي واحمر ورمادي ومعرّق . والعقيق وهو احمر مغلوق ومفتوح الى الاصفر ووردي وابيض. والجزع او السليماني وهو احمر واخضر مغلوق . والسردونكس وهو طبقة بيضاء تحتها طبقة محمرّة او مزرقة. واليشم وهو اخضر مغلوق او فيهِ شامات حمراء الى غير ذلك مما تعذرت عليَّ رؤيتهُ

وبالغت فرنسا في ما عرضتهُ من انابيب النحاس والصلب وانابيب المدافع فطول بعض انابيب النحاس عشرة امتار وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢١٠٠ كيلو متر وطول انبوب آخر ١٠ امتار و ٥ مليمترات وقطرهُ ٧٠ سنتيمترًا وثقلهُ ٢٢٥٠ كيلوغراماً . وهناك حجر واحد من الحديد المعدني ثقلهُ ٤٥٠٠ كيلوغرام. وكثير من المصنوعات القديمة كالاقفال والمناشير والبياكير والابواب الحديدية ومنها قفل من القرن الخامس عشر ومزلاج من القرن الثاني عشر. وصناديق واجراس قديمة جدًّا. وكل ما يصنع من المعادن بالسبك والتطريق كالكؤوس والملاعق والقدور وما اشبه . وقطعة من مدفع صلب (فولاذ) سمك حديدها ٣٠ سنتمترًا ونصف سنتيمتر وثقلها ٢٥ طنًّا وثقل الانبوب الذي قطعت ٦٦ طنًّا ولوح حديد سمكهُ نحو ٤٠ سنتيمترًا وقد دخلت فيهِ قنبلة وغارت نحو ٣٠ سنتمترًا

واشتركت الدول المختلفة في معروضات هذا الباب كما تقدَّم . ومما استوقف نظري بنوع خاص معروضات الولايات المتحدة الاميركية واليابان ونروج . اما الولايات المتحدة فعرضت رسم استخراج الذهب في كليفورنيا وقد اشرت اليهِ سابقاً وما لا يقدر من الحجارة المعدنية وزبر الحديد والنحاس وغيرهما من المعادن ومن ذلك لوح من الصلب قطرهُ ثلاثة امتار و١٢ سنتمترًا وسمكهُ سنتمتر ومتانتهُ تفوق الوصف فانهُ يحتمل من الضغط ما يساوي ٦٢٢٦٠ رطلاً على كل عقدة مربعة. والحجارة الكريمة من محل تفني الجوهري وبينها كثير من حجارة الياقوت من وادي كوي بولاية كرولينا الشمالية . وكثير من الخشب الذي تحجَّر وصار جزعاً اي انحلت دقائقهُ الخشبية رويدًا رويدًا وحلَّت محلها دقائق من السلكا وتلوَّنت بالاكاسيد المعدنية وهي مثل الاشجار المتحجرة شرقي القاهرة لكن الاميركيين اعتنوا بقطها صفائح رقيقة مستديرة وجلوها حتى صارت صقيلة كالزجاج يبيعون القطعة منها بمئة ريال او اكثر

ومما يستوقف النظر ايضاً شذور الذهب الكبيرة التي وجدت في تلك البلاد فان بعضها

كبير صقيل كالجوز او أكبر وبعضها مخرب كالاسفنج ومن ذلك شذرة فيها من الذهب ما يساوي ٣٧٢٠ ريالاً . والشذور الصغيرة كثيرة جداً وهناك صندوق مملوء بوريقات التبر . وحجارة معادن الذهب كثيرة الانواع والاشكال يظهر الذهب في بعضها ولا يظهر منهُ شيء في البعض الآخر . ومن الذهب اشكال متبلورة كسعوف النخل المتوالية او كالحبوب المنظومة

ولا يسعني المقام لوصف معروضات الفضة والحديد والفحم الحجري وزيت البترول ونحو ذلك مما يكثر استخراجهُ من الولايات المتحدة الاميركية وغيرها من البلدان . ولا لوصف الخرائط التي رسمت لمناجمها فانها كثيرة جدا بين معروضات الدول ومستعمراتها كأنَّ شركات استخراج المعادن ترمي مما تجشمتهُ من النفقات في ما عرضتهُ الى غرض تجاري غير الافادة وغير المباهاة وهو ترغيب الناس في ابتياع اسهمها ليغلو ثمنها فيعود ذلك عليها بالربح. وجارت اليابانُ الممالك الاوربية الكبرى في ما عرضتهُ من معادنها ومصنوعاتها المعدنية فعرضت مجموعة كبيرة شاملة كل ما عُرف حتى الآن من معادنها وهي كثيرة تشمل الذهب والفضة والبلاتين والحديد والنحاس والكبريت والمنغنيس والرصاص والانتيمون والزيبق والحجارة الكريمة على انواعها وقد نالت هذه المجموعة الجائزة الكبرى . وعرضت كثيراً من الخرائط الجيولوجية والمعدنية اظهاراً لكثرة الفلزات في ارضها وتنوُّع بلاطها ومرمرها واخذت نشان الذهب على ما عرضتهُ من الكبريت وعلى ما عرضتهُ من الفحم الحجري وهو ممثل القوة الصناعية كما لا يخفى فاذا وُفقت بلاد الى كثرتهِ فيها وعرفت كيف تستخرجهُ وتستعملهُ كُفِل لها النجاح والارتقاء

ومن البلدان الاوربية الصغيرة التي ابدعت في ما عرضتهُ في هذا الباب بلاد نروج فانها عرضت انواع رخامها ومرمرها ومنها نوع اسود كالسبج فيهِ قطع صغيرة تتألق بالوان مختلفة كعنق الحمام وقد عرضت منهُ عمودين كبيرين وصفائح كثيرة منهُ ومن غيرهِ وعرضت ايضاً انواع معادنها ومنها سبائك كبيرة من الفضة طول السبيكة منها نصف متر وعرضها نحو ١٥ سنتمترًا وشذور الفضة الطبيعية وهي كاسلاك الدمقس المفتّل

اما الآلات التي تصنع بها الادوات المعدنية الصغيرة كالملاعق والاقلام والحلى والازرار فحدّث عن سرعتها واتقانها ولا حرج لكنها لا تغني عن العمال ولا عمل هذه المصنوعات خالٍ من كل مشقة فقد رأيت زر النحاس الذي يباع بغرش او اقل يمرُّ على عمال كثيرين وآلات مختلفة قبلما يتمُّ عملهُ ويهذَّب ويذهَّب ويصقل . ولولا كثرة المصنوعات ورواج التجارة ما استطاع الاوربيون ان يرخصوا بضائعهم الى هذا الحد فاذا اردنا مجاراتهم في الصناعة وجب ان نقتصر على ما يكثر رواجهُ في بلادنا او نفتح اسواقاً لمصنوعاتنا حتى نناظر بها البلدان الصناعية

وصف مصر

للعالم العامل صاحب السماحة السيد توفيق البكري نظمها وهو في الاستانة العلية

أديارَ ميّ تنظرُ … فدموعُ عينكَ تمطرُ
أم أبرقُ العلمين أم … سفحَ اللوى تتذكرُ
أم تامَ قلبكَ جؤذرُ … أحوى المدامعِ أحورُ
أم هبَّ من مصر صباً … ام طارَ برقٌ أشقرُ
أم قد ذكرت بطاحها … وهي البساطُ الاخضرُ
والنيلُ في لباتها … عقدٌ يلوحُ مجوهرُ
والجوُّ صحوٌ مشرقٌ … وكأنما هو ممطرُ
والظلُّ من خلل الشمو … س مدرهمٌ ومدنّرُ
فكأنهُ جلدٌ من النـ … ـمر المرقشِ ينشرُ
وغصونها لُدنٌ تميـ … ـدُ بما تقلُّ وتثمرُ
فكأنهنَّ ولائدٌ … في حليها تتبخترُ
هي نسجُ وشيٍ نيلها … فيهِ الطرازُ الاحمرُ
هي مثلُ لوحٍ صوّرَ الـ … ـفردوسَ فيهِ مصوّرُ
يا جنةً يجنى الجنى … فيها ويجري الكوثرُ
أنا شاعرٌ في وصفها … لكنها هيَ أشعرُ
جسمي هنا والقلبُ في … مصرٍ يغيبُ ويحضرُ
يا سائرَ الفلكِ المسخـ … ـرِ في خضارة يمخر(١)
إقرَ التحية جيرةً … حيث الكثيبُ الاعفرُ
فالنيلُ فالهرمانِ من … غربيهِ فالازهرُ
فالروضة الغناء والـ … ـمقياسُ فيها يشبرُ

فالقصرُ قصرُ الملكِ والـ … ـأوهامُ عنهُ تقصرُ
فيهِ المقاصيرُ التي … الواجهنَّ المرمرُ
حيطانُها الذهبُ الصقيـ … ـلُ وارضهنَّ العنبرُ
قد صوّرَ التاريخَ في … ارجائهنَّ مصوّرُ
فترى الوقائعَ منظراً … وكأنما هي مخبرُ
والجندُ تخطر في الحديـ … ـدِ فدارعون وحسّر(٢)
والخيلُ بين عجاجها … تخفى وحيناً تظهرُ
وتظنُّ احياءً بهِ … فتمسُّ كيما تخبرُ
قد حلَّهُ العباسُ ينـ … ـهى في الانامِ ويأمرُ
فكأنهُ عرّيسةٌ(٣) … وبهِ المليكُ غضنفرُ
ملكٌ بضوءِ جبينهِ … تسقى البلادُ وتمطرُ
السيدُ المحضُ العلي … والجوهرُ المتخيرُ
العدلُ مما ينشرُ … والمجدُ مما يذخرُ
خلقٌ حوى كل الفضا … ئلِ فهيَ عنهُ تؤثرُ
جودٌ وبأسٌ في الورى … بهما يخصُّ ويشهرُ
مثلُ الصواعقِ والحيا … في مزنةٍ تتحدّرُ
ثمَّ الجزيرةُ تستبيـ … ـكَ بها اوانسُ(٤) تفّرُ
عجلاتها فلكٌ بأشـ … ـباهِ النجومِ يدوّرُ
من كل خركاةٍ بحسـ(٥) … ـناءٍ تضيءُ وتقمرُ
فكأنها المشكاةُ والـ … ـمصباحُ فيها يزهرُ

(١) خضارة علم البحر . ومخرت السفينة اي جرت تشق الماء (٢) دارعون اي عليهم الدروع . وحسر اي لا مغافر لهم ولا دروع (٣) العرّيسة بيت الاسد (٤) الآنسة الطيبة النفس والجمع اوانس (٥) الخركاة مركبة للنساء في المواكب وقد استعملت في الكتب القديمة قال المقريزي ان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما اراد التزوج بواحدة من ذرية جنكيزخان وخطبت له طولباي فلما وصلت من بلاد التتار الى مصر حملت في خركاة من الذهب على عجل وجرها المماليك الى دار السلطنة

فالجيزة الخضراء يع　　بق رَنْدُها والعبهر[٦]
فيها النعامة والحبا　　رى والمها والقسور
كسفين نوح أخرجت　　ما كان فيها يفخر[٧]
فيها الغصون على الارا　　ئك تلتوي فتشجر
وجداول كسبائك　　بسنى الاصيل تعصفر
ماء كبلور يذو　　ب وأدمع تتقطر
يروى القطا الكدري منه ويحتميه الجؤذر
في حافتيه الورد والنـ　　ـسرين والنيلوفر
وعليه من نسج الصبا　　درع هناك ومغفر
فالقصر وهو لمن مضى　　من أهل مصر مقبر
نشرت به امواتهم　　فكأنما هو محشر
رمسيس أين مطارف الـ　　ـديباج أين الجوهر
أين السرير وأين تا　　ج الملك أين العسكر
نم في رقادٍ ليس في　　أحلامه ما يذعر
فالموت نوم اكبر　　والنوم موت أصغر
دنيا تشابه ملعباً　　والليل ستر يستر
والفصل يضحك والثر　　ى الشمس فيه تنوّر
جند هناك وسوقة　　ومتوّج ومسخر
فاذا طرحت ثيابهم　　ساوى الأعز الأحقر
فالأزهر الزاهي يدوّ　　ي بالعلوم ويجأر
كدويّ نحل وهو يجـ　　ـمع شهده أو يذخر
فالازبكية حيث تُط　　وى بالعشي وتنشر
وتبيت تسجع في الدجى　　ورقاؤها والمزهر
والبركة النجلاء في　　فضفاضها تتحرمر
ماء كعين الديك ينـ　　ـظم بالنجوم وينثر
وترى ضياء البدر في　　ه كمثل عين تفجر
واذا تلوح الشمس في　　لالائه أو تسفر
ألفيته المرآة والـ　　ـحسناء فيها تنظر
فالقلعة العلياء تجـ　　ـلى للعيان وتبصر
بمآذن كالحق لا　　جنف ولا متأطر[٨]
قطر تمصّر بالورى　　والارض برّ أقفر
وطن الغريب وداره　　وقبيله والمعشر
ملك محيط الارض يصـ　　ـغر عن مداه ويكبر
في كل صرحٍ مخبر　　وبكل سفحٍ منظر
ولكل لبنة غرفةٍ　　فيه حديث يذكر
فرعون والأنهار تجـ　　ـري واللوا والمنبر
ذهبوا فامسوا مثل رؤ　　يا في المنام يعبر
هرمان فيه كشاهديـ　　ـن شهادة لا تنكر
وهيا كل دثرت وذكـ　　ـر حديثها لا يدثر
والمجد مثل الخمر يكـ　　ـرم ما توالى الاعصر
كانت سلاطين الورى　　فيه تشيد وتعمر
والغرب من اعماله　　والقبلتان وتدمر
والخيل خيل الله تر　　كب والملائف تنصر
وفرنجة ومليكها　　تغزى بمصر وتؤسر
هذي مناقب مصر تر　　وى في الانام وتسطر
ولسوف يرجع ما مضى　　ويعود ذاك المفخر
وكذا الزمان يدور والـ　　ـقدر المغيب تحور
والبدر إن وافى السرا　　ر فبعد ذلك يبدر[٩]
والعود ييبس برهة　　فاذاه عود أخضر
عباس أنت لها وأنـ　　ـت لنا العميد الاكبر

(٦) الرند والعبهر نبتان طيبا الرائحة (٧) سفين نوح حمل فيها من كل حيوان زوجين (٨) يريد كالحق في الاستقامة . والجنف الميل . والتأطر الانثناء (٩) السرار آخر الشهر . و يبدر اي يطلع بدرا

الغيريَّة

بقلم جناب فارس افندي الخوري

نعني بالغيرية كلَّ عملٍ من طبعهِ جرُّ المنافع او درءُ المفاسد عن الغير . وهنا يتوجه منا السؤال فيما اذا كانت الغيرية مطلباً من مطالب العمران او مقوّماً من مقومات الاجتماع وهل الانسان مطالَب بنفع غيرهِ او هو قوَّام على نفسهِ فقط لا يأتي عملاً الاَّ اذا كانت مغبَّتهُ لنفع ذاتهِ وثبات قدمهِ في حيّز التنازع . وفي الجواب عن ذلك نقول :

لو اعتبرنا اعمال الاحياء الظاهرة بقطع النظر عن المقاصد والمحرّكات الكامنة وراء تلك الاعمال والباعثة اليها نجد ان الغيرية تلعب دوراً جليلاً في تمثيل رواية الوجود الحيّ وذلك الدور يبتدئ منذ انبلاج شفق الحياة وهي تقوم بالانانية كما ان الانانية لا تقوم الاَّ بها

بما ان كل حيٍّ من جميع الصفوف يهتمُّ بحفظ حياتهِ في الدرجة الاولى وبحفظ نوعهِ في الدرجة الثانية وبما ان السُّنة التي تجري الاحياء عليها لبلوغ هذه الأُمنية هي واحدة لجميعها يستحسن الآن ان لا نقيّد بحثنا في الانسان فقط بل نطلقهُ على الحيوانات لنتناول الادلة والامثلة من جميعها على اختلاف طبقاتها وتباين رتبها . وهذه خطة جرى عليها علماء الطبيعة في هذا القرن ان يرجعوا الى البسائط عند بحثهم عن المركبات سواءٌ كان البحث في المادّة والاعضاء او في الحركات والافعال خصوصاً عند تحقيقهم مبادىء الانسان وطباعهُ ذهاباً الى ان قواهُ منسلخة عن قوى الحيوان ومنتزعة منها وان جميع الطباع والاخلاق التي فيهِ موجودة في الحيوانات السافلة بكميّات تنقص مع هبوط درجة الحيوان في سلم الارتقاء الى ان تصير في ادنى درجاتهِ قليلة صغيرة بحيث يكاد لا يشعر بها . وقوى الانسان تختلف عن قوى الحيوان بالكمية وليس بالكيفية وهذه القوى تكون في درجاتها الاولى بسيطة طبيعية لم يعتورها تغيير ولا تكييف ومنها يتطرقون الى ما تشعَّب تركيبهُ وتفرَّعت اعضاؤهُ وكل ذلك وسيلة الى بلوغ الحقيقة التي هي محجتهم المقصودة وضالتهم المنشودة

الحيوان بطبعهِ ميَّال الى الخلود طامع بان تبقى لهُ حياتهُ ما دامت الارض والسماء. وكل حاجة للغذاء او تأثر طبيعيٍّ بحرٍّ او برد او اقتحام من حيوان آخر او أيّ فاعلٍ يعمل على اضعاف قوتهِ وايقاف حركة الحياة فيهِ مكروهٌ عندهُ سواءٌ كان الحيوان ذا عقلٍ وارادةٍ او ذا طبيعةٍ وسليقة ولذلك تراهُ يعمل كلَّ ما في وسعهِ ويبذل الجهد المستطاع ليتخلص من الاخطار ويفرَّ من المنية فهو اذن يحاول اول كلّ شيء ان يحافظ على حياتهِ بالتجانف عما يجعل

حبلها قصيرًا والاقدام على ما يمدُّ فيها عمرًا طويلاً . ولا شيء اكفل لتنويل هذه الغاية من الاقتصاد بالقوَّة التي يحرزها الحيوان وصرفها حيث تئوب اليهِ وينتفع بها. وكل عمل يبديهِ لهذه الغاية لتمهيد سبل الحياة امامهُ وتطويل المدَّة التي يعيش فيها هو مندرج ضمن الانانية ويُعدُّ من قبيل ايثار النفس

اذاقلبت حجرًا صغيرًا على ظهر دمنة وكان تحتهُ جماعة من الاجياز او الخنافس تجد تلك الحشرات تضطرب وتنزعج عند رفع الغطاء عنها وتعريضها للفواعل الطبيعية فتذعر وتهيم على وجوهها الى كل الجهات وواحدها يهمُّ مسرعًا لايلوي على شيء الى ان يجد لنفسهِ موطنًا جديدًا وحرزًا امينًا تحت حجرٍ اوفي ثقبٍ من ثقوب الارض فيعتصم فيهِ ليقيهُ ما يمكن ان يقتحمهُ من الشرور والآفات . واذا كان وراءهُ رفقة واشتد عليهِ الخطر لايعود يكترث لامرها بل لا يشغلهُ الاَّ ان ينجو بنفسهِ كما فعل الحرث بن هشام في وقعة بدر فانهُ

ترك الاحبة ان يقاتل عنهمُ ونجا برأس طمرَّةٍ ولجامِ

الاَّ ان هذا الحذر والتوقي لا يغني عن الفرد شيئًا فالكريات الحيوية التي يقوم بها استقلالهُ في قيد الوجود والشعور لها أجلٌ تبلغهُ وحدٌّ تقف عندهُ لا تستطيع بعدهُ الاستمرار في النمو والنشاط فيحل بالفرد الفساد ويقف فيهِ عمل الحياة رغمًا عن فرارهِ من الموت وتجافيهِ عن دعاوي الهلاك كما قال الشاعر

يوشك مَن فرَّ من منيتهِ في بعض فرَّاتهِ يصادفها

اوكما قال الآخر

فمن لم يمت في اليوم لابد انهُ سيعلقهُ حبل المنية في الغدِ

فهو اذن عاجز مهما بذل من الوسائل واستعد من الحبائل عن ان يستأخر اجلهُ الى الابد ومن ثم يعود فيقنع ببقاء نوعهِ وتركهِ في الارض ذريةً من شكلهِ يدوم بها النوع محفوظًا

وكما ان الفرد الحي يبذل من قوتهِ للمحافظة على نفسهِ وابعاد الموت عنها كذلك هو حري ان يبذل من قوتهِ مقدارًا كافيًا لاجل المحافظة على نوعهِ. وهذا الامر واقع ومرعي الاجراء في جميع طبقات الحيوان من ان كل فردٍ يدفع من قوتهِ جزءًا غير قليل لاجل اقامة النسل اولاً في عمل التوليد وثانيًا في تربية الصغار . فان كان التوليد بالانقسام كما هي الحال في الانفيوزوريا وغيرها من فصيلة البروتوزوى يكون الحيوان قد خسر وجودهُ مستقلاً بعدما يتجزأ ويصير منهُ عشرات او مئات من جنسهِ ويموت اكثرها اوكلها بفقدان حاجاتها الى الحياة . واذا كان التوليد بالمزاوجة كما هي الحالة في ما فوق تلك من الفصائل يكون الحيوان قد اعطى جزءًا من

جسده ليتكون منهُ النسل وهذا الجزء هو بعض قوتهِ التي يملكها بحق الاكتساب . وفي فصيلة الحشرات بعد ان تتمّ الحشرة عمل التوليد وتضع بيوضها بمكان آمن تنقضي حياتها وتستأسر الى الفناء كانها لم تعش الاَّ لتقوم بهذا الواجب وتحيي لنفسها ذكرًا يخلد الى الذرية فمتى اتمت عمل التناسل تموت غير مأسوفٍ عليها

ولما كان سير الحركات الحيوية في الفصائل الانفة الذكر طبيعيًّا انفعاليًّا اصبح فيها ما يجيز القول بضعف الاستقراء اذ انهُ لا دليل على ان افعال هاتيك الحيوانات السافلة مقرونة بالعقل والارادة او انهُ يصحبها شيءٌ من القصد بل ان عدم التنويع في معيشتها يسوق الى القول انها مسيَّرةٌ في هذا السنن مضطرَّة الى تتبع تلك الخطة وهي لا تعي معنى ما تفعل فلنعبر عنها الى ما هو اعلى منها تاركين امر الغيرية في التناسل والتوليد اذ لا يُرتاب في ان الحيوان يبذل من جسمهِ قسمًا ولو صغيرًا يكون منهُ جرثومة او جنين لقيام النسل

جميع ذوات الثدي تهتمُّ بشان صغارها وتنقب في الارض باذلةً جزءًا كبيرًا من قوتها في التفتيش عن غذاءٍ تنمو بهِ تلك الصغار . والطيور تحمل الطعام وتقطع بهِ المسافات البعيدة لتزقّ فراخها بهِ ولعلها تكون في حاجةٍ شديدة اليهِ . وكل ذوات الفقرات تظهر عليها علائم الاضطراب وتنبيء حركاتها بشدَّة الانزعاج الذي يأخذها عندما ترى صغارها في حالة الخطر اما في الانسان فالحقيقة اوضح من ان تجلى او تبسط وما يتجشمهُ الآباء والامهات من المشاق لتربية اولادهم والحرص على رفاهم يزيد على نصف اعمال البشر

كل هذه الاعمال التي يقوم بها الحيوان الاعجم بطبعهِ والحيوان الناطق بطبعهِ وعقلهِ معًا حبًّا باقامة النسل وحفظ النوع تقتضيهِ ان يبذل في سبيل غيرهِ من القوة التي كان يذخرها لمنفعة نفسهِ . وكلما زادت مقدرة الحيوان على خدمة نفسهِ تزداد مقدرتهُ على خدمة نسلهِ وتزداد اهليتهُ للتوليد وتربية الصغار وكلما ضعف عن خدمة نفسهِ ضعف عن خدمة ولدهِ ومن ثمّ كانت الانانية والغيرية من هذه الجهة متلازمين لا يفترقان ورفيقين لا يختصمان . وكلُّ حيوان يتطرف في ايثار نفسهِ ويضنُّ بجزء من قوتهِ في التناسل والتربية يجازى بتناقص ولدهِ اولاً وبفناء نوعهِ اخيرًا وبذلك تكون الطبيعة عاملة على التخلص من كل من هو متطرف في الانانية وحبّ الذات كما انها عاملة على التخلص من كل من هو متطرّف في الغيرية وخدمة الجنس كما اثبتنا ذلك في المقالة السابقة

ينتج مما تقدَّم ان الغيرية تصاحب الانانية بين الفرد ونسلهِ وتشتد اواخيها وتتوثق عراها كلما دنت درجة القرابة حرصًا على بقاء النوع الذي يحنُّ اليهِ ويشتاقهُ كل حيوان . والحيوان

الذي لا ينفق عليهِ ابواهُ قوة كافية في تربيتهِ يشبّ ضعيفاً عاجزًا فلا ينفق هو في تربية ولدهِ الاَّ مثل المقدار الذي انفقهُ ابواهُ في تربيتهِ او اقل منهُ . وهذا الحفيد يكون بالولادة اضعف من ابيهِ لان اباهُ اضعف من جدهِ وهكذا يبقى معدل القوة آخذًا بالتناقص الى ان يتلاشى النوع . وبالعكس اذا اورث الفرد ابنهُ قوى شديدة وجهزهُ باعضاء كثيرة تشدّ يدهُ في عمل الحياة فالابن اذ ذاك يورث ولدهُ مثل الذي ورثهُ من ابيهِ او اكثر منهُ وبها ترتقي سعادة المجتمع ويحسن حال الافراد

ان الغيرية تكون اولاً بين افراد العائلة الواحدة ثم تنتشر وتمتد بازدياد العلائق المدنية الى ان تصير بين العشائر ثم بين الفصائل ثم بين الافخاذ ثم بين البطون فبين العمائر فبين القبائل فبين الشعوب وهذا الامتداد لا يتمّ ولا يكون وثيق العرى الاَّ اذا كان العمران مسيَّرًا على قواعد تصلح لانتشار الغيرية وتمالئ عقل الانسان على تفشي الميل الى خدمة الجنس. فان كانت الشرائع الادبية والدينية التي يخضع لها القبيل تمسك افرادهُ بربط الاتحاد والاخاء والحرية والمساواة وكانت مواثيق المزاوجة متينة العقد والحب بين الزوجين شديدًا لم يشبهُ امر الضرار والمنازعات بين العصبيات قليلة ونظام الاعمال يُرصن بالعدل كانت اواخيّ الغيرية والميل لخدمة الجنس على اشدها والعكس بالعكس . وانت ترى اليوم ان الغيرية لا تقتصر على كونها في بيت واحد بين الاب وابنهِ بل تجاوزت هذا الحد وصارت تضمّ كل الذين تجمعهم جامعة واحدة لمصلحة يستجرها احد الطرفين بحسن حال الآخر . كل البلاد المتمدنة تتأثر بسوء في تجارتها عند ما تشب حرب بين امتين . واذا امحلت كورة يخسر كل من لهُ علاقة مع سكانها وهذا يظهر ان المصلحة المدنية عاملة على تعميم الغيرية بين الشعوب كلها

من هذا المقام نتدرج لاظهار المغانم التي يجرها المرء لنفسهِ والمغارم التي يدفعها عنها اذا كان في امة ينفق كلٌّ من افرادها شيئاً من قواهُ في اصلاح غيرهِ واجتذابهِ الى محجة الصواب. ولننظر اولاً في المنافع التي تنعكس على الافراد اذا كان العدل سائدًا في الامة والتعدي والظلم ممنوعين على اعضائها . اذا كان الناس بدل ان يتفرقوا تحت كل كوكب قد اجتمعوا لاجل الحماية ومآرب اخرى يجب ان يكون الربح الذي يجنيهِ كل فردٍ من الاجتماع اكثر من الخسارة التي يتحملها بهِ وغنمهُ بالائتلاف اوفر من غرمهِ بزحامهِ مع مواطنيهِ . وتلك الزيادة من اللذة الشخصية لا تتوفر الاَّ بغيرية تجعل الفرد يعترف بحقوق الغير عليهِ مختارًا او مكرهاً. فان كان مكرهاً على هذا الاعتراف بما يتخوف من العقاب او الانتقام تكون منافع الاجتماع قليلة واذا كان اعترافهُ بها اختياريًا اي اقرب الى الغيرية وعرف كل حقوق غيرهِ فاداها بدون نقاض

تبلغ فوائد الاجتماع مبلغاً جليلاً . وحيث لا وازع يزع القوي عن الضعيف كما هي الحال بين بعض قبائل اوستراليا حيث يتنازل الرجل غيره لاجل احراز المرأة وحيث يتنازل نساء الرجل الواحد بعضهن بعضاً بالشفار والعصي لتستأثر الغالبة به ما دامت متغلبة لا يستطيع الفرد ان يتمتع بلذات حياته لان الحزازات الداخلية والعداوات الاهلية تجعله دائماً حذراً وجلاً على نفسه فيصرف قسماً من قواه بالخوف وقسماً آخر باخذ الاهبة والاستعداد للدفاع اذا دعت الحاجة ناهيك ما يحصل من التشويش في حركة الاعمال عندما يفقد الامن على الدم والمال. وكلما كثر خصوم المرء والطامعون بما عنده ساءت حاله لان اولئك الذين يضمرون له الشر يتربصون به الدوائر و ينتظرون فيه الفرص ليوقعوا به ويأخذوا ما في يده من المال والمتاع وبذلك يلزمونه ان لا يخرج من منزله الا شاكي السلاح خفوق القلب

ولا يكتفي المجتمع من الفرد بان يراه قائماً بالقسط وحده بل يطالبه بان يجعل اصحابه وذويه ومن هم في حيزه يجرون على العدل في معاملاتهم لان احجام الكثيرين عن تأدية الحقوق يمنع الفرد ان يتمتع بنتيجة اتعابه ويجعل تلك النتيجة مشكوكاً ببلوغها . ومثل ذلك قل عند ما يعتاد الناس اخلاف المواعد والتملص من عقال الروابط في المساومات اذ كلما قلت امانة المشتري يرتفع ثمن السلعة وكلما نقصت الثقة بالمديون علا معدل الربا . وهذه وامثالها من النتائج المضرة التي تترتب على غش المتعاملين واسترسالهم الى هضم الحقوق تعود على راحة المجتمع بالاقلاق وعلى بنيه بالخطر والازعاج وتظهر ان اللذة الشخصية التي يرجوها الفرد في حياته المدنية تتعلق على اهتمامه بامر الغير واجتهاده بان يصلح فاسدهم ويقوم مائلهم . ولا يليق بنا ان نتخطى هذه الفقرة المختصة بالعدل قبل ان نذكر شيئاً عن اختلال الادارة في القوة الحاكمة وما لذلك من اليد الطولى في تشويش اعمال الافراد وانتزاع راحة العباد فالرجل الذي يزعم انه لا يتحرش لاولياء الحل والعقد ولا يتتبع حركاتهم للتصحيح او للتجريح بل يقوم على شغله الخاص و يتركهم في طغيانهم يعمهون — من يزعم ذلك قد غاب عنه ان شغله لا يستقيم امره الا باستقامة امر اولئك ولا يأمن على سلعه وديونه وبنيه وعقاره وحياته الا اذا كان في دولة مسيَّجة بالعدل وقائمة على الحق

اما اذا كان يجلس على كراسي الحكم قوم لاخلاق لهم همهم استنباط الحيل لابتزاز اموال الناس بالرشى والاغتصاب يفسدون في الارض ويقولون انما نحن مصلحون لا يصلون الى مناصبهم الا بتزلفهم الدنيء او ببذل المال او بقرابتهم لاحد الحاظين عند الملك . يتربعون في دست السيادة فيملأونه شحماً ولحماً وفوق الشحم واللحم رؤوس عشش فيها الجهل فانتج اوهاماً

وشروراً . اذا كان امثال هؤلاء يتولون امر الامة دبَّ في عروقها الفساد واسرع اليها الفناء. اذاً على الفرد من هذه الجهة اولاً ان يكون هو نفسهُ عادلاً قوّاماً بالقسط ثانياً ان يكون داعياً الى العدل والاستقامة ثالثاً ان يساعد القوة الحاكمة في اجراء العدل ويبذل مهما استطاع ليستأصل شأفة الظلم وينقي البلاد من كل عاطل معطل وفاسد مفسد. وهو ان فعل ذلك حقيق بان يتمتع براحة واقبال ويرتع في العيش الخُضال

ان رفاه الفرد لا يقوم بانتشار العدل فقط بين مساكنيهِ والمحافظة على تأدية الحقوق وسلامة الحياة بل ان الصحة الوطنية لها اثرٌ شديد على انبساط عيشهِ وحسن حالهِ

اذا سمينا المشتغلين في سبيل استثمار الارض وصناعة السلع موجدين والذين يأكلون الاثمار ويُخلقون السلع منفقين يكون كل افراد الامة منفقين والفريق الاعظم موجدين . وبديهيٌّ ان كمية الاشياء التي يوجدها الموجدون توزع بين كل افراد الامة للانفاق . وكما زادت تلك الكمية زادت الحصة التي تصيب كل واحدٍ من المنفقين وزيادتها تتوقف على امرين عدد الموجدين وقدرتهم على الايجاد . اذاً كلما زاد عدد الاقوياء الذين يستطيعون العمل وزادت مهارتهم في طرق الايجاد وقوتهم على الاكثار منهُ تزيد حصة الفرد من المنفقين. ولا يزداد عدد الموجدين الاَّ اذا قلَّ الضعفاء الذين في بنيتهم نقص فطريٌّ او طارىءٌ يمنعهم استطاعة العمل في وظيفة يكون منها نفع لتكثير حاصلات البلاد. وكلما زاد عدد هؤلاء العجزة قل عدد الموجدين ومقدار الخيرات وبالنتيجة قلت الحصة التي تصيب الفرد الواحد لانهم عيال على المجتمع يأكلون ولا يشتغلون . اذن يجب على كل فردٍ ان يعمل ما استطاع ليقلل عدد هذه العالة لا قتلاً ولا اهمالاً بل بمداواتهم وتخفيف ويلاتهم وبالاهتمام باولادهم كي لا يشبُّوا مثلهم حملاً باهظاً لكاهل الانسانية وهم اذا تُركوا لانفسهم يزوجون ويتزوَّجون بدون عناية وتهذيب ينمو عددهم ويكثر سوادهم حتى يملأُوا الشوارع ويقطعوا الطرق على المارَّة ممدودي الايدي وهم يجأرون بالدعاء الى الله ليدر عليهم صدقات المحسنين ولذلك تراهم في البلاد التي لا تصلح الحكومة فيها شأنهم اكثر عدداً وابين تفشياً مما هم في غيرها فلا تخلو منهم منعطفات الطرق وجوانب الجوادّ واذا عثروا على رجلٍ في قلبهِ شفقةٌ عليهم لا يفرجون عنهُ حتى يصير مثلهم . وليس العجزة فقط ينفقون ولا يوجدون بل لهم شركاء لا يمكن اصلاحهم واليهم اشار شلي (Shelley) الشاعر الانكليزي في قصيدةٍ نعربها هنا مثالاً من الشعر الافرنجي في باب الحماسة والاستنفار قال

يا رجال انكلترا على مَ تحرثون للشرفاء الذين يمتهنونكم والى مَ تحوكون الحلل الفاخرة

ليلبسها المستأثرون بامركم ؟

على مَ تطعمونهم وتكسونهم وتحرسونهم من المهد الى اللحد وهم اشبه بذكور النحل لا يعرفون لكم فضلاً بل يستنزفون عرقكم و يشربون دماءكم ؟

الى مَ يا رجال انكلترا الامناء تطبعون السيوف وترهفون الحراب وتجيدون صنع الاسلحة ليستعين بها اولئك الخاملون الضعفاء على اغتصاب ما تكسبون بشق النفس ؟

اهو الرخاء ام العزاء ام الاطمئنان ام المأوى ام الطعام ام عصير الحب العطر او ما هو الذي تشرونهُ بهذه الاثمان الغوالي بآلامكم وبخوفكم ؟ تزرعون وغيركم يحصد توجدون وغيركم يذخر تنسجون وغيركم يلبس تصقلون وغيركم ينتضي

ازرعوا البزور ولا تدعوا المستبدين يجنون ثمارها . اوجدوا الثروة ولا تدعوا الماكرين يحشدونها. انسجوا الحلل ولا تدعوا الكسالى يلبسونها. اطبعوا السيوف وانتضوها للذود عن حوضكم

انفروا الى اكواخكم واوكاركم وكهوفكم فالقصور الباذخة التي تشيدونها يتنعم فيها غيركم. لماذا تخوّفون بالاغلال التي صنعتم وبالشفار التي صقلتم ؟

بمعاولكم خطّوا رموسكم وبآلات بنائكم عمروا قبوركم وعلى انوالكم انسجوا اكفانكم حتى تضمكم ترب انكلترا وتفنوا غير مأسوف عليكم . آه

ثم وان كان ضعف العجزة القعدين واعتمادهم على غيرهم في تجهيز حاجاتهم ناتجًا عن خلل في اجسامهم او انحطاط بنيتهم او خمول في عقولهم وزيادة عددهم تؤثر في كل فرد سواءٌ بتراكمهم في دور العجزة والمستشفيات الاهلية وبازدحامهم في مفارق الطرق وعلى الابواب وان كان ذلك الضرر بيّنًا واضحًا الاَّ ان الضرر الذي يتلقاهُ الفرد باختلال امر الصحة الاهلية اوضح مما هو في تلك . فاذا كانت الاجسام ضعافًا والبنيات ضعيفة ووفد على الامة احد الامراض المعدية كالحمى التيفوئيدية او الهيضة او الطاعون او الجدري او الخناق تكون هذه الامراض سريعة التفشي بينهم وذريعة الفتك فيهم ولا يأمن ذلك الفرد ان يوقع بهِ المرض وهو يخنطف جيرانهُ الواحد بعد الواحد وان سلم هو من بطشهِ فقد لا تسلم امرأتهُ او ابنهُ او ابنتهُ او خادمهُ او احد زبُنهِ في المعاملة . وفي كل الاحوال يكون تشويش الصحة العامة عائدًا عليهِ بالمضرة فهو اذا بذل جزءًا من قوتهِ المالية في تنظيف الاغرفة وتنقية الهواء ومداواة المصابين المحاويج وتغذيتهم وتقوية اجسامهم ليتغلبوا على الامراض وينجوا من الادواء اذا نزلت بهم يكون بذلك خادمًا نفسهُ باذلاً المال في سبيل مصلحتهِ الشخصية وجرّ السعادة والراحة الى ذاتهِ

وليس الامر باقلّ خطارةً في قوى الامة العاقلة فدرجة العقول العامة من الارتقاء ومنزلتها

من التهذيب والتثقيف لها يدٌ طويلة في تكييف حالة الفرد وتعيين مقدار سعادتهِ ونضارة عيشهِ. فان كان الجهل فاشياً في الامة يكون نظام التعليم قاصراً ودوائر التلقين مختلة فلا يتمكن الفرد من تعليم اولادهِ والراجح انهم يشبون جهلاء اغماراً مثل مواطنيهم المتقفين عليهم . واذا استأجر صانعاً يصنع لهُ سلعة او استبضع السلعة من السوق تكون تلك السلعة ناقصة الشروط رديئة الصنعة غير كافلة لهُ كفاف الحاجة . واذا استخدم جاريةً تصلح لهُ شؤُون بيتهِ وكانت الخوادم في بلدهِ قصار العقول عاريات عن المعرفة لا يأمن اذا خرج في الظلام ماراً في بهو الدار او في الدهليز او في المطبخ ان يطأ صحون الطعام او يدوس في ماعون الطبخ او يعثر بدلو الماء فيخرّ على وجههِ ويسيل الدم من انفهِ . واذا جاء بطاهٍ واقترح عليهِ طعاماً بعاجةٍ لهُ وكان الطاهي جاهلاً فالرجل عرضة لأن يصاب بسوء الهضم او مضطرٌ الى ان يترك الطعام المطبوخ لرداءَتهِ ويأكل من حواضر البيت . وقس على هذه غيرها من جميع الحاجات التي يلتزم فيها الفرد الى التماس المساعدة من الناس . واذا كانت وسائل الايجاد غير مرتقية وعقول الامة مقيمة على التقليد لا قبل لها في التوليد وتحسين الطرق الصناعية تكون السلع قليلة المنفعة كثيرة النفقات غالية الاثمان . فمن ذلك ترى ان قصر عقول افراد الامة وانحصار افكارهم في دائرة ضيقة وقلة معارفهم بطبائع المادة وخواصّ الاجسام تجعلهم عاجزين عن اتقان وظائفهم قاصرين في مطالب صنائعهم وهذا العجز والقصور ينعكس ضررهُ على كل فردٍ من افراد الامة ويحصد عامتهم منهُ نكوداً تجعل العيش مرًّا والحياة جحيماً . فيستخرج من ذلك ان الفرد اذا ارخص في ترقية درجة العقل العام ونشر مبادىء العلوم التي تفيد الناس في اعمالهم يكون لهُ من ذلك نتيجة حسنة تجعل عيشهُ طيباً وحياتهُ نعيماً وذلك يكون بمساعدة المدارس وتنشيط الجرائد النافعة ومجلة العلماء ومدّ اندية العلم ودور المطالعة بالاسعاف وحث الناس على الاقبال عليها والاسترشاد بنورها

اما الفوائد الناجمة لكل عضوٍ من اعضاء المجتمع عن حسن المبادىء الادبية المنتشرة في الامة فليست اقل اهمية مما تقدم اذ ان الصدق وبراءة الذمة في المعاملات وعادة الاخلاص في الود والامانة في الاعمال واتباع صوت الضمير الصالح وحسن ذات النفس وصفاء النيات والسرائر توجب طمأنينة المرء وارتياحهُ الى صدق العلائق المدنية وثقتهُ بصحة ما ينقل اليهِ من الاخبار ويعرض لهُ من التقارير في ضروب المعاملات . ويكفيهِ عبء تعقب الحوادث التي تمسّ مصلحتهُ ليعرف صحيحها من فاسدها ويميز بين صادقها وكاذبها . ولكن اذا كان الضمير العام موسوماً وآداب القوم فاسدة وعقارب الكذب والمكر والغش والفسق والاختلاس

دائبة بينهم يبقى الفرد وقواه منصرفة الى توقي الشرّ وعيناه محدقتان يلتفت يمنةً ويسرةً و يتمنى لو له عيون في ظهره لئلاً يفاجئهُ شرُّ الناس على حين غرّة . واذا اشترى سلعة ينقد ثمنها وقلبهُ يخفق ويدهُ ترتجف فيحمل السلعة الى منزله ويحشد عليها رجال الحي من اهل الخبرة لاجل اعطاء القرار في ما اذا كان مغبونًا بالثمن فان وجد انهُ اشتراها بقيمتها ابرقت اسرتهُ وطار فرحًا وحسب الصفقة نصرًا عظيمًا وفتحًا مبينًا واحتفظ بالسلعة علامة للظفر واذا كان قد اشتراها حريرًا فاذا هي كتان او ذهبًا فاذا هي نحاس يصفق صفقة المغبون ويقرع سنّ النادم و يسوء عيشهُ بعدها اياماً كثيرة بل يزيد ذلك في حذره وتوقيه ويوطن النفس على انهُ لا يصدق بعد اليوم بائعًا مهما اغلظ الاقسام واحرج الأيمان . ولا يخفى ما لاستفحال المبادىء الرديئة بين الناس من سوء العاقبة والتدرج الى ارباك حركة التجارة وعرقلة ايدي الصناعة فترتفع اسعار السلع وتقل متانة الادوات و يعلو معدل الربا ويبقى الناس لاهم لهم الاّ اختراع الوسائل ليوقعوا بعضهم ببعض ابتداء وانتقامًا وتنتشر بينهم العداوات وتتأصل في صدورهم الحزازات وتفقد المروءة والشهامة و يضيع حق الوفاء بين الطمع والحذر والغدر والخيانة

فالفرد اذا ضحى جزءا من قواهُ المالية والادبية لاجل اصلاح آداب العامة والنزوع بالناس الى معارج الحق والفضيلة ترجع اليه قوتهُ المبذولة بفائدة ينعم بها بالهُ و يستقيم شأنهُ وحالهُ . وذلك يقوم اولاً بان يكون هو مثالاً صالحًا وقبسًا نيرًا يعشو المدلجون الى ضوء ناره وينسج المتمثلون حلة الادب والفضل على منواله بان يصلح ذات نفسه فلا يغشّ في المعاملات ولا يكذب في الحديث ولا يشتهي ما في يد الغير ليعمل على استلابه ولا يمالىء في عمل وضميرهُ يشعرهُ بان ذلك العمل يشوهُ وجه الآداب ويحط من قدر الفضيلة . ثانيًا بان يجتهد في تربية اولاده واصلاح الفاسد من بيته وتقويم منآد اصدقائه ومن لهم معهُ علاقة مادية او ادبية ويتجانف على الجلوس في مجالس الاستهزاء والمهاترة الاّ لغاية النصح والارشاد وان يعمل على نشر المبادىء القويمة ليعمّ الصلاح وتتوثق الفضيلة في النفوس وهو اذا فعل ذلك جديرٌ بان يصبح في امة تتنعم في الفردوس قبل عبور الصراط ومستحق ان يحيا خليًا من الاذى ذا حظ موفور وعرضٍ صين

وفي غير ما تقدم نرى ان حالات الناس تمسُّ مصلحة الفرد بحس المشاركة وهو شعور الانسان مع غيره في الحزن والفرح . وبالحقيقة ان المرء يطلب السعادة ليس ليسرّ نفسهُ فقط بل ليسرّ ذويهِ واحباءهُ وما احسن قول المتنبي بهذا المعنى

لمن تطلب الدنيا اذا لم تُرِدْ بها سرورَ محبٍّ او اساءة مجرمِ

وهو بطبعهِ الوف يحب الاجتماع و يصفي الود الى بعض شكوله ويتألم معهم اذا رآهم يتألمون فكثيرون يغمى عليهم اذا رأوا الدم يسيل في عملية جراحية ومنهم من لا يستطيع ان ينظر الى ولدٍ يبكي او الى مريضٍ يتوجع . وقوة هذا الحس لا عمل لها الا بالعلاقة مع الغير فهي غيرية محضة ومن كانت هذه القوة عظيمة فيهِ تراهُ محبوباً كثير الاصدقاء يشعر معهُ الكثيرون اذا نكب ويجد ابداً يداً عديدة تمدُّ لتنهضهُ اذا سقط . وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال " اقبال الزمان وعزُّ السلطان وكثرة الاخوان " . ومن الاقوال المأثورة عن النبي العربي " المرء باخيهِ كثير " ولا يكثر اخوان المرء الا اذا كان الوفا يتوجع مع اصدقائهِ ويفرح اذا فرحوا . اما من كان قليل الاكتراث بالناس لا يهمهُ سقوطهم او نهوضهم فهو ابداً ممقوت لمن يحيط بهِ لا يجد من يشاركهُ في وقت حزنهِ او يفرح معهُ في فرحهِ . ومنها ترى ان افراح الآخرين واتراحهم تمسُّ حواسَّ الفرد راساً بتأثرهِ معهم في شعور المشاركة . وحب الذات من هذه الجهة متعلق على حب الاغيار وتحسين حالهم ليكثر سرورهم وتزداد بهجة الفرد بهم

وفي الختام نذكر مسألة الاعياء وهي ان الشهوة الحسية اذا اخمدت كما لمعت او أُوقظت وعلقت زيادة عما تطلب يكون هذا قاضياً عليها بالاعياء . والعمل اذا كثر تعهدهُ يصبح عادياً وتفقد اللذة بهِ فالذي يدخل محلَّ التمثيل المرة الاولى يشعر بلذة عجيبة ولكن اذا اكثر التردد اليهِ اعياهُ الملل وصار يدخلهُ كانهُ غرفة عادية . والولد الصغير يبتهج كثيراً بسماع القصص التي لم يختبر مثلها في الطبيعة ولكنهُ متى نما وكثرت معارفهُ عن احوال المادة والناس لا يعود يلذهُ كل ما كان يلذُّ قبلاً ولذلك قالوا لكل جديدٍ طلاوة . فاذا كان الفرد لا يهتمُّ الا بتبريد شهواتهِ والاكثار من الملاذ الشخصية يفقد اخيراً الشعور باللذة او على الاقل تهبط درجة لذاتهِ بالمطربات اما اذا كان يتلهى حيناً من الدهر عن خدمة شهواتهِ وينبعث بعواطفهِ الى خدمة الجنس يكون هذا الحين فرصة لعصبيتهِ تستجمُّ فيها قواها وتثوب اليها نشاطها فيشعر عند كفايتها بلذة لم يكن لهُ بها عهد من قبل كالذي يضع على انفهِ زهرة ذات رائحة زكية فانهُ يشعر عند انتشاقها المرة الاولى بنكهة عطرة ولكنهُ اذا ابقاها على انفهِ واكثر من شمها يفقد الشعور برائحتها وهو اذا ابعدها عن خيشومهِ دقيقة من الزمان يستريح فيها عصب الشم ثم اعاد اشتمامها يعود الشعور بنكهتها كما كان . وهذه هي الحال في كل الحواس العصبية ينهكها الاكثار وتعود الى عملها بالراحة والتنويع . ان الشيوخ عند ما تضعف فيهم الشهوات الجسمية يحاولون تجديدها على طريق الغيرية فيبتهجون بان يروا اولادهم او احفادهم او سائر احبائهم يمارسون الاعمال اللاذة ويتمتعون بالعيش الطيب ولذلك تراهم في شيخوختهم ينصرفون الى عمل

الخير ومساعدتهم الناس توصلاً الى اللذة الشخصية

والخلاصة ان القول بالانانية لاينفي العمل بالغيرية فقد اتضح جلياً ان تلك لا تقوم الاَّ بهذه فاذا كانت الانانية جنساً تكون الغيرية نوعاً داخلاً في ذلك الجنس لان كل عمل غيريّ فيهِ منفعة شخصية والفرد اجتمع بالناس لانهُ عاجزٌ عن العيش بدونهم وربحهُ من الاجتماع هو كما قلنا سابقاً اكثر من خسارهِ بهِ . فالمبدأُ العام " ان تحب قريبك كنفسك " هو ركن العمران ومرجع لذة الفرد لان حب القريب مرجعهُ حب الذات . هذا وقد كتب علماء الافرنج مقالاتٍ ضافية في هذا الموضوع فمنهم من قال اعمل الخير لانهُ خير واتبع الحق لانهُ حق ومنهم من قال اعمل الخير لانهُ ينفعك واتبع الحق لانهُ يدلك على طرق النجاح وهؤلاء هم القائلون ان مبدأ الانتفاع مدار الاعمال والامانة خير سياسة . وقد استعنت في هذه المقالة بما كتبهُ الفيلسوف هربرت سبنسر الانكليزي واخذت عنهُ شيئاً كثيراً منها

الجغرافية عند المشارقة

بقلم جناب محمد افندي كردعلي

قضت سنة الوجود وطبائع العمران ان تنتقل العلوم من يدٍ الى أُخرى وتتناوبها امةٌ بعد امة جرياً على ناموس تنازع البقاء في جهاد هذه الدار وقضت ان يتخلَّف الشرق في الاعصر المتأخرة عن شقيقهِ الغرب في كل شيءٍ بعد ان كان أَبا عذرة الكل وابنَ بجدة الكل تخلفاً يتوقف استبطان سرّهِ على النظر في التاريخ لتجلي الحوادث التي ساقت الى هذه الحال والمقدمات التي اعقبت تلك النتائج

وارحمتاه على المشرق اتت عليهِ ازمانٌ بارت في خلالها بضاعة العلم فاقفلت مخازنهُ وحوانيتهُ وتداعت انابيرهُ ومستودعاتهُ وانقلب الشرقيُّ عقيب تلك الحضارة والغضارة وقد تنكرت في وجههِ معالم العلم وتخدشت ملكةٌ طالما رسخت في عقول الاجيال الغابرة الى ان بلغ انقلاب الحقائق في هذه الآونة ان فريقاً ممن نُتوقَّع منهم نُصرةُ العلوم اصبحوا ينكرون جهاراً على غير استحياء تدريس علم تقويم البلدان او الجغرافية في احدى الكليات الاسلامية الشهيرة بعد ان كان لسلف هذه الامة في العصور التي يدعوها الغربيون بالمظلمة عنايةٌ بكل فن ومَطلب

كان من العرب الفلكيّ والرياضيّ والطبيعيّ والمهندس والجغرافيّ والمؤرخ والبيانيّ الخ ولكن ايام كان علماؤهم يطرقون كل موضوع ويمارسون كل فضيلة علماً وعملاً فيستعينون ببعض

العلوم على بعضها من غير نكير تخدموا من ثَمَّ عامة العلوم والفنون التي انتقلت اليهم من الامم القديمة واجادوا في وضع ما وضعوه من عنديَّاتهم وبلغ بهم الولوع باكتشاف الجديد والتفنن في ادراك المفيد ان انفق كثيرٌ منهم وُجْدَه لاستحضار الكيمياء واشتغل بالسحر والطلسمات على قلة الفائدة المترتبة عليها وما كان ينال مَن يخبط او يخلط من الاذى الاَّ ما كان من مناقشة الحساب والحكم في قوله لتلقينه فصل الخطاب

ولقد نشط الخلفاء والامراء كلٌّ على فكان من امير المؤمنين المأمون أن امر محمد بن موسى بن شاكر واخويه احمد والحسن بتحقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاسوا احد خطوط الطول في سهل سنجار ثم اعادوا المقاس ثانياً في وطآت الكوفة فثبتت لديهم كروية الارض وعرفوا محيطها . وأن اقام مرصدين فلكيين في بلاده الاول بالشماسية ببغداد والثاني في جبل قاسيون بدمشق واقام عليهما جماعةً من علماء عصره يرقبون الاحداث الجوية والاجرام السماوية . وأن قال ايضاً رأيت فيما يرى النائم كأن رجلاً على كرسيّ جالساً في المجلس الذي اجلس فيه فتعاظمتهُ وتهيبتهُ وسألت عنهُ فقيل ارسطوطاليس فقلتُ اسألهُ عن شيء فسألتهُ فقلتُ ما الحسن قال ما استحسنتهُ العقول فقلتُ ثم ماذا قال ما استحسنتهُ الشريعة قلت ثم ماذا قال ما استحسنهُ الجمهور قلت ثم ماذا قال ثم لا ثم . وكان ذلك على ما يقال من آكد الاسباب في إخراج الكتب الفلسفية والطبية والرياضية والطبيعية من اللغات الاعجمية الى اللسان العربيّ فبذل القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لرجال المجمع العلميّ المؤلف من ثلثمائة عالم حتى انهُ كان يعطي حُنين ابن اسحق وحده من الذهب زنةَ ما ينقلهُ من الكتب مثلاً بمثل

وعلم الجغرافية ايضاً حاز نصيباً من خدمة العرب فما كانوا يفتحون كورةً ولا قطراً ولا ينزلون كفراً ولا قفراً ولا يستعمرون بلداً ولا مصراً الاَّ ويُعنى قوادهم باخذ المصوَّرات الجغرافية (الخرائط) استبقاء للفتح او استيفاء لشروط الفتح. وما كانوا يُدوّخون الامصار سقياً ورعياً وهم راكبون متن عمياء ومستسلمون للاقدار على علاتها . ذكر المؤرخون ان قتيبة بن مسلم لما اتاهُ سنة تسع وثمانين للهجرة كتابُ الحجاج بن يوسف يأمرهُ بقصد "وردان خذاه" عبر النهر من "زم" فلقيَ "الصغد" واهل "كش" و"نسف" في طريق المفازة فقاتلوهُ فظفر بهم ومضى الى "بخارى" فنزل "خرقانة السفلى" عن يمين وردان فلقوهُ في جمع كثير فقاتلهم يومين وليلتين فظفر بهم وغزا وردان خذاه ملكُ بخارى فلم يظفر بشيء فرجعَ الى "مرو" فكتب الى الحجاج يخبرهُ فكتب اليهِ الحجاج ان صوّرها فبعث اليهِ بصورتها فكتب اليهِ

الحجاج ان تُبْ الى الله جل ثناؤهُ مما كان منك وائتها من مكان كذا وكذا وكتب اليهِ ان كس بكش وانسُف نسَفَ ورذ وردان واياك والتحويط ودعني من ثنيّات الطريق. فعمل قتيبة بما امرهُ وافتتح البلد الذي كان تعصَّى عليهِ من قبل

هذه كانت العنايةُ باخذ المصوَّرات الجغرافية في الصدر الاول فما بالك بعد ان استبحر العمران واتسعت مناحي الحضارة . وفي قيام اولئك الملاحين المدعوين بالمغرورين واقلاعهم من مدينة لشبونة في اقصى غربي اوربا بغية الوصول الى ما وراء بحر الظلمات من الاقطار الغربية وبعبارة اجلى لاكتشاف الجزائر الاميركية قبل قيام كولمبس باجيال وفي البعثات والحملات التي سيَّرها الخلفاء الى القاصية كبعثة الواثق العباسي لاكتشاف سواحل بحر الخزر وبعثة المقتدر بالله عام ٣٠٩ هـ الى البلغار للدعوة للاسلامية فيها واخذ احد اعضاء البعثة احمد بن فضلان معلومات مفيدة عن بلادهم وبلاد الروس وفي الحملة التي وصلت الى عاصمة الصين بعد فتح كاشغر سنة ست وتسعين للهجرة لدعوة الصين الى الاسلام وفي عشرات من امثال تلك الحملات اكبر دليل على تبريز العرب في مضامير الاكتشاف وارتياحهم لتجشم المصاعب من اجل افتتاح بقعة او ارتياد نجعة . وما اخال التواريخ الشرقية والغربية على اختلاف لهجاتها ونزعاتها تضنُّ علينا بامثلة تبرهن على صحة هذه الدعوى

سار عن طريق القسطنطينية ايام حرب الصليب ملكُ فرنسا وعاهل انكلترا وامبراطور المانيا والنمسا بجيوش جاشت بالفرسان والرماة والمشاة لنجدة المستصرخين من اهل النصرانية في بيت المقدس واحباط مساعي نور الدين زنكي صاحب مصر والشام وكان ملكُ الروم وهو اذ ذاك الشاب عمانوئيل بن الملك اليكسيوس الاول يخاف باد تهم على ملكهِ فيما اذا انقلبوا ظافرين من حملتهم على فلسطين فاخذ يتربَّص بهم الدوائر لاهلاك جندهم فامر بخلط الدقيق المطحون وغشهِ بالكلس الابيض ليباع من الصليبيين وضرب نقوداً زائفةً تشبه الذهب والفضة وكان يتملق الصليبيين بعهودهِ ومواثيقهِ في الظاهر ويرسل سرًّا الى ملك قونية من آل سلجوق يحرضهُ عليهم مبيناً لهُ نيّات الصليبيين وانهم قادمون لاخذ باقي البلاد من المسلمين

ولما عزم كونراد امبراطور المانيا والنمسا على المسير في جيشهِ ومن صحبهُ من اهل الصليب استصحب من يدلهُ على الطريق في بلاد آسيا فسار الروم امامهم في جبال وعرة وتنكبوا بهم عن الجادَّة حتى اذا نفدت ازوادهم فرَّ الروم وتركوا الفرنجة قرب جبل طوروس فساروا بعد ثلاثة ايام بحالة يرثى لها وعندها طلعت عليهم العساكر الاسلامية فاستحرَّ القتال بين الفريقين فانهزم ملك الالمان والنمساويين وبقيةُ من جندهِ ومَن سلم من الصليبيين الى مدينة نيقية

حيث قابلوا ملك فرنسا و بعد ذلك خاطر هذا الملك بجيشهِ فاجتاز شعاب جبل قدموس وجبالاً اخر مخوفة سموها جبال اللعنة واذ ذاك طلع عليهم ايضاً قسمٌ من جند السلجوقيين وقتلوهم فاندحرت عساكر الفرنسيس وركن لويس السابع الى الفرار مع من أفلت من ايدي المسلمين فانتهى بهم امدُ السير الى مدينة انطاليا و بعد مفاوضات طويلة مع واليها وكان رومياً تابعاً لملك القسطنطينية امرلهم بمراكب تقلهم الى انطاكية ولما لم تستوعبهم كلهم انقسموا الى شطرين بري وبحري وانضم الملك الى الشطر الاخير و بذل خمسين وزنة من الفضة لوالي تلك المدينة على ان يوصل العساكر المسافرة براً الى طرسوس فلم يرسل احداً يدلهم على الطريق السهل فضلوا ايضاً كما ضلَّ اخوانهم من الانكليز والالمان والنمساويين على نحو ما ذكر في تواريخ الصليبيين وكم فيها من حوادث تنهض دليلاً على جهلهم اذ ذاك

وذكر ابن خلدون في رحلتهِ من مصر الى الشام لما غزاها تيمورلنك التتري [1] عام ٨٠٢ هجرية انهُ لما اجتمع بهِ للمرة الاولى سألهُ تيمورلنك اين بلدك فقال ابن خلدون بالمغرب الجواني فقال وما معنى الجواني في وصف المغرب فقلت هو في عرف خطابهم معناهُ الداخلي اي الابعد لان المغرب كلهُ على ساحل البحر الشامي من جنوبهِ فالاقرب الى هنا برقة وافريقية والمغرب الاوسط تلمسان وبلاد زناتة والاقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني فقال لي واين مكان طنجة من ملك المغرب فقلت في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق وهو خليج البحر الشامي فقال وسبتة فقلت على مسافة يوم من طنجة على ساحل الزقاق ومنها التعدية الى الاندلس لقرب مسافتهِ لان هناك نحو العشرين ميلاً فقال وسجلماسة فقلت في الحد ما بين الارياف والرمال من جهة الجنوب فقال لا يقنعني هذا واحب ان تكتب لي بلاد المغرب كلها اقاصيها وادانيها وجبالها وانهارها وقراها وامصارها فقلت لهُ يحصل ذلك بسعادتك وكتبت لهُ بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك واوعيتُ الغرض فيهِ في مختصر وجيز يكون في ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع الى ان قال: واقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبتهُ في ايام قليلة ودفعتهُ اليهِ فاخذهُ من يدي وامر موقعهُ بترجمتهِ الى اللسان المغلي الى آخرهِ

(١) قرأت هذه القصة في رسالة خطية ذكر فيها ابن خلدون رحلتهُ الى الشام واجتماعاتهِ ومباحثاتهِ مع تيمور وهي منقولة بقلم احد اصدقائي عن رسالة قديمة كتبت بخط محمد بن احمد الزملكاني الانصاري من تلامذة ابن خلدون قال انهُ نقلها من تاريخ استاذهِ الكبير الموضوع في خزانة الكتب بالمؤيدية داخل باب زويلة بالقاهرة في مستهل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وهو مما يؤيد ان لابن خلدون تاريخاً مطولاً لم يعرف بعدُ وما التاريخ المنسوب اليهِ الآن الا فهرس تاريخي ليس الا

هكذا كان الفرق بين المشرق والمغرب – ملوك اوربا يضلهم الروم في بر الاناضول لجهلهم وجهول رجالهم بالجغرافية وابن خلدون يكتب في غربتهِ وكربتهِ ثنتي عشرة كرّاساً في وصف المغرب في هنيهة من الزمن مع فقد اسباب التاليف واناسٌ في هذا الزمان يبلغ بهم انحطاط المدارك ان يتكروا تعلم الجغرافية وغيرها من العلوم التي هي سبب ارتقاء اوربا واميركا كالطبيعيات والرياضيات . ويا ليتهم على الاقل يراجعون باب العشر والخراج في مطولات الفقه ليعلموا ما بينهُ وبين الجغرافية من التعلق بل ويا ليتهم يدرون ان معرفة سمت القبلة التي هي من اهم مسائل العبادة عند المسلمين تتوقف على الجغرافية

ولا مراء انهُ فات هؤلاء الجماعة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ حين فتح الله البلاد على العرب من العراق والشام ومصر وغيرها كتب الى حكيم من حكماء عصرهِ يقول إنا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوأ الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن واهويتها ومساكنها وما تؤثره التُرب والاهوية في سكانها فكتب اليهِ ذلك الحكيم بجغرافيتها الطبيعية . هذا كان عمل ابن الخطاب في عصرهِ فكيف نكون نحن في هذا القرن

اصبح الخاصي منا فضلاً عن العاميّ متى أُكره على تصفح صحيفة من صحف الاخبار يتلعثم ويتأفف ولا يعتم ان يحدد شفار مطاعنهِ بكاتبها ويرميهِ بالجهل المركب في معرفة السبك والربط وعدم الاجادة في انتقاء الالفاظ العربية الصحيحة وما دعاهُ الى هذا التجهيل الفاضح بل الجهل الواضح الاَّ ورود اسماء بعض البلدان والممالك اثناء العبارة ما طرقت مسامع صاحبنا من ذي قبل حال كون صغار اولاد السوقة من الفرنجة اليوم يحفظون من اسماء الامصار ما لا ينطق بهِ معظم خاصتنا عمرهم . وكبار الامراء في الشرق قلما يعرفون حدود بلادهم وعملهم ولا يحفظون اسماء البلدان التي ولاَّهم مولاهم رقاب عبادهِ فيها

ويا ليت ابن خردادبه وابن واضح والجيهاني وابن خلدون وابن الفقيه وابا زيد البلخيّ وابا اسحاق الاصطخري وابن حوقل وابا عبد الله البشاري والحسن بن محمد المهلبي وابن ابي عون البغدادي وابا عبيد البكري والقزويني ويا قوت الحمويّ والمقدسيّ وابا الحسن الهرويّ والادريسي وابا الفداء وابا العباس السرخسيّ والمسعوديّ والمراكشيّ والباكوريّ وابا القاسم الشيرازي وازرى الاسفرايني والمقريزيّ والاصمعيّ والشكوفي والحسن بن احمد الهمذانيّ وابا الاشعث الكنديّ وابا سعيد السيرافيّ وابا محمد الاسود الغندجانيّ وابا زياد الكلابيّ ومحمد بن ابي حفصه وهشام بن الكلبيّ وابا القاسم الزمخشري وابا الحسن العمراني وابا عبيد البكري الاندلسي وابا بكر محمد بن موسى الحازميّ وابا الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري

وبرهان الدين ابرهيم البقاعي وابا الفتح محمد الهمذاني وابن الجوداني وعلي بن محمد الخوارزمي ومحمد بن اياس الحنفي وابا المجد اسمعيل بن هبة الله الموصلي وابا الفضل البقالي الخوارزمي وابا عمر محمد الكندي وابا عبد الله محمد القضاعي والظاهري وابا الحسن احمد الاشعري وابن بطوطه وابن سعيد وابن جبير وابن حبيب وابن رشيد وابن الصلاح وابا القاسم التجيبي والغزي والسيوطي والكناني ومحمد بن رشيد وعشرات غيرهم من رجال الجغرافية ممن ساحوا فافادوا وصنفوا فاجادوا وخلفوا لنا من وصف المسالك والممالك ما يبيض وجوه ازمانهم يا ليتهم ينشرون اليوم من اجداثهم لترى عيونهم ما حلَّ من الجهالة في بلاد انشأت امثالهم ويشاهدوها كيف اقفرت حتى من رجل يحسن رسم مصوَّر جغرافي لبلادهِ بحيث اخذ الناشئة من ابناء هذه الاقطار ينتظرون ما يتكرم بهِ عليهم الغربيون ويخطئونهُ ويصفونهُ كأنَّ صاحب الدار ليس هو الاعلم بما فيها ولكن هي الامور اذا استقلَّ بها من لا يحسن الاضطلاع ولا يعرف الكاع من الباع

كان علماء الحديث في الاسلام من اشدّ الناس عناية بالجغرافية لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤوسهم ومنابت اسلاتهم وهذا هو السبب الذي من اجلهِ عني اكثر ارباب المعاجم العربية بذكر اسماء الامصار. والقرى ولعمري ما قول المعترضين على تدريس هذا الفن اذا سألهم سائل عن المواطن التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز كديار اقوام الانبياء لوط وهود وصالح وشعيب وابرهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم وعن المواطن التي ورد ذكرها في احاديث الرسول واخبارهِ اذ لا يجهل احد انهُ عليهِ الصلاة والسلام بعث بكتب عدة الى معاصريهِ من ملوك الامم وحكامها ككسرى الفرس وقيصر الروم ومقوقس مصر ونجاشي الحبشة وملك البحرين وامثالهم وعن مواطن غزواتهِ . ويا ليت شعري بماذا يجيبون اذا سألناهم عن موضع سد مأرب وعن الحكمة الجغرافية من بناء ذلك السد وما هي تلك الدول التي كانت معاصرة لنبيهم وكيف كانت احوال تلك الممالك وما مساحتها بل ما جغرافية البلاد التي قام منها العرب وعلى اي طريق سلك المهاجرة الأُوَل من مكة الى الحبشة. وهل الجغرافية الاَّ عبارة عن تعليم احوال الممالك والطرق التي كان للعرب الصحابة فمن دونهم النصيب الاوفر من معرفتها سيما مجاوريهم من الامم فقد كان قريش يدأبون في السفر من مكة الى بلاد الفرس فبلاد اليمن فبلاد الشام فبلاد الروم وهكذا سما نظرهم بعد الاسلام لافتتاح تلك البلاد التي كانوا يعرفونها ايام تجارهم وقد نجحوا بما رُزقوا من مضاء العزائم بعد ان كانوا درسوا احوال هذه البلاد العمرانية واخلاق مجتمعاتها واصول ادارتها وتبطنوا ما فيها من المسالك والمناهج

والمداخل والمخارج اي انهم بحثوا عنها بحثاً سياسياً وعسكرياً . فكانوا اذا فتحوا مصراً عرفوا ما وراءه والطرق المؤدية اليه كما انبأنا التاريخ بذلك على ان معرفة دار الاسلام من دار الحرب تتفرع عليها امور شرعية لا تتم الاَّ بذلك العلم

اما وقد عرف هذا فلم يبقَ قول يقال الاَّ ان الجغرافية شقيقة التاريخ موضوعها الاماكن والبلدان كما ان موضوعه الناس والازمان تشخص الجغرافية في مرآة قارَّة ما تحرَّك من الصور وترسم البقاع التي خلَّفنا لنعمرها ونكدح فيها كدحاً ترسمها لنا حافلة بآثار الممالك الدائرة واخبار الامم البائدة البائرة . فالجغرافية اذاً تبحث في تخطيط الارض كما ان التاريخ يتقفَّى تخطيط سكانها وانت تعلم ان الارض لما كانت مأوًى عاماً للبشر فرض عليهم التحفي في السؤال عنها فقد تقضي الحال على من يريد السكنى في ضيعة من ضياع الارياف ان يسأل عما فيها من مرافق الحياة من ينابيع وجداول ومخاوض ومغايض وطرق نهجة وجوادَّ قاصدة وحقول ورياض ومباقل ومخاضر وزرع وضرع ومراعي ومروج ومجاهل ومعالم وغابات وآجام وهضاب وآكام وعامر وغامر ومخصبة ومسبخة ليتوفر على نيل ما يدفع حاجته وحاجات ذويه ويقوم باودهم من غلات وثمار ولبن ومخيض وسمن وعسل . وزد على ذلك الا يحتاج بعد هذا الى تعرُّف الطرق المفضية الى ما جاور بلده والاسواق القريبة ليبيع فيها ما يفيض عن عوزه ويبتاع بثمنه لباساً يقيه حمارَّة القيظ وصبارَّة القرّ وان يقف على الصلات التي تربطه مع غيره من الخلائق والامصار

ومن ينكر ما يعتري المرء من الارتياح بتحديث من سافر عما شاهده في حله وترحاله من اعاجيب الآثار وغرائب الامصار وما امتع به النواظر من مدهشات المناظر واختبره من الاخلاق والعوائد والخصائص والفوائد فهلاَّ عني المرء بقراءة ذلك في مصنَّف صادق الرواية واسع الدراية ليسيح بفكره في ساعة ما يتعذَّر عليه تلقيه من افواه السياح في اعوام

هذا وقد قسم المتأخرون فن الجغرافية الى ثلاثة اقسام كبيرة وهي الجغرافية الرياضية والجغرافية الطبيعية والجغرافية السياسية . ولكل من هذه الاقسام في الغرب اليوم اوفى من المؤلفات والمؤلفين فالجغرافية الرياضية او الفلكية تبحث في شكل الارض وحجمها وحركتها وعن تركيب الكرات وحل المسائل وتعيين مواقع الاماكن على سطح الارض ورسم قسم منه على صفيحة او ورقة . وتتعلق اكثر مواضيع هذا القسم بعلم الهيئة اكثر مما تتعلق بالجغرافية . واما الجغرافية الطبيعية فتبحث عن حالة الارض الطبيعية واوصافها وتصف علاقتها بالنظام الشمسي وتوضح انقسامها الى قسمين طبيعيين عظيمين وهما الماء واليابسة وتبين ماهية الهواء

الكروي والحركات الكبرى كحركات التيارات الغمرية والهوائية مما يؤثر في هيئتها. ومن اخص مباحثها اشكال القارَّات والبحار واقسام اليابسة والغمر وارتفاعات الجبال وسلاسلها وظواهر الصحاري والسهول والخطوط والرسوم المختلفة من اعلى قمم الجبال الى اقصى اعماق البحر. ويبحث فيها عن بنية الارض الجيولوجية وعن جميع الظواهر المتيورولوجية وعن محصلات الارض الطبيعية من نبات وحيوان ولكنها مع اتساع موضوعها لا يلتفت فيها الى وصف افراد الظواهر والاماكن والانواع فتقتصر على إيضاح النواميس والمبادىء العمومية في الامور الكلية وتبحث في المملكة العضوية عن وجود الاجناس وتوزعها في بعض المناطق او في بعض المواطن. ومن مباحثها المخصوصة نسبة المملكة العضوية في الطبيعة الى المملكة الغير عضوية وما بين المملكتين من العلاقة . واما الجغرافية السياسية فتبحث عن بلدان الارض واسمها من حيث اقسامها السياسية وعن النوع البشري من حيث هيئتهُ الاجتماعية ونظامهُ الخاص . ومن الاسف ان سند هذه الفروع فقدَ اكثرهُ من اصقاعنا حتى صرنا محتاجين في عصر كهذا العصر ان ننبه قومنا الى فائدة علم الجغرافية فنتكلف ايضاح الواضح وتعريف المعرَّف ان هذا لعجب عجاب

مدائح الشعراء وعطايا الامراء

بقلم جناب خليل افندي ثابت

كان لبني أمية والعباسيين مُلك فخيم وجاه عريض رفعتهُ المواضي الى الذرى وتوطَّدت اركانهُ على العدل فامتدَّ سلطانهم في الآفاق وخضعت لهيبتهم الامم بما ذاقوا من مرارة بأسهم وسطوة جندهم وما استشعروا بهِ من طعم عدلهم وهم بعدُ في عصر مجد الاسلام يتنقلون بين الغزوات واقامة المعاقل وبناء المدن وتمصير الامصار وتنظيم الجيوش وانشاء الدواوين حتى انبسط ظلهم الى ما وراء السند شرقاً والاندلس غرباً والناس راتعون في سعة من العيش ورخاء وبات الشام والعراق كعبة القاصدين والطالبين يشدُّون اليهما الرحال ويحملون اليهما نفيس المتاع والجوهر والبضائع والسلع والمتاجر ويصدرون عنهما وقد ملئت جيوبهم ذهباً

ولم يكن نصيب الشعراء من المكاسب (على ما يروى) باقل من نصيب التجار منها فقد اتصل بنا من التاريخ وسير الامراء والخلفاء اخبار اذا صدقت كان الشعراء في تلك العصور من انعم الناس بالاً واحسنهم حالاً واوفرهم ربحاً وكسباً . فقد روى الراوون ان الشاعر كان يدخل على الامير فيتمدحهُ بالقصيدة الواحدة فيصدر عنهُ وقد ضاق ذرعاً بنفيس الجوهر والحلل

والثياب والنوق والجمال واصبح المقرّب في الشفاعات يفزعون اليهِ في الشكايات يدخل على ممدوحهِ من امير او ملك فاذا رأى منهُ نشاطاً وخفة ميلان بهِ الى جانب الطرب انشدهُ فما هو الاَّ ساعة من الزمان ويخرج مثقلاً بالعطايا والهبات

وقد لا يستغرب ذلك في عصر اعتزَّ فيهِ شأن العرب وعظم امرهم وليس هو سوى بعض مآثر افاضل خلفائهم وامرائهم كمعاوية والرشيد والمأمون وامراء البرامكة ومعن بن زائدة ومن اشبههم (او كان مفرطاً في التبذير كالوليد) فقد كان من ذكرنا حمًى للآداب وسنداً لاهلها لم يخصوا الشعراء بالاكرام وانما والوا نعمهم على المتأدبين من الكتاب والمتخرجين في الصناعات الشريفة كالطب والنابغين في العلوم ولاسيما علوم الفقه والسياسات كما يعرف من مراجعة سيرهم واعمالهم

وقد اعتدنا تلقُّف كلام المؤرخين على علاَّتهِ وصدقناهُ فيما صدقنا من رواياتهم التي قد تطابق الواقع او لا تطابقهُ حتى تراءى لقوم النظر في هذه الاخبار وانتقادها وتمييز صحيحها من فاسدها فنسخوا كثيراً من الاقاصيص وازاحوا النقاب عن خطإها الفاحش وهو ما أُريدهُ في هذه الرسالة اذ يلوح لي ان في اخبار عطايا الامراء وصلاتهم شيئاً كثيراً من الغلو والمبالغة كان بعض الدافع اليهما فيما ارى ولع المؤرخين والكتَّاب باعظام شأن الادب والشعر واكرام من سبقهم من الشعراء او عاصرهم منهم. او ضربهم الى غاية اخرى كتحريض الامراء والمثرين من معاصريهم على الاقتداء بالسلف الصالح في الجود واكرام العلم واهلهِ فيصيبون بذلك بعض الكسب لنفوسهم. وانما يغلب ان تكون علة هذا الاغراق ما في الناس من حبّ المغالاة في احصاء الاموال وتكبير الاخبار اذا تناقلوها وانما هو كالذي نشاهدهُ في ايامنا هذه من هذا القبيل وكالمعروف في كل العصور من هذه المبالغة في نقل الاخبار. وقد اشار الى ذلك العلاَّمة ابن خلدون في مقدمتهِ الشهيرة في باب مؤاخذتهِ المؤرخين وتزييف ما ارتكبوهُ من اغلاط في تقدير عدد الجيوش والى ما يرتكبهُ عامة الناس من هذا القبيل في تقديرهم ثروة المثرين . ويردُّ هذا العلاَّمة تلك المبالغة الى خلقٍ في النفس وفطرة في الناس على ان الاقرب ان تكون من باب الاهتمام باحداث الاثر العظيم في نفس السامع او المخاطب بما يتولد في ذهنهِ من اعظام الامر واستغرابهِ اذا خالف المعروف والمعهود . ومثلهُ في الاطفال تفخيمهم الصوت في حكاية الوقائع اذا ارادوا احداث الهيبة في نفوس سامعيهم من اهلهم واصدقائهم لاسيما الاطفال من رفاقهم

ومن يمعن النظر في هذه الاقاصيص ويقارن بين البعض والبعض الآخر وينقب عن اصحاب القصائد المنسوبة الى جميع هؤلاء الشعراء يرَ في الحكايات نفسها ما يقنعهُ بان ناقليها

او واضعيها تجاوزوا بها حدَّ المبالغة كما سترى . ولا يستغرب ذلك في عصر كان الناس عامتهم يؤمنون بحكايات الف ليلة وليلة وهم من قوة التخيل بحيث يصدقون ان في العالم جبال الياقوت والزمرّد والحجارة الكريمة ويقدرون دخل الاقاليم بما يزيد كثيراً عما يستطاع ان تجبى اذا اخصبت ونشت العمارة فيها على اعظم ما يمكن ان تكون عليهِ

فمن ذلك ان ابن الخياط المكي دخل على المهدي فانشدهُ شيئاً من شعرهِ فامر لهُ بخمسين الف درهم فطلب ان يقبل يدهُ فأذن فما خرج حتى فرّق المال في الناس فلما عوتب على ذلك انشد

لمست بكفي كفهُ ابتغي الغنى ولم أدرِ انَّ الجود من كفهِ يُعدِي

فلا انا منهُ ما افاد ذوو الغنى أفدت واعداني فاتلفت ما عندي

فعجب بهما المهدي وغنَّى بهما المغنون وامر لهُ بخمسين الف دينار [1] وهذا يزيد على دخل كبار امراء هذا الزمان. وامثال هذا الحديث كثيرة في تواريخهم (الاَّ ان يقال انهُ لم يكن في العطايا ما بلغ هذا المبلغ) فقد حكي عن معن بن زائدة انهُ وهب صاحب البيت المكتوب على الخشبة الف درهم في اليوم الاول ومثلها في اليوم الثاني وهكذا في الثالث واقسم ليوالي لهُ العطاء حتى ينفد ما لديهِ من المال (او ما في بيت المال والاوّل اقرب الى الصواب) لكنَّ الشاعر خشي سوء العاقبة ففرَّ بما اصاب. وهذه قصة الفضل بن يحيى البرمكي وهب اعرابياً من قضاعة مئة الف درهم لابيات من الشعر امتدحهُ بها (والابيات لشعراء متفرقين كما جاء في اعلام الناس) وامر لهُ بمئة الف درهم اخرى لبيت واحد ردَّ بهِ سهمهُ. هذه عطيتهُ لاحد اجلاف العرب على كثرة الطامعين في جودهِ واقبال المؤملين عليهِ حتى بلغ ما قيل فيهِ وفي ذويهِ من الشعر عشرة آلاف بيت من الشعر الجيد ما عدا البارد المبذول

وامثال هذه الحكايات كثيرة تضيق بها بطون الاوراق بما وسعت على انها كلها على وتيرة واحدة فمديح وعطاء وكلام منظوم حشوهُ التملق يشترى بنفيس الجوهر وبُدر الاموال وعيشة هنيئة للشعراء يحسدهم عليها كتَّاب العصور الخالية والحاضرة حتى من منهم يكسب الوف الجنيهات من كتبة الاوربيين والاميركان البلغاء الذين يذيبون المهجة على مذابح البلاغة والشعر

في جبل لبنان من اعمال الشام عادة في الافراح يسمونها " الشوبشة " وذلك انهم يأتون برجل يجمع بين الغناء والمنادمة من المدح والوصف فيهدي اليهِ الحاضرون شيئاً زهيداً من المال كلٌّ بحسب ما يريد فاذا رمى اليهِ واحد بقرشين قرع الطبل ونادي في القوم ان فلاناً سيّد

(١) وفي رواية اخرى ان البيتين في الفضل بن يحيى وان الصلة عشرون الف درهم

الكرماء وهب مئتي قرش او قد يقول اكثر من ذلك يريد تعظيم شأن للواهب والافصاح عن فكرهِ بما يزيدهُ في مقدار العطية ولا يبعد ان الخلفاء والامراء كانوا يأمرون للشعراء بمئة الف درهم او نحوها يريدون العشر او ما هو اقلّ منهُ فيقبض الشاعر المبلغ ويعود مفاخرًا (او يتناقل القوم الحديث فيزيدون في مقدار الصلة ما يشاؤون) اذ في خبر كثرتهِ شرف لهُ وميزة على الاقران ودليل على مكانهِ في البلاغة ودالتهِ على ممدوحهِ وشدة تقربهِ منهُ (وكان لكلٍ من هؤلاء الامراء في الغالب شاعر او نديم ينقطع اليهِ او يقول عامة شعرهِ فيهِ) والاَّ فعلامَ نرى هؤلاء الشعراء ممن كان يصيب الوف الدنانير في عامهِ فارغ الجيب يشكو الدهر ويتقلب في ابواب ممدوحيهِ علهُ يفوز بما يسدُّ بهِ رمقهُ فان قيل ان الشعراء لا يعرفون معنىً للاقتصاد ولا يتقيدون بالقواعد فهم يعيشون في عالم الخيال قلت ان هذا الحكم لا يسري عليهم اجمعين وفيهم الحريص والبخيل والشحيح وكانوا جميعًا في الحاجة شرعًا. ومن البديعيّ استغراب امرهم هذا وفي عصورهم امراء كيزيد بن مزيد يهب عليّ بن الخليل سبعة آلاف دينار لسبعة ابيات من الشعر هنأهُ فيها بمولود مع ان الابيات باردة في بابها ولو عرضت في سوق الشعر لكسدت (٢)

وفي بعض هذه الحكايات من بُعد احتمال الواقع فيها ما يضعف اليقين بصحتها خذ مثلاً قصة الفضل بن يحيى والقضاعيّ فقد جاء في صدرها ان الفضل خرج بحاشيتهِ الى الصيد ولم يُسمَع في الدهر الحاضر ولا في غابر العصور ان ملكاً او اميرًا يخرج الى الصيد ويحمل خزينتهُ معهُ فمن اين لهُ مئتا الف درهم يهبها الاعرابيّ وينقدهُ اياها كما يفهم من ظاهر الحكاية (ويحملها هذا على ناقتهِ الوحيدة مع ان ثقلها خمس مئة اقة فلا يحملها ثلاثة جمال) ولنا من الشواهد على ان الامراء لم يحملوا خزائنهم الى الصيد شيءٌ كثير. وقد اتفق لبعضهم في هذا الباب نوادر ظريفة مثلما اتفق لمعن بن زائدة والجواري الثلاث اللواتي سقينهُ واعطاهنَّ السهام

ومن المعلوم ان هذه الحكايات دارت على السنة الناس زمانًا طويلاً وتحدثوا بها في المجالس والاسواق قبل ان سُجّلت في الصحف ودوَّنها المؤرخون. ومن كتب منهم شيئًا من اخبارها فهو انما تلقاهُ من افواه الناس لسنين عديدة بعد حدوثها والاَّ فان من يقابل ما كتبوهُ في الخبر الواحد مع مادونوهُ في الحكاية الاخرى ليرى خللاً فمن ذلك قولهم في باب عمران بيت المال لايام المهدي ان المنصور لما ادركتهُ الوفاة قال للمهدي في وصيتهِ انهُ خلف لهُ من

---

(٢) هذه الابيات مطلعها

يزيدُ يا ابن الصيد من وائلِ اهل الرئاسات واهل المعالِ

الاموال ما ان كسر عليهِ الخراج عشر سنين كفاهُ لارزاق الجند ومصلحة البعوث وغير ذلك وان ما خلفهُ بلغ اربعة عشر الف الف دينار وستمئة الف الف درهم. على ان هذا المبلغ مهما كثر فهو لا يفي بنفقات الدولة سنة واحدة لذلك العهد اذا صدقنا اخبارهم في وصف عظمتها وكثرة جندها وهم القائلون ان خراج مصر كان اثني عشر الف الف دينار وهو جزء من دخل الدولة وجزء من نفقاتها في العام الواحد. وكفاك دليلاً على ما كان يداخل الاخبار من الزيف والفساد واعظامهم شأن المحدثين المشهود لهم بصدق الرواية فقد حكي عن الاصمعي انهُ جلس يوماً يحدث الرشيد عن الملوك حتى اذا حدَّث عن بني امية وقال " ان سليمان كان نهماً واذا قُدّم اليهِ السماط لا يصبر حتى يبرد بل يتناول اللحم بكمهِ وان يزيد كان اذا جلس للشراب يسقط الخمر في ثيابهِ صاح بهِ الرشيد قاتلك الله ما اصدقك في نقل الاخبار والله ان ثيابهما عندي وان الدهن لفي اكمام سليمان والخمر لفي ثياب يزيد ". هذا مع قرب عهد الرشيد والاصمعي بيزيد وسليمان وكون اخبار الملوك من الاحاديث التي يتناقلها الناس ويحدثون بها في مجالسهم ويتفكهون باعادتها فما قولك فيما كان اقلّ منها شأناً من مثل احاديث الشعراء واخبارهم اذا نقلها غير صادقي الرواية ولم تدوَّن في الصحف الاَّ بعد ان دارت على الالسنة زماناً وتلاعبت بها ايدي المبالغة والتحريف. وترى هذا التحريف ظاهراً في القصة الواحدة اذا وردت لغير مؤرخ واحد مما يدلك على ان الكتَّاب انما تناولوا ما كتبوهُ من افواه الناس فروى كل واحد منهم ما سمع دون ان يعمد الى البحث والتمحيص وذلك لان الغلوَّ في هذه الاخبار وما شاكلها لا يتوقع منهُ وقوع ضرر فهو مأمون العواقب اذ ليس فيهِ سوى اعظام شأن المعطين من الملوك والامراء وما كانوا يثيبون بهِ الشعراء الذين وقفوا ثمار قرائحهم على مديحهم والترحم على عصر كانت درر الاقوال تشترى فيهِ ببدر الاموال

ولقائل يقول وكيف تكذّب هذه الحكايات وانت قريب العهد باسماعيل باشا خديوي مصر الاسبق واهب الالوف للمغنين والتجار والندماء والشعراء. قلت لم يسمع عن ثقة ان اعطيات هذا الامير كانت في القدر الذي نراهُ في صلات من ذكرنا وما خالف ذلك من الروايات فمؤيد للتعليل السابق من المبالغة في نقل الخبر وعدم التثبت منهُ قبل ايرادهِ واذا كان هذا الامر في ما يسمع عن اسماعيل باشا على قرب العهد بهِ فما قولك في اخبار الامراء الذين غابت اجسامهم عشرات السنوات قبل ان حُرّرت اخبارهم. واغرب ما يحكى عن الخديوي انهُ وهب نديمهُ الف جنيه في ليلة واحدة واين هذا من هبات معن والفضل ونحوهما. ولا تدفع هذه المقارنة بان يقال ان الخلفاء والامراء كانوا اعظم ثروة من اسماعيل فلم يكن

العزيز بالرجل الذي يفرق للملايين ولو حسب ما انفق من دخل مصر وريع املاكه وما اقترضهُ من الاجانب وما ابتزَّهُ من الرعية ما تجاوز القدر ما انفقهُ احد خلفاء العباسيين او امراء ذاك الزمان في مدة مساوية لحكم الخديوي اضف الى ذلك ان الدراهم كانت في ايام الخلفاء اعزّ منها اليوم واكثر قيمة يتضح لك شدَّة الاغراق في ذكر هذه الهبات

والمستفاد من بعض الحكايات في هذا الباب أنَّ الأعطيات لم يصبها المؤملون في جميع الاحوال ولعلَّ بعضها لم يتجاوز حدَّ الامر بالصلة والشكر على النعمة .كما هو واقع اليوم من ملوكٍ يجودون على هذا النمط . ويؤيد هذا الرأي ما جاء في اعلام الناس في قصة معن بن زائدة والرجل الذي استجار بهِ فانهُ بعد ان امنَّهُ واتى بهِ الى بيتهِ وهو طالبهُ امير المؤمنين دخل على الخليفة فالتمس لهُ الامان والعطاء فاجابهُ الى الاول وامر للرجل بمئة الف درهم (كذا) فقال معن اجعلها حاضرة يا أمير المؤمنين . والمستفاد من هذا القول ان معناً كان يخشى المطل او التسويف لعلمهِ باحوال ذلك الزمان والاَّ فلا فائدة لقولهِ هذا

وقد تفننوا في وضع هذه الحكايات حتى بلغوا بها حدَّ الاغراق وبات تصديقها من المحال فهذه قصة الاخطل مع يزيد بن المهلَّب يوم حبسهُ الحجاج واقسم ليستادينهُ مئة الف درهم كل يوم لباقٍ عليهِ في خراسان فاذا هو قد جباها لهُ ذات يومٍ ودخل عليهِ الاخطل فانشدهُ الابيات التي منها

ابا خالدٍ ضاقت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات اين يزيدُ

فقال يزيد يا غلام اعطهِ المئة الف درهم إنا والله لنصبر على ظلم الحجاج وعذابهِ ولا نخيب الاخطل

هذا الاخطل شاعر بني أُمية يغادر الخلفاء ويقصد رجلاً في محبسهِ فيستجديهِ دراهم قد تذهب روحهُ بذهابها انَّ هذا لبعيدٌ عن شيم الشعراء وغريب في باب الكرم (وان شئت فقل الجنون) والاخطل في المكانة والحظوى عند الامويين بحيث لو اراد مالاً لاصابهُ بمدحهِ الخليفة او احد اولادهِ او اقربائهِ كما كان يفعل فيهبونهُ الالوف اذا صدقت روايتهم

ولا يستفاد من هذه الاقوال نفي الجود عن الخلفاء والامراء فقد كانوا في المنزلة التي لا يساورهم فيها مساور ولا ينازعهم منازع على أن ما ينسب اليهم من الجود والكرم في هذه الاقاصيص وامثالها لجدير ان يعدَّ من قبيل الاسراف والتبذير وهو ما نجلُّ اكثرهم عنهُ وفيهم الافاضل واهل الصلاح والتقى والعالمون بسياسات الدول والعارفون بقواعد العمران. والاَّ فقد رُوي عن المهديّ انهُ حجَّ سنة فحمل الهدايا الى البيت وفرَّق المال في الناس واطعمهم وسقاهم الماء مبرَّداً بالثلج المحمول من بلاد الشام (كذا في الاصل) فبلغ ما انفقهُ مئات الالوف من

الدنانير (وفي رواية ستة آلاف الف دينار) ولا يستغرب ذلك من المهدي فانهُ كان يضرب الى غاية بعيدة من اقرار ولاية العهد في ولديهِ واظهار عظمتهِ وفخامة ملكهِ لاهل الحرمين ليعلموا ان الاسلام مغتبط بمناحيهِ وليثبتوا على ولائهِ وولاء بنيهِ بعده . وهذا شاه ايران انفق في رحلتهِ الى اوربا نحو نصف مليون ليرا (على ما روتهُ الصحف السيارة) هذا ما عدا الجواهر والحلى التي اتى بها من بلادهِ واهداها الى من اراد اكرامهُ من الاوربيين ولو نقل الينا الرواة ان جلالتهُ أمر لشاعر بخمسة آلاف جنيه لاكبرنا الامر واستغربناه وعزونا الى قائلهِ حب المبالغة حتى يأتينا صادق الرواية بالحق اليقين والخبر الاكيد وذلك لما بين النفقتين من تباين الغاية واختلاف المطلوب

و يعلم المولعون باخبار العباسيين ومن عاصرهم من الادباء والشعراء ان غالب النوادر من القصص الموضوعة والواقعة في ذلك العهد يعزى الى ابي نواس في باب الفكاهات والى الاصمعي في باب الرواية لا لان جميعها اتفق لهذين الرجلين بل لان اولهما اشتهر بالهزل وعرف ثانيهما بسعة الاطلاع وصدق الرواية فصار القوم ينسبون اليهما ما غابت عنهم اسماء اصحابهِ او كأن الذين اتفق لهم من الاولى لم يشتهر امرهم . و كذلك الظن في كثير من حكايات الشعراء والامراء فقد خص بنفر من الخلفاء والعظماء لانهم كانوا اعظم جاهاً من سواهم وابعد صيتاً وشهرة كالمهدي والرشيد من الخلفاء والفضل بن يحيي ومعن بن زائدة و يزيد بن المهلّب من الامراء فما لم يتفق لهم نسب اليهم لاشتهارهم بالجود ومكارم الاخلاق

وقد كان من هؤلاء الممدوحين كثيرون من الامراء المستعملين على ولايات الاقاليم وكانت اعطياتهم تضاهي اعطيات الملوك او تفوقها اي ان هباتهم كانت تفوق دخلهم الاَّ اذا سلمنا انهم كانوا يختلسون ما في بيوت مال المسلمين وهو الامر الذي لا يسلّم بصحتهِ على المعروف من عدل الخلفاء في تلك العصور وسلامة الامة من الفساد فاما ان يعلّل عن هذا العطاء الفاحش بما عللناه او ان يعزى الى اولئك القوم ما قد يكونون براء منهُ من الاختلاس والاوّل اقرب الى المشهور من انتظام الدولة في ذلك العهد وادنى الى شيمهم ومكارمهم

وقد رأيت من باب الفكاهة ان اختم هذه الرسالة بقصة سمعتها من صديقي الفاضل سليمان افندي البستاني وهي ان منيف باشا دخل على الصدر الاعظم لدولة ايران لدن قدومهِ سفيراً للباب العالي الى الاقطار الايرانية فاذا في الحضرة شاعر ينشد بالفارسية والسفير يعرفها فلما فرغ امر له الوزير بعشرين الف دينار فاكبر منيف باشا ذلك وقال في نفسهِ وزير يصل شاعراً بعشرين الف دينار ليفوق اهل الارض غنىً وسعة ثروة ومكارم ورأى من التطفل الاستفهام

في الديوان فحفظها حتى لقي احد الكبراء فاطلعهُ على ما خامرهُ وعلم منهُ ان في بلاد فارس درهماً قيمتهُ نحو ثلاثة قروش نقش عليهِ ثمنهُ في بلاد العجم "الف دينار" فبلغت عطية الوزير بذلك ستين قرشاً ولا يستعظم ذلك من بدّال فكيف بهِ من وزير

هذا بعض ما عنَّ لي في هذا الباب واني اعزم على الادباء ممن يطلع عليهِ ان يوضحوا بعض ما أشكل عليَّ فهمهُ ويقوّموا ما فيهِ من الاعوجاج

رواية تنكرد

للوزير الشهير اللورد بيكنسفيلد

الفصل التاسع

آدم بسو — "ما عندك من الاخبار يا يساكر". وكان يساكر هذا طبيباً ماهراً في الطب والتنجيم وكان قد احيا ليلهُ ساهراً بجانب سرير بسو

يساكر — الاخبار التي عندي لم تصلنا حتى الآن

بسو — فكيف عرفتها ان كانت لم تصل حتى الآن

يساكر — عرفتها بعلم الحرف وفتح الكتاب بشائر تأتينا عن قريب ان شاء الله

بسو — لمن هذه البشائر هي للوالي واتباعهِ ليس لبسو ولا لاهلهِ

يساكر — الله كريم لا تقنطنَّ من رحمة الله . والآن لا بدَّ من تغيير الرفادة فضع ذراعك على هذه الوسادة بقلّ الملك

بسو — لو كنتَ تعلم ما في نفسي من الالم لرثيتَ لحالي

التسليم للاقدار مزية في المشارقة . وقد كانت في بسو على اتمها فلم يتذمر مما حلَّ بهِ بل صبر على الضيم وتوكل على الله معتمداً على الوسائل التي استخدمها لانقاذ ابنتهِ . وكان الوالي حاقداً على النصيرية متربصاً بهم فرص الدهر فاستفزَّتهُ شكاوى بسو لتدويخ بلادهم والايقاع بهم ولكن لولا الالحاح عليهِ لسوَّف ذلك الى ما شاء الله على عادة امثالهِ . فامر بارسال ثلاث اورط من المشاة وفرقة من الفرسان وبعض المدافع وسار معهم هلال بسو خطيب حواء تاركاً عمهُ لعناية طبيبهِ يساكر بن سليم اشهر اطباء حلب

سار هذا الجيش الى ان قرب من بلاد النصيرية وكان غرض هلال بسو ان يطلب فك الاسرى بالوسائل الحبية فاذا لم يجب طلبهُ لجأوا الى القوة . فبعث رسولاً الى ملكة

النصيرية يعرض عليها فكاك حواء فاجابتهُ ان حواء غادرتهم منذ ايام فظنها حيلة منها لتنجو منهم

وفي مساء اليوم الذي جرى فيهِ الحديث المذكور في اول هذا الفصل رأى الرقباء من ابراج حلب فرساناً تجري في عرض القفر فظنوهم اولاً من طليعة فرسانهم وقد اسرعوا ليبشروا الوالي بالفوز المبين . وكان هلال بسو واحداً من هؤلاء الفرسان وقد علاهُ الغبار وامتزج بعرقهِ حتى كاد يخفي وجههُ عن الابصار فظل سائراً الى بيتهِ وهو يجيب من يسألهُ عن خبرهِ بكلمات مبتورة الى ان وصل البيت فرفع بسو رأسهُ وسألهُ عن خبرهِ وعن حواء فقال دارت الدائرة علينا. فصرخ بسو صرخة عظيمة وكاد يغمى عليهِ . فقال هلال ولكننا لم لا نقطع الامل لانني رأيتُ واحداً من النصيرية اكَّد لي ان حواء هربت من حصنهم

بسو — كلاَّ هذه حيلة منهم اين الجنود هل اخذتم الجبال

هلال — لو اخذنا الجبال ما كنتَ تراني هنا الآن فان النصيرية هبوا في وجهنا واثخنوا فينا ولم ينجُ منا الاَّ كل طويل العمر . وقد كان الفوز لنا في اول الامر فارتدَّ النصيرية من امامنا وخافوا من مدافعنا حتى اذا اوغلنا في الشعب الموصل الى حصنهم ابتدرونا برمي الرصاص وطرحوا علينا حجارة كبيرة من اعالي الجبال فاختلط فرساننا بمشاتنا بمدافعنا واختبطنا اختباطاً فانهزم الجنود وعادوا الى السهل ولم نكد نبلغهُ حتى رأينا رماح النصيرية والاكراد تعمل في اقفيتنا فاركنَّا الى الفرار ولولا سرعة فرسي ما نجوتُ بنفسي

بسو — متى رأيت النصيري الذي اخبرك عن فرار حواء

هلال — رأيتهُ ليلة الواقعة وكان قد أُرسل اليَّ بكتاب فامسكهُ جنودنا في الطريق واخذوا الكتاب منهُ ومزقوهُ لكنهُ توسَّل اليهم ان يوصلوهُ اليَّ فاوصلوهُ فاخبرني ان حواء نجت من الحصن وان الكتاب كان في هذا المعنى وقد كتبهُ لي قائد النصيرية

ولما قال ذلك دخل الغرفة عبد اسود واشار الى يساكر فقام وتبعهُ ثم عاد بعد بضع دقائق وقال جاءنا رسول آخر ببشائر اخرى . فقال بسو ياالله آبائي اين هذا الرسول عليَّ بهِ . وقبل ان يتمَّ كلامهُ دخل فخر الدين ودنا من سريرهِ وقال هانذا يا ابي . فامسك بسو بيدهِ وقال قل لي أخبرني اين حواء . فقال خلصتها خلصتها كن مطمئناً . فقال بسو نعماً يا ابني نعماً سترى بيرقك يخفق فوق الف حصن . نجت ابنتي نجاها اخوها . باركي يا نفسي الرب اله آبائي . قال ذلك واستلقى على ظهرهِ وهو يقول حواء حواء إئتوني بها . فقال فخر الدين ستأتي حالاً والتفت هلال بسو الى فخر الدين وهنأهُ بسلامتهِ لكن يساكر امسك بيديهما واخرجهما من الغرفة قائلاً قد أُغمي عليهِ فاخرجا من هنا

ولم تطل نوبة الاغماء على بسو فافاق منها سريعاً وهو يقول كنتُ احلم بابنتي . فانهُ حلم بها واقفة امام سريره تنظر اليهِ بعينيها النجلاوين وقد زاد نحولها وانكسار جفنيها

الفصل العاشر

لما كان تنكرد في القفر وبلغتهُ اولاد رشاد على ما تقدم رأى أسلوبهم في الحرب خير اسلوب يتبع في تلك البلاد وعزم ان يجري عليهِ في مناجزة جنود حلب والدفاع عن بلاد النصيرية وقال في نفسهِ الحرب خدعة : فاذاع ان النصيرية خافوا من الجنود وتركوا الشعب وتحصنوا في الجبال وراءهُ . فسارت الجنود الى ان دخلت الشعب وهي لا تدري بما دبرهُ لها تنكرد ورجالهُ النصيرية من الحيلة حتى اذا تبطنتهُ وعسر عليها الخروج منهُ اصلاها النصيرية ناراً حامية من بنادقهم واهالوا عليها الحجارة الكبيرة فعاد من سلم منها الى السهل . وكان تنكرد واقفاً لها بالمرصاد في شعب آخر مع فريق من فرسان النصيرية والاكراد فهجم عليها بهم الا ان الفريق الاكبر من فرسان الاتراك كان قد دخل الجبال من شعب ثالث وبلغهُ ما حلَّ بقية الجنود فعاد لنجدتهم وقطع خط الرجعة عن تنكرد ورجالهِ . ونظر تنكرد الى ما وراءهُ فرأى فرسان الاتراك جادَّة في اثرهِ ولو علم الجنود ان فرسانهم بادرت الى نجدتهم لارتدُّوا على تنكرد ورجالهِ ولم يبقوا على احد لكنهم لم يدروا بذلك على ما يظهر بل ظنوا الفرسان نجدةً لعدوهم . ورأى تنكرد الخطر محدقاً بهِ وكان باروني الى جانبهِ فاشار عليهِ ان ينحرف الى اليمين ويوغل في الصحراء الشرقية ورأى تنكرد ان ما اشار بهِ باروني هو عين الصواب فالتفت الى الفرسان الذين معهُ وكانوا نحو عشرين فارساً واشار اليهم ان يعرجوا معهُ نحو اليمين وكانت خيولهم من السوابق فاطلقوا لها الاعنَّة ولم يخيم الليل حتى ابعدوا عن فرسان الاتراك فعادت عنهم يئسة من ادراكهم وظلوا سائرين الى ان وصلوا الى قرية ابتاعوا من اهلها طعاماً وعليقاً لخيولهم ثم نهضوا قبل الفجر وواصلوا السير النهار كلهُ

وكان فصل الشتاء على الابواب وقد هطلت الامطار فاحيت موات الارض وكستها بالنبات فكانوا يجدون المرعى لخيولهم كلما اعياها السير حتى اذا كان اليوم الثالث بلغوا نهراً كبيراً من النواصر التي تصب في الفرات والى جانبهِ قفر لا تصل العين الى مداهُ فنظر باروني اليهِ وقال بادية الشام تراها الآن صحراء قليلة النبات ولكن لا يمضي اسبوعان حتى تجدها بساطاً من الديباج مرصعاً ببدائع الازهار يتضوَّع اريجها فيعطر الارجاء . والتفت تنكرد يمنة ويسرة وقال هذا هو القفر الذي اصبو اليهِ والبداوة التي تحنُّ اليها نفسي

ثم مالوا الى الجنوب وواصلوا السير فالتقوا بذلك النهر ثانية واذا السهل الذي يليهِ بحر

يموج بالمضارب والجمال والخيول والقطعان ونساء البدو خارجات الى الماء جرارهن على رؤوسهن .
ولم يكن الا كلا حول ولا حتى خرج من بين المضارب كوكبة من الفرسان واقبلت على تنكرد ورجاله . فقال باروني لما وقع نظره عليها اخوان ان شاء الله لانه لا ينزل في هذه المنازل غير بني رشاد . ودنا منها وقال بنو رشاد ان شاء الله فقالوا بنو رشاد أباة الضيم وقراة الضيف. فقال اذاً قولوا لاميركم ان صديقة الامير الانكليزي بقرية السلام وهو ضيف عليه الليلة . فادار واحد من الفرسان رأس جواده وغاب عن الابصار ووقف تنكرد وهو يقول عادت بنا الاقدار وارتنا هذا الشيخ الجليل في دياره . ثم ساروا الهوينا نحو المضارب ولم يسيروا طويلاً حتى رأوا الشيخ مالكاً خارجاً للقائهم بموكب عظيم فحيا تنكرد ورحب به وبرجاله ومضى بهم الى خيامه

وكان مع الشيخ مالك في ذلك القفر نحو خمسة آلاف نفس والفا فارس ونحو عشرة آلاف جمال وهو الجانب الاكبر من بني رشاد

وذُبحت الخرفان واوقدت النيران وطحن البن وقدمت القهوة للضيوف ثم جيء بالطعام ووقف الشيخ مالك في خدمتهم حتى اذا شبعوا من الطعام وخرج كل الى مضربه اختلى تنكرد بالشيخ وسأله عما اذا كان يعلم شيئاً من امر حواء فقال كلا وماذا جرى لها. فاخبره تنكرد باسرها في بلاد النصيرية وهربها مع فخر الدين. فقال له الشيخ اذاً هي الآن في حلب وسأخبرك بجلية امرها بعد بضعة ايام ثم استدعى واحداً من رجاله وامره ان يرسل رسولاً الى حلب في الحال. ثم قال لتنكرد وما اوصلك الى بلاد هؤلاء الملاعين عبدة ابليس فقال تنكرد القصة طويلة وسأخبرك بها ولكن لا يخفى عليك انهُ مضى عليَّ ثلاثة ايام وانا على ظهر جوادي ولو لم التقِ بكم هنا ما كنت ادري ما يحلُّ بي لاني لا استطيع ان احتمل هذه المشاق طويلاً . واذا كانت حواء سالمة فهذا حسبي وغاية مناي ولكن ما هي غاية مناي وما هي الاماني وما هي الحياة وما هو الانسان ثم وقع الشبق من يده وران الكرى على عينيه فنام

الفصل الحادي عشر

التقى القنصل بسكوالجيو بالخواجه باريزي في احد شوارع القدس وقال له بلغني ان بسو متقدم نحو الصحة . فقال باريزي نعم ولكنهُ لم يجز الخطر على ما اخبرني طبيب الامير الانكليزي . فقال القنصل ما اتى به الى هنا كان يجب عليه ان يبقى في حلب. فقال باريزي هو يأتي القدس كلما انحرفت صحتهُ لانهُ يقول ان هواءها اصلح شيء لشفائه واذا لم يشف فهو يحب ان يُدفن في وادي يهوشافاط . فقال القنصل ولكنهُ ليس في القدس الآن . فقال باريزي ما مرادك

بذلك فاني ذاهب الآن لعيادتهِ . فقال القنصل الظاهر انك لا تعرف شيئاً لانهُ في بيت عنيا وليس في القدس

فقال باريزي القدس او بيت عنيا على حدٍّ سوى ولكن متى تتكلل ابنتهُ يا ترى

القنصل — لا تتكلل الاَّ بعد ما يشفى ابوها

باريزي — اسمعتَ في زمانك ان الاكراد غلبوا عساكر النظام

القنصل — اكراد من قال لك ذلك . عساكر من الروس في لباس الاكراد . وقد غنموا منهم مدافع مسبوكة في بطرس برج ووجدوا اوراقاً مع واحد منهم تكشف كل المخبإ وستنشر كلها عن قريب وقد كتب لي القنصل لورلاً من الشام ان المسألة الشرقية انفتحت من جديد

فاضطرب باريزي من هذا الخبر وقال لهُ هذا الذي كنت اخشاهُ فان الوزير بامرستون لا يقرُّ لهُ قرار حتى يمتلك القدس

القنصل — هذا شأن الانكليز فانهم لا يكفُّون عن فتح الاسواق لمتاجرهم

باريزي — الحق بيدهم وانا سأُوسع شغلي هنا ولكن اخاف ان بيت بسو يحتكر الاقطان كلها

القنصل — اظن ان الانكليز لا ينجحون عندنا فانهُ ليس عندنا شيء نعطيهم اياهُ بدل بضائعهم وخير لنا ان نجلب بضائعنا من بلاد النمسا فان النمساويين يعطوننا بضائعهم ويستعيضون عنها بالصلبان والمسابح

باريزي — اما انا فلا اريد ان اتاجر بالصلبان والمسابح

القنصل — ولكن ابن عمك يتاجر وقد امر الصناع في بيت لحم ان يصنعوا لهُ مقداراً كبيراً منها

باريزي — خزاهُ الله ولكن ما الحيلة فان كان الناس يطلبون الصلبان والمسابح فلا بدَّ من تقديمها لهم والتجارة تمدّن الدنيا

وبينما هما في هذا الحديث مرَّ بهما فارسان ووقفا امام باب حسن نجيب فقال القنصل من هذان الفارسان فقال باريزي هما الامير الانكليزي وتابعهُ وقد غابا عنا ستة اشهر مضيا فيها الى مصر

القنصل — اظنهُ ذهب الى هناك ليرى هيا كل المصريين القدماء ويصطاد التماسيح مثل كل الانكليز

باريزي — لقد احسن برجوعهِ الى هنا لان القدس اجمل مدن الدنيا

القنصل — اجمل مدن الدنيا البندقية لا القدس

باريزي — من اين عرفت هل رأيتها

القنصل — لم ارَها ولكن اسلافي بنوها وعندي صورة من صورها

باريزي — لم اسمع احداً شبَّه البندقية بالقدس قبلك

القنصل — القدس لا تستحق ان تكون جارية عند البندقية

باريزي — اعلم يا خواجه بسكالجو الذي يسمي نفسهُ قنصلاً ان القدس مدينة الله وقرَّة عين الانسان

القنصل — بُش

باريزي — بُف

القنصل — لا بدَّ لبسومن ان يتركها حالما يتعافى

باريزي — هذا الكلام لا تجاسر على التفوُّه بهِ في حضرتهِ

القنصل — مَن ؟ انا ؟ أتقول لقنصل دولة عظيمة انهُ لا يتجاسر

باريزي — نعم اقول لابن قوّاس قنصل النمسا في صيدا

القنصل — سترى ما يجعلك تندم على هذا الكلام وساكتب اليوم عنك الى سفيرنا في استانبول

باريزي — لماذا تكتب اذهب بنفسك ما دمت قد تعبت من الاقامة في القدس

ورأى القنصل انهُ أُفحم عن الجواب فالتفت الى خصمهِ ونظر اليهِ نظر الغيظ والتوعُّد وسار في سبيلهِ

وترجَّل تنكرد ودخل البيت وكان قد استأجرهُ منذ نصف سنة ولم يقم فيهِ اما باروني فكان يعرفهُ جيدًا من قبل . وكان قنصل بيروت قد بعث بفريمان وترومان الى القدس فوصلاها سالمين . وكان الكولونل براس في ذلك اليوم يتغدَّى عند قنصل الانكليز ويأكل نوعًا من الحلوى علَّم الطباخ كيفية طبخهِ . والقس برنارد في بيت لحم يعاون المطران في تعليم بعض النساطرة الذين انضموا الى الكنيسة الانكليزية . والدكتور روبي في غور الاردن يفتش عن بعض الحشائش الطبية . اي ان تنكرد عاد الى بيتهِ فلم يجد فيهِ احداً من الرجال الذين انفذهم ابوهُ معهُ ليساعدوهُ في رحلتهِ . فتفقَّد غرف البيت كلها ثم التفت الى باروني وقال لهُ اني صغير النفس جدًّا ولم اكن اظن اني ادخل القدس فلا اجد فيها ما يسرني فقال باروني هذه نتيجة لازمة عن الانتقال السريع من البداوة الى الحضارة . ثم اراد ان يرسل وراء الكولونل براس فمنعهُ تنكرد من ذلك قائلاً دعهُ يرجع من نفسهِ لكي لا نقلق احداً

ومضى النهار وتنكرد يقرأُ او يمشي من غرفة الى اخرى وهو مشغول البال مضطرب الافكار .

ونام باكرًا تلك الليلة . وعاد الكولونل براس في المساء واستغرب لما بلغهُ رجوع تنكرد واراد ان يراهُ فمنعهُ باروني. وعاد بعدهُ القس برنارد من بيت لحم وكان بعض الطغام قد لحقوهُ في الطريق ليسلبوهُ نسخة من التوراة مواسكها من الذهب اهدتها اليه كونتس بلامونت قبل سفرو مع ابنها فضربوهُ لكنهُ نجا منهم سالمًا . وعاد الدكتور روبي بحشائشهِ قرب نصف الليل فوجد ابواب المدينة مقفلة فاضطرَّ ان ينام في وادي يهوشافاط وكان معهُ خادم فاكل الحشائش لكي لا ينام جائعًا

ومضى الليل على تنكرد وهو يحلم احلامًا مزعجة فيرى نفسهُ تارةً في البرية وطورًا في حصن الصيرية واخرى في قصر بلامُنت ويرى امهُ ويدنو منها ليعانقها فيراها استحالت الى الهة من آلهة السوريين وجهها مثل وجه حواء

ونهض في الصباح باكرًا وكتب ورقةً للكولونل براس يقول لهُ فيها انهُ خارج للنزهة ويعود بعد ساعة من الزمان واعطى الورقة لخادمهِ فريمان وخرج من المدينة وصعد على جبل الزيتون وكان الجو صافيًا والنسيم عليلاً فوقف في مكان يشرف على المدينة وجعل يقلب طرفهُ في ابراجها وحصونها وينظر الى ما حولهُ من البلاد وهو يستنشق نسيم الصباح الى ان علت الشمس ولذعتهُ بحرها فعاد ادراجهُ ولكنهُ لم يُسِر نحو المدينة بل سار في جهة اخرى الى بيت عنيا

الفصل الثاني عشر

مالت الشمس الى المغيب وبسطت اشعتها الذهبية على سعوف النخل في بستان حواء وهي جالسة في الرواق الذي فوق الفسقية تلعب بزهرة في يدها وتنظر الى الماء المتدفق امامها وكانت قد تركت تنكرد مع ابيها بعد ان قضى النهار معهُ ومعها وسرد لهما الحوادث التي مرَّت بهِ بعدما التقى بها اولاً في ذلك البستان . وبينما هي غائصة في بحار الافكار سمعت تنكرد يقول لم ارَ لي بدًا من مشاهدة الشمس وهي تغيب عن بادية الشام وقد كدت أُقنع اباكِ بالخروج معي . فالتفتت اليهِ وقالت دخل فصل الشتاء وبرد الهواء فليس من الحكمة خروجهُ الآن . فقال نعم وحبذا لو بقيت الليالي حارَّةً كما كانت حينما زرت هذا البستان اول مرة ما اسعد تلك الساعة. فقالت لا نعلم ما هو السعيد في هذه الدنيا . فقال " ولكن انا اعلم " وجلس بجانبها . فقالت لهُ ان كل ما تكلمنا عنهُ هذا ايضاح لهُ نتيجة واحدة وهي الغم والشجن ولذلك تراني كمن يخبط في وهدة اليأس لا لانني قنطت من رحمة الله بل لانني اخشى من اننا اضعنا جانبًا كبيرًا من قوانا عبثًا وقد نكون من طلاَّب الاماني التي لا تنال وقصاد المطالب التي لا تُدرَك

تنكرد — اما انا فايماني وطيد ولا اتقلقل الاَّ اذا وجدتُكِ انت متقلقلة

فتبسمت وقالت قد يكون ما اراهُ من الحزن من قبيل ما يشعر بهِ كل احد عند غروب الشمس . فقال لا يجتمع الحزن مع الحب ولقد طالما خامرني الحزن وانا وحدي ولكنني اذا جلست معكِ انتعشتْ نفسي وفرَّجت كربتي

فقالت ولكنك لم تكن كذلك قبل هذه الحوادث حينما كان غرضك روحياً محضاً حينما كنت تفكر بالملائكة والوحي اما الآن وقد رأيتَ ما رأيتَ من الحيَل والدسائس والمشاكل فلم يبقَ ايمانك كما كان

فنظر في وجهها وقال " انتِ الملاك الذي كنتُ اطلبهُ فلم يزل ايماني وطيداً لا يتزعزع ولم يزل غرضي روحياً محضاً . آهِ يا حواءِ ألاَ تتنازلين وتقبلين قلباً لا يحبُّ سواكِ نعم اني انا ايضاً اشعر احياناً كثيرة بشيء من القنوط ولكنني لا اشعر بذلك الاَّ حينما ارى نفسي تحبُّ من اخاف ان لا تحبني " . وكان قد امسك بيدها فابقت يدها في يدهِ وقالت لهُ بصوت يكاد لا يُسمع لا يمكننا ان نتكلم في هذه الامور لانك تعلم ما يفصل بيننا

فقال لا اعلم شيئاً ولا اريد ان اعلم الاَّ بما اشعر بهِ من الحب لكِ

فقالت انسيتَ اني من امة وانتَ من اخرى اليك عني يا ابن اوربا يا ابن الامة المسيحية . قالت ذلك وحاولت نزع يدها من يدهِ . فقال نعم انني اوربي مسيحي ولكنني احبُّ فتاة من الامة التي جاء المسيح منها فلماذا ابتعد عنكِ

فقالت هذا هو الجنون بعينهِ

فقال "بل هو الهام الحي ولا افارق هذا الرواق الذي التقينا فيهِ اول مرة ما لم تقولي لي ان قلبينا متحدان على اتمام الغرض الذي خلقنا لاجلهِ . ولا تقولي لي ان امتي تخالف امتكِ وبلادي تخالف بلادكِ فانني لا امة لي ولا بلاد اما الروابط التي تفصلني عنكِ وتمنعني عن الارتباط بكِ فقولي لي انكِ تحبينني فامزقها وادوسها تحت قدميَّ " . ولما قال ذلك وقع رأسها على صدرهِ فقبَّل جبينها ونظر الى عينيها فرآها قد غابت عن الصواب فوضع رأسها على وسادة وجعل يرش الماء على وجهها و يفرك يديها حتى افاقت وفتحت عينيها وحينئذٍ سمع صوتاً وجلبةً في البستان واناساً ينادونهُ باسمهِ فالتفت واذا اناس كثيرون والمشاعل في ايديهم حتى اذا دنوا منهُ رأى بينهم الكولونل براس والقس برنارد والدكتور روبي وخادميهِ فريمان وترومان وكثيرين من العبيد والغلمان فقام للقائهم وسألهم عن سبب تفتيشهم عنهُ فاخبرهُ الكولونل براس ان اباهُ وامهُ وصلا القدس . انتهى

تذييل يُفهم من الرواية ان تنكرد اقترن بحواء بعد ذلك ونقض الحواجز القديمة التي كانت تفصل بين الانكليز واليهود وان اقترانها به كان برضى خطيبها لان امياله ومشاربهُ لم تكن مثل اميالها ومشاربها . وكل ما في الرواية موضوع وضعاً كما لا يخفى ولكن ليس العبرة بحوادثها واسماء الرجال المذكورين فيها وكونها صحيحة او غير صحيحة بل بالصور الادبية والمعاني السامية التي وعتها مما جادت به مخيلة اشهر كاتب بين الكتاب وادهى وزير بين رجال السياسة

بناء الاجسام الحية

خطبة الرئاسة للسر وليم ترنر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني (تابع ما قبله)

تكاثر الخلايا

يظهر ان فون موهل النباتي كان اوَّل من انتبه الى تكاثر خلايا النبات بالانقسام وذلك سنة ١٨٣٥ . لكن لم يُعرف اصل النواة ووظيفتها في تكوُّن الخلايا الجديدة الاَّ بعد ان اهتمَّ العلماء بدرس البيضة في حيوانات مختلفة وما يحصل فيها من التغيرات بعد تلقيحها . وقد انتبه فون بير وغيره من الباحثين الى الحويصلة التي نسبتها الى البيضة نسبة النواة الى الخليَّة وذلك قبلما نشر شوان كتابهُ المشهور سنة ١٨٣٩ . وباصلاح وسائط البحث ظهر انهُ يصير في البيضة حويصلتان بعد ان كان فيها حويصلة واحدة ثم يصير فيها اربع حويصلات بدل الاثنتين ثم ثمانٍ وهلمَّ جرًّا بالتضعيف الى ان تحوي البيضة كثيرًا من الحويصلات وفي كلٍّ منها نواة. وعليهِ فالحويصلات خلايا تكونت داخل الجرثومة الاصلية التي في البيضة. وقد وصف مارتن بري هذه التغيُّرات سنة ١٨٣٩ و ١٨٤٠ برسالتين قدمهما الى الجمعيَّة الملكية في مدينة لندن وسمَّى الهيئة التي تظهر على ظاهر البيضة حينئذٍ من تكوُّن الحويصلات فيها بالهيئة التوتية نسبة الى ثمر التوت . وابان ايضًا ان الحويصلات تنتظم طبقة داخل غلاف البيضة اي داخل المنطقة الشفافة وان الجنين كلهُ مؤلف من خلايا مملوءة باصول خلايا أُخرى . والخلايا الجديدة تتولد من حويصلة البيضة او نواتها فان المادة التي فيها تدخل بناء الخليتين الاولين وفي كل منهما نواة ثم تنقسم كل خلية الى اثنتين وهلمَّ جرًّا. فثبت حينئذٍ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن داخل الخلايا القديمة. ثم ابان في رسالة ثالثة نشرها سنة ١٨٤١ ان الخلايا الجديدة تتكوَّن بانقسام نواة الخلية التي تتولد منها لا من تبلور السائل الذي في الخلية ولا من الجرثومة التي خارجها

ونشر جون غودسير رسالة سنة ١٨٤٢ وافق فيها على ان النواة هي الجزء النامي من الخلية ومنها تتكوَّن خلايا أُخرى ونشر رسالة ثانية بعد ثلاث سنوات موضوعها المراكز الغذائية وصف فيها الخلايا وقال ان نواها اصل الخلايا الحديثة التي تملأُ فراغ الخلية الاصلية من وقت الى آخر . وبحث ايضاً عن تكوُّن الخلايا في الخلايا الغضروفية مدة الالتهاب وفي غيرها من خلايا الانسجة الاخرى التي فيها تغيرات باثولوجية

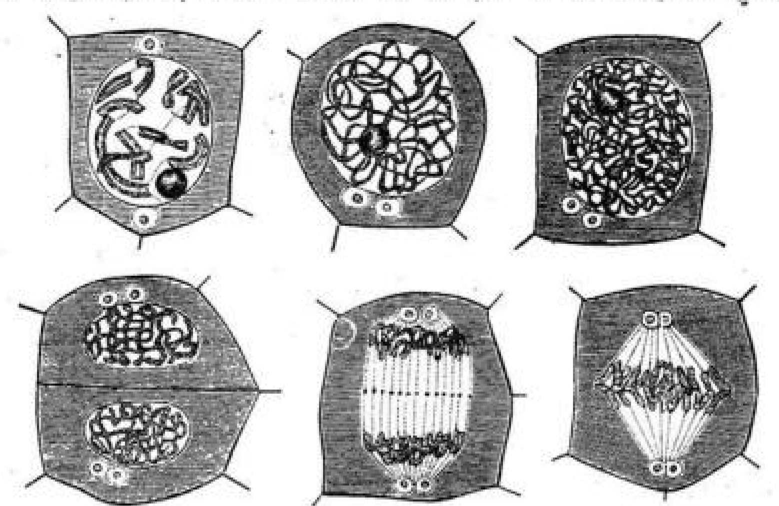
وتولد الخلايا من خلايا أُخرى سابقة لها على هذا الاسلوب مطابق لما يعلم الآن من امر الخلايا بعد ان اتسع نطاق البحث فيها

ونشر روبرت دمارك سنة ١٨٤١ انهُ رأى في الكرية من كريات الدم نواتين واستدلَّ من ذلك على تولد الخلايا بعضها من بعض بانقسام النواة في الخلية الاصلية التي تتكون منها الخلايا الجديدة ولكن لم يثبت انقسام النواة الأ سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٥٥ فانهُ ابان حينئذٍ ان النوية تقسم اولاً ثم يتبع انقسامها انقسام النواة ثم ينقسم جسم الخلية وغشاؤُها . واتضح من متابعة البحث ان الخلايا تتولد بعضها من بعض اما بانقسام النواة داخل الخلية الاصلية او بتولد حبوب من الخلية الاصلية كبراعم تنتأُ منها

(ثم شرح الخطيب كيفية انقسام الخلايا على حسب الاسلوب الذي شرحناهُ في الجزء الرابع من المجلد الحادي والعشرين من المقتطف وقد اوضحنا ذلك بالصور المدرجة على الصفحة التالية الاولى منها صورة خليَّة نباتية فيها نواة وخيوط مشتبكة وثلاث نويات وخارج النواة كرتان . والثانية خلية تخنت خيوطها واستعدَّت للانفصال . والثالثة خلية تقطعت خيوطها وذهبت كرية من كريتيها الى جانب والكرية الثانية الى الجانب الآخر . والرابعة خلية صارت كل كرية من كريتيها اثنتين وكل قطعة من خيوطها اثنتين وصارت نواتها كلها في شكل مغزلي . والخامسة خلية انفصلت قطع خيوطها وكادت تنفصل كلها والسادسة خلية صارت خليتين كلاًّ منها مثل الخلية الاصلية المرسومة في الشكل الاول. ثم انتقل الى وصف خلايا الاعصاب وقال انها لا تفرز شيئاً مثل سائر الخلايا التي تتناول من الدم او من السوائل المحيطة بها غذاء تصيرهُ افرازاً خاصاً بالعضو الذي هي منهُ ولكنها تغتذي لتولد القوة التي تظهر من الحيوان وهي المعروفة بالقوة العصبية . وقد عرف ان في كل خلية عصبية نواة كبيرة ويمتد منها نتوٌّ او اكثر وان الالياف الممتدة منها اجزاء جوهرية . وبعد ان اطال في وصف الخلايا العصبية وما يتفرع منها قال ما خلاصتهُ) انهُ قامت الادلة على ان نواة الخلية وسائلها يفعلان في تغذيتها فاذا كانت الخلية عاملةً زادت حجماً هي ونواتها واذا تعبت من كثرة العمل تقلصت نواتها

وصغر حجمها ونقاص السائل الذي فيها وقلت مادَّتهُ التي تتلوَّن كأنها أُنفقت بالاستعمال .
ومن هذا القبيل ان الحيوانات التي تشتو اذا بلغ نشاطها اقلهُ قلت المادة التي تلوَّن في خلاياها العصبية عما تكون عليهِ والحيوان مستيقظ نشيط الحركة

واذا بلغت الخلية العصبية اشدها من النمو لم يظهر انها تكوّن خلايا أُخرى مثلها بالانقسام الباطني كما تتكوَّن الخلايا في غالب الانسجة كأنَّ قوة الخلايا العصبية كلها تنفق في سبيل



عملها الخاص بها لا في سبيل اخلاف نسل منها ولذلك اذا تلف جانب من الخلايا العصبية الدماغية لا يتولد غيرها عوضاً عنها كما تتولد الخلايا في العظام والاوتار

البكتيريا او الميكروبات

ابان كوهن ودوباري منذ نحو ثلاثين سنة انهُ توجد احياء صغيرة سُمّيت البكتيريا او الميكروبات . وظهر انها مختلفة الاشكال بعضها نقط مستديرة وبعضها قضبان مستطيلة وبعضها متمعج او ملتف وكلها صغيرة جدًّا لا تفحص الاَّ بالميكروسكوب الذي يكبر كثيرًا لان قطارها الاقصر ليس اكثر من جزءٍ من خمسة وعشرين الف جزءٍ من العقدة اي عشر قطر الكريَّة البيضاء في دم الانسان. وقد ثبت من مباحث باستور ولستر وكوخ وغيرهم من ارباب البحث ان لهذه الميكروبات شأناً كبيرًا في الطبيعة فتفعل فعلاً كبيرًا في المواد الآلية ولاسيما ما كان منها كثير التركيب الكيماوي فتحلها الى بسائطها المركبة منها . وبذلك يكون لبعضها

فائدة كبيرة ولولاها ما امكننا الجري في كثير من الاعمال الصناعية . وللبعض الآخر اثر سيء في توليد الامراض وهو الذي يُذكَر اسمهُ اكثر من غيرهِ

وقد كثر البحث عن بناء الميكروبات وكيفية تولدها . فاذا بُحث عنها وهي حية وكُبِّرت الفيْ ضعف ظهر الميكروب منها كذرَّة صغيرة محدودة الجوانب ولا يظهر اولاً انهُ يحيط بهِ غلاف ما . ولكن هذا الغلاف او الغشاء موجود يظهر ببعض الفواعل ومادة الميكروب داخلهُ حبيبية يمكن تلوينها ببعض الاصباغ . ولا تعلم حقيقة هذه الحبيبات حتى الآن لصغرها الفائق ولكن يرى بعض الباحثين ان الميكروب مادة بروتوبلازمية ذات حبيبات وهذه الحبيبات اجزاء من البروتوبلازم نفسهِ ومهما يكن من ذلك فالميكروب اصغر الاحياء المستقلة بنفسها التي كشفت حتى الآن

وتتكاثر الميكروبات بالانقسام اي ان الميكروب الواحد يكبر وينقسم الى اثنين وكل واحد من قسيميهِ يكبر وينقسم الى اثنين . وهذا الانقسام او التولد سريع جداً اذا ناسبتهُ احوال النور والهواء والحرارة والرطوبة والغذاء حتى تتولد الوف كثيرة من الميكروب الواحد في ساعات قليلة

ويتولد من كثير من الميكروبات ايضاً بزور تفرق عنها في انها تقاوم الفواعل الخارجية مقاومة شديدة ثم تنمو وتولد نوع الميكروب الذي تولدت منهُ فكأنها وُجِدت ليحفظ بها نوع ذلك الميكروب في احوال ينقرض بها لولا تلك البزور

وقد مضى الوقت الذي كنا نفتش فيهِ عن اصل الموجودات الحية وعن كيفية تكوُّنها من المواد غير الحية لانهُ في عصرنا الحاضر لا تتولد الاحياء الاَّ من احياء اخرى سابقة لها ولو كانت بسيطة البناء كالميكروبات او جزءا اصليًّا في بناء الاجسام الحية كالخلية

تكوُّن البيضة

يتوقف امر الحي على خلية البيضة الملقحة التي يتولد منها فلننظر الآن قليلاً الى كيفية تكوُّن الجنين من البيضة ولنفرض انها بيضة طائر

لاحظ ولف في اواخر القرن الماضي ان ابتداء جنين الفرخ يرافقهُ تكوُّن طبقات في البيضة فتظهر اولاً طبقة سميت الطبقة المخاطية وتتلوها طبقة ثانية سميت الطبقة المصلية ثم طبقة ثالثة متوسطة بينهما سميت الطبقة الوعائية . ولم تعرف حقيقة هذه الطبقات حتى قام شوان وابان ماهية الخلايا وعلاقتها ببناء الحيوان . ونعلم الآن ان كل طبقة مؤلفة من خلايا وان كل انسجة الجسم واعضائهِ ناتجة منها وقد بحث كثيرون من العلماء في هذه الطبقات ليعلموا ما نصيب كلٍّ منها في تكوين جسم الجنين ولاسيما في الحيوانات العليا فوصلوا الى هذه

النتيجة وهي ان كل نوع من الانسجة يتولد من هذه الطبقة او تلك لا يتولد من غيرها وان الطبقة الوسطى وهي الوعائية يتولد من خلاياها اكثر اجزاء الجسم فيتولد منها هيكل العظام والعضلات وغيرها من اعضاء الانتقال والجلد الحقيقي والجموع الوعائي مع الدم وغير ذلك من الابنية . ويتولد من خلايا الطبقة الداخلة بطانة القناة الهضمية الابيثيلية والغدد المفتوحة فيها وبطانة المسالك الهوائية الابيثيلية . ويتولد من خلايا الطبقة الخارجية البشرة والمجموع العصبي . وهذا الامر الاخير من الغرابة بمكان عظيم لانهُ يتكوَّن من طبقة واحدة البشرة الجلدية التي تقي الجسم وتسلخ قشورها كما احتكَّ بالمناشف او بالثياب ويتولد منها ايضاً المجموع العصبي مع الدماغ وهو ارق اجزاء الجسم. والفرق بين الخلايا التي تتألف منها البشرة والخلايا التي تتألف منها الاعصاب بالغ حدَّهُ لان خلايا البشرة همها الاكبر توليد خلايا اخرى بدل الخلايا التي تزول بالاحتكاك او تنقشر من الجسم وخلايا المجموع العصبي فقدت قوة التوليد على ما يظهر

وتكون خلايا كل طبقة من هذه الطبقات متشابهة في اول الامر شكلاً ويظهر ايضاً انها متشابهة بناء وخواص . ومع تقدُّم النمو يظهر الاختلاف في صفاتها ثم تتباين الانسجة التي تتكون من كل طبقة و يظهر الفرق بينها واضحاً فيكون البناء من شكل واحد في اول الامر حسب الظاهر فيصير لكل قسم منهُ شكل خاص بهِ. وفي الوقت نفسهِ تتكاثر الخلايا بالانقسام فيزيد حجم الجنين مع تولد التباين في بنائهِ ويستمرُّ ذلك الى ان يصير للجنين الشكل الخاص بنوعهِ و يصير بحيث يستطيع ان يولَد ويوجد مستقلاً

وتكون الخلايا في اول الامر متماثلة في صفاتها فتستحيل الى انسجة مختلفة بواسطة قوى ملازمة لخلايا كل طبقة من الطبقات الثلاث المتقدم ذكرها . والشان الاكبر في ذلك للنواة التي في الخلايا لانها هي التي تؤَثر في التغذية والافراز فتفعل في تنويع الانسجة . لانهُ اذا كانت الانسجة مختلفة في صفاتها كالالياف العضلية والغضاريف والانسجة الليفية والعظام تتولد كلها من خلايا الطبقة الوسطى فالامر واضح انهُ يوجد مع الاختلاف البنائي الذي يتنوع بموجبهِ شكل العضو اختلاف كياوي يتنوَّع بموجبهِ بناؤُهُ وتظهر نتيجتهُ في الاختلافات الفسيولوجية وتصير الانسجة والاعضاء قادرة على تحويل القوَّة الحاصلة من الغذاء الى قوة عضلية او عصبية او غيرها من اشكال الافعال الحيوية . ويحدث مثل ذلك في خلايا الطبقة الداخلية والخارجية . ولذلك فدرس طبقات الخلية في الجنين يرينا كيف تكونت كل اجزاء الحيوان المركبة من الخلية البسيطة ذات النوى وهذا الدرس هو الاساس الذي بني عليهِ علم الاحياء بكل فروعهِ

واذا اردنا بالعضو في العرف البيولوجي الجسم المركب الذي يقدر ان يفعل فعلاً طبيعياً فالخلية ذات النوى عضو في ابسط حالاتهِ . واذا كان الحيوان او النبات قائماً بخلية واحدة فذلك العضو في ابسط درجاتهِ. والحيوانات والنباتات العليا مكونة من كثير من هذه الاعضاء ولكل عضوٍ منها حياة يستقلُّ بها وحياة يرتبط بها بغيرهِ لكي تعمل كل هذه الاعضاء معاً بالاتفاق لغرض عام وهي مثل المغازل في المعامل فان كلاً منها يدور وحده مستقلاً عن غيرهِ وكلها تعمل معاً في غزل الخيوط التي ينسج النسيج منها

وقد اقتضى ايصال ما نعرفهُ عن بناء انسجة الحيوان والنبات واعضائهما الى ما وصل اليهِ الآن بحثاً متواصلاً اكثر من خمسين سنة (وهنا ذكر الخطيب اسماء الذين لهم الباع الاطول والفضل الاكبر في هذه المباحث وسيأتي الكلام على تتمة خطبتهِ في الجزء التالي)

البوم وطباعهُ

البوم طائر الشؤم وناعي الخراب تسمع صوتهُ في الليلة الظلماء فتتذكر ما قصتهُ عليك جدتك في صباكِ من قصر تردَّد عليهِ البوم ينعب في شرفاتهِ فلم يعتم ان مات اهلهُ وتقوَّضت اركانهُ وبيت وقع البوم على سطحهِ وانذر ساكنيهِ بالخراب فدبَّ فيهم الفناء وانقرضوا عن آخرهم . وقد يخطر على بالك ما جاء في كتاب سراج الملوك وهو " ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرًا لهُ يحدثهُ فكان في ما حدثهُ بهِ ان قال يا امير المؤمنين كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها فقالت بومة البصرة لا افعل الاَّ ان تجعلي لي صداقها مئة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلَّمهُ الله علينا سنة واحدة فعلتُ لكِ ذلك " فتقول في نفسك ان البوم لم تُرْبَط صورتهُ بالخراب لانهُ نذير بهِ بل لانهُ يقيم فيهِ ليأكل ما يجدهُ من الجرذان وصغار الحيوان ولكن يبقى الوهم الاول سائدًا على النفوس فلا يسمع العامة صوت البوم الاَّ تعوذوا منهُ ولا يسمعهُ الخاصة الاَّ تذكروا اقاصيص العجائز

وشكل البومة معروف تمتاز بهِ عن غيرها من الطيور وكذلك هيكلها العظمي واخص ما تمتاز بهِ ظاهرًا اتساع عينيها ودائرتان كبيرتان حولها ولبعضها قرنان من الريش في رأسها كما ترى في الشكل التالي. وهي طائر ليلي يطير ليلاً وينام نهارًا ويبهرهُ النور في النهار لكن بعضها يطير نهارًا وينقضُّ على فرائسهِ في عين الشمس . وبيضها ابيض مستدير وفراخها تولد مغطاة

بالزغب وانواعها كثيرة عدُّ منها نحو مئتي نوع بعضها كبير جدًّا في حجم النسر وبعضها صغير في حجم السماني . وهي منتشرة في كل اقطار المسكونة من الاصقاع القطبية الى جزائر المحيط

وطعام البوم لحوم الحيوانات الحية التي تصطادها من الفيران والجرذان والارانب والطيور والحشرات وهي تطلب فرائسها ليلاً فتدنو منها خفية وتطير اليها طيرانًا لا يسمع لهُ صوت لكثرة ريشها والاَّ فلو اشتدَّ صوت طيرانها لدرت بها الفرائس وهربت من وجهها . وغالبها يعشش



في الاشجار لكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفي البيوت والخرب ومن ذلك قول بعضهم

يا قصر جمَّع فيك الشوم واللومُ متى يعشش في اركانك البومُ

ولما كان اكثر طعامها من الفيران والجرذان فنفعها لاهل الزراعة اكثر من ضرها . واشهر انواعها بوم الاهراء وهو منتشر في اكثر الاقطار ومن غريب امره ان انثاهُ وذكرهُ يحضنان البيض معاً في وقت واحد جانباً منهُ تحضنهُ الانثى وجانباً يحضنهُ الذكر وقد اخذ بعضهم بيض البوم وابدلهُ ببيض الدجاج فحضنتهُ البومة الى ان ظهرت الفراخ منهُ . ومنها نوع اميركي

صغير الحجم جدًّا كانهُ العصفور. كتب بعضهم يقول انهُ رأى بومة منهُ تسكن في تجويف شجرة من السنديان هي وسنجاب وهما على اتم الوئام والائتلاف وكثيرًا ما يدخلان الثقب الموصل اليهِ في وقت واحد . والبومة القرناء المرسومة في الصفحة المتقدمة منتشرة في اوربا كلها حتى الدرجة ٤٦ من العرض الشمالي وفي الجهات الشمالية من افريقية وتبلغ بلاد الصين واليابان شرقًا وتكاد تكون من الطيور القواطع . وطعامها الفيران والجرذان مثل غيرها من انواع البوم وقد توجد في عشاشها اقدام الارانب وفضلات الضفادع والغالب انها تغتصب وكر السنجاب وتبيض فيهِ

والبوم الذي أسمع صوتهُ بعض الليالي في القاهرة من البوم الصغير وهو ليلي مثل غيرهِ من انواع البوم لكنهُ قد يطير و يصطاد نهارًا وكثيرًا ما نراهُ على شرفة بيت مجاور لنا بُعيد غروب الشمس وأسمع صوتهُ في اكثر الليل ولعلهُ النوع المشهور في اقاصيص العرب الذي سموهُ بالهامة والصدى وهو الوارد في قول توبة الحميري

ولو انَّ ليلى الاخيلية سلّمت عليَّ ودوني جندل وصفائحُ
لسلمتُ تسليم البشاشة اوزقا اليها صدى من جانب القبر صائحُ

قال الجاحظ "وانواع البوم الهامة والصدى والضوع والخفاش وغراب الليل والبومة و بعضها يصيد الفار وسام ابرص والعصافير وصغار الحشرات وبعضها يصيد البعوض ومن طبعها ان تدخل على كل طائر في وكرهِ وتخرجهُ منهُ وتأكل فراخهُ وبيضهُ وهي قوية السلطان بالليل لا يحتملها شيء من الطير ولا تنام بالليل فاذا رآها الطير بالنهار قتلنها ونتفن ريشها للعداوة التي بينهنَّ وبينها" ونقل المسعودي عنهُ "انها لا تظهر في النهار خوفًا من ان تصاب بالعين لحسنها وجمالها ولما تصوَّر في نفسها انها احسن الحيوان لم تظهر الاَّ بالليل". وهذا القول الاخير من السخائف التي حواها كتاب الجاحظ على ما فيهِ من الحقائق العلمية ولبعدها عن المعقول والمألوف نظن اكثرها مدخلاً فيهِ ادخلهُ النسَّاخ جهلاً منهم

ومن البوم نوع كبير كالنسر يسمى البوم الباشقي ونوع آخر اكبر منهُ واشرس يسمى البوم النسري وهذا كثير في اسيا واوربا وشمالي افريقية وهو يصطاد الارانب واذا عثر عليهِ في النهار نتش ريشهُ تخويفًا لمن يدنو منهُ ويقال انهُ يغلب النسر بقوتهِ وشراستهِ وتجتمع عليهِ الطيور الصغيرة اذا ظهر نهارًا والغراب في مقدمتها وهذا ينطبق على ما ذكرهُ الجاحظ وغيرهُ من كتاب العرب من اجتماع الطيور على البوم

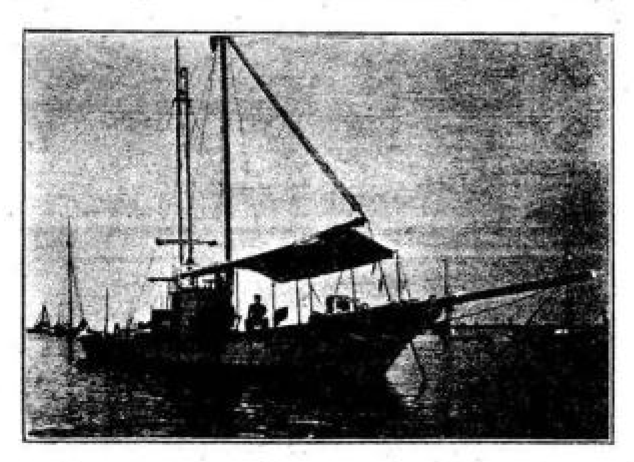


قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

الارغونوت

حضرة منشئ المقتطف الزاهر

اجابةً لاقتراحكم عليَّ اصف لقراء مجلتكم نزولي الى الباخرة ارغونوت وتناولي الغداء فيها وهي في قلب البحر وبقائي نحو ساعتين تحت الماء فاقول: كنت في الصيف الماضي في مدينة بردجبورت وهي تبعد نحو مئة ميل عن نيويورك حيث كنت اصنع الآلات التي استنبطتها



للكتابة العربية وهي مدينة المعامل. وذات يوم جاءني مدير المعمل وناولني رقعة دعوة يقال فيها "تفضلوا للغداء تحت الماء" فدهشت من هذا الخبر لانني لم اكن اعلم شيئاً من امر هذا الاختراع وذهبت مع مدير المعمل فوجدنا نخبة من موظفي الحكومة ورؤساء المعامل ينتظروننا

في سفينة صغيرة تشبه القارب البخاري الكبير لا يستدل من هيئتها الظاهرة على شيء مما يدعيهِ مخترعها

فنزلنا الى هذه السفينة وابعدت بنا عن البر الى ان بلغنا مكاناً عمق الماء فيهِ ٣٢ قدماً (نحو عشرة امتار) فوقف المخترع وقال اننا سننزل الآن الى قاع البحر فهل انتم مستعدون لذلك فأخذ كلٌّ منا ينظر الى وجه غيرهِ وهو بين مصدق ومكذب . وفي السفينة انبوب كبير كمدخنة السفن البخارية كما يرى في الشكل المتقدّم فصعدنا الى اعلاه ونزلنا فيهِ الى اسفل السفينة . واذا جوفها اسطوانة كبيرة من الحديد أُوقدت فيها الانوار الكهربائية وفي مقدمها آلات عديدة وفي وسطها مقاعد على الجانبين وفي مؤخرها غرفتان الواحدة بعد الاخرى جدرانهما وابوابهما من الحديد وفي قاع احداها حوض فيهِ بعض الماء قيل لي انهُ الباب الذي يفتح الى البحر فلا يدخل الماء منهُ وفي الحاجز الذي بين الغرفتين كوى من الزجاج حتى يرى مَن في الغرفة الواحدة مَن في الغرفة الاخرى

وأُقفلت كل نوافذ السفينة وجعل المخترع يسحب الماء من البحر بطلمبة كبيرة ويصبهُ في الفراغ الذي بين ظاهر الاسطوانة التي نحن فيها وجدران السفينة وللحال اخذت السفينة تغوص في البحر غوصاً عمودياً بطيئاً الى ان رست في قاعهِ ولها في اسفلها ثلاث عجلات فوقفت عليها . وكان الهواء يتجدد في الاسطوانة من انبوب طويل ممتد من السفينة يبقى طرفهُ الاعلى فوق سطح الماء وتركنا هناك قارباً صغيراً وقف فيهِ رجل يمنع مرور البواخر فوقنا ويخاطبنا ونخاطبهُ بتلفون

وشرح لنا المخترع تفاصيل اختراعهِ واختارني مع محافظ المدينة[1] لنرافقهُ ونرافق احد الغواصين الى الغرفة الاخيرة التي تفتح في البحر فلا يدخلها الماء فدخلناها معهُ واقفل الباب الموصل منها الى الغرفة الاولى واخذ المخترع يملأ غرفتنا بالهواء المضغوط فضاقت انفاسنا واخذت آذاننا تطن فاشار الينا ان نبلع ريقنا مراراً ففعلنا وبعد نحو خمس دقائق زال ما كنا نشعر بهِ من ضيق النفس وطنين الاذنين وشعرنا براحة تامة غير ان آذاننا ثقل سمعها فصرنا نضطر ان نرفع اصواتنا لكي نسمع ما نتكلم بهِ . ثم قال المخترع للغوّاص افتح باب الحوض ولما قال ذلك خفق فؤادي ونظرت الى المحافظ فرأيتهُ مضطرباً لكنني عدت فقلت في نفسي ان المخترع معنا ولا يمكن ان يخاطر بحياتهِ . وفتح الغواص الباب ولم يدخل منهُ الماء لان الهواء الذي في غرفتنا كان يمنعهُ من الدخول . ومددت يدي الى قاع البحر والتقطت بعض الاعشاب والحجارة وانا بين

(١) سقط سطر من الخبر الذي ذكرناهُ في الجزء الماضي فظهر ان المحافظ هو محافظ نيويورك

مصدق ومكذب ورأيت الاسماك تمرح في تلك المياه البلورية الخضراء ونور الشمس يصل الى قاع البحر على ذلك العمق فينير ظلمتهُ والاَّ فلا تتعذر انارتهُ بالنور الكهربائي . رأيت هناك منظرًا لا انساهُ مدى العمر ولم يخطر ببالي قبلاً اني احظى بهِ يومًا من الايام ولا سيما لانني لا استطيع السباحة

ولبس الغواص ثوبًا خاصًا ونزل من هذا الباب وجعل يمشي حول السفينة ويلتقط من حجارة البحر واعشابهِ ورفاقنا في الغرفة الاخرى ينظرون اليهِ والينا من الكوى الزجاجية التي في غرفتهم . ثم رجع الينا واقفل الباب وجعل المخترع يغير هواء الغرفة التي نحن فيها ويعيدهُ الى حالتهِ الاولى من الضغط فامتلأَت اولاً ضبابًا نحو عشر دقائق ثم صفا هواؤُها وفتح الباب الذي بينها وبين الغرفة الاولى وعدنا الى رفاقنا مدهوشين مما رأينا . واكتفوا هم بما رأوا لانهم شاهدونا من الكوى الزجاجية كأنهم كانوا معنا . وحينئذٍ مُدَّت لنا مائدة من الطعام الفاخر فاكلنا وشربنا كأَننا في فندق على البر لا في جوف البحر

ثم سارت بنا السفينة في قاع البحر على عجلاتها الثلاث مسافة نصف ميل وكنا قد كلمنا الرجل الذي في القارب لكي ينتقل معنا بقاربهِ ففعل . حتى اذا انتهت هذه السياحة الغريبة في قاع البحر فرَّغ المخترع الماء من حول الاسطوانة فصعدت السفينة بنا رويدًا رويدًا الى وجه الماء وهنأنا بعضنا بعضًا بالسلامة وهنأنا المخترع بنجاحهِ التام في اختراعهِ . وقد اقمنا تحت الماء اكثر من ساعتين وكنا نستطيع ان نقيم ساعات كثيرة

والَّف المخترع شركة بعد ذلك باسبوعين للتفتيش عمَّا في قلب البحر من الكنوز وما فيهِ من التحف التي كانت في ما غرق فيهِ من السفن

مصر سليم حداد

تنازع البقاء والتعاون

استفهام

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سأَلكم اديب من قراء المقتطف عمَّا اذا كان ناموس تنازع البقاء يقضي على الانسان باستخدام كل ما يراهُ ممكناً لنيل ما يطلبهُ سواءٌ عمد الى القوة او الحيلة (انظر السؤال ٢٠ من مقتطف نوفمبر) واشار الى ان المخادعة المنتشرة في الناس ممقوتة في شرع الآداب ثم استطلعكم رأيكم في حلّ مسئلتهِ وهي أيجب على الانسان ان يتبع حكم الآداب والفضائل

او ناموس التنازع هذا الذي يقتضي الجهاد والتغلب على الغير بكل واسطة ممكنة

فقلتم في الجواب ان ناموس التنازع لا يوجب على المرء ان ينازع ابناء نوعهِ بل يوجب عليهِ ان يستعين بهم على الانتفاع بجماد الارض ونباتها وحيوانها وختمتم الجواب بقولكم "وجملة القول انهُ يجوز للانسان ان يخادع الحيوان ويحتال على النبات لاجل معيشتهِ ولكنهُ لا يجوز لهُ ان يخادع ابناء نوعهِ بل يجب عليهِ ان يعاونهم و يستعين بهم" واردتم بذلك على ما ارى اجابة حضرة السائل عن بعض سؤالهِ المختص بالآداب فهل تأذنون لي في استزادة الايضاح ولا زلتم منبعاً للفضل وموردًا لطلاَّب العلم

يلوح لي انكم لو خُيرتم في انتقاء اسم لهذا الناموس لاخترتم تسمية هكسلي لهُ كما فعلتم في مباحثكم السالفة في المقتطف حيث دعوتموهُ بقاء الانسب واستخرتموها على تسمية دارون اي تنازع البقاء او الوجود لانَّ هذا التنازع لا بدَّ ان يشتمَّ منهُ رائحة خصام ونزاع مستمرَّين بين افراد النوع الواحد او بين افراد نوع ونوع كما استشعر بذلك حضرة السائل الاديب ولا مشاحة في انَّ هذا النزاع واقع بين الكائنات الحية على تباين انواعها ومنازلها من الشدة والضعف وهو وان كان لا يشاهد في بني البشر في الشدة التي بدا بها في العصور السالفة فما ذلك الاَّ لانَّ منافعهم ومعايشهم وتمدنهم تقضي عليهم بالاخلاد الى السكينة ما استطاعوا او لان ناموس التعاون قد دمث اخلاق البشر كما قلتم فانصرف همهم عن القتال والحرب الى النزاع في الاخذ والعطاء والتجارة وجميع ما نميزهُ بلفظة ادبياً حتى ان ذلك كثيرًا ما يدعوهم الى امتشاق الحسام وتحكيم البنادق كالذي نشاهدهُ في الحروب الحديثة اي ان هذا الخلق الموروث لم يضعف فيهم لكنهُ تحوَّل بقوتهِ الى وجهةٍ اخرى . ومهما قيل في انتشار ناموس التعاون والتعاضد فلا ريب في انَّ ناموس بقاءِ الانسب متسلط على الكائنات من البشر وغيرهم والناس لهُ مساعدون مباشرون كما في مثيري الحروب او قد تكون مساعدتهم لهُ توليديةً كما هو واقع في انقراض سكان جزر الباسيفيك الاصليين وهنود اميركا بعد ان جاورهم البيض

فاذا صحَّ ما تقدَّم كان الانسان غير مخير في اكفاء مطامعهِ وشهواتهِ بمنازعتهِ اخوانهُ من بني جنسهِ او مناجزتهِ الحيوانات البكم فاذا جرى على قول صاحب الناقة الذي استشهدتم بشعرهِ كان بعملهِ هذا مخالفاً لطبيعتهِ وكان مثلهُ مثَلَ الذي يبيت اربعين يوماً على الطوى فانهُ يستطيعهُ لكنهُ ليس من خلقهِ ولا من طبيعة البشر وما استطاعتهُ اياه بدليلٍ على افضليتهِ فكأنَّ المسئلة لم تزل حيث كانت اي ان الآداب تحرّم على المرء منازعة غيرهِ (واذا شئتم فمخادعتهُ) لاحراز النفع لنفسهِ وطبيعتهُ تدفعهُ الى ذلك بدوافع وقابليات لابدَّ لهُ من اكفائها

وفي اكفاء بعضها على الاقل قوام حياته اذ المفروض في هذه الحالة ان كل ذي مُلكٍ شحيح بملكهِ حريصٌ عليهِ لا يطارحهُ ما لم يرَ في اطارحهِ نفعاً يغتنمهُ (ويختلف هذا النفع باختلاف الاشخاص والاحوال والغايات) او ان تكون هنالك قوةٌ تجبرهُ على اطارحهِ او تغتصبهُ منهُ ولا ادري ما الذي يدفع بعض الناس الى عدّ الايثار ناموساً طبيعياً مع انهُ غير عامّ وجلُّ ما يقال فيهِ انهُ قاعدة ادبية موضوعة (هذا في البحث العلمي) فاذا تحاكّ التنازع والايثار كان للأول المنزلة الاولى والشأن الاكبر لانهُ من النواميس التي يصعب خرقها الا في النادر

نعم إنَّ التاريخ لا يخلو من اخبار الذين بذلوا دماءهم وجادوا بالنفوس والاموال فداء لاوطانهم ومرضاةً لمن يحبُّون وانما يستطاع ردُّ هذا الجود وذاك البذل الى اكفاء عاطفةٍ فيهم دفعتهم الى فعل ما فعلوهُ ويؤيّد هذا الظنّ ما نعلمهُ من أنَّ كثيرين منهم لم يتهيأ لهم النظر في الفائدة العائدة لبلادهم او لأحبائهم من عملهم قبل ان فعلوهُ الاَّ فيما ندر كالذي رُوي عن احد ملوك اثينا في فجر تاريخها فانهُ تنكَّر ودخل المعمعة بغية ان يقتلهُ الاعداء خطأً لأنَّ في قتلهِ خلاص مدينتهِ كما كان النبيّ قد سبق فاخبرهُ واخبر اعداءهُ. لكنَّ هذا الحديث وامثالهُ قليلة الوجود وبعضها كهذا داخلٌ في باب الحكايات والاقاصيص التي تروى للذتها وفكاهتها لا لصدقها والاغلب ان يقتل المرء غيرهُ دفاعاً عن حياتهِ. ولا مشاحة في ان الوجه الآخر مؤيد بما نراهُ من اهتمام الكثيرين من الافاضل ببذل اموالهم وانفاسهم في نفع الناس وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين وجوب الاقطار والفيافي في صنع المعروف والخير لكنَّ نسبة هؤلاء الى سائر البشر قليلة ضعيفة حتى لا تكاد تحسب كافية للاستشهاد بما يفعلون في هذا المقام لانهم اقلية عظيمة

واماَّ قولكم ان الانسان يجوز لهُ مخادعة الحيوان فاعدهُ من باب المشاكلة في لفظة المخادعة او انكم تحسبون الانسان ممتازاً في عين الطبيعة عن الحيوان وهو ما لا يسلَّم بهِ فان انانيتنا تمثّل ذلك لنا وساعدنا على تأكدهِ ما فقنا بهِ الحيوان الاعجم من سموّ الادراك ودقة النظر اللذين لم يبلغا فيهِ مبلغهما فينا واما الطبيعة فلا ترى رأينا فاذا صحَّ ما قلتم وحقَّ للانسان ان يخادع الحيوان وقصدتم بالمخادعة معناها الموضوعة لهُ وكان تخويلكم الانسان هذا الحقَّ مبنياً على ناموس مقرَّر او كان الواقع كما هو فعلاً فعلامَ لا يجوز للانسان ان يخادع غيرهُ من بني نوعهِ مخادعةً توقع بالآخر ضرراً مباشرةً او توليداً وهل في نواميس الطبيعة العامة ما يخصُّ الانسان و ينفرد بهِ عن الحيوان لانهُ يختلف عنهُ بانتصاب قامتهِ وعرض اظفارهِ و كونهِ ناطقاً حتى يمتاز بهذه

ثمَّ ان هذا التعاون الذي تشيرون اليهِ لا إخالهُ الاَّ طلاء جميلاً وهو واقع بين بعض الافراد البالغين من التمدن مبلغاً عظيماً لكنهُ بعيد من ان يكون عامًّا ومن المعلوم انَّ الواقع والمشاهدات من اكبر الادلة على وجوب وجود الناموس فان الواقع والمشاهدات كانت السبيل الوحيد لاكتشاف النواميس الطبيعية وهي الطريقة الوحيدة لتمحيصها واكبر ما نراهُ من الشواهد في عصرنا على صحة ما نقدم هذه المطالب التي تطلبها دول اوربا من الصين فانها تبتغي اعدام بعض كبار تلك السلطنة لتثأر مَن قُتل من ممثليها ورعاياها ولتعيد الأمن الى بلاد لمتاجرها فيها اسواقٌ واسعة ولبضائعها رواج عظيم . ومعلوم ان القتل ممنوع ديناً وأدباً وهو مما تنفر منهُ نفس المتمدن لا سيما ما كان منهُ أخذاً بثأر بيد أن نفوس أولي الامر من الاوربيين لم تنقبض منهُ وهم صفوة المتمدنين وخيرة المتأدبين وجميعهم من الذين نشأوا على الاعتراف بفضل الآداب والمجاهرة بانكار النفس والغيرية الى آخر تلك الطنطنة . واماَّ رجوعهم عن طلبهم اعدام من ذكرنا فاذا حدث فالأغلب فيهِ ان يكون سببهُ عجزهم عن القبض عليهم او ايقانهم بأن هذا الاعدام لا يكفل لهم قضاء وطرهم ونيل لبانتهم فيما يرجونهُ من اعادة المياه الى مجاريها وليس للآداب دخلٌ في احد هذين

هذا وانني اعترف بوعورة المسئلة ودقتها والتمس العذر لنفسي في الخوض فيها بما ارومهُ من الوقوف على الحقيقة واشارك حضرة الاديب السائل في الوقوف على باب مقتطفكم الاغرّ استزيدكم ايضاحاً لما اراهُ من التعقيد فيها

اسيوط في ٤ دسمبر ١٩٠٠ خليل ثابت

[المقتطف] نشكر فضلكم على توجيهكم اذهان القراء الى هذا الموضوع الهام . وبعدُ فانكم تجدون في هذا الجزء مقالة لاحد اصدقائكم نعمهُ ان تكون جواباً لاستفهامكم . وقد كتبنا فصلاً وجيزاً في المجلد العاشر في اصل الآداب والفضائل يبين منهُ كيف تولّدت الغيرية في نوع الانسان اي يبين اصلها الطبيعي وسنعيد نشرهُ في الجزء التالي لانهُ وقع في تركيب صفحاتهِ حينئذٍ خطأٌ اخلَّ بمعناه ولم ننتبه لهُ الاَّ الآن . ونحن نوافقكم في ان الانانية ناموس متسلط على البشر وهي متقدمة على الغيرية كما قلنا وفي ان الذين يدَّعون الغيرية لا يفرق جمهورهم عن غيرهم . وكثيراً ما نقف مثلكم نفكر في مطالب هذه الدول وما تدَّعيهِ من الرغبة في الانصاف والانتصاف ولكننا نعود فنقابل احوالها باحوال ملوك المشرق والمغرب السالفين من حين كُتب التاريخ الى الآن فنرى ان دول هذه العصر تفوق الدول السالفة آداباً وفضائل . اين ما تفعلهُ جنودها الآن مما فعلتهُ جنود رعمسيس والاسكندر وقيصر وجنكيزخان وتيمورلنك او مماَّ

فعلتهُ جنود بونابارت منذ مئة عام . وقد نشأت الغيرية في نوع الانسان بُعيد الانانية ومذهب سبنسر انهما نشأتا سويةً قال في الفصل الثاني عشر من المجلد الاول في اصول الآداب ما ترجمتهُ "اذا عرَّفنا الغيرية بانها كل الاعمال التي لا يعود نفعها على عاملها بل على غيره فقد كانت من فجر الحياة لازمة كالانانية والانانية متوقفة عليها كما هي متوقفة على الانانية". وفي ما ترونهُ يومياً من ايثار الام طفلها عليها سواء كان ذلك في الانسان او في العجماوات دليل على ان الايثار ناموس طبيعي عام

هذا من حيث القسم الاول من السؤال ولما كان ناموس تنازع البقاء "او بقاء الانسب" يوجب على الانسان ان يستعين بابناء نوعهِ لان اهل التعاون اصلح من غيرهم للبقاء اقتضى ان تكون هذه الاستعانة على شيء تقوم بهِ حياة الانسان ويحفظ نوعهُ وهو الحيوان والنبات والجماد للغذاء ولقضاء سائر الحاجات فاضطررنا ان نفرع على القسم الاول هذا القسم الثاني. ونريد بمخادعة الحيوان الاحتيال على صيدهِ او على استخدامهِ للانتفاع بلبنهِ وصوفهِ وقوتهِ . وهو وحشي بطبعهِ لا يخضع لنا ما لم نغلبهُ او نخادعهُ وهذا الخضوع لا يضرُّ بهِ لان الحيوانات الوحشية ليست انعم حالاً من الحيوانات الاهلية



التعليم الزراعي في فرنسا

خلاصة المنشور الذي نشرتهُ نظارة المعارف الفرنسوية ارشاداً لمعلمي المدارس في تعليم الطلبة مبادئ العلوم الزراعية وما تبنى عليهِ

ارشادات للمعلمين

ان التعليم الزراعي الذي يمكن ادخالهُ الى المدارس الابتدائية يجب ان يقصد بهِ تنوير ذهن الطالب لا جعلهُ يحفظ القواعد غيباً . ويجب ان يُبنى على مشاهدة الاعمال الزراعية التي تعمل كل يوم وعلى التجارب البسيطة التي يسهل عملها في المدارس الابتدائية وتوضح بها المبادئ العلمية التي تبنى عليها اهم الاعمال الزراعية . ولا بدَّ من ان يتعلم التلامذة سبب هذه الاعمال ولكن لا يطلب منهم ان يتعلموا شيئاً من القواعد والحدود والتفاصيل . ولا بدَّ لكل من

يعيش من الزراعة ان يعرف ما يلزم لنمو النباتات ويفهم اسباب الاعمال الزراعية التي يعملها والشروط اللازمة لصحة الانسان والحيوان وذلك كلهُ لا يُعلَم الاَّ بالتعليم المقرون بالامتحان

والمعلم الذي يكتفي بتعليم تلامذتهِ كتاباً زراعياً حتى يحفظوهُ غيباً لا يفيدهم شيئاً مهما كان الكتاب وافياً بالموضوع اذ لا بدَّ للفائدة من الاعتماد على الامتحان والمشاهدة

ومن المقرَّر ان التلامذة لا يتعلمون كيف يشاهدون و يستفيدون مما يشاهدونهُ ما لم يروا الاعمال بعيونهم و يُرشَدوا الى الحقائق التي تستنتج منها . و يكتفى في المدارس الابتدائية بإعداد التلامذة للاعمال التي ينالون معيشتهم بها وترغيبهم فيها . ولا يرغب العامل في عملهِ ما لم يفهمهُ

والخلاصة انهُ يقصد من التعليم الزراعي في المدارس الابتدائية جعل التلامذة يستفيدون من الكتب الزراعية اذا قرأُوها ومن الخطب الزراعية اذا سمعوها ويحبون الاعمال الزراعية ويفضلون المعيشة في الاباعد والمزارع على المعيشة في المدن والمعامل واقناعهم بان الزراعة افضل المعايش واكثرها ربحاً للذين يستعملونها بالاجتهاد والاعتناء عن فهم ودرية

ويحسن ان تملَّح الدروس كلها بملح الزراعة فتكون قصص كتب القراءة في المواضيع الزراعية ومسائل كتب الحساب في امور زراعية والاشعار التي يقرأُها التلامذة او يستظهرونها في مواضيع زراعية فان ذلك كلهُ يفيد في جعل التلامذة يألفون الزراعة ويحبونها

ويقسم تدريس المبادىء الزراعية الى ثلاثة اقسام

الاول الابتدائي وهو للتلامذة الذين سنهم بين السابعة والتاسعة

والثاني المتوسط وهو للتلامذة الذين سنهم بين التاسعة والحادية عشرة

والثالث العالي وهو للتلامذة الذين سنهم بين الحادية عشرة والثالثة عشرة

والتعليم في القسم الابتدائي هو استطراد التعليم في مدارس الاطفال فيكون بستان المدرسة لتعليم الاشياء التي تعلم في تلك المدارس . والتعليم في القسم المتوسط سنتان على الاقل يعلم التلميذ في السنة الاولى منهما مبادىء العلوم الطبيعية ولا يعلم مبادىء العلوم الزراعية حقيقة الاَّ في السنة الثانية ولكن يقتصر في التعليم فيها على المطالعة ورؤية الاشياء الزراعية ووصفها والمشي في الحقول ومشاهدة ما فيها

وهاك وصف ما يُعلَّم في القسم المتوسط والعالي

القسم المتوسط

في النصف الاول من السنة الاولى يُعلم التلميذ اولاً ان المادة توجد في ثلاث حالات

جامدة وسائلة وغازية وذلك كلهُ بالتجارب المختلفة مثل وضع كوبة في الماء لاظهار الهواء الذي فيها حتى يشعر بهِ اما بخروج الابواق من الكوبة او بما تجدهُ اليد من الصعوبة في انزال الكوبة في الماء اذا كان فمها الى اسفل . او بادخال الهواء الى كوبة مملوءة ماء بواسطة منفخ او بالنفخ بانبوب فيخرج الماء منها حين دخول الهواء اليها . ويستحضر البخار بتسخين الماء و يعاد ماء بتبريده . ويستحضر الاكسجين باحماء كلورات البوتاس واكسيد المغنيس وتمتحن خواصهُ . ويمتحن الهواء بحرق الفصفور فيهِ فيوجد خمسهُ اكسجيناً الخ

ويعلَّم ثانياً شيئاً عن الحيوان فينبَّه الى الاختلاف بين اصناف الكلاب والى الفروق بين الخيل والحمير والى طبائع الدجاج ومجيء الطيور القواطع ورواحها و يُرى كيف تتولد الضفادع والديدان والنحل . ولا بدَّ من كتب توصف فيها طبائع هذه الحيوانات وصفاً بسيطاً فتقرأ قراءة كانها دروس للقراءة

ويُعلَّم ثالثاً وصف جسم الانسان وكيفية تنفسهِ واغتذائهِ ويرشد حينئذٍ الى كيفية الاعتناء بصحتهِ

وفي النصف الثاني من السنة الاولى تكون النباتات قد كبرت وازهرت فيؤتي بها الى المدرسة او يذهب المعلم وتلامذتهُ الى البساتين والمزارع فيشرحها لهم ولا يحسن بهِ ان يشرح لهم امرًا علميًا عن النبات من غير ان يروهُ بعيونهم . ويرى التلميذ كيف تنبت البزور وتمتد الجذور منها الى اسفل و يعلو النبات وتتولد اوراقهُ وذلك بزرع بعض البزور مثل العدس والفول والحمص في صحاف على قطن مبلول . وتشرح لهُ الازهار حتى يرى اعضاءها المختلفة ويميز بعضها من بعض . و يعلم كيفية رسم اعضاء النبات المختلفة اوراقهِ وازهارهِ واثمارهِ و بزورهِ

ويعلم في السنة الثانية كيفية احتراق الفحم ويمتحن امامهُ تولُّد غاز الحامض الكربونيك بالاحتراق ووجود هذا الغاز في الحجارة الجيرية . ويصنع الجير امامهُ بحرق الطباشير ويرى كيف خسر الطباشير من ثقلهِ بذهاب الغاز منهُ ويرى فعل الماء بالجير الحي وخواص الجير المطفإ وخواص ماء الجير . ويعاد الجير الحي امامهُ الى كربونات الجير

ويغسل التراب امامهُ ويفصل بين ما فيهِ من الطين والرمل بالغسل و بالفواعل الكيماوية ويمرَّن على الفصل بينها بيدهِ . ويرى الفرق بين الاتربة المختلفة وتأثير السماد بالمزروعات بزرع بزور في تراب غير مسمد و بزور اخرى في تراب مسمد في آنية صغيرة توضع في المدرسة

اما التعليم في القسم العالي ففوائدهُ الزراعية كثيرة ولذلك ارجأنا الكلام عليهِ الى الجزء التالي

كيف ترتقي الزراعة

وصفنا في الجزء الماضي اندية الزراعة عند اهالي الولايات المتحدة الاميركية والطرق التي يستخدمونها لتوسيع المعارف الزراعية كالاشتراك في امتحان انواع السماد ونشر الكتب الزراعية وترخيص ثمنها حتى يستطيع كل احد ان يشتريها واقامة اناس مثل اساتذة يسألهم الفلاحون كتابة عمَّا غمض عنهم وعسر عليهم فهمهُ ونحو ذلك وبقي الكلام على تعليم المبادىء الزراعية في المدارس الابتدائية

اهتمَّ الراغبون في تقدُّم الزراعة منذ عهد طويل بادخال التعليم الزراعي الى المدارس الابتدائية وطلبوا من الحكومة الاقرار على ذلك فاقرَّت عليهِ في بعض الولايات ولكن على غير جدوى لان التعليم الزراعي مبني على بعض العلوم العالية كالكيمياء والجيولوجيا والفسيولوجيا النباتية والحيوانية وهذه العلوم لا يمكن تعليمها للاحداث في المدارس الابتدائية ولا كان المعلمون قادرين على ايضاح مبادئها للتلامذة مما يشاهدونهُ حولهم فكان لا بدَّ من تغيير نظام التعليم كلهِ حتى يسهل ادخال العلوم الزراعية الى المدارس الابتدائية . وقد تمَّ ذلك الآن في الولايات المتحدة فصار اساتذة العلوم الزراعية يعلمون الشبان في مدارس المعلمين مبادىء العلوم الزراعية على حسب الاصول الطبيعية من غير التجاء الى كتب التعليم وبذلك يتمكنون متى صاروا معلمين من تعليم التلامذة في المدارس الابتدائية مبادىء العلوم الزراعية

والفائدة الاولى التي تنجم عن تعليم التلامذة مبادىء العلوم الزراعية في المدارس الابتدائية ترغيبهم في الزراعة منذ نعومة اظفارهم فيشبون محبين لها . وهذه المبادىء تقتصر اولاً على شرح الامور الطبيعية وقد طبعت اوراق أُرسلت الى المعلمين ترشدهم الى كيفية شرح الامور الطبيعية ومن اول اغراضها اغراء التلامذة بالانتباه الى الطبيعة التي يرونها حولهم الى الاشجار والازهار والطيور والحشرات والهواء والغيم والنور والحرارة فان عين الصغير تقع على هذه الاشياء لكنهُ لا يراها لانهُ لا ينتبه اليها فيكون من اول اغراض المعلم ان ينبههُ اليها ومتى تمرَّنت فيهِ قوَّة الانتباه وتقوَّت وجد سهولة كبيرة في تعليمهِ ما يعرفهُ عن طبائع الاشياء التي حولهُ وصارت المدرسة نزهة لهُ بعد ان كانت سجناً

واذا صحَّ لنا ان نبدي رأياً لنظارة المعارف في هذا القطر اشرنا عليها ان تجمع معلمي مدارسها الابتدائية اسبوعين او ثلاثة في السنة وتكلف احد اساتذة المدرسة الزراعية بالقاء خطب عليهم في العلوم الطبيعية التي تبنى عليها العلوم الزراعية ويقرن الخطب ببعض التجارب العملية فيشرح لهم مثلاً كيفية تنفس الحيوان ومزية الهواء النقي على غير النقي ويريهم المواد الاصلية

التي يتركب منها النبات بتجفيفهِ وحرقهِ ووزن رمادهِ ويشرح لهم خواص العناصر الجوهرية التي يتركب منها اكثر جسم النبات وهي الاكسجين والهيدروجين والكربون والنيتروجين . ويشرح لهم كيفية نمو النبات وفائدة الماء لهُ وفائدة الحرث والعزق للارض. وتطبع هذه الخطب ورسوم التجارب في كراريس توزع عليهم مجاناً فيعودون الى تلامذتهم ويعلمونهم ما تعلموهُ بدروس مختصرة تمتد مدة السنة واذا اضافوا الى المدرسة جنينة صغيرة وخصصوا لكل تلميذ منها مترين مربعين ليركسها ويزرعها ويخدمها ويراقب نبت الزرع فيها ونموهُ وبلوغهُ ويخبر معلمهُ بما راقبهُ تأصلت في نفسهِ الرغبة في الزراعة وفهم مبادئها من صغرهِ

البيطرة عند العرب

(تابع ما قبلهُ)

الرابع في ما يختار من الخيل وذكر عمرها وما يستدل بهِ على سنها . يختار منها الكريع وهو جيد القوائم دقيق رأس الاذنين السريع في مشيهِ بحيث لا يحرّك الراكب مع السلامة من القطف. والقطوف في الخيل والحمير والبغال ما لا تصل رجلهُ الى مكان يدوحين يرفعها وهو عيب قوي. والطليع وهو الذي يرفع رأسهُ في اللجام بحيث يحاذي انف الراكب. والقليع الطويل الواسع الظهر العريض الكفل. ويجتنب منها الطموح وهو الذي لا تستقيم نظرتهُ ويدور بعينيهِ كثيراً والجموح وهو الذي يمشي قلعاً وارتفاعاً كأن فيهِ عرجاً والرموح وهو كثير الضرب بيدهِ . قالوا ومن الصفات المختارة السبوح وهو الذي لا يضرب الارض بقوة ولا يحرك الراكب مع سرعة السير

اما وقت التقفيز فينبغي ان يكون مدارهُ على زمن تقع فيهِ الولادة وقد ذهب البرد فان المولود في الشتاء لم ينتج فعلى هذا يكون اعدل زمن التقفيز لما حملهُ سنة كالخيل بمصر مثلاً اول فبراير حتى تلد على رأسهِ ويأكل فلوها السبل بعد اربعين يوماً فقد قال سيار في الزردقة اصح الخيل ما اكل فلوهُ السبل . وبالشام نيسان او بعض آذار وبالروم حزيران ... وجميع الدواب يجب ان ترضع اولادها سنة الا الضان والمعز فثلاثة اشهر والا الخيل فسبعة ايام ومتى فُطم الفلو فليطعم ما تيسر الا الخيل فتسقى الالبان شهراً بحنة ثم شهرين مضافة بدقيق الشعير ثم من شاء فليزد فانهُ ابلغ في نتاجها وقوّتها وينبغي اختيار الاب والام ليكون الناتج عتيقاً فان لم يكن فالاب ويسمى الفلو حينئذٍ هجيناً ويليهِ كريم الام حسباً وهو المقرف اي الذي لا تبغي قرفتهُ واردأ الكل البرذون وهو الخسيس من الطرفين . واشهر ما عُرف من انساب الخيل كحيلات بني مدلج ثم النجاديات

اما نبات اسنانها وتبديلها فللثواني من خمسة اشهر الى سبعة وللثوالث الى تسعة بعدها وهذه هي القوارح وحد الاضراس الى عشرة فاذا تمَّ الحول اخذت في التثبيت . ويستدل على عمرها بالاسنان فالملس الصغار البيض لبنية وغيرها مبدول فاذا بقي معها شيء من الثوالث قيل قارح سن مثلاً حتى لم يبقَ شيء فقد جذعت واقل ما يكون حينئذٍ طاعنةً في الخامسة ولا تسقط الاضراس الاَّ لعلة . واصحُّ الخيل ما لم تجاوز ثمانياً من السنين فقد قيل ان هذا يعقبهُ الانحطاط كالاربعين للانسان

فصل في الاخلاق السيئة . منها سرعة الانتقال من حالة الى أُخرى كالوقوف بعد المشي ويسمّى في الخيل حرناً وسببهُ سوء الركوب وجهل المروّض لها . وعلاجهُ ضرب السياط وثقل اللجم . ومنها الكلاد وهو العض والنهش مع هيجان واكثر ما يكون في الجمال وعلاجهُ الضرب على الفم وتلقيم الحديد وربط العقل وقد تدعو الحاجة الى برد اسنانهِ . ومنها الجفول من الاشياء المهولة نحو الميتات وسببهُ اما عدم الالفة كأَن ينشأ الحيوان بارض ليس فيها شيء من الجفول وهذا عامٌّ وقد يتولد في المركوب من ضعف الراكب ويعدل بهِ عن المستصعب رعايةً لغرضهِ فيُعتاد . وعلاجهُ ادامة وضع ما يخاف منهُ عندهُ وقلة الضوء في مربطهِ وان يمشَّى في الظلمة ويلجأ الى مخالطة ما يخافهُ حتى يرتاض . ومنها النواح وهو ان يقف او يمشي وهو يضطرب بيديهِ فقط وسببهُ غالباً جبلي ولا علاج لهُ وقد يكون لضعف في الحارك وعلاجهُ الكي . ومنها الزوغان وهو الميل بالظهر وارتعادهُ وسببهُ في الاصل قلة الخدمة والجس والتكفيف وكثرة الغبار في المحل وجهل السائس بتفريط الحزم وادمان ربطها من جانب واحد وجعل العقد تحت السروج الى غير ذلك وقد يكون عن ثقل في الحمول وعقور . وعلاجهُ زوال الاسباب المذكورة . ومنها الشائق وهو الذي لا يمشي على طريقة واحدة وهذا قد يكون جبليًّا وقد يكون لسوء الراكب وعلاجهُ الرياضة وثقل اللجام . ومنها الشبشوب وهو الذي يقف على يديهِ ضارباً برجليهِ وسببهُ مطلقاً العبث وتوطئة المعالف او رفعهُ . ومنها النفور من النعال لجرح او اصابة مسمار او لقط حصاة وعلاجهُ التأنيس بنحو اللجم . واما اللوص وخروج اللسان وخفوق اللثة وعض اللسان واكل الروث فغالبها خلقي واسبابها المكتسبة الجوع وعلاجها الرياضة والشبع وحزم الخاصرة وتحسين اللجام

واما الخصال المطلوبة فيهِ وخصوصاً في الخيل الدالّة بالفراسة على انهُ ميمون الغرَّة فاجودها ان يكون قد اتّسع فماً ومنخراً وقلَّ لحم وجههِ خصوصاً الخد وطال ذيلاً ورقَّ صدراً وعنقاً وصغر حافراً وقصر ظهراً وانتصب قوائم وبعُد بينهما واسودَّ محاجر وجحافل وقوائم

واما تعليمهُ فينبغي ان يكون عن عارف بالانواع المحتاج اليها ذي رفق يركب بتخذيهِ مائلاً الى اليسار متوسط العنان يحسهُ بالتدريج دون نخع ولا فتل عنيف ويضرب بحيث لا تشعر الدابَّة . معوداً لها رؤية المهول كفيل واسد . وانفس الاوقات للتعليم آخر الليل الى وسط النهار

ولا اثر لتعيين العلف من نوع مخصوص ولا لتقديرهِ لاختلاف ذلك باختلاف البلاد فان بدو حلب وحاضرتها لو علفوا الخيل فولاً لفسدت رأساً للبرد بخلاف مصر فان قيل ان الشعير ايضاً بارد كالفول فما الفرق حينئذٍ فالجواب من وجهين الاول غروية الشعير وقلة يبسهِ وقربهِ من غذائية الحنطة بخلاف الفول والثاني ما فيهِ من الخاصية الموجبة للطف الخلط المفضي الى صحة الجري بخلاف الفول لثقل خلطهِ. والشعير فعل في كل ذي حافرٍ كالجلبان في كل ذي ظلف وحب القطن شتاء في البقر . وقد يمرن الحيوان على ما ليس من شأنهِ تناولهُ كخيل التتر في اكل اللحم الى غير ذلك . كما لا اثر لتقدير ما تحملهُ في المعركة وغيرها لاختلافهِ ايضاً فقد قيل ان غاية ما تنشط بهِ الخيل في المعركة مثنا رطل من الزرد وغيرها بارطال بغداد وهي مئة وثلاثون درهماً . وكذا قيل حد ما يقوم اضلاعهُ ويملأ بطنهُ خمسة عشر رطلاً من التبن وستة من الشعير . وينبغي تنقية العلف وهو التبن خصوصاً للهازيل . وقد يبلُّ العلف ويرش بهِ التبن فانهُ سبب للاقبال على الاكل والهضم ولا يبادر الى شرب الماء فانهُ يفسد المزاج

انتهى باختصار من تذكرة داود البصير . ويرى القارئ فيهِ فوائد جمَّة ولا غرابة في ذلك لان العرب من ادرى الناس بطباع الخيل وطبها

الماء والملح للمواشي

جاء في الغازت الزراعية الانكليزية . ان اهل الزراعة يهملون امرين مهمين جداً وهما سقي المواشي الماء النقي واطعامها شيئاً من الملح . فان الماء النقي لازم للحيوان لزومهُ للانسان وكذلك الملح لازم لصحة الحيوان كما هو لازم لصحة الانسان . وقد تفضل المواشي الماء الناقع على الماء النقي لانها تجد في الماء الناقع شيئاً من الملوحة وطبيعتها تطلب الملح فتشرب الماء الفاسد لاجلهِ بل قد تشرب المياه الممزوجة ببولها لاجل ما فيهِ من الملح فتصاب بعلل مختلفة من جراء ذلك اخصها الاسقاط . فاذا وضعتَ مع علف المواشي ما يكفيها من الملح او اذا وضعت الملح في مكان يسهل عليها الوصول اليهِ صارت تفضل الماء النقي على الماء الفاسد

قال الكاتب رأيت في الشتاء الماضي عجلةً نحيفةً يظهر عليها الاضطراب فسألت صاحبها عن سبب اضطرابها فقال انها لا تأكل وقد جرَّبت لها انواعا مختلفة من العلف فلم افلح فقلت لهُ لعلها تطلب الملح فهل اطعمتها ملحاً فقال كلاَّ وقام من ساعتهِ واتاها بحجر كبير منهُ فجعلت

تلحسهُ بشهيةٍ شديدة . ثم التقيت بهذا الرجل بعد مدة فقال لي ان عجلتهُ اخذت تأكل علفها من ذلك الحين وسمنت ومن ثم صار يضع حجر ملح قرب كل رأس من مواشيهِ لكي تلحس منهُ ما تشاء فانتفعت من ذلك كثيراً



بلاد العرب مهد الاسلام

ARABIA CRADLE OF ISLAM

BY

REV. S. M. ZWEMER (1)

يعلم قرّاء المقتطف اسم القس زويمر من مقالتهِ عن الصابئة التي نشرناها في بعض اجزاء المقتطف الماضية وهو مثل غيرهِ من القسوس الذين استوطنوا بلدان المشرق فلم يقتصروا على التعليم والتبشير بل بحثوا عن تواريخ الامم الذين نزلوا بينهم وعاداتهم واخلاقهم والَّفوا في ذلك الكتب الواسعة وهم اقدر على التأليف من ابناء المشرق انفسهم لانهم يعرفون لغات كثيرة فيطلعون على ما كتبهُ المتقدمون والمتأخرون في الموضوع الذي يقصدون الكتابة فيهِ فلا يفوتهم شيء عرفهُ غيرهم عنهُ . والقس زويمر من هذا القبيل فقد ألَّف كتاباً مسهباً وصف فيهِ بلاد العرب وذكر جغرافيتها وامهات مدنها وخواص تربتها وحيواناتها وخلاصة تاريخها وظهور الاسلام فيها واحوالها السياسية واللغة العربية وآدابها والعرب واصلهم وعلومهم وصنائعهم ومذاهبهم الى غير ذلك مما يطول شرحهُ . وقد تمكَّن من جمع هذا الكتاب النفيس لمعرفتهِ باللغات الاوربية واللغة العربية واطلاعهِ على كثير من الكتب والشروح فوق ما علمهُ بالاختبار من قيامهِ في بلاد العرب السنين الطوال وكثرة اسفارهِ فيها ومشافهتهِ لاهلها . وزيَّن الكتاب بكثير من الصور وجمع فيهِ من الفوائد ما يعز العثور عليهِ في غير المكاتب الكبيرة وقدَّم لهُ صديقنا الدكتور دنس الاميركي مقدمة وجيزة قال في ختامها بعد ان وفاهُ حقهُ من المدح "لنقرأ هذا الكتاب فتتسع معارفنا وتزيد رغبتنا في مواضيع لا تزول مكانتها من نفوس اهل النظر والروية"

(1) Messrs. Oliphant, Anderson and Ferrier, 30, St. Mary Street, Edinburgh. Price 7/6.

وسنلخص فصلاً او فصلين من فصول هذا الكتاب في بعض الاجزاء التالية لكي يشترك ابناء العربية في الاطلاع على ما فيه من الفوائد

قصص القديسات

STUDIA SINAITICA No. IX and X (1)
Edited by A. Smith Lewis M. R. A. S.

لا تمضي سنة حتى تتحفنا العالمة الفاضلة مسز لويس بكتاب من الكنوز التي اكتشفتها في دير سينا ونسختها بيدها او صورتها بالفوتوغراف وعادت بها الى بلاد الانكليز حيث قرأتها وصححتها وترجمتها وطبعتها ونشرتها حتى يطلع عليها اهل الخافقين . وقد اتحفتنا الآن بكتاب قصص القديسات بالسريانية كتبهُ راهب اسمهُ يوحنا الحبيس او العمودي من دير بقرب انطاكية اسمهُ دير مار قديسا في قانون ولم يجد رقًّا فارغًا يكتبهُ عليهِ فكتبهُ على نسخة من الانجيل وكان ذلك في القرن الثامن للميلاد اي منذ الف ومئة سنة. وقد حفظ الكتاب وعلى كل صفحة منهُ شيء من قصص القديسات وتحتهُ جانب من الانجيل . فان القدماء كانوا يطرّسون الرقوق اي يمحون الكتابة عنها ويكتبون عليها كتابة جديدة وكذا فعل هذا الراهب بنسخة قديمة من الانجيل لكن الكتابة التي محاها بقي اثرها ظاهراً في الرق فنسخ الانجيل عنها وطبع وقد اتينا على ذكرهِ في حينهِ واما قصص القديسات فلم تنشرها مسز لويس الاَّ الآن لانحراف صحتها ولمشاغل عرضت لها . ومن يطلع على وصف المشاق التي عانتها في نسخ هذا الكتاب وقراءتهِ وترجمتهِ لا يسعهُ الاَّ الاعجاب بهمتها واقدامها

دفاع بلفنا

للفاضل عظم زاده حقي بك نجل المرحوم عبد القادر بك العظم

اشتهرت مدينة بلفنا مدة الحرب الاخيرة بين الدولة العثمانية ودولة الروس بثبات حاميتها وابلاء جنودها بالروس حتى تعذر عليهم فتحها خمسة اشهر. ومع مناعة موقعها واهميتها الحربية "لم توجه الحكومة العثمانية انظارها اليها قبل اعلان الحرب" على ما قالهُ المؤلف وقد احتلتها فصيلة من فرسان الروس القوزاق في ٨ يوليو سنة ١٨٧٧ واذن قائدها للحامية وللرعي العثمانيين بالخروج منها ولم يتعرّض للاهالي بشيء . وآخذ المؤلف الحامية لانها سلمت من

(1) London C. J. Clay and Sons Cambridge University Press Warehouse Ave Maria Lane.

غير دفاع وقال كان يجب عليها ان تدافع حيناً من الزمن ريثما تأتيها نجدة من فيلق عثمان باشا . والظاهر ان الروسيين لم يقيموا فيها بل خرجوا منها حالاً لانهُ يقال بعيد ذلك انهم اخذوا معهم اثنين من اعيان البلد فعادت اليها الجنود العثمانية في اليوم التالي بقيادة عاطف باشا واحتلت الاماكن الحصينة حولها وأُمر عثمان باشا الغازي بالمضي اليها فمضى بنحو احد عشر الفاً واربعة وخمسين مدفعاً وواقع الروس حال وصوله اليها فابلى فيهم وقتل منهم نحو الف وجرح نحو الفين وقُتل من جنوده الف وجرح الف . وكان مع الروس ثلاثة عشر الفاً من المشاة وثلاثة الايات من الفرسان وسبعون مدفعاً . وفصّل الكاتب بعد ذلك مواقع الخطاء في حركات الجنود الروسية . ومما قالهُ في هذا الصدد " اذا امعنا النظر في حركات الروس في هذه المعركة وجدنا ان الجنرال شيلدنر شولدنر قد عبأ فصائل الهجوم على اسوإ حال لان كلاً من هذين القسمين كان يتحرك مستقلاً عن الآخر حتى ان قائدهما العام كان لم يشعر بحركات الجناح الايسر الأ بعد مدة طويلة لعدم ارتباطها فبسبب هذا الغلط الفاحش تسنّت للغازي عثمان باشا الفرصة فارسل اولاً قسماً من قواهُ الاحتياطية الى جهة بوكوفا فهزمت الجناح الايمن الرومي واجبرتهُ للتقهقر ثم ضمّ قواهُ الى بعضها ووجههُ الى جناح العدو الايسر فهزمهم ايضاً شر هزيمة " . الى ان قال " والسبب في ذهاب مساعيهم (اي مساعي الروس) ايدي سبا وانهزامهم في وقائع بلفنا هي اغلاطهم الفادحة التي ارتكبوها في جميع استطلاعاتهم " . والظاهر ان المؤلف نقل هذا القول عن قائد مجرّب ثم خاف ان ينتفي به الفخر عن الجنود العثمانية فعقّب عليهِ بقولهِ " اذا امعنا النظر قليلاً في حالة الجيش العثماني الذي واصل المسير سبعة أيام مع وعورة الارض وقلة المياه وباشر حومة القتال بمجرّد وصولهِ لهذا اعظم انتصار واقدام عند المنصفين " . وفاتهُ انهُ ان كان الحكم الاول صحيحاً فهو عام على كل المعارك التي تلت المعركة الاولى واما الحكم الثاني فلا يطلق على الجنود العثمانية فيها كلها . والحقيقة ان الحكم الاول صحيح ولكنهُ لا ينفي الفخر عن الجنود العثمانية وقوادها لانها حاربت ببسالة تامة ولأن القائد الماهر هو الذي يستفيد من غلط غيره

وعلى هذا النمط تتوالى الصور والأحكام في هذا الكتاب فيذكر المؤلف امراً ثم يتصور منتقداً ينتقدهُ فيعقب عليهِ بما يزيل الشبهة كقولهِ في وصف ميدان القتال في الواقعة الاولى " من صعد على تلال يانيق بايرٔ وسرّح بصرهُ في تلك الوقائع المدهشة المزهقة للارواح والمرعشة يرى وقتئذٍ خلقاً كثيراً ما بين جريح وقتيل ومداس بسنابك الخيل بيدي الصياح والعويل والمقذوفات الجهنمية تحوم على الرؤوس كأنها غراب البين لتروي الارض من تلك

الدماء الجارية وتملأ الجو من النفوس المتطايرة ويسمع أيضاً دوي المدافع وفرقعة البنادق وتكبير الجنود العثمانية بحالة تقشعر منها الجلود وتشيب منها الاطفال". فوصف ميدان القتال وصفاً تقشعرُ منهُ الابدان كما قال ثم اتبعهُ بقولهِ "فما اجمل هذا المنظر اذا كان الغرض منهُ الذب عن البلاد واهلها والدين الحنيفي كما هو الواقع في الحرب الرومي الذي نحن بصددهِ". ولا ندري كيف يكون جميلاً. وكم من حرب تثار باسم البلاد وباسم الدين والبلاد والدين براءٌ منها وما الدافع اليها الأ المصالح والمطامع او الخرق في الرأي والسياسة ولكنها تعزى الى الوطن والدين ايهاما وتدجيلاً

وينتهي الكتاب بسقوط بلفنا وتسليم عثمان باشا بعد ان دافع عنها دفاعا عقد لهُ الوية الفخر المؤبد في صحف التاريخ وكاد يخرق خطوط الحصار ويخرج منها سالماً بعد ان نفد ما فيها من الزاد. وكان قد قسم جنودهُ قسمين في القسم الواحد عشرون الفاً وفي الثاني ١٥ الفاً وامر القسم الثاني ان يلحق بالقسم الاول بعد ساعتين من ابتداء القتال ففاز بخرق خطين من خطوط الحصار الثلاثة في ثلث ساعة ثم تكاثر الروس عليهِ قبل ان ينجدهُ القسم الثاني فلم يقدر على صدهم. وجُرح حينئذٍ برصاصة اصابت فخذهُ وقتل جوادهُ فظنت جنودهُ انهُ قتل واضطرَّ الى التسليم فهنأهُ قوَّاد الروس لبسالتهِ ومهارتهِ في فن القتال. وصافحهُ القيصر وحياهُ واكرم مثواهُ واعاد اليهِ سيفهُ قائلاً انني "اظهاراً لاحترامي لك واعترافاً ببسالتك الفائقة اعيد سيفك اليك فانت مأذون بحملهِ في بلادنا الروسية التي اؤمل ان تجد فيها كل راحة"

والكتاب حسن الطبع وفيهِ خريطة بلفنا وما حولها من الحصون والبلاد. فنثني على حضرة مؤلفهِ ثناء جميلاً

ديوان ابي فراس

ابو فراس شاعر مشهور من آل حمدان ملوك الموصل والجزيرة والشام ولذا كان الصاحب ابن عباد يقول بُدِئ الشعر بملك وختم بملك "يعني امرء القيس وابا فراس الحمداني". ولهُ القصائد الجزلة اللفظ البليغة المعنى والمقاطيع التي تذوب عذوبةً. ومن قصائدهِ المشهورة رائيتهُ التي مطلعها

لعلَّ خيالَ العامرية زائرُ فيسعد مهجورٌ ويسعد هاجرُ

وهي طويلة جداً جاء فيها على اخبار قومهِ وفاخر بهم ومن ذلك قولهُ

لنا اوَّلٌ في المكرمات وآخرُ وباطن مجد تغلبيّ وظاهرُ

وجدي الذي ساس الديار واهلها ... وللدهر نابٌ فيهما واظافرُ

كفى عدوات الغيث وارف كفهِ ... فامرع وادٍ واجتنى العيش حاضرُ

وعمي الذي سُلّت بنجد سيوفهُ ... فروَّع بالغورين من هو غائرُ

تناصرت الاحياء من كل وجهةٍ ... وليس لهُ الاَّ من الله ناصرُ

الى ان قال

فان يمضِ اشياخي فلم يمضِ مجدهم ... ولا دُثرت تلك العلى والمآثر

نشيدُ كما شادوا ونبني كما بنوا ... لنا شرف ماضٍ وآخر غابرُ

ففينا لدين الله عزٌّ ومنةٌ ... ومنا لدين الله سيفٌ وناصرُ

يشير الى ابني عمهِ سيف الدولة وناصر الدولة . ومن قصائدهِ المشهورة فائيتهُ التي مطلعها

غيري يغيرهُ الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكرام الوافي

لا ا تفي ودًّا اذا هو لم يدُم ... عند الجفاء وقلة الانصاف

ان الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسهِ ... ولوَ انهُ عاري المناكب حاف

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً ... فاذا قنعتَ فكلُّ شيءٍ كافِ

وكلها حكم . ومنها رائية أُخرى مطلعها

اراك عصيَّ الدمع شيمتكَ الصبرُ ... اما للهوى نهيٌ عليك ولا امرُ

نعم انا مشتاق وعنديَ لوعةٌ ... ولكنَّ مثلي لا يُذاعُ لهُ سرُّ

الى ان قال مفاخرًا وذاكرًا اسر الروم لهُ

أُسرتُ وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى ... ولا فرسي مهرٌ ولا ربُّهُ غُمرُ

ولكن اذا حُمَّ القضاء على امرىءٍ ... فليس لهُ برٌّ يقيهِ ولا بحرُ

وقال أُصيحابي الفرار او الردى ... فقلتُ هما امران احلاهما مرُّ

ولا خيرَ في دفع الردى بمذلةٍ ... كما ردَّها يوماً بسوءتهِ عمرو

ومن مقاطيعهِ الدالة على رقة طبعهِ قولهُ وقد اعتُقل بقسطنطينية

أبنيّتي لا تجزعي ... كل الانام الى الذهاب

أبنيّتي صبرًا جميـلاً للجليل من المصاب

نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترك والحجاب

قولي اذا ناديتني ... وعييت عن رد الجواب

زين الشباب ابو فرا ... س لم يمتَّع بالشباب

وقوله مرجزاً

وبقعة من احسن البقاع يبشرُ الرائد فيها الراعي
بالخصب والمرتع والوساع كانما يستر وجهَ القاعِ
من سائر الالوان والانواع ما ينشر الروم لذي الكلاعِ

وقد عني حضرة الاديب نخله افندي قلفاط بطبع هذا الديوان وحل بعض الفاظهِ وشرح بعض اياتهِ . وثمن النسخة منهُ نصف ريال مجيدي

ارجوزة الحكم للحكيم

لاستاذنا الرياضي الشهير اسعد افندي شدودي قريحة وقّادة في نظم الحكم كما لهُ عقل ثاقب في العلوم الرياضية . ولو كانت بلاد المشرق تعرف قيمة العلم والذكاء وتقدر العلماء قدرهم لا حلَّتهُ المحل الاول بين رجالها ولقطعت حكومتها لهُ راتباً يستعين بهِ على في شيخوختهِ وينقطع للبحث والتأليف في المواضيع العلمية . ولو كان في المشرق جمهور كبير ممن يعرف قيمة الشعر والشعراء لرأيت القصيدة من قصائدهِ تطبع مراراً كثيرة في الحول الواحد

وارجوزة الحكم هذه امثال سليمان الحكيم احد اسفار التوراة وقد نظمها اجابة لطلب بعض الاصدقاء وقدَّمها الى جلالة امبراطور المانيا لما زار الديار الشامية فامر جلالتهُ بطبعها على نفقتهِ وغرض ناظمها ان تدرَّس في المدارس الابتدائية حتى يستظهرها التلامذة ويتأدبوا بآدابها ويحكموا بحكمها . ونظمها سلس قريب المأخذ على ما فيهِ من بلاغة المعنى كقولهِ

مخافة القدير رأس الحكمهْ فمن حواها حاز اسنى نعمهْ
بالحكمة الجهال تستهينُ لكن بها الحكيمُ يستعينُ
يا ابنِ اذا اغراك اهل الشرِّ بالسير في طريقهم لا تجرِ
لا تغترِرْ بقولهم نقتسمُ ما بيننا جميع ما نغتنمُ

وقولهِ

لستةٌ يبغضها ربُّ العُلى بل سبعة يكرهها من الملا
عيون كبرٍ ولسان يكذبُ ايدٍ جنت قتلَ الاولى لم يذنبوا
قلبٌ غدا ذا فكرٍ فظيعهْ رجلٌ الى جناية سريعهْ
شاهد زور كذبهُ اشاعا يزرعُ بين الاخوة النزاعا

وقولهِ عن لسان الحكمة

لي الرأي لي الشورى انا الفهم الذكي ولي القوى ولي قويم المسلكِ

بي عَلَتْ الملوك والولاة وفي القضاء تعدل القضاة
عندي كنوز المال عندي المجد وقنية فاخرة وسعد
قد كنتُ منذ البدء قنية العلي مسحتُ في القديم منذ الازل

والارجوزة كلها على هذا النمط من السلاسة والجزالة . وقد طبعت في المطبعة الادبية بمدينة بيروت طبعاً متقناً بالشكل الكامل . فعسى ان يختارها معلمو المدارس في هذا القطر كما اختاروها في القطر الشامي لتعليم تلامذتهم قصائد ان استظهروها كانت لهم مرشد في سبل الحياة . واننا بلسان المهذبين والمتهذبين نقدم الشكر الوافر لحضرة ناظمها الفاضل



السيارات وحركاتها في شهر دسمبر ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

عطارد نجم المساء الشهر كله ويمرّ بتباينهِ الاعظم على ٢٠ درجة و ٥٠ دقيقة غرباً في الثامن من الشهر الساعة ٥ صباحاً و يرى في الفجر اياماً بعد ذلك . وسيره مستقيم في برج العقرب ويمرّ بعرضهِ الشمسي الاعظم شمالاً في الثالث من الشهر الساعة ٦ مساء وبعقدتهِ النازلة في السابع والعشرين منهُ الساعة السادسة صباحاً ويقترن باورانوس في الثاني والعشرين الساعة الخامسة مساء وبالمشتري في الثلاثين منهُ الساعة السادسة مساء ولكن قربهُ من الشمس يمنع رؤيتهُ

الزهرة

الزهرة نجم الصباح الشهر كله وسيرها في الميزان الى العقرب وتقطع عرضها الشمسي الاعظم شمالاً في اليوم الخامس من الشهر الساعة السادسة صباحاً . وفي اليوم الخامس عشر من الشهر يستنير ٠,٨٣٦ من قرصها

المريخ

المريخ نجم الصباح الشهر كله ويقطع الهاجرة في اليوم الاول من الشهر الساعة الخامسة والدقيقة ٤٣ صباحاً وفي اليوم ٣١ الساعة ٤ والدقيقة ١٣ صباحاً ويستنير ٠,٩٠٧ من قرصهِ في الخامس عشر من الشهر وسيره مستقيم في برج الاسد

المشتري

المشتري نجم المساء حتى الرابع عشر من الشهر الساعة ١١ صباحاً حينما يصير في الاقتران مع الشمس وبعد ذلك يصير نجم الصباح وتمنع رؤيتهُ لقربهِ منها وسيرهُ مستقيم في برج العقرب ويقترن بعطارد في الثلاثين من الشهر الساعة السادسة مساء

زحل

يمر زحل ايضاً باقترانهِ مع الشمس هذا الشهر في التاسع والعشرين منهُ الساعة الثالثة مساء ولذلك تخفيهِ اشعة الشمس عن الانظار وهو في برج الرامي

ويمر اورانوس باقترانهِ مع الشمس في الخامس من الشهر الساعة التاسعة صباحاً ومع عطارد في الثاني والعشرين منهُ الساعة ٥ مساء ويكون نبتون في الاستقبال في العشرين من الشهر الساعة ٦ صباحاً وهو بين الثور والجوزاء

اقترانات القمر بالسيارات

اليوم	الساعة					
١٤	٣	صباحاً	يقترن بالمريخ فيقع	٨°	٢٦ََ	شمالاً
١٩	٩	"	" بالزهرة فتقع	٢°	١٩َ	"
٢٠	٢	مساء	" بعطارد فيقع	٠°	٢َ	"
٢١	٣	"	" بالمشتري "	١°	٣٨َ	جنوباً
٢٢	٣	"	" بزحل "	٢°	٢٤	"

اوجه القمر

يوم	ساعة	دقيقة		
٦	١٢	٣٨	مساء	البدر
١٤	١٢	٤٢	صباحاً	الربع الاخير
٢٢	٢	١	"	الهلال
٢٩	٣	٤٨	"	الربع الاول
٣	٩	٤٨	مساء	في الاوج
١٥	٣	٢٤	"	في الحضيض
٣٠	٥	٥٤	"	في الاوج

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكل لحوم الناس

السويس . مينا افندي راغب . قرأت في احدى الجرائد اليومية ما نصهُ : "عاش الانسان دهرًا طويلاً يأكل لحم الانسان فعلاً الى ان تمكن حكماء الصين والهند من ابطال اكل اللحم كليًا والى ان جاءت الشرائع الدينية الاولى في الجهات السائرة ابتداء بتخصيص ما يؤكل من الانسان الذي يذبح للمعبود ثم ابقت القربان وجعلت الذبيحة طعمة للنيران حتى تدرّج الانسان الى نسيان لذة لحم اخوانهِ " فهل هذا القول صحيح

ج ان مسألة اكل الناس بعضهم بعضاً من اعوص المسائل الانثروبولوجية لما فيها من الامور المتخالفة التي لا ترجع الى اصل واحد فقد كان المظنون اولاً ان الناس لا يأكلون بعضهم بعضاً الاَّ وهم في حالة التوحش التام ثم وجد ان اممًا كثيرة بقي اكل لحوم الناس شائعًا عندها وهي متمدنة كامة المكسيك القديمة. وظهر بالاستقراء ان البعض يقتصرون على اكل لحم العدو انتقامًا والبعض على اكل لحم الصديق ضنًّا بجسمهِ ان يأكلهُ الدود واهالي استراليا يأكلون اولادهم اذا خافوا عليهم من الجوع او تعذَّر حملهم معهم في ارتحالهم من مكان الى آخر. وبعض اهالي افريقية لا يأكلون الاَّ اسراهم. وآثار ما كل الناس القدماء من العظام والاصداف تدلُّ على انهم لم يكونوا يأكلون بعضهم بعضاً في اوائل الدور الرابع من الادوار الجيولوجية لان ليس فيها شيء من عظام الناس فكأنهم لم يلجأوا الى اكل بعضهم بعضاً الاَّ بعد ان كثر عددهم وضربت المجاعات فيهم . ويستدلُّ من الآثار التي اكتشفها الاستاذ بتري في القطر المصري منذ سنتين ان اصحابها كانوا يأكلون لحوم الناس لكن لم يعلم حتى الآن زمن وجودهم في هذا القطر. ومن رأي الاستاذ تيلر ان الناس كفّوا عن اكل لحوم الناس لسبب ديني لما اعتقدوا بوجود النفس فامتنعوا عن اكل الجسد لكي يبقى منزلاً لها. ويخالف ذلك ان بعض الناس بقوا يأكلون اخوانهم لسبب ديني ايضاً معتقدين ان

الآلهة تأكل النفوس وهم يأكلون الاجساد. والكلام في هذا الموضوع طويل متشعب ويتعذَّر بت الحكم القاطع فيهِ . والاحكام التي قرأتموها ظنون او ترجيحات يتعذَّر اثباتها بالدليل القاطع

---

(٣) العرَّافون

امبابه . اسكندر افندي نبيه . يقول بعضهم ان العرَّافين كانوا في الازمنة الغابرة قادرين على قتل الانسان او قلب صورتهِ الآدمية الى اية صورة ارادوا بتلاوة بعض كلمات . وانهم كانوا يستخدمون الجن في قضاء حوائجهم فهل ذلك صحيح وكيف تعللون ما يروى من هذا القبيل

ج الدعاوي التي ادعاها العرَّافون القدماء يدَّعيها عرَّافو هذا الزمان . وكل ما امتُحن من دعاوي هؤُلاء ظهر فاسداً فاذا حقَّ لنا ان نقيس الماضي على الحاضر في هذا الامر كما نقيسهُ في كل الامور حقَّ لنا ان نقول ان كل ما يروى عن العرَّافين القدماء من هذا القبيل كاذب او مبالغ فيهِ

(٢) سحرة مصر

ومنهُ . اذا اجبتم بفساد دعاوي العرَّافين فكيف تعللون ما فعلهُ عرَّافو مصر على ما جاء في التوراة

ج يظهر من نص التوراة ان فرعون دعا العرَّافين او السحرة ليعلم ما اذا كان فعل موسى وهرون من قبيل فعلهم كأنهُ كان يعلم انهم يفعلون ما يفعلون بخفتهم وحيلهم . اما نجاحهم في جعل عصيهم افاعي تسعى والماء دماً فمفسّرو التوراة يقولون فيهِ ان العرافين كانوا يمسكون الافعي بعنقها فيعتريها نوع من الذهول وتصير كالعصا وان الحواة يفعلون ذلك الآن حتى اذا طُرحت على الارض فارقها الذهول وعادت الى السعي. وانهم صبغوا الماء بصبغ احمر خفية فصار مثل الدم ولم يكن الماء الذي صبغوهُ كثيرًا لانَّ ماء النيل كلهُ كان قد صار احمر كالدم . واذا شئتم زيادة التفصيل فعليكم بمراجعة كتب التفسير

(٤) ملكات مصر

ومنهُ . أكانت نساء العائلات الملكية الفرعونية متعلمات حتى خولهنَّ القانون حقَّ التربُّع على سرير الملك وقبض زمام الاحكام والاَّ فكيف امكنهنَّ القيام باعباء المملكة ان كنَّ جاهلات

ج كنَّ كرجالهنَّ من حيث العلم وعدمهِ والمرأة ليست اقلَّ ذكاء من الرجل اذا تساوت معارفها المكتسبة بمعارفهِ المكتسبة بل قد تكون اقوى من الرجل بداهة فما يستطيعهُ الرجل من ادارة شؤُون المملكة تستطيعهُ المرأة ايضاً اذا تساوت معارفها الاكتسابية بمعارفهِ . هذا ولا يمكننا ان ننشر كل الرسائل التي ترسل الينا ولاسيما اذا كنا مضطرين ان نتعب في تنقيحها ولا ان

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكل لحوم الناس

السويس . مينا افندي راغب . قرأت في احدى الجرائد اليومية ما نصهُ: "عاش الانسان دهراً طويلاً يأكل لحم الانسان فعلاً الى ان تمكن حكماء الصين والهند من ابطال اكل اللحم كلياً والى ان جاءت الشرائع الدينية الاولى في الجهات السائرة ابتداء بتخصيص ما يؤكل من الانسان الذي يذبح للمعبود ثم ابقت القربان وجعلت الذبيحة طعمة للنيران حتى تدرَّج الانسان الى نسيان لذة لحم اخوانهِ" فهل هذا القول صحيح

ج ان مسألة اكل الناس بعضهم بعضاً من اعوص المسائل الانثروبولوجية لما فيها من الامور المخالفة التي لا ترجع الى اصل واحد فقد كان المظنون اولاً ان الناس لا يأكلون بعضهم بعضاً الا وهم في حالة التوحش التام ثم وجد ان امماً كثيرة بقي اكل لحوم الناس شائعاً عندها وهي متمدنة كامة المكسيك القديمة . وظهر بالاستقراء ان البعض يقتصرون على اكل لحم العدو انتقاماً والبعض على اكل لحم الصديق ضناً بجسمهِ ان يأكلهُ الدود واهالي استراليا يأكلون اولادهم اذا خافوا عليهم من الجوع او تعذر حملهم معهم في ارتحالهم من مكان الى آخر . وبعض اهالي افريقية لا يأكلون الا اسراهم . وآثار ما كل الناس القدماء من العظام والاصداف تدل على انهم لم يكونوا يأكلون بعضهم بعضاً في اوائل الدور الرابع من الادوار الجيولوجية لان ليس فيها شيء من عظام الناس فكأنهم لم يلجأوا الى اكل بعضهم بعضاً الا بعد ان كثر عددهم وضربت المجاعات فيهم . ويستدل من الآثار التي اكتشفها الاستاذ بتري في القطر المصري منذ سنتين ان اصحابها كانوا يأكلون لحوم الناس لكن لم يعلم حتى الآن زمن وجودهم في هذا القطر . ومن رأي الاستاذ تيلر ان الناس كفوا عن اكل لحوم الناس لسبب ديني لما اعتقدوا بوجود النفس فامتنعوا عن اكل الجسد لكي يبقى منزلاً لها . ويخالف ذلك ان بعض الناس بقوا يأكلون اخوانهم لسبب ديني ايضاً معتقدين ان

الآلهة تأكل النفوس وهم يأكلون الاجساد. والكلام في هذا الموضوع طويل متشعب ويتعذَّر بت الحكم القاطع فيهِ . والاحكام التي قرأتموها ظنون او ترجيحات يتعذَّر اثباتها بالدليل القاطع

---

(٣) العرَّافون

امبابه . اسكندر افندي نبيه . يقول بعضهم ان العرَّافين كانوا في الازمنة الغابرة قادرين على قتل الانسان او قلب صورتهِ الآدمية الى اية صورة ارادوا بتلاوة بعض كلمات . وانهم كانوا يستخدمون الجن في قضاء حوائجهم فهل ذلك صحيح وكيف تعللون ما يروى من هذا القبيل

ج الدعاوي التي ادعاها العرَّافون القدماء يدَّعيها عرَّافو هذا الزمان . وكل ما امتُحن من دعاوي هؤُلاء ظهر فاسدًا فاذا حقَّ لنا ان نقيس الماضي على الحاضر في هذا الامر كما نقيسهُ في كل الامور حقَّ لنا ان نقول ان كل ما يروى عن العرَّافين القدماء من هذا القبيل كاذب او مبالغ فيهِ

(٢) سحرة مصر

ومنهُ . اذا اجبتم بفساد دعاوي العرَّافين فكيف تعللون ما فعلهُ عرَّافو مصر على ما جاء في التوراة

ج يظهر من نص التوراة ان فرعون دعا العرَّافين او السحرة ليعلم ما اذا كان فعل موسى وهرون من قبيل فعلهم كأنهُ كان يعلم انهم يفعلون ما يفعلون بخفتهم وحيلهم . اما نجاحهم في جعل عصيهم افاعي تسعى والماء دمًا فمفسرو التوراة يقولون فيهِ ان العرافين كانوا يمسكون الافعى بعنقها فيعتريها نوع من الذهول وتصير كالعصا وان الحواة يفعلون ذلك الآن حتى اذا طُرحت على الارض فارقها الذهول وعادت الى السعي . وانهم صبغوا الماء بصبغ احمر خفية فصار مثل الدم ولم يكن الماء الذي صبغوهُ كثيرًا لانَّ ماء النيل كلهُ كان قد صار احمر كالدم . واذا شئتم زيادة التصيل فعليكم بمراجعة كتب التفسير

(٤) ملكات مصر

ومنهُ . أكانت نساء العائلات الملكية الفرعونية متعلمات حتى خولنَّ القانون حقَّ التربُّع على سرير الملك وقبض زمام الاحكام والاَّ فكيف امكنهنَّ القيام باعباء المملكة ان كنَّ جاهلات

ج كنَّ كرجالهنَّ من حيث العلم وعدمهُ والمرأة ليست اقلَّ ذكاء من الرجل اذا تساوت معارفها المكتسبة بمعارفهِ المكتسبة بل قد تكون اقوى من الرجل بداهة فما يستطيعهُ الرجل من ادارة شؤُون المملكة تستطيعهُ المرأة ايضًا اذا تساوت معارفها الاكتسابية بمعارفهِ . هذا ولا يمكننا ان ننشر كل الرسائل التي ترسل الينا ولاسيما اذا كنا مضطرين ان نتعب في تنقيحها ولا ان

نكاتب اصحابها ونخبرهم عن رأينا فيها وهل ننشرها او لا ننشرها والاَّ اضطررنا ان نقضي الوقت في المكاتبة

(٥) مجلة صيدلية

عاليه . لبنان ايليا افندي بارودي . ارجوكم ان تفيدوني عن احسن مجلة او جريدة في فن الصيدلية باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج الجريدة المسماة Chemist and Druggist وهي اسبوعية وقيمة الاشتراك فيها ١١ شلنًا و ٦ بنسات في السنة . والجريدة المسماة Pharmaceutical Journal وهي اسبوعية ايضاً وقيمة الاشتراك فيها ٢٦ شلنًا في السنة من احسن الجرائد التي تطلبونها

(٦) غسل الجنين

مليج . حبيب افندي حنا . اعتاد بعض الاوربيين غسل الجنين حال ولادتهِ بالماء الفاتر والنبيذ وعلى زعمهم ان ذلك يمنع الحرارة والدمامل عن جسمهِ فما هي مزايا ذلك وهل استعمالهُ مفيد او غير مفيد

ج اما الغسل بالماء الفاتر الذي حرارتهُ مثل حرارة بدن الطفل فلازم . واما النبيذ فلا لزوم لهُ ولكن يدهن الطفل قبل غسلهِ بالزيت الحلو تحت ابطيهِ وفخذيهِ وفي كل طيات جسمهِ لكي يسهل نزع المادة الجبنية التي تكون على اجسام الاطفال المولودين حديثًا . وقد فصلنا ذلك في الصفحة ٣٨٨ من المجلد الثاني والعشرين من المقتطف

(٧) عمل السبيرتو

ومنهُ . كيف يستخرج السبيرتو ومن اي المواد يستخرج

ج تجدون كلامًا مفصلاً على استخراج السبيرتو في الجزء الاول والثاني من المجلد السابع عشر من المقتطف

(٨) مضرَّة الهوام

امبابه . سمعان افندي عوض . لكل خليقة في الدنيا نفع ما فما نفع العقرب والافعى والزنبور فاني اراها لا تجدي نفعاً وليس منها الاَّ الاذى من سمها الناقع

ج ان اردتم بالنفع النفع لنوع الانسان فالحكم غير صحيح لان بعض المخلوقات ينفعهُ وبعضها لا ينفعهُ ولعلَّ التي لا تنفعهُ او تضرُّ بهِ اكثر من التي تنفعهُ واذا اردتم بالنفع نفعها لمخلوقات أُخرى فالمخلوقات كلها سلسلة متصلة بعضها ينفع بعضاً وينتفع من بعض فالافعى لا تنفع الانسان ولكنها تنفع النمس لانها طعام لهُ وتنتفع من الفار لانهُ طعام لها . والعقرب تأكل بعض الحشرات فتنتفع بهِ وتأكلها حشرات اخرى فتنتفع بها وهلمَّ جرًّا . والقول بان كل الاحياء مخلوقة لنفع الانسان تحكم لا دليل عليهِ

(٩) جريدة للمبتدئين بالانكليزية

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم .

ارجو ان تذكروا لي اسم جريدة انكليزية اسبوعيةً يفهمها المبتدئون باللغة الانكليزية وكم قيمة الاشتراك فيها

ج نظن ان الجريدة Boys' Own Paper الشهرية او الاسبوعية تفي بغرضكم وقيمة الاشتراك في الشهرية ثمانية شلنات في السنة وفي الاسبوعية ٦ شلنات و٦ بنسات و يضاف الى كلٍّ منهما ٨ بنسات عن جزء الصيف و٨ بنسات اخرى عن جزء عيد الميلاد . وقد رأينا الثانية منهما وحرفها دقيق يتعب بصر المبتدىء



غنى المدارس الاميركية

في الولايات المتحدة الاميركية عشرون مدرسة جامعة لكل منها من الاموال والاملاك ذات الريع (الايراد) ما يزيد على مليون من الريالات . من ذلك مدرسة هارفرد ولها عشرة ملايين ريال ومدرسة كولمبيا ولها من الاملاك والاموال ما ريعهُ السنوي ٤٢٥ الف ريال ومدرسة كورنل ولها ستة ملايين ريال ومدرسة شيكاغو ولها ثمانية ملايين ريال ومدرسة جونس هبكنس ولها ثلاثة ملايين ريال ومدرسة الجنوب الغربي ولها ثلاثة ملايين ريال ايضاً ومدرسة بنسلفانيا ولها مليونان وخمس مئة الف ريال . وللمدارس الاميركية الجامعة كلها من الاموال والاملاك ذات الريع ما يساوي ١٥٠ مليون ريال فيبلغ ريعهُ السنوي ستة ملايين ريال اذا كان الريع اربعة فقط في المئة وهو اكثر من ذلك . وتبلغ قيمة مبانيها وسائر ممتلكاتها التي لا ريع لها ١٥٠ مليوناً اخرى من الريالات فكأنها تساوي ثلثمئة مليون ريال او ستين مليوناً من الجنيهات المصرية

هذه هي المدارس التي انشأتها الامة الاميركية ووقفت عليها الاموال لكي تنفق من ريعها . وفي الولايات المتحدة الاميركية الآن من السكان سبعة اضعاف سكان القطر المصري فاذا اردنا ان نجاري تلك البلاد في ارتقائها العلمي وجب ان يكون عندنا من المدارس الاهلية الجامعة ما تساوي املاكهُ ومقتنياتهُ سبعة واربعين مليوناً من الريالات او نحو عشرة ملايين من الجنيهات

ويندر ان يكون التعليم مجانياً في المدارس الاميركية والغالب انهُ غير رخيص لكن

ما يدفعهُ التلامذة لا يقوم الأَّ بجانب صغير من نفقات هذه المدارس لغلاء اجور الاساتذة فيها فان بعضها يدفع اجرة الاستاذ سبعة آلاف ريال في السنة وبعضها يدفع اربعة آلاف ريال ومتوسط اجرة الاستاذ في اكثرها الفا ريال . والغالب ان ربع المال ينفق في الادارة والثلاثة الارباع في التعليم اي ينفق اجوراً للاساتذة

الخوف من الطاعون

دُعي الاستاذ كاملت مدير مستشفى باستور في ليل الى الخطابة في مدرسة الاطباء والجراحين في بلاد الانكليز فاخذ موضوع خطبتهِ الطاعون وقال في خطبتهِ الاولى التي تلاها في ٧ نوفمبر الماضي ان الطاعون يتهدَّد الآن كل الدول البحرية فلا بدَّ من اتخاذ الوسائل الفعَّالة لمنع انتشارهِ . وتقدُّم علم حفظ الصحة وما عرفناهُ حديثاً مدة السنوات الخمس الماضية من اصل الطاعون وعلاجهِ والوقاية منهُ يمكننا من مقاومتهِ ومن حصر المراكز التي يتولد فيها . وقد عُرف الآن ان ميكروب الطاعون يوجد في الطعنات (الدبل) وفي بصاق المطعون ويوجد ايضاً في دمهِ احياناً كثيرة وهو قصير بيضي الشكل يمكن تلوينهُ واستنباتهُ بسهولة . والفيران والجرذان وخنازير الهند شديدة الميل للعدوى بهِ . وقد شوهد منذ زمن طويل انهُ حيث يظهر يموت كثير من الفيران والجرذان . وكان الصينيون والقبائل الرحل التي تسكن سفوح حملايا الشمالية يهجرون مواطنهم ومنازلهم اذا رأَوا فيها كثيراً من الجرذان الميتة هرباً منهُ ولا يزالون يفعلون ذلك الى الآن . ويقال انهُ يصيب البقر والخنازير ايضاً ولكن لا يظهر انها تصاب بهِ ما لم تلقح . ولا تصاب بهِ الطيور بسهولة لان العقبان التي تأكل جثث موتى الطاعون في مدافن المجوس في ضواحي بمباي لا تصاب بمكروبهِ ولكن لا يبعد انها تنشر ميكروبهُ حيث تلقي بزرقها . وقد وُضع حمار سليم في قفص مع حمار آخر مصاب بهِ فعُدي السليم من المصاب . والذي نقل العدوى في هذه الحادثة وامثالها البراغيث والذبان ونحوهما من الحشرات التي تقع على جلد الحيوان

وشرح كيفية العدوى في خطبتهِ الثانية التي القاها في ١٤ نوفمبر فقال ان بعض اوبئة الطاعون كانت العدوى فيها تدخل الجسم من الانف او الفم لانها كانت تظهر اولاً في الرئتين وبعضها كانت العدوى فيها من الجلد اما من جرح طفيف او من لسعة برغوث او بقة . ولما ظهر الطاعون في بلاد البرتغال في العام الماضي شاهد انساناً اصيب بهِ من لسعة بقة . وذكر هنكن وسيموتو انهما شاهدا اناساً في بلاد الهند اصيبوا بالطاعون من لمسهم جرذاناً ميتة والمرجح ان براغيث الجرذان

طارت منها الى الناس واوصلت العدوى اليهم . وثبت بالامتحان انهُ اذا وضع جرذ سليم مع جرذ مطعون في بدنهِ براغيث اصيب السليم بالطاعون حالاً ولكن اذا وُضع الجرذ السليم مع جرذ مطعون لا براغيث فيهِ لم يصب بالطاعون . ومهما كانت السبل التي يدخل فيها ميكروب الطاعون الجسم فهو يتكاثر اولاً في الاوعية اللمفاوية ثم في الدم . انتهى

و يظهر مما كتبهُ مكاتب التيمس من فينا حديثاً انهُ ظهر للوفد الطبي النمسوي الذي أُرسل الى بلاد الهند للبحث عن الطاعون وعدواهُ ان العدوى قد تدخل الجلد ولو كان سليماً غير مجروح ولا مخدوش

الجرذان وطاعون الاسكندرية

وعلى ذكر الجرذان وعلاقتها بالطاعون نلخص ما ذكرهُ بنتشنج بك مدير مصلحة الصحة في هذا الموضوع في تقريرهِ الاخير قال : لما ارسل الوفد المصري الى بلاد الهند في اوائل سنة ١٨٩٧ حاول الدكتور بتر احد اعضائهِ ان يجد جرذاناً ليبحث عن ميكروب الطاعون في ابدانها فلم يجد والظاهر ان جرذان بمباي كانت قد ماتت كلها او هاجرت منها . واشتدَّ الطاعون في بمباي كل شتاء بعد ذلك

وسنة ١٨٩٨ اعلنت الحكومة العثمانية ان الطاعون موجود في جدَّة فذهب الدكتور بتر اليها فرأى في شوارعها كثيراً من الجرذان الميتة او التي تكاد تموت ووجد ميكروب الطاعون في كل جرذ منها بحث في بدنهِ بحثاً ميكروبياً

ولما أُعلن وجود الوباء في الاسكندرية في العام الماضي شاع ايضاً انهُ وجدت جرذان كثيرة ميتة في نادي التجارة والجنود الانكليزية وهو على شاطىء البحر يتردَّد عليهِ التجارة من البوارج الانكليزية والجنود من الحامية الانكليزية. وقال القس لورنس مدير ذلك النادي انهُ رأى الجرذان هناك ميتة او مريضة قبل ما أُعلن وجود الطاعون في الاسكندرية بثلاثة اسابيع. وكانت الجرذان كثيرة هناك قبل ذلك ومن ثم لم يعد يرى شيئاً منها . ولم يفحص احد تلك الجرذان ليعلم ما اذا كان الطاعون سبب موتها . ولم يُصَب احد بالطاعون من الذين يترددون على النادي ولا من خدمهِ مع ان بعض الخدم مسكوا الجرذان الميتة ورموها من غير احتراس. وامام النادي مخزن بدَّال كبير قال صاحبهُ ان فيهِ جرذاناً كثيرةً ولم يرَ جرذاً ميتاً منها

وأُعلن وجود الطاعون بين رجال البوليس في محرَّم بك وقيل حينئذٍ انهُ شوهدت جرذان كثيرة ميتة قبل ظهورهِ باسبوعين ولكن لم يثبت لدى البحث ان الجرذان الميتة كانت اكثر من ثلاثة . ووجدت سبع جرذان ميتة في ثكنة الجنود الانكليزية بالاسكندرية

ولم يصب احد من الجنود التي فيها بالطاعون ولكن اصيب البعض من الوطنيين الساكنين على مقربة منها . واصيب ثلاثة بالطاعون في المطحنة الفرنسوية في ضواحي المدينة . وشهد مديرها انهُ رأى فيها جرذاناً ميتة قبيل ذلك ثم هجرتها الجرذان كلها

ولما رأت ادارة الصحة ان كثيرًا من الجرذان مات في الاسكندرية من غير ان تبحث عن ميكروب الطاعون في بدن جرذ منها اعلنت انها تعطي جائزة لمن يرشدها الى جرذ ميت فأرشدت الى مئات من الجرذان والفيران ولكنها لم تجد ميكروب الطاعون الا في اثنين منها الواحد فار وجد في بيت انسان مات بالطاعون والثاني جرذ وجد قرب كنيسة الاقباط وهي على مقربة من المستشفى اليوناني حيث عولج كثيرون من المطعونين. وأُمسكت جرذان كثيرة من مستشفى الحكومة حيث عولج كثيرون من المطعونين ولكن لم يوجد في ابدانها شيء من مكروبهِ

ومما يستحق الالتفات ان اكثر الذين طعنوا من الاوربيين في الاسكندرية كانوا من الخبازين والبدالين والجرذان كثيرة في الافران ومخازن البدالين كما لا يخفى . ولكن الجرذان التي أُتي بها من الافران والمخازن لم يوجد فيها شيء من ميكروب الطاعون . انتهى

ولا ندري ما هي الوسائل التي اتخذتها مصلحة الصحة لتكون على ثقة من ان الجرذان التي بحثت فيها هي من افران الخبازين ومخازن البدالين فان هؤلاء يبذلون جهدهم لكي لا يروها الجرذان التي عندهم مخافة ان تكتشف ميكروب الطاعون فيها فتحسب افرانهم ومخازنهم ملوثة بهِ وتتلف ما فيها وتضع عليهم الحجر الصحي وتعطل تجارتهم . فمصلحتهم المالية تقضي عليهم بمخادعتها جهدهم

المصل لعلاج الطاعون

لما اكتشف يارسن مصلهُ في بلاد الصين سنة ١٨٩٦ ادَّعى انهُ عالج ستة وعشرين بهِ فلم يمت منهم الا اثنان. ثم استعمل مصل رو في بلاد الهند سنة ١٨٩٨ فمات ٤٩ في المئة من الذين عالجهم بهِ وكان متوسط الوفيات حينئذٍ ٨٠ في المئة . الا ان اطباء الهند ورجال الوفد الالماني لم يشيروا باستعمال هذا المصل. وادعى الدكتور كالمت الفرنسوي انهُ استعمل مصلاً مصنوعاً في مستشفى باستور باريس في الطاعون الذي ظهر ببلاد البرتغال في العام الماضي فتوفي ١٣ في المئة من الذين عولجوا بهِ وكانت الوفيات نحو ٧٤ في المئة من الذين لم يعالجوا بهِ

هبة علمية يونانية

توفي بالامس رجل يوناني من نزلاء هذه العاصمة عن نحو مليون من الجنيهات كسبها في هذا القطر واوصى لابناء امتهِ بنحو ثلاثين الف جنيه وللجمعية الاسلامية بالف

جنيه . ولا ندري ما يكون حظ العلم من وصيته . وقد قرأنا في الجرائد العلمية الاخيرة ان رجلاً يونانياً من نزلاء باريس اسمهُ دانيال اوسيرس توفي عن ثروة طائلة واوصى بجانب كبير من امواله ليعطى ريعهُ جائزةً كل ثلاث سنوات لمن يكتشف انفع اكتشاف لنوع الانسان ولا تكون الجائزة اقل من مئة الف فرنك وقد تبلغ مئتي الف فرنك. وخصَّ هذه الجوائز بالفرنسويين الذين استوطن بلادهم واثرى فيها ولم يشرك غيرهم معهم فيها الاَّ اذا كان في باريس معرض عام واجتمع فيهِ الناس من الامم المختلفة فتكون الجوائز عمومية حينئذٍ

المعرض الاميركي

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة بفلو يفتح في اول مايو المقبل ويقفل في آخر اكتوبر ويؤتى اليهِ بقوة خمسة آلاف حصان من شلال نياغرا لانا ته وادارة الآتهِ

اضرار الصراصير

يكره الناس الصراصير ويعافون كل طعام وقعت فيهِ وهم لا يدرون سبباً لذلك غير ما يجدونهُ في نفوسهم من الكره الطبيعي لها . لكن يظهر من مقالة نشرها الدكتور سرفيور في مجلة الجمعية الطابية الطبيعية في بمباي ان الصراصير تصاب بامراض حلمية والجراثيم التي تتولد منها هذه الامراض قد تعيش في بدن الانسان ايضاً ولا يبعد ان تضرَّ بهِ. فان كان ذلك كذلك فالصراصير مضرَّة فوق قبح منظرها وخُبث رائحتها

امتحان طيران البالون

أُمتحن طيران البالون في معرض باريس قبل اقفالهِ فسار بالون الكونت هنري ده لافول ١٩٢٥ كيلومترًا في ٢٥ ساعة و٤٥ دقيقة ونزل في كوروستشو بروسيا واعظم ما بلغهُ من الارتفاع ٥٧٠٠ متر . وسار بالون المسيو جاك بالسان ١٣٤٥ كيلو مترًا في ٢٧ ساعة و٥ دقايق وبلغ ارتفاعهُ ٦٥٤٠ مترًا . وسار بالون المسيو جاك فور ٩٥٠ كيلو مترًا في ١٩ ساعة و٢٤ دقيقة ونزل في المانيا. فاعطيت الجائزة الاولى للكونت هنري ده لافول

الحمى الصفراء والبعوض

يرى الاطباء الآن ان البعوض ينقل عدوى الحمى الصفراء الخبيثة كما ينقل عدوى البعوض . ويظهر من بعض التجارب التي أُجريت حديثاً في جزيرة كوبا ومات فيها الدكتور لازير بالحمى الصفراء ان البعوض ينقل ميكروبها حتماً ويرجح ان ميكروبها لا ينتقل من المصاب الى السليم الاَّ بهِ. فاذا ثبت ذلك كانت البعوضة التي يقال انها تدمي مقلة الاسد من شرّ الهوام على نوع الانسان

قناديل الاسيتيلين

يظهر ان الالمانيين احكموا عمل قنديل الاسيتيلين والاستصباح بهِ حتى صار استعمالهُ خالياً من الخطر فقد رأينا في الجرائد العلمية الاخيرة انهُ يستعمل في المانيا الآن مئتا الف مصباح كبير من الاسيتيلين وان مركبات سكك الحد الخاصة بالحكومة الالمانية أُنيرت بهِ . وقد استعمل في المانيا في العام الماضي ١٧ الف طن من كربيد الكلسيوم الذي يتولد منهُ غاز الاسيتيلين وهي تساوي في انارتها سبعة ملايين جالون من البتروليوم . وتنار بهِ الآن ٣٢ مدينة صغيرة ولا يبعد ان تستغني المانيا بهِ عن البتروليوم وعن غاز الضوء

سمُّ الخمور

لا يخفى ان الاشربة الروحية كالخمر والكنياك والعرقي والشمبانيا تسكر شاربها ولكن بعضها يصحو الشارب منهُ بعد زوال فعل السكر سليماً كأنهُ لم يشرب مسكرًا وبعضها يصحو منهُ ضعيفاً مخبولاً . وقد سمعنا من بعض شاربي المسكرات ان الخمر اللبنانية المستخرجة من العنب لا غير تسكر مثل سائر المسكرات ولكنها لا توقع في الجسم خبالاً كالمسكرات الاوربية او كالمسكرات البلدية المصنوعة من السبيرتو الاوربي . وكلما عتقت الخمر كان شربها اسلم عاقبة ولم نمتحن ذلك قبلاً ولا بحثنا عن سببهِ لاعتقادنا ان انواع المسكر كلها في الضرر شرع ولا فائدة تجنى منها حتى لقد خالفنا جمهور الاطباء في ذلك غير ان الطبيب الشهير العلامة السرلودر برنتن والدكتور تنكلف بحثا حديثاً بحثاً مدققاً في هذا الموضوع فوجدا ان الفرفورال الذي يكون في المسكرات وهو يتولد وقتما يتولد السبيرتو من فعل الحامض بقشر الحبوب هو السبب لهذا الخبال الذي يبقى في الجسم بعد السكر فانهُ سم ناقع يسم الجسم ولا يزول فعلهُ منهُ سريعاً . وان المسكرات التي نُزِع منها الفرفورال وغيرهُ من الالدهيدات تسكر شاربها ولكنهُ يعود الى حالهِ بعد زوال فعلها المسكر ولا يبقى فيهِ شيءٌ من الخبال والضعف . وكتب هذان الفاضلان مقالة وجيزة في هذا الموضوع نشراها في الجزء الاخير من جريدة اللانست الطبية وسنأتي عليها في الجزء التالي . ويظهر منها ان هذا السم اقل في الاشربة المعتقة منهُ في الاشربة الجديدة

اقفال معرض باريس

أُقفل معرض باريس ليلة الثاني عشر من نوفمبر وقد بلغ عدد الذين دخلوهُ بتذاكر قدموها عند ابوابهِ ٤٨ مليوناً وكان عدد الذين دخلوا المعرض السابق ٢٨ مليوناً . والتذاكر التي طبعت لهذا المعرض ٦٥ مليوناً فيكون قد بقي منها ١٧ مليوناً من غير استعمال وكان اكثر الزوَّار الاجانب من الالمان

جنيه . ولا ندري ما يكون حظ العلم من وصيتهِ . وقد قرأنا في الجرائد العلمية الاخيرة ان رجلاً يونانياً من نزلاء باريس اسمهُ دانيال اوسيرس توفي عن ثروة طائلة واوصى بجانب كبير من اموالهِ ليعطى ريعهُ جائزةً كل ثلاث سنوات لمن يكتشف انفع اكتشاف لنوع الانسان ولا تكون الجائزة اقل من مئة الف فرنك وقد تبلغ مئتي الف فرنك. وخصَّ هذه الجوائز بالفرنسويين الذين استوطنوا بلادهم واثرى فيها ولم يشرك غيرهم معهم فيها الاَّ اذا كان في باريس معرض عام واجتمع فيهِ الناس من الامم المختلفة فتكون الجوائز عمومية حينئذٍ

المعرض الاميركي

يهتم الاميركيون الآن بانشاء معرض كبير في مدينة بفلو يفتح في اول مايو المقبل ويقفل في آخر اكتوبر ويؤتى اليهِ بقوة خمسة آلاف حصان من شلال نياغرا لانارته وادارة آلاتهِ

اضرار الصراصير

يكره الناس الصراصير ويعافون كل طعام وقعت فيهِ وهم لا يدرون سبباً لذلك غير ما يجدونهُ في نفوسهم من الكره الطبيعي لها . لكن يظهر من مقالة نشرها الدكتور سرڤيور في مجلة الجمعية الطبية الطبيعية في بمباي ان الصراصير تصاب بامراض حلمية والجراثيم التي تتولد منها هذه الامراض قد تعيش في بدن الانسان ايضاً ولا يبعد ان تضرَّ بهِ. فان كان ذلك كذلك فالصراصير مضرَّة فوق قبح منظرها وخُبث رائحتها

امتحان طيران البالون

أُمتحن طيران البالون في معرض باريس قبل اقفالهِ فسار بالون الكونت هنري ده لافول ١٩٢٥ كيلومتراً في ٣٥ ساعة و٤٥ دقيقة ونزل في كوروستشو بروسيا واعظم ما بلغهُ من الارتفاع ٥٧٠٠ متر. وسار بالون المسيو جاك بالسان ١٣٤٥ كيلو متراً في ٢٧ ساعة و٥ دقايق وبلغ ارتفاعهُ ٦٥٤٠ متراً . وسار بالون المسيو جاك فور ٩٥٠ كيلو متراً في ١٩ ساعة و٢٤ دقيقة ونزل في المانيا. فاعطيت الجائزة الاولى للكونت هنري ده لافول

الحمى الصفراء والبعوض

يرى الاطباء الآن ان البعوض ينقل عدوى الحمى الصفراء الخبيثة كما ينقل عدوى البعوض . ويظهر من بعض التجارب التي أُجربت حديثاً في جزيرة كوبا ومات فيها الدكتور لازير بالحمى الصفراء ان البعوض ينقل ميكروبها حتماً ويرجح ان ميكروبها لا ينتقل من المصاب الى السليم الاَّ بهِ. فاذا ثبت ذلك كانت البعوضة التي يقال انها تدمي مقلة الاسد من شرّ الهوام على نوع الانسان

قناديل الاسيتيلين

يظهر ان الالمانيين احكموا عمل قنديل الاسيتيلين والاستصباح بهِ حتى صار استعمالهُ خاليًا من الخطر فقد رأينا في الجرائد العلمية الاخيرة انهُ يستعمل في المانيا الآن مئتا الف مصباح كبير من الاسيتيلين وان مركبات سكك الحديد الخاصة بالحكومة الالمانية أُنيرت بهِ . وقد استعمل في المانيا في العام الماضي ١٧ الف طن من كربيد الكلسيوم الذي يتولد منهُ غاز الاسيتيلين وهي تساوي في انارتها سبعة ملايين جالون من البتروليوم . وتنار بهِ الآن ٣٢ مدينة صغيرة ولا يبعد ان تستغني المانيا بهِ عن البتروليوم وعن غاز الضوء

سمُّ الخمور

لا يخفى ان الاشربة الروحية كالخمر والكنياك والعرقي والشمبانيا تسكر شاربها ولكن بعضها يصحو الشارب منهُ بعد زوال فعل السكر سليمًا كأنهُ لم يشرب مسكرًا وبعضها يصحو منهُ ضعيفًا مخبولاً . وقد سمعنا من بعض شاربي المسكرات ان الخمر اللبنانية المستخرجة من العنب لا غير تسكر مثل سائر المسكرات ولكنها لا توقع في الجسم خبالاً كالمسكرات الاوربية او كالمسكرات البلدية المصنوعة من السبيرتو الاوربي . وكلما عتقت الخمر كان شربها اسلم عاقبة ولم نمتحن ذلك قبلاً ولا بحثنا عن سببهِ لاعتقادنا ان انواع المسكر كلها في الضرر شرع ولا فائدة تجنى منها حتى لقد خالفنا جمهور الاطباء في ذلك غير ان الطبيب الشهير العلامة السر لودر برنتن والدكتور تنكلف بحثا حديثًا بحثًا مدققًا في هذا الموضوع فوجدا ان الفرفورال الذي يكون في المسكرات وهو يتولد وقتما يتولد السبيرتو من فعل الحامض بقشر الحبوب هو السبب لهذا الخبال الذي يبقى في الجسم بعد السكر فانهُ سم ناقع يسم الجسم ولا يزول فعلهُ منهُ سريعًا . وان المسكرات التي نُزع منها الفرفورال وغيرهُ من الالدهيدات تسكر شاربها ولكنهُ يعود الى حالهِ بعد زوال فعلها المسكر ولا يبقى فيهِ شيءٌ من الخبال والضعف . وكتب هذان الفاضلان مقالة وجيزة في هذا الموضوع نشراها في الجزء الاخير من جريدة اللانست الطبية وسنأتي عليها في الجزء التالي . و يظهر منها ان هذا السم اقل في الاشربة المعتقة منهُ في الاشربة الجديدة

اقفال معرض باريس

أُقفل معرض باريس ليلة الثاني عشر من نوفمبر وقد بلغ عدد الذين دخلوهُ بتذاكر قدموها عند ابوابهِ ٤٨ مليونًا وكان عدد الذين دخلوا المعرض السابق ٢٨ مليونًا . والتذاكر التي طبعت لهذا المعرض ٦٥ مليونًا فيكون قد بقي منها ١٧ مليونًا من غير استعمال وكان اكثر الزوَّار الاجانب من الالمان

ويتلوهم البلجيون واكثر زوار المعرض الماضي من الانكليز ويتلوهم البلجيون . واكثر ما بلغهُ عدد الداخلين في يوم واحد ٦٠٠٠٠٠ واكثر ما بلغهُ في المعرض الماضي ٣٣٥٣٧٧ وبلغت نفقات هذا المعرض نحو عشرة ملايين من الجنيهات والمظنون ان خزينة فرنسا استردت اكثر هذا المال من زيادة مال الدخولية . وطلب الاستاذ جدس وغيرهُ من الاساتذة ابقاء قصور الدول لكي تجعل متاحف ودوراً للتعليم فاجيب طلبهم في بعضها

السم في البيرا

اثبتت جريدة اللانست الطبية ان البيرا قد تحوي مقداراً كبيراً من الزرنيخ يأتيها من السكر الذي يدخل فيها فانهُ قد يكون في الرطل من هذا السكر ثلاث قمحات من الزرنيخ ويكون في الكاس من البيرة خمس قمحة من الزرنيخ واكثرهُ من الحامض الزرنيخوس السام جداً . فعسى ان تنتبه ادارة الصحة المصرية الى ذلك وتمتحن انواع البيرة المستعملة في هذا القطر لانهُ ان كانت البيرة تسمّ في بلاد الانكليز مع ما فيها من شدة المراقبة فالاولى ان تسمّ في هذا القطر . وسمها لا يقصد بهِ سم شاربيها بل معالجة السكر الذي يستعمل فيها

سكان مصر والجزائر

بحث المستر رندل مكفر والمستر ولكنس عن احوال البربر سكان الجزائر وعن علاقتهم القديمة بمصر فوجدا في خزف " القبائل " ما يدلُّ على اصلهِ المصري

هبات اكيلولوبلو

فتحت وصية المسيو اكيلولوبلو الغني اليوناني من نزلاء القطر المصري فاذا هو قد اوصى فيها بتسعة آلاف وسبع مئة جنيه للمدرسة التي انشأها في زنكارادا مسقط رأسهِ وخمسة عشر الف جنيه ومنزلهِ في الموسكي للطائفة اليونانية في العاصمة وثمانية آلاف جنيه لانشاء مستشفى والفي جنيه للفقراء والف جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية

اقدم اوراق البنك

وضع في المتحف البريطاني حديثاً ورقة بنك صينية صدرت في عهد دولة منج اي منذ خمس مئة وعشر سنوات او قبلما صدرت اوراق البنك في اوربا بنحو ثلثمئة سنة وهي دليل قاطع على ان تلك البلاد ارتقت الارتقاء المالي قبل اوربا بقرون كثيرة وهناك ادلة كثيرة على انها ارتقت ايضاً الارتقاء العلمي والصناعي قبل اوربا فلا يفسر انحطاطها بعد ذلك وسبق اوربا لها الا بامر من امرين اما ان شعبها شاخ فانحط ولم يعد ارتقاؤهُ ميسوراً او ان في ما تخضع لهُ من السياسات والديانات ما منع ارتقاءها عن الحد الذي وصلت اليهِ

الجزء السادس من المجلد الخامس والعشرين

فهرس المجلد الخامس والعشرين